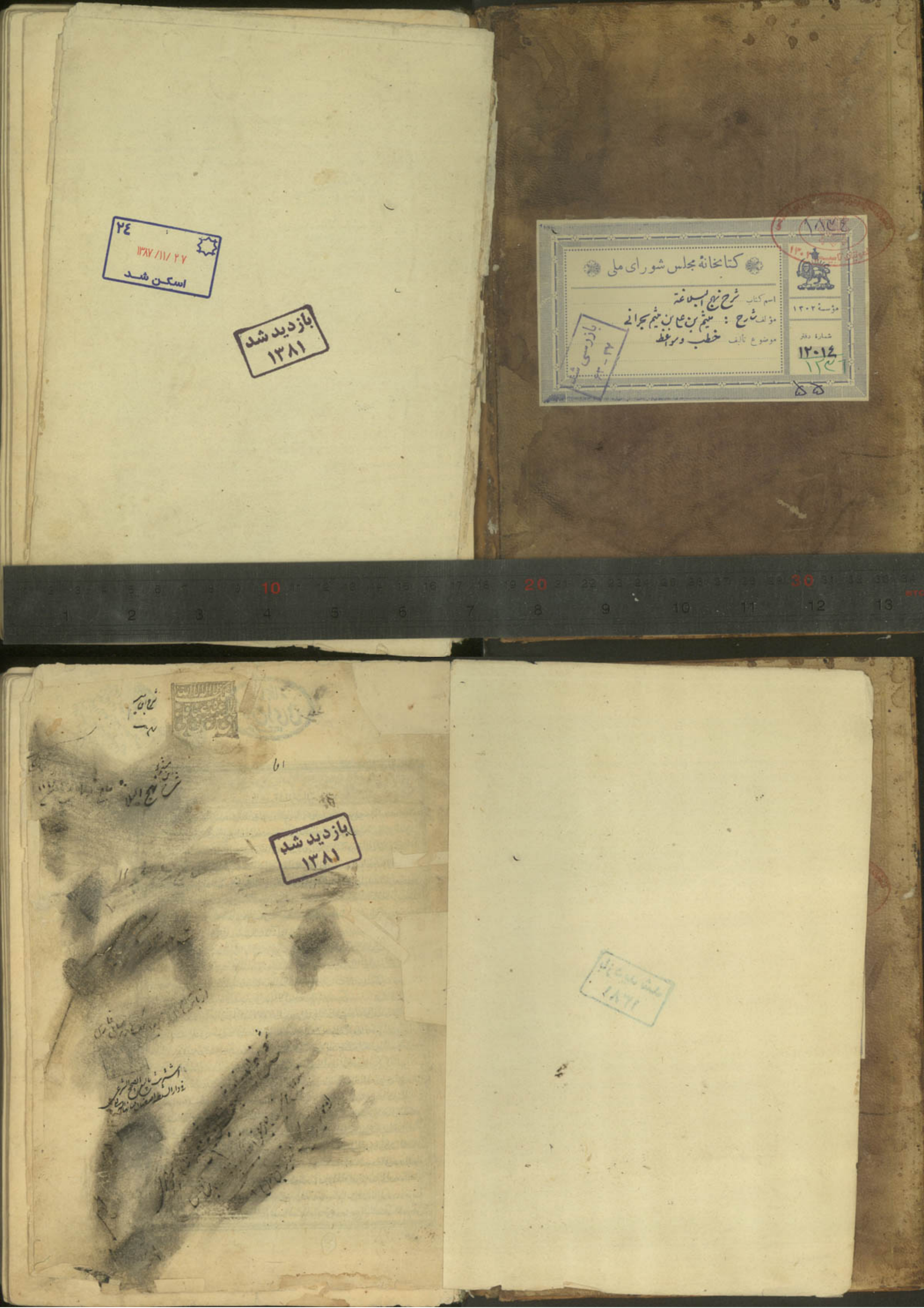
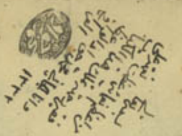




۲۴
۱۳۸۷/۱۱/۲۷
اسکن شد
بازدید شد
۱۳۸۱
کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
اسم کتاب شرح نهج البلاغة
مؤلف شارح : میثم بن علی بن میثم بحرانی
موضوع تألیف خطب و مواعظ
مؤسسهٔ ۱۳۰۲
شمارهٔ دفتر ۱۲۰۱۴
بازدید شد
۱۳۸۱





بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك اللهم وبحمدك توحدت في ذاتك فعرض دون ذلك لسان كل عارف وتفردت في صفاتك فقصر عن نعتك لسان كل واصف ظهرت لخلقك ببدائع جودك فشهدت بوجوب وجودك حاجة كل قابل وبهرت بعز جلالك فالكل في جلالك مضمحل باطل احاط علمك فلم يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وتعاليت لاولك فتعدت ناعتا حد التحديد والاحصاء خلقت الدنيا مضمارا يستعد فيه خلقك للسباق الى حضرة قدسك وايدتهم بالرسل ليسلكوا بهم افضل السبل الى بساط انسك ويسرت كلا لما خلق له فبعض لنعمائك شاكرون ومن عبادتك مستكبرون وبعض بضروب احسانك معترفون وعلى باب كعبة جودك معتكفون سبحانك انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون سبحانك عما يقول الظالمون وتعاليت عما يصفون اسبحك بلسان الحال والمقال بالعشي والابكار واحمدك على كل حال آناء الليل واطراف النهار واشهد ان لا اله الا انت شهادة فاكل ما سواك عن درجة الاعتبار مخلصا لجلال وجهك في طوري الاعلان والاسرار واشهد ان محمدا عبدك المختار وصفوة انبيائك الاطهار الذي بعثته بالمعجزات الساطعة وايدته بالبراهين والحجج القاطعة وجعلته للعالمين بشيرا ونذيرا وداعيا اليك باذنك وسراجا اللهم فصل عليه صلوة دائمة نامية وافية كافية ما تعاقبت الاوقات ودامت الارض والسموات وعلى آله المنتجبين ينابيع الحكمة واساطين الدين وعلى اصحابه الاكرمين وسلم عليهم اجمعين اما بعد فلما كان المقصد الاول من بعثة الانبياء والرسل بالكتب الالهية والنواميس الشرعية انما هو جذب الخلق الى الواحد الحق وتعاهد نفوسهم من داء الجهل وعشق هذه الدار والفاتها الى حظائر القدس ومنازل الابرار وحمايتها ان تردى موارد الهلاك اذ كانت من ذلك على خطر وتشويقها الى ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وتنبيهها من مراقد الطبيعة ونوم الغافلين بتذكيرها ما اخذ عليها من العهد القديم الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ثم ما يلزم ذلك المقصود من تدبير احوال المعاش البدني وسائر اسباب البقاء للنوع الانساني وكان امامنا سيد الوصيين وامير المؤمنين ذو الآيات الباهرة والانوار الظاهرة علي بن ابي طالب عليه السلام في جميع ما ورد عنه من الكلام وصدر عنه من الافعال والاحكام قاصدا لجميع ما قصده الشرع الكريم من الاغراض والمقاصد باسطا لما اشتمل عليه القرآن الحكيم من القوانين والقواعد حتى لن يوجد له كلمة في غير هذا السبيل كما سنبين ذلك عن قليل ونوضحه بالتفصيل فلا جرم كان كلامه الكلام الذي عليه مسحة من الكلام الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي ولم يزل كلامه عليه السلام مبددا في صدور الرواة منتشرا في ايدي المهتدين والغواة تحاول اعداؤه ان يخفى مشهوره ويأبى الله الا ان يتم نوره الى ان خص الله بذلك السيد الامام الشريف الرضي محمد بن الحسين قدس الله سره ونور ضريحه فالتقط من كلامه جنى الزهرات وجمع منه ما كان في حيز الشتات وبالغ في تدوين محاسنه بقدر الاستطاعة وسمى مجموعه بنهج البلاغة فجاء الاسم وفق المسمى

الموسوي

واللفظ

واللفظ طبق المعنى فجزاه الله عن العلماء خير الجزاء وحباه من وظائف الفضل بجزيل الحباء ثم اني لما كنت عبدا من عباد الله آتاني رحمة من عنده وملكني قوة اسلك بها سبيل قصده وكنت قد جعلت هذا الكتاب بعد كتاب الله وكلام رسوله مصباحا استضيء به في الظلمات وسلما اعرج به الى الطباق السموات كنت في اثناء وقوفي على شيء من اسراره والتحلي بسواطع انواره اتأسف على من مرض عنه جهلا واتلهف لو اجد له اهلا الى ان قضت صروف الزمن بمفارقة الاهل والوطن واوجبت تقلبات الايام دخول دار السلام فوجدتها نزهة للناظر وايد الحكيم القادر بانها الحوال تدبيرها والقاء مقاليد امورها الى من خصه الله تعالى باشرف الكمالات الانسانية وملكه ملكات الفضائل النفسانية فهو امرء تلك طبيعته من طينة الفضل حين ينشأ فالعلم والجود والشجاعة والعفة والعدل منه كثب نعم هو من سخره الله لاستكفاء امور عباده وبلاده وجعلها مطاوعة لامره قياده فاوامره الغالية تسري فيها سري الارواح في الاجسام وآراؤه الصائبة تجري فيها مجرى الصحة بعد السقام الذي حاز على المناقب ففاز باسنى المطالب وسمى بهمته الثواقب فامن غوائل العواقب الذي بدرت اقمار العلوم بدولته السعيدة بعد الافول في غيابة الجهل وسطع صبح الحق بطلعته الحميدة من افق الضلالة ودفع ذيول ظلام الظلم بحر عدله وازهرت روض الرغائب بفيض سحائب فضله المشيد لاركان الاسلام بعد التداعي للانهدام المجدد من آثار الايمان ما محاه طوفان الطغيان صاحب ديوان الممالك السالك الى الله اقرب المسالك علاء الحق والدين عطاملك بن الصاحب المعظم والمولى المكرم الفائز بلقاء رب العالمين ومجاورة الملائكة المقربين بهاء الدنيا والدين محمد الجويني ضاعف الله جلاله وخلد اقباله وحرس عزه وكماله وايد فضله وافضاله وفسح في مدة عمره وامده بتوفيقه وشد ازره بذي عز صنوه وشقيقه الذي فاق ملوك الآفاق بعلو القدر وكمال العز والفخر ونصاعة العلم والادب ورزانة العقل والحسب الذي ملأ الاسماع بجميل اوصافه وافاض وعم الاطماع بجزيل الطافه واسى بهاطل وابل نواله ما قيل من قبله في الكرم واهله هو البحر من اي النواحي اتيته فلجته المعروف والجود ساحله تعود بسط الكف حتى لو انه ثناها لقبض لم تطعه انامله ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله ثم هو من جمع الله له بين الحكمة والسلطان وزاده بسطة في المرتبة وعلو الشأن ذو النفس القدسية والخلائق الانسية والاعراق الزكية والاخلاق الرضية والهمم الابية والمقاصد السنية مولى ملوك العرب والعجم صاحب ديوان ممالك العالم شمس الحق والدين غياث الاسلام والمسلمين محمد بلغه الله اقصى مراتب الكمال ورزقه بلوغ الآمال في الحال والمآل فانهما اهنى الامر بدران شرقان يستضاء بانوارهما وبحران زاخران يغترف من تيارهما وطودان شامخان يستعاذ باقطارهما وعمادان يقوم بهما في الوجود اركان الايمان وصارمان يصول بهما الدين القيم على سائر الاديان فجزاهما الله عن الاسلام واهله افضل جزاء المحسنين وخصهما من وظائف فضله بكل ما اعده لعباده الصالحين وقرن سعادتهما بالدوام والاستمرار وعصم ارباب مطاوعتهما الاقضية والاقدار دولتهما عن حوادث الايام وآفاتها وجعل نتائج افعال عدلهما تابعة لاحسن مقدماتها هذا ولما اتفق انا

نجدته وانتهيت الى شريف حضرته احلني من انعامه محلا الهى النفس عن اشهى مآربها وامطرني من سحائب جوده نعما الصور الغليظة من واجبها فاجرى في بعض محاوراته الكريمة من مدح هذا الكتاب وتعظيمه وتفضيله وتمييزه بما علمت معه انه اهله الذي كنت اطلب والعالم بقدره ومحله من بين الكتب ووجدت في تضاعيف ذلك تشوق خاطره المحروس الى كشف حقائقه والوقوف على اسراره ودقائقه فاحببت ان اجعل شكري لبعض نعمه السابغة ومننه المتوالية المتلاحقة ان اخدم سامي مجلسه بتهذيب شرح مرتب على القواعد الحقيقية مشحون بالمباحث اليقينية انبه فيه على ما لاح لي من رموزه واكشف ما ظهر لي من دفائنه وكنوزه وقد سبق الى شرح هذا الكتاب جماعة من اولي الالباب والناقد المسدد للصواب يميز القشر من اللباب والشراب من السراب وشرعت في ذلك بعد ان عاهدت الله سبحانه اني لا انصرف فيه عن مذاهب الحق ولا ارتكب هوى مراعاة احد من الخلق فان وافق الرأي العالي فذلك هو المقصد الاقصى والا فالعذر ملتمس مسؤول والعفو مرجو مأمول والرغبة الى اهل الفضل في سد ما يجدونه من خلل وستر ما يقفون عليه من زلل فاني مع ضعف جناحي عن سلوك هذا المطار الذي هو مسرح نفوس الاولياء الابرار ومجال انظار الحكماء الكبار ومقتحم الافكار راكب لمطايا الاسفار وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل وقبل الخوض في المطلوب لا بد من تقديم مقدمة يستعان بها على ما عساه يرد من المباحث في هذا الشرح ان شاء الله تعالى اما المقدمة فاعلم ان كلامه عليه السلام يشتمل على مباحث عظيمة يتشعب عن علوم جليلة يحتاج المتشوق للخوض فيه وفهم ما يخرج منه بعد جودة ذهنه وصفائه الى تقديم اعانات تنبهه على الوصول الى تلك المقاصد ولما ابرز عليه السلام مقاصده في الفاظ خطابية اما منطوق بها او مكتوبة تعين ان اذكر من مباحث الالفاظ قدر ما تمس الحاجة اليه ثم اشير الى بيان معنى الخطابة ثم وما يتعلق بها ليكون ذلك معينا للناظر في كلامه على الاحاطة بدقائقه ومطالعة اسراره وحقائقه ثم الحق ذلك بالاشارة الى ما يتعلق به عليه السلام من الفضائل فلا جرم رتبت هذه المقدمة على ثلث قواعد القاعدة الاولى في مباحث الالفاظ وهي مرتبة على قسمين القسم الاول في دلالة الالفاظ واقسامها واحكامها وفيه فصول الفصل الاول في دلالة اللفظ على المعنى وفيه ابحاث البحث الاول دلالة اللفظ الموضوع اما على تمام مسماه او على جزء مسماه من حيث هو جزؤه او على الامر الخارج عن مسماه اللازم له في الذهن من حيث هو لازم له والدلالة الاولى هي دلالة المطابقة كدلالة لفظ الانسان على الحيوان الناطق والثانية دلالة التضمن كدلالته على الحيوان وحده او على الناطق وحده والثالثة دلالة الالتزام كدلالته على الضاحك واحترزنا في الدلالتين الاخيرتين بقولنا من حيث هو جزؤه ومن حيث هو لازمه عن دلالة اللفظ بالمطابقة على جزء المسمى وعلى لازمه بسبب الاشتراك اللفظي بيانه انه اذا جاز ان يوضع اللفظ الواحد للمعنى ولجزئه كلفظ الممكن مثلا للممكن الخاص والعام وللمعنى ولازمه كلفظ الشمس على جرم الشمس والنور اللازم عنه فلو اقتصرنا في تعريف دلالتي التضمن والالتزام على التعريفين المذكورين دون هذين القيدين لشمل ذلك دلالة المطابقة على تقدير وضع اللفظ لجزء المعنى ولازمه كما هو موضوع له

لكان

اذ كانت ايضا دلالة اللفظ على جزء مسماه وعلى لازم مسماه البحث الثاني الدلالة الاولى هي التي بحسب الوضع الصرف واما الباقيتان فقد زعم الامام فخر الدين وجماعة من الفضلاء انهما عقليتان وفيه نظر لانهم ان ارادوا انهما حاصلتان من صرف العقل من دون مشاركة الوضع فهو باطل لانه لولا ارتسام المعنى في الذهن عن اللفظ لما حصلت هاتان الدلالتان وايضا فانهم صرحوا بانهما من دلالات الالفاظ فلا يمكن مع ذلك دعوى حصولهما عن مجرد العقل وان ارادوا بذلك ان الذهن عند تصور المعنى من لفظه ينتقل منه الى الجزء او الى اللازم فهو حق فتكون هاتان الدلالتان مركبة من الوضع والعقل ثم انهما مستلزمتان للدلالة الوضعية من غير عكس لجواز خلو الماهية عن التركيب وعن اللازم البين ولا يجب ايضا ان تلزم احديهما الاخرى وهو ظاهر ثم البحث الثالث ظهر مما ذكرنا انه يعتبر في الدلالة التضمنية كون المعنى المدلول عليه بالمطابقة مركبا واما في الالتزامية فالمعتبر فيه كونه ملزوما في الذهن لامر بين الثبوت له اذ لولا اللزوم الذهني لم يفد اطلاق اللفظ فهم الخارج عن الماهية لعدم الوضع بازائه وعدم انتقال الذهن من موضوعه اليه فلم يكن دالا عليه ولا بد لدلالة اللفظ على المعنى فهمه عند اطلاقه بالنسبة الى من يعلم الوضع ولا يعتبر اللزوم الخارجي لجواز دلالة اللفظ على ما لا يلزم مسماه في الخارج اذا لزم من تصوره تصور مسماه كدلالة لفظ عدم الملكة عليها كلفظ العمى على البصر ثم اللزوم الذهني ليس موجبا لانتقال الذهن من الملزوم الى اللازم اذ ليس هو تمام ما يتوقف عليه الدلالة الالتزامية بل لا بد من تصور الملزوم اولا وذلك متوقف على وضع اللفظ بازائه والعلم بالوضع وسماع اللفظ او خطوره بالبال فهو اذن احد الشروط المعدة لتصور اللازم البحث الرابع دلالة الحقيقة هي الدلالة الوضعية الاولى واما الباقيتان فليستا حقيقيتين وهو ظاهر ولا مجازيتين ايضا لان من شرط المجاز استعمال اللفظ في غير ما وضع له استعمالا مقصودا بالذات وهاتان الدلالتان قد تحصلان من استعمال اللفظ في مسماه حصولا عرضيا لان الذهن قد ينتقل عند اطلاق اللفظ لارادة مسماه الى الجزء او الى اللازم انتقالا عرضيا وكذلك الى جزء جزئه والى لازم لازمه في مراتب كثيرة ومعلوم ان اللفظ المطلق لارادة مسماه واستعمل فيه بالذات لا بما انتقل الذهن اليه من الاجزاء واللوازم وان كانت له سببية في ذلك الانتقال فلم تكن الدلالة بواسطة اللفظ محصورة في الحقيقية والمجازية ثم استعمال اللفظ الموضوع واطلاقه بالذات لارادة المعنى لا يخلو من ان يكون حقيقيا او مجازيا الفصل الثاني في تقسيم الالفاظ وفيه ابحاث البحث الاول اللفظ اما ان لا يراد بالجزء منه دلالة اصلا على شيء وهو المفرد او يراد بالجزء منه دلالة على شيء وهو المركب لا يقال هذا منقوض بعبد الله وما يجري مجراه فانه مفرد مع ان كل واحد من جزأيه دال لانا نقول قد يراد بالجزء من عبد الله وامثاله دلالة ولا يتم اذن لذلك الاعتبار يكون مفردا بل مركب وقد لا يراد به الدلالة فيكون مفردا فاذا قلنا في رسم المفرد الذي لا يراد بالجزء منه دلالة اصلا كان ذلك معيارا لكل لفظ بالنسبة الى مراد اللافظ به فكل لفظ لا يقصد بجزئه دلالة كان مفردا وهذا هو الرسم القديم للمفرد والمركب وقد بين انه لا حاجة فيه الى القيد

الذی زاده المتاخرون وهو قولهم من حیث هو جزؤه فان الرسمین متساویان البحث الثانی اللفظ المفرد اما ان
یکون نفس تصوره معناه مانعا من وقوع الشرکة فیه وهو الجزئی او غیر مانع وهو الکلی اما الجزئی فیقال بمعنیین
احدهما ما ذکرناه ویخص باسم الجزئی الحقیقی والثانی انه کل اخص تحت اعم والفرق بینهما ان الاول غیر مضاف ولا
کلی والثانی مضاف الی ما فوقه وقد یکون کلیا فاما الکلی فاما ان یعنی به نفس الحقیقة التی لا تمنع تصورها
وقوع الشرکة فیها ویسمی کلیا طبیعیا او النسبة التی یعقل لها بالقیاس الی جزئیاتها المعقولة ویسمی تلک النسبة
کلیا منطقیا او المجموع المعقول من الحقیقة والنسبة العارضة لها ویسمی کلیا عقلیا ثم للکلی اعتبارات
ستة وذلک لانه اما ان یکون ممتنع الوجود او ممکنه والاول کشریک الاله والثانی اما ان لا یعرف وجوده
او یعرف والاول کجبل من یاقوت وبحر من زیبق والثانی اما ان یمتنع ان یکون فی الوجود منه اکثر من واحد
او یمکن والاول کالاله تعالی والثانی اما ان یکون فی الوجود منه واحد فقط وان جاز وجود مثله او اکثر من واحد
والاول کالشمس عند من یجوز وجود مثلها والثانی اما ان یکون الموجود منه اشخاصا کثیرة متناهیة او غیر
متناهیة والاول کالکواکب والثانی کاشخاص الانسان البحث الثالث الکلی اما ان یدل علی ماهیة
شیء او علی ما یکون داخلا فیها او علی ما یکون خارجا عنها اما الدال علی الماهیة فاما علی ماهیة شیء واحد او علی ماهیة اشیاء
کثیرة والاول اما ان یکون کلیا او جزئیا والثانی اما ان یکون تلک الاشیاء مختلفة الحقائق او متفقة الحقائق
فهذه اقسام اربعة والاول هو المقول فی جواب ما هو بحسب الخصوصیة المطلقة کالجواب بالحد والثالث
هو المقول فی جواب ما هو بحسب الشرکة المطلقة والثانی والرابع هو المقول فی جواب ما هو بحسب الشرکة
والخصوصیة معا مثال الاول قولنا فی جواب من یسال فیقول ما الانسان انه حیوان ناطق خصوصیة هذا
الجواب لیست لغیر الانسان اذ لا یشارکه فی حده غیره والثالث کقولنا فی جواب من یسال عن جماعة هم انسان
وفرس وثور ما هم انها حیوانات اذ کان هذا الجواب هو کمال الجزء المشترک بینها فهو اذا مقول بالشرکة
المطلقة والثانی والرابع کقولنا فی جواب من یسال عن زید وحده ما هو انه انسان او عن جماعة هم زید وعمرو
وخالد ما هم انهم اناس فیکون الجواب فی الموضعین واحدا وهو بحسب الخصوصیة والشرکة معا اذ کل ما لکل
منها من الاجزاء حاصل للاخر ولان خصوصیة هذا الجواب لیست لغیر المسئول عنه واما الدال علی جزء الماهیة
فاما ان یدل علی کمال الجزء المشترک بینها وبین غیرها وهو الجنس القریب او علی کمال الجزء الممیز لها وهو الفصل
القریب او علی ما یترکب منهما وهو النوع او لا علی واحد من هذه فیکون ذلک جزء الجزء وهو اما جنس الجنس او
جنس الفصل او فصل الجنس وفصل الفصل کما هو مذکور فی مظانه واما الدال علی الخارج عن الماهیة فیخص
باسم العرضی واعتباره من وجهین احدهما انه اما ان یکون لازما او لا یکون والثانی هو العارض والاول اما
ان یکون لازما للماهیة او للوجود والاول اما ان یکون بینا للماهیة کالفردیة للثلثة او غیر بین کالتناهی
للجسم والثانی کالسواد للغراب واما العارض فاما سریع الزوال کالقیام والقعود او بطیئه کالشباب

الثانی العرضی اما ان یختص بنوع واحد لا یوجد لغیره سواء عم افراده او لم یعم ویسمی خاصة کالضاحک للانسان
بالقوة والفعل ولا یختص به بل یعمه وغیره فیسمی عرضا عاما کالماشی للانسان البحث الرابع اللفظ والمعنی
اما ان یتحدا او یتکثرا او یتکثر اللفظ ویتحد المعنی وبالعکس اما الاول فمعناه اما ان یکون کلیا او جزئیا
فان کان الاول فاما ان یکون نسبته الی افراده المعقولة بالسویة وهو المتواطی کالانسان بالنسبة الی
اشخاصه او لا بالسویة بل یکون بعضها اول واولی واشد واضعف وهو المشکک کلفظ الوجود والثانی هو العلم
کزید والثانی الاسماء المتباینة سواء تفاصلت مفهوماتها کالانسان والفرس او تواصلت علی ان بعضها
اسم للذات والاخر اسم للصفة کالسیف والصارم او علی ان بعضها اسم للصفة والاخر اسم لصفة الصفة
کالناطق والفصیح والثالث الاسماء المترادفة سواء کانت من لغة واحدة کاللیث والاسد او من لغتین کالماء
وآب واما الرابع فاما ان یکون قد وضع اللفظ اولا لاحد المعنیین ثم نقل منه الی الاخر او وضع لهما معا اما
الاول فذلک النقل ان کان لا لمناسبة بین المعنیین فهو مرتجل وان کان لمناسبة فاما ان یکون دلالة
اللفظ علی المنقول الیه بعد النقل اقوی من دلالته علی المنقول عنه او لا یکون فان کان الاول سمی
اللفظ بالنسبة الی المنقول الیه منقولا فان کان الناقل هو الشارع سمی لفظا شرعیا کالصلوة والزکوة
او اهل العرف ویسمی عرفیا سواء کان العرف العام کالدابة للفرس بعد وضعها لکل ما یدب وکالغائط
للفضلة الخارجة من الانسان بعد وضعها للمکان المطمئن او الخاص کالاصطلاحات الخاصة بطائفة
طائفة من اهل العلم مثلا کالرفع والنصب والجر عند النحاة وکالجمع والقلب والفرق عند الفقهاء وکالموضوع
والمحمول والجنس والفصل عند المنطقیین وامثاله واما ان لم یکن دلالته علی الثانی اقوی فاما ان یتساوی
بالنسبة الیهما عند الفهم او یکون فی الاول اقوی فان کان الاول کان ذلک لفظا مشترکا وان کان الثانی
کان اللفظ بالنسبة الی الاول حقیقة والی الثانی مجازا اما اذا کان اللفظ موضوعا لهما معا فاما ان یتساوی
دلالته علیهما عند الفهم او یترجح فی احدهما فان کان الاول سمی اللفظ بالنسبة الیهما معا مشترکا وبالنسبة
الی کل واحد منهما مجملا لان کون اللفظ موضوعا لکل واحد منهما هو الاشتراک وکونهما بحیث لا یدری عین المراد
منهما هو الاجمال تذنیب ظهر من هذا التقسیم ان الاقسام الثلثة الاولی مشترکة فی انها لیست بمشترکة فکانت
نصوصا واما الرابع فله اعتبارات ثلثة احدها اعتبار کونه فاد راجح فی بعض مفهوماته وبذلک یسمی
ظاهرا والثانی اعتبار کونه مرجوحا فی المفهوم المقابل للراجح وبذلک یسمی ماولا والثالث کونه متساویا
بالنسبة الی المفهومین بحیث لا یدری المراد منهما وبذلک یسمی مجملا فالرجحان اذن قدر مشترک بین الظاهر
والنص وعدم الرجحان قدر مشترک بین المجمل والماول فیسمی المشترک الاول محکما والثانی متشابها البحث الخامس
اللفظ المفرد اما ان لا یستقل بمعناه بالمفهومیة او یستقل والاول هو الحرف والثانی فاما ان یدل بهیئته علی
الوقوع فی احد الازمنة الثلثة المعینة وهو الفعل او لا یدل وهو الاسم وهو اما ان یدل علی معنی هو نفس

الزمان کالزمان او علی جزء الزمان کالیوم والغد او علی معنی جزؤه الزمان کالصبوح والغبوق او لا علی واحد منها
وهو اما ان یکون اسما لجزئی مشخص فان کان مضمرا فهو المضمرات او مظهرا فهو العلم کعمرو وان کان اسما لکلی فاما
ان یکون اسما لنفس الماهیة کلفظ السواد وهو المسمی باسم الجنس فی اصطلاح النحاة او لامر ما له صفة کذا وهو
الاسم المشتق کلفظ الضارب فان مفهومه انه امر ما له صفة الضرب البحث السادس اللفظ المرکب اما ان
یکون قابلا للتصدیق والتکذیب لذاته وهو الخبر او لا لذاته وهو اما ان یکون مفیدا لطلب شیء فاما لذاته
او لیس والاول ان کان علی طریقة الاستعلاء فهو الامر وان کان علی طریق التساوی فهو الالتماس وان کان
علی طریق الخشوع والتضرع فهو السؤال والثانی هو التنبیه ویدخل فیه التمنی والترجی والقسم والنداء البحث
السابع اللفظ قد یکون مدلوله لفظا فاما لفظا مفردا او مرکبا وعلی التقدیرین فاما ان یدل علی معنی
او لا یدل فهذه اقسام اربعة الاول لفظ مفرد دال علی لفظ مفرد دال علی معنی مفرد کلفظ الکلمة والاسم
والفعل والحرف الثانی لفظ مفرد دال علی لفظ مرکب دال علی معنی مرکب کلفظ الخبر والکلام والقول الدال
علی قولنا زید کاتب الدال علی معانیه الثالث لفظ مفرد دال علی لفظ مفرد غیر دال علی معنی کقولنا ابت وسایر
حروف المعجم الرابع لفظ مفرد دال علی لفظ مرکب غیر دال کلفظ الهذیان والهذر البحث الثامن اللفظ
اذا دل بالالتزام علی معنی فذلک المعنی اما ان یکون شرطا للمدلول علیه بالمطابقة او تابعا له والاول یسمی
دلالة الاقتضاء وذلک الشرط اما عقلی کشرطیة نصب السلم لصعود السطح عند الامر به او شرعی کشرطیة
الوضوء للصلوة عند الامر بها واما التابع فکتعلیق الحکم المذکور لشیء حال تخصیصه بذکره عن غیره عند من یقول
به فان معنی التخصیص مستلزم للنفی المذکور وکذلک اللفظ المرکب اذا استلزم ترکیبه معنی فاما ان یکون من
متممات المعانی المذکورة بالمطابقة او من توابعها والاول کدلالة تحریم التأفیف علی تحریم الضرب ومثال
الثانی فکاستلزام قوله تعالی فالان باشروهن الی قوله حتی یتبین لکم الخیط الابیض من الخیط الاسود لصحة
صوم من اصبح جنبا والا لحرم الوطی فی الجزء من اللیل المتسع للغسل وبالله التوفیق الفصل الثالث فی الاشتقاق
وفیه ابحاث البحث الاول فی حقیقة الاشتقاق الاشتقاق اخذ احد اللفظین من الاخر لمشارکة بینهما فی
الاشتمال علی المعنی والحروف الاصلیة وارکان الاشتقاق اربعة الاول اسم موضوع لمعنی الثانی مسمی
له نسبة الی ذلک المعنی الثالث مشارکة بین الاسمین فی الحروف الاصلیة الرابع تغییر یلحق الاسم الثانی
اما فی حرف فقط او فی حرکة فقط او فیهما معا وکل واحد من هذه الاقسام فاما بالزیادة وحدها او بالنقصان
وحده او بهما وظن الامام ان الحاصل من هذه القسمة تسعة اقسام فقط وهو سهو یتحققه عند الاعتبار بل
الحاصل منها خمسة عشر قسما ا زیادة الحرف ب زیادة الحرکة ج زیادتهما معا د نقصان الحرف ه نقصان الحرکة
و نقصانهما معا ز زیادة الحرف مع نقصانه ح زیادة الحرف مع نقصان الحرکة ط زیادة الحرف مع نقصانهما
ی زیادة الحرکة مع نقصانها یا زیادة الحرکة مع نقصان الحرف یب زیادة الحرکة مع نقصانهما معا یج زیادتهما

معا مع نقصان الحرف ید زیادتهما معا مع نقصان الحرکة یه زیادتهما معا مع نقصانهما معا فهذه هی الاقسام
الممکنة وعلی اللغوی طلب الامثلة البحث الثانی اختلف الناس فی انه هل یجوز صدق المشتق منفکا عن
صدق المشتق منه ام لا والحق انه یجوز لنا ان الاشتقاق یکفی فیه ادنی ملابسة بین المشتق والمشتق منه
ولا یشترط صدقه علی ما یصدق علیه المشتق فان المهلک والممیت والضار والمذل مما یصدق علی ذات الله تعالی
مع ان الامور المشتق منها وهی الهلاک والموت والضر والذل غیر صادقة والحجة علیه لا یقال المشتق مرکب
من المشتق منه ومن شیء اخر ومتی صدق المرکب صدق کل واحد من اجزائه لانا نقول لا نم ان المشتق منه من حیث
هو مشتق منه جزء من المشتق وحاصل فیه بل الحاصل فیه شیء من اجزائه وهی الحروف الاصلیة وبعض الحرکات
فانا بینا ان المشتق لا بد وان یلحقه تغییر باحد الوجوه المذکورة والقدر المتغیر منه لا شک انه کان معتبرا
فی حقیقة المشتق منه فبعد التغییر لم یبق تلک الحقیقة فلم یلزم صدقها حال صدق المشتق البحث الثالث
اختلفوا ایضا فی انه هل یشترط فی صدق المشتق بقاء صدق المعنی المشتق منه ام لا والحق انه لا یشترط لوجهین
احدهما انا نعلم بالضرورة اطلاق اهل اللغة لفظ المشتق علی الشیء حال ما لا یکون وجه الاشتقاق کاطلاق
لفظ القاتل فی الحال علی من فعل القتل فیما قبل الثانی ان الضارب مثلا هو من حصل منه الضرب لانه
ملابسة فعلیة وهو اعم من حصوله له فی الحال او فی الماضی لامکان تقسیمه الیهما ولا یلزم من نفی الخاص نفی
العام فلا یلزم من نفی الضرب فی الحال نفی مطلق الضرب فلا یلزم من صدق المشتق بقاء وجه الاشتقاق لنا
ان المشتقات من المصادر السیالة کالمتکلم والمخبر لا یمکن بقاء وجه الاشتقاق فیها فان الانسان حال ما یتکلم
بالحرف الثانی فاته الحرف الاول فلا یمکن تحقق ماهیة الکلمة فی الخارج فضلا ان یقال انها بقی مع انها
صادقة بالاتفاق لا یقال الضارب مثلا بعد انقضاء الضرب یصدق علیه انه لیس بضارب فی الحال وقولنا
لیس بضارب جزء من قولنا لیس بضارب فی الحال ومتی صدق المرکب صدق کل واحد من اجزائه فاذن صدق علیه
انه لیس بضارب فوجب ان لا یصدق علیه انه ضارب لتناقضهما فی العرف لانا نقول ان کانت القضیتان موقتتین
منعنا التناقض فی العرف والحقیقة لان المکذب لقولنا انه لیس بضارب فی الحال قولنا انه ضارب فی الحال
ونحن ما ادعینا صدق قولنا انه ضارب فی الحال بل انه فی الحال یصدق علیه انه ضارب فلا تناقض لعدم اتحاد الوقت
وان کانتا مطلقتین فدعوی التناقض اما حقیقة وهو ظاهر الفساد لان المطلقتین لا تتناقضان او عرفا
وهو ایضا ممنوع وبتقدیر تسلیمه نمنع صدق قولنا بعد انقضاء الضرب انه لیس بضارب لصدق قولنا فی تلک الحال
انه ضارب وتناقضهما عرفا وبالله التوفیق البحث الرابع اختلفوا ایضا فی ان المعنی القائم بالمحل هل یجب ان یشتق
له منه اسم ام لا والحق انه یقال المعانی ان لم یکن لها اسماء کانواع الروایح لم یجب ذلک فیها وان کان لها اسماء
لم یجب ایضا ان یشتق لمحالها منها اسماء وهل یجوز ان یشتق لغیر محالها منها اسماء ام لا والحق جوازه فی الموضعین
خلافا للقوم من الاشعریة فانهم قالوا یجب الاشتقاق منها لمحالها ولا یجوز لغیرها لنا ان الجواز متفق علیه

واما الوجوب وتخصيصه بالمحل فلم يذكر الخصم فيه دليلا واما جواز الثاني فلان الاشتقاق يكفي فيه اد في
فان المشتق هو شئ ماله المشتق منه ولفظة ذو لا تقتضي الحلول ومن الامثلة المشهورة اللابن والتامر فانهما
مشتقان من اللبن والتمر وهما غير قائمين بالذات المشتق له البحث الخامس مفهوم المشتق كالماشي مثلا انه شئ
ماله مشي فاما ذلك الشئ فغير داخل في مفهومه وان علم فانما يعلم بطريق الالتزام برهانه انك تقول الماشي
حيوان فلو كان مفهوم الماشي انه حيوان ذو مشي لكان ذلك بمنزلة قولك الحيوان ذو المشي حيوان وهو هذر
بل انما يعلم كونه حيوانا بدليل من خارج وبالله التوفيق الفصل الرابع في الترادف والتوكيد وفيه ابحاث
البحث الاول في ماهيتهما اما الترادف فهو كون لفظين مفردين فصاعدا دالين بالوضع على معنى واحد
باعتبار واحد وبالافراد احترزنا عن الاسم والحد وباعتبار واحد عن اللفظين اذا دلا على شئ واحد باعتبار
كالصارم والسيف او باعتبار الصفة وصفة الصفة كالناطق والفصيح فان ذلك متباينة واما التاكيد
فهو تقوية ما يفهم من اللفظ بلفظ آخر والامام فخر الدين تساهل في هذا المقام اذ جعل التوكيد بان اللفظ
الموضوع لتقوية ما يفهم من لفظ آخر ولم يفرق بين التوكيد وبين نفس المؤكد وهو ظاهر البحث الثاني
في اسباب الترادف انه يجوز وقوع الالفاظ المترادفة من واضع واحد ويجوز وقوعها من واضعين وينبغي
ان يكون الاول اقل وجودا وله سببان الاول التسهيل والاقتدار على الفصاحة لانه ربما يمتنع وزن البيت
وقافيته مع بعض اسماء الشئ دون اسمه الآخر وربما حصلت رعاية السجع والمقلوب والجناس وساير اصناف
البديع مع بعض اسماء الشئ ولا يحصل مع الآخر الثاني التمكن من تادية المقصود باحدى العبارتين عند الغفلة
عن الاخرى واما الثاني وهو السبب الاكثرى فيجوز ان يصطلح احدى قبيلتين على اسم للشئ غير الاسم
الذي اصطلحت عليه القبيلة الاخرى ثم تشتهر الوضعان بعد ذلك البحث الثالث انه هل يصح اقامة
كل واحد من المترادفين مقام الآخر ام لا الظاهر في بادى الراى ذلك لان المترادفين هما اللذان يفيد
كل واحد منهما عين فائدة الآخر فلما صح ان يضم المعنى المدلول عليه باحد اللفظين الى معنى الآخر ولا بد
وان يبقى الصحة حال ما يدل عليه باللفظ الثاني لان صحة الاقتران من عوارض المعاني وفيه نظر لان صحة
الاقتران كما يكون من عوارض المعاني كذلك يكون من عوارض الالفاظ فانك لو ابدلت لفظة من مرادفه
من الفارسية لم يصح فكان هذا الامتناع من قبل الالفاظ ايضا قال الامام فخر الدين واذا عقل ذلك في
لغتين فلم لا يجوز مثله في لغة واحدة والحق انه يصح اقامة احد المترادفين مقام الآخر بشرطين احدهما ان يكونا
من لغة واحدة والثاني ان يتساويا في فهم المعنى منهما حال التخاطب بهما او يقربا من التساوي تذنيب
اذا كان احد المترادفين اظهر في الاستعمال عند قوم كان الجلي بالنسبة الى الخفي شرحا له وربما انعكس الامر
في النسبة الى قوم آخرين البحث الرابع في اقسام التوكيد ضر المؤكد اما ان يكون متقدما على المؤكد او
مؤخرا عنه والاول كصيغة ان وما في حكمها مما يدخل على الجمل واما الثاني فاما ان يؤكد الشئ بنفسه او بغيره

والاول

والاول كقوله عليه السلام والله لاغزون قريشا ثلثا والثاني اما ان يختص بالمفرد كلفظ النفس والعين او
المثنى ككلا وكلتا او الجمع كاجمعون واكتعون ابتعون ابصعون وكل من هذا الباب البحث الخامس في حسن استعمال
والخلاف فيه مع الملحدة الطاعنين في الوحي والنزاع اما في الجواز وهو معلوم بالضرورة لان شدة اهتمام
القائل بالكلام يدعو الى تاكيده واما في الوقوع وهو ايضا معلوم من اللغات بعد تصفحها وهو وان كان
حسنا الا انه اذا تعارض حمل الكلام على التاكيد وعلى فائدة زائدة وجب صرفه الى الفائدة الزائدة الفصل
في المشترك وفيه ابحاث البحث الاول في حقيقته وامكانه ووجوده اما حقيقته فهو اللفظ الواحد الموضوع
لحقيقتين مختلفتين او اكثر وضعا اولا من حيث هو كذلك وقولنا موضوع لحقيقتين مختلفتين احتراز عن
الاسماء المفردة وقولنا وضعا اولا احتراز عما يدل على الشئ بالحقيقة وعلى غيره بالمجاز وقولنا من حيث هما
كذلك احتراز عن اللفظ المتواطي فانه يتناول الماهيات المختلفة لكن لا من حيث هي مختلفة بل من حيث انها
مشتركة في معنى واحد واما امكانه فمن وجوه احدها ان الوضع تابع لغرض المتكلم وقد يكون للانسان غرض
في تعريف غيره شيا على التفصيل وقد يكون غرضه تعريفه على سبيل الاجمال بحيث يكون ذكره بالتفصيل سببا للمفسدة
الثاني انه ربما لا يكون المتكلم واثقا بصحة الشئ على التعيين الا انه يكون واثقا بصحة احد المعنيين لا محالة
فيطلق اللفظ المشترك كيلا يعد بتصريحه باحد المعنيين كاذبا ويكون شارحا له الثالث انه يجوز ان يضع احد
قبيلتين ذلك اللفظ لمعنى ثم تضعه قبيلة اخرى لمعنى آخر ثم يشيع الوضعان ويخفى كونه موضوعا منهما واما
وجوده فهو معلوم بالضرورة اذ من خواص اللفظ المشترك انه اذا اطلق لم يتبادر الذهن الى احد مفهوميه دون
الآخر بل يبقى الذهن عند سماعه مترددا في تعيين المراد منه الى ظهور القرينة المعينة له وذلك ظاهر الوجود
كلفظ القرء للحيض والطهر وان كان ذلك ايضا قد يختلف بحسب كثرة الاستعمال في احد المعنيين وقلته لا
انه يكفينا في ذلك تردد بعض الاذهان فيه البحث الثاني في اقسامه مفهوما اللفظ المشترك اما ان يكونا
متباينين او متواصلين والاول كالطهر والحيض والثاني اما ان يكون احدهما جزءا من الآخر او لا يكون
والاول كالممكن للعام الممتنع وللعام الضروري والثاني اما ان يكون احدهما علة للآخر وصفة له والاول
كلفظ الواجب للواجب بالذات والواجب بالغير والثاني كلفظ الاسود لذي السواد المسمى اسود
تنبيهان احدهما اذا انتسب ذا السواد المسمى اسود الى ما يشاركه في لونه كان اطلاق لفظ الاسود
عليهما من تلك الجهة بالتشكيك وان اعتبر من جهة اسمه كان مقولا عليهما بالاشتراك الثاني قال
فخر الدين النقيضان لا يجوز ان يوضع لهما لفظ واحد لان المشترك لا يفيد الا الترديد وهو بين النفي و
الاثبات امر حاصل معلوم لكل احد وفيه نظر لان الاسباب التي ذكرنا انه يجوز ان يكون اسبابا لوضع اللفظ
المشترك عامة لا يختص ببعض المعاني دون البعض ولانه اذا جاز وضع اللفظ الواحد للمعنى وضده الذي
هو في قوة نقيضه كالقرء للحيض والطهر اذ كان المحل لا يخلو عن احدهما والترديد بينهما معلوم لكل احد فلم

لا يجوز مثله في النقيضين والله اعلم البحث الثالث في اسبابه اما اسباب وجوده فيشبه ان يكون السبب
الاكثري فيه هو ان يضعه كل واحد من قبيلتين لمعنى ثم يشيع الوضعان ولا يتميزان واما السبب الاقلي
فان يضعه واحد لمعنيين لغرض التكلم بالمجمل وقد مر ان التكلم باللفظ المجمل من مقاصد العقلاء واما السبب
الذي يعرف به وجوده فاما تصريح اهل اللغة بذلك او تساوي المفهومين بالنسبة الى السامع عند اطلاق
اللفظ وتردد ذهنه في انهما المراد بعد العلم بالوضع لهما البحث الرابع في انه هل يجوز استعمال اللفظة
في معنيينه على الجمع ام لا جوز ذلك الشافعي وابو بكر الباقلاني وابو علي الجبائي والقاضي عبد الجبار ومنع
منه ابو هاشم وابو الحسين البصري والكرخي ثم منهم من منع منه لامر يرجع الى القصد ومنهم من منع منه لامر
يرجع الى الوضع وهو اختيار الامام فخر الدين حجة المجوزين من وجهين احدهما ان الصلوة من الله رحمة ومن
الملائكة استغفار ثم ان الله تعالى اراد بهذه اللفظة كلا معنييها في قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي
الثاني قوله تعالى ولله يسجد من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم الآية والسجود هنا مشترك
بين الخشوع لانه هو المتصور من الملائكة وبين وضع الجبهة على الارض في حق الناس وبين شهادة الحال بالحاجة
الى الصانع لانه هو المتصور من الجمادات ثم ان الله تعالى اراد بكل معانيه في هذه الآية حجة المانعين ان المجموع
غير كل واحد واحد فالواضع اذا وضع لفظا لمعنيين على الانفراد فاما ان يضعه مع ذلك لمجموعهما او لا
يضعه فان لم يضعه له كان استعماله فيه استعمالا للفظ في غير ما وضع له وانه غير جائز وان وضعه له فاذا استعمل
فيه فاما ان يستعمله فيه لافادته بانفراده فيكون ذلك استعمالا للفظ في احد مفهوماته لا في كلها وان استعمله
لافادته مع افادة الافراد فهو محال لان استعماله لافادة المجموع يستلزم عدم الاكتفاء بكل واحد منهما
والاكتفاء بكل واحد من الافراد مع عدم الاكتفاء بكل واحد منهما لا يجتمعان واقول ان محل النزاع في هذا
البحث غير ملخص فانه ان اريد انه يجوز استعماله في مدلوله على الجمع مطابقة فليس يجوز لما يلزم المستعمل له
كذلك من التناقض في القصد الى المجموع والى الافراد وان اريد انه يجوز استعماله فيهما على الجمع لافادتهما
كيف اتفق فذلك جائز اذ يصح استعماله في المجموع والى الافراد وان اريد انه مطابقة مع دلالته على الافراد
تضمنا وقول المانع انه اذا لم يكن الواضع وضع اللفظ للمجموع كما وضعه للافراد امتنع استعماله فيه ان اراد
حقيقة فهو حق وان اراد انه يمتنع استعماله فيه مجازا فهذا مما لا يقتضيه حجته واما حجج المجوزين فضعيفة
اما الاولى فلان ضمير الجمع في قوله تعالى يصلون بمنزلة الضماير المتعددة المقتضية للافعال المتعددة
التي يراد بكل واحد منها معنى غير ما يراد بالآخر والتقدير ان الله يصلي وملائكته تصلي اما الثانية
فلان العطوف المتعددة تستدعي تعدد الافعال فتقدير قوله تعالى ولله يسجد من في السموات ومن في الارض
اي ويسجد من في الارض وكذا الباقي والمراد بكل منها المعنى الذي يقتضيه القرينة ثم لو سلمنا انها
استعملت في كل مفهوماتها لكنه يكون مجازا والا لزم التناقض كما هو مذكور في حجة المانعين وبالله

التوفيق

التوفيق البحث الخامس فيما يتعين به مراد اللافظ باللفظ المشترك اللفظ المشترك ان لم يقترن به قرينة
تخصص احد معنييه بالمراد به بقي مجملا وان وجدت قرينة كذلك فاما ان يقتضي الاعتبار او الالغاء وعلى
التقديرين فاما لكل المسميات او لبعضها فهذه اقسام اربعة فالاول ان يفيد اعتبار كل واحد فتلك
المسميات اما ان تكون متنافية بحيث لا يمكن الجمع بينها فيبقى اللفظ مجملا الى ظهور المرجح وان لم تكن
متنافية حمل اللفظ على مجموعها مجازا الثاني ان يفيد الغاء كل واحد فيجب حمل اللفظ على مجازات تلك الحقايق
الملغاة ثم اما ان يكون بعض تلك الحقايق ارجح من بعض لو لم يقم الدليل على عدم ارادتها او لا يكون فان
كان الاول فمجازاتها اما ان يتساوى في القرب من الحقايق فيتعين حمل اللفظ على مجاز الحقيقة الراجحة
او يتفاوت المجازات فان كان الراجح منها هو مجاز الحقيقة الراجحة تعين الحمل عليه وان كان مجاز الحقيقة المرجوحة
فيقع التعارض بينه وبين مجاز الحقيقة الراجحة لاختصاص كل منهما بنوع ترجيح الى ان يظهر مرجح آخر واما
ان تساوى الحقايق فان اختلف مجازاتها بالقرب والبعد منها حمل اللفظ على المجاز الاقرب وان لم يختلف
بقي التعارض بين مجازات تلك الحقايق لتساويها وتساوي حقايقها الى ان يظهر الترجيح الثالث ان يفيد
الغاء البعض فان كانت اللفظة مشتركة بين معنيين فقط تعين الحمل على الثاني وان كانت لاكثر من
معنيين فبعد الغاء بعضها ان كان الباقي واحدا تعين الحمل عليه او اكثر من واحد فيبقى اللفظ مجملا فيها
الرابع ان يفيد اعتبار البعض فيتعين الحمل عليه سواء كانت اللفظة لمعنيين ام لا اعداد لاداء المعاني وتهيئة
الذهن للقبول وهو مرتب على مقدمة وجملتين اما المقدمة ففيها بحثان البحث الاول في حد البلاغة
والفصاحة اما البلاغة فهي مصدر قولك بلغ الرجل بالضم اذا صار بليغا وهو ان يبلغ بعبارته اقصى مراده
باللفظ من غير ايجاز مخل ولا تطويل ممل واما الفصاحة فهي خلوص الكلام من التعقيد واصله من الفصيح
وهو اللبن اذا اخذت رغوته وذهب لباؤه وقد فصح وافصح اذا صار كذلك وافصحت الشاة فصح لبنها
ثم قالوا افصح العجمي فصاحة فهو فصيح اذا خلصت لغته عن اللكنة واللحن ثم ان الفصاحة عند ادبائها
ليست باستعمال الشوارد التي لا تفهم وانما هي باستعمال ما يقرب فهمه ويعذب سماعه ويعجب ابتداؤه ويدل
مطالعه على مقاطعه ويتم مباديه على تواليه واكثر البلغاء لا يكادون يميزون بين البلاغة والفصاحة
بل يستعملونهما استعمال اللفظين المترادفين على معنى واحد ومنهم من يجعل البلاغة في المعاني والفصاحة
في الالفاظ والاقرب ان الفصاحة سبب للبلاغة والبلاغة اعم منها لغة اذ قد يبلغ غير الفصيح بعبارته
اقصى مراده ومساويتها في عرف العلماء وتلخيص مفهوميهما ان الفصاحة هي خلوص الكلام في دلالته على
معناه من التعقيد الموجب لعزب فهمه ولذاذة استماعه والبلاغة هي كون الكلام الفصيح موصلا المتكلم
الى اقصى مراده وبالله التوفيق البحث الثاني في موضوع علم الفصاحة والبلاغة لما كان المقصود من
الكلام هو افادة المعنى وكانت هذه الافادة كما علمت قد تكون وضعية صرفة وقد تكون بمشاركة

من الوضع والعقل فنقول موضوع علم الفصاحة هو الكلام الدال على معناه باحدى الدلالات الثلث من حيث هو
على حالة موجبة لقرب فهمه ولذاذة استماعه وموضوع البلاغة هو الكلام الفصيح وقال الامام ان الفصاحة
البلاغة انما يكون موضوعهما الكلام من جهة دلالته بالالتزام وذلك لان الافادة الوضعية تستحيل
تطرق الزيادة والنقصان اليها فان السامع للفظ الموضوع اذا كان عالما بكونه موضوعا لمعناه علم مفهومه تماما
وان لم يكن عالما بالوضع لم يتصور منه شيئا مثاله انك اذا اردت تشبيه زيد بالاسد في الشجاعة وقصدت
التعبير عن هذا المعنى بالدلالة الوضعية فقلت زيد يشبه الاسد في شجاعته فالزيادة والنقصان في
هذه الافادة بما يعود الى مفردات هذه الالفاظ غير متصورين ولو اقمت مقام هذه الالفاظ ما يرادفها
فالحال كذلك للدليل المذكور وتبين من هذا ان الايجاز والاختصار والحذف والاضمار يستحيل تطرقها
الى الدلالات الوضعية ولهذا كان اكثر ما يستعمل في العلوم العقلية الدلالات الوضعية لعدم
احتمالها الزيادة والنقصان الموجبين للغلط والشبهة واما الافادة الاخرى فلاجل ان حاصلها
يعود الى انتقال الذهن من مفهوم اللفظ الى ما يلازمه ثم ان اللوازم كثيرة وهي تارة تكون قريبة وتارة
تكون بعيدة فلاجرم صح تادية المعنى الواحد بطرق كثيرة وصح في تلك الطرق ان يكون بعضها اكمل في افادة
ذلك المعنى وبعضها انقص فهذا ما يتعلق بالفصاحة من جهة المفردات واقول ان التحقيق يقتضي ان الزيادة
والنقصان مما يتطرقان الى الافادة الوضعية ايضا فان الامام سلم ان بعض الحروف افصح جرسا واكثر سماعا
كالعين وبعضها اسهل على اللسان كحروف الذلاقة وبعضها اثقل ولا شك ان الكلام المركب عن اسهل
الحروف والذها سماعا افصح والذ سماعا عند النفس مما لا يكون كذلك وسلم ايضا ان الافصح ادل
على المعنى واسرع الى قبول النفس له مما لا يكون كذلك وليس سبق العلم بالوضع قادحا فيما ذكرناه لان
الانسان قد يسبق علمه بوضع اللفظ ثم يذهل عنه فعند سماعه يجد نفسه مسارعة الى قبول المعنى من لفظ
دون غيره وملتذة بسماعه بسبب فصاحته ولا معنى لزيادة الافادة ورجحانها الا ما يحصل للنفس من
اللذة بالمعنى والمسارعة الى قبوله بسماعه من اللفظ الاسهل والله اعلم واما البلاغة العائدة الى النظم
فتحقيق القول فيها ان الكلام المنظوم لا محالة مركب من المفردات والمفردات يمكن تركيبها على وجه يفيد
للتركيب المفيد مراتب كثيرة ولها طرفان ووسط فالطرف الاعلى هو ان يقع ذلك التركيب على وجه
يمتنع ان يوجد ما هو اشد تناسبا واعتدالا منه في افادة ذلك المعنى والطرف الادنى هو ان يقع على وجه
لو صار اقل تناسبا منه لخرج عن كونه مفيدا لذلك المعنى وبين هذين الطرفين مراتب واختيار احسنها
يقتضي الفصاحة في النظم وهذا معنى قول عبد القاهر الجرجاني النظم عبارة عن توخي معاني النحو فيما
بين الكلم اذا ثبت هذا فنقول اما الطرف الادنى فليس من البلاغة في شيء واما سائر المراتب فان كل
منها اذا اعتبرتها بالنسبة الى ما تحته يكون مشتملا للبلاغة والفصاحة واما الطرف الاعلى وما يليه فهو المعجز

فهنا هو التحقيق في البلاغة والفصاحة في المفردات والمركبات **الجملة الاولى** في المفردات وفيها مقدمة
وابواب **اما المقدمة** فاعلم ان للاشياء في الوجود اربع مراتب الاول وجودها وتحققها في الاعيان الثاني
وجودها في الذهن الثالث وجودها في اللفظ الدال على ما في الذهن الرابع وجودها في الكتابة الدالة على
ما في اللفظ ومزية الكلام في الحسن تارة يكون بسبب الكتابة وتارة يكون بسبب اللفظ من حيث هو لفظ
وتارة بسبب اللفظ من حيث له الدلالة الوضعية وتارة بسببه من حيث له الدلالة الالتزامية ولما كانت
المحاسن العائدة الى الكتابة لا تخلو عن تكلف ملوكان الكلام الذي نحن بصدد شرحه بريا عن التكلف خاليا
عن جهات التعسف لاجرم كان ذكرنا لها قليل الجدوى فلذلك تركناه **الباب الاول** في المحاسن العائدة
الى اللفظ من حيث هو لفظ واعلم ان المحاسن العائدة الى اللفظ اما ان تعود الى احاد الحروف والى الحال
اما الى الكلمة الواحدة او الى الكلمات الكثيرة فلاجرم اشتمل هذا الباب على فصلين **الفصل الاول** فيما يتعلق
باحاد الحروف وتركيبها وحال الكلمة وفيه ابحاث **البحث الاول** في مخارج الحروف وهي ستة عشر أ اقصى الحلق وهي
مخرج ثلثة حروف الهمزة والالف والهاء ب وسط الحلق وهو مخرج لحرفين العين والحاء ج ادناه الى الفم
وهو مخرج للغين والخاء د اللسان مما فوقه من الحنك وهو مخرج القاف ه اسفل من موضع القاف من اللسان
قليلا وما يليه من الحنك وهو مخرج الكاف و من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك وهو مخرج الجيم
والشين والياء ز اول حافة اللسان وما يليها من الاضراس وهو مخرج الضاد ح حافة اللسان من ادناها
الى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الاعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية و
الثنية وهو مخرج اللام ط من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون ى مخرج النون غير انه ادخل
في ظهر اللسان قليلا لانحرافه الى اللام وهو مخرج الراء يا فيما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الطاء
والتاء والدال يب فيما بين طرف اللسان واطراف الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد يج فيما بين طرف
اللسان والطرف الادنى من الثنايا مخرج الظاء والثاء والذال يد من باطن الشفة السفلى واطراف الثنايا
العليا مخرج الفاء يه ما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو يو من الخياشيم مخرج النون الخفيفة قال الخليل
الذلاقة في المنطق انما هي بطرف اسلة اللسان وذلق اللسان تحديد طرفه كذلق السنان قال ولا ينطق
طرف شباة اللسان الا بثلثة احرف وهي الراء واللام والنون فلذلك تسمى هذه حروف الذلاقة ويلحق
بها الحروف الشفهية وهي ثلثة الفاء والباء والميم قال ولما ذلقت هذه الحروف وسهلت على اللسان
في المنطق كثرت في ابنية الكلام فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى عنها فان وردت عليك كلمة خماسية
او رباعية معراة عن حروف الذلاقة وعن الحروف الشفهية فاعلم ان تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من
كلام العرب وقال ايضا العين والقاف لا يدخلان في بناء الا حسناه لانهما اطلق الحروف اما العين
فافصح الحروف جرسا والذها سماعا واما القاف فامتن الحروف واصحها جرسا فاذا كانتا او احدهما

في بناء حسن البناء وكذلك السين والدال في البناء اذا كان اسما لان الدال لانت عن صلابة الطاء
وكزازتها وارتفعت عن خفوت التاء فصارت حال السين بين مخرج الصاد والزاي كذلك قال والهاء
تحتمل في البناء للينها وهشاشتها ولا بد من رعاية هذه الاعتبارات ليكون الكلام سلسا على اللسان وهي
كالشروط للفصاحة والبلاغة **البحث الثاني** في المحاسن بسبب احاد الحروف وشروط تركيبها اما الاول فمنها
الحذف وهو ان يحترز عن حرف وحرفين في الكلام اظهارا للطاقة في تلك اللغة كان واصل الشعر وكلامه
حيث يحترز عن الراء فحرى في انه كيف يعبر عن معنى قولنا اركب فرسك واطرح رمحك فقال في الحال الق قناتك واعل
جوادك والحريري بلغ الغاية حيث ذكر اشعارا حذف عنها الحروف المنقوطة واشعارا حذف عنها غير المنقوطة
ومنها الاعنات وهو التزام حرف قبل حرف الروي او الردف من غير ان يجب ذلك في السجع كقوله فاما
اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر وقول علي عليه السلام في مدح النبي صلى الله عليه واله بلغ عن ربه مفتدا
ونصح لامته منذرا واما الثاني فالشرط ان يكون التركيب معتدلا فان من التركيب ما يكون متنافرا
كقوله وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر وان يكون خفيفا فان منها ما يكون ثقيلا وان كان
دون الاول كقول ابي تمام كريم متى امدحه امدحه والورى جميعا ومهما لمته لمته وحدي ومنها ما يكون
فيه بعض الكلفة الا انه لا يبلغ ارتياب والسبب في هذا الثقل اما تقارب مخارج الحروف فيحتاج فيها الى
حبس الصوت في ذلك بين متلاصقين فلا يظهر الحرف الاول واما وجوب العود الى ما منه الابتداء كقولهم
الهعخع وهذه الدرجات كما ترتب في جانب الثقل فهي موجودة في جانب السلاسة حتى ان الكلمة تكون
في غاية السلاسة **البحث الثالث** فيما يتعلق بالكلمة الواحدة وهو وجهين الاول ان تكون متوسطة في
قلة الحروف وكثرتها فاما الحرف الواحد فلا يفيد واما المركب عن الحرفين فليس في الغاية بل البالغ
في ذلك الثلاثيات لاشتمالها على المبدا والوسط والنهاية وعلته ان الصوت من عكوس الحركة والحركة
لا بد لها من هذه الثلثة فمتى ظهرت هذه الثلاثة فيها كان الكلام اسهل جريانا على اللسان واما الرباعيات
والخماسيات فلا يخفى ثقلها لزيادتها على الدرجات الثلث التي يتعلق بها كمال الصوت الثاني الاعتدال
في حركات الكلمة فاذا توالت حركات كان ذلك في غاية الخروج عن الوزن ولذلك لا يحتملها الشعر
واما اربع حركات فهي في غاية الثقل ايضا بل المعتدل توالي حركتين يعقبهما سكون وان كان ولا بد فالى
ثلاث حركات **الفصل الثاني** فيما يتعلق بالكلمات المركبة وفيه نوعان **النوع الاول** ما يكون في تحققه
اعتبار حال الكلمتين وفيه اربعة ابحاث **البحث الاول** في التجنيس المتجانسان ان كانا مفردين فان تساويا
في نوع الحروف والحركات وعددها وهيآتها فهو التجنيس التام كقولهم حديث حديث وكقول الحريري
لا املاء الراحة من استوطا الراحة وان اختلفا فاما في هيئة الحركة كقولهم جبة البرد جنة البرد او في الحركة والسكون
كقولهم البدعة شرك الشرك او في التخفيف كقولهم الجاهل اما مفرط او مفرط ويسمى ذلك التجنيس الناقص

او في اعداد الحروف بان تتساوى الكلمتان في نفس الحروف وهيئتها ثم يزيد في احديهما حروف ليس في الاخرى
ويسمى المذيل فاما في اول الكلمة كقوله تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق او في
وسطها كقولهم جدي جهدي او في آخرها كقول بعضهم فلان سال من احزانه سالم من زمانه وقول ابي تمام
يمدون من ايد عواص عواصم تصول باسياف قواض قواضب واما الثاني ان يختلفا في انواع الحروف وقد
يكون بحرف واحد وقد يكون بحرفين ويسمى المضارع والمطرف ومادة الاختلاف قد يكون في اول الكلمة
كقولهم بيني وبينه ليل دامس وطريق طامس او في وسطها من حرفين متقاربين كقولهم ما خصصتني ولكن
خسستني او في آخرها كقول النبي صلى الله عليه واله الخير معقود بنواصي الخيل وقد يكون الاختلاف بحرفين
غير متقاربين وهو اما في آخر الكلمة كقوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن او في وسطها كقوله تعالى
وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد او في اولها كقول الحريري لا اعطي زمامي من يخفر ذمامي
ثم المتجانسات اما ان يكون بعضها في مقابلة البعض حال التجنيس وهو ظاهر او يضم بعضها الى بعض في اواخر
الاسجاع ويسمى مزدوجا ومكررا كقولهم النبيذ بغير النغم غم وبغير الدسم سم وكقولهم من طلب شيئا وجد وجد
ومن قرع بابا ولج ولج ومن التجنيس ما يكون بالاشارة دون التصريح كقولهم حلقت لحية موسى باسمه وبهرون
اذا ما قلبا وقد يكون التجنيس بحيث يجاذبه اصلان ويسمى المشوش كقولهم فلان مليح البلاغة كامل
البراعة فلو اعتدت عينا الكلمتين كان مصحفا ولو اتفقت لاماهما كان مضارعا واما ان كان المتجانسان
مركبين فاما ان يكونا متشابهين خطا فقط دون اللفظ ويسمى المصحف كقول علي عليه السلام قصر
ثيابك فانه ابقى واتقى وانقى وكقولهم غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك فاخش فاحش فعلك
فعلك تهدا بهذا او لفظا فقط ويسمى المفروق كقوله كلكم قد اخذ الجام ولا جام لنا ما الذي ضر
مدير الجام لو جاملنا او خطا ولفظا ويسمى المقرون كقوله اذا لم يكن ملك ذا هبة فدعه فدولته ذاهبة
البحث الثاني في الاشتقاق واما الاشتقاق فهو ان ياتي بالفاظ يجمعها اصل واحد في اللغة كقوله تعالى
فاقم وجهك للدين القيم وقول النبي عليه السلام الظلم ظلمات يوم القيمة وقول علي عليه السلام جاهل
خباط جهالات عاش ركاب عشوات واما ما يشبه المشتق كقوله تعالى وجنى الجنتين دان قال اني لعملكم
من القالين **البحث الثالث** في رد العجز على الصدر ورسمه انه كل كلام وجد في نصفه الاخير لفظ يشبه لفظا
موجودا في نصفه الاول وله عدة اقسام الاول ان يتفق لفظا الصدر والعجز صورة ومعنى ويكونا طرفين
الاول في اول الكلام والثاني في آخره كقولهم الحيلة ترك الحيلة وقولهم القتل انفى للقتل وكقوله ثلاث
سكران سكر هوى وسكر مدامة انى يفيق فتى به سكران الثاني ان يتفقا صورة لا معنى ويكونان طرفان
كقوله يسار من سجيتها المنايا ويمنى من عطيتها اليسار الثالث بالعكس ويكونان طرفين ايضا كقول
عمر بن ابي ربيعة واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد الرابع ان يلتقي لفظا الاشتقاق لا في

الصورة ومخاطرفان ايضا كقول البحتري صنايب ابدعتها في السماح فلسنا نرى لك فيها ضريبا الخامس ان يتفقا
صورة ومعنى ويكون احدهما حشوا في صدر البيت والاخر طرفا في عجزه كقول ابي تمام ولم يحفظ مضاع المجد شيء
من الاشياء كالمال المضاع السادس ان يتفقا كذلك ويتفقا صورة لا معنى كقول بعضهم لاكان انسان تيمم
صايدا صيد لها فاصطاده انسانها السابع ان يتفقا كذلك ويلتقيا معنى لا صورة كقول امرئ القيس
اذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان الثامن ان يتفقا طرفين في آخر الصدر والعجز ويتفقا
صورة ومعنى كقول ابي تمام ومن كان بالبيض الكواعب مغرما فما زلت بالبيض القواضب مغرما التاسع
ان يتفقا كذلك ويتفقا صورة لا معنى كقول الحريري فمشغوف بآيات المثاني ومفتون برنات المثالث العاشر
ان يتفقا كذلك ويتفقا في الاشتقاق ويختلفا في الصورة كقول البحتري فيفعل ان سئلت لنا مطيع وقولك
ان سألت لنا مطاع الحادي عشر ان يتفقا في شبه الاشتقاق ويختلفا صورة ومعنى كقول الحريري ومضطلع
بتلخيص المعاني ومطلع الى تخليص عان الثاني عشر ان يقع احدهما في اول العجز والثاني في آخره كقول الحماسي
وان لم يكن الا معرج ساعة قليلا فاني نافع لي قليلها الثالث عشر ان يتفقا ويلتقيا في الاشتقاق دون الصورة
كقول ابي تمام ثوى بالثرى من كان يحيي به الورى ويغمر صرف الدهر نائله الغمر ووراء هذه الاقسام اقسام اخر
لهذا النوع وفيما ذكرناه كفاية البحث الرابع في القلب وهو اما في كلمة او كلمات والاول فاما ان يتقدم
كل واحد من حروفها على ما كان متاخرا عنه ويسمى مقلوب الكل كالفتح والحتف في قوله حسامك فيه للاحباب
فتح ورمحك فيه للاعداء حتف ثم ان وقع مثلها بين الكلمتين على طرفي البيت سمي مقلوبا مجنحا كقول
هذا الشاعر الحين الى من غلبه فاس سارح القوم محبوبي فالهم علينا جيل بابي او يكون بعض حروفها
كذلك فتسمى مقلوب البعض كقوله عليه السلام اللهم استر عوراتنا وامن روعاتنا واما في الكلمات بحيث
يكون قرآتها من اولها كقرآتها من آخرها فكقول الحريري اس ارملا اذا عرا وارع اذا المرء اسا النوع الثاني
ما يحتاج الى اديه من كلمتين وفيه ابحاث البحث الاول في السجع وهو ثلثة اقسام احدها يسمى المتوازي وهو
تساوي الكلمتان في عدد الحروف ونوع الحرف الاخير كقول علي عليه السلام كثرة الوفاق نفاق وكثرة
الخلاف شقاق وكقوله عليه السلام في اهل البصرة عهدكم شقاق ودينكم نفاق وماؤكم زعاق الثاني
المطرف وهو ان يختلفا في العدد ويتفقا في الحرف الاخير كقوله عليه السلام لا تحمد صدوع انفراجها ولا تذم
جماعة بين ازواجها الثالث المتوازن وهو ان يتفقا في عدد الحروف ولا يتفقا في الحرف الاخير كقول علي عليه السلام
الحمد لله غير مفقود الانعام ولا مكافوء الافضال ويعرف المتكلف من السجع بان احدهما ان يكون الحرف
الاخير مما يحتاج اليه للتقفية لا للمعنى الثاني ان يترك معناه الاول لاجل التقفية البحث الثاني في تضمين
المزدوج وهو ان يجمع المتكلم بعد رعاية السجع في اثناء القراين بين لفظين متشابهين في الوزن والروي كقوله
تعالى وجئتك من سبا بنبا يقين وقوله صلى الله عليه وآله المؤمنون هينون لينون وكقول علي عليه السلام كثرة

الوفاق نفاق البحث الثالث في الترصيع وهو ان يتساوى اوزان الالفاظ ويتفق اعجازها كقوله تعالى ان الابرار
لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقول علي عليه السلام علا بحوله ودنا بطوله مانح كل غنيمة وفضل وكاشف كل عظيمة
واذل وقوله في صفة الدنيا اولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عقاب وقد يجيء مع التجنيس كقوله
عليه السلام في كتاب الله بيت لا تهدم اركانه وعز لا تهزم اعوانه الباب الثاني فيما يتعلق بالدلالة الوضعية
والمعنوية واعلم ان البحث عن حسن الدلالة اللفظية يرجع الى اشتراط اربعة امور الاول ان تكون الكلمة عربية
غير مولدة ولا صادرة عن خطأ العامة الثاني ان تكون اجرى على مقاييس العرب وقوانينها الثالث الجاري
على قوانين النحو الرابع الاحتراز عن الالفاظ الغريبة الوحشية ولذلك كانت في الكتاب العزيز نادرة
واما الكلام في الدلالة المعنوية فاعلم انه لما كانت الالفاظ المفردة لا تستعمل لافادة مدلولاتها الا التركيبية
الاعند التركيب وكان الاصل في اصناف التراكيب هو الخبر وهو الذي يتصور بالصور الكثيرة وتظهر فيه الاسرار
العجيبة من علم المعاني والبيان راينا ان نشير الى قدر من مباحثه قبل الخوض في ساير الاقسام وقد رتبنا هذا
الباب على فصول الفصل الاول في احكام الخبر وفيه ابحاث البحث الاول في رسم الخبر وقد رسم بانه القول
الذي يقال لقائله انه صادق فيما قاله او كاذب واورد الامام فخر الدين عليه شكا فقال الصدق والكذب لا
يمكن تعريفهما الا بالخبر اذ يقال في الصدق انه الخبر المطابق وفي الكذب انه الخبر الغير المطابق فتعريف الخبر
بهما دور واجاب افضل المتاخرين نصير الدين الطوسي ابقاه الله عنه فقال الحق ان الصدق والكذب من الاعراض
الذاتية للخبر فتعريفه بهما رسمي او دفعيسر للاسم وتعيينا لمعناه من بين ساير المركبات ولا يكون ذلك دورا
لان الشيء الواضح بحسب ماهيته ربما يكون ملتبسا في بعض المواضع بغيره ويكون ما يشتمل عليه من اعراضه اللازمة
الغنية عن التعريف او غيرهما مما يجري مجريهما ظاهرا عند الناس فايراده في الاشارة الى تعيين ذلك الشيء
انما يخلصه ويجرده عن الالتباس وانما يكون دورا لو كانت تلك الاعراض ايضا مفتقرة الى البيان بذلك
الشيء وههنا انما يحتاج الى تعيين صنف واحد من اصناف المركبات وفيه اشتباه لانه لم يتعين بعد وليس في
الصدق والكذب اشتباه فيمكننا ان نقول انا نعني بالخبر التركيب الذي يشتمل حد الصدق والكذب عليه
كما لو وقع اشتباه في معنى الحيوان فيمكننا ان نقول انا نعني به ما يقع في تعريف الانسان موقع الجنس ولا يكون
دورا وقيل في تعريفه ايضا انه القول المقتضي بصريحه اسناد امر الى امر بالنفي والاثبات واما تسمية الحكاية
لحدهن للخبر خبرا فبالمجاز البحث الثاني انه ليس الغرض الاول من وضع الالفاظ المفردة افادتها المسميات
المفردة بيان ذلك ان افادتها لها موقوفة على العلم بكونها موضوعة لها وهو مستلزم للعلم بها قبل الوضع فلو
توقفت افادتها لها على الوضع لزم الدور وانه محال بل الغرض الاول منها تمكن الانسان من تفهيم ما يتركب
من تلك المسميات بواسطة تركيب تلك الالفاظ المفردة لا يقال ما ذكرتموه قائم بعينه في المركبات لان
اللفظ المركب لا يفيد مدلوله الا عند العلم بكون تلك الالفاظ موضوعة لتلك المعاني فلو استفدنا

العلم بتلك المعاني من تلك الالفاظ لزم الدور لانا نقول لا نم ان الالفاظ المركبة لا تفيد مدلولها
الا عند العلم بكون تلك الالفاظ المركبة موضوعة له بيان ذلك انا متى علمنا وضع كل واحد من تلك الالفاظ
المفردة لكل واحد من تلك المعاني المفردة فاذا توالت الالفاظ المفردة بحركاتها المخصوصة على السمع
ارتسمت المعاني المفردة في الذهن مستلزمة للعلم بنسبة بعضها الى البعض استلزاما عقليا وذلك هو التفهيم
فظهر ان استفادة العلم بالمعاني المركبة لا تتوقف على كون الالفاظ المركبة موضوعة لها والله الموفق
البحث الثالث في الفرق بين الاخبار بالاسم والاخبار بالفعل قد عرفت ان الفعل مشعر بالزمان المعين
دون الاسم فلذلك ظهر الفرق بين الاخبار به والاخبار بالاسم فانك اذا قصدت بالاخبار الاثبات المطلق
غير المشعر بالزمان وجب ان تخبر بالاسم كقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه اذ ليس الغرض الا اثبات البسط
لذراعي الكلب فاما تعريف زمان ذلك فغير مقصود فاما ان قصدت الاشعار بزمان ذلك الثبوت فالصالح
له هو الفعل كقوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض فان تمام المقصود انما يحصل بكونه
معطيا في كل حين واوان لا بمجرد كونه معطيا البحث الرابع في حكم المبتدا والخبر متى اجتمعت الذات والصفة
فالذات اولى بالمبتدائية والصفة اولى بالخبرية ثم اما ان يكون الامر في اللفظ كذلك او بالعكس والاول
اما ان لا يدخل لام التعريف في الخبر كقولك زيد منطلق وذلك يفيد ثبوت مطلق الانطلاق لزيد من غير
ان يفيد دوام ذلك الثبوت او انقطاعه او يدخله لام التعريف كقولك زيد المنطلق وزيد هو المنطلق
فاللام في الخبر يفيد انحصار المخبر به في المخبر عنه ثم اما ان يكون لام العهد كما اذا اعتقدت وجود انطلاق
معين ولكن لا تعلم ان المنطلق زيد او عمرو فاذا قلت زيد المنطلق عينت ان صاحب ذلك الانطلاق هو
زيد فقد انحصر ذلك الانطلاق في زيد واما التعريف الطبيعي فمنهم من وصف الحصر ثم هو الحصر ان امكن
ترك الكلام على حقيقته كقولك زيد هو الوفي اذا لم تنظر الى خبر غيره والا حمل الكلام على المبالغة
كقولك زيد هو العالم وهو الشجاع لامتناع حصر الحقيقة فيه واما العكس والخبر الذات عن الصفة
كقولك المنطلق زيد فذلك انما يقال اذا اعتقد معتقد ان انسانا انطلق ولكن لا يعلم شخصه فيقال
له المنطلق زيد اي الذي يعتقد انطلاقه هو زيد ثم الضابط ان الاخبار يجب ان يكون عما يعرف بما لا
يعرف له الفصل الثاني في الحقيقة والمجاز وفيه ابحاث البحث الاول في معنى الحقيقة والمجاز وحدهما الحقيقة
فعيلة بمعنى مفعولة من الحق وهو الثابت وسمي ما خالف المجاز حقيقة لانه ثبت معلومه الدلالة و
المجاز مفعل من جاز يجوزه اذا تعداه واذا عدل باللفظ عن وضعه اللغوي وصف بانه مجاز بمعنى ان
الذهن اشتغل من لفظه الى معنى غير معناه فصار موضع الانتقال والمجاوزة واما حد الحقيقة فاما في
المفردات فهي كل كلمة افيد بها ما وضعت له في اصل الاصطلاح الذي وقع التخاطب به ويدخل في ذلك
الحقيقة اللغوية والعرفية والشرعية واما في الجمل فكل جملة وضعتها على ان الحكم المفاد بها على ما هو

في العقل وواقع موقعه فهي حقيقة كقولنا خلق الله العالم واما حد المجاز فاما في المفرد ايضا وهو ما افيد به معنى
غير ما اصطلح عليه في اصل المواضعة التي وقع التخاطب بها لعلاقة بينه وبين الاول ويدخل في ذلك المجاز
اللغوي والعرفي والشرعي واما في الجمل فكل جملة اخرج الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل بضرب من التاويل
فهو مجاز كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها البحث الثاني فيما به يتحقق المجاز لا بد فيه من امرين احدهما
ان يكون منقولا عن معنى وضع اللفظ بازائه والا لبقي حقيقة الثاني ان يكون ذلك النقل لمناسبة بين المعنيين
والا لكان في الثاني مرتجلا وبهذا يظهر الفرق بين المجاز والكذب والدعوى الباطلة وذلك لان المبطل
اذا اخرج الحكم عن موضعه واعطاه غير المستحق لم يعرف انه انما اعطاه لكونه فرعا لاصل بل يجزم بان ثبوت
الحكم في ذلك الموضع ثبوت اصلي وكذلك الكاذب يدعي ان الامر على ما وصفه وليس هو من التاويل في
شيء والمجاز لم يكن مجازا الا لانه اثبات الحكم لما لا يستحقه للمناسبة بينه وبين المستحق البحث الثالث في
اقسام المجاز المجاز اما ان يقع في اللفظ المفرد فقط او في المركب فقط او فيهما معا مثال الاول اطلاق لفظ
الاسد على الرجل الشجاع والحمار على البليد واما الثاني فهو ان يستعمل كل واحد من الالفاظ المفردة في موضوعه
الاصلي لكن التركيب لا يكون مطابقا لما في الوجود مثاله قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وقول الشاعر
اشاب الصغير وافنى الكبير كر الغداة ومر العشي وهذا المجاز عقلي لان نسبة الاخراج الى الارض والاشابة
الى كر الغداة والعشي حكم عقلي عدل به عن الفاعل الحقيقي وهو الله سبحانه الى غير من هو له وهو الارض و
الغداة والعشي مثال الثالث قولك لمن تحبه احياني اكتحالي بطلعتك فان لفظي الاحياء والاكتحال
مفردان استعملا في غير موضوعهما الاصلي ثم نسبة الاحياء الى الاكتحال مع عدم المطابقة لما في نفس الامر ايضا
وهذا التلخيص لعبد القاهر النحوي رحمه الله البحث الرابع في اصناف المجاز والذي ذكره الامام فخر الدين
منها اثنا عشر صنفا ا اطلاق اسم السبب على المسبب والاسباب اربعة احدها الفاعلي كاطلاق اسم النظر
الذي هو تقليب الحدقة نحو المرئي على الرؤية كقولك نظرته اي رايته الثاني الغائي كتسميتهم العنب بالخمر
الثالث الصوري كتسميتهم القدرة يدا الرابع القابلي كقولهم سال الوادي ب اطلاق اسم المسبب على
السبب كتسميتهم المرض الشديد بالموت والاول اولى لاستلزام السبب المعين للمسبب المعين من غير عكس
واولى الاسباب بذلك هو السبب الغائي لحصول علاقتي العلية والمعلولية اللتين كل واحدة منهما
ملزم لحسن المجاز فيه دون باقي الاسباب ج اطلاق اسم الشيء على ما يشابهه كاطلاق لفظ الحمار على الرجل
البليد وهو الاستعارة كما سيجيء بيانها د تسمية الشيء باسم ضده كتسمية العقاب بسبب الجريمة بالجزاء المختص
بمقابلة الاحسان بمثله ه تسمية الجزء باسم الكل كاطلاق لفظ العام على الخاص و العكس كاطلاق لفظ
الاسود على الزنجي لسواد جلده والاول اولى لاستلزام الكل الجزء من غير عكس ز اطلاق ما بالفعل
على ما بالقوة كتسمية الخمر في الدن مسكرا وهو قريب من اطلاق السبب الغائي على مسببه ح اطلاق المشتق

بعد زوال المشتق منه كاطلاق لفظ ضارب على من فرغ من الضرب وقد عرفت ان ذلك هل هو مجاز او حقيقة
ط الطلاق اسم المجاور على مجاوره كاطلاق لفظ الراوية وهو الجمل الذي يحمل عليه الماء على المزادة في الطلاق
اسم الحقيقة العرفية كالدابة للفرس على الحمار وعينه مجازا عرفيا يا المجاز بسبب النقصان والزيادة قال
الامام وتحقيقه ان الكلمة كما انها توصف بالمجاز لنقلها عن معناها فقد توصف بالمجاز لنقلها عن
حكم كان لها الى حكم ليس هي بحقيقة فيه كقوله تعالى واسئل القرية والذي يستحقه في الاصل الجر والنصب
فيها مجاز وفيه نظر لان الاعراب لا يراعي فيه صدق النسبة وكذبها والمطابقة وعدمها فانك لو قلت
نبتت السماء كان السماء مفعولا به للفعل المقدر ويستحق النصب حقيقة فكذلك القرية ههنا تستحق
بالمفعولية اما ان النسبة في نفسها صادقة ام لا فذلك بحث آخر بل الحق انه مجاز في التركيب والنسبة فان
السؤال الى اهل القرية حقيقة فيكون اليها مجازا وان قطعنا النظر عن مباحث النحاة امكن ان يكون الحق
ما قاله الامام اما المجاز بسبب الزيادة فالحق ان الزيادة ان غيرت معنى الكلام الذي يتم بدونها ولا احتياج
فيه اليها كقوله تعالى ليس كمثله شيء فالمجاز حاصل في النسبة اذ كانت نسبة النفي لمثل المثل وان لم يغير كما
في قوله تعالى فبما رحمة من الله لم يتصور المجاز ههنا يب الطلاق اسم المتعلق على المتعلق كتسمية المقدور قدرة
البحث الخامس المجاز بالذات لا يدخل الا على اسماء الاجناس وبيانه اما الحرف فلان معناه في غيره فان ضم
الى حقيقته فهو حقيقة او الى مجاز كان مجازا في التركيب فلم يدخله بالذات واما الفعل فلان معناه مركب
من المصدر وغيره فما لم يكن المصدر متجوزا به لم يكن الفعل كذلك فكان دخوله فيه بالعرض واما الاسم
فاما علم ولا يدخله المجاز لانه مشروط بالعلاقة بين الاصل والفرع وليست موجودة في الاعلام او مشتقا
ومعلوم انه لولا تطرق المجاز الى المشتق منه لم يتطرق الى المشتق فلم يبق الا اسماء الاجناس البحث السادس
في الداعي الى التكلم بالمجاز العدول الى المجاز اما لاجل اللفظ او المعنى او لهما اما الاول فاما لاجل
جوهر اللفظ او لاحوال عارضة له اما الاول فان يكون اللفظ الدال بالحقيقة ثقيلا على اللسان
اما لثقل اجزائه او لتنافر تركيبه او لثقل وزنه ويكون المجاز عذبا واما الثاني فان يكون المجاز صالحا
للشعر وللسجع واصناف البديع دون الحقيقة واما الذي لاجل المعنى فقد يقصد بالمجاز التعظيم ليس في
الحقيقة كما يقال سلام على المجلس السامي او التحقير يكون فيها كما يعبر بالغائط عن قضاء الحاجة او لزيادة
بيان اما تقوية لحال المذكور كقولك رأيت اسدا للانسان الشجاع فانه اتم من قولك رأيت انسانا يشبه
الاسد في شجاعته او تقوية لحال الذكر وهو المجاز الذي يذكر للتأكيد او لتلطيف الكلام قال الامام
وتقريره ان النفس اذا وقفت على كلام فلو وقفت على تمام المقصود لم يبق لها اليه شوق اصلا لان تحصيل
الحاصل محال وان لم تقف على شيء منه اصلا لم يحصل لها ايضا اليه شوق اما اذا وقفت عليه من بعض الوجوه
دون البعض فان القدر المعلوم يشوقها الى الجزء المعلوم فيحصل لها بسبب علمها بالقدر المعلوم لذة

وبسبب حرمانها عن الباقي الم فيحصل هناك تعاقب الام ولذات واللذة اذا حصلت عقيب الالم كانت اقوى و
شعور النفس بها اتم اذا عرفت ذلك فنقول اذا عبر عن الشيء باللفظ الدال عليه على سبيل الحقيقة حصل تمام
العلم به فلا تحصل اللذة القوية اما اذا عبر عنها بلوازمها الخارجية عرفت لا على سبيل الكمال فتحصل الحالة
المذكورة التي هي كالدغدغة النفسانية مثال هذا انك اذا قلت رأيت انسانا يشبه الاسد في شجاعته فقد
حصلت المعاني بتمامها من الفاظها الموضوعة لها فلم يحصل من اللذة ما يحصل من قولك رأيت اسدا في يده
سيف فان الذهن ههنا يتصور من لفظ الاسد معناه ولوازمه البينة كالشجاعة ثم ينتقل بسبب القرينة الى الملا
وجالسه في الانسان الذي هو الشجاعة فذلك الانتقال هو محل اللذة او الدغدغة النفسانية البحث السابع
فيما تنفصل به الحقيقة عن المجاز انه اما ان يقع بالتنصيص او الاستدلال اما التنصيص فمن وجوه احدها ان
يقول الواضع هذا حقيقة وذاك مجاز وثانيها ان يذكر واحدا منهما وثالثها ان يذكر خواصهما واما الاستدلال
فالحقيقة تعرف من وجهين احدهما ان يسبق المعنى من ذلك اللفظ الى فهم بعض السامعين من اهل تلك
اللغة فيحكم بانه حقيقة فيه اذ لولا اضطراره الى فهم ذلك المعنى من قصد الواضعين لما فهمه دون غيره
وثانيهما ان اهل اللغة اذا ارادوا افهام غيرهم معنى اقتصروا على عبارات مخصوصة واذا قصدوا بالتعبير
الحسن عند المتهم عبروا بعبارات اخرى وقرنوا بها قرائن فيعلم ان الاول حقيقة اذ لولا انه استقر في قلوبهم
استحقاق ذلك اللفظ لذلك المعنى لما اقتصروا عليه واما المجاز فيعرف اما اولا فبعكوس ما ذكرنا في
تعريف الحقيقة واما ثانيا فلان الكلمة اذا علقت بما يستحيل تعليقها به علم انها في اصل اللغة غير موضوعة
له فيعلم انها مجاز فيه كقوله تعالى واسئل القرية واما ثالثا فان يعلم ان الواضع وضع لفظ المعنى ثم استعمله
في بعض موارده ثم استعمله بعد ذلك في غير ذلك الشيء كلفظ الدابة الذي وضع لكل ما يدب ثم خص
بالفرس فصار حقيقة عرفية ثم استعمل بعد ذلك في الحمار فيعلم انه مجاز فيه الى ان يغلب الاستعمال عليه
فيصير حقيقة عرفية ايضا الفصل الثالث في التشبيه وفيه بعد ادكان الركن الاول في المتشابهين
انهما اما محسوسان او معقولان او المشبه به محسوس والمشبه معقول او بالعكس اما الاول فكقوله
عليه السلام لاهل البصرة كاني انظر الى مسجدكم هذا كجؤجؤ سفينة وقوله عليه السلام في وصف الاكل
كان اباهم قوما كانت وجوههم المجان المطرقة واما الثاني فكقوله عليه السلام مثلكم كما تداوى البكار العمد
والثياب المتداعية فان المتشابهين ههنا هو مداواة ومداواة اهل البكار لها والمداراة معنى انما في
معقول ووجه المشابهة هو الضعوبة ههنا كالصعوبة هناك واما الثالث فكقوله عليه السلام في حق من
امات لامره كلعقة الكلب انفه فان الامرة حالة معقولة اشبهت لعقة الكلب انفه في سرعته وهي امر
محسوس وقوله عليه السلام اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى الارض كقطر المطر وكقوله كاني بك يا كوفة
تمدين مد الاديم العكاظي واما الرابع فكقول الشاعر كان النجوم بين دجاه سنن لاح بينهن ابتداع

تعد دموع وكقول الصاحب بن عباد وقد اهدى عطرا الى القاضي ابي الحسن اهديت عطرا كان مثل ثنائه
فكانما اهدي له اخلاقه وقد منع الامام فخر الدين من جواز هذا القسم من التشبيه اعتمادا منه على ان العلوم
العقلية مستفادة من الحواس فكان المحسوس اصلا للمعقول فتشبيهه به يقتضي جعل الاصل فرعا والفرع
اصلا وهو محال وهذا سهو فان الحواس وان كانت طرقا للعلم الا انها ليست كل الطرق لما سلمناه لكن الممنوع
انما هو جعل الفرع اصلا من جهة ما هو فرع لذلك الاصل لا مطلقا وههنا ليس كذلك فان المعقول فرع المحسوس
من جهة ما هو مستفاد عنه فيمتنع ان يعود اصلا من تلك الجهة لكنه لا يمتنع ان يكون فرعا له من تلك الجهة ومع
ذلك يكون اصلا له في التشبيه والملاحظات الذهنية الركن الثاني فيما به التشبيه وفيه ابحاث البحث
الاول في اقسامه انه اما ان يكون صفة حقيقية او اضافية والاول اما كيفية جسمانية او نفسانية والاول
اما كيفية محسوسة لها اولا او ثانيا والاول اما عند البصر كتشبيه الخد بالورد في الحمرة وتشبيه الوجه
بالنهار والشعر بالليل او عند السمع كتشبيه اطيط الرحل باصوات الفراريج وكتشبيه الصوت المنكر بصوت
الحمار او عند الذوق كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر او عند الشم كتشبيه بعض الرياحين
بالمسك والكافور او عند اللمس كتشبيه الجسم اللين الناعم بالخز والخشن بالمسح واما المحسوسة ثانيا فهي
الاشكال والمقادير والحركات والاشكال اما مستقيمة او مستديرة مثال التشبيه في الاستقامة تشبيه
الرجل المعتدل القامة بالرمح ومثال التشبيه في الاستدارة تشبيه المستدير بالكرة تارة وبالحلقة اخرى
ومثال التشبيه في المقادير تشبيه عظيم الجثة بالجبل والفيل ومثاله في الحركة تشبيه السريع بالسهم واما
الاشتراك في كيفية جسمانية غير محسوسة فكما يقال فلان كالحمار اي في بلادته او شبعه وهو كالنمر اي غضب
واما في الكيفية النفسانية فكالاشتراك في الغرائز والاخلاق كالكرم والحلم والشجاعة والذكاء و
والعلم والزهد كقولك هو كحاتم اي جوده وكعمرو بن معدي اي في شجاعته واما الاشتراك في الحالة الاضافية
فكقولهم هذه الحجة كالشمس فالاشتراك ههنا في الجلاء بالنسبة الى البصر والفهم وهي حالة اضافية وقد
يكون جلية كما ذكرنا وكقولهم الفاظ فلان كالماء اي في السلاسة وكالنسيم اي في الرقة وذلك لانه لم
يتنافر ولم يلجلج على اللسان ولم يكن غريبا وحشيا ارتاح له القلب فلسرعة وصوله الى النفس صار
كالماء الذي يسرع نفوذه الى الحلق والنسيم الذي يسري في البدن وقد يكون خفية كقول من ذكر بني
المهلب هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها الا ترى انه لا يفهم المقصود من ذلك الا من كان له ذهن
يرتفع عن درجة العامة البحث الثاني في تقسيمه بوجه آخر انه قد يكون قريبا وقد يكون بعيدا فالاول
كما اذا خطرت ببالك استدارة الشمس واستنارتها فانه يخطر بقلبك المرآة المجلوة وتلاحظ الشبه
بينهما وكذلك اذا نظرت الى الوشي المنشور لاح لك في شبهه الروض الممطور المفتر عن ازهاره واما الفرع
البعيد فهو الذي يحتاج في ادراكه الى دقة نظر كتشبيه الشمس بالمرآة في كف الاشل وتشبيه البرق

باصبع السارق كقول كشاجم ارقت ام عنت لضوء بارق مؤتلقا مثل الفؤاد الخافق كانه اصبع كف السارق
ثم التشبيه في القرب والبعد امران احدهما ان الحس لا يعطي التمييز بين جهتي الاشتراك والامتياز واعتبار
المركب من حيث هو شيء واحد واما التفصيل والتمييز فذاك حظ العقل وايضا فشعور الحس بالاجمال اقدم
من شعوره بالتفصيل فان المرئي في اول النظر اليه لا يدرك البصر تفاصيله حتى يتكرر وكذلك المسموع
فانك تقف في اعادة الصوت على ما لم تقف عليه بالسماع الاول وبادراك التفاصيل يقع التفاضل
بين سامع وسامع واذا كان ادراك الجملة قبل ادراك التفصيل محتاجا الى الكد والطلب كان ادراك الجملة
اسهل واقرب من ادراك التفصيل البحث الثالث في بيان ان التشبيه بالوجه العقلي اعم من التشبيه بالوجه
الحسي اما تشبيه المحسوس بالمحسوس فيمكن ان يكون لاجل الاشتراك في وصف محسوس ويمكن ان يكون
لاجل الاشتراك في وجه معقول ويمكن ان يكون لاجلهما جميعا مثال الاول تشبيه الخد بالورد ومثال الثاني
قوله صلى الله عليه وآله اياكم وخضراء الدمن فالتشبيه ملحوظ للمرأة من النبات وهما محسوسان ولكن وجه
المشابهة هو مقارنة الحسن الظاهر للقبح الباطن وهو امر عقلي مثال الثالث تشبيه الشخص الرفيع القدر الحسن
الوجه بالشمس لاشتراكهما في النباهة التي هي امر عقلي وفي الضياء الذي هو امر حسي واما تشبيه المعقول بالمعقول
والمعقول بالمحسوس والمحسوس بالمعقول فيمتنع ان يكون وجه المشابهة غير عقلي لان وجه المشابهة
مشترك بين الجانبين فلو كان محسوسا لم يوصف المعقول به واما العقلي فيصح انحصاره فيما لا يكون محسوسا
امر محسوس فثبت ان التشبيه بالوجه المعقول اعم البحث الرابع التشبيه بالوصف المحسوس اتم من التشبيه
بالوصف المعقول بيانه من وجهين احدهما ان اكثر الغرض في التشبيه التخييل الذي يقوم مقام التصديق في
الترغيب والترهيب والخيال اقوى على ضبط الكيفيات المحسوسة منه على الامور الاضافية الثاني ان
الاشتراك في نفس الصفة اسبق من الاشتراك في مقتضى الصفة لما ان الصفة في نفسها متقدمة
في الشعور على مقتضاها فكانت الصفة المحسوسة اتم في التشبيه من الامر المعقول البحث الخامس في
تقسيم ما به المشابهة الى المفرد والمركب المشابهة اما ان تكون في امر واحد او في امور كثيرة والاول اما ان لا يكون
مقيدا بالنسبة الى شيء او يكون فالاول كتشبيه الكلام بالعسل في ان كل واحد منهما يوجب للنفس لذة وحلاوة
محمودة واما الثاني فما اليه الانتساب بعض امور اما المفعول به كقولهم اخذ القوس باريها الا ان المقصود
وقوع الاخذ في موضعه ووجوده من اهله وهذا لا يحصل من الاخذ المطلق ولكن من حيث الحكم الحاصل
له بوقوعه من باري القوس عليه واما الى ما يجري مجرى المفعول به وهو الجار والمجرور كقولهم لمن يفعل
ما لا يفيد هو كالراقم على الماء فالتشبيه ليس بمنتزع من الرقم المطلق بل منه على الماء واما الى الحال
كقولهم كالحادي ليس له بعير اي الحادي حال ما لا يكون له بعير واما الى المفعول به والجار والمجرور معا كقولهم
هو كمن يجمع السيفين في غمد وهو كمن يبتز الجوز على القبة فالجمع المعدى الى السيفين لا يكفي في التشبيه

ما لم يشترط كونه جامعا لهما في العهد ومنه قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا فان الغرض تشبيه اليهود لا لامر يرجع
حقيقة الحمل المطلق بل لامرين احدهما تعديته الى الاسفار والاخر اقتران الجهل بما فيها الا ان الغرض
توجيه الذم الى من اتعب نفسه بحمل ما يتضمن المنافع العظيمة ثم لم ينتفع به لجهله وهذا المقصود لا يحصل
من الحمل المطلق بل منه مشروطا بالشرطين الاخرين ثم اذا كان ما به المشابهة وصفا مقيدا فقد يمكن افراد
جزئيه بالذكر وقد لا يمكن اما الاول فكقوله وكان اجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط ازرق
فانك لو قلت كان النجوم درر وكان السماء بساط ازرق كان التشبيه مقبولا وان تغير المعنى المراد للقائل
اذ مقصوده من التشبيه ههنا ذكر الامور البهيجة من طلوع النجوم مؤتلفة متفرقة في اديم السماء وهي زرقاء
زرقتها الصافية والنجوم تتلألأ في تلك الزرقة ومعلوم ان هذا المقصود لا يبقى اذا فرق التشبيه واما الثاني
فكقوله كما قد المريخ والمشترى قدامه في شامخ الرفعة منصرف بالليل عن دعوة قد اسرجت قدامه الشمعة
فلو قلت كان المريخ منصرف عن دعوة وتركت حديث المشترى والشمعة كان خلفا من القول اذ التشبيه للمريخ
حيث الحالة الحاصلة له من تقدم المشترى له فاذن لا يمكن افراده بالذكر البحث السادس في التشبيهات
المتعددة المجتمعة انما يكون الامر كذلك اذا كان التشبيه من امور كثيرة لا يتقيد بعضها بالبعض وحينئذ
يكون تشبيهات مضموما بعضها الى بعض لاغراض كثيرة كل واحد منها قائم بنفسه ولهذا النوع خاصيتان الاولى
انه لا يجب فيها الترتيب فانك لو قلت زيد كالاسد باسا والبحر جودا والسيف مضاء والبدر بهاء لم يجب عليك
ان تحفظ في هذه التشبيهات نظاما مخصوصا الثاني اذا سقط البعض فانه لا يتغير حال الباقي كقولهم
هو يصفو ويكدر ويحلو ويمر ولو تركت ذكر الكدورة والمرارة لكان المعنى في تشبيهه بالماء الصافي و
العسل في الحلاوة باقيا البحث السابع يجب رعاية جهة التشبيه ولا يجوز تعديها والا وقع الخطأ مثاله
قيل النحو في الكلام كالملح في الطعام فان جهة التشبيه ههنا هي الاصلاح والمقصود ان الطعام كما لا يصلح
الا بالملح كذلك الكلام لا يصلح الا بالنحو فاما ما ظنه بعضهم ان المقصود هو ان القليل من النحو مغن و
الكثير مفسد كما ان القليل من الملح مغن والكثير مفسد فهو ظن فاسد لان النحو علم بمجموع قوانين مضبوطة
يمتنع تطرق الزيادة والنقصان اليها وجريانها في الكلام كقولك كان زيد قائما فانه لا بد فيه من رفع الاسم
ونصب الخبر فان وجد فيه النحو من غير زيادة ولا نقصان وان لم يحصل عدم النحو فلا زيادة ولا نقصان
ايضا البحث الثامن في اكتساب وجه المشابهة الطريق اليه تمييزها بالمشابهة عما بان الاشياء مثلا من اراد التشبيه
شيء بشيء في هيئة الحركة وجب ان يطلب الوفاق بين الهيئة والهيئة مجردة عن الجسم وسائر ما فيه من الالوان
كما فعل ابن المعتز في قوله وكان البرق مصحف قار فانطباقا مرة وانفتاحا فلم ينظر في جميع اوصاف
البرق ومعانيه الا الى الهيئة التي تجدها العين من انبساط يعقبه انقباض ثم طلب عن اصناف الحركات
لينظر ايها اشبه بها فاصاب ذلك فيما يفعله القارئ باوراق المصحف من فتحها مرة وطيها اخرى ولم يكن

حسن التشبيه لكونه جامعا بين مختلفين بل لحصول الاتفاق بينهما من ذلك الوجه ولاجل اجتماع الامرين اعني
الاتفاق التام والاختلاف التام كان حسنا ومما يناسب ذلك في كونه جامعا بين المختلفين محاولة ذلك
جعل الشيء سببا لضده كقوله اعتقني سوء ما صنعت من الرق فيا بردها على كبدي فصرت عبدا للسوء فيك
وما احسن سوء قبلي الى احد الركن الثالث في غرض التشبيه انه اما ان يكون عائدا الى المشبه او الى المشبه به
اما الاول فقد يكون غرضه بيان الحكم المجهول وقد لا يكون اما الاول فاما ان يقصد بيان امكانه عند
ما لا يكون بينا فيحتاج الى التشبيه لبيانه كقوله فان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال
فان مقصوده ان يقول ان الممدوح فاق الانام حتى لم يبق بينه وبينهم مشابهة بل صار اصلا بنفسه ولما كان
هذا في الظاهر كالممتنع اذ يبعد ان يتناهى انسان في الفضائل الى ان يخرج من نوعه احتج لدعواه بان المسك وان
كان بعض دم الغزال في اصله فقد خرج عن صفة الدم وحقيقته حتى صار لا يعد دما واما ان يقصد بيان مقداره
كقولك للشيء الاسود انه كحلك الغراب فان المقصود من هذا التشبيه بيان مقدار السواد في الحلوكة لا امكان
وجوده واما الثاني وهو ان لا يكون غرضه بيان حكم مجهول فقد يكون غرضه احد امرين احدهما نقل النفس من
الغريب الى القريب لان الف النفس مع الحسيات اتم من الفها مع العقليات لتاخر كثير من العلوم العقلية
عن الحسية فاذا ذكرنا المعنى العقلي الجلي ثم عقبناه بالتمثيل الحسي فقد نقلنا النفس من الغريب الى القريب
الثاني ان يقصد المباعدة بين المتشابهين لان التشابه حينئذ يكون اغرب فيكون اعجاب النفس بذلك التشبيه
اكثر لان شغف النفس بالغريب الذي لم تعهده اكثر من المالوف المعتاد واما الاغراض العائدة الى المشبه به
فقد يقصد المادح على طريق التخييل ان يوهم في الشيء القاصر عن نظيره انه زائد عليه فيشبه الزائد بذلك الناقص
ويقصد به اعلاء شان ذلك الناقص انه بالغ الى حيث صار اصلا للشيء الكامل في ذلك الامر كقوله وبدا
الصباح كان غرته وجه الخليفة حين يمتدح الا ترى انه جعل وجه الخليفة اعرف واتم واشهر في النور والضياء
من الصباح حتى شبه الصباح به وقد يقصد الذام عكس ذلك الركن الرابع في التشبيه نفسه وفيه ابحاث
البحث الاول التشبيه ليس من المجاز لانه معنى من المعاني وله حروف والفاظ مخصوصة كالكاف وكان ونحو
ومثل يدل عليه وضعا فاذا صرح بالالفاظ الدالة عليه كان حقيقة فاذا قلت زيد كالاسد لم يكن نقلا
للفظ عن موضوعه الاصلي فلا يكون مجازا البحث الثاني في التشبيه الذي يصح عكسه والذي لا يصح قد يكون
الغرض من التشبيه الحاق الناقص بالزائد مبالغة في اثبات الحكم للناقص كما اذا شبهت شيئا اسود بحنك
الغراب او وجها حسن البياض والصورة بالبدر والشمس ومثل هذا يمتنع العكس فيه لان تنزيل الزائد منزلة
الناقص يضاد المبالغة الاولى وقد يكون المقصود الجمع بين الشيئين في مطلق الصورة او الشكل او اللون
كتشبيه الصبح بغرة الفرس لا لاجل المبالغة في الضياء بل لاجل ظهور بياض في سواد مع كون البياض قليلا
بالاضافة الى السواد والعكس حينئذ جائز كما لو شبهت غرة الفرس بالصبح البحث الثالث في التشبيه

الواقع في الهيئات انه قد يقع في الهيئات التي يقع عليها الحركات وقد يقع في الهيئات التي يقع عليها السكنات اما
الاول فعلى وجهين احدهما ان تقترن الحركة بغيرها من الاوصاف والشكل واللون كقول ابن المعتز والشمس
كالمراة في كف الاشل اراد ان لها مع الاستدارة والاشراق الحركة التي تراها اذا امعنت التامل وذلك ان
للشمس حركة دائمة متصلة ولنورها بسبب ذلك تموج ولا يحصل هذا التشبيه الا ان يكون المراة في كف الاشل
لدوام حركته فيتموج بسببه نور المراة وتلك حال الشمس ثانيهما ان يكون التشبيه في هيئة الحركة مجردة من كل
وصف يقارنها مثاله قول الاعشى يصف السفينة وتلعب الامواج بها تقمص السفين بجانبيه كما ينزو الرباح
خلاله الكرع والرباح القرد في لغة اهل اليمن واصله بتشديد الباء فخففه وقيل اراد الربع وهو الفصيل فابدل
فتحة الباء فحدثت الالف والكرع ماء السماء يكرع فيه شبه السفينة في انحدارها وارتفاعها بحركات القرد
اذا نزا في الماء فانه يكون لحركات مختلفة في جهات مختلفة ويكون هناك تسفل وتصعد على غير ترتيب و
اشبه شيء بحركات السفينة حين يتداعها الموج اما التشبيه الواقع في الهيئات التي تقع عليها السكنات فكقول
الاخطل في صفة المصلوب كانه عاشق قد مد صفحته يوم الوداع الى توديع مرتحل او قائم من نعاس فيه لوثته
مواصل لتمطيه من الكسل فلطفه بسبب ما فيه من التفصيل ولو قال كانه متمط من نعاس واقتصر عليه لكان قريب
التناول لان هذا القدر من التشبيه يحصل في نفس الرائي للمصلوب لكونه من باب الجملة واما على التفصيل
الذي فيه فيد استدامة تلك الهيئة فلا يحصل الا مع التامل لحاجته الى ان ينظر الى احوال المتمطي من تمطيه
وبدوه ويزيد على ذلك النظر الى استدامته لذلك والى علته وهي قيام اللوثة والكسل في القائم من النعاس
وهذا اصل فيما يتعلق بالتفصيل وهو ان يثبت في الوصف امرا زائدا على المعلوم المتعارف ثم يطلب علته البحث
الرابع في مراتب التشبيه في الخفاء والظهور التشبيه قد يكون بالمتخيل الذي لا وجود له في الاعيان كتشبيه
الشقائق باعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد وقد يكون بما له وجود في الاعيان وحينئذ فالهيئة المعتبرة
في ذلك اما ان توجد قليلا او كثيرا بيانه انك اذا قابلت بين قوله وكان اجرام النجوم لوامعا درر نثرن على
بساط ازرق وبين قول ذي الرمة كانها فضة قد مسها ذهب عرفت ان الاول اغرب من الثاني لان الهيئة
الاولى وهي وجود درر منثورة على بساط ازرق اقل وقوعا من فضة يجري عليها الذهب وكلما كان الشيء بعيد
الوقوع ابعد كان اغرب فكان التشبيه به الذ واعجب البحث الخامس في التمثيل والمثل وهو التشبيه المنتزع
من اجتماع امور يتقيد بعضها بالبعض باسم التمثيل وقد يكون ذلك على وجه الاستعارة كقولك للمتردد في الامر
اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى تريد انك في ترددك كمن يقدم رجلا ويؤخر اخرى وقد لا يكون كما اذا ابرزت
الفاظ التشبيه كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية الاية واما المثل فهو تشبيه سائر اي يكثر استعماله
على معنى ان الثاني بمنزلة الاول والامثال كلها حكايات لا تتغير لان ذكرها على تقدير ان يقال في اول
المعنى انها بمنزلة ما يقال فيه هذا القول كقولك لمن لم يسمع رايك لا يطاع لقصير امر الا ترى انك تقول

ذلك بالالفاظ التي قالها متمثلا هذا المثل ولو غيرت هذه الالفاظ لم يسم مثلا الفصل الرابع في الاستعارة وفيه
ثلثة اركان الركن الاول في حقيقتها واحكامها وفيه ابحاث البحث الاول اجود ما قيل في حد الاستعارة انها
استعمال اللفظ في غير ما اصطلح عليه في اصل المواضعة التي بها التخاطب لاجل المبالغة في التشبيه وبالقيد
الاول احترزنا عن الحقائق الثلث اللغوية والعرفية والشرعية وبقولنا لاجل المبالغة في التشبيه عن سائر
وجوه المجاز واعلم ان المستعار وان كان صفة للفظ الا انه صفة للمعنى اولا فان المعنى اولا يعار ثم بواسطته
يعار اللفظ بيانه من وجهين احدهما انه حيث لا يكون نقل الاسم تابعا لنقل المعنى تقديرا لم يكن ذلك استعارة
كالاعلام المنقولة فانك اذا سميت انسانا بيزيد او يشكر فانه لا يقال لهذه انها مستعارة اذ لم يكن نقلها
تبعا لنقل معانيها تقديرا الثاني ان العقلاء يجزمون بان الاستعارة ابلغ من الحقيقة فان لم يكن نقل الاسم
تبعا لنقل المعنى لم يكن فيه مبالغة اذ لا مبالغة في اطلاق الاسم المجرد عاريا عن معناه البحث الثاني الفرق
بين الاستعارة والتشبيه ان التشبيه حكم اضافي يستدعي مضافين وليس الاستعارة كذلك فانك اذا قلت
رايت اسدا لم تذكر شيئا الزمخشري تشبهه بالاسد فلم يكن ذلك تشبيها بل اعطاء المعنى لفظا ليس له لاجل المشابهة
بينه وبين معناه الاصلي وما هو لاجل شيء لم لا يكون نفس ذلك الشيء واعلم انه متى قويت المشابهة بين
الشيئين كان التصريح بالتشبيه قبيحا وذلك لقرب التشبيه من حقيقة المشبه به مثاله اطلاق لفظ النور
على العلم والايمان والظلمة على الكفر والجهل فلا يحسن ههنا لقوة المشابهة ان تقول العلم كالنور والجهل
كالظلمة فالاستعارة انما تحسن حيث يكون التشبيه متقررا بين الناس ظاهرا فاما اذا خفي واحتاج الى كلفة فلا بد
من التصريح فانك لو قلت في قوله عليه السلام مثل المؤمن كمثل النخلة رايت نخلة واردت المؤمن كنت كما قال
سيبويه ملغزا تاركا لكلام العرب البحث الثالث في ترشيح الاستعارة وتجريدها اما ترشيح الاستعارة فان يراعي
جانب المستعار ويوليه ما يستدعيه ويضم اليه ما يقتضيه كقول كثير رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر فاستعار
الرمي للنظر وراعى ما يستدعيه فاردفه بلفظ السهم وقول امرئ القيس فقلت له لما تمطى بصلبه واردف
اعجازا وناء بكلكل لما جعل لليل صلبا قد تمطى به اردفه بما يقتضيه من الاعجاز والكلكل واما تجريدها
فان يراعي جانب المستعار له كقوله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف وكقول زهير لدى اسد شاكي السلاح
مقذف لو نظر الى المستعار ههنا لقيل فكساها لباس الجوع ولقال زهير لدى اسد وافي المخالب والبراثن
البحث الرابع في الاستعارة بالكناية وتنزيلها منزلة الحقيقة اما الاستعارة بالكناية فهو ان يذكر بعض
لوازم المستعار للتنبيه عليه دون التصريح بذكره كقول ابي ذؤيب واذا المنية انشبت اظفارها فكانه
حاول استعارة السبع للمنية لكنه لم يصرح بها بل ذكر بعض لوازمها تنبيها بها على المقصود واما تنزيلها
منزلة الحقيقة فاعلم انهم قد يستعيرون الوصف للشيء المعقول ويجعلون ذلك كالثابت لذلك الشيء
في الحقيقة وكان الحقيقة لم توجد وذلك كاستعارة العلو لزيادة الرجل على غيره في الفضل ثم وضعهم

الكلام وضع من يذكر علوا مكانيا كقول ابى تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة فى السماء فقصد بهذا ان ينسى التشبيه ويرفضه راسا ويجعل الممدوح صاعدا فى السماء صعودا مكانيا وهكذا اذا استعار اسم الشئ لغيره من نحو بدر او اسد فانهم يبلغونه الى حيث يعتقدان ليس هناك استعارة كقوله قامت تظللنى ومن عجب شمس تظللنى من الشمس فلولا انه انسى نفسه ان ههنا استعارة لما كان لهذا التعجب معنى ومدار اكثر هذا النوع على التعجب وقد يجئ على عكس مذهب التعجب كقوله لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر ازراره على القمر فقد ذكر كما ترى شيئا هو من خاصة القمر فهو ينهاهم عن التعجب من بلى الكتان بسرعة ويقول انه قد زر على القمر ومن شان القمر ذلك وهذا انما يتم بالجزم بكونه قمرا اذ لو اعترف بانه ليس بقمر واثبت به القمر لبطل الكلام **البحث الخامس** فى شرط حسن الاستعارة واعلم ان الاستعارة انما تحسن بالمبالغة فى التشبيه مع الايجاز كقوله ايا من رمى قلبى بسهم فانفذ الا كقول ابى تمام لا تسقنى ماء الملام فاننى صب قد استعذبت ماء بكائى فان قوله ماء الملام ليس فيه لذاذة ولو قاله بالحقيقة فقال لا تلمنى لكان اوجز وقد تكون الاستعارة عامية كقولك رايت اسدا او وردت بحرا وقد تكون خاصية كقوله وسالت باعناق المطى الاباطح شبه سيرها الحثيث وغاية سرعته فى لين وسلاسة بسيل وقع فى الاباطح فجرت **الركن الثانى** فى اقسام الاستعارة وفيه ابحاث **البحث الاول** الاستعارة قد تعتمد نفس التشبيه كما اذا اشترك شيئان فى وصف وهو فى احدهما ازيد فيعطى الناقص اسم الزائد كقولك رايت اسدا وتريد رجلا شجاعا وعنت لنا ظبية وتريد امراة وقد تعتمد لوازم التشبيه وهو اذا كانت جهة الاشتراك انما يثبت كمالها فى المستعار منه بواسطة امر آخر فيثبت ذلك الامر للمستعار له مبالغة فى اثبات المشترك كقوله اذ اصبحت بيد الشمال زمامها فالشمال فى تصريفها الغداة على حكم طبيعتها كالحيوان المتصرف الا ان تصرف الحيوان لما كان فى اكثر الاحوال باليد كانت اليد كالالة التى يكمل بها التصريف ولما كان الغرض ههنا اثبات التصرف وهو لا يكمل الا بثبوت اليد لاجرم اثبت للريح يدا تحقيقا للغرض وكذلك قوله اذا ما زه فى عظم قرن تهللت نواجذ افواه المنايا الضواحك لما شبه المنايا عند هز السيف بالمسرور وكمال الفرح انما يظهر بالضحك الذى يتهلل فيه النواجذ اثبت الضحك مع تهلل النواجذ تحقيقا للوصف المقصود **البحث الثالث** واعلم ان القسم الاول على اربعة اقسام احدها ان يستعار لفظ المحسوس للمحسوس وجهة الاشتراك بينهما اما فى الذوات دون الصفات او بالعكس فالاول كحقيقة تفاوت افرادها فى الفضيلة والنقص والقوة والضعف فيستعار لفظ الاكمل فى ذلك النوع للانقص كاستعارة الطيران للعدو بسرعة فيقال للعدو والترجيح طيران اذ الطيران والعدو يشتركان فى الحقيقة وهى الحركة المكانية ويختلفان فى القوة والضعف والثانى كقولهم رايت شمسا وتريد انسانا يتهلل وجهه فهما الا فى انه مخالف للشمس فى الحقيقة مشارك لها فى الوصف وكقول على عليه السلام فى ذكر النبى صلى الله عليه وآله اختاره من شجرة الانبياء فان الشجرة واصل

تختلفان بالحقيقة لكنهما يشتركان فى ان كل واحد منهما اصل يتفرع عليه فروع وثانيها استعارة لفظ المعقول للمعقول وهو ايضا انما يكون فى امرين يشتركان فى وصف احدهما به اولى وهو فيه اكمل فينزل الناقص منزلة الكامل ثم ان المشتركين قد يكونان متقابلين اما تقابل النقيضين وهو كاستعارة المعدوم للموجود عند ما لا يكون فى ذلك الموجود فائدة فيشارك المعدوم فى عدم الفائدة فيستعار لفظه له او كاستعارة الموجود للمعدوم عند ما يكون للمعدوم آثار باقية يشارك بها الموجود الا ان الموجود بمثلها اولى فيستعار لفظه له واما تقابل الضدين حقيقة كان او ظاهرا وهو كتشبيه الجاهل بالميت لان الموت والحيوة للجاهل اشتركا فى عدم الفائدة المطلوبة منه وهى الادراك والعقل الا ان الموت بها اولى فيستعار لفظه لها ومنه قول على عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقد لا يكونان متقابلين وهو كما يشترك موجودان فى وصف معقول الا ان احدهما اولى به فينزل الناقص منزلة الزائد كقولهم فلان لقى الموت اذا لقى شيئا من الشدائد لاشتراك الموت والشدائد فى المكروهية لكن الموت اولى بها فتنزل الشدائد منزلة الموت فيستعار لفظ الموت لها وثالثها استعارة لفظ المحسوس للمعقول وهو كاستعارة لفظ النور المحسوس للحجة الواضحة واستعارة لفظ القسطاس المحسوس للعدل ومنه قول على عليه السلام فى مدح القرآن وانه حبل الله المتين وفيه ربيع القلب وينابيع العلم فاستعار لفظ الحبل والربيع والينابيع لمعانى القرآن ورابعها استعارة لفظ المعقول للمحسوس وهو ان يجعل المعقول اصلا فى التشبيه ويبالغ فى تشبيه المحسوس به كقوله فنظرها اشفى من سقام ومجرها حيوة من حمام فان الموضع المنظور اليه منها لما شارك الشفاء فى الالتذاذ الحاصل عنهما وكان الشفاء اولى بذلك بالغ فى تشبيه المنظر به فاعاره اسمه وكذلك المجر وهو محل الاخبار وهو اما اقوالها او افعالها المحبوبة او شئ آخر لما شارك الحيوة فى الالتذاذ الحاصل عنهما وكانت الحيوة اولى به من المجر بالغ فى تشبيه المجر بها فاعار له لفظها **الفصل الخامس** فى الكناية وفيه بحثان **البحث الاول** فى حقيقتها اما حقيقتها فاعلم ان اللفظة اذا اطلقت واريد بها غير معناها فاما ان يراد بها مع ذلك معناها او لا يراد والاول هو الكناية كقولك فلان طويل النجاد كثير رماد القدر فقولنا طويل ليس الغرض الاصلى به معناه بل ما يلزمه من طول القامة وكذلك الثانى الاخر فان المقصود منه ما يلزمه من اطعام الخلق والتكرم عليهم فهذه هى الكناية فى المفرد واما فى المركب فهى ان يحاول اثبات معنى من المعانى لشئ فيترك التصريح باثباته له ويثبته لمتعلقه كقوله ان المروة والسماحة والندى فى قبة ضربت على ابن الحشرج لما اراد اثبات هذه المعانى للممدوح لم يصرح بها بل عدل الى ما ترى من الكناية فجعلها فى قبة ضربت عليه ومنه قولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه ومثاله فى جانب النفى قول من يصف امراة بالعفة يبيت بمنجاة من اللوم بيتها اذا ما بيوت بالملامة حلت فتوصل الى نفى اللوم عنها بان نفاه عن بيتها **البحث الثانى** فى الفرق بينها وبين المجاز الفرق بينهما ان الكناية عبارة عن ان يذكر لفظة ويفيد بمعناها معنى ثانيا هو المقصود واذا افرت المقصود بمعنى اللفظ وجب ان يكون معناه معتبرا فلم يكن

قد نقلت اللفظة عن موضوعها فليست مجازا مثاله انك اذا قلت فلان كثير الرماد فانت تريد ان تجعل كثرة الرماد دليلا على جوده فقد استعملت هذه الالفاظ فى معانيها الاصلية وقصدت بكونه كثير الرماد معنى ثانيا يلزم الاول وهو الجواد بخلاف المجاز فانك تنقل اللفظة عن معناها الاصلى وبالله التوفيق **الجملة الثانية** فى النظم وفيه فصول **الفصل الاول** فى حقيقته انه وضع الكلام على النهج الذى يقتضيه علم النحو والعمل بقوانينه واصوله بيانه انك تنظر فى وجوه كل باب وفروقه فتنظر فى الخبر مثلا الى الفرق بين ما اذا كان المخبر عن المبتدا اسما مشتقا او صريحا او فعلا ماضيا او مستقبلا وبين ادخال الالف واللام عليه او عدمها والفصل بالضمير وعدمه وفى الشرط والجزاء الى الوجوه التى تختلف بحسب اختلاف كون الجملتين فعليتين او احديهما فعلية والاخرى اسمية وان كانا فعليتين فتنظر الفرق بين ما اذا كان الفعلان ماضيين او مستقبلين او احدهما ماضيا والاخر مستقبلا وفى الحال اذا كان اسما او فعلا وفى الحروف المشتركة فى معنى اين يكون وضعها اليق كان يجئ بما فى نفى الحال او الماضى وبلا فى نفى الاستقبال وبان فيما يتردد بينهما وباذا فيما علم انه كائن وان يعرف مواضع الفصل والوصل ومواضع التعريف والتنكير والتقديم والتاخير والحذف والتكرار والاضمار والاظهار فتضع كل شئ مكانه واعلم انه ليس اذا حسن التنكير مثلا او التعريف او احد هذه الامور فى موضع حسن فى كل موضع بل انما يحسن بحسب الوضع الذى يقصده وحاصل هذا التقرير ان النظم انما يحصل فى كلمات يضم بعضها الى البعض وذلك النظم يعتبر فيه احوال المفردات واحوال انضمام بعضها الى بعض فاما احوال المفردات فاما ان يعتبر حال دلالة الالفاظ او حال دلالة احوالها او حركاتها وسكناتها فهذه هى اقسام الاعتبار والنظم الكامل انما يحصل اذا اختير من هذه الامور الثلثة فى كل موضع ما هو لائق به **الفصل الثانى** فى اقسام النظم ان الجمل الكثيرة اذا نظمت نظما واحدا فاما ان يتعلق بعضها بالبعض وليس فالكلام الثانى لم يحتج ذلك النظم الى فكر فى استخراجه مثاله قول على عليه السلام لا مال اعود من العقل ولا وحدة اوحش من العجب ولا عقل كالتدبير ولا كرم كالتقوى وان كان الثانى فكلما كانت اجزاء الكلام اشد ارتباطا كان ادخل فى الفصاحة وليس له قانون يحفظ لمجيئه على وجوه شتى فلنذكر بعض ما يعتبر فيها وهو عشرون وجها **الوجه الاول** المطابقة وهى الجمع بين المتضادين فى الكلام مع مراعاة التقابل حتى لا يضم الاسم الى الفعل كقوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقوله سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار وقوله تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء **الوجه الثانى** المقابلة وهى ان يجمع بين شيئين متوافقين وبين ضديهما ثم اذا شرطتهما بشرط وجب ان تشرط ضديهما بضد ذلك الشرط كقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى فلما جعل التيسير مشتركا بين الاعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده وهو التعسير مشتركا بين اضداد تلك الامور وهى المنع والاستغناء والتكذيب **الثالث** المزاوجة بين معنيين فى الشرط والجزاء كقول

البحترى اذا ما نهى الناهى فلج بى الهوى اصاخت الى الواشى فلج بها الهجر **الرابع** الاعتراض وهو ان يدرج فى الكلام ما يتم الغرض دونه كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم وقول على عليه السلام اما بعد فان الله تعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم **الخامس** الالتفات وهو العدول عن مساق الكلام الى مساق آخر غير مناف للاول فى المعنى بل يتمم ليحلى جهة الميل او غيره كالعدول عن الغيبة الى الخطاب كقوله تعالى مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين او بالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقول على عليه السلام وبما انجزهم من الزاد وقدمتم لم تنفعه الواعية **السادس** الاقتباس وهو ان تدرج كلمة من القرآن او آية منه فى الكلام تزيينا لنظامه كقول ابن نباتة فى وعظه اصبروا عن المحرمات وصابروا على المفترضات ورابطوا بالمراقبات واتقوا الله فى الخلوات يرفع لكم الدرجات **السابع** التمليح وهو ان يشار فى فحوى الكلام الى مثل سائر او شعر نادر كقول على عليه السلام فى خطبته الشقشقية شتان ما يومى على كورها ويوم حيان اخى جابر **الثامن** ارسال المثلين وهو الجمع بين المثلين كقوله الا كل شئ ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل **التاسع** اللف والنشر وهو ان تلف شيئين وتورد تفسيرهما جملة ثقة بان السامع يرد الى كل منهما ما له كقوله تعالى وهو الذى جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ويقرب منه ان تذكر لفظا يفتقر الى البيان فتقصده مع تفسيره كقوله تعالى يوم يات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد فاما الذين شقوا ففى النار الاية واما الذين سعدوا ففى الجنة الاية **العاشر** التعديد وهو ايقاع الاعداد من الاسماء المفردة فى النظم والنثر على سياق واحد فان روعى فيه ازدواج او تجنيس او مطابقة او مقابلة حسن جدا مثاله من النثر قولهم فلان اليه الحل والعقد والقبول والرد والامر والنهى والاثبات والنفى ومن النظم قول المتنبى الخيل والليل والبيداء تعرفنى والطعن والضرب والقرطاس والقلم **الحادى عشر** تنسيق الصفات كقوله تعالى هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام الاية وقوله يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية وقوله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين الاية والتنسيق فى اوايل الخطب كثير **الثانى عشر** الايهام وهو ان يكون للفظ ظاهر وتاويل فيسبق الى فهم السامع الظاهر مع ان المراد هو التاويل كقوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه **الثالث عشر** مراعاة النظير وهو جمع الامور المتناسبة المتوازنة كقول على عليه السلام الحمد لله غير مقنوط من رحمته ولا مخلو من نعمته ولا مايوس من مغفرته **الرابع عشر** المدح الموجه وهو ان يمدح بشئ يقتضى المدح بشئ آخر كقول المتنبى نهبت من الاعمار ما لو حويته لهنئت الدنيا بانك خالد فانه مدح بالشجاعة ولكنه مدح بعلو الدرجة **الخامس عشر** المحتمل للضدين وهو ان يكون الكلام محتملا للمدح والذم على السواء كمن قال لرجل اعور ليت عينيه سواء **السادس عشر** تجاهل العارف كقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين وكقول المتنبى اريقك ام ماء الغمامة ام خمر **الثامن عشر** السؤال والجواب كقوله تعالى

قال فرعون وما رب العالمين قال ربكم ورب آبائكم الاولين **الثامن عشر** الحذف وهو ان يتكلف حذف
حرف من حروف المعجم كما حذف علي عليه السلام الالف في خطبته المسماة بالموصلة **التاسع عشر** التعجب كقوله
فيا عجل المضمرين من التوبيخ في محفل القيمة ويا حسرة الظالمين اذا عاينوا اهل السلامة **العشرون** الاغراق
في الصفة كقول امرئ القيس من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا وقول
المتنبي كفى بجسمي نحولا انني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني **الحادي والعشرون** في حسن التعليل وهو ان يذكر
وصفان احدهما علة للآخر والغرض ذكرهما جميعا كقول علي عليه السلام في ذم الدنيا هانت على ربها فخلط
حلالها بحرامها وخيرها بشرها وكقوله فان غادرت المعذلات في صحن وجنتي فلا غرو منه لم يزل كان غاديا
واعلم ان وجوه النظم كثيرة ولما كان كثير منها قلما يوجد في كلام المطبوعين من المتقدمين وانما هي صناعات
يتكلفها المحدثون لاجرم ذكرنا ما كان غالبا في القرآن الكريم والكلمات النبوية وكلام علي عليه السلام و
المطبوعين على الكلام من سائر الفصحاء وما احدثه المتأخرون وان كان لا ينخرط في سلك الاولين لا انه يدل
على ذكاء مبدعه وفطنة مخترعه وبالله التوفيق **الفصل الثالث** في التقديم والتأخير وفيه ابحاث **البحث الاول**
في فائدتهما اذا قدم اللفظ على غيره فاما ان يكون في النية مؤخرا كالخبر المبتدأ اذا قدم عليه او المفعول
اذا قدم على الفاعل واما ان لا يكون على نية التأخير ولكن على ان ينقل الشيء من حكم الى حكم كمثال لم
تذكر اسمين كل واحد منهما يصلح ان يكون مبتدأ والآخر خبرا فيقدم هذا تارة وذاك اخرى كقولك زيد
المنطلق وعكسه قال سيبويه عندما يذكر الفاعل والمفعول كانهم يقدمون الذي بيانه اهم وهم ببيانه
اعنى وان كانا معا يهمانهم مثاله اذا ارادوا الاخبار عن قتل شخص خارجي لا من حيث هو شخص معين قالوا
قتل الخارجي زيد واذا صدر عن بعض الفضلاء فيجيء وارادوا الاخبار عن ذلك قدموا اسمه على فعله لان
ذكره اولا ثم نسبة الفعل اليه اوقع في النفوس من العكس فكان عند الحزام ولذلك كان يهمهم تقديمه وبيانه
ثم في الاستفهام والخبر والنفي **البحث الثاني** في التقديم والتأخير في الاستفهام المذكور عقيبه حرف لا
اما الفعل والاسم فان كان الاول كان هو المشكوك في وجوده والمسؤول عن معرفته مثاله قولك ابني
زيد داره فان السؤال واقع عن وجود البناء والشك في وجوده وان كان الثاني فالسؤال واقع عن تعيين
الفاعل كقولك أأنت بنيت هذه الدار ثم الاستفهام قد يجيء للانكار تارة وللتقرير اخرى والحال فيهما
ما ذكرناه اما الانكار فكقوله تعالى أفأصفاكم ربكم بالبنين أصطفى البنات على البنين والانكار ههنا
للفعل فاذا قدم الاسم كان الانكار للفاعل كقولك لمن انتحل شعرا أأنت قلت هذا الشعر واما التقرير
فكقوله تعالى أخرقتها لتغرق اهلها أقتلت نفسا زكية بغير نفس فان المقصود تقرير الخرق والقتل عليه
تمهيدا لتوجه اللوم اليه فاما تقديم الاسم فكقولك أأنت الذي قتلت زيدا فانه سؤال على سبيل التقرير
لتعيينه للقتل واعلم ان حال المفعول فيما ذكرنا كحال الفاعل فاذا قدمت المفعول توجه الانكار الى كونه

بمثابة ان يوقع به مثل هذا الفعل ولذلك قدم في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا وقوله اغير الله تدعون وقوله
أبشرا منا واحدا نتبعه **البحث الثالث** في التقديم والتأخير في حرف النفي اذا ادخلته على الفعل كقولك ما ضربت
زيدا كنت قد نفيت فعلا لم يثبت انه مفعول لان نفيك لضرب زيد عن نفسك لا يقتضي وقوع الضرب به ولا نفيه
عنه لان نفي الخاص لا يدل على نفي العام ولا على ثبوته واذا ادخلته على الاسم كقولك ما انا ضربت زيدا فهم من
ذلك انه وقع به الضرب وكان القصد نفي كونك انت الضارب والشاهد بهذه الفروق هو الذوق السليم **البحث**
الرابع في التقديم والتأخير في الخبر المثبت والمنفي هو كالتقديم والتأخير في الاستفهام فانك اذا قدمت الاسم
فقلت زيد قد فعل اقتضى ان يكون القصد الى الفاعل اما لتخصيص الفعل به كقولك انا كتبت في معنى هذا الامر
اي انك اختصصت بذلك دون غيرك واما لاجل ان تقديم ذكر المحدث عنه آكد لاثبات ذلك الفعل له كقولهم
فلان يعطي الجزيل فلا يقصد الحصر بل ان يحقق عند السامع ان اعطاء الجزيل دابه وبيان ذلك انك لما ذكرت
الاسم المحدث عنه والاسم لا يعرى عن العوامل الا لحديث قد نوى اسناده اليه فاذا قلت عبد الله فقد اشعرت
بانك تريد الحديث عنه فيحصل شوق الى معرفة ذلك فاذا اوردته ذلك قبله الذهن قبول العاشق لمعشوقه فيكون
ذلك ابلغ في التحقيق ونفي الشبهة وان قدمت الفعل اقتضى ان يكون القصد الى ذكر الفعل كقوله تعالى وقضى
ربك الا تعبدوا الا اياه فان القصد ههنا الى ذكر القضاء ونسبته الى الله تعالى ويقرب من ذلك حكم المنفي كقولك
انت لا تحسن هذا الفعل ولا تحسن انت هذا الفعل **البحث الخامس** في تقديم حرف السلب على العموم و
تأخيره عنه اما الاول فاذا قدمت حرف السلب على صيغة العموم فقلت ما افعل كل كذا كان سلبا للعموم وذلك
لا ينافيه الاثبات الخاص حتى لو قلت وافعل بعضه لم يكن تناقضا اما اذا قدمت صيغة العموم على السلب
فقلت كل كذا ما افعله فهم منه عموم السلب وح ينافيه قولك وافعل بعضه في العرف وعلى هذا يظهر الفرق
بين الرفع والنصب في قول ابي النجم قد جعلت ام الخيار تدعي على ذنبا كله لم اصنع فان نصب كل يقتضي سلب العموم
دون عموم السلب **البحث السادس** في استيفاء اقسام التقديم والتأخير واعلم انه قد يختلف حال الكلام
في التقديم والتأخير اختلافا كثيرا وقد يدق الفرق بين تقديم الكلمة وتأخيرها كقوله تعالى وجعلوا لله شركاء
الجن فتقديم شركاء يفهم انه ما كان ينبغي ان يكون له شريك لا من الجن ولا من غيرهم والذم انما توجه اليهم
لاثباتهم شركاء اما لو قدم الجن لم يفهم الا انهم عبدوا الجن واما انكار معبود ثان فغير مفهوم منه ويكون
الذم انما توجه عليهم لعبادة الجن دون غيرهم فينبغي ان تلمح الفروق في تقديم بعض الكلام على بعض وتأخيره
ولنذكر مواضع حسن التقديم والتأخير اما التقديم ففي مواضع عشرة **ا** ان تكون الحاجة الى ذكره اتم والعلم به
اهم كقوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن فان تقديم الشركاء اولى لاجل ان المقصود التوبيخ على جعل مطلق الشريك
بخلاف ما لو اخر **ب** ان يكون التأخير اليق باتصال الكلام كقوله تعالى وتغشى وجوههم النار فهذا اليق بما
بعده وبما قبله من تأخير المفعول **ج** ان يكون الاول اعرف من الثاني كتقديم المبتدأ على الخبر والموصوف

على الصفة فينبغي ان تبتدئ في قولك زيد قائم بزيد لتوصل النفس بذكر ما يعرفها الى الاخبار عنه بما لا يعرف فتقع
الفائدة حينئذ على حدها وفي مرتبتها قال الامام ولا ينتقض هذا بتقديم الفعل لان الفعل لفظ دال على ثبوت
معنى لموضوع غير معين في زمان معين من الثلثة والاسناد كالجزء الذاتي لمفهوم الفعل والاسناد امر اضافي و
العقل اذا حصل له الشعور بالاضافة فلو توقف هناك ولم ينتقل الى ما اليه الاسناد كانت الاضافة مستقلة
بالمفهومية وهو محال وان انتقل الى ما اسند اليه الفعل فذلك الشيء هو الفاعل فاذن من ضرورة الاسناد فهم
ما اليه واذا وجب هذا الترتيب الذهني وجب ايضا في الالفاظ المطابقة لما في الذهن لما في الخارج واقول وقد يبقى
ان الفعل اذا قدم في الاخبار كان لاجل ان ذكره اهم لان المقصود من ذكر الجملة الفعلية لا ذات الفاعل بل
ذكر الحدث المخصوص في الزمان المعين ونسبته الى الفاعل واذا كان كذلك جاز ان يقال ان تقديم الاعرف
يكون واجبا اذا كانت الكلمتان متساويتين في الاهتمام بذكرهما واما اذا كان ذكر احدهما اهم كان تقديمه اولى
د تقديم الحروف التي لها صدر الكلام كحروف الاستفهام والنفي والنهي قال الامام تحقيقه ان الاستفهام طلب فهم
الشيء وهو حالة اضافية اذا ادركها العقل انتقل منها الى معروضها واذا وجب ان ينتقل منها الى معروضها وجب
ان يكون في اللفظ كذلك فيقدم ما يدل على الاضافة ويلحق بما يدل على معروضها واقول ويمكن ايضا ان يكون تقديم
هذه الحروف من باب ما كان اهم وذلك ان الاستفهام والنهي والنفي معان معقولة وهي المطلوبة من الجمل التي
عليها بالذات فكانت اهم فكانت اولى بتقديم الذكر وكذلك الادوات الدالة على احوال النسب بين اجزاء الكلام
كان واخواتها وعسى وليتها ونعم وبئس فانها تقدم لان معانيها هي المقصودة بالقصد الاول من الجمل الداخلة
عليها **ه** تقديم الكلي على جزئياته لان الكلي اعرف عند العقل وتقديم الاعرف اولى **و** تقديم الدليل على المدلول
ز تقديم الناقص على تمامه كتقديم الموصول على الصلة والمضاف على المضاف اليه لان تمام الشيء لا يتقدم عليه
ح تقديم الاسماء المتبوعة على توابعها لان التابع لا يتقدم متبوعه **ط** تقديم المظهر على ضميره لان الحاجة الى
الضمير انما هو لاختصار من الامور بدون الضمير وذلك متأخر عن تحقق ذي الضمير في العقل فيجب كذلك في الوضع
كقولك ضرب زيد غلامه وقضى زيد حاجته **ى** تقديم الفاعل على المفعولات وما في حكمها لانها امور تلحق الفعل
بالنسبة الى فعله فكانت متأخرة عنه واذا علمت ما يجب تقديمه علمت من ذلك ما يجب تأخيره **الفصل الرابع**
في الفصل والوصل حاصل معرفة الفصل والوصل يعود الى معرفة مواضع العطف والاستيناف والتهدي الى كيفية
ايقاع حروف العطف مواقعها وهو باب عظيم عند البلغاء ولذلك حصر بعضهم حد البلاغة فقال اذا سئل عن معناها
انها معرفة الفصل والوصل وما ذاك الا لغموضه وكون معرفته مؤدية للمعاني كلها وذلك هو المقصود من علم
البلاغة ولنحقق الكلام فيه في بحثين **البحث الاول** فائدة العطف التشريك في الحكم بين المعطوف والمعطوف
عليه ثم ان ادواته منها ما لا يفيد الا هذا القدر كالواو ومنها ما يدل على زيادة عليه كالفاء وثم فانهما تدلان على
التعقيب وان كانت ثم تختص بالتراخي ومثل او فانها تدل على الترديد فلنبحث عن مطلق الاشتراك فنقول

العطف اما ان يكون في المفردات وهو يقتضي التشريك في الاعراب واما في الجمل وحينئذ فالجملة ان كانت
في قوة المفرد كقولك مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح كانت الشركة في الاعراب ايضا حاصلة لكون الجملتين
وصفين للنكرة وان لم يكن فاما ان يكون احدى الجملتين متعلقة لذاتها بالاخرى او لا يكون فان لم يكن
فاما ان يكون بينهما مناسبة او لا يكون فهذه اقسام ثلثة اما **الاول** فان تكون احدى الجملتين تأكيدا للاخرى
كقوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فقوله لا ريب تأكيد للاول ولا يجوز ادخال العاطف عليه لان التأكيد
يتعلق بالمؤكد لذاته فيستغني عن لفظ يدل على التعلق **الثاني** ان لا يكون بينهما مناسبة اصلا وههنا ايضا يجب ترك
العاطف لان العطف يستلزم المناسبة فيلزم من عطفهما عدمها **الثالث** ان يصدق المناسبة بينهما التباين مع عدم التعلق
الذاتي فههنا يجب ذكر العاطف ثم اما ان يكون المخبر عنه في الجملتين شيئين او شيئا واحدا اما الاول فالمناسبة
اما بين الخبر بهما فقط او بين المخبر عنهما فقط او بينهما معا والاول والثاني يختل معهما النظم لانك اذا قلت زيد
طويل والخليفة قصير مع عدم تعلق حديث زيد بحديث الخليفة اختل وكذلك لو قلت زيد طويل وعمرو شاعر اختل
ايضا لعدم المناسبة بين طول القامة والشعر فتعين ان الواجب حصول المناسبتين واما ان كان المخبر عنهما
شيئا واحدا كقولك فلان يضر وينفع ويأمر وينهى ونحو ذلك تعين دخول العاطف لانك اذا قلت هو يضر وينفع
فاذا العاطف انه هو الجامع لهما بخلاف ما لو حذفته **البحث الثاني** في عطف الجمل على الجمل انه كما يجوز ان يعطف
جملة على جملة كذلك يجوز ان يعطف مجموع جمل على مجموع جمل اخرى وبيان ذلك ظاهر في صورة الشرط والجزاء فانه قد يجعل
مجموع جملتين شرطا ومجموع اخرى جزاء كقوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع
غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم واذا ظهر ذلك في الشرط والجزاء ظهر مثله في العطف كقوله تعالى
وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم
العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين الآية فقوله وما كنت ثاويا عطف على قوله وما كنت من الشاهدين
مع ما يتعلق بها اذ لو عطفناها على ما يليها لدخلت في حكم لكن فصار التقدير لكنك ما كنت ثاويا وهو باطل
ولو عطفناها على وما كنت من الشاهدين دون ولكنا انشأنا لكان في ذلك ازالة لكن عن موضعها وهو غير
جائز **الفصل الخامس** في الحذف والاضمار وفيه بحثان **البحث الاول** في حذف المفعول والمبتدأ والخبر اما الاول
فلان الفعل المتعدي قد يكون المقصود من ذكره مجرد نسبته الى الفاعل وح يكون حاله كحال غير المتعدي في
عدم الحاجة الى المفعول والتعرض له كقولك فلان يحل ويعقد ويأمر وينهى ويضر وينفع وقوله تعالى هل
يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقد يلاحظ مع ذلك في ذكره النسبة الى المفعول الا ان المفعول يحذف
لاحد غرضين احدهما ان يكون المقصود ذكره لكن يحذف لايهام التعظيم والتفخيم كقول البحتري شجو حساده
وغيظ عداه ان يرى مبصر ويسمع واع فان المرئي والمسموع ههنا لا بد وان يكون شيئا معينا فحذفه واوهم
بذلك ان كل ما يرى منه ويسمع عظيم وانه فضيلة شجو حساده وغيظ عداه ومن ههنا تحصل البلاغة ولو اورد

ذلك المفعول المعين لما حصل ذلك التعظيم الوهمي لتخصيص الذهن المتعظيم بالمفعول المذكور دون ما عداه
وقد يكون ذكر المفعول اولى وابلغ وذلك اذا كان امرا عظيما بديعا كقوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته
لما كان بكاء الدم امرا عجيبا كان ذكره اولى الثاني ان يحذف للعلم به كقول علي عليه السلام ان اشنق لها خرم
اى انفها وان اسلس لها اي قيادها تقحم اى المهالك الثالث ان يصير على شريطة التفسير كقوله اكرمني واكرمت
عبد الله واما المبتدأ والخبر فقد ورد حذف كل واحد منهما تارة اما المبتدأ فكقوله تعالى سورة انزلناها
واما الخبر فقوله تعالى طاعة وقول معروف وامثاله كثير وقد حكم بحسن ذلك البلغاء قال عبد القاهر رحمه
ما من اسم حذف في الحال التي ينبغي ان يحذف فيها الا وحذفه احسن من ذكره وحسنها في المواضع التي بينهم عنها
البلاغة البحث الثاني في الايجاز وحده التعبير عن الغرض باقل ما يمكن من الحروف من غير اخلال مثاله
قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وقد كان المثل يضرب بقولهم القتل انفى للقتل الا انا وردت هذه الآية
والترجيح للآية ظاهر من وجهين احدهما انها اوجز فان حروفها عشرة وحروف المثل اربعة عشر الثاني ان القتل
قصاصا لا ينفي القتل ظلما من حيث انه قتل بل من حيث انه قصاص وهذه الجهة غير معتبرة في كلامهم ولها وجوه
اخر لا نطول بذكرها ومن ذلك قول علي عليه السلام قيمة كل امرء ما يحسنه وقولنا المرء عدو ما جهله وقوله
الجزع اتعب من الصبر وقوله تعففوا تحمدوا الفصل الثالث في احكام ان واخواتها وما في حكمها وفيه ابحاث
البحث الاول في فوائد ان وهي اربع الاولى انها قد تربط احدى الجملتين بالاخرى فيحصل النظم كقوله تعالى يا ايها
الناس ان وعد الله حق وقوله تعالى اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم وقول علي عليه السلام ايها الناس
انه لا يستغني الرجل وان كان ذا مال عن عشيرته وقوله عليه السلام ان من احب عباد الله اليه عبدا اعانه الله على
نفسه فلو اسقطت ان في هذه المواضع لزالت المناسبة التي كانت بين الجملتين معها واعلم انك متى اسقطت ان
من الجملة الثانية فان كانت انما ذكرت لتعليل الحكم في الجملة الاولى فلا بد ان يعوض عنها الفاء كقوله
زلزلة الساعة شيء عظيم الفائدة الثانية انك تجد لدخولها على ضمير الشان المعقب بالجملة الشرطية وغيرها
من الحسن والتأثير ما لا تجده عند عدمها كقوله تعالى انه من يتق ويصبر وقول علي عليه السلام ايها الناس انه
لا يستغني الرجل كما ذكرناه الفائدة الثالثة انها تهيئ النكرة لان يحدث عنها كقوله عليه السلام ان من
احب عباد الله الى الله عبدا كما مر ولو اسقطتها لسقطت بحسن البلاغة وقد يسقط المعنى اصلا كما لو اسقطتها
من قول الشاعر ان شواء ونشوة وخبب البازل الامون الفائدة الرابعة اذا دخلت على الجملة فقد تغني
عن الخبر كقولك ان مالا وان ولدا على تقدير ان لهم مالا وكقول الاعشى ان محلا وان مرتحلا وان في
السفر اذ مضوا مهلا والحق انها للتأكيد البتة واذا كان الخبر امرا ليس للمخاطب ظن او وهم في خلافه فلا
حاجة الى ان هناك ولذلك يزداد حسنا اذا كان الخبر امرا يبعد مثله وقد يجمع مع اللام للتأكيد في خبرها
اذا كانت في جواب المنكر لشدة الحاجة هناك الى التأكيد البحث الثاني في فائدة انما اتفق جمهور النحاة

على انها

على انها للحصر وهو المفهوم منها مثاله قول علي عليه السلام وانما سميت الشبهة شبهة لانها تشبه الحق وكقوله عليه السلام
انا لم نحكم الرجال وانما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان و
انما ينطق عنه الرجال ومراده بالحصر في هذه الصور ظاهر وقال بعضهم انها ليست للحصر محتجا بقوله تعالى انما
المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وبقوله انما المؤمنون اخوة مع ان الاجماع على ان من لم يوجل من ذكر
الله قد يكون مؤمنا وان الاخوة غير منحصرة في المؤمنين والجواب ان منشأ الشك هو الغفلة عن ضابط الحصر وضابطه
ان الجزء الاخير من الكلام الوارد عقيب انما هو المخصوص بحصر الحكم فيه سواء كان هو الموضوع كقولك انما قام
زيد فان المقصود حصر القيام في زيد او كان هو المحمول كقوله تعالى انما انا بشر مثلكم فان المقصود حصر النبي
في البشرية ونفي كونه غير بشر واذا تبين ذلك ظهر انها في الصورتين المذكورتين تفيد الحصر اما في الاولى
فلانه يجوز ان يكون المقصود من الايمان هناك اقوى مراتبه وهو الاخلاص وح يتبين ان المؤمنين منحصرون
في الوجلين من ذكر الله واما في الثانية فلان المؤمنين منحصرون في صفة الاخوة في الدين كما هو المقصود من
الاخوة ههنا واعلم انه قد يستعمل في مفهومها عبارتان اخريان احدهما قولك جائني زيد لا عمرو وهو اضعف
منها لانها انما تفيد حصر المجيء في زيد بالنسبة الى من اخرجه حرف النفي الثاني ما جائني الا زيد ومفهومها مفهوم
انما في الحصر والتخصيص كقوله تعالى ما قلت لهم الا ما امرتني به وفرق الامام بينهما فقال ان دلالة انما على
نفي غير المذكور بالالتزام ودلالة ما والا على نفي الغير بالمطابقة فكانت اقوى في ذلك من دلالة انما و
لذلك يصح ان يقال انما زيد قائم لا قاعد ولا يصح ان يقال ما زيد الا قائم لا قاعد واقول ان صح ما ادعاه
من عدم الصحة في الصورة الثانية كان للمانع ان يمنع تعليل ذلك المنع بكون ما والا دالة على نفي الغير بالمطابقة
لو يصرف ذلك القبح الى قرب لا المقتضية لنفي الغير الى الا المقتضية للحصر وبعدها عن انما فكان
التأكيد عقيب انما حسنا لطول الزمان بينهما على انا لا نسلم عدم الصحة ههنا بل قد يورد للتأكيد وان كان
عقيب انما احسن وقد يقام غير مقام الا فيفيد الحصر وقد لا يكون كذلك كقولك ما جائني غير زيد تريد
نفي مجيء الغير فقط دون اثبات زيد البحث الثالث ان ما والا اذا دخلت على الجملة كان المقصود بالحصر
هو ما يلي الا بعدها سواء كان مرفوعا كقولك ما ضرب زيدا الا عمرو او منصوبا كقولك ما ضرب زيد
الا عمروا وهكذا ان كان المنصوب حالا او ظرفا فان تأخر مثلا الفاعل والمفعول معا عن الا فالمقصود
هو ما يليها ايضا كقولك ما ضرب الا زيد عمروا وكذا لو قدمت المفعول على الفاعل فهو المقصود وهكذا
حكم المفعولين كقولك لم اكس الا زيدا جبة فالذي يلي الا هو المقصود بالتخصيص وهكذا المبتدأ والخبر
ايهما اخر عن الا فهو المراد بالتخصيص كقولك ما زيد الا قائم فالمراد تخصيص هيئة القيام دون سائر
الاحوال او ما القائم الا زيد فهو تخصيص لزيد دون غيره واما تحقيق ذلك في انما فانما في الفاعل و
المفعول فايهما اخر عن صاحبه فهو المقصود ايضا كقولك انما ضرب عمرا زيد فالمقصود تخصيص زيد

ومنه قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ولو قدم العلماء لكان المقصود تخصيص خشية الله وكذا الحال
في المبتدأ ان تركته على حاله فالاختصاص للخبر كقوله تعالى انما السبيل على الذين يستأذنونك وان اخرته عن
الخبر صار التخصيص له كقوله تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب فان التخصيص في الاول للخبر وفي الثاني
للمبتدأ هذا بحسب المتبادر الى المفهوم من ذوق العربية وبالله التوفيق القاعدة الثانية في الخطابة وفيه
ابحاث وخاتمة البحث الاول في حقيقة الخطابة وفائدتها الخطابة صناعة يتكلف فيها الاقناع الممكن
للجمهور فيما يراد ان يصدقوا به وقولنا يتكلف فيها الاقناع اردنا انه يتعاطى فيها هذا الفعل المخصوص بالغ
قصد ليتم والاقناع الممكن هو الفعل الذي يتكلف واردنا به ما يمكن من الاقناع والخطابة في الاقناع
انجح من غيرها وفائدتها في تقرير المصالح الجزئية وقد يفيد ايضا تقرير القوانين الكلية لتلك المصالح كالعقائد
الالهية والقوانين العملية وهي عظيمة النفع جدا لان الاحكام الصادقة مما هو عدل وحسن اتم نفعا
واعود على الناس فائدة واعم جدوى من اضدادها لان نوع الانسان انما هو مستبقى بالتشارك والتشارك
محوج الى التعامل والتحاور وهما محوجان الى احكام صادقة في الامور العملية ليثق كل بصاحبه وينتظم شمل
المصلحة بينهم وباضداد الاحكام الصادقة تتشتت فيحتاج ان يكون هذه الاحكام مقررة في النفوس متمكنة
من العقائد والخطابة هي المتكفلة بحمل الجمهور على التصديق بها فان البرهان والجدل وان قصد بهما
التصديق الا ان الجمهور قاصرون عن درجة البرهان والجدل وان كان صناعة ضعيفة بالقياس الى البرهان
فهو ايضا يسير الفائدة للعامة صعب بالقياس الى فطنهم وهم عاجزون عن قبوله والمخاطبة التي يجب ان يلقاها
العامي بعاميته ينبغي ان يكون من الجنس الذي لا يرتفع عن مقامه ارتفاعا بعيدا بل يكون بالفاظ عذبة غير
ركيكة عامية ولا متينة ينبو فهمه عن قبولها كما سنذكره ان شاء الله وقد اشار التنزيل الالهي الى هذه الصناعات
في قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن فجعل ذلك هو الدلالة
الحقيقية والحكمة هي البرهان وذلك لمن يحتمله والموعظة الحسنة هي الخطابة وهي لمن قصر عن درجة البرهان
وجادلهم بالتي هي احسن والمشهورات المحمودة ولم الجدل عن الصناعتين لانهما مصروفان الى الفائدة و
المجادلة مصروفة الى المقاومة والغرض الاول من المخاطبة انما هو الافادة والغرض الثاني هو مجاهدة من
ينتصب للمعاندة فادون الخطابة صناعة وافرة النفع من مصالح المدن وبها تدبير العامة وتنتظم احوالهم البحث
الثاني في موضوع الخطابة واجزائها وليس للخطابة نظر في موضوع معين وذلك لان العامة لا يهتدون الى
تمييز بعض الموضوعات عن بعض فكان تخصيص الكلام في موضوع معين مبني على مبادئ تليق بذلك الموضوع وحده
لا يعرفها العامي ونظر الخطابة بالذات في الجزئيات من اي مقولة اتفقت ولا يختص جزئيا دون اخر بل يقصد بها
الاقناع من اي جزئي اتفق على ان لها ان ينظر بالعرض في الامور الكلية من الالهيات والطبيعيات والخلقيات
والسياسيات والخطابة لها اصل ومتممات تتممها وتعين عليها اما الاصل فهو القول الذي يظن انه دال

بعيد

بعيدا اقناعا واما المتممات فجملتها يرجع الى حرف واحد وهو انه لما كان الغرض من الخطابة ليس الا الاقناع كان كل
مقنع مناسب للغرض منها فهو من متمماتها وجملتها والامور المقنعة اما قولية يراد بها صحة قول اخر كالقول الذي
لا يقصد به الخطيب تقرير فضيلته عند السامعين والقول الذي يروم به اثبات الشهادة مقنعة او كون
المعجزة واما شهادة واما حيلة اما الشهادة فاما قولية واما حالية اما القولية فكالاستشهاد بقول
نبي او امام او حكيم او شاعر وتسمى شهادة مأثورة او الاستشهاد باقوال قوم يحضرون فيصدقون قول القائل
ان الامر كان او الاستشهاد بشهادة الحاكم والسامعين بان القول مقنع وتسمى شهادة محصورة واما الحالية
فاما ان يدرك بالعقل او بالحس والاولى مثل فضيلة القائل واشتهاره بالصدق والتمييز واما الحال التي تدرك
بالحس فاما بواسطة القول او بدونه اما الاول فكالاستشهاد بالمعجز عقيب التحدي على صدق قول المدعي
كشهادة حال الحالف عقيب يمينه على قبول قوله وكشهادة حال المتعاهدين على قبول قولهما بعد وضع العهود
التي هي اقوال مدونة مكتوبة واما الحال المدركة بالحس من غير القول فاما ان تتبع انفعالا نفسانيا
كشهادة سحنة وجه المخبر ببشارة على قبول قوله او شهادة سحنة المذعور الخائف المخبر عن نزول عذاب او
حلول امر على قبول قوله او يكون طارئة من خارج كشهادة جراح القائل وغيره على قدوم العدو والحرب
واما الحيلة فتفيد الاعداد والاعداد اما للقائل بحيث يكون مقبول القول وللقول بحيث يصير انجع
وانفع او للسامع بحيث يكون اقبل واما القائل فان يتكلف الاستشهاد على فضيلة نفسه والدلالة عليها
او تهيئا بهيئة وتزيا بصورة تجعله مقبول القول واما القول فان يحسن فيه تصرفه فتارة يرفع به صوته
وتارة يخفضه وتارة يثقله وتارة يلينه ويحزنه ويلاحظ في ذلك حال من يقصد اسماعهم كما سيأتي في
التزيينات واما السامعون فاما مخاطب بالقصد الاول واما حكم بين المتخاطبين واما نظارة اما المخاطب
فيحتاج ان يستعطف ويستمال ليصح الى تصديق القائل وكذلك الحاكم واما الناظر فيكفي فيه ان يجعل
بهيئة مذعن مصدق وان لم يقع له التصديق والتأثر الحاصل للسامع اما انفعال كالرقة والرحمة في الاستعطاف
والقساوة والغضب في الاغراء واما ايهام خلق كايهام الشجاعة والسخاوة او غيرهما فقد اد الامر الى ان الاقوال
الخطابية التي يقصد بها التصديق ثلثة اصناف اصل ويسمى عمودا وهو القول الذي يراد به التصديق نفسه
والثاني النصرة وهي القول الذي يضرب مالد التصديق كالشهادة والثالث الحيلة وهي قول يقاد به انفعال
لشيء او ايهام لخلق وهما متممان للاصل فهذه اجزاؤها البحث الثالث في مبادي الخطابة واعلم ان مبادي الاقوال
الخطابية ثلثة احدها المشهورات المحمودة وهي اما حقيقية تتفق عليها الجمهور وتطابقت عليها الشرائع والسنن
وهي التي اذا تعقبت بالنظر لم يزل حمدها وان اطلع على كذبها كحسن الصدق وقبح الكذب والظلم وغيرهما
واما محمودة ظاهرة في بادي الرأي وهي التي يبادر الذهن فيحكم بصدقها قبل التفطن لها فاذا تعقبت
زال حمدها لظهور كذبها وشنعها كقوله انصر اخاك ظالما او مظلوما وهذه اعم من التي قبلها اذ كل محمود

حقيقي محمود فى الظاهر ولا ينعكس واستعمال الخطابى للاولى لا من جهة كونها حقيقة بل لكونها ظاهرة وما محمودة بحسب قوم او شخص شخص وينتفع بها فى مخاطبتهم ومثل هذه وان نفعت فى الخطابة الا انها لا تكون عمدة فى صناعة الخطابة لكونها غير متناهية او غير مضبوطة فان كل شخص يرى ما يهوى ويختلف الاراء بحسب الاهوا وثانيها المقبولات اما عن جماعة او عن نفر او عن نبى او عن امام كالشرايع والسنن وعن حكيم كالطب المقبول عن جالينوس وبقراط او عن شاعر كابيات تورد شواهدا وتكون مقبولة فقط من غير ان ينسب الى مقبول من كالامثال المضروبة وثالثها المظنونات وهى الاحكام التى يتبع الانسان فيها غالب الظن من دون جزم العقل بها كقولك زيد يسارا العدو جهارا فهو عدو وربما يكون مقابله مظنونا كقولك زيد يسارا العدو جهارا ليخدعه فهو صديق واما باثبات هذه فهى ما يظن منتجا وهى ممتنعة بحسب المواد والصور معا و القياس والتمثيل والاستقراء وما يشبه الحلف فيها اما القياس فيسمى ضميرا لحذف كبراه وتعكيره الاستعمال على وسط يستخرج بالفكر وهو اما على هيئة الشكل الاول كقول على عليه السلام مضو قدما على الطريقة واوجفوا على المحجة فظفروا بالعقبى الدايمة والكرامة الباردة فان تقدير الكبرى وكل من كان كذلك ظفر بالعقبى الدايمة ويسمى هذا دليلا واما على هيئة الشكل الثانى كقولك فلان له ايمان فى يمين فليس من الفاسق فان تقدير الكبرى ولا واحد من الفاسق كذلك واما على هيئة الشكل الثالث كقولك العارف شجاع جواد فالشجاع جواد لان تقدير الكبرى العارف جواد ويسمى ما كان على هيئة هذين الشكلين علامة والقياس الظنى قد لا يكون منتجا فى نفس الامر اذ ليس من شرط الخطابة ان يكون على هيئة منتجة كوجبتين فى الشكل الثانى كقولك هذه منتفخة البطن فهى اذن حبلى وتقدير الصدق والحبلى منتفخة البطن ويسمى هذه واسم الجميع فى الذهن ظنا ما واما التمثيل فيسمى اعتبارا لعبور الذهن من المشبه به الى المشبه ويسمى المجموع برهانا واستعمال التمثيل والقياس يسمى تثبيتا والتمثيل اما ان يكون باصول متفق على القياس عليها سواء كانت امورا موجودة او حوادث ماضية او امثالا لا مضروبة سايرة واما ان لا يكون كذلك بل امور يخترعها الخطيب وهى اما ممكنة او غير ممكنة والاول كاستشهاد على عليه السلام فى تحذيره اصحابه من الدنيا بالقرون الماضية واحوالهم واما الثانى فالممكن كما يقول المشير على صديقه لا تعاشر الجهالة فانى عاشرتهم فندمت وقد لا يكون عاشرهم واما غير الممكن فكالاستشهاد باقوال الحيوانات الموضوعة فى كتاب كليلة ودمنة وامثاله واما الاستقراء فيتتبع فيه بجزئيات كثيرة كقولك لمن تشير عليه تحصل السيادة بتحصيل الفضيلة لان فلانا وفلانا فضلوا فسادوا ويستعمل فى كلام على عليه السلام كثيرا واما ما يشبه الحلف فكقوله عليه السلام من ذم عثمن بقوله لو امرت به لكنت قاتلا فانه اراد تقرير عدم الامر بابطال لازم الامر وهو كونه قاتلا والملزوم لابطال الامر الملزوم لا لاثبات المطلوب وهو عدم الامر وكذلك التوبيخ كقوله عليه السلام فى توبيخ العلماء فى اختلاف الفتيا افامرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه فانه اراد بيان عدم صحة اختلافهم بابطال امر الله اياهم الملزوم لابطال نقيض المطلوب

وهو صحة الاختلاف والمقدمة التى من شانها ان تصير جزء تثبيت تسمى موضعا وحقها ان لا تكون دقيقة جلية ولا واضحة يستغنى عن ذكرها كالضروريات والقوانين التى تستنبط منها المواضع تسمى انواعا والبحث فى الخطابة عن الضروريات اقل بل انما يبحث فيها فى الاكثر عن الاكثريات والراى قضية كلية ينتفع بها فى امور علمية فيما يفعل او يجتنب وتلك الاراء مثلها الا انها غير ممتنعة ما لم يقرن اليها العلة كقولك لصديقك مثلا لا تحرص فى جمع المال فانه لا يقبل ما لم تقل مع ذلك لانك تشقى بجمعه فى الاخرة خصوصا اذا كان الراى شنيعا كقولك لا تحصل الفضايل فانه ما لم يقرن به العلة كقولك كيلا تحسد لا يقبل ذلك والراى اما ان لا يحتاج الى كلام يقرن به لظهوره فى نفسه او عند اهل العقل او عند المخاطب ويحتاج الى ما يقرن به ليودى الى المطلوب ويسمى القرينة لما نتيجة الراى او ما ينتجه فان كانت نتيجة الراى كقولنا الاصدقاء ناصحون فصديقك زيد ناصح فالمقنع هيهنا ليس الراى وحده بل مع نتيجته وهو جزء من الضمير وان كان ما ضم اليه هو المنتج كقولك لا تكتسب الفضايل فيحسدك كان الراى هو الضمير القريب فانه المقنع لغاية وبالله التوفيق البحث الرابع فى اقسام الخطابة بحسب اقسام اغراضها واعلم ان جميع المفاوضات الخطابية ثلثة مشاورة ومنافرة ومشاجرة ولكل واحد من هذه الاقسام غرض خاص اما المشورة فهى مخاطبة يراد بها الاقناع فى ان الامر الفلانى ينبغى ان يفعل لنفعه وان الامر الفلانى لا ينبغى ان يفعل لضرره واما المنافرة فمخاطبة يراد بها الاقناع فى مدح شى بفضيلته او ذمه بنقيصته واما المشاجرة فمخاطبة يراد بها الاقناع فى شكاية ظلم او اعتذار بانه لا ظلم وربما يقع الاعتذار فى وقوع الامر نفسه ولكن فى كونه نافعا او ضارا او ظلما او غير ظلم كاعتذار الظالم او من يضر بان الذى يعمله ليس بظلم او اعتذار المذموم بان الذى فعله ليس بنقيصة وانه فضيلة واما المشورة فليس المشورة انما هى مشورة بسبب اقناعها فى امر هو نافع بالحقيقة فانه قد لا يكون نافعا بالحقيقة ولا عند المشير ولكن ان يبين انه نافع لم الاقناع فتكون المخاطبة مع ذلك مشورة وقد لا تكون المشورة بالنافع بل بالجميل الذى ربما كان فى العاجل ضارا ولم نفع من جهة اخرى وكذلك المدح والذم لا يلاحظ فيه دايما النافع والضار حتى يكون المدح بالنافع والذم بالضار بل ربما كان المدح بالضار كاقتحام الاذى والضرر وركوب الاهوال للذكر الجميل فانه يثار به ويمدح فاعله ويعظم كالذين يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وكثيرا ما يحمد العاقل بايثار الموت على الحيوة والامور المشورية عظيمة يبتنى عليها الشرايع والسنن والسياسات واقسام الامور المشورية العظيمة العامة النفع دون الجزئيات النافعة بحسب احوال الاشخاص خمسة العدة والحرب والسلم وحماية المدينة ومراعاة امر الدخل والخرج وتفريع الشرايع ووضع المصالح والخطيب المشير فى امر العدة ينبغى ان يكون بصيرا بعيش اهل المدينة وكيفية النفقات اذا جرت على القسط ليوازى الدخل الخرج ويشير بنفى البطالة عن حوزة تعود بنفع المدينة بالحجر على السرف وتوقيفه على القدر العادل ويحفظ بجزئيات الاخبار وبالعوايد التجربية لانها تذاكير وامثال وعلى المشير فى امر الحرب بعد ان يكون ذا بصيرة بانواع الحروب وسماع الاخبار المتقدمين من المقاتلة

فى مدينة وبلاد مدينته وبلادها ورسومهم ومذاهبهم ان يحيط علمه خبرا بمدينته ومحاربيها وعدتهم وعددهم ودربتهم بالحرب وعاداتهم وثقاة دخيلة قومه وصفاء نياتهم او ضد ذلك وبوقع نظيره عليهم فى كل وقت وبعنايتهم الى مقاتليهم وان يعتبر الجزئيات السالفة فان الامور فى اشباهها وتحذوا وحذوا اشكالها فانه يستنبط من هذه الاحوال العقد وينتفع بها فى المشورة واما المشير فى حفظ المدينة فينبغى ان يعلم انواع الحفظ لانواع البلاد المختلفة سهليتها وجبليتها وبريتها وبحريتها وما يحيط بها ومواقع المسالح قربا وبعدا والمدارج المخوفة والتى يرتادها المقاتلون فيشير فيها بالارصاد فان ذلك قد يقف عليه من لم يشاهد المدينة وان يعرف عدد الحفظة والرصدة وبيان ليمد قلتهم ويبدل خائنهم بالناصح وان يعرف الحاصل من القوت وما يحتاج الى جلبه واعداده من خارج المدينة فان القوت وما يجرى مجراه اذا انحسمت مادته لم يمكن حفظ المدينة وتدبيرها فينبغى ان يكون المشير عارفا بمقدار ما كل الى كل وباحوال اهل الفضايل والثروة منهم فيشير بما ينبغى ان يشتغل به فيه من اهل الفضايل وما ينبغى ان يشتغل به فيه باهل الثروة فيما ينتظم به من امر المصلحة واما الخامس فهو المشورة فى امر السنن وهو من اعظم الابواب خطبا واحوجها الى فضل قوة الخطابة وعلى الشان ان يحقق عدد انواع الاشتراكات المدنية وما يتولد من تركيبها وان يعلم ما يناسب كل امر من الاشتراك بحسب عادتها والاسباب الحافظة لذلك الاشتراك والفاسدة له وفساد المدينة التى لم يحكم تدبيرها يقع من احد امرين اما عنف المدبرين لهم فى الحمل على الواجبات او من اهمالهم ومسامحتهم فينبغى ان يكون المشير بصيرا باصناف السياسات وما يعرض لكل واحد منها من العوارض وما يؤول اليه كل واحد منها فيوضع كل واحد منها فى موضعه فلا يستعمل القهر والغلبة فى موضع الرفق ومراعاة مصلحة المرؤسين لاكرامهم وتعظيمهم ولا بالعكس فلا يحصل هناك قانون ناظم فقد عرفت بما ذكرنا انواع التى منها تتنوع المقدمات المشورية فى الامور العظام ومما يعين على وضع السنن وتفريعها تامل فصول ما شرع لها ولحوالهم واما الامور المشورية النافعة بحسب احوال شخص شخص فهى وان كانت غير مضبوطة الا ان جميعها تشترك فى انها يقصد بها صلاح الحال كان بالحقيقة او بالظن ومعنى صلاح الحال هو الفعل الممكن عن فضيلة النفس وامتداد العمر مشفوعا بمحبة القلوب وتوفر الكرامة من الناس فى رفاهية وطيب عيش وفايز وسعة ذات اليد فى المال والعقد وتمكن من استدامة هذه الاحوال والاستزادة منها واما اجزاؤه فمنها ما ينسب الى الخير ومنها ما ينسب الى الشرائع الخيرية فاما بدنية كزكاء الاصل وكثرة الاخوان والاولاد وصلاحهم واليسار والانعام والقوة والصحة والجمال والفصاحة وجميل الاحدوثة والجاه والبخت واما نفسانية كالعلم والزكاء والزهد والشجاعة والعفة وحسن السيرة والاخلاق المرضية وحصول التجارات والصناعات فعلى الخطيب ان يشير باعداد هذه الانواع وكذلك ما ينسب الى النافع وهو كل ما يوصل الى الشى من الخيرات كالجد والطلب وتحصيل الاسباب والوسايل واتهاز الفرص ومواتاة الحظ واما الامور الشرية فهى ما يقابل هذه وعلى المشير ان يشير باجتناب عللها وما يعوق عن الخيرات كايثار اللذة والكسل واللهو والبطالة

وفوات الاسباب وضياع الفرص وسوء التوفيق وكذلك قد يحتاج الخطيب الى اعداد مقدمات فى ان هذا الخير افضل وان هذا النافع انفع كالحكم بان افضل الخيرات اعمها وادومها واكثرها نفعا واولاها بالقصد لنفسه واعزها واعظمها واشهرها واكثرها استتباعا للخيرات واكثرها استلزاما للحاجة اليه واكثرها اسئلا لما الرغبة الجمهور وللاكابر فيه وكذلك يحتاج الى مقدمات بعدها فى ان هذا الشر اضر كالحكم بان اشر الشرور اعمها وادومها واولاها بالهرب مثلا استتباعا للشرور ويجب ان يكثر من ضروب الامثال وايراد التذاكير واقتصاص احوال الماضين واما المنافرات وهو باب المدح والذم فعلى الخطيب تحصيل الانواع النافعة فى المدح والذم المتعلقة بالفضيلة والرذيلة واجزاء الفضيلة هى البر والشجاعة والعفة والمروة وكبر الهمة والسخاوة والحلم والثبات واللب والحكمة وقد يلزم بعض هذه خيرات يتعدى الى غير الفاضل كالخير المتعدى من البر والشجاع و السخى الى غيرهم واجزاء الرذيلة اضداد ما ذكرنا كالجور المقابل للبر والجبن للشجاعة والفجور للعفة والدناءة للسخا والسفالة للكبر الهمة والنذالة للمروة والطيش للثبات والبلاهة للب فهذه هى الفضايل والرذايل وما عداها فاسباب لها وعلامات عليها مثلا كايجاب الغنى والخشية من الله تعالى والعلم وطلب الذكر الجميل للعدل والاحتياج والوثوق بان لا مفر وم له وعدم المبالات بالعاقبة وامثالها للجور وكذلك فى ساير الاسباب وكالافعال اللازمة للعادل عن لزوم العدل حتى يحتمل شدة العذاب مثلا فى انتزاع ما فى يده من الامانة ولا يسلمها الى غير اهلها ومن المادح ايض مقاومة الاعداء والانتقام منهم والجزاء على الحسنة والسيئة ومن ممادح الشجاع الغلبة والكرامة وان يفعل فعلا لا يذكر وتستر ويسهل تخليدها التعظيمها فيرثها الاعقاب ومن المادح ايض علامات يختص الاشراف بها كارسال شعر العلوى وطرحه العالم فان ذلك من علامات شرفهم ومن الممدوحات ايض علامات يختص الاشراف الاستغناء عن الناس فى اى باب كان وقد يذكر المدح على سبيل الترويج والمغالطة فيعبر عن الرذيلة بعبارة تنظمها فى سلك الفضيلة اذا كانت قريبة من الفضيلة وكانا تحت حكم بعينها وهذا كما يحتاج الخطيب الى مدح انسان فيجعل القدر المشترك بين الفضيلة والرذيلة مكان الفضيلة فيمدح المجتري بانه حسن المشورة والفاسق بانه لطيف العشرة والغبى بانه حليم والغضوب بانه نبيل والابله الغافل عن اللذات بانه عفيف والمتهور بانه شجاع والماجن بانه ظريف والمبذر فى الشهوات بانه سخى وفى عكس ذلك اذا قصد ذم الفاضلين فيذكر الفضيلة فى معرض الرذيلة فيذم لطيف العشرة بالفسوق والحليم بالغباوة والنبيل بالغضوب والعفيف بالابله والشجاع بالمتهور والظريف بالماجن وكذلك فى سايرها واما الامور المشاجرية فعلى الخطيب اعداد انواع اسباب الجور والجور هو الاضرار الواقع بالقصد والمشية ولم يرخص الشريعة فيه بوجه واما الاسباب المحركة اليه فكالكسل من الكسلان فانه عندما يتجمل الدعة التى يهواها يكون سببا للخذلان صديقه وكالجبن الذى يكون سببا لاضاعة الحريم وهلاكهم وكايثار الراحة من التعب وحب البطالة واللهو المودى الى ترك اكتساب الفضايل وكالتقشف المودى الى العسف وعدم الظفر بالمطلوب عند الغلبة والاقتحام وكاستباحة التصرف فى مال الغير وعرضه

ودمه والاستهزاء بالخلق والحرص والوقاحة واسباب العدل هو ما يقابل هذه الاسباب فهذه امور اذا علمها
الخطيب اخذ منها مقدمات في انه كان الجاير كذا اقدم على الجور وللجور اسباب كثيرة مذكورة في الكتب المبسوطة

البحث الخامس في انواع مشتركة للامور الخطابية الثلثة وههنا انواع مشتركة لاصناف الخطابة يجب على الخطيب
اعدادها لينتفع بها فمنها ما يعد لاستدراجات من مبادي الانفعالات والاخلاق مثلا ما يعد للغضب كالاستخفاف
والعنت والشتيمة وقطع العادة في الاحسان ومقابلة النعمة بالسيئة او بالكفران والقعود عن جزاء الجميل
بمثله او بعد لضده وهو فتور الغضب كالاعتذار بعدم معرفة من قصده بالاستهانة وبعدم قصد الاستهانة
وكالاعتراف بالذنب والاستغفار والتوبة والتذلل والتلقي بالبشاشة وكذلك هيئة المهيب والاستحياء من
المخاصم فان الغضب لا يجامعها او يعد للحزن كالانواع التي توجب تصور فوت المرغوب فيه او حصول المحذور
منه او عدم الانتفاع بالحيوة والتدبير او لضده وهو التسلية كالتي توجب الاقناع في ان هذا الامر يمكن ان يتدارك
او يرجى التلافي في التدارك او باعتبار حال الغير فان المصيبة اذا عمت هانت او بالارشاد الى الجميل بتحصيل الاجر
الذي لاجله الحزن او يعد للخجل والاستحياء كالفرار من الزحف وخيانة الامانة وارتكاب المظالم ومعاشرة اهل الفساد
ومداخلتهم في مواضع الريبة والحرص على الحقرات ومقارفة الدنايا كسلب المسكين ونبش الكفن والتقيؤ مع الناس
ومعارضة اللئام بالاستماحة واستشعار الشماتة من الاعداء او يعد لابطال الخجل وهو اضداد هذه الاسباب
او للاهتمام بالغير والشفقة عليه والاسباب الباعثة على الاهتمام كالعذاب المهلك والاوجاع والجهد والكبر
والسقم والخصاصة وسوء البخت وعدم الانصار وعلامات الاهتمام كاشارة المهتم له على النقص والاحسان اليه بغير
منة وستر عيوبه ونصرته في مغيبه والوفاء له او لضده وهو الحسد كوصول غيره ان يدخل صاحبه فيه او لشكر النعمة
وهو ان يقول الخطيب انما اعطى فلان لنشر النفع لا لجزاء يتوقعه او يقول انه نفع في وقت الحاجة او في وقت تعذر العون
من الناس او انه انعم بما لم تسمح نفس غيره به او انه اولى من انعم فيحرك غيره للانعام او انه لم يرد بالصنيعة ذكرا او انه ليس
الصنيعة سترا او للكفران وتحقير النعمة كان يقول لم ترد بعطائك الا عرضا وانك لم تتمم النعمة وانك قصرت عن
الواجب عليك بمثله او انك لم تصطنع بقصد بل لضرورة او اتفاقا او لرغبة في مجازاة فان ذلك كله مما يبطل
المنة او للشجاعة كان يقول المكروه عنك بعيد ولا وجود له عندك ولا محل عندك للاقران والمبارزين وكمن
ان كثير الانصار قويهم وانك بريء عن الظلم قليل الاحتمال له او اضدادها وهو الجبن كقولك ان في القتال فوات
حصول المكاره وان خصمك في غاية القوة فلا طاقة لك به او ان انصارك قليلون وضعفاء وامثال ذلك
وكذلك يجب على الخطيب ان يحصل انواعا تبين على كل خلق خلق تختص بصنف صنف من الناس اما باعتبار
الاسنان كان يقول للشاب الذي يغلب عليه طلب اللذة ان زمن الزهد وقت السرور والزمان المساعد والشباب
سعد فانه غير عائد وهذا الربيع قد اشرف نواره وتفتقت ازهاره وكمدح المآكل والمشارب والملابس و
المراكب ويقول للشيخ الذي يغلب على طباعه طلب النفع والحرص على الدنيا ينبغي ان تقتصر على تحصيل ما ينفعك

واللهو غير لايق بك وينبغي ان تقلل البذل لئلا تستفرغ مالك وينبغي ان لا تنخدع لفلان ولا تغلط معه لانه مجرب
الخداع او باعتبار الخلافهم في البلدان كان تقول للعربي الذي طبعه الفصاحة انك ذو فضيلة عظيمة ولو لم تكن
من فضل الفصاحة الا انها وجه اعجاز القرآن لكفى واما الترك فان تقول للعرب من جهة ما هم غلاظ الطباع كثير الا ان
ان بني فلان اعداؤكم ولا ناصر لهم او هم قليلون او غنيمهم كثيرة او ان القتل لفلان كثير للنعمة ولا حارس له وغير
ذلك وكما يحرك طباع الفرس لحسن التدبير الذي هو عادتهم بما يناسبه او الى الملال الذي هو طباعهم بما
يناسبه او باعتبار اهليهم كما يحرك ما في طباع الملوك من الكبر وعدم الالتفات الى الغير بما يناسبه وما في طباع الناس
من الدناءة بما يليق به ومن جملة الامور المشتركة ما يتعلق بالممكن من الامور وغير الممكن كان يقول الخطيب اذا اراد
ان يقنع بان الامر الفلاني ممكن فيقول هذا الامر مما يستطاع فهو ممكن ونقيضه ممكن فهو ممكن او شبهه
ممكن فهو ممكن او الاصعب منه ممكن فهو ممكن او اراد ان يقنع بانه يتوهم كونه فيقول الامر الفلاني مقدور عليه
ومراد فلا بد ان يكون والنادر يكون فالاكثري يكون ويمكنك ان تعلم انواع ما لا يكون وانواع ما لا يمكن من
انواع ما يكون وانواع ما يمكن فهذه جملة من الامثلة يهتدي الخطيب الى مثالها وليس يجب عليه ان يضبط ما لا
يتناهى من الامور بحيث يخص كل واحد من اموره الجزئية فان ذلك غير ممكن بل يضبط القوانين الكلية
المتعلقة بالاجناس الثلثة للخطابة ويجتهد في ان يخصصها مهما امكن فانه كلما كان الحكم بالجزئي المتكلم فيه احص
كان انفع واقنع مثاله اذا اردت ان تمدح زيدا فقلت هو شجاع لانه مستكمل الفضائل باسرها فهذا وان كان
مقنعا الا انك لو خصصت فقلت لانه هزم جيش العدو وقت كذا او قتل البطل الفلاني يوم كذا لكان ذلك
ذلك اقنع والبق بالممدوح وقد يقع في الخطابة القضايا المتقابلة والمغالطة بها الاقناع فيستعمل الضدان في
ايجاب كل واحد من النقيضين كقولك اسكت في المحافل لانك ان صدقت ابغضك الناس وان كذبت ابغضك الله
ثم تقول تكلم في المحافل لانك ان صدقت احبك الله وان كذبت احبك الناس والمقابلة ههنا وان افادت اقناعا
كان من صناعة الخطابة مثالها اما من باب اشتراك الاسم كقولك بالذهب يبصر الانسان لانه عين ومن باب تركيب
المفصل كقولك فلان شاعر جيد فيوهم ذلك التركيب مدح الشعر بالجودة والتقدير فلان جيد ومن باب وضع
ما ليس بعلة علة كما يقال فلان مبارك القدم لانه مع قدومه تبرك كذا ومن باب المصادرة على المطلوب كما يقال
زيد يشرب الخمر فيقال لان اخاه يشرب الخمر واما ان لم يوقع اقناعا كما يقال فلان لم يذنب باختياره لانه زنى وهو
سكران لم يكن من صناعة الخطابة وبالله التوفيق البحث السادس في تحسينات الخطابة الامور المحسنة للخطابة
اما ان تتعلق بالالفاظ واما ان تتعلق بالترتيب واما ان تتعلق بهيئة الخطيب اما الاول فاعلم ان تحسين
الالفاظ في الخطابة عظيم النفع فان جزالة اللفظ توهم جزالة المعنى وركاكة اللفظ تذهب ذوق المعنى ومما
يذهب ذوق اموره الاول ان يكون اللفظ فصيحا عذبا غير ركيك صرف العامية ولا متين مرتفع عن ان
يصلح لمخاطبة الجمهور لان الطباع العامية تشمئز عن العبارة العلمية ولا ملحون لان اللحن يهجن الكلام ويرذله

وهذه الاعتبارات موجودة في كلام علي عليه السلام كثيرا الثاني ان يراعي تمام الرباطات وهي الحروف التي يقتضي
ذكرها ان تكرر كقوله عليه السلام في صفة الملائكة منهم سجود لا يركعون ومنهم ركوع لا يسجدون وكذلك باقي
الاقسام فلو لم يحصل التكرار ههنا لنقص الكلام وكذلك قوله عليه السلام المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر
احدى الحسنيين اما داعي الله فما عند الله خير له واما رزق الله فاذا هو ذو اهل ومال اللهم الا ان يكون متكرا
معلوما كقوله عليه السلام في كثير من خطبه اما بعد فان هذا الجزء مسبوق بامّا قبل وان لم يذكر لوضوحه الثالث
ان لا يباعد ما بين الرباطين بحشو طويل يخل بالوصلة بينهما الرابع ان يراعي حقه من التقديم والتاخير فان تاخير
الشرط عن المشروط وتقديمه لان على الدعوى قبيح سمج وبعض هذه الاحكام قد يختص ببعض اللغات الخامس ان
يزين بالتشبيه والاستعارة ويكون تلك الالفاظ المستعارة خاصة غير مشتركة ولا مغلطة فقد يورد اللفظ
موهما للشيء وضده كقول المنجم اذا دخلت سنة كذا يجدد للاسلام امر عظيم فذلك يحتمل الخير والشر موهم لهما
وفائدة التشبيه والاستعارة ههنا الاستعانة بالتخييل الحاصل منه على ترويج المعنى فانه يحصل له رونقا
لا يحصل بدونه والالفاظ المستعارة والحيلة وان كانت اصلا في الشعر فقد يستعملها الخطيب بالعرض فيكون
في الخطابة كالابازير السادس ان يراعي لفظ الواحد والتثنية والجمع وما يخصها من التصاريف وكذلك التذكير
والتانيث ذي العلامة وغيره دفعا للغلط السابع قد يزين اللفظ بالايجاز اذا اعتمد على فهم السامع من يعقب
الاقناع مرة الحدود والرسوم هناك الى اللفظ المفرد وقد يزين بالبسط فينعكس ذلك وقد يبدل اللفظ
المفرد العلم الشاعة كما يقال عورة المرأة وطئها ودمها عوض تسميتها الصريحة واكثر ما يستعمل امثال هذه في
الاغراضات في المدائح فيكره التصريح بالاسماء الصريحة احتشاما وتنزيها للمجالس عن ذكرها وكذلك يستعمل
في الاعتذار كثيرا وحيث يراد التهويل والتخويف في المشوريات الثامن ان يزين بالمفاصل اي يكون ذا مصاريع
وتسجيع ووزن ما لا الوزن الحقيقي وذلك كقوله عليه السلام اما بعد فان الدنيا قد ادبرت واذنت بوداع
وان الاخرة قد اقبلت واشرفت باطلاع وقد عرفت المتوازن فان ذلك اقرب الى ثبات اللفظ في الخيال التاسع ان
المفاصل ينبغي ان لا تطول لئلا ينسى الاول ولا يقصر جدا ولا يحتمل النفس فيحمل انقطاعه عن استثبات
له ثم المفاصل قد تكون اقساما ويسمى المقسم كما مر في المثال في صفة الملائكة وقد تكون تلك الاقسام متقابلة
كقوله عليه السلام اما الامرة البرة فيعمل فيها التقي واما الامرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي ولكل واحد من الخطاب
المسموعة والمكتوبة اسلوب خاص وكذلك اصنافهما واما الثاني وهو الترتيب واعلم ان للاقاويل الخطابية
صدرا ووسطا وختاما فالصدر كالرسم الذي ينقش عليه ويعرف السامع الغرض لحاله واما الوسط فقد
يكون اقتصاصا لامر واقع فيحكم بانه حسن وقبح كما في المنافرة وعدلا وجور كما في المشاجرة وقد يقدم على الصدر
اقتصاص لامور تستلزم الشكر والمدح من القائل ويهيئ السامع لذلك كما جرت العادة بتقديم اقتصاص صفات
الله وحمده وصفات رسله عليهم السلام وقد يكون الوسط غير اقتصاص بل دالا على مصلحة وحث عليها

كما في المشورة اذ ليس فيها ما يحكى ويشكى ويحمد ويذم وليس فيهما تنازع ومواثبة والصدر فيهما حسن ليكون
السامع عليه قد وعى الغرض ومستعدا للقبول وهو في المشاجرة قبيح واما الخاتمة فهي حسنة في المشورة ايضا والذي
يليق بها ان يكون اجزاؤها مفصلة غير مخلوطة بما قبلها وخصوصا في المشوريات وهو ان يقول المشير قد بلغت
ما عندي من النصيحة والراي ما ترون وكما يقول الخطيب اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم انه هو الغفور
الرحيم ونحو ذلك واما الثالث وهي الامور التي تتعلق بهيئة الخطيب فيخيل بها في وتخييل اخلاقا واستعدادا
للافعال وانفعالات ويستدعي ذلك نفاقا والاخذ بالوجوه وهي اما ان تتعلق بصوته كرفعه في موضع الرفع وخفضه
في موضع الخفض وبتركيبه نفسه او بكونه على زي وهيئة وسمت حسن يصيد به القلوب وهذا القسم مما يكثر
الانتفاع باستعماله مع ضعفاء العقول وكالمولد للاستدراجات بالامور المحسوسة الطوع ولذلك يكثر في اعينهم
من كان يرى النساك والمتكثرين من العبادة والخشوع الظاهر وان كان جاهلا مرائيا ولما لم يكن غرضنا
من التعرض بذكر الخطابة ههنا الا الاشارة الى اقسامها الكلية ليتبين معنى الخطابة وما عسى ان نذكر من
الخطابة التي نحن شارعون في بيانها من اي اقسام الخطابة هي وليتفطن المطلع على ما ذكرناه ههنا لم نبينه من
ذلك لا جرم اقتصرنا على هذا القدر من الايراد واما البسط ففي الكتب المطولة واعلم ان الغالب على كلام
علي عليه السلام هو المشوريات واما المنافريات والمشاجريات فهما اقل كما ستعرف ذلك عند تصفح اقواله
ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق خاتمة لهذه القاعدة واما الخاتمة ففي بيان غايته عليه السلام من الخطابة واعلم
انه لما كان الغرض من وضع الشرايع والسنن انما هو نظام الخلق وجذبهم الى الجناب المقدس عن دار الغرور و
تذكيرهم لمعبودهم الحق وتعليمهم كيفية السلوك للصراط المستقيم كما اومانا اليه وعلم من ذلك ان عليا عليه
السلام كان مقررا للشريعة ومبينا لها وموضحا لمقاصد سنن الرسول عليه السلام ومفرعا لاحكامها اذ كان
هو المنهج بجوامع العلم والمطلع على الاسرار الالهية لم يكن مقصوده من جميع الاقوال المنقولة عنه الا الغرض
الاول من وضع الشرايع والسنن بيان ذلك انك قد علمت ان الاقوال الخطابية تنقسم بحسب اغراضها ثلثة
اقسام مشاورية ومنافرية ومشاجرية فاما المشورة فانها الجزء الاكبر في كلامه عليه السلام وانت تعلم من تصفح
كلامه ان كل ما يشير به بالقصد الاول فانما هو الاقبال على الله تعالى بترك الدنيا والاعراض عنها والاشتغال
في الفضائل وترك الرذائل والمنقصات الجاذبة الى الجنبة السافلة المانعة عن الوصول الى الله سبحانه
فان عرض في كلامه امر جزئي او نهى عن امر جزئي لا يلوح للغافل منه هذا السر كصالح الحرب والعدة والمدد
وغير ذلك فانه عند الاعتبار يرجع اليه لان كل ذلك يرجع الى نصرة الدين وتقويته ونظام امر العالم وترتيب
مصالحه واما المنافرة فقد عرفت ان جميع ما ورد في كلامه عليه السلام من الذم انما هو للدنيا واتباع الهوى
وارتكاب الرذائل الموبقة ومن ارتكبها واشباه ذلك مما يبعد عن الله تعالى وما ورد فيه من المدح فانما هو
لله سبحانه وللملائكة ورسله والصالحين من عباده وما هم عليه من الفضائل وترك الهوى والاعراض عن

عن الدنيا وما ينبغي ان يكون الخلق عليه من ذلك ولا شك ان الاول جذب الخلق بتحقير ما يميل طباعهم اليه
من الامور الفانية وتصغيره وذمه والتنفر عنه وذمهم على ارتكابه ليتقهقروا واعنان لما ورائهم من النعيم
الابدي والخير السرمدي وليذكروا معبودهم الحق سبحانه ولا يكونوا من المعرضين الهالكين والثاني
ايضا جذب اليهم بتعظيم ما ينبغي ان يلتفتوا اليه وتكريمه ومدحه والترغيب فيه وفيما يكون وسيلة اليه من
الفضائل والاعراض عن الدنيا وغير ذلك واما الامور المشاجرية فما كان في كلامه عليه السلام منها فاما
بيان للظلم والجور واسبابهما وما يؤلان اليه من سوء العاقبة وقبح الخاتمة عند الله وبيان للعدل والوفاء
وما يؤول اليه من حسن العاقبة وحميد المنقلب الى الله كما يشتمل عليه كثير من كتبه الى عماله ومحاربيه ولا شك
ان كل ذلك جذب الى الله تعالى بالتصريح والاشارة واما تظلم من ظالم خرج عن ربقة الدين واتبع هواه وتكاية من افعاله
الخارجة عن نظام الشريعة المؤدية الى ضد مقاصد الشارع ولا يخفى ان مقصوده من ذلك التظلم والتكاية اقناع
الخلق بان فلانا ظالم اخذ ما لا يستحقه ليثبتوا على الحق ويفيئوا اليه وينكروا ممن عساه يتوهم ان خصمه على الحق
وربما كان منشأ ذلك الوهم سببا للحوق به وذلك بالحقيقة تثبيت على الحق وجذب عن الباطل وهو في نفس الامر مقصود
الشارع وغايته واما اعتذار مما يخيله الجاهلون في حقه ظلما وجورا كاعتذاره عليه السلام انما تخيله جماعة في حقه
ظلما من القعود عن نصرة عثمان حتى نسبوه الى انه قاتله ومتصله من ذلك وكذا اعتذاره فيما تخيله الخوارج ذنبا له
من تحكيم الحكمين وغير ذلك فان الاعتذار في هذه المواضع وامثالها جذب الى الحق وصرف عن الباطل اذ كان الاعتذار
مستلزما لاقناع من تخيل فيه ظلما انه ليس كما تخيل اليهم وان ما صدر ليس بظلم ولا جور ليفيئوا الى طاعته والاقتداء
به فيما هو عليه من اتباع الحق والنصرة للدين والذب عنه ومعلوم ان ذلك كله جذب الى الله سبحانه والى السبيل الذي
يوصل اليه فقد علمت ان هذا البيان ان غايته عليه السلام من جميع اقواله انما هو توجيه الخلق الى جناب الله والقائهم
الى حضرته المقدسة وهذه هي الغاية التي انزل عليها الانبياء والرسل وتطابقت عليه الشرائع والسنن ومن تأمل
ما قلناه وترك متابعة هواه وطبق ما اوردناه من القانون الكلي على كلامه علم صحة ما ادعيناه وبالله التوفيق
القاعدة الثالثة في بيان ان عليا عليه السلام كان مستجمعا للفضائل الانسانية وفيها فصول الفصل الاول
في فضائله اللاحقة له من خارج ولنذكر منها وجوها الاول نسبه من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابو الحسن
علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف
وهي اول هاشمية ولدت هاشميا وكان علي اصغر اولادها وعقيل اسن منه بعشر سنين وطالب اسن من عقيل
بعشر سنين وهي اول امرأة بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله من النساء وكان صلى الله عليه وآله يكرمها ويدعوها
امه واوصت اليه حين حضرتها الوفاة فقبل وصيتها وصلى عليها ونزل في لحدها واضطجع معها بعد ان البسها
قميصه فقال له اصحابه في تخصيصها بذلك فقال انه لم يكن احد بعد ابي طالب ابر بي منها وانما البستها قميصي لتكسى
من حلل الجنة واما اضطجعت معها ليأمن ضغطة القبر الثاني سبقه الى الاسلام وفضيلته في ذلك ظاهرة

الثالث جهاده لاعداء الله ونصرته للدين وذبه عنه ومقاماته في ذلك مشهورة ماثورة تكاد لا تحصى كثرة الرابع
تخصيص الرسول صلى الله عليه وآله بتزويجه فاطمة دون من خطبها من اكابر المهاجرين والانصار الخامس كون الحسن
والحسين عليهما السلام الذين هما سيدا شباب اهل الجنة ولديه وذلك فضل عظيم السادس قوله تعالى ولما ضرب
ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون قيل انها نزلت في علي وفي جعل عيسى عليه السلام مثلا له فضل عظيم ويؤيد
ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله لولا ان يقول فيك طوائف من امتي ما قالت النصارى في عيسى لقلت اليوم فيك
مقالا لا تمر بملأ منهم الا اخذوا التراب من تحت قدميك وهذا الكلام يقتضي انه لو وصفه لبلغ في وصفه
الى اوصاف عيسى عليه السلام التي لاجلها قالت النصارى فيه ما قالوا السابع قوله تعالى ويطعمون الطعام
على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله الآية اتفق المفسرون على انها نزلت في علي واهل بيته
وسبب نزولها مشهور في كتب التفسير وغيرها وكفى بذلك شرفا الثامن روي انه لما نزلت وتعيها اذن
واعية قال النبي صلى الله عليه وآله اللهم اجعلها اذن علي ولا شك ان الرسول صلى الله عليه وآله كان مجاب
الدعوة ولذلك قال علي عليه السلام فما شككت في شيء سمعته بعد ذلك وذلك من اعظم الفضائل التاسع
من طرق الكل قول النبي صلى الله عليه وآله في حقه اللهم ادر الحق مع علي حيث دار ولا شك في استجابة دعائه ومن
كان الحق يدور معه حيث دار فلا مزيد على فضله العاشر من طرق الكل انت مني بمنزلة هرون من موسى الا
انه لا نبي بعدي والاستثناء ههنا يشهد باثبات جميع المنازل التي كانت لهارون من موسى الا النبوة وما هو
نفيه من الاخوة فيقتضي كونه وزيرا وناصرا وقائما بناموس الشريعة ومفرعا لاحكامها الكلية وخليفة له كما كان
هرون كذلك ومن ههنا تمسكت الشيعة بهذا الخبر في استحقاقه للخلافة وكفى بهذه فضيلة الحادي عشر
من طرق الكل قوله عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه وسواء كان المراد بالمولى الاولى بالتصرف او الناصر
فان الفضل حاصل الثاني عشر في حقه اقضاكم علي ولا شك ان القضاء يحتاج الى انواع العلوم وكفى بشهادة
الرسول عليه السلام له بذلك فضلا الثالث عشر قوله عليه السلام اعطيت جوامع الكلم واعطي علي جوامع العلم
وكفى بهذه الشهادة فضلا الرابع عشر من طرق الشيعة انه خوطب بامرة المؤمنين في حيوة الرسول صلى الله
عليه وآله وانكره المحدثون من غيرهم وروى احمد في مسنده وفي كتابه في فضائل الصحابة وكذلك ابراهيم الحافظ
في كتاب حلية الاولياء ان رسول الله صلى الله عليه وآله خاطبه بيعسوب المؤمنين واليعسوب امير النحل وكل ذلك
اشارة الى فضله الخامس عشر تربية رسول الله صلى الله عليه وآله من اول عمره الى ان عده لاعلى مراتب الكمالات
النفسانية قال عليه السلام في تربية النبي صلى الله عليه وآله له واتباعه اثره في خطبته المسماة بالقاصعة وقد علمتم
موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وانا وليد يضمني الى صدره
ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة
في فعل ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن ان كان فطيما اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم

ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه يرفع لي في كل يوم علما من اخلاقه ويأمرني
بالاقتداء به ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فاراه ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول
الله صلى الله عليه وآله وخديجة وانا ثالثهما ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان
قد ايس من عبادته انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي ولكنك وزير وانك لعلى خير الى آخر الكلام
حتى صار بهذه التربية استاذ العالمين بعده صلى الله عليه وآله في جميع العلوم وبيان ذلك اما جملة فلقول النبي
انا مدينة العلم وعلي بابها ولا شك ان المقصود انه صلى الله عليه وآله هو المنبع الذي تفيض عنه العلوم الاسلامية
والاسرار الحكمية التي اشتمل عليها القرآن الحكيم والسنة الكريمة وهو مصدرها والمحيط بها لان شأن المدينة
بما يحتوي عليه كذلك وان عليا هو المفزع لتلك الاسرار والمهتدي لتفاصيل جملها واحكامها الكلية بحسب
ما له من كمال الحذاقة وقوة الاستعداد بحيث يصير بتلك الاسرار سهلة التناول قريبة المأخذ لسائر الخلق لان
الباب هو الجهة التي منها ينتفع الخلق من المدينة ويمكنهم تناول ما ارادوه منها واما تفصيلا فلانا بحثنا
العلوم باسرها فوجدنا اعظمها واهمها هو العلم الالهي وقد ورد في خطبه عليه السلام من اسرار التوحيد و
النبوات والقضاء والقدر واسرار المعاد كما ستقف عليه ما لم يأت في كلام احد من اكابر العلماء واساطين الحكمة
ثم وجدنا جميع فرق الاسلام ينتهي في علومهم اليه اما المتكلمون فاما المعتزلة فانتسابهم اليه ظاهر فان اكثر اصولهم
ماخوذة من ظواهر كلامه في التوحيد والعدل وايضا فانهم ينتسبون الى مشايخهم كالحسن البصري وواصل بن
عطاء وكانوا منتسبين الى علي عليه السلام ومتلقين عنه العلوم واما الاشعرية فمعلوم ان استاذهم ابو الحسن
الاشعري وقد كان تلميذا لابي علي الجبائي وهو من مشايخ المعتزلة الا انه تنبه لما وراء اذهان المعتزلة
فخالف استاذه في مواضع تعلمها من مذهبه واما الشيعة فانتسابهم اليه ظاهر فانهم يتلقون العلوم عن
ائمتهم يأخذ بعضهم عن بعض الى ان ينتهي اليه وهو امامهم الاول واما الخوارج فهم وان كانوا في غاية البعد عنه
الا انهم ينتسبون الى مشايخهم وقد كانوا تلامذة علي واما المفسرون فرئيسهم ابن عباس رضي الله عنه وقد كان تلميذا
لعلي عليه السلام واما الفقهاء فمذاهبهم المشهورة اربعة احدها مذهب ابي حنيفة ومن المشهور ان ابا حنيفة قرأ على الصادق
عليه السلام واخذ عنه الاحكام وانتهاء الصادق الى علي ظاهر الثاني مذهب مالك وقد كان مالك تلميذا لربيعة
الرأي وربيعة تلميذ عكرمة وعكرمة تلميذ عبد الله بن عباس وكان تلميذا لعلي الثالث مذهب الشافعي وقد كان
الشافعي تلميذا لمالك الرابع مذهب احمد بن حنبل وكان احمد تلميذ الشافعي فرجع انتساب الجميع الى علي عليه السلام
ومما يؤيد كماله في الفقه قول الرسول صلى الله عليه وآله اقضاكم علي والاقضى لا بد وان يكون افقه واعلم بقواعد
الفقه واصوله واما الفصحاء فمعلوم ان جميع من جاء بعده يملأون اوعية اذهانهم من الفاظه ويضمنونها
كلامهم وخطبهم فيكون منها بمنزلة درر العقود كابن نباتة وغيره والامر في ذلك ظاهر واما النحويون فاول
واضع للنحو هو ابو الاسود الدؤلي وكان ذلك بارشاده عليه السلام الى ذلك وبداية الامر ان ابا الاسود سمع

رجلا يقرأ ان الله بريء من المشركين ورسوله بالكسر فانكر ذلك وقال نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من نقصان
الايمان بعد زيادته وراجع عليا عليه السلام في ذلك فقال له نحوت ان اضع للناس ميزانا يقومون به السنتهم
فقال له عليه السلام انح نحوه وارشده الى كيفية ذلك الوضع وعلمه اياه واما علماء الصوفية وارباب العرفان
فنسبتهم اليه في تصفية الباطن وكيفية السلوك الى الله تعالى ظاهرة الانتهاء واما علماء الشجاعة والممارسون
للاسلحة والحروب فهم ايضا ينتسبون اليه في علم ذلك فثبت بذلك انه عليه السلام كان استاد الخلق وهاديهم
الى طريق الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ومناقبه وفضائله اكثر من ان تحصى وبالله التوفيق الفصل
الثاني في بيان فضائله النفسانية وهي اما ان تعتبر بالنسبة الى قوته النظرية او الى قوته العملية فاذن ههنا
بحثان البحث الاول في انه عليه السلام كان مستجمعا لكمالات القوة النظرية قد علمت ان كمال القوة النظرية انما هو
باستكمال القوة بالحكمة النظرية وهي استكمال النفس الانسانية بتصور المعارف الحقيقية والتصديق بالحقائق
النظرية بقدر الطاقة البشرية ولا شك ان هذه الدرجة كانت ثابتة له عليه السلام وبيان ذلك انه عليه السلام
كان سيد العارفين بعد سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وانه كان متسنما لدرجة الوصول وتحقيق ذلك انه قد
ثبت في علم كيفية السلوك ان وصول العارف انما يحق اذا غاب عن نفسه فلحظ جناب الحق من حيث هو فقط
وان لحظ نفسه فمن حيث هي لاحظة لا من حيث هي مزينة بالحق تبارك وتعالى وقد وجد في كلامه واشاراته ما يستلزم حصول هذه
المرتبة له ولنذكر منها مواضع ثلاثة الاول قوله عليه السلام لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقد عرفت ان ذلك
اشارة الى الكمالات النفسانية المتعلقة بالقوة النظرية فحصلت له بالفعل وذلك يستلزم تحقق الوصول
التام الذي ليس فوقه للاولياء نيله الثاني قوله عليه السلام حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه انك
تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي ولا شك في ان النبي صلى الله عليه وآله كان له الاتصال التام بالحق
تعالى فكان هذا الاتصال والوصول حاصلا لعلي بمقتضى شهادة الرسول وان كان التفاوت بين المرتبتين
قائما لان للاتصال بالجناب المقدس درجات لا تتناهى ولذلك قال الا انك لست بنبي وستعلم من تفاصيل
كلامه عند الانتهاء اليه تحقق هذه المرتبة له الثالث قوله عليه السلام الهي ما عبدتك خوفا من عقابك ولا
رغبة في ثوابك ولكن وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك وجه الاستدلال انه حذف كل قيد دنياوي واخروي
عن درجة الاعتبار سوى الحق تعالى وذلك مما يحقق له الوصول ومما يؤيد ذلك ما ستبين ان شاء الله تعالى من تمكنه
عليه السلام من الكرامات وصدورها عنه وذلك من خواص الواصلين البحث الثاني في بيان كماله في قوته العملية
وكما علمت ان كمال القوة النظرية انما هو باستكمال الحكمة النظرية فكذلك كمال القوة العملية انما هو باستكمال
الحكمة العملية وهي استكمال النفس بحصول الملكة التامة على الافعال الفاضلة حتى يكون الانسان ثابتا
على الصراط المستقيم متجنبا لطرفي الافراط والتفريط في جميع افعاله وقد ثبت في علم الاخلاق ان اصول
الفضائل الخلقية ثلاثة احدها الحكمة الخلقية وهي الملكة التي تصدر عنها الافعال المتوسطة بين الجربزة

والغباوة التي هما طرفا الافراط والتفريط وانت تعلم من تصفح افعاله واقواله وتدابيره في امور الحروب ونظام
امور العالم ما تضطر معه الى الحكم بانه كان مستكملا لهذه الفضيلة وغيره واقف دونها في حد الغباوة ولا متجاوز
لها الى طرف الجربزة كالا ان خبث المتجربز يمنعه عن الترقي الى درجة الكمال ويابى طبعه الا الشر وثانيها العفة وهي
الملكة الصادرة عن اعتدال حركة القوة الشهوية بحسب تصريف العقل العملي لها على قانون العدل وبها تصدر
الافعال المتوسطة بين الجمود والفجور اللذين هما طرفا الافراط والتفريط ونبين ان هذه الملكة كانت ثابتة له
عليه السلام من وجهين الاول انه كان ازهد الخلق في الدنيا بعد الرسول صلى الله عليه وآله وفيما عدا القبلة
الحقيقية واقدر على حذف الشواغل الملتفتة عن لقاء الله وكل من كان كذلك كان مالكا لهواه مصرفا لشهوته بحسب
عقله اما المقدمة الاولى فمعلومة بالتواتر واما الثانية فضرورية وايضا الثاني قول النبي صلى الله عليه وآله اللهم ادر
الحق مع علي حيث دار ولا شك في استجابة دعائه عليه السلام ومن كان الحق لازما لحركاته وتصرفاته استحال
ان يلزمها باطل لان الامر الواحد لا يلزمه لازمان مختلفان فاستحال ان يكون متبعا للهوى البتة وهو معنى
العفة ومما يؤكد حصول هذه الملكة له ما روي انه عليه السلام ما شبع من طعام قط وانه كان من اخشن الناس ماكلا
وملبسا يقنع بقرص الشعير ولا ياكل اللحم الا نادرا وكان يقول لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان ويقصد بذلك
التغيير فيه وكل ذلك زهادة في الدنيا ولذاتها وثالثها الشجاعة وهي الملكة الحاصلة للنفس عن اعتدال القوة الغضبية
بحسب تصريف العقل فيما يضبطها بها تصدر الافعال المتوسطة بين افعال الجبن والتهور وثبوت هذه الفضيلة
له عليه السلام معلوم بالتواتر حتى صارت شجاعته يضرب بها المثل مبالغة في حق الرجل الشجاع واذا عرفت ان هذه
الملكات الثلث ثابتة له كان تمام ما يكون وجب ثبوت ما يستلزمه الفضيلة العدالة ثابتة له واما ما في اقسام الحكمة العملية
كالحكمة السياسية والمنزلية فهذه علمان فايدتهما ان يعلم الانسان وجه المشاركة التي ينبغي ان تكون بين اشخاص
الناس ليتعاونوا على مصالح الابدان ونظام مصالح المنزل والمدينة وقد كان عليه السلام في ذلك سباق غايات
وصاحب آيات ويكفيك في معرفة ذلك منه اما على سبيل الجملة فلان الشريعة المصطفوية سلام الله على شارعها
واردة بمقاصد هاتين الحكمتين على اتم الوجوه واكملها بحيث يرجع اكابر الحكماء اليها في تعلمها ومعلوم انه عليه السلام
كان متمسكا بها ومقررا لها وباسطا لاحكامها ومفصلا لاشاراتها الجلية لم يغير منها حرفا ولم يقف فيها دون
غاية وذلك يستلزم ثبوتهما له على اكمل وجه واما على سبيل التفصيل فعليك في معرفة انه كان احكم الخلق بعد رسول
الله صلى الله عليه وآله في هذا العلم بمطالعة كتبه وعهوده الى عماله وولاته وامرائه وخصوصا العهد الذي
كتبه للاشتر النخعي فان فيه من لطايف تدبير امر المدينة ونظام احوال الخلق ما لا يهتدى لحسنه ولا يوجد عليه
مزيد في هذا الباب هذا مع ما تواتر من رجوع اكابر الصحابة المعترفين بحسن تدبيرهم واياتهم الى استشارته في امورهم
وتعرف كيفية تدبير العساكر والحروب والمصالح الكلية والجزئية منه في مواضع كثيرة نقلها في هذا الكتاب
وفي غيره كرجوع عمر الى رايه في الخروج مع المسلمين الى غزو الروم وغير ذلك مما هو مشهور متواتر واما اشاراتهم

من الاراء الكاملة بحسن التدبير والايات الوافية بنظام الحركات المدنية كما ستعلمه ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق
الفصل الثاني في صدور الكرامات عنه وفيه بحثان **البحث الاول** في اخباره عن الامور الغيبية والنظر اما في امكان
ذلك او في سببه او في وقوعه منه فههنا اذن ثلث مقامات **المقام الاول** في امكانه يجب عليك ايها الاخ المتلقي
لنفحات الله اذا ذكر ان خليفة من خلفاء الله او وليا من اوليائه اخبر عن امر سيكون مبشرا به او منذرا مما لا يفي بحدكم
قوتك وانت انت فلا ينبغي لك ان تبادر الى التكذيب بامثال ذلك وتستنكره فانك عند مراجعة عقلك وتصفحك
لاحوال نفسك تجد كل ذلك ممكنا واليه سبيلا بيان ذلك ان معرفة الامور الغيبية في النوم ممكنة فوجب ان
يكون في اليقظة كذلك اما الاول فلان الانسان كثيرا ما يرى في نومه شيئا ويقع بعده اما صريح تلك الرؤيا
او تعبيرها وذلك يوضح ما قلنا اما في حق الرائي فظاهر واما من لم يرزق ذلك في حال النوم فانه يعلمه بالتواتر
من اكثر الخلق واما الثاني فلان ذلك لما صح في حال النوم لم يمكن الجزم بامتناعه حال اليقظة فان الناس لو لم
يجربوا ذلك في حال النوم لكان استبعادهم له في تلك الحال اشد من استبعادهم لوقوعه في حال اليقظة فانه
عند عدم التجربة لو قيل للانسان ان جماعة من الاولياء اجتهدوا في طلوع مفكراتهم الصافية حال ما هم ايقاظ في
تحصيل حكم غيبي فعجزوا عنه ثم ان واحدا من الكفار لما نام وصار كالميت حصل له ذلك الحكم فلا بد وان يكذب بذلك
ويستنكره لعدم حصوله مع كمال الحركة وسلامة الحواس عن العطلة وكمال العبادة وحصوله مع اضداد ذلك فقد
بان بذلك انه لما كان في حال النوم ممكنا كان في حال اليقظة كذلك **واما المقام الثاني** وهو بيان السبب في
الاطلاع على الامور الغيبية فاما في حال النوم فهو انه قد ثبت في العلم الالهي ان جميع الامور يصدق عليها انها
كانت او ستكون معلومة لله تعالى وثبت ان النفس الانسانية من شانها الاتصال بجناب الله تعالى وانما يعوقها عن
ذلك استغراقها في تدبير البدن فاذا حصل لها ادنى فراغ من ذلك كما في حال النوم وانطفت عنها ابواب الحواس الظاهرة
رجعت بطباعها الى الاتصال بالجناب المقدس فينطبع فيها من الصور الحاصلة هناك ما هو اليق بها من احوالها واحوال
ما يقرب منها من الاهل والولد وما يهتم به ثم ان المتخيلة التي من طباعها المحاكاة تحاكي تلك المعاني الكلية الحاصلة
للنفس وتمثلها بصور جزئية وتحطها الى لوح الخيال الحافظ للصور فتبقى تلك الصور مشاهدة للحس المشترك ثم
ان كانت تلك الصور شديدة المناسبة لتلك المعاني بحيث لا افتراق بينهما الا في الكلية والجزئية كانت الرؤيا
غنية عن التعبير وان كانت المناسبة حاصلة بوجه ما كما اذا تصور المعنى بصورة ضده او لازم من لوازمه احتيج حينئذ
الى التعبير وفائدة التعبير التحليل ورجوع الفكر بالعكس من الصور الخيالية الى المعنى النفساني وان لم يكن هناك
مناسبة اصلا كانت الرؤيا اضغاث احلام واما في حال اليقظة فالسبب في ذلك هو ان النفس اذا كانت قوية
وكانت وافية بضبط الجوانب المتجاذبة ولم يكن اشتغالها بتدبير البدن عائقا لها عن ملاحظة مباديها والاتصال
بالحضرة الالهية وكانت المتخيلة بحيث تقوى على استخلاص الحس المشترك وضبطه عن الحواس الظاهرة فان النفس
في الحال هذه اذا توجهت الى الجناب المقدس لاستعلام ما كان او ما سيكون افيضت عليها الصور الكلية لتلك الا

ثم ان النفس تستعين في ضبط تلك الامور الكلية بالقوة المتخيلة فتحاكي تلك المعاني بما يشبهها من الامور المحسوسة
ثم تحطه الى خزانة الخيال فيصير مشاهدا للحس فربما سمع الانسان كلاما منظوما او شاهد منظرا بهيا يخاطبه بكلام
بما يجب من احواله فان كان ذلك وحيا صريحا او الهاما والا احتاج الى التاويل **واما المقام الثالث** وهو صدور
الاخبار بالامور الغيبية عنه فستعلمها في مواضع كثيرة من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى لا يقال لا نسلم ان ذلك
علم الهمه الله تعالى اياه وافاضه عليه بل الرسول عليه السلام اخبره بوقايع جزئية من ذلك وح لا يبقى بينه وبين غيره
فرق في هذا المعنى فان الواحد منا لو اخبره الرسول عليه السلام بشيء من ذلك لكان له ان يحكي ما قال الرسول
وان وقع المخبر به على وفق قوله ويدل على ذلك قوله بعد وصفه الاتراك وقد قال له بعض اصحابه في ذلك المقام
لقد اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب فضحك وقال للرجل وكان كلبيا يا اخا كلب ليس هذا بعلم غيب وانما هو تعلم
من ذي علم وانما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه من قوله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم
ما في الارحام من ذكر وانثى وقبيح وجميل وشقي وسعيد ومن يكون للنار حطبا او في الجنان للنبيين مرافقا
فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه احد الا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه صلى الله عليه وآله فعلمنيه ودعا لي
بان يعيه صدري ويضطم عليه جوانحي وهذا تصريح بانه تعلم من رسول الله صلى الله عليه وآله لانا نقول انا لم ندع
انه كان يعلم الغيب بل المدعى انه كان لنفسه القدسية استعداد ان ينتقش بالامور الغيبية عن افاضة جود الله
وفرق بين علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله وبين ما ادعيناه فان المراد بعلم الغيب هو العلم الذي لا يكون مستفادا
عن سبب يفيده وذلك انما يصدق في حق الله تعالى اذ كل علم لذي علم عداه فهو مستفاد من جوده اما بواسطة
او بغير واسطة فلا يكون علم غيب وان كان اطلاعا على امر غيبي لا يتاهل للاطلاع عليه كل الناس بل يختص
بنفوس خصت بعناية الهية كما قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول واذا عرفت ذلك
ظهر ان كلامه عليه السلام صادق مطابق لما اردناه فانه نفى ان يكون ما قاله علم غيب بل هو مستفاد من جود الله و
قوله وانما هو تعلم من ذي علم اشارة الى وساطة تعليم الرسول له وهو اعداد نفسه على طول الصحبة بتعليمه وارشاده
الى كيفية السلوك واسباب التطويع والرياضة حتى استعد للانتقاش بالامور الغيبية والاخبار عنها وليس التعليم هو
ايجاد العلم وان كان امرا قد يلزمه ايجاد العلم فتبين اذن ان تعليم رسول الله صلى الله عليه وآله له لم يكن بمجرد توقيفه
على الصور الجزئية بل اعداد نفسه بالقوانين الكلية ولو كانت الامور التي تلقاها عن الرسول عليه السلام صورا
جزئية لم يحتج الى مثل دعائه في فهمه لها فان فهم الصور الجزئية امر ممكن سهل في حق من له ادنى فهم وانما يحتاج الى
الدعاء واعداد الاذهان له بانواع الاعدادات هو الامور الكلية العامة للجزئيات وكيفية انشعابها منها وتفريعها
وتفصيلها واسباب تلك الامور المعدة لادراكها ومما يؤيد ذلك قوله عليه السلام علمني رسول الله صلى الله عليه وآله
الف باب من العلم فانفتح لي من كل باب الف باب وقول الرسول صلى الله عليه وآله اعطيت جوامع الكلم واعطي علي جوامع
العلم والمراد بالانفتاح ليس الا التفريع وانشعاب القوانين الكلية عما هو اعم منها وبجوامع العلم ليس الا ضوابطه

وقوانينه

وقوانينه وفي قوله واعطي بالبناء للمفعول دليل ظاهر على ان المعطي لعلي جوامع العلم ليس هو النبي بل الذي اعطاه
ذلك هو الذي اعطاه اعني النبي جوامع الكلم وهو الحق سبحانه وتعالى واما الامور التي عددها الله سبحانه من الامور الغيبية
وقوله لا يعلمها احد الا الله كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وهو محتمل للتخصيص كما في قوله عالم الغيب فلا
يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وهذا الامر واضح لا يحتاج العاقل في انكشافه الى كلفة وسيجيء في
اثناء الشرح ما يزيد ذلك وضوحا ان شاء الله تعالى **البحث الثاني** في بيان صدور الافعال الخارقة للعادة عنه و
النظر ايضا اما في امكان ذلك او في سببه او في نفس وقوعه منه **المقام الاول** في امكانه واسبابه ويجب على من اهله
الله سبحانه لاستشراق انواره اذا سمع ان وليا من الاولياء اتى بفعل ليس في وسع نظرائه من ابناء نوعه الاتيان بمثله كالامساك
عن الطعام المدة المديدة التي ليست في وسع ابناء نوعه وكالتحريك او الحركة الخارجة عن وسع مثله وكما يشاهد من
طوفانات تقع باستدعائهم وزلازل وانزال عقوبات وخسف بقوم حق عليهم القول واستشفاء المرضى واستسقاء
العطشى وخضوع عجم الحيوانات وغيرها ان لا يبادر الى التكذيب فانه عند الاعتبار يجد تلك الامور ممكنة في الطبيعة
اما الامساك عن القوت فتامل امكانه فيما يقابل وجوده عند عروض عوارض غريبة لنا اما بدنية كالامراض الحادة
واما نفسانية كالخوف والغم وسبب الامساك في حال المرض اما في الامراض البدنية فان القوى الطبيعية تشتغل
بهضم المواد الردية عن تحريك المواد المحمودة فتجد المواد المحمودة حينئذ محفوظة قليلة التحلل غنية عن طلب البدل
لما تحلل فربما انقطع الغذاء عن صاحبها مدة لو انقطع مثله عنه في غير حالته تلك عشر تلك المدة هلك وهو مع
ذلك محفوظ الحيوة واما النفسانية فانه قد يعرض بعروض الخوف للخائف سقوط الشهوة وفساد الهضم والعجز
عن الافعال الطبيعية التي كان متمكنا منها قبل الخوف لوقوف القوى الطبيعية عن افعالها بسبب اشتغال النفس
بما اهمها عن الالتفات الى تدبير البدن واذا عرفت امكان ذلك بسبب العوارض الغريبة فاعلم ان سبب تحققه
في حق العارف هو توجه نفسه بالكلية الى عالم القدس المستلزم لتشييع القوى البدنية لها وذلك ان النفس المطمئنة
اذا راضت القوى البدنية انجذبت القوى خلفها في مهماتها التي تنزع اليها واشتداد ذلك الانجذاب بشدة الجذب
فاذا اشتد الاشتغال عن الجهة المولى عنها وقفت الافعال الطبيعية المتعلقة بالقوة النباتية فلم يكن من
التحليل الا دون ما يكون في حال المرض لاختصاص المرض ببعض ما يقتضي الاحتياج الى الغذاء كتحلل رطوبات
البدن بسبب عروض الحرارة الغريبة المسماة بسوء المزاج الحار لان الغذاء انما يكون لسد بدل ما يتحلل من
تلك الرطوبات وشدة الحاجة الى الغذاء انما يكون بحسب كثرة التحليل وكقصور القوى البدنية بسبب المرض
المضاد له وانما الحاجة الى حفظ تلك الرطوبات لحفظ تلك القوى اذ كانت مادة الحرارة الغريزية المقتضية
لتعادل الاركان الذي لا تقوم تلك القوى الا معه وشدة الحاجة الى ما يحفظ تلك القوى انما هي بحسب شدة
فتورها **واما العرفان** فانه يختص بامر يوجب الاستغناء عن الغذاء وهو سكون البدن عند اعراض القوى
البدنية عن افعالها حال متابعتها للنفس لانجذابها خلفها حال توجهها الى الجناب المقدس وتطعمها

بلذة مفارقة الحق واليه الاشارة بقوله عليه السلام لست كاحدكم ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني واذا عرفت ذلك
ظهر ان المرض وان اقتضى الامساك الخارق للعادة الا ان العرفان بذلك الاقتضاء اولى واما القدرة على الحركة
التي تخرج عن وسع مثله فهي ايضا ممكنة وبيانها انك علمت ان مبدأ القوى البدنية هو الروح الحيواني فالعوارض
الغريبة التي تعرض للانسان تارة تقتضي انقباض الروح متحركا الى داخل كالخوف والحزن وذلك يقتضي انحطاط
القوة وسقوطها وتارة تقتضي حركته الى خارج كالغضب وانبساطا معتدلا كالفرح المطرب والانتشار المعتدل له
ذلك يقتضي ازدياد القوة ونشاطها واذا عرفت ذلك فاعلم انه لما كان فرح العارف ببهجة الحق اتم واعظم من
فرح ما عداه بما عداها وكانت الغواشي التي تغشاه وتحركه اضرابا بالحق وحمية ربانية اعظم مما يعرض لغيره لاجرم
كان اقتداره على حركة غير مقدورة لغيره امكن واما التنبؤ في الامور الخارقة فهو انه قد ثبت في غير هذا الموضع
ان تعلق النفس بالبدن ليس تعلق انطباع فيه انما هو على وجه انها مدبرة له مع تجردها ثم ان الهيئات النفسانية قد
تكون مبادي لحدوث الحوادث وبيانه اما اولا فلانك تشاهد انسانا يمشي على جذع ممدود على الارض ويتصرف عليه
كيف شاء ولو عرض ذلك الجذع بعينه على جدار عال لوجد عند المشي عليه احجاما مترددا لا يواعده وهم بالسقوط من
الهوى لتصوره وانفعال بدنه عن وهمه حتى يتساقط واما ثانيا فلان الامزجة تتغير عن العوارض النفسانية
كثيرا كالغضب والخوف والفرح وغير ذلك وهو ضروري واما ثالثا فلان توهم المرض والصحة قد يوجب ذلك
وهو ايضا ضروري اذا عرفت ذلك فنقول انه لما كانت الامزجة قابلة لهذه الانفعالات عن هذه الاحوال النفسانية
فلا مانع ان يكون لبعض النفوس خاصية لاجلها تتمكن من التصرف في عنصر هذا العالم بحيث يكون نسبتها الى
كلية العناصر كنسبة انفسنا الى ابداننا فيكون لها حينئذ تاثير في اعداد المواد العنصرية لان يفاض عليها
صور الامور الغريبة التي تخرج عن وسع مثلها فاذا انضمت الى ذلك الرياضات فانكسرت سورة الشهوة والغضب
وبقيتا اسيرتين في يد القوة العاقلة فلا شك انها حينئذ تكون اقوى على تلك الافعال ثم تلك الخاصية اما
بحسب المزاج الاصلي او بحسب مزاج طار غير مكتسب او بحسب الكسب والاجتهاد في الرياضة وتصفية النفس والذي
يكون بحسب المزاج الاصلي فهو ذو المعجزات من الانبياء او الكرامات من الاولياء فان انضم اليها الاجتهاد في الرياضة
بلغ الغاية القصوى في ذلك الكمال وقد يتفق على مزاج من له هذه الخاصية ان يستعملها في طرق الشر وفي الامور
الخبيثة ولا يزكي نفسه كالساحر فيمنعه خبثه عن الترقي الى درجة الكمال واعلم ان الشرط الاول للنبوة ان يكون
الشخص مامورا من السماء باصلاح النوع ثم من لوازم مرتبة الانبياء امور الاول ان يستغنوا في اكثر علومهم عن معلم بشري
بل يحصل لهم بحسب قوة الحدسية القدسية الشريفة البالغة وشدة اتصال نفوسهم بالحق سبحانه الثاني ان يكون
هيولى العالم طوعا لما ارادوا من الامور العجيبة الخارقة للعادة كالخسف والتحريكات والتسكينات الثالث ان
يتمكنوا من الاخبار عن المغيبات والامور الجزئية الواقعة اما في الماضي او في المستقبل والشرط الاول هو العمدة في
تميز درجة الانبياء عن غيرهم ولا شك ان اختصاصهم بها انما هو لشدة اتصالهم فاذن هم اشد اتصالا بالمبدأ الاول

واكل قوة من غيرهم وكذلك اختلاف مراتبهم عايد ايضا الى تفاوت نفوسهم في قربها من المبدأ واتصالها به ولما باقي
الخصال فقد يشاركهم فيه الاولياء ويجمعهم والى هذا المعنى اشار النبي صلى الله عليه وآله بقوله علماء امتي كانبياء
بني اسرائيل وكان التفاوت بين المعجزة والكرامة انما يرجع الى ان الخصال المذكورة ان صدرت عمن له الشرط الاول
سميناها معجزا وان صدرت من غيرهم كانت في حقه كرامة وتحقيق هذه المباحث مبني على مقدمات واصول ليس
هذا موضع ذكرها فليطلب ذلك من مظانها وبالله التوفيق المقام الثاني في وقوع الفعل الخارق عنه عليه السلام
واعلم ان الطريق الى ذلك هو النقل وقد نقل عنه ذلك في صور كثيرة بعضها بحسب التواتر وبعضها بخبر الاحاد فمن
الامور الخارقة المنقولة عنه بحسب التواتر قلعه لباب خيبر لما انتهى اليه وكان من صخرة واحدة بعجز الجماعة عن تحريكه و
روى في كيفية حاله في ذلك انه لما اقتلعه دحا به اذرعا واجتمع عليه سبعون رجلا وكان جهدهم ان اعادوه الى
مكانه وروي انه قال عالجت باب خيبر وجعلته مجنا لي وقاتلت القوم فلما اخزاهم الله وضعت الباب على حصنهم طرحا
ثم رميت به في خندقهم فقال له رجل لقد حملت يا امير المؤمنين منه ثقلا فقال ما كان الا مثل جنتي التي في يدي في غير
ذلك المقام ومعلوم ان ذلك لم يصدر عن قوة بدنية والا لقدر لذلك من هو اقوى صورة منه ولذلك قال
عليه السلام والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن قلعته بقوة ربانية وللشعراء في هذه الابيات
كثيرة والقصة مشهورة مهما القدر يكفينا في بيان فضائله عليه السلام وعليك في باقي الامور المنقولة عنه في
ذلك بالكتب المصنفة في بيان معجزات الانبياء وكرامات الاولياء ولقد اجتهد بنو امية في اخفاء فضائله و
اطفاء نوره بالتحريف ووضع المعايب والمثالب حتى سبوه على جميع المنابر ومنعوا ان يروى حديث يتضمن له فضيلة
وان يسمى باسمه احد فلم يزدد بذلك الاخفاء الا ظهورا ولم يثمر ذلك الاطفاء الا نورا ويابى الله الا ان يتم نوره
ولو كره الكافرون وكان مولده عليه السلام قبل ظهور دعوة النبي صلى الله عليه وآله بثلث عشرة سنة وقيل اثنتي
عشرة سنة وقيل عشر سنين وقتل ليلة الجمعة لثلث عشرة ليلة بقين من شهر رمضان من سنة اربعين من هجرة
الرسول صلى الله عليه وآله بجامع الكوفة وهو ابن ثلث وستين سنة فهذا ما اوردناه من هذه المقدمة ولنشرع
بعدها في تقرير المطالب وقبله نذكر نسب السيد الرضي رضي الله عنه ونبين ما عساه ان يشكل من لفظه في
خطبة الكتاب اما نسبه فهو السيد الشريف رضي الدين ذو الحسبين محمد بن الطاهر ذي المناقب ابي احمد الحسين بن
موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن ابي طالب عليه السلام و
ذي الحسبين لاجتماع اصله الفاخر الذي هو منبع الحسب مع فضيلة نفسه وكمالها بالعلم والادب وكان مولده
ببغداد سنة تسع وخمسين وثلثمائة وتوفي في المحرم سنة ست واربعمائة بالكرخ من بغداد ودفن مع اخيه المرتضى
في جوار جده الحسين عليه السلام قال رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد حمد الله الذي جعل الحمد
ثمنا لنعمائه ومعاذا من بلائه ووسيلا الى جنانه وسببا لزيادة احسانه والصلوة على رسوله نبي الرحمة وامام الائمة
وسراج الامة المنتجب من طينة الكرم وسلالة المجد الاقدم ومغرس الفخار المعرق وفرع العلاء المثمر المورق

علي بن

وعلى اهل بيته مصابيح الظلم وعصم الامم ومنار الدين الواضحة ومثاقيل الفضل الراجحة صلى الله عليهم اجمعين صلوة تكون ازاء لفضلهم ومكافاة لعملهم وكفاء لطيب فرعهم واصلهم ما انار فجر ساطع وخوى نجم طالع فانى كنت فى عنفوان السن وغضاضة الغصن ابتدات بتاليف كتاب فى خصايص الائمة عليهم السلام يشتمل على محاسن اخبارهم وجواهر كلامهم حدانى عليه غرض ذكرته فى صدر الكتاب وجعلته امام الكلام وعاقت عن اتمام بقية الكتاب محاجزات الايام ومماطلات الزمان وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك ابوابا وفصلته فصولا فجاء فى اخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير فى المواعظ والحكم والامثال والاداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة فاستحسن جماعة من الاصدقاء ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين ببدايعه ومتعجبين من نواصعه وسالونى عند ذلك ان ابتدى بتاليف كتاب يحتوى على مختار كلام امير المومنين فى جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وادب علما ان ذلك يتضمن من عجايب البلاغة وغرايب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنياوية ما لا يوجد مجتمعا فى كلام ولا مجموع الاطراف فى كتاب اذ كان امير المومنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ومنشا البلاغة ومولدها ومنه عليه السلام ظهر مكنونها وعنه اخذت قوانينها وعلى امثلته حذا كل قايل خطيب وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ومع ذلك فقد سبق وقصروا وتقدم وتاخروا لان كلامه عليه السلام الكلام الذى عليه مسحة من العلم الالهى وفيه عبقة من الكلام النبوى فاجبتهم الى الابتداء بذلك عالما بما فيه من عظيم النفع ومنشور الذكر ومذخور الاجر واعتمدت به ان ابين من عظيم قدر امير المومنين عليه السلام فى هذه الفضيلة مضافة الى المحاسن الدثرة والفضايل الجمة وانه عليه السلام انفرد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الاولين الذين انما يوثر عنهم منها القليل النادر والشاذ الشارد فاما كلامه عليه السلام فهو البحر الذى لا يساجل والجم الذى لا يحافل واردت ان يسوغ لى التمثل فى الافتخار به عليه السلام بقول الفرزدق

اولئك ابائى فجئنى بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع

ورايت كلامه عليه السلام يدور على اقطاب ثلثة اولها الخطب والاوامر وثانيها الكتب والرسايل وثالثها الحكم والمواعظ فاجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والادب مفردا لكل صنف من ذلك بابا ومفصلا فيه اوراقا لتكون لاستدراك ما عساه يشذ عنى عاجلا ويقع الى اجلا واذا جاء شىء من كلامه الخارج فى اثناء حوار او جواب كتاب او غرض اخر من الاغراض فى غير الانحاء التى ذكرتها وقررت القاعدة عليها نسبته الى اليق الابواب به واشدها ملامحة لغرضه وربما جاء فيما اختاره من ذلك فصول غير متسقة ومحاسن كلم غير منتظمة لانى اورد النكت واللمع ولا اقصد التتالى والنسق ومن عجايبه عليه السلام التى انفرد بها وامن المشاركة فيها ان كلامه الوارد فى الزهد والمواعظ اذا تامله المتامل وفكر فيه المتفكر وخلع من قلبه انه كلام مثله ممن عظم قدره ونفذ امره واحاط بالرقاب ملكه لم يعترضه الشك فى انه من كلام من لا حظ له فى غير الزهادة ولا شغل له بغير العبادة قد قبع فى كسر بيت او انقطع الى سفح جبل لا يسمع الا حسه ولا يرى الا نفسه ولا يكاد يوقن بانه كلام من ينغمس فى الحرب مصلتا سيفه فيقط

وفرغت من الخصايص التى تخص امير المومنين عليا صلوات الله عليه ع

الى م

والتذكير والزواجر

الرقاب ويجدل الابطال ويعود به ينطف دما ويقطر مهجا وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد وبدل الابدال وهذه من فضايله العجيبة وخصايصه اللطيفة التى جمع بها بين الاضداد والف بين الاشتات وكثيرا ما اذاكر الاخوان بها واستخرج عجبهم منها وهى موضع للعبرة بها والفكرة فيها وربما جاء فى اثناء هذا الاختيار اللفظ المردد والمعنى المكرر والعذر فى ذلك ان روايات كلامه عليه السلام تختلف اختلافا شديدا وربما اتفق الكلام المختار فى رواية فنقل على وجهه ثم وجد بعد ذلك فى رواية اخرى موضوعا غير وضعه الاول اما بزيادة مختارة او بلفظ احسن عبارة فيقتضى الحال ان يعاد استظهارا للاختيار وغيرة على عقايل الكلام وربما بعد العهد ايضا بما اختير اولا فاعيد بعضه سهوا ونسيانا لا قصدا واعتمادا ولا ادعى مع ذلك انى احيط باقطار جميع كلامه عليه السلام حتى لا يشذ عنى منه شاذ ولا يند ناد بل لا ابعد ان يكون القاصر عنى فوق الواقع الى والحاصل فى ربقتى دون الخارج من يدى وما على الا بذل الجهد وبلاغ الوسع وعلى الله سبحانه نهج السبيل ورشاد الدليل ان شاء الله ورايت من بعد تسمية هذا الكتاب بنهج البلاغة اذ كان يفتح للناظر فيه ابوابها ويقرب عليه طلابها وفيه حاجة العالم والمتعلم وبغية البليغ والزاهد ويمضى فى اثنائه من عجيب الكلام فى التوحيد والعدل وتنزيه الله سبحانه عن شبه الخلق ما هو بلال كل غلة وجلاء كل شبهة ومن الله سبحانه استمد التوفيق والعصمة واتنجز التسديد واستعيذه من خطاء الجنان قبل خطاء اللسان ومن زلة الكلم قبل زلة القدم وهو حسبى ونعم الوكيل **اقول** اما حرف يفصل به الكلام المقسم الى قسمين او اكثر وتفصيل الجمل فيخص معه كل واحد بحكم ليس للاخرى فقوله اما بعد حمد الله هو الجزء الثانى من الكلام وتقدير الكلام مع الجزء الاول اما قبل الشروع فى المطلوب فاحمد الله واما بعد حمد الله فانى كنت فى عنفوان السن وانما حذف الجزء الاول اختصارا للكلام وايجازا له ثم استمر ذلك الحذف وحسن استعماله فى الكتب الخطابية وغيرها حتى صار اظهار المحذوف هيهنا مستهجنا بعد ما يستحسن الحذف وقال سيبويه انه مع الجملة التى يدخل عليها فى قوة شرطى متصل فقال اذا قلت اما زيد فمنطلق فكانك قلت مهما يكن من شىء فزيد منطلق ونبه على ذلك بلزوم الفاء لجوابها وجعل فيها الكلام مشتملا على جملتين شرط وجزاء والمذكور هيهنا انما هو الجملة الجزائية واما الشرط فمحذوف للاختصار وهذا الحرف ينوب عنه كما ناب يا للنداء مناب ادعو ونعم مناب الجواب وانما اخرت الفاء عن موضعها وهو المبتدا الى الخبر لئلا يقع فى صدر الكلام مع ان حقها التوسط اما بين مفردين او جملتين وقوله بعد ظرف يستدعى متعلقا وتقديره واما قولى بعد حمد الله فهو كذا والحمد لفظ مشكك يصدق على معنى الشكر الذى هو الاعتراف بالنعمة المتقدمة والثناء والتعظيم لزومهما للشاكر وعلى الثناء المطلق ابتداء والتعظيم لغير المحسن الى الحامد اذا راى منه فعلا جميلا دون ان يكون فى حقه فهو ادن اعم من الشكر وهو اخص من المدح لاختصاصه بالعقلاء فى حق العقلاء دون غيرهم اذ يقال مدحت الفرس ولا يقال حمدته والمعاذ الملجا والوسيل جمع الوسيلة وهى كل ما قربك الى الله تعالى او الى غيره والصلوة لفظ مشترك بين معان وهو من الله تعالى رحمة والنبى ماخوذ اما من النبوة والنباوة وهى الارتفاع لكونه مرتفعا على الخلق رئيسا لهم فيكون اصله غير الهمزة واما من النبا وهو الخبر لانه يخبر عن الله تعالى والامة الجماعة والمنتجب المستخلص المصطفى والسلالة الشىء ما استل منه والمستخرج والنطفة سلالة

والمعونة

لج

الانسان ومنه التليل للولد والمجد في الاصل الكرم والمجيد الكريم وكذلك الماجد فاعرق الرجل اذا صار عريقا
وهو الذي له عرق في الكرم واصل والعصم جمع عصمة وهي المنع وفلان عصمة الخلق اذا منع الاذى عنهم وهو منهم والمنار
علم الطريق وهو لفظ مفرد واصل الفه الواو وقد يستعمل جمع المنارة كما افاده الرضي هٰهنا ولذلك انث صفته وهذا
الجمع على غير قياس فان وزن منارة مفعلة وقياس مفعلة في الجمع مفاعل ولذلك كان الجمع الاصلي لمنارة مناور
قال الجوهري ومن قال منائر وهمز فقد شبه الاصلي بالزائد واما دفي حذوه في الجمع والمثاقيل جمع مثقال وهو
ما يوزن به الذهب والفضة ويكون حذاءها ثم كثر استعماله حتى عدي الى الموزون ايضا فيقال مثقال مسك ونحوه
ثم عدي الى الامور المعقولة والمقادير منها فقيل مثقال الفضل وهذا الشيء انا له كذلك وحذاءه وقابله وكذلك
المكافاة والكفاء يقال كافات فلانا بالشيء اذا قابلته به وجزيته عليه وكفاء الشيء بالمد والهمز مثله ونظيره
من جزاء ونحوه ومنه كفات الاناء اذا املاته وخوى النجم بالتخفيف سقط وبالتشديد اذا مال للمغيب وعنفوان
الشباب والسن اوله والغض الطري وغضاضة الغصن طراوته ونزولته وحداني على كذا اي بعثني وحملني عليه وهو
ماخوذ من حداء الابل وهو زجرها والغناء لها الباعث لها على السير والحامل لها على السرعة فيه والخصايص جمع
خصيصة فعيلة بمعنى فاعلة وهي ما يختص بالانسان من كمال وعزم والمحاجزات جمع محاجزة وهي لما تعقد من الطرفين
كان الايام مما تعرض عن العمل وموعا منعها له والمماطلات جمع مماطلة مفاعلة ايضا من الطرفين كان له
لا اختياره بطول بعده باعجاز العمل فخلفت وكانه هو لطول امله بعيد الزمان بوقوع العمل فيه فخلفت و
اعجب فلان بكذا على البناء للمفعول فهو معجب اذا احبه ومال اليه وصار عنده في محل ان يتعجب منه ومنه
قولهم اعجب فلان برايه وعقله والبدايع جمع بديعة فعيلة بمعنى مفعولة وهي الفعل على غير مثال ثم صار
يستعمل في الفعل الحسن وان سبق اليه مبالغة في حسنه فكانه لكمال حسنه لم يسبق اليه والتعجب قولك ما احسن
كذا ونحوه من الالفاظ والنواصع جمع ناصعة والناصع من كل شيء خالصه ويوضع الامر ووضح وبان ومعجبين
ومتعجبين منصوبان على الحال والعجب بالشيء سبب للتعجب منه وفنون الكلام انواعه واساليبه المختلفة و
علما منصوب على المفعول له او على انه مصدر سد مسد الحال اي عالمين والعامل فيه قوله سالوني والقوانين
جمع قانون وهو كل صورة كلية يتعرف منها احكام جزئياتها المطابقة لها ولفظه معرب سرياني وقيل عربي
ماخوذ لكونه ثابتا باقيا اما من القن وهو العبد الذي ملك هو وابواه فهو ثابت في الملك من جنبيه ومن القنقن
وهو الدليل الهادي والبصير بالماء في حفر القني وكذلك القنافن بمعنى القناقن لكون القانون هاديا الى
تعرف جزئياته ويقال على فلان مسحة من جمال اي اثر وعلامة وهو خاص بالمدح قال رسول الله صلى الله عليه
واله في جرير بن عبد الله البجلي عليه مسحة من ملك واثر ذلك قال ذو الرمة على وجه مي مسحة من ملاحة
وتحت الثياب الشين لو كان باديا وعبق به الطيب اي لزق به وانتشرت عنه رائحته والعبقة والعبقة الرايحة
العبوق واعبقت اي فصدرت والذرة الكثيرة وكذلك البحبحة والاثر ما بقي من رسم الشيء وسنن رسول الله

صلى الله عليه واله اثاره ويوثر عنهم ينقل عنهم من الاثار والشاذ المنفرد الذي لا يصحب امثاله وشرد البعير
نفر عن الابل وخرج عن نظامها والمساجلة المغالبة والمفاخرة في سقي وجري واصله من السجل وهو الدلو العظيمة
اذا كان فيها ماء قال الفضل بن عباس من يساجلني يساجل ماجدا يملأ الدلو الى عقد الكرب ومحفل القوم
ومحتفلهم اي مجتمعهم والمحافلة مفاعلة من الطرفين وقوله لا يحافل اي ليس في كلامه غيره مجمع للفضايل يقابل
كلامه وقطب الرحى المسمار الذي عليه تدور ثم استعمل في كل اصل ينتهي اليه ويرجع فقيل قطب القوم لسيدهم لكونه
عليه مدار امورهم وقطبا الفلك لنهايتي محوره وهو الخط الذي يتوهم مارا بمركز الفلك منتهيا في الجهتين الى
طرفيه وعليه يدور والاقسام الكلام التي تدخل اجزاؤه تحتها ويدور عليه والخطبة اعم من الوعظ والوعظ التخويف
ويخص في العرف بالتذكير بايام الله وامر الاخرة وعذاب النار ونحوه والرسايل اعم من الكتاب بجواز ان
يكون بالقول دون كونها مكتوبة والصنف في اللغة والنوع واحد وان كان بينهما في عرف اخر فرق والاجماع
تصميم العزم على الامر وخلوصه من التردد واثناء الشيء اضعافه وهو جمع ثني بكسر الثاء وسكون النون تقول انفذت
كذا ثني كتابي اي في طيه والحوار الخطاب والجواب والمحاورة المجاوبة والتراد في الكلام يقال كلمته فلم يحر جوابا
والانحاء جمع نحو وهو القصد وقواعد البيت الاحجار التي يوسس عليها بناؤه قال تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد
من البيت وقواعد الهودج الخشبات الاربع المعترضات في اسفله ثم عدي الى كل اصل يبنى عليه من كلام وغيره
والملامحة المشابهة من قولهم في فلان ملامح من ابيه اي مشابه واصله من لمح البصر وهو النظر الخفيف لسرعة
الزوال وذلك ان اللمح منفصل وهو موضع اللمح والمشابه محال اللمح فلذلك اشتقت منها الملامحة وروي الملاءمة
وهي الملاءمة وروي ملائمة ايضا والمتسق المنتظم يتلو بعضه بعضا واصله المنتسق فادغمت النون في التاء
والنكت جمع نكتة وهي الاثر في الشيء يتميز به بعض اجزائه عن بعض ويوجب له الانتقاد والتفات الذهن اليه
كالنقطة في الجسم والاثر فيه الموجب للاختصاص بالنظر ومنه رطبة منكتة اذا بدا ارطابها ثم عدي الى الكلام
والامور المعقولة التي يختص بعضها بالدقة الموجبة لمزيد العناية والفكر فيها فيسمى ذلك البعض نكتة واللمع
جمع لمعة وهي البقعة من الكلاء وكذلك الجماعة من الناس واصله من اللمعان وهو الاضاءة والبريق لان البقعة
من الارض ذات الكلاء كانها تضيء لخضرتها ونضارتها دون ساير البقاع وعدي ذلك الى محاسن الكلام ويلمع
لاستنارة الاذهان به ولتميزه عن ساير الكلام فكانه في نفسه ذو ضياء ونور واعتراض الشك خطوره بالبال
المانع للجزم بالحكم في المشكوك فيه وقبع القنفذ قبعا وقبوعا اذا ادخل راسه في جلده وكذلك الرجل اذا
ادخل راسه في قميصه واصله من قبوع القنفذ وكسر البيت اسفل شقة البيت التي تلي الارض من حيث تكسر جانبا
من عن يمينك وشمالك حكاه ابن السكيت وسفح الجبل سطحه وجوانبه التي يسيل عليها الماء من اعلاه وقد
يقال بالصاد ايضا ويوقن بعلم يقينا واصله ياء صارت الياء التي هي الاصل واوا للضمة قبلها وانغمس الرجل
فيه بكليته واصله من الدخول في الماء ونحوه من المايعات واصلت سيفه جرده من غمده وقط الشيء قطعه

عرضا وقده وشقه قطعه طولا والبطل الشجاع وجدله اى القاه على الجدالة وهى الارض ونطف ينطف بضم
الطاء فى المستقبل نطفانا اى سال والمهج جمع مهجة وهى الدم ويقال هى دم القلب خاصة والمهجة الروح ايضا
دما ومهجا منصوبان على التميز والابدال قوم صالحون لا تخلوا الارض منهم اذا مات واحد بدل الله مكانه آخر
قال ابن دريد الواحد بديل وقيل بدل ايضا والعبرة الاسم من الاعتبار وهو انتقال الذهن من امر الى امر ونظير
المعين والاستظهار للشىء الاستعانة بغيره والحفظ بالشىء الاستعانة به وعلى الشىء الاستعانة بغيره لدفعه
والغيرة بفتح الغين مصدر قولك غار الرجل على اهله يغار غيرة وغارا ورجل غيور وامرأة غيور ايضا اذا كان كثير
الغيرة والغيرة المرتفعة التى يعرض للذى يحوص عن تخيل مشاركة غير المستحق له لذلك الحق له فيه والعقائل جمع عقيلة
وعقيلة كل شىء اكرمه واحسنه والاقطار جمع قطر وهى الناحية والجانب وند البعير يند ندا وندودا نفر وشرد
والربق بكسر الراء وسكون الباء حبل فيه عرى كثيرة وتشد البهم الواحدة من العرى ربقة وفى الحديث من
فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه والجد الحرص والاجتهاد والبلاغ الاسم من التبليغ والابلاغ
اقيم مقام المصدر والنهج الطريق الواضح والبغية بكسر الباء وضمها ما يراد ويبتغى من الشىء والبلال بكسر الباء
العذر الذى يبل به الحلق من ماء او لبن والغلة والغليل العطش الشديد وجلاء السيف وغيره صقاله و
واذالة ما يعرض له من الكدر وجلاء القلب والنفس ازالة ما يعرض لها من كدر الشبهة والجهل وتجزيت الامر بانك
اعجازه وقضاياه والاستعاذة طلب العوذ وهو الالتجاء كقوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وزلة اللسان
الخطاء فى القول وزلة القدم خطاء الطريق والانحراف عنه وعدم التثبت على الصراط المستقيم اذا عرفت ذلك
فلنرجع الى المعنى قوله اما بعد حمد الله الى قوله وزيادة احسانه اقول ان حمد الله تعالى سواء كان عبارة عن الثناء
والتعظيم المطلق او عن الشكر المستلزم لتقدم النعمة والاعتراف بها وتعظيمه بها فان المستحق له فى الحقيقة
ليس الا الله سبحانه ومع ذلك فهو من اجل العبادات له واكملها اما الاول فلان كل محسن من الخلق انما يحسن
طلبا لجلب منفعة او دفع مضرة وهذا الاحسان فى الحقيقة معاملة وان عد فى العرف احسانا اما الحق سبحانه
فلما كان منزها عن طلب المنفعة ودفع المضرة لم يكن احسانه لاستفادة لاحدهما فكان المحسن الحق ليس الا هو
فكان المستحق لكل اقسام الحمد ليس الا هو واما الثانى فبيانه اما فى الثناء المطلق لله تعالى وتعظيمه فلاستلزامه
ملاحظة جلال الله وكبريائه وتصور للجهة التى باعتبارها كان مستحقا للثناء والتعظيم دون غيره وهو كونه الها
وربا وخالقا لكل ما سواه ومنزها عن نقص مبرءا عن كل عيب وهذه الملاحظة والاعتبار هو مطلوب الشارع
من جميع العبادات وهو جار منها مجرى الروح للجسد وكذلك الشكر لله سبحانه فانه مستلزم لمعرفته ومحبته والالتفات
اليه وملاحظة الجهة التى بها كان مستحقا للشكر وهى افاضة النعم التى لا تحصى على العبد ولا يقدر غيره على
مثلها وهذه الملاحظات هى الاسرار المطلوبة من العبادات وبها تكون نافعة واذا علمت ان الحمد من اكمل
العبادات واتمها ثم علمت ان عبادته سبحانه هى المطلوبة له من خلقه دون غيرها كما قال تعالى وما خلقت

الجن والانس الا ليعبدون علمت ان الحمد من اكمل المطالب لله فالاتيان به يكون مستلزما لرضوان الله وما
يستلزمه الرضوان من الخيرات الدائمة والنعم الباقية واذا عرفت ذلك فاعلم ان السيد رضى الله عنه اشار بهذه
الفصول الاربعة الى اربعة انواع من تلك الخيرات الاول قبول الحمد ورضاه من العبد مع كونه ايسر شىء مؤنة
واخفه على اللسان كلفة ثمنا مقابلا لكافة نعماء الله وحقه وذلك فى الحقيقة نعمة اخرى وهو هبة كبرى تستدعى
حمدا آخر وهلم جرا فسبحان الذى لا تحصى نعماؤه ولا تستقصى آلاؤه وقوله ثمنا استعارة لطيفة ووجه المشابهة
ان الثمن لما كان مستلزما لرضا البايع به عوضا من مبيعه وكان الحمد مستلزما لرضا الحق سبحانه فى مقابلة نعمه
لاجرم اشبه الثمن فاستعير لفظه له وفى الخبر ان الله تعالى اوحى الى ايوب عليه السلام انى رضيت الشكر مكافاة
من اوليائى فى كلام طويل الثانى جعله الحمد معاذا من بلائه وبيانه اما اولا فلقوله تعالى ولئن كفرتم ان عذابى
لشديد فانه تعالى لما توعد بالعذاب من كفر نعمته مع ارادته للحمد والشكر وامره بهما فى غير موضع علمنا ان الشكر
والحمد من اسباب الخلاص من العذاب الاليم والبلاء العظيم لاستلزامهما عدم سببه وهو الكفران واما ثانيا
فلانك علمت ان الاتى بالحمد مستحق لرضوان الله تعالى من جهة ما هو حامد والمستحق لرضوان الله ناج من عذاب الله
فكان الحمد معاذا للعوذ به من بلائه الثالث جعله الحمد وسيلا الى جنانه وبيانه اما اولا فلكونه من اتم
العبادات وكون العبادة وسيلة الى الجنة ظاهر واما ثانيا فلما روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله ينادى يوم القيمة
ليقم الحامدون فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحامدون قال الذين يشكرون الله
على كل حال الخبر بان الحامدين يدخلون الجنة بسبب حمدهم الرابع جعله الحمد سببا لزيادة احسانه وبيانه اما اولا
فلقوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم فعلق زيادة النعمة بجرم الشكر واما ثانيا فلان الجود الالهى لا بخل
فيه ولا منع وانما النقصان من جهة العبد لعدم الاستحقاق واذا استعد لقبول النعم بالحمد افاض الله تعالى
عليه نعمه ثم لا يزال يستعد بالحمد والشكر على النعم السابقة للمزيد بالنعم اللاحقة الى ان يخرج كل كمال له بالقوة
الى الفعل فيلحق بدرجة الكروبيين ومجاورة المقربين المعتكفين فى حظيرة الجبروت وقد عرفت من هذا
البيان ان كون هذه الامور لازمة للحمد انما هو بجعل الله تعالى ملاحظة لعباده بعين عنايته وشمولا لهم بعموم
رحمته قوله والصلوة على رسوله نبى الرحمة الى قوله وحوى نجم طالع اقول اردف حمد الله تعالى بالصلوة على رسوله
محمد صلى الله عليه وآله وذلك من الآداب الدينية التى استمرت عليها العادة فى الخطب وذكر له صلى الله عليه وآله
اوصافا سبعة الاول كونه نبى الرحمة ملاحظة لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وتفصيل هذه الرحمة
من وجوه احدها انه الهادى الى سبيل الرشاد والقائد الى رضوان الله سبحانه وبسبب هدايته يكون وصول
الخلق الى المقاصد العالية ودخول جنات النعيم التى هى غاية الرحمة الثانى ان التكاليف الواردة على يديه
صلى الله عليه وآله اسهل التكاليف واخفها على الخلق بالنسبة الى سائر التكاليف الواردة على ايدى الانبياء
السابقين لاممها قال عليه السلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وذلك عناية من الله ورحمة خص بها امته

على بديه الثالث انه ثبت ان الله يعفو عن عصاة امته ويرحمهم بسبب شفاعته الرابع انه عليه السلام رحم كثيرا
من اعدائه كاليهود والنصارى والمجوس ببذل الامان لهم وقبول الجزية منهم وقال صلى الله عليه وآله من اذى
ذميا فقد آذانى ولم يقبل احد من الانبياء الجزية قبله الخامس انه سال الله تعالى ان يرفع عن امته بعده عذاب
الاستيصال ودفع العذاب رحمة السادس وان الله تعالى وضع في شرعه عليه السلام الرخص تخفيفا ورحمة لامته
الثانى كونه امام الائمة اما صدق كونه اماما فلوجهين احدهما ان الامام هو الذي يقتدى به في اقواله
وافعاله والانبياء عليهم السلام احق الخلق بهذه الصفة اذ هم الاصل في ذلك الثانى قوله لابرهيم ع انى
جاعلك للناس اماما واما كونه امام الائمة فلقوله عليه السلام آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيمة
الثالث كونه سراج الامة وبيانه قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا وهذه استعارة لطيفة له عليه السلام فان السراج لما كان من خاصيته اضاءة ما حوله واهتداء الخلق
به في الظلمة وكان النبي عليه السلام قد اضاء قلوب العالم بانوار الوحى والرسالة حتى اهتدى الخلق به من ظلمة
الجهالة لاجرم حسنت استعارة لفظ السراج له وهى استعارة لفظ المحسوس للمعقول على سبيل الكناية عن كونه
هاديا للخلق ومرشدا لهم الى الطريق الحق الرابع كونه منتجبا ومختارا من طينة الكرم وطينة الكرم كناية عن
اصله والكرم حقيقة في السخاء ومجاز في مطلق الشرف والمراد ان الله سبحانه اصطفاه من اصل هو محل الكرم
والشرف الخامس كونه سلالة المجد الاقدم واضافة سلالة الى المجد اما على تقدير حذف المضاف لاصلى
يكون التقدير سلالة اهل المجد الاقدم واما ان يكون قد استعار لفظ المجد لاهله عليه السلام فكانه تخيل
ان الاصل كله مجد فاعطاه لفظة المجد واضاف اليه بعد الاستعارة ثم وصف المجد بكونه اقدم لزيادته في
الفضل على المحدث بل على القديم السادس كونه مغرس الفخار المعرق وقد استعار لفظ المغرس الذي هو حقيقة
في الارض لطينته وجعله استعارة على وجه الكناية عن شرفه وكماله ووجه المشابهة ان طينته عليه السلام
محل لظهور الفخار عنها كما ان الارض الحرة محل لظهور النبات الطيب لحسن عنها ووصفه بكونه معرقا الزيادة
على ما ليس كذلك وهذا من قبيل ترشيح الاستعارة فانه لما جعل للفخار مغرسا جعل له عرقا السابع كونه فرع
العلاء المثمر المورق فلما استعار لفظ الفرع الذي هو حقيقة في اغصان الشجرة المتفرعة عن اصلها له عليه السلام
من جهة ما هو فرع في الوجود عن آبائهم اهل العلو والشرف في بما هو من كمال الفرع وهو كونه مثمرا مورقا
وهو ترشيح للاستعارة ايضا فان الغصن الخالى عن الثمر والورق او عن احدهما ناقص عن الكمال والحسن وهى استعارة
على سبيل الكناية عن شرفه بالنظر الى شرف اصله واضافة الفرع هاهنا الى العلاء كاضافة لفظ السلالة
الى المجد فالكلام فيهما واحد واما بيان صدق الاوصاف الاربعة الاخيرة من وجوه الاول ما روى عنه
انه قال لم يزل الله تعالى ينقلنى من اصلاب الطاهرين الى ارحام المطهرات لم يدنسنى بدنس الجاهلية وكفى بذلك
شرفا وكرما الثانى انه صلى الله عليه وآله من ولد اسمعيل وابرهيم عليهما السلام وكرمهما مشهور قال وهب كان

ابرهيم ع اول من اضاف الضيف واول من ثرد الثريد واطعم المساكين الثالث نسبه عليه السلام من قريش
وشرف قريش في العرب ظاهر فمنهم قصى الذى جمع قبايل قريش وانزلها مكة وبنا دار الندوة واخذ مفتاح
الكعبة من خزاعة ومنهم هاشم بن عبد مناف الذى هشم الثريد لقومه في عام المحل ومنه سمى هاشما واصل
اسمه عمرو وقال الشاعر فيه عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف ومنهم عبد المطلب بن
هاشم وكان من حكماء العرب ومحصليها وهو سيد الوادى وشيبة الحمد صاحب الفيل الاعظم ومن بركة النور الذى
كان في صلبه دفع الله عن بيته كيد اصحاب الفيل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل ومن بركة ذلك
النور راى الرويا في تعريف موضع زمزم وهو الذى الهم النذر لما نذر ان يذبح العاشر من اولاده وكيفية
الفداء الى حتى افتخر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك وقال انا ابن الذبيحين وكان يامر اولاده بترك الظلم
والبغى ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وكان لشرفه وفضل عقله قد سلم اليه النظر في
حكومات العرب وفصل الخصومات بينهم فكان يوضع له وسادة عند الملتزم فيستند الى الكعبة ويحكم بينهم
وجزئيات فضله وشواهد عقله كثيرة والحاصل يدل على انه كان مقرا بالصانع الحكيم موحدا له معترفا بامر المعاد
من دامها طالع كتب التواريخ قوله وعلى اهل بيته الى قوله ومثاقيل الفضل الراجحة اقول اختلف الناس في
المراد باهل البيت في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فقال الجمهور ان نساء النبى
عليه السلام مرادون بهذه الاية ومن الناس من خصصها بهن متمسكين بسياق الكلام قبلها وبعدها واتفقت
الشيعة على انها خاصة بعلى وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وهو قول ابى سعيد الخدرى وهو مراد الرضى
هاهنا مع من بعدهم من الائمة الاثنى عشر وقد وصفهم باربعة اوصاف احدها كونهم مصابيح وهى استعارة
لهم يكنى بها عن كونهم يهتدى بهم من ظلمات الجهل كما يهتدى بالمصباح في الظلمة وثانيها كونهم عصما للامم اى
مانعين لهم بسبب هدايتهم لهم الى سلوك الصراط المستقيم عن التورط في احد طرفى الافراط والتفريط وثالثها
كونهم منار الدين الواضحة وقد عرفت ان المنار هى محال الانوار وهى ايضا استعارة حسنة كما مر ورابعها كونهم
مثاقيل الفضل الراجحة وهذه الاضافة اما بمعنى اللام اى مثاقيل للفضل اى اذا اعتبر فضل غيرهم ونسب
بعضه الى بعض كانوا مثاقيل راجحة الفضل يعتبر رجحان بعضه على بعض بالنسبة اليها او بمعنى من اى مثاقيل من
الفضل مطبوعة ترجح على غيرها ولفظ المثاقيل هاهنا مستعار لهم ايضا ووجه المشابهة كونهم معيارا للخلائق
وموازين لهم كما ان المثقال كذلك قوله صلى الله عليهم اجمعين الى قوله نجم طالع اقول لما دعا الله سبحانه لهم
بالصلوة نبه على استحقاقهم لها باعتبار ثلثة امور احدها اعتبار فضائلهم النفسانية كالعلوم والملكات
الخلقية الفاضلة وثانيها اعتبار اعمالهم الظاهرة كالعبادات البدنية وثالثها اعتبار طيب اصولهم الزاكية
المطهرة وتفرعهم عنها بان هذه الامور هى جهات استحقاق الرحمة قوله فانى كنت في عنفوان السن الى آخر
الكلام اقول لما صدر الخطبة بذكر الله تعالى والثناء عليه والصلوة على رسوله واهل بيته صلى الله عليهم شرع

واعاشها كثيرة

للف

فى اقتضاء حاله فى جمع هذا الكتاب وذكر الاسباب الحاملة له على ذلك وفى مدح كلامه على عليه السلام ثم ذكر
فى ذلك الاقتضاء امورا يحتاج الى التنبيه الاول ان هذا المجموع من الكلام جزء من كل من كلامه عليه السلام
وذلك فى قوله ان ابتدى بتاليف كتاب يحتوى على مختار كلام امير المؤمنين عليه السلام وذلك امر ظاهر قال
قطب الدين الراوندى رحمه الله سمعت بعض العلماء بالحجاز يقول انى وجدت بمصر مجموعا من كلام على عليه السلام
فى نيف وعشرين مجلدا الثانى ان قوله جواهر العربية وبوائق الكلم الدينية والدنياوية استعارتان لطيفتان
لهذين اللفظين من الجوهر المخصوصين بالمعنيين اللذين هما فصاحة الالفاظ العربية والحكمة الفاضلة
التى يشتمل عليهما كلامه عليه السلام ووجه المشابهة هو ما اشتركا فيه من العزة والنفاسة كل بالنسبة الى جنسه
فعزة الجوهر بالنسبة الى مطلق الاحجار وعزة الالفاظ الفصيحة والحكمة البالغة بالنسبة الى سائر الالفاظ
والمعانى المعقولة الثالث كونه عليه السلام مشرعا للفصاحة وموردا لها وهى ايضا استعارة لهذين اللفظين
اللذين هما حقيقة فى النهر والعين ونحوهما له عليه السلام ووجه المشابهة ان الشريعة من الماء كما يردها العطشان
للترقى والاستقاء كذلك هو عليه السلام مرجع للخلق فى استفادة الفصاحة ولو قال مصدرها ومويدها
لكان ابلغ اذ كان المشرع والمورد مترادفين او قريبين من الترادف وكذلك قوله منشأ البلاغة ومولدها
استعارة ايضا تشبيها له عليه السلام بالام وتشبيها للفصاحة بالولد فى الصدور عنه الرابع قوله لان كلامه
عليه السلام الكلام الذى عليه مسحة من العلم الالهى وفيه عبقة من الكلام النبوى فقد راى العلم الالهى كان حسنا
وجها لاحى جعل فى كلامه عليه السلام اثرا منه وقدر الكلام النبوى طيبا كالمسك الاذفر حتى جعل فى كلامه عليه السلام
عبقة منه واستلزم ذلك تخييل حاستى البصر والشم للعقل ليدرك بالاولى المسحة من العلم الالهى وبالثانية
العبقة من الكلام النبوى وهى استعارة على طريق الكناية فكنى بالمسحة عما ادركه العقل فى كلامه عليه السلام
من الحكمة المشار اليها فى القرآن الكريم والفصاحة وكنى عما ادركه من الاسلوب والطريقة الموجودة فيه مع الفصاحة
والحكم فى الكلام النبوى فكان العقل يبصر ويشم بقوتيه اثر العلم الالهى فيه ويشم رائحة الكلام النبوى منه
قال ابو الحسن الكيدرى رحمه الله انما خص الكلام الالهى بالمسحة والكلام النبوى بالعبقة لان كلامه اشد
شبها بكلام الرسول صلى الله عليه وآله فهو كالجزء منه لانهما غصنا دوحة وفرعا ارومة ولما كان معنى عبوق
الشىء بالشىء لزومه له والتصاقه به صار اشد اتصالا به كالجزء منه فلذلك قال عبقة من الكلام النبوى ولما
كان معنى المسحة الاثر من الجمال ولم يكن مجرد الاثر من الشىء فى الشىء يوجب لزومه له وشدة المشابهة به وكان
كلام البارى سبحانه بعيد الشبه بكلام الخلق لاجرم خصه بالمسحة دون العبقة وهذا الفرق مع تحسينه فيه
تكلف ويمكن ان يفرق على وجه آخر فيقال ان العبقة ادل على وجود العابق من المسحة على وجود ما هى منه فان
العبقة تدل على وجود العابق للمحل فى الظاهر وفى نفس الامر واما المسحة من الشىء وهى الاثر منه فانما تدل
على وجوده للمحل فى الظاهر فقط الا ترى الى قوله على وجهه مسحة من ملاحة وتحت الثياب الشين لو كان باديا

وايضا فان اثر الجمال او المروة او الملك قد يدل عند بعض الاذهان ولا يدل عند بعض آخر واذا عرفت ذلك
فنقول لما كان كلام على عليه السلام شديد المناسبة بكلام النبوة فى الاسلوب الظاهر وفى الحكم الباطنة كان
كالجزء منه فكانت استعارة لفظة العبقة لكلام النبوة اولى لدلالتها على شدة تخييل وجود ما هى منه وهو كلام النبوة
فى كلامه على حتى كانه جزء منه ولما كان الكلام الالهى بعيد المناسبة لكلام الخلق وكانت نسبة كلام على عليه السلام اليه
فى بعض الجهات اما فى اشتماله على بعض الحكم او على الفصاحة دون الاسلوب وكانت المسحة من الشىء انما
يدل على وجوده من بعض الجهات وهى الظاهر فقط كانت استعارة لفظ المسحة للكلام الالهى اولى والله اعلم
الخامس قوله فهو البحر الذى لا يساجل استعار لفظ البحر لكلامه عليه السلام واشار الى وجه المشابهة بقوله لا يساجل
فان المساجلة لما كانت هى المغالبة فى السقى والجرى وكان كلامه عليه السلام اكثر جريانا فى كلام البلغاء من غيره
وكانت اوعية اذهانهم قد امتلأت من فيضه لاجرم اشبه البحر الذى لا يغلب بجريانه فى سقى ولا جرى اى لا يقاوم
فى فصاحة ولا حكمة وكذلك قوله لا يحافل استعارة للفظ المحافلة التى هى من اوصاف الانسان لكلامه تشبيها
له بالرجل ذى المحفل الجم والجماعة الكثيرة التى لا يمكن ان يكاثر بمثلها السادس قوله يسوغ الى التمثل مجاز فى
الاسناد فان السوغ حقيقة فى الشراب فاسناده الى التمثل مجاز ووجه العلاقة ان التمثل بما يريد اذا احسن
الناس وسار كان ذلك لذيذا عنده فاشبه فى لذاذته وجريانه بين الناس الماء الزلال فى لذاذته وسهولة
جريانه فى الحلق فحسن اسناد لفظ السوغ اليه السابع قوله وخلع من قلبه انه كلام مثله الى قوله لم يعترضه الشك
الضمير فى مثله راجع الى على عليه السلام ومن فى قوله ممن ليبان الجنس ومعنى الكلام ان المتفكر فى كلامه اذا فرضنا
انه لم يعرف انه من كلامه عليه السلام او كلام شخص آخر مثله فى كونه عظيم القدر نافذ الامر حائضا فى غمرات الحروب
مشافها بنفسه تدبير امور الخلق ونظام احوالهم قد ملك الارض بل فرض انه وجد هذا الكلام غير منسوب الى
شخص معروف الحال فانه والحال هذه لا يعترضه شك فى انه كلام مخلص معرض عن غير الله بقلبه غير مشتغل بغير
عبده فى تجنبه اذ الشك الذى عساه يعرض لبعض الاذهان الضعيفة فى انه ليس بكلامه انما ينشأ من معرفته
بانه كلام شخص خائض فى تدبير الدنيا واحوالها فتكون تلك المعرفة منشأ لعروض الشك فى ان هذا الكلام
ليس بكلامه وحمله لهذه الحال وانما قال قد قبع فى كسر بيت وانقطع الى سفح جبل لان ذلك من شعار الزهاد المعرضين
عن الدنيا والضمير فى قوله يسمع وحسه عائد الى من اى لا يسمع هو الاحس نفسه الثامن قوله ينغمس فى الحرب مصلتا
استعارة حسنة فى لفظه اى فى نسبة الانغماس الى الحرب فان الانغماس حقيقة فى الدخول فى الماء ونحوه
ومعناه الا ان الحرب لما كانت فى غمارها واختلاط المحاربين فيها تشبه الماء المتراكم الجم صحت نسبة الانغماس
اليها كما صحت اليه فيقال انغمس فى الحرب وخاض فيها ونحوه وقوله يقط المهج ان فسرنا المهجة بالدم كانت نسبة
القط اليها حقيقة وان فسرناها بالروح كانت مجازا تشبيها للروح بالمائعات الخارجة من الانسان كالدم
ونحوه التاسع قوله مع ذلك زاهد الزهاد وبدل الابدال الواو للحال وثبوت هذين الوصفين له عليه السلام

معلوم من انتساب الصوفية واهل التجريد اليه وقد بينا في مقدمة الكتاب انه عليه السلام كان سيد العارفين
بعد سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وبينا ايضا ان نفسه القدسية كانت وافية بضبط الجوانب المتجاذبة قوية
عليها فلذلك لم يكن اشتغاله بتدبير امور الدنيا ومعالجات الحروب ونظام شمل المصلحة مانعا له عن الاشتغال
بالعبادة التامة والاقبال بوجه نفسه القدسية على الانتعاش بانوار الله والاخلاص له والاعراض عن
متاع الدنيا وطيباتها وهذه من فضايل نفوس الانبياء وكمالات نفوس الاولياء اما الزهد فهو الاعراض
عن غير الله وقد يكون ظاهرا وقد يكون باطنا الا ان المنتفع به هو الباطن قال صلى الله عليه وآله ان الله لا
ينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم وان كان لا بد من الزهد الظاهري ولا
ان الزهد الحقيقي في مبدأ السلوك لا يحقق والسبب فيه ان اللذات البدنية حاضرة والغاية العقلية
التي يطلبها الزاهد الحقيقي غير متصورة له في مبدأ الامر واما الظاهري فهو ممكن متيسر لمن قصده لغير
غايته وهي الرياء والسمعة ولذلك قال صلى الله عليه وآله الرياء قنطرة الاخلاص ولما بينا ان عليا عم
كان سيد العارفين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فلا بد وان يكون زهده حقيقيا وسره في اثناء كلامه
بلوغه في درجة الزهد الغاية واما كونه مع ذلك بالشجاعة المشهورة عنه فهو انك علمت ان نفس العارف يجب
ان تكون مستلزمة للملكات الخلقية وقد عرفنا ان الشجاعة اصل منها ولان المانع من الاقدام على الاهوال
والمكاره انما هو خوف الموت وحب البقاء والعارف بمعزل عن تقية الموت اذ كانت محبة الله تعم شاغلة عن
الالتفات الى كل شيء بل ربما يكون الموت مشتهى له لكونه وسيلة الى لقاء محبوبه الاعظم وغايته القصوى
وقد بينا ذلك في تفصيل اخلاق العارفين من كتاب مصباح العرفان واما الابدال فقد نقل انهم سبعون
رجلا منهم اربعون بالشام وثلثون في ساير البلاد وفي الحديث عن علي عليه السلام الابدال بالشام والنجباء
بمصر والعصايب بالعراق يجتمعون فيكون بينهم حرب العاشر قوله واستخرج عجيبهم اي عجيبهم منها من القوم الى
الفصل ومن روى عجيبهم بضم العين فالمراد انه اذا اذكرهم بهذه الفضيلة ليظهر محبتهم لها وميلهم اليها قال
الحسن الكندي واستخرج عجيبهم اي اعرفهم انهم عاجزون عن امثالها فلا يبقى لهم حينئذ عجب بانفسهم منها
من اجل معرفتها وظاهر ان هذا اللفظ لا يعطي هذا المعنى الحادي عشر قوله والعذر في ذلك ان روايات كلامه
عليه السلام تختلف اختلافا شديدا قوله سبب الاختلاف يحتمل وجهين احدهما انه عليه السلام ربما تكلم بالمعنى
الواحد مرتين او اكثر بالفاظ مختلفة كما هو شان البلغاء واهل الفصاحة فينقل السامعون باللفظ الاول
والثاني فتختلف الرواية الثاني ان الناسخ الصدر الاول كانوا يلتقطون الكلام من افواه الخطباء و
يحفظونها على الولاء وربما لا يتمكن السامع من حفظ كل اللفظ ومراعاة ترتيبه فيقع بسبب ذلك الخلل
في الترتيب او نقصان في الرواية وربما راعى بعضهم حفظ المعنى من دون ضبط الالفاظ فاورد في اللفظ زيادة
ونقصانا الثاني عشر قوله نهج البلاغة استعارة لطيفة لهذا الكتاب لان النهج حقيقة في الطريق الواضح

الطريق

المحسوسة ووجه المشابهة ان الطريق لما كانت محل الانتقال بالمشي وقطع الاحياز المحسوسة من واحد الى آخر
كذلك الذهن ينتقل في هذا الكتاب من بعض لطايف البلاغة وشعب الفصاحة الى بعض اشتغالا سهلا فلذلك
صح نقل لفظ النهج اليه واستعارته وبالله التوفيق فهذا بيان ما عساه يشكل في هذه الخطبة وباقي كلامه ظاهر
ولنشرع في شرح كلام علي عليه السلام باب المختار من خطب امير المؤمنين عليه السلام واوامره وكلامه
الجاري مجرى الخطب في المقامات المحصورة والمواقف المذكورة والخطوب الواردة ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها
ابتداء خلق السماء والارض وخلق آدم عليه السلام قوله الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه
العادون ولا يؤدي حقه المجتهدون الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الذي ليس لصفته حد
محدود ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا اجل ممدود فطر الخلايق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتد
بالصخور ميدان ارضه اول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده
الاخلاص له وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف
انه غير الصفة فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزاه ومن جزاه فقد جهله
ومن جهله فقد اشار اليه ومن اشار اليه فقد حده ومن حده فقد عده ومن قال فيم فقد ضمنه ومن قال
علام فقد اخلى منه كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة فاعل
لا بمعنى الحركات والآلة بصير اذ لا منظور اليه من خلقه متوحد اذ لا سكن يستانس به ولا يستوحش لفقده
اقول اعلم ان هذه الخطبة مشتملة على مباحث عظيمة ونكت مهمة على ترتيب طبيعي فلنفصلها في خمسة فصول
الفصل الاول في تصديرها بذكر الله جل جلاله وتمجيده والثناء عليه بما هو اهله وهو قوله الحمد لله الى
قوله الحمد لله الى قوله ولا يستوحش لفقده اقول المدح والمديح الثناء الحسن والمدحة فعلة من المدح
وهي الهيئة والحالة التي ينبغي ان يكون المدح عليها والاحصاء انهاء العد والاحاطة بالمعدود يقال
احصيت الشيء اي انهيت عده وهو من لواحق العدد ولذلك نسبه الى العادين والنعماء النعمة وهو اسم يقام
مقام المصدر واديت حق فلان اذا قابلت احسانه باحسان مثله والادراك اللحوق والنيل والاصابة
والوصول والوجدان والهمة هي العزم الجازم والارادة يقال فلان بعيد الهمة اذا كانت ارادته تتعلق
بعليات الامور دون محقراتها والغوص الحركة في عمق الشيء من قولهم غاص في الماء اذا ذهب في عمقه والفطن
جمع فطنة وهي في اللغة الفهم وهو عند العلماء عبارة عن جودة استعداد الذهن لتصور ما يرد عليه وحد الشيء
منتهاه والحد المنع ومنه سمي العلماء تعريف الشيء باجزائه حدا لانه يمنع ان يدخل في المحدود ما ليس منه او يخرج
منه ما هو منه والنعت الصفة والاجل المدة المضروبة للشيء والفطر الشق والابتداع قال ابن عباس ما
كنت ادري ما معنى قوله تعالى فاطر السموات والارض حتى جاءني اعرابيان يختصمان على بئر فقال احدهما
انا فطرتها اي ابتدعتها والخلايق جمع خليقة وهي اما بمعنى المخلوق يقال هم خليقة الله وخلق الله اي مخلوقه

نقصان لمن لا يكون له فهكذا شان الخلق فيما يصفون به باريهم فان اوهامهم حاكمة له بكل ما يعدونه
كمالا في حقهم ما لم تقوعقولهم على رد بعض تلك الاحكام الوهمية ولولا ادع الشرع كقوله صلى الله عليه وآله
تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق لصرحوا بكثير من تلك الاحكام في حقه سبحانه وتعالى عما
يصفون ويحتمل ان يكون المراد تنزيهه تعالى عن بلوغ العقول والاوهام تمام الثناء الحسن عليه واحصاء
اي ان العبد كلما بلغ مرتبة من مراتب المدح والثناء كان وراءها اطوار من استحقاق الثناء والتعظيم اعلى
اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله بقوله لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وفي تخصيصه
عليه السلام القائلين دون المادحين بالذكر نوع لطف فان القائل لما كان اعم من المادح وكان سلب
العام مستلزما لسلب الخاص من غير عكس كان ذكر القائلين ابلغ في التنزيه اذ التقدير لا واحد من القائلين
يبلغ مدحة الله سبحانه قوله ولا يحصي نعماءه العادون اقول ان المراد جزئيات نعم الله تعالى وافرادها لا يحيط
بها حصر الانسان وعده لكثرتها وبيان هذا الحكم بالنقل والعقل اما النقل فقوله تعالى وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها وهذه الآية هي منشأ هذا الحكم ومصدره واما العقل فلان نعم الله تعالى على العبد منها
ظاهرة ومنها باطنة كما قال تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ويكفينا في صدق هذا الحكم التنبيه
على بعض جزئيات نعم الله تعالى على العبد فنقول ان من جملة نعمه تعالى على الانسان ان اكرمه بملائكته وجعلهم
سجودا لهم ومخدومنا وجعلهم في ذلك على مراتب فلنذكر اقربهم اليه واخصهم به وهم الملائكة الذين يتولون
اصلاح بدنه والقيام بمهماته وحوائجه وان كانوا في ذلك ايضا على مراتب فجعل سبحانه لهم رئيسا هو له
كالوزير الناصح المشفق من شانه تمييز الاصلح والانفع له والامر به وجعل بين يدي ذلك الوزير ملكا آخر
هو كالحاجب له والمتصرف بين يديه من شانه تمييز صدق الاصدقاء للملك من عداوة الاعداء له وجعل
لذلك الحاجب ملكا خازنا يضبط عنه ما يتعرفه من الامور ليطالعها الوزير عند الحاجة اليها ثم جعل بين
يديه الملكين آخرين احدهما ملك الغضب وهو كصاحب الشرطة موكل بالخصومات والغلبة والبطش
والانتقام والثاني ملك اللذة والمتولي لشهيات الانسان بالطلب والامر بالاحضار وبين يديه
ملائكة اخرى تسعى في تحصيل ما يامره ويطلبه ثم جعل سبحانه وراء هؤلاء سبعة اخرى من الملائكة دابهم اصلاح
غذاء الانسان فالاول موكل بجذب الغذاء الى داخل المعدة اذ الغذاء لا يدخل بنفسه فان الانسان لو
وضع اللقمة في فيه ولم يكن لها جاذب لم تدخل والثاني موكل بحفظه في المعدة الى تمام نضجه وحصول الغرض
منه والثالث موكل بطبخه وتنضيجه والرابع موكل بتفريق صفوته وخلاصته في البدن سدا لبدل ما يتحلل
منه والخامس موكل بالزيادة في اقطار الجسم على التناسب الطبيعي بما يوصله اليه الرابع فهما كالباني والبنا
والسادس موكل بفصل صورة الدم من الغذاء والسابع الذي يتولى دفع الفضلة الغير المنتفع بها عن المعدة
ثم وكل تعالى خمسة اخرى في خدمة شانهم ان يوردوا عليه الاخبار من خارج وجعل لكل واحد منهم طريقا خاصا

وفعلا خاصا به وجعل لهم رئيسا يبعثهم ويرجعون اليه بما علموه وجعل لذلك الرئيس خازنا كاتبا يضبط عنه
ما يصل اليه من تلك الاخبار ثم جعل بين هذا الخازن وبين الخازن الاول ملكا آخر قويا على التصرف والحركة
سريع الانتقال بحيث ينتقل في اللحظة الواحدة من المشرق الى المغرب ومن تخوم الارض الى السماء العليا قادرا
على التصرفات العجيبة وجعله مؤتمرا للوزير تارة وللحاجب اخرى وهو يتفتش الخزانتين ومراجعة الخازنين
باذن الوزير وواسطة الحاجب اذا اراد استعلام امر من تلك الامور فهذه هي الملائكة التي خص الله تعالى بها
بدنه وجعلها اقرب الملائكة المتصرفين في خدمته اليه ثم ان وراء هؤلاء اطوار اخرى من الملائكة الارضية كالملائكة
الموكلين بانواع الحيوانات التي ينتفع بها الانسان وبها تكون مسخرة له وانواع النبات والمعادن
والعناصر الاربعة والملائكة السماوية التي لا يعلم عددهم الا الله سبحانه وتعالى كما قال وما يعلم جنود ربك
الا هو فان كل واحد منها موكل بفعل خاص وله مقام خاص لا يتعداه ولا يتجاوزه كما قال تعالى حكاية عنهم وما
منا الا له مقام معلوم وهم باسرهم متحركون بمصالح الانسان وما فيه من اول تكونه الى حين وفاته باذن المدبر
الحكيم دع ما سوى الملائكة من ساير الموجودات في هذا العالم المشتملة على منافعه وما افاض عليه من القوة
العقلية التي هي سبب الخيرات الباقية والنعم الدائمة التي لا ينقطع موادها ولا يتناهى تعدادها فان كل
ذلك في الحقيقة نعم الهية ومواهب ربانية للعبد يجب لو اختل شيء منها لاختلت منفعته من تلك الجهة
ومعلوم انه لو قطع وقت اجمع بالنظر الى اثار رحمة الله تعالى في نوع من هذه النعم لانتهى ونهاه فكره وقصر عن
احصائه وحصره ومع ذلك كله غافل عن شكر الله جاهل بمعرفة الله مصر على معصية الله فحق ان يقول سبحانه
وتعالى بعد تنبيهه على ضروب نعمه والامتنان بها عليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم
كفار ظلوم لنفسه بمعصية الله معاند للكفر بآلاء الله قتل الانسان ما اكفره ان الانسان لكفور مبين فسبحان
الذي لا تحصى نعماؤه ولا تستقصى آلاؤه وغاية هذا الحكم تنبيه الغافلين من مراقد الطبيعة على لزوم
شكر الله سبحانه والاعتراف بنعمه المستلزم لدوام اخطاره بالبال قوله ولا يؤدي حقه المجتهدون اقول
هذا الحكم ظاهر الصدق من وجهين احدهما انه لما كان اداء حق النعمة هو مقابلة الاحسان بجزاء مثله وثبت
في الكلمة السابقة ان نعم الله سبحانه لا تحصى لزم من ذلك انه لا يمكن مقابلتها بمثل الثاني ان كل ما نتعاطاه
من افعالنا الاختيارية مستند الى جوارحنا وقدرتنا وارادتنا وساير اسباب حركاتنا وهي باسرها مستندة الى جوده
ومستفادة من نعمته وكذلك ما يصدر عنا من الشكر والحمد وساير العبادات نعمة منه فمقابل نعمته بنعمته
روي ان هذا الخاطر خطر لداود وكذلك لموسى عليهما السلام فقال يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع
ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي رواية اخرى وشكري لك نعمة اخرى توجب علي الشكر لك فاوحى الله
تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر اذا عرفت ان النعم مني رضيت منك بذلك شكرا فاما
ما يقال في العرف من ان فلانا ادى حق الله تعالى فليس المراد منه جزاء النعمة بل لما كانت المطلوبات لله تعالى من المكلفين

افعال

او بمعنى الطبيعة لان الخليقة هي الطبيعة ايضا والنشر البسط و وتد بالفتح اي ضرب بالوتد في حايط او في غيره و الصخور الحجارة العظام والميدان الحركة بتمايل وهو الاسم من ماد يميد ميدا وميدانا ومنه غصن مياد متمايل والدين في اصل اللغة يطلق على معان منها العادة ومنها الاذلال يقال دانه اي اذله وملكه ومنه بيت الحماسة دناهم كما دانوا ومنها المجازاة كقوله تعالى انا لمدينون اي مجزيون والمثل المشهور كما تدين تدان ومنها الطاعة يقال دان له اي اطاعه كقول عمرو بن كلثوم عصينا الملك فينا ان ندينا ويطلق في العرف الشرعي على الشرايع الصادرة بواسطة الرسل عليهم السلام وقرنه اي جعل له قرينا والمقارنة الاجتماع ماخوذ من قرن الثور وغيره ومنه القرن للمثل في السن وكذلك القرن من الناس اهل الزمان الواحد قال اذا ذهب القرن الذي انت فيهم وخلفت في قرن فانت غريب والمزايلة المفارقة وهي مفاعلة من الطرفين والمتوحد بالامر المتفرد به عمن يشاركه فيه والسكن بفتح الكاف كل ما سكنت اليه والاستيناس بالشيء ميل الطبع اليه وسكونه وكذلك الناس ومنه الانيس وهو المونس والاستيحاش ضد الاستيناس وهو نفرة الطبع بسبب فقد المونس واعلم انا نفتقر في بيان نظام كلامه عليه السلام في هذا الفصل الى تقديم مقدمة فنقول الصفة امر يعتبره العقل لامر اخر ولا يمكن ان يعقل الا باعتباره معه ولا يلزم من تصور العقل شيئا لشيء ان يكون ذلك المتصور موجودا لذلك الشيء في نفس الامر بيان ذلك ما قيل في رسم المضاف فانه الامر الذي يعقل ماهيته بالقياس الى غيره وليس له وجود سوى معقوليته بالقياس الى ذلك الغير والصفة تنقسم باعتبار العقل الى حقيقية واضافية وسلبية وذلك لان نسبة العقل للصفة الى غيرها اما ان يعقل معها نسبة من المنسوب اليه او لا يعقل فان كان الاول فهو المضاف الحقيقي وحقيقته انه المعقول بالقياس الى غيره بكونه بانه تعقل له اليه نسبة ولا يكون له وجود سوى معقوليته بالقياس اليه ككونه تعالى خالقا ورازقا وربا فان حقيقة هذه الصفات هي كونها معقولة الى مخلوقية ومرزوقية ومربوبية موازية وان كان الثاني فالمنسوب اليه اما ان يكون موجودا للمضاف وليس بموجود له الاول هو الصفات الحقيقية ككونه تعالى حيا فانه امر يعقل بالقياس الى صحة العلم والقدرة له وليس بانه امر يعقل من نسبة اليه والثاني هو الصفات السلبية ككونه تعالى ليس بجسم ولا بعرض وغيرهما فانها امور تعقل له بالقياس الى امور غير موجودة له ثم نقول انه لا يلزم من اتصاف ذاته سبحانه بهذه الانواع الثلثة من الصفات تركيب ولا كثرة في ذاته لانها اعتبارات عقلية تحدثها عقولنا عند المقايسة الى الغير ولم يلزم من ذلك ان يكون موجودة في نفس الامر وان لم تعقل ولما كان من راي العقلاء ان يصفوا خالقهم سبحانه بما هو اشرف طرفي النقيض المتعرف في عقولهم من اعظمية و مناسبة اشرف الطرفين للاعظمية كان ما وصف به تعالى من الصفات الحقيقية والاضافية والسلبية كلها كذلك اذا عرفت ما قلناه فاعلم انه عليه السلام شرع اولا في الاعتبارات السلبية وقدمها على الثبوتية لدقيقة وهي انه قد ثبت في علم السلوك الى الله ان التوحيد المحقق والاخلاص المطلق لا يتم الا بنفض

كل ما عداه عنه وتنزيهه عن كل لاحق له وطرحه عن درجة الاعتبار وهو المسمى في عرف المجردين واهل العرفان بمقام التخلية والنفض و لا يتحقق الشيء الا بعد كان اعتباره مقدما على اعتباره ولهذا الترتيب كان اجل كلمة نطق بها في التوحيد قول لا اله الا الله اذ كان الجزء الاول منها مشتملا على سلب كل ما عدا الحق سبحانه لتغسل درن كل شبهة لخاطر سواه وهو مقام التنزيه والتخلية حتى اذا تراح كل ثان عن محل عرفانه استعد بجوده للتخلية بوجوده وهو ما اشتمل عليه الجزء الثاني من هذه الكلمة لما بيناه انه عليه السلام كان لسان العارفين والمبلغ لاعلاق الطريق الى الواحد الحق سبحانه والمعلم المرشد لكيفية السلوك وكانت الاوهام البشرية حاكمة بمثلية متدركاتها والعقول قاصرة عن ادراك حقيقته والواصل الى ساحل عزته والمنزه له عما يجوز عليه لذاته الكن وجوده نادرا لم يكن للاوهام الواصفة له بما لا يجوز عليه معارض في اكثر الخلق بل كانت جارية على حكمها قابلة لعقولها الى تلك الباطلة كالشبهة ونحوها لا جرم بدا عليه السلام بذكر السلب اذ كان تقديمه سلوكا لتغسل درن الحكم الوهمي في حقه تعالى عن الخيال والذكر حتى اذا ورد عقيب ذلك ذكره تعالى بما هو اهله ورد على لوح صافية من كدر الباطل فانتقشت بالحق كما قال فصادف قلبا خاليا فتمكنا ثم انه عليه السلام بدا بتقديم حمد الله على الكل ههنا وفي ساير خطبه جريا على العادة في افتتاح الخطب وتصديرها وسر ذلك تاديب الخلق بلزوم الثناء على الله تعالى والاعتراف بنعمه عند افتتاح كل خطاب لاستلزام ذلك ملاحظة حضرة الجلال والالتفات اليها في عامة الاحوال وقد بينا ان الحمد يفيد معنى الشكر ويفيد ما هو اعم من ذلك وهو التعظيم المطلق وهو بجميع اقسامه مراد ههنا لكون الكلام في معرض التمجيد المطلق قوله الذي لا يبلغ مدحته القائلون اقول اراد تنزيهه تعالى عن اطلاع العقول البشرية على كيفية مدحه سبحانه كما هي وبيان هذا الحكم ان الثناء الحسن على الشيء انما يكون كما هو اذا كان ثناء عليه بما هو كذلك في نفس الامر وذلك غير ممكن في حق الواجب الوجود سبحانه لا بتعقل حقيقته وما لها من صفات الجلال ونعوت الكمال كما هي وعقول البشر قاصرة عن هذا المقام فالقول وان صدر عن المادحين بصورة المدح المتعارف بينهم وعلى ما هو دابهم من وصفه تعالى بما هو اشرف طرفي النقيض فليس بكمال مدحه في نفس الامر لعدم اطلاعهم على ما به يكون المدح الحق في حقه تعالى وان تصور بصورة المدح الحق والى تاديب الخلق وتنبيهم على بطلان ما يحكم به اوهامهم في حقه تعالى من الصفات وانه ليس الامر كما حكمت به اشار عليه السلام في موضع اخر وقد ساله بعضهم عن التوحيد فقال التوحيد ان لا تتوهمه فجعل التوحيد عبارة عن سلب الحكم الوهمي في حقه تعالى فاستلزم ذلك ان من اجرى عليه حكما وهميا فليس بموحد له على الحقيقة والى هذا النحو اشار الباقر محمد بن علي عليهما السلام مخاطبا وهل سمي عالما قادرا الا لانه وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين فكل ما ميزتموه باوهامكم في ادق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود اليكم والباري تعالى واهب الحيوة ومقدر الموت ولعل النمل الصغار تتوهم ان لله تعالى زبانيتين كما لها فانها تتصور ان عدمهما

خلقهم وانشاهم بالتركيب والتاليف الذي سبيله ان يحصل فيه الشق والتاليف عند ضم بعض الاشياء الى بعض ثم ان الفطر كما يكون شق صلاح كقوله تعالى فاطر السموات والارض كذلك يكون شق فساد كقوله تعالى اذا السماء انفطرت وهل ترى من فطور وانما قال ونشر الرياح برحمته فيما نرى ان نشر الرياح وبسطها لما كان سببا عظيما من اسباب بقاء انواع الحيوان والنبات واستعدادات الامزجة للصحة والنمو وغيرها حتى قال كثير من الاطباء انها تستحيل روحا حيوانيا وكانت عناية الله سبحانه وعموم رحمته شاملة لهذا العالم وهي مستند كل موجود لاجرم كان نشرها برحمته ومن اظهر اثار الرحمة الالهية نشر الرياح حملها للسحاب المترع بالماء واثارتها له على وفق الحكمة ليصيب الارض الميتة فينبت بها الزرع ويملا الضرع كما قال سبحانه وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وقال ويرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته وقال و ارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه والمراد تنبيه الغافلين على ضروب نعم الله بذكر هذه النعمة الجليلة ليستديموها بدوام شكره والمواظبة على طاعته كما قال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم ولقوله لتذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قال بعض الفضلاء ان العرب تستعمل الريح في العذاب والرياح في الرحمة وكذلك نزل القرآن الكريم فالعقيم ريح صرصر قال الريح العقيم وقال يرسل الرياح مبشرات والرياح لواقح وامثاله قوله ووتد بالصخور ميدان ارضه اقول المراد به نظام الارض الى قدرته سبحانه وههنا البحث الاول ان قول القايل وتدت كذا بكذا معناه جعلته وتدا له والموتود ههنا في الحقيقة انما هو الارض وقد جعل الموتود ههنا هو ميدان الارض وهو عرض من الاعراض لا يتصور جعل الجبل وتدا له الا انا نقول لما كان الميدان علة حاملة على ايجاد الجبال وايتادها الارض بها كان الاهتمام به اشد فلذلك قدمه واضاف الصفة الى الموصوف وان كان التقدير وتد بالصخور ارضه المائدة البحث الثاني ان تعليل وجود الجبال بميدان الارض ورد هاهنا وفي القرآن الكريم في مواضع كقوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وكقوله تعالى والجبال اوتادا ولا بد من البحث عن وجه هذا التعليل وفيه خمسة اوجه الوجه الاول قال المفسرون في معنى هذه الايات ان السفينة اذا القيت على وجه الماء تميل من جانب الى جانب وتتحرك فاذا وضعت الاجرام الثقيلة فيها استقرت على وجه الماء وسكنت قالوا فكذلك لما خلق الله تعالى الارض على وجه الماء اضطربت ومادت فخلق الله عليها هذه الجبال ووتدها بها فاستقرت على وجه الماء بسبب ثقل الجبال قال الامام فخر الدين ويتوجه على هذا الكلام ان يقال لا شك ان الارض اثقل من الماء والاثقل من الماء يغوص فيه ولا يبقى طافيا عليه واذا لم يبق كذلك امتنع ان يقال انها تميد وتضطرب بخلاف السفينة اذ كانت مركبة من الاخشاب وداخلها مجوف مملوء من الهواء فلذلك تبقى طافية على الماء فلا جرم تميل وتضطرب الى ان تثقل فاذن الفرق ظاهر الوجه الثاني ما ذكره هو قال انه قد ثبت بالدلايل اليقينية ان الارض

كرة وثبت ايضا ان هذه الجبال على سطح الارض جارية مجرى خشونات وتضريسات حاصلة على وجه الكرة فاذا ثبت هذا فلو فرضنا ان هذه الخشونات ما كانت حاصلة بل كانت الارض كرة حقيقية خالية عن الخشونات والتضريسات لصارت بحيث تتحرك على الاستدارة بادنى سبب لان الجرم البسيط المستدير يجب كونه متحركا على نفسه وان لم يجب ذلك عقلا الا انها تصير بادنى سبب تتحرك على هذا الوجه اما اذا حصل على سطح كرة الارض هذه الجبال وكانت كالخشونات الواقعة على وجه الكرة فكل واحد من هذه الجبال انما يتوجه بطبعه الى مركز العالم وتوجه ذلك الجبل نحو مركز العالم بثقله العظيم وقوته الشديدة يكون جاريا مجرى الوتد الذي يمنع كرة الارض من الاستدارة فكان تخليق هذه الجبال على الارض كالاوتاد المغروزة في الكرة المانعة لها من الحركة المستديرة الوجه الثالث ان نقول لما كانت فائدة الوتد ان يحفظ الموتود في بعض المواضع من الحركة والاضطراب حتى يكون قارا ساكنا وكان من لوازم ذلك السكون في بعض الاشياء صحة الاستقرار على ذلك الشيء والتصرف عليه كان من فائدة وجود الجبال والتضريسات الموجودة في وجه الارض ان لا تكون مغمورة بالماء فيحصل للحيوان الاستقرار والتصرف عليها لاجرم كان بين الاوتاد والجبال الخارجة من الماء في الارض اشتراك في كونهما مستلزمين لصحة الاستقرار مانعين من عدمه لاجرم حسنت استعارة نسبة الايتاد الى الصخور والجبال واما استعارة الميدان فلان الحيوان كما يكون مضادا فاعلا له غير مستقر على الارض بسبب انغمارها في الماء لو لم توجد الجبال كذلك يصدق على الارض انها غير مستقرة تحته ومضطربة بالنسبة اليه فثبت حينئذ انه لولا وجود الجبال في سطح الارض لكانت مضطربة ومائدة بالنسبة الى الحيوان لعدم تمكنه من الاستقرار عليها الوجه الرابع قال بعض العلماء انه يحتمل ان تكون الاشارة بالصخور الى الانبياء والاولياء والعلماء وبالارض الى الدنيا اما وجه التجوز بالصخور عن الانبياء والعلماء فلان الصخور والجبال لما كانت على غاية من الثبات والاستقرار مانعة لما يكون تحتها من الحركة والاضطراب عاصمة لما يلتجي اليها من الحيوان عن ما يوجب له الهرب فيسكن بذلك اضطرابه وقلقله اشبهت الاوتاد من بعض هذه الجهات ثم لما كانت الانبياء والعلماء هم السبب في انتظام امور الدنيا وعدم اضطراب احوال اهلها كانوا كالاوتاد للارض فلاجرم صحت استعارة لفظ الصخور لهم ولذلك يحسن في العرف ان يقال فلان جبل منيع باوي اليه كل ملهوف اذا كان يرجع اليه في المهمات والحوائج والعلماء اوتاد الله في الارض الوجه الخامس ان المقصود من جعل الجبال كالاوتاد في الارض ان يهتدى بها الى طرقها والمقاصد فيها فلا تميد جهاتها المشتبهة باهلها ولا تميل بهم فيتيهون فيها عن طرقهم ومقاصدهم وبالله التوفيق قوله اول الدين معرفته اقول لما كان الدين في اللغة الطاعة كما سبق وفي العرف الشرعي هو الشريعة الصادرة بواسطة الرسل عليهم السلام وكان اتباع الشريعة طاعة مخصوصة كان ذلك تخصيصا من الشارع للعام باحد مسمياته و لكثرة استعماله فيه صار حقيقة دون ساير المسميات لانه المتبادر الى الفهم حال الاطلاق لفظة الدين واعلم ان معرفة الصانع سبحانه

الشريفة والعقلية نسبتي حقوقا له لاجرم سمى المجتهد فى الامتثال موديا لحق الله تعالى وذلك الاداء فى الحقيقة
من اعظم نعم الله على عباده اذ كان الامتثال وساير اسباب السلوك الموصل الى الله تعالى كلها احسنة الحق
وعنايته واليه الاشارة بقوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان
ان كنتم صادقين وما كان فى الحقيقة نعمة لله لا يكون اداء لنعمة الله وجزاء لها وان اطلق ذلك فى العرف لكان
من شان الحق المفهوم المتعارف بين الخلق استلزام وجوب الجزاء والاداء ليدعوا الى الاتيان به وهذه غنية
فيحصل المقصود من التكليف حتى لو لم يعتقدوا انه حق لله بل هو مجرد نفع خالص لهم لم يهتموا به غاية الاهتمام اذ كان
غايته غير متصورة لهم كما هى وقلما تهتم النفوس بامر لا تتصور غايته ومنفعته خصوصا مع المشقة اللازمة
فى تحمله لا ليباعث قاهر من خارج قوله الذى لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن اقول اسناد الغوص هاهنا
الى الفطن على سبيل الاستعارة اذ الحقيقة اسناده الى الحيوان بالنسبة الى الماء وهو مستلزم لتشبيه المعقول
بالماء ووجه الاستعارة هاهنا ان صفات الجلال ونعوت الكمال لما كانت فى عدم تناهيها والوقوف على
حقايقها واغوارها تشبه البحر الخضم الذى لا يصل السابح له الى ساحل ولا ينتهى الغايص فيه الى قراره وكان
السابح لذلك البحر والخائض فى تياره هى الفطن الثاقبة لاجرم كانت الفطنة شبيهة بالغايص فى البحر فاسند
الغوص اليها وفى معناه الغوص فى الفكر والغوص فى النوم ويقرب منه اسناد الادراك الى بعد الهمم اذ كان
الادراك حقيقة فى لحوق جسم لآخر واضاف الغوص الى الفطن والبعد الى الهمم اضافة لمعنى الصفة بلفظ
المصدر الى الموصوف والتقدير لا تناله الفطن الغايصة ولا يدركه الهمم البعيدة ووجه الحسن فى هذه الاضافة
وتقديم الصفة ان المقصود لما كان هو المبالغة فى عدم اصابة ذاته تعالى بالفطنة من حيث هى ذات غوص و
بالهمة من حيث هى بعيدة كانت تلك الحيثية مقصودة بالقصد الاول وقد بينا ان البلاغة يقتضى تقديم
الاهم والمقصود الاول على ما ليس كذلك وبرهان هذا المطلوب ظاهر فان حقيقته تعالى لما كانت بريئة عن
جهات التركيبات عرية عن اختلاف الجهات منزهة عن كثرة المتكثرات وكانت الاشياء انما تعلم بما هى من جهة
حدودها المولفة من اجزائها فاذا صدق ان واجب الوجود ليس بمركب وما ليس بمركب فليس يدرك بحقيقته
صدق ان واجب الوجود ليس يدرك بحقيقته فلا بد لكل همة وان بعدت ولا لكل فطنة وان اشتدت فكل
سابح فى بحار جلاله غريق وكل مدع للوصول فبانوار كبريائه حريق لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يقولون علوا
كبيرا قوله الذى ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود اقول المراد ليس لمطلق ما يعتبره عقولنا له من
الصفات السلبية والاضافية نهاية معقولة يقف عندها فيكون حدا له وليس لمطلق ما يوصف به ايضا
وصف موجود يجمعه فيكون نعتا له ومنحصرا فيه قال ابو الحسن الكيدرى رحمه الله ويمكن ان يأول قوله حد
محدود على ما تاول به كلام العرب ولا يرى الضب بها ينجحر اى ليس بها ضب فينجحر حتى يكون المراد انه ليس له
صفة فتحد اذ هو تعالى واحد من كل وجه منزه عن الكثرة بوجه ما فيمتنع ان يكون له صفة تزيد على ذاته كما فى ساير

المكان

الممكنات وصفاته المعلومة ليست من ذلك فى شيء انما هى سلب واضافات لا يوجب وصفه بها كثرة فى ذاته قال
ومما يؤكد هذا التاويل قوله بعد ذلك فمن وصف الله تعالى فقد قرنه وهذا التاويل حسن وهو راجع الى ما ذكرنا
فى المعنى واما وصف الحد بكونه محدودا فللمبالغة على طريقة قولهم شعر شاعر وعلى هذا التاويل يكون قوله
ولا نعت موجود سلبا للنعت عن ذاته سبحانه اذ التقدير ليس له صفة تحد ولا نعت وقيل معنى قوله ليس لصفته
حد اى ليس لها غاية بالنسبة الى متعلقاتها كالعلم بالنسبة الى المعلومات والقدرة الى المقدورات قوله
ولا وقت معدود ولا اجل ممدود اقول وصف الوقت بكونه معدودا كقوله تعالى فى ايام معدودات وكقوله
وما نؤخره الا لاجل معدود وهو المعلوم الداخل فى الاحصاء والعد وذلك ان العد لا يتعلق بالوقت او الاجل
من حيث هو واحد فانه من تلك الحيثية ليس معدودا بل مبدأ للعدد وانما يتعلق به من حيث انه داخل فى الاوقات
الكثيرة الموجودة فى الزمان اما بالفرض وبالفعل التى يحوج جملتها عند اعتبار التفصيل كونها معدودة اذ
يقال هذا الفرد معدود فى هذه الجملة اى داخل فى عدها ومراده فى هذين الحكمين نفى نسبة ذاته وما يلحقها
الى الكون فى الزمان وان يكون ذات اجل ينتهى اليه فينقطع وجودها بانتهائه وبيان ذلك من وجهين احدهما
ان الزمان من لواحق الحركة التى هى من لواحق الجسم فلما كان البارى سبحانه منزها عن الجسمية استحال ان يكون
فى زمان الثانى انه تعالى اوجد الزمان وهو فى الزمان لزم كون الزمان متقدما على نفسه وهو محال وان اوجد
بدون ان يكون فيه كان غنيا فى وجوده عنه فهو المطلوب فاذن صدق هذين السلبين فى حقه سبحانه معلوم
وقد حصل فى هذه القراين الاربع السجع المتوازى مع نوع من التجنيس قوله الذى فطر الخلايق بقدرته ونشر
الرياح برحمته ووتد بالصخور ميدان ارضه اقول لما قدم الصفات السلبية شرع فى الصفات الثبوتية وهذه
الاعتبارات الثلثة موجودة فى القرآن الكريم اما الاول فقوله تعالى الذى فطركم اول مرة واما الثانى فقوله
وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته واما الثالث فقوله تعالى والقى فى الارض رواسى ان تميد بكم
وقوله وجعل الجبال اوتادا اما المراد بقوله فطر الخلايق بقدرته فاعتباره من حيث استناد المخلوقات الى
قدرته ووجودها عنها ولما كانت حقيقة الفطر الشق فى الاجسام كانت نسبته هاهنا الى الخلق استعارة
وللامام فخر الدين فى بيان وجه الاستعارة فى امثال هذا الموضع بحث لطيف قال وذلك ان المخلوق قبل دخوله
فى الوجود كان معدوما محضا والعقل يتصور من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها ولا شق فاذا اخرج الموجد
المبدع من العدم الى الوجود فكانه بحسب التوهم والتخيل شق ذلك العدم وفطره واخرج ذلك الموجود منه
قلت الا ان ذلك الشق والفطر على هذا التقرير لا يكون للموجود المخرج بل للعدم الذى خرج هذا الموجود
منه اللهم الا على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه حتى يكون التقدير الذى فطر عدم الخلايق
وهو استعمال سايغ فى العرف والعربية كثيرا وحسنه بين الناس ظاهر ومثله فالق الحب والنوى على قول بعض
المفسرين كما بيناه وقال ابن الانبارى لما كان اصل الفطر شق الشيء عند ابتدائه فقوله فطر الخلايق اى

على مراتب فاولاها وادناها ان يعرف العبد ان للعالم صانعا الثانية ان يصدق بوجوده الثالثة ان يترقى
بجذب العناية الالهية الى توحيده وتنزيهه عن الشركاء الرابعة مرتبة الاخلاص له الخامسة نفى الصفات
التى يعتبرها الاذهان له عنه وهى غاية العرفان ومنتهى قوة الانسان وكل مرتبة من المراتب الاربع الاولى
مبدأ لما بعدها من المراتب وكل من الاربع الاخيرة كمال لما قبلها ثم ان المرتبتين الاوليين مركوزتان فى
الفطر الانسانية بل فيما هو اتم منها وهى الفطر الحيوانية ولذلك فان الانبياء عليهم السلام لم يدعوا
الخلق الى تحصيل هذا القدر من المعرفة وايضا فلو كان حصول هذا القدر من المعرفة متوقفا على دعوة الانبياء
وصدقهم مع ان صدقهم مبنى على معرفة ان هاهنا صانعا للخلق ارسلهم للزم الدور وانما كانت اول مرتبة
دعوا اليها من المعرفة هى توحيد الصانع ونفى الكثرة عنه المشتمل عليها اول كلمة نطقوا بها الداعى الى الله وهى قولنا
لا اله الا الله فقال صلى الله عليه وآله من قال لا اله الا الله دخل الجنة ثم لما استعدت اذهان الخلق بما
نطقت به من التوحيد الظاهر نبههم على ان فيها قوة اعداد التوحيد اعلى واخفى من الاول فقال من قال
لا اله الا الله خالصا مخلصا دخل الجنة وذلك اشارة الى حذف كل قيد من درجة الاعتبار مع الوحدة
المطلقة اذا عرفت ذلك فاعلم انه يحتمل ان يكون مراده بالمعرفة المرتبة الاولى من مراتب المعرفة وحينئذ يكون
معنى قوله اول الدين معرفته ظاهرا اذ ذلك القدر اول ما يحصل فى النفس من الدين الحق ويحتمل ان يكون
مراده المعرفة التامة التى هى غاية العارف ونهاية مراتب السلوك وح يكون المراد من كونها اول الدين هو انها
فى العقل وهو اشارة الى كونها علة غائية اذ العلة الغائية متقدمة فى العقل على ما هى علة له وان تأخرت
فى الوجود بيان ذلك ان المعرفة التامة التى هى غاية سعى العارف غير حاصلة له فى مبدأ الامر بل يحتاج فى كماله
له من مراتب المعرفة وتحصيل المعرفة التامة الى الرياضة بالزهد والعبادة وتلقى الاوامر الالهية بالقبول التى
هى سبب تمام الدين فيستعد ولا يستعد بها للتصديق بوجوده يقينا ثم لتوحيده ثم للاخلاص له ثم لنفى كل ما
عداه عنه فيغرق فى تيار بحار العظمة وكل مرتبة ادركها فهى كمال لما قبلها الى ان يتم المعرفة المطلوبة له بحسب
ما فى وسعه وبكمال المعرفة يتم الدين وينتهى السفر الى الله قوله وكمال معرفته التصديق به الى قوله نفى الصفات
اقول ترتيب هذه المقدمات على هذا الوجه يسمى قياسا مفصولا وهو القياس المركب الذى مطوى فيه النتايج
وعند ذكرها يتبين ان المقصود منها بيان ان كمال معرفته نفى الصفات عنه وهذا القياس ينحل الى قياسا
تشبه قياس المساواة لعدم الشركة بين مقدمتى كل منها فى تمام الاوسط فيحتاج فى انتاج كل منها الى قياس
آخر والمطلوب من التركيب الاول وهو قوله كمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده ان
كمال معرفته توحيده وانما يلزم عنه هذا المطلوب بقياس آخر صورته ان معرفته كمالها توحيده وكلما
كان كمال الكمال توحيده فينتج ان كمال معرفته توحيده المقدمة الاولى فلان التوحيد كمال التصديق وهو
كمال للمعرفة واما الثانية فلان كمال كمال الشيء كمال للشيء وهكذا فى باقى التراكيب والمطلوب من تركيب

هذه النتيجة مع المقدمة الثالثة وهى قوله وكمال توحيده الاخلاص له ان كمال معرفته الاخلاص له ومن
تركيب هذه النتيجة مع المقدمة الرابعة وهى قوله وكمال الاخلاص له نفى الصفات عنه يحصل المطلوب
واعلم ان فى اطلاق الكمال عليهما تنبيها على ان معرفة الله تعالى معقول بحسب التشكيك اذ كانت قابلة للزيادة
والنقصان وبيان ذلك ان ذات الله تعالى لما كانت بريئة عن انحاء التركيب لم يكن معرفته ممكنة الا بحسب
رسوم ناقصة تتركب من سلوب واضافات بلوازم دائمة المقدس لزوما معقولا فتلك السلوب والاضافات
لما لم يكن متناهية لم يمكن ان يقف المعرفة بحسبها عند حد واحد بل تكون متفاوتة بحسب زيادتها ونقصانها
وخفائها وجلائها وكذلك كمال التصديق والتوحيد والاخلاص واذا تقرر ذلك فلنشرع فى تقرير
المقدمات اما المقدمة الاولى وهى ان كمال معرفته التصديق به وبيان ذلك ان المتصور لمعنى ان للعالم
عارف به من تلك الجهة معرفة ناقصة تمامها الحكم بوجوده ووجوبه اذ من ضرورة كونه موجدا للعالم
كونه موجودا فان ما لم يكن موجودا استحال بالضرورة ان يصدر عنه اثر موجود فهذا الحكم اللاحق هو كمال
معرفته واما الثانية وهى قوله وكمال التصديق به توحيده فبيانها ان من صدق بوجوده الواجب ثم جهل مع
ذلك كونه واحدا كان تصديقه به تصديقا ناقصا تمامه توحيده اذ كانت الوحدة المطلقة لازمة لوجوده
الواجب فان طبيعة واجب الوجود بتقدير ان يكون مشتركة بين اثنين فلا بد لكل واحد منهما من مميز ورا ما
الاشتراك فيلزم التركيب فى ذاتيهما وكل مركب ممكن فيلزم الجهل بكونه واجب الوجود وان تصور معناه
وحكم بوجوده واما الثالثة وهى قوله وكمال توحيده الاخلاص له ففيها اشارة الى ان التوحيد المطلق للعارف
انما يتم بالاخلاص له وهو الزهد الحقيقى الذى هو عبارة عن تنحية كل ما سوى الحق الاول عن سنن الايثار
وبيان ذلك انه ثبت فى علم السلوك ان العارف ما دام ملتفتا مع ملاحظة جلال الله وعظمته الى شيء سواه
فهو بعد واقف دون مقام الوصول جاعل مع الله غيره حتى ان اهل الاخلاص ليعدون ذلك شركا خفيا
كما قال بعضهم من كان فى قلبه مثقال خردل سوى جلالك فاعلم انه مريض وانهم ليعبرون فى عشق الاخلاص
ان يغيب العارف عن نفسه حال ملاحظته لجلال الله وان لحظها فمن حيث هى لاحظة لا من حيث هى متزينة
بزينة الحق فاذن التوحيد المطلق ان لا يعتبر معه غيره مطلقا وذلك هو المراد بقوله وكمال توحيده الاخلاص
له واما المقدمة الرابعة وهى ان كمال الاخلاص له نفى الصفات عنه فقد بين عليه السلام صدقها بقياس
برهانى مطوى النتايج ايضا استنتج منه ان كل من وصف الله سبحانه فقد جهله وذلك قوله عليه السلام لشهادة
كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة الى قوله ومن جزاه فقد جهله بيان صحة هذه المقد
اما قوله لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وبالعكس فهو توطئة للاستدلال ببيان المغايرة بين الصفة و
الموصوف والمراد بالشهادة هاهنا شهادة الحال فان حال الصفة تشهد بحاجتها الى الموصوف وعدم قيامها
بدونه وحال الموصوف يشهد بالاستغناء عن الصفة والقيام بالذات بدونها فلا تكون الصفة نفس الموصوف

واما قوله فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه فهو ظاهر لانه لما تقرر كون الصفة مغايرة للموصوف لزم ان يكون
زايدة على الذات غير منفكة عنها فيلزم من وصفه بها ان يكون مقارنا لها وان كانت تلك المقارنة على وجه
لا يستدعى زمانا ولا مكانا واما قوله ومن قرنه فقد ثناه فلان من قرنه بشيء من الصفات فقد اعتبر في
مفهومه امرين احدهما الذات والاخر الصفة فكان واجب الوجود عبارة عن شيئين واشياء فكانت فيه
كثرة وح ينتج هذا التركيبان من وصف الله سبحانه فقد ثناه واما قوله ومن ثناه فقد جزاه فظاهر انه اذا
كانت الذات عبارة عن مجموع امور كانت تلك الامور اجزاء لتلك الكثرة من حيث انها تلك الكثرة وهي مبادى
لها وضم هذه المقدمة الى نتيجة التركيب الاول ينتج ان من وصف الله سبحانه فقد جزاه واما قوله ومن جزاه
فقد جهله فلان كل ذى جزء فهو مفتقر الى جزئه وجزئه غيره فكل ذى جزء فهو مفتقر الى غيره والمفتقر الى الغير
ممكن فالمتصور لجزء متصور في الحقيقة لامر هو ممكن الوجود لا لواجب الوجود بذاته فيكون اذن
جاهلا به وضم هذه المقدمة الى نتيجة ما قبلها ينتج ان من وصف الله سبحانه فقد جهله وح يتبين المطلوب
وهو ان كمال الاخلاص له نفى الصفات عنه اذ الاخلاص له والجهل به مما لا يجتمعان واذا كان الاخلاص منافيا
للجهل به الذى هو لازم لاثبات الصفة له كان اذن منافيا لاثبات الصفة له لان منافاة اللازم يستلزم
منافاة الملزوم واذا بطل ان يكون الاخلاص مع اثبات الصفة له ثبت انه في نفى الصفة عنه وعند هذا يظهر
المطلوب الاول وهو ان كمال معرفته نفى الصفات عنه وذلك هو التوحيد المطلق والاخلاص المحقق الذى
هو نهاية العرفان وغاية سعى العارف من كل حركة حسية وعقلية وما يكون في محض الامر من غير تعقل نقص كل
ما عداه عنه معه فهو الوحدة المطلقة المبراة عن كل لاحق وهذا مقام حرمت عن نواقد الابصار وكلت في
حقيقته صوارم الافكار واكثر الناس في الاقوال فانتهت بهم الحال الى اثبات المعانى وارتكاب الاحوال
فلزمهم في ذلك الضلال لما لزمهم من المحال فان قلت هذا يشكل من وجهين احدهما ان الكتب الالهية والسنن
النبوية مشحونة بوصفه تعالى بالاوصاف المشهورة كالعلم والقدرة والحيوة والسمع والبصر وغيرها وعلى ما
قلتم يلزم ان لا يوصف سبحانه بشيء منها الثانى انه عليه السلام صرح باثبات الصفة له في قوله ليس لصفته
حد محدود ولو كان مقصوده بنفى الصفات ما ذكرتم لزم التناقض في كلامه فالاولى اذن ان يخص قوله نفى
الصفات عنه بنفى المعانى كما ذهب اليه الاشعرى ونفى الاحوال كما يذهب اليه المثبتون من المعتزلة وبعض
الاشعرية لبقى الصفات المشهورة الجارية عليه تعالى ولاثباته عليه السلام الصفة لله في موضع اخر ويحمل
نفى صفات المخلوقين كما اشار اليه عليه السلام في اخر الخطبة لا يجرون عليه صفات المصنوعين وكما
ذكره الشيخ المفيد من الشيعة في كتاب الارشاد عنه جل ان تحله الصفات لشهادة العقول ان كل من حلته
الصفات مصنوع قلت قد سبق منا بيان ان كل ما يوصف به تعالى من الصفات الحقيقية والسلبية و
الاضافية اعتبارات تحدثها عقولنا عند مقايسة ذاته سبحانه الى غيرها ولا يلزم تركيب ذاته ولا كثرة فيكو

وصفه تعالى بها امرا معلوما من الدين ليعم التوحيد والتنزيه كل طبقة من الناس ولما كانت عقول الخلق
على مراتب من التفاوت كان الاخلاص الذى ذكره عليه السلام اقصى ما ينتهى اليه القوى البشرية عند غرقها
في انوار كبرياء الله وهو ان يعتبره من غير ملاحظة شيء اخر فقط وكان اثباته عليه السلام للصفة في موضع اخر
ووصفه في الكتاب العزيز والسنن النبوية اشارة الى الاعتبارات التى ذكرناها اذ كان من هو دون
درجة الاخلاص لا يمكن ان يعرف الله سبحانه بدونها وبالله التوفيق قوله ومن اشار اليه فقد حده ومن
حده فقد عده اقول يشير الى البرهان على امرين احدهما انه يحتمل ان يكون مراده امتناع الاشارة العقلية
اليه وتعلقها به فعلى هذا يكون تقرير المقدمة الاولى من هذا البرهان ان من وجه ذهنه طالبا
لكنه ذاته المقدسة وزعم انه وجدها واحاط بها واشار اليها من جهة ما هى فقد اوجب له حدا يقف ذهنه
عنده اذ الحقيقة انما تعلم من جهة ما هى وبشعر العقل الى كنهها اذا كانت مركبة وقد علمت ان كل مركب محدود
في المعنى ولان الاشارة العقلية ملونة بالاشارة الوهمية والخيالية مشوبة بهما وهما مستلزمان
لاثبات الحد كما سياتى واما تقرير المقدمة الثانية فظاهر اذ كان حد الشيء انما يالف من كثرة معتبرة
فيه وكل ذى كثرة معدود في نفسه ونتيجة هذا البرهان ان من اشار اليه فقد عده واما استحالة ان
يكون معدودا فلما علمت فيما سبق ان الكثرة مستلزمة للامكان الثانى انه يحتمل ان يكون مراده ايضا
نفى الاشارة الحسية الظاهرة والباطنة اليه وبيان تنزيهه عن الوحدة العددية ويكون تقرير المقدمة
الاولى ان من اشار اليه بالحواس فقد جعل له حدا او حدودا اى نهايات يحيط به وذلك ان كل ما يشار
اليه بالحس الظاهر والباطن فلا بد وان يشار اليه في حيز مخصوص وعلى وضع مخصوص وما كان كذلك
فلا بد وان يكون له حد او حدود فاذن لو كان مشارا اليها بالحدها لكان محدودا واما تقرير المقدمة
الثانية فالمراد بالعد هنا جعله مبدا كثرة يصلح ان يكون عادا لها وذلك ان كل ما ادرك على وضع مخصوص
وفى جهة فالعقل حاكم بامكان وجود امثاله في غير حيزه بالاشارة الحسية فقد جعله مبدا كثرة يصلح ان
يعدها ويكون معدودا بالنسبة اليها واما كونه في نفسه معدودا وذلك كونه مركبا من امور لان
الواحد بهذا المعنى ليس مجرد الوحدة فقط والا لما تعلقت الاشارة الحسية به بل لا بد معها من الوضع
علمت وعلى الوجهين يكون مجتمعا من امرين او امور فيكون مركبا وكل مركب ممكن على ما مر واذا استحال
ان يكون واحدا بهذا المعنى كانت الاشارة اليه مطلقا يستلزم الجهل به من حيث هو واحد واجب الوجود
واعلم انه ليس اذا بطل ان يكون واحدا فان للواحد مفهومات اخر بها يقال له واحد فانه يقال الواحد
لما لا ينقسم في حقيقته الخاصة به نوعا ويقال واحد لما لا يتركب حقيقته ولا يتالف من معان متعددة
لا اجزاء قوام ولا اجزاء حد ويقال واحد لما لم يوجد منه من كما له شيء بل كل كمال ينبغى ان يكون له فهو حاصل
له بالفعل والبارى سبحانه واحد بهذه الاعتبارات الثلثة قوله ومن قال فيم فقد ضمنه ومن قال علام

فقد اخلى منه اقول اصل فيم وعلام فيما وعلى ما حرفان دخلا على ما الاستفهامية فحذف الفها لاتصالها بهما
تخفيفا في الاستفهام خاصة وهاتان القضيتان في تقدير شرطيتين متصلتين يراد منهما تاديب الخلق ان
يستفهموا عنه سبحانه على هذين الوجهين وبيان المراد منهما باستثناء نقيض تاليهما وحذف الاستثناء ههنا
الذى هو كبرى القياس على ما هو المعتاد في قياس الضمير واعلم ان تقدير المتصلة الاولى لو صح السؤال عنه
بفيم لكان له محل يتضمنه ويصدق عليه انه فيه صدق العرض في المحل لكنه يمتنع كونه في محل فيمتنع عنه بفيم بيان
الملازمة ان مفهوم في لما كان موجودا في ما كان الاستفهام بفيم استفهاما عن مطلق المحل والظرف ولا يصح
الاستفهام عن المحل لشيء الا اذا صح كونه فيه بيان بطلان التالى انه لو صح كونه في محل لكان اما ان يجب كونه فيه
فيلزم ان يكون محتاجا الى ذلك المحل والمحتاج الى الغير ممكن بالذات وان لم يجب حلوله فيه جاز ان يستغنى
عنه والغنى في وجوده عن المحل يستحيل ان يعرض له واذا استحال ان يكون في محل كان السؤال عنه بفيم جهلا واما
تقدير المتصلة الثانية فهو انه لو جاز السؤال عنه بعلام لجاز خلو بعض الجهات والاماكن عنه لكنه لا يجوز
خلو مكان عنه فامتنع الاستفهام عنه بعلام بيان الملازمة ان مفهوم على هو العلو والفوقية لما كان
موجودا في ما كانت استفهاما عن شيء هو فوقه وعال عليه فذلك يستلزم امرين احدهما بواسطة الاخر ولازم
له فالذى هو بواسطة ولازم لها هو اخلاء سائر الجهات عنه وهو ما ذكره عليه السلام واما الواسطة الملزومة
فهى اثبات الجهة المعينة وهى جهة فوق واذ كان اختصاصه بجهة معينة يستلزم نفى كونه في ساير الجهات وانه جعل
عليه السلام لازم هذه المتصلة كونه قد اخلى منه ليستلزم من ابطال اللازم وهو الخلو عنه بطلان اختصاصه
بالجهة المعينة ليلزم منه بطلان المقدم وهو صحة السؤال عنه بعلام فاما بطلان التالى فلقوله وهو الله
في السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم وقوله وهو معكم اينما كنتم فان قلت ان مثبت الجهة لا يحمل هذه الايات
بل له ان يقول لا تنافى بين اثبات الجهة المعينة وبين مقتضى هذه الايات لان المقصود من كونه في السماء
والارض اى بعلمه وكذلك من معية الخلق وكونه في جهة فوق انما هو بذاته فحينئذ لا تكون هذه الايات منافية
لغرضه قلنا انه احتج عليه السلام قوله فقد اخلى منه لازما في هذه القضية لان نفى هذا اللازم بهذه الايات
ظاهر وذلك ان مثبت الجهة انما يعتمد في اثباتها على ظواهر الايات الدالة على ذلك كقوله الرحمن على العرش
استوى فكانت معارضة مقتضاها بظواهر هذه الايات انفع في الخطابة واجمع في قلوب العامة من الدلايل
العقلية على نفى الجهة ودلالة هذه الايات على عدم خلو مكان من الامكنة منه تعالى يستلزم دلالتها على عدم
اختصاصه بجهة فوق والمعارضة كما تكون بما تقتضى ابطال مقتضى الدليل كذلك تكون بما تقتضى ابطال
لازم مقتضاه فكانت مستلزمة لعدم جواز الاستفهام عنه بعلام ولو قال ومن قال علام فقد اثبت له جهة
لم يمكن ابطال هذا اللازم الا بالدليل العقلى لكون الظواهر النقلية مشعرة باثبات الجهة له فلذلك
عدل عليه السلام الى هذا اللازم كما بيناه لوجود ما يبطله في القران الكريم وهى الايات المذكورة حتى اذا

السؤال

عدل المثبت للجهة عن ظواهر هذه الايات الى التاويل باحاطة العلم مثلا الزمناه مثله في نحو قوله الرحمن
على العرش استوى فقلنا المراد من الاستواء الاستيلاء بالقدرة او العلم كما هو مذكور في الكتب الكلامية
وانما خص عليه السلام جهة العلو بانكار اعتقادها والتحذير منه لكون كل معتقد لله جهة تخصيصه بها المباشرة
من كونها اشرف الجهات ولانها التى نطق بها القران الكريم فكانت الشبهة في اثباتها اقوى فلذلك خصها
بالذكر قوله كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم اقول الكائن اسم الفاعل من كان وهو يستعمل في اللغة
على ثلثة اوجه احدها ان تكون بصيغتها دالة على الحدث والزمان ويسمى في عرف النحاة كان التامة كقوله
اذا كان الشتاء فادفئونى اى اذا حدث ووجد الثانى ان تدل على الزمان وحده وتحتاج في الدلالة على
الحدث الى خبر تتم به وهى الناقصة واستعمالها هو الاكثر كقوله تعالى انا بايم كان امة قانتا لله الثالث
ان تكون زائدة خالية عن الدلالة على حدث وزمان كقوله على كان المسومة العراب اى على المسومة اذا
عرفت ذلك فاعلم ان مفهوم كائن انه شيء ما له الكون ولما كان ذلك الشيء هو ذات الله تعالى وكانت ذاته مقدسة
عن الزمان استحال ان يقصد وصفه بالكون الدال على الزمان ولما احترز بقوله لا عن حدث استحال ان يدل
كونه على الحدوث وهو المسبوقية بالعدم ايضا واذا بطل ان يكون كونه مستلزما للزمان ومسبوقية العدم لم يكن
له دلالة الا على الوجود المجرد عن هذين القيدين ومن هذا القبيل قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما ولما لم
وقول الرسول صلى الله عليه وآله كان الله ولا شيء واما قوله موجود لا عن عدم فالمراد ايضا ان وجوده ليس حادثا
وبيانه ان الموجود من حيث هو موجود اما ان يكون وجوده مسبوقا بالعدم وحاصلا عنه وهو المحدث او لا
يكون وهو القديم فاما بيان هذا الحكم فلانه لو كان محدثا لكان ممكنا لما كان واجب الوجود فينتج انه لو كان
محدثا لما كان واجب الوجود لكنه واجب الوجود فينتج انه ليس بمحدث اما المقدمتان فجليتان واما بطلان التالى
النتيجة تقتضى البراهين الالهية واعلم ان هذه القضية مؤكدة لمقتضى القضية الاولى وليس مقتضاها عين
ما افادته الاولى اذ كان في الكلمة الاولى مقصود اخر وهو تعليم الخلق كيفية اطلاق لفظ الكون على الله
تعالى واشعارهم ان المراد منها ليس ما يتبادر اليه الذهن من مفهومها حال اطلاقها وهو الحدوث ويحتمل ان يكون
مراده في الاولى نفى الحدوث الذاتى او ما هو اعم منه ومن الزمانى وفى الثانية نفى الحدوث الزمانى والله
اعلم قوله مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة اقول ان كونه تعالى مع غيره وغيره اضافتان عارضتان له بالنسبة
الى جميع الموجودات اذ كلها مستندة عليه يقال انه معها وانه متقدم عليها ولكن باعتبارين مختلفين
فان المعية معنى اضافة تحدثها العقول بنسبته الى اثاره ومساوقة وجوده لوجوداتها واحاطة علمه بكليها
وجزئيها كما قال وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير والتقدم نسبة تحدثها له باعتبار كونه علة لها
ثم لما كانت المعية اعم من المقارنة لاعتبار الزمان والمكان في مفهومها المتعارف لم تكن معيته للاشياء
على سبيل المقارنة لها لبراءة ذاته المقدسة عن الزمان والمكان فلذلك احترز بقوله لا بمقارنة واما انه

غيرها لا بمزايلة فيحتمل وجهين احدهما وهو الاظهر ان المغايرة لما كانت اعم من المزايلة لدخول الزمان والمكان
في مفهومها ايضا كانت مغايرتهم للاشياء غير معتبر فيها المزايلة لتقدس ذاته عن الزمان والمكان فلذلك
احترز بقوله لا بمزايلة الثاني ان يقال ان كونه تعالى غير كل شيء معناه انه متميز بذاته عن كل شيء اذ لا يشارك شيئا
من الاشياء في معنى جنسي ولا نوعي فلا يحتاج ان ينفصل عنها بفصل ذاتي وعرضي بل هو مباين لها بذاته لا
بمزايلة ويكون معنى المزايلة المفارقة باحد الامور المذكورة بعد الاشتراك في احد الامور المذكورة واعلم ان
هذين القيدين كاسران للاحكام الوهمية باعتبار الزمان والمكان والاوصاف المخلوقة المتغايرة بين
الخلق المعتبرة بينهم في مفهوم المعية والغيرية منبهان للعقول على ما وراء حكم الوهم من عظمة الله وتقدس
ذاته عن صفات الممكنات وكذلك قوله كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم فانه رد للوهم الحاكم بما ثلثه
تعالى للمحدثات **قوله** فاعل لا بمعنى الحركات والالة **اقول** الحركة عبارة عن حصول المتحيز في حيز بعد ان كان
في حيز اخر ان قلنا بثبوت الجوهر الفرد والا فهي عبارة عن انتقال المتحيز من حيز الى حيز اخر وغيره من التعريفات
والالة هي ما يؤثر الفاعل في منفعله القريب منه بواسطة والمراد بيان انه فاعل الا ان ما صدر عنه تعالى من الاثار
ليس بسبب حركة ولا بتوسط الة كما يفتقر غيره في نسبة صدور الفعل عنه اليه واما انه لا يفتقر الى الحركة فلان
معنى الحركة انما يعرض للجسم والبارى منزه عن الجسمية فيستحيل صدق مسمى الحركة في حقه واما ان فعله ليس
بتوسط الة فبيانه من وجهين احدهما لو كان كذلك لكانت تلك الالة ان كانت من فعله فاما بتوسط الة اخرى
او بدونها فان كانت بدونها فقد صدق انه فاعل لا بمعنى الالة وان كان فعله لها بتوسط الة اخرى فالكلام
فيها كالكلام في الاولى ويلزم التسلسل واما ان لم تكن الالة من فعله ولم يمكن الفعل بدونها كان البارى
تعالى مفتقرا في تحقق فعله الى الغير والمفتقر الى الغير ممكن بالذات فالواجب بالذات ممكن بالذات هذا خلف
الثاني انه تعالى لو فعل بالالة لكان بدونها غير مستقل بايجاد الفعل فكان ناقصا بذاته مستكملا بالالة و
النقص على الله تعالى محال فتوقف فعله على الالة محال فاذن هو الفاعل المطلق بالابداع ومحض الاختراع المبرا
عن نقصان الذات المنزه عن الحاجة الى الحركات والالات **قوله** بصيرا اذ لا منظور اليه من خلقه **اقول** البصير
فعيل بمعنى الفاعل من البصر والبصر حقيقة في حاسة العين مجاز في القوة التي بها العلم والمنظور اليه هو
المشاهد بتقليب الحدقة نحوه والمراد وصفه تعالى بكونه بصيرا حال ما لا يتحقق المبصرات واذ ليس كونه بصيرا
بمعنى ان له الة البصر لتنزهه عن الحواس وجب العدول الى المجاز وهو ان كونه بصيرا بمعنى انه عالم وقرينة ذلك
قوله اذ لا منظور اليه من خلقه لان البصير امر اضافي يلحقه تعالى بالنسبة الى المبصر وهو امر يلحقه تعالى ازلا و
ابدا ولا شيء من المبصرات بالحس موجود ازلا لقيام البراهين العقلية على حدوث العالم حتى يمكن ان يلحقه
النسبة بالقياس اليه فوجب ان لا يكون من حيث هو هو بصيرا بهذا المعنى ويحتمل ان الاشارة باذ في قوله اذ لا
منظور اليه الى اعتبار كونه متقدما على اثاره من جهة ما هو متقدم فانه بالنظر الى تلك الجهة لا منظور

اليه من خلقه معه وهو حال لم تقابله وبذاته مطلقا واذ ليس بصيرا بالمعنى المذكور فهو اذن بصير بالصفة
التي يكشف بها كمال نعوت المبصرات وبها تظهر الاسرار والخفيات فهو الذي يشاهد ويرى حتى لا
يعزب عنه ما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى وهذه الالة وان عدت كالا فانما
هي كمال خاص بالحيوان وكماله بها وان كان ظاهرا الا انه ضعيف قاصر اذ لا يمتد الى ما بعد ولا يتغلغل
في باطن وانه يترتب بل يتناول الظواهر ويقصر عن البواطن وقد قيل ان الحظ الذي للعبد من البصر
امران احدهما ان يعلم انه خلق له البصر لينظر الى الايات وعجائب ملكوت السموات فلا يكون نظره
الا اعتبارا كما حكى انه قيل لعيسى عليه السلام هل احد من الخلق مثلك فقال من كان نظره عبرة وصمته فكرة
وكلامه ذكرا فهو مثلي الثاني ان يعلم انه من الله بمرأى ومسمع فلا يستهين بنظره اليه واطلاعه عليه
ومن اخفى من غير الله ما لا يخفيه من الله تعالى فقد استهان بنظر الله تعالى اليه والمراقبة احدى ثمرات الايمان
بهذه الصفة فمن قارف وهو يعلم ان الله يراه فما اجرأه وما اخسره ومن ظن ان الله لا يراه فما اكفره **قوله**
متوحدا اذ لا سكن يستانس به ولا يستوحش لفقده **اقول** المراد وصفه تعالى بالتفرد بالوحدانية واشار
بقوله اذ لا سكن الى اعتبار انه تفرد بالوحدانية لذاته فهو من تلك الحيثية متفرد لا على وجه الانفراد عن
مثل له كما هو المفهوم المتعارف من انفراد بعض الناس عن بعض ممن عادته مشاركته في مشاورته ومحادثته
وانفراد احد المتالفين من الحيوانات عن الاخر وهو الانس الذي يستانس بوجوده معه ويستوحش لفقده
وغيبته عنه اذ كان الاستيناس والاستيحاش متعلقين بميل الطبع الى الشيء ونفرته عنه وهما من توابع
المزاج ولما كان البارى سبحانه منزها عن الجسمية والمزاج وجب ان يكون منزها عن الاستيناس والتوحش
فهو المتفرد بالوحدانية المطلقة لا بالقياس الى شيء يعقل ذلك التفرد بالنسبة اليه واعلم ان القيود الثلثة
الزائدة على قوله فاعل وبصير ومتوحد في الفصول الثلثة مثل منه للتنبيه على عظمة الله تعالى كما بيناه
في قوله لا باعتقارنة ولا بمزايلة وذلك لان الاوهام البشرية حاكمة بحاجة الفاعل الى الالة والبصير الى
وجود المبصر والمتوحد الى ان يكون في مقابلة انيس مثله انفرد عنه ولما كانت ذات الله سبحانه منزهة عن
جميع ذلك اراد عليه السلام كسر الوهم ومعارضة احكامه بتنبيه العقول عليها فذكر هذه القيود الثلثة
وبالله التوفيق الفصل الثاني في نسبة ايجاد العالم الى قدرة الله تعالى جملا وتفصيلا وفي كيفية ذلك
وهو متضامن معرض المدح **قوله** انشا الخلق انشاء وابتداه ابتداء بلا روية اجالها ولا تجربة استفادها
ولا حركة احدثها ولا همامة نفس اضطرب فيها احال الاشياء لاوقاتها ولائم بين مختلفاتها وغرز
غرائزها والزمها اشباحها عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهائها عارفا بقرائنها واحنائها
ثم انشا سبحانه فتق الاجواء وشق الارجاء وسكائك الهواء فاجار فيها ماء متلاطما تياره متراكما زخاره
حمله على متن الريح العاصفة والزعزع القاصفة فامرها برده وسلطها على شده وقرنها الى حده

الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق ثم انشا سبحانه ريحا اعتقم مهبها وادام مربها واعصف
مجريها وابعد منشاها فامرها بتصفيق الماء الزخار واثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء وعصفت
به عصفها بالفضاء ترد اوله على اخره وساجيه على مائره حتى عب عبابه ورمى بالزبد ركامه فرفعه في
هواء منفتق وجو منفهق فسوى منه سبع سموات جعل سفلاهن موجا مكفوفا وعلياهن سقفا محفوظا
وسمكا مرفوعا بغير عمد يدعمها ولا دسار ينظمها ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب واجرى
فيها سراجا مستطيرا وقمرا منيرا في فلك دائر وسقف سائر ورقيم مائر ثم فتق ما بين السموات العلى
فملاهن اطوارا من ملائكته منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون ومسبحون
لا يسامون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان ومنهم امناء
على وحيه والسنة الى رسله ومختلفون بقضائه وامره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جنانه ومنهم
الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم والمارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم
والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم مضروبة بينهم وبين من
دونهم حجب العزة واستار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا
يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر **اقول** لم اجد لاهل اللغة فرقا بين الانشاء والابتداع وهو
الايجاد الذي لم يسبق بمثله الا انه يمكن ان يفرق هيهنا بينهما صونا لكلامه عليه السلام عن التكرار بان
يقال المفهوم من الانشاء هو الايجاد الذي لم يسبق غير الموجد الموجد اليه والمفهوم من الابتداء هو الايجاد
الذي لم يقع من الموجد قبل والروية الفكر وهمامة النفس اهتمامها بالامور ومن روى همامة نفس فالمراد
ترديد العزوم ماخوذ من الهيمنة وهي ترديد الصوت الخفي وروى ايضا همة النفس والاحالة التحويل والنقل و
التغيير والانقلاب من حال الى اخر وروى اجال بالجيم وروى ايضا اجل اي وقت والملائمة الجمع والغرائز جمع
غريزة وهي الطبيعة التي طبع عليها الانسان كانها غرزت فيه والسنخ الاصل وروى اشباحها جمع شبح وهو
الشخص والقرائن جمع قرينة وهي ما يقترن بالشيء والاحناء جمع حنو والارجاء جمع رجا مقصور وهي الناحية
والسكائك جمع سكاكة كذوابة وذوائب وهي الفضاء ما بين السماء والارض وكل مكان خال فهو هواء
والجار اي اجرى ومن روى اجار اي ادار وجمع وتلاطم الماء ترادا امواجه وضرب بعضها بعضا والزخار بما
في التراخ وهو الممتلئ ومتن كل شيء ما صلب منه واشتد وعصف الريح شدة جريانها وريح زعزع تحرك الاشياء
بقوة وتزعزعها والريح العاصفة الشديدة كانها الشدتها تكسر الاشياء وتقصفها وسلطها اي
جعل لها سلاطة وهي القهر والفتق المنفتق والدفيق المندفق والاعتقام الشد والعقد واعتقم ايضا
مهبها اي جعله خاليا لا نبت به من قولهم عقمت الرحم اذا لم تقبل ولدا وروى بغير تاء اي جعلها عقيما
لا تلقح شجرا ولا سحابا والمرب المجمع والعصف الجرى بقوة وشدة والصفق والتصفيق الضرب المتردد

الصوت واثارة الموج دفعه وهيجه واصل البحر الماء المتسع الغزير ثم تخصص في العرف بالمالح وتموج البحر اضطراب
موجه ما ارتفع منه حال هيجانه وحركته والمخض التحريك ما السقاء وعاء اللبن والماء ايضا والمائر المتحرك والعباب
بالضم معظم الماء وعب اي علا وتدفق والركام الماء المتراكم والمنفهق الواسع والتسوية التعديل والمكفوف
الممنوع من السقوط الجوهري السقف اسم للسماء وسمك البيت سقفه والسموك الارتفاع والعهد جمع كثرة
لعمود البيت ودعامة البيت عموده وما يمنعه من السقوط والدسار كل شيء ادخلته في شيء لتشده كمسمار
وحبل ونحوهما والمستطير المنتشر والفلك من اسماء السماء وقيل ماخوذ من فلكة المغزل في الاستدارة
والرقيم اسم للفلك واشتقاقه من الرقم وهو الكتابة والنقش لان الكواكب به تشبه الرقوم والاطوار
الحالات المختلفة والانواع المتباينة وقال الكسائي اصل الملك مالك بتقديم الهمزة من الالوك
وهي الرسالة ثم قلبت وقدمت اللام فقيل ملاك ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك فلما
جمعوه ردوها اليه فقالوا ملائكة وملائك قال الشاعر الملال والسدنة جمع سادن وهو الخازن ومرق السهم
من الرمية اذا خرج من الجانب الاخر والقطر الناحية والركن الجانب وتلفع بثوبه التحف به والنظائر الامثال
ولنرجع الى المعنى فنقول انشاء الخلق انشاؤه وابتداؤه ابتداء يشير الى كيفية ايجاد الخالق على الجملة من
قدرة الله تعالى ثم نبه على اصل الايجاد بقوله فطر الخلائق بقدرته واتى بالمصدرين بعد الفعلين تاكيدا
لنسبة الفعلين الى الله تعالى وصدق هاتين القضيتين ظاهر فان البارى تعالى لما لم يكن مسبوقا بغيره
لاجرم صدق الانشاء منه ولما لم يكن العالم موجودا قبل وجوده لاجرم صدق ابتداؤه له **قوله** بلا روية
اجالها ولا تجربة استفادها ولا حركة احدثها ولا همامة نفس اضطرب فيها **اقول** لما كانت هذه الكيفيات
الاربع من شرائط علوم الناس وافعالهم التي لا يمكن حصولها الا بها اراد تنزيه الله سبحانه عن ان يكون ايجاده
للعالم موقوفا على شيء منها اما الروية والفكر فلانها عبارة عن حركة القوة المفكرة في تحصيل
المطالب والانتقال منها اليها او عن تلك القوة ايضا نفسها وكان ذلك في حق الله تعالى محالا لوجهين
احدهما ان القوة المفكرة من خواص نوع الانسان الثاني ان فائدتها تحصيل المطالب المجهولة والجهل
على الله تعالى محال واما التجربة فلما كانت عبارة عن حكم العقل بامر على امر بواسطة مشاهدات متكررة
معدة لليقين بسبب انضمام قياس خفي اليها وهو انه لو كان هذا الامر اتفاقيا لما كان دائما ولا اكثريا
كان توقف فعل الله على استفادة الاحكام منها محالا لوجهين احدهما انها مركبة من مقتضى الحس والعقل
وذلك ان الحس والعقل وذلك بعد وقوع الاسهال مثلا عقيب شرب الدواء مرة ومرة ينتزع العقل منها
حكما كليا بان ذلك الدواء مسهل ومعلوم ان اجتماع الحس والعقل من خواص نوع الانسان الثاني
ان التجربة انما تفيد علما لم يكن فالمحتاج الى التجربة لاستفادة العلم بها ناقص بذاته مستكمل بها والمستكمل
بالغير محتاج اليه فيكون ممكنا على مر وذلك على الله تعالى محال واما الحركة فقد عرفت انها من خواص الاجسام

والبارى سبحانه منزه عن الجسمية فيمتنع صدق المتحرك عليه وان صدق انه محرك الكل لان المتحرك ما قام به الحركة والمحرك اعم من ذلك واما الهمامة او الهمة فلما كانت ماخوذة من الاهتمام وحقيقته الميل النفسانى الجازم الى فعل الشىء مع التالم والغم بسببه فقد كان ذلك فى حق الله تع محالا لوجهين احدهما ان الميل النفسانى من خواص الانسان طلبا لجلب المنفعة والبارى سبحانه منزه عن الميول النفسانية وجلب المنافع الثانى انه مستلزم للتالم بفقد المطلوب والتالم على الله تع محال واذ ليس ايجاده للعالم على احد الانحاء المذكورة فهو اذن محض الاختراع والابداع البرى من الحاجة الى امر من خارج ذاته المقدسة بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون واعلم انه عليه السلام اراد كلا من هذه الامور بما هو كيفية فى وجوده فاردف الروية بالاجالة والتجربة بالاستفادة والحركة بالاضطراب والهمامة بالاضطراب لينتفى الكيفية بانتفاء ما جعله عن ذاته المقدسة وبالله التوفيق قوله احال الاشياء لاوقاتها ولائم بين مختلفاتها وغرز غرائزها والزمها اشباحها اقول لما نبه على نسبة ايجاد العالم الى الله تع جملة اشار بعده الى ان ترتيبه وما هو عليه من بديع الصنع والحكمة كان مفصلا فى علمه وعلى وفق حكمته البالغة قبل ايجاده والمراد بقوله احال الاشياء لاوقاتها الاشارة الى ربط كل شىء وقت بحسب ما كتب فى اللوح المحفوظ بالقلم الالهى بحيث لا يتاخر متقدم منها ولا يتقدم متاخر ومعنى الاحالة نقل كل منها الى وقته وتحويله من العدم والامكان الصرف الى علته المضروبة لوجوده واللام فى لاوقاتها لام التعليل اى لاجل اوقاتها اذ كل وقت يستحق بحسب قدرة الله وعلمه ان يكون فيه ما لا يكون فى غيره وعلى النسخة الاخرى فمعنى تاجيلها جعل اوقاتها اجالا لها لا يتقدم عليها ولا يتاخر عنها كما قال فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ونبه بقوله ولائم بين مختلفاتها على كمال قدرة الله تع وبيان ذلك فى صورتين احديهما ان العناصر الاربعة متضادة الكيفيات ثم انها اذا اجتمعت بقدرة الله تع وعلى وفق حكمته حتى انكسرت سورة كل واحد منها بالاخر وهو المسمى بالتفاعل حصلت كيفية متوسطة بين الاضداد متشابهة وهى المزاج فامتزاج اللطيف بالكثيف على ما بينهما من تضاد الكيفيات ومباينة البعد بقدرته التامة من اعظم الدلايل الدالة على كمالها الثانية ان الملائمة بين الارواح اللطيفة والنفوس المجردة التى لا حاجة بها فى قوامها فى الوجود الى مادة اصلا وبين هذه الابدان المظلمة الكثيفة واختصاص كل نفس ببدن منها وتدبيره واستعماله فيما يعود اليها من المصالح على النظام الاقصد والطريق الارشد مما يشهد بكمال قدرته ولطيف حكمته وقوله غرز غرائزها اشارة الى ذكر القوى الجسمانية والنفسانية فيما هى قوى له وخلق كل ذى طبيعة على خلقه ومقتضى قواه التى غرزت فيه من لوازمه وخواصه مثلا كقوة التعجب والضحك للانسان وكقوة الشجاعة للاسد والجبن للارنب والمكر للثعلب وغير ذلك وعبر عن ايجادها فيها بالغرز وهو الجزر استعارة لما يعقل من المشابهة بينهما

وبين العود الذى يركز فى الارض من جهة المبدا ومن جهة الغاية وذلك ان الله سبحانه لما غرز هذه الغرايز فى محالها واصولها وكانت الغاية من ذلك ما يحصل منها من الاثار الموافقة لمصلحة العالم اشبه ذلك غرز الانسان العود فى الارض لغاية ان يثمر ثمرة منتفعا بها وقوله والزمها اشباحها اشارة الى انها لا تفارق اصولها ولا يمكن زوالها عنها لان اللازم هذا شانه ومن روى اسناخها بالشين المعجمة فالمراد ان ما غرزته الاشخاص من اللوازم والغرايز لا تفارقها سواء كانت تلك الغرايز من لوازم الشخص كالذكاء والفطنة بالنسبة الى بعض الناس والبلادة والغفلة لاخر او من لوازم الماهيات وطباعها لوجود الماهيات فى اشخاصها هذا ان قلنا ان الضمير فى قوله والزمها عايد الى الغرايز اما ان قلنا انه عايد الى الاشياء كان المراد ان الله سبحانه لما جعل الاشياء لاوقاتها ولائم بين مختلفاتها وغرز غرايزها فى علمه وقضائه الزمها بعد كونها كلية اشخاصها الجزئية التى وجدت فيها لا يقال ان لوازم الماهيات مقتضى الماهيات فكيف يمكن نسبة الزامها لاصولها الى قدرة الله تع لانا نقول المستند الى الماهية الملزوم ليس الا ماهية اللازم واما وجوده له فبقدرة الله تع فيكون معنى الزامها لاصولها ايجادها فى اصولها تبعا لايجاد اصولها على تقدير وجودها قوله عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهائها عارفا بقرائنها واحنائها اقول المنصوبات الثلثة وهى قوله عالما ومحيطا وعارفا منصوبة على الحال والعامل فيها قوله والزمها اخيرا للاقرب والاحوال الثلثة مفترقة بمثلها عقيب الافعال الثلثة الاول اذ كانت صالحة لان تكون احوالا عنها فالمراد فى القضية الاولى اثبات الافعال الاربعة له حال كونه عالما بالاشياء قبل ايجادها حاضرة فى علمه بالفعل كليها وجزئيها وفى القضية الثانية نسبة تلك الافعال اليه حال الاحاطة علمه بحدودها وحقايقها المميزة لبعضها عن بعض وان كلا منه بحد واقف عنده وهو نهايته وغايته ويحتمل ان يريد بانتهائها انتهاء كل ممكن الى سببه وانتهاء الكل فى سلسلة الحاجة الى الله وفى القضية الثالثة نسبة الافعال الى قدرته حال علمه بما يقترن بالاشياء من لوازمها وعوارضها وعلمه بكل شىء يقترن بشىء اخر على وجه التركيب والمجاورة كاقتران بعض العناصر ببعض فى احيازها الطبيعية على الترتيب الطبيعى وعلمه باحنائها وجوانبها التى بها تنتهى ويفارق غيرها وبيان هذه الاحكام له تع ببيان انه عالم بكل المعلومات من الكليات والجزئيات وذلك مما علم فى العلم الالهى فان قلت اطلاق اسم العارف على الله تع لا يجوز لقول النبى صلى الله عليه واله ان لله تع تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة واجماع علماء النقل على ان هذا الاسم ليس منها قلت لا نسلم ان اسماء الله تع تزيد على التسعة والتسعين لوجهين احدهما قول النبى صلى الله عليه واله اسئلك بكل اسم سميت به نفسك او انزلته فى كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به فى علم الغيب عندك فان هذا صريح فى انه استاثر ببعض الاسماء الثانى انه صلى الله عليه واله قال فى مضان انه

اسم من اسماء الله تعالى وكذلك كان الصحابة يقولون فلان اوتى الاسم الاعظم وكان ينسب ذلك الى
بعض الانبياء والاولياء وذلك يدل على انه خارج من التسعة والتسعين فاذا كان كذلك كان كل
الكلام فى قوله عليه السلام ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة قضية واحدة معناها
الاخبار بان من اسماء الله تعالى تسعة وتسعين من احصاها دخل الجنة ويكون تخصيصها بالذكر لاختصاصها
بمزيد شرف لا يكون لما فى الاسماء وهى كونها مثلا جامعة لانواع المعانى المنبئة عن الكمال بحيث لا تكون
لغيرها لا لنفى ان يكون لله تعالى اسم غيرها واذا كان كذلك جاز ان يكون العارف من تلك الاسماء لا
يقال ان الاسم الاعظم جزء داخل فيها لاشتهارها واختصاص معرفته بالانبياء والاولياء واذا كان
كذلك فكيف يصدق عليها انها اشرف الاسماء لانا نقول يحتمل ان يكون خارجا منها ويكون شرفها حاصلا
بالنسبة الى باقى الاسماء التى هو غيره ويحتمل ان يكون داخلا فيها الا انا لا نعرف بعينه ويكون مما
يختص به النبى والولى عما تعينه منها **قوله** ثم انشاء سبحانه فتق الاجواء الى قوله فسوى منه سموات **اقول**
لما اشار عليه السلام فى الفصل المتقدم الى نسبة خلق العالم الى قدرة الله تعالى على سبيل الاجمال شرع بعده
فى تفصيل الخلق وكيفية ايجاده والاشارة الى مباديه ولذلك حسن ايراد ثم هاهنا وفى هذا الفصل
ابحاث **البحث الاول** اعلم ان خلاصة ما يفهم من هذا الفصل ان الله سبحانه قد احياز او امكنة اجرى
فيها الماء الموصوف وخلق ريحا قوية على ضبطه وحفظ حمله عليها وامرها بضبطه ويفهم من قوله
الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق ان تلك الاحياز والامكنة تحتها وانها امرت بحفظه
وضبطه لتوصله الى تلك الاحياز وربما فهم منه ان تلك الاحياز للماء هى سطح الريح الحاوى له وان تحت
تلك الريح فضاء آخر واسعا وهى محفوظة بقدرة الله تعالى كما ورد فى الخبر ثم خلق سبحانه ريحا اخرى لاجل
تموج ذلك الماء فارسلها وعقد مهبها اى ارسلها بمقدار مخصوص على وفق الحكمة والمصلحة التى ارادها
باجرائها ولم يرسلها مطلقا ومن روى بالتاء فالمراد انه اخلى مهبها عن العوائق واذا ارسلها بحيث
لا يعرف مهبها وادام حركتها وملازمتها لتحريك الماء واعصف جريانها وابعد منشأها ثم سلطها على
تموج ذلك الماء فلما عب عبابه وقذف بالزبد رفع تعالى ذلك الزبد فى الفضاء وكون منه السموات
العلى **البحث الثانى** ان هذه الاشارة قد وردت فى القرآن الكريم فانه اشير فيه الى ان السموات تكونت
من الدخان كقوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان والمراد بخار الماء وكذلك وردت فى اقوال كثيرة
ا ما روى عن الباقر محمد بن على عليهما السلام قال لما اراد الله سبحانه وتعالى ان يخلق السماء امر الرياح
فضربن البحر حتى ازبد فخرج من ذلك الموج والزبد دخان ساطع من وسطه من غير نار فخلق الله منه السماء
ب ما نقل نصا فى السفر الاول من التورية ان مبدأ الخلق جوهر خلقه الله تعالى ثم نظر اليه نظر الهيبة
فذابت اجزاؤه فصارت ماء فثار منه كالدخان فخلق منه السموات وظهر على وجه الماء زبد مثل زبد البحر

سبع

فخلق

فخلق منه الارض ثم ارساها بالجبال وفى رواية اخرى فخلق منه ارض مكة ثم بسط الارض من تحت الكعبة
ولذلك تسمى ام القرى **ج** نقل عن كعب ما يقرب من ذلك قال ان الله تعالى خلق ياقوتة خضراء ثم نظر اليها
بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء كما قال تعالى وكان عرشه
على الماء **د** ما نقل عن ثاليس الملطى وكان من مشاهير الحكماء القدماء فانه نقل عنه بعد ان وحد الصانع
الاول للعالم ونزهه انه قال لكنه ابدع العنصر الذى فيه صور الموجودات والمعلومات كلها وسماه المبدع
الاول ثم نقل عنه ان ذلك العنصر هو الماء قال ومنه انواع الجواهر كلها من السماء والارض وما بينهما وهو
علة كل مبدع وعلة كل مركب من العنصر الجسمانى فذكر ان من جمود الماء تكونت الارض ومن انحلاله تكون
الهواء ومن صفوته تكونت النار ومن الدخان والابخرة تكونت السماء وقيل انه اخذ ذلك من التورية
ه ما وجد فى كتاب بليناس الحكيم الذى سماه الجامع لعلل الاشياء قريبا من هذه الاشارة وذلك انه
قال ان الخالق تبارك وتعالى كان قبل الخلق واراد ان يخلق الخلق فقال ليكن كذا وكذا فكان ما اراد
بكلمته فاول الحدث كلمة الله المطاعة التى كانت بها الحركة ثم قال بعد ان اول ما حدث بعد كلام الله
تعالى الفعل فدل بالفعل على الحركة ودل بالحركة على الحرارة ثم لما نقصت الحرارة جاء السكون عند فنائها
فدل بالسكون على البرد ثم ذكر بعد ذلك ان طبايع العناصر الاربعة انما كانت من هاتين القوتين اعنى الحرارة
والبرودة وقال وذلك ان الحرارة حدث منها اللين ومن البرودة اليبس فكانت اربع قوى مفردات فامتزج
بعضها ببعض فحدث من امتزاجها الطبايع الاربع وكانت هذه الكيفيات قائمة بانفسها غير مركبة فمن امتزاج
الحرارة واليبس حصلت النار ومن الرطوبة والبرد حدث الماء ومن الحرارة والرطوبة حدث الهواء ومن امتزاج
البرد واليبس حصلت الارض ثم قال ان الحرارة لما حركت طبيعة الماء والارض تحرك الماء للطفه عن ثقل
الارض واثقلت ما اصابه من الحر فصار بخارا لطيفا هوائيا دقيقا روحانيا وهو اول دخان طلع من
اسفل الماء وامتزج بالهواء فسما الى العلو لخفته ولطافته وبلغ الغاية فى صعوده على قدر قوته ونفرته
من الحرارة فكان منه الفلك الاعلى وهو فلك زحل ثم حركت النار الماء ايضا فطلع منه دخان هو اقل لطفا
مما صعد اولا واضعف فلما صار بخارا سما الى العلو بجوهره ولطافته ولم يبلغ فلك زحل لقلة لطافته
عما قبله فكان الفلك الثانى وهو فلك المشترى وهكذا بين فى طلوع الدخان مرة ومرة وتكون الافلاك
الخمسة الباقية عنه فهذه الاشارات كلها متطابقة على ان الماء هو الاصل الذى تكونت عنه السموات و
الارض وذلك مطابق لكلامه عليه السلام **البحث الثالث** قوله وادام مربها قال قطب الدين الراوندى
رحمه الله اى ادام جمع الريح للماء وتسويتها له قلت تقريبه ان الماء لما كان مقر الريح الذى اتصلت اليه
وعملت فى تحريكه كان ذلك هو مربها اى الموضع الذى لزمته واقامت به فقوله وادام مربها اى ادام حركة الماء
واضطرابه وتمخضه وهو محل ادبابها ويحتمل ان يكون قد استعمل اسم الموضع استعمال المصدر والتقدير ادام

منشاها قال ای ابعده

ارايها اى ملاوقتها لتحريك الماء وايضا فيحتمل ان يكون قد شبهها فى كونها سببا للآثار الخيرية وفى كثرتها وقوتها بالديمة فكان محلها ومقرها الذى تصل اليه وتقيم به قدرا مما امر الله ى سقاه ديمة وقوله واسبل ارتفاعها قلت المنشأ محل النشو وهو اسم الموضع الذى انشاها منه فلا يفهم منه الارتفاع اللهم الا على تقدير استعماله الموضع الانشاء استعمال المصدر اى بلغ بانشائها غاية بعيدة والاقرب انه يشير الى انها نشات من مبدا بعيد ولا يمكن الوقوف على اوله وهو قدرة الحق سبحانه وجوده وقوله وامرها قال الشارح اى امر الموكلين بها من الملائكة بصرف الماء بعضه بعضا وتحريكه كمخض اللبن ليزبد واطلق الامر عليها مجازا لان الحكيم لا يامر الجماد قلت بل حمله على امر الريح اولى لان فى التقدير الذى ذكره يكون التجوز فى لفظ الامر لعدم القول المخصوص هناك فيحمل على قهره لكنها فى نسبته الى الريح ايضا اذا اريد ملكيها اما اذا حملنا على ظاهره كان التجوز فى لفظ الامر فقط دون النسبة فكان اولى وقوله بمخض السقاء وعصفها بالفضاء اى ومثل مخض السقا ومثل عصفها فحذف المضاف الذى هو صفة المصدر واقام المضاف اليه مقامه فلذلك نصبه نصب المصادر واعلم ان اللام فى قوله تصفيق الماء للعهود السابق فى قوله ماء متلاطم لان الماء ابن واحد ومثل هذا التكرار جار فى الكلام الفصيح كقوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فان قلت ان الاجواء والارجاء وسكايك الهواء امور عدمية فكيف يصح نسبتها الى الانشاء عن القدرة قلت ان هذه الاشياء عبارة عن الخلاء والاحياز والخلاف فى ان الخلاء والحيز والمكان هل هى امور وجودية او عدمية مشهور فان كانت وجودية كانت نسبتها الى القدرة ظاهرة ويكون معنى فتقها وشقها شق العدم عنها كما مر فى قوله فطر الخلائق بقدرته وان كانت عدمية كان معنى فتقها وشقها ونسبتها الى القدرة تقديرها وجعلها احيازا للماء ومقارا له لانه لما كان تميزها عن مطلق الهواء والخلاء بايجاد الله فيها الماء صار تعيينها بسبب قدرته فيصح نسبتها الى انشائه فكانه سبحانه شقها وفتقها لحصول الجسم وروى ان زرارة وهشاما اختلفا فى الهواء اهو مخلوق ام لا فرفع بعض موالى الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام اليه ذلك وقال له انى متحير وارى اصحابنا يختلفون فيه فقال عليه السلام ليس هذا بخلاف يؤدى الى الكفر والضلال واعلم انه انما اعرض عن بيان ذلك لان اولياء الله الموكلين بايضاح سبيله وتثبيت خلقه على صراطه المستقيم لا يلتفتون بالذات الا الى احد امرين احدهما ما يؤدى الى الهدى اداء ظاهرا واضحا والثانى ما يصرف عن الضلال ويرد الى سواء السبيل وبيان ان الهواء مخلوق او غير مخلوق لا يفيد كثير فائدة فى امر المعاد فلا يكون الجهل به مما يضر فى ذلك فكان ترك بيانه والاشتغال بما هو اهم منه اولى **البحث الرابع** ان القرآن الكريم نطق بان السماء تكونت من الدخان وكلامه عليه السلام ناطق بانها تكونت من الزبد وما ورد فى الخبران ذلك الزبد هو الذى تكونت منه الارض فلا بد من بيان وجه الجمع بين هذه الاشارات فنقول وجه الجمع بين كلامه عليه السلام وبين لفظ القرآن الكريم ما ذكره الباقر عليه السلام وهو قوله فخرج من

ذلك

ذلك الموج والزبد دخان ساطع من وسطه من غير نار فخلق منه السماء ولا شك ان القرآن الكريم لا يريد بلفظ الدخان حقيقته لان ذلك انما يكون عن النار واتفق المفسرون على ان هذا الدخان لم يكن عن نار بل عن تنفس الماء وتبخره بسبب تموجه فهو اذن استعارة للبخار الصاعد من الماء واذا كان كذلك فنقول ان كلامه عليه السلام مطابق للفظ القرآن الكريم وذلك ان الزبد بخار يتصاعد على وجه الماء عن حرارة حركته الا انه ما دامت الكثافة غالبة عليه وهو باق على وجه الماء لم ينفصل فانه يخص باسم الزبد وما لطف وغلبت عليه الاجزاء الهوائية فانفصل خص باسم البخار واذا كان الزبد بخارا والبخار هو المراد بالدخان فى القرآن الكريم كان مقصده ومقصد القرآن واحدا فكان البخار المنفصل هو الذى تكونت عنه السموات والذى لم ينفصل هو الذى تكونت عنه الارض وهو الزبد واما وجه المشابهة بين الدخان والبخار الذى صحت لاجله استعارة لفظه له فهو امران احدهما حسى وهو الصورة المشاهدة من الدخان والبخار حتى لا يكاد يفرق بينهما فى الحس البصرى والثانى معنوى وهو كون البخار اجزاء مائية خالطت الهواء بسبب لطافتها عن حرارة الحركة كما ان الدخان كذلك ولكن عن حرارة النار فان الدخان ايضا اجزاء مائية انفصلت من جرم المحترق بسبب لطافتها عن حر النار فكان الاختلاف بينهما ليس الا بالسبب فلذلك صح استعارة اسم احدهما للاخر وبالله التوفيق **البحث الخامس** قال المتكلمون ان هذه الظواهر من القرآن وكلام على عليه السلام لما دلت على ما دلت عليه من كون الماء اصلا تكونت عنه السموات والارض وغير ذلك وثبت ان الترتيب المذكور فى المخلوقات امر ممكن فى نفسه وثبت ان البارى تعالى فاعل مختار قادر على جميع الممكنات ثم لم يقم عندنا دليل عقلى يمنع من اجراء هذه الظواهر على ما دلت عليه بظاهرها وجب علينا القول بمقتضى تلك الظواهر ولا حاجة بنا الى التاويل لا يقال ان جمهور المتكلمين متفقون على اثبات الجوهر الفرد وان الاجسام متركبة عنه فبعضهم يقول ان الجواهر كانت ثابتة فى عدمها والفاعل المختار كساها صفة التاليف والوجود وبعضهم وان منع ثبوتها فى العدم الا انه يقول ان الله تعالى يوجدها ولا تلك الجواهر ثم يؤلف بينها فيوجد منها الاجسام فكيف يقال ان السموات والارض تكونت من الماء لانا نقول هذا ظاهر لانهم يجوزون ان يخلق الله تعالى اولا الاجسام من تلك الجواهر ثم يكونها فى الاجسام عن الاجسام الاولى واما الحكماء فلما لم يمكن التركيب الذى افادته هذه الظواهر فى تكوين الاجسام موافقا لمقتضى ادلتهم لتاخر وجود العناصر عندهم عن وجود السموات لا جرم عدل بعضهم الى تاويلها توفيقا بينها وبين مقتضى ادلتهم وذكروا من التاويل وجهين **الوجه الاول** قالوا العالم عالمان عالم يسمى عالم الامر وهو عالم الملائكة الروحانية المجردات وعالم يسمى عالم الخلق وهو عالم الجسمانيات وعلى ذلك حملوا قوله تعالى الا له الخلق والامر ثم قالوا ما من موجود فى عالم الجسمانيات الا وله نسبة الى عالم الروحانيات وهو مثال له بوجه ما ولولا ذلك لانسد طريق الترقى الى العالم الروحانى وتعذر السفر الى الحضرة الالهية ثم كان من بحثهم ان يبقى ان قدرة الله سبحانه يرجع الى كونه عالمة

بالكل علما هو مبدأ الكل مبدائية بالذات غير ماخوذة عن شئ ولا موقوفة على وجود شئ ثم لما دل الدليل
على ان رتبة صدور عالم الامر على في الوجود واسبق نسبة الى قدرة المبدع الاول من عالم الخلق انما هو بواسطة
عالم الامر كان اعتبار ايجاد عالم الامر عن القدرة امرا اولا واعتبار ايجاد عالم الخلق عنها امرا ثانيا متاخرا
عنه فعند ذلك قالوا ان الذي اشار اليه عليه السلام هاهنا موافق لما اصلناه ومناسب له وذلك انه
اشار بالاجواء والارجاء وسكائك الهواء الى سلسلة وجود الملئكة المسماة بالعقول الفعالة على مراتبها
متنازلة وبانشائها الى ايجادها وبفتقها وشقها الى وجودها وبالماء المتلاطم المتراكم الى الكمالات
التي وجبت عنه سبحانه وباجرائها الى افاضته على كل واحد منها ما استحقه بواسطة ما قبله وبالريح العاصف
الى الامر الاول الذي اشرنا اليه عن القدرة فاما وجه المناسبة بين هذه الامور وبين ما ذكره فاما
في التعبير عن العقول بالارجاء والاجواء والسكائك فمن جهة انها قابلة للفيض والكمالات عن مبدأ
الاول كما ان الارجاء والسكائك الهواء قابلة للماء عن ما يخرج عنه من سحاب وينبوع واما في تشبيه
الفيض بالماء فلانه لما لم يكن بحيث يتوقف لا على تمام القابل بحيث وجد سال بطبعه اليه كذلك الفيض
الالهي لا يتوقف صدوره عن واهبه لا على تمام القابل لكون الفاعل تام الفاعلية في ذاته ولان الماء
لما كان به قوام كل حي جسماني في عالم الكون كذلك الفيض الالهي هو مبدأ قوام كل موجود قالوا ومثل هذا
التشبيه جاء في القرآن الكريم قال جمهور المفسرين ومنهم ابن عباس رضه في قوله تعالى انزل من السماء ماء
فسالت اودية بقدرها ان المراد بالماء هو العلم وبالاودية قلوب العباد وبالسيل الافاضة على القلوب
وبقوله فسالت بقدرها ان كل قلب منها يصل اليه مقدار ما يستحقه ويقبله قالوا وذلك ان الله سبحانه
انزل من سماء الكبرياء والجلالة والاحسان ماء بيان القرآن وعلومه على قلوب العباد ولان القلوب تستقر
فيها انوار علوم القرآن كما ان الاودية يستقر فيها المياه النازلة من السماء وكما ان كل واد فانما يحصل فيه
من مياه الامطار ما يليق بسعته وضيقه فكذلك هاهنا كل قلب انما يحصل فيه من انوار علم القرآن
ما يليق بذلك القلب من طهارته وخبثه وقوة فهمه وقصر فهمه وتمام التشبيه في الآية مذكور في
التفاسير واما في تشبيه الامر الاول بالريح العاصفة فلان وقوعه لما كان دفعة غير منسوب الى زمان
يتوقف عليه كان انسب ما يشبه به من الاجسام في السرعة والنفوذ وهو الريح العاصف لكونها اسرع الاجسام
حركة ولذلك اكدها بوصف العصف تقريرا للسرعة التامة وما امرنا الا واحدة كلمح البصر ووصفها
والعصف تحقيقا للقوة الغالبة والشدة الشديدة واما امره لها وتسليطها على شده فلانه لما صور
صورة الريح ساغ ان يقال امرها وهو عبارة عن نسبة ذلك الامر الى ذاته تعالى النسبة التي تحق بها العقول
الضعيفة فائدة الرد والشد هاهنا هو ضبط امره سبحانه على وفق حكمته الكمالات الفائضة عنه على كل
مورد بحسب نوعه المستلزم لورده عن ليس له ذلك الكمال المعين واما قرنها بالحد فاشارة الى الحاط

اكان صدور عالم الخلق

ربا لهرآه

امره

امره سبحانه بلطفه القوابل من الكمالات الفائضة واشتمالها عليها وقوله الهواء من تحتها فتيق اشارة الى قبول
القوابل المذكورة والماء من فوقها دفيق اشارة الى ما يحمله امر الله من الفيض المذكور وبلغته على تلك
القوابل وكل ذلك بترتيب عقلي لا زماني تحته فيعقل فيه التراخي واما الريح الثانية فاشار بها عليه السلام
الى الامر الثاني ووصفها بالعقيم مهبها اشارة الى عقد ذلك الامر وابقاعه على وفق الحكمة الالهية
او الى عدم المانع لجريان ذلك الامر وبادامة مربها الى اقامة ذلك الامر فكانه شبه الفيض الصادر
الامر على هيوليات الاجسام الفلكية بالديمة الهاطلة على الاماكن التي تجتمع بها وتقيم وارادات
المحال القابلة لذلك الامر المستلزمة لدوامه باقية واشار بعصف مجراها الى سرعة ذلك الامر كما
وصف به الريح الاولى وببعد منشاها الى عدم اولية مبدائيته وبامرها هذه الريح الى نسبة ذلك الامر
الى ذاته كما مر وبتصفيق الماء الزخار واثارة امواج البحار الى نسبة فيضان صور الافلاك وكمالاتها
الى امره سبحانه بواسطة تلك الكمالات العقلية للملئكة وانها غير مستقلة بايجاد شئ بل هي شرائط
بعضها للبعض ولغيرها وبالبحار الى تلك الملئكة ومخضها له مخض السقاء وعصفها به لعصفها
بالفضاء وترديد بعضه على بعض والى قوة امر الله عليها وتصريفها على حسب علمه بنظام الكل وتقيد
ما لكل فلك من الكمالات في ذات كل مبدأ من تلك المبادي وقوله حتى عب عبابه اشارة الى بلوغ
كمالات تلك الملئكة الحاصلة لها بالفعل عن امر الله الى رتبة ان تعطى بواسطتها الفيض لغيرها
وكذلك قوله ورمى بالزبد كلمة اشارة الى اعطائه صور الافلاك وكمالاتها بواسطتها ولما كانت
صور الافلاك محتاجة في قيامها في الوجود الى الهيولى كانت نسبتها الى الملئكة المجردة نسبة الاخس
الى الاشرف فبالحرى ان اطلق عليها اسم الزبد ولان هذه الصور حاصلة عن تلك الكمالات العقلية
وفائضة عنها كما ان الزبد منفصل عن الماء ومتكون عنه فتشابها واما قوله في هواء منفتق وجو
منفهق فاشارة الى الحاق صور الافلاك بموادها المستعدة او الى تخصيص وجودات الافلاك
باحيازها ورفعها اليها وقوله فسوى منه سبع سموات اشارة الى كمال الافلاك بما هي عليه من الوضع
والتعديل والترتيب واما تخصيصه بالسبع فلان الفلكين الباقيين في الشريعة معروفان باسمين آخرين
وهما العرش والكرسي ثم قالوا والى هذا اشار الحكماء السابقون ايضا فان مرادنا ليس الملطي بالعنصر
الاول هو المبدع الاول وكونه هو الماء لان المبدع الاول واسطة في باقي الموجودات وفيه صورها
وعنه تفاض كمالاتها كما ان بالماء قوام كل حي عنصري وبواسطته تكون وكذلك سر ما جاء في التورية
فان المراد بالجوهر المخلوق لله اولا هو المبدع الاول وكونه ثم نظر اليه نظر الهيبة وذوبان اجزائه
اشارة الى صدور الفيض عنه بامر الله سبحانه وقدرته والزبد الذي تكونت منه الارض والدخان الذي
تكونت منه السموات اشارة الى كمالات السموات والارض وصورها الصادرة عن كمالات عللها

صدور البخار والزبد عن الماء وكل هذه تجوزات واستعارات يلاحظ في تفاوت حسنها قرب المناسبة وبعدها
الوجه الثاني قالوا يحتمل ان يكون المراد بالريح الاولى هو العقل الاول فانه الحامل للفيض الالهي الى
ما بعده وهو المحيط بصور الموجودات ويؤيد ذلك قوله الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق
فان الهواء اشارة الى القوابل بعده وبواسطته والماء اشارة الى الفيض الصادر عن الاول سبحانه
فان التدفيق لما كان مستلزما لسرعة حركة الماء وجريانه عبر به عن الفيض الذي لا توقف فيه وبالريح
الثانية عن العقل الثاني فانه هو الواسطة في افاضة انوار الله سبحانه على ما بعده من العقول التي
بواسطتها تصعدا السموات السبع ووصف الريحين بالعصف والقصف اشارة الى ما يخص هذين المبدأين
من القدرة وامره للريح الثانية بتصفيق الماء الزخار واثارة موج البحار اشارة الى تحريك العقل الثاني
للعقول التي بعده الى افاضة كمالات الافلاك بامر الله تعم وباقي التاويل كما في التاويل الاول قوله
جعل سفلاهن موجا مكفوفا الى قوله وسقف سائر ورقيم مائر اقول هاهنا ابحاث البحث الاول هذا الكلام
يجري مجرى الشرح والتفسير لقوله فسوى لان التسوية عبارة عن التعديل والوضع والهيئة التي عليها
السموات بما فيهن والغرض بهذا التفصيل تنبيه الاذهان الغافلة عن حكمة الصانع سبحانه في ملكوت
السموات وبدائع صنعه وضروب نعمه ليتذكروا نعمة ربهم فيقبلوا على عبادته وحمده على تمام ذلك
الاحسان كما قال لتذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له
مقرنين فان كل هذه نعم على العباد وهي وان كان فيها ما يبعد عن الاذهان الضعيفة كونه نعمة على
العباد كحركات السموات مثلا فاني احسب ان كثيرا من الغافلين يقولون وما فائدة حركة السماء في
حقنا لكنه اذا انبهت اذهانهم لذلك علمنا انه لولا تلك الحركة لم يحصل شئ من المركبات في هذا العالم
اصلا فلم يكن العبد في نفسه فضلا عما يجري عليه من النعم الخارجة عنه الا ان تلك الحركة قد تستلزم نعمة
هي اقرب الى العبد من غيرها كالاستضاءة بنور الكواكب والاهتداء بها في ظلمات البر والبحر واعدادها
الابدان للصحة ونحو ذلك وقد تستلزم نعما تستلزم نعما اخرى الى ان يتصل بالعبد كاعدادها الارض
مثلا لحصول المركبات التي منها قوام حيوة العبد واعلم ان الله سبحانه ذكر امر السموات في كتابه في مواضع
كثيرة ولا شك ان اكثاره من ذكرها دليل عظم شانها وعلى ان له سبحانه فيها اسرارا لا يصل اليها عقول
البشر اذا عرفت ذلك فاعلم ان قوله عليه السلام وعليا هن سقفا محفوظا كقوله تعم وجعلنا السماء سقفا
محفوظا وقوله وحفظناها من كل شيطان رجيم وقوله وحفظا من كل شيطان مارد وقوله وسمكا مرفوعا
بغير عمد تدعمها ولا دسار ينتظمها كقوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها وقوله ويمسك السماء ان
تقع على الارض الا باذنه وقوله ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب كقوله تعم انا زينا السماء الدنيا
بزينة الكواكب وقوله فاجرى فيها سراجا مستطيرا وقمرا منيرا كقوله تعم وجعل القمر فيهن نورا وجعل

الشمس

الشمس سراجا البحث الثاني في هذا الفصل استعارات الاولى قوله جعل سفلاهن موجا مكفوفا استعار
لفظ الموج للسماء لما بينهما من المشابهة في العلو والارتفاع وما يتوهم من اللون وقال بعض الشارحين
اراد انها كانت في الاول موجا ثم عقدها وكفها اي منعها من السقوط الثانية قوله سقفا محفوظا استعار
لفظ السقف من البيت للسماء في الاصل لما بينهما من المشابهة في الارتفاع والاحاطة ثم كثر ذلك
الاستعمال حتى صار اسما من اسماء السماء ويحتمل ان لا يكون منقولا واراد بقوله محفوظا اي من الشياطين
قال ابن عباس رضه كانت الشياطين لا تحجب عن السموات وكانوا يدخلونها ويخبرون اخبارها فلما
ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وآله منعوا من السموات كلها
فما منهم احد استرق السمع الا رمي بشهاب فذلك معنى قوله تعم وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من
استرق السمع فاتبعه شهاب مبين وسيجئ السر في ذلك ان شاء الله تعالى قوله بغير عمد تدعمها ولا دسار
ينتظمها اقول لما كان مقتضى قدرة العبد وغايتها اذا تمكن من بناء بيت وانشاء سقف انه لا بد له من
الاساطين وعمد يقوم عليها ذلك السقف وروابط تشد بعضه الى بعض وكانت قدرة الحق سبحانه اجل
واعلى من الحاجة الى امثال ذلك اراد ان يشير الى عظمته سبحانه وقوة قهره بسلب صفات المخلوقين عنه
وشرائط آثارهم عن قدرته والمعنى ان هذه الاجرام العظيمة بقيت واقفة في الجو العالي ويستحيل ان
يكون وقوفها هناك لذواتها لان الاجسام متساوية في الجسمية فلو وجب حصول جسم في حيز لوجب
حصول كل جسم في ذلك الحيز ولان الاحياز والخلاء متشابه فلا اختصاص فيه لموضع دون آخر ولا يجوز
ان يقال انها معلقة بجسم آخر والا لكان الكلام في وقوف ذلك الجسم في الجو كالكلام في الاول و
يلزم التسلسل فلم يبق الا ان يقال ان وقوفها بقدرة الصانع الحكيم القادر المختار وان قلت قوله تعالى
ترونها يفهم منه ان هناك عمدا ولكنها غير مرئية لنا وذلك ينافي سلبه عليه السلام للعمد مطلقا قلت
الجواب عنه من وجوه احدها انه يحتمل ان يكون قوله تعالى ترونها كلاما مستانفا والتقدير بغير عمد ثم
ترونها كذلك الثاني يحتمل ان يكون في الكلام تقديم وتاخير كما نقل عن الحسن البصري انه قال التقدير
ترونها بغير عمد الثالث وهو الطف ما ذكره الامام فخر الدين فقال ان العماد هو ما يعتمد عليه والسموات
معتمدة وقائمة على قدرة الله تعم فكانت هي العمد التي لا ترى وذلك لا ينافي كلامه عليه السلام الرابع
وهو الاحق ما ذكرته وهو انه قد ثبت في اصول الفقه ان تخصيص الشئ بحكم لا يدل على ان الحكم فيما
عداه بخلاف ذلك الحكم فتخصيص العمد المرئية للسموات بالسلب لا يستلزم ثبوت العمد غير المرئية لها الثالث
الثواقب استعارة في الاصل للشهب عن الاجسام التي تثقب جسما آخر وتنفذ فيه ثم صار الطلاقه عليه حقيقة
او قريبا ووجه المشابهة التي لاجلها سمي الشهاب ثاقبا انه يثقب بنوره الهواء كما يثقب جسم جسما لكن لكثرة
الاستعمال فيه صار اطلاقه عليه حقيقة او قريبا منها الرابعة قوله سراجا مستطيرا استعارة للشمس ووجه



الشابهه ان السراج المعلق المستطيل لما كان من شانه ان يضيء ما حوله وينتشر في جميع نواحي البيت ويهتدى
به من الظلمة كذلك الشمس مضيئة لهذا العالم ويهتدي به المتصرف فيه الخامسة قوله رقيم استعارة اصلية
للفلك تشبيها له باللوح المرقوم فيه ثم كثر استعمال هذا اللفظ في الفلك حتى صار اسما من اسمائه البحث
الثالث اعلم ان هذه الاستعارات تستلزم ملاحظة الجزئي وهو تشبيه هذا العالم باسره ببيت واحد
فالسماء كقبة خضراء نصبت على الارض وجعلت سقفا محفوظا محجوبا عن ان يصل اليه مردة الشياطين
كما تحمى غرف البيت بالسهام والحراب عن مردة اللصوص ثم هو مع غاية علوه وارتفاعه غير محمول على عمد
ولا منظوم بدسار وثيقة بل بقدرة صانعه ومبدعه ثم ان تلك القبة مزينة بالكواكب وضيائها الذي
هو احسن الزينة واكملها فلولا يحصل صور الكواكب في الفلك لبقي مظلما مطلما فلما خلق الله تعالى هذه
الكواكب المشرقة في سطحه لاجرم استنار وازدان بذلك النور والضوء كما قال ابن عباس في قوله بزينة
الكواكب اي بضوئها وانت اذا تأملت هذه الكواكب المشرقة المضيئة في سطح الفلك وجدتها عند
النظر اليها كجواهر مرصوعة في سطح من زمرد على اوضاع اقتضتها الحكمة او كما قال وكان اجرام النجوم
لوامعا درر نثرن على بساط ازرق ثم جعل من جملتها كوكبين هما اعظم الكواكب جرما واشدها اشراقا
وانهما ضياء مع اشتمالهما على تمام الحسن والزينة جعل احدهما ضياء للنهار والاخر ضياء لليل ثم جعل ذلك
السقف ساكنا بل جعله متحركا ليكون اتم صنعه فيه اظهر ووضع حكمته فيه ابدع ثم لم يجعل ذلك السقف طبقا
واحدا بل طباقا واسكن في كل طبق ملأ من جنوده وخواص ملكه الذين ضرب بينهم وبين من دونهم حجب
العزة واستار القدرة فلا يستطيع احد ان ينظر اليهم فضلا عن ان يتشبه بمالكهم وخالقهم سبحانه وتعالى
عما يقول الظالمون علوا كبيرا هذا هو الحكمة الظاهرة التي يتنبه لها من له ادنى فطنة فيحصل منها عبرة
شاملة لاصناف الخلق بحيث لا يخطو مع جزئي من جزئيات آثار هذه القدرة اي اثر كان استعظم واستحسن
من اي ملك فرض من ملوك الدنيا لم يكن بينهما من المناسبة الا حيا ضعيف فان اي ملك فرض انه
بوضع بنيان وبالغ في تحسينه وتزويق سقوفه وترصيعها بانواع الجواهر وتزيينها بالاوضاع المعجبة
لابناء نوعه وبذل فيه جهده واستفرغ فيه فكره لم يكن غايته الا ان يلحظ ما عمله نسبة حيا لنسبة
الى ظاهر هذا الصنع العجيب والترتيب اللطيف هذا مع ما اشتمل عليه من الحكم الخفية والاسرار الالهية
التي يعجز القوى البشرية عن ادراكها ويحتاج فيما لاح منها الى لطف قريحة وتوقد ذهن فسبحان الذي
بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون فانظر ايها المستبصر بعين بصيرتك المناسبة بين بيتك الذي
بنيته وهذا البيت العظيم وقس سراجك الى سراجه وزينتك الى زينته ثم لاحظ مع ذلك انه انما خلق
لك ولابناء نوعك ليكون فيه ومنه قوام حيوتكم ووجودكم ولتستدلوا بملكوت ما خلق على كمال
قدرته وحكمته لترجعوا بذلك الى حضرته طاهرين من الرجس مشتهين لسكان سقف هذا البيت

وغرفه

وغرفه لا ان له حاجة اليه فانه الغني المطلق الذي لا حاجة به الى شيء والعجب من الانسان انه ربما راى خطا
حسنا او تزويقا على حائط فلا يزال يتعجب من حسنه وحذق صانعه ثم يرى هذا الصنع العجيب والابداع اللطيف
فلا يدهشه عظمة صانعه وقدرته ولا يحيره جلال مبدعه وحكمته البحث الرابع الشرع والبرهان قد تطابقا
على ان هاهنا تسع افلاك بعضها فوق بعض فيها سبع سموات ثم الكرسي والعرش بعبارة الناموس
الالهي ثم اكثرها يشتمل على الكواكب وهي اجرام نورانية مستديرة مصمتة مركوزة في اجرام الافلاك فاول
الافلاك مما يلينا ليس فيه من الكواكب الا القمر وليس في الثاني الا عطارد وليس في الثالث الا الزهرة
وليس في الرابع الا الشمس وليس في الخامس الا المريخ وليس في السادس الا المشتري وفي السابع الا زحل
وهذه هي المسماة بالكواكب السبعة السيارة وما سواها من الكواكب فيشتمل عليها الفلك الثامن واما
التاسع فخال عن الكواكب او ان كان فليس يدرك لنا ثم قد دل البرهان على ان الافلاك هي المحركة لما
فيها من الكواكب وان تلك الحركة دورية وكان كلامه عليه السلام مطابقا لذلك حيث قال في فلك دائر
وسقف سائر ورقيم مائر اذا عرفت ذلك فاعلم ان الله سبحانه خلق الموجودات كلها على اتم انحاء الوجود واكمله
فجميع الموجودات من الافلاك ومقاديرها واعدادها وحركاتها المختلفة وهيأتها وهيئة الارض وما عليها
من حيوان ونبات ومعدن ونحوه انما وجد على الوجه الذي وجد عليه لحصول النظام الكلي للعالم ولو كان
على خلاف ما عليه لكان شرا ونقصا فخلق الافلاك والكواكب وما هي عليه من الحركات والاوضاع وجعلها
اسبابا لحدوث الحوادث في عالم الكون والفساد بواسطة كيفيات تحدثها فيها من حرارة وبرودة ورطوبة و
يبوسة يوجب ذلك امتزاج بعضها ببعض امتزاجات مختلفة مستعدة لقبول صور مختلفة من حيوان ونبات و
معدن واظهر الكواكب تأثيرا هو الشمس والقمر فان بحركة الشمس اليومية يحصل النهار والليل فالنهار وهو زمان
طلوعها يكون زمان التكسب والطلب للمعاش الذي يحصل به قوام الحيوة ويكون سببا الى السعادة الاخروية
ثم انها في مدة حركتها اليومية لا تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي الى المغرب وقد اخذت كل جهة
من الجهات حظها من الاشراق والاستعداد به واما الليل وهو زمان غروبها فان فيه هدوء الخلق وقرارهم
الذي به يحصل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء كما قال تعالى هو الذي جعل لكم
الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا ثم كانت الشمس من جهة ضوئها
كسراج ترفع لاهل كل بيت بمقدار حاجتهم ثم يرفع عنهم فصار النور والظلمة على تضادهما متظاهرين على ما فيه
مصلحة هذا العالم واما بحسب حركتها الجنوبية والشمالية فقد جعل سبحانه ذلك سببا لاقامة الفصول الاربعة
ففي الشتاء تغور الحرارة والنبات فيتولد منها مواد البخار ويكثر السحاب والامطار وتقوى ابدان الحيوانات
بسبب احتقان الحرارة الغريزية في البواطن وفي الربيع تتحرك الطبائع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع
النبات ويورق الشجر ويهيج الحيوان للسفاد وفي الصيف يحتدم الهواء فينضج الثمار وتنحل فضول الابدان و

وجه الارض وتهيأ للبناء والعمارة وفي الخريف يظهر اليبس والبرد فينتقل فيه الابدان على التدريج الى
الشتاء فانه لو وقع الانتقال دفعة لهلكت وفسدت واما القمر فانه بحركته يحصل الشهور والاعوام كما قال سبحانه
ولتعلموا عدد السنين والحساب من ترتيب معاشهم بالزراعة والحراثة واعداد مهمات الشتاء والصيف و
باختلاف حاله في زيادته ونقصانه تختلف احوال الرطوبات في هذا العالم فلو انه سبحانه خلق الافلاك دون
الكواكب لكان ان خلقها مظلمة لم يحصل ما ذكرنا من اختلاف الفصول والحر والبرد فلم يتم في هذا العالم
ما كان اسبابا فيه من الاستعدادات ولم يتميز لنا قصد عن قصد كما قال تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون
وقوله هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وان خلقها مضيئة تشابهت آثارها في الازمنة
والامكنة بل خلق فيها الكواكب ولم يجعلها ساكنة والا لافرطت آثارها في موضع بعينه فيفسد استعداده ويخلو
موضع آخر عن التأثير ولما تميزت فصول السنة ولما حصل البرد المحتاج اليه والحر المحتاج اليه فلم يتم نشو
النبات والحيوان وعلى الجملة فالنظام الكلي لا يحصل الا بهذا الوجه فهو كل انحاء الوجود وكل ذلك
يدل على كمال رحمة الله بخلقه وشمول عنايته لهم اذ كان جميع ما ذكرناه من المنافع الحاصلة في هذا العالم مستندا
الى علو تدبيره وكمال حكمته كما قال تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار
واتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار ولا يقال السؤال
على ما ذكر ثم من وجهين احدهما ان الترتيب الذي ذكرتموه في تخصيص كل فلك ببعض الكواكب يشكل
بقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح الثاني
ان الشهب الثواقب التي جعلت رجوما للشياطين على ما نطق به القرآن الكريم اما ان يكون من الكواكب
التي زينت بها السماء او لا يكون والاول باطل لان هذه الشهب تبطل بالانقضاض وتضمحل وكان يلزم
من ذلك على مرور الزمان فناء الكواكب ونقصان اعدادها ومعلوم انه لم يوجد ذلك النقصان البتة و
الثاني يشكل بقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فانه نص على كون الشهب
التي جعلت رجوما للشياطين هي تلك المصابيح والكواكب التي زينت بها السماء لانا نجيب عن الاول بانه
لا تنافي بين ظاهر الآية وبين ما ذكرناه وذلك ان السماء الدنيا لما كانت لا تحجب ضوء الكواكب وكانت اوهام
الخلق حاكمة عند النظر الى السماء ومشاهدة الكواكب بكونها مزينة بها لا جرم صح قوله تعالى انا زينا السماء
الدنيا بزينة الكواكب لان الزينة بها انما هي بالنسبة الى اوهام الخلق للسماء الدنيا وعن الثاني انا نقول
ان هذه الشهب غير تلك الثوابت الباقية فاما قوله وزينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين فنقول كل مضيء حصل في الجو العالي وفي السماء فهو مصباح لاهل الارض الا ان تلك المصابيح
منها باقية على طول الزمان وهي الثوابت ومنها متغيرة وهي هذه الشهب التي يحدثها الله تعالى
ويجعلها رجوما للشياطين ويصدق عليها انها زينة للسماء ايضا بالنسبة الى اوهامنا وبالله التوفيق

قوله ثم

قوله ثم فتق ما بين السموات العلى الى قوله ولا يشيرون اليه بالنظائر فيه ابحاث البحث الاول هذا الفصل
ايضا من تمام التفسير لقوله فسويهن سبع سموات اذ كان ما اشار اليه هاهنا من فتق السموات الى طبقات
واسكان كل طبقة منها ملأ معينا من ملائكته هو من تمام التسوية والتعديل لعالم السموات فان قلت لم
اخر ذكر فتق السموات واسكان الملائكة لها عن ذكر اجراء الشمس والقمر فيها وتزيينها بالكواكب ومعلوم
ان فتقها متقدم على اختصاص بعضها ببعض الكواكب قلنا ان اشارته عليه السلام الى تسوية السموات اشارة
جلية فكانه قد دل اولا ان الله خلق السموات كرة واحدة كما عليه بعض المفسرين لقوله تعالى ان السموات و
الارض كانتا رتقا ثم ذكر عليها من اجرائهما مجرى السطحين الداخل والخارج لتلك الكرة ثم اشار الى بعض
كمالاتها وهي الكواكب والشمس والقمر جملة ثم بعد ذلك اراد التفصيل فاشار الى تفصيلها وتمييز بعضها
عن بعض بالفتق واسكان كل واحدة منهن ملأ معينا من الملائكة ثم عقب ذلك بتفصيل الملائكة ولا شك
ان تقديم الاجمال في الذكر وتعقيبه بالتفصيل اولى في الفصاحة والبلاغة في الخطابة من العكس اذا عرفت
ذلك فنقول قوله عليه السلام ثم فتق ما بين السموات العلى كقوله تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض
كانتا رتقا ففتقناهما وقوله فملأهن اطوارا من ملائكته منهم سجود لا يركعون كقوله تعالى ولله يسجد من في
السموات وقوله ولم يسجدون ونحوه وقوله صافون لا يتزايلون كقوله تعالى وانا لنحن الصافون والصافات
صفا وقوله ومسبحون لا يسأمون كقوله يسبحون الليل والنهار وقوله ولا فترة الابدان كقوله تعالى لا يفترون
وقوله ومنهم امناء على وحيه كقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقوله والسنة الى رسله كقوله تعالى
جاعل الملائكة رسلا وقوله مختلفون بقضائه وامره كقوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر
وقوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده وقوله ومنهم الحفظة لعباده كقوله تعالى ويرسل
عليكم حفظة وقوله وان عليكم لحافظين وقوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله
وقوله والسدنة لابواب جنانه كقوله تعالى وقال لهم خزنتها وقوله والمناسبة لقوائم العرش اكنافهم كقوله
ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وقوله باجنحتهم كقوله تعالى اولي اجنحة البحث الثاني اعلم ان الناس
في تفسير قوله تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما اقوال احدها قال ابن
عباس والضحاك وعطاء وقتادة ان السماء والارض كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما بالهواء
الثاني قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا توسطتها ففتحها بها الثالث
قال مجاهد والسدي كانت السموات طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارضين الرابع
قال عكرمة وعطية وابن عباس برواية الحسن عنه ان معنى كون السماء رتقا انها كانت لا تمطر وكانت الارض
رتقا اي لا تنبت نباتا ففتق الله السماء بالمطر والارض بالنبات ويؤيد ذلك قوله تعالى بعد ذلك و
جعلنا من الماء كل شيء حي ونظيره قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وقوله والارض ذات الصدع وقوله

إنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا الاية الخامس قال بعض الفضلاء ان معنى قوله كانتا رتقا اى كانت امورا كلية في علم الله تعالى وفى اللوح المحفوظ وقوله ففتقناهما اشارة الى تشخصها في الوجود الخارجي وتميز بعضها عن بعض وهذا القول مناسب للاقوال الثلثة الاول ويصلح تحقيقا لها وتحمل الريح التى ذكرها كعب على امر الله تعالى استعارة لما بينهما من المشابهة في السرعة السادس قال بعضهم ان معنى الرتق في هذه الاية هو انطباق دائرة معدل النهار على فلك البروج ثم ان الفتق بعد ذلك هنا عن ظهور الميل قالوا ومما يناسب ذلك قول ابن عباس وعكرمة فانهم لما قالوا ان معنى كون السماء رتقا انها لا تمطر ومعنى كون الارض رتقا انها لا تنبت كان الفتق والرتق بالمعنى الذى ذكرناه اشارة الى ما ذكروه اذ انطباق الدائرتين وهو الرتق يوجب خراب العالم السفلى وعدم المطر والنبات وظهور الميل الذى هو الفتق يوجب وجود الفصول وظهور المطر والنبات وساير انواع المركبات اذا عرفت ذلك فاعلم ان قوله عليه السلام ثم فتق ما بين السموات العلى موافق للاقوال الثلثة الاول ومع القول الخامس والتحقيق به اليق واما القول السادس فهو بعيد المناسبة لقوله عليه السلام وبيان ذلك ان قوله عليه السلام ثم فتق ما بين السموات العلى انما هو في معرض بيان كيفية تخليق العالم الاعلى ولذلك ردفه وعقبه بالفاء في قوله فملاهن اطوارا من ملئكته والرتق والفتق في هذا القول متاخر عن كمال الاجرام العلوية بما فيها وما يتعلق بها او لا يعقل تقدم ظهور الميل بوجه ما على وجود الملائكة السماوية واسكانها اطباق السموات وبالله التوفيق

البحث الثالث

الملئكة على انواع كثيرة ومراتب متفاوتة فالمرتبة الاولى الملئكة المقربون كما قال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملئكة المقربون الثانية الملئكة الحاملون للعرش كقوله تعالى الذين يحملون العرش وقوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية الثالثة الحافون حول العرش كما قال وترى الملائكة حافين من حول العرش وقوله ومن حوله الرابعة ملئكة السموات والكرسى الخامسة ملئكة العناصر السادسة الملئكة الموكلون بالمركبات من المعدن والنبات والحيوان السابعة الملئكة الحفظة الكرام الكاتبون كما قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين ويدخل فيهم المعقبات المشار اليه بقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله الثامنة ملئكة الجنة وخزنتها كما قال تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم التاسعة ملئكة النار كما قال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد وقال عليها تسعة عشر وقال وما جعلنا اصحاب النار الا ملئكة اذا عرفت ذلك فنقول اتفق الكل على ان الملائكة ليس عبارة عن اشخاص جسمانية كثيفة تجئ وتذهب كالناس والبهايم بل القول المحصل فيها قولان الاول هو قول المتكلمين انها اجسام نورانية الهية خيرة سعيدة قادرة على التصرفات السريعة والافعال الشاقة ذوات عقول وافهام وبعضها عند الله اقرب من البعض واكمل درجة كما قال تعالى حكاية عنهم وما منا الا له مقام معلوم والقول الثانى قول عيرهم وهى انها ليست باجسام لكن منها ما هو مجردة

في الجمهر

عن الجسمية وعن تدبير الاجسام ومنها من له الامر الاول دون الثانى ومنها من ليس بمجرد بل جسمانى حال في الاجسام وقائم بها ولهم في تنزيل المراتب المذكورة على قولهم تفصيل اما المقربون فاشارة الى الذوات المقدسة عن الجسمية والجهة وعن حاجتها الى القيام بها وعن تدبيرها واما حملة العرش فالارواح الموكلة بتدبير العرش وقيل هم الثمانية المذكورة في القرآن الكريم ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم رؤساء الملئكة المدبرين للكرسى والسموات السبع وذلك ان هذه الاجرام لها كالابدان فهى بابدانها اشخاص حاملون للعرش فوقهم واما الحافون حول العرش فقيل هم صفوف واقربهم الى العرش هى الارواح الحاملة للكرسى الموكلة به والمتصرفة فيه واما ملئكة السموات فالارواح الموكلة بها والمتصرفة فيها بالتحريك والادارة باذن الله عز وجل وكذلك ملئكة العناصر والجبال والبحار والبرارى والقفار وساير المركبات من المعدن والنبات والحيوان المسخر كل منها لفعله المخصوص على اختلاف مراتبها واما الملئكة الحافظون الكرام الكاتبون فلهم فيها اقوال احدها قال بعضهم ان الله سبحانه خلط الطبايع المتضادة ومزج بين العناصر المتنافرة حتى استعد ذلك الممتزج بسبب ذلك الامتزاج لقبول النفس المدبرة والقوى المحركة فالمراد بتلك الحفظة التى ارسلها تعالى هى تلك النفوس والقوى التى تحفظ تلك الطبايع المقهورة على امتزاجاتها وهى الضابطة على نفسها اعمالها والمكتوبة الواحها صورة ما تفعله لتشهد به على انفسها يوم القيمة كما قال تعالى قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين وهى المعقبات من بين يدى الانسان ومن خلفه الحافظون له من امر الله وقيل الحفظة للعباد غير الحفظة على العباد والكاتبين لاعمالهم وسنشير الى ذلك الثانى قال بعض القدماء ان هذه النفوس البشرية والارواح الانسانية مختلفة بجواهرها فبعضها خيرة وبعضها شريرة وكذا القول في البلادة والذكاء والجود والعفة والحرية والنذالة والشرف والدناءة وغيرها من الهيات ولكل طايفة من هذه الارواح السفلية روح سماوى هو لها كالاب المشفق والسيد الرحيم تعينها على مهماتها في يقظتها ومناماتها تارة على سبيل الرؤيا واخرى على سبيل الالهامات وهو مبدأ لما يحدث فيها من خير وشر وتعرف تلك المبادى في مصطلحهم بالطباع التام يعنى ان تلك الارواح الفلكية في تلك الافعال والاخلاق تامة كاملة بالنسبة الى هذه الارواح السفلية وهى الحافظة لها وعليها كما قال تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدى سفرة كرام بررة الثالث قول بعضهم ان للنفوس المتعلقة بهذه الاجساد مشاكلة ومشابهة مع النفوس المفارقة عن الاجساد فتكون لتلك المفارقة ميل الى النفوس التى لم تفارق فيكون لها تعلق ايضا بوجه ما بهذه الابدان بسبب ما بينها وبين نفوسها من المشابهة والموافقة فيصير معاونة لهذه النفوس على مقتضى طباعها وشاهدة عليها كما قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد واما ملئكة الجنة فاعلم ان الجنان

المذكورة في القران ثمان وهى جنة النعيم وجنة الفردوس وجنة الخلد وجنة المأوى وجنة عدن ودار السلام ودار القرار وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين ومن وراء الكل عرش الرحمن ذى الجلال والاكرام اذا عرفت ذلك فاعلم ان لهذه الجنان سكانا وخزانا من الملئكة اما السكان فهم الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم الذين يتلقون عباد الله المخلصين بالتحفة والبشارة بالجنة وذلك ان الانسان الطايع اذا كملت طاعته وبلغ النهاية في الصورة الانسانية واستحق باعماله الصالحة وما اكتسبه من الافعال الزكية صورة ملكية ورتبة سماوية تلقته الملائكة الطيبون بالرافة والرحمة والشفقة وتقبلوه بالروح والريحان وقبلوه كما تقبل القوابل والدايات اولاد الملوك بفاخر امور الدنيا وطيبات روايحها من مناديل السندس والاستبرق وبالفرح والسرور ومروا به الى الجنة فيعاين من البهجة والسرور ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويبقى معهم على ما دونا كما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ويتصل باخوانه المؤمنين في الدنيا لحباره ولحوا له وبشرا اى لهم في مناماتهم بالبشارة والسعادة وحسن المنقلب واذا كان يوم القيمة الكبرى عرجت به ملئكة الرحمة الى جنان النعيم والسرور المقيم لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى في غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الانهار واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين قال بعض حكماء الاسلام ان تلك الملائكة المتلقية له بالروح والريحان هى روحانيات الزهرة والمشترى وكان القايل يقول ان النفوس الانسانية السعيدة اذا فارقت ابدانها وحملت القوة المتوهمة معها والهيات المتخيلة التى حصلت من الوعد الكريم في دار الدنيا من الجنان والحدائق والانهار والثمار والحور العين والكاس المعين واللؤلؤ والمرجان والولدان والغلمان فانه يفاض عليها بحسب استعدادها وطهارتها وبحسب ثواب الاخرة صور عقلية في غاية البهاء والزينة مناسبة لما كانت تتخيله من الامور المذكورة مناسبة ما ولما كان لهذين الكوكبين اثر تام في اعداد النفوس للمتخيلات البهية الحسنة وللفرح والسرور كما يشهد به المنجمون الى روحانيتهما من الافعال الحسنة نسب تلقى الانسان بعد المفارقة بالرافة والرحمة والشفقة الى روحانيتهما والله اعلم واما الخزنة للجنان فيشبه ان يكون هم السكان لها ايضا باعتبار آخر وذلك انه لما كان الخازن هو المتولى لاحوال ابواب الخزنة بفتحها وتفريق ما فيها على مستحقيها باذن رب الخزانة ومالكها وغلقها ومنعها عن غير مستحقيها وكانت الملائكة هم المتولين لافاضة الكمالات وتفريق ضروب الاحسان والنعم على مستحقيها وحفظها ومنعها عن غير مستحقيها والمستعد بالطاعة لها باذن الله وحكمه لا جرم صدق انهم خزان الجنان بهذا الاعتبار وهم الذين يدخلون على المؤمنين من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال بعض الفضلاء ان العبد اذا رام من نفسه تحصيل مراتب القوة النظرية ومراتب

القوة

القوة العملية فانه يستعد بكل مرتبة من تلك المراتب لكمال خاص يفاض عليه من الله تعالى ويأتيه به الملئكة فيدخلون عليه من كل باب من تلك الابواب بالسلام والتحية والاكرام ثم ان الرضا بقضاء الله من حيث هو باب عظيم من تلك الابواب فالملك الذى يدخل على الانسان منه رضا الله كما قال رضى الله عنهم ورضوا عنه هو رضوان خازن الجنان والله اعلم واما ملئكة النار فقال بعض الفضلاء هى تسعة عشر نوعا من الزبانية لا يعصون الله ما امرهم وهم الخمسة الذين ذكرنا انهم يوردون عليه الاخبار من خارج ورئيسهم والخازنان والحاجب والملك المتصرف بين يديه باذن ربه وملكا الغضب والشهوة والسبعة الموكلون بامر الغذاء وذلك انه اذا كان يوم الطامة الكبرى وكان الانسان ممن طغى وآثر الحيوة الدنيا حتى كانت الجحيم هى المأوى كانت اولئك التسعة عشر من الزبانية هم الناقلين له الى الهاوية بسبب ما اكتسب من المشتبهات واقترف من السيئات واعرض عن قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وان الى ربك المنتهى والله اعلم وفقك الله ان هؤلاء الذين ذكرهم هذا القايل هم ملئكة النار ربما كانوا ايضا مع انسان آخر من ملئكة الجنان وذلك اذا استخدمهم ذلك الانسان في دار الدنيا على وفق اوامر الله واوقفهم على طاعة الله دون ان يطلب منهم فوق ما خلقوا لاجله وامروا به من طاعته ويجرهم الى معصية الله ونواهيه ومحارمه وبالله التوفيق

البحث الرابع

انه عليه السلام ذكر من الملائكة انواعا واشار بالسجود والركوع والصف والتسبيح الى تفاوت مراتبهم في العبادة والخضوع وذلك ان الله سبحانه قد خص كلا منهم بمرتبة معينة من الكمال في العلم والقدرة لا يصل اليها من دونه وكل من كانت نعمة الله عليه اكمل واتم كانت عبادته اعلى وطاعته اوفى ثم ان السجود والركوع والصف والتسبيح عبادات متعارفة بين الخلق ومتفاوتة في استلزام كمال الخضوع والخشوع ولا يمكن حملها على ظواهرها المفهومة منها لان وضع الجبهة على الارض وانحناء الظهر والوقوف في خط واحد وحركة اللسان بالتسبيح امور مبنية على وجود هذه الالات التى هى خاصة ببعض الحيوانات فبالحرى ان يحمل تفاوت المراتب المذكورة لهم على تفاوت كمالاتهم في الخضوع والخشوع لكبرياء الله وعظمته اطلاقا للفظ الملزوم على اللازم على ان السجود في اللغة هو الانقياد والخضوع كما مر اذا عرفت ذلك فنقول يحتمل ان يكون قوله عليه السلام منهم سجود اشارة الى مرتبة الملئكة المقربين لان نسبتهم اكمل درجات الملئكة فكانت نسبة عبادتهم وخضوعهم الى خضوع من دونهم كنسبة خضوع السجود الى خضوع الركوع فان قلت انه قد تقدم ان الملائكة المقربين مبرؤون عن تدبير الاجسام والتعلق بها فكيف يستقيم ان يكونوا من سكان السموات ومن الاطوار الذين ملئت بهم قلت ان علاقة الشئ بالشئ واضافته اليه يكفى فيها ادنى مناسبة بينهما والمناسبة هاهنا حاصلة بين الاجرام السماوية وبين هذا الطور من الملائكة وهى مناسبة العلة للمعلول او الشرط للمشروط

فكما جاز ان ينسب البارى جل جلاله الى الاختصاص بالعرش والاستواء عليه لفظ القرآن الكريم مع تنزهه تعـ وتقدسه عن هذا الظاهر ولم يجز في الحكمة ان يكشف للخلق من عظمة الحق سبحانه اكثر من هذا القدر فكذلك جاز ان تنسب الملئكة المقربون الى الكون فى السموات بطريق الاولى وان تنزهوا عن الاجسام وتدبيرها لان عليا عليه السلام قاصد مقصد الرسول صلى الله عليه وآله وقصد القرآن الكريم والمقوبة فليس له ان يفصح بما ينبوا عنه الافهام وبالله التوفيق قوله وركوع بثبه ان يكون اشارة الى حملة العرش اذ كانوا اكمل ممن دونهم فكانت نسبة عبادتهم الى عبادة من دونهم كنسبة خضوع الركوع الى خضوع الصف قوله وصافون يحتمل ان يكون اشارة الى الملئكة الحافين من حول العرش قيل انهم يقفون صفوفا لاداء العبادة كما اخبر تعـ عنهم وانا لنحن الصافون وتحقيق ذلك ان لكل واحد منهم مرتبة معينة ودرجة معينة من الكمال تخصه وتلك الدرجات باقية غير متغيرة وذلك يشبه الصفوف ومما يؤيد ذلك بانهم الحافون حول العرش ما جاء فى الخبر ان حول العرش سبعين الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح قوله ومسبحون يحتمل ان يكون المراد بهم الصافون وغيرهم من الملئكة والواو العاطفة وان اقتضت المغايرة الا ان المغايرة حاصلة اذ هم من حيث هم صافون غيرهم من حيث هم مسبحون وتعدد هذه الاعتبارات يسوغ تعديد الاقسام بحسبها وعطف بعضها على بعض ويؤيد ذلك الجمع بين كونهم صافين وبين كونهم مسبحين فى قوله تعـ وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ويحتمل ان يريد نوعا او انواعا اخر من ملائكة السموات فاما سلب الركوع عن الساجدين وسلب الانتصاب عن الراكعين وسلب المزايلة عن الصافين وسلب السأم عن المسبحين فاشارة الى كمال مراتبهم المعينة كل بالنسبة الى من هو دونه وتأكيد لها بعدم النقصانات اللاحقة فان الركوع وان كان عبادة الا انه نقصان بالنسبة الى السجود والانتصاب نقصان فى درجة الراكع بالنسبة الى ركوعه وكذلك التزايل انفصال عن مرتبة الصف ومفترقها وكذلك السأم فى التسبيح نقصان فيه واعراض عن الجهة المقصود به وايضا فالسأم والملال عبارة عن اعراض النفس عن الشئ بسبب كلال بعض القوى الطبيعية عن افعالها وذلك غير متصور فى حق الملئكة السماوية واما سلب غشيان النوم عنهم فى قوله لا يغشاهم نوم العيون فهو ظاهر الصدق وبيانه ان غشيان النوم لهم مستلزم لصحة النوم عليهم واللازم باطل فى حقهم فالملزوم مثله اما الملازمة فظاهرة واما بطلان اللازم فلان النوم عبارة عن تعطيل الحواس الظاهرة عن افعالها لعدم انصباب الروح النفسانى اليها او رجوعها بعدا لكلال والضعف والملئكة السماوية منزهون عن هذه الاسباب والآلات فوجب ان يكون النوم غير صحيح فى حقهم فوجب الا يغشاهم واما سلب سهو العقول وغفلة النسيان فاعلم ان الغفلة عبارة عن عدم التفطن للشئ وعدم

عقليته بالفعل وهى اعم من السهو والنسيان وكالجنس لهما بيان ذلك ان السهو هو الغفلة عن الشئ مع بقاء صورته او معناه فى الخيال او الذكر بسبب اشتغال النفس والتفاتها الى بعض مهماتها واما النسيان فهو الغفلة عنه مع امحاء صورته او معناه عن احدى الخزانتين بالكلية ولذلك يحتاج الناس للشئ الى تجشم كسب جديد وكلفة فى تحصيله ثانيا وبهذا يظهر الفرق بين الغفلة والسهو والنسيان واذا عرفت ذلك ظهر ان هذه الامور الثلثة من لواحق القوى الانسانية فوجب ان تكون مسلوبة عن الملئكة السماوية لسلب معروضاتها عنهم ولما ذكر سهو العقول ونفاه عنهم اردفه بسلب ما هو اعم منه وهو الغفلة لاستلزام سلبها سلب النسيان وقد كان ذلك كافيا فى سلب النسيان الا انه اضاف الغفلة اليه ليكون سلبه بسلبها واما قوله ولا فترة الابدان فلان الفترة هى وقوف الاعضاء البدنية عن العمل وقصورها بسبب تحلل الارواح البدنية وضعفها ورجوعها للاستراحة وكل ذلك من توابع المزاج الحيوانى فلا جرم صدق سلبها عنهم قوله ومنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله مختلفون بقضائه وامره يشبه ان يكون هذا القسم داخلا فى الاقسام السابقة من الملئكة وانما ذكره ثانيا باعتبار وصف الامانة على الوحى والرسالة والاختلاف بالامر الى الانبياء عليهم السلام وغيرهم لان من جملة الملائكة المرسلين جبرئيل عليه السلام وهو من الملئكة المقربين واعلم انه لما ثبت ان الوحى وسائر الافاضات من الله تعالى على عباده انما هو بواسطة الملئكة كما علمت كيفيته ذلك لا جرم صدق انه منهم امناء على وحيه والسنة الى رسله اذ كان الامين هو الحافظ لما كلف بحفظه على ما هو عليه ليؤديه الى مستحقه وانما الوحى النازل بواسطة الملائكة محفوظة نازلة كما هى مبراة عن الخلل الصادر عن سهو لعدم معروضات السهو هناك وعن عمد لعدم الداعى اليه ولقوله تعـ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون واما كونهم السنة الى رسله فهى استعارة حسنة اذ يقال فلان لسان قومه اى المفصح عن احوالهم والمخاطب عنهم فيطلق عليه اسم اللسان لكونه مفصحا عما فى النفس ولما كانت الملئكة وسائط بين الحق سبحانه وبين رسله فى تأدية خطابه الكريم اليهم لا جرم حسن استعارة هذا اللفظ لهم لمكان المشابهة والمراد هنا بالاختلاف التردد بامر الله وما قضى به مرة بعد اخرى وبالقضاء الامور المقضية اذ يقال هذا قضاء الله اى مقضى الله ولا يراد به المصدر فان معنى ذلك هو سطر ما كان وما يكون فى اللوح المحفوظ بالقلم الالهى وذلك امر قد فرغ منه كما قال صلى الله عليه وآله جف القلم بما هو كائن فان قلت كيف يصح ان يكون هذا القسم داخلا فى السجود لان من كان ابدا ساجدا كيف يتصور ان يكون مع ذلك مترددا فى الرسالة والنزول والصعود ومختلفا بالاوامر والنواهى قلت قد بينا انه ليس المراد بسجود الملائكة هو وضع الجبهة على الارض بالكيفية التى نحن عليها وانما هو عبارة عن كمال عبوديتهم لله تعـ وخضوعهم تحت قدرته وذلتهم فى رق الامكان والحاجة تحت ملك وجوب وجوده ومعلوم انه ليس بين السجود بهذا

المعنى وبين ترددهم باوامر الله تعـ واختلافهم بقضائه على وفق مشيته وامره منافاة بل كل ذلك من كمال عبوديتهم وخضوعهم لعزته واعترافهم بكمال عظمته قوله ومنهم الحفظة لعباده فاعلم ان فى هذا القسم مطلوبين احدهما الحفظة والثانى ما المراد منهم ثم الحفظة منهم حفظة للعباد كما قال تعـ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ومنهم حفظة على العباد كما قال تعـ ويرسل عليكم حفظة والمراد من الاولين حفظة العباد بامر الله تعـ من الآفات التى تعرض لهم ومن الآخرين ضبط الاعمال والاقوال من الطاعات والمعاصى كما قال تعـ كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وكقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قال ابن عباس ان مع كل انسان ملكين احدهما على يمينه والآخر على يساره فاذا تكلم الانسان بحسنة كتبها من على يمينه واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظر لعله يتوب منها فان لم يتب كتبت عليه قال المفسرون فائدة ذلك ان المكلف اذا علم ان الملئكة موكلون به يحصون عليه اعماله ويكتبونها فى صحايف تعرض على رؤس الاشهاد فى موقف القيمة كان ذلك ازجر له عن القبايح واعلم انه يحتمل ان يكون التعدد المذكور فى الحفظة تعددا بحسب الذوات ويحتمل ان يكون بحسب الاعتبار قال بعض من زعم ان الحفظة للعباد هى القوى التى ارسلها الله تعـ من سماء جوده على الابدان البشرية يحتمل ان تكون الحفظة على العباد هى مبادى تلك القوى ويكون معنى كتبة السيئات والحسنات وضبطها على العباد اما اعتبار ما يصدر ويتعدد من العبد من السيئات والحسنات فى علم تلك المبادى او يكون معناها كتبة صور الافعال الخيرية والشرية المنسوبة الى العبد بقلم الافاضة فى لوح نفسه بحسب استعدادها لذلك قال ويشبه ان يكون اشارة ابن عباس رضـ بانتظار ملك اليسار كاتب السيئات توبة العبد الى انه ما دامت السيئة لم تصر متمكنة من جوهر نفس العبد فان رحمة الله تعـ تسع فاذا تاب من تلك السيئة لم تكتب فى لوح نفسه وان لم يتب حتى صارت ملكة راسخة فى نفسه كتبت وعذب بها يوم تقوم الساعة قال ويحتمل ان تكون الحفظة على العباد هم بعينها من الحفظة لهم فان النفس تحفظ فى جوهرها ما يفعله من خير وشر وتحضره يوم البعث على نفسها اذا زالت عنها الغواشى البدنية وتجده مصورا مفصلا لا يغيب عنها منه شئ كما قال تعـ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وكما قال تعـ ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وكما قال اذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور قال واما معنى كونهم من ملائكة السماء فلان اصلهم من ملئكة السماء ثم ارسلوا الى الارض والله اعلم واما السدنة لابواب جنانه فقد عرفت ما قيل فيهم قوله ومنهم الثابتة فى الارضين السفلى اقدامهم المارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم فاعلم ان هذه الاوصاف وردت فى صفة الملائكة الحاملين للعرش فى كثير من الاخبار فيشبه ان يكونوا هم المقصودون بها هاهنا روى عن ميسرة انه قال ارجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم

خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشد خوفا من اهل السماء السابعة واهل السماء السابعة اشد خوفا من اهل السماء السادسة وهكذا الى السماء الدنيا وعن ابن عباس رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تتفكروا فى عظمة ربكم ولكن تفكروا فيما خلق من الملائكة فان خلقا منهم يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه فى الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع والوصع طاير صغير وعن ابن عباس ايضا انه قال لما خلق الله تعـ حملة العرش قال لهم احملوا عرشى فلم يطيقوا فقال لهم قولوا لا حول ولا قوة الا بالله فلما قالوا ذلك استقل عرش ربنا فنفذت اقدامهم فى الارض السابعة على متن الثرى فلم تستقر فكتب فى قدم كل ملك منهم اسما من اسمائه فاستقرت اقدامهم ووجه هذا الخبر ان وجود الملائكة وبقائهم وحولهم وقوتهم التى بها ما هم انما هو من حوله وقوته وهبته فلولا انه سبحانه خلقهم وقال لهم احملوا عرشى ولم يكن استعانتهم ولا مددهم بحول الله وقوته ومعونته لم يستطيعوا الحمل ذرة من ذرات مبدعاته ومكوناته فضلا عن تدبير العرش الذى هو اعظم الاجرام الموجودة فى العالم اذا عرفت ذلك فنقول اما من قال بان الملائكة اجسام كان حمل صفاتهم المذكورة فى هذه الاخبار وفى كلامه عليه السلام امرا ممكنا والله تعالى قادر على جميع الممكنات واما من نزههم عن الجسمية فقال ان الله سبحانه لما خلق الملائكة السماوية مسخرين لاجرام السموات مدبرين لعالمنا عالم الكون والفساد واسبابا لما يحدث فيه كانوا محيطين باذن الله علما بما فى السموات والارض فلا جرم كان منهم من ثبتت فى تخوم الارض السفلى اقدام ادراكاتهم التى ثبتت واستقرت باسم الله الاعظم وعلمه الاعز الاكرم ونفذت فى بواطن الموجودات خبرا ومرقت من السماء العليا اعناق عقولهم وخرجت من اقطارها اركان قواهم العقلية قوله والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم يريد انهم مشبهون ومناسبون لقوائم العرش فى بقائهم وثباتهم عن الزوال من تحته ابد الا ما شاء الله فان قلت فهل هناك قوائم غير الحاملين للعرش الذى اشار اليهم وتكون هذه الطائفة من الملائكة مناسبة لتلك القوائم ام لا قلت قد جاء فى الخبر ان للعرش قوائم روى عن جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن جده عليهم السلام انه قال ان بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الاخرى خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام قال بعض المحققين ان هناك قوائم ثمانى قد فوض الله تعـ الى كل ملك من الملائكة الثمانية الحاملين للعرش تدبير قائمة منها وحملها وكل بها اذا عرفت ذلك فنقول يحتمل ان يكون قد اشار عليه السلام بقوله مناسبة لقوائم العرش اكتافهم الى اثبات قوائم للعرش واثبات مناسبة لاكتاف هؤلاء الملائكة مع تلك القوائم ووجه المناسبة ان الكتف لما كان محل القوة والشدة استعاره عليه السلام هنا للقدرة والقوة التى يختص كل ملك من تلك الملائكة وبها يدبر تلك القوائم من العرش ولا شك ان بين كل قائمة من تلك القوائم وبين كل قدرة من تلك القدرة مناسبة ما لاجلها خص الله سبحانه ذلك الملك بحمل تلك القائمة وذلك معنى قوله المناسبة لقوائم العرش اكتافهم ويحتمل ان يكون كما استعار لهم لفظ

الاقدام استعارا بضا لهم لفظ الاكتاف ثم شبه قيامهم بامر الله في حملهم للعرش بقيام الاساطين التي يبتني عليها الواحد منا عرشه فهم مناسبون ومشابهون لقوايم العرش التي يبني عليها من غيران يكون هنا الغرض لاثبات قوايم بل ما يشبه القوايم قوله ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم الضميران في دونه وتحته راجعان الى العرش وقد جاء في الخبر عن وهب بن منبه قال ان لكل ملك من حملة العرش ومن حوله اربعة اجنحة اما جناحان فعلى وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق واما جناحان فيهفوا بهما ليس لهم كلام الا التسبيح والتحميد وكنى عليه السلام بنكس ابصارهم عن كمال خشيتهم لله تعالى واعترافهم بقصور ابصارهم عن ادراك ما وراءها كما لانهم المقعقون لهم وضعفها عن قبول ما لا يحتمله من انوار الله وعظمة المشاهدة في حق عرشه وما فوقهم من مبدعاته فان شعاع ابصارهم منته واقف دون حجب عزة الله وعن بريد الرقاشي ان لله تعالى ملئكة حول العرش يسمون المخلخلين تجري عينهم مثل الانهار الى يوم القيمة يميدون كانما تنفضهم الرياح من خشية الله تعالى فيقول لهم الرب جل جلاله ملئكتي ما الذي يخيفكم فيقولون ربنا لو ان اهل الارض اطلعوا من عزتك وعظمتك على ما اطلعنا عليه ما ساغوا طعاما ولا شرابا ولا انبسطوا في فرشهم ولخرجوا الى الصحراء يخورون كما يخور الثور واعلم انه لما كان الجناح من الطاير والانسان عبارة عن محل القوة والقدرة والبطش صح ان يستعار للملئكة على سبيل الكناية عن كمالهم في قدرهم وقوتهم التي بها يطيرون في سماء جلال الله وعظمته ويصدر بواسطتهم كالات ما دونهم من مخلوقات الله وصح ان توصف تلك الاجنحة بالقلة والكثرة في احادهم ويكون ذلك كناية عن تفاوت مراتبهم وزيادة كمال بعضهم على بعض ولما استعار لفظ الاجنحة استلزم ذلك ان يكون قد شبههم بالطاير ذي الجناح ثم لما كان الطاير عند قبض جناحه يشبه المتلفع بثوبه والملتحف به وكانت اجنحة الملئكة التي هي عبارة عن كمالهم في قدرهم وعلومهم مقبوضة قاصرة عن التعلق بمثل مقدورات الله ومبدعاته واقفة دون جلاله وعظمته في صنعه لاجرم اشبه ذلك قبض الاجنحة المشبه للتلفع بالثوب فاستعار عليه السلام لفظ التلفع ايضا وكنى به عن كمال خضوعهم وانقهارهم تحت سلطان الله وقوته المشاهدة في صورة عرشه فان قلت انك بينت ان المراد بالركوع هم حملة العرش فكيف يستقيم مع ذلك ان يقال لهذا القسم هم حملة العرش ايضا فانه كان اقدامهم في تخوم الارضين واعناقهم خارجة من السموات السبع ومن الكرسي والعرش فكيف يكون مع ذلك راكعا قلت الجواب عنه قد سبق في قوله ومنهم امناء على وحيه فان الركوع ايضا المقصود منه الخشوع لعزة الله وعظمته وذلك غير مناف للاوصاف المذكورة هنا وبالله التوفيق قوله مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة اشارة الى ان الالات البشرية قاصرة عن ادراكهم والوصول اليهم وذلك لتنزههم عن الجسمية والجهة وقربهم من عزة المبدع الاول جل جلاله وبعد قوى الانسانية عن الوقوف على اطوارهم المختلفة ومراتبهم المتفاوتة واذا كان الحال في الملك العظيم من

ملوك الدنيا ابلغ في التعزز والتعظم الى حيث لا نراه الا اجلاء خواصه وكان الحال ايضا في بعض خواصه كذلك كالوزير والحاجب والنديم فانهم لا يصل اليهم كل الناس بل لا يصل اليهم الا من كانت له اليهم وسيلة تامة وملازمة قوية وكان منشأ ذلك انما هو عظمة الملك وهيبته وقربهم منه فكان الحايل بينهم وبين غيرهم انما هو حجب عزة الملك واستار قدرته وقهره فكيف الحال في جبار الجبابرة ومالك الدنيا والاخرة وحال ملئكته المقربين ومن يليهم من حملة العرش الروحانيين فبالحري ان يجب عدم وصول قوانا الضعيفة اليهم وادراكها لمراتبهم الى حجب عزة الله وعظمته لهم وكمال ملكه وتمام قدرته وما اهلهم من قربه وسطا العز انوار كبريائه عز سلطانه ولا اله الا هو قوله ولا يتوهمون ربهم بالتصوير اشارة الى تنزيههم عن الادراكات الوهمية والخيالية في حق مبدعهم عز سلطانه اذ كان الوهم انما يتعلق بالامور المحسوسة ذوات الصور والاجسام والحال الجسمانية فالوهم وان ارسل طرفه الى قبلة وجوب الوجود وبالغ في تقليب حدقته فلن يرجع الا بمعنى متعلق بمحسوس حتى انه لا يعقد نفسه ولا يدركها الا ذات مقدار وحجم ولما كان الوهم من خواص المزاج الحيواني لا جرم سلب لتوهم عن هذا الطور من الملائكة لعدم قوة الوهم هناك فان هذه القوة لما كانت موجودة للانسان لا جرم كان يرى ربه في جهة ويشير اليه متحيزا ذا مقدار وصورة ولذلك نزلت الكتب الالهية والنواميس الشرعية مشحونة بصفات التجسيم كالعين واليد والاستواء على العرش ونحو ذلك خطابا للخلق بما يدركه اوهامهم ويوطينا لهم وايناسا حتى ان الشارع لو اخذ في مبدأ الامر يبين لهم ان الصانع الحكيم ليس داخل العالم ولا خارجه ولا في جهة وليس بجسم ولا عرض لاشتد نفار اكثرهم عن قبول ذلك وعظم انكارهم له فان الوهم في طبيعته لا يثبت موجودا بهذه الصفة ولا يتصوره ومن شانه ان ينكر ما لا يتصوره فكان منكرا لهذا القسم من الموجودات والخطابات الشرعية وان وردت بصفات التجسيم الا ان الالفاظ الموهمة لذلك كانت قابلة للتاويل محتملة لكثير من المقاصد فالعامي المغمور في ظلمات الجهل يحمله على ظاهره ويحصل بذلك تقييده عن تشتت اعتقاده وذو البصيرة المترقي عن تلك الدرجة يحمله على ما يحتمله عقله من التاويل وكذلك حال من هو اعلى منه والناسخ ذلك على مراتب فكان ايراده هاهنا وحكمة قوله ولا يجرون عليه صفات المصنوعين اقول اجراء صفات المصنوعين عليه انما يكون بمناسبته ومماثلته مع مصنوعاته ومكوناته وكل ذلك بقياس من الوهم ومحاكاة من المتخيلة له بصورة المصنوع فكان الوهم يحكم اولا يكون الباري عز سلطانه مثلا للمصنوعات التي يتعلق ادراكها من المتحيزات وما يقوم بها ويخيله بصورة منها ثم يساعده العقل في مقدمة اخرى وهي ان حكم الشيء حكم مثله فيجري عليه صفات مصنوعاته التي حكم بمثليته لها ولما كانت الملئكة السماوية منزهين عن الوهم والخيال لا جرم وجب تنزيههم عن ان يجروا عليه صفات مصنوعاته سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وكذلك قوله ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظاير

والاصبع

فان الحاكم بحده في مكان وتحيزه فيه والمشير اليه بالمثل المتصور له بالقياس لما نظير يشاكله ويشابهه انما هو الوهم والخيال لما عرفت انهما يختصان الحيوان العنصري لا جرم كانت هذه الاحكام مسلوبة عن الملئكة السماوية مطلقا وبالله التوفيق الفصل الثالث في كيفية خلق آدم عليه السلام قوله منها في خلق آدم عليه السلام ثم جمع سبحانه من حزن الارض الى قوله وتناسل الذرية اقول الحزن من الارض ما غلظ منها واشتد كالجبل والسهل ما لان وعذبها ما طاب منها واستعد للنبات والزرع والسبخ ما ملح منها والمسنون الطين الرطب في قول ابن عباس وعن ابن السكيت عن ابي عمرو انه المتغير وقول ابن عباس انسب الى كلام علي عليه السلام لان قوله وسنها بالماء حتى لزبت اي ثم خلطها بالماء حتى صارت طينا رطبا يلتصق وصلصلت قال بعضهم الصلصال هو المنتن من قولهم صل اللحم واصل اذا انتن وقيل هو الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار وقيل اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل واذا توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة ولاط بالبلة اي خلطها بالرطوبة ومزجها والبلة بالكسر الندوة وبالفتح واحدة البل واللازب اللازق واصل الباء الميم وجبل اي خلق والاحناء جمع حنو وهي الجوانب والوصول جمع كثرة للوصل وهي المفاصل وجمع القلة اوصال والاعضاء جمع عضو بالكسر والضم كاليد والرجل للحيوان واصلدها اي جعلها صلدا وهي الصلبة الملساء والذهن في اللغة الفطنة والحفظ وفي الاصطلاح العلمي عبارة عن القوى المدركة من العقل والحس الباطن والفكر جمع فكرة وهي قوة للنفس بها تحصل الادراكات العقلية ويشبه ان يكون اصل الانسان انس وهو الانس والالف والنون في اصل لحوقهما له للتثنية وذلك لان الانس لا مرئي يتحقق الا بين شيئين فصاعدا ولما كان كل واحد من الناس يانس بصاحبه قيل انسان ثم كثر استعماله حتى فاجريت على النون وجوه الاعراب والمساءة الغم والجوارح الاعضاء والاختدام والاستخدام بمعنى والادوات جمع اداة واصلها الواو ولذلك ردت في الجمع والاستيداء طلب الاداء والخنوع والخضوع واشتقاق ابليس من الابلاس وهو الياس والبعد لبعده من رحمة الله والحمية الانفة واعتزتهم اي غشيتهم والوهن الضعف والنظرة بفتح النون وكسر الظاء الامهال والسخط الغضب واغتره اي استغفله ونفست عليه بالامر نفاسة اذا لم تره مستحقا له والعزيمة الاهتمام بالشيء والجذل الفرح والاهباط والانزال اذا عرفت ذلك فنقول للناس في هذه القصة طريقان الطريق الاول ان جمهور السلف من المفسرين والمتكلمين حملوا هذه القصة على ظاهرها ثم ذكروا فيها ابحاثا البحث الاول ان هذه القصة قد ذكرها الله سبحانه في كتابه الكريم في سبع سور وهي سورة البقرة والاعراف والحجر وسورة بني اسرائيل والكهف وطه وسورة ص وذلك لما يشتمل عليه من تذكير الخلق وتنبيههم من مراقد الطبيعة التي جذبهم اليها ابليس والتحذير من فتنته وفتنة جنوده والجذب الى جناب الله ومطالعة انوار كبريائه كما قال تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الاية فقوله عليه السلام تربة كقوله خلقه من تراب وقوله سنها بالماء كقوله

تعالى من حماء مسنون وقوله ولاطها بالبلة حتى لزبت كقوله تعالى من طين لازب وقوله حتى صلصلت كقوله تعالى من صلصال وقوله ثم نفخ فيه من روحه كقوله فاذا نفخت فيه من روحي وقوله ونفخ فيه من روحه وقوله ذا اذهان يجيلها وفكر يتصرف فيها وجوارح يختدمها كقوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة وقوله واستادى الله سبحانه الملئكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم كقوله تعالى فقعوا له ساجدين وقوله اسجدوا وقوله الا ابليس كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس وقوله اعترتهم الحمية الى قوله وتعزز بخلقة النار واستوهن خلق الصلصال كقوله تعالى حكاية عن ابليس انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وقوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال وقوله فاعطاه الله النظرة قبله حذف تقديره فسال النظرة وذلك قوله انظرني فاعطاه الله النظرة الى يوم الوقت المعلوم كقوله تعالى قال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وقوله ثم اسكن سبحانه آدم دارا ارغد فيها عيشه كقوله تعالى قلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما وقوله وحذره ابليس وعداوته كقوله تعالى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى وقوله فاغتره ابليس نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الابرار كقوله فوسوس اليهما الشيطان الاية وقوله فدليهما بغرور وقوله فباع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه كقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما وقوله واستبدل بالجذل وجلا وبالاغترار ندما كقوله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقوله ثم بسط الله له في توبته ولقاه كلمة رحمته كقوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وقوله ووعده المرد الى جنته ذلك الوعد في قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله فاهبطه الى دار البلية كقوله تعالى اهبطا منها جميعا البحث الثاني ان الله تعالى اشار في مواضع من كتابه الكريم الى خلق آدم من تراب فقال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب وقال في موضع آخر كتابه اني خالق بشرا من طين وقال في موضع آخر ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حماء مسنون من صلصال قال المتكلمون وانما خلقه تعالى على هذا الوجه اما لمحض المشية او لما فيه من دلالة الملئكة على كمال قدرته وعجيب صنعه لان خلق الانسان في هذه المراتب اعجب عندهم من خلقه من جنسهم اذا عرفت ذلك فاعلم ان كلامه عليه السلام هاهنا يجري مجرى الترتيب والتفسير لهذه الايات فانه اشار اولا الى كونه من تراب بقوله ثم جمع سبحانه من سهل الارض وحزنها وعذبها وسبخها تربة ونحو ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض فجاء منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب واعلم ان جمهور المفسرين على ان الانسان في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين هو ابونا آدم عليه السلام ونقل عن محمد بن علي الباقر عليهما السلام انه قال قد انقضى قبل آدم الذي هو ابونا الف الف آدم او اكثر قال بعض العلماء هذا لا ينافي حدوث العالم فانه كيف كان لا بد من الانتهاء الى انسان هو اول الناس فاما ان ذلك الانسان هو ابونا آدم فلا طريق الى اثباته الا من جهة السمع

البحث الثالث اجمع المسلمون على ان سجود الملئكة لادم لم يكن سجود عبادة لان العبادة لغير الله كفر ثم اختلفوا على ثلثة اقوال احدها ان ذلك السجود كان لله وكان ادم كالقبلة وكما يحسن ان يقال سجدوا لادم كذلك يحسن ان يقال سجدوا للقبلة بدليل قول حسان بن ثابت ما كنت احسب ان الامر منصرف عن هاشم ثم منها عن ابى حسن اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالايات والسنن فقوله صلى لقبلتكم نص على المقصود الثانى ان السجود كان لادم تعظيما وتحية كالسلام منهم عليه وقد كانت الامم السالفة تفعل ذلك كما يحيى المسلمون بعضهم بعضا وعن صهيب ان معاذا لما قدم من اليمن سجد للنبى صلى الله عليه واله فقال يا معاذ ما هذا فقال رايت اليهود تسجد لعظمائها وعلمائها ورايت النصارى تسجد لقسيسها وبطارقتها فقلت ما هذا فقالوا تحية الانبياء فقال صلى الله عليه واله كذبوا على انبيائهم الثالث ان السجود فى اصل اللغة عبارة عن الانقياد والخضوع كما قال الشاعر ترى الاكم فيها سجدا للحوافر اى ان تلك الجبال الصغار كانت مذللة لحوافر الخيل ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان والقول الثانى هو مقتضى كلامه عليه السلام اذ فسر السجود به فقال والخنوع لتكرمته وبالله التوفيق البحث الرابع اختلفوا فى الملئكة الذين امروا بالسجود لادم فاستعظم بعضهم سجود ملئكة السماء له وقالوا المامورون بذلك هم الملئكة الذين اهبطوا مع ابليس الى الارض قالوا وذلك ان الله تعالى لما خلق السموات والارض وخلق الملئكة اهبط منهم ملاء الى الارض يسمون بالجن باسم ابليس واسكنهم اياها وكانوا اخف الملئكة عبادة فاعجب ابليس نفسه وتداخله الكبر فاطلع الله عز وجل على ما انطوى عليه فقال له ولجنده انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وقال بعضهم ان المامورين بالسجود لادم هم كل الملئكة بدليل قوله تعالى فسجد الملئكة كلهم اجمعون فاكد جمعهم باكل وجوه التاكيد البحث الخامس اكثر المتكلمين لا سيما المعتزلة على ان ابليس لم يكن من الملئكة وقال الجمهور المفسرين ومنهم ابن عباس انه كان من ملئكة الارض الذين اهبطوا قبل ادم محتج الاولين قوله تعالى الا ابليس كان من الجن والجن لم يكونوا من الملئكة بدليل قوله تعالى للملئكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقول الملئكة سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن واحتج من قال انه منهم باستثناء ابليس من الملئكة فى غير موضع من القرآن الكريم والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل وذلك يدل على ان ابليس من الملئكة واجابوا عن حجة الاولين من وجهين احدها المعارضة بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وذلك الجعل هو قول قريش الملئكة بنات الله بدليل قوله تعالى وجعلوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فهذه الاية تدل على ان الملئكة من الجن الثانى ان كون ابليس من الجن لا ينافى كونه من الملئكة لان الملئكة يصدق عليهم اسم الجن لان الجن ماخوذ من الاجتنان وهو الاستتار ومنه سمى الجنين لاستتاره فى بطن امه ومنه المجنون لاستتار العقل فيه والملئكة مستورون عن الاعين فوجب جواز اطلاق لفظ الجن عليهم واعلم ان الخلاف لفظى فانه اذا ثبت ان الملائكة الذين

اهبطوا الى الارض قبل ادم المسمون بالجن وابليس من الجن ثبت ان ابليس من الملئكة مطلقا وليس النزاع فى انه من ملائكة السما بل فى كونه من الملئكة مطلقا فاذن ليس بينهم خلاف فى المعنى البحث السادس اختلفوا فى سبب عداوة ابليس لادم فقال بعضهم انه الحسد وذلك ان ابليس لما راى ما اكرم الله به ادم من سجود الملئكة له وتعليمه ما لم يطلع عليه الملئكة حسده وعاداه وقال الاخرون السبب هو تباين اصليهما ولتنافى الاصلين اثر قوى فى تنافر الفرعين قالوا وتباين اصليهما هو منشا القياس الفاسد من ابليس حين امر بالسجود وذلك قوله انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فكانه فى خطابه يقول ان ادم جسمانى كثيف وانا روحانى لطيف والجسمانى ادون حالا من الروحانى والادون كيف يليق ان يكون مسجودا للاعلى وايضا فان اصل ادم من صلصال من حماء مسنون والصلصال فى غاية الدناءة واصلى من اشرف العناصر واذا كان اصلى خيرا من اصله وجب ان اكون خيرا منه واشرف والاشرف يقبح ان يومر بالسجود للادون قالوا فكان ذلك قياسا منه واول من قاس هو ابليس فاجابه الله تعالى جوابا على سبيل التنبيه دون التصريح بقوله اخرج منها مذموما مدحورا قال بعض الفضلاء وتقريره ان الذى قاله تعالى نص حكم الحكمة الالهية والقدرة الربانية والذى قاله ابليس قياس ومن عارض النص بالقياس كان مرجوما ملعونا البحث السابع احتجت الاشعرية على انه تعالى قد يريد خلق الكفر فى الكافر من هذه القصة بوجهين احدهما انه تعالى انظر ابليس مع انه يعلم انه انما قصد اغواء بنى ادم ولو اهلكه لاستراحوا وعدم الشر الحاصل منه ومن ذريته الثانى انه قال اغويتنى فنسب الاغواء الى الله تعالى مع انه تعالى لم ينكر عليه هذا الكلام وهذا صريح فى انه تعالى يفعل الاغواء اجابت المعتزلة عن الاول بان الله تعالى خلق ادم وذريته قادرين على دفع ابليس عن انفسهم فهم الذين اختاروا الكفر والفساد اقصى ما فى الباب ان يقال ان الاحتراز عن القبيح حال عدم ابليس اسهل منه حال وجوده الا ان على هذا التقدير تصير وسوسته سببا لزيادة المشقة فى اداء الطاعات فيزداد المكلف بتكليفها ثوابا كما قال عليه السلام افضل الاعمال احمزها اى اشقها وذلك لا يمنع الحكيم من فعله كما ان انزال المتشابه والالام وانزال المتشابهات سببا لزيادة الشبهات ومع ذلك لم يمتنع فعلها من الله تعالى وهذا الوجه قريب من قوله عليه السلام اسماها للبلية وعن الثانى ان المراد من قوله بما اغويتنى اى بما خيبتنى من رحمتك وقيل معنى اضافة غوايته الى الله تعالى ان الله تعالى لما امره بالسجود لادم عصى وغوى فكان البارى هو الاصل فى حصول الاغواء له فلذلك نسبه اليه واحتج ايضا من جوز الخطاء على الانبياء عليهم السلام من هذه القصة بقوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى اجاب من اوجب عصمتهم من حين الولادة بانه لما دل الدليل على وجوب عصمتهم وجب صرف هذا اللفظ وحمله على ترك الاولى وهو فى حقهم سيئة ومعصية وان كان فى حق غيرهم حسنة كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين ومن اوجب عصمتهم من حين الرسالة فله ان يحمل هذه المعصية على ما قبل الرسالة والمسئلة مستقصاة فى الكلام البحث الثامن قال القفال اصل التلقى فى قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات وفى قوله عليه السلام ولقاه

كلمة رحمته هو التعرض للقادم وضع فى موضع الاستقبال للمسىء والجانى ثم وضع موضع القبول والاخذ قال تعالى وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اى تلقنه ويقال تلقينا الحاج اى استقبلناهم وتلقيت هذه الكلمة من فلان اى اخذتها منه واذا كان هذا اصل الكلمة وكان من تلقى رجلا فتلاقيا التقى كل واحد منهما صاحبه واضيف بالاجتماع اليهما معا فصلح ان يشتركا فى الوصف بذلك فكلما تلقيته فقد تلقاك فجاز ان يقال فتلقى ادم من ربه كلمات اى اخذها ووعاها واستقبلها بالقبول ولقاه الله اياها اى ارسلها اليه وقابله بها ثم ذكر المفسرون فى تلك الكلمات اقوالا الاول روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رض ان ادم عليه السلام قال يا رب الم تخلقنى بيدك بلا واسطة قال بلى قال الم تسكنى جنتك قال بلى قال الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ارايت ان تبت واصلحت اتردنى الى الجنة قال نعم وهو قوله فتلقى ادم من ربه كلمات ب قال النخعى اتيت ابن عباس فقلت ما الكلمات التى تلقاها ادم من ربه قال علم الله تعالى ادم وحوا امر الحج والكلمات التى يقال فيه فحجا فلما فرغا اوحى الله تعالى اليهما انى قد قبلت توبتكما ج قال مجاهد وقتادة فى احدى الروايتين عنهما هى قوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين د قال سعيد بن جبير انها قوله لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى انك خير الغافرين لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسى فارحمنى انك ارحم الراحمين لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسى فتب على انك انت التواب الرحيم ه قول عائشة لما اراد الله تعالى ان يتوب على ادم طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوة حمراء فلما صلى ركعتين استقبل البيت فقال اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى اللهم انى اسئلك ايمانا تباشر به قلبى ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبنى الا ما كتبت لى وارضنى بما قسمت لى فاوحى الله تعالى اليه يا ادم قد غفرت لك ذنبك ولن ياتينى احد من ذريتك فيدعونى بمثل ما دعوتنى به الا غفرت ذنوبه وكشفت همومه ونزعت الفقر من بين عينيه وجاءته الدنيا وهو لا يريدها البحث التاسع فى حقيقة التوبة قال الامام الغزالى التوبة عبارة عن معنى مركب من ثلثة امور مترتبة علم ثم حال ثم ترك اما العلم فان يعلم العبد ضرر الذنوب وكونها حجابا بينه وبين الله وقيدا يمنعه من دخول الجنة فاذا علم ذلك بيقين غالب على قلبه فان ذلك يوجب له لما تفاتيا بسبب فوات الخير العظيم المطلوب لكل عاقل وهيئتى تالما بسبب فعله المفوت لمحبوبه ومطلوبه ندما فاذا اغلب هذا الالم على القلب اوجب له القصد الى امرين احدهما ترك الذنوب التى كان ملابسا لها اولا والثانى العزم على ترك الذنب المفوت لمطلوبه فى المستقبل الى اخر العمر فهذه حقيقتها ويتشا من ذلك تلافى ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر والعلم هو الاصل فى الطهارة هذه الخيرات فان القلب اذا ايقن بان الذنوب كالسموم المهلكة والحجاب الحائل بينه وبين محبوبه فلا بد ان يتم نور ذلك اليقين فيشتعل فيه نيران الندم فيتالم به القلب وح ينبعث من تلك النار طلب الانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك فى الحال

والاستقبال والتلافى للماضى ثلثة معان مترتبة يطلق اسم التوبة على مجموعها وربما اطلق اسم التوبة على الندم وحده وجعل العلم كالباعث والترك كالثمرة الناتجة ولهذا الاعتبار قال صلى الله عليه واله الندم توبة اذ الندم مستلزم لعلم اوجبه ولعزم يتبعه واما وجوبها فمن وجهين احدهما ان التوبة مرضاة للرحمن مسخطة للشيطان مفتحة لابواب الجنان معدة لاشراق شموس المعارف الالهية على الواح النفوس مشرقة للمواهب الربانية من الملك القدوس الثانى الاوامر الواردة بها فى القرآن الكريم يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا والوعد الصادق على فعلها عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار والوعيد الحتم على تركها ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون ونحوه مما يدل على وجوبها واما قبولها فمن وجهين احدهما قوله تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيات وقوله تعالى غافر الذنب قابل التوب الثانى قال رسول الله صلى الله عليه واله افرح بتوبة من العبد المذنب والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وقال صلى الله عليه واله لو عملتم الخطايا الى السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم البحث العاشر فيما عساه يبقى من المقاصد المشكلة فى هذه القصة الاول الوديعة والوصية التى استادها الله سبحانه من الملئكة فى تحميله السلام واستادى الله سبحانه من الملئكة وديعته لديهم اشارة الى قوله تعالى لهم فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فكانه تعالى قد عهد اليهم بهذا القول واوصاهم بمقتضاه ثم استاداه منهم بما ذكره عليه السلام من قوله تعالى فقال اسجدوا لادم ب قوله فاغتر ابليس فالاغترار طلب الغرة من ادم والتماسها منه بالوسوسة التى القاها اليه كالسبب ومعنى الوسوسة ان شاء الله ج قوله دار المقام وهى جنة الخلد ومرافقة الابرار اشارة الى مصاحبة الملئكة فى مقعد صدق عند مليك مقتدر د قوله فباع اليقين بشكه للشارحين فيه اقوال ب ان معيشة ادم كانت فى الجنة على حال يعلمها يقينا وما كان يعلم كيف معاشه فى الدنيا اذا انتقل اليها ولا حاله بعد مفارقة الجنة ثم ان ابليس شككه فى صدق مقاله انى لكما لمن الناصحين فنسى ما كان عنده يقينا مما هو فيه من الخير الدائم وشك فى نصح ابليس فكانه باع اليقين بالشك بمتابعته وهى استعارة حسنة على سبيل الكناية عن استبدال ادم الشك عن اليقين ب قال الولما اخبره الله تعالى عن عداوة ابليس له تيقن ذلك فلما وسوس اليه ابليس شك فى نصحه فكانه باع يقين عداوته بالشك فى ذلك ج قوله عن ترك ادم عليه السلام ان ذلك مثل قديم للعرب لمن عمل عملا لا يفيده وترك ما ينبغ له ان يفعله تمثل به امير المؤمنين ههنا ولم يرد ان ادم عليه السلام شك فى امر الله تعالى د قوله والعزيمة بوهنه قال ابن عباس فى قوله تعالى ولم نجد له عزما اى لم نجد له حفظا لما امره الله تعالى به وقال قتادة صبرا وقال الضحاك صريمة امر وحاصل هذه الاقوال يعود الى انه لم يكن له قوة على حفظ اوامر الله فكانه باع العزم الذى كان ينبغى له والقوة التى كان ينبغى ان يتحفظ بها عن متابعة ابليس بالضعف والوهن عن تحمل ما امر الله به ه قوله البلية هى دار الدنيا اذ كانت دار المحنة والابتلاء بمقاساة ابليس ومجاهدته ومحن الشيطان

كما قال عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر واعلم ان في ذكر هذه القصة تحذيرا عظيما عن المعاصي و
ذلك من وجوه احدها ان من تصور ما جرى على آدم بسبب اقدامه على هذه الزلة كان على وجل شديد من المعاصي
قال الشاعر يا ناظرا نورا بعيني راقد ومشاهدا للامر غير مشاهد تصل الذنوب الى الذنوب وترتجي درك الجنان
ونيل فوز العابد انسيت ان الله اخرج آدما منها الى الدنيا بذنب واحد وعن فتح الموصلي انه قال كنا قوما من اهل
الجنة فسبانا ابليس الى الدنيا فليس لنا الا الهم والحزن حتى نرد الى الدار التي اخرجنا منها وثانيها التحذير عن
الاستكبار والحسد والحرص عن قتادة في قوله تعالى ابى واستكبر قال حسد عدو الله ابليس آدم على ما اعطاه الله
من الكرامة فقال انا ناري وهذا طيني ثم القى الحرص والحسد في قلب ابن آدم حتى حمله على ارتكاب المنهي عنه
وثالثها انه تعالى بين العداوة الشديدة بين ذرية آدم وابليس وهذا تنبيه عظيم على وجوب الحذر وبالله التوفيق

الطريق الثاني واعلم ان من الناس من سلط التأويل على هذه القصة وقبل بيان التأويل ذكروا مقدمات

المقدمة الاولى في الاشارة الى اجزاء التركيب الخارجي للانسان وكيفية تركيبها قالوا ان العناصر الاربعة اجسام
بسيطة وهي اجزاء اولية لبدن الانسان فمنها اثنان خفيفان وهما النار والهواء واثنان ثقيلان وهما
الارض والماء قالوا والموضع الطبيعي للارض هو وسط الكل وهي باردة يابسة في طبعها ووجودها في الكائنات
مفيد للاستمساك والثبات وحفظ الشكل والهيئة والموضع الطبيعي للماء هو ان يكون شاملا للارض وثقلها
اضافي وطبعه بارد رطب ووجوده في الكائنات لتسهيل الهيئات التي يراد تكوينها من التشكيل والتخطيط والتعديل
فان الرطب كما انه سهل الترك للهيئات الشكلية فانه سهل القبول لها كما ان اليابس عسر القبول للهيئات
الشكلية عسر الترك لها ومهما تخمر اليابس بالرطب استفاد اليابس منه قبول التمديد والتشكيل بسهولة واستفاد
الرطب من اليابس حفظ ما حدث فيه من التعديل بقوة فاجتمع اليابس بالرطب عن تشتته واستمسك الرطب
باليابس عن سيلانه والموضع الطبيعي للهواء فوق الماء وتحت النار وخفته اضافية وطبعه حار رطب ووجوده
في الكائنات ليتخلخل ويلطف ويستقل والموضع الطبيعي للنار فوق الاجرام العنصرية كلها ومكانها الطبيعي
هو مقعر فلك القمر وخفتها مطلقة وطبعها حار يابس ووجودها في الكائنات لنضج المركبات وتجري فيها
الجوهر الهوائي ولتكسر من برد العنصرين الثقيلين برد هما عن العنصرية الى المزاجية والثقيلان انفع في تكون
الاعضاء وفي سكونها والخفيفان انفع في تكون الارواح وتحريكها وتحريك الاعضاء ثم قالوا والمزاج كيفية
تحدث من تفاعل الكيفيات المتضادة في هذه العناصر اذا تفاعلت بقواها بعضها في بعض فانكسرت سورة
كل واحد منها بالآخر حتى حدثت عنها كيفية متشابهة في جميعها هي المزاج والقوى الاولية في تلك الاركان
اربع الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وهي التي تكون عنها المزاجات في الاجسام الكائنة الفاسدة
ثم ان واهب الوجود اعطى كل حيوان وكل عضو من المزاج ما هو اليق به واصلح لافعاله واحواله بحسب احتمال
الامكان له واعطى الانسان اعدل الامزجة الممكنة في هذا العالم مع مناسبته لقواه التي بها يفعل وينفعل

ما اعطى كل عضو ما يليق به من افعاله فجعل بعض الاعضاء احر وبعضها ابرد وبعضها ارطب وبعضها ايبس ثم
الاخلاط وهي اجسام رطبة سيالة يستحيل اليها الغذاء اولا وهي منحصرة في اربعة اجناس احدها الدم
وهو افضلها والثاني البلغم والثالث الصفراء والرابع السوداء ثم الاعضاء وهي غضاريف واعصاب و
اوتار ورباط ويحصل اولا الاعضاء المتشابهة الاجزاء العظم وخلق صلبا لانه اساس البدن ودعامة الحركات ثم
الغضروف وهو الين من العظم فاعلة والباعثة هي القوة النزوعية المذعنة للمدركات كالوهم والخيال
والنفس فيحمل الادراك لها على البعث الى طلب وهرب بحسب النزوع ولها شعبتان شهوانية وهي الباعثة
على التحريك الى جذب اشياء ضرورية او نافعة نفعا ما طلبا للذة وغضبية وهي الحاملة على دفع وهرب
عما لا يلائم طلبا للغلبة ويخدمها القوة المسماة بالقدرة وهي قوة منبثة في الاعصاب والعضل من شأنها
ان تشنج العضلات بجذب الاوتار والرباطات وارخائها والقوى المدركة قسمان ظاهرة وباطنة اما الظاهرة
فالحواس الخمس احدها اللمس وهي قوة منبثة في جلد البدن كله تدرك ما تماسه ويؤثر فيه بالمضادة كالكيفيات
الاربع وغيرها وثانيها الذوق وهي قوة مرتبة في العصب المفروش على سطح اللسان بها يدرك الطعوم
من الاجرام المماسة المخالطة للرطوبة العذبة التي في الفم وثالثها الشم وهي قوة مرتبة في زائدتي مقدم
الدماغ الشبيهتين بحلمتي الثدي بها تدرك الروائح بتوسط الهواء المنفصل عن ذي الرائحة ورابعها السمع وهي
قوة في العصب المفروش في باطن الصماخ وهي تدرك الاصوات والحروف بواسطة الهواء وخامسها البصر وهي
قوة مرتبة في العصبتين المجوفتين تدرك ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من الصور بتوسط جرم شفاف واما
الباطنة من القوى فهي ايضا خمس وهي اما مدركة فقط اما للصور الجزئية وهي القوة المسماة حسا مشتركا المرتبة
في التجويف الاول من الدماغ عندها يجتمع صور المحسوسات ثم القوة المسماة خيالا وهي خزانة الحس المشترك مودعة
في اخر التجويف المقدم من الدماغ يجتمع فيها صور المحسوسات وتبقى فيها بعد الغيبة عن الحواس واما مدركة
للمعاني الجزئية وهي القوة المسماة الوهم وهي قوة رتبت في التجويف الاوسط من الدماغ تدرك المعاني الجزئية الغير
المحسوسة الموجودة في المحسوسات كادراك الشاة معنى في الذئب يوجب لها الهرب واما الحافظة فهي قوة
مرتبة في التجويف الاخير من الدماغ تحفظ الاحكام الجزئية المدركة للوهم وهي خزانة له واما مدركة ومتصرفة
وهي القوة المسماة متخيلة باعتبار استعمال الوهم لها ومفكرة باعتبار استعمال العقل لها ومحلها مقدم البطن
الاوسط من الدماغ من شأنها التركيب والتفصيل لبعض الصور ببعض ومحو بعض وكذا المعاني والمعاني
بالصور وهي الحاكية للمدركات والهيئات المزاجية والحكمة الالهية اقتضت ان تكون متوسطة بين مقتنص
الصور الجسمانية والمعاني الروحانية متصرفة في خزانتيهما بالحكم والاسترجاع للامثال المنحية من الجانبين
ثم ان لكل واحد من هذه الآلات روح يختص به وهو جوهر بخاري لطيف متكون من لطافة الاخلاط على نسبة
محدودة وهو حامل للقوى المدركة وغيرها الثالثة النفس الناطقة ونسبتها الى هذا البدن نسبة الملك

الى المدينة والبدن وجميع اجزائه وقواه المذكورة آلات لها ورسمها انها جوهر مجرد يتعلق بالابدان تعلق
التدبير وهي المشار اليها بقوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وبقوله عليه السلام الارواح
جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ولهذا الجوهر قوتان يختص بهما نظرية وعملية
وقد سبقت الاشارة اليهما في مقدمة الكتاب وتحقيق الكلام في هذا الجوهر والبرهان على وجوده وتجرده
وكمالاته من العلوم والاخلاق مستقصى في مظانه وبالله التوفيق المقدمة الثانية قد علمت ان الملك
اسم مشترك يقع على حقائق مختلفة فاما لفظ الجن فهو وان صدق في اصل اللغة على كل الملائكة لكونه
مأخوذا من الاجتنان وهو الاستتار وكون الملائكة مستترين عن الاعين فانهم يخصون في عرفهم هذا اللفظ
بالارواح التي تختص عالم العناصر فتارة يطلقون عليها انها ملائكة باعتبار كونهم مرسلين من عند الله تعالى فاعلين
لما امر الله جارين على نظام العقل وتارة يطلقون عليها انها جن باعتبار الاجتنان وهم جن مسلمون باعتبار
موافقة العقل والتصرف على وفق مصلحة العالم ونظامه وكفار وشياطين باعتبار مخالفتها لذلك فاما
صدق اسم الجن على النفوس الناطقة الانسانية فقد يعتبر من جهة انه هي كونها عالمة تتزيى بنور العلم
من حيث لا ترى فهي جنة محجوبة عن ابصار الجاهلين ثم هي اما ان تكون عالمة او جاهلة وعلى التقدير بين فاما
ان تكون موافقة لظواهر الشريعة منقادة لها متمسكة بها او ليس كذلك فهذه اقسام اربعة اولها النفوس
العالمة العاملة بمقتضى الشريعة وهذه الطائفة هم الجن المسلمون والمؤمنون قالوا وهم الذين امر الله تعالى
نبيه بالاخبار عنهم في قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد
فآمنا به الى آخر الآيات قالوا ومما يبين ذلك ان الشرائع التي اخبر الجن عنها انهم التمسوها هي سماء الحكمة وهي
الشريعة التي سترت فيها قالوا ولسبيهم لها عبارة عن اعتبارهم اسرار الشريعة في مبدأ ظهورها هل يجري منعها
اظهار الحكمة ويمكنهم اخذها واعطاؤها بالتعلم والتعليم كما كان يفعل قبل ذلك ام لا وقولهم فوجدناها
ملئت حرسا شديدا وشهبا اشارة الى حفظة الشريعة وهم علماء الشريعة والملوك الحافظون للناموس
لناموس الشريعة وقوانينها وقولهم وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع اشارة الى انهم كانوا قبل ظهور الشرائع
يتدارسون الحكمة ويتعلمونها ولم يكن عليهم انكار وقولهم فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا اشارة
الى ان المظهر للحكمة بعد وجود الشريعة التارك لظواهر ما جاءت به الانبياء يجد من حرسة الدين وحفظته
شهابا يحرقه ويؤذيه وثانيها النفوس العالمة المخالفة للشريعة والنواميس الالهية التابعة لقواها فيمقتضى
طباعها وهؤلاء هم من شياطين الجن ومردتها وثالثها النفوس الجاهلة الا انها متمسكة بظاهر الشريعة
منقادة لها وهؤلاء هم المسلمون من الانس ورابعها النفوس الجاهلة التاركة للشريعة والعاملة التابعة
لمقتضى الطبيعة وهؤلاء هم شياطين الانس قالوا وبهذا البيان لا ينافي بين قول الله سبحانه الا ابليس
كان من الجن وبين استثنائه من الملائكة المقتضي لدخوله فيهم وكونه منهم فربما هو من الملائكة باعتبار

ومن الجن باعتبار ومن الشياطين باعتبار والشيطان قد يكون ملكا في اصله ثم ينتقل الى الشيطانية باعتبار
فسوقه عن امر ربه وكذلك الجني والله اعلم المقدمة الثالثة قالوا كل ما يتولد فلا يستحيل في اصله ان يكون
متولدا ثم ضربوا لذلك امثلة فقالوا ان العقرب يتولد من الباذروج ولباب الخبز والنحل من العجل المحرق
المكبس عظامه والفار من المدر والطين ونحو ذلك ثم يتولد عن هذا المتولد اشخاص لجزئي ويبقى نوعه
متوالدا فلا مانع اذن ان يكون الانسان في اول خلقه كذلك فيحدث شخص من نوعه ويكون من التراب
ثم يحصل ما بعده من نوعه عنه بالتوالد اذا عرفت ذلك فاعلم ان لفظ آدم اذا اطلق في عباراتهم فتارة يراد به
امر جزئي وتارة يراد به امر كلي اما الجزئي فيراد به اول شخص تكون من هذا النوع وعلى ذلك يحملون قوله تعالى
ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ويحملون قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة وما في معناها
على ما تولد بعده وقد يراد به اول شخص استخلف في الارض وامر بنشر الحكمة في ناموس الشريعة واما الكلي فتارة
يراد بآدم مطلق نوع الانسان وعلى ذلك قوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي وقد يراد به صنف الانبياء
والدعاة الى الله تعالى كما نقل عن سيد المرسلين صلى الله عليه وآله كل نبي ابو امته وقوله صلى الله عليه وآله
انا وانت يا علي ابوا هذه الامة ويمكن ان يكون قول الباقر محمد بن علي عليهما السلام قد انقضى قبل آدم الذي
هو ابونا الف الف آدم واكثر على هذا المعنى اذا ثبت هذا فنقول ان لكل آدم بالمعاني المذكورة ملائكة مختصة
وهي مأمورة بالسجود له وابليس في مقابلته ومعارضته اما آدم بالمعنى الاول والثاني فملائكته المأمورون
بالسجود له هي قواه البدنية ونفوس اهل زمانه المأمورين باتباع المستمعين لقوله وسائر القوى في اقطار
هذا العالم فانها باسرها ملائكة مأمورة بالخضوع له والسعي في مهماته وحوائجه بين يديه والمعونة له على مراده
فاما ابليس المعارض له القوة الوهمية منها المعارضة لمقتضى عقله العملي الساعية في الارض فسادا والنفوس
المتمردة عن قبول الحق والاستماع لقوله الخارجة عن طاعته وهم شياطين الانس والجن الذين يوحي بعضهم
الى بعض زخرف القول غرورا وكذلك ملائكة آدم وابليس آدم الذي هو صنف الانبياء والدعاة الى الله
تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة واما آدم الذي هو نوع الانسان فكل الملائكة الذين ذكرناهم في هذا العالم
هم المأمورون بالسجود له وابليس كل شخص من هذا النوع هو وهم المعارض لعقله وجنوده ما عنه من القوى
الشهوية والغضبية وغيرها اذا عرفت هذه المقدمات فلنرجع الى المتن فنقول الاولى ان يحمل آدم فيما ذكره
هاهنا من هذه القصة على مطلق النوع الانساني فقوله ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها وعذبها
وسبخها تربة سنها بالماء حتى خلصت ولاطها بالبلة حتى لزبت اشارة الى اصل امتزاج العناصر وانما خص ذكر
العنصرين وهما الارض والماء دون الباقيين لانهما الاصل في تكون الاعضاء المشاهدة التي يدور عليها
صورة الانسان المحسوسة قوله حتى خلصت وحتى لزبت اشارة الى بلوغها في الاستعداد الغاية التي معها
يفاض صورة ما يكون منها قوله فجبل منها صورة ذات احناء ووصول واعضاء وفصول اشارة الى خلق الصورة

الانسانية وافاضتها بكمال اعضائها ومفاصلها وما يقوم به صورة **قوله** منها الضمير راجع الى التربة وبفهم من
ظاهر اللفظ ان الصورة الانسانية هى المفاضة على كمال استعداد التربة من غير واسطة انتقالات
اخرى فى اطوار الخلقة وانما يتم ذلك اذا حملنا ادم على اول شخص تكون من هذا النوع فاما اذا حملنا
على مطلق النوع كان المراد انه جبل منها الصورة الانسانية بوسائط من صور ترددت فى اطوار الخلقة
كما قال تع ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين فالصورة الانسانية
جبلت من النطفة المتولدة من فضل الهضم الرابع المتولد من الاغذية وهى اما حيوانية او نباتية والحيوانية
تنتهى الى النباتية والنباتية انما تتولد من صفو الارض والماء التى هى التربة المستعدة للانبات وليس
فى ذلك مخالفة الظاهر فان تلك التربة بعد ان تواردت عليها اطوار الخلقة وادوار الفطرة صارت
منيا فصدق عليها ان الصورة الانسانية جبلت منها **قوله** اجمدها حتى استمسكت واصلدها حتى صلصلت
الضمير فى الجملتين راجع الى الصورة وما يتعلق بها من الاعضاء فالاجماد لغاية الاستمساك راجع الى بعضها
كاللحم والاعصاب والعروق واشباهها والاصلاد لغايته راجع الى بعض اخر كالعظام والاسنان وذلك
الى المدبر الحكيم سبحانه لانه العلة الاولى وان كان هناك لهذه الاثار اسباب قريبة طبيعية كالحار
الغريزى فانه المستعد لتحريك المواد ويتبعه البرد ليسكنه عند الكمالات من الخلق وكالرطوبة فانها
هى التى تتخلق وتتشكل وتتبعها اليبوسة لحفظ الاشكال وافادة التماسك **قوله** لوقت معدود
واجل معلوم يحتمل ان يراد به ان لكل مرتبة من مراتب تركيب بدن الانسان وانتقاله فى ادوار الخلقة وقتا
معدودا يقع فيه واجلا معلوما يتم به ويحتمل ان يراد بالوقت المعدود والاجل المعلوم الوقت الذى يعلم
الله سبحانه انحلال هذا التركيب فيه كما قال تع وما نؤخره الا لاجل معدود **قوله** ثم نفخ فيها من روحه
اقول الضمير المؤنث راجع الى الصورة وقد علمت ان هذه الاشارة جارية فى القرآن الكريم قال تع فاذا
سويته ونفخت فيه من روحى والمراد بالتسوية افاضة تمام اعداد البدن وتهيئته لقبول النفس والمراد
بالنفخ ههنا هو افاضة النفس عليه عند كمال ذلك الاستعداد واستعمال النفخ ههنا استعارة حسنة فان
النفخ لغة هو اخراج الهواء من فم النافخ الى المنفوخ فيه لتشتعل النار ولما كانت حقيقة النفخ ممتنعة فى
حق الله تع وجب العدول الى حمل لفظه على ما يشبهه ولما كان اشتعال نور النفس فى فتيلة البدن
عن الجود الالهى المعطى لكل قابل ما يستحقه يشبه بحسب محاكاة خيالنا الضعيف ما نشاهده من اشتعال
النار فى المحل القابل لها عن صورة النفخ لاجرم حسن التعبير والتجوز بلفظ النفخ عن افاضة الجود الالهى
للنفس على البدن لمكان المشابهة المتخيلة وان كان الامر اجل مما عندنا واعلى واما نسبة الروح الى
الله تعالى فاعلم ان الروح يحتمل ان يراد به احد ثلثة معان الاول جبرئيل عليه السلام وهو روح الله الامين
ونسبته اليه ظاهرة واما نسبة النفخ الى الله ح فلكونه العلة الاولى وجبرئيل واسطة جعله الله مبدأ

فى هذا اللفظ لنفخ النفس فى صورة ادم منه الثانى جود الله ونعمته وفيضه الصادر على ادم وغيره وانما كان
ذلك روحا لانه مبدأ لكل حيوة فهو الروح الكلية التى بها قوام كل وجود ونسبته اليه دون سائر مصنوعاته
اللطيفة لما علمت ان الروح منزه عن الجهة والمكان وفى قوة العلم بجميع الاشياء والاطلاع عليها وهذه
مضاهاة ومناسبة بوجه ما مع العلة ليست حاصلة لما عداه من الجوهر مما هو جسم او جسمانى فلذلك شرفها
باضافتها اليه **وقوله** فمثلت انسانا اشارة الى الصورة المجبولة وفيه لطيفة وهى انها انما كانت انسانا
بنفخ الروح فيها ولذلك رتب صيرورتها انسانا بالفاء على نفخ الروح فيها **وقوله** ذا اذهان يجيلها اشارة
الى ما للانسان من القوى الباطنة المدركة والمتصرفة ومعنى اجالتها تحريكها وبعثها فى انتزاع الصور الجزئية
كالحس المشترك او المعانى الجزئية كالوهم **وقوله** وفكر يتصرف بها اشارة الى القوة المفكرة فى افراد النوع
الانسانى وتصرفها فى تفتيش الخزانتين وتركيب بعض موادها ببعض وتحليلها **وقوله** وجوارح
تختدمها اشارة الى عامة الاعضاء التى بينا انها كلها خدم للنفس والادوات التى يقلبها من تلك ثم
ان تختص بالايدى كقوله تع فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها ويمكن ان يكون اعم من ذلك كالبصر
والقلب كقوله عليه السلام يا مقلب القلوب والابصار فيصدق عليها اسم التقليب **وقوله** ومعرفة يفرق
بها بين الحق والباطل اشارة الى استعداد النفس لدرك المعقولات الثانية المسمى عقلا بالملكة بحسب
ما لها من المعارف الاولى اعنى البديهيات فان الحق والباطل امور كلية وليس للقوى البدنية فادراك
الامور الكلية حظ ويحتمل ان يشير بالمعرفة الى القوة الاستعدادية الاولى للانسان المسماة عقلا هيولانيا
وقوله والاذواق والمشام والالوان والاجناس نبه ههنا على ثلثة امور احدها ان للانسان قوى بها يدرك
المذوقات واخرى بها يدرك المشمومات واخرى بها يدرك الالوان وقد بينا ذلك الثانى نبه على ان النفس
مدركة للجزئيات بواسطة هذه القوى اذ عدها فى نسق ما يتصرف فيه النفس وتفرق بينه وبين غيره الثالث
انه اخر قوله والاجناس تنبيها على ان النفس تنتزع الامور الكلية من تصفح الجزئيات فان الاجناس امور
كلية والنفس بعد ادراك الجزئيات وتصفحها تتنبه لمشاركات بينها ومباينات فتنتزع منها تصورات كلية
وكانه عنى بالاجناس ههنا الامور الكلية مطلقا لا بعضها كما هو فى الاصطلاح العلمى **وقوله** معجونا بطينة
الالوان المختلفة النصب على الحال من قوله انسانا او الصفة له والمراد الاشارة الى اختلاف ابدان
النوع بعضها مع بعض بالالوان بسبب قوة استعداداتها لذلك كما قال صلى الله عليه وآله فجاء منهم الاحمر
الابيض والاسود كما سبق وطينة الالوان اصلها وعجنه بها مزجه بها وتمكينه واعداده لقبولها على اختلافها
وكذا الحال فى البدن الواحد فانه ليس لجملة اجزائه لون واحد فان امتزاج بعض الاعضاء يقتضى ان يكون
ابيض كالعظام والاسنان وبعضها احمر كالدم وبعضها اسود كالحدقة والشعر وكذلك اختلاف الاخلاق
فالصفات المكنى بها عن الاخلاق الواردة فى تمام الخبر من قوله والسهل والحزن والخبيث والطيب

الى ان الارض لما كانت اكثر العناصر تركيبا فى هذه الابدان كان لاختلاف بقاعها اثر تام فى تفاوت الا
لقبولها الاخلاق بالسهولة والحزونة والخبيث والطيب **قوله** والاشباه المؤتلفة والاضداد المتعادية
والاخلاط المتباينة من الحر والبرد والبلة والجمود والمساءة والسرور اما الاشباه المؤتلفة فكالعظام
والاسنان واشباهها فانها اجسام متشابهة ايتلف بعضها مع بعض وبها قامت الصورة البدنية وامتزجت
بطينتها واما الاضداد المتعادية فكالكيفيات الاربع التى ذكرها عليه السلام وهى الحرارة والبرودة والرطوبة
التى هى البلة واليبس الذى هو الجمود وجرت عنده بلادة وهى الجمود على ان الجمود فى اللغة هو اليبس ايضا و
اما الاخلاط المتباينة فهى الاخلاط الاربعة كما عرفت من الدم والبلغم والصفراء والسوداء واما المساءة
والسرور فهما من الكيفيات النفسانية وماهية كل منهما ظاهرة اما اسبابهما فاعلم ان للسرور سببا
جسمانيا معدا وهو كون حامله الذى هو الروح النفسانى على كمال حاله فى الكمية لان زيادة الجوهر فى الكم
توجب زيادة القوة وفى الكيفية وهى ان تكون معتدلا فى اللطافة والغلظ وان تكون شديد الصفاء
واما السبب الفاعلى له فالاصل فيه تخيل الكمال كالعلم والقدرة والاحساس بالمحسوسات الملائمة
والتمكن من تحصيل المرادات والقهر والاستيلاء على الغير والخروج عن المولم وتذكر الملذات واما اسباب
الغم فمقابلات هذه واما السبب المعد الجسمانى فهو اما قلة الروح كما للناقهين والمنهوكين بالامراض
والمشايخ واما غلظه فكما للسوداويين واما رقته فكما للنساء واما الفاعلى فمقابل اسباب السرور وقد
يشتد كل منهما بعد الاسباب المذكورة بتكرره فيصير السرور والغم ملكة فيسمى صاحبه مفرحا او محزانا ومقصود
عليه السلام التنبيه على ان طبيعة الانسان فيها قوة قبول واستعداد لهذه الكيفيات وامثالها وتلك القوة
هى المراد بطينة المساءة والسرور والفرق بينها وبين الاستعداد ان القوة تكون على الضدين والاستعداد
لا يكون الا لاحدهما **وقوله** واستادى الله سبحانه الملئكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم الى قوله الا ابليس
اقول لما كان الذى يشير اليه كل انسان بقوله انا هو النفس الناطقة كان ادم عندهم عبارة عن النفس الناطقة
ثم قالوا المراد بالملئكة الذين امروا بالسجود لادم هى القوى البدنية التى امرت بالخضوع والخشوع للنفس
الناطقة والانقياد تحت حكمها وهو الامر الذى لاجله خلقوا اما عهد الله لديهم ووصيته اليهم
فهو المشار اليه بقوله تعالى واذ قال ربك للملئكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى
فقعوا له ساجدين والخطاب ههنا خطاب الحكمة الالهية بالقضاء الالهى قبل الوجود والاستيداء
لذلك العهد وتلك الوصية هو طلب المأمور به اوالامر بالانقياد والخضوع من تلك القوى بعد الوجود
على السنة الرسل عليهم السلام بالوحى المنزل وهو قوله فاسجدوا لادم **وقوله** فسجدوا اشارة الى القوى البدنية
لنفوسها العاقلة فى اشخاص عباد الله الصالحين **وقوله** الا ابليس وقبيله اشارة الى الوهم وساير القوى
التابعة له فى معارضة العقل فى اشخاص الكفار والفاسقين عن اوامر الله سبحانه وقد عرفت ان الوهم

رئيس القوى البدنية فهى اذن عند معارضة العقل ومتابعتها له جنود ابليس وقبيله **واما قوله** اعترتهم الحمية
وغلبت عليهم الشقوة وتعززوا بخلقة النار واستوهنوا خلق الصلصال فقالوا ان المراد بكون ابليس و
جنوده خلقوا من نار ان الارواح الحاملة لهذه القوى كما عرفت اجسام لطيفة تتكون عن لطافة الاخلاط
وهى حارة جدا مائلة الى الافراط والنارية والهوائية عليها اغلب وتولدها عنهما اسهل وهى لطف اجزاء
البدن وكذلك القلب الذى هو منبعها فكانت تلك الارواح كالابدان لهذه القوى فلذلك نسب
ابليس الى النار فقال تع حكاية عنه خلقتنى من نار وقال والجان خلقناه من قبل من نار السموم اى قدرنا
قبل وجوده ان تكون النارية والهوائية على وجوده اغلب قال بعضهم انه لما كانت النار الطف العناصر و
كانت هذه القوى وارواحها الطف الامور الجسمانية وتكونها عن الطف الاخلاط كانت نسبتها الى النار
اولى من ساير العناصر لمكان المشابهة فى اللطافة فجاز ان يطلق على اصلها انه نار لا يقال اذا كان ادم هو
الناطقة فما معنى قول ابليس وخلقته من طين لانا نقول كما صدق ان ابليس مخلوق من نار بمعنى ان الغالب
على الروح الحامل له هو عنصر النار كذلك يصدق ان ادم من طين بمعنى ان الغالب على بدنه الارضية وايضا
فان الوهم لا يدرك الا المعانى الجزئية المتعلقة بالمحسوسات فلا يصدق حكمه ومساعدته الا فيما كان
محسوسا ولما ثبت ان النفس جوهر مجرد لم يكن اعتقاد ابليس ان الانسان شئ غير هذا البدن المتكون عن
الطين اذا ثبت ذلك فنقول اعتراء الحمية والتعزز بالانتساب اليه فكان لسان حال ابليس والقوى الشا
له يقول على جهة الاستنكار والاستكبار اسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون وانا مخلوق من النار
التى هى اشرف العناصر قالوا ولما علم الله تع ذلك من حال ابليس لعنه وطرده واخرجه من الجنة وذلك قوله تع
فقال اخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قالوا وذلك انك علمت ان الجنة تعود الى معارف
الحق سبحانه والابتهاج بمطالعة انوار كبريائه ودرجات الجنة هى المراتب التى يتنقل العقل فيها فى مقامات السلوك
الى حضائر القدس ومجاورة الملأ الاعلى وعلمت ان حال الوهم قاصر عن الاشتغال فى تلك المراتب فطرده
ولعنه وتحريم الجنة عليه يعود الى تكوينه على الطبيعة التى هو عليها القاصرة عن ادراك العلوم الكلية
التى هى ثمار الجنة وقطوفها والقضاء عليه بذلك قالوا وما يتبعه على ذلك قوله رب بما اغويتنى لازينن
لهم فى الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين اى بما خلقتنى على هذه الجبلة لا اهتدى لدخول
الجنة ولا اتمكن منها لاجذبنهم الى الشهوات وتزيين الملذات الجاذبة لهم عن عبادتك حتى لا يقصدوا الى
الجهة التى لاجلها خلقتهم ولا يلتفتوا اليها الا من عصمته منى وجعلت له سلطانا على قهرى وغلبتى وهم
عبادك المخلصون اى النفوس الكاملة المطهرة عن متابعة قواها المتسلطة على قهر شياطينها وكذلك قوله
قوله فانظرنى الى يوم يبعثون فانه لما كان البعث الاول هو معاد قوة النفوس لابدانها وانبعاثها الى
عالمها وكانت طبيعة الوهم قاضية بمحبة البقاء فى دار الدنيا اذ لا حظ له فى غيرها حسن من لسان حاله ان يقول

رب انظرنى يوم يبعثون قوله فاعطاه الله النظرة لما كان الوهم باقيا فى البدن هو وجنوده الى يوم البعث
من لسان الحكمة الالهية ان يقول انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك معنى اعطائه النظرة قوله
استحقاقا للسخطة واستماما للبلية وانجازا للعدة فقد عرفت ان الثلثة نصب على المفعول له ثم ان افاد
انظار الوهم وابتلاء الخلق به والشر الصادر عنه امور داخلة فى القضاء الالهى بالعرض فيصدق عليه انه مراد
وان الانظار والامهال وكذلك استحقاق السخطة وانجاز العدة واطلاق لفظ السخطة استعارة فان السخط
لما كان عبارة عن حالة للانسان يلزمه وجود مغضوب عليه غير مرضى بافعاله وكان حال ابليس فى انظار
الله اياه وفسوقه عن امر ربه مستلزما لاعراض الله سبحانه عنه وعن عصاته بمتابعته كان هناك نوع مشابهة
تحسن لاجلها اطلاق لفظ السخطة اما العدة فتعود الى قضاء الحكمة الالهية بقاء الوهم الى يوم البعث و
انجازها يعود الى موافقة القدر لذلك القضاء وقال بعضهم انه لما كان هاهنا صورة مطرود موعد ومغفور
حسن اطلاق السخطة واستحقاقها وانه انما انظر لاجلها وهو ترشيح للاستعارة قوله ثم اسكن الله سبحانه
ادم دارا ارغد فيها عيشه وامن فيها محلته وحذره ابليس وعداوته اقول الدار التى سكن فيها ادم هى الجنة و
الاشارة هاهنا الى ان الانسان من اول زمان افاضة القوة العاقلة عليه الحين استرجاعها مادام مراعيا
لاوامر الحق سبحانه غير منحرف عن فطرته الاصلية ولا معرض عن عبادته ولا ملتفت الى غيره فانه فى الجنة
وان كانت الجنة على مراتب كما قال تعالى لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الانهار ولذلك قال
صلى الله عليه وآله كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه اذ كانت نفسه قبل
الجواذب الخارجة عن القبلة الحقيقية غير مدنسة بشى من الاعتقادات الفاسدة والهيئات الردية وان كان
المرتبة الثانية والغرفة العالية انما تنال بعد المفارقة واستصحاب النفس لاكمل زاد واما ارغاد العيش
فيعود الى ابتهاجه بالمعقولات والمعارف الكلية واما امن المحلة اما من مكانه فى الجنة ان يعرض له خوف او حزن ما
دام فيها واما تحذيره من ابليس وعداوته فظاهر من الاوامر الشرعية ولسان الوحى الالهى كما قال تعالى ان هذا عدو
لك ولزوجك ووجه العداوة ظاهر مما قلنا فان النفس لما كانت من عالم المجردات وكان الوهم بطبعه منكرا
لهذا القسم من الممكنات كان منكرا لما تامر به النفس من الامور الكلية التى لاحظ له فى ادراكها وذلك من
مقتضيات العداوة ولان نظام امر النفس ومصلحتها لايتم الا بقهر الوهم والقوى البدنية عن مقتضياتها
وتمام مطالب القوى لايحصل الا بانقهار النفس فكانت بينهما محاذبة طبيعية وعداوة اصلية اذ لامعنى
للعداوات الا المجانبة لما يتصور كونه موذيا قوله فاغترة ابليس نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الابرار
اقول يقال ان الله تعالى لما حذره ابليس وعداوته كان قد نهاه عن اكل شجرة يقال انها شجرة البر واعلمه انه ان
اكل منها كان ظالما لنفسه مستحقا لسخط الله عليه وذلك قوله تعالى ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
قالوا وتلك الشجرة هى شجرة الخبيثة التى اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وهى عائدة الى الشهوات

الدنيوية الفانية واللذات البدنية الخارجة عن الحدود التى وامر الله وتناولها هو العبور فيها
الطرف الافراط عن وسط القانون العدلى واما كونها شجرة البر فقالوا ان البر لما كان هو قوام الابدان
وعليه الاعتماد فى انواع المطعومات والملاذ البدنية حسن ان يعبر به عنها فيقال هى شجرة البر كناية
من الفرع بالاصل فاما اغترار ابليس له فاعلم ان حقيقة الغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل
اليه الطبع عن شبهة وخدعة من ابليس فاغتراره يعود الى استغفال النفس بالوسوسة التى حكى الله عنهما
بقوله فوسوس لهما الشيطان قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لايبلى ولنبحث عن حقيقة الوسوسة
فنقول ان الفعل انما يصدر عن الانسان بواسطة امور مترتبة ترتيبا طبيعيا اولها تصور كون الفعل
ملائما وهو المسمى بالداعى ثم ان ذلك الشعور يترتب عليه حصول التشوق الى الفعل المسمى ذلك الميل ارادة ويترتب
على ذلك الميل حركة القوة المسماة قدرة المحركة للعضل الى الفعل اذا عرفت ذلك فنقول صدور الفعل عن
مجموع القدرة والارادة امر واجب فليس للشيطان فيه مدخل ووجود الميل عن تصور كونه نافعا وخيرا
امر لازم فلا مدخل للشيطان ايضا فيه فلم يبق له مدخل الا فى القاء مايتوهم كونه نافعا او لذيذا الى النفس
مما نها العقل امر الله سبحانه فذلك الالقاء فى الحقيقة هو الوسوسة وهو عين ما حكى الله سبحانه عنه بقوله
وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى اذا عرفت ذلك فاعلم ان متابعة ابليس تعود الى انقياد
النفس لجذب الوهم والقوى البدنية التى هى الشياطين عن الوجهة المقصودة والقبلة الحقيقية وهى عبادة
الحق سبحانه وفتنتها لها عن بين ما حرم الله عليها فاما ما يقال ان ابليس لم يكن له تمكن من دخول الجنة و
انما توسل بالحية ودخوله فيها الى الجنة حتى تمكن من الوسوسة لادم عليه السلام واغتراره فقالوا المراد
بالحية هى القوة المتخيلة وذلك ان الوهم انما يتمكن من التصرف وبعث القوى المحركة كالشهوة والغضب
التى هى جنوده وشياطينه على طلب الملاذ البدنية والشهوات الحسية الدنية وجذب النفس اليها بتصور
كونها لذيذة نافعة بواسطة القوة المتخيلة ووجه تشبيهها بالحية ان الحية لما كانت لطيفة سريعة الحركة
تمكن من الدخول فى المنافذ الضيقة وتقدر على التصرف الكثير وهى مع ذلك سبب من اسباب الهلاك
بما تحمله من السم وكانت المتخيلة فى سرعة حركتها وقدرتها على التصرف السريع والادراك الطف من سائر القوى
وهى الواسطة بين النفس والوهم وكانت بما اشتملت عليه من تحمل كيد ابليس والقاء الوسوسة بواسطتها
الى النفس سببا قويا للهلاك الشديد والعذاب المؤبد لاجرم كان اشبه ما تشبه بالحية لما بينهما من
المناسبة فحسن اطلاق لفظ الحية عليها قوله نفاسة عليه ترشيح للاستعارة لانه لما كان جذب الوهم للنفس
الى الجهة السافلة مانعا لها من الكرامة بدار المقام وسببا لانحطاطها عن درجة مرافقة الملاء الاعلى وكان
ذلك اعظم ما تنفس به كما قال تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وعرفت ان ذلك الجذب عن تحقق
معاداة كما سبق وكان من لوازم المعاداة المنافسة على العدو بكل ما يعد كمالا له لاجرم حسن اطلاق

ماهنا ترشيحا لاستعارة العداوة والنصب على المفعول له قوله باع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه اى لما حصلت
الوسوسة والاغترار لادم فانقاد لها كان قد بدل ما تيقنه من ان شجرة الخلد والملك الذى لايبلى هو نور
الحق والبقاء فى جنته ودوام مشاهدة كبريائه بالشك فيه بواسطة وسوسة ابليس وذلك ان الامور
الموعودة من متاع الاخرة وما اعده الله لعباده الصالحين امور خفيت حقايقها على اكثر البصائر البشرية
وانما الغاية فى تشويقهم اليها ان يمثل لهم من اللذات البدنية الحاضرة فيرى كثيرا منهم لايغتبط بان
يكون فى الجنة امر زائد على هذه اللذات فهو يجتهد فى تحصيلها اذ لايتصور وراءها اكثر منها ان صدق
بها على سبيل الجملة تصديقا للوعد الكريم فانه لايتصور كثير تفاوت بين الموعود به والحاضر بحيث يرجح
ذلك التفاوت عنده ترك الحاضر لما وعد به بل يكون ميل طبعه الى الحاضر وتوهم كونه انفع واولى به اغلب
عليه وان تيقن باصل عقله ان الاولى به والانفع له والابقى هو متاع الاخرة فتارة نظرا على ذلك اليقين
غفلة عنه ونسيان له بسبب الاشتغال باللذات الحاضرة والانهماك فيها وذلك معنى قوله تعالى فنسى وتارة
لاتحصل الغفلة الكلية بل يكون الوهم المذكور قويا فيعارض ذلك اليقين بحيث يوجب مقابلته شبهة
وشكا وذلك معنى قوله عليه السلام فباع اليقين بشكه ولا منافاة بين قوله تعالى فنسى وبين الشك هاهنا
وقوله والعزيمة بوهنه اى تعوض من العزم والتصميم الذى كان ينبغى له فى طاعة الحق سبحانه بالضعف والتغافل
عن عمله كما قال تعالى ولم نجد له عزما واطلاق لفظ البيع هاهنا استعارة حسنة اذ كان مدار البيع على التعاوض
شى بشى سواء كان المتعاوض اجل او انقص ومثله قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة
فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين وقوله فاستبدل بالجذل وجلا وبالاعتزاز ندما الى قوله وتناسل
الذرية فيه تقديم وتأخير وتقديره والعزيمة بوهنه فاهبطه الله الى دار البلية وتناسل الذرية فاستبدل
بالجذل وجلا وبالاعتزاز ندما ثم انابه الى الله فبسط له فى توبته ولقاه كلمة رحمته ووعده المرد الى جنته
وذلك لان الاهباط عقيب الزلة واستبدال الجذل بالوجل بعد الاهباط من الجنة والاخراج منها وورود
القرآن الكريم بهذا النظم فى سورة البقرة وهو قوله فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه
وقلنا اهبطوا ثم قال عقيبه فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه وورد ايضا على النظم الذى ذكره عليه
السلام فى سورة طه وذلك قوله تعالى فعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطوا
فقدم الاجتباء والتوبة على الاهباط وكلاهما حسن قالوا ومعنى الاهباط له هو انزاله عن درجة كرامته
واستحقاق افاضة نعيم الجنة وذلك ان النفس الناطقة اذا اعرضت عن جناب الحق سبحانه والتفتت
الى متابعة الشياطين وابناء الجن وموافقة ابليس بعدت عن رحمة الله وتسود لوجهها عن قبول الانوار
الالهية واما دار البلية وتناسل الذرية فاشارة الى الدنيا فان الانسان اذا التفت بوجهه اليها واقبل
بكليته عليها هبط من اعلى عليين الى اسفل سافلين ولم يزل ممنوا سيلا على اثر بلاء اذ لايعدم فى كل لحظة

دوتن فوت مطلوب او فقد محبوب يطلب ما لايدرك ويجد ما لايطلب وكفى بانقطاعه عن الله تعالى والتفاته
اليها بلاء واعظم به شقاء اذ كان سبب البعد عن رحمته والطرد عن ابواب جنته فان قلت لم ذكر تناسل الذرية
فى معرض الاهانة لادم عليه السلام مع انه فى الحقيقة من الامور الجزئية المندرجة فى سلك العناية الالهية
فان به بقاء النوع ودوام الافاضة قلت انه وان كان كذلك الا انه لا نسبة له فى الحقيقة الى الحين الذى كان
ادم فيه فى الجنة فان تناسل الذرية خيرا اضافى عرضى بالنسبة الى الكمال الذى يحصل لابقاء النوع ونسبته
ثم النسبة ان حصلت فنسبة اخس الى اشرف فان انزاله واهباطه عن استحقاق تلك المراتب الشاملة و
الافاضات العالية الى هذه المرتبة التى يشارك فيها البهيمة وساير انواع الحشرات نقصان عظيم وخسران
مبين قوله فاستبدل بالجذل وجلا وبالاعتزاز ندما ظاهر فان المقبل بوجهه الى عبادة الحق سبحانه
لانوار كبريائه المعرض عما سواه ابدا مسرور مبتهج فاذا اعرض عما يوجب السرور والفرح والتفت الى حاضر
الامور بسبب شيطان قاده اليها وزينها لعينه فانكشف عنه ستر الله وبدت سوءته للناظرين بعين العقل
من عباد الله الصالحين ثم اخذت بضبعه العناية الالهية تداركته الرحمة الربانية فانتبه من رقدة الغافلين
فى مراقد الطبيعة فراى السلاسل والاغلال قد احاطت به وشاهد الجحيم مستعرة عن جنبتى الصراط المستقيم
وتذكر قوله تعالى فاما ياتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة
ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى لا محالة فلابد وان يصبح وجلا قلقا يقلب كفيه حسرة وندما وجلا مما لحقه
من سخط الله نادما على ما فرط فى جنب الله قوله ثم بسط الله له فى توبته ولقاه كلمة رحمته فالمراد الاشارة
الى ان الجود الالهى لابخل فيه ولا منع من جهته وانما النقصان من جهة القابل وعدم استعداده فاذا استعدت
النفس لتدارك رحمة الله وجذبتها العناية الالهية من ورطات الهلاك الابدى فايدتها بالمعونة على
ابليس وجنوده وبصرتها بمقابح افعاله وما يدعوا اليه فاخذت فى مقاومته والترصد لدفع مكايده فذلك
هو معنى انابتها وتوبتها واما كلمة رحمة الله التى لقاها ادم فيعود الى السوانح الالهية التى تسنح للعبد فتكون
سببا لجذبه عن مهاوى الهلاك وتوجيهه عن الجنبة السافلة الى القبلة الحقيقية وامداده بالملكة الا
فالاولية فى مدارج الجلال التى هى درجات الجنة قوله ووعده المرد الى جنته فاشارة الى وعد القضاء
الالهى الناطق عنه لسان الوحى الكريم فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى يا ايها الذين امنوا توبوا
الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار وكذلك ساير
انواع وعد التائبين هذا ما يتعلق بهذه القصة من التأويل وبالله العصمة والتوفيق الفصل الرابع
واصطفى سبحانه من ولده انبياء اخذ على الوحى ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة امانتهم لما بدل اكثر خلقه عهد الله
اليهم فجهلوا حقه واتخذوا الانداد معه واجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته فبعث فيهم
رسله وواتر اليهم انبياءه ليستادوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسى نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا

لهم دفاين العقول ويروهم ايات القدرة من سقف فوقهم مرفوع ومهاد تحتهم موضوع ومعايش تحييهم واجال
تفنيهم واوصاب تهرمهم واحداث تتابع عليهم ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبي مرسل او كتاب منزل او حجة
لازمة او محجة قائمة رسل لا يقصر بهم قلة عددهم ولا كثرة المكذبين لهم من سابق سمي له من بعده او
غابر عرفه من قبله على ذلك نسلت القرون ومضت الدهور وسلفت الاباء وخلفت الابناء الى ان بعث
الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وآله لانجاز عدته وتمام نبوته ماخوذا على النبيين ميثاقه مشهورة سماته كريما
ميلاده واهل الارض يومئذ ملل متفرقة واهواء منتشرة وطرايق متشتتة بين مشبه لله بخلقه او ملحد في
اسمه او مشير الى غيره فهداهم به من الضلالة وانقذهم بمكانه من الجهالة ثم اختار سبحانه لمحمد صلى الله عليه وآله
لقاءه ورضي له ما عنده واكرمه عن دار الدنيا ورغب به عن مقام البلوى فقبضه اليه كريما صلى الله عليه وآله
وخلف فيكم ما خلفت الانبياء في اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قائم كتاب ربكم مبينا
حلاله وحرامه وفضائله وفرايضه وناسخه ومنسوخه ورخصه وعزايمه وخاصه وعامه وعبره وامثاله
ومرسله ومحدوده ومحكمه ومتشابهه مفسرا جمله ومبينا غوامضه بين ماخوذ ميثاق في علمه وموسع على العباد
في جهله وبين مثبت في الكتاب فرضه معلوم في السنة نسخه وواجب في السنة اخذه مرخص في الكتاب تركه
وبين واجب لوقته وزايل في مستقبله ومباين بين محارمه من كبير اوعد عليه نيرانه او صغير ارصد له غفرانه
وبين مقبول في ادناه موسع في اقصاه. اقول الاصطفاء الاستخلاص والانداد الامثال واجتالتهم اي
ادارتهم واجتذبتهم [illegible] بعد وثاني واحد بعد آخر والفطرة الخلقة والمهاد الفراش والاوصاب
الامراض والاحداث المصايب وتخصيصها بذلك عرفي والحجة ما يحج به الانسان غيره اي يغلبه والمحجة
جادة الطريق والغابر الباقي والماضي ايضا وهو من الاضداد والقرن الامة ونسلت اي ذهبت ومضت
ماخوذ من نسل ريش الطاير ونسل الوبر اذا وقع والعدة الوعد وانجازها قضاؤها والسمة العلامة و
ميلاد الرجل محل ولادته من الزمان او المكان والملحد العادل عن الاستقامة على الحق والنسخ في اللغة
الازالة والرخصة التساهل في الامر والعزيمة الهمة وهذه الالفاظ الثلثة مخصوصة في العرف باخرى كما
نذكره وارصدت له كذا اي هيأته له وهاهنا ابحاث البحث الاول الضمير في ولده راجع الى آدم عليه السلام
ان كانت الاشارة بآدم الى النوع الانساني فنسبة الولادة اليه في العرف ظاهرة صادقة فان كل اشخاص
نوع هم ابناء ذلك النوع في اصطلاح اهل التاويل وكذلك ان كان المراد به اول شخص وجد واعلم ان اصطفاء
الله سبحانه للانبياء يعود الى افاضة الكمال النبوي عليهم بحسب ما وهبت لهم العناية الالهية من القبول و
الاستعداد واخذه على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة امانتهم هو حكم الحكمة الالهية عليهم بالقوة على
ما كلفوا به من ضبط الوحي في الواح قواهم وجذب ساير النفوس الناقصة الى جناب عزته بحسب ما افاضهم
من القوة على ذلك والاستعداد له وما منحهم من الكمال الذي يقتدرون معه على تكميل الناقصين من

ابناء نوعهم ولما كانت صورة العهد واخذ الامانة في العرف ان يوعز الى الانسان بامر ويؤكد عليه القيام
به بالايمان واشهاد الحق سبحانه وكان الحكم الالهي جاريا بارسال النفوس الانسانية الى هذا العالم و
كان سر العناية الالهية من ذلك البعث ان يظهر ما في قوة كل نفس من كمال او تكميل الى الفعل وكان
ذلك لا يتم الا بواسطة بعضها للبعض كان الوجه الذي بعث عليه مشبها للعهد والميثاق الماخوذ
والامانة المودعة كل لما في قوته وما اعدله لحسن اطلاق هذه الالفاظ واستعارتها هاهنا قوله لما بدل
اكثر خلقه عهد الله اليهم فجهلوا حقه واتخذوا الانداد معه واجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم
عن عبادته الى آخره اشارة الى وجه الحكمة الالهية في وجود الانبياء عليهم السلام ولوازمه وهي شرطية
متصلة قدم فيها التالي المتعلق ذكر الانبياء عليهم السلام بذكر آدم والتقدير لما بدل اكثر خلق الله عهده
اليهم اصطفى سبحانه من ولده انبياء اخذ على الوحي ميثاقهم فبعثهم في الخلق وذلك العهد هو المشار
اليه بقوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الاية قال ابن عباس لما خلق الله آدم مسح على
ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة فقال الست بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ جف القلم
بما هو كائن الى يوم القيمة فاعلم ان اخذ الذرية يعود الى احاطة اللوح المحفوظ بما يكون من وجود النوع
الانساني باشخاصه وانتقاشه بذلك من قلم القضاء الالهي ولما كان بالانسان تمام العالمين في
الوجود الخارجي فكذلك هو في التقدير القضائي المطابق له وبه يكون تمام التقدير وجفاف القلم و
اما اشهادهم على انفسهم فيعود الى انطاق امكانهم بلسان الحاجة اليه وانه الاله المطلق الذي لا اله غيره
واما بيان ملازمة الشرطية فلانه لما كان الغالب على الخلق حب الدنيا والاعراض عن مقتضى الفطرة الاصلية
التي فطرهم عليها والالتفات عن القبلة الحقيقية التي امروا بالتوجه اليها وذلك بحسب ما ركب فيهم
من القوى البدنية المتنازعة الى كمالاتها لا جرم كان من شان كونهم على هذا التركيب المخصوص ان يبدل
اكثرهم عهد الله سبحانه اليهم من الدوام على عبادته والاستقامة على صراطه المستقيم وعدم الانقياد لل
شيطان كما قال سبحانه الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان الاية وان يجهلوا بحقه للغفلة
بحاجتهم الذاتية عما يستحقه من دوام الشكر وان يتخذوا الانداد معه لنسيانهم العهد القديم وان يجتذبهم
الشياطين عن معرفته الى جهة الدمار الجبلية وان تقتطعهم عن عبادته التي هي المرقاة الى اقتطاف تلك
الثمرة ولما كان من شانهم ذلك وجب في الحكمة الالهية ان يخص صنفا منهم بكمال الشرف بعد بعث ابناء
ذلك الصنف على ضبط الجواذب الجاذبة وعلى تكميل الناقصين ممن دونهم وهم صنف الانبياء عليهم السلام
والغاية منهم ما اشار اليه عليه السلام بقوله ليستادوهم ميثاق فطرته اي ليبعثوهم على اداء ما خلقوا
لاجله وفطروا عليه من الاقرار بالعبودية لله وجذبهم عما التفتوا اليه من اتباع الشهوات الباطلة و
اقتناء اللذات الوهمية الزايلة وذلك البعث والجذب تارة يكون بتذكيرهم نعم الله الجسيمة وتنبيههم على

شكرها والامهم من منته العظيمة وتارة يكون بالترغيب فيما عنده سبحانه مما اعده لاوليائه الابرار وتارة
بالترهيب مما اعده لاعدائه الظالمين من عذاب النار وتارة بالتنفير عن خسايس هذه الدار وبيان وجوه
الاستهانة بها لا للاستحقار والى ذلك اشار بقوله ويذكروهم منسي نعمته ولا بد للمجادلة والمخاطبة
من احتجاج مقنع ومفحم فيحتجوا عليهم بتبليغ رسالات ربهم وانذارهم لقاء يومهم الذي يوعدون ويثيروا
لهم وجوه الادلة على حقانية المبدع الاول وتفرده باستحقاق العبادة وهو المراد بدفاين العقول و
كنوزها واستعمال الدفاين هاهنا استعارة لطيفة فانه لما كانت جواهر العقول ونتايج الافكار مخزونة
في النفوس بالقوة اشبهت الدفاين فحسن استعارة لفظ الدفينة لها ولما كانت الانبياء هم الاصل
في استخراج تلك الجواهر لاعداد النفوس لاظهارها حسنت استثارتها اليهم وكذلك ليرشدوهم
الى تحصيل مقدمات تلك الادلة والبراهين وموادها وهي ايات القدرة الالهية وآثارها من سقف
فوقهم محفوظ مرفوع مشتمل على بدايع الصنع وغرايب الحكم ومهاد تحتهم موضوع فيه ينتشرون وعليه يتصرفون
ومعايش بها يكون قوام حيوتهم الدنيا وبلاغا لمدة بقائهم لما خلقوا له واجال مقدرة بها يكون فناؤهم
ورجوعهم الى بارئهم واعظم بالاجل تزداده ومقدرا جاذبا الى الله ثم ولذلك قال صلى الله عليه
وآله اكثروا من ذكر هاذم اللذات الى غير ذلك من الامراض التي تضعف قواهم وتهرمهم والمصايب التي تتتابع
عليهم فان كل هذه الاثار مواد احتجاج الانبياء على الخلق لينبهوهم بصدورها عن العزيز الجبار عز
سلطانه على انه هو الملك المطلق الذي له الخلق والامر وليقرروا في اذهانهم صورة ما نسوه من العهد
الماخوذ عليهم في الفطرة الاصلية من انه سبحانه هو الواحد الحق المنفرد باستحقاق العبادة والى ذلك اشار
القرآن الكريم وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون وقوله ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به
الارض بعد موتها الاية وقوله والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون
ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون الى غير ذلك من الايات الدالة على احتجاج الخالق سبحانه على
خلقه بالسنة رسله وتراجمة وحيه وجذبهم بهذه الالطاف الى القرب من ساحل عزته والوصول الى حضرة
قدسه سبحانه وتعالى عما يشركون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار قوله ولم يخل
الله سبحانه خلقه الى قوله وخلفت الابناء اقول المقصود الاشارة الى بيان عناية الله سبحانه بالخلق حيث
لم يخل امة منهم من نبي مرسل يجذبهم الى جناب عزته كما قال تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير او كتاب منزل
يدعوهم الى عبادته ويذكرهم فيه منسي عهده ويتلو عليهم فيه اخبار الماضين والعبر اللاحقة للاولين ويحتج
عليهم فيه بالحجج البالغة والدلايل القاطعة ويوضح لهم فيه امور نظامهم وينبههم على مبداهم ومعادهم
والانفصال هاهنا انفصال مانع من الخلو كما هو مصرح به قوله رسل لا يقصر بهم قلة عددهم ولا كثرة

المكذبين لهم اي هم رسل كذلك والمراد الاشارة الى انهم وان كانوا قليلي العدد بالنسبة الى كثرة الخلق
وكان عدد المكذبين لهم كثيرا كما هو المعلوم من ان كل نبي بعث الى امة فلا بد فيهم فرقة تنابذه وتعانده و
تكذب مقاله فان ذلك لا يوليهم قصورا عن اداء ما كلفوا القيام به من حمل الخلق على ما يكرهون مما هو
مصلحة لهم في معاشهم ومعادهم بل يقوم احدهم وحده ويدعو الى طاعة باريه ويحتمل اعباء المشقة التامة
في مجاهدة اعداء الدين وينشر دعوته في اطراف الارض بحسب العناية الازلية والحكمة الالهية وتبقى
آثارها محفوظة وسننها قائمة الى ان تقتضي الحكمة وجود شخص آخر منهم يقوم ذلك المقام رسلا مبشرين
ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل قوله من سابق سمي له من بعده تفصيل الانبياء ومن
هاهنا للتمييز والتبيين والمراد ان السابق منهم قد اطلعه الله تعالى على العلم بوجود اللاحق له بعده فبعضهم
كالمقدمة لتصديق البعض كعيسى عليه السلام حيث قال ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد وبين لاحق
سماه من قبله كمحمد صلى الله عليه وآله وعلى ذلك اي على هذه الوتيرة والاسلوب النظام الالهي مضت الامم وسلفت
الاباء وخلفتهم الابناء قوله الى ان بعث الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وآله الى قوله من الجهالة واعلم انه عليه السلام
ساق هذه الخطبة من لدن آدم عليه السلام الى ان انتهى الى محمد صلى الله عليه وآله كما هو الترتيب الطبيعي اذ هو
الغاية من طينة النبوة وخاتم النبيين كما نطق به القرآن الكريم ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول
الله وخاتم النبيين ثم شرع بعد ذلك في التنبيه على كيفية اهتداء الخلق به وانتظام امورهم في معاشهم و
معادهم بوجوده كل ذلك استدراج لاذهان السامعين وتمهيد لما يريد ان يقرره عليهم من مصالح دينية
او دنيوية فاشار الى ان الغاية من طينة النبوة وتمامها بقوله الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله لانجاز عدته
لخلقه على السنة رسله السابقين بوجوده واتمام نبوته صلى الله عليه وآله قوله ماخوذا على النبيين ميثاقه
النصب هاهنا على الحال من بعث وذو الحال محمد صلى الله عليه وآله وكذلك الحال في المنصوبين الباقيين و
المراد باخذ ميثاقه عليهم ما ركز وقرر في فطرهم من الاعتراف بحقية نبوته عليه السلام وتصديقه فيما يجيء به
اذ كان ذلك من تمام عبادة الحق سبحانه فبعث عليه السلام حال ما كان ذلك الميثاق ماخوذا على الانبياء ومن
عداهم وحال ما كانت امارات ظهوره والبشارة بمقدمه مشهورة بينهم مع ذكاء اصله وكرم مادة حملته وشرف
وقت سمح به آباؤه عليه السلام بعد ذلك الى ان يريد بعثة محمد صلى الله عليه وآله تعظيما ويبين فضيلة شرعه وكيفية
انتفاع الخلق به فقال واهل الارض يومئذ ملل متفرقة واهواء منتشرة وطرايق متشتتة والواو في قوله واهل
الارض للحال ايضا وموضع الجملة نصب وقوله واهواء خبر مبتدا محذوف تقديره اهواؤهم اهواء متفرقة وكذلك
قوله وطرايق اي وطرايقهم طرايق متشتتة اي بعثه وحال اهل الارض يوم بعثه ما ذكر من تفرق الاديان
وانتشار الاراء واختلافها وتشتت الطرق والمذاهب واعلم ان الخلق عند مقدم محمد صلى الله عليه وآله اما من على
اسم الشرايع او غيرهم اما الاولون فاليهود والنصارى والصابية والمجوس وقد كان شاديا بهم اضمحلت من

ايديهم وا تمابقوا متشبهين باهل الملل وقدكان الغالب عليهم دين التشبيه ومذهب التجسيم كما حكى القرآن الكريم عنهم وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا والمجوس اثبتوا اصلين اسندوا الى احدهما الخير والى الثانى الشر ثم زعموا انه جرت بينهما محاربة ثم ان الملئكة توسطت واصلحت بينهما على ان يكون العالم السفلى للشرير مدة سبعة آلاف سنة الى غير ذلك من هذيانهم وخبطهم واما غيرهم من اهل الاهواء المنتشرة والطرايق المتشتتة فهم على اصناف شتى فمنهم العرب اهل مكة وغيرهم وقد كان منهم معطلة ومنهم محصلة نوع تحصيل اما المعطلة فصنف منهم انكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيى والدهر المفنى وهم الذين حكى القرآن عنهم وقالوا ان هى الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وقصروا الحيوة والموت على تحلل الطبايع المحسوسة وتركبها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون وصنف منهم اقروا بالخالق وابتداء الخلق عنه وانكروا البعث والاعادة وهم المحكى عنهم فى القرآن الكريم وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الاية وصنف منهم اعترفوا بالخالق ونوع من الاعادة لكنهم عبدوا الاصنام وزعموا انها شفعاؤهم عند الله كما قال ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومن هؤلاء قبيلة ثقيف وهم اصحاب اللات بالطايف وقريش وبنو كنانة وغيرهم اصحاب العزى ومنهم من كان يجعل الاصنام على صور الملائكة ويتوجه بها الى الملئكة ومنهم من كان يعبد الملئكة كما قال تعالى بل كانوا يعبدون الجن واما المحصلة فقد كانوا فى الجاهلية على ثلثة انواع من العلوم احدها علم الانساب والتواريخ والاديان والثانى علم تعبير الرؤيا والثالث علم الانواء وذلك مما يتولاه الكهنة والقافة منهم وعن النبى صلى الله عليه وآله من قال مطرنا بنوء كذا فقد كفر بما انزل على محمد ومن غير العرب البراهمة من اهل الهند ومدار مقالتهم على التحسين والتقبيح العقليين والرجوع فى كل الاحكام الى العقل وانكار الشرايع وانتساب الى رجل منهم يقال له براهام ومنهم اصحاب البددة والبد عندهم شخص فى هذا العالم لا يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت ومنهم اهل الفكرة وهم اهل العلم منهم بالفلك واحكام النجوم ومنهم اصحاب الروحانيات الذين اثبتوا وسايط روحانية تاتيهم بالرسالة من عند الله فى صورة البشر من غير كتاب فيامرهم وينهاهم ومنهم عبدة الكواكب ومنهم عبدة الشمس ومنهم عبدة القمر وهؤلاء يرجعون بالاخرة الى عبادة الاصنام اذ لا يستمر لهم طريقة الا بشخص حاضر ينظرون اليه ويرجعون اليه فى مهماتهم ولهذا كان اصحاب الروحانيات والكواكب يتخذون اصناما على صورها وكان الاصل فى وضع الاصنام ذلك اذ لا يبعد ممن له ادنى فطنة ان يعمل خشبا بيده ثم يتخذه الها الا ان الخلق لما عكفوا عليها وربطوا حوايجهم بها من غير اذن شرعى ولا حجة وبرهان من الله ثم كان عكوفهم ذلك وعبادتهم لها اثباتا لالهيتها وورآء ذلك من اصناف الاراء الباطلة

والمذاهب الفاسدة اكثر من ان تحصى وهى مذكورة فى الكتب المصنفة فى هذا الفن واذا عرفت ذلك ظهر معنى قوله عليه السلام من مشبه لله بخلقه كالبقية من اصحاب الملل السابقة فانهم وان اثبتوا اصانعا الا ان اذهانهم مكيفة له بكيفية بعض مصنوعاته فى نفس الامر من الجسمية وتوابعها ومن ملحد فى اسمه كالذين عدلوا من الحق فى اسماء الله بتحريفها عما هى عليه الى اسماء آلهتهم فسموا بها اوثانهم وزادوا فيها ونقصوا كاشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ومنات من المنان وهذا التاويل مذهب ابن عباس ومنهم من فسر الملحدين فى اسماء الله بالكاذبين فى اسمائه وعلى هذا كل من سمى الله بما لم يسم به نفسه ولم ينطق به كتاب ولا ورد فيه اذن شرعى فهو ملحد فى اسمائه وقوله ومن مشير الى غيره كالدهرية وغيرهم من عبدة الاصنام والانفصال هاهنا لمنع الخلو ايضا فلما اقتضت العناية الالهية بعثته صلى الله عليه وآله ليهدوا سبيل الحق ويفيئوا من ضلالهم القديم الى سلوك الصراط المستقيم ولينقذهم ببركة نوره من ظلمات الجهل الى انوار اليقين فقام بالدعوة الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى احسن فجلا الله بنوره صدأ قلوب الخلق وازهق الباطل الشيطان بما جاء به من الحق والصدق وانطلقت الالسن بذكر الله واستنارت البصائر بمعرفة الله وكمل به دينه فى اقصى بلاد العالم واتم به نعمته على كافة عباده كما قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا الحب الله سبحانه لقاءه كما احب هو لقاء الله كما قال صلى الله عليه وآله من احب لقاء الله احب الله لقاءه ورضى له ما عنده من الكرامة التامة والنعمة العامة فى جوار الامين فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فاكرمه عن دار الدنيا ورغب به عن مجاورة البلوى ومقام الاذى فقبضه الله اليه عند انتهاء اجله كريما من ادناس الذنوب طاهرا فى ولادته الجسمانية والروحانية صلى الله عليه وآله ما برق بارق وذر شارق قوله وخلف فيكم ما خلفت الانبياء فى اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قايم اقول لما كان هذا الشخص الذى هو النبى ليس مما يكون فى وجود مثله فى كل وقت لما ان المادة التى تقبل كمال مثله انما تقع فى قليل من الامزجة وجب اذا ان يشرع للناس بعده فى امورهم سنة باقية باذن الله وامره ووحيه وانزاله الروح القدس عليه وليجب ان يكون قد دبر لبقاء ما ياتيه ويشرعه فى امور المصالح الانسانية تدبيرا والغاية من ذلك التدبير هو بقاء الخلق واستمرارهم على معرفة الصانع المعبود ودوام ذكره وذكر المعاد وحسم وقوع النسيان فيه مع انقراض القرن الذى يلى النبى ومن بعده اذن ان ياتيهم بكتاب من عند الله ويكون وافيا بالمطالب الالهية والافكار الجاذبة الى الله سبحانه ولا بالبال فى كل حال مشتملا على انواع من الوعد على طاعة الله ورسوله بجزيل الثواب عند المصير اليه والوعيد على معصيته بعظيم العقاب عند القدوم عليه لا بد ان يعظم امره ويبين على الخلق تكراره وحفظه او تعبه ودراسته وتعلمه وتعليمه وتفهم معانيه ومقاصده ليدوم به التذكر لله سبحانه والملأ الاعلى من ملئكته ثم يسن عليهم افعالا واعمالا يتكرر فى اوقات مخصوصة متقاربة ويتلو بعضها بعضا تشعر

بالفاظ تقال ونيات تنوى فى الخيال يحصل به دوام تذكر المعبود الاول ويتقرب بها فى امر المعاد ولا فلا فائدة فيها وهذه الافعال كالعبادات المفروضة على الناس مع ما يلحقها من الوظايف ولما بدا عليه السلام هاهنا بذكر الكتاب العزيز لكونه مشتملا على ذكر ساير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله اما مطابقا او التزاما او فى بسط قوانينه الكلية بحسب السنة النبوية وفا بجميع المطالب الالهية فنحن نبدا بذكر شرفه ووظايفه وشرايط تلاوته ونوخر الكلام فى باقى العبادات الى مواضعها البحث الثانى فى فضيلة الكتاب اما الفضيلة فمن وجوه الاول قوله تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه افانتم له منكرون وقوله وهذا كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب وقوله وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون ب قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قرا القرآن ثم راى ان احدا اوتى افضل مما اوتى فقد استصغر ما عظم الله تعالى ج قوله صلى الله عليه وآله ما من شفيع افضل منزلة عند الله تعالى يوم القيمة من القرآن لا نبى ولا ملك ولا غيره ويلوح لك من سر هذه الاشارة ان ذلك انما هو فى حق من تدبره وسلك المنهج المطلوب منه المشتمل عليه ووصل به الى جناب الله فى جوار الملئكة المقربين ولا غاية من الشفاعة الا الوصول الى نيل الرضوان من المشفوع وعلمت ان غاية رضوان الله بعين سلوك الطريق المشتمل عليها الكتاب العزيز لا يحصل ولا ينفع غير شفاعة شافع كما قال تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين د قال صلى الله عليه وآله لو كان القرآن فى اهاب لما مسته النار والمراد اى ظرف وعاه وتدبره وسلك طريقه لم تمسه النار اما نار الاخرة فظاهر واما نار الدنيا فلان الواصلين من اولياء الله الكاملين فى قوتيهم النظرية والعملية يبلغون حدا تنفعل العناصر عن نفوسهم فيتصرف فيها كتصرفها فى ابدانها فلا يكون لها فى ابدانهم اثر وقد عرفت اسباب ذلك فى المقدمة ه قال صلى الله عليه وآله افضل عبادة امتى القرآن واهل القرآن هم اهل الله وخاصته والمقصود مع شرايطه التى سنذكرها البحث الثالث فى وظايفه اما مداومة الكتاب بالتلاوة والدرس فيحتاج الى وظايف والا لم ينتفع بها كما قال انس رب تال للقرآن والقرآن يلعنه والذى ينبغى ان يوظف فى ذلك ما لخصه الامام ابو حامد الغزالى فى كتاب الاحياء فانه لا مزيد عليه وهى امور عشرة اولها ان يتصور الانسان حال سماعه للتلاوة عظمة كلام الله سبحانه وافضل كماله ولطفه بخلقه فى نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام الخلق فى ايصال معانى كلامه الى اذهانهم وكيف تجلت لهم الحقايق الالهية فى طى حروف واصوات هى صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى مدارج الجلال ونعوت الكمال الا بوسيلة ولولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره فالصوت والحرف للحكمة جسد وهى بالنسبة اليه نفس وروح ولما كان شرف الاجساد وعزتها بشرف ارواحها فكذلك شرف الحرف والصوت لشرف الحكمة التى فيها الثانى التعظيم للمتكلم وينبغى ان يحضر فى ذهن القارئ عظمة

ونعلم

المتكلم ان ما يقرؤه ليس كلام البشر وان فى تلاوة كلام الله غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الغير المتطهر فكذلك باطن معناه بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب ان يستضئ بنوره الا اذا كان متطهرا عن كل رجس مستنيرا بنور التعظيم والتوقير عن ظلمة الشرك وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لحمل انواره كل قلب ولاجل هذا الاجلال كان عكرمة بن ابى جهل اذا نشر المصحف يغشى عليه ويقول هو كلام ربى فيعظم الكلام بتعظيم المتكلم وعلمت ان عظمة المتكلم لا يخطر فى القلب بدون الفكر فى صفات جلاله ونعوت كماله وافعاله واذا خطر ببالك الكرسى والعرش والسموات والارضون وما بينهما وعلمت ان الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها هو الله الواحد القهار وان الكل فى قبضته والسموات مطويات بيمينه والكل صاير اليه وانه الذى يقول هؤلاء فى الجنة ولا ابالى وهؤلاء فى النار ولا ابالى فانك تستحضر من ذلك عظمة المتكلم ثم عظمة الكلام الثالث حضور القلب وترك حديث النفس قيل فى تفسير قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة اى بجد واجتهاد واخذه بالجد ان يتجرد عنده قراءته بحذف جميع المشغلات والهموم عنه وهذه الوظيفة تحصل مما قبلها فان المعظم للكلام الذى يتلوه يستبشر به ويستانس اليه ولا يغفل عنه فان فى القرآن ما يستانس القلب به ان كان التالى له اهلا وكيف يطلب الانس بالفكر فى غيره وهو فى متنزه ونزهة وميادين ورياض الاولياء وميادين اولى الالباب الرابع التدبر وهو طور وراء حضور القلب فان الانسان قد لا يتفكر فى غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من التلاوة التدبر قال سبحانه افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقال ورتل القرآن ترتيلا لان الترتيل يمكن الانسان من تدبر الباطن وقال صلى الله عليه وآله لا خير فى عبادة لا فقه فيها ولا فى قراءة لا تدبر فيها واذا لم يمكن التدبر الا بالترديد فليردد قال ابو ذر قام رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة يردد قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم الخامس التفهم وهو ان يستوضح من كل آية ما يليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله تعالى وافعاله واحوال انبيائه والمكذبين لهم واحوال ملئكته وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار والوعد والوعيد فليتامل معانى هذه الاسماء والصفات لينكشف له اسرارها فتحتها دفاين الاسرار وكنوز الحقايق والى ذلك اشار على عليه السلام بقوله ما اسر الى رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا كتمه عن الناس الا ان يؤتى الله عبدا فهما فى كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم وقال ابن مسعود من اراد علم الاولين والاخرين فليتدبر القرآن واعلم ان اعظم علوم القرآن تحت اسماء الله تعالى وصفاته ولم يدرك الخلق منها الا بقدر افهامهم واليه الاشارة بقوله انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها واحتمل السيل زبدا رابيا فالماء هو العلم انزله من سماء جوده ففاضت اودية القلوب كل على حسب استعداده

وان كان وراءه ما ادركوه الجواهر الحزى لم يقفوا عليها وكنوز لم يعثروا على اغوارها اما افعاله تعالى وما اشار
اليه من خلق السموات والارض وغيرها فالذى ينبغى ان يفهم التالى منها هو صفات الله وجلاله لاستلزام
الفعل الفاعل فيستدل بعظمة فعله على عظمته لكن لاحظ بالاخرة الفاعل دون الفعل فيقرأ فى المقام
الاول هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه ويقرأ فى المقام الثانى كل شئ هالك الا وجهه
فمن عرف الحق رآه فى كل شئ ومن بلغ الى حد فى العرفان عن درجة الاعتبار لم ير معه غيره فاذا تلا قوله
تعالى افرايتم ما تمنون افرايتم الماء الذى تشربون افرايتم النار التى تورون فلا ينبغى ان يقصر نظره على
النطفة والماء والنار بل ينظر المنى وهو نطفة فى كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعصب و
العروق وغيرها ثم فى كيفية اشكال اعضائها المختلفة من المستدير والطويل والعريض والمستقيم و
المنحنى والرخو والصلب والرقيق والغليظ وما اودع فى كل من القوة وهيئ له من المنفعة التى لو اختل
شئ منها لاختل امر البدن ومصالح الانسان فيتامل فى هذه العجائب وامثالها ليترقى فيها الى عجيب
قدرة الله تعالى والمبدأ الذى صدرت عنه هذه الآثار فلا يزال مشاهدا لكمال الصانع فى كمال الصنعة
واما احوال الانبياء عليهم السلام فليفهم من سماع كيفية تكذيبهم وقتل بعضهم صفة استغناء الله تعالى
عنهم ولو هلكوا باجمعهم لم يتضرر بذلك ولم يؤثر فى ملكه واذا سمع نصرتهم فليفهم ان ذلك بتاييد الله
كما قال تعالى حتى اذا استيئس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء واما احوال المكذبين
لهم كعاد وثمود وكيفية اهلاكهم فليتنبه من سماعه لاستشعار الخوف من سطوة الله ونقمته وليكن حظه
منه الاعتبار فى نفسه وانه ان غفل واساء الادب وربما ادركته النقمة ونفذت فيه القضية حيث لا
ينفع مال ولا بنون وكذلك اذا سمع احوال الجنة والنار فليحصل منهما على خوف ورجاء وليتصور انه بقدر
ما يبعد عن احديهما يقرب من الاخرى وليفهم منها ومن ساير القرآن ان استقصاء ما هنالك من الاسرار
الالهية غير ممكن لعدم نهايته قال تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات
ربى ولو جئنا بمثله مددا وقال على عليه السلام لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب
فمن لم يفهم معانى القرآن فى تلاوته وسماعه ولو فى ادنى المراتب دخل فى قوله تعالى اولئك الذين طبع الله
على قلوبهم وقوله افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها وتلك الاقفال هى الموانع التى سنذكرها
السادس التخلى عن موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا من فهم القرآن لاسباب وحجب اسدلها الشيطان
على قلوبهم فحجبت عن عجائب اسراره قال صلى الله عليه وآله لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا
الى الملكوت ومعانى القرآن واسراره من جملة الملكوت والحجب المانعة اولها الاشتغال بتحقيق الحروف
واخراجها من مخارجها والتشدق بها عن ملاحظة المعنى وقيل ان المتولى لحفظ ذلك شيطان وكل با
لقراء ليصرف عن معانى كلام الله فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فيكو

نهم

تأمله مقصورا على مخارج الحروف فتى تنكشف له المعانى واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا
التلبيس وثانيها ان يقلد مذهبا سمعه وتفسيرا ظاهرا نقل اليه عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وجمد
على التعصب له من غير علم فيصير نظره موقوفا على مسموعه حتى لو لاح له بعض الاسرار حمل عليه شيطان التقليد
جهله ولم يسوغ له مخالفة آبائه ومعلميه فى ترك ما هو عليه من الاعتقاد والى مثل هذا اشارت الصوفية بقولهم
العلم حجاب وعنوا بالعلم العقايد التى استمر عليها اكثر الناس بالتعليم والتقليد او بمجرد كلمات جدلية حررها
المتعصبون للمذاهب والقوها اليهم لا العلم الحقيقى الذى هو المشاهدة بانوار البصيرة ثم ذلك التقليد
قد يكون باطلا كمن يحمل الاستواء على العرش على ظاهره فان خطر له فى القدوس انه المقدس عن كل ما يجوز
على خلقه لم يمكنه تقليده من استقرار ذلك الخاطر فى نفسه حتى ينساق الى كشف ثان وثالث ولكن يتسارع
الى دفع ذلك عن خاطره ويجعله وسوسة وقد يكون حقا ويكون ايضا مانعا من الفهم لان الحق الذى كلف
الخلق طلبه له مراتب ودرجات وظاهر وباطن فجمود الطبع على ظاهره يمنع من الوصول الى الباطن فان قلت
كيف يجوز ان يتجاوز الانسان المسموع وقد قال صلى الله عليه وآله من فسر القرآن برايه فليتبوأ مقعده من النار
وفى النهى عن ذلك آثار كثيرة قلنا الجواب عنه من وجوه الاول انه معارض بقوله صلى الله عليه وآله ان للقرآن
ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا وبقول على عليه السلام الا ان يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن ولو لم يكن سوى
الترجمة المنقولة فما فائدة ذلك الفهم الثانى انه لو لم يكن غير المنقول لاشترط ان يكون مسموعا من رسول
الله صلى الله عليه وآله وذلك مما لا يصادف الا فى بعض القرآن واما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود وغيرهم
من انفسهم فينبغى ان لا يقبل ويقال هو تفسير بالراى الثالث ان الصحابة والمفسرين اختلفوا فى تفسير بعض
الآيات فقالوا فيها اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله محال وكيف
يكون الكل مسموعا الرابع انه عليه السلام دعا لابن عباس فقال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التاويل فان
كان التاويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا فلا معنى لتخصيص ابن عباس بذلك الخامس قوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه
منهم فاثبت للعلماء استنباطا ومعلوم انه وراء المسموع فاذن الواجب ان يحمل النهى عن التفسير بالراى على
احد معنيين احدهما ان يكون للانسان فى الشئ راى وله اليه ميل بطبعه فيتاول القرآن على وفق رايه
حتى لو لم يكن له ذلك الميل لما خطر له ذلك التاويل وسواء كان ذلك الراى مقصدا صحيحا او غير صحيح وذلك
كمن يدعو الى مجاهدة القلب القاسى فيستدل على تصحيح غرضه من القرآن بقوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى ويشير
الى ان قلبه هو المراد بفرعون كما يستعمله بعض الوعاظ تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع الثانى
ان يتسرع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرايب القرآن وما فيها
من الالفاظ المبهمة وما يتعلق به من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير والمجاز فمن لم يحكم
ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل فى زمرة من فسر بالراى مثاله قوله

تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها فالناظر الى ظاهر العربية ربما يظن ان المراد ان الناقة كانت
مبصرة ولم تكن عمياء والمعنى آية مبصرة ثم لا يدرى انهم اذا ظلموا غيرهم ام انفسهم ومن ذلك المنقول المنقلب كقوله تعالى
وطور سينين اى وطور سيناء وكذلك باقى اجزاء البلاغة فكل مكتف فى التفسير بظاهر العربية من غير
استظهار بالنقل فهو مفسر برايه فهذا هو المنهى عنه دون التفهم لاسرار المعانى وظاهر ان النقل لا يكفى
فيه وانما ينكشف للراسخين فى العلم من اسراره بقدر صفاء عقولهم وشدة استعدادهم له وللطلب و
الفحص والتفهم وملاحظة الاسرار والعبر ويكون لكل واحد منهم حد فى الترقى الى درجة منه بعد الاشتراك
فى الظاهر ومثاله ما فهم بعض العارفين من قوله صلى الله عليه وآله فى سجوده اعوذ برضاك من سخطك واعوذ
بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك انه قيل له اسجد واقترب
فوجد القرب فى السجود فنظر الى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فان الرضا والسخط وصفان متضادان
ثم زاد قربه فاندرج القرب الاول فيه فرقى الى الذات فقال اعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استحيا به على بساط
القرب فالتجأ الى الثناء فاثنى بقوله لا احصى ثناء عليك ثم علم ان ذلك قصور فقال انت كما اثنيت على
نفسك فهذه خواطر تفتح للعارفين لا تفهم من تفسير الظاهر وليس مناقضا له وانما هو استكمال لما فيه
من الاسرار الثالث من الموانع ان يكون مبتلى من الدنيا بهوى مطاع فان ذلك سبب لظلمة القلب و
كالصداء على المرآة فيمنع جلية الحق ان يتجلى فيه وهو اعظم حجاب للقلب وبه حجب الاكثرون وكلما
كانت الشهوات اكثر تراكما على القلب كان البعد عن اسرار الله اكثر ولذلك قال صلى الله عليه وآله الدنيا
والآخرة ضرتان بقدر ما تقرب من احديهما تبعد من الاخرى السادس ان يخصص نفسه بكل خطاب فى القرآن
من امر ونهى ووعد ووعيد ويقدر انه هو المقصود به وكذلك ان سمع قصص الاولين والانبياء عليهم
السلام علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود الاعتبار ولا يعتقد ان كل خطاب خاص فى القرآن فالمراد
الخصوص فان القرآن وساير الخطابات الشرعية واردة باياك اعنى واسمعى يا جارة وهى كلها نور وهدى
ورحمة للعالمين ولذلك امر الخلق الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل
عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واذا قدر انه المقصود لم يتخذ دراسة القرآن عملا بل قرأه كقراءة
العبد كتاب مولاه الذى كتبه اليه ليتدبره ويعمل بمقتضاه كما قال حكيم هذا القرآن رسائل اتتنا من قبل
ربنا بعهوده نتدبرها فى الصلوات ونقف عليها فى الخلوات وننفذها فى الطاعات بالسنن المتبعات
السابع التاثر وهو ان يتاثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد
يتصف به عندما يوجه نفسه فى كل حالة الى الجهة التى فهمها من خوف وحزن او رجاء وعبرة فيستعد بذلك
وينفعل ويحصل له التاثر والخشية ومهما قويت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق
غالب على العارفين فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله تعالى

وانى لغفا



وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى فانه قرن المغفرة بهذه الشروط الاربعة وكذلك قوله تعالى
والعصر ان الانسان لفى خسر السورة ذكر فيه اربعة شروط حيث اوجز واقتصر ذكر شرطا واحدا جامعا للشرايط
فقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين اذ كان الاحسان جامعا لكل الشرايط وتاثر العبد بالتلاوة ان يصير
بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد يتضاءل من خشية الله وعند الوعد يستبشر فرحا بالله وعند ذكر صفات
الله واسمائه يتطاطأ خضوعا لجلاله وعند ذكر الكفار فى حق الله تعالى ما يمتنع عليه كالصاحبة والولد يغض صوته
وينكسر فى باطنه حياء من قبح افعالهم ويكبر الله ويقدسه عما يقول الظالمون وعند ذكر الجنة ينبعث باطنه
شوقا اليها وعند ذكر النار ترتعد فرايصه خوفا منها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لابن مسعود اقرأ على
قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا رايت عينيه
تذرفان من الدمع فقال لى حسبك الآن وذلك لاستغراق تلك الحالة لقلبه بالكلية وبالجملة فالقرآن انما
يراد لهذه الاحوال واستجلابها الى القلب والعمل بها قال رسول الله صلى الله عليه وآله اقرؤا القرآن ما ايتلفت
عليه قلوبكم ولانت عليه جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤنه وقال تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا والا فالمؤنة فى تحريك اللسان خفيفة قال بعضهم قرأت على شيخ لى ثم رجعت
لاقرأ عليه ثانيا فانتهرنى وقال جعلت القراءة على عملا اذهب فاقرأ على الله وانظر ماذا يامرك وماذا ينهاك ومات
رسول الله صلى الله عليه وآله عن عشرين الفا من الصحابة لم يكن يحفظ القرآن منهم غير ستة واختلف منهم فى
اثنين وكان اكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذى يحفظ البقرة والانعام من علمائهم كل ذلك
لاشتغالهم بتفهم معانى القرآن عن حفظه كله وجاء اليه واحد ليتعلم القرآن فانتهى الى قوله تعالى فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال يكفينى هذا وانصرف فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
انصرف الرجل وهو فقيه فالعزيز مثل تلك الحالة التى يمن الله تعالى بها على القلب عقيب تفهم الآية فاما التالى
باللسان المعرض عن العمل فجدير بان يكون المراد بقوله تعالى ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره
يوم القيامة اعمى الآية وانما حظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعانى وحظ القلب الاتعاظ
والتاثر بالانزجار والايتمار الثامن الترقى وهو ان يوجه قلبه وعقله الى القبلة الحقيقية فيسمع الكلام
من الله لا من نفسه ودرجات القراءة ثلث ادناها ان يقدر العبد كانه يقرأ على الله تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر
اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتضرع والابتهال الثانية ان يشهد بقلبه كانه
سبحانه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه وهو فى مقام الحياء والتعظيم لمن الله والاصغاء اليه
والفهم عنه الثالثة ان يرى فى الكلام المتكلم وفى الكلمات الصفات ولا ينظر الى قلبه ولا الى قراءته ولا الى
التعلق بالانعام من حيث هو منعم عليه بل يقصر الهم على المتكلم ويوقف فكره عليه ويستغرق فى مشاهدته
هذه درجة المقربين وعنها اخبر الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فقال لقد تجلى الله تعالى لخلقه فى كلامه ولكنهم

لايبصرون وقال ايضا وقد سالوه عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما افاق قيل له في ذلك
فقال ما زلت اردد هذه الاية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ففي مثل هذه الدرجة
تعظم الحلاوة وبهذا الترقي يكون العبد ممتثلا لقوله تع ففروا الى الله وبمشاهدة المتكلم دون ما عداه يكون
ممتثلا لقوله تع ولا تجعلوا مع الله الها اخر فان رؤية غير الله معه شرك خفي لا يخلص منه الا بروئيته وحده
التاسع التبري والمراد به ان يبرأ من حوله وقوته ولا يلتفت الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا ايات
الوعد ومدح الصالحين حذف نفسه عن درجة الاعتبار وشهد فيها الموقنين والصديقين ويتشوق الى
ان يلحقه الله بهم واذا تلا ايات المقت والذم للمقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا
قيل ليوسف بن اسباط اذا قرات القران بماذا تدعو قال بماذا ادعو استغفر الله عن تقصيري سبعين مرة ومن
راى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان ذلك سبب قربه فان من شهد البعد في القرب لطف له بالخوف
حتى يسوقه الى درجة اعلى في القرب ومن شهد القرب في البعد رده امنه الى درجة ادنى في البعد مما هو فيه
ومهما شاهد نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فاذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله
وحده في قراءته انكشف له الملكوت والمكاشفات تابعة لحال المكاشف فحيث يتلو ايات الرجاء يغلب
عليه الاستبشار وتنكشف لصورة الجنة فيشاهدها كانه يراها وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار
حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله وارد باللطف والسهولة والشدة والعسف والرجاء والخوف وذلك
بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانعام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب
القلب في احتلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد لنوع من المكاشفة مناسب لتلك الحالة اذ يستحيل
ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا اذ فيه كلام رضى وكلام غضب وكلام انعام وكلام انتقام وكلام
جبروت وتكبر وكلام حنة وتعطف فهذه هي وظايف التلاوة فلنرجع الى المتن فنقول **قوله** عليه السلام
وخلف فيكم ما خلفت الانبياء في اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قائم اشارة الى وضع ما يجب
وضعه في الحكمة الالهية على السنة الرسل عليهم السلام من العبادات الشرعية والقوانين الكلية التي بها
يبقى ذكر الله سبحانه محفوظا واستعمال لفظ العلم القائم هاهنا استعارة حسنة للاثار الباقية عن الانبياء
التي يهتدى بها والاوصياء الاولياء الذين يرجع اليهم الخلق **قوله** كتاب ربكم عطف بيان لما في قوله ما
خلفت الانبياء ولا ينبغي ان يفهم من ما شخص الكتاب حتى يكون ما اتى به محمد صلى الله عليه واله من الكتاب هو عين
ما اتت به الانبياء السابقون عليهم السلام وشخصه فان ذلك محال بل المراد بما نوع ما خلفت الانبياء في
اممها من الحق وما جاء به محمد عليه السلام شخص من اشخاص ذلك النوع وبيان ذلك ان القوانين الكلية التي اشتركت
في الاتيان بها جميع الانبياء عليهم السلام من التوحيد والتنزيه لله ثم احوال البعث والقيمة وساير القواعد
الكلية التي بها يكون نظام الكلي للعالم كتحريم الكذب والظلم والقتل والزنا وغير ذلك مما لم يخالف

فيه نبي نبيا بمنزلة ماهية واحدة كلية وجدت في اشخاص وكما يعرض لبعض اشخاص الماهية عوارض لا يكون
للشخص الاخر وبها يكون الاختلاف بين الاشخاص بحسب المواد التي نشات منها الصور الشخصية كذلك الكتب
المنزلة على السنة الانبياء عليهم السلام بمنزلة اشخاص اشتملت على ماهية واحدة وتختلف بحسب الزيادات
والعوارض على تلك الماهية بحسب اختلاف الامم والاوقات المشتملة على المصالح المختلفة باختلافها
قوله مبينا منصوب على الحال والعامل خلف وذو الحال الفاعل وهو ضمير النبي عليه السلام **قوله** حلاله وحرامه
وفضائله وفرائضه اشارة الى الاحكام الخمسة الشرعية التي يدور عليها علم الفقه وهي الوجوب والندب
والحظر والكراهة والاباحة وعبر بالحلال عن المباح والمكروه وبالحرام عن المحظور وبالفضائل عن المندوب
وبالفرائض عن الواجب وبالنسخ رفع الحكم الثابت بالنص المتقدم بحكم اخر مثله فالناسخ هو الحكم الرافع
كقوله اقتلوا المشركين والمنسوخ هو الحكم المرفوع كقوله لا اكراه في الدين وبالرخص عما اذن في فعله مع قيام
السبب المحرم له لضرورة او غيرها كقوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم وبالعزائم عما كان من الاحكام الشرعي
جاريا على وفق سببه الشرعي كقوله فاعلم انه لا اله الا الله وبالعام هاهنا عن اللفظ والمستغرق لجميع ما يصلح
له بحسب وضع واحد كقوله والله بكل شيء عليم وكقوله ولله على الناس حج البيت وبالخاص عما لم يتناول الجميع
بالنسبة الى ما يتناوله كقوله من استطاع اليه سبيلا والخاص المطلق هو ما يمنع تصوره مفهومه من وقوع الشركة
فيه كما عرفته والعبر جمع عبرة وهي الاعتبار واشتقاقها من العبور وهو انتقال الجسم من موضع الى اخر ولما كان
الذهن ينتقل من الشيء الى غيره حسن اطلاق العبرة عليه واكثر ما يخص اطلاق العبرة بانتقال ذهن الانسان من
المصائب الواقعة بالغير او الامور المكروهة له الى نفسه فيقدرها كانها نازلة به فيحصل له بسبب ذلك اثر عازف
عن الدنيا واشتغال ذهن الى ما وراءه من المعاد والرجوع الى بارئه فيسمى ذلك عبرة وكذلك من المصائب
اللاحقة له في نفسه المذكرة له بعقاب الاخرة والملتفتة له بتكرارها عن دار البلوى والمحن فينتقل ذهنه بسببها
الى ان الدنيا دار البوار وان الاخرة هي دار القرار وذلك كقصة اصحاب الفيل وكقوله فقال انا ربكم الاعلى
فاخذه الله نكال الاخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقوله تع وفي انفسكم افلا تبصرون وان كان
قد يستعمل العبرة في كل ما يفيد اعتبارا من طرف الاحسان ايضا كقوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم
مما في بطونها الاية وكقوله تع فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راى العين والله يؤيد
بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار فجعل سبحانه نصر المؤمنين على قلتهم وخذلان المشركين على كثرتهم
ومشاهدة المسلمين لكونهم مثليهم محلا للعبرة اذ يحصل بذلك اشتغال الذهن من نعم الله الى انه الاله المطلق المستحق
للعبادة المتفرد بالقدرة على ما يشاء اهل الرحمة والجود وافاضة تمام الوجود واما الامثال فظاهرة كقوله
ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء الاية وكقوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ونحوه واراد بالمرسل
الالفاظ المطلقة والمهملة وهي الالفاظ التي لا يمنع نفس مفهومها من وقوع الشركة فيها لكنها لم يتبين فيها

كمية الحكم ومقداره ولم يقيد بقيد يفيد العموم ولا الخصوص وهي محتملة لهما كاسماء الجموع في النكرات كقوله
تعالى وعلى الاعراف رجال وكالمفرد والمعرف بالالف واللام او المنكر كقوله والعصر ان الانسان لفي خسر
وكقوله ان جاءكم فاسق وقوله فتحرير رقبة فان كل هذه الالفاظ يراد بها الطبيعة دون الكل والبعض الا
بدليل منفصل والفرق بينها وبين العام ان لكل شيء ماهية هو بها ما هو وهي مغايرة لكل ما عداها فان مفهوم
الانسان مثلا ليس الا انه انسان فاما انه واحد او كثير فليس احدهما مفهوم اخر مغاير لماهيته اذا عرفت
ذلك فاللفظ الدال على الحقيقة من حيث هي من غير دلالة على شيء اخر معها هو اللفظ المطلق والمهمل و
الدال معها على قيد العموم بحيث يتهم منه تعدد الماهية وتكثرها في جميع مواردها هو اللفظ العام او في
بعض مواردها وهو الخاص وان كان العموم والخصوص للذات للمعاني واراد بالمحدود المقيد كقوله تعالى
في الكفارة في موضع اخر فتحرير رقبة مؤمنة واما المحكم والمتشابه والمجمل والمبين فقد سبق بيانها في المقدمة
مثال المحكم قوله تع قل هو الله احد مثال المتشابه قوله الرحمن على العرش استوى مثال المجمل قوله تع الا ما
يتلى عليكم وقوله واحل لكم ما وراء ذلكم مثال المبين قوله بعد ذلك ان تبتغوا باموالكم الاية والتفسير هو
التبيين والغوامض دقائق المسائل وانما اضاف هذه المعاني كلها الى الكتاب لاشتماله عليها وكونه مبينا
لها ولما كانت محتاجة الى البيان كان الرسول صلى الله عليه واله هو المبين لها بسنته الكريمة **قوله** بين ماخوذ
ميثاق علمه وموسع على العباد في جهله اخر الضماير يعود الى الاحكام المذكورة المشتمل عليها الكتاب العزيز
وذكر منها انواعا احدها ما يجب تعلمه وغير موسع للخلق في جهله كوجدانية الصانع وامر المعاد والعبادات
الخمس وشرايطها وثانيها ما لا يتعين على كافة الخلق العلم به بل يعذر بعضهم في الجهل به ويوسع لهم في تركه
كالايات المتشابهات وكاوائل السور كقوله تعالى كهيعص وحمعسق ونحوهما وثالثها ما هو مثبت في الكتاب
فرضه معلوم في السنة نسخه وذلك كقوله تع واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة
منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفيهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا وقوله واللذان ياتيانها
منكم فاذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فكانت الثيب اذا زنت في بدء الاسلام تمسك في البيت الى
الممات والبكر تؤذى بالكلام ونحوه بمقتضى هاتين الايتين ثم نسخ ذلك في حق الثيب بالرجم وفي حق البكر
بالجلد والتغريب بحكم السنة ورابعها ما هو بعكس ذلك اي ثبت في السنة اخذه مأذون في الكتاب تركه وذلك
كالتوجه الى بيت المقدس في ابتداء الاسلام فانه كان ثابتا في السنة ثم نسخ بقوله فلنولينك قبلة ترضيها
فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وكثبوت صلوة الخوف في القران حال
القتال الرافع لجواز تاخيرها في السنة الى انجلاء القتال وخامسها ما يجب لوقته ويزول في مستقبله كالحج
الواجب في العمر مرة وكالنذور المقيدة بوقت معين وامثالها فان وجوبها تابع لوقتها المعين ولا يتكرر
بتكررها مثاله **قوله** ومباين بين محارمه عطف على المجرورات السابقة والباء متوسطة وفي معنى الكلام

وتقدير لطف فان المحارم لما كانت هي محال الحكم المسمى بالحرمة صار المعنى وبين حكم مباين بين محاله هو الحرمة
وقوله من كبير اوعد عليه نيرانه او صغير ارصد له غفرانه بيان لتلك المحال واشارة الى قسميها باعتبار الشدة والضعف
في كونهما مبعدة عن رحمة الله تع على سبيل الجملة فالاول كالقتل في قوله تع ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم
خالدا الاية وكذلك ساير الكباير من الظلم والزنا وغيرهما والثاني كالنظر الى الاجنبية وكالتطفيف بالحبة وسرقة
باقة من بصل ونحو ذلك والرصد الاعداد والغفران بازاء الصغاير وامثالها في الكتاب العزيز كقوله تعالى وان ربك
لذو مغفرة للناس على ظلمهم وساير ايات الوعد بالمغفرة فانها ان كانت عامة في كل الذنوب فالصغاير داخلة
بطريق الاولى والا كانت محمولة على الصغاير وسر لحوقها بالغفران انها لا تكاد تكتب للنفس ملكة الاقدام
والجور الا عن بعد بعيد وتكرار طويل بخلاف الكباير فان الاقدام عليها في غالب الاحوال لا يقع الا عن نفس
مستعدة للشر بعيدة عن رحمة الله وبالله العصمة والتوفيق **الفصل الخامس** منها **قوله** وفرض عليكم حج بيته الحرام الذي
جعله قبلة للانام يردونه ورود الانعام ويالهون اليه ولوه الحمام جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته و
اذعانهم لعزته واختار من خلقه سماعا اجابوا اليه دعوته وصدقوا كلمته ووقفوا مواقف انبيائه وتشبهوا
بملئكته المطيفين بعرشه يحرزون الارباح في متجر عبادته ويتبادرون عنده موعد مغفرته جعله سبحانه
للاسلام علما وللعائذين حرما فرض حجه واوجب حقه وكتب عليكم وفادته فقال سبحانه ولله على الناس حج
البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين **اقول** يالهون اليه اي يشتد وجدهم وشوقهم
اليه واصل الهمزة هاهنا الواو من وله يوله اذا تحير من شدة الوجد والسماع جمع سامع كسامر وسمار والمبادرة
المسارعة والوفادة القدوم للاسترفاد والاستماع واعلم انا لما بينا وجوب العبادات واشرنا الى وجه حكمة
فيها فبالحري ان نشير الى وجه الحكمة في خصوص الحج من جملتها ونوخر تفصيل باقيها الى مواضعها ان شاء الله فاما
الحج فانك لما عرفت ان الغرض الاول من العبادات هو جذب الخلق الى جناب الحق بالتذكير له ودوام اخطاره
بالبال التجلي لك الاسرار على طول التذكار ونحن في ذلك من جنبة العناية بين الى مقام المخلصين فمن جملة
اسرار الله سبحانه المنزلة عن لسان رسوله تعيين موضع من البلاد انه اصلح المواضع لعبادة الله واشخاص له
ولابد ان تبتني مثل هذه الاوضاع على اشارات ورموز الى مقاصد حقيقية يتنبه لها من اخذ التوفيق بزمام
عقله اليها ولابد من تعيين افعال تفعل في ذلك المكان وانها انما تفعل في ذات الله سبحانه وانه الواضع
المعينة في هذا الباب ما كان ماوى الشارع ومسكنه فان ذلك مستلزم لذكره وذكره مستلزم لذكر الله
سبحانه وذكر ملئكته واليوم الاخر ولما لم يكن في الماوى الواحد ان يكون مشاهدا الكل احد من الامة فلا
اقل ان يفرض اليه مهاجرة وسفر وان كان فيه نوع مشقة وكلفة من تعب الاسفار وانفاق المال ومفارقة
الاهل والولد والوطن والبلد ونحن نذكر فضيلته من جهة السمع ثم نشير الى ما ينبغي ان يوظف فيه من الاداب
الدقيقة والاعمال الباطنة عند كل حركة وركن من اركان الحج مما يجري من تلك الاركان مجرى الارواح

للابدان فاذن هاهنا ابحاث البحث الاول فى الفضيلة فمن وجوه الاول قوله تعالى واذن فى الناس بالحج يأتوك
رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق قال قتادة لما امر الله عز وجل خليله ابراهيم عليه السلام ان يؤذن فى الناس
نادى يا ايها الناس ان لله بيتا فحجوه وقال تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة فى المواسم والاجر فى الآخرة ولما
سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة ب قال عليه السلام من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه
كيوم ولدته امه وقد عرفت كيفية نفع العبادات فى الخلاص من الذنوب ج قال صلى الله عليه وآله ما رأى الشيطان
فى يوم هو اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله
عن الذنوب العظام اذ يقال من الذنوب ما لا يكفرها الا الوقوف بعرفة اسنده الصادق عليه السلام الى رسول الله
صلى الله عليه وآله وكان سر ذلك ما يحصل من رحمة الله وفيضانها على اسرار العباد التى قد وصفت لشدة الاجتماع
الحاصل من ذلك الموقف العظيم الذى يجتمع فيه العالم اشد اجتماع فان الاجتماع سبب عظيم فى الانفعال و
الخشية لله وقبول انواره كما سنبينه ان شاء الله د قال صلى الله عليه وآله حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها
وحجة مبرورة ليس لها اجر الا الجنة ه قال صلى الله عليه وآله الحجاج والعمار وفد الله وزواره ان سألوه اعطاهم
واذا استغفروه غفر لهم وان دعوا استجيب لهم وان شفعوا اليه شفعهم و روى عنه صلى الله عليه وآله من طرق
اهل البيت عليهم السلام اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة وظن ان الله تعالى لم يغفر له و فى فضل جزئيات الحج
اخبار كثيرة تطلب من مظانها البحث الثانى فى الآداب الدقيقة وهى عشرة الاول ان تكون النفقة حلالا
ويخلو القلب عن تجارة تشغله سوى الله تعالى وفى الخبر من طرق اهل البيت اذا كان آخر الزمان خرج الناس
الى الحج على اربعة اصناف سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة وفى الخبر
اشارة الى جملة اغراض الدنيا التى يتصور ان تتصل بالحج فكل ذلك مانع لفضيلة الحج ومقصود الشارع منه
ب ان لا يساعد الصادين عن سبيل الله والمسجد الحرام بتسليم المكوس اليهم فان ذلك اعانة على الظلم وتسهيل
لاسبابه وجرأة على سائر السالكين الى الله وليجتهد فى الخلاص فان لم يقدر فالرجوع اولى من اعانة الظالمين
على البدعة وجعلها سنة ج التوسع فى الزاد وطيب النفس بالبذل والانفاق بالعدل دون البخل والتبذير
فان بذل الزاد فى طريق مكة انفاق فى سبيل الله قال صلى الله عليه وآله الحج المبرور ليس له اجر الا الجنة فقيل
يا رسول الله ما بر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام د ترك الرفث والفسوق والجدال كما قال الله تعالى
فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج والرفث كل لغو وفحش من الكلام ويدخل فى ذلك محادثة النساء بشأن
الجماع المحرم فانها تهيج داعيته وهى مقدمة لفعله ومن لطف الشارع اقامة مظنة الشئ حسما لمادته
والفسوق الخروج عن طاعة الله والجدال هو المماراة والخصومة الموجبة للضغائن والاحقاد وافتراق كلمة
الخلق وكل ذلك ضد مقصود الشارع من الحج ويشغل عن ذكر الله ه ان يحج ماشيا مع القدرة ونشاط النفس
فان ذلك افضل وادخل للنفس فى الاذعان لعبودية الله تعالى وقال بعض العلماء الركوب افضل لما فيه من مؤنة

الانفاق

الانفاق ولانه ابعد من الملال واقل للاذى واقرب الى السلامة واداء الحج وهذا فى التحقيق غير مخالف لما
قلناه والحق التفصيل فيقال من سهل عليه المشى فهو افضل فان اضعفه وادى الى سوء خلق وقصور عن العمل
فالركوب افضل لان المقصود توفر القوى على ذكر الله تعالى وعدم المشغلات عنه و ان يركب الزاملة دون
المحمل لاشتماله على زى المترفين والمتكبرين ولانه اخف على البعير اللهم الا لعذر حج رسول الله صلى الله
عليه وآله على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس
الى هيئته وشمائله وقال خذوا عنى مناسككم ز ان يخرج رث الهيئة اقرب الى الشعث غير مستكثر من الزينة
واسباب التفاخر فيخرج بذلك عن حزب المساكين وشعار الصالحين روى عنه صلى الله عليه وآله انه قال انما
الحاج الشعث التفث يقول الله تعالى للملائكة انظروا الى زوار بيتى قد جاؤنى شعثا غبرا من كل فج عميق وقال
تعالى ثم ليقضوا تفثهم والتفث الشعث والاغبرار وقضاؤه بالحلق وتقليم الاظفار ح ان يرفق بالدابة ولا
يحملها ما لا تطيق كان اهل الورع لا ينامون على الدابة الا غفوة من قعود قال صلى الله عليه وآله لا تتخذوا
ظهورها لكم كراسى ويستحب ان ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وسر ذلك مراعاة
الرفق والرحمة والتخلى عن القسوة والظلم ولانه يخرج بالعسف عن قانون العدل لعموم مراعاة عناية الله و
شمولها فانها كما لحقت الانسان لحقت سائر الحيوان ط ان يتقرب باراقة دم ويجتهد ان يكون ثمينا سمينا
روى ان عمر اهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله ان يبيعها ويشترى
بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وذلك لان المقصود ليس تكثير اللحم وانما المقصود تزكية النفس
وتطهيرها عن رذيلة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم
قال صلى الله عليه وآله ما من عمل آدمى يوم النحر احب الى الله عز وجل من اهراق دم وانها لتأتى يوم القيمة بقرونها
واظلافها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع الارض فطيبوا بها نفسا ى ان يكون طيب النفس بما
انفقه من هدى وغيره وبما اصابه من خسران ومصيبة مال ان اصابه ذلك فانه بذلك يكون مكتفيا الى الله
سبحانه عن كل ما انفقه متعوضا عنه ما عند الله وذلك علامة القبول للحج البحث الثالث فى الوظائف القلبية عند
كل عمل من اعمال الحج اعلم ان اول الحج فهم موقع الحج فى الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة
عنه ثم تهيئة اسباب الوصول اليه من الزاد والراحلة ثم السير ثم الاحرام من الميقات ثم وصول مكة ثم استتمام
الافعال المشهورة وفى كل حال من هذه الحالات تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق واشارة
للفطن الحاذق الى اسرار يقف عليها بصفاء قلبه وطهارة باطنه ان ساعده التوفيق اما الفهم فاعلم انه لا وصول
الى الله الا بالتنزه عما عداه عن القصد من الشهوات البدنية واللذات الدنيوية والتجريد فى جميع الحالات و
الاقتصار على الضرورات ولهذا انفرد الرهبان فى الاعصار السالفة عن الخلق فى قلل الجبال توحشا من
الخلق وطلبا للانس بالخالق واعرضوا عن جميع ما سواه ولذلك مدحهم بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا

وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل الخلق على اتباع الشهوات والاقبال على الدنيا والالتفات
عن الله بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وآله لاحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين فى سلوكها فسأله اهل
الملل عن الرهبانية والسياحة فى دينه فقال ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعنى الحج وسئل عن السائحين
فقال هم الصائمون فجعل سبحانه الحج رهبانية لهذه الامة فشرف البيت العتيق باضافته الى نفسه ونصبه مقصدا
لعباده وجعل ما حوله حرما لبيته تفخيما للامر وتعظيما للشأن وجعل عرفات كالميدان على باب حرمه واكد حرمة
الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق شعثا غبرا متواضعين
لرب البيت مستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن ان يحويه مكان ليكون
ذلك ابلغ فى رقهم وعبوديتهم ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا تأنس بها النفوس ولا يهتدى الى معانيها
العقول كرمى الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال
الرق والعبودية بخلاف سائر العبادات كالزكوة التى هى ارفاق فى وجه معلوم وللعقل اليه ميل والصوم
الذى هو كسر للشهوة التى هى عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل وكالركوع والسجود فى الصلوة
الذى هو تواضع لله سبحانه بافعال على هيئة التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله تعالى واما امثال هذه الاعمال
فانه لا اهتداء للعقل الى اسرارها فلا يكون للاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وقصد امتثاله من حيث هو واجب
الاتباع فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه المعين على الفعل فان كل ما
ادرك العقل وجه الحكمة فى فعله مال الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للامر وباعثا على الفعل
فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال صلى الله عليه وآله فى الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا
ورقا ولم يقل ذلك فى الصلوة وغيرها واذا اقتضت حكمة الله سبحانه ربط نجاة الخلق بكون اعمالهم على خلاف
اهوية طباعهم وان يكون ازمتها بيد الشارع فيترددون فى اعمالهم على سنن الانقياد ومقتضى الاستعباد كان
ما لا يهتدى الى معانيه ابلغ انواع التعبدات فى تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطبع الى مقتضى الاسترقاق
ولهذا كان مصدر تعجب النفوس من الافعال العجيبة هو الذهول عن اسرار التعبدات واما الشوق فانما ينبعث بعد
الفهم ان البيت بيت الله وانه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد لله تعالى ومن قصد حضرة الله بالمثال
المحسوس فجدير ان يتوق منه بحسب شوقه شوقا الى الحضرة العلوية والكعبة الحقيقية التى هى فى السماء وقد
بنى هذا البيت على قصدها فيشاهد وجه ربه الاعلى بحكم وعده الكريم واما العزم فليستحضر عنده انه
بعزمه مفارق للاهل والولد هاجر للذات والشهوات مهاجرا الى ربه متوجها الى زيارة بيته وليعظم قدر
البيت لقدر رب البيت وليخلص عزمه لله ويبعده عن شوائب الرياء والسمعة فان ذلك شرك خفى وليتحقق
انه لا يقبل من عمله وقصده الا الخالص وان من افحش الفضائح ان يقصد بيت الملك وحرمه مع اطلاع ذلك الملك
على خائنة الاعين وما تخفى الصدور ويكون قصده غيره فان ذلك استبدال الذى هو ادنى بالذى هو خير

قطع العلائق فليحذف جميع الخواطر عن قلبه غير قصد عبادة الله والتوبة الخالصة له عن الظلم وانواع المعاصى فكل
مظلمة علاقة وكل علاقة فخصم حاضر متعلق به ينادى عليه ويقول اتقصد بيت الملوك وهو مطلع على تضييع
امره لك فى منزلك هذا وتستهين به ولا تلتفت الى نواهيه وزواجره ولا تستحيى ان تقدم عليه قدوم العبد
العاصى فيغلق دونك ابواب رحمته ويلقيك فى مهاوى نقمته فان كنت راغبا فى قبول زيارتك فاخرج اليه
من جميع معاصيك واقطع علاقة قلبك عن الالتفات الى ما وراءك لتتوجه اليه بوجه قلبك كما انت متوجه
الى بيته بوجه ظاهرك وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فان كل هذه امثلة
قريبة يترقى منها الى اسرارها واما الزاد فليطلبه من موضع حلال فاذا احس من نفسه بالحرص على استكثاره
وطيبه وطلب ما يبقى منه على طول سفره ولا يتغير قبل بلوغ المقصد فليذكر ان سفر الآخرة اطول من هذا السفر
وان زاده التقوى وان ما عداه لا يصلح زادا ولا يبقى معه الا ريثما هو فى هذا المنزل وليحذر ان تفسد اعماله
التى هى زاده الى الآخرة بشوائب الرياء وكدورات التقصير فيدخل فى قوله تعالى هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين
ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وكذلك فليلاحظ عند ركوب دابته تسخير الحيوان
له وحمله عنه الاذى وليتذكر منته تعالى بقبول عنائه ورأفته حيث يقول وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا
بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم فيشكره سبحانه على جزيل هذه النعمة وعظيم هذه المنة ويستحضر
نقله من مركبه الى منازل الآخرة الذى لا شك فيه ولعله اقرب من ركوبه الحاضر فيحتاط فى امره وليعلم ان
هذه امثلة محسوسة يترقى منها الى مراكب النجاة من الشقوة الكبرى وهى عذاب الله سبحانه واما ثوب
الاحرام وشراؤه ولبسه فليتذكر معه الكفن ودرجه فيه ولعله اقرب اليه وليتذكر منها التسربل بانوار الله
التى لا مخلص من عذابه الا بها فيجتهد فى تحصيلها بقدر امكانه واما الخروج من البلد فليستحضر اليه وليتذكر
عنده انه يفارق الاهل والولد متوجها الى الله سبحانه فى سفر غير اسفار الدنيا وليستحضر ايضا غايته من ذلك
السفر وانه متوجه الى ملك الملوك وجبار الجبابرة فى جملة الزائرين الذين نودوا فاجابوا وشوقوا فاشتاقوا
وقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق واقبلوا على بيت الله طلبا لرضا الله وطمعا فى النظر الى وجهه الكريم
وليحضر ايضا فى قلبه رجاء الوصول الى الملك والقبول له بسعة فضله وليعتقد انه ان مات دون الوصول
الى البيت لقى الله وافدا عليه لقوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع
اجره على الله ثم ليتذكر فى اثناء طريقه من مشاهدة عقبات الطريق عقبات طريق الآخرة ومن السباع و
الحيات حشرات القبر ومن وحشة البرارى وحشة القبر وانفراده عن الانس فان كل هذه الامور جاذبة
الى الله سبحانه ومذكرة لامر معاده واما الاحرام والتلبية من الميقات فليستحضر انه اجابة نداء الله
تعالى وليكن فى قبول اجابته بين خوف ورجاء مفوضا امره الى الله تعالى متوكلا على فضله قال سفيان بن عيينة
حج زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام فلما احرم واستوت به راحلته اصفر لونه ووقعت عليه الرعدة

ولم يستطع ان يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال اخشى ان يقول لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه وسقط
عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه فانظر رحمك الله الى هذه النفس الطاهرة حيث بلغ بها الانقياد
لافاضة انوار الله لم تزل الغواشي الالهية والنفحات الربانية تغشاها فتغيب عن كل شيء سوى جلال
الله وعظمته وليتذكر عند اجابته نداء الله سبحانه نداء آخر يا النفخ في الصور وحشر الخلق من القبور و
ازدحامهم في عرصات القيمة مجيبين لنداء منقسمين الى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين و
مرددين في اول الامر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون ايتيسر لهم اتمام الحج
اما دخول مكة فليستحضر عنده انه قد انتهى الى حرم الله الامن وليرج عنده ان يامن بدخوله من عقاب الله
وليخش ان لا يكون من اهل القرب وليكن رجاؤه اغلب فان الكرم عميم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي
وذمام اللائذ المستجير غير مضيع خصوصا عند اكرم الاكرمين وارحم الراحمين وليستحضر ان هذا الحرم مثال
للحرم الحقيقي ليترقى من الشوق الى دخول هذا الحرم والامن بدخوله من العقاب الى الشوق الى دخول ذلك
الحرم والمقام الامين واذا وقع بصره على البيت فليستحضر عظمته في قلبه وليترقى بفكره الى مشاهدة حضرة
رب البيت في جوار الملائكة المقربين وليتشوق ان يرزقه النظر الى وجهه الكريم كما رزقه الوصول الى بيته
العظيم وليكثر من الذكر والشكر على تبليغ الله اياه هذه المرتبة وبالجملة فلا يغفل عن تذكر احوال الآخرة
في كل ما يراه فان كل احوال الحج ومنازله دليل يترقى منها الى مشاهدة احوال الآخرة واما الطواف بالبيت فليستحضر
في قلبه التعظيم والخوف والخشية والمحبة وليعلم انه بذلك متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش
الطائفين حوله ولا يظنن ان المقصود طواف جسمك بالبيت بل طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدئ
بالذكر الا منه ولا تختم الا به كما تبتدئ بالبيت وتختم به واعلم ان الطواف المطلوب هو طواف القلب بحضرة
الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم الشهادة لتلك الحضرة التي هي عالم الغيب كما ان الانسان الظاهر
مثال ظاهر في عالم الشهادة للانسان الباطن الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم الملك
والشهادة مرقاة ومدرج الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له باب الرحمة واخذت العناية الالهية بيده
لسلوك الصراط المستقيم والى هذه الموازنة وقعت الاشارة الالهية بان البيت المعمور في السماء بازاء الكعبة
وان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا
بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بان من تشبه بقوم فهو منهم ثم كثيرا ما يزداد ذلك التشبه الى ان يصير
في قوة المشبه به والذي يبلغ تلك المرتبة فهو الذي يقال ان الكعبة تزوره وتطوف به على ما رواه بعض
المكاشفين لبعض اولياء الله واما الاستلام فليستحضر عنده انه مبايع لله على طاعته مصمم عزيمته على الوفاء
ببيعته ومن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما ولذلك قال رسول
الله صلى الله عليه وآله الحجر الاسود يمين الله في الارض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل اخاه ولما قبله عمر

قال اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبلك لما قبلتك فقال
له علي عليه السلام مه يا عمر بل يضر وينفع فان الله سبحانه لما اخذ الميثاق على بني آدم حيث يقول واذ اخذ
ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الاية القمه هذا الحجر ليكون شاهدا عليهم باداء
اماناتهم وذلك معنى قول الانسان عند استلامه امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي عند ربك بالموافاة
واما التعلق باستار الكعبة والالتصاق بالملتزم فليستحضر فيه طلب القرب حبا لله وشوقا الى لقائه تبركا
بالمماسة ورجاء التحصن من النار في كل جزء من البيت ولتكن النية في التعلق بالستر الالحاح في طلب الرحمة
وتوجيه الذهن الى الواحد الحق وسؤال الامان من عذابه كالمذنب المتعلق باذيال من عصاه المتضرع اليه في عفوه
عنه المعترف له بانه لا ملجا له منه الا اليه ولا مفزع له الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل
الطاعة في المستقبل واما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فمثال لتردد العبد بفناء دار الملك جائيا
وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج
وهو لا يدري ما الذي يقضي الملك في حقه من قبول او رد فيكون تردده رجاء ان يرحم في الثانية ان لم يكن
رحم في الاولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصة القيمة وليمثل الصفا
بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين ملاحظا للرجحان والنقصان مترددا
بين العذاب والغفران واما الوقوف بعرفة فليتذكر بما يرى من ازدحام الناس وارتفاع الاصوات و
اختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيرا بسيرهم عرصات
القيمة واجتماع الامم مع الانبياء والائمة واقتفاء كل امة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك
الصعيد الواحد بين الرد والقبول واذا تذكر ذلك فليلزم قلبه الضراعة والابتهال الى الله ان يحشره في
زمرة الفائزين المرحومين وليكن رجاؤه اغلب فان الموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال
الى كافة الخلائق بواسطة النفوس الكاملة من اوتاد الارض ولا يخلو الموقف عن طائفة من الابدال
والاوتاد وطوائف من الصالحين وارباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة نفوسهم وارتفعت
الى الله ايديهم وامتدت اليه اعناقهم يرمقون بابصارهم جهة الرحمة طالبين لها فلا تظنن انه يخيبهم
من رحمة تغمرهم ويلوح لك ان اجتماع الامم بعرفات والاستظهار بمجاورة الابدال والاوتاد المجتمعين
من اقطار البلاد هو السر الاعظم من الحج ومقاصده فلا طريق الى استنزال رحمة الله واستدرارها اعظم
من اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد واما رمي الجمار فليقصد به الانقياد لامر الله واظهار
الرق والعبودية ثم ليقصد به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس في ذلك الموضع ليدخل على
حجه شبهة او يفتنه بمعصية فامره الله ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله فان خطر له ان الشيطان
عرض لابراهيم ولم يعرض له فليعلم ان هذا الخاطر من الشيطان وهو الذي القاه على قلبه ليخيل اليه انه

لا فائدة في الرمي وانه يشبه اللعب وليطرده عن نفسه بالجد والتشمير في الرمي فيه يرغم انف الشيطان فانه
وان كان في الظاهر رميا بالعقبة بالحصى فهو في الحقيقة رمي لوجه ابليس وقصم لظهره اذ لا يحصل ارغام
انفه الا بامتثال امر الله تعظيما لمجرد الامر واما ذبح الهدي فليعلم انه يتقرب الى الله تعالى بحكم الامتثال فليكمل
الهدي واجزاءه وليرج ان يعتق الله بكل جزء منه جزءا من النار هكذا ورد الوعد فكلما كان الهدي اكثر واوفر
كان الفداء به من النار اتم واعم وهو يشبه التقرب الى الملك بالذبح له واطعام الضيافة والغرض الغائي
منه تذكر المعبود الاول سبحانه عند النية في الذبح واعتقاد انه متقرب به وباجزائه الى الله فهذه هي الاشارة
الى اسرار الحج واعماله الباطنة اذا عرفت ذلك فلنرجع الى المتن قوله وفرض عليكم حج بيته الحرام اشارة
الى وجوب الحج على الخلق وهو معلوم بالضرورة من الدين ووصفه بالحرام لانه يحرم على الخلق ان يفعلوا
فيه ما لا ينبغي من مناهي الشرع قوله الذي جعله قبلة للانام مستنده قوله تعالى فلنولينك قبلة ترضاها
فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره قوله يردونه ورود الانعام فالغرض
تشبيه ورود الخلق البيت بورود الانعام ووجه التشبيه ان الخلق يردون البيت بازدحام عن حرص و
شوق اليه كحال الانعام عند ورودها الماء وقيل ان وجه الشبه هو ما بيناه من عدم اطلاع الخلق على
اسرار الحج وعلى ما يشتمل عليه المناسك من الحكمة الالهية ولما كان العقل الذي به تميز الانسان عن الانعام
وسائر الحيوان معزولا عن ادراك هذه الاسرار كاد ان لا يكون بين الانسان وبين مركوبه فرق في الورود
الى البيت وسائر المناسك وفيه بعد قوله ويالهون اليه ولوه الحمام اشارة الى شوق الخلق كل عام الى
ورود البيت كما يشتاق اليه الحمام الذي يسكنه وقد راعى عليه السلام في هذه القرائن الاربع التسجيع قوله
جعله علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم لعزته اشارة الى ما ذكرناه من ان العقل لما لم يكن ليهتدي الى
اسرار هذه الاعمال لم يكن الباعث عليها الا الامر المجرد وقصد امتثاله من حيث هو واجب الاتباع فقط
وفيه كمال الرق وخلوص الانقياد لله فمن فعل ما امر به من اعمال الحج كذلك فهو المخلص الذي ظهرت عليه
علامة المخلصين والمذعن المتواضع لجلال رب العالمين ولما كان الحق سبحانه عالم الغيب والشهادة لم يكن
ان يقال ان تلك العلامة مما يستفيد بها علما باحوال عبيده من طاعتهم ومعصيتهم فاذن يتعين ان
يكون معناها راجعا الى ما به تميز النفوس الكاملة التي انقادت لاوامر الله واخلصت له العبادة مما عداها
فان هذه العبادة من اشرف ما استعدت به النفس الانسانية وافادتها كما عرفت به عن ابناء نوعها
فهي اذن علامة بها يتميز من اتسم بها عن غيره قوله واختار من خلقه سماعا اجابوا اليه دعوته اشارة
الى الحاج في قوله تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق وفي الاخبار
ان ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء البيت جاءه جبرئيل عليه السلام فامره ان يؤذن في الناس بالحج فقال
ابراهيم يا رب وما يبلغ صوتي قال الله اذن وعلي البلاغ فعلا ابراهيم المقام واشرف به حتى صار كاطول

الجبال واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا ونادى يا ايها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فاجيبوا
ربكم فاجابه من كان في اصلاب الرجال وارحام النساء لبيك اللهم لبيك وفي الاثر اشارات لطيفة فانه
يحتمل ان يراد بقول ابراهيم وما يبلغ صوتي الاشارة الى حكم الوهم الانساني باستبعاد عموم هذه الدعوة وانقياد
الخلق لها وقصور الطبع عن ذلك وبقول الحق سبحانه وعلي البلاغ الاشارة الى تاييد الله سبحانه له بما
اوحى اليه من العلم ببسط دعوته وابلاغها الى من علم بلوغها اليه وبعلو ابراهيم المقام حتى صار كاطول الجبال
واقباله بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا ودعوته اشارة الى اجتهاده في التبليغ للدعوة وجذب الخلق الى
هذه العبادة بحسب امكانه واستعانته في ذلك باولياء الله التابعين له واما اجابة من كان في اصلاب
الرجال وارحام النساء له فاشارة الى ما كتبه الله سبحانه بقلم قضائه في اللوح المحفوظ من طاعة الخلق و
اجابتهم لهذه الدعوة على لسان ابراهيم عليه السلام ومن بعده من الانبياء وهم المراد بالسماع الذين اختارهم
الله سبحانه من خلقه حتى اجابوا دعوته الى حيث يحجهم اليه بعدما اهلهم لذلك قرنا بعد قرن وامة بعد اخرى
قوله وصدقوا كلمته اشارة الى مطابقة افعالهم لما جاءت به الانبياء من كلام الله سبحانه وعدم مخالفتهم
وتكذيبهم لهم قوله ووقفوا مواقف انبيائه اشارة الى متابعتهم لهم ايضا في مواقف الحج وفي ذكر الانبياء
ههنا استدراج حسن للطباع اللطيفة المشتاقة الى لقاء الله والتشبه بانبيائه عليهم السلام وملائكته
قوله وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه اشارة الى ما ذكرناه من ان البيت المعمور بازاء الكعبة في السماء
فان طواف الخلق بهذا البيت يشبه طواف الملائكة واحداقهم بالبيت المعمور والعرش فهم متشبهون بالملائكة
في الطواف والغاية ان يترقى من اخذت العناية بيده من هذا الطواف الى ان يصير من الطائفين حول العرش
والبيت المعمور قوله يحرزون الارباح في متجر عبادته ويتبادرون عنده موعد مغفرته شبه عليه السلام
العبادة بالبضاعة التي يتجر بها فالتاجر هو النفس وراس المال هو العقل ووجوه تصرفاته حركاته وسكناته
الحسية والعقلية المطلوبة بالاوامر الشرعية والعقلية والارباح هي ثواب الله وما اعده للمحسنين
في جنات النعيم واقبح بمملوك يغض بصره في خدمة سيده متجرا بالتكسب والربح واحسن به اذا نظر الى
ان اهل العبادة تجذب جميع الاغراض والخواطر بخدمته عن درجة الاعتبار وجعلها خالصة له لانه
هو فاما كلامه عليه السلام بذكر الربح ههنا فاستدراج حسن لطباع الخلق بما يفهمونه ويميلون اليه
من جلب الارباح في الحركات ليشتاقوا فيعبدوا قوله وجعله للاسلام علما اي علما للطريق الى الله و
سلوك صراطه المستقيم وهي الاسلام الحقيقي يهتدى بها كما يهتدى بالعلم المرفوع للعسكر والمارة
على مقاصدهم قوله وفرض عليكم حجه واوجب عليكم وفادته الى آخره تاكيد لما سبق وذكر للخطاب الموجب
للحج وهو قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وبالله العصمة والتوفيق ومن خطبة له
عليه السلام بعد انصرافه من صفين احمده استتماما لنعمته واستسلاما لعزته واستعصاما من معصيته واستعينه

فاقة الى كفايته انه لا يضل من هداه ولا يئل من عاداه ولا يفتقر من كفاه فانه ارجح ما وزن وافضل ما خزن
واشهد ان لا اله الا الله شهادة ممتحنا اخلاصها معتقدا مصاصها نتمسك بها ابدا ما ابقانا وندخرها لاهاويل
ما يلقانا فانها عزيمة الايمان وفاتحة الاحسان ومرضاة الرحمن ومدحرة الشيطان واشهد ان محمدا عبده
ورسوله ارسله بالدين المشهور والعلم المأثور والكتاب المسطور والنور الساطع والضياء اللامع والامر
الصادع ازاحة للشبهات واحتجاجا بالبينات وتحذيرا بالايات وتخويفا بالمثلات والناس في فتن انجذم
فيها حبل الدين وتزعزعت سواري اليقين واختلف النجر وتشتت الامر وضاق المخرج وعمي المصدر فالهدى
خامل والعمى شامل عصي الرحمن ونصر الشيطان وخذل الايمان فانهارت دعائمه وتنكرت معالمه ودرست
سبله وعفت شركه اطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه ووردوا مناهله بهم سارت اعلامه وقام لواؤه
في فتن داستهم باخفافها ووطئتهم باظلافها وقامت على سنابكها فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون
في خير دار وشر جيران نومهم سهود وكحلهم دموع بارض عالمها ملجم وجاهلها مكرم **قوله** صفين اسم
موضع بالشام والاستسلام الانقياد ووأل فلان يئل وألا ووؤولا على فعول اذا لجأ فنجا ومنه الموئل
الملجأ والفاقة الفقر ولا مثل لها ومصاص كل شيء خالصه والذخيرة الخبيئة والاهاويل الامور المخوفة التي
يعظم اعتبار النفس لها وعزيمة الايمان عقد القلب عليه والمدحرة محل الدحر وهو الطرد والابعاد والمأثور
المقدم على غيره والمأثور ايضا المنقول والمثلات جمع مثلة بفتح الميم وضم الثاء وهي العقوبة والفتن جمع
فتنة وهي كل امر صرف عن قصد الله واشتغل عنه عن بلاء ومحنة وهو مختبر والجذم القطع والزعزعة الاهتزاز
والاضطراب والسواري الاساطين والنجر الطبع والاصل والمعالم الآثار التي بها يعلم الشيء ويستدل
عليه والشرك جمع شركة بفتح الشين والراء وهي معظم الطريق ووسطها والخامل الساقط والمناهل المشارب
وانهارت انهدمت والسنابك اطراف مقدم الحوافر الواحد سنبك والسهود مصدر كالجمود مرادف السهاد
والارق واعلم ان المراد بالحمد هاهنا الشكر واستتماما وما بعدها من المنصوبات منصوبات على المفعول
له وقد جعل عليه السلام لحمده هاهنا غايتين الاولى منهما الاستتمام لنعمة الله وذلك لان العبد يستعد
بمزيد الشكر لمزيد النعمة وهو في ذلك ناظر الى قوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم لما يشتمل عليه الاية من البعث
على طلب المزيد والثانية الاستسلام لعزته فان العبد ايضا يستعد بكمال الشكر لمعرفة الشكور وهو الله سبحانه
وهي مستلزمة للانقياد لعزته والخضوع لعظمته وهو في ذلك ناظر الى قوله ولئن كفرتم ان عذابي لشديد لما
يشتمل عليه الاية من التخويف اللازم من مقابلة نعم الله بالكفر ثم لما كان الاستعداد لتمام النعم والتأهل
لكمال الخضوع والانقياد لعزة الله سبحانه انما يتم بعد ان تكون العناية الالهية آخذة بضبعي العبد وجاذبة
له عن ورطات المعاصي مبعدة له عن اسباب التورط فيها بكفاية المؤن والاسباب الداعية الى ارتكاب احد
طرفي الافراط والتفريط جعل عليه السلام الحمد غاية اخرى عن الوسيلة الى الغايتين المذكورتين وهي الاستعصام

بالله سبحانه من معصيته وعقب ذلك الشكر بطلب المعونة منه على تمام الاستعداد لما سأل وشكر لاجله وجعل
لتلك الاستعانة علة حاملة وهي الفاقة نحوها يرى كفايته دواعي التفريط والافراط بالجذبات الالهية
ولا شك ان الغايتين المذكورتين لا تتم بدون عصمته والمعونة بكفايته وذلك قوله واستعصاما من
معصيته واستعينه فاقة الى كفايته **قوله** انه لا يضل من هداه ولا يئل من عاداه ولا يفتقر من كفاه تعليل
لطلبه المعونة على تحصيل الكفاية فانه لما كان حصول الكفاية مانعا من دواعي طرفي التفريط والافراط
كان العبد مستقيم الحركات على سواء الصراط وذلك هدى الله يهدي به من يشاء فكانه قال واستعينه على
ان يرزقني الكفاية المستلزمة للهداية التي هي الغنى الحقيقي والملك الابدي فانه لا يضل من هداه ولا ينجو
من عذابه من عاداه واعرض عن شكره والاستعانة وقد اطلق عليه السلام هاهنا لفظ المعاداة لله كما اطلقها
القرآن الكريم على ما هو من لوازمها وهو الاعراض عن عبادته والبغض لها ولمن تلبس بها من عباده مجازا
وقوله فانه ارجح ما وزن وافضل ما خزن الضمير يعود الى الله سبحانه ولما كانت ذاته مقدسة عن الوزن والخزن
اللذين هما من صفات الاجسام فبالحري ان يكون المقصود رجحان عرفانه في ميزان العقل اذ لا يوازن عرفانه
ما عداه بل لا يخطر ببال العارف عند الاخلاص سواه حتى يصدق هناك الموازنة فيقال فيها ارجح ويكون المراد
بالخزن خزن ذلك العرفان في اسرار النفوس القدسية وقيل الضمير يرجع الى ما دل عليه قوله احمده من الحمد على
طريقة قولهم من كذب كان شرا له **قوله** واشهد ان لا اله الا الله هذه الكلمة اشرف كلمة وحد بها الخالق عز
اسمه وقد اشرنا في الخطبة الاولى الى ما تضمنه تركيبها من حسن الوضع المؤدي للمقصود التام منها وبالجملة فهي
منطبقة على جميع مراتب التوحيد وقد زعم النحويون ان فيها شيئا مقدرا يكون خبرا للا فقالوا وتقديره لا اله
لنا الا الله او لا اله موجود الا الله واعلم ان كل تقدير يقدر هاهنا فهو مخرج لهذه الكلمة عما يفيد اطلاقها
ويفيدها تخصيصا لم يكن وهو مما يجده الانسان من نفسه عند الاعتبار فالاولى ان يكون خبر لا هو قوله
الا الله ولا حاجة الى تقدير امر زايد وقد وردت لهذه الكلمة فضائل الاولى قوله صلى الله عليه وآله افضل
الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله الثانية عن ابن عمر قال قال صلى الله عليه وآله ليس على اهل لا اله
الا الله وحشة في الموت ولا عند النشر وكاني انظر الى اهل لا اله الا الله عند الصيحة ينفضون شعورهم
من التراب ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الثالثة ما روي ان المأمون لما انصرف من مرو يريد
العراق واجتاز بنيسابور وكان على مقدمته علي بن موسى الرضا عليه السلام فقام اليه قوم من المشايخ وقالوا
نسألك بحق قرابتك من رسول الله ان تحدثنا بحديث ينفعنا فروى عن ابيه عن آبائه عن رسول الله صلى الله
عليه وآله عن جبرئيل عليه السلام عن ربه انه قال لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني امن من عذابي الرابعة قال
صلى الله عليه وآله امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله قال بعض العلماء ان الله تعالى جعل العذاب عذابين احدهما السيف في يد المسلمين

والثاني عذاب الآخرة والسيف في غلاف يرى والنار في غلاف لا يرى فقال لرسوله عليه السلام من
اخرج لسانه من الغلاف المرئي وهو الفم فقال لا اله الا الله ادخلنا السيف في الغمد المرئي ومن اخرج لسان
قلبه من الغلاف الذي لا يرى وهو غلاف الشرك فقال لا اله الا الله ادخلنا سيف عذاب الآخرة في
غمد الرحمة واحدة بواحدة جزاء ولا ظلم اليوم **قوله** شهادة ممتحنا اخلاصها معتقدا مصاصها مصدر ووصف
بوصفين جريا على ما مضى من حاله والممتحن المختبر اراد انه مختبر نفسه في اخلاص هذه الشهادة واجدها عرية
عن شبهات الباطل معرضة عن كل خاطر سوى الحق سبحانه متمثلة فيها حلية التوحيد وخالصة مبرأة عن
شوائب الشرك الخفي كما عرفت من التوحيد المطلق والاخلاص المحقق **قوله** نتمسك بها ما ابقانا وندخرها
لاهاويل ما يلقانا فانها عزيمة الايمان الى قوله ومدحرة الشيطان اشارة الى ترغيب التمسك بها مدة
البقاء في دار الدنيا لعظائم الامور والاستعداد بها لاهوال الآخرة وشدائدها ثم عقبها بذكر علة
التمسك بها وادخارها وذكر اربعة اوصاف توجب ذلك اولها انها عقيدة الايمان وعزيمة المطلوب
لله سبحانه من خلقه وكل ما عداها مما وردت به الشريعة من قواعد الدين وفروعه فهي حقوقها وتوابع
ومتممات ومعينات على الوقوف على سرها والوصول الى اخلاصها وثانيها انها فاتحة الاحسان فانها
اول كلمة افتتحت بها الشريعة واستعد العبد بالسلوك في طريق اخلاصها لافاضة احسان الله ونعمه
شيئا فشيئا وكما انها اول مطلوب لله من خلقه في فطرتهم الاصلية وعلى السنة رسله عليهم السلام فهي
ايضا غايتهم التي ينالون باخلاصها واستصحاب مصاصها السعادة الباقية وثالثها انها مرضاة الرحمن
وذلك ظاهر اذ هي محل رضوان الله والسبب المستنزل لتمام رحمته ومزيد نعمته على من يتوزنها ورفع السخط
عنه كما قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله الخبر ورابعها انها مدحرة الشيطان وذلك
ايضا ظاهر فان غاية دعوة الشيطان هو الشرك الظاهر او الخفي وهذه الكلمة انما وضعت في مقابلة
دعوته فظاهرها دافع لظاهر ما يدعو اليه وباطنها قامع لباطن ما يدعو اليه وكما ان الشرك على مراتب لا تتناهى
فكذلك الاخلاص في هذه الكلمة فبقدر كل مرتبة من السلوك في اخلاصها يسقط في مقابلته مرتبة من الشرك
ويبطل سعي الشيطان في بناء تلك المرتبة الى ان يتم الاخلاص بقدر الامكان وقد انهدمت قواعد الشيطان
بكليتها وصار عنه مطرودا عن قبول ما يقول ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك
رحمة انك انت الوهاب **قوله** واشهد ان محمدا عبده ورسوله قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قال اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله جرى بها لسانه واطمأن بها قلبه حرمت النار عليه وانما
قرنت هذه الكلمة بكلمة التوحيد لانك عرفت ان غرض الشريعة انما هو اخلاص تلك الكلمة ولن يحصل
اخلاصها الا بسلوك مراتبها ولن يحصل ذلك الا بمعرفة كيفية السلوك وعلمت ان مدار ارسال الرسل
ووضع الشرائع لتعريف كيفية السلوك في درجات الاخلاص وكانت الشهادة والاقرار بصدق المبلغ

هذه الرسالة والمبين لطريق الاخلاص اجل كلمة بعد كلمة الاخلاص لانها بمنزلة الباب لها فلاجل ذلك قرنت
بها **قوله** ارسله بالدين المشهور الى قوله والامر الصادع اشارة الى تعظيم الرسول صلى الله عليه وآله بما جاء
به واشار بالدين المشهور الى دينه المشتمل على تعريف كيفية سلوك الصراط المستقيم وبالعلم المأثور الى
اعتبار كون ذلك الدين هاديا قائدا للخلق يهتدون به الى حضرة القدس التي هي مقصد جميع الشرائع اذ
ذلك هو شأن العلم وكونه مأثورا اشارة اما الى كونه مقدما على سائر الاديان كما يقدم العلم ويهتدى به
قوم بعد قوم واما الى نقله من قرن الى قرن وبالكتاب المسطور حقائقه في الواح النفوس وبالنور الساطع
والضياء اللامع الى السر الذي جاء به الرسول عليه السلام تحت هذه الطريقة وامر بقصده منها وهو نور مشرق في
مرائي النفوس الصافية عن صداء الشبهات وكدورات الشرك وبخصوصية الامر ووصفه بكونه صادعا
اعتبار ظهوره بامر الله وردعه لمن لم يسلك الطريق المأمور بسلوكها عن غيه ولغيا حتى شق بالامر
الالهي وجه باطله وصدع ما كان ملتئما من بناء فساده كما قال تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين
قوله ازاحة للشبهات الى قوله وتخويفا بالمثلات اشارة الى الوجوه القريبة لمقاصد البعثة وذكر عليه السلام
منها ثلثة مقاصد اولها ازاحة الشبهات وهو اهمها فان حذف شواغل الدنيا وشبهات الباطل عن قلوب
الخلق اهم مقاصد الشارع الثاني سبب تلك الازاحة وهو الاحتجاج على الخلق بالحجج الواضحة لهم والخطابات
الموصلة الى اقتضى اذهانهم كما قال تعالى وجادلهم بالتي هي احسن الثالث التحذير بالايات النازلة بالعصاة والتخويف
بالعقوبات الواقعة باهل الجنايات كما قال تعالى او لم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم
ان في ذلك لايات لاولي النهى وهذا الانذار مؤيد للحجج والخطابات الشرعية في حق من لم يرزق صفاء
ذهن يؤثر فيه مجرد الخطاب فيحتاج الى التحذير والانذار **قوله** والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين الى
قوله يترددون **اقول** يحتمل ان تكون الواو في قوله والناس للابتداء ويكون ذلك شروعا منه عليه السلام
في ذم اهل زمانه وما هم فيه من البلاء والحيرة والمخاوف والحروب بسبب تشتت اهوائهم واختلاف آرائهم
وعرضه عليه السلام تنبيه السامعين على ما هم غافلين عنه مما هم فيه من الفتن المشتملة على المذام
التي عددها لينتبهوا من رقدة الغفلة ويشمروا في سلوك سبيل الله عن ساق الجد والاجتهاد وذكر من
المذام التي حصل الناس عليها بسبب ما هم فيه من الفتن امورا يرجع حاصلها وان تعددت الى ترك مراسم
الشريعة وعدم سلوك سبيل الحق وارتكاب طريق الباطل فانقطاع حبل الدين اشارة الى انحراف الخلق
عن سواء السبيل وعدم تمسكهم باوامر الله سبحانه حال وقوع تلك الفتن واستعمال لفظ الحبل هاهنا
وفي التنزيل الالهي واعتصموا بحبل الله جميعا استعارة لقانون الشريعة المطلوب منها لرفعه والتمسك به
وكذلك استعمال لفظ السواري استعارة لقواعد الدين واركانه المأمور بتشييدها كالجهاد الذي هو اقوى
مطالبه عليه السلام في ذلك الوقت من الناس ويكون المراد بتزعزعها عدم استقامتها واستقرار الناس

الى القرآن المسطور

عليها مجازا وامّا لاهل الدين الذي به يقوم ورجالا لعاملين به الذين لم يأخذهم في الله لومة لائم
وتزعجها موت اولئك او خوفهم من الاعداء المارقين وكل ذلك استعارة لطيفة ووجوه المشابهة
فيها ظاهرة واشار باختلاف النجر الى اختلاف الاصل الذي كان يجمع الخلق والفطرة التي فطر الناس
عليها وورود الشريعة بلزومها فانها كانت متفقة بوجود الرسول صلى الله عليه وآله فاختلفت بعده
بسلوك كل فرقة مذهبا غير الاخرى على ان النجر هو الحسب ايضا والحسب هو الدين فيحتمل ان يريد واختلف
الدين واشار بتشتت الامر الى تفرق كلمة المسلمين وبقوله وضاق المخرج وعمي المصدر الى ان الخلق بعد
تورطهم في فتن الشبهات الموجبة لتفرق كلمتهم ضاق مخرجهم منها وعمي عليهم طريق صدورهم منها والى
ههنا هو المشار اليه بقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وهو استعارة
حسنة اذ العمى حقيقة عبارة عن عدم ملكة البصر ووجه المشابهة ان الاعمى كما لا يهتدي لمقاصده المحسوسة
بالبصر لعدمه كذلك اعمى البصيرة لا يهتدي لمقاصده المعقولة لاختلاط بصيرته وعدم عقله لوجوه رشده
واشار بخمول الهدى الى عدم ظهوره بينهم حال عماهم عن مصدرهم من ضلالهم اذ كان ضوؤه ساقطا بينهم
غير موجود والفاء لعطف الجملة الاسمية على الفعلية واشار بشمول العمى الى اشتراكهم في عدم رؤيتهم لسبيل
الحق الذي به يخرجون من شبهات الباطل وظلمته ثم اشار بعصيانهم للرحمن ونصرهم الشيطان الى انهم
فيه جور عن الحق ونصرة للباطل الذي هو مأمور الشيطان فبالحري ان يكون نصرة للشيطان وعصيانا
للرحمن ومن نصر الشيطان ما يذب عن الباطل فقد خذل الايمان بترك تشييد قواعده والذب عنه
وبترك الايمان وخذلانه لا يبقى له دعامة يقوم بها وبحمله والاشارة بالدعائم والمعالم الى دعاة الحق
وحملة الايمان وبانهيارها الى عدمهم او عدم قبول قولهم وبتنكر المعالم الى عدم معرفتهم في الخلق
لقلتهم ويحتمل ان يراد بالدعائم القواعد التي للدين كالجهاد وغيره وانهيارها عدم القيام بها وتنكر
المعالم الى تحاميه من القلوب التي هي معالم الدين ومحاله وبدروس سبله وعفاء شركه الى انه لم يبق
له اثر يعرف به وكل ذلك مبالغة في ضعف الدين ومسالك الشيطان ومناهله ما يجرهم اليه من مناهي
الله سبحانه فيتبعونه فيها واعلام الشيطان ولواؤه اما القادة اليه والدعاة الى باطله المقتدى بهم
اوصور الباطل التي تصورت في اذهان الخلق وصارت غايات لهم فانقادوا لها واتبعوها فهي كالاعلام
والالوية في الحروب وغيرها قوله في فتن داستهم باخفافها ووطئتهم باظلافها وقامت على سنابكها
يحتمل ان يكون في فتن متعلقا بقوله بهم سارت اعلامه وقام لواؤه ويحتمل ان يتعلق بمقدر يكون خبرا
ثانيا لقوله والناس وهذه الفتن هي التي اشار اليها اولا وانما اوردها ثانيا بزيادة اوصاف فبالغ
عليه السلام في تشبيهها بانواع الحيوان فاستعار لها اخفافا واظلافا وحوافر وجعل لها دوسا ووطئا
وقياما على الحوافر ويحتمل ان يكون هناك اضمار اي داستهم باخفاف ابلها ووطئتهم باظلاف بقرها

وقامت

وقامت على سنابك خيلها فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ويحتمل ان يكون التجوّز في نسبة الوطء و
الدوس والقيام اليها فقط وهو المجاز في الاسناد قوله فهم فيها تائهون الفاء للتعقيب واشار بتيههم
الى ضلالهم عن القصد في ظلمات الفتن وبحيرتهم الى ترددهم في ان الحق في اي جهة وعدم درايتهم اهو مع
علي ام مع معوية وبجهلهم الى عدم علمهم بالحق واعتقاد بعضهم الباطل عن شبهة تحكيم الحكمين واعتقاد
آخرين له عن شبهة دم عثمن وامثال ذلك مما هو جهل مركب وبكونهم مفتونين الى فتنة غيرهم لهم وامالتهم
عن الحق وهو الشيطان واتباعه قوله في خير دار وشرّ جيران هذا الظرف يجوز ان يكون كالذي قبله
في كونه خبرا ثالثا ويجوز ان يتعلق بقوله تائهون او بما بعده من الافعال وقد اختلف الشارحون
لكلام علي عليه السلام في مراده بخير دار فقال بعضهم اراد الشام لانها الارض المقدسة واهلها
القاسطون وقال معنى قوله نومهم سهود وكحلهم دموع اي انهم لا ينامون اهتماما بامورهم واعدادا
للقتال ويبكون قتلاهم وقوله بارض عالمها ملجم يريد نفسه والناصرون للحق وجاهلها مكرم يريد معوية
وقال آخرون اراد بخير دار العراق وشر جيران يعني اصحابه المستصرخ بهم للجهاد وانما كانوا شر جيران
اي شر مجاورين لتخاذلهم عن الحق ونصرة الدين لان خير المجاورين المتعاضدون في الله وقوله
ونومهم سهود اي خوفا من الحرب وحيرة في التدبير وكحلهم دموع اي يبكون قتلاهم ايضا وقيل نفاقا
لان من تمرّن نفاقه ملك عينيه وقال آخرون اراد بها دار الدنيا لانها دار العمل واكثر الخلق بها
اشرار جهال وليس المقصود بكونها خيرا تفضيلها على غيرها ليوهم انها افضل من الآخرة بل اثبات
فضيلتها فقط فان افعل التفضيل كما يرد لاثبات الافضلية كذلك يرد لاثبات الفضيلة والدنيا دار
فاضلة لمن قام فيها بأوامر الله وراعى ما خلق لاجله وهي مزرعة الآخرة كما ورد في الحديث وكون اهلها
شر جيران فاما شر مجاورين كما سبق او شر جيران لمن لجأ اليهم وجاورهم للانتصار بهم على اعداء
الدين وذلك بعدم نصرتهم له والقيام معه وقوله نومهم سهود وكحلهم دموع ظاهر وعموم لفظ الناس
في اصحابه واصحاب معوية ومن عناه امر الحرب ودخل فيها وقد بالغ عليه السلام في وصفهم بقلة النوم
لخوف الحرب وهجوم بعضهم على بعض وشدة اهتمامهم بامر القتال وحيرتهم في تميز الباطل عن الحق فلقلة
نومهم بالتسهد لاستلزامه عدم النوم فاستعار له لفظه وصيّره هو هو وقوله وكحلهم دموع بالغ في تشبيه
دموعهم بالكحل وصيّره هو هو ووجه المشابهة ان الدموع لكثرتها منهم وملازمتها لاجفانهم اشبهت في ذلك
الامر الكثير المعتاد لعيونهم وهو الكحل فلذلك استعار لفظ الكحل له وقوله بارض عالمها ملجم وجاهلها
مكرم الجار والمجرور يحكم حكم الظرف الذي قبله فيما يتعلق به ثم ان حملنا خير دار على الدنيا كان قوله
بارض تخصيصا لمكان الناس من الدنيا فكانه قال والناس في خير دار وهي الدنيا وهم منها بارض من حالها
ان عالمها ملجم بلجام الذل من اهلها عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعدم العلم بينهم وغلبة الجهل

عليهم وجاهلها مكرم لمناسبته لهم في الجهل وموافقته لهم على الباطل ويكون المراد بتلك الارض اما الشام
او العراق وان حملنا خير دار على الشام او العراق كان قوله بارض من حالها كذا يجري مجرى البيان لها ويكون
الذم اللاحق من هذا الكلام راجعا الى اهل تلك الارض لتعلق الجام العالم واكرام الجاهل بهم وارتكب
ذلك اليها لكونهم بها اذ لو وردنا الذم الى الارض لنا في ذلك ووصفها بانها خير دار ويحتمل ان يكون
الواو في قوله والناس للحال والعامل ارسله والفتن المشار اليها هي فتن العرب في الجاهلية وحال
البعثة وخير دار يعني مكة وشر جيران يعني قريشا والعالم الملجم هو من كان حينئذ عالما بصدق الرسول
وحق بعثته فهو ملجم بلجام التقية والخوف والجاهل المكرم هو من كذبه وهذا الاحتمال حسن واعلم
ان الذي يتبادر الى الذهن ان هذا القدر الذي اورده السيد من هذه الخطبة فصول ملتقطة ليست
على نظامها التي خرجت عليه وان كان كذلك فربما يلوح لها لو انتظمت مقاصد توضح ما اورده الناس
واختلفوا فيه منها والله اعلم ومنها يعني آل النبي صلى الله عليه وآله هم موضع سره ولجأ امره وعيبة علمه وموئل
حكمه وكهوف كتبه وجبال دينه بهم اقام انحناء ظهره واذهب ارتعاد فرايصه اقول اللجأ الملجأ والموئل
المرجع من آل يؤل الى كذا اذا رجع وانتهى اليه والانحناء الاعوجاج والفرايص جمع فريصة وهي اللحمة
التي من الجنب والكتف لا تزال ترعد من الدابة وقد وردت هذه القراين الاربع بالسجع المتوازي
والضماير المفردة ههنا كلها راجعة الى الله تعالى الا الضمير في ظهره وفرايصه فانهما للرسول صلى الله
عليه وآله كما سبق ذكر الله ورسوله في صدر الخطبة وقيل الكل للرسول صلى الله عليه وآله واشار بكونهم
موضع سره الى كمال استعداد نفوسهم عليهم السلام لاسرار الله وحكمته اذ الموضع الحقيقي للشيء هو ما قبله
واستعد له وبكونهم ملجأ امره الى انهم الناصرون له والقائمون باوامر الله والذابون عن الدين فاليهم
يلجأ وبهم يقوم سلطانه وكونهم عيبة علمه مرادف لكونهم موضع سره اذ يقال في العرف فلان عيبة
العلم اذا كان موضع اسراره ولفظ العيبة استعارة لنفوسهم الشريفة ووجه المشابهة ظاهر اذ العيبة
لما كان من شأنها حفظ ما يودع فيها وصيانته عن التلف والادناس وكانت اذهانهم الطاهرة حافظة
للعلم عن عدمه وصائنة له عن تدنسه باذهان غير اهله لاجرم حسنت استعارة لفظة العيبة لاذهانهم
وبكونهم موئل حكمه الى كونهم مرجعا لحكمته اذ ليست عن اذهان غيرهم فمنهم تطلب وعنهم تكتب وبكونهم
كهوف كتبه الى انهم اهل حفظها ودراستها وتفسيرها وعندهم علمها وتاويلها والكتب اشارة الى القرآن
وما قبله من كتب الله كما نقل عنه عليه السلام في موضع آخر لو كسرت لي الوسادة ثم جلست عليها لحكمت بين
اهل التورية بتوريتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم وبين اهل الزبور بزبورهم وبين اهل الفرقان بفرقانهم
والله ما من آية نزلت في بر او بحر او سهل او جبل او سماء او ارض او ليل او نهار الا وانا اعلم فيمن نزلت
وفي اي وقت نزلت واستعارة لفظ الكهف قريبة من استعارة لفظ العيبة وبكونهم جبال دينه الى ان

الله

الله سبحانه بهم يعتصم عن وصمات الشاكين وتبديلهم وتحريفهم كما يعتصم الخائف بالجبل ممن يؤذيه وهي
استعارة لطيفة وقوله بهم اقام انحناء ظهره اشارة الى ان الله سبحانه جعلهم له اعضادا يشدون ازره و
يقومون ظهره ويؤيدون امره وانحناء الظهر كناية عن ضعفه في بدو الاسلام فبالحري ان تكون اقامتهم
لانحناء ظهره تقويتهم لذلك الضعف بالنصرة للدين والذب عنه وقوله اذهب ارتعاد فرايصه اي ان
الله تعالى ازال عنه بمعونتهم خوفه الذي كان يتوقعه من المشركين على حوزة الدين وهو كناية عن الشيء ببعض
لوازمه اذ كان ارتعاد الفرايص من لوازم شدة الخوف وكل هذه الامور ظاهرة لاهله الادنين من بني هاشم
كالعباس وحمزة وجعفر وعلي بن ابي طالب في الذب عن الرسول صلى الله عليه وآله والهداية اليه والبلاء
في الدين والله اعلم منها زرعوا الفجور وسقوه الغرور وحصدوا الثبور لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه
وآله من هذه الامة احد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه ابدا هم اساس الدين وعماد اليقين اليهم
يفيء الغالي وبهم يلحق التالي ولهم خصايص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة الآن اذ رجع الحق الى
اهله ونقل الى منتقله اقول الغرور الغفلة والثبور الهلاك والقياس نسبة الشيء الى الشيء والحاقه
به في الحكم والفيء الرجوع والغلو تجاوز الحد الذي ينبغي الى ما لا ينبغي والتالي التابع والولاية الاسم
من قولك وليت الامر اليه وليا واصله القرب من الشيء والدنو منه والخصايص جمع خصيصة وهي فعيلة
بمعنى فاعلة اي خاصة او مختصة واعلم ان قوله زرعوا الفجور وسقوه الغرور استعارة لطيفة فان
الفجور لما كان هو الخروج عن ملكة العفة والزهد وتجاوزها الى طرف الافراط منهم وكان معنى الزرع
القاء الحب في الارض استعار عليه السلام لفظ الزرع لبذر الفجور في اراضي قلوبهم ولان انتشاره عنهم
ونموه فيهم يشبه نمو الزرع وانتشاره في الارض ولما كان غرورهم وغفلتهم عن الطريق المستقيم سبب
عدولهم عنها وتجاوزهم الى طرف الافراط ومهاوي الهلاك وهو مادة تماديهم في غيهم وزيادة فجورهم
وعدولهم عن سواء السبيل اشبه الماء الذي هو سبب حيوة الزرع ونموه ومادة زيادته ولاجله حسنت
استعارة لفظ السقي الذي هو خاصة الماء له ونسبته اليهم ثم لما كانت غاية ذلك الفجور هلاكهم في
الدنيا بالسيف وفي الآخرة بعذابها الاجرام اشبهت تلك الغاية الثمرة فاستعير لكونها غاية لهم لفظ الحصاد
ونسبت اليهم وقد اشتملت هذه الالفاظ مع حسن الاستعارة على الترصيع قال الوبري رحمه الله اشار
بهذا الكلام الى الخوارج وقيل الى المنافقين كما ورد مصرحا به في بعض النسخ واقول يحتمل ان يكون شاملا
لكل من نابذه عليه السلام وخرج عن طاعته زاعما انه بذلك متعصب للدين وناصر له وذلك لان الفجور
كما عرفت عبور وتجاوز للعفة الى طرف الافراط وكل من نابذه عليه السلام وهو مدع انه طالب للحق
فقد خرج في طلبه للحق عن فضائل العدل وتعداه الى طرف الفجور والغلو ويدخل في ذلك القاسطون
وهم اصحاب معوية والمارقون وهم الخوارج ومن في معناهم اذ هم الكل انهم بهذا طالبون للحق ناصرون

له قوله لايقاس بآل محمد عليهم السلام من هذه الامة احد الى اخره مدح لهم مستلزم لاسقاط غيرهم عن بلوغ
درجتهم واستحقاق منزلتهم والكلام وان كان عاما في تفضيل آل محمد على كل من عداهم من امته الا انه
خرج على سبب وهو قتاله عليه السلام مع معوية فاذن هو مشير الى تفضيل نفسه على معوية وعدم ترشحه
للخلافة فقوله لايقاس بآل محمد من هذه الامة احد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه ابدا اشارة الى عدم
مناسبة غيرهم لهم في الفضل والنعمة هاهنا نعمة الدين والارشاد اليه والحكم ظاهر الصدق فان المنعم
عليه بمثل هذه النعمة التي لا يمكن احدا ان يقابلها بجزاء لا يتاهل ابدا ان يصير في قوة المنعم وخواصه
الذين اختصهم بها على حسب استحقاقهم واستعدادهم التام الوافر على تاهل غيرهم لها ولا يبلغ
درجتهم حتى يقوم مقامهم مع وجودهم في افاضة هذه النعمة واعدادها لسائر الامة لها وتعليمهم وارشادهم
الى كيفية الوصول بها الى الله سبحانه وقوله هم اساس الدين اشارة الى ان بهم استقامته وثباته وتفرعه
عنهم كما يقوم البناء على اساسه وكذلك قوله وعماد اليقين وقوله اليهم يفيء الغالي اشارة الى ان النجاة
للفضائل لكونهم عليها اذا الحد المتوفيق بيده واشار بقوله وبهم يلحق التالي الى ان المقصر عن بلوغ
هذه الفضائل لكونهم المرتكب لطرف التفريط في تحصيلها يلحق بهم عند طلبه لها ومعونة الله له بالهداية
الى ذلك وقوله ولهم خصائص حق الولاية اشارة الى ان ولاية امور المسلمين وخلافة رسول الله صلى
الله عليه وآله لها خصائص هي موجودة فيهم وشروط بها يتاهل الشخص لها ويستحقها وتلك الخصائص
ما نبهنا عليه من الفضائل الاربع النفسانية ولا شك في صدقه عليه السلام في ذلك فان هذه الفضائل
وان وجد بعضها او كلها في غيرهم فعنهم اخذ واليهم فيها انتسب وهل يقايس بين البحر والوشل قوله
وفيهم الوصية والوراثة اشارة الى اختصاصه عليه السلام بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله واختصاص
اهله بوراثته وقيل اراد بالوراثة ما يرثه هو انه اولى به من امر الخلافة وقوله الآن اذ رجع الحق الى اهله
ونقل الى منتقله وفي بعض النسخ فقد رجع وذلك اشارة منه عليه السلام الى ان الامامة كانت في غير اهلها
وانه هو اهلها والآن وقت رجوعها اليه بعد انتقالها عنه ولفظ الحق وان كان يحتمل حقا آخر غير
الامامة الا انها المتبادرة الى الذهن من اللفظ هاهنا وبالله التوفيق والعصمة ومن خطبة له عليه السلام
المعروفة بالشقشقية وتعرف بالمقمصة اما والله لقد تقمصها فلان وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب
من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى الي الطير فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا وطفقت
ارتأي بين ان اصول بيد جذاء او اصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير
ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت ان الصبر على هاتا احجى فصبرت وفي العين قذى وفي
الحلق شجى ارى تراثي نهبا حتى مضى الاول لسبيله فادلى بها الى فلان بعده ثم تمثل بقول الاعشى
شتان ما يومي على كورها ويوم حيان اخي جابر فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته اذ عقدها

لآخر

لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها والاعتذار
منها فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون
واعتراض فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى اذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني احدهم فيا لله
وللشورى متى اعترض الريب في مع الاول منهم حتى صرت اقرن الى هذه النظائر لكني اسففت اذ اسفوا
وطرت اذ طاروا فصغى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هن وهن الى ان قام ثالث القوم نافجا
حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو ابيه يخضمون مال الله خضمة الابل نبتة الربيع الى ان انتكث عليه
فتله واجهز عليه عمله وكبت به بطنته فما راعني الا والناس الي كعرف الضبع ينثالون علي من كل جانب حتى
لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم فلما نهضت بالامر نكثت طائفة ومرقت اخرى
وفسق آخرون كانهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض
ولا فسادا والعاقبة للمتقين بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا في اعينهم وراقهم زبرجها
اما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء
الا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكاس اولها ولالفيتم
دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنز قال وقام اليه رجل من اهل السواد عند بلوغه عليه السلام الى
هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا فاقبل ينظر فيه فلما فرغ من قراءته قال له ابن عباس يا امير المؤمنين
لو اطردت مقالتك من حيث افضيت فقال هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت قال
ابن عباس فوالله ما اسفت على كلام قط كاسفي على ذلك الكلام الا يكون امير المؤمنين عليه السلام بلغ
منه حيث اراد اقول اعلم ان هذه الخطبة وما في معناها مما يشتمل على شكايته عليه السلام وتظلمه في امر
الامامة هو محل الخلاف بين الشيعة وجماعة من مخالفيهم فان جماعة من الشيعة ادعوا ان هذه الخطبة
وما في حكمها مما اشتمل عليه هذا الكتاب منقول على سبيل التواتر وجماعة من السنة بالغوا في انكار
ذلك حتى قالوا انه لم يصدر عن علي عليه السلام شكاية في هذا الامر ولا تظلم اصلا ومنهم من انكر هذه
خاصة ونسبها الى السيد الرضي رضي الله عنه والتعصب للحكم في هذا الموضع هو محل التهمة للشارحين
وانا اجتهد لعهد الله علي ان لا احكم في هذا الكلام الا بما اجزم به او يغلب على ظني انه من كلامه وهو مقصود
فاقول ان كل واحد من الفريقين المذكورين خارج عن العدل اما المدعون لتواتر هذه الالفاظ من الشيعة
فهم في طرف الافراط واما المنكرون لوقوعها اصلا فهم في طرف التفريط اما ضعف كلام الاولين فلان
المعتبرين من الشيعة فهم في طرف الافراط واما المنكرون لوقوعها اصلا فهم في طرف التفريط لم يدعوا
ذلك ولو كان كل واحد من هذه الالفاظ منقولا بالتواتر لما اختص به بعض الشيعة دون بعض واما
المنكرون لوقوع هذا الكلام منه عليه السلام فيحتمل انكارهم وجهين احدهما ان يقصدوا بذلك تسكين

العوام وتسكين خواطرهم عن اثارة الفتن والتعصبات الفاسدة ليستقيم امر الدين ويكون الكل
على نهج واحد فيظهروا لهم انه لم يكن بين الصحابة الذين هم اشراف المسلمين وسادتهم خلاف ولا نزاع
ليقتدي بحالهم من جمع ذلك وهذا مقصد حسن ونظر لطيف لو قصد والثاني ان ينكروا ذلك عن اعتقاد
انه لم يكن هناك خلاف بين الصحابة ولا منافسة في امر الخلافة والانكار على هذا الوجه ظاهر البطلان
لا يعتقده الا جاهل بسماع الاخبار لم يباشر احدا من العلماء فان امر السقيفة وما جرى بين الصحابة من
الاختلاف وتخلف علي عليه السلام عن البيعة امر ظاهر لا يدفع ومكشوف لا يتقنع حتى قال اكثر الشيعة
انه لم يبايع اصلا ومنهم من قال انه بايع بعد ستة اشهر كرها وقال مخالفوهم انه بايع بعد ان تخلف في بيته
مدة ودافع طويلا وكل ذلك مما تقتضي الضرورة معه بوقوع الخلاف والمنافسة بينهم والحق ان المنافسة
كانت ثابتة بين علي عليه السلام وبين من تولى امر الخلافة في زمانه والشكاية والتظلم الصادر عنه في
ذلك امر معلوم بالتواتر المعنوي فانا نعلم بالضرورة ان الالفاظ المنقولة عنه المتضمنة للتظلم والشكاية
في امر الخلافة قد بلغت في الكثرة والشهرة بحيث لا يكون باسرها كذبا بل لا بد وان يصدق واحد منها
وايها صدق ثبتت فيه الشكاية اما خصوصيات الشكايات بالفاظها المعينة فغير متواترة وان كان
بعضها اشهر من بعض فهذا ما عندي في هذا الباب بعد التحري والاجتهاد وعلى هذا التقرير لا يبقى لانكار
كون هذه الخطبة صادرة عنه عليه السلام ونسبتها الى الرضي معنى فان مستند ذلك الانكار هو ما اشتمل
عليه من التصريح بالتظلم والشكاية ومستند انكار ذلك منه عليه السلام هو اعتقاد انه لم يكن له منافسة
في هذا الامر وانت تعلم ان ذلك اعتقاد فاسد على ان هذه الخطبة خاصة قد اشتهرت بين العلماء قبل
وجود الرضي روي عن مصدق بن شبيب النحوي قال لما قرات هذه الخطبة على شيخي ابي محمد بن الخشاب ووصلت
الى قول ابن عباس ما اسفت على شيء قط كاسفي على هذا الكلام قال لو كنت حاضرا لقلت لابن عباس وهل
ترك ابن عمك في نفسه شيئا لم يقله في هذه الخطبة فانه ما ترك لا الاولين ولا الآخرين قال مصدق
وكانت فيه دعابة فقلت له يا سيدي فلعلها منحولة اليه فقال لا والله اني لاعرف انها من كلامه كما اعرف انك
مصدق وقال فقلت له ان الناس ينسبونها الى الشريف الرضي فقال لا والله ومن اين للرضي هذا الكلام
وهذا الاسلوب فقد راينا كلامه في نظمه ونثره لا يقرب من هذا الكلام ولا ينتظم في سلكه على انه
قد رايت هذه الخطبة بخطوط العلماء الموثوق بنقلهم من قبل ان يخلق ابو الرضي فضلا عنه واقول وقد
وجدتها في موضعين تاريخهما قبل مولد الرضي بمدة احدهما انها متضمنة كتاب الانصاف لابي جعفر بن قبة
تلميذ ابي القسم الكعبي احد شيوخ المعتزلة وكانت وفاته قبل مولد الرضي الثاني اني وجدتها بنسخة عليها
خط الوزير ابي الحسن علي بن محمد بن الفرات وكان وزير المقتدر بالله وذلك قبل مولد الرضي بنيف وستين
سنة والذي يغلب على ظني ان تلك النسخة كانت كتبت قبل وجود ابن الفرات بمدة اذا عرفت ذلك فلنرجع

الى المتن

الى المتن فنقول قوله تقمصها اي لبسها كالقميص وقطب الرحى مسمارها الذي عليه تدور وسدلت الثوب
ارخيته والكشح بفتح الكاف الخاصرة وطفقت اخذت وجعلت وارتأي في الامر اذا فكر طلبا للرأي الاصلح
وصال الحمل نفسه على الامر بقوة ويد جذاء بالدال المهملة والمعجمة مقطوعة او مكسورة والطخية الظلمة
كقولهم ليلة طخياء اي مظلمة وتركيب هذه الكلمة يدل على ظلمة الامور واشكالها ومنه كلمة طخياء اي
اعجمية لا تفهم والهرم شدة كبر السن والكدح السعي والعمل وهاتا لغة في هاتي وهي لغة في هذي وهذه
واحجى اولى بالحجى والحجى وهو العقل والقذى هو ما يتاذى به العين من غبار ونحوه والشجى ما ينشب في الحلق
من غصة حزن او غم والتراث كالميراث وهو اسم ما يورث وادلى فلان بكذا اي تقرب به والقاه وشتان
ما هما اي بعد وشتان ما زيد وعمرو اي بعد ما بينهما والكور للناقة رحلها والاقالة فك عقد البيع ونحوه
والاستقالة طلب ذلك وشد الامر صعب وعظم وتشطرا اي اخذ كل شطرا وهو البعض والحوزة الطبيعة
والحوزة الناحية والكلم بفتح الكاف الجرح وعثر يعثر عثورا وعثارا اذا اصابت رجله في المشي حجرا ونحوه
والصعبة الناقة لم تذلل بالمحمل ولا بالركوب واشنق الناقة بالزمام واشنقها اذا جذبه الى نفسه وهو
راكب ليمسكها عن الحركة العنيفة والخرم الشق واسلس لها اي ارخى وتقحم في الامر اذا القى نفسه فيه
بقوة ومني الناس اي ابتلوا والخبط الحركة على غير استقامة والشماس كثرة النفار والاضطراب
والتلون اختلاف الاحوال والاعتراض ضرب من التلون واصله المشي في عرض الطريق يقال مشى فلان
العرضنى اذا مشى في عرض الطريق خابطا عن مرح ونشاط والشورى مصدر كالبحرى (؟) مرادف المشاورة واسف
الطائر اذا دنى من الارض في طيرانه والصغو الميل بكسر الصاد والضغن بكسر الضاد وسكون العين وهما
ايضا الحقد والاصهار عن ابن الاعرابي المتحرمون بجوار او نسب او تزوج وبعض العرب لا يطلقه الا على اهل بيت
الزوجين وعن الخليل انه لا يطلق الا على من كان من اهل المراة وهن على وزن اخ كناية عن شيء واصله
هنو تقول هنك اي شيئك والحضن الجانب ما بين الابط والخاصرة والنفج ورفع النفج والنثيل الروث
والمعتلف والمعلف موضع الاعتلاف والخضم الاكل بجميع الفم وقيل المضغ باقصى الاضراس تقول خضم بكسر
الضاد يخضم والنبتة بكسر النون النبات وانتكث انتقض واجهز على الجريح قتله واسرع وكبا الفرس سقط
لوجهه والبطنة شدة الامتلاء من الطعام والروع الخلد والذهن وراعني افزعني وانثال الشيء اذا تلو
وقع يتلو بعضه بعضا والعطاف الرداء وروي عطفاي وعطفا الرجل جانباه من لدن راسه الى وركيه
والربيض والربيضة الغنم برعاتها المجتمعة في مرابضها ومروق السهم خروجه من الرمية وراقه الامر اعجبه
والزبرج بكسر الزاي والراء الزينة والنسمة الانسان وقد تستعمل فيما عداه من الحيوان والمقارة اقرار كل
واحد صاحبه على الامر وتراضيهما به والكظة البطنة والغارب الكاهل على كتف الناقة والعفطة من الشاة
كالعطاس من الانسان وقيل هي الحبقة والشقشقة لهاة البعير ويقال للخطيب ذو شقشقة اذا كان ماهرا

دربة وبضاعة من الكلام واعلم ان المشار اليه بقوله فلان هو ابو بكر كما هو مصرح به في بعض النسخ ولما بالغ عليه السلم في تلبيس ابي بكر بالخلافة استعار لها وصف القميص وكنى عن تلبسه بها بالتقمص والضمير المنصوب راجع الى الخلافة ولم يذكرها لظهورها كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب ويحتمل ان يكون ذكرها فيما قبل ذلك والواو في قوله وانه ليعلم ان محلي منها واو الحال ولما كان قطب الرحى هو الذي به نظام حركاتها ويحصل الغرض منها وكان هو عليه السلام الناظم لامور المسلمين على وفق الحكمة الالهية والعالم بكيفية الشرعية لاجرم شبه محله من الخلافة بمحل القطب من الرحى وقد جمع هذا التشبيه انواع التشبيه الموجودة في كلام العرب وهي ثلاثة احدها تشبيه محله بمحل القطب من الرحى وهو تشبيه المعقول بالمعقول فان محل القطب هو كونه نظام احوال الرحى وذلك امر معقول وثانيها تشبيه نفسه بالقطب وهو تشبيه المحسوس بالمحسوس وثالثها تشبيه محله بمحله انه قصد ان غيره لا يقوم مقامه في امر الامامة ولا تاهل لها مع وجوده كما لا يقوم غير القطب مقامه في موضعه ثم اكد ذلك بقوله ينحدر عني السيل ولا يرقى الي الطير فاستعار لنفسه وصفين احدهما كونه ينحدر عنه السيل وهو من اوصاف الجبل والاماكن المرتفعة وكنى به عن علوه وشرفه مع فيضان العلوم والتدبيرات السياسية عنه واستعار لتلك الكمالات لفظ السيل والثاني انه لا يرقى اليه الطير وهو كناية عن غاية لحوقه من العلو اذ ليس كل مكان عال بحيث ينحدر عنه السيل وجب ان لا يرقى اليه الطير فكان ذلك علوا ادنى كما قال ابو تمام مكارم لجت في علو كانما تحاول ثارا عند بعض الكواكب **قوله** فسدلت دونها ثوبا كناية عن احتجابه عن طلبها والمبالغة فيها بحجاب الاعراض عنها واستعار لذلك الحجاب لفظ الثوب استعارة لفظ المحسوس للمعقول وكذلك قوله وطويت عنها كشحا تنزيلا لها منزلة الماكول الذي منع نفسه من اكله فلم يشتمل عليه كشحه وقيل اراد بطي الكشح التفاته عنها كما يفعل المعرض عن الجانب فالطوى كشحه عني واعرض جانبا **قوله** وطفقت ارتاي بين ان اصول بيد جذاء او اصبر على طخية عمياء يريد اني جعلت اجيل الفكر في تدبير امر الخلافة واردده بين طرفي نقيض اما ان اصول على من حازها دوني او ان اتركه وفي كل واحد من هذين القسمين خطر اما القيام فبيد جذاء وهو غير جائز لما فيه من التغرير بالنفس وتشويش نظام المسلمين من غير فائدة واستعار وصف الجذاء لعدم الناصر ووجه الشبه ان قطع اليد لما كان مستلزما لعدم القدرة على التصرف بها والصولة وكان عدم الناصر لها والمؤيد مستلزما لذلك لاجرم حسنت الاستعارة واما الترك ففيه الصبر على مشاهدة التباس الامور واختلاطها وعدم تمييز الحق وتجريده عن الباطل وذلك في غاية الشدة والبلاء ايضا واستعار لذلك الالتباس لفظ الطخية وهو استعارة لفظ المحسوس للمعقول ووجه المشابهة ان الظلمة كما لا يهتدى فيها للمطلوب كذلك اختلاط الامور هاهنا لا يهتدى معها لتمييز الحق وكيفية السلوك الى الله ووصف الطخية بالعمى ايضا على وجه الاستعارة فان الاعمى لما لم يكن ليهتدي لمطالبه كذلك هذه الظلمة لا يهتدى فيها للحق ولا ترشد وكنى عن شدة

ذلك الاختلاط ومقاساة الخلق بسبب عدم انتظام احوالهم وطول مدة ذلك باوصاف احدها انه يهرم فيها الكبير والثاني انه يشيب فيها الصغير والثالث ان المؤمن المجتهد في لزوم الحق والذب عنه يقاسي من ذلك الاختلاط وشدائده ويكدح فيها حتى يلقى ربه وقيل يذاب ويجتهد في الوصول الى حقه فلا يصل حتى يموت ثم اشار بعد ذلك الى ترجح رايه في اختيار القسم الثاني وهو الصبر وترك القيام في هذا الامر بقوله فرايت ان الصبر على هاتا احجى والبقى بنظام الاسلام ووجه الترجيح ظاهر فانه لما كان مقصوده عليه السلام من هذه المنافسة انما هو اقامة الدين واجراء قواعده على القانون المستقيم ونظام امور الخلق كما هو المقصود من مقالات الشارعين صلوات الله عليهم اجمعين وكانت صولته ومحاربته لمنافسيه في الامامة بغير ناصر يحمي القيام به ومع ذلك ففيه انشعاب امور المسلمين وتفرق كلمتهم وثوران الفتن بينهم خصوصا والاسلام غض لم ترسخ محبته في قلوب كثير الخلق ولم يطعموا حلاوته وفيهم المنافقون والاعداء المشركون في غاية القوة من كل الاقطار لاجرم لم يمكنه مع ملاحظة هذه الاحوال اثارة الحرب والمنازعة لاداء ذلك الى ضد ما هو مقصود له بحركته ومحاربته واما الصبر وترك المقاومة وان كان فيه بحسب رايه ما ذكره من اختلال الدين وانه لو كان القايم بهذا الامر لكان انتظامه به اتم وقوامه به اكمل الا انه اقل بالنسبة الى ما كان يحصل لو نازع في هذا الامر وقام في طلبه وبعض الشراهون من بعض **قوله** فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى لواوان للحال والجملتان كنايتان عن شدة ما اضمره من التاذي والغبن بسبب ما يراه ولي به من غيره وما يعتقده من الخبط في الدين **قوله** ارى تراثي نهبا قيل اراد بتراثه ما خلفه رسول الله صلى الله عليه واله لابنته كفدك فانه يصدق عليها انه ميراث لان مال الزوجة في حكم مال الرجل والنهب اشارة الى منع الخلفاء الثلثة لها بالخبر الذي رواه ابو بكر نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة وقيل اراد منصب الخلافة ويصدق عليه لفظ الارث كما صدق في قوله تعالى حكاية عن ذكريا عليه السلام يرثني ويرث من ال يعقوب فانه اراد يرث علمي ومنصبي في النبوة فكان سلبها صادقا على ذلك **قوله** حتى مضى الاول لسبيله فادلى بها الى فلان بعده اراد بالاول ابا بكر وبفلان عمر واشار بالادلاء الى نص ابي بكر على ان يكون عمر هو الخليفة بعده ومضيه لسبيله انتقاله الى الدار الاخرة وسلوكه السبيل الذي لا بد منه لكل انسان واما البيت فهو للاعشى قيس واسمه ميمون بن جندل من بني قيس من قصيدة اولها علقم ما انت من عاقر الناقض للاوتار والواتر وحيان وجابر ابنا السمين عمرو من بني حنيفة وكان حيان صاحب الحصن باليمامة وكان سيدا مطاعا يصله كسرى في كل سنة وكان في نعمة ورفاهية مصونا من وعثاء السفر لانه ما كان يسافر ابدا وكان الاعشى ينادمه والمراد انه ما ابعد ما بين يومي يومي على كور المطية اداب وانصب في الهواجر وبين يومي منادما حيان اخي جابر وادعا في نعمة وخفض ويروى ان حيان عاتب الاعشى في تعريفه نسبته الى اخيه فاعتذر اليه الاعشى بان القافية

حانيك بعض الشراهون من بعض

قادته الى ذلك فلم يقبل عذره واليوم الاول في موضع رفع باسم الفعل والثاني بالعطف عليه واما غرض التمثل بالبيت فاقاد السيد المرتضى رضي الله عنه انه عليه السلام اراد بذلك ان القوم لما فازوا بمقاصدهم ونجحوا بمطالبهم وظفروا بها وهو في اثناء ذلك كله يحقق في حقه مكذب في نصيبه كما اشار اليه بقوله وفي العين قذى وفي الحلق شجى كان بين حالهم وحاله بعد بعيد وافتراق شديد فاستشهد عليه السلام بهذا البيت واستعار لفظ اليومين وكنى بهما عن حالهم وحاله ووجه المشابهة في هذا التمثل ان حالهم استلزم حصول المطالب والرفاهية كيوم حيان وحاله عليه السلام استلزم المتاعب كيومه على كور الناقة واقول ويحتمل ان يكون قد استعار يوم حيان لعهده مع رسول الله صلى الله عليه واله وما كان يحصل له في مدة صحبته من الفوائد الجمة والكمالات من العلوم والاخلاق ويوم كونه على كور الناقة لزمانه بعد الرسول صلى الله عليه واله وما لقيه فيه من مقاساة المحن ومتاعب الصبر على الاذى ووجه المشابهة ما يشتمل عليه يوم حيان وعهد الرسول من المسار وما يشترك فيه يوم كونه على كور الناقة وفاته بعد الرسول من المضار **قوله** فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته اذ عقدها لاخر بعد وفاته الاشارة الى ابي بكر وطلبه الاقالة هو قوله اقيلوني فلست بخيركم ووجه التعجب هاهنا ان طلب ابي بكر للاقالة من هذا الامر انما هو لثقله وكثرة شرائطه وشدة مراعاة اجراء احوال الخلق مع اختلاف طباعهم واهوائهم على قانون واحد وخوفه ان يمشي به مطايا الهوى فتردي به في موارد الهلاك وعلى هذا التقدير فكلما كانت مدة ولاية الانسان لهذا الامر اقصر كان خوفه اقل وكانت متاعبه ايسر واسهل وسبيل طالب الاقالة من هذا الامر وامثاله المقتضي طلبه لذلك ان يتحرى قلة متاعب هذا الامر ويجتهد في الخلاص منه مهما امكنه ذلك فاذا رايناه متمسكا بهذا الامر مدة حيوته وعند وفاته يعقده لاخر بعده فيتحمل مضارة هذا الامر في حال الحيوة وبعد الوفاة فلا بد وان يغلب على الظن ان طلبه للاقالة لم يكن عن قصد صحيح فيصير ذلك الظن مقابلا لما اشتهر عنه من العدالة والزهد وذلك محل التعجب وهذا بخلاف ما اشتهر بالفسق والنفاق فانه لا يتعجب من فعله لو خالف قوله **قوله** لشد ما تشطرا ضرعيها اللام للتاكيد وما مع الفعل بعدها في تقدير المصدر وهو فاعل شد والجملة من تمام التعجب وقد استعار عليه السلام لفظ الضرع هاهنا للخلافة وهي استعارة مستلزمة لتشبيهها بالناقة ووجه المشابهة كونها في الانتفاع الحاصل منهما والمقصود وصف اقتسامهما لهذا الامر المشبه لاقتسام الحالبين اخلاف الناقة بالشدة على من يعتقد انه احق بها منهما او على المسلمين الذين يشبهون الاولاد لها **وقوله** فصيرها في حوزة خشناء كنى بالحوزة على طباع عمر فانها كانت توصف بالجفاوة والغلظ في الكلام والتسرع الى الغضب وذلك معنى خشونتها **قوله** يغلظ كلمها ويخشن مسها استعار لتلك الطبيعة وصفين احدهما غلظ الكلم وهي كناية عن غلظ المواجهة بالكلام والجرح بمعنى ان الضرب باللسان اعظم من وخز السنان والثاني جفاوة المس وهي كناية عن خشونة طباعه المانعة من ميل الطباع اليه المستلزمة للاذى كما يستلزم مس

الاجسام الخشنة **قوله** ويكثر العثار والاعتذار منها اشارة الى ما كان يتسرع اليه عمر من الاحكام ثم يعاود النظر فيها فيجدها غير صائبة فيحتاج الى الاعتذار والضمير في منها يعود الى الطبيعة المعبر عنها بالحوزة فمن ذلك ما روي انه امر برجم امراة زنت وهي حامل فعلم علي عليه السلام بذلك فجاء اليه وقال له ان كان لك سلطان عليها فما سلطانك على ما في بطنها دعها حتى تضع ما في بطنها ثم ترضع ولدها فعند ذلك قال عمر لولا علي لهلك عمر وتركها وكذلك ما روي انه امر ان يؤتى بامراة لحال اقتضت ذلك وكانت حاملا فانزعجت من هيبته فاجهضت جنينا فجمع جمعا من الصحابة وسالهم ماذا يجب عليه فقالوا انت مجتهد ولا نرى انه يجب عليك شيء فراجع عليا في ذلك واعلمه بما قال بعض الصحابة فانكر ذلك وقال ان كان ذلك عن اجتهاد منهم فقد اخطاوا وان لم يكن عن اجتهاد فقد غشوك ارى عليك الغرة فعندها قال لا عشت لمعضلة لا تكون لها يا ابا الحسن ومنشا ذلك واشباهه غلبة القوة الغضبية وغلظ الطبيعة **قوله** فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم قيل الضمير في صاحبها يعود الى الحوزة المكنى بها عن طبيعة عمر واخلاقه والمراد على هذا الوجه ان المصاحب لتلك الاخلاق في حاجته الى المداراة وفي صعوبة حاله كراكب الصعبة ووجه المشابهة ان راكب الصعبة كما يحتاج الى الكلفة الشاقة في مداراة احوالها فهو معها بين خطرين ان والى الجذبات في وجهها بالزمام خرم انفها وان اسلس لها في القياد تقحمت به المهالك كذلك مصاحب اخلاق الرجل والمبتلى بها ان اكثر عليه انكار ما يتسرع اليه ادى ذلك الى مشاقته وفساد الحال بينهما وان سكت عنه وتركه وما يصنع ادى ذلك الى الاخلال بالواجب وذلك من موارد الهلكة وقيل الضمير في صاحبها للخلافة وصاحبها هو كل من تولى امرها اذا كان عادلا مراعيا لحق الله ووجه شبهه براكب الصعبة ان المتولي لامر الخلافة مضطر الى الكلفة الشاقة في مداراة احوال الخلق ونظام امورهم على القانون الحق وان يسلك بهم طريق العدل المحبوسة بطرفي التفريط والتقصير المشبه لاسلاس قياد الصعبة وبطرف الافراط في طلب الحق والاستقصاء فيه الذي يشبه شنقها فان المتولي لامر الخلافة ان فرط في المحافظة على شرايطها واهمل امرها القاه التفريط في موارد الهلكة كما نسب الصحابة الى عثمان حتى قتل به فاضل فكان في ذلك كراكب صعبة اسلس قيادها وان افرط في حمل الخلق على اشد مراتب الحق وبالغ في الاستقصاء عليهم في طلبه اوجب ذلك تضجرهم منه ونفار طباعهم وتفرقهم عنه وفساد الامر عليه بميل اكثرهم الى جانب الباطل وغفلتهم عن فضيلة الحق وان صعب فيكون في ذلك كمن اشنق للصعبة التي هو راكبها حتى خرم انفها وهو من التشبيهات اللطيفة وقيل اراد بصاحبها نفسه ويشبه براكب الصعبة لانه ايضا بين خطرين اما ان ينهى عن طلب هذا الامر والقيام به فيتحمل بذلك في موارد الذل والصغار كما يتحمل راكب الصعبة المسلس لها قيادها واما ان يقوم فيه ويتشدد في طلبه فيتشعب امر المسلمين بذلك وتنشق عصاهم فيكون في ذلك كمن اشنق لها فخرم انفها والاول اليق بسياق الكلام ونظامه والثاني اظهر والثالث محتمل **قوله** فمني الناس

لعن الله بخبط وشماس وتلون واعتراض اشارة الى ما ابتلوا به من اضطراب الرجل وحركاته التي كانوا ينعمونها
عليه فكنى بالخبط عنها وبالشماس عن جفاوة طباعه وخشونتها وبالتلون والاعتراض عن تقلبه من حالة
الى اخرى في اخلاقه وهي استعارات وجه المشابهة فيها ان خبط البعير وشماس الفرس واعتراضها في الطريق
حركات غير منظومة فاشبهها ما لم يكن منظوما من حركات الرجل التي ابتلي الناس بها ولا شك انه كان
صعبا عظيم السطوة والهيبة وكان اكابر الصحابة يتحامونه وقيل لابن عباس لما اظهر قوله في مسئلة العول
بعد موت عمر هلا قلت ذلك وعمر حي قال هيبته وكان رجلا مهيبا وقيل ان ذلك اشارة الى ما ابتلي به الناس
من اضطراب الامر وتفرق الكلمة وجرى امورهم على غير نظام بسبب تفرق كلمتهم ثم اردف ذلك بتكرير
ذكر صبره على ما صبر عليه مع الثاني كما صبر مع الاول وذكر امرين لحقه فيهما طول مدة تخلف الامر عنه والثاني
شدة المحنة بسبب فوات حقه وما يتعقبه من لوازم ذلك الفوت وهو عدم انتظام احوال الدين ولجرايه
على قوانينه الصحيحة ولكل واحد من هذين الامرين حصة في استلزام الاذى الذي يحسن في مقابلته الصبر
قوله حتى اذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني احدهم قوله حتى هناك لانتهاء الغاية والغاية لزومها لى
الشرطية لعقدتها اعني جعله لها في جماعة لمضيه لسبيله واشار بالجماعة الى اهل الشورى وخلاصة حديث
الشورى ان عمر لما طعن دخل عليه وجوه الصحابة وقالوا له ينبغي ان تعهد عهدك اليها الرجل وتستخلف
رجلا ترضاه فقال لا احب ان اتحملها حيا وميتا فقالوا افلا تشير علينا فقال اما ان اشير فان احببتم
قلت فقالوا نعم فقال الصالحون لهذا الامر سبعة نفر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول انهم من
اهل الجنة احدهم سعيد بن زيد وانا مخرجه منهم لانه من اهل بيتي وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة
والزبير وعثمن وعلي فاما سعد فلا يمنعني منه الا عنفه وفظاظته واما عبد الرحمن فلانه قارون هذه
الامة واما طلحة فتكبره وتخوته واما الزبير فشحه ولقد رايته بالبقيع يقاتل على صاع من شعير
ولا يصلح لهذا الامر الا رجل واسع الصدر واما عثمن فحبه لقومه وعصبيته لهم واما علي فحرصه على
هذا الامر ودعابة فيه ثم قال صهيب يصلي بالناس ثلاثة ايام وتخلوا الستة نفر في بيت ثلاثة ايام ليتفقوا
على رجل منهم فان استقام امر خمسة وابى رجل فاقتلوه وان استقر امر ثلثة وابى ثلثة فكونوا مع الثلثة التي
فيهم عبد الرحمن بن عوف ويروى فاقتلوا الثلثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن بن عوف ويروى فحاكموا
الى عبد الله بن عمر فاي الفريقين قضى له فاقتلوا الفريق الاخر فلما خرجوا عنه واجتمعوا لهذا الامر قال
عبد الرحمن ان لي ولابن عمي سعد من هذا الامر الثلث فنحن نخرج انفسنا منه على ان نختار رجلا هو خيركم
للامة فقال القوم رضينا خيرا علي فانه اتهمه في ذلك وقال ارى وانظر فلما ايس من رضى علي رجع الى
سعد فقال له هلم نعين رجلا ونبايعه فالناس يبايعون من بايعته فقال سعد ان بايعك عثمن فانا
لكم ثالث وان اردت ان تولي عثمن فعلي احب الي فلما ايس من مطاوعة سعد كف عنهم فجاء ابو

طلحة فحضر بين رجلا من الانصار يحثهم على التعيين فاقبل عبد الرحمن على علي عليه السلام واخذ بيده وقال
ابايعك على ان تعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين ابي بكر وعمر فقال علي تبايعني على ان اعمل
بكتاب الله وسنة رسوله واجتهد رايي فترك يده ثم اقبل على عثمن فاخذ بيده وقال له مثل مقاله لعلي
فقال نعم فكرر القول على كل منهما ثلثا فاجاب كل بما اجاب به اولا فبعدها قال عبد الرحمن هي لك يا عثمان
وبايعه الناس وفي بعض النسخ زعم اني سادسهم ثم اردف حكاية الحال بالاستغاثة بالله للشورى و
الواو اما زائدة او للعطف على محذوف مستغاث له ايضا كانه قال فيا لله لعمر وللشورى ونحوه والاستفهام
عن وقت عروض الشك لاذهان الخلق في انه لا اول هل يساويه في الفضل او لا يساويه استفهاما
على سبيل الانكار والتعجب من عروضه لاذهانهم الى غاية ان قاسوه بالخمسة المذكورين وجعلوهم نظراء
وامثالا له في المنزلة واستحقاق هذا الامر قوله لكني اسففت اذ اسفوا وطرت اذ طاروا استعارة لا
الطاير من الاسفاف والطيران لاحوال من مقارنته لهم ونصرفه على قدر احوالهم اولا واخرا قوله
فصغى رجل لضغنه اشارة الى سعد بن ابي وقاص فانه كان منحرفا عنه عليه السلام وهو احد المتخلفين عن بيعته
بعد قتل عثمان وقوله مال الاخر لصهره اشارة الى عبد الرحمن بن عوف فانه مال الى عثمن لمصاهرة كانت بينهما
وهي ان عبد الرحمن كان زوجا لام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اخت عثمان لامه اروى بنت كريز
قوله مع هن وهن يريد ان ميله اليه لم يكن لمجرد المصاهرة بل لاشياء اخرى يحتمل ان يكون نفاسة على
وغبطة له بوصول هذا الامر اليه او غير ذلك وقوله الى ان قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله
ومعتلفه اراد به عثمن وكنى بقيامه عن حركته في ولايته امر الخلافة واثبت له حالا تستلزم تشبيهه بالبعير
واستعارة وصفه وهو نفخ الحضنين وكنى بذلك عن استعداده للتوسع ببيت مال المسلمين وحركته
في ذلك كما نبه اليه تشبيها له بالبعير ينتفخ جنباه بكثرة الاكل كذلك المتوسع في الاكل والشرب ربما
ينتفخ ذلك للتكبر المستلزم كبرا وكذلك قوله بين نثيله ومعتلفه وهو متعلق بقام اي قام بين معتلفه
وروثه وهو من اوصاف البهايم ووجه الاستعارة ان البعير والفرس كما لا اهتمام له اكثر من ان يكون
بين اكل وروث كذلك نبه الى انه لم يكن اكبر همه الا الترفه والتوفر في المطعم والمشرب وساير مصالح
نفسه واقاربه دون ملاحظة امور المسلمين ومراعاة مصالحهم كما نقم عليه قوله وقام معه بنو ابيه يخضمون
مال الله خضم الابل نبتة الربيع يخضمون في موضع الحال وعنى بمال الله بيت المال واراد ببني ابيه بني امية
عبد شمس ويحتمل ان يريد اقرباءه مطلقا وخص بني ابيه تغليبا للذكورة وكنى بالخضم عن كثرة توسعهم في
المسلمين من بيعة عثمن وقد نقلت عنه من ذلك صور احدها انه دفع الى اربعة نفر من قريش زوجهم بناته
اربعمائة الف دينار وثانيها انه لما فتح افريقية اعطى مروان بن الحكم مائة الف دينار ويروى خمس افريقية
وثالثها روي من عدة طرق ان ابا موسى الاشعري بعث اليه مال عظيم من البصرة فحمل ففرقه في ولده واهله

وكان ذلك بحضرة زياد بن عبيد مولى الحرث بن كلدة الثقفي فبكى زياد لما راى فقال له لا تبك فان
عمر كان يمنع قرابته ابتغاء وجه الله وانا اعطي اهلي وقرابتي ابتغاء وجه الله ورابعها انه ولى الحكم
ابن ابي العاص صدقات قضاعة فبلغت ثلثمائة الف فوهبها له حين اتاه بها وخامسها روى ابو مخنف ان
عبد الله بن خالد بن اسيد قدم على عثمان من مكة ومعه ناس فامر لعبد الله بثلثمائة الف ولكل واحد منهم
بمائة الف وصك بذلك على عبد الله بن الارقم وكان حينئذ خازن بيت المال فاستكثر ذلك ورد الصك
فقال له عثمن ما حملك على عدم رده وانما انت خازن قال كنت اراني خازن بيت مال المسلمين وانما خازنك
غلامك وانه لا الي لك بيت المال ابدا وجاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر فدفعها عثمن الى مولاه نايل وروى
الواقدي ان عثمن امر زيد بن ثابت ان يحمل من بيت المال الى عبد الله بن الارقم عقيب ما فعل ثلثمائة الف
درهم فلما دخل عليه بها قال له يا ابا محمد ان امير المؤمنين ارسل اليك يقول انا شغلناك عن التجارة ولك
ذو رحم اهل حاجة ففرق هذا المال فيهم واستعن به على عيالك فقال عبد الله ما لي اليه حاجة وما عملت
لان يثيبني عثمان فان كان هذا من بيت المال فما بلغ قدر عملي ان اعطى ثلثمائة الف وان كان من ماله
فلا حاجة لي به وبالجملة فمواهبه لاهله ودونه مشهورة وقد شبه عليه السلام خضمهم لمال الله بخضم الابل
نبت الربيع ووجه التشبيه ان الابل لما كانت تستلذ نبت الربيع بشهوة صادقة وتملأ منه احناكها وذلك
لمجيئه عقيب يبس الارض وطول مدة الشتاء ومع ذلك طيبه ونضارته كان ما اكله اقارب عثمن من بيت
المال مشبها لذلك من جهة كثرته وطيبه لهم عقيب ضرهم وفقرهم وكل ذلك في معرض الذم والتوبيخ المستلزم
لارتكاب مناهي الله المستلزم لعدم التاهل لامر الخلافة قوله الى ان انتكث فتله واجهز عليه عمله وكبت به
بطنته اشارة الى غاية من قيامه في الحال المذكورة واستعار لفظ الفتل وهو ابرام الحبل لما كان يبرمه من الرأي
والتدبير ويستبد به دون الصحابة وكنى به ايضا وكذلك لفظ الانتكاث لانتقاض تلك التدابير ورجوعها
عليه بالفساد والهلاك وقوله واجهز عليه عمله يشتمل على مجاز في الافراد والتركيب اما في الافراد فلان استعمال
الاجهاز انما يكون في قتل بعد تقدم جرح المقتول او اثخان بضرب ونحوه ولما كان قتل عثمان مسبوقا
بطعن اسنة الالسنة والجرح بحداد سيوفها الاجرام اشبه قتله الاجهاز فاطلق عليه لفظه واما في التركيب
فلان اسناد الاجهاز اليه اسناد الفعل الى السبب لا الى الفاعل وهو من وجوه المجاز وكذلك
قوله وكبت به بطنته مجاز ايضا في الاسناد والتركيب في ذلك لان الكبو انما هو حقيقة في الاسناد الى الحيوان
ولما كان ارتكابه للامور التي نقمت عليه توسعه ببيت المال المكنى عن ذلك بالبطنة واستمراره على ذلك مدة
خلافته سليما يشبه ركوب الفرس واستمرار مشيه سليما من العثار والكبو كانت البطنة مشبهة بالمركوب من
هذه الجهة فلذلك صح اسناد الكبو اليها مجازا قوله فما راعني الا والناس الي كعرف الضبع ينثالون علي
من كل جانب الي متعلق بمحذوف تقديره مقبلون الي وفاعل راعني اما الجملة الاسمية وهو مقتضى

قول الكوفيين اذ جوزوا كون الجملة فاعلا واما ما دلت عليه هذه الجملة وكانت مفسرة له من المصدر اي فما راعني
الا اقبال الناس الي وهو فرع مذهب البصريين اذ منعوا كون الجملة فاعلا ونظيره قوله ثم بدا لهم من بعد ما
راوا الايات ليسجننه حتى حين وينثالون اما خبر ثان للمبتدا او حال عن راعني والعامل فيه الى والاشارة
الى وصف ازدحام الناس عليه للبيعة بعد قتل عثمن وقد شبههم في اقبالهم اليه وازدحامهم عليه بعرف الضبع
ووجه ذلك ان الضبع ذات عرف كثير فانه الشعر والعرب يسمي الضبع عرفاء لعظم عرفها فكان حال الناس في
اقبالهم عليه متتابعين يتلو بعضهم بعضا قياما يشبه عرف الضبع قوله حتى لقد وطي الحسنان وشق عطفاي
اشارة الى غاية ازدحامهم عليه وهي وطي ولديه الحسن والحسين عليهما السلام وشق رداءه بالجذب عند خطابه
والجلوس على جانبيه واما على الرواية الاخرى فالمراد بالشق اما الاذى الحاصل للصدر والمنكبين او شق
قميصه بالجلوس على جانبيه واطلاق لفظ العطفين على جانبي القميص مجاز اطلاقا لاسم المجاور على مجاوره
او المتعلق على متعلقه ومن عادة العرب ان يكون امراؤهم كساير هم في قلة التوقير والتعظيم في المخاطبات
وفعلهم ذلك اما فرح به عليه السلام او لخلافة فتطابع رعاعهم وحكى السيد المرتضى رضي الله عنه ان ابا عمر محمد بن
عبد الواحد غلام ثعلب روى في قوله عليه السلام وطي الحسنان انهما الابهامان وانشد للشنفرى مهضومة
الكشحين خرماء الحسن وروى امير المؤمنين عليه السلام انه كان يومئذ جالسا محتبيا وهي جلسة رسول الله صلى الله عليه
وآله المسماة بالقرفصاء وهي جمع الركبتين وجمع الذيل فلما اجتمعوا ليبايعوه زاحموه حتى وطئوا ابهاميه
وشقوا ذيله بالوطي ولم يعن الحسن والحسين وهما رجلان كساير الحاضرين وهذا القول يؤيد الرواية الاولى
واعلم ان ارادة الحسن والحسين اظهر قوله مجتمعين حولي كربيضة الغنم مجتمعين منصوب على الحال كالذي قبله
والعامل واحد ويقول لو طي وشق وقد شبه اجتماعهم حوله بربيضة الغنم ووجه التشبيه ظاهر ويحتمل ان يلاحظ
في وجه التشبيه مع الهيئة زيادة وهي انه شبههم بالغنم لغفلتهم عن وضع الاشياء في مواضعها وقلة فطانتهم
وعدم استعمالهم للادب معا ومطلقا والعرب تصف الغنم بالغباوة وقلة الفطانة قوله فلما نهضت بالامر
نكثت طائفة ومرقت اخرى وفسق اخرون اراد بالناكثين طلحة والزبير لانهما بايعاه ونقضا بيعته وخرجا
عليه وكذلك من تبعهما ممن بايعه وبالمارقين الخوارج وبالقاسطين او القاسقين اصحاب معوية وهذه الاسماء
سبقت من الرسول صلى الله عليه وآله وحكي في موضع خواص اخبره بانه سيقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين
بعده وانما خص الخوارج بالمروق لان المروق هي مجاوزة السهم للرمية وخروجه منها ولما كانت الخوارج اولا
منظومين في سلك الحق الا انهم بالغوا بزعمهم في طلبه الى ان تعدوه وجاوزوه لاجرم حسن ان يستعار لهم
لفظ المروق لمكان المشابهة وقد اخبر الرسول صلى الله عليه وآله عنهم بهذا اللفظ اذ قال يمرقون من الدين كما
يمرق السهم من الرمية واما تخصيص اهل الشام بالقاسطين فلان مفهوم الفسق او القسط هو الخروج عن سنن
الحق وقد كانوا كذلك لمخالفته عليه السلام والخروج عن طاعته فكان اطلاق اللفظين عليهم لذلك قوله

كانهم لم يسمعوا الله تعالى يقول تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين تنبيه لاذهان الطوايف الثلث المذكورة ومن عساه يتخيل ان الحق في سلوك مسالكهم على ان ما فعلوه من المخالفة عليه والقتال له انما هو طلب للعلو والمفاخرة في الدنيا المستلزم للسعي في الارض بالفساد واعراض عن الدار الاخرة وحسم لمادة اعذارهم ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين فيقولوا عند لقاء ربهم لو سمعنا هذه الاية ووعيناه لما ارتكبنا هذه الافعال ويزعمون ان الحق في هذه المتصلة هو استثناء نقيض تاليها لينتج لهم نقيض مقدمها ومقدمة عنادهم به فاشار الى مكذب النتيجة بوضع نقيضها موكدا بالقسم البار والى منع لزوم هذه المتصلة بقوله بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكن حليت الدنيا في اعينهم ونبه على ان وضع المقدم المذكور في المتصلة لا يستلزم تاليها مطلقا بل استلزامه موقوف على زوال مانع هو حاصل لهم الان وذلك المانع هو غرور الدنيا لهم بزينتها واعجابهم بها وعلى تقدير حصول المانع لذلك جاز ان يجتمع هذا المقدم مع نقيض التالي المذكور وهو ارتكاب ما ارتكبوه من الافعال **قوله** اما والذي فلق الحبة وبرا النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء الى اخره **اقول** لما ذكر من حال القوم وحاله معهم ما ذكر من الشكاية والتظلم في امر الخلافة وذم الشورى وما انتهى اليه من الحال الى حيث تزول عن مرتبته الى ان قوتل بالجماعة المذكورين اردف ذلك ببيان الاعذار الحاملة له على قبول هذا الامر والقيام به بعد تخلفه عنه الى هذه الغاية وقدم على ذلك ... هذا القسم العظيم بهاتين الاضافتين وهما فالق الحبة وبارئ النسمة واعلم ان الوصف الاول قد ورد في القران الكريم وهو قوله تعالى فالق الحب والنوى وانما خص الحبة والنسمة بالتعظيم بالنسبة الى الله تعالى لاشتمالهما عليه مع لطف الخلقة وصغر الحجم من اسرار الحكمة وبدايع الصنع الدالة على وجود الصانع الحكيم اما فلق الحب ففيه قولان احدهما قال ابن عباس والضحاك فالق الحب كقوله اي خالقه فعلى هذا يكون معنى قوله عليه السلام فلق الحبة كقوله فطر الخلايق بقدرته الثاني وهو الذي عليه جمهور المفسرين ان فلق الحبة هو الشق الذي في وسطها وتقدير هذا القول ان الحبة من الحنطة مثلا لما كان من غايتها ان تكون شجرة مثمرة ينتفع بها الحيوان جعل الله سبحانه في وسطها ذلك الشق حتى اذا وقعت في الارض الرطبة ثم مرت بها مدة من الزمان جعل سبحانه الطرف الاعلى من ذلك الشق مبدا لخروج الشجرة الصاعدة الى الهواء والطرف الاسفل مبدا للعروق الهابطة في الارض التي منها مادة تلك الشجرة وفي ذلك بدايع من الحكمة شاهدة بوجود المدبر الحكيم احدها ان طبيعة تلك الحبة ان كانت تقتضي الهوى في عمق الارض فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة في الهواء وعلى العكس فلما تولد منها امران متضادان علمنا ان ذلك ليس لمجرد الطبيعة بل بمقتضى الحكمة الالهية وثانيها انا نشاهد اطراف تلك العروق في غاية الدقة واللطافة بحيث لو دلكها الانسان بادنى قوة لصارت كالماء ثم انها مع غاية تلك اللطافة تقوى على خرق الارض الصلبة وتنفذ في مسام الاحجار فحصول هذه القوة الشديدة لهذه الاجرام اللطيفة الضعيفة لا بد وان يكون بتقدير العزيز

الحكيم

الحكيم وثالثها انك قد تجد الطبايع الاربع حاصلة في الفاكهة الواحدة كالاترج فان قشره حار يابس ولحمه بارد رطب وحماضه بارد يابس وبذره حار يابس فتولد هذه الطبايع المتضادة عن الحبة الواحدة لا بد وان يكون بتدبير الفاعل الحكيم ورابعها انك اذا نظرت الى ورقة من اوراق الشجرة المبدعة عن الحبة وجدت في وسطها خطا مستقيما كالنخاع بالنسبة الى بدن الانسان ثم لا يزال ينفصل عنه شعب وعن الشعب شعب اخرى الى ان يدق ويخرج تلك الخطوط عن ادراك البصر والحكمة الالهية انما اقتضت ذلك لتقوى القوة الجاذبة المركوزة في جرم تلك الورقة على جذب الاجزاء اللطيفة الارضية في تلك المجاري الضيقة واذا وقفت على عناية الله سبحانه في تكوين تلك الورقة الواحدة علمت ان عنايته في جملة النبات اكمل ثم اذا علمت انه انما خلق جملة النبات لمصلحة الحيوانات علمت ان عنايته في خلق الحيوان اكمل واذا علمت ان المقصود من خلق الحيوان انما هو الانسان علمت ان الانسان هو اعز مخلوقات هذا العالم عند الله واكرمه عليه وانه قد اكرمه بانواع الاكرام كما قال تعالى ولقد كرمنا بني ادم الاية وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واما النسمة فعليك في مطالعة عجايب صنع الله فيه بكتب التشريح وقد اشرنا الى طرف من ذلك في الخطبة الاولى اذا عرفت ذلك فاعلم انه عليه السلام ذكر من تلك الاعذار ثلثة احدها حضور الحاضرين لمبايعته والثاني قيام الحجة عليه بوجود الناصر له في طلب الحق لو ترك القيام الثالث ما اخذ الله على العلماء من العهد على انكار المنكرات ومنع الظالمين ودفع الظلامات عند التمكن والعذران الاولان هما شرطان في الثالث اذ لا يتعين ولا يجب انكار المنكر بدونهما وكنى بكظة الظالم عن قوة ظلمه وبسغب المظلوم عن قوة ظلامته **قوله** لالقيت حبلها على غاربها استعارة وصف من اوصاف الناقة للخلافة او للامة كنى بها عن تركها واهمالها لامرها ثانيا كما هملها اولا ولما استعار لها لفظ الغارب جعل لها حبلا يلقى عليه وهو من ترشيح الاستعارة بذلك واصله ان الناقة يلقى زمامها على غاربها وتترك لترعى **قوله** ولسقيت اخرها بكاس اولها استعار لفظ السقي للترك المذكور ايضا ورشح تلك الاستعارة بذكر الكاس ووجه تلك الاستعارة ان السقي بالكاس لما كان مستلزما لوجود السكر غالبا وكان عارضه اولا مستلزما لوقوع الناس فيما ذكر من الحيرة العمياء المستلزمة لحيرة كثير من الخلق وضلالهم الذي يشبه السكر واشد منه لا جرم حسن ان يعبر عن ذلك الترك بالسقي بالكاس **قوله** ولالفيتم دنياكم هذه اهون عندي من عفطة عنز عطف على ما قبله ويفهم منه انه عليه السلام طالب للدنيا ولها عنده قيمة الا ان طلبه لها والحرص على الامرة فيها ليس لانها هي بل لما ذكرنا من نظام الخلق واجراء امورهم على القانون العدل المأخوذ على العلماء كما اشار اليه ونظم هذا الكلام في صورة متصلة هكذا لولا حضور الحاضر ولزوم الناصر ولم يوخذ على العلماء ما اخذ عليهم من انكار المنكر اذا تمكنوا لتركت اخرا كما تركت اولا ولوجدتم دنياكم هذه اهون عندي مما لا قيمة له وهو عفطة العنز واما الحكاية المتعلقة بهذه الخطبة فاراد باهل السواد سواد العراق قال ابو الحسن الكندري رحمه الله وجدت في الكتب القديمة ان الكتاب الذي دفعه الرجل

الى امير المومنين عليه السلام كان فيه عدة مسايل احدها ما الحيوان الذي خرج من بطن حيوان اخر وليس بينهما نسب فاجاب عليه السلام انه يونس بن متى عليه السلام خرج من بطن الحوت **ب** ما الشي الذي قليله مباح وكثيره حرام فقال عليه السلام هو نهر طالوت لقوله تعالى الا من اغترف غرفة بيده **ج** ما العبادة التي ان فعلها واحد استحق العقوبة وان لم يفعلها استحق ايضا العقوبة فاجاب بانها صلوة السكارى **د** ما الطاير الذي لا فرخ له ولا فرع ولا اصل فقال هو طاير عيسى عليه السلام في قوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيه فتكون طيرا باذني **ه** رجل عليه من الدين الف درهم وله في كيسه الف درهم فضمنه ضامن بالف درهم فحال عليهما الحول فالزكوة على اي المالين تجب فقال عليه السلام ان ضمن الضامن باجازة من عليه الدين فلا يكون عليه وان ضمنه من غير اذنه فالزكوة مفروضة في ماله **و** حج جماعة ونزلوا في دار من دور مكة واغلق واحد منهم باب الدار وفيها حمام فمتن من العطش قبل عودهم الى الدار فالجزاء على ايهم يجب فقال عليه السلام على الذي اغلق الباب ولم يخرجهن ولم يضع لهن ماء **ز** شهد شهداء اربعة على محصن بالزنا فامرهم الامام برجمه فرجمه واحد منهم دون الثلاثة الباقين ووافقه قوم اجانب في الرجم فرجع من رجمه عن شهادته والمرجوم لم يمت ثم مات فرجع الاخرون عن شهادتهم عليه بعد موته فعلى من يجب ديته فقال يجب على من رجمه من الشهود ومن وافقه **ح** شهد شاهدان من اليهود على يهودي انه اسلم فهل تقبل شهادتهما ام لا فقال لا تقبل شهادتهما لانهما يجوزان تغيير كلام الله وشهادة الزور **ط** شهد شاهدان من النصارى على نصراني او مجوسي او يهودي انه اسلم فقال تقبل شهادتهما لقول الله سبحانه ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى الاية ومن لا يستكبر عن عبادة الله لا يشهد شهادة الزور **ى** قطع انسان يد اخر فحضر اربعة شهود عند الامام وشهدوا على قطع يده وانه زنا وهو محصن فاراد الامام ان يرجمه فمات قبل الرجم فقال على من قطع يده دية يد حسب ولو شهدوا انه سرق نصابا لم يجب دية يده على قاطعها والله اعلم

ومن خطبة له عليه السلام بنا اهتديتم في الظلماء وتسنمتم العلياء وبنا انفجرتم عن السرار وقر سمع لم يفقه الواعية كيف يراعي النباة من اصمته الصيحة ربط جنان لم يفارقه الخفقان ما زلت انتظر بكم عواقب الغدر واتوسمكم بحلية المغترين سترني عنكم جلباب الدين وبصرنيكم صدق النية اقمت لكم على سنن الحق في جواد المضلة حيث تلتقون ولا دليل وتحتفرون ولا تميهون اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان عزب راي امرئ تخلف عني ما شككت في الحق مذ اريته لم يوجس موسى خيفة على نفسه اشفق من غلبة الجهال ودول الضلال اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل من وثق بماء لم يظما **اقول** روي ان هذه الخطبة خطب بها امير المومنين عليه السلام بعد قتل طلحة والزبير تسنمتم اي ركبتم سنامها وسنام كل شي اعلاه والسرار الليلة او الليلتان يكون في اخر الشهر يستتر فيها القمر ويخفى والوقر الثقل في السمع وفقهت الامر فهمته والواعية الصارخة والنباة الصوت الخفي والسمة العلامة وسنن الحق وجهه وطريقه والمضلة الارض يضل فيها وغربا اي غابت فاوجس حس واحس والظماء العطش واعلم ان هذه الخطبة من افصح كلامه عليه السلام وهي مع

اشتمالها

اشتمالها على كثرة المقاصد الواعظة المحركة للنفس في غاية وجازة اللفظ ثم من عجيب فصاحتها وبلاغتها ان كل كلمة منها تصلح لان تفيد على سبيل الاستقلال وهي على ما تذكر من حسن النظم وتركيب بعضها مع بعض **قوله** بنا اهتديتم في الظلماء الضمير المجرور راجع الى ال الرسول صلى الله عليه وآله والخطاب لحاضري الوقت من قريش والمخالفين له مع طلحة والزبير وان صدق في حق غيرهم والمراد انا سبب هدايتكم بانوار الدين وما انزل الله من الكتاب والحكمة هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حيث كنتم في ظلمات الجهل وتلك الهداية هي الدعوة الى الله وتعليم الخلق كيفية السلوك الى حضرة قدسه وقوله تسنمتم العلياء اي بتلك الهداية وشرف الاسلام علا قدركم وشرف ذكركم ولما استعار وصف التسنم للعلياء ملاحظة لشبهها بالناقة رشح تلك الاستعارة بذكر التسنم وهي ركوب السنام وكنى به عن علوهم **قوله** وبنا انفجرتم عن السرار استعار لفظ السرار لما كانوا فيه من ليل الجهل في الجاهلية وخمول الذكر ولفظ الانفجار عنه لخروجهم من ذلك الى نور الاسلام واشتهارهم في الناس وذلك لتشبيههم بالفجر الطالع من ظلمة السرار في الضياء والاشتهار **قوله** وقر سمع لم يفقه الواعية النفات الى الدعاء بالوقر على سمع لا ينتفع صاحبه بواسطته علما ولا يستفيد من السماع به مقاصد الكتب الالهية وكلام الانبياء عليهم السلام والدعاة الى الله وحق لذلك السمع ان يكون اصم اذ كانت الغاية منه المقصودة من الحكمة الالهية اكتساب النفس من جهته ما يكون سببا لكمالها وقوتها على الوصول الى جناب الله وساحل عزته فاذا كانت النفس معرضة عما يحصل من جهته من الفايدة وربما كانت مع ذلك متلقية منه من الشرور الجاذبة لها الى الجنبة السافلة تحقق به ان يكون موقورا ومن روى وقر على ما لم يسم فاعله فالمراد اوقره الله وهو كلام على سبيل التمثيل اورده في معرض التوبيخ لهم والتبكيت بالاعراض عن اوامر الله وطاعته وكنى بالواعية عن نفسه اذ صاح فيهم بالموعظة الحسنة والحث على الالفة وان لا يشقوا عصى الاسلام فلم يقبلوا ووجه نظام هذه الكلمة مع ما قبلها انه لما اشار الى وجه شرفه عليهم وانه ممن اكتسب عنه الشرف والفضيلة وكان ذلك في مقابلة تعاديهم واستكبارهم عن طاعته اردف ذلك بهذه الكلمة المستلزمة للدعاء عليهم كيف لم يفقهوا بيانه للوجوه الموجبة لاتباعه ويقبلوه بعد ان سمعوه وهذا كما يقول احد العلماء لبعض تلامذته المعاند له المدعي لمثل فضيلته انك بي اهتديت من الجهل وعلا قدرك في الناس وانا سبب لشرفك فتتكبر علي وقر سمع لم يفقه قولي ويقبل **قوله** كيف يراعي النباة من اصمته الصيحة استعار لفظ النباة لدعائه لهم وندائه الى سبيل الحق والصيحة لخطاب الله ورسوله وهي استعارة على سبيل الكناية عن ضعف دعائه بالنسبة الى قوة دعاء الله ورسوله لهم وتقرير ذلك ان الصوت الخفي لما كان لا يسمع عند الصوت القوي لمن شان الحواس ان لا تدرك الاضعف مع وجود الاقوى المماثل في الكيفية لاشتغالها به وكان كلامه عليه السلام اضعف في جذب الخلق وفي قبولهم له من كلام الله وكلام رسوله مجرى الصوت الخفي بالنسبة اليه واسناد

الاصنام الى الصحة من ترشيح الاستعارة وكنى به عن بلوغ تكرار كلام الله على اسماعهم على حد انها تحته وتت
سماعه بحيث لا يسمع بعده ماهو في معناه مخصوصا ما هو اسنعت كما لا يسمع الصوت للحق من اصمته الصيحة وقد
وردت هذه الكلمة موردا الاعتذار لنفسه في عدم فائدته وعظه لهم والاعتذار لهم في ذلك ايضا على سبيل
التهكم والذم ووجه نظامها مع ما قبلها انه لما كان تقدير الكلمة الاولى وقرنا سماعكم كيف لا تقبلون
قولى التفت عنه وقال كيف يسمع قولى من لم يسمع كلام الله ورسوله على كثرة تكراره على اسماعهم وقوة اعتقادهم
وجوب قبوله وكيف يواخذون بسماعه وقد اصمهم نداء الله قوله ربط جنان لم يفارقه الخفقان دعاء للقلوب
الخائفة الوجلة التي لا تزال تخفق من خشية الله والاشفاق من عذابه بالثبات والسكينة والاطمينان و
التعدية ربط جنان نفسه ومن روى بضم الراء على ما لم يسم فاعله فالتقدير ربط الله جنانا كذلك وهو
لهم الى درجة الخائفين وتنبيه على ملاحظة نواهى الله فيفيئوا الى الطاعة ووجه اتصاله بما قبله انه ذكر الرقيب
وصاحب الفضيلة في معرض التوبيخ لمن يراد منه ان يسلك مسلكه ويكون بصفاته من اعظم الجواذب لما يرى
به ومن احسن الاستدراجات له فكانه قال وكيف يلتفت الى قولى من لا يلتفت الى كلام الله فلله در الخائفين من
الله المراعين لاوامره الوجلين من وعيده ما ضركم لو شبهتم بهم فرجعتم الى الحق وقمتم بقيام رجل واحد قوله
ما زلت انتظر بكم العذر وانوسمكم بحلية المغترين اشارة الى انه عليه السلام كان يعلم عاقبة امرهم اما باطلاع
الرسول صلى الله عليه وآله على انهم بعد بيعتهم له يغدرون به او لانه كان يلوح من حركاتهم ولحوا لهم يجب
فراسته الصائبة فيهم كما اشار اليه بقوله وانوسمكم بحلية المغترين وذلك لانه فهم انهم من اهل الغرة وقبول
الباطل عن ادنى شبهة جالاح له من صفاتهم الدالة على ذلك وكان علمه بذلك منهم مسلما العلم بغدرهم
بعهده ونقضهم لبيعته فكان ينتظر ذلك منهم قوله سترنى عنكم جلباب الدين وارد موردا الوعيد للقوم في
قتالهم له ومخالفتهم لامره والمعنى ان الدين حال بيني وبينكم وسترنى عن اعين بصائركم ان تعرفونى بما
اوتى عليه من العنف بكم والتغلظ عليكم وسائر وجوه تقويمكم وردعكم عن الباطل وكنى به ايضا عما قضى عليه الدين
من الرفق والشفقة وصحيح العفو عن الجرائم فكان الدين غطاء حال بينهم وبين معرفته فاستعار لفظ
الجلباب وروى سترتكم عنى اي عصم الاسلام منه ما لكم واتباع مدبركم وان اجيز على جريحكم وغير ذلك مما
يفعل من الاحكام في حق الكفار قوله وبصرنيكم صدق النية اراد بصدق نيته اخلاصه لله وصفاء مرآة
نفسه وانه بسبب ذلك افيض على بصره بصيرته نور معرفة احوالهم وما يؤول اليه عاقبة امرهم كما قال النبي صلى الله
عليه وآله المؤمن ينظر بنور الله قوله اقمت لكم على سنن الحق في جواد المضلة تنبيه لهم على وجوب اقتفاء آثره
والرجوع اليه فيما اشتبه انواره في سلوك سبيل الله واعلام لهم انه واقف لهم على سواء سبيل الحق وفي الطرق
التي هي مزال الاقدام ليردهم عنها وليقين ذلك في المثل المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وآله روى انه
قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما ابواب مفتحة وعلى تلك الابواب ستور مرخاة

وعلى راس الصراط داعى يقول ادخلوا الصراط ولا تعرجوا قال فالصراط هو الاسلام والستور حدود الله
والابواب المفتحة محارم الله وذلك الداعى هو القران فنقول لما كان على عليه السلام هو الواقف على
الكتاب والملى بجوامع علمه وحكمه والمطلع على اصول الدين وفروعه كان هو الناطق بالكتاب لنا
بما لو اقف على راس سبيل الله والمقيم عليها ولما كان سبيل الله وصراطه المستقيم في غاية الوضوح و
لو كان مستبينا ما لها من الحدود والمقدمات مستجليا لمزال الاقدام فيها وما يغشاها عليها من الشكوك
والشبهات كان يجب قوته المدبرة لهذا العالم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو الواقف على تلك الابواب
المفتحة التي هي موارد الهلاك وابواب جهنم وجواد المضلة والساتر لها بحدود الله وبيان نواهيه والتذكير
بعظيم وعيده والعائد لاذهان السالكين للصراط عنها وذلك حيث تلتفت اذهانهم في ظلمات الجهل
فلا تبصر دليلا هناك سواه ويطلبون ماء الحيوة بالبحث والفحص من ومنابر القلوب فلا يجدون بهلكة
الاسم واستعار لفظ الاحتفار للبحث عن مظان العلم ولفظ الماء للعلم كما سبق للمشابهة قوله اليوم انطق
لكم العجماء ذات البيان كنى بالعجماء ذات البيان عن الحال الذى يشاهد فيها من العبر الواضحة والمثلات
التى حلت بقوم فسقوا امر ربهم وعن ما هو واضح من كمال فضله عليه السلام النسبة اليهم وما ينبغي لهم ان يعتبر
من حال الدين ومقتضى اوامر الله التى يحثهم على اتباعها فان كل هذه الاحوال امور لا نطق لها فاشبهت
لذلك بالعجماء من الحيوان واستعار لها لفظها ووصفها بكونها ذات البيان لان لسانها الحالى يخبر
مقاله عليه السلام ناطق بوجوب اتباعه وشاهد لهم ودليل على ما ينبغي ان يفعلوه في كل باب ذلك هو
فكانه عليه السلام انطق العجماء اذ عبر هو بلسان مقاله عنها ما كانت تقتضيه ويشاهده من نظر اليها
بعين بصيرته وهو كقولهم سل الارض من شق انهارك واخرج ثمارك فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا
وكقولهم الحايط للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى وقال بعضهم العجماء صفة لمحذوف تقديره الكلمات
العجماء واراد بها ما ذكر في هذه الخطبة من الرموز وشبهها بالحيوان اذ لا نطق لها في الحقيقة ومع ذلك فيستفيد
الناظر فيها اعظم الفوائد فهى ذات بيان عند اعتبارها قوله عزب راى امرئ تخلف عنى اشارة الى ذم من
تخلف عنه وحكم عليه بسفهه وعدم اصابة الراى حال تخلفه عنه وذلك ان المتخلف لما فكر في اى الامور انفع له
ايكون من متابعيه او المتخلفين عنه ثم راى ان التخلف عنه اولى له كان ذلك اسوء الاراء واقبحها فهو في
الحقيقة لمن اقدم على ذلك بعينه لم يحضره اولانه الراى الحق كان غاربا عنه وهو ذم في معرض التوبيخ للقوم
على طريقة قولهم اياك اعنى واسمعى يا جارة قوله ما شككت في الحق مذ اريته بيان لبعض اسباب وجوب
اتباعه وعدم التخلف عنه واعلم ان التمدح بعدم الشك عما اراه الله من الحق وافاضه على نفسه القدسية
من الكمال مستلزم للاخبار بكمال قوته على ثبات الحق الذى راه وشدة جلائه له بحيث لا يعرض له
شبهة فيه والامامية تستدل بذلك على وجوب عصمته وطهارته عن الارجاس التى منشاها ضعف اليقين

ولم يوجس موسى خيفة على نفسه اشفق من غلبة الجهال ودول الضلال اشفق افعل التفضيل منصوب
منصوب على الصفة لخيفة لان الاشفاق خوف والتقدير ولم يوجس موسى اشفاقا على نفسه اشد من
غلبة الجهال والمقصود التنبيه على ان الخوف الذى يخاف عليه السلام منهم ليس على مجرد نفسه بل اشد
خوفه من غلبة اهل الجهل على الدين وفتنة الخلق بهم وقيام دول الضلال فتعمى طريق الهدى وتندرس
مسالك الحق كما خاف موسى عليه السلام من غلبة جهال السحرة حيث القوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون
انا لنحن الغالبون وقيل ان اشفق فعل ماض والمعنى ان خوف موسى من السحرة لم يكن على نفسه وانما خاف
من غلبة الجهال فكانه قال لكن اشفق وانما اشفق ودول الضلال كدولة فرعون واتباعه الصادين عن
سبيل الله وقوله اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل المواقفة مفاعلة من الطرفين والخطاب للمقابلين
في القتال والمراد انى واقف على سبيل الحق وانتم واقفون على سبيل الباطل داعون اليه وهو تنفير لهم عما هم
عليه الى ما هو عليه قوله من وثق بماء لم يظما استدلال بمثل على وجوب الثقة بما عنده اى انكم ان سكنتم الىّ
ووثقتم به كنتم اقرب الى اليقين والهدى وابعد عن الضلال والردى كما ان الواثق بالماء في اداوته امن من العطش
وخوف الهلاك وبعيد عنهما بخلاف من لم يثق بذلك وكنى بالماء عن ما اشتمل عليه من العلم بكيفية الهداية الى
الله فانه الماء الذى لا ظما معه ومن كلام له عليه السلام ايها الناس شقوا امواج الفتن بسفن النجاة وعرجوا عن طريق
المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة افلح من نهض بجناح او استسلم فاراح ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها ومجتنى الثمرة
لغير وقت ايناعها كالزارع بغير ارضه فان اقل يقولوا حرص على الملك وان اسكت يقولوا جزع من الموت
هيهات بعد اللتيا والتى والله لابن ابى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى امه بل اندمجت على مكنون علم لو
بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوى البعيدة اقول سبب هذا الكلام ما روى انه لما تم في سقيفة بنى
ساعدة لابى بكر امر البيعة اراد ابو سفيان بن حرب ان يوقع الحرب بين المسلمين ليقتل بعضهم بعضا فيكون ذلك
دمارا للدين فمضى الى العباس فقال له يا ابا الفضل ان هؤلاء القوم قد ذهبوا بهذا الامر من بنى هاشم
وجعلوه في بنى تيم وانه ليحكم فينا غدا هذا الفظ الغليظ من بنى عدى فقم بنا حتى ندخل على على ونبايعه
بالخلافة وانت عم رسول الله وانا رجل مقبول القول في قريش فان دافعونا عن ذلك قاتلناهم وقتلناهم
فاتيا امير المؤمنين فقال له ابو سفيان يا ابا الحسن لا تغافل عن هذا الامر متى كنا تبعا لتيم الارذال وكان
عليه السلام يعلم من حاله انه لا يقول ذلك غضبا للدين بل للفساد الذى رواه في نفسه فاجابه عليه السلام
بهذا الكلام عرجوا اى ميلوا وانحرفوا والفلاح الفوز والنجاة والآجن المتغير الماء وفساده وغص باللقمة
يغص بفتح الغين اذا وقفت في حلقه فلم يسغها واينع الثمرة ادراكها واندمجت على كذا اى انطويت عليه
وستره في باطنى وباح بالشىء اظهره والطوى البئر والرشا حبلها قوله شقوا امواج الفتن بسفن النجاة
شبه عليه السلام الفتنة بالبحر المتلاطم فلذلك استعار له لفظ الامواج وكنى بها عن حركة الفتنة وقيام

ووجه المشابهة ظاهر لاشتراك البحر والفتنة عند هياجهما في كونهما سببا لهلاك الخائضين فيهما واستعار
سفن النجاة لكل ما يكون وسيلة الى الخلاص من الفتنة من مهادنة او حيلة مخلصة او صبر ووجه المشابهة
كون كل منهما وسيلة الى السلامة اذ كانت الطرق المذكورة طرقا الى السلامة من هيجان الفتنة والهلاك
فيها كما ان السفينة سببا للخلاص من امواج البحر قوله وعرجوا عن طريق المنافرة امر لهم بالعدول عن طريق
المنافرة الى السكون والسلامة وما يوجب سكون الفتنة وكذلك قوله وضعوا تيجان المفاخرة امر
بطريق آخر من طرق النجاة وهى ترك المفاخرة فان المفاخرة مما يهيج الاضغان ويثير الاحقاد ويوجب قيام
الفتنة ولما كان اكبر ما ينتهى اليه ارباب الدنيا من المفاخرة هو لبس التيجان وكانت الاصول الشريفة و
والابواب الكريمة والثياب الحسنة هى اسباب الافتخار الدنيوى ومشاركة كانت المشابهة بينها وبين
التيجان حاصلة فاستعار عليه السلام لفظها لها وامرهم بوضعها قوله افلح من نهض بجناح او استسلم فاراح
لما نهى عليه السلام عن الفتنة وبين ان المنافرة والمفاخرة ليستا طريقين محمودين اردف ذلك بالاشارة
الى انه كيف ينبغى ان يكون حال المتصدى لهذا الامر وكيف يكون طريق فوزه بمقاصده او النجاة له فحكم
بالفوز لمن نهض بجناح واستعار لفظ الجناح للاعوان والانصار ووجه المشابهة ظاهر فان الجناح لما كان
محل القدرة على الطيران والتصرف وكانت الاعوان والانصار بهم القوة على النهوض الى الحرب والطيران
في ميدانها الا جرم حصلت المشابهة فاستعير لهم لفظ الجناح وحكم بالنجاة للمستسلم عند عدم الجناح وكلا
يشملهما اسم الفلاح وفي هذا الكلام تنبيه على قلة ناصره في هذا الامر وتقدير الكلام انه ليس الطريق
ما ذكرتم بل الصواب فيما يفعل ذو الراى في هذا الامر انه اما ان يكون ذا جناح فينهض به فيفوز بمطلوبه
او لا يكون فيستسلم وينقاد فينجو ويريح نفسه من تعب المطالب قوله ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها تنبيه
على ان المطالب الدنيوية وان عظمت فهى مشوبة بالكدر والتغير والتنغص واشار الى امر الخلافة في ذلك
الوقت وتشبيهها بالماء واللقمة ظاهر اذ عليهما مدار الحيوة الدنيا وامر الخلافة اعظم اسباب الدنيا
فشابهها فاستعار لفظهما لما يطلب منها وكنى بهما عنه ولما كان الآجن من الماء والغص باللقمة مما ينغصهما
ويوجب نفار النفس عن قبولهما وكانت المنافسة في امر الخلافة والتجاذب والمنافرة بين المسلمين فيها
وكونها في معرض الزوال مما يوجب التنفير عنها وتنغيصها وعدم الالتذاذ بها نبه عليه السلام بالآجن
والغصص باللقمة على تلك الامور وكنى بهما عنها ليسكن بذلك فورة من استنهضه في هذا الامر من بنى هاشم
فكانه قال انها لقمة منغصة وجرعة لا يسيغها شاربها قوله ومجتنى الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير
ارضه تنبيه على ان ذلك الوقت ليس وقت الطلب لهذا الامر اما لعدم الناصر او لغير ذلك وكنى بمجتنى
الثمرة عن طالبها فاستلزم ذلك تشبيهها بالثمرة ايضا لاشتراكهما في كونهما محلا للالتذاذ او نحوه ثم شبه
مجتنى الثمرة لغير وقتها بالزارع بغير ارضه ووجه الشبه عدم الانتفاع في الوصفين اذ كان الزارع بغير ارضه

فى محل ان يمنع من ذلك التصرف فيبطل سعيه ولا ينتفع بزرعه فكذلك مجتنى الثمرة لغير وقتها لا ينتفع بها
فكذلك طلبه للخلافة فى ذلك الوقت **قوله** فان اقل يقولوا حرص على الملك وان اسكت يقولوا جزع من الموت
شكاية من الالسنة والاوهام الفاسدة فى حقه وردت فى معرض الكلام واشارة الى انه سواء طلب هذا الامر
او سكت عنه فلا بد من ان يقال فى حقه وينسب الى امر فنفى القيام والطلب ينسب الى الحرص على الامرة و
الاهتمام بامر الدنيا وفى السكوت ينسب الى الذلة والعجز وخوف الموت واوهام الخلق والسنتهم لا تزال
مولعة بامثال ذلك بعضهم فى حق بعض **قوله** هيهات بعد اللتيا والتى والله لابن ابى طالب
آنس بالموت من الطفل بثدى امه وهو مورد التكذيب للاوهام الحاكمة فى سكوته بجزعه اى بعد ما يقولون
واللتيا والتى كنايتان عن الشدايد والمصايب العظيمة والحقيرة واصل المثل ان رجلا تزوج امراة قصيرة
صغيرة الخلق فقاسى منها شدايد فطلقها وتزوج طويلة فقاسى منها اضعاف ما قاسى من القصيرة فطلقها
وقال بعد اللتيا والتى لا اتزوج ابدا فصار ذلك مثلا للداهية الكبيرة والصغيرة وتقديره مراده انعقل ذلك
كبار الشدايد وصغارها انسب الى الجزع من الموت بعد ما يقولون ثم اكد تكذيبهم فى دعوى جزعه من الموت
بالقسم البار انه آنس بالموت من الطفل بثدى امه وذلك امر بين من حاله عليه السلام اذ كان سيد العارفين
بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ورئيس الاولياء وقد عرفت ان محبة الموت والانس به امر متمكن من نفوس
اولياء الله لكونه وسيلة لهم الى لقاء اعظم محبوب والوصول الى اكمل مطلوب وانما كان آنس به من الطفل
بثدى امه لان محبة الطفل للثدى وانسه به وميله اليه ميل طبيعى حيوانى فى معرض الزوال وميله الى لقاء ربه
والوسيلة اليه ميل عقلى باق فاين احدهما من الآخر **قوله** بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب
الارشية فى الطوى البعيدة اشارة الى سبب جلى لتوقفه على الطلب والقيام عن ما نسبوه اليه من الجزع والخوف
من الموت وهو العلم الذى انطوى عليه فان علمه بعواقب الامور وادبارها وتطلعه الى نتايج الحركات بعين
بصيرته التى هى كمرآة صافية حوذى بها صور الاشياء فى المرائى العالية فارتسمت فيها كما هى مما يوجب توقفه
عما يعلم ان فيه فسادا او شرعه الى ما يعلم فيه مصلحة بخلاف الجاهل الذى يقدم على عظايم الامور بمقتضى الراى
لا عن بصيرة فادته الى ذلك ثم نبه على عظم قدر العلم الذى اندمج عليه بقوله لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية
فى الطوى البعيدة والجملة الشرطية فى موضع الجر صفة لعلم واشار باضطرابهم على ذلك التقدير الى تشتت
آرائهم عند ان يكشف لهم ما يكون من امر الخلافة وا لى من تنتهى والى ما يؤول اليه حال الناس اذ كان ذلك مما
وقفه عليه الرسول صلى الله عليه وآله واعده لفهمه فان كثيرا منهم فى ذلك الوقت كان نافرا عن عمر وعن
عثمان فضلا عن معاوية ومنهم من كان يؤهل نفسه للخلافة فى ذلك الوقت ويطلبها لنفسه وبعد عقدها
لابى بكر كان يرجوان يؤول اليه بعده واذا كان الامر كذلك فظاهر انه عليه السلام لو باح لهم بما علمه من عاقبة
هذا الامر لم يكن لهم ذلك النظام الحاصل فى ذلك الوقت لياس بعضهم من وصول هذا الامر اليه وخوف

بعضهم

بعضهم من غلظة عمر ونفور بعضهم منه ونفار الجميع من بنى امية وما يكون منهم ويشبه اضطراب آرائهم على ذلك التقدير
باضطراب الارشية فى الطوى البعيدة مبالغة وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس وذلك ان الطوى كلما كانت
اعمق كان اضطراب الحبل فيها اشد لطوله فكذلك حالهم اى يكون لكم اضطراب قوى واختلاف شديد
وقيل اراد ان الذى يمنعنى من المنافسة فى هذا الامر والقتال عليه هو شغلى بما انطويت عليه من العلم باحوال
الآخرة وشاهدته من نعيمها وبؤسها مما لو كشفته لكم لاضطربتم اضطراب الارشية فى الطوى البعيدة خوفا
من الله تعالى ووجلا من عقابه وشوقا الى ثوابه ولذهلتم عما انتم فيه من المنافسة فى امر الدنيا وهذا الوجه يحتمل
الارادة من هذا الكلام ولعل فى تمام هذا الكلام لو وجد ما يوضح المقصود منه ولم اقف عليه **ومن كلام**
له عليه السلام والله لا اكون كالضبع تنام على طول اللدم حتى يصل اليها طالبها ويختلها راصدها ولكنى اضرب بالمقبل
الى الحق وجه المدبر عنه وبالسامع المطيع العاصى المريب ابدا حتى ياتى على يومى فوالله ما زلت مدفوعا عن حقى
مستاثرا على منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله حتى يوم الناس هذا **اقول** روى ابو عبيد قال اقبل امير المؤمنين
عليه السلام يريد الطواف وقد عزم على اتباع طلحة والزبير وقتالهما فاشار عليه ابنه الحسن عليهما السلام
ان لا يتبعهما ولا يرصد لهما القتال فقال فى جوابه هذا الكلام وروى فى سبب نقضهما البيعة انهما دخلا
عليه بعد ان بايعاه بايام وقالا قد علمت جفوة عثمان لنا وميله الى بنى امية مدة خلافته وطلبا منه ان يوليهما
المصرين الكوفة والبصرة فقال لهما حتى انظر ثم استشار عبد الله بن عباس فنهاه عن ذلك فعاوداه فمنعهما
فسخطا ففعلا ما فعلا الاصمعى اللدم صوت الحجر او الضرب بحجر او غيره على الارض وليس بالقوى ويحكى ان
الضبع تستغفل فى جحرها بمثل ذلك فتسكن حتى تصاد ويحكى فى كيفية صيدها انهم يضعون فى جحرها حجرا
ويضربون بايديهم باب جحرها فتحسبه شيئا تصيده فتخرج فتصاد وقيل انها من احمق الحيوان ويبلغ من حمقها ان يدخل
عليها فيقال ليست هذه ام عامر او يقال خامرى ام عامر فتسكن حتى يوثق رجلها بحبل معد لصيدها والختل
الخديعة والاستيثار بالشىء التفرد به واشار اولا الى رد ما اشير عليه به من تاخير القتال ومفهوم التشبيه
انه لو تاخر لكان ذلك سببا لتمكن الخصم مما قصده فيكون هو فى ذلك شبيها بالضبع التى تنام وتسكن على
طول حيلة راصدها فاقسم عليه السلام انه لا يكون كذلك اى لا يسكن على كثرة الظلم والبغى وطول دفاعه
عن حقه ثم اردف ذلك بما هو عنده **الصواب** وهو المقاومة والقتال بمن اطاعه لمن عصاه فقال لكنى اضرب بالمقبل
الى الحق وجه المدبر عنه وبالسامع المطيع وجه العاصى المريب ابدا وراعى المقابلة هاهنا فالعاصى مقابلة
المطيع والمريب فى مقابلة السامع لان المرتاب فى الحق مقابل للقابل له ثم قرن الابد بغاية عمره لانه الابد
الممكن له وذلك قوله حتى ياتى على يومى واشار بيومه الى وقت ضرورة الموت كناية ثم اردف ذلك بالتظلم
والشكاية فى دفاعه عن هذا الامر والاستيثار عليه به المحوج له الى هذه المقاومات والشكايات واشار
الى مبدا ذلك الدفاع ومنتهاه واكد ذلك بالقسم البار والاشارة بالحق المدفوع عنه الى امر الخلافة وهى

شكاية مؤكدة للشكايات السابقة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** اتخذوا الشيطان لامرهم ملاكا واتخذهم
له اشراكا فباض وفرخ فى صدورهم ودب ودرج فى حجورهم فنظر باعينهم ونطق بالسنتهم فركب بهم الزلل
وزين لهم الخطل فعل من قد شركه الشيطان فى سلطانه ونطق بالباطل على لسانه **اقول** ملاك الامر ما يقوم
به ومنه القلب ملاك الجسد والاشراك يجوز ان يكون جمع شريك كشريف واشراف ويجوز ان يكون جمع شرك
وهو حبايل الصايد كجبل وحبال والدبيب المشى الضعيف والدرج اقوى منه والخطل الفاسد من القول
وشركه بفتح الشين وكسر الراء شاركه وهذا الفصل من باب المنافرة وهو ذم للمنابذين له والمخالفين عليه
فاشار اولا الى انقياد نفوسهم لشياطينها الى حد جعلوها مدبرة لامورهم فيها قوام احوالهم وعزلوا عقولهم
عن تلك المرتبة فهم اولياؤهم كما قال تعالى انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون ثم اردف ذلك بالاشارة
الى بعض لوازم تمليك الشيطان لامورهم بقوله واتخذهم له اشراكا وذلك انه اذا ملك امورهم وكان قيامها
بتدبيره صرفهم كيف شاء واستعمال الاشراك هاهنا على تقدير كونها جمع شرك استعارة حسنة فانه لما
كانت فايدة الشرك اصطياد ما يراد صيده وكان هؤلاء القوم بحسب ملك الشيطان لاداتهم وتصرفه فيهم
على حسب حكمه اسبابا لدعوة الخلق الى مخالفة الحق ومنابذة امام الوقت وخليفة الله فى ارضه اشبهوا الاشراك
لاصطيادهم الخلق بالسنتهم واموالهم وجذبهم الى الباطل بالاسباب الباطلة التى القاها اليهم الشيطان
ونطق بها على السنتهم فاستعار لهم لفظ الاشراك واما على تقدير الثانى فظاهر ثم اردف ذلك ببيان
ملازمته لهم فشبهه بالطاير الذى بنى عشه فى قلوبهم وصدورهم واستعار لفظ البيض والافراخ ووجه
المشابهة ان الطاير لما كان يلازم عشه فيبيض ويفرخ فيه اشبه الشيطان فى اقامته فى صدورهم وملازمته
لهم وكذلك قوله ودب ودرج فى حجورهم استعارة كنى بها ايضا عن تزيينه لهم الباطل وملازمة ابليس وعدم
مفارقته لهم ونشوه معهم كما يتربى الولد فى حجر والديه وراعى فى هذه القراين الاربع السجع ففى الاوليين السجع
المتوازى وفى الاخريين المتوازى **قوله** فنظر باعينهم ونطق بالسنتهم اشارة الى وجوه تصرفه
لجزئيات ابدانهم بعد القائهم مقاليد امورهم اليه وعزل عقولهم عن التصرف فيها بدون مشاركته ومتابعته
قوله فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل اشارة الى ثمرة متابعته وهى اصابة مقاصده منهم من الخروج عن اوامر
الله فى الافعال وهو المراد بارتكابهم الزلل وفى الاقوال وهو المشار اليه بتزيينه لهم الخطل **قوله** فعل من
قد شركه الشيطان فى سلطانه ونطق بالباطل على لسانه اشارة الى ان الافعال والاقوال الصادرة عنهم
على خلاف اوامر الله انما تصدر عن مشاركة الشيطان ومتابعته والضمير فى سلطانه يعود الى من اى من قد
شاركه الشيطان فى سلطانه الذى جعله الله على الاعمال والاقوال وانتصاب فعل على المصدر اما عن
فعل محذوف تقديره فعلوا ذلك فعل او عن قوله اتخذوا لانه فى معنى فعلوا فهو مصدر له من غير لفظه وراعى
فى هاتين القرينتين ايضا السجع المطرف والله اعلم **ومن كلام له عليه السلام** يعنى به الزبير فى حال اقتضت ذلك

ونعم

يزعم انه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه فقد اقر بالبيعة وادعى الوليجة فليات عليها بامر يعرف والا فليدخل
فيما خرج منه **اقول** الوليجة الدخيلة فى الامر وهذا الفصل صورة مناظرة له مع الزبير وهو مشتمل على تقدير
حجة سابقة له عليه وصورة نقض لتلك الحجة من الزبير وصورة جواب له عليه السلام عن ذلك اما الحجة فكانه
عليه السلام لما نكث الزبير بيعته وخرج لقتاله احتج عليه بلزوم البيعة له اولا فكان جواب الزبير ما حكاه
عنه بقوله انه بايع بيده ولم يبايع بقلبه اشارة الى التورية والتعريض فى العهود والايمان ونحوهما وحاصله من الزبير
ان ذلك امر بقلبه الشريف فلجابه عليه السلام مقياسا من خلف كبراه كما علمت من قياس الضمير وهو ما اشار اليه بقوله
فقد اقر بالبيعة وادعى الوليجة اى قوله هو مقبول ومحكوم بلزومه له شرعا وادعى انه اضمر فى باطنه ما ليس
من الوليجة فهذه صغرى القياس وتقدير الكبرى وكل من فعل ذلك احتاج فى بيان دعواه الحجة بعرف
صحتها فينتج انه يحتاج الى بينة كذلك واشار الى هذه النتيجة بقوله فليات عليها بامر يعرف تحقق دعواه الوليجة
وهيهات له ذلك اذ التورية امر باطن لا يمكن الاحتجاج به ولا اقامة البرهان عليه ثم اشار بقوله والا فليدخل
بطلب خروجه منه امره له بالدخول فى طاعته وحكم بيعته التى خرج منها على تقدير عدم قدرته على برهان دعواه
وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** وقد ارعدوا وابرقوا ومع هذين الامرين الفشل ولسنا نرعد حتى نوقع ولا
نسيل حتى نمطر الفشل الجبن والضعف والاشارة الى طلحة والزبير واتباعهما والكلام فى معرض الذم واستعار
لفظ الارعاد والابراق لوعيدهم وتهديدهم له بالحرب يقال ارعد الرجل وابرق اذا تهدد وتوعد قال الكميت
ارعد وابرق يا يزيد فما وعيدك لى بضاير ووجه الاستعارة كون الوعيد من الامور المزعجة كما ان الرعد و
البرق كذلك **قوله** ومع هذين الفشل اشارة الى وجه الرذيلة وذلك ان التهديد والتوعد قبل ايقاع الحرب
والضوضاء والجلبة امارة للجبن والعجز والصمت والسكوت امارة الشجاعة كما اشار اليه عليه السلام فى تعليم كيفية
الحرب مخاطبا لاصحابه واميتوا اصواتكم فانه اطرد للفشل وروى ان ابا طاهر الجنابى صاح على عسكر المقتدر وهو
الف وخمسمائة فارس والمقتدر فى عشرين الفا فقال لبعض اصحابه ما هذا الزجل قال فشل قال اجل فكانت
الغلبة له فاستدل عليه السلام بتلك الامارة على الفشل **قوله** ولسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر
اشارة الى نفى تلك الرذيلة عن نفسه واصحابه واثبات الفضيلة لهم وكما ان فضيلة السحاب ان يقترن به
وقوع المطر منه برعده وبرقه واسالته بامطاره كذلك اقواله مقرونة بافعاله لا خلف فيها واسالته بعذابه
مقرونة بامطاره ومفهوم ذلك ان خصمه يهدد بالحرب من غير قوة نفسية لا ايقاع لها فاشبه ذلك الرعد
من غير ايقاع للمطر والسيل من غير مطر فكانه قال كما لا يجوز سيل بلا مطر فكذلك ما يوعدونه ويهددونه
به من ايقاع الحرب بلا شجاعة ولا قوة عليها وفى ذلك شيمة التحدى **ومن خطبة له عليه السلام** الا وان الشيطان
قد جمع حزبه واستجلب خيله ورجله وان معى لبصيرتى ما لبست على نفسى ولا لبس على وايم الله لافرطن لهم حوضا
انا ماتحه لا يصدرون عنه ولا يعودون اليه **اقول** هذا الفصل ملتقط ملفق من خطبة له عليه السلام لما

لبنه ان طلحة والزبير خلعا بيعته وهو غير منتظم وقد اورد السيد منها فصلا آخر وسنذكرها بتمامها اذا انتهينا
اليه ان شاء الله تعالى الاستجلاب في معنى الجمع والبصيرة العقل وافرط الحوض افرط بمعنى ملأته والماتح
بالتاء المستقي وربما يلتبس بالماتح وهو الذي ينزل البئر فيملأ الدلو والفرق بينهما ان نقطتي الفوق للفوق
والصعود والرجوع عن الماء وغيره ويقابله الورود وهو العود اليه ومدار هذا الفصل على ثلثة امور اولها الذم
لاصحاب الجمل والتنفير عنهم والثاني التنبيه على فضيلة نفسه والثالث الوعيد لهم واشار الى الاول بقوله
الا وان الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله ورجله واراد ان الباعث لهم والجامع على قتال الحق انما
هو الشيطان بوسوسته لهم وتزيينه الباطل في قلوبهم وقد عرفت كيفية وسوسته واضلاله فكل من خالف
الحق ونابذه فهو من حزب الشيطان وجنده خيلا ورجلا واما الثاني فاشار اولا الى كمال عقله وتمام استعداده
لاستجلاء الحق واستيضاحه بقوله وان معي لبصيرتي ثم اكد ذلك بالاشارة الى عدم انخداع نفسه القدسية
للشيطان فيما يلبس به على الخلق من الشبه الباطلة على البصائر الضعيفة فيعميها بذلك عن ادراكه وتمييزه
من الباطل سواء كانت مخادعة الشيطان وتلبيسه بغير واسطة وهو المشار اليه بقوله ولا لبس علي او
بواسطة احد ممن يتبع ابليس ويتلقف عنه الشبه فصار في قوة ان يلبس الحق صورة الباطل لا يمكنه ان يلبس علي و
اما الثالث فاشار اليه بقوله وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه الى آخره واستعار افراط الحوض لجمعه
الجند وتهيئته اسباب الحرب وكنى بقوله انا ماتحه عن انه هو المتولي لذلك ولما كانت الحرب قد تشبه بالبحر
وبالماء الجم فيستعار لها اوصافه فيقال فلان خواض غمرات وفلان متغمس في الحرب جاز ان يستعار لها
لفظ الحوض ورشح تلك الاستعارة بالمتح والفرط والاصدار والايراد وفي تخصيص نفسه بالمتح تاكيد للتهديد
لعلمهم بباسه وشجاعته وقد حذف المضاف الى الماتح في الحقيقة وتقديره انا ماتح ماءه اذ الحوض لا يوصف
بالمتح ثم اردف ذلك بوصف استعداده لهم بالشدة والصعوبة عليهم فكنى بقوله لا يصدرون عنه عن الهلاك
منهم لا ينجو منه فهو بمنزلة من يغرق فيه فلا يصدر عنه وبقوله ولا يعودون اليه اي ان من نجا منهم لا يطمع في
الحرب مرة اخرى فلا يعودون الى ما اعده لهم مرة ثانية واكد ذلك الوعيد بالقسم البار واصل ايم ايمن جمع
يمين حذفت النون تخفيفا كما حذفت في لم يك وقيل هو اسم براسه وضع للقسم وتحقيقه في مسائل النحو
ومن كلامه عليه السلام لما اعطاه الراية يوم الجمل تزول الجبال ولا تزل عض على ناجذك اعر الله جمجمتك
تد في الارض قدمك ارم ببصرك اقصى القوم وغض بصرك واعلم ان النصر من عند الله سبحانه اقول
الناجذ السن بين الناب والضرس وقال الجوهري هو اقصى الاضراس وقيل الاضراس كلها نواجذ واعلم
انه عليه السلام اشار في هذا الفصل الى انواع آداب الحرب وكيفية القتال فيها اولا عن الزوال واكد
عليه ذلك بقوله تزول الجبال ولا تزل والكلام في صورة شرطية متصلة محذوفة تقديرها لو زالت الجبال
لا تزل وهو نهي عن الزوال مطلقا لان النهي عنه على تقدير زوال الجبال مستلزم للنهي عنه على تقدير آخر

ما التبست على نفسي اي لا التبس على نفسي الخطاء بما يلقيه اليها نفس الشارة او بواسطة وهو المشار اليه بقوله

لابنه محمد بن الحنفية

بطريق الاولى اذ القصد به المبالغة في النهي ثم اردف ذلك بخمسة اوامر احدها ان يعض على ناجذه وذلك
لاستلزامه امرين احدهما ربط الجاش عن الفشل والخوف فان الانسان يشاهد ذلك في حال البرد والخوف الموجب
للرعدة فانه اذا عض على اضراسه تسكن رعدته ويتماسك بدنه الثاني ان الضرب مع ذلك في الراس لا يؤثر
كثير ضرر كما قال عليه السلام في موضع آخر وعضوا على النواجذ فانه انبى للسيوف عن الهام وكان ذلك لما
فيه من جمع القوة والتصلب والثاني ان يعير الله جمجمته وهي استعارة لطيفة وتشبيه الجمجمة بالآلة التي تعار
للانتفاع بها ثم ترد فانتفاع دين الله وحزبه بمحمد رضي الله عنه على هذا الوجه يشبه الانتفاع بالعارية قال
بعض الشارحين وفي ذلك تنبيه لمحمد رضي الله عنه على انه لا يقتل في ذلك الحرب اذ ما اعيرته لا بد من رده
بكلامه السلام وفيه تثبيت لجاشه وربط لقلبه الثالث ان يلزم قدمه الارض ويجعله كالوتد وذلك
لاستلزامه امرين احدهما ربط الجاش واستصحاب العزم على الثبات الثاني ان ذلك مظنة الشجاعة واما
الصبر على المكاره فيكون من موجبات انفعال العدو وانقهاره الرابع ان يرمي ببصره اقصى القوم وذلك ليعلم
على ما قد يقدم ولينظر مخايل المخاتل ومقاتل المقاتل الخامس ان يغض بصره بعد مده وذلك لكونه علامة
السكينة والثبات وعدم الطيش ولان مد النظر الى بريق السيوف مظنة الرهبة وربما خيف على المحب
ايضا والنظر المحمود في الحرب ان يلحظ شزرا فعل الحنق المترصد للفرصة كما قال عليه السلام في غير هذا الموضع
والحظوا الشزر ثم لما كمله بهذه الاوامر الخمسة امره ان يعلم ان النصر من عند الله كما قال وما النصر الا من عند
الله العزيز الحكيم ليتاكد ثباته ثقته بالله عند ملاحظة قوله ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم ومن
كلامه عليه السلام لما ظفر باصحاب الجمل وقد قال له بعض اصحابه وددت ان اخي فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك
الله به على اعدائك فقال عليه السلام اهوى اخيك معنا فقال نعم فقال فقد شهدنا ولقد شهدنا في عسكرنا
هذا قوم في اصلاب الرجال وارحام النساء سيرعف بهم الزمان ويقوى بهم الايمان اقول قوله اهوى اخيك
معنا اي محبته وميله قوله فقد شهدنا حكم بالحضور بالقوة او بحضور نفسه وتمثله على تقدير محبته للحضور
فكم انسان يحصل بحضور همته وان لم يحضر ببدنه نفع كثير اما باستجلاب الرجال او بتاثير الهمة في قهر اعداء
الله كما تفعله همم اولياء الله بحيث لا يحصل مثل ذلك النفع من ابدان كثيرة حاضرة وان قويت وعظمت وقوله
ولقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في اصلاب الرجال وارحام النساء تاكيد لحضور اخ القائل بالاشارة الى
من سيوجد من انصار الحق الذابين عنه وعباد الله الصالحين شاهدون معه عليه السلام ايضا والشهادة
شهادة بالقوة اي انهم موجودون في كامن المواد بالقوة ومن كان في قوة ان ينصر من انصار الله فهو بمنزلة
الحاضر الموجود بالفعل في نصرته له اذا وجد وقوله سيرعف بهم الزمان استعار لفظ الرعاف وهو الدم الخارج
من انف الانسان لوجودهم وفيه تشبيه للزمان بالانسان واسناد وجودهم الى الزمان لانه من الاسباب
المعدة القوابل وجودهم ونحوه قول الشاعر: وما رعف الزمان بمثل عمرو: ولا تلد النساء له ضريبا:

ويقوى بهم الايمان ظاهر وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام في ذم البصرة واهلها كنتم جند المراة واتباع
البهيمة رغا فاجبتم وعقر فانهزمتم اخلاقكم دقاق وعهدكم شقاق ودينكم نفاق وماؤكم زعاق المقيم
بين اظهركم مرتهن بذنبه والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه كاني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة قد بعث
الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من في ضمنها وفي رواية اخرى وايم الله لتغرقن بلدتكم هذه
حتى كاني انظر الى مسجدها كجؤجؤ سفينة او نعامة جاثمة وفي رواية اخرى كجؤجؤ طير في لجة بحر اقول هذا
الفصل مع فصول بعده من خطبة خطبها عليه السلام بالبصرة بعد ما فتحها وروي انه لما فرغ من امر حرب اهل
الجمل امر مناديا ينادي في اهل البصرة ان الصلوة الجامعة لثلثة ايام من غد ان شاء الله ولا عذر لمن تخلف
الا من حجة او علة فلا تجعلوا على انفسكم سبيلا فلما كان في اليوم الذي اجتمعوا فيه خرج فصلى بالناس
الغداة في المسجد الجامع فلما قضى صلوته قام فاسند ظهره الى حائط القبلة عن يمين المصلى فخطب الناس
فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله وصلى على النبي صلى الله عليه وآله واستغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين و
المسلمات ثم قال يا اهل البصرة يا اهل المؤتفكة ائتفكت باهلها ثلثا وعلى الله تمام الرابعة يا جند المراة
واعوان البهيمة رغا فاجبتم وعقر فانهزمتم اخلاقكم دقاق وماؤكم زعاق بلادكم انتن بلاد الله تربة وابعدها
من السماء بها تسعة اعشار الشر المحتبس فيها بذنبه والخارج منها بعفو الله كاني انظر الى قريتكم هذه وقد
طبقها الماء حتى ما يرى منها الا شرف المسجد كانه جؤجؤ طير في لجة بحر فقام اليه الاحنف بن قيس فقال يا امير
المؤمنين متى ذاك قال اذا صارت آجامكم قصورا واعلم ان بعد هذا الفصل من الخطبة فصولا لا تعلق لها
بهذا الموضع وربما تعلقت بفصول اوردها السيد بعد هذا الفصل وسنذكرها معها ان شاء الله اصل البصرة
الحجارة البيض الرخوة وصارت علما للبلدة لوجدان تلك الحجارة بها قيل انها بالمربد كثيرة وائتفكت البلدة
باهلها انقلبت بهم والمؤتفكة من الاسماء القديمة للبصرة كما سنذكره في تمام هذه الخطبة والرغاء صوت
الابل خاصة والعقر الجرح والدق من كل شيء حقيره وصغيره والشقاق الخلاف والافتراق والنفاق الخروج
من الايمان بالقلب واصله ان اليربوع يرقق موضعا من الارض من داخل جحره فاذا اتي من قبل بابه وهو القاصعاء
ضرب ذلك الموضع براسه فانتفق اي خرج ويسمى ذلك النافقاء فاشتق لفظ النفاق منه والزعاق
المالح وطبقها الماء اي عمها واتى على جميعها وجؤجؤ السفينة صدرها وكذلك الطائر واعلم انه عليه السلام
ذكر في معرض ذمهم امورا نبه فيها على وجوه ارتكابهم للرذائل اولها كونهم اهل المؤتفكة ائتفكت باهلها ثلثا
ومعلوم ان ائتفاك البلد باهلها وخسفها بهم انما يكون لفسادهم واستحقاقهم بذلك عذاب الله وقوله
وعلى الله تمام الرابعة دعاء عليهم بايقاع الخسف بهم الثاني كونهم جند المراة واراد عائشة فانهم جعلوها عمدة
نظامهم ولما كانت اقوال النساء وآراؤهن امورا مذمومة بين العرب سيما العقلاء لضعف آرائهن ونقصان
عقولهن كما قال الرسول صلى الله عليه وآله انهن ناقصات عقول ناقصات دين ناقصات حظ اما نقصان

عقولهن فلان شهادة ثنتين منهن بشهادة رجل واحد لتذكر احديهما الاخرى واما نقصان دينهن فلان احديهن
تقعد في بيتها شطر دهرها اي في ايام حيضها لا تصوم ولا تصلي واما نقصان حظهن فلان ميراثهن على النصف
من ميراث الرجال وكان مع ذلك مستتبعهن وتابعهن اضعف رايا منهن كما هو شان التابع بالنسبة الى المتبوع
لا جرم حسن توبيخه لهم بكونهم جندا لها واعوانا الثالث كونهم اتباع البهيمة واراد بالبهيمة الجمل الذي كان
تحت عائشة فان حالهم شاهدة باتباعه مجيبين لرغائه وهاربين لعقره وهو اشنع من الاول وادخل في
الذم وكنى برغائه عن دعوتها لهم الى القتال اذ وقفت عليهم راكبة له الرابعة دقة اخلاقهم واشار بها
الى كونهم على رذائل الاخلاق دون حاق الوسط ولما كانت اصول الفضائل الخلقية كما علمت ثلثة الحكمة
والعفة والشجاعة وكانوا على طرف الجهل بوجوه الآراء المصلحية وهو طرف التفريط من الحكمة العملية
وعلى طرف الجبن وهو طرف التفريط من الشجاعة وعلى طرف الفجور وهو طرف الافراط من ملكة العفة
والعدالة لا جرم صدق انهم على رذائل الاخلاق ودقاقها الرابع الشقاق في العهود والنكث لها و
مصداق ذلك نكثهم لعهده وخلافهم لبيعته وذلك من الغدر الذي هو رذيلة بازاء ملكة الوفاء الخامس
النفاق في الدين ولما كانوا خارجين على الامام العادل محاربين له لا جرم كانوا خارجين عن الدين
وربما كان ذلك خطابا خاصا لبعضهم اذ المنافق العرفي هو الخارج عن الاسلام بقلبه المظهر له بلسانه
فيكون ذلك خطابا لمن كان منهم بهذه الصفة السادس ما يتعلق بذم بلدهم وهو كون مائهم مالحا
وسبب ملوحته قربه من البحر وامتزاجه به ودخول ذلك في معرض ذمهم ربما يكون لسوء اختيارهم ذلك
المكان والاقامة به مع كون مائهم بهذه الحال المستلزمة لامراض كثيرة في استعماله كسوء المزاج والبلادة
وفساد الطحال والحكة وغير ذلك مما يذكره الاطباء ولان ذلك من اسباب التنفير عن المقام معهم وتكثير
سوادهم السابع كونها انتن البلاد تربة وذلك لكثرة ركوب الماء لها وتعفنها به الثامن كونها ابعد
البلاد عن السماء ويجيء بيانه التاسع كونها بها تسعة اعشار الشر ويحتمل ان يريد به المبالغة في ذمها دون
الحصر وذلك انما تعدد بها شرور لا يكاد يجتمع في غيرها فحكم بان فيها اعشار الشر مبالغة كنى به عن معظم
الشر ويحتمل ان يريد بالشر مجموع الرذائل الخلقية المقابلة لاصول الفضائل النفسانية التي هي العلم
والشجاعة والعفة والسخاء والعدل اذ كل منها مقابل برذيلتين كما علمت فتلك عشر رذائل واشبه
ما يخرج عنهم منها ما لا يناسب غرضه هاهنا ذمهم به كالتبذير ونحوه وهذا الاحتمال وان كان لطيفا
الا ان فيه بعدا العاشر كون المقيم بين اظهرهم مرتهنا بذنبه وذلك ان المقيم بينهم لا بد ان ينخرط في
سلكهم ويستعد لقبول مثل طباعهم وينفعل عن رذائل اخلاقهم وحينئذ يكون مرتهنا بذنوبه الحادي
عشر كون الشاخص عنهم متداركا برحمة من ربه وذلك لاعانة الله له بالخروج ليسلم من الذنوب التي كسبها
المقيم بينهم وتلك رحمة من الله واي رحمة وكل ذلك في معرض التنفير عنهم والمفهوم من الرواية الثانية

وهي قوله المحتبس فيها بذنبه والخارج منها بعفو الله عنه ما ذكرناه اذ يفهم من قوله المحتبس فيها بذنبه ان الحبس
بينهم يجري مجرى العقوبة لذنب سبق منه والخارج منها قد عفا الله عنه بخروجه وقد راعى في هاتين القرينتين
السجع المتوازي وكذلك في القرائن الاربع قبلهما ثم اشار بعد ذلك الى ان بلدتهم سيغرقها الماء وشبه بنيته
بذلك ومشاهدته بجؤجؤ سفينة مسجدهم مغمورا بالماء وقد طبق ارضهم بمشاهدة الحية في الجلاء
والظهور وقد حكى بتوقيف الرسول صلى الله عليه وآله على احوالهم في فصل آخر من هذه الخطبة وذلك انه
عقيب ذمه لاهل البصرة وجوابه للاحنف في الفصل الذي ذكرناه قال لما دخل لهم يا اهل البصرة ان الله لم
يجعل لاحد من امصار المسلمين خطة شرف ولا كرما الا وقد جعل فيكم افضل ذلك وزادكم من فضله
ما ليس لهم انتم اقوم الناس قبلة قبلتكم على المقام حيث يقوم الامام بمكة وقاريكم اقرأ الناس وزاهدكم
ازهد الناس وعابدكم اعبد الناس وتاجركم اتجر الناس واصدقهم في تجارته ومتصدقكم اكرم الناس
صدقة وغنيكم اشد الناس بذلا وتواضعا وشريفكم احسن الناس خلقا وانتم اكرم الناس جوارا واقلهم
تكلفا لما لا يعنيه واحرصهم على الصلوة في جماعة ثمركم اكثر الثمار واموالكم اكثر الاموال وصغاركم اكيس
الاولاد ونساؤكم اقنع النساء واحسنهن تبعلا سخر لكم الماء يغدو عليكم ويروح صلاحا لمعاشكم والبحر
سببا لكثرة اموالكم فلو صبرتم واستقمتم لكانت شجرة طوبى لكم مقيلا وظلا ظليلا غير ان حكم الله فيكم
ماض وقضاؤه نافذ لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب يقول الله وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل
يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا واقسم لكم يا اهل البصرة ما الذي
ابتدأتكم به من التوبيخ الا تذكير وموعظة لما بعد لكي لا تسرعوا الى الوثوب في مثل الذي وثبتم وقد قال
الله تعالى لنبيه صلوات الله عليه وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ولا الذي ذكرت فيكم من المدح والتطرية
بعد التذكير والموعظة رهبة مني لكم ولا رغبة في شيء مما قبلكم فاني لا اريد المقام بين اظهركم ان شاء
الله لامور تحضرني قد يلزمني القيام بها فيما بيني وبين الله لا عذر لي في تركها ولا علم لكم بشيء منها حتى يقع
مما اريد ان اخوضها مقبلا ومدبرا فمن اراد ان ياخذ بنصيبه منها فليفعل فلعمري انه للجهاد الصافي صفاه
لنا كتاب الله ولا الذي اردت به من ذكر بلادكم موجدة مني عليكم لما شاققتموني غير ان رسول الله صلى الله
عليه وآله قال لي يوما وليس معه غيري ان جبرئيل الروح الامين حملني على منكبه الايمن
حتى اراني الارض ومن عليها واعطاني اقاليدها وعلمني ما فيها وما قد كان على ظهرها وما يكون الى يوم القيمة
ولم يكبر ذلك علي كما لم يكبر على ابي آدم علمه الاسماء كلها ولم تعلمها الملئكة المقربون واني رايت بقعة
على شاطئ البحر تسمى البصرة فاذا هي ابعد الارض من السماء واقربها من الماء وانها لاسرع الارض خرابا واخبثها
ترابا واشدها عذابا ولقد خسف بها في القرون الخالية مرارا وليأتين عليها زمان وان لكم يا اهل
البصرة وما حولكم من القرى من الماء ليوما عظيما بلاؤه واني لاعرف موضع منفجره من قريتكم هذه ثم امور

قبل ذلك تدهمكم عظيمة اخفيت عنكم وعلمناها فمن خرج عنها عند دنو غرقها فبرحمة من الله سبقت له ومن
بقي فيها غير مرابط بها فبذنبه وما الله بظلام للعبيد ولما تشبيه ما يخرج من الماء من شرفات المسجد بجؤجؤ
السفينة وفي الرواية الاخرى بالنعامة الجاثمة وفي الرواية الثالثة بالطاير في لجة البحر فتشبيهات ظاهرة
فاما وقوع ذلك الغرق المخبر عنه فالمنقول انها غرقت في ايام القادر بالله ومرة في ايام القايم بامر الله
غرقت بجمعها وغرق من في ضمنها وخربت دورها ولم يبق منها الا اعلى مسجدها الجامع حسب ما اخبر به
عليه السلام وكان غرقها من قبل بحر فارس ومن ناحية الجبل المعروف بجبل السنام فكان ذلك مصداق كلامه
عليه السلام وفي ذلك نظر لانه اشار الى ان ذلك الماء ينفجر من ارضهم بقوله واني لاعرف موضع منفجره من
قريتكم هذه وظاهر ذلك يقتضي انه لا يكون ذلك من ناحية اخرى منها في مثل ذلك ارضكم قريبة من الماء
بعيدة من السماء خفت عقولكم وسفهت حلومكم فانتم غرض لنابل واكلة لآكل وفريسة لصائد اقول السفه
رذيلة مقابل الحلم وتعود الى الطيش وعدم الثبات والاكلة اسم المأكول وقد علمت ان قوله ارضكم قريبة
من الماء بعيدة من السماء مما حكاه عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله في الفصل المتقدم اما قرب
ارضهم من الماء فاشارة الى انها موضع هابط مستفل من الارض قريب من البحر فهو بصدد ان يعلوها
بملاقاة دجلة وذلك مشاهد في دخول الماء خفافيهم وسقيه بساتينهم في كل يوم مرة او مرتين فاما كونها
بعيدة من السماء فيحتمل استفالها من غيرها من الارض وقيل ان من ابعد موضع في الارض عن السماء الابلة
وان ذلك مما دلت عليه الارصاد وبرهن عليه اصحاب علم الهيئة وقال بعضهم ان كون ذلك في معرض الذم
يصرفه عن ظاهره واما الاشارة به الى انهم لما كانوا بالاوصاف المذمومة التي عددها فيهم كانوا ابعداء
عن نزول الرحمة عليهم من سماء الجود الالهي مستعدين لنزول العذاب ويصدق في العرف ان يقال لفلان
بعيد من السماء اذا كان كما ذكرناه قوله خفت عقولكم اشارة الى قلة استعدادهم لدرك وجوه المصالح
وضعف عقولهم عن تدبير احوالهم وتسرعهم الى ما لا ينبغي لغفلتهم عما ينبغي وهو وصف لهم برذيلة الغباوة
قوله وسفهت حلومكم اشارة الى وصفهم برذيلة السفه والخفة المقابلة للحلم قوله فانتم غرض لنابل و
اكلة لآكل وفريسة لصائد هذه الاوصاف الثلثة لازمة عن خفة عقولهم وسفه حلومهم ولذلك عقبها
بها لان طمع القاصد لهم بانواع الاذى انما ينشأ من العلم بقلة عقليتهم لوجوه المصالح وسفههم فيقصدهم
بحسن تدبير والاول من هذه الاوصاف كناية عن كونهم مقصدا لمن يريد اذاهم والثاني كناية عن كونهم
في معرض ان يطمع في اموالهم ونعمتهم ويأكلها من يقصد اكلها والثالث عن كونهم بصدد ان يفترسهم
من يقصد قتلهم واهلاكهم واستعار لفظ الغرض والاكلة والفريسة لهم ووجوه المشابهة فيها ظاهرة وقد
راعى في هذه القرائن السجع وفي الاوليين السجع المطرف وفي الاخريين بعدهما والثلث السجع المتوازي
ومن كلام له عليه السلام فيما رده من قطايع عثمان والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته

فان في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق اقول هذا الفصل مع فصول تاتي من خطبة
خطبها بالمدينة لما قتل عثمان وبويع له وقد ورد ههنا بزيادة ونقصان واول هذا الفصل من الخطبة
الا وان كل قطيعة قطعها عثمان او مال اخذه من بيت مال المسلمين فهو مردود عليهم في بيت مالهم ولو
وجدته قد تزوج به النساء وفرق في البلدان فانه ان لم يسعه الحق فالباطل اضيق عنه وسنورد الخطبة
بتمامها في احد الفصول التي تجيء منها ان شاء الله تعالى واعلم انه اشار اولا الى العزم الجازم المؤكد بالقسم على
رد القطايع التي كان عثمان اقطعها اقاربه ثم نبه المقتطعين بقوله فان في العدل سعة على ان عدله
يسعهم في رد ما اقتطعوه وكنى بسعته عن اقتضاء امر العدل رد ذلك وغيره من المظالم فعليهم ان يخلوا
في مقتضى امر الله وعدله فان فيه سعة لهم اذ به نظام العالم باسره وهو محل لرضا المظلوم بايصال حقه
اليه ولرضا الظالم لعلمه بانه عند الانتزاع منه اخذ بما ليس له وتاكد ذلك العلم بالوعيد الصادق فهو
وان قام شيطانه حال انتزاع الظلامة منه وضاق عليه العدل فهو في محل الرضا فان لم يرض لضيق
العدل عليه فالجور عليه اضيق في الدنيا والاخرة لانه ربما انتزعت منه قهرا وكان جوره سببا للتضييق عليه
في ذلك ولان الاوامر والنواهي الالهية محيطة به سادة عليه وجوه التصرف الباطل ولا سيما اذا اثر عليه عدله
اعتقاداته قد اخذ منه ما ينبغي اخذه منه واذا نزل عليه جور اعتقد انه اخذ منه ما لا ينبغي اخذه ولا شك ان
اخذ ما لا ينبغي اخذه اصعب على النفس واضيق من اخذ ما ينبغي وهو امر وجداني والمعنى في الالفاظ التي
اوردناها من الخطبة قريب مما ذكرناه ههنا غير ان الضمير في قوله فانه ان لم يسعه يعود الى المال او الى الحكم
انه قد كان عثمان اقطع جماعة من بني امية وغيرهم من اصحابه كثيرا من ارض بيت المال وكذلك فعل عمر ذلك
مع قوم لهم وقايع مشهورة في الجهاد في سبيل الله ترغيبا في الجهاد لكن لما اختلف غرضا الامامين لم يرد
علي عليه السلام الا ما اقطعه عثمان وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام لما بويع بالمدينة ذمتي بما اقول
رهينة وانا به زعيم ان من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات حجزه التقوى عن تقحم الشبهات الا وان
بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة ولتساطن
سوط القدر حتى يعود اسفلكم اعلاكم واعلاكم اسفلكم وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن
سباقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم الا
وان الخطايا خيل شمس حمل عليها اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار الا وان التقوى مطايا ذلل حمل
عليها اهلها واعطوا ازمتها فاوردتهم الجنة حق وباطل ولكل اهل فلئن امر الباطل لقديما فعل ولئن
قل الحق لربما ولعل ولقل ما ادبر شيء فاقبل قال السيد الرضي رضي الله عنه في هذا الكلام الادنى من مواقع
الاحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان وان حظ العجب منه اكثر من حظ العجب به وفيه مع الحال التي وصفنا
زوايد من الفصاحة لا يقوم بها لسان ولا يطلع فجها انسان ولا يعرف ما اقول الا من ضرب في هذه الصناعة

بحق وجرى فيها على عرق وما يعقلها الا العالمون اقول في هذا الفصل فصول من الخطبة التي اشرنا اليها
في الكلام الذي قبله وكذلك في الفصل الذي بعده ونحن نوردها بتمامها ليتضح ذلك وهي الحمد لله
محمود بالحمد ولاه بالمجد الها واحدا صمدا اقام اركان العرش فاشرق بضوئه شعاع الشمس خلق فاتقن و
اقام فذلت له وطاة المستمكن واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله
ارسله بالنور الساطع والضياء المنير اكرم خلق الله حسبا واشرفهم نسبا لم يتعلق عليه مسلم ولا معاهد بمظلمة
بل كان يظلم اما بعد فان اول من بغى على الارض عناق ابنة آدم كان مجلسها من الارض جريبا وكان لها
عشرون اصبعا وكان لها ظفران كالمنجلين فسلط الله عليها اسدا كالفيل وذئبا كالبعير ونسرا كالحمار
وكان ذلك في الخلق الاول فقتلها وقد قتل الله الجبابرة على اسوء احوالهم وان الله اهلك فرعون و
هامان وقتل قارون بذنوبهم الا وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيكم عليه السلام والذي
بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة حتى يعود اسفلكم اعلاكم واعلاكم اسفلكم وليسبقن سابقون
كانوا قصروا وليقصرن سابقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ولقد نبئت بهذا
اليوم وهذا المقام الا وان الخطايا خيل شمس حمل عليها اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار فهم فيها
كالحون الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها فسارت بهم تاودا حتى اذا جاءوا ظلا ظليلا فتحت
ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين الا وقد سبقني الى هذا الامر من لم اشركه
فيه ومن ليست له منه توبة الا بنبي يبعث ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله اشفى منه على جرف هار فانهار
به في نار جهنم ايها الناس كتاب الله وسنة نبيه لا يرعى مرعى الا على نفسه شغل من الجنة والنار امامه
ساع نجا وطالب يرجو ومقصر في النار ولكل اهل ولعمري لئن امر الباطل لقديما فعل وان قل الحق
لربما ولعل ولقل ما ادبر شيء فاقبل ولئن رد امركم عليكم انكم لسعداء وما علي الا الجهد وقد كانت
امور مضت ملتم فيها ميلة كنتم عندي فيها غير محمودي الراي ولو اشاء ان اقول لقلت عفا الله عما سلف
سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همه بطنه ويله لو قص جناحاه وقطع راسه كان خيرا له شغل عن
الجنة والنار امامه ساع مجتهد وطالب يرجو ومقصر في النار ثلثة واثنان خمسة ليس فيهم سادس ملك
طار بجناحيه ونبي اخذ الله بضبعيه هلك من ادعى وخاب من افترى اليمين والشمال مضلة ووسط الطريق
المنهج عليه باقي الكتاب وآثار النبوة الا وان الله قد جعل ادب هذه الامة السوط والسيف ليس عند
امام فيهما هوادة فاستتروا ببيوتكم واصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم من ابدى صفحته للحق هلك الا
وان كل قطيعة اقطعها عثمان او مال اخذه من بيت مال المسلمين فهو مردود عليهم في بيت مالهم ولو وجدته
وقد تزوج به النساء وفرق في البلدان فانه ان لم يسعه الحق فالباطل اضيق عنه اقول قولي هذا واستغفر
الله لي ولكم وقد ذكرنا هذا الفصل فيما قبل ولنرجع الى التفسير فنقول الذمة العهد والذمة ايضا العهد

والرهينة المرهونة والزعيم الكفيل وفي الحديث الزعيم غارم والمثلات العقوبات والحجز المنع وتقحم في الامر وتقحمه رمى بنفسه فيه والهيئة الصفة والبلبلة الاختلاط والغربلة نخل الدقيق وغيره والغربلة القتل
وساط القدر اذا قلب ما فيها من طعام بالمحراك واداره والوشمة بالشين المعجمة الكلمة وبغير المعجمة العلامة
والاثر والشمس جمع شموس وهي الدابة تمنع ظهرها والشرود والسير الثقيل بالثبات والذلول الساكنة
والكلوح تكشر في عبوس وامر الباطل بكسر الميم كثر وفلان يرعى على نفسه اذا كان يتفقد احوالها واعلم
انه اشار اولا في هذا الفصل الى وجوب الاعتبار لوجوب التقوى ونبه على انه وسيلة اليه ومستلزم له
في صورة شرطية متصلة وهي قوله من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات حجزه التقوى عن تقحم الشبهات
وبيان الملازمة ان من اخذت العناية بزمام عقله فاعدت نور بصيرته لمشاهدة ما صرحت به آفات الدنيا
وكشفت عبرها من تبدل حالاتها وتغيراتها على من وثق عليها منهم واتخذها دارا وامرا فشاهد ان كل ذلك
امور باطلة واطلال زائلة فلابد ان يفيض الله على قلبه صورة خشية وتقواه فتستلزم تلك الخشية
توقفه وامتناعه من ان يلقي بنفسه في تلك الامور الزائلة والشبهات الباطلة لاشراق نور الحق الواضح
على لوح نفسه بالاعتبار فالتقوى اللازم عنه هو الحاجز عن ذلك التقحم واشار بالشبهات الى ما يتوهم
كونه حقا ثابتا باقيا من الامور الفانية الزائلة واللذات الدنيوية الباطلة فالوهم يصورها ويشبهها
بالحق فلذلك سميت شبهات والعقل الخارج من اسر الهوى قوي على نقد الحق وتمييزه من الشبهة و
اكد عليه السلام هذه الملازمة برهن ذمته على صحتها وكفالته بصدقها وذلك قوله ذمتي بما اقول رهينة
وانا به زعيم واستعمال الرهن هاهنا استعارة كقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة واعلم انه ربما التبس
عليك حقيقة التقوى فنقول التقوى بحسب العرف الشرعي يعود الى الخشية من الله سبحانه المستلزمة للاعراض
عن كل ما يوجب الالتفات عنه من متاع الدنيا وزينتها وتنحية ما دونه وهو عن جهة القصد ولما كان الترك
والاعراض المذكور هو الزهد الحقيقي كما علمت وكان التقوى وسيلة اليه علمت انه من اقوى الجواذب الى الله
الرادعة عن الالتفات الى ما سواه وقد ورد التقوى بمعنى الخشية من الله تعالى في اول النساء يا ايها الناس
اتقوا ربكم ومثله في اول الحج وفي الشعراء اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون وكذلك قول هود وصالح
ولوط وشعيب لقومهم وفي العنكبوت وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه وقوله اتقوا الله حق
تقاته وقوله تزودوا فان خير الزاد التقوى وكذلك في سائر آيات القرآن وان كان قد حمل بعض المفسرين
تارة على الايمان كما في قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى وتارة على التوبة كما في قوله ولو ان اهل القرى آمنوا
واتقوا وتارة ترك المعصية كما في قوله واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله اذا عرفت ذلك فاعلم انه لما
نبههم على لزوم التقوى والتخلص من تقحم الشبهات نبههم بعده على انهم في الشبهات مغمورون بقوله الا
وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه واشار ببليتهم الى ما هم عليه من اختلاف الاهواء وتشتت

الآراء وعدم الالفة والاجتماع في نصرة الله عن شبهات يلقيها الشيطان على الاذهان القابلة لوسوسته
المغمورة في بيئة وذلك من اعظم الفتن التي بها يبتلي الله عباده ويبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون
وهي امور تشبه ما كان الناس عليه حال بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وفي ذلك تنبيه لهم على انهم ليسوا من
تقوى الله في شيء اذ عرفت ان مجانبة الشبهة من لوازم التقوى فكان وقوعهم فيها مستلزما لسلب التقوى عنهم
ثم لما بين وقوعهم في البلية كما كانت اقسم بالقسم البار ليتزلزلن بهم ثمرة ما هم فيه من عدم التناصر واتباع
الاهواء الباطلة وذكر امورا ثلثة لعدها البلبلة وكنى بها عما يوقع بهم بنو امية وغيرهم من امراء الجور من
الهموم المزعجة وخلط بعضهم ببعض ورفع اراذلهم وحط اكابرهم عما يستحق كل من المراتب الثاني الغربلة وكنى
كناية عن التقاط احادهم وقصدهم بالاذى والقتل كما فعل بكثير من الصحابة والتابعين وفي ذلك تشبيه
لفعلهم ذلك بغربلة الدقيق ونحوه لتمييز الشيء منه عن شيء ولذلك استعير له لفظها وفي هاتين القرينتين
السجع المتوازي الثالث ان تساطوا كما تساط القدر الى ان يعود اسفلهم اعلاهم وبالعكس واستعار لفظ
السوط هاهنا مع غايته المذكورة لضربهم بما يجول بهم ممن يأتي بعده بسائر اسباب الاهانة وتغيير القواعد
التي هم عليها في ذلك الوقت وهو قريب من الاول قوله وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سابقون
كانوا سبقوا اشارة الى بعض نتايج تقلب الزمان بهم قال بعض الشارحين انه اشار بالمقصرين الذين يسبقون
الى قوم قصروا عن نصرته في مبدأ الامر حين وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ثم نصروه في ولايته وقاتلوا معه
في سائر حروبه وبالسابقين الذين يقصرون الى من كانت له في الاسلام سابقة ثم خذله وانحرف عنه وقاتله
ويشبه ان يكون مراده اعم من ذلك فالمقصرون الذين يسبقون كل من اخذت العناية الالهية بيده وقادة
زمام التوفيق الى الجد في طاعة الله واتباع سائر اوامره والوقوف عند نواهيه وزواجره بعد تقصيره في ذلك
وعكس هؤلاء من كان في مبدأ الامر مشمرا في سلوك سبيل الله ثم جذبه هواه الى غير ما كان عليه وسلك به الشيطان
مسالكه فاستبدل بسبقه في الدين تقصيرا او انحرافا عنه قوله والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة اقسم
انه لم يكتم اثرا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا المعنى وكلمة مما يتعين عليه ان يبوح به وانه لم يكذب
قط وهذا القسم شهادة لما قبله من الاخبار بما سيكون انه كما قال وتوطئة لما بعده انه كما هو وذلك قوله
ولقد نبئت بهذا المقام ومقام يعني الخلق له وهذا اليوم اي يوم اجتماعهم عليه وكل ذلك تنفير لهم عن
الباطل الى الحق وتثبيت لهم على اتباعه ثم لما امرهم بالتقوى وانبأهم بما سيكون فاقبلنا منهم في لزومهم لبلبتهم
وتورطهم في الشبهات اردف ذلك بالتنفير عن الخطايا والترغيب في التقوى بالتنبيه على ما يعود اليه كل منهما
قوله الا وان الخطايا خيل شمس حمل عليها اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار استعار لفظ الخيل للخطايا
ثم وصفها بالوصف المنفر وهو الشموس والهيئة المانعة لذي العقل من ركوبها وهي كونها مع شموسها مخلوعة
اللجم ووجه الاستعارة ظاهر فان الفرس الشموس التي خلع لجامها لما كانت من شأنها ان تتقحم براكبها

المهالك فتجري به على غير نظام فكذلك راكب الخطيئة لما جرى به ركوبها على غير نظام الشريعة وخلع بذلك لجام
الاوامر الشرعية وحدود الدين لاجرم كانت غاية من ركوبها ان يتقحم اعظم موارد الهلاك وهي نار جهنم
وذلك من لطيف الاستعارة قوله الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها واعطوا ازمتها فاوردتهم الجنة
استعار ايضا لفظ المطايا بالوصف الحسن الموجب للميل اليها وهو كونها ذللا وبالهيئة التي ينبغي للراكب وهو
اخذ الزمام واشار بالازمة الى حدود الشريعة التي يلزمها صاحب التقوى ولا يتجاوزها ولما كانت المطية
الذلول من شأنها ان تتحرك براكبها على وفق النظام الذي ينبغي ولا يتجاوز الطريق المستقيم بل يصرفها
بزمامها ولسيره على تؤدة فيصل بها الى مقاصده كذلك التقوى فهو لطريق السالك الى الله بالتقوى
واحترز عن جوح الهوى به في موارد الهلكة يشبه ذلة المطية وحدود الله التي يسلك بها التقوى ويستقر عليه
يشبه ازمة المطايا التي بها تملك وكون التقوى موصلا لصاحبه بسلامة الى السعادة الابدية التي هي اسنى
المطالب يشبه غاية سير المطي الذلول براكبها والاستعارة في الموضعين استعارة لفظ المحسوس للمعقول ثم
لما بين انهما طريقان مركوبان مسلوكان طريق الخطايا وطريق التقوى ذكر بعده انهما حق وباطل فكنى
قال وحق وهو التقوى وباطل وهو الخطايا ثم قال ولكل اهل اي ولكل من طريقي الباطل والحق قوم
اعدهم القدر لسلوكها بحسب ما جرى في اللوح المحفوظ بقلم القضاء الالهي كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله
كل ميسر لما خلق له قوله فلئن امر الباطل لقديما فعل ولئن قل الحق فلربما ولعل اذاق لذ الله يشبه الاعتذار
لنفسه ولاهل الحق في قلته وذم وتوبيخ لاهل الباطل على كثرة اي ان كثرة الباطل وقلة الحق في ذلك
الوقت ليس بدعا حتى اجهد نفسي في الانكار على اهله ثم لا يسمعون ولا ينتهون وفي قوله لربما ولعل تنبيه
على ان الحق وان قل فربما يعود كثيرا ثم اراد فحرف التقليل وهو ربما بحرف التمني فكان في هذه الاحرف
الوجيزة اخبار بقلة الحق ووعد بعوده مع نوع تشكيك في ذلك وتمني لكثرته قوله ولقلما ادبر شيء فاقبل
استبعاد لرجوع الحق الى الكثرة والقوة بعد قلته وضعفه على وجه كلي فان زوال الاستعداد للامر يستلزم
زوال صورته وصورة الحق انما افيضت على قلوب صفت واستعدت لقبوله فاذا اخذ ذلك الاستعداد في التناقص
بموت اهله او بموت قلوبهم وتسود الواح نفوسهم بشبه الباطل فلابد ان ينقص نور الحق ويكثر ظلمة الباطل
قوة الاستعداد لها وظاهر ان عود الحق واضاءة نوره مبدأ باره واقبال ظلمة الباطل امر بعيد وقلما يعود
مثل ذلك الاستعداد لقبول مثل تلك الصورة للحق ولعله يعود بقوة فيصبح الواح النفوس وارضها مشرقة
بانوار الحق ويكر على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وما ذلك على الله بعزيز وفي ذلك تنبيه لهم على لزوم الحق
وبعث على القيام به كيلا يضمحل بتخاذلهم عنه فلا يمكنهم تداركه وبالله التوفيق منها شغل من الجنة والنار امامه
ساع سريع نجا وطالب بطيء رجا ومقصر في النار هوى اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة عليها
باقي الكتاب وآثار النبوة ومنها منفذ السنة واليها مصير العاقبة هلك من ادعى وخاب من افترى من ابدى

صفحته للحق هلك عند جهلة الناس وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره لا يهلك على التقوى سنخ اصل ولا يظمأ
عليه زرع قوم فاستتروا ببيوتكم واصلحوا ذات بينكم فالتوبة من ورائكم ولا يحمد حامد الا ربه ولا يلم لائم الا
نفسه اقول قد عرفت كون هذا الفصل من الخطبة التي ذكرناها والجادة معظم الطريق والصفحة الجانب
والسنخ الاصل وذات البين حقيقته والحيبة عدم حصول المطلوب واعلم ان تقدير القضية الاولى ان من كانت
النار والجنة امامه فقد حيل له بهما شغلا يكفيه عن كل ما عداه فيجب عليه ان لا يشتغل الا به واشار بذلك
الشغل الى ما يكون وسيلة الى الفوز بالجنة والنجاة من النار مما نطقت به الكتب المنزلة وحث على لزومه
الرسل واشار بكون الجنة والنار امامه الى احد امرين احدهما ان يكون المراد كون الجنة والنار ملاحظتين له
متذكرا لهما متوقفة فيهما امامه الى انه لما كان الانسان من مبدأ عمره ومنتهى خياله ومن كان كذلك
فهو في شغل بهما عن غيرهما الثاني ان يكون كونهما امامه اي انه لما كان الانسان من مبدأ عمره الى منتهاه مسافرا
الى الله فهو في منقطع سفره لابد وان ينتهي اما الى الجنة او الى النار فكانتا امامه في ذلك السفر وغايتين
يامهما الانسان وينتهي اليهما ومن كان ابدا في السفر الى غاية معينة فكيف يليق به ان يشتغل بغير مهمات تلك
الغاية والوسيلة اليها وانما قال شغل بالبناء للمفعول لان المقصود هاهنا ليس الا ذكر الشغل والا انه
لما كان الشاغل هو الله تعالى بايجاد الجنة والنار والترغيب في احديهما والترهيب من الاخرى كان ترك ذكره
للتعظيم والاجلال والظهور ثم انه لما نبه على وجوب الاشتغال بالجنة والنار عن غيرهما قسم الناس بالنسبة
الى ذلك الاشتغال الى ثلثة اقسام وذلك قوله ساع سريع نجا وطالب بطيء رجا ومقصر في النار هوى ووجه
الحصر في هذه القسمة ان الناس بعد الانبياء عليهم السلام اما طالبون لله او تاركون والطالبون اما بغاية
جدهم واجتهادهم وبذل وسعهم وطاقتهم في الوصول الى رضوانه او بالبطؤ والثاني فهذه ثلثة اقسام لا
مزيد عليها وان كان قسما الطالبين على مراتب ودرجات متفاوتة والقسم الاول هم الفائزون بقصب
السبق والناجون من عذاب النار كما قال تعالى والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم فامن
بما اتيهم ربهم ووقيهم ربهم عذاب الجحيم وهذا القسم يشمل الانبياء عليهم السلام لولا اقرانه لهم في قسم تابع
او قسم للخلق في الخطبة الى خمسة اقسام والثالث المقصر الذي وقف به الشيطان حيث اراد اخذنا بحجزته عن
سلوك سبيل الله فاذا قابل في موارد الهلاك ومنازل الشقاء وظاهر انه في النار واما الذين شقوا ففي
النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد
واما القسم الثاني فذو وصفين متجاذبين من جهتي السفالة والعلو فطلب الجنة بحركته وسلوكه الى الله
وان ضعف جاذب له الى جهة العلو وبداء الشيطان جاذب له الى جهة السفالة الا ان رجاءه لعفو الله ونظره اليه
سبب رحمته اذا انضاف الى حركته البطيئة كانت السلامة عليه اغلب وجهة العلو منه اقرب وينبغي ان تشير
الى حقيقة الرجاء ليتضح ما قلناه فنقول الرجاء هو ارتياح النفس لانتظار ما هو محبوب عندها فهو لا بد

لما انصدر عن علم ويقتضي عملا بيان ذلك ان ما تتصوره النفس من محبوب او مكروه فاما ان يكون موجودا في
الماضي او في الحال او يوجد في الاستقبال والاول يسمى ذكرا وتذكرا والثاني يسمى وجدا لوجدان النفس له
في الحال والثالث وهو ان يغلب على ظنك وجود شي في الاستقبال لنفسك به تعلق فيسمى ذلك انتظارا
وتوقعا فان كان مكروها حدث منه في القلب تالم يسمى خوفا وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب
به لذة للنفس وارتياح باخطار وجوده بالبال يسمى ذلك الارتياح رجاء ولكن ذلك المتوقع لابد وان يكون
لسبب فان كان توقعه لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجاء صادق عليه وان كان انتظاره مع العلم بانتفاء
اسبابه فاسم الغرور والحمق عليه اصدق وان كانت اسبابه غير معلومة الوجود ولا الانتفاء فاسم التمني اصدق
على انتظاره اذا عرفت ذلك فاعلم ان ارباب العرفان قد علموا ان الدنيا مزرعة الاخرة فالنفس هي الارض
وبذرها حب المعارف الالهية وسائر انواع الطاعات جارية مجرى اصلاح هذه الارض من تقليبها واعدادها
للزراعة وسياقة الماء اليها والنفس المستغرقة بحب الدنيا والميل اليها كالارض السبخة التي لا تقبل الزرع
والانبات لمخالطة الاجزاء الملحية ويوم القيمة يوم الحصاد فلا حصاد الا من زرع ولا زرع الا من بذر
وكما لا ينفع الزرع في ارض سبخة كذلك لا ينفع ايمان مع خبث النفس وسوء الاخلاق فينبغي ان يقاس
رجاء العبد لرضوان الله برجاء صاحب الزرع وكما ان من طلب ارضا طيبة وبذرها في وقت الزراعة بذرا
غير متعفن ولا متاكل ثم امده بالماء العذب وسائر ما يحتاج اليه اوقاته ثم طهره عن مخالطة ما يمنع نباته
من شوك ونحوه ثم انتظر من فضل الله دفع الصواعق والافات المفسدة الى تمام زرعه وبلوغ غايته
كان ذلك رجاء في موضعه واستحق اسم الرجاء اذ كان في مظنة ان يفوز بمقاصده من ذلك الزرع ومن بذر
في ارض كذلك الا انه بذر في اخريات الناس ولم يبادر اليه اول وقته او قصر في بعض اسبابه ثم اخذ
ينتظر ثمرة ذلك الزرع ويرجو الله في سلامته له فهو من جملة الراجين ايضا ومن لم يحصل على بذر او بذر في
ارض سبخة او ذات شاغل عن الانبات ثم اخذ ينتظر الحصاد فذلك الانتظار حمق فكان اسم الرجاء انما
يصدق على انتظار ما حصل جميع اسبابه او اكثرها الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره
وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات كذلك حال العبد ان بذر المعارف الالهية في ارض نفسه
في وقته وهو مقتبل العمر ومبدأ التكليف ودام على سقيه بالطاعات واجتهد في طهارة نفسه عن شوك
الاخلاق الردية التي تمنع نماء العلم وزيادة الايمان وانتظر من فضل الله تعالى ان يثبته على ذلك الى زمان
وصوله وحصاد عمله فذلك الانتظار هو الرجاء المحمود وهو درجة السابقين وان القى بذر الايمان
في نفسه لكنه قصر في بعض اسبابه اما بتباطؤه في البذر او في السقي الى غير ذلك مما يوجب ضعفه ثم اخذ ينتظر
وقت الحصاد ويتوقع من فضل الله تعالى ان يبارك له فيه ويعتمد على انه هو الرزاق ذو القوة المتين فيصدق
عليه ايضا اسم الرجاء اذ اكثر اسباب المطلوب التي من جهته حاصلة وهذه درجة القسم الثاني وهو الطالب

شكوت الى وكيع سوء فهمي
فارشدني الى ترك المعاصي
وقال العلم يا ابني نور
ونور الله لا يؤتى لعاصي

الراجي البطي وان لم يزرع من قواعد الايمان في نفسه شيئا اصلا او زرع ولم يسقه بماء الطاعة او ترك نفسه
مشغولة بشوك الاخلاق الردية وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة والفضل من الله فذلك
الانتظار غرور وليس برجاء في الحقيقة وذلك هو القسم الثالث وهو المقصر في اسباب الزراعة وتحصيل
زاد الاخرة الهالك اسفا يوم الحسرة والندامة يقول يا ليتني قدمت لحيوتي فيومئذ لا يعذب عذابه
احد ولا يوثق وثاقه احد وفي المعنى ما قيل اذا انت لم تزرع وعاينت حاصدا ندمت على التفريط في زمن
البذر قال رسول الله صلى الله عليه وآله الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال فخلف من بعدهم خلف
ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وانما خص عليه السلام القسم الثاني بالرجاء
اذ كان كما علمت عمدته لضعف عمله وقلة الاسباب من جهته والى هذه الاقسام الثلثة اشار القرآن الكريم
بقوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير وان اختلف
سياق الترتيبين قوله اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة لما قسم الناس الى سابقين ولا
حقين ومقصرين اشار لهم الى الطريق التي اوجب الله عليهم سلوكها ونصب لهم عليها اعلام الهدى ليصلوا
بها الى الجناب العزة سالمين عن تخطفات الشياطين وميزها عن طرائق الضلال ولما علمت ان طريق السالكين
الى الله اما العلم او العمل فالعلم طريق القوة النظرية والعمل طريق قوة العملية وكل منهما محفوف برذيلتين
هما طرفا التفريط والافراط كما علمته والوسط منهما هو العدل والطريق الوسطى وهي الجادة الواضحة لمن
اهتدى وهي التي عليها ما في الكتاب الالهي من المقاصد الحكمية وعليها اثار النبوة ومنفذ السنة اي طريقها
ومبدؤها الذي منه يخرج واليها مصير عاقبة الخلق في الدنيا والاخرة فان من العدل بدأت السنة والشرائع
في الخلق واليه مرجع امورهم اما في الدنيا فلان نظام امورهم في حركاتهم وسكناتهم مبني على القوانين
الشرعية والى تلك القوانين والقواعد ترد عواقب امورهم وعليها يحملون واما في الاخرة فبالنسبة
اليه يتبين خسران الخاسرين وفوز الفائزين فيحكم لمن سلكه وتمسك به اوقات سفره الى الله بجنات النعيم
ولمن انحرف عنه وتجاوزه بالعذاب الاليم في نار الجحيم وكل واحد من طرفي التفريط والافراط بالنسبة اليه
هو المراد باليمين والشمال من ذلك الوسط وهما طريقا المضلة لمن عدل اليهما ومورد الهلاك لمن سلكهما
قوله هلك من ادعى وخاب من افترى يحتمل ان تكون القضيتان دعاء ويحتمل ان تكون اخبارا اي هلك
من ادعى ما ليس له اهلا وعني الهلاك الاخروي وخاب من كذب اي لن يحصل مطلوبه اذ تحصيل الكذب
وسيلة اليه واعلم ان الدعوى اما ان تكون مطابقة لما في نفس الامر او ليس كذلك والثانية محرمة
مطلقا واما الاولى فاما ان يدعو اليها الحاجة او ليس والقسم الاول هو المباح فقط دون الثاني
واذ تحرم هذان القسمان اما الاول وهي الدعوى غير المطابقة فلانها تصدر عن ملكة الكذب تارة
وعن الجهل المركب تارة كالجاهل بالامر المدعى لحصوله عن شبهة رسخت في ذهنه وكلاهما من اكبر الرذائل

واعظم المهلكات في الاخرة واما الثانية وهي المطابقة لا عن حاجة فلانها تكاد لا تنفصل عن الانا
الاعن رذيلة العجب وستعلم انه من المهلكات قال رسول الله صلى الله عليه وآله ثلث مهلكات شح مطاع
وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه واما خيبة المفتري فلان الغرض اختلاق ما ليس بحق وظاهر ان الكذب لا
ثمرة له اما في الاخرة فظاهر واما في الدنيا فقد تكون ولا تكون وان كانت ففي معرض الزوال ومستلزمة
لسخط الله فهي بمنزلة ما لم يكن وصاحبها اشد خيبة من عادمها وطالب الامر بالفرية على كل تقدير خاسر
خائب قال بعض الشارحين اراد هلك من ادعى الامامة من غير استحقاق وخاب من افترى في دعواها
لان كلامه في هذه الخطبة كثيرا ما يعرض فيه بامر الامامة قوله من ابدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس
وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره تنبيه على ان التجرد لاظهار الحق في مقابلة كل باطل ورد من الجهال
وحملهم على مر الحق وصعبه في كل وقت يكون في معرض الهلاك بايديهم والسنتهم اذ لا يعدم منهم من يؤذيه
المكروه ويسعى في دمه ثم اراد التنبيه على الجهل فذكر ادنى مراتبه ونبه بها على ان اقل الجهل كاف في
الرذيلة فكيف بكثيره وذلك قوله وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره واراد مرتبته في الناس وعدم تصوره
لدرجة نفسه ومنزلتها بالنسبة الى اخادهم وكفى بهذا القدر مهلكا فانه منشأ كثير من الرذائل المهلكة
كالكبر والعجب وقول الباطل وادعاء الكمال للناقصين وتعدي الطور في اكثر الاحوال كما قال عليه السلام
في موضع اخر رحم الله امرءا عرف قدره ولم يتعد طوره وفي هذه الكلمة تنفير للسامعين من الجهل بعد ما
يتصورونه من وجوب التجرد للحق ونصرته وربما يستنبط منها تعليم كيفية استجلاب طباع الجهال وتاليفهم
وهو انه لا ينبغي ان يقابلوا بالحق بعنف ويتجرد في مقابلتهم به على كل وجه فان ذلك مما يوجب نفارهم
وعدم انتظام احوالهم بل ينبغي ان يؤنسوا به على التدريج قليلا قليلا وربما لم يمكن تانيسهم بالحق في بعض
الامور اما لغموض الحق بالنسبة الى افهامهم او لقوة اعتقادهم الباطل في مقابلته فيخدعوا عن ذلك
بالحق في صورة الباطل وظاهره وذلك كما ورد في القرآن الكريم والسنن النبوية من صفات التجسيم مما
لا يجوز ان يحمل على ظاهره في حق الصانع الحكيم فان حمله على ظاهره كما يتصوره جهال الناس امر باطل لكنه
لما كان سببا لايناسهم وجمع قلوبهم على اعتقاد الصانع وبه نظام امورهم ورد الشرع به قوله لا يهلك على
التقوى سنخ اصل ولا يظما عليه زرع قوم تنبيه على لزوم التقوى باعتبارين احدهما ان كل اصل بني على
التقوى فمحال ان يهلك ويلحق بانيه خسران كما قال تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير
امن اسس بنيانه على شفا جرف هار الثاني ان من زرع زرعا اخرويا كالمعارف الالهية في ارض نفسه
مثلا او دنيويا كالاعمال التي بها يقوم مصالح الانسان في الدنيا وسقاها ماء التقوى وجعله مادتها
فانه لا يلحق ذلك الزرع ظما بل عليه ينشأ باقوى ساق وازكى ثمرة واستعمال الزرع والاصل كناية عما ذكرنا
قوله واستتروا ببيوتكم واصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم قد عرفت ان هذا الفصل مقدم في

الخطبة على قوله من ابدى صفحته للحق هلك وهو مسبوق بالتهديد وارد في معرضه وهو قوله الا وان الله قد جعل
ادب هذه الامة السوط والسيف ليس عند امام فيهما هوادة اي مصالحة وسكوت فاستتروا ببيوتكم وهو
حسم لمادة الفتنة بينهم بلزوم البيوت عن الاجتماع للمنافرات والمفاخرات والمشاجرات ولذلك اردفه
بقوله واصلحوا ذات بينكم فان قطع مادة الفتنة سبب لاصلاح ذات البين قوله والتوبة من ورائكم تنبيه
للعصاة على الرجوع الى التوبة عن الجري في ميدان المعصية واقتفاء اثر الشيطان وكونها وراء لان الجواذب
الالهية اذا اخذت بقلب العبد فجذبته عن المعصية حتى اعرض عنها والتفت بوجه نفسه الى ما كان معرضا
عنه من الندم على المعصية والتوجه الى القبلة الحقيقية فانه يصدق عليه ان التوبة وراءه اي وراءه
عقليا وهو اولى من قول من قال من المفسرين ان وراءكم بمعنى امامكم قوله ولا يحمد حامد الا ربه ولا يلم
لائم الا نفسه تاديب لهم بالتنبيه على قصر الحمد والثناء على الله دون غيره وان نسبنا كل نعمة يستحق بها الحمد
كما سبقت اليه الاشارة وعلى قصر اللائمة على النفس عند انحرافها عن جهة القبلة الحقيقية الى متابعة ابليس
وقبولها لدعوته من غير سلطان والى اصل هاتين الكلمتين اشار القرآن الكريم ما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك فكل حسنة اصابت العبد من ربه فهي مبدأ لحمده وشكره وكل سيئة
اصابته من نفسه فهي مبدأ للائمة نفسه فاما قول السيد رحمه الله ان في هذا الكلام من مواقع الاحسان
ما لا يبلغه مواقع الاستحسان الى اخره فالاحسان مصدر قولك احسن الرجل احسانا اذا فعل فعلا حسنا
ومواقع الاحسان محاسن الكلام التي اجاد فيها واحسن ومواقع الاستحسان اما سائر محاسن كلام العرب
اي ان شيئا من محاسن كلام العرب وما يقع عليه الاستحسان منها لا يوازي هذا الكلام ولا يبلغه او يريد
بمواقع الاستحسان الى الفكر من الناس فانها محال الاستحسان ايضا اذ الاستحسان من صفات المستحسن
اي ان الفكر لا يصل الى محاسن هذا الكلام وقوله وان حظ العجب منه اكثر من حظ العجب به يريد ان تعجب
الفصحاء من حسنه وبدايعه اكثر من عجبهم باستخراج محاسنه وذلك لان فيه من المحاسن وما يكتم التعبير
عنها امورا كثيرة فهم يجدونها من انفسهم وان لم يمكنهم التعبير عنها فيكون تعجبهم من محاسنه اكثر من اعجابهم من
انفسهم بما يقدرون على استخراجها او يريد باكثر من عجبهم به اي اكثر من محبتهم له وميلهم اليه وباقي كلامه
ظاهر وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام في صفة من يتصدى بين الامة للحكم وليس لذلك باهل
ان ابغض الخلائق الى الله رجلان رجل وكله الله الى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام
بدعة ودعاء ضلالة فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من كان قبله مضل لمن اقتدى به في حيوته وبعد
وفاته حمال خطايا غيره رهن بخطيئته ورجل قمش جهلا موضع في جهال الامة غار في اغباش الفتنة عم بما في
عقد الهدنة قد سماه اشباه الناس عالما وليس به بكر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى
من ماء اجن واكثر من غير طائل جلس بين الناس قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس على غيره فان نزلت به

احدى المبهمات هيأ لها حشواً رثاً من رأيه ثم قطع به فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري اصاب ام اخطأ ان اصاب خاف ان يكون قد اخطأ وان اخطأ رجا ان يكون قد اصاب جاهل خباط جهالات عاش ركاب
عشوات لم يعض على العلم بضرس قاطع يذرو الروايات اذراء الريح الهشيم لا ملئ والله باصدار ما ورد عليه
لا يحسب العلم في شيء مما انكره ولا يرى ان من وراء ما بلغ منه مذهباً لغيره وان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم من
جهل نفسه تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج منه المواريث الى الله اشكو من معشر يعيشون جهالاً ويموتون
ضلالاً ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته ولا انفق سلعة واغلى ثمناً من الكتاب اذا حرف
عن مواضعه ولا عندهم انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر **اقول** وكله الى نفسه جعل توكله عليها والجائر
العادل عن الطريق فلان مشعوف بكذا بالعين المهملة اذا بلغ حبه الى شغاف قلبه وهو غلافه وبغير المعجمة
اذا بلغ الى شعفة قلبه وهي عند معلق النياط والقمش جمع الشيء المتفرق والمجموع قماش والموضع بفتح الضاد
المطرح وبكسرها المسرع والغار الغافل واغباش الليل ظلمته وقال ابو زيد الغبش البقية من الليل و
دوى اغباش الفتنة والغطش ايضاً الظلمة والهدنة الصلح والمبهمات المشكلات وامر مبهم اذا لم يعرف و
الرث الضعيف البالي وعشوة الطريق بضم العين وكسرها وفتحها ركوبه على غير بيان و... النار ... على ضعف والهشيم اليابس من نبت الارض
المنكسر والعج رفع الصوت والبائر الفاسد واعلم انه احد وثلاثين الشعير عن الرجلين المشار اليهما بذكر
انهما من ابغض الخلائق الى الله تعالى ولما كانت ارادة الله للشيء ومحبته له عائدة الى علمه بكونه على وفق
النظام الكلي التام للعالم كانت كراهته وبغضه له عائدة الى علمه بكونه على ضد مصلحة العالم وخارجاً
عن نظامه فبغضه اذن لهذين الرجلين علمه بكون افعالهما واقوالهما خارجة عن المصلحة **قوله** رجل وكله
الله الى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل الى قوله بخطيئته بيان لاحد الرجلين وتمييز له وذكر له اوصافاً
الاول انه وكله الله الى نفسه اي جعله متوكلاً عليها دونه واعلم ان التوكل ماخوذ من الوكالة يقال وكل
فلان امره الى فلان اذا فوضه اليه واعتمد عليه فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده اذا عرفت
ذلك فنقول من اعتقد جزماً او ظناً بان نفسه او احداً غير الله تعالى ممن ينسب اليه التاثير والقدرة وهو المتمكن
من الفعل وانه تام القدرة على تحصيل مراده والوفاء به فان ذلك من اقوى الاسباب المعدة لان يفيض الله
على قلبه صورة الاعتماد على المعتقد فيه والتوكل عليه فيما يريد وذلك معنى قوله وكله الى نفسه وكذلك
معنى الوكول الى الدنيا وذلك بحسب اعتقاد الانسان ان المال والقينات الدنيوية وافية ومحبة غالبة
وتحصيلها مغنية له عما وراءها وبحسب قوة ذلك التوكل وضعفه يكون تفاوت بغض الله تعالى للعبد ومحبته
له وبعده وقربه منه فلن يخلص اذن العبد من بغض الله الا بالتوكل عليه حق توكله قال تعالى ان الله يحب
المتوكلين وهو اعظم مقام وسم صاحبه بمحبة الله فمن كان الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز
الفوز العظيم فان المحبوب لا يبغض ولا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقال رسول الله صلى الله عليه وآله من

انقطع الى الله كفاه كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وصورة التوكل
عليه ان تثبت في نفسك بكشف واعتقاد جازم ان استناد جميع الاسباب والمسببات الى الله سبحانه
وانه الفاعل المطلق تام العلم والقدرة على كفاية العباد تام العطف والرحمة والعناية بجملتهم بحيث
لا يكون وراء قدرته وعلمه وعنايته رحمة وعناية ولم يبق في نفسك التفات الى غيره بوجه حتى نفسك
وحولك وقوتك فانك والحال هذه تجد من نفسك تسليم امورها بالكلية اليه والبراءة من التوكل على
احد الا عليه فان لم تجد من نفسك هذه الحال فسببه لك ضعف الاسباب المذكورة او بعضها وغلبة
الوهم على النفس معارضة لذلك اليقين وبحسب ضعف تلك الاسباب وشدتها وزيادتها ونقصانها
يكون تفاوت درجات التوكل على الله تعالى الثاني كونه جائراً عن قصد السبيل اي عن قصد سبيل الله
العدل وصراطه المستقيم وقد علمت ان الجور هو طرف الافراط من فضيلة العدل الثالث كونه
مشعوفاً بكلام بدعة اي معجب بما يحفظه ويبتدعه من الكلام الذي لا اصل له في الدين ويدعو به الناس
الى الضلالة والجور عن القصد وهذا الوصف لازم عما قبله فان من جار عن قصد السبيل بجهله فهو
فهو يعتقد انه على سواء السبيل فكان ما يتخيله من ذلك الكمال الذي هو نقصان في الحقيقة مستلزماً
لمحبة قول الباطل وابتداع المحال فهو من الاخسرين اعمالاً الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعاً الرابع كونه فتنة لمن افتتن به وهو ايضاً لازم عن الوصف الثالث فان
محبة قول الباطل والدعوة الى الضلالة سبب لكونه فتنة لمن تبعه الخامس كونه ضالاً عن هدى من
من كان قبله وهذا الوصف كالثاني فان الضال عن الهدى جائر عن قصد السبيل الا ان هاهنا زيادة
اذ الجائر عن القصد قد يجور ويضل حيث لا هدى يتبعه والموصوف هاهنا جائر وضال مع وجود هدى
قبله مامور باتباعه وهو كتاب الله وسنة رسوله واعلام هدى الحاملون لدينا الناطقون عن مشكاة
النبوة وذلك ابلغ في لائمته واكد في وجوب عقوبته السادس كونه مضلاً لمن اهتدى به في حيوته
وبعد وفاته وهذا الوصف مسبب عما قبله اذ ضلال الانسان في نفسه سبب لاضلال غيره وبينهم
مشابهة من الرابع مع زيادة فان كونه فتنة لغيره هو كونه مضلاً لمن اهتدى به واما الزيادة فكون
ذلك الاضلال في حيوته وهو ظاهر وبعد موته لبقاء العقائد الباطلة المكتسبة عنه في سبب ضلال
الضالين بعده السابع كونه حمالاً لخطايا غيره وهو لازم عن السادس فان حمله لاوزار من يضله انما
هو بسبب اضلاله له الثامن كونه رهناً بخطيئته اي موثوق بها عن الصعود الى حضرة جلال الله والى
هذين الوصفين اشار القرآن الكريم بقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم
بغير علم الا ساء ما يزرون وقول الرسول صلى الله عليه وآله ايما داع دعى الى الهدى فاتبع كان له مثل
اجر من تبعه لا ينقص من اجرهم شيء وايما داع دعا الى الضلالة فاتبع كان عليه مثل وزر من تبعه

ولا ينقص منه شيء واعلم انه ليس المراد من ذلك انه تعالى يوصل العقاب الذي يستحقه الاتباع الى القادة والرؤساء
لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى ولا تزر وازرة وزر اخرى والا لما دخل احد من الناس النار ابداً بل كانت
مقصورة على ابليس وحده بل المعنى ان الرئيس المضل اذا وضع سنة تكون فتنة للناس وضلالاً لهم لم تصدر
تلك السنة الا عن نفس قد استولى عليها الجهل المركب المضاد لليقين وصار ملكة من ملكاتها فيسود لوحها
به عن قبول الانوار الالهية وصار ذلك حجاباً بينها وبين الرحمة حجاباً بحيث يكون ذلك الحجاب في القوة والشدة
اضعاف حجب التابعين له والمقتدين به الناشئة عن فتنته فان تلك الحجب الطارية على قلوب التابعين
مستندة الى ذلك الحجاب وهو اصلها فلا جرم يكون وزره وسيئته في قوة اوزار اتباعه وسيئاتهم التي حصلت
بسبب ضلاله لاكل سيئاتهم من كل جهة ولذلك قال تعالى ومن اوزار الذين يضلونهم اي بعض اوزارهم و
الحاصلة بسبب المضلين وقال الواحدي ان من في هذه الاية ليست للتبعيض بل لبيان الجنس والا لخفف
عن الاتباع بعض اوزارهم وذلك ينافي قوله صلى الله عليه وآله من غير ان ينقص من اوزارهم شيء قلت هذا
وان كان حسناً الا ان الالزام الذي ذكره غير لازم على كونها للتبعيض لان القائل بكونها كذلك يقول
ان المراد وليحملوا بعض امثال اوزار التابعين لا بعض اعيان اوزارهم واذا فهمت ذلك في جانب السيئات
فافهم مثله في جانب الحسنات وهو ان الواضع لحسنة وهدى يهتدى به انما تصدر عن نفس فاضت صفاء
واشراقاً بكل نورها فاشرقت على غيرها من النفوس التابعة لها فاستضاءت به وكانت السنة الماخوذة من
جملة انوارها الفائضة عنها على نفس مقتبسها فكان في النفس المتبوعة من الاستكمال بنور الله الذي هو
راس كل هدى ما هو في قوة جميع الانوار المقتبسة عن تلك السنة ومثلها فكان لها من الاجر والثواب مثل ما
للتابعين لها من غير نقصان في اجر التابعين وهذا هو الحاصل لهم الى مثل هذا المعنى الاشارة الواردة في
الخبران حسنات الظالم تنقل الى ديوان المظلوم وسيئات المظلوم تنقل الى ديوان الظالم فانك ان علمت
ان السيئة والحسنة اعراض لا يمكن نقلها من محل الى محل فليس ذلك نقلاً حقيقياً بل على وجه الاستعارة
كما يقال انتقلت الخلافة من فلان الى غيره وانما المقصود من نقل سيئات المظلوم الى الظالم حصول امثالها
في قلب الظالم ونقل حسنات الظالم الى المظلوم حصول امثالها في قلبه وذلك لان للطاعة تاثيراً في
النفس بالتنوير وللمعاصي تاثيراً بالقسوة والظلمة وبانوار الطاعة يستحكم مناسبة النفس من استعدادها
لقبول المعارف الالهية ومشاهدة حضرة الربوبية وبالقسوة والظلمة تستعد للبعد والحجاب عن مشاهدة
الجمال الالهي فالطاعة مولدة لذة المشاهدة بواسطة الصفاء والنور الذي يحدث في النفس والمعصية
مولدة للحجاب بواسطة القسوة والظلمة التي تحدث فيها وبين الحسنات والسيئات تضاد وتعاقب على
النفس كما قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقال ولا تبطلوا اعمالكم وقال صلى الله عليه وآله
اتبع السيئة بالحسنة تمحها والالام مكفرات للذنوب ولذلك قال صلى الله عليه وآله ان الرجل ليثاب حتى

بالشوكة التي تصيب رجله وقال الحدود كفارات لاهلها فالظالم يتبع شهوته بالظلم وفيه ما يقسي القلب
ويسود لوح النفس فيمحو اثر النور الذي فيه من طاعته فكانه يحبط طاعته والمظلوم يتالم وتنكسر شهوته
ويستكين قلبه ويرجع الى الله تعالى فيفارقه الظلمة والقسوة التي حصلت له من اتباع الشهوات فكان النور
انتقل من قلب الظالم الى قلب المظلوم وانتقل السواد والظلمة الى قلب الظالم وذلك انتقال على سبيل
الاستعارة كما علمت وكما يقال انتقل ضوء الشمس من مكان الى مكان وقد تلخص من هذا التقرير ان الحسنات
المنقولة الى المظلوم من ديوان الظالم هي استعداداته لقبول الرحمة والتنوير الحاصل له بسبب ظلم الظالم
والسيئات المنقولة من ديوان المظلوم الى الظالم هي استعداداته بالحجب والقسوة عن قبول انوار الله والثواب
والعقاب الحاصلان لهما هو ما استعدا له من تلك الانوار والظلمات واعلم ان ذلك النقل وحمل الظالم اوزار
المظلوم وان كان امراً حاصلاً في الدنيا الا انه لما لم ينكشف للبصائر الا في يوم القيمة لاجرم خصص بيوم القيمة
واما قال حمالاً اوزن فعال للمبالغة والتكثير اي انه كثيراً ما يحمل خطايا غيره واما الرجل الثاني فميزه بعشرة
وصفا **ا** كونه قمش جهلاً وهي استعارة لفظ الجمع المحسوس للجمع المعقول **ب** كونه موضعاً في جهال الامة ليس
ليس من اشراف الناس ويفهم من هذا الكلام انه خرج في حق شخص معين وان عممه وغيره **ج** كونه عادياً في اغباش
الفتنة اي ساعياً في اوائل ظلماتها وروى غاراً اي غافلاً في ظلمات الخصومات لا يهتدي لوجه تخليصها
د كونه اعمى البصيرة بما في عقد الصلح والمسالمة بين الناس من نظام امورهم ومصالح العالم فهو جاهل بوجوه
المصالح مثير للفتن بينهم **ه** كونه قد سماه اشباه الناس عالماً وليس بعالم والمراد بالجهال واشباه الناس الجهال
واهل الضلال وهم الذين يشبهون الناس الكاملين في الصورة الحسية دون الصورة التمامية التي هي
كمال العلوم والاخلاق **و** كونه بكر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر وروى من جمع منوناً وغير منون
اما بالتنوين فالجملة بعده صفة له واستعمل المصدر وهي جمع في موضع اسم المفعول اي من مجموع ويحتمل ان
يكون المقصود هو المصدر نفسه واما مع الاضافة فقيل ان ما هاهنا يحتاج في تمام الكلام الى تقدير مثلها
معها حتى يكون ما الاولى هي المضاف والثانية هي المبتدا والتقدير من جمع ما الذي قل منه خير مما كثر
لكنه لما كان اظهار ما الثانية يشبه التكرار ويوجب هجنة في الكلام وكانت ما الواحدة تعطي المعنى
المقدر كان حذفها اولى وقيل ان المقدر المحذوف ان على طريقة قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه اي
من جمع ما ان قل خير منه مما كثر وعنى بالتبكير الى الاستكثار من ذلك السبق في اول العمر الى جمع الشبهات
والاراء التي قليلها خير من كثيرها وباطلها اكثر من حقها **ز** كونه اذا ارتوى من ماء آجن واكثر من غير طائل
جلس بين الناس قاضياً ولما كان الاجون صفة الماء والكمالات النفسانية التي هي العلوم كثيراً ما يعبر
عنها بالماء الصافي والزلال وكان الجهل والاراء التي حصل عليها بجمعها مع العلم جامع الاعتقاد فيه العلم
والخلاف تحت جنس الاعتقاد وكان الماء الاجن اشبه ما يستعار لتلك الاراء التي ليست بصحيحة ولا متينة

ومن تشبيه الماء الآجن الذي لا غناء فيه للشارب ورشح تلك الاستعارة بذكر الارتواء وجعل غايته الشأ
الهام من ذلك الاستكثار وجلوسه بين الناس قاضيا ح كونه ضامنا تخليص ما التبس على غيره اى واثقا من نفسه
بفصل ما يعرض بين الناس من القضايا المشكلة وضامنا حال ثان او صفة للاول ط كونه اذا نزلت به احدى
القضايا المبهمة الملتبس وجه فصلها هيأ لها حشوا اضعيفا من رأيه ثم جزم به والحشو الكلام الكثير الذى لا طائل
تحته وليس حلا لتلك المبهمة ى كونه من لبس تلك الشبهات فى مثل نسج العنكوبت مثل للامور الواهية ووجه
هذا التمثيل ان الشبهات التى تقع على ذهن مثل هذا الموصوف اذا قصد حل قضية مبهمة تكثر فيلتبس على
ذهنه وجه الحق منها فلا يهتدى له لضعف ذهنه فتلك الشبهات فى الوها تشبه نسج العنكبوت وذهنه فيها يشبه
الذباب الواقع فيه فكما لا يتمكن الذباب من خلاص نفسه من شباك العنكبوت لضعفه كذلك ذهن هذا
الرجل اذا وقع فى الشبهات لا يخلص وجه الحق منها لقلة عقليته وضعفه عن ادراك وجوه الخلاص يا انه
لا يدرى اصاب فيما حكم به ام اخطأ فان اصاب خاف ان يكون قد اخطأ وان اخطأ رجا ان يكون قد اصاب
وخوف الخطاء ورجاء الاصابة من لوازم الرد اءيب كونه جاهلا خباط جهالات والجهالات جمع جهلة فعلة من الجهل
وقد تقدم بيان ان وزن فعال يبنى للفاعل من الامور المعتادة التى يكثر فعلها وذكر الجهل هاهنا زيادة
فى كثرة الخبط فيه وكنى بذلك عن كثرة الاغلاط التى يقع فيها فى القضايا والاحكام فيمشى فيها على غير طريق
حق من القوانين الشرعية وذلك معنى خبطه يج كونه عاشيا ركاب عشوات العشوة هى الشئ الى ان لا يبلغ
نور الحق فى ظلمات الشبهات الا على ضعف لنقصان ضوء بصيرته فهو يمشى فيها على ما يتخيله دون ما يحققه
وكثيرا ما يكون حاله كذلك ولما كان من شأن العاشى الى الضوء فى الطرق المظلمة تارة يلوح له فيمشى عليه
وتارة يخفى عنه فيضل عن القصد ويمشى على الوهم والخيال كذلك حال السالك فى طرق الدين من غير
ان يستكمل نور بصيرته بقواعد الدين ويعلم كيفية سلوك طرقه فانه تارة يكون نور الحق فى المسئلة ظاهرا
فيدركه وتارة يطب عليه ظلمات الشبهات فيعمى عليه الموارد والمصادر فيبقى فى الظلمة كناية عن عدم اتقانه
للقوانين الشرعية واحاطته بها يقال فلان لم يعض على الامر العلانى بضرس اذا لم يحكمه واصله ان الانسان
يمضغ الشئ ثم لا يجيد مضغه فمثل به من لم يحكم ما يدخل فيه من الامور يه كونه يذر الروايات اذراء الريح
الهشيم ووجه التشبيه ان الريح لما كانت تذرى الهشيم وهو ما تكسر من نبت الارض ويبس فتخرجه عن حد
الانتفاع به كذلك المتصفح للروايات لما لم يهتد الى وجه العمل بها او يقف على الفائدة منها فهو يقف على
رواية بعد اخرى ويمشى عليها من غير فائدة يو انه غير ملى باصدار ما ورد عليه اشارة الى انه ليس له قوة على
الاجوبة عما يرد عليه من المسائل فهو غير ملى بها يز كونه لا يحسب العلم فى شئ مما انكره يقال فلان لا يحسب فلانا
فى شئ اى لا يعده شيئا ويعتبره خاليا من الكمال والفضيلة والمراد انه يكون العلم كسائر ما
انكره فهو لا يعده شيئا ولا يفرده بالحساب والاعتبار وعنى العلم الحقيقى الذى ينبغى ان يطلب ويجتهد

في تحصيله لا ما يعتقده الموصوف علما مما قمشه وجمعه فان كثيرا من الجهال ممن يدعى العلم بفن من الفنون
ويشنع على معلميه ومتعلميه كاكثر الناقلين للاحكام الفقهية والمتصدين للفتوى والقضاء بين
الخلق فى زماننا وما قبله فانهم يبالغون فى انكار العلوم العقلية ويفتون بتحريم الخوض فيها وتكفير
من يتعلمها وهم غافلون عن ان احدهم لا يستحق ان يسمى فقيها الا ان يكون له مادة من العلم العقلى المتكفل
ببيان صدق الرسول عليه السلام اثبات النبوة الذى لا يقوم شئ من الاحكام الفقهية التى يدعون انها كل العلم الا
بعد ثبوتها ودوى بكسر السين من النسيان وهو الظن اى لا يظن العلم ذا فضيلة يجب اعتقادها
واعتبارها فهو مما انكره يح كونه لا يرى ان من وراء ما بلغ منه مذهبا لغيره اى انه اذا غلب على ظنه حكم فى
القضية جزم به وربما كان لغيره فى المسئلة قول اظهر من قوله يعضده دليل فلا يعتبره ويمضى على ما بلغ فهمه
اليه يط كونه ان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه وكثيرا ما يراعى قضاة السوء وعلماؤه اكتتام ما
يشكل عليهم امره من المسائل والتغافل عن سماعها اذا اوردت عليهم لئلا يظهر جهلهم بين اهل الفضل
لفظ المناسب لك كونه تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج منه المواريث نسبة الصراخ الى الدماء والعجيج الى المواريث
اما على سبيل حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اى اهل الدماء واولياء المواريث فيكون حقيقة
او على سبيل استعارة لفظ الصراخ والعج لنطق الدماء والمواريث بلسان حالها المفصح عن مقالها ووجه
الاستعارة ان الصراخ والعجيج لما كانا انما يصدران عن تظلم وشكاية وكانت الدماء المهراقة بغير حق و
المواريث المستباحة بالاحكام الباطلة ناطقة بلسان حالها مفصحة بالشكاية والتظلم لاجرم حسن استعارة
اللفظين هاهنا ثم بعد ان حصل لرجلين المذكورين بما ذكر فيهما من الاوصاف المنفردة على سبيل الجملة نعتهما
بعتهما وصنفهما من الجهال من التشكى او البراءة وذلك قوله الى الله من معشر اى الى الله اشكو كما هو فى بعض
النسخ او الى الله ابرا وذكر اوصافا مبدؤها البقاء على الجهل والعيش فيه وكنى بالعيش عن الحيوة وقابله
بذكر الموت وقوله يموتون ضلالا وصف لازم عن الوصف الاول فان من عاش جاهلا مات ضالا وقوله
ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلى حق تلاوته الى آخره اى اذا قرء الكتاب وحمل على الوجه الذى انزل
اعتقدوه فاسدا واطرحوه بجهلهم عن درجة الاعتبار على ذلك الوجه واذا حرف عن مقاصده ومواضعه
ونزل على حسب اغراضهم ومقاصدهم شروه على ذلك الوجه باغلى ثمن وكان من انفق السلع بينهم واستعار
له لفظ السلعة ووجه المشابهة ظاهر ومنشأ كل ذلك هو الجهل وكذلك ليس عندهم انكر من المعروف
وذلك انه لما خالف اغراضهم ومقاصدهم اطرحوه حتى صار بينهم منكرا يستقبحون فعله ولا اعرف من المنكر
لموافقته لاغراضهم ومحبتهم له لذلك واعلم انه عليه السلام قسم الناس فى موضع آخر الى ثلثة اقسام عالم ومتعلم
وهمج رعاع اتباع كل ناعق والرجلان المشار اليهما بالاوصاف المذكورة هاهنا ليسا من القسم الاول
لكونهما على طرف الجهل المضاد للعلم ولا من القسم الثالث لكونهما متبوعين داعيين الى اتباعهما

التفصيل ... عنهما ...

وكون الخلق تابعين بهما كما صرح به فتعين ان يكونا من القسم الثانى وهو المتعلمون واذا عرفت ذلك فنقول المراد
بالمتعلم هو من ترفع عن درجة الهمج من الناس بطلب العلم واكتسب ذهنه شيئا من الاعتقادات عن مطالعة
من اشتهر بسمة العلم ومطالعة الكتب ونحو ذلك ولم يبلغ الى درجة العلماء الذين يقتدرون على التصرف
والقيام بالحجة فاعتقاده ح اما ان يكون مطابقة كلها او بعضها او غير مطابقة اصلا وعلى التقديرات
فاما ان لا ينصب نفسه لشئ كالفتوى والقضاء ونحوهما او يتصدر لذلك فهذه اقسام ستة احدها من اعتقد
اعتقادا مطابقا ولم يعرض نفسه لشئ من المناصب الدينية الثانى من كان اعتقاده كذلك لكنه نصب نفسه
للافادة الثالث من اعتقد جهلا ولم ينصب نفسه لها الرابع من اعتقد جهلا وعرض نفسه لها والقسم الاول
الخامس من اعتقد جهلا وغير جهل ولم ينصب نفسه للافادة السادس من كان اعتقاده كذلك ونصب نفسه
لها والقسم الاول وحده هو الخارج عن هذين الرجلين باوصافهما والثانى والرابع والسادس منهم
يكون الرجلان المذكوران فالاول منهما فى ترتيبه عليه السلام هو من نصب نفسه لسائر مناصب الافادة
دون منصب القضاء والثانى هو من نصب نفسه له وانما بالغ فى ذمهما ونسبهما الى الجهل والضلال
وان كان بعض اعتقاداتهما حقا لكون القدر الذى حصلا عليه مغمورا فى ظلمة الجهل فضلالهما واضلالهما
اغلب وانتشار الباطل عنهما اكثر واما القسم الثالث والخامس فداخلان فيمن يرسله الله منهم وذمهم
اجرا بالعيش فى الجهل والموت على الضلال وما بعده والله اعلم بالصواب ومن كلام له عليه السلام فى ذم اختلاف
العلماء فى الفتيا ترد على احدهم القضية فى حكم من الاحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على
غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ثم تجتمع القضاة عند الامام الذى استقضاهم فيصوب اراءهم جميعا والههم واحد
وكتابهم واحد ونبيهم واحد افامرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه ام نهاهم عنه فعصوه ام انزل الله دينا
ناقصا فاستعان بهم على اتمامه ام كانوا شركاء له فلهم ان يقولوا وعليه ان يرضى ام انزل الله دينا تاما
فقصر الرسول صلى الله عليه وآله عن تبليغه وادائه والله سبحانه يقول ما فرطنا فى الكتاب من شئ
وفيه تبيان كل شئ وذكر ان الكتاب يصدق بعضه بعضا وانه لا اختلاف فيه فقال سبحانه ولو كان من
عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وان القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضى
غرائبه ولا تكشف الظلمات الا به اقول الاشبه الحسن المحب فى هذا الكلام تصريح بانه عليه السلام كان
يرى ان الحق فى جهة وان ليس كل مجتهد مصيبا وهذه المسئلة مما انتشر الخلاف فيها بين علماء اصول الفقه
فمنهم من يرى ان كل مجتهد مصيب اذا راعى شرائط الاجتهاد وان الحق بالنسبة الى كل واحد من المجتهدين ما
ادى اليه اجتهاده وعلى هذه فلا بد ان يكون فى جهتين او جهات وعليه الامام الغزالى وجماعة من الاصوليين
ومنهم من ينكر ذلك ويرى ان الحق فى جهة والمصيب له واحد وعليه اتفاق الشيعة وجماعة من غيرهم وربما
فصل بعضهم والمسئلة مستقصاة فى اصول الفقه واعلم ان قوله ترد على احدهم القضية الى قوله فيصوب

من المناصب الدينية

الاراء جميعا بيان لصورة حالهم التى ينكرها وقوله والههم واحد وكتابهم واحد ونبيهم واحد شروع فى دليل بطلان
ما يرونه وهذه هى المقدمة الصغرى من قياس الضمير وتقدير كبراه وكل قوم كانوا كذلك فلا يجوز لهم ان
يختلفوا فى حكم شرعى وقوله افامرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه الى آخره حجة فى تقرير المقدمة الكبرى
اذ الصغرى مسلمة وتقريرها ان ذلك الاختلاف اما ان يكون بامر من الله اطاعوه فيه او بنهى منه عصوه فيه
او يكون منه عن الامرين وعلى التقدير الثالث فجواز اختلافهم فى دينه والحاجة الى ذلك اما ان يكون
مع نقصانه او مع تمامه وتقصير الرسول فى ادائه وعلى الوجه الاول فذلك الاختلاف مما يجوز على احد وجهين
احدهما ان يكون اتماما لذلك النقصان او على وجه اتمم من ذلك وهو كونهم شركاءه فى الدين فعليه ان يرضى
بما يقولون ولهم ان يقولوا اذ شأن الشريك ذلك فهذه وجوه خمسة وحصر الاقسام الثلثه الاخيرة ثابت
بحسب استقراء وجوه الحاجة الى الاختلاف والاقسام كلها باطلة واشار الى بطلانها ببقية الكلام
اما بطلان الاول فلان مستند الدين هو كتاب الله تعالى ومعلوم انه يصدق بعضه بعضا وانه لا اختلاف
فيه فلا ينشعب عنه من الاقوال والاحكام الا ما يكون كذلك ولا شئ من اقوالهم المختلفة كذلك فينتج
انه لا شئ مما استند الى كتاب الله تعالى بقول لهم فلا يكون امر لهم من الدين واما بطلان القسم الثانى فلان
عدم جواز المعصية لله بالاختلاف مستلزم لعدم جواز الاختلاف وهو غنى عن الدليل واما بطلان الثالث
وهو نقصان دين الله فلقوله تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ وقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل
شئ واما الرابع والخامس فظاهر البطلان فلا يمكنهم دعواهما فلذلك لم يورد فى بطلانهما حجة ثم
اردف ذلك بتنبيههم على ان الكتاب واف بجميع المطالب اذا تدبروا معناه ولاحظوا اسراره وتطلعوا
على غوامضه فيحرم عليهم ان يسرعوا الى قول ما لم يستند اليه وذلك فى قوله ظاهره انيق حسن معجب بانواع
البيان وباطنه عميق لا يهتدى الى جواهر اسراره الا اولوا الالباب ومن ايده الله بحكمة وفصل
الخطاب ولا تفنى الامور المعجبة منه ولا تنقضى النكت الغريبة فيه على توارد صوارم الاذهان وخواطر
البصائر ولا تنكشف ظلمات الشبه الناشئة من ظلمة الجهل الا بسواطع انواره ولوامع اسراره وقد ادرج
فى هذه القرائن الاربع السجع المتوازى وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام قاله للاشعث بن قيس
وهو على منبر الكوفة يخطب فمضى فى بعض كلامه عليه السلام شئ اعترضه الاشعث فقال يا امير المؤمنين هذه
عليك لا لك فخفض اليه بصره ثم قال وما يدريك ما علىّ مما لى عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين حائك ابن
حائك منافق ابن كافر والله لقد اسرك الكفر مرة والاسلام اخرى فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك وان
امرأ دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف لحرى ان يمقته الاقرب ولا يأمنه الابعد قال السيد اراد بقوله
دل على قومه السيف ما جرى له مع خالد بن الوليد باليمامة فانه غر قومه ومكر بهم حتى اوقع بهم خالد وكان
قومه بعد ذلك يسمونه عرف النار وهو اسم للغادر عندهم اقول الكلام الذى اعترضه الاشعث فيه عليه السلام

ابن نابلته

كان في خطبة يذكر امر الحكمين فقام اليه رجل من اصحابه وقال له نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فما ندري اي
الامرين ارشد فصفق عليه السلام باحدى يديه على الاخرى وقال هذا جزاء من ترك العقدة اي جزائي حيث
وافقتكم على ما الزمتموني به من التحكيم فتركت الحزم فوجد الاشعث بذلك شبهة في تركه عليه السلام وجه
المصلحة واتباع الآراء الباطلة واراد الخاصر فقال هذه عليك لا لك وجهل او تجاهل ان وجه المصلحة
قد يترك محافظة على امر اعظم منه ومصلحة اتم فانه عليه السلام لم يترك العقدة الا خوفا من اصحابه ان يقتلوه
كما ذكره في قصتهم وقيل كان مراده عليه السلام هذا جزاؤكم حيث تركتم الحزم فظن الاشعث انه اراد هذا
جزائي فقال الكلمة والحتف بالتاء الهلاك وروي بالياء وهو الميل والمقت البغض قوله وما يدريك
ما علي مما لي اشارة الى انه جاهل وليس للجاهل ان يعترض على من هو استاد العلماء بعد رسول الله صلى الله
عليه واله واما استحقاقه اللعن فليس لمجرد اعتراضه ولا لكونه ابن كافر بل لكونه مع ذلك من المنافقين
بشهادته عليه السلام والمنافق مستحق اللعن والابعاد عن رحمة الله بشهادة قوله تعالى اولئك جزاؤهم
ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون قوله حائك بن
حائك استعارة اشار بها الى نقصان عقله وقلة استعداده لوضع الاشياء في مواضعها وتاكيد لعدم اهليته
للاعتراض عليه اذ الحياكة مظنة نقصان العقل وذلك لان ذهن الحائك دائما متوجه الى جهة
صنعته مصروف الفكر الى وضع الخيوط المتفرقة وترتيبها ونظامها محتاج الى حركة رجليه ويديه والحاصل
فالمشاهد له يعلم منها انه مشغول الفكر عما وراء ما هو فيه فهو ابله فيما عداه وقيل لان معاملته انما
هي مع اللطيفة لضعفاء العقول من النساء والصبيان ومن كانت معاملته لهؤلاء فلا شك في ضعف رايه
وقلة عقله للامور وروي عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام انه قال عقل اربعين معلما عقل حائك
وعقل حائك عقل امراة والمراة لا عقل لها وعن موسى بن جعفر عليهما السلام انه قال لا تستشيروا المعلمين
ولا الحوكة فان الله تعالى قد سلبهم عقولهم وذلك محمول على المبالغة في نقصان عقولهم وقيل انما عيره
بهذه الصنعة لانها صنعة دنية تستلزم صغر الهمة وخستها وتشتمل على رذائل الاخلاق فانها مظنة الكذب
والخيانة وروي ان رسول الله صلى الله عليه واله دفع الى حائك من بني النجار غزلا لينسج له صوفا فكان يمطله
وياتيه عليه السلام متقاضيا ويقف على بابه فيقول ردوا علينا ثوبنا لنتجمل به في الناس ولم يزل يمطله
حتى توفي صلى الله عليه واله وقد علمت ان الكذب راس النفاق ومن كانت لوازمه هذه الصنعة اخلاقه
فليس له ان يعترض في مثل ذلك المقام وقد اختلف في ان الاشعث هل كان حائكا او ليس فروى قوم انه
كان هو وابوه ينسجان برود اليمن وقال آخرون ان الاشعث لم يكن حائكا فانه كان من ابناء ملوك كندة
واكابرها وانما عيره بذلك لانه كان اذا مشى يحرك منكبيه ويفحج بين رجليه وهذه المشية تعرف بالحياكة
يقال حاك يحيك حيكا وحيكانا وحياكة فهو حائك اذا مشى تلك المشية وامراة حائكة اذا تبخترت في

بما حصل

شيا والاقرب ان ذلك له على سبيل الاستعارة كنى بها عن نقصان عقله كما سبق ولا واما قوله والله لقد
اسرك الكفر مرة والاسلام اخرى فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك فتاكيد لنقصان عقله
واشارة الى انه لو كان له عقل لما حصل في الاسر مرتين ما فداه اي ما نجاه من لو قوع في واحدة منهما
ماله ولا حسبه ولم يرد الفداء بعد الاسر فان الاشعث مدة الجاهلية وذلك ان مرادا لما قتلت اباه
خرج ثايرا طالبا بدمه فاسر ففدى نفسه بثلاثة آلاف بعير ووفد على النبي صلى الله عليه واله في سبعين رجلا
من كندة فاسلم على يده وذلك الاسر هو مراده عليه السلام باسر الكفر له واما اسره في الاسلام فانه لما قبض
رسول الله صلى الله عليه واله ارتد بحضرموت ومنع اهلها تسليم الصدقة وابى ان يبايع لابي بكر فبعث اليه
زياد بن لبيد بعد رجوعه عنهم وقد كان عاملا قبل ذلك على حضرموت ثم ارده فبعكرمة بن ابي جهل في
جمع عظيم من المسلمين فقاتلهم الاشعث بقبائل كندة قتالا شديدا في وقايع كثيرة وكانت الدائرة عليه
فالتجاوا بقومه الى حصنهم فحصرهم زياد حصرا شديدا وبلغ بهم جهد العطش فبعث الاشعث الى زياد يطلب الامان
لاهله ولبعض قومه وكان من غفلته انه لم يطلب لنفسه بالتعيين فلما نزل اسره وبعث به مقيدا الى
ابي بكر بالمدينة فسال ابا بكر ان يستبقيه لحربه ويزوجه اخته ام فروة ففعل ذلك ابو بكر مما يدل على عدم
مراعاته لقواعد الدين انه بعد خروجه من مجلس عقد بام فروة اصلت سيفه في ازقة المدينة وعقر كل
بعير رآه وذبح كل شاة استقبلها للناس والتجا الى دار من دور الانصار فصاح به الناس من كل جانب
وقالوا قد ارتد الاشعث مرة ثانية فاشرف عليهم من السطح وقال يا اهل المدينة اني غريب ببلدكم وقد
اولمت بما عقرت وذبحت فلياكل كل انسان منكم ما وجد وليغد الي من كان له علي حق حتى ارضيه وفعل
ذلك فلم يبق دار من دور المدينة الا وقد فيها بسبب تلك الجهالة فضرب اهل المدينة به المثل وقالوا
اولم من الاشعث وفيه قال الشاعر لقد اولم الكندي يوم ملاكه وليمة حمال لثقل العظايم قوله
وان امرا دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف لحري ان يمقته الاقرب ولا يامنه الابعد اشارة الى غدره
بقومه وذلك انه لما طلب الامان من زياد بن لبيد طلبه لنفر يسير من وجوه قومه فظن الباقون انه
اخذ الامان لجميعهم فسكتوا ونزلوا من الحصن على ذلك الظن فلما خرج الاشعث ومن طلب الامان له
من قومه دخل زياد الى الحصن فقتل المقاتلة صبرا فذكروه الامان فقال لهم ان الاشعث لم يطلب الامان
الا لعشرة من قومه فقتل من قتل منهم ثم وافاه كتاب ابي بكر بالكف عنهم وحملهم اليه فحملهم وذلك معنى قوله
عليه السلام دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف اذ قادهم الى الحرب واسلمهم للقتل ولا شك ان من كان كذلك
فحقيق ان يمقته قومه ولا يامنه غيرهم فاما ما حكاه السيد رحمه الله من ان المراد به حديثا كان للاشعث مع
خالد بن الوليد باليمامة وانه غر قومه ومكر بهم حتى اوقع بهم خالد فلم اقف على شيء من ذلك في وقايع خالد
باليمامة وحسن الظن بالسيد يقتضي تصحيح نقله ولعل ذلك في وقعة لم اقف على اصلها والله اعلم انه عليه السلام

دنه في هذا الفصل بجميع الرذايل النفسانية فنبه على الجهل والغباوة الذي هو طرف التفريط من الحكمة
بالحياكة التي هي مظنة لقلة العقل واشار الى الجور الذي هو طرف الافراط من فضيلة العفة بكونه منافقا
وكونه ابن كافر تاكيد لنسبة النفاق اليه واشار الى الفشل وعدم التثبت التي هي في طرف التفريط والافراط من
فضيلة الشجاعة بكونه قد اسر مرتين وكما ان فيه اشارة الى ذلك ففيه ايضا اشارة الى نقصان عقله كما قلنا
واشار الى الظلم والغدر الذي هو رذيلة مقابلة لفضيلة الوفاء بقوله وان امرا دل على قومه السيف وساق اليهم
الحتف وباستجماعه لهذه الرذايل كان مستحقا للعن واما استعارته له عرف النار فلان العرف عبارة عن كل عال
مرتفع والاعراف في القرآن سور بين الجنة والنار ولما كان من شان كل مرتفع عال ان يستر ما وراءه وكان الغادر
يستر بمكره وحيلته امورا كثيرة وكان هو قد غر قومه بالباطل وغدر بهم صدق عليه بوجه الاستعارة لفظ
عرف النار لستره عنهم ما وراءه من نار الحرب او نار الآخرة اذ حملهم على الباطل والله اعلم ومن خطبة له عليه السلام
فانكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم وسمعتم واطعتم ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا و
قريب ما يطرح الحجاب ولقد بصرتم ان ابصرتم واسمعتم ان سمعتم وهديتم ان اهتديتم بحق اقول لقد جاهرتكم
العبر وزجرتم بما فيه مزدجر وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء الا البشر اقول الوهل بالتحريك الفزع يقال
وهل يوهل وهلا فزع واعلم ان الانسان ما دام ملتحفا بجلباب البدن فانه محجوب بظلمة الهيآت البدنية
والمعارضات الوهمية والخيالية عن مشاهدة انوار عالم الغيب والملكوت وذلك الحجاب امر قابل للزيادة
والنقصان والقوة والضعف والناس فيه على مراتب فاعظمهم حجبا واكثفهم حجابا الكفار كما اشار اليه
القرآن الكريم مثلا في حقهم او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها
فوق بعض لانه مثل الكافر كرجل وقع في بحر لجي صفته كذلك فاشار بالبحر اللجي الى الدنيا بما فيها من الاخطار
المهلكة والموج الاول موج الشهوات الداعية الى الصفات البهيمية وبالحري ان يكون هذا الموج مظلما
اذ حبك الشيء يعمي ويصم والموج الثاني موج الصفات السبعية الباعثة على الغضب والعداوة والحقد
والحسد والمباهاة فبالحري ان يكون مظلما لان الغضب غول العقل وبالحري ان يكون هو الموج الاعلى
لان الغضب في الاكثر مستولي على الشهوات حتى اذا هاج اذهل عنها والسحاب هو الاعتقادات الباطلة
والخيالات الفاسدة التي صارت حجابا للبصيرة الكافر عن ادراك نور الحق اذ خاصية الحجاب ان يحجب نور الشمس
عن الابصار الظاهرة واذا كانت هذه كلها مظلمة فبالحري ان يكون ظلمات بعضها فوق بعض واما اخفهم
حجبا وارقهم حجابا فهم الذين بذلوا جهدهم في لزوم اوامر الله ونواهيه وبالغوا في تصفية بواطنهم وصقال الواح
نفوسهم والقاء حجب الغفلة واستار الهيآت البدنية فاشرقت عليهم شموس المعارف الالهية وسالت الى
اودية قلوبهم مياه الجود الرباني المعطي لكل قابل ما يقبله فهؤلاء وان كانوا قد بلغوا الغاية من الجهد في
رفع الحجب وغسل درن الباطن عن نفوسهم الا انهم ما داموا في هذه الابدان فهم في اغطية من حجابها وحجب

من استارها وان ضعفت تلك الحجب ورقت تلك الاغشية وما بين هاتين المرتبتين درجات من الحجب متفاوتة
ومراتب متصاعدة متنازلة وبحسب تفاوتها يكون تفاوت النفوس في الاستضاءة بانوار العلوم وقبول
الانتقاش بالمعارف الالهية والوقوف على اسرار الدين وبحسب تفاوت هذه الحجب يكون تفاوت ورود
النار كما قال تعالى وان منكم الا واردها ولن يخلص الانسان من شوايب هذه الحجب وظلمتها الا بالخلاص عن هذا
البدن وطرحه وحينئذ تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا
بعيدا فتكون مشاهدة بعين اليقين ما اعد لها من خير وما هيئ لها من شر بحسب استعدادها بما كسبت من قبل
فاما قبل المفارقة فان حجاب البدن مانع لها عن مشاهدة تلك الامور كما هي وان حصلت على اعتقاد جازم
برهاني او نوع من المكاشفة الممكنة كما في حق كثير من اولياء الله الا ان ذلك الوقوف والاطلاع يكون
كالمشاهدة لا انها مشاهدة حقيقية خالصة لا تنفك عن شائبة الوهم والخيال ولذلك قال صلى الله
عليه واله حاكيا عن ربه اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
بله ما اطلعتم عليه اي وراء ما اطلعتهم عليه وهو اشارة الى طور المشاهدة الخالصة عن الشوايب التي هي
عين اليقين بعد الموت وقد يسمى ما ادركه اهل المكاشفات بمكاشفاتهم في حيوتهم الدنيا عين اليقين
فاما ادراك من دون هؤلاء لتلك الامور فما كان منها موكدا بالشعور بعدم امكان النقيض فهو علم اليقين
وقد يخص علم اليقين في عرف الصوفية بما تميل النفس الى التصديق به ويغلب عليها ويستولي حتى يصير
هو المتحكم المتصرف فيها بالتحريض والمنع فيقال فلان ضعيف اليقين بالموت اذا لم يهتم بالاستعداد له
فكانه غير موقن به مع انه لا يتطرق اليه فيه شك وقوي اليقين به اذا غلب ذلك على قلبه حتى استغرق همه
بالتهيؤ له اذا عرفت ذلك فاعلم ان قوله عليه السلام فانكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم
شرطية متصلة نبه فيها على ان وراءهم من احوال الآخرة وعذابها مما شاهده من سبق منهم الى الآخرة ما لا
يشاهدونه الآن بعين وان علموه يقينا ويبين فيها لزوم جزعهم وفزعهم وسمعهم وطاعتهم لداعي الله على
تقدير مشاهدتهم بعين اليقين لتلك الامور وهذه الملازمة مما يشهد البرهان بصحتها واشار التنزيل
الالهي الى حقيقتها وذلك قوله تعالى ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل وذلك مقتضى
شهادتهم لاهوال الآخرة وفزعهم وجزعهم من تلك المشاهدة فيجيبهم لسان العزة اولم نعمركم ما يتذكر فيه
من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير قوله لكن محجوب عنكم ما قد عاينوا استثناء
للملزوم نقيض تالي هذه المتصلة اذ حجب تلك الاهوال عن ابصارهم مستلزم لعدم فزعهم وجزعهم وهو في
صورة اعتذار منهم نطق بلسان حالهم قوله وقريب ما يطرح الحجاب ما مصدرية في موضع رفع بالابتداء
وقريب خبره وهو اشارة الى تخويف لذلك العذر في صورة التهديد لهم ان جعلوا ذلك الحال عمدة في
التقصير عن العمل فانه عما قليل يرفع حجب الابدان عن احوال القيمة واهوال يوم الطامة وتكشط سماء

اغطيتها عن بصائر النفوس فتشاهدوا الجحيم قد سعرت والجنة قد ازلفت واذا السماء كشطت واذا الجحيم سعرت
واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت وكما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد **قوله** ولقد
بصرتم ان ابصرتم واسمعتم ان سمعتم وهديتم ان اهتديتم اشارة الى ما يشبه جوابا ثانيا عن صورة العذر الذي
لحالهم وهو وجود الحجاب المانع عن مشاهدة ما يوجب الجزع والفزع وذلك انا لحجب وان كان فانما الآن و
ساتر لتلك الامور عنكم فقد بصرتم بها واوضحت لكم بالعبر والامثال على السنة الرسل عليهم السلام واسمعتم
اياها في الكتب الالهية والسنن النبوية وهديتم عليها بالدلائل الواضحة والحجج القاطعة بحيث صارت
كالمشاهدة لكم والمعلومة عيانا لا شك فيها فلا عذر لكم بالحجاب وتخصيص السمع والبصر بالذكر لانهما
الآلتان اللتان عليهما مدار الاعتبار بامور الآخرة واشار بالهداية الى هداية العقل من غير نظر الى التردد
بايرادات الشرطية في المواضع الثلثة على انه يجد الشك في ابصارهم لما بصروا به وسماعهم لما اسمعوا و
اهتدائهم بما هدوا به وكل ذلك تنفير لهم عن الغرار على الغفلة وتنبيه على الفرار الى الله في طرق الاعتبار
قوله بحق اقول لقد جاهرتكم العبر وزجرتم بما فيه مزدجر لما قدم انهم بصروا واسمعوا اردف ذلك ببيان ما
بصروا به واسمعوا الى ما بصروا به مجاهرة العبر المصائب الواقعة بهم وبمن خلا قبلهم من القرون والى ما اسمعوا
به بالزجر بما فيه مزدجر وهو النواهي المؤكدة المردفة بالوعيدات الهائلة والعقوبات الحاضرة التي اقلها
ازدجار لذوي الالباب كما قال تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر **قوله** وما
يبلغ عن الله بعد رسل السماء الا البشر اشارة الى انه ليس في الامكان وراء ما جاءكم به الى الله تعالى على السنة
رسله طريق اخرى تدعون بها اذ ما يمكن دعوتكم به من الوعد والوعيد والامثال والتذكير بالعبر اللاحقة
لقوم حقت عليهم كلمة العذاب ونحو ذلك لا يمكن ايضاحه لكم ومشافهة الا على السنة الرسل البشرية عليهم
السلام فلا يمكن ان يبلغ اليكم رسالات ربكم بعد رسل السماء التي هي الملائكة الا هم فينبغي ان يكون ذلك
امرا كافيا لكم في الالتفات الى الله تعالى **ومن خطبة له** فان الغاية امامكم وان وراءكم الساعة تحدوكم
تخففوا تلحقوا فانما ينتظر باولكم آخركم قال السيد رحمه الله واقول ان هذا الكلام لو وزن بعد كلام
الله سبحانه وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله بكل كلام لمال به راجحا وبرز عليه سابقا فاما قوله عليه السلام
تخففوا تلحقوا فما سمع كلام اقل منه مسموعا ولا اكثر محصولا وما ابعد غورها من كلمة وانقع نطفتها من حكمة
وقد نبهنا في كتاب الخصايص على عظم قدرها وشرف جوهرها **اقول** لا شك ان هذه الكلمات اليسيرة قد جمعت
وجازة الالفاظ وجزالة المعنى المشتمل على الموعظة الحسنة والحكمة البالغة وهي اربع كلمات الاولى ان الغاية
امامكم واعلم ان الملكات الغاية من وجود الخلق ان يكونوا عبادا لله كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون وكان المقصود من العبادة انما هو الوصول الى جناب عزته والطيران في حظاير القدس باجنحة
الكمال مع الملائكة المقربين كان ذلك هو غاية الانسان المطلوبة منه والمقصودة له والمامور بالتوجه

اليها بوجهه الحقيقي فان سعى لها سعيها ادركها وفاز بحلول جنات النعيم وان قصر في طلبها واعرض عن سلوك الصراط
الموصل اليها وقد علمت ان لابواب جهنم من جنبتي الصراط مفتحة كان فيها من الهاوين وكانت غايته فدخلها
مع الداخلين فاذن ظهر ان غاية كل انسان امامه اليها يسير وبها يصير الثانية قوله وان وراءكم الساعة تحدوكم
والمراد بالساعة القيمة الصغرى وهي ضرورة الموت فاما كونها وراءهم فلان الانسان لما كان بطبيعته ينفر
من الموت متاخرا عن وجود الانسان ولاحقا متاخرا ومخوفا عقليا اشبه المهروب منه المتاخر اللاحق هربا
وتاخرا وخوفا حسيا فلا جرم استعير له لفظ الجهة المحسوسة وهي الوراء واما كونها تحدوهم فلان الحادي
لما كان من شانه سوق الابل بالحداء وكان تذكر الموت وسماع نواديه متقلقا مزعجا للنفوس الى الاستعداد
للامور الآخرة والاهبة للقاء الله سبحانه وهو حاملها على قطع عقبات طريق الآخرة كما يحمل الحادي الابل على
قطع الطريق البعيدة الوعرة لا جرم اشبه الحادي فاسند الحداء اليها الثالثة قوله تخففوا تلحقوا ولما
نبههم بكون الغاية امامهم وان الساعة تحدوهم في سفر وليجب كان السابق الى الغاية من ذلك السفر هو
الفائز برضوان الله وقد علمت ان التخفيف وقطع العلائق في الاسفار سبب للسبق والفوز باللحوق لا جرم
امرهم بالتخفيف لغاية اللحوق في كلمتين فالاولى منهما قوله تخففوا وكنى بهذا الامر عن الزهد الحقيقي
الذي هو اقوى اسباب السلوك الى الله سبحانه وهو عبارة عن حذف كل شاغل عن التوجه الى القبلة الحقيقية
والاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها وتنحية كل ما سوى الحق الاول عن سمت الايثار فان ذلك تخفيف
لاثقال الاوزار المانعة عن الصعود في درجات الابرار والموجبة لحلول دار البوار وهي كناية باللفظ
المستعار وهذا الامر في معنى الشرط والثانية قوله تلحقوا وهو جزاء الشرط اي ان تخففوا تلحقوا والمراد
تلحقوا بدرجات السابقين الذين هم اولياء الله والواصلون الى ساحل عزته وملازمة هذه الشرطية قد
علمت بيانها فان الجود الالهي لا بخل فيه ولا قصور من جهته والزهد الحقيقي اقوى اسباب السلوك الى الله
كما سبق فاذا استعدت النفس بالاعراض عما سوى الحق سبحانه وتوجهت الى استشراق انوار كبريائه فلا بد
ان يفاض عليها ما يقبله من الصورة التامة فيلحق بدرجة السابقين ويتصل بساحل العزة في مقام امين
الرابعة قوله فانما ينتظر باولكم آخركم اي انما ينتظر بالبعث الاكبر والقيمة الكبرى للذين ماتوا اولا
وصول الباقين وموتهم وتحقيق ذلك الانتظار انه لما كان نظر العناية الالهية الى الخلق نظرا واحدا
والمطلوب منهم واحد وهو الوصول الى جناب عزة الله الذي هو غايتهم اشبه طلب العناية الالهية وصول
الخلق الى غايتهم انتظار الانسان لقوم يريد حضور جميعهم وترقبا اوايلهم وصول اواخرهم فاطلق عليه
لفظ الانتظار على سبيل الاستعارة ولما صورها هنا صورة انتظارهم لوصولهم جعل ذلك علة لحثهم على
التخفيف وقطع العلائق ولا شك ان المعقول لاولي الالباب من ذلك الانتظار حثهم ايضا على التوجه
بوجوه انفسهم الى الله والاعراض عما سواه فهذا ما حضرني من اسرار هذه الكلمات وكفى بكلام السيد رحمه

مدحا لها وتنبيها على عظم قدرها وقد استعار لفظ النطفة وهي الماء الصافي للحكمة وبالله التوفيق والعصمة
ومن خطبة له عليه السلام الا وان الشيطان قد ذمر حزبه واستجلب جلبه ليعود الجور الى اوطانه ويرجع الباطل
الى نصابه والله ما انكروا على منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وانهم ليطلبون حقا تركوه ودما هم سفكوه
فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه وان كانوا ولوه دوني فما التبعة الا قبلهم وان اعظم حجتهم
لعلى انفسهم يرتضعون اما قد فطمت ويحيون بدعة قد اميتت يا خيبة الداعي من دعا والى ما اجيب واني
لراض بحجة الله عليهم وعلمه فيه فان ابوا اعطيتهم حد السيف وكفى به شافيا من الباطل وناصرا للحق
ومن العجب بعثهم الي ان ابرز للطعان وان اصبر للجلاد هبلتهم الهبول لقد كنت وما اهدد بالحرب ولا
ارهب بالضرب واني لعلى يقين من ربي وغير شبهة من ديني **اقول** اكثر هذا الفصل من الخطبة التي ذكرنا
انه عليه السلام خطبها من حين بلغه ان طلحة والزبير خلعا بيعته وفيه زيادة ونقصان وقد اورد السيد
بعضه فيما قبل وان كان قد ذكرته في خطبة على سبيل التكرار والاختلاف بالزيادة والنقصان ونحن
نورد الخطبة بتمامها ليتضح المقصود وهي بعد حمد الله والثناء عليه والصلوة على رسوله صلى الله عليه وآله
ايها الناس فرض الجهاد فعظمه وجعله نصرته وناصره والله ما صلحت دنيا ولا دين الا به وقد جمع الشيطان
حزبه واستجلب خيله ومن اطاعه ليعود له دينه وسنته وخدعه وقد رايت امورا قد تمخضت والله ما
انكروا على منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وانهم ليطلبون حقا تركوه ودما سفكوه فان كنت شريكهم
فيه فان لهم لنصيبهم منه وان كانوا ولوه دوني فما الطلبة الا قبلهم وان اول عدلهم لعلى انفسهم ولا
اعتذر مما فعلت ولا اتبرأ مما صنعت وان معي لبصيرتي ما لبست وما لبس علي وانها للفئة الباغية فيها
اللحم والحمة طالت جلبتها وانكفت جونتها ليعودن الباطل في نصابه يا خيبة الداعي من دعا لو قيل ما
انكر من ذلك وما امامه وفيمن سنته والله اذن لزاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه وما اظن الطريق
له فيه واضح حيث نهج والله ما تاب من قتلوه قبل موته ولا تنصل من خطيئته وما اعتذر اليهم فعذروه
ولا دعا فنصروا وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه بري ولا يعبون حسوة ابدا
وانها لطيبة نفسي بحجة الله عليهم وعلمه فيهم واني داعيهم فمعذر اليهم فان تابوا وقبلوا واجابوا وانابوا
فالتوبة مبذولة والحق مقبول وليس على كفيل وان ابوا اعطيتهم حد السيف وكفى به شافيا من الباطل
وناصرا للمؤمن ومع كل صحيفة شاهدها وكاتبها والله ان الزبير وطلحة وعائشة ليعلمون اني على الحق وهم
مبطلون ذمر بالتخفيف والتشديد اي حث والجلب الجماعة من الناس وغيرهم يجمع ويؤلف وتمخضت تحركت
والنصف بكسر النون وسكون الصاد النصفة وهي الاسم من الانصاف والتبعة ما يلحق الانسان من
درك والحمة بفتح الحاء وتشديد الميم بقية الالية التي اذيبت واخذ دهنها والحمة السواد وهنا استعار
لارذال الناس وعوامهم والجلبة الاصوات وجونتها بالفتح سوادها وانكفت واستكفت اي استدارت

وزاح والنواح تحمى والنصاب الاصل وتنصل من الذنب تبرأ منه والعب الشرب من غير مص والحسوة بضم الحاء
قدر ما يحسى مرة والجلاد المضاربة بالسيف والهبول الثكلى والهبل الثكل واعلم انه عليه السلام بدأ ولا
على فضل الجهاد لان غرضه استنفارهم لقتال اهل البصرة فاشار اولا الى وجوبه من الله تعالى والكتاب العزيز
مشحون بذلك كقوله تعالى جاهدوا في سبيل الله باموالكم وانفسكم ونحوه ثم اردفه بذكر تفضيل الله تعالى له
وذلك كقوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم
وانفسهم فضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما
ثم بذكر ان الله جعله نصرته وناصره وذلك قوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم والمراد نصرة دين الله وعباده
اذ هو الغني المطلق الذي لا حاجة به الى معين وظهيره ثم بالقسم الصادق انه ما صلحت دنيا ولا دين الا به
اما صلاح الدنيا به فلانه لولا الجهاد في سبيل الله ومقاومة اهل الغلبة لخربت الارض والبلاد كما قال
تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين واما صلاح الدين
فظاهر انه انما يكون بمجاهدة اعداء دين الله الساعين في هدم قواعده فاما قوله وقد ذمر الشيطان حزبه
واستجلب جلبه ومن اطاعه فقد سبق بيانه **قوله** ليعود له دينه وسنته وخدعه فظاهر ان غاية سعي الشيطان
من وسوسته تمكنه من الخداع وعود المذاهب الباطلة كما كانت قبل الرسول صلى الله عليه وآله ودينه
وطريقته وكل ذلك تنفير للسامعين عما عليه من خالفه وجذب لهم الى الحرب **قوله** وقد رايت امورا
قد تمخضت اشارة الى تعيين ما يستنفرهم اليه وتلك الامور هي ما يحس به من مخالفة القوم واهبتهم للقتال
قوله والله ما انكروا منكرا ولا جعلوا بيني وبينكم نصفا وانهم الى قوله سفكوه اشارة الى انكارهم ما ادعوه
منكرا ونسبوه اليه من قتل عثمن والسكوت عن النكير على قاتليه فانكروا ولا انكارهم عليه تخلفه
عن عثمان الذي زعموا انه منكر ولما لم يكن منكرا كما ستعلم ذلك كان الانكار عليه هو المنكر واشار بقوله
ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا الى انهم لم يضعوا العدل بينهم وبينه لظهرت دعواهم باطلة وقوله وانهم
ليطلبون حقا هم تركوه ودما هم سفكوه اشارة الى طلبهم لدم عثمن مع كونهم شركاء فيه روى ابو جعفر الطبري
في تاريخه ان عليا عليه السلام كان في ماله بخيبر لما اراد الناس حصر عثمن فقدم المدينة والناس مجتمعون
على طلحة في داره فبعث عثمن اليه يشكو امر طلحة فقال عليه السلام انا اكفيكم فانطلق الى دار طلحة وهي
مملوة بالناس فقال له يا طلحة ما هذا الامر الذي صنعت بعثمن فقال طلحة يا ابا الحسن ابعد ان مس
الحزام الطبيين فانصرف علي الى بيت المال فامر بفتحه فلم يجدوا المفتاح فكسر الباب وفرق ما فيه على
الناس فانصرفوا من عند طلحة حتى بقي وحده فسر عثمان بذلك فجاء طلحة الى عثمن فقال له يا امير المؤمنين
اني اردت امرا فحال الله بيني وبينه وقد جئتك تائبا ولكن جئت مغلوبا الله حسيبك يا طلحة وروى
ابو جعفر ايضا انه كان لعثمن على طلحة بن عبيد الله خمسون الفا فقال له طلحة يوما قد تهيا مالك فاقبضه

فقال هولك معونة على مرونتك فلما حصر عثمن قال على عليه السلام لطلحة انشدك الله الا كففت عن عثمن
فقال لا والله حتى تعطى بنو امية الحق من انفسها فكان على يقول بعد ذلك لحا الله ابن الصعبة اعطاه عثمان
ما اعطى وفعل به ما فعل وروى ان الزبير لما برز لعلى يوم الجمل قال له ما حملك يا با عبد الله على ما صنعت
قال الطلب بدم عثمان فقال له انت وطلحة وليتماه وانما توبتك من ذلك ان تقدم نفسك وتسلمها الى ورثته
وبالجملة فدخولهم فى قتل عثمن ظاهر وهذه مقدمة من الحجة عليهم وقوله فان كنت شريكهم فيه فان
لهم لنصيبهم منه وان كانوا ولوه دونى فما الطلبة الا قبلهم تمام الحجة وتقريرها انهم دخلوا فى دم عثمن
وكل من دخل فيه فاما بالشركة او بالاستقلال وعلى التقديرين فليس لهم ان يطلبوا بدمه واشار الى القسم
الاول بقوله فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه اى على تقدير كونهم شركاء فى ذلك فعليهم ان
يبدؤا بتسليم انفسهم الى اوليائه واشار الى الثانى بقوله وان كانوا ولوه دونى فما الطلبة الا قبلهم وقوله
وان اول عدلهم لعلى انفسهم زيادة تقرير للحجة اى ان العدل الذى يزعمون انهم يقيمونه فى الدم المطلوب
ينبغى ان يضعوه اولا على انفسهم وقوله ولا اعتذر مما فعلت ولا ابرا مما صنعت اى ان الاعتزال الذى
فعلته فى وقت قتل عثمن لم يكن على وجه تقصير فى الدين يوجب الاعتذار والتبرى منه فاعتذر وابرا
كاستبين وجه ذلك ان شاء الله ثم وقوله وان معى لبصيرتى ما لبست ولا لبس على تقدم بيانه وقوله وانها
للفئة الباغية فيها الحم والحمة استعارهما تين اللفظتين لاسقاط الناس واراذلهم الذين جمعوا القتال
ووجه الاستعارة مشابهتهم حم الالية وما اسود منها فى قلة المنفعة والخبث وقوله طالت جلبتها اى ارتفعت
اصواتها وهى كناية عما طرق القوم من تهددهم وتوعدهم بالقتال وقوله والكفت جونتها اى استدار
سوادها واجتمع وهو كناية عن تجمع جماعتهم لما يقصدون وقوله يرتضعون اما قد فطمت استعار
لفظ الام لنفسه عليه السلام او للخلافة او بيت المال لبنها ما سلفوا ولادها الى ترضعون وكنى بارتضاعهم
لها وقد فطمت عن التماسهم منه من الصلات والتفضيلات مثل ما كان عثمن يصلهم به ويفضل بعضهم على
بعض بما منعه لهم من ذلك وقوله ويحيون بدعة قد اميتت اشارة الى ذلك التفضيل فانه كان بخلاف سنة
رسول الله صلى الله عليه وآله وسنة الشيخين والبدعة مقابلة للسنة واماتتها تركه عليه السلام لذلك التفضيل
وقوله ليعودن الباطل الى نصابه توعد لهم بعود ما كانوا عليه من الباطل فى الجاهلية واستنفار الناس
الى القتال وقوله يا خيبة الداعى من دعا خرج مخرج التعجب من عظم خيبة الدعاة الى قتاله ومن دعا والى ما
اجيب استفهام على سبيل الاستحقار للمدعوين لقتاله والناصرين اذ كانوا من عوام الناس ورعاعهم والمدعو
اليه وهو الباطل الذى دعوا الى نصرته وقوله لو قيل ما انكر من ذلك وما امامه وفيمن سنته اذا لزاح الباطل
عن نصابه وانقطع لسانه متصلة معناها لو سال سائل هؤلاء الدعاة الى الباطل عما انكروه من
امرى وعن امامهم الذى به يقتدون وفيمن سنتهم التى اليها يرجعون لشهد لسان حالهم بانى انا امامهم

وفى سنتهم فانزاح باطلهم الذى اثوا به وانقطع لسانه واستعمال لفظ اللسان هاهنا حقيقة على تقدير حذف
المضاف اى انقطع لسان صاحبه عن الجواب به وتكون الاستعارة فى لفظ الانقطاع للسكوت ومجازا فى
العبارة عن الباطل والتكلم به اى انقطع الجواب بالباطل وقوله وما اظن الطريق له فيه واضح حيث نهج الجملة
عطف على قوله وانقطع لسانه وواضح مبتدا وفيه خبره والجملة فى موضع النصب مفعول ثان لاظن اى لا
اظن لو سال السائل عن ذلك ان الطريق الذى يرتكبه المجيب له فيه مجال بين ومسلك واضح حيث سلك
بل كيف توجه فى الجواب انقطع وقوله وانتما تائب من قتلوه الى قوله فنصروه اشارة الى عثمن وذم لهم
من جهة طلبهم بدمه مع اعتذاره اليهم قبل موته فلم يعذروه ودعاهم الى نصرته فى حصاره فلم ينصروه مع تمكنهم
من ذلك وقوله وايم الله لا فرطن لهم حوضا انا ماتحه ثم لا يصدرون عنه بري قد تقدم تفسيره وقوله
ولا يعبون حسوة ابدا كناية عن عدم تمكينه لهم من هذا الامر وشيء منه كما تقول لخصمك والله ما تذوق
منه ولا تشرب منه جرعة وقوله وانها الطيبة نفسى بحجة الله عليهم وعلمه فيهم نفسى منصوب بدلا من الضمير
المتصل بان او باضمار فعل تفسيرا له وحجة الله اشارة الى اوامره الصادرة بقتال الفئة الباغية كقوله
فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله وكذلك كل امر لله او نهى عصى فيه
فهو حجة له وكل حجة للحق فهى حجة لله اى فى راض بقيام حجة الله عليهم وعلمه بما يصنعون واى رضى النفس
اتم وطيبه نفس اعظم من كونه لازما للحق وكون خصمه على الباطل خارجا عن طاعة الله وهو القايم على كل
نفس بما كسبت وقوله وانى داعيهم فمعذر الى قوله وناصر المؤمن واضح بين وقوله وليس على كهيل اى
لا احتاج فيما ابذله لهم من النصح والامان على تقدير انابتهم الى ضامن وشافيا وناصرا منصوبان على التمييز
قوله ومع كل صحيفة شاهدها وكاتبها الواو للحال اى انهم ان لم يرجعوا اعطيتهم حد السيف والملئكة
الكرام الكاتبين الذين يعلمون ما تفعلون يكتب كل منهم اعمال من وكل به فى صحيفته ويشهد بها فى محفل
القيمة قوله ومن العجب بعثتهم الى ان ابرز للطعان وان اصبر للجلاد تعجب من تهددهم له بذلك مع علمهم
بحاله فى الشجاعة والحرب والصبر على المكاره وهو محل الاستهزاء والتعجب منهم قوله هبلتهم الهبول اى
ثكلتهم الثواكل وهى من الكلمات التى تدعو بها العرب وقوله لقد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب
اى من حيث كنت انا كذلك وقوله وانى لعلى يقين من ربى وفى غير شبهة من امرى تاكيد لقوته على الحرب
واقدامه على الجلاد وجذب لقلوب السامعين الى الثقة بانهم على بينة من الله وبصيرة فى متابعته على القتال
والحرب فان الموقن بانه على الحق ناصر لله ذاب عن دينه غار عن عباد الله الباطل فى وجه يقينه اكثر
استبصارا واقوى جلدا واثبت فى المكاره ومن لا يكون كذلك فيقدم على القتال لشبهة عرضت على عين
بصيرته او هوى لزخرف الدنيا وباطلها قاده الى ذلك وبالله التوفيق والعصمة وبه الحول والقوة
هذا اخر الجلد الاول واول الجلد الثانى من هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم ومن خطبة له عليه السلام اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى الارض
كقطر المطر الى كل نفس بما قسم لها من زيادة او نقصان فاذا راى احدكم لاخيه غفيرة فى اهل او مال او
نفس فلا تكونن له فتنة فان المرء المسلم ما لم يغش دناءة تظهر فيخشع لها اذا ذكرت ويغرى بها لئام الناس كان كالفالج
الياسر الذى ينتظر اول فوزة من قداحه توجب له المغنم ويرفع عنه بها المغرم وكذلك المرء المسلم البرئ من الخيانة
ينتظر احدى الحسنيين اما داعى الله فما عند الله خير له واما رزق الله فاذا هو ذو اهل ومال ومعه دينه وحسبه
ان المال والبنين حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الاخرة وقد يجمعهما الله لاقوام فاحذروا من الله
ما حذركم من نفسه واخشوه خشية ليست بتعذير واعملوا فى غير رياء ولا سمعة فان من يعمل لغير الله يكله
الله الى من عمل له نسال الله منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة الانبياء ايها الناس انه لا يستغنى
الرجل وان كان ذا مال عن عشيرته ودفاعهم عنه بايديهم والسنتهم وهم اعظم الناس حيطة من ورائه والمهم
لشعثه واعطفهم عليه عند نازلة ان نزلت به ولسان الصدق يجعله الله للمرء فى الناس خير له من المال يورثه
غيره اقول الغفيرة الكثرة والزيادة وروى عفوة بكسر العين عفوة كل شىء صفوته وغرى يغرى بالامر
اذا ولع به واغريته به اذا حسنت له الدخول فيه والفالج الفايز والياسر اللاعب بالميسر وسنذكر كيفيته
والقداح سهام الميسر التى يلعب بها والتعذير اظهار العذر ممن لا عذر له فى الحقيقة وعشيرة الرجل قبيلته
والمعاشرون له والحيطة بالكسر الحفظ والرعاية واللم الجمع والشعث تفرق الامر وانتشاره واعلم ان
مدار هذا الفصل على تاديب الفقراء بترك الحسد ونحوه اولا وعلى تاديب الاغنياء بالشفقة على الفقراء
ومواساتهم بالفضل من المال وتوحيد جمعه ثانيا فقوله اما بعد فان الامر ينزل الى قوله او نقصان
الخطبة اورده ليبنى عليه غرضه وحاصله الاشارة الى ان كل ما يحدث من زيادة او نقصان ويتجدد فيما
يكون صلاح حال الخلق فى معاشهم ومعادهم من صحة او مال او علم او جاه او اهل فانه صادر عن القسمة
الربانية المكتوبة بقلم القضاء الالهى فى اللوح المحفوظ الذى هو خزانة كل شىء والمراد بالامر حكم القدرة
الالهية على الممكنات بالوجود وهو المعبر عنه بقوله تعالى كن فى قوله انما امرنا لشىء اذا اردناه الاية وبتنزله
نسبة حصوله الى كل نفس بما قسم لها وهى النسبة المسماة بالقدر فى قوله تعالى وان من شىء الا عندنا خزائنه
وما ننزله الا بقدر معلوم والمراد بالسماء سماء الجود الالهى وبالارض عالم الكون والفساد على سبيل
استعارة هذين اللفظين للمعنيين المعقولين من المحسوسين ووجه الاستعارة فى الوصفين مشاركة
المعنيين المذكورين للسماء والارض فى معنى العلو والاستقال كل بالنسبة الى الاخر وانما لم تكن الحقيقة
مرادة لان الامر النازل ليس له جهة هى مبدا نزوله والا لكان الامر فى جهة تعالى الله عن ذلك ويحتمل ان
يراد حقيقة السماء والارض على معنى ان الحركات الفلكية لما كانت شرائط معدة يصدر بواسطتها ما يحدث
فى الارض كانت السماء مبادى على بعض الوجوه لنزول الامر فاما تشبيهه بقطر المطر فوجه التشبيه ان حصول

الرزق والاهل ونحوهما لكل نفس وقسمها منها مختلف بالزيادة والنقصان كما ان قطر المطر بالقياس الى كل واحد
من البقاع كذلك وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس وقوله فاذا راى احدكم لاخيه المسلم غفيرة فى اهل او مال
او نفس فلا تكونن له فتنة شروع فى تاديب من حصل بحصة النقصان فى احدى الامور المذكورة بالنهى لهم
عن الافتتان بحال من حصلت له الزيادة او النفاسة فى احدهما فى المال او الاهل او النفس فى البعض الاخر
اشار بالنهى عن الفتنة هاهنا عن الحسد والتحقيق ان يقال ان الفتنة هى الضلال عن الحق بمحبة امر ما
من الامور الباطلة والاشتغال به عما هو الواجب من سلوك سبيل الله ولما كان حال الفقراء من احد الامور
المذكورة بالنسبة الى من عرضت له الزيادة فى احدها منهم من يوهل نفسه لتلك الزيادة فيرى انه احق بها
ممن عرضت له فيعرض له ان يحسده او يرى انه يستحق مثلها فيعرض له ان يغبطه ومنهم من يقصر نفسه عن ذلك
لكن يميل بطبعه الى خدمة من له تلك الزيادة وينجذب بكليته الى موالاته ككثير من الفقراء الذين يميلون
بطباعهم الى خدمة الاغنياء ويخلصون السعى لهم ليس لامر سوى ما حصلوا عليه من مال او جاه او نحو ذلك
ولعل تلك الغاية يشوبها توهم الانتفاع بهم مما حصلوا عليه فكانت هذه الامور ونحوها اعنى الحسد والغبطة
والميل اليهم لاجل ما حصلوا عليه من الزيادة فى احد الامور المذكورة رذائل اخلاق مشغلة عن التوجه الى
الله تعالى ومضلة عن سواء السبيل كان المنهى عنه فى الحقيقة هو الضلال باحد الرذائل المذكورة وهو المراد بلفظ
الفتنة هاهنا وقوله فان المرء المسلم الى قوله ومعه دينه وحسبه اقول اعراب هذا الفصل ان ما هاهنا بمعنى
المدة وكالفالج خبران وتظهر صفة لدناءة وقوله فيخشع ان حملنا الخشوع على المعنى اللغوى وهو غض الطرف
مثلا والتطامن كان عطفا على تظهر وان حملنا على المعنى العرفى وهو الخضوع لله والخشية منه فالفاء للابتداء
والياسر صفة للفالج واذا للمفاجاة اذا عرفت ذلك فاعلم انه عليه السلام لما نهى عن الفتنة باحد الامور المذكورة
والشغل بها اراد ان ينبه على فضيلة الانتهاء عنها وتنبيه على كونها دناءة بقوله ما لم يغش دناءة ثم عقب بالتنفير
عن الدناءة والترغيب فى التنزه عنها بما ذكره ومعناه ان المسلم مهما لم يرتكب امرا خسيسا يظهر عنه فيكسب
نفسه خلقا رديئا ويلزمه بارتكابه الخجل من ذكره بين الخلق اذا ذكر والحياء من التعيير به ويغرى به لئام الناس
وعوامهم فى فعل مثله وقيل فى هتك ستره به فانه يشبه الفالج الياسر هذا ان حملنا الخشوع على معناه اللغوى
وان حملناه على المعنى العرفى الشرعى كان المراد انه لم يغش دناءة فيخشع لها اى بل يخشع لله ويخضع له عند ذكرها
ويتضرع اليه هربا من الوقوع فى مثلها وخوفا من وعيده على المعاصى يكون كالياسر الفالج ويكون قوله
ويغرى به لئام الناس عطفا على تظهر مؤخرا فاما تشبيه من هذه صفته بالياسر الفالج فلنشر اولا الى كيفية
اللعب بالميسر ليتضح به وجه التشبيه فنقول المنقول ان الخشبات المسماة قداحا وهى التى كانت لا
يسار الجزور سبعة اولها الفذ بالذال المعجمة وفيه فرض واحد وثانيها التوام وفيه فرضان وثالثها الضريب
بالضاد المعجمة وفيه ثلثة فروض ورابعها الحلس بكسر الحاء ونقل احمد بن فارس فى المجمل الحلس بفتح الحاء وكسر

اللازم وفيها اربعة فروض وخامسها النافس وفيه خمسة فروض وسادسها المسبل وفيه ستة فروض وسابعها
المعلى وله سبعة فروض وليس بعدها قدح فيه شئ من الفروض الا انهم يدخلون مع هذه السبعة اربعة اخرى تسمى
اوغادا لا فروض فيها وانما تشتمل بها القداح واسماوها المصدر ثم المضعف ثم المنيح ثم السفيح فاذا اجتمع ايسار
الحى اخذ كل منهم قدحا وكتب عليه اسمه او علمه بعلامة ثم ابتاعوا جزورا فيحرها صاحبها ويقسمها عشرة اجزاء على الوركين
والفخذين والعجز والكاهل والزور والملحاة والكتفين ثم يعمد الى الطفاطف وخرزة الرقبة فيقسمها على تلك
الاجزاء بالسوية فاذا استوت وبقى منها عظم او بضعة لحم انتظر الجازر من اراد ممن يفوز قدحه فان اخذ غير
والا فهو للجازر ثم يؤتى برجل معروف انه لم ياكل لحما قط بثمن الا ان يصيبه عند غيره ويسمى الحرضة فيجعل على يديه
ثوب ويعصب دونه اصابعه بعصابة كيلا يجد مس الفروض ثم يدفع اليه القداح ويقوم خلفه رجل يقال له الرقيب
فيدفع اليه قدحا قدحا منها من غير ان ينظر اليها فمن خرج قدحه اخذ من اجزاء الجزور بعدد الفروض التى في
قدحه ومن لم يخرج قدحه حتى استوفيت اجزاء الجزور غرم بعدد فروض قدحه كاجزاء تلك الجزور من جزور اخرى
لصاحب الجزور الذى نحرها فان تقدم ان يخرج المعلى اولا فاخذ صاحبه سبعة اجزاء من الجزور ثم خرج المسبل
فلم يجد صاحبه الا ثلثة اجزاء اخذها وغرم لمن لم يغرض قدحه ثلثة اجزاء من جزور اخرى واما القداح الاربعة
الاوغاد فلم يفرح خروج احدها غنم ولا في عدم خروجه غرم والمنقول عن الايسار انهم كانوا يحرمون ذلك اللحم
على انفسهم ويعدونه للضيافة فاذا عرفت ذلك فاعلم ان وجه الشبه هو ما ذكره عليه السلام وذلك ان الفالج
الياسر الذى ينتظر قبل فوزه اول فوزة من قداحه اوجبت فوزه المغنم ونفى مغرم المعزم فكذلك المسلم البرئ
من الخيانة الضابط لنفسه عن ارتكاب مناهى الله لما كان لا بد له فى انتظاره لرحمة الله وصبره عن معصيته
ان يفوز باحدى الحسنيين وهى اما ان يدعوه الله اليه بالقبض عن الشقاء عن هذه الدار فما عند الله مما اعد
لاوليائه الابرار خير له فيفوز اذن بالنعيم المقيم ولما كان فوزه مستلزما لعدم خسرانه حسن تشبيهه بالياسر
الفالج فى فوزه المستلزم لعدم غرمه وعملا ان يريد بداعى الله الموت بل الجواذب الالهية والخواطر الربانية
التى تنتج له فتجذبه الى طرف الزهد الحقيقى والالتفات عن حساس الدنيا الى ما وعد به المتقون واما ان يفتح
الله عليه ابواب رزقه فيصبح وقد جمع الله له بين المال والبنين مع حفظ الحسب والدين فيفوز فوز العظيم دون
العقاب الاليم فالتشبيه ايضا هاهنا واقع موقعه وكلا الوجهين افضل عند العاقل من الغنى بالعزة والاتقاء
عن الله ثم وتدبير لوح النفس برذايل الاخلاق من الحسد ونحوه وكما ان هذا الفصل مستلزم للنهى عن الحسد
ونحوه من الفتن المضلة كذلك مستلزم للامر بالصبر على بلاء الله وانتظار رحمته **قوله** ان المال والبنين حرث
الدنيا الى قوله لاقوام **اقول** لما بين فيما سبق من التشبيه وغيره ان تارك الرذايل المذكورة ونحوها المنتظر
للحسنى من الله فاز اردف ذلك بالتنبيه على تحقير المتمنيات التى ينشا من التنافس فيها الرذايل المذكورة فذكر
اعظمها واهمها عند الناس وهو المال والبنون فانها اعظم الاسباب الموجبة لصلاح الحال فى الحيوة الدنيا

واشرف القنيات الحاضرة كما قال تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا ونبه على تحقيرهما بالنسبة الى العمل
بكونهما من حرث الدنيا احقر عند حرث الاخرة فينتج ان المال والبنين حقيران بالنسبة الى حرث الاخرة وقد ثبت
فى المقدمة الثانية ان حرث الاخرة هو العمل الصالح فاذن المال والبنون حقيران بالنسبة الى العمل الصالح
اما المقدمة الاولى فظاهرة اذ لا حصول للمال والبنين فى غير الدنيا واما بيان الثانية فمن وجهين احدهما
قوله تعالى وما متاع الحيوة الدنيا فى الاخرة الا قليل وظاهر انه لا يريد قلة الكمية بل المراد حقارته بالنسبة
الى متاع الاخرة ولذتها الثانى ان حرث الدنيا من الامور الفانية وحرث الاخرة من الامور الباقية الموجبة
للسعادة الابدية والفانيات الطالحات ظاهرة الحقارة بالنسبة الى الباقيات الصالحات كما قال تعالى
والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا ثم نبه السامعين بقوله وقد يجمعهما الله لاقوام
على وجوب الالتفات الى الله تعالى والتوكل عليه وذلك ان الجمع بين حرث الدنيا والاخرة لما كان فى طباع كل عاقل
طلب تحصيله وكان حصوله انما هو من الله دون غيره لمن يشاء من عباده ذكر عليه السلام ذلك ليفرغ الطالبون
للسعادة الجمة تحصيلها وهو التقرب الى الله تعالى بوجوه الوسايل والاعراض عما لا يجدى طائلا من الحسد ونحوه
ثم اكد ذلك الجذب بالتحذير مما حذره الله والامر بخشيته الصادقة البرية من التعذير المستلزمة للترك لما
ولزوم حدوده الجاذبة الى الزهد الحقيقى ثم اردف ذلك الامر بالعمل لله البرئ من الرياء والسمعة وهو اشارة
الى العبادة الخالصة لله المستلزمة لتطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وقد ثبت فى علم السلوك
الى الله ان الزهد والعبادة كيف يوصلان الى السعادة التامة الابدية **وقوله** فانه من يعمل لغير الله يكله الله
الى من عمل له تعليل لوجوب ترك الرياء والسمعة فى العمل فان العامل للرياء والسمعة قاصدان يراه الناس
ويسمعوا بحاله ليعود اليه منهم ما يتوقعه من مال او جاه ونحوه من الاعراض الباطلة والاعراض الزايلة
وقد علمت ان التفات النفس الى شئ من ذلك شاغل لها عن تلقى رحمة الله والاستعداد لها محجوبة به عن
قبول فضله ولما كان هو مسبب الاسباب ومنتهى سلسلة الممكنات لا جرم كانت المطالب من غيره محجوبة
منه التهديد بما لوكول الى من سواه ممن عمل له العاملون لاستلزامه الخيبة والخسران وحشر العاملون الا له
الموكلون الا عليه وقد سبق بيان معنى كون العامل لغير الله موكولا الى غيره والى من عمل له فى الفصل
الذى ذم فيه عليه السلام من يتصدى للحكم بين الامة وليس من اهله **قوله** نسال الله منازل الشهداء ومعايشة
السعداء ومرافقة الانبياء لما كانت همته عليه السلام مقصورة على طلب السعادة الاخروية طلب هذه
المراتب الثلث وفى ذلك جذب للسامعين الى الاقتداء به فى طلبها والعمل لها ورتبها عليه السلام مطلب
المراتب الثلث للانسان وختم باعظمها فان من حكم له بالشهادة غايته ان يكون سعيدا والسعيد غايته ان
يكون فى زمرة الانبياء رفيقا لهم وهذا هو الترتيب اللايق من المؤدب الحاذق فان المرتبة العالية لا تنال
وقد دون نيل ما هو ادون منها **قوله** ايها الناس انه لا يستغنى الرجل الى قوله عنه **اقول** لما اشار الى تاديب الفقراء عن

التعرض للاغنياء بما يوجب لهم ملكات السوء من الحسد ونحوه اردف ذلك بتاديب الاغنياء وارشادهم فى
حق الفقراء ذوى الارحام واهل القبيلة ونحوهم من الاصحاب بالامر بالمواساة فى المال والمعونة لهم لينتظم
شمل المصلحة من الطرفين فاستدرجهم بامرين احدهما بيان انهم لا يستغنون عنهم وان كانوا اصحاب ثروة
فان الرجل لا يستغنى بالرعى عن اعوان له يدفعون عنه بايديهم صولة الصايل ويدفعون عنه بالسنتهم سبة قائل
بل من المعلوم ان اشد الناس حاجة الى الاعوان والاصحاب والمعاضدين هم اكثر الناس ثروة وانظر الى
الملوك والمتشبهين بهم من ارباب الاموال واحق الناس بعد الاستغناء عنهم عشيرة الرجل واصحابه فانهم
اعظم الناس شفقة عليه واشدهم دفاعا عنه وحفظا لجانبه والمهم لشعثه اى شدهم جمعا لمتفرق حاله
واعطفهم عليه ان نزلت به نازلة من فقر ونحوه وذلك ان قربهم منه باعث لدواعى الشفقة عليه الثانى
التنبيه بذكر غايتى انفاق المال وجمعه وتفضيل احدهما على الاخر وذلك قوله ولسان الصدق الى قوله
لغيره فلسان الصدق هو الذكر الجميل بين الناس وهو من غايات البذل والانفاق وغاية جمع المال هى توريثه
الغير واما افضلية البذل على الجمع فظاهرة من تصورهما بين الغايتين وانما رغب عليه السلام فى البذل بما
يستلزمه من غاية الذكر الجميل بين الناس وان لم يكن مقصوده من الحث على البذل الا مصلحة الفقراء وسد
خلتهم وتاديب الاغنياء وتعويدهم بالبذل والنزول عن محبة المال لان توقع الذكر الجميل من الناس ادعى
الى البذل واكثر فعلا للنفوس من الغايات التى يقصدها عليه السلام وذلك من الاستدراجات لحسنة
حتى اذا انفتح باب البذل وتمرنت النفوس عليه وجدت اولى المقاصد التى يصلح بها المال هى المقاصد
الشارع ويحث عليها من سد خلة الفقراء التى ينتظم بها شمل المصلحة ويتحد الناس بعضهم ببعض خصوصا العشيرة
فانه من الواجب فى السيرة العادلة التى بها صلاح حال الانسان فى الدارين انه لما كان لا غناء له عن عشيرته
واصحابه وكان اكرامهم ومواساتهم بالمال هو الذى يؤكد الاشتغال بهم ويستحقونه فى مقابلة حفظهم له
وحياطتهم له وما لحق ان يجب مواساتهم واكرامهم بما يصلح احوالهم من فضل المال وكفى بذكره غاية جمع المال
وهى توريثه الغير المستلزمة لذكر هادم اللذات باعثا على بذل المال والنزول عن محبته وجمعه لمن له عين
بصيرة بعاقبة امره وبالله التوفيق **منها** الا لا يعدلن احدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة ان يسدها بالذى لا
يزيده ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه ومن يقبض يده عن عشيرته فانما يقبض منه عنهم يد واحدة ويقبض منهم
عنه ايدى كثيرة ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة قال السيد ما احسن هذا المعنى فان الممسك خيره
عن عشيرته انما يمسك نفع يد واحدة فاذا احتاج الى نصرتهم واضطر الى مرافدتهم قعدوا عن نصرته وتثاقلوا
عن صوته فمنع ترافد الايدى الكثيرة وتناهض الاقدام الجمة **اقول** العدول الانحراف والخصاصة الفقر والحاجة
وحاشية الرجل جانبه وحاشيته ايضا خدامه واتباعه الذين هم حشو بيته وقوله يرى فى موضع النصب على الحال
وان يسدها فى موضع الجر بدلا من القرابة واعلم ان المقصود بهذا الفصل هو ما ذكرناه قبله ولو وصلناه

لصلح تتمة له وحاصله الى قوله ايدى كثيرة النهى عن العدول عن سد خلة الاقرباء واولى الارحام ذوى الحاجة بالفضل
من المال وصرفه فى غير وجهه من المصارف الغير المرضية لله سبحانه وكنى بالسد الذى هو حقيقة فى منع حجم
عن المنع المعقول وهو منع الاختلال الواقع فى حال الانسان كناية بالمستعار **وقوله** لا يزيده ان امسكه ولا ينقصه
ان اهلكه على ظاهره اشكال فانه يحتمل ان يقال كل جزء من المال فان بقاءه زيادة فيه وعدمه نقصان منه
وجوابه من وجهين احدهما ان يقال انه عليه السلام لم يرد هاهنا مطلق الزيادة والنقصان فى المال بل
الى المال فان العشرين المنسوبين فى يزيده وينقصه عائدان الى الشخص المعبر عنه باحدكم المامور بالانفاق
وانما اراد الزيادة والنقصان فيه الذين لا يعتبر تاثيرهما فى صلاح حال الانسان وعدم صلاحه فان
الفضل الزايد فى مال الانسان على القدر الذى يدفع ضرورته عبث الشريعة ليس بزيادة معتبرة فى صلاح
حاله ولا نقصانه معتبرا فى فساد حاله فلا يزيده اذن ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه وهذا كما يقول الانسان
لمن يريد ان يسهل عليه امرا حقيرا يجتهد فى طلبه ان هذا الامر لا يضرك ان تركته ولا ينفعك ان اخذته
اى بالنسبة الى صلاح حالك الثانى انه يحتمل ان يريد بالزيادة والنقصان فى الثواب الاجر الاجل
والثناء والذكر فى العاجل اى لا يزيده صلاح حال عند الله وعند الناس بل يكون سببا لفساد حاله اما
عند الله فلان امساك الفضل من المال عمن له اليه ضرورة من عباد الله سبب للشقاء العظيم والعذاب
الاليم فى الاخرة لقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم
الاية واما عند الناس فعليك عطالعة سنة الانهم فى ذم البخل والبخلاء وكذلك لا ينقصه اى لا ينقص من
صلاح حاله اما عند الله فلما وعد به اهل الانفاق فى سبيله من الاجر الجميل والثواب الجزيل كقوله تعالى الذين
ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى الاية ونحوها واما عند الناس فلما اتفقوا
عليه من مدح اهل الكرم والسخاء وملا وا به الصحف من النظم والنثر فيهم فاما قوله ومن يقبض يده عن عشيرته
الى اخره فمعناه ما ذكره السيد رضى الله عنه وهو ان الممسك خيره عن عشيرته انما يمسك عنهم نفع يد واحدة
فاذا احتاج الى نصرتهم قعدوا عن نصرته وتثاقلوا عنه فمنع ترافد الايدى الكثيرة الا ان هذا البيان يحتاج
الى تقرير وهو ان الانسان لما كان انتفاعه بالايدى الكثيرة اتم واولى بصلاح حاله واكثر من النفع الحاصل
له بقبض يده عن النفع بها وجب عليه ان يستجلب بيده بالنفع مد الايدى الكثيرة الى نفعه والا لكان
بسبب طلبه لنفع ما من امساك يده الواحدة عنهم المستلزم لامساك ايديهم الكثيرة عنه مضيعا على نفسه
منافع عظيمة فيكون بحسب قصده لنفع ما مضيعا لما هو اعظم منه فيكون مناقضا لغرضه وذلك جهل
وسفه **وقوله** ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة من تمام تاديب الاغنياء بما يعود عليهم نفعه وينتظم
به شمل المصلحة فى العالم من التواضع ولين الجانب للخلق فاستدرجهم الى التواضع بذكر ثمرته اللازمة
عنه التى هى مطلوبة لكل عاقل وهى استدامة مودة الناس المستلزمة لنفعهم ولعدم مضرتهم المستلزمين

لصلاح حال المتواضع فيما يقصده ويشمل ذلك ادب الله نبيه صلى الله عليه وآله حيث قال واخفض جناحك لمن
اتبعك من المؤمنين وقد عرفت ان سر ذلك استجلاب الالفة لهم والمحبة بينهم عند سكونهم اليه ليجتمعوا على
قبول اقواله وظاهر ان شيئا من ذلك لا يحصل مع مجاوزة الخلق والتكبر كما قال تعالى ولو كنت فظا غليظ
القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر وان حمل لفظ الحاشية على الاتباع
والاخدام كان ذلك تاديبا لهم بالتواضع وخفض الجناح وذلك ان حاشية الرجل وخاصته هم حرسة عرضه
وميزان عقله وعليهم يدور تدبير صلاح حاله بحسب شدتهم وغلظتهم ولينهم وتواضعهم للناس يكون قرب
الناس وبعدهم منه وبغضهم منه ومحبتهم له وانسهم ونفارهم عنه وقال بعض الحكماء ان سبيل الخدم والقوام
من الانسان سبيل الجوارح من الجسد فحاجب الرجل وجهه وكاتبه قلبه ورسوله لسانه وخادمه يده ورجله
وعينه لان من كلفه تعالى كل واحد من الافعال المحتاج اليها فقد قام مقامه فيها وكما يلحقه الذم من العقلاء
بترك اصلاح افعاله الصادرة عن احد جوارحه كذلك يلحقه الذم منهم على ترك اصلاح من يقوم مقامه في
الافعال بتوليته له اياها وكما يستديم مودة اخوانه ويستجلب مودة الناس بتواضعه بنفسه ولين جانبه
لهم كذلك يستديمها بتاديب حاشيته وخدمه بالاداب المتفق على حسنها بين الناس واهمها وانفعها
في ذلك لين الجانب وترك الكبر المنفر فان اوهام الخلق حاكمة بنسبة كل حسن وشر يجري من حاشية
الرجل اليه وان كان ضد في هذا الحكم اكثريا وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام ولعمري ما علي في قتال
من خالف الحق وخابط الغي من ادهان ولا ايهان فاتقوا الله عباد الله وفروا الى الله من الله وامضوا في
الذي نهجه لكم وقوموا بما عصبه بكم فعلي ضامن لفلجكم آجلا ان لم تمنحوه عاجلا اقول الادهان والمداهنة
المصانعة والايهان مصدر اوهنه اي اضعفه وخابط الغي لفظ المفاعلة يقتضي خبط كل منهما في الآخر وقد تقدم ان
الخبط هو المشي على غير استقامة والغي الجهل ونحوه اي اوضح وعصبه بكم اي علقه بكم وربطه والفلج الفوز
والظفر المطلوب وفي هذا الفصل رد لقول من قال ان متاركته عليه السلام لمحاربيه ومقاتليه ومداهنتهم
اولى من محاربتهم فرد ذلك بقوله لعمري ما علي الى قوله ولا ايهان اي ليس مصانعتهم بواجبة علي من طريق
الدينية وليسوا مستضعفين لي ولا علي في قتالهم عجز وفي ذكره عليه السلام لهم بصفة مخالفة الحق ومخابطة
الغي والبغي تنبيه للسامعين واستدراج لهم لقيام عذره في قتالهم اذ كانت مقاتلة من هذه صفته واجبة
علي من طريق فلا يمكن انكاره ثم وعظهم ثم اردف ذلك باوامر اولها الامر بتقوى الله وقد علمت ان تقوى
الله هو خشيته المستلزمة للاعراض عن كل ما هو مبعد عنه وهو الزهد الحقيقي كما سبقت الاشارة اليه
الثاني الامر بالفرار الى الله وهو امر بالاقبال على الله وتوجيه وجه النفس الى كعبة وجوب وجوده واعلم ان
فرار العبد الى الله تعالى على مراتب فاولها الفرار من بعض آثاره الى بعض كالفرار من اثر غضبه الى اثر رحمته
كما قال تعالى حكاية عن المؤمنين في التضرع اليه ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا

وارحمنا الآية فكانهم لم يروا الا الله وافعاله ففروا من بعضها الى بعض الثانية ان يفنى العبد عن مشاهدة
الافعال ويترقى في درجات القرب والمعرفة الى مصادر الافعال وهي الصفات فيفر من بعضها الى بعض كما
ورد عن زين العابدين عليه السلام اللهم اجعلني اسوة من قد انهضته بتجاوزك عن مصارع المجرمين فاصبح
طليق عفوك من اسر سخطك والاسر والسخط صفتان فاستعاذ باحدهما من الاخرى الثالث ان يترقى
عن مقام الصفات الى ملاحظة الذات فيفر منها اليها كقوله عليه السلام لا ملجا من الله الا اليه وكما ورد في
الدعاء في القيام الى الصلوة منك وبك ولك واليك اي منك بدء الوجود وبك قيامه ولك ملكه واليك
رجوعه ثم اكد ذلك بقوله لا ملجا ولا منجا ولا مفر منك الا اليك وقد جمع الرسول صلى الله عليه وآله هذه
المراتب حين امر بالقرب في قوله واسجد واقترب فقال في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك وهو كلام عن مشاهدة
فعل الله فاستعاذ ببعض افعاله من بعض والعفو كما يراد به صفة العافي كذلك قد يراد به الاثر الحاصل عن
العفو في المعفو عنه كالخلق والصنع ثم لما قرب فغني عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادرها وهي الصفات
قال واعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم لما راى ذلك نقصانا في التوحيد اقترب وترقى عن مقام مشاهدة
الصفات الى ملاحظة الذات فقال واعوذ بك منك وهذا فرار اليه منه مع قطع النظر عن الافعال والصفات
وهو اول مقام الوصول الى ساحل العزة ثم للسباحة في لجة الوصول درجات اخر لا تتناهى ولذلك لما
ازداد صلى الله عليه وآله قربا قال لا احصي ثناء عليك فكان ذلك حذفا لنفسه عن درجة الاعتبار في ذلك المقام
واعترافا منه بالعجز عن الاحاطة بما له من نعوت الكمال وكان قوله بعد ذلك انت كما اثنيت على نفسك
كمالا للاخلاص وتجريدا للكمال المطلق الذي به هو هو عن ان يلحقه حكم لغيره وهمي او عقلي اذا عرفت ذلك
ظهر ان مقصوده عليه السلام بقوله وفروا الى الله امر بالترقي الى المرتبة الثالثة من المراتب المذكورة الثالث
الامر بالمضي فيما نهجه لهم من السبيل الواضح العدل الذي هو واسطة بين طرفي الافراط والتفريط والطريق
المستقيم المدلول عليه بالاوامر الشرعية وقد علمت ان الغرض من سلوك هذا السبيل وامتثال التكاليف
التي الزم الانسان بها وعصبت به انما هو تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة بحيث تصير مؤتمرة
لها ومتصرفة تحت حكمها العقلي منقادة لها عن الانهماك في ميولها الطبيعية ولذاتها الفانية وحينئذ
تعلم ان هذه الاوامر الثلاثة هي التي عليها مدار الرياضة والسلوك الى الله تعالى فالامر الاول والثالث
امر بما هو معين على الموانع عن الالتفات الى الله تعالى وعلى تطويع النفس الامارة والامر الثاني الامر بتوجيه
السر الى الله تعالى وقد تبين فيما مر ان هذه الامور الثلاثة هي الاغراض التي تتوجه نحوها الرياضة
المستلزمة لكمال الاستعداد المستلزم للوصول التام ولذلك قال عليه السلام فعلي ضامن لفلجكم آجلا
ان لم تمنحوه عاجلا اي اذا قمتم بواجب ما امرتم به من هذه الاوامر كان ذلك مستلزما لفوزكم في دار القرار
بجنات تجري من تحتها الانهار التي هي الغايات الحقيقية ولمثلها فليعمل العاملون وفيها فليتنافس المتنافسون

صفات الجلال

من الله

ان لم تمنحوه ان اهلكم للفوز في الدار العاجلة فتمنحوه فيها وقد تم الفوز بالسعادتين العاجلة والآجلة لمن
وفقه الله بالقيام بهما وكمل استحقاقه لذلك في علم الله فلما كان حصول السعادة والفوز من لوازم الاوامر
المذكورة امرا واجبا واضح الوجوب في علمه عليه السلام لا جرم كان ضامنا له فان قلت فما وجه اتصال هذه
الاوامر بصدر الفصل قلت لما كان مقتضى صدر الفصل الى قوله ولا ايهان هو الاعتذار الى السامعين في
قتال مخالفي الحق وكان مفهوم ذلك هو الحث على جهادهم والتحريض عليه من لطف في الجذب كان تعقيب
ذلك بذكر الطريق الواضح المأمور بسلوكه ولزوم حدود الله فيه هو اللائق الواجب وبالله التوفيق ومن خطبة
له عليه السلام وقد تواترت عليه الاخبار باستيلاء اصحاب معاوية على البلاد وقدم عليه عاملاه على اليمن وهما
عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران لما غلب عليهما بسر بن ارطاة فقام الى المنبر ضجرا بتثاقل اصحابه عن
الجهاد ومخالفتهم له في الراي فقال عليه السلام ما هي الا الكوفة اقبضها وابسطها ان لم تكوني الا انت
تهب اعاصيرك فقبحك الله ثم تمثل لعمر ابيك الخير يا عمرو انني على وضر من ذا الاناء قليل انبئت بسرا قد اطلع
اليمن واني والله لاظن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم وبمعصيتكم
امامكم في الحق وطاعتهم امامهم في الباطل وباداءهم الامانة الى صاحبهم وخيانتكم وبصلاحهم في بلادهم
وفسادكم فلو ائتمنت احدكم على قعب لخشيت ان يذهب بعلاقته اللهم اني قد مللتهم وملوني وسئمتهم وسئموني
فابدلني بهم خيرا منهم وابدلهم بي شرا مني اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء اما والله لوددت ان لي بكم
الف فارس من بني فراس بن غنم هنالك لو دعوت اتاك منهم فوارس مثل ارمية الحميم ثم نزل قال السيد
رضي الله عنه الارمية جمع رمي وهو السحاب والحميم وقت الصيف وانما خص الشاعر الصيف بالذكر لانه
اشد جفولا واسرع خفوفا لانه لا ماء فيه وانما يكون السحاب ثقيلا لامتلائه بالماء وذلك لا يكون في الاكثر الا في
الشتاء وانما اراد الشاعر وصفهم بالسرعة اذا دعوا والاغاثة اذا استغيثوا اقول السبب ان قوما بصنعاء
كانوا من شيعة عثمان يعظمون قتله فبايعوا عليا عليه السلام على دخل فلما اختلف الناس على علي بالعراق وكان
العامل له يومئذ على صنعاء عبيد الله بن عباس وعلى الجند بها سعيد بن نمران ثم قتل محمد بن ابي بكر بمصر وكثرت
غارات اهل الشام تكلم هؤلاء ودعوا الى الطلب بدم عثمان فانكر عليهم عبيد الله بن عباس فتظاهروا وباينوا
على نفسهم فكتبوا الى اصحابهم بالجند فعزلوا سعيد بن نمران عنهم واظهروا امرهم فانضم اليهم خلق كثير ارادوا
منع الصدقة فكتب عبيد الله وسعيد الى امير المؤمنين بخبرهم فكتب الى اهل اليمن والجند كتابا يتهددهم
فيه ويذكرهم الله فاجابوه انا لا نطيعك ان لم تعزل عنا هذين الرجلين عبيد الله وسعيدا ثم كتبوا الى
معوية فاخبروه فوجه اليهم بسر بن ارطاة وكان فظا سفاكا للدماء فقتل بمكة داود وسليمان ابني
عبيد الله بن العباس وبالطايف عبد الله بن المدان وكان صهرا لابن عباس ثم انتهى الى صنعاء وقد خرج منها
عبيد الله وسعيد واستخلفا عليها عبد الله بن عمرو بن اراكة الثقفي فقتله بسر واخذ صنعاء فلما قدم ابن عباس

وسعيد على علي عليه السلام بالكوفة عاتبهما على تركهما قتال بسر فاعتذرا اليه بضعفهما عنه فقال عليه السلام
الى المنبر ضجرا من مخالفة اصحابه له في الراي فقال ما هي الا الكوفة الفصل اذا عرفت ذلك فنقول الاعصار
ريح تهب فتثير التراب والوضر بفتح الضاد الدرن الباقي في الاناء بعد الاكل ويستعار لكل بقية من شيء يقل
الانتفاع بها والاثاث بالفتح نجر حسن المنظر مر الطعم واطلع اليمن اي غشيها سيدالون اي يصير الامر اليهم
والدولة لهم والقعب القدح الضخم وماث الشيء اذابه واعلم ان الضمير في قوله ما هي الكوفة وان لم يجر لها ذكر في
اللفظ الا ان تضجره من اهلها قبل ذلك وخوضه في تدبير امرها وحضورها في ذهنه يجري مجرى الذكر السابق
لها واقبضها خبر ثان او لمبتدا محذوف تقديره انا ويحتمل ان يكون ضمير القصة واقبضها خبر عن الكوفة و
نظيره في الاحتمالين قوله انها لظى نزاعة ومعنى هذا الكلام حصر ما بقي له من البلاد التي يعتمد عليها
في الحرب ومقاتلة العدو في الكوفة وهو كلام في معرض التحقير لما هو فيه من امر الدنيا وما بقي له من التصرف
الحق بالنسبة الى ما لغيره من التصرف الباطل واقبضها وابسطها كنايتان عن وجوه التصرف فيها اي ان الكوفة
والتصرف فيها بوجوه التصرف حقيرة بالنسبة الى سائر البلاد التي عليها الخصم فما عسى يصنع بتصرفي فيها وما
الذي ابلغ به من دفع الخصم نفعا وضرا وهذا كما يقول الرجل في تحقير ما في يده من المال القليل اذا رام به امرا
كبيرا انما هو هذا الدينار فما عسى ابلغ به من الغرض وقوله فان لم تكوني الا انت تهب اعاصيرك عدول من
الغيبة الى الخطاب والضمير بعد الا تاكيد للذي قبلها والجملة الفعلية بعده في موضع الحال وخبر كان
محذوف ولفظ الاعاصير يحتمل ان يحمل على حقيقته فان الكوفة معروفة بهبوب الاعصار فيها ويحتمل ان
يكون مستعارا لما يحدث من آراء اهلها المختلفة التي هي منبع الغدر به والتثاقل عن نصرته ووجه المشابهة
ما يستلزمه المستعار منه من الاذى والازعاج وتقدير الكلام فان لم تكوني الا انت عدة لي في حجة التي
بها العدة وحظا من الملك والخلافة مع ما عليه حالك من الذام فقبحك الله وهو ذم لها بعد ذكر وجه الذم
ولاجل استصغاره لامرها تمثل بالبيت ومعنى تمثله به انه باق على حقير من هذا الامر كالوضر القليل في الاناء
وهو تمثيل على وجه الاستعارة فاستعار لفظ الاناء للدنيا ولفظ الوضر القليل منه للكوفة ووجه المشابهة
ما يشترك فيه الكوفة والوضر من الحقارة بالنسبة الى ما استولى عليه خصمه من الدنيا وما اشتمل عليه الاناء
من الطعام ومن روى الاثاث فانما اراد انه على بقية من هذا الامر كالعبد الحاصل لناظر الاثاث من حسن المنظر
مع عدم انتفاعه منه بشيء آخر ويكون قد استعار لفظ الاثاث لسائر بلاد الاسلام ولفظ الوضر لما في يده
هو حسن المنظر استعارة في الدرجة الثانية وانما خص الكوفة دون البصرة وغيرها لان جمهور من كان
يعتمد عليه في الحرب اذ هم اهل الكوفة وقوله انبئت بسرا قد اطلع منكم شروع في استنفارهم الى الجهاد
فاعلمهم اولا اطلاع بسر وخروج اليمن من ايديهم ثم خوفهم بما حكم به من الظن الصادق ان سيدال القوم
منهم ثم اعقب ذلك بذكر اسباب توجب وقوع ما حكم به وهي الامارات التي بها حكم فذكر اربعة امور من

قبلهم هي اسباب الانقهار واربعة امور من قبل الخصم مضادة لها هي اسباب القهر وترتب كل امر بعينه بضده
ليظهر لهم المناسبة بين افعالهم وافعال خصومهم فيدعوهم داعي الدين والمروة الى الفرار من سوء الرأي
فالاول من افعال الخصم الاجتماع والتوازر وان كان على باطل وهو التصرف لعين الحق في البلاد والاول
من افعالهم مايضاد ذلك وهو تفرقهم عن حقهم اي تصرفهم المستحق لهم باذن ولي الامر الثاني من افعالهم
الطاعة للامام الجاير فيما يامرهم من الباطل ومن افعالهم معصية الامام الحق في امره بالحق الثالث للخصم اداء
الامانة الى صاحبهم وهي لزوم عهده والوفاء ببيعته ومن افعالهم ضد ذلك من الغدر والخيانة في العهد
بتركهم لموازرته في القتال وعصيانهم لامره حتى صار الغدر مثلا لاهل الكوفة الرابع صلاح القوم في بلادهم
اي انتظام امورهم فيها الناشي عن طاعة امامهم ومن افعالهم مايضاد ذلك من فسادهم في بلادهم لخروجهم
عن طاعة امامهم وظاهر ان الامور الاربعة المذكورة من افعال الخصم من اسباب صلاح الحال وانتظام الدولة
والغلبة والقهر وان الامور الاربعة المضادة لها من افعالهم من اقوى الاسباب الموجبة للانقلاب والانقهار
قوله فلو ائتمنت احدكم على قعب لخشيت ان يذهب بعلاقته مبالغة في ذمهم بالخيانة على سبيل الكناية
عن خيانتهم لامامتهم في عهده على قبول اوامره قوله اللهم اني قد مللتهم وملوني شكاية الى الله سبحانه منهم
وعرض لما في ضميره وضمائرهم بحسب ما شهدت به قراين احوالهم والملال والسآمة مترادفان وحقيقته اعراض
النفس عن الشيء اما لفتور القوى البدنية وكلالها عن كثرة الافاعيل واما لاعتقاد النفس عدم نيل او
امارة يتبين لها ان مطلوبه غير ممكن لها وهذان السببان كانا موجودين لسآمته عليه السلام من افعالهم
فانه لم يترك منهم ولم يدع عليهم حتى عجزت قواه عن التطلع الى وجوه اصلاحهم وانصرفت نفسه عن معالجة
احوالهم لاعتقاده ان تقويمهم غير ممكن له واما سآمتهم منه فاما لاعتقادهم ان مطلوباتهم التي كانوا ارادوا
لها غير ممكنة منه او لكثرة تكراره اوامره بالجهاد والذب عن دين الله والمواظبة على اوامر الله على قوانين الشريعة
التي هي مع ضعفها مشغولة بغير الله فلذلك تنصرف نفوسهم عن قبول قوله وامتثال اوامره ثم اردف تلك
الشكاية بالتضرع الى الله في الخلاص منهم ثم بالدعاء عليهم فدعا لنفسه اولا ان يبدله خيرا منهم
اما في الدنيا فقوما صالحين ينظرون بنور الله نعم عليهم فيخلصوا له الدين واما في الاخرة فقوما غرقوا في بحار
انوار كبرياء الله فاصطفاهم اعلى منازل الجنة واسنى مراتب كرامته قوما انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وطلبه لخيرهم في الدنيا هو الارجح للذهن لما تمنى سعيد
من فوارس بني فراس ثم دعا الله عليهم ان يبدلهم شرا منه فان قلت انه صدر مثل هذا الدعاء منه عليه السلام
مشكل من وجهين احدهما انه يقتضي ان يكون هو ذا شر وقد ثبت انه كان منزها عن الشرور الثاني انه كيف
يجوز منه ان يدعو بوجود الشرور ووجود الاشرار قلت الجواب عن الاول من وجهين احدهما ان صيغة افعل
التفضيل كما ترد لاثبات الافضلية كذلك قد ترد لاثبات الفضيلة وح يحتمل ان يكون مراده من قوله شرا

مني اي ابدلهم بمن فيه شر غيري الثاني ان يكون شرا مني بحسب عقايدهم ان في شرا عليهم واعتقادهم انه دوني
لا يوجب كونه كذلك وعن الثاني من وجهين احدهما انه لما كان في دعاء الله ان يبدلهم من هو شر منه مصلحة تامة
حسن منه ذلك وبيان المصلحة من وجهين احدهما ان صدور ذلك الدعاء منه عليهم بمشهد منهم ومسمع من اعظم
الاسباب المخوفة الجاذبة لاكثرهم الى الله تعالى وذلك مصلحة ظاهرة الثاني ان نزول الامر المدعو به عليهم بعد
تمام تنبيههم على فضله وتذكيرهم انه لم يصبهم ذلك الا لتركهم اوامر الله تعالى وخروجهم عن طاعته فيتقهقروا عن ساحة
الغي والفساد الى واضح سبيل الرشاد ويكون ذلك بلاء من الله لهم الثاني لعله اعتاد دعاءه عليهم لعلمه انه لا
يرجى صلاحهم فيما خلقوا لاجله مما يدعوهم اليه ممن لا يرجى صلاح حاله مع فساد نظام العالم بوجوده ولزومه
لما يضاد مطلوب الله منه فعدمه اولى من وجوده فكان دعاؤه عليهم اذن مندوبا اليه وعلى ذلك يحمل ايضا دعاؤه
عليهم اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء ونحو ذلك تاسيا منه عليه السلام بالسابقين من الانبياء
صلى الله عليهم في التضجر من قومهم والشكاية منهم الى الله تعالى ودعائهم عليهم كنوح اذ قال رب اني دعوت قومي
ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا الايات رب انهم عصوني ثم ختم بالدعاء على من لم يرج صلاحه فقال رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الاية وكلوط اذ قال لقومه اني لعملكم من القالين وغيرهما من الانبياء
والمراد بالميث المدعو به تشبيه ان يكون ما يحصل في القلب من الانفعال عن الغم والخوف ونحوهما وذلك
ان الغم اذا وقع لزمه تكاثف الروح القلبي للبرد الحادث عند انطفاء الحرارة الغريزية لشدة انقباض
الروح واحتقانه فيحصل في القلب انفعال شبيه بالعصر والمرس وذلك في الحقيقة [illegible]
ان يكون مراده ويحتمل ان يكون كناية عن اسبابه من الغم والخوف فكانه طلب من الله ان يقتص له منهم
اذ ماثوا قلبه بفساد افعالهم ويروى ان اليوم الذي دعا عليهم فيه ولد فيه الحجاج بن يوسف وروي انه
ولد بعد ذلك اليوم باوقات يسيرة وفعل الحجاج باهل الكوفة ظاهر ودماره لها مشهور وقوله اما والله
لوددت ان لي بكم الف فارس من بني فراس بن غنم تمنيه لمن ذكر بالخير منهم الذي طلبه اولا من
الله مجملا عوضا بهم وبنو فراس حي من تغلب ابوهم غنم بفتح الغين وسكون النون وهو غنم بن تغلب بن وائل
وانما خص هذا البطن لشهرتهم بالشجاعة والحمية وسرعة اجابة الداعي فاما البيت هنالك لو دعوت
فقد ماذكره السيد الرضي رضي الله عنه ووجه تمثله عليه السلام بهذا البيت ان هؤلاء القوم الذين
ود انهم كانوا له عوضا من قومه هم بصفة الفوارس الذين اشار اليهم الشاعر في المبادرة الى اجابة الداعي
والاجتماع على دفع الضيم عنهم ونصرة حقهم فلذلك تمناهم عوضا ومقصوده في جميع ذلك ذمهم وتوبيخهم
وتحقيرهم بتفضيل غيرهم عليهم تنفيرا لطباعهم عما هي عليه من التثاقل عن دعوته للذب عن دين الله و
بالله التوفيق والعصمة ومن خطبة له عليه السلام ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله نذيرا للعالمين وامينا
على التنزيل وانتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار منيخون بين حجارة خشن وحيات صم تشربون الكدر

وتاكلون الجشب وتسفكون دماءكم وتقطعون ارحامكم الاصنام فيكم منصوبة والاثام بكم معصوبة
اقول الاناخة المقام بالمكان والحية الصماء التي لا تنزجر بالصوت كانها لا تسمع وربما يراد بها القاتلة
الشديدة والجشب هو الطعام الغليظ الخشن ويقال هو الذي لا ادام معه ومعصوبة مشدودة واعلم
انه عليه السلام اقتص امورا وقعت ليحسن معها ذمها فبدأ بذكر النبي صلى الله عليه وآله وذكر بعض اسباب
غاية البعثة فانه لما كانت الغاية منها هو جذب الخلق عن دار الغرور الى الواحد الحق وكان ذلك الجذب
تارة بالنذارة وتارة بالبشارة ذكرها هنا النذارة وخصها بالذكر لانها السبب الاقوى في الردع فان
عامة الخلق وجمهورهم قلما يلتفتون الى ما وعدوا به في الاخرة اذا قابلوا ذلك بلذاتهم الحاضرة فان تلك
امور غير متصورة لهم الا بحسب الوصف الذي انما تنكشف لهم عن امور محسوسة تشبه ما هم فيه واضعف
ثم ان نيلها مشروط بشرائط صعبة في الدنيا تكدر عليهم ما هم فيه من حاضر لذاتهم مع رغبتهم عن الشروط
والتكاليف الشاقة فلذلك قلما يلتفتون الى الوعد عما هم فيه فكان السبب الاقوى في الردع والالتفات
الى الله انما هو الانذار والتخويف فاذا انضم اليه الوعد افاد الجذب الغاية ولما كان مقصوده عليه السلام
في هذا الموضع التوبيخ المطلق للعرب وترقيق قلوبهم المشتملة على الغلظة والقسوة كان الاليق هاهنا
ذكر انذار النبي للعالمين ليتذكروا بذلك تفصيل الانذارات الواردة في القرآن والسنة ثم اردف ذلك
بذكر كونه امينا على التنزيل ليتذكروا ان الانذارات الواردة هي من عند الله ثم اتى بها الرسول غير خاين
فيها بتبديل او زيادة او نقصان فيتاكد في قلوبهم ما قد علموه من ذلك ليكون ادعى لهم الى الانفعال عن
اقواله ثم شرع بعده في اقتصاص احوالهم التي كانوا عليها والواو في قوله وانتم للحال اي حال ما كنتم بهذه
الصفات بعث محمدا وذكر احوالهم في معرض الذم لها فذكر انهم كانوا على شر دين وهو عبادة الاصنام
من دون الله واعظم بذلك افتضاحا لمن عقل منهم اسرار الشريعة وعرف الله سبحانه فلا احسب عند سماع
هذا التوبيخ الا خجلا مما فرط في جنب الله ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا ثم اردف ذلك بتذكيرهم
ما كانوا فيه من شر دار واراد نجدا وتهامة وارض الحجاز وبين كونها شر دار ببيان فساد احوالهم اما في مساكنهم
فبإناختهم بين الحجارة السود الخشن التي لا انداء بها ولا نبات والحيات الصم التي لا علاج لسمومها
ووصفها بالصم لان حيات تلك الارض على غاية من القوة وحدة السموم لاستيلاء الحرارة واليبس عليها
واما في مشربهم فلان الغالب على المياه التي يشربونها ان تكون كدرة لا يكاد غير المعتاد بها ان يقبل
عليها مع العطش الا عند الضرورة والسبب الغالب على المياه في ذلك عدم اقامتهم بالمكان الواحد لهم ابدا
في الحل والارتحال ولا يحفرون المياه ولا يصلحونها لاجل ما هم عليها وربما كان بعضهم يحفر وبعضهم
يشرب ومشاهدتهم توضح ذلك واما في ماكلهم فخشونتها ظاهرة فانك تجد عامتهم باكل ما دب من حيوان و
سئل بعض العرب اي الحيوانات تاكلون في البادية فقال ناكل كل ما دب ودرج الا ام حبين فقال السائل

لتهن ام حبين العافية فقال صاحب المحمل وام حبين دويبة قدر كف الانسان وبعضهم يخلط الشعير بنوى
التمر ويطحنهما ويتخذ منهما خبزا وروي انهم كانوا في ايام المجاعة يلوثون اوبار الابل بدم القراد ويجففونها
فاذا يبست دقوها وصنعوها طعاما واما في سفكهم الدماء بعضهم لبعض وقطع ارحامهم فظاهر ايضا فان
الولد كان يقتل اباه وبالعكس واما نصبهم للاصنام وعصب الاثام بهم في جاهليتهم فغني عن البيان ولفظ
العصب مستعار للزوم الاثام لهم في تلك الحال عن معناه الاصلي وهي استعارة لفظ نسبة بين محسوسين
لنسبة بين معقولين او بين معقول ومحسوس وانما ذكرهم عليه السلام بهذه الاحوال لينبههم لنسبة
ما كانوا عليه قبل الاسلام عليه في تلك الحال من اضداد ذلك كله اذ بدلوا بما كانوا فيه من فساد احوالهم
في الدنيا صلاح حالهم فيها ففتحوا المدن وكسروا الجيوش وقتلوا الملوك وغنموا اموالهم كما قال تعالى
في المنة عليهم وتذكيرهم انواع ما انعم عليهم به واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤوها
وحصل لهم الذكر الباقي والشرف الثابت كل ذلك زيادة على هدايته لهم الى الاسلام الذي هو طريق
دار السلام وسبب السعادة الباقية وانما كان ذلك بسبب مقدم محمد صلى الله عليه وآله اليهم واعلم ان
سياق هذا الكلام يقتضي مدح النبي صلى الله عليه وآله فيما حذف من الفصل بعده ليبني عليه مقصوده الى
وفيه تنبيه على دوام ملاحظة السامعين لنعماء الله عليهم فيلاحظوا استحقاقه لتمام العبادة على احوالهم
ويكونون في وجل من خوفه وشوقا اليه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم منها فنظرت فاذا ليس
لي معين الا اهل بيتي فضننت بهم عن الموت واغضيت على القذى وشربت على الشجى وصبرت على اخذ الكظم
وعلى امر من العلقم اقول ضننت بكسر النون اي بخلت ونقل الفراء الفتح ايضا واغضيت على كذا اي اطبقت
عليه جفني والقذى ما يسقط في العين فيؤذيها والشجى ما يعترض في الحلق عند الغبن ونحوه لا يكاد يسيغ
الانسان معه الشراب وقد مر تفسيرهما واخذ بكظمه اي بمجرى نفسه والعلقم شجر بالغ المرارة ويصدق
بالعرف على كل مر واعلم ان هذا الفصل يشتمل على اقتصاص صورة حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه
وآله في امر الخلافة وهو اقتصاص في معرض التظلم والشكاية ممن رآه احق منه بالامر فاشار الى انه
فكر في امر المقاومة والدفاع عن هذا الحق الذي يراه اولى به فرأى انه لا ناصر له الا اهل بيته وهم قليلون
بالنسبة الى من لا يعينه ومن يعين عليه فانه لم يكن له معين يغلب على الظن الا بني هاشم كالعباس و
بنيه وابي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ومن يخصهم وضعفهم وقلتهم عن مقاومة جمهور الصحابة
ظاهر فضن بهم عن الموت لعلمه انهم لو قاوم بهم لقتلوا ثم لا يحصل على مقصوده ولما ضن بهم عن الموت
لزمه ما ذكر من الامور وهي الاغضاء على القذى وكنى بالاغضاء على القذى عن صبره عن المقاومة كناية
بالمستعار ووجه المشابهة استلزامهما للالم البالغ وبالقذى عما يعتقده ظلما في حقه وكذلك قوله وشربت
على الشجى ملاحظة لوجه الشبه بين ما يجري له من الامور التي يوجب له الغضب والغبن وبين الماء الذي

يشرب على الشجى وهو استلزامهما الاذى وعدم التلذذ والاساغة ولذلك استعار له لفظ الشرب
كذلك قوله وصبرت على اخذ الكظم وعلى امرّ من العلقم فيه استعارات حسنة للفظ اخذ الكظم كنيها
عن اخذ الوجوه عليه بتضييق الامر فيما يطلبه وللفظ المرارة التى هى حقيقة فى الكيفية المخصوصة للاجبا
لما يجده من الالم بسبب فوت مطلوبه ووجه المشابهة فى هاتين الاستعارتين لزوم الاذى ايضا واما
ان الذى وجده امرّ من العلقم فظاهر اذ لا نسبة للالم البدنى فى الشدة الى الالم النفسانى واعلم انه
قد اختلف الناقلون لكيفية حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فروى المحدثون من الشيعة
وغيرهم اخبارا كثيرة ربما خالف بعضها بعضا بحسب اختلاف الاهواء منها وهو الذى عليه جمهور الشيعة
ان عليا عليه السلام امتنع من البيعة لابى بكر بعد وفاة الرسول وامتنع معه جماعة بنى هاشم كالزبير وابى
سفيان بن الحرث والعباس وبنيه وغيرهم وقال لو لا ابايع الا عليا وان الزبير شهر سيفه فجاء عمر فى جماعة
من الانصار فاخذ سيفه فضرب به الحجر فكسره وحملت جماعتهم الى ابى بكر فبايعوه وبايع معهم على كرها وقيل
ان عليا اعتصم ببيت فاطمة عليها السلام وعلموا انه منفرد فتركوه وروى نصر بن مزاحم فى كتاب صفين
انه كان يقول لو وجدت اربعين ذوى عزم لقاتلت ومنها وهو الذى عليه جمهور المحدثين من غير الشيعة
انه امتنع من البيعة ستة اشهر حتى ماتت فاطمة فبايع بعد ذلك طوعا وفى صحيحى مسلم والبخارى كانت وجوه
الناس مختلفة اليه وفاطمة لم تمت بعد فلما ماتت انصرفت وجوه الناس عنه فخرج وبايع ابا بكر وعلى الجملة
فحال الصحابة فى اختلافهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وما جرى فى سقيفة بنى ساعدة وحال
على فى طلب هذا الامر ظاهر والعاقل اذا طرح العصبية والهوى عن نفسه ونظر فيما نقله الناس فى هذا
المعنى علم ما جرى بين الصحابة من الاختلاف والاتفاق وهل بايع على طوعا او كرها وهل ترك المقاومة
عجزا او اختيارا ولما لم يكن غرضنا الا التفسير كلامه كان الاشتغال بغير ذلك تطويلا وفضولا خارجا
عن المقصود ومن رام فعليه بكتب التواريخ ومن خطبة له عليه السلام ذكر فيها عمرو بن العاص لم يبايع معوية
حتى شرط ان يؤتيه على البيعة ثمنا فلا ظفرت يد البايع وخزيت امانة المبتاع فخذوا للحرب اهبتها واعدّوا
لها عدتها فقد شب لظاها وعلا سناها واستشعروا الصبر فانه ادعى الى النصر اقول خزيت اى
ذلت وهانت والاهبة الاستعداد واعدّوا اى هيئوا وعدة الحرب ما يعدّ لها من الالات والسلاح
وشب لظاها اى وقدت نارها وابترت وروى شب بالبناء للفاعل اى رتفع لهبها والسنا مقصورا
الضوء والشعار ما يلى الجسد من الثياب وبلا حبرة واعلم ان هذا فصل اقتصاص كلام ذكر عليه السلام فيه
حال عمرو بن العاص مع معوية فذكر انه لم يبايعه حتى شرط عليه ان يؤتيه على بيعته ثمنا وذلك انه لما نزل
عليه السلام بالكوفة بعد فراغه من امر البصرة كتب الى معوية كتابا يدعوه فيه الى البيعة فاهمه ذلك فدعا
قوما من اهل الشام الى الطلب بدم عثمان فاجابوه واراد الاستظهار فى امره فاشار عليه اخوه عتبة بن

ابى سفيان بالاستعانة بعمرو بن العاص وكان بالمدينة فاستدعاه فلما قدم عليه وعرف حاجته اليه تباعد
منه وجعل يمدح عليا فى وجهه ويفضله ليخدعه بذلك عما يريد منه ثم ان معوية قال له يوما يا ابا عبد الله انى ادعوك
الى جهاد هذا الرجل الذى عصى الله وشق عصا المسلمين وقتل الخليفة واظهر الفتنة وفرق الجماعة وقطع
الرحم فقال عمرو من هو قال على قال والله يا معوية ما انت وعلى بحملى بعير ليس لك هجرته ولا سابقته ولا
صحبته ولا جهاده ولا علمه والله ان له مع ذلك لحظا فى الحرب ليس لاحد غيره ولكنى قد تعودت من
الله احسانا وبلاء جميلا فما تجعل لى ان بايعتك على حربه وانت تعلم ما فيه من الغرر والخطر قال حكمك
قال مصر طعمة فلم يزل معوية يتلكأ عليه بما طلبه وهو يمتنع من مساعدته حتى رضى معوية ان يعطيه مصر
فتعاهدوا على ذلك وبايع عمرو معوية وكتب له بمصر كتابا فذلك معنى قوله عليه السلام ولم يبايع معوية
حتى شرط ان يؤتيه على البيعة ثمنا ثم اردف ذلك بالدعاء على البايع لدينه وهو عمرو بعدم الظفر
فى الحرب او بالثمن بقوله ولا ظفرت يد البايع والحقه بالتوبيخ والذم للمبتاع بذكر هوان امانته عليه
وهى بلاد المسلمين واموالهم التى افاءها الله عليهم ويحتمل ان يكون اسناد الخزى الى الامانة اسنادا
مجازيا او على سبيل اضمار الفاعل بتقدير المبتاع اى وخزى المبتاع فى امانته بخيانته لها وذهب بعض
الشارحين الى ان المراد بالبايع معوية وبالمبتاع عمروا وهو ضعيف لان الثمن اذا كان مصرا فالمبتاع
هو معوية ثم لما ظهرت دعوة معوية لاهل الشام ومبايعة عمرو له كان ذلك
من دلايل الحرب فلذلك امر عليه السلام اصحابه بالتاهب لها واعداد عدتها وكنى عما ذكرناه من امارات
وتوقعها بقوله فقد شب لظاها وعلا سناها كناية بالمستعار ووجه المشابهة بين لهب النار وسناها
وامارات الحرب كونها علامات على امرين هما مظنة الهلاك ومحل الفتنة ويحتمل ان يكون اطلاق
لفظ النار ترشيحا للاستعارة ثم اردف ذلك بالامر بالصبر فى الحرب واستشعاره اما ان يراد به اتخاذه
شعارا على وجه استعارته من الثوب الملاصق للجسد او يراد اتخاذه علامة لان شعار القوم علامتهم
ايضا ويحتمل ان يكون اشتقاقه من الشعور اى ليكن فى شعوركم الصبر وان كان الاشتقاق يردون
الشعار بالمعنى الثانى الى الشعور وقوله فان ذلك ادعى له التصر بيان لعلة اتخاذ الصبر شعارا
او علامة اما ان كان المقصود الزموا انفسكم الصبر فظاهر ان لزوم الصبر من اقوى اسباب النصر وان
كان المقصود اتخذوه علامة فلان من كان الصبر فى الحرب علامة له يعرفه الخصم بها كان الخصم متصورا
منه ادعى الى الانقهار فكان المستشعر لتلك العلامة ادعى الى القهر والنصر وان كان المراد اخطاره بالبال
فلانه سبب لزومه وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فتحه
الله لخاصة اوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة فمن تركه رغبة عنه البسه
الله ثوب الذل وشمله البلاء وديث بالصغار والقماءة وضرب على قلبه بالاسهاب وادبل الحق منه بتضييع

الجهاد وسيم الخسف ومنع النصف الا وانى قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا وقلت
لكم اغزوهم قبل ان يغزوكم فوالله ما غزى قوم قط فى عقر دارهم الا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات
وملكت عليكم الاوطان هذا اخو غامد قد وردت خيله الانبار وقتل حسان بن حسان البكرى وازال خيلكم
عن مسالحها ولقد بلغنى ان الرجل منهم كان يدخل على المراة المسلمة والاخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها
ورعاثها ما تمتنع منه الا بالاسترجاع والاسترحام ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كلم ولا اريق له دم فلو ان
امرأ مسلما مات من بعد هذا اسفا ما كان به ملوما بل كان عندى به جديرا فيا عجبا عجبا والله يميت القلب ويجلب
الهم من اجتماع هؤلاء على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا
تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون فاذا امرتكم بالسير اليهم فى ايام الحر قلتم هذه حمارة القيظ
امهلنا يسبخ عنا الحر واذا امرتكم بالسير اليهم فى الشتاء قلتم هذه صبارة القر امهلنا ينسلخ عنا البرد كل هذا
فرارا من الحر والقر فاذا كنتم من الحر والبرد تفرون فانتم والله من السيف افر يا اشباه الرجال ولا رجال حلوم
الاطفال وعقول ربات الحجال لوددت انى لم اركم ولم اعرفكم معرفة والله جرت ندما واعقبت سدما قاتلكم
الله لقد ملاتم قلبى قيحا وشحنتم صدرى غيظا وجرعتمونى نغب التهمام انفاسا وافسدتم على رايى بالعصيان
والخذلان حتى قالت قريش ان ابن ابى طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب لله ابوهم وهل احد منهم اشد لها
مراسا واقدم فيها مقاما منى لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها انا ذا قد ذرفت على الستين ولكن لا راى
لمن لا يطاع اقول هذه الخطبة مشهورة ذكرها ابو العباس المبرد وغيره والسبب المشهور لها انه ورد عليه
علج من اهل الانبار فاخبره ان سفيان بن عوف الغامدى قد ورد فى خيل لمعوية الى الانبار وقتل عامله
حسان بن حسان البكرى فصعد عليه السلام المنبر وخطب الناس وقال ان اخاكم البكرى قد اصيب بالانبار
وهو معتز لا يخاف ما كان واختار ما عند الله على الدنيا فانتدبوا اليهم حتى تلاقوهم فان اصبتم منهم طرفا
انكلتموهم عن العراق ابدا ما بقوا ثم سكت رجاء ان يجيبوه بشئ فلم ينبس احد منهم بكلمة فلما راى صمتهم نزل
وخرج يمشى راجلا حتى اتى النخيلة والناس يمشون خلفه حتى احاط به قوم من اشرافهم وقالوا ارجع يا امير
المؤمنين ونحن نكفيك فقال ما تكفوننى ولا تكفون انفسكم فلم يزالوا به حتى ردوه الى منزله فبعث سعيد بن
قيس الهمدانى فى ثمانية الاف فى طلب سفيان بن عوف فخرج حتى انتهى الى ادانى ارض قنسرين وقد فاتوه
فرجع وكان على عليه السلام فى ذلك الوقت عليلا فلم يقو على القيام فى الناس بما يريده من القول فجلس بباب
السدة التى تصل الى المسجد ومعه الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر ودعا سعدا مولاه فدفع
اليه كتابا كتب فيه هذه الخطبة وامره ان يقراها على الناس بحيث يسمع عليه السلام ويسمعون وفى رواية المبرد
انه لما انتهى اليه ورود خيل معوية الانبار وقتل حسان بن حسان خرج مغضبا يجر رداءه حتى اتى النخيلة
ومعه الناس فرقى رباوة من الارض فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وآله ثم قال الخطبة وروى

المرح التى بصورة الحال والظهر وروى انه قام اليه رجل فى اخر الخطبة ومعه ابن اخ له فقال يا امير المؤمنين انى
وابن اخى هذا كما قال تعم رب انى لا املك الا نفسى واخى فمرنا بامرك فوالله لننتهين اليه ولو حال بيننا وبينه جمر
الغضا وشوك القتاد فدعا لهما بخير وقال اين تقعان مما اريد ولنرجع الى التفسير فنقول الجنة ما استترت به
من سلاح او غيره وديث اى ذلل ومنه الديوث لمن لا غيرة له والصغار الذل والضيم والقماءة مهموزة ممدودة
مقصورة فهو فى الحقارة والذل وروى القماء بالقصر وهو غير معروف واسهب الرجل بالبناء للمفعول
اذا ذهب عقله من اذى يلحقه وادبل الحق من فلان اى غلب عليه عدوه وسام خسفا بضم الخاء وفتحها اى ولاه
ذلا وكلفه المشقة والنصف بكسر النون وسكون الصاد الاسم من الانصاف وضم النون لغة فيه وعقر الشئ
اصله والتواكل ان يكل كل واحد منهم الامر الى صاحبه ويعتمد عليه فيه وشن الغارة واشنها فرقها عليهم
من كل وجه وغامد قبيلة من اليمن وهى من الازد ازد شنوءة والمسالح جمع مسلحة وهى الحدود التى ترتب
فيها ذوو الاسلحة لمخافة عادية العدو كالثغر والمعاهدة الذمية والحجل بكسر الحاء وفتحها الخلخال والقلب
السوار المصمت والرعاث جمع رعثة بفتح الراء وسكون العين وفتحها وهى القرط والرعاث ايضا ضرب من الحلى
والحلى والاسترجاع قول انا لله وانا اليه راجعون والاسترحام مناشدة الرحم والوافر التام والكلم الجرح
والترح الحزن والغرض الهدف وحمارة القيظ بتشديد الراء شدة حره وسبخ الحر فتر وخف وصبارة القر بتشديد
الراء ايضا شدة البرد وينسلخ ينقضى وربات الحجال النساء والحجال جمع حجلة وهى بيت العروس يزين بالثياب
والستور والسدم الحزن مع الندم والقيح ما يكون فى القرحة من المدة والصديد وشحنتم ملاتم والنغب
جمع نغبة بضم النون وهى الجرعة والتهمام بالفتح الهم والمراس العلاج وذرفت بتشديد الراء على الستين اى
زدت واعلم ان قوله اما بعد الى قوله ومنع النصف صدر الخطبة بين فيه غرضه اجمالا وهو الحث على الجهاد
فانه لما ذكر فضيلة الجهاد وتعظيمه وحط من قصر عنه علم من ذلك انه يريد ان يحث السامعين على جهاد عدوهم
فذكر من ممادح الجهاد امورا احدها انه باب من ابواب الجنة وبيانه ان الجهاد تارة يراد به جهاد العدو الظاهر
كما هو الظاهر هاهنا وتارة يعنى به جهاد العدو الحقيقى وهو النفس الامارة بالسوء وكلاهما بابان من ابواب
الجنة والثانى منهما مراد بواسطة الاول اذ هو لازم له وذلك ان الجنة عبارة عن لقاء الله سبحانه ومشاهدة
حضرة الربوبية هى ثمرة الجنة وغاية سعى عباد الله الابرار ثم قد ثبت بالضرورة من دين محمد عليه السلام
ان الجهاد احد العبادات الخمس وثبت ايضا فى علم السلوك الى الله ان العبادات الشرعية هى المتممة والمعينة
على تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وان التطويع كيف يكون وسيلة الى الجنة التى وعد
المتقون فيعلم من هذه المقدمات ان الجهاد الشرعى باب من ابواب الجنة اذ يعبر منه المجاهد السالك الى الله
الى الباب الاعظم للجنة وهو الرياضة وقهر الشيطان ومن وقف على هذا السر علم ان الصلوة والصوم
وساير العبادات كلها ابواب للجنة اذ كان امتثالها على الوجه المامور بها مستلزما للوصول الى الجنة

فان باب كل شئ هو ما يدخل اليه منه ويتوصل به اليه ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله في الصلوة انها مفتاح
الجنة وفي الصوم ان للجنة بابا يقال لها الريان لا يدخلها الا الصائمون الثاني من اوصاف الجهاد انه باب فتحه
الله لخاصة اوليائه والمراد بخواص الاولياء المخلصون له في المحبة والعبادة وظاهر ان المجاهد لله لا لغرض
آخر من خواص الاولياء وذلك لان المرء المسلم اذا فارق اهله وولده وماله واقدم على من يغلب على ظنه انه
اقوى منه كما امر المسلمون بان يثبت احدهم لعشرة من الكفار ثم يعلم انه لو قهره لقتله واستباح ذريته وهو
في كل تلك الاحوال صابر شاكر معترف بالعبودية لله مسلّم امره الى الله فذلك هو الولي الذي قد اعرض عن
غير الله رأسا وقهر شيطانه قهرا وآيسه ان يطيع له امرا فان قلت اذا كان الغرض من العبادات هو جهاد النفس
والاخلاص لله وكان تخصيص الجهاد بالوصفين المذكورين لاستلزامه ذلك المعنى لم يوجح لساير العبادات
مزية عليه فما معنى قول الصحابة وقد رجعوا من جهاد المشركين رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قلت
يحتمل معنيين احدهما ان الجهاد الظاهر ليس كل غرضه الذاتي هو جهاد النفس بل بما كان من اعظم اغراضه
هو قهر العدو الظاهر ليستقيم الناس على الدين الحق وينتظم امرهم في سلوكه ولذلك دخل فيه من لا يراد
منه الا ذلك كالمؤلفة قلوبهم وان كانوا كفارا وذلك بخلاف ساير العبادات اذ غرضها ليس الا جهاد النفس
ولا شك انه هو الجهاد الاكبر اما اولا فباعتبار مضرة العدوين فان مضرة العدو الظاهر مضرة دنياوية
فانية ومضرة الشيطان مضرة اخروية باقية ومن كانت مضرته اعظم كان جهاده اكبر واهم واما ثانيا فلان
مجاهدة عدو ظاهر ومع ذلك فلا يزال محادعا غارا لا ينال غرضه الا بالخروج في زي الناصحين الاصدقاء
ولا شك ان الاحتراز من مثل هذا العدو اصعب وجهاده اكبر من جهاد عدو مظهر للعداوة يقاتله الانسان
في عمره مرة او مرتين نفس لذلك تخصيص الجهاد بالاصغر ومجاهدة النفس بالاكبر المعنى الثاني ان قلنا ان
الغرض من الجهاد الاصغر هو جهاد النفس لا ان جهادها في حال جهاد العدو الظاهر قد يكون اسهل وذلك
ان القوى البدنية كالغضب والشهوة تثوران عند مشاجرة العدو وطلب الدفع وتصيران مطيعتين للنفس
الانسانية فيما تراه وتامر به فلا يكون عليها كثير كلفة في تطويع تلك القوى بخلاف ساير العبادات فان
طباع تلك القوى معاكسة فيها لراي النفس فلذلك كان جهادها في ساير العبادات اصعب واكبر من جهادها
في حال الحرب والله اعلم الثالث كونه لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة واستعار له لفظ اللباس
والدرع والجنة ثم رشح الاستعارتين الاخيرتين بوصفي الحصانة والوثاقة ووجه المشابهة ان الانسان يتقي
به شر العدو واسوء العذاب يوم القيمة كما يتقي بثوبه ما يؤذيه من حر او برد وبدرعه وجنته ما يخشاه من
عدوه ثم اردف عليه السلام ممادح الجهاد بتوعد من تركه رغبة عنه من غير عذر يوجب تخلفه بامور منفور
عنها طبعا منها انه يشمله بالترك لان يلبسه الله ثوب الذل واستعار لفظ الثوب للذل ولفظ اللباس
لشموله ووجه المشابهة احاطة الذل به احاطة الصفة بالموصوف كاحاطة الثوب بلابسه وان يشمله بلا

العدو فيذلله بالصغار والقماءة وان يضرب على قلبه بالاسهاب اي يذهب بجودة عقله العملي في تدبير مصالحه فانما
لحوق الذل به فلان كثرة غارات العدو وتكررها منه موجب لتوهم قهره وقوته وذلك مما ينفعل عنه النفس
بالانقهار والذل وحينئذ تذعن لشمول بلائه وتذهب جودة عقلها في استخراج وجوه المصالح في دفعه ومقاومته
اما لقلة اهتمامها بذلك من عدم طمعها في مقاومته او لغشوتها لخوفه عن ملاحظة وجه المصلحة واطلاق لفظ
الضرب على قلبه استعارة كقوله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة ووجه الشبه فيهما الاحاطة فلذا العقل به
كاحاطة القبة المضروبة بمن فيها او للزومه فلذا العقل لكثرة الطين المضروب على الحائط له ويحتمل ان يراد
بالاسهاب كثرة الكلام من غير فائدة فان الانسان حال الخوف والذل كثيرا ما يخبط في القول ويكثره من غير
اصابة فيه وكذلك لحوف ما في الامور بكاء اللاحق منه وغلبة العدو له وعدم الشفاء فيه امر ظاهر عن
ترك جهاد عدوه مع التمكن من ذلك وهي امور منفور عنها طبعا ومضرة عاجلة من لحقه في الدارين وقد ورد
في التنزيل الالهي من فضل الجهاد والحث عليه امور كثيرة كقوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير
اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين
درجة وقوله فضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وقوله وجاهدوا
في الله حق جهاده وقوله ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ونحو ذلك **وقوله** الا واني قد دعوتكم الى آخره لما
ذكر صدر الخطبة اردفه بتفصيل غرضه مما احله فيه وهو حثهم على الجهاد وتوبيخهم على تركه فنبههم اولا على ما
كان دعاهم اليه قبل من قتال معوية واصحابه مرارا كثيرة وذكرهم نصيحته السابقة لهم في امرهم بغزو عدوهم
قبل ان يغزوهم ويذكرهم بما كان اعلمهم اولا من القاعدة الكلية المعلومة بالتجربة والبرهان وهو انه
ما غزي قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا وقد اشرنا الى علة ذلك وهو ان للاوهام افعالا عجيبة في الابدان
تارة بزيادة القوة وتارة بنقصانها حتى ان توهم ربما كان سببا لمرض الصحيح لتوهمه المرض وبالعكس فكان
السبب في ذل من غزي في داره وان كان معروفا بالشجاعة هو الاوهام اوهامهم فلانها تحكم بانه لم يغلب
على غزوهم الا لقوة غازيهم واعتقاده فيهم الضعف بالنسبة اليه فتنفعل اذن نفوسهم عن تلك الاوهام
وتنقهر عن المقاومة وتضعف عن الانبعاث وتزول غيرتها وحينئذ يحصل على طرف رذيلة الذل اما او
غيرهم فلان الغزو الذي يلحقهم يكون باعثا لكثير الاوهام على الحكم بضعفهم ومحركا لطمع كل طامع فيهم
فيثير ذلك لهم احكاما وهمية يعجزهم عن المقاومة ثم اردف ذلك بما قابلوا به نصيحته من تواكلهم وعادلهم
عن العمل بمقتضى امره الى غاية ظهور العدو عليهم وتفريق الغارات من كل جانب على اوطانهم وحدودهم
ثم عقب ذكر العدو المطلق بذكره في شخص معين مشاهد ونبههم عليه ليكونوا الى التصديق بظهور العدو
عليهم اقبل وقص عليهم ما احدث من ورود خيله ديارهم وقتله لعاملهم وازالة خيلهم عن ثغورهم ومسالحهم
وهتك المسلمات والمعاهدات وسلب اموال المسلمين وساير ما عدوه على الوجه المذكور مما هو مستقصى

عن الايضاح ثم ختم ذلك القصص بان الاولى ان يلحق المسلم الحق ذا الغيرة والحمية منه من الاسف والحزن المميت
له بسبب ما يشاهد من الاحوال المنكرة الواقعة بالمسلمين مع تقصيرهم عن مقاومته عدوهم كل ذلك التعديد
لتمهيد قوانين حسن معه توبيخهم وذمهم على التقصير فيما ينبغي لهم من امتثال امره وقبول مشورته فيما هو الاولى
والاصلح ثم اردف ذلك بالتعجب من حالهم تاكيدا لذلك التمهيد فنادى العجب من حالهم منكرا لحصوله كانه غني
متعين في حال ندائه ثم تعين سببه وحصر فكره ليصفه بالشدة ونصبه على المصدر الكائن لمنكرا حسن ومتعين قال
عجبت عجبا من شانكم او كذا ونحو هذا المنادي قوله تعالى يا بشرى في قراءة من قرا بغير اضافة ويحتمل ان يكون العجب
الاول منصوبا على المصدر ايضا والثاني للتاكيد او لما ذكرناه ويكون المنادى محذوفا فالتقدير يا قوم او نحوه وانما
وصفه بانه يميت القلب ويجلب الهم فاعلم ان السبب في التعجب من الامر هو عدم اطلاع النفس على اسبابه الخفية
مع كونه في نفسه امرا غريبا ولذلك وضع اهل اللغة ولهم ما افعله صيغة للتعجب كقولك ما احسن زيدا
وعلمت ان التقدير فيها الشيء العظيم ما سبب حسنه وكلما كان الامر اغرب واسبابه اخفى كان اعجب فاذا كان امرا
خطرا مهما وانبعثت النفس لطلب سببه فقد يعجز عن تحصيله وتكل القوة المتخيلة عن تعيينه فيحدث بسبب
عدم الاطلاع على سببه هم وغم لانه كالمرض الذي لا يمكن علاجه الا بالوقوف على سببه فيسمى ذلك الهم
موتا للقلب تجوزا بلفظ الموت في الهم والغم تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه او اطلاقا لاسم المسبب على
السبب لما عرفت ذلك فنقول ان حال قومه عليه السلام في تفرقهم عن حقهم مع علمهم بحقيته وحال اجتماعهم
على باطلهم مع اشتراكهم في الشجاعة وكون قومه واثقين برضا الله لو امتثلوا امره من العجب المميت للقلب الذي
لا يهتدى بسببه واما انه يجلب الهم فظاهر اذ كان حاله عليه السلام معهم كحال الطبيب لمرضى لزم بعلاجهم
مع فطر امراضهم وعدم لزومهم لما يامر به من حمية او شرب دواء وظاهر ان تلك الحال مما يجلب هم الطبيب
لما ظهر لهم التعجب ووصفه بالشدة اعقبه بذكر الامر المتعجب منه ليكون في نفوسهم اوقع ثم اردف ذلك
بالدعاء عليهم بالبعد عن الخير والحزن بسبب تفريطهم واعقبه بالتوبيخ لهم والتبكيت بما يانف منه اهل المروة
والحمية ويوجب لهم الخجل والاستحياء من صيرورتهم بسبب تقصيرهم غرضا للرماة يغار عليهم وقد كان للاولى
بهم ان يغيروا ويغزون ويعصى الله مع رضاهم بذلك ثم حكى صور اعذارهم في التخلف عن امره وهي تارة شدة
الحر وتارة شدة القر ونحوها من الاعذار التي يدوق العاقل منها طعم الكسل والفتور وانه لم يكن لهم بها
مقصودا الا المدافعة ثم تسلم تلك الاعذار منهم واستثناها وجعلها مهادا للاحتجاج عليهم بقوله فانتم والله
من السيف افر وذلك لان الفار من الاهون فار من الاشد بطريق الاولى اذ لا مناسبة لشدة الحر والبرد
مع القتل والحياة الدنيا بالسيف ثم اردف ذلك التبكيت بالذم لهم بثلاثة اوصاف احدها انه نفى عنهم صفة
الرجولية لاستجماعها ما ينبغي من صفات الكمال الانساني كالشجاعة والانفة والحمية والغيرة وعدم هذه
الكمالات فيهم وان كانوا بالصور المحسوسة للرجال الموجبة لتشبههم بهم وذلك قوله يا اشباه الرجال ولا

رجال وثانيها انه وصفهم بحلوم الاطفال وذلك ان ملكة الحلم ليس بحاصل للطفل وان كانت قوة الحلم حاصلة
له لكن قد يحصل له ما يتصور بصورة الحلم لعدم التسرع الى الغضب عن خيال يرضيه واغلب احواله ان يكون
ذلك في غير موضعه وليس له يحصل له ملكة تكسب نفسه طمانينة كما في حق الكاملين فهو اذن نقصان
ولما كانوا تاركوا امره عليه السلام بالجهاد وقد تركوا القتال ومتحملا عن دفع خيال كثر كهم الحرب بصفين عن
خدعة اهل الشام لهم بالمسالمة وطلب المحاكمة الى كتاب الله ورفع المصاحف فقالوا اخواننا في الدين فلا
يجوز لنا قتالهم كان ذلك حلما في غير موضعه حتى كان من امرهم ما كان فاشبه رضى الصبيان فاطلق اسمه
عليه وثالثها الحاق عقولهم بعقول ربات الحجال وذلك للمشاركة في النقصان وعدم عقليتهم لوجوه المصالح
المختصة بتدبير المدن والحروب ثم عرفهم محبته لعدم رؤيتهم وعدم معرفتهم لاستلزامها ندمهم على الدخول
في امرهم والحزن من تقصيرهم في الذب عن الدين لان المتولي لامر يغلب على ظنه استقامته حتى اذا دخل فيه
وطلب انتظامه وجده غير ممكن له لا بد وان يندم على تضييع الوقت به ويحزن على عدم امكانه وهذه حاله
عليه السلام مع اصحابه ولذلك حزنت الانبياء عليهم السلام على تقصير اممها حتى عاتبهم الله تعالى على ذلك كقوله
لنبيه صلى الله عليه وآله ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين
ثم عاد الى الدعاء عليهم والشكاية منهم وذلك قوله قاتلكم الله الى آخره واعظم بما دعا عليهم به فان المقاتلة
لما كانت مستلزمة للعداوة والعداوة مستلزمة لاحكام كاللعن والطرد والبعد عن الشفقة والخير
من جهة العدو وكان اطلاق المقاتلة والعداوة على الله تعالى يجب حقيقتهما غير ممكن كان اطلاق لفظ
المقاتلة والعداوة مقصودا به لوازمهما كالابعاد عن الرحمة مجاز قال المفسرون معنى قول العرب قاتلكم
الله اي لعنكم وقال ابن الانباري المقاتلة من القتل فاذا اخبر الله بها كان معناه اللعنة منه لان من لعنه
الله فهو بمنزلة المقتول الهالك **وقوله** لقد ملأتم قلبي قيحا اشارة الى بلوغ الغاية في تالمه الحاصل من
شدة الاهتمام بامرهم مع تقصيرهم وعدم طاعتهم لاوامره فعبر بالقيح عن الم قلبه مجازا من باب اطلاق اسم
الغاية اذ كان غاية الم العضو تقيحه وكذلك اطلاق لفظ الشحن عن فعلهم المولم لقلبه مجاز لان الشحن
حقيقة في حشو بين جسمين وكذلك وجرعتموني نغب التهمام انفاسا اي جلبتم الي الهم وقتا فوقتا مجاز
لان التجريع عبارة عن ادخال الماء او نحوه في الحلق وطريان الهم على نفسه وما يلزم الهم من الالام البدنية
على بدنه وتكرار ذلك منهم يشبه طريان المشروب وتجريعه وقوله انفاسا مجاز في الدرجة الثانية فان النفس
حقيقة لغوية في الهواء الداخل والخارج في بدن الحيوان من قبل الطبيعة ثم استعمل عرفا للقدر ما يشرب من
الشراب في مدة ادخال الهواء بقدر الحاجة اطلاقا لاسم المتعلق ثم استعمله هاهنا في كل مقدار من الهم
يرد عليه من قبل اصحابه وقتا فوقتا وهو درجة ثانية من المجاز وقوله وافسدتم رايي بالعصيان من تمام
شكايته منهم ومعنى افسادهم له خروجه بسبب عدم التفاتهم الى امره عن ان يكون منتفعا به لغيرهم حتى قالت قريش

انه وان كان رجلا شجاعا الا انه غير عالم بالحرب فان الخلق اذا راوا من قوم سوء تدبير او تقتضى راى فاسد
كان الغالب ان ينسبوه الى رئيسهم ومقدمهم ولا يعلمون انه عليه السلام الالمعى الذى يرى الراى كان قد
راى وقد سمع وان التقصير من قومه ثم اردف ذلك بالرد على قريش فى نسبتها الى قلة العلم بالحرب بقوله
لله ابوهم الى آخره وهى كلمة من ممادح العرب ثم سالهم عن وجود من هو اشد للحرب مقاساة لها واقدم منه فيها
مقاما سؤالا على سبيل الانكار عليهم ونبه على صدقه بنهوضه فى الحرب ومعاناته لاهوالها عامة عمره وهو
من قبل بلوغ العشرين الى آخر عمره ثم بين ان السبب فى فساد حال اصحابه ليس ما تخيلته قريش فيه من ضعف
الراى فى الحرب كما يزعمون بل هو عدم طاعتهم له فيما يراه ويشير عليهم به وذلك قوله ولكن لا راى لمن لا يطاع
فان الراى الذى لا يقبل بمنزلة الفاسد وان كان صوابا والمثل له عليه السلام ومن خطبة له عليه السلام اما
بعد فان الدنيا قد ادبرت واذنت بوداع وان الآخرة قد اقبلت واشرفت باطلاع الا وان اليوم المضمار
وغدا السباق والسبقة الجنة والغاية النار افلا تائب من خطيئته قبل منيته الا عامل لنفسه قبل يوم
بؤسه الا وانكم فى ايام امل من ورائه اجل فمن عمل فى ايام امله قبل حضور اجله فقد نفعه عمله ولم يضره
اجله ومن قصر فى ايام امله قبل حضور اجله خسر عمله وضره اجله الا فاعملوا فى الرغبة كما تعملون فى الرهبة
الا وانى لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها الا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن لا
يستقيم به الهدى يجر به الضلال الى الردى الا وانكم قد امرتم بالظعن ودللتم على الزاد وان اخوف ما اخاف
عليكم اثنتان اتباع الهوى وطول الامل فتزودوا فى الدنيا من الدنيا ما تحرزون به انفسكم غدا قال الرضى
رحمه الله واقول انه لو كان كلام يأخذ بالاعناق الى الزهد فى الدنيا ويضطر الى عمل الآخرة لكان هذا الكلام
وكفى به قاطعا لعلائق الآمال وقادحا زناد الاتعاظ والازدجار ومن اعجبه قوله عليه السلام الا وان اليوم
المضمار وغدا السباق والسبقة الجنة والغاية النار فان فيه مع فخامة اللفظ وعظم قدر المعنى وصادق
التمثيل وواقع التشبيه سرا عجيبا ومعنى لطيفا وهو قوله عليه السلام والسبقة الجنة والغاية النار فخالف
بين اللفظين لاختلاف المعنيين ولم يقل والسبقة النار كما قال والسبقة الجنة لان الاستباق انما يكون الى
امر محبوب وغرض مطلوب وهذه صفة الجنة وليس هذا المعنى موجودا فى النار نعوذ بالله منها فلم يجز ان يقول
والسبقة النار بل قال والغاية النار لان الغاية قد ينتهى اليها من لا يسره الانتهاء اليها ومن يسره ذلك فصلح ان يعبر
بها عن الامرين معا فهى فى هذا الموضع كالمصير والمآل قال الله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار ولا يجوز
فى هذا الموضع ان يقال فان سبقتكم الى النار فتامل ذلك فباطنه عجيب وغوره بعيد لطيف وكذلك اكثر
كلامه عليه السلام وقد جاء فى رواية اخرى والسبقة بضم السين والسبقة عندهم اسم لما يجعل للسابق اذا
سبق من مال او عوض والمعنيان متقاربان لان ذلك لا يكون جزاء على فعل الامر المذموم وانما يكون جزاء
على فعل الامر المحمود اقول هذا الفصل من الخطبة التى اولها الحمد لله غير مقنوط من رحمته وهى بعد

وانما

وانما قدمها الرضى عليها لما سبق من اعتذاره فى خطبة الكتاب انه لا يراعى التتالى والنسق فى كلامه عليه السلام
وقوله ادبر ودبر اى ولى دبره وآذنت اى اعلمت واشرفت اى اطلعت والمضمار المدة التى يضمر فيها الخيل للمسابقة
اى يعلف حتى يسمن ثم يرد الى القوت والمدة اربعون يوما وقد يطلق على الموضع الذى يضمر فيه ايضا والسباق
مصدر مرادف للمسابقة وهو ايضا جمع سبقة كنطفة ونطاف وسبقة كجهلة وجهال والسبق كحمل وحمال فالسبقة
اسم لما يجعل للسابق من مال او عرض والمنية الموت والبؤس شدة الحاجة ويحرزون يحفظون واعلم ان
هذا الفصل يشتمل على احد عشر تنبيها الاول على وجوب النفار عن الدنيا وعدم الركون اليها وذلك قوله
الا وان الدنيا قد ادبرت واذنت بوداع واشار بادبار الدنيا واعلامها بالوداع الى تقضى الاحوال الحاضرة
بالنسبة الى كل شخص من الناس من صحة وشباب وجاه ومال وكل ما يكون سببا لصلاح حال الانسان
وان كل ذلك اجزاء للدنيا لدنوها من الانسان ولما كانت هذه الامور ابدا فى التغير والتقضى المستلزم
لمفارقة الانسان لها وبعدها عنه لا جرم حسن اطلاق اسم الادبار على تقضيها وبعدها استعارة تشبيها
لها بالحيوان فى ادباره فقيل لكل امر يكون للانسان فيه من خير او شر اذا كان فى اوله اقبل واذا كان فى آخره
وبعد تقضيه ادبر وكذلك اسم الوداع فان التقضى لما استلزم المفارقة وكانت مفارقة الدنيا مستلزمة
لاسف الانسان عليها ووجده بها اشبه ذلك ما يفعله الانسان فى حق صديقه المرتحل عنه فى وداعه له من
الاسف على فراقه والحزن والبكاء ونحوه فاستعير لهم الوداع لذلك ورشح باعلامها بذلك عن الشعور الحاصل
بمفارقتها من تقضيها شيئا فشيئا وهو اعلام بلسان الحال الثانى التنبيه على الاقبال على الآخرة والتيقظ للاستعداد
لها بقوله الا وان الآخرة قد اقبلت واشرفت باطلاع ولما كانت الآخرة عبارة عن الدار الجامعة للاحوال التى
يكون الناس عليها بعد الموت من سعادة وشقاوة والم ولذة وكان تقضى العمر مقربا للوصول الى تلك
الدار والحصول فيما يشتمل عليه من خير او شر حسن اطلاق لفظ الاقبال عليها مجازا ثم نزلها لشرفها
على الدنيا فى حال اقبالها منزلة عال عند سافل فاسند اليها لفظ الاشراف ولاجل احصاء الاعمال التى
بها منزلة عالم مطلع فاطلق عليها لفظ الاطلاع ويحتمل ان يكون اسناد الاشراف بكيفية الاطلاع الى
رب الآخرة وانما عبر بالآخرة عنه تعظيما لجلاله كما يكنى عن الرجل الفاضل بمجلسه وحضرته وتكون كيفية
الاطلاع هى قرينة ذلك الثالث التنبيه على وجوب الاستعداد بذكر ما يستعد لاجله وهو السباق وذكر ما
يستبق اليه وما هو غاية المقصر المتخلف عن نداء الله وذلك قوله الا وان اليوم المضمار الى قوله والغاية النار
وكنى باليوم عن مدة عمر الانسان الباقية له واخبر بالمضمار عنها واعلم انه قد ورد المضمار والسباق مرفوعين
ومنصوبين فاما رفع المضمار فلانه خبر ان واليوم اسمها وانما اطلق اسم المضمار على تلك المدة لما بينهما
من المشابهة فان الانسان فى مدة عمره يستعد بالتقوى ويرتاض بالاعمال الصالحة لتكمل قوته فيكون
من السابقين الى لقاء الله والمقربين فى حضرته كما يستعد الفرس بالتضمير للسبق مثلا واما نصبه فيتسلك

او يحتمل ان يقال ان المضمار زمان فلو اخبرنا عنه باليوم لكان ذلك اخبارا بوقوع الزمان فى الزمان فيكون
الزمان محتاجا الى زمان آخر وذلك محال وجوابه لا نسلم ان الاخبار بوقوع الزمان فى الزمان يحوج للزمان
الى زمان آخر فان بعض اجزاء الزمان قد يخبر عنها بالزمان بمعنى انها اجزاؤه والجزء فى الكل لا بمعنى انها
حاصلة فى زمان آخر وان كان انما يحسن الاخبار عنها به اذا قيدت بوصف او اشتملت على احداث يختص
بها كما تقول ان مصطبح القوم اليوم فكذلك المضمار لما كان وقتا مشتملا على التضمير وهو حدث صح
الاخبار عنه باليوم واما نصب السباق فلانه اسم ان اى وان غدا السباق وكنى بغد عما بعد الموت واما
رفعه فلا وجه له الا ان يكون مبتدأ خبره غدا ويكون اسم ان ضمير الشان وقال بعض الشارحين يجوز ان يكون
خبر ان وهو ظاهر الفساد لان الحكم بشىء على شىء اما بمعنى انه هو هو كما يقال الانسان هو الضحاك وهو ما
يسميه المنطقيون حمل المواطاة او على ان المحكوم عليه ذو المحكوم به كما يقال الجسم ذو بياض وهو ما يسمى حمل
الاشتقاق ولا واحد من المعنيين بحاصل فى الحكم بالسباق على غدا فيمتنع ان يكون خبر ان اللهم الا على
تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اى وان غدا وقت السباق لكن لا يكون السباق هو الخبر
فى الحقيقة ثم ان قلنا ان السباق مصدر كان التقدير وضمروا انفسكم اليوم فانكم غدا تستبقون وتحقيق
ذلك ان الانسان كلما كان اكمل فى قوتيه النظرية والعملية كان وصوله الى حضرة القدس قبل وصول
من هو انقص منه ولما كان مبدأ النقصان فى هاتين القوتين انما هو محبة ما عدا الواحد الحق واتباع الشهوات
والميل الى انواع اللذات الفانية والاعراض بسبب ذلك عن تولى القبلة الحقيقية وكان مبدأ الكمال فيهما هو
الاعراض عما عدا الواحد الحق من الامور المعدودة والاقبال عليه بالكلية وكان الناس فى محبة الدنيا وفى
الاعراض عنها والاشتغال بطاعة الله على مراتب مختلفة ودرجات متفاوتة كان كون اليوم هو المضمار
وغدا السباق متصورا جليا فان كل من كان اكثر استعدادا واقطع لعلائق الدنيا عن قلبه لم يكن له بعد الموت
عائق يعوقه عن الوصول الى الله وما اعد له فى الجنة من الثواب الجزيل بل كان خفيف الظهر ناجيا من ثقل الوزر
كما اشار اليه الرسول صلى الله عليه وآله بقوله نجا المخففون وكما سبق من اشارة على عليه السلام الى ذلك بقوله
تخففوا تلحقوا فيكون بعد الموت سابقا لمن كان اضعف استعدادا منه ممن كبت عقارب الهيئات البدنية والملكات
الردية قلبه واثقلته الاوزار على ظهره واوجبت له التخلف عن درجة السابقين الاولين وكذلك يكون سبق هذا
بالنسبة الى من هو اقل استعدادا منه واشد علاقة للدنيا بقلبه فكان معنى المسابقة ظاهرا وان كان استعارة
من السباق المتعارف بين العرب واما ان قلنا ان السباق جمع سبقة اسم لما يستبق اليه ويجعل للسابق فالمعنى
ايضا ظاهر فان ما يستبق اليه انما يكمل الوصول اليه بعد المفارقة ويكون الاستباق انما قبل المفارقة وهو
السعى فى درجات الرياضات كما اشار اليه سبحانه بقوله سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء
والارض اعدت للذين آمنوا الآية وقوله فاستبقوا الخيرات وبعد المفارقة كما اشرنا اليه يكون قوله بعد

ذلك

ذلك والسبقة الجنة تعيينا للمستبق اليه بعد التنبيه عليه اجمالا واما قوله والغاية النار فالذى ذكره الرضى
رضى الله عنه فى تخصيص الجنة بالسبقة والنار بالغاية حسن وكاف فى بيان مراده عليه السلام الا انه ينبغى هيهنا
بحث وهو ان هذه الغاية من اى الغايات هى وهل هى غاية حقيقة او لازمة للغاية فنقول ولازمة للغاية ان
ما ينتهى اليه قد يكون لسوق طبيعى وقد يكون لسوق ارادى وكل واحد منهما قد يكون ذاتيا وقد يكون عرضيا
فالسوق الذاتى منهما يقال له غاية اما طبيعة كاستقرار الحجر فى حيزه عن حركته لسوق طبيعته له اليه واما ارادية
كغايات الانسان من حركاته المنتهى اليها بسوق ارادته واما المنتهى اليه بالسوق العرضى فهو من لوازم احدى
الغايتين وقد يسمى غاية عرضية فاللازم عن الطبيعة كمنع الحجر غيره ان يحل بحيث هو فان ذلك من لوازم
استقراره فى حيزه وعن الارادية كاستظلال الباد بسراج جاره فان ذلك من لواحق استضاءته وكهلاك الطائر
فى حبائل الصياد عن الميل الى التقاط الحبة اذا عرفت ذلك فنقول ان كون النار غاية بهذا المعنى الرابع وبيانه
ان محبة الدنيا والميل اليها والانهماك فى مشتهياتها سواء كان معها سكنة للانسان بالله تعالى او لم يكن
فان من لوازمها الانتهاء الى النار الا ان يشاء الله كما قال تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له
فى الآخرة من نصيب وكان المقصود الاول للانسان هو نيل اللذات الحاضرة لكن لما كان من لوازم
الوصول الى تلك اللذات والاقبال عليها دخول النار والانتهاء اليها كانت غاية عرضية الرابع التنبيه
على التوبة قبل الموت وهو قوله افلا تائب من خطيئته قبل منيته ولا شك انها يجب ان تكون متقدمة على
الاعمال لانك علمت ان التوبة هى رجوع النفس الغافلة عن متابعة النفس الامارة بالسوء لجاذب الحق الى طلب
ما كانت عليه من اتباع شياطينها وهو من مقام الزهد والتخلى وقد علمت فى بيان كيفية السلوك الى
الله تعالى ان مقام التخلية مقدم على مقام التحلية فكان الامر بها مقدما على الامر بسائر الطاعات الخامس
التنبيه على العمل للنفس قبل يوم البؤس والاشارة به الى ما بعد الموت والعذاب اللازم للنقصان اللازم
عن التقصير فى العمل اذ الواصل الى يوم بؤسه على غير عمل اسير فى يد شياطينه وقد علمت ان غاية الاسر
فى يد الشيطان دخول النار والحجب عن لقاء رب العالمين ولما كان العمل هو المعين على قهر الشيطان و
المخلص من اسره نبه عليه ثم اردفه بالتنبيه على وجود الزمان الذى يمكنهم فيه العمل وهو ايام آمالهم للعمل و
وعلى ان ذلك الزمان منقطع بلحوق الاجل ثم اردفه ببيان فايدة العمل فى ذلك الزمان وهى المنفعة بالثواب
فى الآخرة وما يلزمها من عدم مضرة الاجل وبيان ثمرة التقصير فى العمل فيه وهى خسران العمل المستلزم لمضرة
الاجل وحسن باستعارته عليه السلام لفظ الخسران لفوات العمل فان الخسران فى البيع لما كان هو النقصان
فى راس المال او ذهابه جملة وكان العمل وهو راس مال العامل الذى به يكتسب الكمال والسعادة الاخروية
لا جرم حسنت استعارة لفظ الخسران لعدم العمل واما استلزام المنفعة لعدم مضرة الموت واستلزام الخسران
لمضرة فهو امر ظاهر اذ كان الكامل فى قوتيه المعرض عن متاع الدنيا غير ملتفت اليها بعد المفارقة فلم يحصل

لربيها تعذيب فكانت المضرة منفية عنه وكان المقصر عن الاستكمال فيهما من ضرورة طباعه الميل الى
اللذات الحسية فاذا قصر عن العمل والتعلق بطاعة الله الجاذبة اليه وان لم يتحقق بحضور الاجل وكان
الاجل قاطعا لزمان الاستكمال وحايلا بين الانسان وبين ما هو معشوق له من خاص اللذات السادس
التنبيه على وجوب التسوية للعامل بين العمل في الرغبة والعمل في الرهبة وفيه شيمة التوبيخ للعبد على
غفلته عن ذكر الله واعراضه عن عبادته في حال صفاء اللذات الحاضرة له وكتابته اليه وفزعه عند نازلة
ان نزلت به فان ذلك ليس من شان العبودية الصادقة لله والى مثل هذا التوبيخ اشار التنزيل الالهي بقوله
واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا
وغيره من الايات بل من شان العابد لله القاصد له ان يتساوى عبادته في زمان شدته ورخائه فيقابل
الشدة بالصبر والرخاء بالشكر وان يعبده لا لرغبة ولا لرهبة وان عبده فيهما السابع قوله الا وانى
لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها واعلم ان الضمير في قوله طالبها وهاربها يعودان الى المفعول
الاول لرايت المحذوف المشبه في الموضعين والتقدير لم ار نعمة كالجنة نام طالبها ولا نقمة كالنار ونام في
محل النصب مفعولا ثانيا ومعنى هذا الكلام انه نفى علمه بما يشبه الجنة مما يشبهه وما يشبه النار ولم ينف
علمه بذات ذلك الشبيه بل علمه به من جهة الشبه وهي نوم الطالب الهارب ولذلك استدعى معنى
اعلم ههنا مفعولين اى لم ار نعمة كالجنة بصفة نوم الطالب لها فنبه على وجه الشبه بقوله نام طالبها ثم
نفى الشبه من تلك الجهة وكذلك قوله ولا كالنار بصفة نوم هاربها والمفعول الثانى في الجملتين صفة
جارية على غير من هي له وهو تنبيه للموقنين بالجنة والنار على كونهم نائمين في مراقد الطبيعة لينتبهوا ويستيقظوا
للاستعداد بالعمل التام لما وراءهم من مرغوب ومرهوب وفيه شيمة التعجب من جمع الموقن بالجنة والنار بين
علمه بما في الجنة من تمام النعمة وتقصيره عن طلبها بما يودى اليها من الاعمال الصالحة وجمع الموقن بالنار بين
علمه بما فيها من عظيم العذاب وبين تقصيره وغفلته عن الهرب الى ما يخلص منها من ذلك الثامن قوله الا
وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل في الضمير الشان واراد بالحق الاقبال على الله بلزوم الاعمال الصالحة
المطابقة للعقايد المطابقة وبالباطل الالتفات عنه الى غير ذلك مما لا يجدى نفعا في الاخرة وهو تنبيه
على استلزام عدم منفعة الحق لمضرة الباطل في صورة شرطية متصلة وبيان الملازمة فيها ظاهر فان وجود
الحق مستلزم لمنفعته فعدم منفعته اذن مستلزم لعدمه وعدمه مستلزم لوجود الباطل لان اعتقاد المكلف
وعمله اما ان تطابقا اوامر الله تعالى ولم يعدوا الاول هو الحق والثانى هو الباطل وظاهر ان عدم الاول
مستلزم لوجود الثانى ثم ان وجود الباطل مستلزم لمضرته فيظهر بهذا البيان ان عدم منفعة الحق مستلزم
لوجود مضرة الباطل واذا ثبت ذلك فنقول مراده عليه السلام المشورة بلزوم الحق المستلزم لمنفعته وترك
الباطل المستلزم لعدم مضرته فان لزوم الطاعة لله بامتثال اوامره والاقبال عليه مستلزم للوصول

الوجود

الى جواره المقدس والالتفات الى ما عداه المعبر عنه بالباطل مستلزم للنقصان الموجب للتخلف عن
السابقين والهوى في دركات الهالكين وذلك محض المضرة فظهر اذن سر قوله عليه السلام انه من لم ينفعه
الحق يضره الباطل ومن غفلة بعض من يدعى العلم عن بيان هذه الملازمة ذهب الى ان الوعيدات الواردة
في الكتب الالهية انما جاءت للتخويف دون ان يكون هناك شقاوة للعصاة محتجا على ذلك بتمثيلات
خطابية عن مشهورات في بادى الراى اذا تعقبها النظر زالت شهرتها التاسع ومن لا يستقيم به الهدى يجر به
الضلال الى الردى اراد بالهدى نور العلم والايمان وبالضلال الجهل والخروج عن امر الله والمعنى ان من
لم يكن الهدى دليله القايد له ونام عقله في سبيل الله ويستقيم به في سلوك صراط المستقيم فلا بد وان
يجره الضلال عن سواء الصراط الى احد جانبي التفريط والافراط وملازمة هذه الشرطية ايضا ظاهرة
لان وجود الهدى لما استلزم وجود استقامة الانسان على سواء السبيل كان عدم استقامة الهدى به مستلزما
لعدم الهدى المستلزم لوجود الضلال المستلزم للجور بالانسان الى مهاوى الردى والعدول به عن الصراط
المستقيم الى سواء الجحيم العاشر قوله الا وانكم قد امرتم بالظعن ودللتم على الزاد وهو تنبيه على مثل
الاوامر الواردة بالظعن كقوله تعالى ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين وكقوله تعالى سابقوا الى مغفرة
من ربكم وعلى الامر باتخاذ الزاد كقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى واحسن باستعارة الظعن
للسفر الى الله واستعارة الزاد لما يقرب اليه ووجه الاستعارة الاولى ان الظعن لما كان عبارة عن قطع
المراحل المحسوسة بالرجل والجمل ونحو ذلك فكذلك السفر الى الله عبارة عن قطع المراحل المعقولة بقدم
العقل ووجه الثانية ان الزاد لما كان انما يعد لتقوى به الطبيعة على الحركة الحسية وكانت الامور المقربة
الى الله تعالى انما يقوى به النفس على الوصول الى جنابه المقدس كان ذلك من تمام المشابهة التى يقرب معها
اتحاد المتشابهين وبحسب قوة المشابهة يكون حسن الاستعارة الحادى عشر التنبيه على تخوف الامور
التى ينبغى ان تخاف لتجتنب وهو الجمع بين اتباع الهوى وطول الامل وسيذكر عليه السلام هذا الكلام
في موضع آخر مع ذكر علة التحذير من هذين الامرين وسنوضح معناه هناك ويكفي ههنا ان يقال انما
حذر منهما عقيب التنبيه على الظعن والامر باتخاذ الزاد لكون الجمع بينهما مستلزما للاعراض عن الآخرة
فيكون مستلزما لعدم الظعن وعدم اتخاذ الزاد فخوف منهما ليجتنبا فيحصل مع اجتنابهما الاقبال على
اتخاذ الزاد والاهبة للظعن ولذلك اردف التخويف منهما بالامر باتخاذ الزاد في قوله من الدنيا في الدنيا
لطف فان الزاد الموصل الى الله اما علم او عمل وكلاهما يحصلان من الدنيا في الدنيا اما العمل فلانه
عبارة عن حركات وسكنات يستلزم هيات مخصوصة انما يحصل بواسطة هذا البدن وكل ذلك من
الدنيا في الدنيا واما العلم فلان الاستكمال به انما يحصل بواسطة هذا البدن ايضا اما بواسطة الحواس
الظاهرة والباطنة وتفطن النفس لمشاركات بين المحسوسات ومباينات بينها وظاهر ان ذلك من الدنيا

في الدنيا واشار بقوله ما تحرزون به انفسكم غدا الى ان كل زاد يعد به الانسان نفسه للوصول الى جوار الله فقد
تدرع به من عذابه وحفظ به نفسه يوم لا ينفع مال ولا بنون وقد اشتمل هذا الفصل على اسرار لطيفة
لا تنقال الا عن اوامر الله وزواجره واذا تاملت اسلوب كلامه عليه السلام ورايت ما فيه من فخامة الالفاظ
وجزالة المعانى المطابقة للبراهين العقلية وحسن الاستعارات والتشبيهات ومواقعها وصحة ترتيب
اجزائه ووضع كل مع ما يناسبه وجدته لا يصدر الا عن علم لدنى وفيض ربانى وامكنك الفرق بين كلامه
عليه السلام وكلام غيره والتميز بينهما بسهولة وبالله العصمة والتوفيق ومن خطبة له عليه السلام ايها الناس المجتمعة
ابدانهم المختلفة اهواؤهم كلامكم يوهى الصم الصلاب وفعلكم يطمع فيكم الاعداء تقولون في المجالس كيت
وكيت فاذا جاء القتال قلتم حيدى حياد ما عزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم اعاليل
باضاليل دفاع ذى الدين المطول لا يمنع الضيم الذليل ولا يدرك الحق الا بالجد اى دار بعد داركم تمنعون
ومع اى امام بعدى تقاتلون المغرور والله من غررتموه ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب ومن رمى بكم فقد
رمى بافوق ناصل اصبحت والله لا اصدق قولكم ولا اطمع في نصركم ولا اوعد العدو بكم ما بالكم ما دواؤكم
ما طبكم القوم رجال امثالكم اقولا بغير علم وغفلة من غير ورع وطمعا في غير حق اقول روى ان السبب
في هذه الخطبة هو غارة الضحاك بن قيس بعد قصة الحكمين وعزمه على المسير الى الشام وذلك ان معوية
لما سمع باختلاف الناس على على عليه السلام وتفرقهم عنه وقتل من قتل من الخوارج بعث الضحاك بن قيس في نحو من
اربعة الاف فارس واوعز اليه بالنهب والغارة فاقبل الضحاك يقتل وينهب حتى مر بالثعلبية فاغار على الحاج فاخذ
امتعتهم وقتل عمرو بن عميس بن مسعود بن اخى عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله وقتل معه ناسا من اصحابه فلما
بلغ عليا عليه السلام ذلك استصرخ اصحابه على اطراف اعماله واستشارهم الى لقاء العدو فتلكاوا وراى منهم
تشاجرا وفشلا فخطبهم هذه الخطبة ولنرجع الى المتن فالاهواء الاراء والوهى الضعف وكيت كناية عن الحديث
والحياد عن الامر عدل عنه قال الجوهرى قولهم حيدى حياد كقولهم فيحى فياح ونقل ان فياح اسم للغارة
كقطام فحياد ايضا اسم لها والمعنى اعدلى عنا ايتها الحرب ويحتمل ان يكون حياد من اسماء الافعال كنزال فيكون
قد امر بالتنحى مرتين بلفظين مختلفين والاعاليل والاضاليل جمع اعلال واضلال وهما جمع علة اسم لما يتعلل
به من مرض وغيره وضلة اسم من الضلال ومعنى الباطل والمطول كثير المطال وهو تطويل الوعد وتسويفه
والجد الاجتهاد والاخيب الاشد خيبة وهى الحرمان والافوق السهم المكسور الفوق وهو موضع الوتر منه
والناصل الذى لا نصل فيه والمقصود انه عليه السلام نبههم على ما يستقبح في الدين ومراعاة حسن السيرة
من احوالهم واقوالهم وافعالهم واما احوالهم فاجتماع ابدانهم مع تفرق آرائهم الموجب لتخاذلهم عن الذب عن
الدين والمفرق لشمل مصالحهم واما اقوالهم فكلامهم الذى يضعف عند سماعه القلوب الصلبة الثابتة ويطمع
سامعه ان يحدث بعده ثباتا وهو قولهم مثلا في مجالسهم انه لا يحل لخصومنا وانا سنفعل بهم كذا وسيكون منا

كذا

يوهى الصم

غررتموه ومن فاز بكم فاز والله بالسهم الاخيب ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل

كذا وامثاله واستعار لفظ الصم الصلاب من اوصاف الحجارة للقلوب التى تضعف من سماع كلامهم كما نبه
القرآن الكريم بها فهى كالحجارة او اشد قسوة واما افعالهم فهو تعقيب هذه الاقوال عند حضور القتال
الى الحرب بالتخاذل وعدم التناصر والتقاعد عن اجابة داعى الله وكراهية الحرب والفرار عن مقاتلة العدو
وكنى بقوله قلتم حيدى حياد عن ذلك وهى كلمة كانت تستعملها العرب عند الفرار ثم اردف ذلك بما انما
ان يانف منه من يطلب الاستنصار به على وجه التضجر منهم عن كثرة تقاعدهم عن صوته وذلك قوله ما القائل
باضاليل جبر مبتدا محذوف اى واذا دعوتكم الى القتال تعللتم وهى اعاليل باطلة ضلالا عن سبيل
الله وسالتمونى التاخير وتطويل المدة دفاعا وقوله دفاع ذى الدين المطول يحتمل ان يكون تشبيها
لدفاعهم له بدفاع ذى الدين فيكون منصوبا بحذف الجار ويحتمل ان يكون قد استعار دفاع ذى الدين
المطول لدفاعهم فيكون مرفوعا ووجه الاستعارة ان المدين المطول ابدا مشتهى لعدم المطالبة وقوده
ان لا يراه غريمه فكذلك فهم عليه السلام منهم انهم كانوا يحبون ان لا يعرض لهم بذكر القتال ولا يطالبهم
به فاستعار لدفاعهم الدفاع المذكور لمكان المشابهة ثم نبههم على قبح الذل ليغيثوا الى فضيلة الشجاعة
بذكر بعض لوازم المنقرض وهوان صاحبه لا يتمكن ومن دفع الضيم عن نفسه وعلى قبح التوانى والتخاذل
بانه لا يدرك الانسان حقه الا بضد ذلك وهو الجد والتشمير في طلبه ثم اعقب ذلك بالسؤال على جهة
الانكار والتقريع عن تعيين الدار التى ينبغى لهم حمايتها بعد دار الاسلام التى لا نسبة لغيرها اليها
في العز والكرامة عند الله ووجوب الدفع عنها والتى هى موطنهم ومحل دولتهم وكذلك قوله ومع اى امام
بعدى تقاتلون وفيه تنبيه على افضليته وما وسق به من اخلاص نفسه لله في جميع حركاته وتثبيت لهم
على طاعته اذ كان عليه السلام يتوهم في بعضهم الميل الى معوية والرغبة فيما عنده من الدنيا ثم اردف ذلك
بذم من اغتر بكلامهم ونسبه الى الغرور والغفلة ثم بالاخبار عن سوء حال من كانوا حزبه ومن يقاتل
بهم اما الاول فهو قوله المغرور والله من غررتموه والمقصود بالحقيقة ذمهم وتوبيخهم على خلف المواعيد
والمماطلة بالنفار الى الحرب لانه انما ينسب من وثق بهم الى الغرور بعد خلفهم فى وعدهم له بالنهوض
معه وجعله المغرور مبتدا ومن خبره ابلغ في اثبات الغرور لمن اغتر بهم من العكس لاقتضاء الكلام اذن
انحصار المغرور في من اغتر بهم ولا كذلك لو كان من مبتدا واما الثانى فهو قوله ومن فاز بكم فاز بالسهم
الاخيب ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل وقد شبه نفسه وخصومه كاللاعبين بالميسر ولاحظ شبه
حصولهم في حصته بخروج احد السهام الخائبة التى لا غنم لها كالاوغاد والتى فيها غرم كالتى لم يخرج حتى
استوفيت اجزاء الجزور وتحصل لصاحبها غرم وخيبة فلاجل ملاحظة هذا الشبه استعار لهم لفظ السهم
بصفة الاخيب واطلاق الفوز ههنا مجاز في حصولهم له من باب اطلاق اسم احد الضدين على الآخر كتسمية
السيئة جزاء وكذلك لاحظ المشابهة بين رجال الحرب بين السهام في كل منهما عدة للحرب ودفع العدو

كون

ولاحظها ايضا بين ارسالهم فى الحرب وبين الرمى بالسهام فلاجل ذلك استعار اوصاف السهم من الافوق والناصل واستعار لفظ الرمى لمقاتلته بهم ثم خصصهم بارداء اوصاف السهم التى يبطل معها فايدته لتشابه ذلك السهم فى عدم الانتفاع بهم فى الحرب وكانه ايضا خصص بعثه لهم على الحرب باستعارة الرمى بالسهم لزيادة الشبه وهى عدم انبعاثهم عن امره وعجاوزهم اوطانهم كالرمى بالسهم الذى لا فوق له ولا نصل فانه لايكاد يتجاوز عن القوس مسافة وهى من لطايف ملاحظات المشابهة والاستعارة عنها والمعنى ان من حصل فى حزبه فالخيبة حاصلة له فيما يطلبه بكم ومن قاتل بكم عدوه فلا نفع له فيكم ثم اردفه بالاخبار عن تشتت امره نشات عن ساقطته بهم وعدم توفرنا فوا لهم لكثرة خلفهم ومواعيدهم الباطلة بالنهوض معه وهى انه لا يصدقهم لانه اكثر من شئ عرفه ومن امثالهم ان الكذوب لا يصدق وانه لا يطمع فى نصرهم وانه لا يوعد بهم عدوهم اذ كان وعيده بهم مع طول تخلفهم يشعر العدو بذلك مما يوجب جرأته وتسلطه واما ثم من المقاومة ثم اردفه بالاستفهام على سبيل الانكار والتقريع عن حالهم التى توجب لهم التخاذل والتصامم عن ندائه وهو قوله ما بالكم ثم عن دوائهم الصالح للمرض الذى هم فيه ثم عن كيفية علاجهم منه بقوله ما دوائكم ما طبكم وقيل اراد بقوله ما طبكم اى ما عادتكم والاول اظهر والبق ثم نبههم على ما عساهم يتوهمونه من قوة خصومهم وباسهم بانهم رجال امثالكم فى الرجولية التى هى مظنة الشجاعة والباس فلا مزية لهم عليكم فلا معنى للخوف منهم ثم عاد الى سؤالهم على جهة التقريع وتنبههم به على امور لا تنبغى ... مستقبحة فى الشرع والعادة فاولا عن قولهم ما لا يفعلون وهو اشارة الى ما يعدونه به من النهوض الى الحرب ثم لا يفعلون وذلك بقوله اقولا بغير عمل تذكيرا لهم بما يلزم ذلك من المقت عن الله كما اشير اليه فى القرآن الكريم لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وعلى الرواية الثانية وهى اقولا بغير علم اى تقولون بالسنتكم ما ليس فى قلوبكم ولا تعتقدونه وتزعمون بين انا سنفعل كذا وكذا ويحتمل ان يكون معناه تقولون انا مخلصون لله وانا مسلمون ولا تعلمون شرايط الاسلام والايمان وثانيا عن غفلتهم التى ليست عن ورع وهى عدم تعقلهم للمصالح التى ينبغى ان يكونوا عليها وهى طرف التفريط من فضيلة الفطانة وهذه بخلاف الغفلة مع الورع فان تلك ما فيه فى المعاد اذ كان الورع عبارة عن لزوم الاعمال الجميلة المسعدة فى الاخرة فالغفلة معه عن الامور الدنيوية والمصالح المتعلقة بها ليست بضارة بل ربما كانت سببا للخلاص من عذاب ما فى الاخرة وثالثا عن طمعهم فى غير حق اى فى ان يمنحهم ما لا يستحقونه ليهضوا معه ويجيبوا دعوته وكان عليه السلام عقل من بعضهم ان احد اسباب تخلفهم عن ندائه انما هو طمعهم فى ان يوفر عطياتهم ويخصهم بزيادة على ما يستحقون كما فعل غيره مع غيرهم فاشار الى ذلك ونبههم على قبحه من حيث انه طمع فى غير حق والله اعلم ومن كلام له عليه السلام فى معنى قتل عثمان لو امرت به لكنت قاتلا او نهيت عنه لكنت ناصرا غير ان من نصره لا يستطيع ان يقول خذله من انا خير منه ومن خذله لا يستطيع ان يقول نصره من هو خير منى وانا جامع لكم

امره

امره استاثر فاساء الاثرة وجزعتم فاسأتم الجزع ولله حكم واقع فى المستاثر والجازع اقول المستاثر بالشئ المستبد به ومقتضى هذا الفصل تبرئه عليه السلام فى الدخول فى دم عثمان بامر او نهى كما نسبه اليه معاوية وغيره قوله لو امرت به لكنت قاتلا قضية شرطية بين فيها لزوم كونه قاتلا لكونه امرا وهذا اللزوم عرفى اذ يقال فى العرف للامر بالقتل قاتل والامر شريك الفاعل وان كان الفاعل فى اللغة هو المباشر للفعل والذى صدر عنه وكذلك بين قوله او نهيت عنه لكنت ناصرا لزوم كونه ناصرا لكونه ناهيا وهو ظاهر وقد عرفت ان استثناء نقيض اللازم يستلزم نقيض الملزوم واللازمان فى هاتين القضيتين هما القتل والنصرة ومعلوم انه لم يوجد عنه عليه السلام بالاتفاق فان غاية ما يقول الخصم ان قعوده عن نصرته دليل على ارادته لقتله وذلك باطل لان القعود عن النصرة قد يكون لاسباب اخرى كما سنبينه ثم لو سلمنا ان القعود عن النصرة دليل ارادة القتل لكن ارادة القتل ليس بقتل فان كل احد يحب قتل خصمه لكن لا يكون بذلك قاتلا وكذلك ظاهر كلامه يقتضى ان النصرة لم توجد منه واذا انتفى اللازمان استلزم نفى امره بقتله ونهيه عنه ويحتمل ان يريد فى القضية الثانية استثناء عين مقدمها لينتج عين تاليها اى لكنى نهيت عنه فكنت ناصرا لا يقال لا يخلو اما ان يكون مرتكب المنكر هو عثمان او قاتليه وعلى التقديرين فيجب على على عليه السلام القيام والانكار اما على عثمان بالمساعدة عليه ان كان هو مرتكب المنكر او على قاتليه بالانكار عليهم ونصرته فقعوده عن احد الامرين يستلزم الخطا لكنه لم يخط فلم يكن تاركا لاحد الامرين فلا يثبت التبرى والجواب التبرى عن المعصية فى هذا الموضع ان عثمان احدث امورا نقمها جمهور الصحابة عليه وقاتلوه احدثوا ما يجب انكاره واما احداث عثمان فلم ينته فى نظر على عليه السلام الى حد يستحق بها القتل وانما استحق فى نظره ان ينبه عليها فلذلك ورد فى النقل انه انكرها عليه وحذره من الناس غير مرة كما سيجئ فى كلامه عليه السلام فان صح ذلك النقل ثبت انه انكر عليه الحدث لكنه لا يكون بذلك داخلا فى دمه لاحتمال انه لما حذره انه لم ينته اعتزله وان لم يثبت ذلك النقل فالانكار ليس من فروض الاعيان بل من فروض الكفايات اذا قام به البعض سقط عن الباقين وقد ثبت ان جمهور الصحابة انكر واتلك الاحداث من عثمان فلا يتعين وجوب الانكار على على واما ما احدث قاتليه فهو قتله فان ثبت انه عليه السلام ما انكر عليهم قلنا ان من جملة شروط انكار المنكرات ان يعلم المنكر او يغلب على ظنه قبول قوله او تمكنه من الدفع بيده فلعله عليه السلام علم من حالهم انه لا يفيد انكاره معهم وظاهر ان الامر كان كذلك اما عدم فائدة انكاره بالقول معهم فلانه نقل عنه عليه السلام انه كان يعد الناس باصلاح الحال بينهم وبين عثمان وان النزعا القوم على ... منه وعدا لهم بذلك ولم يتمكن منه وظاهر انهم بعد تلك المواعيد لا يلتفتون الى قوله واما انكاره بيده فمعلوم بالضرورة ان الانسان الواحد او العشرة لا يمكنهم دفع الجمع العظيم من عوام العرب ورعاعهم خصوصا عن طباع ثارت وتالفت وجمعها الشح والطمع وهو ما نسبوا اليه من تفرقة مال المسلمين الذى هو قوام جوهم

سواء كان ما نسبوه اليه حقا او باطلا ثم من المحتمل ان يكون قد غلب على ظنه انه لو قام فى نصرته لقتل معه ولا يجوز للانسان ان يعرض نفسه للاذى والقتل فى دفع بعض المنكرات الجزئية واما ان نسب انه انكر عليهم السلام كما نقلناه ذلك النهى على نفيه لهم حال اجتماعهم لقتله قبل حال قتله وكان قوله ولو نهيت عنه لكنت ناصرا دالا على عدم المنع من قتله حال قتله لعدم تمكنه من ذلك وعدم افادته قال قول بعض الشارحين هذا الكلام بظاهره يقتضى انه ما امر بقتله ولا نهى عنه فيكون دمه عنده فى حكم الامور المباحة التى لا يومر بها ولا ينهى عنها قلت هذا سهو لان التبرى من الامر بالشئ والنهى عنه غاية ما يفهم منه عدم الدخول فيه والسكوت عنه ولا يلزم من ذلك الحكم بانه من الامور المباحة لاحتمال ان اعتراله هذا الامر كان لما ذكرناه وبالجملة فان اهل التحقيق متفقون على ان السكوت عن الامر لا يدل على حال الساكت بمجرده وان دل بقرينة اخرى ومما يدل على انه كان متبرئا من الدخول فى دم عثمان بامر او نهى ما نقل عنه لما سال اساءك قتل عثمان ام سرك فقال ما ساءنى ولا سرنى وقيل له ارضيت بقتله فقال لم ارض فقيل اسخطت قتله فقال لم اسخط وهذا كله كلام حق يستلزم عدم التعرض بامره فان من اعرض عن شئ ولم يدخل فيه يصدق ان يقول انى لم اسخط به ولم ارض ولم اساءه ولم اسر فان السخط والرضا والاساءة والسرور حالات يتواردها على النفس باسباب تتعلق بها فخال عن تلك الاسباب عن نفسه فى امر من الامور كيف يعرض له هذه الحالات فيه فان قلت ان كان قتل عثمن منكرا كان مستلزما لسخطه عليه السلام ومساءته منه وقد نقل عنه انه لم يسخطه وذلك يقتضى احد الامرين احدهما انه عليه السلام لا يسخط المنكر وهو باطل بالاتفاق الثانى ان قتل عثمان لم يكن عنده منكرا والتقدير انه منكر قلنا ان قتل عثمن يستلزم سخطه لكن لا من حيث انه قتل عثمن بل من جهة كونه منكرا والمنقول انه لم يسخط لقتل عثمان ولا ساءه ذلك اى من جهة كونه قتل عثمان وذلك لا ينافى ان يسوؤه ويسخطه من جهة كونه منكرا وفى الجواب غموض فليتفطن له ولاجل اشتباه هذه الحال خبط الجهال وفيها يقول شاعر اهل الشام وما فى على لمستعتب مقال سوى صحبة المحدثينا وايثاره اليوم اهل الذنوب ورفع القصاص عن القاتلينا اذا سل عنه حذا شبهة وعمى الجواب على السائلينا فليس براض ولا ساخط ولا فى النهاة ولا الآمرينا ولا هو ساء ولا سره ولا بد من بعض ذا ان يكونا فاما تفصيل الاعتراضات والاجوبة فى معنى قتل عثمن وما نسب الى على من ذلك فمذكور فى كتب المتكلمين كالقاضى عبد الجبار وابى الحسين البصرى والسيد المرتضى وغيرهم فلا نطول بذكرها وربما اشرنا الى شئ من ذلك فيما بعد قوله غير ان من نصره لا يستطيع الى قوله خير منى فاعلم ان هذا الفصل ذكره عليه السلام جوابا لبعض من نكر بحضرته قعود من قعد من نصرة عثمان وجعلهم منشأ الفتنة وقال انهم لو نصروه وهم اكابر الصحابة لما اجترى عليه طغام الامة وجهالها وان كانوا ارادوا ان قتله وقال هو الحق فقد كان يتعين عليهم ان يعرفوا الناس ذلك حتى يرتفع عنهم الشبهة ففهم عليه السلام ان القائل يعيبه بذلك

فليلبه

فاجابه بهذا الكلام تلويحا لا تصريحا اذ كان فى محل التهمة والتوقى فقرر اولا انه ما امر فى ذلك بامر ولا نهى ثم عاد الى الاستثناء فقرر فى هاتين القضيتين ان الذين خذلوه كانوا افضل من الناصرين له اذ لا يستطيع ناصروه كمروان واشباههم ان يفضلوا انفسهم على خاذليه كعلى ... المنكر وكطلحة وساير اكابر الصحابة اذ العقل والعرف يشهد بافضليتهم وكذلك لا يستطيع الخاذلون ان يفضلوا الناصرين على انفسهم اللهم الا على سبيل التواضع وليس الكلام فيه فكانه عليه السلام سلم تسليم جدل انه دخل فى امر عثمان وكان من الخاذلين له ثم اخذ فى الرد على المنكر بوجه آخر فقال عزله لو سلمنا انى ممن خذله لكن الخاذلون له افضل من الناصرين واثبت هذه المقدمة بهاتين القضيتين وحذف الثانية للعلم بها وتقديرها والافضل يجب على من عداه اتباعه والاقتداء به فينتج هذا القياس انه كان يتعين على من نصره ان يتبع من خذله وهذا عكس ما ادعى المنكر وقال بعض النقاد ان هذه كلمة قرشية واراد بذلك انه عرض على الناس فى كلامه قال ولم يرد التبرى من امره وانما اراد ان الخاذلين لا يلحقهم المفضولية بكونهم خاذلين له وان الناصرين له لا يلحقهم الافضلية بنصرته والذى ذكره بعيد الفهم من هذا الكلام ويمكن ان يحمل على وجه آخر وذلك انه ربما قرر فضيلة الخاذلين على الناصرين ليسلم هو من التخصيص باللائمة فى القعود عن النصرة فكانه قال واذا كان الخاذلون له افضل ممن نصره تعين عليهم السؤال عن التخلف وان يستشهد عليهم بحال الناصرين له مع كونهم مفضولين فلم خصصت باللائمة والمطالبة بدمه لولا الاعراض الفاسدة قوله وانا جامع لكم امره الى قوله الاثرة اشار عليه السلام فى هذا اللفظ الوجيز اجمالا الى ان كل واحد من عثمان وقاتليه كانا على طرفى الافراط من فضيلة العدالة اما عثمن فاستيثاره واستبداده براية فيما الامة شركاء فيه والخروج فى ذلك الى حد الافراط الذى قد يعد ظلما للخلق عليه وادى الى قتله واما قاتلوه فخروجهم فى الجزع من فعله الى طرف التفريط عما كان ينبغى لهم من التثبت وانتظار صلاح الحال بينهم وبينه بدون القتل حتى يستلزم ذلك الجزع ارتكابهم لرذيلة الجور فى قتله فلذلك كان فعله اساءة للاستيثار وفعلهم اساءة للجزع وقيل اراد انكم اسأتم الجزع عليه بعد قتله وقد كان ينبغى منكم ذلك الجزع له قبل قتله قوله ولله حكم واقع فى المستاثر والجازع المفهوم من ذلك انه يريد بالحكم الواقع لله فى المستاثر هو الحكم المقدر اللاحق لعثمان بالقتل المكتوب بقلم القضاء الالهى فى اللوح المحفوظ وفى الجازع هو الحكم اللاحق لقاتليه من كونهم قاتلين او قاتلين وخارجين وفى نسبة هذه الاحكام الى الله تعالى تنبيه على تبرؤه من الدخول فى امر عثمان وقاتليه بعد الاشارة الى السبب المعد لوقوعها فى حقهم وهو الاساءة فى الاستيثار والجزع ويحتمل ان يريد الحكم فى الآخرة اللاحق لكل من ثواب او عقاب عن ما ارتكبه من خطاء وصواب كما قال تعالى والله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز كلا بما يستحقه من سعادة او شقاوة وبالله التوفيق والعصمة ومن كلام له عليه السلام لما انفذ عبد الله بن عباس الى الزبير قبل وقوع حرب الجمل ليستفيئه الى طاعته

لا تلقين طلحة فانك ان تلقه تجده كالثور عاقصا قرنه يركب الصعب ويقول هو الذلول ولكن الق الزبير
فانه الين عريكة فقل له يقول لك ابن خالك عرفتني بالحجاز وانكرتني بالعراق فما عدا مما بدا. قال الرضي رضي
الله عنه وهو عليه السلام اول من سمعت منه هذه الكلمة اعني فما عدا مما بدا **اقول** يستفيئه اي يسترجعه
من فاء اذا رجع وفي رواية ان تلقه تلقه من لقيته على كذا اذا وجدته عليه والعقص الاعوجاج وعقص
الثور قرنه بالفتح مسند وعقص قرنه بالكسر لازم والصعب الدابة الجموح الشغبة والذلول السهلة
الساكنة والعريكة فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل الاسم من الوصفية الى الاسمية الصرفة واصل العرك
دلك الجلد بالدباغ وعدا جاوز وبدا ظهر واعلم انه عليه السلام لما نهى ابن عباس عن لقاء طلحة عقب
ما اوماء اليه من المصلحة بنهيه على علة وجه نهيه عنه بقوله فانك ان تلقه تجده كذا وقد شبهه بالثور
واشار الى وجه الشبه بعقص القرن واستعار لفظ القرن وكنى به عن شجاعته ولفظ العقص لما يتبع
تعاطيه بالقوة والشجاعة من منع الجانب وعدم الانقياد تحت طاعة الغير اللازم عن الكبر والعجب
بالنفس الذي قد يعرض للشجاع ووجه الاستعارة الاولى ان القرن الة القوة للثور ومنع ما يراد به عن
نفسه وكذلك الشجاعة يلزمها الغلبة والقوة ومنع الجانب ووجه الاستعارة الثانية ان الثور عند ارادة
الخصام يعقص قرنه اي يرخي راسه ويعطف قرنه ليصوبهما الى جهة خصمه ويقارن ذلك منه تهيؤ صادر
عن توهم غلبته المقاومة وشدته عليه وانه لا قدر له عنده كذلك المشبه ههنا علم منه عليه السلام انه
عند لقاء ابن عباس له يكون مانعا جانبه متهيئا للقتال مقابلا بالخشونة وعدم الانقياد الصادر عن
عجبه بنفسه وغروره بشجاعته فلذلك حسن التشبيه ويحتمل ان يكون وجه الشبه هو التواء الطبيعة
وانحرافه عنه عليه السلام التشبيه بالتواء القرن وهو تشبيه المعقول بالمحسوس ويقال ان الكبر الذي تداخل
طلحة لم يكن فيه قبل يوم احد وانما حدث به في ذلك اليوم وذلك انه ابلى فيه بلاء حسنا ثم اشار على ابن عباس
بلقاء الزبير واشار الى وجه الراي في ذلك وهو كونه الين عريكة عن الطبع والخلق كناية بالاستعارة فيقال
فلان لين العريكة اذا كان سهل الجانب لا يحتاج فيما يراد منه الى تكلف ومجاذبة وقوة كالجلد اللين
الذي يسهل عركه وفلان شديد العريكة اذا كان بالضد من ذلك وظاهر ان الزبير كان سهل الجانب فلاجل
ذلك امر بلقائه لما عهد من طبيعته انها اقبل للاستدراج واقرب الى الانفعال عن الموعظة وتذكر الرحم
لحسن بهذه الاستمالة تذكر النسب المستلزم لتصور الميل والانعطاف عن الطباع السليمة ونحو قوله تعالى
حكاية قول هرون لموسى عليهما السلام يا ابن ام لا تأخذ بلحيتي ولا براسي وقال ابن ام ان القوم استضعفوني
فان فيه من الاستمالة والاسترقاق بتذكير حق الاخوة مما يدعو الى عطفه عليه ما لا يوجد في كلام اخر واما
كونه ابن خاله عليه السلام فلان ام الزبير هي صفية بنت عبد المطلب بن هاشم و **قوله**
فما عدا مما بدا قال ابن ابي الحديد عدا بمعنى صرف ومن ههنا بمعنى عن ومعنى الكلام فما صرفك عما كان بدا

منك اي ظهر الذي صدك عن طاعتي بعد اظهارك لها وحذف الضمير المفعول كثير كقوله تعالى
من ارسلنا قبلك اي ارسلناه وقال القطب الراوندي له معنيان احدهما ما الذي منعك مما كان قد بدا
منك من البيعة قبل هذه الحالة الثاني ما الذي عاقك من البداء الذي يبدو للانسان ويكون المفعول
الثاني لعدا محذوفا يدل عليه الكلام اي ما عداك يريد ما شغلك وما منعك عما كان بدا لك من نصرتي
قال ابن ابي الحديد ليس في الوجه الثاني مما ذكره القطب زيادة على الوجه الاول الا زيادة فاسدة اما انه
لا زيادة فلانه فسر عدا في الوجهين بمعنى منع وفسر قوله مما كان بدا منك في الوجهين ايضا بتفسير واحد فلم
يبق بينهما تفاوت واما الزيادة الفاسدة فظنه ان عدا يتعدى الى مفعولين وهو باطل باجماع النحاة
واقول الوجه الذي ذكره ابن ابي الحديد هو الوجه الاول من الوجهين اللذين ذكرهما الراوندي لان الصرف
والمنع لا كثير تفاوت بينهما وان كان قد يفهم ان المنع اعم واما اعتراضه عليه بانه لا فرق بين الوجهين
اللذين ذكرهما فهو سهو منه عليه لان معنى بدا في الوجه الاول معنى ظهر للناس منك من البيعة لي ومراده في
الثاني ما ظهر لك من الراي من نصرتي وطاعتي وفرق بين ما يظهر من الانسان لغيره وبين ما يظهر له من نفسه
او من غيره فاما ما ذكره من انه زيادة فاسدة فالاظهر ان لفظ الثاني في قوله المفعول الثاني زيادة من قلم
او قلم الناسخ سهوا ويؤيده اظهاره المفعول الاول بتغيير القول ويكون المفعول لعدا محذوفا ثم اقول
هذه الوجوه وان احتملت ان تكون تفسيرا الا ان في كل واحد عدولا عن الظاهر من وجه اما الوجه الذي ذكره
المدائني فلانه لم يحمل عدا على حقيقتها وهي المجاوزة وحمل ما بدا على الطاعة السابقة احتاج ان يحمل من بمعنى عن
وهو خلاف الظاهر واما الراوندي فانه فسر عدا بمعنى منع او عاق وشغل وحمل ما بدا على الطاعة السابقة
او على البيعة ولا يتم ذلك الا ان يكون من بمعنى عن والحق ان يقال ان عدا بمعنى جاوز ومن لبيان الجنس و
المراد ما الذي جاوز بك عن بيعتي مما بدا لك بعدها من الامور التي ظهرت لك وحينئذ تبقى الالفاظ على اوضاعها
الاصلية مع استقامة المعنى وحسنه وروي عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام عن ابيه عن جده قال
سالت ابن عباس رضي الله عنه عن تلك الرسالة فقال بعثني فاتيت الزبير فقلت له فقال اني اريد ما تريد
كانه يقول الملك ولم يزدني على ذلك فرجعت الى امير المؤمنين عليه السلام فاخبرته وعن ابن عباس ايضا
انه قال قلت الكلمة للزبير فلم يزدني على ان قال انا مع الخوف الشديد لنطمع وسئل ابن عباس عما يعني الزبير
بقوله هذا فقال يقول انا على الخوف لنطمع ان نلي من الامر ما وليتم وقد فسر غيره ذلك بتفسير اخر فقال
اراد انا مع الخوف الشديد من الله نطمع ان يغفر لنا هذا الذنب **ومن خطبة له عليه السلام** ايها الناس انا قد
اصبحنا في دهر عنود وزمن كنود يعد فيه المحسن مسيئا ويزداد الظالم فيه عتوا لا ننتفع بما علمنا ولا نسأل عما
جهلنا ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا فالناس على اربعة اصناف منهم من لا يمنعه من الفساد في الارض الا مهانة
نفسه وكلالة حده ونضيض وفره ومنهم المصلت بسيفه والمعلن بشره والمجلب بخيله ورجله قد اشرط نفسه

واوبق دينه لحطام ينتهزه او مقنب يقوده او منبر يفرعه ولبئس المتجر ان ترى الدنيا لنفسك ثمنا ومما لك
عند الله عوضا ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الاخرة ولا يطلب الاخرة بعمل الدنيا قد طامن من شخصه وقارب
من خطوه وشمر من ثوبه وزخرف من نفسه للامانة واتخذ ستر الله ذريعة الى المعصية ومنهم من اقعده عن
طلب الملك ضئولة نفسه وانقطاع سببه فقصرته الحال على حاله فتحلى باسم القناعة وتزين بلباس
اهل الزهادة وليس من ذلك في مراح ولا مغدى وبقي رجال غض ابصارهم ذكر المرجع واراق دموعهم
خوف المحشر فهم بين شريد ناد وخائف مقموع وساكت مكعوم وداع مخلص وثكلان موجع قد اخملتهم التقية
وشملتهم الذلة فهم في بحر اجاج افواههم ضامزة وقلوبهم قرحة قد وعظوا حتى ملوا وقهروا حتى ذلوا و
قتلوا حتى قلوا فلتكن الدنيا اصغر في اعينكم من حثالة القرظ وقراضة الجلم واتعظوا بمن كان قبلكم قبل
ان يتعظ بكم من بعدكم وارفضوها ذميمة فانها قد رفضت من كان اشغف بها منكم قال السيد رضي الله
عنه وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له الى معاوية وهي من كلام امير المؤمنين ع الذي لا يشك فيه واين
الذهب من الرغام والعذب من الاجاج وقد دل على ذلك الدليل الخريت ونقده الناقد البصير عمرو بن بحر
الجاحظ فانه ذكر هذه الخطبة في كتاب البيان والتبيين وذكر من نسبها الى معوية ثم تكلم من بعدها بكلام
في معناها جملته انه قال وهذا الكلام بكلام علي اشبه وبمذهبه في تصنيف الناس وفي الاخبار عما هم
عليه من القهر والاذلال ومن التقية والخوف اليق قال ومتى وجدنا معاوية في حال من الاحوال يسلك
في كلامه مسلك الزهاد ومذاهب العباد **اقول** عنود جائر وكنود كفور والعتو الكبر والقارعة الخطب العظيم
ومهانة النفس حقارتها وكل حد السيف وغيره اذا وقف عن القطع ونضيض وفره قلته والمصلت بسيفه
الماضي في الامور بعزمه والمجلب المستعين على الامر بالجمع والرجل جمع راجل واشرط نفسه لكذا اي اعلمها
واعدها له واوبق دينه اي اهلكه والحطام متاع الدنيا واصله ما تكسر من اليبس والانتهاز الاختلاس
والاستلاب بقدر الامكان والمقنب بكسر الميم وفتح النون الجمع من الخيل ما بين الثلاثين الى الاربعين و
فرع المنبر يفرعه اي علاه وطامن من شخصه اي خفض والاسم الطمانينة وشمر من ذيله اذا رفعه وزخرف اي
زين وضئولة نفسه حقارتها والمراح المكان الذي ياوي اليه الماشية بالليل والمغدى هو الذي تاوي
اليه بالغداة والشريد المشرد وهو المطرود والناد الذاهب على وجهه والقمع الاذلال والمكعوم الذي لا يمكنه
الكلام كانه سد فوه بالكعام وهو شيء يجعل في فم البعير عند الهياج والثكل الحزن على فقد بعض الحبايب و
اخملتهم اي اسقطتهم واورثتهم بين الناس التقية والتقوى الخوف والاجاج الملح والضامزة بالزاي الساكنة
والحثالة الثفل والقرظ ورق السلم يدبغ به والجلم المقراض يجز به اوبار الابل وقراضته ما تساقط من قرضه
واعلم ان نسبة الخير الى بعض الازمنة والشر الى بعض اخر وتفضيل بعض الازمنة على بعض نسبة صحيحة لما ان
الزمان من الاسباب المعدة لحصول ما يحصل في هذا العالم من الامتزاجات وما يتبعها مما يعد خيرا او شرا

وقد تتفاوت الازمنة في الاعداد لقبول الخير والشر ففي بعضها يكون بحسب الاستقراء ما يعد شرا اكثر فيقال
زمان صعب وزمان جائر خصوصا زمان ضعف الدين والنواميس الشرعية التي هي سبب نظام العالم
وبقائه وسبب الحياة الابدية في الدار الاخرة وفي بعضها يكون ما يعد خيرا اكثر فيقال زمان حسن وزمان
عادل وهو الزمان الذي يكون احوال الخلق فيه منتظمة صالحة خصوصا زمان قوة الدين وظهور
ناموس الشريعة ولاجل هذا وان كنا اذا اعتبرنا اجزاء الخير واجزاء الشر الواقعة في كل العالم في
كل زمان زمان لم يكن هناك كثير تفاوت بين الازمنة فيما يعد خيرا فيها وشرا ولذلك قال افلاطون
الناس يتوهمون بكل زمان انه اخر الازمنة ويثبتون تقصيره عما تقدمه وليس يوفون الزمان الماضي
والمقيم حقهما من التامل وذلك انهم يقيسون الاحداث في الزمان المقيم الى من تناهت سنه وتجاربه
في الزمان الماضي وينظرون الى قصور المروات في الزمان المقيم واتساعها في الماضي من غير ان ينظروا
الى الاغراض في الزمانين وما يوجبه كل واحد منهما واذا تتبع هذا بعدل واستقصى تعريف الزمانين من
القوى والحداث والامن والخوف والاسباب والاحوال كانا متقاربين اذا عرفت هذا فنقول قوله عليه السلام
انا قد اصبحنا الى قوله حتى تحل بنا ذم للزمان بوصفين هما الجور والشدة لما اعد له مما عدد فيه من الاوصاف المعدودة
شرا بالقياس الى نظام العالم وبقائه وذكر من تلك الاوصاف خمسة اولها انه يعد فيه المحسن مسيئا وذلك
من حسبان الشقيين الكسالى عن القيام بطاعة الله فيعدون انفاق المحسن لماله رياء وسمعة وخوفا او رغبة
في مباهاة وكذلك سائر فضائله ورذائله كل ذلك طعنا في فضيلته وحسدا ان ينال بسببها علوا فيلحقونه
بدرجاتهم في الاساءة وثانيها انه يزداد الظالم فيه عتوا وذلك ان منشأ الظلم هو النفس الامارة بالسوء
وهي في زمان العدل يكون مقهورة دائما او في اكثر الاحوال وتوثباتها في ذلك الوقت طالبة للظلم يكون
قليلة وانتهاز فرصة فالظالم في زمان العدل ان ظلم او تجاوز حده فكالسارق في الدغل لا يامن في كل لحظة
ان يقع به المكروه فكذلك الظالم في زمن العدل مقموع بحرسة الشريعة مرصود بعيون طلائعها اما في زمان
ضعف الشريعة فالظالم فيه كالناهب بسط لعدوته سوطها غير ملتفت الى وازع الدين فلا جرم كان عتوه فيه
ازيد وقد كان في زمانه عليه السلام بالنسبة الى عهد الرسول صلى الله عليه واله كذلك وثالثها انه لا ينتفع
اهله فيه بما علموا وهو توبيخ للمقصرين في اعمال الاخرة على ترك العمل بما علموا من الشريعة مما ينبغي ان يعمل لها اذ
الانتفاع بالعلم انما يكون اذا وافقه العمل واليه الاشارة بقوله عليه السلام في موضع اخر العلم مقرون بالعمل
والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل فان المراد بارتحال العلم هو عدم الانتفاع به وبعده بالعمل
ما ينبغي من مقارنة العمل له ورابعها انهم لا يسالون عما جهلوا وهو توبيخ للمقصرين في طلب العلم بعدم السؤال
عما جهلوا منه وعلته الالتفات لقصور افهامهم عن فضيلته واشتغالهم بحاضر اللذات الحسية وخامسها
كونهم لا يتخوفون قارعة حتى تحل بهم وذلك لعدم فكرهم في عواقب امورهم واشتغالهم بحاضرها عن الالتفات

الى مصالحهم وتدبيرها وهو توبيخ المقصرين في امر الجهاد وتنبيه لهم بذكر القارعة وحلولها بهم وكل هذه امور
مضادة لمصلحة العالم فلذلك عدا الزمان الواقعة فيه عنودا او شديدا قوله والناس على اربعة اصناف
اي قوله قلوا اقول وجه هذه القسمة ان الناس اما مريدون للدنيا او لله اما المريدون للدنيا فاما قادرون
عليها او غير قادرين وغير القادرين اما غير محتالين لها او محتالون والمحتالون اما ان يوهلوا نفوسهم للامرة
والملك او لما هو دون ذلك فهذه اقسام خمسة مطابقة لما ذكره عليه السلام من الاصناف الاربعة الذين
عونهم للذم مع الصنف الخامس الذين افردهم بالمدح فالصنف الاول فهم المريدون للدنيا القادرون
عليها هو المشار اليه في القسم الثاني من قسمته بقوله ومنهم المصلت بسيفه والمعلن بشره الى قوله يفرعه
والمقصود بهذا الصنف القادرون على الدنيا المطلقون لعنان الشهوة والغضب في تحصيل ما تخيل كمالا
من اللذات الدنيوية فاصلات السيف كناية عن التغلب وتناول ما امكن تناوله بالغلبة والقهر واعلان
الشر المجاهرة بالظلم وغيره من رذائل الاخلاق والاجلاب بالخيل والرجل كناية عن جمع اسباب الظلم والتغلب
والاستعلاء على الغير واشراطه نفسه تاهيلها واعدادها للفساد في الارض وظاهر ان كل من كان كذلك
فقد اوبق دينه وافسده وقوله لحطام ينتهزه او مقنب يقوده او منبر يفرعه اشارة الى بعض العلل الغائية للصنف
المذكور من كونهم بالاوصاف المذكورة واستعار لفظ الحطام للمال ووجه المشابهة ان اليبيس من النبات
كما انه لا ينتفع به بالقياس الى ما يبقى خضرته ونضارته او يكون ذا ثمرة كذلك المال بالنسبة الى الاعمال الصا[لحة]
الباقي نفعها في الآخرة وانما خص هذه الامور الثلاثة لانها الاغلب فيما يبتغي اهل الدنيا لاجله اذ الغالب
ان السعي اما لجمع المال او لرياسة دنيوية باقتناء الخيل والنعم او دينية كافتراع المنابر والتراس بناموس
الدين مع قصد الدنيا وقوله ولبئس المتجر الى آخره تنبيه لهذا الصنف من الناس على خسرانهم في افعالهم
الشبيهة بالتجارة الخاسرة فان طالب الدنيا المحصل لها كيف ما اتفق هالك في الآخرة فهو كالبائع لها
بما حصل له من دنياه والمعتاض بما له عند الله من الاجر الجزيل لها عاجلا حطاما تفنى عينه وتبقى تبعته ولذلك
استعار لفظ التجارة لها الصنف الثاني وهم المريدون لها غير القادرين عليها وغير المحتالين لها وهو المشا[ر]
اليه بقوله منهم لا يمنعه الفساد في الارض الا مهانة نفسه وكلالة حده ونضيض وفره وكنى بقوله كلالة حده
من عدم صرامته في الامور وضعفه عنها وظاهر ان المريد للدنيا المعرض عن الله لو خلي عن الموانع المذكورة ووجد
الدنيا لم يكن سعيه فيها الا الفساد الصنف الثالث الغير القادرين على الدنيا مع احتيالهم لها واعدادهم انفسهم
لامور دون الملك وهو المشار اليه بقوله ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا
الى آخره فقوله يطلب الدنيا بعمل الآخرة اشارة الى الحيلة للدنيا كالريا والسمعة وقوله ولا يطلب الآخرة بعمل
الدنيا اشارة الى انه مريد للدنيا فقط وقوله قد طامن من شخصه الى آخره تفصيل لكيفية الحيلة فان خضوع
الانسان وتطامن شخصه والمقاربة بين خطوه وتشمير ثوبه وزخرفة لنفسه بما هو شعار الصالحين من

عباد الله وستر الله الذي هو بحلل التقوى ان يردوا موارد الهلكة يقع من صنف من الناس التماسا لدخولهم في
عيون اهل الدنيا وارباب القنيات ليسكنوا اليهم في الامانات ونحوها ويجعلون ذلك ذريعة لهم الى ما املوه
من الدنيا الفانية فيكونون قد اتخذوا ستر الله ومظاهر دينه وسيلة الى معصيته الصنف الرابع الغير القادرين
عليها المحتالون لها الموهلون انفسهم للملك والامرة وهم المشار اليهم بقوله ومنهم من اقعده عن طلب الملك
ضئولة نفسه الى آخره وذكر من موانع هذا الصنف عما طمعوا فيه امرين احدهما ضئولة نفسه وقصورها عن التاهل
وتخيلها العجز عن طلب الملك وان كان مطلوبا لها الثاني سبب ذلك الضعف وهو انقطاع سببه من قلة المال
وعدم الاعوان والانصار في الطلب فلذلك وقفت به حاله الى عدة على حالته التي لم يبلغ معها ما اراد وقصرت
عليها فعدل لذلك الى الحيلة الجاذبة لرغبات الخلق اليه من التحلي بالقناعة والتزين بلباس اهل الزهادة
من المواظبة على العبادات ولزوم ظواهر اوامر الله وان لم يكن ذلك عن اصل واعتقاد فائدة اليه وقوله وليس
من ذلك في مراح ولا مغدى كناية عن انه ليس من القناعة والزهد في شيء اصلا ويحتمل ان يكون هذا الصنف
من غير القادرين وغير المحتالين الصنف الخامس وهم المريدون لله تعالى وهم المشار اليهم بقوله عليه السلام وبقي
رجال الى آخره وذكر لهم اوصافا الاول كونهم قد غض ابصارهم ذكر المرجع وذلك ان المريد لله اذا التفت الى
جنابه المقدس واستحضر انه راجع اليه بل ماثل بين يديه فلابد ان يعرض عن غيره حياء منه وابتهاجا بمطالعة
انواره وخوفا ان يحجبه بصره عن صعوده مراتب الاملاك الى مهاوي الهلاك ولان الحس تابع للقلب فاذا كان
سر القلب مشغولا غريقا في جلال الله كان مستتبعا للحس فلم يكن له التفات من طريقه الى امر آخر هو المراد بالغض
الثاني كونهم قد اراق دموعهم خوف المحشر واعلم ان خوف الخائفين قد يكون لامور مكروهة لذاتها وقد يكون
لامور مكروهة لادائها الى ما هو مكروه لذاته واقسام القسم الثاني كثيرة كخوف الموت قبل التوبة او خوف
نقض التوبة او خوف الانحراف عن القصد في عبادة الله او خوف استيلاء القوى الشهوانية بحسب مجرى العادة
في استعمال الشهوات المالوفة او خوف تبعات الناس عنده او خوف سوء الخاتمة او خوف سبق الشقاوة في علم
الله وكل هذه ونحوها مخاوف عباد الله الصالحين واغلبها على قلوب المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه خطر
واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة لكون الخاتمة تبعا لها ومظهرا لما سبق في اللوح المحفوظ وقد
مثل من له خوف السابقة ومن له خوف الخاتمة برجلين وقع لهما ملك بتوقيع يحتمل ان يكون لهما فيه رضا او هلاك
فتعلق قلب احدهما بحال نشر التوقيع وما يظهر فيه من خير او شر وتعلق قلب الآخر بما خطر بالبال للملك التوقيع من رحمة
او غضب وهذا التفات الى السبب فكان اعلى فكذلك الالتفات الى القضاء الازلي الذي جرى
بتوقيعه القلم الالهي في اللوح المحفوظ اعلى من الالتفات الى الابد والى ذلك اشار الرسول صلى الله عليه وآله
حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب الله كتب فيه اهل الجنة باسمائهم واسماء آبائهم لا يزاد فيه
ولا ينقص وليعملن اهل السعادة بعمل اهل الشقاوة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله تعالى قبل الموت

ولو بفواق ناقة وليعملن اهل الشقاوة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة
السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله والاعمال بالخواتيم واما اقسام القسم الاول فمثل ان
يتمثل في نفوسهم ما هو المكروه لذاته كسكرات الموت وشدته او سؤال منكر ونكير او عذاب القبر او هول الموقف
بين يدي الله تعالى والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير او الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور
عليه ومن النار واغلالها واهوالها او من حرمان الجنة او من نقصان الدرجات فيها او خوف الحجاب من الله تعالى
وكل هذه الاسباب مكروهة لذاتها ويختلف حال السالكين الى الله فيها واعلاها رتبة خوف الفراق والحجاب عن
الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك وهو خوف العابدين والصالحين والزاهدين ومن لم يكمل
معرفته بعد اذا عرفت ذلك فنقول الخوف الذي اشار اليه عليه السلام من هذا القسم اذ خوف المحشر قبيل ما
ذكرناه من اقسامه الثالث كونهم بين شريد ناد اي منفرد في البلاد المطرود لما يكره لمكاره المنكر او لقلة
صبره على مشاهدة المنكر وخائف مقموع وساكت مكعوم اي كان التقية سدت فاه عن الكلام وهو من باب
الاستعارة وداع مخلص لله وثكلان موجع اما لمشاهدة في الدين او من كثرة اذى الظالمين وهذا تفصيل لحال
الاولياء المتقين ويحتمل ان يكون ذلك تفصيلا لحالهم بالنسبة الى خوف المحشر اي ان خوف المحشر واراق دموعهم
ونقل واحد منهم ما ذكر عنه من الحالات التي ذكر عليها الرابع كونهم قد اخملتهم التقية اي تقية الظالمين وهو
تاكيد لما سبق الخامس كونهم قد شملتهم الذلة اي بسبب التقية السادس كونهم في بحر اجاج واستعار لفظ البحر
لوصف الاجاج لما هم فيه من احوال الدنيا الباطلة ووجه المشابهة ان الدنيا كالاجاج لا يصلح للانتفاع والاستمتاع بها
بل يكون سببا للعذاب في الآخرة كذلك البحر لا يمكن شاربه وان بلغ به جهد العطش مبلغا شربه والتروي به
وقوله افواههم ضامزة وقلوبهم قرحة اي انهم لما منعوا انفسهم عن لذاتها ومخالطة اهلها فيما هم فيه من الانهماك
فيها لا جرم كانت افواههم ضامزة لكثرة صيامهم وبعد العهد بالمضغ وقلوبهم قرحة جوعا او خوفا من الله
او عطشا الى رحمته ورضوانه او لما يشاهدونه من كثرة المنكرات وعدم تمكنهم من انكارها ومن دون
بالراي المجهر اراد سكوتهم وقلة كلامهم السابع كونهم قد وعظوا حتى ملوا اي ملوا وعظ الخلق لعدم نفعه فيهم
الثامن كونهم قد قهروا حتى ذلوا التاسع كونهم قد قتلوا حتى قلوا اي قتلهم الظالمون لعدم نظامهم
في سلكهم فان قلت كيف يقال قتلوا مع بقائهم قلت اسناد القتل الى الكل لوجود القتل في البعض مجاز من
باب اسناد حكم الجزء الى الكل ولان الكل لما كان مقصودا بالقتل كان كونهم مقتولين غاية بينهم مجازا اسنادهم
وان كان المقتول بعضهم قوله فلتكن الدنيا في اعينكم الى آخره امر للسامعين باستصغار الدنيا واحتقار[ها]
الى حد لا يكون في اعينهم هو احقر منها فان حثالة القرظ وقراضة الجلم في غاية الحقارة والمراد من هذا الامر
وغاية الترك لها فان احتقار الشيء واستصغاره يستتبع تركه والاعراض عنه ثم امرهم بالاتعاظ بالامم
فان في الماضين عبرة لاولي الابصار ومحل الاعتبار ما كانوا فيه من نعيم الدنيا ولذاتها والمباهاة بكثرة

وتباهيها ثم مفارقتهم لذلك بالموت وبقاء الحسرة والتبعات للمكثرين منها حجابا حائلا بينهم وبين الوصول
الى حضرة جلال الله ونبههم بقوله من بعدكم على انهم مضطرون الى مفارقة ما هم فيه وسيصيرون عبرة لغيرهم
وفائدة الامر بالاتعاظ ايضا الاعراض عنها والاقلاع عن الاغترار بها ثم لما امرهم بما هم فيه بهذه الاوامر التي
ليست صريحة في الترك اردف ذلك بالامر الصريح بالترك فقال وارفضوها ذميمة اي اتركوها حال الجفاء
والذمامة ثم نبه بعده على ما يصلح علة لتركها وهو عدم دوام صحبتها وثباتها لمن كان احب منهم لها اي لو دام
سرورها ونعمها لاحد لدام لاحب الخلق لها واحرصهم على المحافظة عليها فلما لم تدم لمن هو اشد حبا لها منكم
فبالاولى ان لا تدوم لكم واذا كان طباعها رفض كل محب فالاحرى بذي المروة واللب التوقف والاعراض عن [illegible]
صحبتها وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال اهل البصرة قال عبد الله
ابن عباس رضي الله دخلت على امير المؤمنين بذي قار وهو يخصف نعله فقال لي ما قيمة هذه النعل فقلت
لا قيمة لها فقال والله لهي احب الي من امرتكم الا ان اقيم حقا او ادفع باطلا ثم خرج عليه السلام فخطب الناس
فقال ان الله بعث محمدا وليس احد من العرب يقرأ كتابا ولا يدعي نبوة فساق الناس حتى بوأهم محلتهم
وبلغهم منجاتهم فاستقامت قناتهم واطمأنت صفاتهم اما والله ان كنت لفي ساقتها حتى تولت بحذافيرها ما عجزت
ولا جبنت وان مسيري هذا لمثلها فلانقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه ما لي ولقريش والله لقد
قاتلتهم كافرين ولاقاتلنهم مفتونين واني لصاحبهم بالامس كما انا صاحبهم اليوم اقول ذو قار موضع
قريب من البصرة هو الموضع الذي نصرت فيه العرب على الفرس قبل الاسلام ويخصف نعله اي يخرزها
بوأهم اسكنهم والمحلة المنزل والمنجاة موضع النجاة والقناة الرمح وعمود الظهر والصفاة الحجر
الاملس المنبسط والساقة جمع سائق وتولت بحذافيرها اي باسرها والنقب الشق واعلم انه عليه السلام
قدم لنفسه مقدمة من الكلام اشار فيها الى فضيلة الرسول صلى الله عليه وآله في بعثته وهو سوق الخلق الى
الدين الحق ليبني عليها فضيلة نفسه وكانت غايته من ذلك توبيخ من خرج عليه من قريش والاستعداء
عليهم فقوله ان الله بعث محمدا الى قوله صفاتهم صدر الكلام اشار فيه الى فضيلة الرسول صلى الله عليه وآله
والواوان الداخلتان على حرفي النفي للحال فان قلت كيف يجوز ان يقال انه لم يكن احد من العرب في
ذلك الوقت يقرأ كتابا وكانت اليهود يقرأون التوراة والنصارى الانجيل قلت ان الكتاب الذي
تدعيه اليهود وبايديهم في ذلك الوقت التوراة ليس هو الكتاب الذي انزل على موسى فانهم كانوا قد حرفوه
وبدلوه فصار كتابا آخر بدليل قوله تعالى قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس
تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وظاهر انه من حيث هو مبدل او محرف ليس هو المنزل على
موسى عليه السلام واما الكتاب الذي يدعي النصارى بقاءه في ايديهم فغير معتمد على نقلهم فيه لكونهم
كفارا بسبب القول بالتثليث واما النافون للتثليث فهم في غاية القلة فلا يبعد قولهم ان ما في ايديهم

هو الجبل صيب علماً منها ذلك لا يكون المقر وليهم حال مبعث محمد صلى الله عليه وآله كتاباً هو من عند الله سبحانه
لكن يحتمل ان يريد بالعرب جمهورهم فان اكثرهم لم يكن له دين ولا كتاب وانما كان بعضهم يتمسك بما بقي من
شريعة اسماعيل وبعضهم برسوم لهم **وقوله** فساق الناس حتى بوّأهم محلّتهم الاشارة بسوقه لهم الى سوقه العقل
لاذهانهم بعجائب المعجزات الى تصديقه فيما جاء به بحسب ما جاء به من القرآن الكريم والسنة النبوية الى سلوك
سبيل الله ثم بحسب الترغيب لبعضهم والترهيب لبعض الى سلوك تلك السبيل فاصبحوا وقد تبوّؤا محلّتهم
اي منزلتهم ومرتبتهم التي خلقوا لاجلها وكانت هي مطلوب العناية الازلية بوجودهم في هذه الدار وهي
لزوم الصنف في سبيل الله المسمى اسلاماً وديناً وايماناً وهو في الحقيقة النجاة التي لا خوف على سالكها
ولا سلامة للمنحرف عنها وذلك معنى قوله وبلّغهم منجاتهم **وقوله** واستقامت قناتهم فالمراد بالقناة القوة
والغلبة والدولة التي حصلت لهم مجازاً وهو من باب اطلاق اسم السبب على المسبب فان الرمح والظهر سبب
للقوة والشدة ومعنى اسناد الاستقامة اليها انتظام قهرهم ودولتهم **وقوله** واطمأنت صفاتهم استعار لفظ
الصفاة لحالهم التي كانوا عليها ووجه المشابهة انهم كانوا قبل الاسلام في مواطنهم وعلى احوالهم متزلزلين
لا يقرّ بعضهم بعضاً في موطن وعلى حال بل كانوا ابداً في الغارة والنهب والجلاء فكانوا كالواقف على حجر
متزلزل مضطرب فاطمأنت احوالهم وسكنوا في مواطنهم من كل ذلك بسبب مقدم محمد صلى الله عليه وآله **وقوله**
اما والله ان كنت لفي ساقتها الى قوله ولا جبنت نعرّض لفضيلته فاثبت لنفسه انه كان من ساقتها الى ان
تولّت باسرها من غير عجز اعتراه ولا جبن والضمير في ساقتها للكتائب للحرب وان لم يجر لها ذكر صريح بل ما يحصل
منه معنى الذكر وهو الناس فكانه قال فساق الناس وهم يومئذ كتائب عليه فكنت في ساقتها حتى تولّت
تلك الكتائب باسرها لم يبق منها من يقاتل وقد علمت ان السوق قد يكون سوقاً الى الهدى وقد يكون سوقاً في
طرد وهزيمة والاول هو غاية عليه السلام من السوق الثاني اذ لم يكن مقصوده من حروبه الا السوق الى
الدين ولما لم يمكن حصول الهداية للخلق الا بوجود النبي صلى الله عليه وآله وايضاح سبيل الحق كان في نحو
طرده للكتائب حتى تولّت عنه فيها حماية عن النبي وعن حوزة الدين امراً واجباً لا لذاته لكن لغرض
تمام الهدى الذي هو غاية وجود النبي **وقوله** ما عجزت ولا جبنت تمام لاثبات الفضيلة المذكورة له وتبرئة
لما علم من شجاعته وتأكيد لعدم العجز والجبن الذي هو طرف التفريط من فضيلة الشجاعة **وقوله** وان مسيري
لمثلها اي لمثل تلك الحال التي كنت عليها معهم زمان كفرهم من سوق كتائبهم وطردها من غير جبن ولا ضعف
وهو في معنى التهديد بالذي عساه ان يبلغ خصومه ويقوي به نفوس اوليائه وكذلك قوله ولأبقرنّ الباطل
حتى اخرج الحق من خاصرته ايضاً في معنى التهديد وتنبيه على ما عليه خصومه من الباطل واستعار هنا لفظ
الخاصرة للباطل والبقر لتفريق الباطل وتمييز الحق تشبيهاً في اسناد الحق فيه وعدم تمييزه منه بحيوان ابتلع
جوهراً ثميناً اعزّ منه قيمة واتم فائدة فاحتيج الى شق بطنه في استخلاصها ابتلع **وقوله** ما لي ولقريش لقد قتلتهم

على سبيل انكار ما بينه وبينهم مما يوجب الاختلاف ويجحد فضيلته وحسم لاعذارهم في حربه **وقوله** لقد قاتلتهم
كافرين اظهار للمنّة عليهم بسوقهم الى الدين او لا وتعيير لهم بما كانوا عليه من الكفر ليعترفوا بفضيلته ونعمة
الله عليهم وليخجلوا من مقابلته بالباطل وهو اظهار الانكار عليه اذ كانوا اولى الايمان المنكوسة وهو اولى بهم لحرّا
كما كان اولاً وكذلك قوله ولأقاتلنّهم مفتونين على احد الروايتين وانا على دوائه ولا قاتلنّهم فهو تهديد بان
يوقع بهم القتال على فتنتهم وضلالهم عن الدين وكافرين مفتونين منصب على الحال وفي ذكر هذين الحالين
تنبيه على علة قتاله لهم في الحالتين وهو طلبه لاستقامتهم على الدين ورجوعهم الى الحق عن الضلال واعزاز
للتأسّيين بهم **وقوله** واني لصاحبهم بالامس كما انا صاحبهم اليوم اشارة الى انه لم يتغير حالته التي بها
قاتلهم كافرين وفائدة تذكير الخصم الآن بابلائه الكفار به في ذلك الوقت ليتقهقروا عن محاربته اذ في تذكر
وقائعه بدو الاسلام وشدة باسه ما تطير منه القلوب وتقشعر منه الجلود وقد نقلت في تمام هذه الخطبة
في بعض النسخ لتضجّ قريش ضجيجها ان تكن فينا النبوة والخلافة والله ما اتينا اليهم الا انا اجترأنا عليهم و
ذلك اشارة الى السبب الاصلي لخروج طلحة والزبير وغيرهم من قريش عليه هو الحسد والمنافسة لم يكن
الخلافة والنبوة في بني هاشم دونهم والضجيج الصراخ القوي وهو كناية عن شدة مخاصماتهم ومنافراتهم له
على هذا الامر وقوله والله ما اتينا اليهم تأكيد لما نسبه اليهم من سبب الخروج بالقسم البارّ على انه لم يكن
الباعث لهم على قتاله او على حسده والبغي عليه امر من قبله سوى الاجتراء عليهم اي الشجاعة والاقدام عليهم
اي الشجاعة في منعهم عما يريدون من قول او فعل لا تسوغه الشريعة فانه لما لم يكن ذلك في الحقيقة اساءة في
حقهم يستحق بها المكافأة منهم بل احساناً وردعاً عن سلوك طرق الضلال تعين ان السبب الخروج عليه
بعينه هو الحسد والمنافسة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** في استنفار الناس الى اهل الشام
اف لكم لقد سئمت عتابكم أرضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة عوضاً وبالذل من العز خلفاً اذا دعوتكم الى جهاد
عدوكم دارت اعينكم كانكم من الموت في غمرة ومن الذهول في سكرة يرتج عليكم حواري فتعمهون وكان قلوبكم مألوسة فانتم لا تعقلون
ما انتم لي بثقة سجيس الليالي وما انتم بركن يمال بكم ولا زوافر عز يفتقر اليكم ما انتم الا كابل ضل رعاتها فكلما جمعت من
جانب انتشرت من آخر لبئس لعمر الله سعر نار الحرب انتم تكادون ولا تكيدون وتنتقص اطرافكم فلا تمتعضون
لا ينام عنكم وانتم في غفلة ساهون غُلب والله المتخاذلون وايم الله اني لاظن بكم ان لو حمس الوغى واستحرّ الموت
قد انفرجتم عن ابن ابي طالب انفراج الرأس والله ان امرءاً يمكّن عدوه من نفسه يعرق لحمه ويهشم عظمه ويفري
جلده لعظيم عجزه ضعيف ما ضمّت عليه جوانح صدره انت فكن ذاك ان شئت فاما انا فوالله دون ان اعطي
ذلك ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام وتطيح السواعد والاقدام ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء ايها
الناس ان لي عليكم حقاً ولكم عليّ حق فاما حقكم عليّ فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا
وتأديبكم كيما تعلموا واما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب والاجابة حين ادعوكم والطاعة

حين آمركم **اقول** روي انه عليه السلام خطب بهذه الخطبة بعد فراغه من امر الخوارج وقد كان قام بالنهروان فحمد الله
واثنى عليه وقال اما بعد فان الله تعالى قد احسن بنا نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم من اهل الشام فقالوا
له قد نفدت نبالنا وكلّت سيوفنا ونصلت اسنة رماحنا وعاد اكثرها قصداً فارجع بنا الى مصرنا لنستعد بأحسن عدتنا ولعل امير المؤمنين يزيد في عددنا مثل من
هلك منا لنستعين به فاجابهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم الآية
فتلكّؤا عليه وقالوا ان البرد شديد فقال انهم يجدون البرد كما تجدون افلا تكونوا كما قال الله تعالى قالوا يا موسى
ان فيها قوماً جبارين الآية فقام منهم ناس واعتذروا بكثرة الجراح في الناس وطلبوا ان يرجع بهم الى الكوفة
اياماً ثم يخرج بهم فرجع بهم غير راض وانزلهم النخيلة وامرهم ان يلزموا معسكرهم ويوطنوا على الجهاد انفسهم ويقلّوا زيارة
اهليهم فلم يقبلوا وجعلوا يتسللون ويدخلون الكوفة حتى لم يبق معه الا القليل منهم فلما رأى ذلك دخل الكوفة
فخطب الناس فقال ايها الناس استعدوا لقتال عدو في جهادهم القربة الى الله ودرك الوسيلة عنده قوم
حيارى عن الحق لا يبصرونه موزعين بالجور والظلم لا يعدلون به جفاة عن الكتاب نكب عن الدين يعمهون
في الطغيان ويتسكعون في غمرة الضلال فاعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله
وكفى بالله وكيلاً قال فلم ينفروا فتركهم اياماً ثم خطبهم هذه الخطبة فقال اف لكم الفصل الى كلمة تضجر من
الشيء وغمرات الموت سكراته التي يغمر فيها العقل والذهول النسيان والسهو ويرتج عليكم اي يغلق والحوار
المخاطبة وتعمهون تتحيرون وتترددون والمألوس المجنون والمختلط العقل وسجيس الليالي وسجيس الاوجس
ابداً مدى الليالي والزوافر جمع زافرة وزافرة الرجل انصاره وعشيرته وسعر جمع ساعر واسعار النار تهييجها
والهابها والامتعاض الغضب وحمس الوغى اشتد الحرب والوغى جلبة الاصوات ويعرق اللحم عرق العظم
ابقى على العظم منه شيئاً والمشرفية سيوف منسوبة الى مشارف قرى من ارض العرب تدنو من الشريف والفراش
الهام العظام الرقيقة تلي القحف واعلم انه عليه السلام لما اراد استنفارهم الى الحرب كانوا كثيراً ما يتثاقلون
عن دعوته استقبلهم بالتأفيف والتضجر بما ينفصل من افعالهم **قوله** لقد سئمت عتابكم تنفير لهم عن ما
تأفف منه وقوله ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة عوضاً وبالذل من العز خلفاً استفهام على سبيل الانكار
عليهم يستلزم الحث على الجهاد فان الجهاد لما كان مستلزماً الثواب الآخرة ولعزة الجانب وخوف الاعداء
والقعود عنه يستلزم في الاغلب السلامة في الدنيا والبقاء فيها لكن مع طمع العدو فيهم وذلتهم لهم كانوا
بقعودهم عنه كمن اعتاض الدنيا من الآخرة واستخلف الذل من العزة وذلك مما لا يرضى به ذو عقل سليم
عوضاً وخلفاً منصوبان على التمييز **وقوله** اذا دعوتكم الى جهاد عدوكم الى قوله ولا تعقلون تبكيت لهم وتوبيخ وقال
تعرض لهم الى الجهاد الاولى انه تدور اعينهم حيرة وتردداً وخوفاً من الحرب وما تحته من القدوم والاقدام على
الموت وفي كلا الامرين خطر ثم شبه حالتهم تلك في دوران اعينهم وحيرتهم بحال المغمور في سكرات الموت
الشاخص بصره من خاصا احوال المشغول بما يجده من الالم ونحوه قوله تعالى ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي

يغشى عليه من الموت الثانية انه يرتج عليهم حواره ويرتج في موضع الحال ويعمهون عطف عليه اي يرتج عليكم
متحيرون ثم شبه حالهم عند دعائه لهم الى الجهاد تشبيهاً ثانياً بحال المختلط عقله اي انهم في حيرتهم وترددهم
في جوابه كالمختلط العقل لا يفقه ما يقول الثالثة انهم ليسوا بثقة ابداً وهو وصف لهم برذيلة الخلف والكذب
المستلزم لعدم ثقته باقوالهم الرابعة كونهم ليسوا بركن يمال به المستند اليه على خصمه يقال فلان ركن
شديد استعارة من ركن الجبل وهو جانبه لما بينهما من المشاركة في الشدة وامتناع المعتصم به ونحوه قوله
تعالى لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد اي قوي يمنعني منكم وهو وصف بالتخاذل والعجز الخامسة
ولا زوافر عز يفتقر اليهم وهو وصف لهم برذيلة الذل والحقارة السادسة تشبيههم بابل ضل رعاتها والابل
الى وجه الشبه وهو انها كلما جمعت من جانب انتشرت من جانب الى انهم ضعيفو العزوم متشتتو الآراء لا
يجتمعون على مصلحة بها يكون نظام احوالهم في الدارين وقد علمت ان ذلك من نقصان القوة العملية فكان
شهادة على رذيلة الجهل السابعة كونهم ليسوا بسعر نار الحرب اي ليسوا من رجالها وذلك ان مدار الحرب على الشجاعة
والرأي وقد سبقت منه الاشارة الى فقدهم بالفشل وضعف الرأي فاذن ليسوا من رجال الحرب ولما استعار
لهيجان الحرب لفظ النار لما يستلزمانه من الاذى الشديد رشح تلك الاستعارة بذكر الاسعار ووصف حالها
الثامنة كونهم يكادون ولا يكيدون اي يخدعون ويمكر بهم عدوهم في ايقاع الحيلة بهم وليس لهم قوة المكر والحيلة
برذلك ايضاً من رذيلة ضعف الرأي التاسعة كونهم ينتقص اطرافهم فلا يمتعضون اي يغار العدو في كل وقت على
بعض بلادهم فيحوزها فلا يشق ذلك عليهم ولا يجد كم منه انفة وحمية وهو وصف لهم برذيلة المهانة العاشرة
كونهم في غفلة ساهون مع انتباه عدوهم لهم وهو وصف لهم برذيلة الغفلة ايضاً عما وراءهم وقلة عقليتهم لمصالح
انفسهم وكل هذا التوبيخ تثقيف لهم وتنبيه لنفوسهم الراقدة في مراقد طبائعها على ما ينبغي لهم من المصالح التي
يكون بها انتظام احوالهم على قانون الدين **قوله** غلب والله المتخاذلون تنبيه على انهم بتخاذلهم سيغلبون و
اورد الغلب المطلق بعلة التخاذل لانه في الحكم العام اشد قبولاً لهم على انفسهم اذ لو خصصهم به فقال غلبتم
والله لتخاذلكم لم يكن وقعه في الذهن كذلك **قوله** وايم الله الى قوله انفراج الرأس اقسم انه ليظن بهم انهم عند
اشتداد الحرب وحرارة الموت سينفرجون عنه انفراج الرأس اي يتفرقون عنه اشد تفرق وانفراج الرأس مثل قيل
اول من تكلم به اكثم بن صيفي في وصية له يا بني لا تنفرجوا عند الشدائد انفراج الرأس فانكم بعد ذلك لا تجتمعون
على عز وفي معناه اقوال احدها قال ابن دريد معناه ان الرأس اذا انفرج عن البدن لا يعود اليه ولا يكون بعد
اتصال وذلك اشد انفراج الثاني قال المفضل الرأس اسم رجل ينسب اليه قرية من قرى الشام يقال لها بيت
الرأس وفيها يباع الخمر قال حسان كان سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء وهذا الرجل قد انفرج
عن قومه فلم يعد اليهم الثالث قال بعضهم معناه انفراج عظام الرأس عن بعض كان ذلك بعيد الالتئام والعود الى الصحة الرابع قال بعضهم معناه انفرجتم عني راساً
اي بالكلية الخامس قيل معناه انفراج من يريد ان يحوي براسه السادس قيل معناه انفراج المرأة عن رأس ولدها

خالة الوضع فانه يكون في غاية من الشدة ويتفرق الاتصال والانفراج ونحوه قوله عليه السلام لهم في موضع آخر
انفراج المرأة عن قبلها وعلى كل تقدير فمقصوده شدة انفصالهم وتفرقهم عند خروج ما يكون اليهم واستعمال الحر
يحتمل ان يراد به شدة الشبيهة بالحرارة مجازا كما سبق ويحتمل ان يراد به خلوصه وحضوره فيكون اشتقاقا من الحر
والجملة الشرطية خبر ان المخففة من المثقلة واسمها ضمير الشان وهي مع اسمها وخبرها قائمة مقام مفعولي الظن
وفيه توبيخ لهم على التقصير البالغ فيه الى حد ان يظن بهم الظن المذكور **قوله** والله ان امرأ الى قوله ان شئت
من لطيف الحيلة في الخطاب الموجب للانفعال والغيرة وذلك انه تصور لهم افعالهم من التخاذل عن العدو والتسف
وساير افعالهم المذمومة التي لقوا التوبيخ عليها والتعنيف بعبارة وبينهم اياها في قبح صورة واشنعها كراهة
اليهم وابلغها تاثيرا فيهم وهو تمكينهم للعدو من انفسهم فان افعالهم من التخاذل ونحوه وهي بعينها تمكين العدو
فيما يريد بهم واعداد له وتقوية لحاله ولما كان من عادة ظفر العدو اجتياح المال والقتل وتفريق الحال كنى
عن الاول بقوله يعرق لحمه ووجه استعارة عرق اللحم لسلب المال كلية ظاهر وكذلك كنى عن القتل وساير
اسباب الهلاك من فعل العدو بهشم العظم وعن تمزيق الحال المنتظم بفري الجلد ثم لما كان من البين ان تخاذلهم
تمكين العدو منهم وكان تمكين الانسان لعدوه من نفسه بفعل الافعال المنكرة لا يكون الا عن عجز عظيم
وضعف في القلب عن مقاومته لا جرم اثبت العجز وضعف القلب لامرئ مكن عدوه من نفسه واكد ذلك بان و
بالقسم البار وكنى بضعف القلب عن الجبن واتى بذلك الاثبات على وجه عام لكل امرئ فعل ذلك ولم يخصهم
بالخطاب لانه تمكين العدو عليهم صريحا وان كانوا هم المقصودين بذلك رجاء لكفهم عن الدخول تحت هذا
العموم بالانقياد والامر بالجهاد ثم اردفه بالامر ان يكونوا ذلك المرء الذي وصفه بما وصفه امرا على سبيل التهديد
والتعجيز وذلك قوله انت فكن ذاك ان شئت وذاك المرء الموصوف بالعجز والضعف خطاب للشخص المطلق الصالح
على اي واحد منهم كان وامر له ان يكون بصفة المرء الموصوف والتعجيز له عما ذكره مما يلزم الانسان من الاحوال
الردية عند تمكينه عدوه من نفسه وروي انه خاطب بقوله انت فكن ذاك الاشعث بن قيس فانه روي انه قال له عليه السلام
وهو يخطب ويلوم الناس عن تقاعدهم عن الحرب هلا فعلت فعل ابن عفان فقال له ان فعل ابن عفان لمخزاة
على من لا دين له ولا وثيقة معه وان امرأ امكن عدوه من نفسه يهشم عظمه ويفري جلده لضعيف رايه مأفون عقله
انت فكن ذاك ان شئت لعمري **قوله** فاما انا الى قوله ما يشاء لما امرهم ان يكونوا ذلك المرء على سبيل التهديد
اردف ذلك بالتبري من حال المرء المذكور ليكون لهم به عليه السلام اسوة في التقاعد عن تمكين العدو من انفسهم
الا بعد بذل الوسع في الجهاد اي على تقدير اختيار المخاطب تلك الحال فانه هو لا يختار ذلك بل دون ان يعطي
عدوه من نفسه ذلك التمكين ضرب بالمشرفية تطير منه الهام وتطيح منه السواعد والاقدام وكل ذلك كناية
عن اشد المجاهدة ويفعل الله بعد ذلك الجهاد والمناجزة ما يشاء من تمكين العدو او عدم تمكينه فان اليه مصير
الامور وعواقبها **قوله** ايها الناس الى آخره ذكر ما لهم عليه من الحق وما له عليهم منه ليعرفهم انه ادى ما عليه من الحق

لهم فينبغي ان يخرجوا اليه من واجب حقه الذي فرض الله عليهم فبدا ببيان حقهم عليه لان ذلك اجلب لطباعهم فان
البداءة بحق الغير قبل حق النفس اليق بالادب وهم لسماعه اقبل فذكر منها اربعة امور بها يكون صلاح حالهم في
الدارين احدها النصيحة لهم وهي حثهم على مكارم الاخلاق وجذبهم الى ما هو الاليق بهم في معاشهم ومعادهم
الثاني توفير فيئهم عليهم بترك ظلمهم فيه وتفريقه في غير وجهه مما ليس بمصلحة لهم كما نسبوا الى من كان قبله
الثالث تعليمهم كيلا يجهلوا ما لم يقل كيما يعلموا لان ظهور المنة عليهم بذكر نفي الجهل عنهم اشد من ظهورها
في ذكر غرض افادة العلم لهم ولذلك كان اذى الرجل وانفر من ان يقال له يا جاهل اشد تبكيتا من ان يقال
له لست بعالم الرابع تاديبهم كيما يعلموا فهذه الامور الاربعة هي الواجبة على الامام للرعية واحدها يرجع الى صلاح
ابدانهم وقوامها وهو توفير فيئهم عليهم ببسطه وعدم التصرف فيه بغير وجوه مصالحهم والثاني يرجع الى صلاح
حال نفوسهم اما من جهة اصلاح القوة النظرية وهو التعليم لغرض العلم او من جهة اصلاح القوة العملية وهو
التاديب لغرض العمل وواحد مشترك بين مصلحتي البدن والنفس ونظام احوالهما وهو النصيحة لهم ثم اردف ذلك
ببيان حقه عليهم وذكر ايضا اربعة الاول الوفاء بالبيعة وهي اهم الامور لانها النظام الكلي الجامع لهم معه
الثاني النصيحة له في غيبته وحضوره والذب عنه اذ بذلك ينتظم شمل المصلحة بينهم وبينه ايضا الثالث الاجابة
حين يدعوهم من غير تثاقل عن ندائه فان في التثاقل عن دعوته ما علمت من قهر العدو وغلبته عليهم وفوات
مصالح عظيمة الرابع طاعتهم له حين يامرهم وظاهر ان شمل المصلحة لا ينتظم بدون ذلك وانت تعلم بادنى تامل
ان هذه الامور الاربعة وان كانت حقوقا له عليهم الا انه انما يطلبها منهم لما يعود عليهم به من النفع في الدنيا
والاخرة فان الوفاء ملكة تحت العفة والنصيحة له سبب لانتظام امورهم به واجابة دعوته اجابة لداعي الله الجاذب
الى الخير والمصلحة وكذلك طاعة امره طاعة لامر الله اذ هو الناطق به وقد علمت ما يستلزمه طاعة الله من الكرامة
عنده وبالله التوفيق والعصمة **ومن خطبة له عليه السلام** بعد التحكيم الحمد لله وان اتى الدهر بالخطب الفادح والحدث
الجليل واشهد ان لا اله الا الله ليس معه اله غيره وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله اما بعد فان معصية
الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة وقد كنت امرتكم في هذه الحكومة امري ونخلت لكم
مخزون رايي لو كان يطاع لقصير امر فابيتم علي اباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه
وضن الزند بقدحه فكنت واياكم كما قال اخو هوازن امرتهم امري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح الا ضحى الغد
اقول روي ان عمرو بن العاص وابا موسى الاشعري لما التقيا بدومة الجندل وقد حكما في امر الناس كان علي
يومئذ قد دخل الكوفة ينتظر ما يحكمان به فلما تمت خدعة عمرو لابي موسى وبلغه عليه السلام ذلك اغتم
له غما شديدا ووجم منه وقام فخطب الناس فقال الحمد لله الفصل وزاد بعد الاستشهاد ببيت دريد في بعض الروايات
الا ان هذين الرجلين اللذين اخترتموهما قد نبذا حكم الكتاب واحييا ما امات واتبع كل واحد منهما هواه
وحكم بغير حجة ولا بينة ماضية واختلفا فيما حكما فكلاهما لم يرشده الله فاستعدوا للجهاد وتاهبوا للسير واصبحوا

في معسكركم يوم كذا واما قصة التحكيم وسببها فمذكور في التواريخ والخطب الامر العظيم وفدحه الامر اذا غاله و
ابهظه والجافي خشن الطباع الذي ينبو طبعه عن المؤانسة فيقاطع ويباين **قوله** الحمد لله الى قوله الجليل قد
عرفت نسبة الخير والشر الى الدهر على اي وجه هي ومراده لحمد الله على كل حال من السراء والضراء وان هنا للغاية
ويفهم من هذا الصدد وقوع الخطب الفادح وهو ما وقع من امر الحكمين وحمد الله عليه وقوله ليس معه اله غيره
تاكيد لمعنى الكلمة التوحيد وتقرير لمقتضاها **قوله** اما بعد الى قوله الندامة القيود الاربعة التي ذكرها
من صفات المشير معتبرة في حسن الراي ووجوب قبوله اما كونه ناصحا فلان الناصح يصدق في الفكر ويمحض الراي
وغير الناصح ربما يشير بغير الراي فيوقع في المضرة واما كونه شفيقا فلان الشفقة تحمل على النصح وتحمل على
التروي في الامر وايقاع الراي فيه عن تثبت واجتهاد والباعث على هذين اعني النصح والشفقة اما الدين واما محبة
المستشير واما كونه عالما فلانه اصابته لوجه المصلحة في الامر فان الجاهل اعمى لا يبصر وجه المصلحة فيه
قال رسول الله صلى الله عليه وآله استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا وقال عبد الله بن الحسن
لابنه محمد احذر مشورة الجاهل وان كان ناصحا كما تحذر عداوة العدو العاقل فانه كما يوشك ان يغتم بك مكر
العاقل كذلك يوشك ان يورطك شور الجاهل واما كونه مجربا فلانه لا يتم راي العالم ما لم ينضم اليه التجربة
وذلك ان العالم وان علم وجه المصلحة في الامر الا ان ذلك الامر قد يشتمل على بعض وجوه المفاسد لا يطلع
عليه الا بالتجربة مرة بعد مرة والمشورة من دون تجربة مظنة الخطاء وقيل في منثور الحكم كل شيء يحتاج الى العقل
والعقل يحتاج الى التجارب واذا عرفت ان طاعة المشير الموصوف بالصفات المذكورة مستلزمة في اغلب الاحوال
للسرور بحسب ثمرة رايه والفوز بها لاجرم كانت معصيته ومخالفة رايه مستلزمة للحسرة مستعقبة للندامة **وقوله**
وقد كنت امرتكم في هذه الحكومة امري لما قدم ان معصية المشير المذكور تعقب الحسرة والندامة اردفه بالتنبيه
انه هو المشير وانه اشار عليهم بما هو الاصلح ليتضح لهم انهم عصوا مشيرا قد استكمل شرائط الراي فيتوقعوا الندم
على معصيته **وقوله** ونخلت لكم مخزون رايي استعارة للفظ النخل لاستخلاص اسعد الاراء واجودها لهم بحسب اجتهاده
ووجه المشابهة ان اجود ما ينتفع به مما ينخل من دقيق ونحوه هو المنخول كذلك الراي اجوده وانفعه ما استخلص
من كدورات الشهوة والغضب **وقوله** لو يطاع لقصير امر مثل وقصير هذا هو قصير بن سعد اللخمي مولى جذيمة الابرش
بعض ملوك العرب واصل المثل ان جذيمة كان قتل ابا الزباء ملكة الجزيرة فبعثت اليه عن حين ليتزوج بها خدعة
وسالته القدوم عليها فاجابها الى ذلك وخرج في الف فارس وخلف باقي جنوده مع ابن اخته عمرو بن عدي و
كان قصير اشار على جذيمة ان لا يتوجه اليها فلم يقبل رايه فلما قرب جذيمة من الجزيرة استقبله جنود الزباء بالعدة
ولم ير منهم اكراما له فاشار عليه قصير بالرجوع عنها وقال انها امراة ومن شان النساء الغدر فلم يقبل فلما دخل
اليها غدرت به وقتلته فعندها قال قصير لا يطاع لقصير امر فذهبت مثلا لكل ناصح عصي وهو مصيب في رايه
وقد يتوهم ان جواب لو هيهنا مقدم والحق ان جوابها محذوف والمعنى بترتيب الكلام والتقدير اني كنت امرتكم

امري في هذه الحكومة ونخلت لكم فلو اطعتموني لفعلتم ما امرتكم ومحضت لكم النصيحة فيه فقولنا لفعلتم هو تقدير
الجواب ومما ينبه عليه ان قوله فابيتم علي اباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة وهو في تقدير استثناء
نقيض ذلك التالي وتقديره لكنكم ابيتم علي اباء من خالف الامر وجفا المشير وعصاه حتى شك في نصحه هل
كان صوابا او خطاء وهذا الحكم حق فان المشير بالراي الصواب اذا كثر مخالفوه فيه فقد يتهم نفسه في صحة ذلك
الراي وصوابه لان استخراج وجه المصلحة في الامر اجتهادي يغلب على الظن بكثرة الامارات اللائحة للمشير
فاذا جوز المشير ان يكون خلاف ما راه هو المصلحة فلا مانع اذن ان يعرض لغيره امارات اخرى يغلب على ظنه
ان ما راه هو ليس بمصلحة فيعارض بها راه الاول حتى يخالفه فاذا كثرت تلك المخالفة من جمع عظيم جاز
ان يتشكك الانسان فيما ظنه من المصلحة انه ليس بمصلحة وان الامارات التي اقتضت ذلك الظن غير صحيحة
فلذلك قال عليه السلام حتى ارتاب الناصح بنصحه وعنى بالناصح نفسه او من راى رايه لاطباق اكثر اصحابه
على مخالفتهم وقال بعض الشارحين يحمل ذلك على المبالغة لانه عليه السلام منزه عن ان يشك فيما يراه صوابا
بعد سعوديه **وقوله** وضن الزند بقدحه قيل هو مثل يضرب لمن يبخل بفوائده اذا لم يجد لها قابلا لعادة فا
بحقها او لم يمكن من افادتها فان المشير اذا اتهم واستغش وخولف رايه ربما لا يقدح له بعد ذلك راي
صالح الحكم المعتصب عليه من جهة مخالفته وعدم قبول رايه ولما كان غرضه ان يقرر عليهم الندامة في مخالفة
رايه ويريهم ثمرة عصيان امر الصادر عن معاينة وجه المصلحة كما هو قال فكنت واياكم كما قال اخو هوازن
امرتهم امري البيت وهو لدريد بن الصمة من قصيدة في الحماسة اولها نصحت لعارض واصحاب عارض ورهط
بني السوداء والقوم شهدي وقصته في هذه القصيدة ان اخاه عبد الله بن الصمة غزا بني بكر بن هوازن بن
غطفان فغنم منهم واستاق ابلهم فلما كان بمنعرج اللوى قال لا والله لا ابرح حتى انحر النقيعة وهو ما نحر من
النهب قبل القسمة واجيل السهام فقال له اخوه دريد لا تفعل فان القوم في طلبك فابى عليه واقام ونحر
النقيعة وبات فلما اصبح هجم القوم عليه وطعن عبد الله بن الصمة فاستغاث باخيه دريد فنهنه عنه القوم
حتى طعن هو ايضا وصرع وقتل عبد الله وحال الليل بين القوم فنجا دريد بعد طعنات وجراح حصل له
فقال القصيدة وانما قال عليه السلام اخو هوازن لنسبته اليهم فان دريد بن الصمة من بني جشم بن معوية بن هوازن
ونحوه قوله تعالى واذكر اخا عاد لنسبته فيهم وكذلك قال لهم اخوهم لوط ويكون اطلاق لفظ الاخ مجازا
لاتصاله بهم والملابسة لهم وقد عرفت ذلك ووجه تمثله عليه السلام بالبيت اني كنت واياكم في نصحي لكم ونهيي
عن الحكومة ومخالفتكم اياي المستلزمة لندامتكم على التفريط كهذا القائل مع قومه حيث نصح لهم فعصوه فلحقهم
من الندامة والهلاك واعلم ان الذي كان اشار به على اصحابه هو ترك الحكومة والصبر على قتال اهل الشام بعد
التنبيه الى امارات الغلبة ليلة الهرير كانت لائحة على اهل الشام فلما عاينوا الهلاك استشار معاوية عمرو بن العاص
في كيفية الخلاص فقال عمرو ان رجالك لا تقوم لرجاله ولست مثله انه يقاتلك على امر وانت تقاتله على غيره

تريد البقاء وهو يريد الفناء واهل العراق يخافون منك ان ظفرت بهم واهل الشام لا يخافون عليا ان ظفر بهم ولكن القِ الى القوم امرا ان قبلوه اختلفوا وان ردوه اختلفوا ادعهم الى كتاب الله حكما فيما بينك وبينهم فانك بالغ به حاجتك وانى لم ازل ادخر هذا الامر لوقت حاجتك اليه فعرف معوية ذلك فلما اصبحوا رفعوا المصاحف على اطراف الارماح وكان عددها خمسمائة مصحف ورفعوا مصحف المسجد الاعظم على ثلث ارماح مشدودة يمسكها عشرة رهط ونادوا باجمعهم الله الله معشر العرب في النساء والبنات الله الله في دينكم هذا كتاب الله بيننا وبينكم فقال علي عليه السلام اللهم انك تعلم انهم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم انك انت الحكم الحق المبين وقع اختلف اصحابه فقالت طايفة القتال القتال وقال اكثرهم المحاكمة الى الكتاب لا يحل لنا الحرب وقد دعينا الى حكم الكتاب ونادوا من كل جانب الموادعة الموادعة فقال عليه السلام في جوابهم ايها الناس انى احق من اجاب الى كتاب الله ولكن معوية وعمرو بن العاص وابن ابي معيط ليسوا باصحاب دين ولا قرآن انى اعرف بهم منكم صحبتهم صغارا ورجالا فكانوا شر صغار وشر رجال ويحكم انها كلمة حق يراد بها باطل انهم ما رفعوها انهم يعرفونها ولا يعملون بها ولكنها الخديعة والمكيدة والوهن اعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق الا ان يقطع دابر القوم الظالمين فجاءه عشرون الفا من اصحابه ونادوه باسمه دون امرة المؤمنين اجب اليوم الى كتاب الله اذا دعيت والا قتلناك كما قتلنا عثمان فقال عليه السلام ويحكم انا اول من اجاب الى كتاب الله واول من دعا اليه فكيف لا اقبله وانما قاتلتهم ليدينوا بحكم القرآن ولكنى قد اعلمتكم انهم قد كادوكم وليس العمل بالقرآن يريدون فقالوا ابعث الى الاشتر ليأتيك وقد كان الاشتر صبيحة ليلة الهرير قد اشرف على عسكر معوية ليدخله ولاح له الظفر فبعث اليه فرجع على كره منه ووقع بينه وبين من اجاب الى الحكومة من اصحاب علي سباب وجدال لانه على ما اختاروا من ترك الحرب ونادوا من كل جانب رضي امير المؤمنين بالتحكيم وكتبوا عهدا على الرضا به وسنذكر كيفيته اجمالا الا ان شاء الله وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام في تخويف اهل النهر فانا نذير لكم ان تصبحوا صرعى باثناء هذا النهر وباهضام هذا الغائط على غير بينة من ربكم ولا سلطان مبين معكم قد طوحت بكم الدار واحتبلكم المقدار وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فابيتم علي اباء المخالفين المنابذين حتى صرفت رايي الى هواكم وانتم معاشر اخفاء الهام سفهاء الاحلام ولم آت لا ابا لكم بجرا ولا اردت بكم ضرا اقول الخطاب للخوارج الذين قتلهم عليه السلام بالنهروان وقد كان القضاء الالهى سبق فيهم بما كان منهم من الخروج وروي في صحيح الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وآله بينا هو يقسم قسما جاءه رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فقال اعدل يا محمد فقال صلى الله عليه وآله قد عدلت فقال له ثانيا اعدل يا محمد فانك لم تعدل فقال صلى الله عليه وآله ويلك من يعدل اذا لم اعدل فقام عمر وقال يا رسول الله ائذن لي في ضرب عنقه فقال دعه سيخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يخرجون على حين فرقة من الناس

تحتقر صلاتكم في جنب صلاتهم وصومكم في جنب صومهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم فيهم رجل اسود مخدج اليد احدى يديه كانها ثدي امرأة او بضعة تدردر يقتلهم اولى الفريقين بالحق وفي مسند احمد رضي الله عنه عن مسروق قال قالت لي عايشة انك من ولدي ومن احبهم الي فهل عندك علم من المخدج فقلت نعم قتله علي بن ابي طالب على نهر يقال لاعلاه تامرا ولاسفله النهروان بين لخافيق وطرفا فقالت ابغني على ذلك بينة فاقمت رجالا شهدوا عندها بذلك ثم قلت لها سالتك بصاحب القبر ما الذي سمعت منه فيهم فقالت سمعته يقول انهم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة واقربهم عند الله وسيلة فاما سبب خروج هؤلاء القوم فهو انه عليه السلام لما قهره اصحابه على التحكيم والمهر واعتذار الرضى به بعد ان حذرهم ووعظهم فلم ينفع كتبوا كتاب التحكيم واخذه الاشعث بن قيس فطاف به على اصحاب معوية فرضوا به وطاف على اصحاب علي فرضوا به حتى مر برايات عنزة وكان مع علي عليه السلام منهم بصفين اربعة الاف فارس فلما قرا الكتاب عليهم قال فتيان منهم لا حكم الا لله ثم حملا على اصحاب معوية فقتلا فهما اول من حكم ثم مر على رايات بني راسب ثم على بني تميم فكل قرأه عليهم قالوا لا حكم الا لله لا نرضى ولا نحكم الرجال في دين الله فرجع الاشعث فاخبر عليا عليه السلام بذلك فاستصغر امرهم وظن انهم قليلون فلما بلغ امر الحكمين ما بلغ لم ياتوا الا وقد نادوا من كل جانب لا حكم الا لله يا علي لا لك وقد كنا اخطانا حين رضينا بالحكمين فرجعنا الى الله وتبنا فارجع انت وتب الى الله كما تبنا والا برئنا منك فابى علي عليه السلام الرجوع وقال ويحكم ابعد العهد نرجع فما نشنع بقوله تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم الآية وابت الخوارج الا تضليل التحكيم والطعن فيه فبرئوا من علي وبرئ منهم ثم كان اجتماعهم بحروراء فسماهم عليه السلام لذلك الحرورية فناظرهم بها فرجع منهم الفان ثم مضوا الى النهروان وكان امرهم يومئذ عبد الله بن الكوا وحين القتال عبد الله بن وهب الراسبي فسار اليهم فخطبهم وقال نحن اهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وعنصر الرحمة ومعدن العلم والحكمة ايها القوم اني نذير لكم الفصل وروي انه عليه السلام لما قتلهم طلب ذا الثدية فيهم طلبا شديدا فلم يجده فجعل يقول والله ما كذبت ولا كذبت اطلبوا الرجل وانه لفي القوم فلم يزل يطلبه حتى وجده في وهدة من الارض تحت القتلى وهو رجل مخدج اليد كانها ثدي في صدره وعليها شعرات كسبال الهر فكبر علي عليه السلام وكبر الناس معه فسروا بذلك الاهضام جمع هضم وهو المطمئن من الوادي والغائط ما سفل من الارض وطوحت بكم اي توهتكم في اموركم ورمت بكم المرامي واحتبلكم اوقعكم في الحبالة والنكر المنكر ويروى بجرا والبجر الامر العظيم والداهية ويروى هجرا وهو الساقط من القول ويروى عرا والعر والمعرة الاثم والعر ايضا داء ياخذ الابل فتشا فرها ويستعار للداهية واعلم ان حاصل هذا الفصل تحذير للقوم من الهلاك وهم على غير بينة من ربهم ولا حجة واضحة يحتجون بها على ما يدعونه حقا ويقاتلون عليه وذلك مما يجب الحذر منه اذ فيه حرمان سعادة الدارين وانما سميت الحجة نفسها سلطانا لان بها الغلبة والتسلط وهو من باب الاستعارة وقوله

قد طوحت بكم الدار كنى بالدار عن الدنيا وانما نسب هلاكهم او ابعادهم ورميهم في المهالك الى الدنيا لانها الموجب لتيههم اذ اتباعهم اهواءهم الباطلة التي منشاؤها انما هو تحصيل امر دنيوي من مال وجاه ونحوه فكانت الدنيا هي التي رمت بهم المرامي عن رحمة الله واخرجتهم عن طاعته وقوله واحتبلكم المقدار استعارة حسنة لاحاطة القدر النازل عن قضاء الله بهم فيوقعهم في الشدايد التي لا مخرج للطاير منها اذا نزلت به وقوله كنت نهيتكم عن هذه الحكومة الى قوله الى هواكم تقرير الحجة عليهم وكانه يقول لهم ان كان الحق هو عدم الحكومة فلم طلبتموها وابيتم علي اباء المخالفين المنابذين لما نهيتكم عنها حتى صرفت الى هواكم فيها وان كان الحق هو ابتاعها فلم تنقمون الآن لما اوقعتها وجعلت لله علي بها عهدا وعلى التقديرين يلزمكم الخطا وقوله وانتم معاشر اخفاء الهام سفهاء الاحلام الواو للحال والعامل صرفت والاضافة في اخفاء وسفهاء غير محضة ولذلك صح كونها وصفين لمعاشر وخفة الهام كناية عن رذيلة مقابلة الطيش المقابلة لفضيلة الثبات والسفه رذيلة مقابلة للحلم والثبات والحلم فضيلتان تحت ملكة الشجاعة ولما كانت هاتان الرذيلتان نسبتا الى الفضيلتين صح اضافتهما اليهما وقوله ولم آت لا ابا لكم بجرا ولا اردت بكم ضرا خرج مخرج الاعتذار اليهم واستدراجهم ببيان تحسين فعله ونفي النكر عنه وعدم قصد الاساءة اليهم ليرجعوا عما نسبوه اليه وقوله لا ابا لكم كلمة اعتيدت في السنة العرب قال الجوهري يراد بها المدح وقال غيره يراد بها الذم فان عدم اللحوق باب يستلزم العار والسبة وقيل هو دعاء عليه ان لا يكون له اب يعزه ويشد ظهره ونفي الاب يستلزم نفي العشيرة له فكانه دعاء بالذل وعدم الناصر والله اعلم ومن كلام له عليه السلام يجري مجرى الخطبة فقمت بالامر حين فشلوا وتطلعت حين تقبعوا ونطقت حين تعتعوا ومضيت بنور الله حين وقفوا وكنت اخفضهم صوتا واعلاهم فوتا فطرت بعنانها واستبددت برهانها كالجبل لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف لم يكن لاحد في مهمز ولا لقائل في مغمز الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله امره اتراني اكذب على رسول الله والله لانا اول من صدقه فلا اكون اول من كذب عليه فنظرت في امري فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي واذا الميثاق في عنقي لغيري اقول التتعتع الاضطراب في الكلام عن الحصر وتطلع الامر تجسسه وتعرفه والتقبع القبض يقال قبع اذا قبض راسه بين كتفيه والاستبداد الانفراد والرهان ما يرهن ويستبق عليه والهمز العيب والغمز العيب كذلك المغمز قال بعض الشارحين هذا الفصل فيه فصول اربعة التقطها الرضي رحمه الله من كلام طويل له عليه السلام قاله بعد وقعة النهروان ذكر فيها امره من وقت رسول الله صلى الله عليه وآله الى آخر وقت الفصل الاول قوله فقمت بالامر حين فشلوا الى قوله برهانها هذا الكلام ورد في معرض افتخاره واثبات فضيلته على سائر الصحابة لغاية قبول رايه فقيامه بالامر حين فشلوا اشارة الى فضيلة شجاعته اي قمت بامر الله بين يدي رسوله وبعده في الحروب والمقامات الصعبة التي ضعفوا عنها والاوقات التي فشلوا فيها وامره في ذلك ظاهر وقوله

ونطقت حين تعتعوا اشارة الى ملكة الفصاحة مستتبعة لملكة العلم اي نطقت في القضايا المبهمة والاحكام المشكلة والمقاول التي حصرت فيها بلغاؤهم فكنى بنطقه وتعتعتهم عن فصاحته وعيهم وقوله وتطلعت حين تقبعوا اشارة الى كبر الهمة في تحصيل ما ينبغي للانسان ان يحصله من تعرف الامور واخبارها والنظر في مصادرها ومواردها وهي ملكة تحت الشجاعة ولما كان التطلع على الامر يحتاج الانسان فيه الى نوع من التطاول ومد العنق وتحديق العين ونحوه وكان تعرف الامور واخبارها لا بد فيه من بعث رائد الفكر الذي هو عين النفس التي بها يبصر وتعتبر به نحو الامور المعقولة وارسال المتخيلة لتفتيش خزاين الحس اشبه ذلك التطلع فاستعار له لفظ التطلع وكنى به عنه حين تقبعوا اي كان تعرفه للامور حين قصورهم عن ذلك ولما كان التقبع يقابل مد العين والتطاول الى رؤية الاشياء المسمى تطلعا وكان قصورهم وعدم اعتبارهم للاشياء يقابل مد الفكر وتطاول الذهن الى معرفة الامور وكان قصور الفكر ايضا والعجز عن المعرفة يشبه التقبع استعار لهم لفظ التقبع وكنى به عنه وقوله ومضيت بنور الله حين وقفوا اشارة الى فضيلة العلم اي كان سلوكي لسبيل الحق على وفق العلم وهو نور الله الذي لا يضل من اهتدى به وذلك حين وقفوا حايرين مترددين جاهلين بالقصد وكيفية سلوك الطريق وانما اثبت لنفسه هذه الفضايل وقرن كل فضيلة له برذيلة فيهم تقابلها ليتبين فضله بالنسبة اليهم اذ كان الغرض ذلك وقوله وكنت اخفضهم صوتا واعلاهم فوتا كنى بخفض الصوت عن ربط الجاش في الامور والثبات فيها والتصميم على فعل ما ينبغي من غير التفات الى الجواذب والموانع عن فعل ما هو خير ومصلحة فان كثرة الاصوات وعلوها في الافعال التي هي مظنة الخوف دليل الفشل ولا شك ان من كان اشد في ذلك كان اعلى فوتا واشد سبقا الى مراتب الكمال ودرجات السعادة ممن كان اضعف فيه وقوله فطرت بعنانها واستبددت برهانها الضميران يعودان الى الفضيلة وان لم يجر لها ذكر لفظي فاستعار لها لفظ الطيران للسبق العقلي الذي فيه من معنى السرعة واستعار لفظي العنان والرهان اللذين هما من متعلقات الخيل للفضيلة التي استكملت نفسه تشبيها لها مع فضائل نفوسهم بخيل الحلبة ووجه المشابهة ان الصحابة رضي الله عنهم لما كانوا يبتغون الفضائل ويستبقون بها الى رضوان الله وسعادات الآخرة كانت فضائلهم التي هم عليها يستبقون كخيل الرهان ولما كانت فضيلته عليه السلام اكمل فضائلهم وانما كانت بالنسبة الى فضائلهم كالفرس الذي لا يشق غباره حسن منه ان يستعير لسبقه بها لفظ الطيران ويجري عليها لفظي العنان والرهان الفصل الثاني قوله كالجبل لا تحركه القواصف الى قوله آخذ الحق منه وهذا الفصل يحكي فيه قيامه باعباء الخلافة حين انتهائها اليه وجريه فيها على القانون العدل والاوامر الالهية فقوله كالجبل تشبيه له في الثبات على الحق بالجبل فكما لا تحرك الجبل قواصف الرياح وعواصفها كذلك هو لا يحركه عن سواء السبيل مراعاة هوى لاحد او اتباع طبع يخالف ما تقتضيه سنة الله وشرعه بل هو ثابت على القانون العدل وموافقة الامر

الالهي وقوله لم يكن لاحد في مهمز ولا لقائل مغمز اي لم يكن في عيبا عاب به وقد راعى في هذه القراين الاربع مع الاربع الاخيرة من الفصل الاول السجع المتوازي وقوله الذليل عندي عزيز حتى اخذ الحق له والذليل اعتناؤه بحاله واهتمامه بامر ظلامته ومن اعتنى بحال انسان فقد اعزه ثم جعل لاعزازه غاية هي اخذ الحق له وكذلك قوله والقوي عندي ضعيف حتى اخذ الحق منه فان ضعف القوي هو قهره تحت حكمه الى غاية نزع حق المظلوم فان قلت يفهم من هاتين الغايتين ان نظره الى الذليل بعدها سيعتبر حقه والى القوي بعد اخذ الحق منه لا يكون على سواء بل يكون التفاته الى القوي اكثر وذلك ليس من العدل قلت انه لما لم يكن الغرض من الامر عبثا وانما النظر بين الخلق الا لاخذ حق الضعيف من القوي عند وقوع التظالم بينهم لم يجب تساوي النظر بين القوي والضعيف الا من تلك الجهة ولم يكن اعزازه للقوي واكرامه في غير وجه الظلم قبيحا لجواز انفراده بفضيلة توجب اعزازه من جهة الدين ايضا **الفصل الثالث** قوله رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله امره الى قوله من يكذب عليه قيل ذكره لذلك عليه السلام لما تفرس في طايفة من قومه انهم يتهمونه فيما يخبرهم به عن النبي صلى الله عليه وآله من اخبار الملاحم في الامور المستقبلة وقد كان منهم من يواجهه بذلك كما روي انه لما قال سلوني قبل ان تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة وتهدي مائة الا انباتكم بناعقها وسايقها قام اليه انس النخعي فقال اخبرني كم في لحيتي ورأسي من طاقة شعر فقال عليه السلام والله لقد حدثني حبيبي ان على كل طاقة شعر من رأسك ملك يلعنك وان على كل طاقة شعر من لحيتك شيطانا يغويك وان في بيتك سخلا يقتل ابن رسول الله وكان ابنه سنان بن انس قاتل الحسين عليه السلام يومئذ طفلا يحبو وسيأتي بعض تلك الاخبار فقوله رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله امره قد عرفت ان الرضى بقضاء الله والتسليم لامره باب من ابواب الجنة يفتحه الله لخواص اوليائه ولما كان عليه السلام سيد العارفين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وكان قلم القضاء الالهي قد جرى على قوم بالتكذيب له والتهمة فيما يقول لاجرم كان هو عليه السلام اولى الناس بلزوم باب الرضى وقوله اتراني اكذب الى قوله عليه استنكار لما صدر عنهم في حقه من التكذيب وايراد حجة لبطلان اوهامهم في حجة بصورة قياس الضمير مع نتيجته وتقديره والله لانا اول من صدقه وكل من كان اول مصدق له فلن يكون اول مكذب له ينتج اني لا اكون اول مكذب له **الفصل الرابع** قوله فنظرت في امري الى اخره فيه احتمالان احدهما قال بعض الشارحين انه مقطوع من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وانه كان معهودا اليه ان لا ينازع في امر الخلافة بل ان حصل له بالرفق والا فليمسك فقوله فنظرت فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي اي طاعتي لرسول الله فيما امرني به من ترك القتال قد سبقت بيعتي للقوم فلا سبيل الى الامتناع منها وقوله واذا الميثاق في عنقي لغيري اي ميثاق رسول الله صلى الله عليه وآله وعهده الي بعدم المشاقة وقيل الميثاق ما لزمه من بيعة ابي بكر بعد ايقاعها اي فاذا ميثاق القوم قد لزمني فلم يمكني المخالفة بعده الاحتمال الثاني ان يكون ذلك في تضجره وتبرمه من ثقل اعباء

الخلافة وتكلف مداراة الناس على اختلاف اهوائهم ويكون المعنى اني نظرت فاذا طاعة الخلق لي وانقيادهم علي قد سبقت بيعتهم لي واذا ميثاقهم قد صار في عنقي فلم اجد بدا من القيام بامرهم ولم يسعني عند الله الا النهوض بامرهم ولو لم يكن كذلك لتركت كما قال من قبل اما والله لولا حضور الحاضر بامرهم وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء الا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت اخرها بكاس اولها والاول اشهر بين الشارحين والله اعلم بالصواب **ومن خطبة له عليه السلام** وانما سميت الشبهة شبهة لانها تشبه الحق واما اولياء الله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى واما اعداء الله فدعاؤهم الضلال ودليلهم العمى فما ينجو من الموت من خافه ولا يعطى البقاء من احبه **اقول** يحتمل ان يكون هذا الكلام فصلين احدهما قوله وانما سميت الى قوله ودليلهم العمى والثاني والفصل الاول اشارة الى علة تسمية الشبهة شبهة ثم الى بيان حال الناس فيها اما الاول فالشبهة عبارة عما يشبه الحق مما يحتج به اما في صورته او في مادته او فيهما معا وظاهر ان علة تسميتها شبهة هو ذلك الشبه فلذلك حصرها فيه واما الثاني فلان الناس اما اولياء لله او اعداء له اما اولياؤه فلما كانت نفوسهم مشرقة بنور اليقين مستضيئة بمصباح النبوة في سلوك الصراط المستقيم كان تلك الانوار هداة لهم في ظلمات الشبهات وحرزهم عن الهوي في مهاوي الجهالات كما قال تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار الاية وهو الهدى المامور بلزوم سمته والسلوك له الى المطالب الحقة وهو المراد بقوله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى واما اعداؤه فليس دعاؤهم الى ما يدعون اليه الا ضلالا عن القصد القويم واضلالا للخلق عن الطريق المستقيم وليس لهم بمتبع ونزد ليلا وعمى ابانهم يهدون بالسبيل الاشبه في نفسها عمى لابصار بصايرهم عن مطالعة نور الحق وطرح لاذهان من استجاب لهم عن سلوك سبيل الله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور واما الفصل الثاني وهو قوله فما ينجو الى اخره فقصد القضية الاولى قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم وقوله اينما تكونوا يدرككم الموت الاية وحاصله التذكير بهادم اللذات والتخويف بذكره والتنفير عن محبة ما لا بقاء معه من دار الغرور ليفزع السامعون الى العمل لما بعده ان اخذ التوفيق بازمة عقولهم فان خوفه ومحبته ضده وهو البقاء لا ينفعان في الخلاص منه لكونه ضروريا في الطبيعة ويحتمل ان يكون الكلام متصلا ويكون الفصل الثاني قد سبقه قبل الاول كلام حسن تعلقه به وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** منيت بمن لا يطيع اذا امرت ولا يجيب اذا دعوت لا ابا لكم ما تنتظرون بنصركم ربكم اما دين يجمعكم ولا حمية تحمشكم اقوم فيكم مستصرخا واناديكم متغوثا فلا تسمعون لي قولا ولا تطيعون لي امرا حتى تكشف الامور عن عواقب المساءة فما يدرك بكم ثار ولا يبلغ بكم مرام دعوتكم الى نصر اخوانكم فجرجرتم جرجرة الجمل الاسر وتثاقلتم تثاقل النضو الادبر ثم خرج الي منكم جنيد متذائب ضعيف كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون **اقول** روي ان هذه الخطبة خطبها

عليه السلام في غارة النعمان بن بشير على عين التمر والسبب ان معوية بعث النعمان بن بشير في الفي فارس لارهاب اهل العراق فاقبل حتى دنى من عين التمر وكان عاملها يومئذ من قبل علي مالك بن كعب الارحبي ولم يكن معه ادواك سوى مائة رجل ونحوها فكتب مالك اليه عليه السلام يعلمه الخبر فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اخرجوا هداكم الله الى مالك بن كعب اخيكم فان النعمان بن بشير قد نزل به في جمع من اهل الشام ليس بالكثير فانهضوا الى اخوانكم لعل الله يقطع بكم طرفا من الكافرين ثم نزل فتثاقلوا فارسل الى وجوههم فامرهم بالنهوض فتثاقلوا ولم يجتمع معهم الا نفر يسير نحو ثلثمائة رجل فقام عليه السلام وقال الا اني منيت الفصل ويروى ان الدائرة كانت لمالك بن كعب على النعمان وجمعه منيت ابتليت ويحمشكم اي يغضبكم والمستصرخ المستغيث بصوته من صرخ اي صاح والمتغوث المصوت يستصرخ به وقيل هو قول الرجل واغوثاه والثار الدخل والجرجرة صوت يردده البعير في حنجرته عند عسفه والسرر داء ياخذ البعير في سرته يقال منه جمل اسر والنضو من الابل البالي من تعب السير والادبر الذي به دبر وهي القروح في ظهره وفي الفصل مطالب الاول قوله منيت بمن لا يطيع الى قوله دعوت وهو شكاية لعدم نفعه الى الصحابة ليتنبه اليهم التقصير دونه وتشنيع عليهم لا يعينهم **الثاني** قوله لا ابا لكم الى قوله مرام وهو تنبيه لهم الى نصر الله بسؤالهم عن سبب تثاقلهم عن نصرته والذب عن دينه سؤالا على سبيل الانكار للسبب وتنبيه لهم على الاسباب التي توجب اجتماعهم لنصرة الله والغضب له بسؤالهم عنها هل هي موجودة لهم ام لا سؤالا على سبيل الانكار ايضا اذ هم يدعون وجودها لهم وهي الدين الداعي الى لزوم الانقاذ فيه كما قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء الاية ثم الحمية وهي ملكة تحت الشجاعة وكذلك قوله اقوم فيكم الى قوله امرا من الاسباب الباعثة لهم ايضا على الاجتماع فان ذكره حاله من استصراخه لهم واستغاثته بهم مع ذكر حالهم في مقابلة ذلك من تثاقلهم عن ندائه وعدم طاعتهم له مما ينبههم على خطائهم وتقصيرهم وقوله حتى تكشف الامور عن عواقب المساءة ذكر لغاية تثاقلهم عن دعوته وتنبيه بذكر استعقابه للمساءة على خطائهم فيه وكذلك قوله فما يدرك بكم ثار ولا يبلغ بكم مرام عتاب وتوبيخ يبعث طباع العرب على التالف في النصرة اذ من شانهم ثوران الطباع بمثل هذه الاقوال وقوله دعوتكم الى قوله الادبر استعار لفظ الجرجرة لكثرة تمللهم وقوة تضجرهم من ثقل ما يدعوهم اليه ولما كانت جرجرة الجمل الاسر اشد من جرجرة غيره لاحظ شبه ما نسب اليهم من التضجر بها وكذلك تشبيه تثاقلهم بتثاقل النضو الادبر وذكرهم وادعاهم اليه من نصرة اخوانهم اعني اصحاب مالك بن كعب المذكور وجوابهم له بالتبرم من ذلك والتثاقل ثم اردف ذلك بتصغير من خرج منهم من الجند ووصفه بالاضطراب وتشبيههم بمن يساق الى الموت وهو ينظر في تثاقله واضطرابه وضعفه عن الحركة الى ما يساق اليه لشدة خوفه كل ذلك ذم وتوبيخ يستثير به طباعهم عما هي عليه من التثاقل عن ندائه والتقصير في اجابة دعائه وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** في معنى الخوارج لما سمع قولهم لا حكم الا لله فقال كلمة حق يراد بها باطل نعم لا حكم الا لله ولكن هؤلاء يقولون لا امرة ولا بد للناس من امير بر او فاجر يعمل في امرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر و

ويبلغ الله فيها الاجل ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو وتامن به السبل ويؤخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح بر ويستراح من فاجر وفي رواية اخرى انه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال حكم الله انتظر فيكم ثم قال اما الامرة البرة فيعمل فيها التقي واما الامرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي الى ان تنقطع مدته وتدركه منيته **اقول** قوله كلمة حق يراد بها باطل هذه الكلمة ولما انغرس في اذهان الخوارج من حقيته دعاء اصحاب معوية الى كتاب الله اي ان دعاءهم لكم الى كتاب الله كلمة حق لكن ليس مقصودهم بها كتاب الله بل غرض اخر باطل وهو فتور الحرب عنهم وتفرق اهوائكم ونحوه مما لا يجوز ان يفعل نعم لا حكم الا لله تصديق لقولهم لكن لما علية الكلمة في نفس الامر لا لما راوه حقا من ظاهرها فان حصر الحكم ليس بحق على معنى انه ليس للعبد ان يحكم بغير ما نص كتاب الله عليه فان اكثر الاحكام الفروعية غير منصوص عليها مع انها احكام الله بل يكون مستنبطة بحسب الاجتهاد وطرقها لمن كان اهلا لذلك ويجب على من ليس له اهلية الاجتهاد امتثالها ولما تصور الخوارج تلك الكلمة بمعنى انه لا يصح حكم لم يوجد في كتاب الله ولا يجوز امتثاله والعمل به لاجرم قال نعم لا حكم الا لله لكن هؤلاء القوم يقولون لا امرة اي لما نفوا ان يكون لغير الله حكم نص عليه فقد نفوا الامرة لان استنباط الاحكام والنظر في وجوه المصالح من لوازم الامرة التي هي حال الامير في رعيته ونفي اللازم يستلزم نفي الملزوم ولما كانوا قد نفوا الامرة كذبهم عليه السلام بقوله ولا بد للناس من امير بر او فاجر فكان جملة الكلام في معنى شرطية متصلة هكذا اذا قالوا لا حكم الا لله كما تصوروه فقد قالوا بنفي الامرة لكن القول بنفي الامرة باطل فالقول بالحكم الا لله كما تصوروه باطل فقوله ولا بد للناس من امير في معنى استثناء نقيض تالي المتصلة وتقريره ان الانسان خلق مدنيا بمقارنة النفس الامارة بالسوء محتاجا الى مجموع قوى به هي منابع الشر واهواء الخلق لذلك مختلفة وقلوبهم متفرقة فكانت طبيعة نظام احوالهم في معاشهم وبقائهم محوجة الى سلطان قاهر يأتلف برهبته الاهواء ويجتمع بهيبته القلوب ويكف بسطوته الايدي العادية اذ في طباع الخلق من حب المغالبة على ما اثروه والقهر لمن عاندوه ما لا يكفون عنه الا بمانع قوي ورادع ملجئ وقد افصح المتنبي عن ذلك حيث يقول لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم وهذه العلة المانعة من الظلم عند الاستقراء يرجع الى امور اربعة اما عقل زاجر او دين حاجز او عجز مانع او سلطان رادع والسلطان القاهر ابلغها نفعا لان العقل والدين ربما كانا مغلوبين بدواعي الهوى فيكون رهبة السلطان اقوى ردعا واعم نفعا وان كان جايرا فانه روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم في الاخرة وروي الرجل الفاسق وروي عنه انه قال الامام الجاير خير من الفتنة فكل لا خير فيه وفي بعض الشر خيار اي ان وجود الامام وان كان جايرا خير من عدمه المستلزم لوجود الفتنة ووقوع الهرج والمرج بين الخلق اذ كان صلاح بعض الامور على انه وان كان لا خير فيه ايضا من جهة ما هو جاير كما قال وكل لا خير فيه الا ان هيبته ووجوده بين الخلق مما يوجب

الاخبار عن ثارة الفتن فيكون ذلك خيرا وقع فى الوجود بوجوده لا يحصل مع عدمه فوجوده مطلقا لازم
وذلك معنى قوله عليه السلام لابد للناس من امير بر او فاجر و قوله يعمل فى امرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر
الضمير فى امرته لما عاد الى الامير وكان لفظ الامير محتملا للبر والفاجر كان المراد بالامرة التى يعمل فيها المؤمن
امرة الامير من حيث هو بر وبالتى يستمتع فيها الكافر امرته من حيث هو فاجر وهذا اولى من قول بعض الشارحين
ان الضمير يعود الى الفاجر فان امرة الفاجر ليست مظنة تمكن المؤمن من عمله والمراد بعمل المؤمن فى امرة البر
عمله على وفق اوامر الله ونواهيه اذ ذلك وقت تمكنه منه والمراد باستمتاع الكافر فى امرة الفاجر انهماكه
فى اللذات الحاضرة التى لا يخالف فيها اوامر الله اذ ذلك وقت تمكنه من مخالفته الدين و قوله يبلغ الله
فيها الاجل اى فى امرة الامير سواء كان برا او فاجرا وفائدة هذه الكلمة تذكير العصاة ببلوغ الاجل
وتخويفهم به و قوله ويجمع به الفىء الى قوله القوى الضماير المجرورة كلها راجعة الى الامير المطلق اذ تحصيل
الامور المذكورة كلها من وجوده كيف كان برا او فاجرا ومما يؤيد ذلك ان اكثر الخلق متفقون على ان امراء
بنى امية كانوا فجارا عدا رجلين او ثلثة كعثمان وعمر بن عبد العزيز وكان الفىء يجمع بهم والبلاد يفتح فى ايامهم
والثغور الاسلامية محروسة والسبل امنة والقوى ماخوذ بالضعيف ولم يضر جورهم شيئا فى تلك الامور
و قوله حتى يستريح بر ويستراح من فاجر غاية من الامور المذكورة اى غاية صدور هذه الامور ان يستريح
بر بوجودها ويستراح من تعدى الفاجر وبغيه وقيل اراد ان هذه الامور لا تزال تحصل بوجود الامير برا
كان او فاجرا الى ان يستريح بر بموته ويستراح من فاجر بموته او بعزله واما الرواية الاخرى فمعنى الكلام فيها
ظاهر وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام ان الوفاء توام الصدق ولا اعلم جنة اوقى منه وما يغدر
من علم كيف المرجع ولقد اصبحنا فى زمان قد اتخذ اكثر اهله الغدر كيسا ونسبهم اهل الجهل فيه الى حسن الحيلة ما لهم قاتلهم
الله قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونها مانع من امر الله ونهيه فيدعها راى عين بعد القدرة عليها
وينتهز فرصتها من لا حريجة له فى الدين اقول الجنة ما استترت به من سلاح ونحوه والقلب الحول الذى يكثر
تحوله وتقلبه فى اعتبار الامور وتعرف وجوهها والانتهاز المبادرة الى الامر والفرصة وقت الامكان و
الحريجة التحرج وهو التحرز من الحرج والاثم واعلم ان الوفاء ملكة نفسانية ينشأ عنها لزوم العهد كما ينبغى و
الصدق ملكة عن لزوم الاقوال المطابقة وهما فضيلتان داخلتان تحت فضيلة العفة
ولما كان التوام هو الولد المقارن لولد اخر فى بطن واحد شبه الوفاء المقارن للصدق
تحت العفة فاستعار لفظه له ولما كانت فضيلة الوفاء مقابلة برذيلة الغدر وفضيلة الصدق مقابلة
برذيلة الكذب كانت رذيلتا الغدر والكذب ايضا توامين تحت رذيلة الفجور المقابل لفضيلة العفة
و قوله ولا اعلم جنة اوقى منه حكم ظاهر فان الوفاء فايدته للمرء اما فى اخرته فلاستفادته به من عذاب الله
الذى هو اعظم محذور واما فى دنياه فلاستتارة به من السب والعار وما يستلزمه عدم الوفاء من الغدر

عشل

والكذب المطلق لوجه النفس واذا علمت انه لا نسبة لشىء مما يجتنب منه بالاسلحة ونحوها الى ما يتوقى بالوفاء
علمت انه لا جنة اوقى من الوفاء وممادح الوفاء ومذام الغدر كثيرة قال تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون
الميثاق والذين يوفون بعهدهم اذا عاهدوا الاية وقال فى مدحه بالوفاء ومن اوفى بعهده من الله وقال فمن
نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما ومن الخبر فى ذم الغدر لكل غادر
لواء يعرف به يوم القيمة و قوله وما يغدر من علم كيف المرجع اقول العلم بكيفية المرجع الى الله تعالى والاطلاع
على منازل السفر اليه وعلى احوال الاخرة التى هى المستقر صارف قوى عن ارتكاب الرذائل التى من جملتها
الغدر وانما خص الغدر بنسبة اهله الى الجهل بامر المعاد لكونه فى معرض مدح الوفاء والترغيب فيه و قوله
ولقد اصبحنا فى زمان الى قوله الحيلة اقول انما اتخذ اهل الزمان الغدر كيسا ونسبهم كثيرا الى حسن
الحيلة وليقاعها الجهل الفريقين بثمرة الغدر ولعدم تمييزهم بين الغدر والكيس فانه لما كان الغدر كثيرا
ما يستلزم الدهاء والتفطن لوجه الحيلة وايقاعها بالمغدور به وكان الكيس ايضا عبارة عن الفطانة
والذكاء وجودة الراى فى استخراج وجوه المصالح التى ينبغى كانت بينهما مشاركة فى استلزام مفهوميهما
للتفطن والذكاء فى استخراج وجه الحيلة وايقاع الاراء الا ان تفطن الغادر يستعمله فى استنباط الحيلة
وان خالفت القوانين الشرعية وفاتت المصالح الكلية فى جنب مصلحة جزئية تخصه وتفطن الكيس انما
يستعمله فى ايقاع راى وحيلة ينتظم مصلحة العالم ويوافق القوانين الشرعية ولدقة الفرق بينهما اشتبه
الغادرون غدرهم فى موضع الكيس ونسبهم ايضا الجاهلون فى غدرهم الى حسن حيلتهم كما نسب ذلك الى
عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ونحوهما ولم يعلموا ان حيلة الغادر يخرجه الى رذيلة الفجور وانه لا حسن
حيلة تجره الى رذيلة و قوله ما لهم قاتلهم الله قد يرى الى اخره دعاء عليهم بقتال الله لهم وبعدا استفهاما عن
خوضهم فى امر استفهاما على سبيل الانكار وقد علمت ان قتال الله كناية عن عداوته والبعد عن رحمته
وظاهر ان اهل الغدر بعداء عن رحمة الله ثم اردف ذلك الدعاء بالاشارة الى انه لا فضيلة لهم فيما يفتخرون
به من الذكاء فى استنباط وجوه الحيلة اذ كانت غايتهم الغدر والخيانة فان الحول القلب الامور قد
يرى وجه الحيلة عيانا الا انه يلاحظ فى العمل بها مانع الله ونهيه عن ارتكابها لما يؤدى اليه من ارتكاب
الرذائل الموبقة فيتركها راى عينه اى حال هى مرئية له وبعد القدرة عليها خوفا من الله تعالى ثم يراها
من لا يعتقد اثما فى خرم قواعد الدين فيبادر اليها حال امكانها وليس ذلك بفضيلة بل الفضيلة للمتقين
لتاركها عن وازع الدين والاشارة بالحول القلب الى نفسه فان شيمة الكريم كانت كذلك ومن
خطبة له عليه السلام ايها الناس ان اخوف ما اخاف عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى
فيصد عن الحق واما طول الامل فينسى الاخرة الا وان الدنيا قد ولت حذاء فلم يبق منها الا صبابة
كصبابة الاناء اصطبها صابها الا وان الاخرة قد اقبلت ولكل منهما بنون فكونوا من ابناء الاخرة

ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان كل ولد سيلحق بابيه يوم القيمة وان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب
ولا عمل اقول حذاء خفيفة مسرعة لا يتعلق احد منها بشىء والصبابة بقية الماء فى الاناء والمقصود بهذا
الفصل النهى عن الهوى وطول الامل فى الدنيا فانهما من اشد اسباب الهلاك فكان تجنبهما من
اشد اسباب النجاة كما قال تعالى فاما من طغى واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى الماوى واما من خاف مقام ربه
ونهى الاية ثم التذكير بامور الاخرة واعلم ان الهوى هو ميل النفس الامارة بالسوء الى مقتضى طباعها من
اللذات الدنيوية الى حد الخروج عن حدود الشريعة واما الامل فقد سبق بيانه ولما كانت السعادة التامة
انما هى فى مشاهدة حضرة الربوبية ومجاورة الملاء الاعلى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وكان اتباع
النفس الامارة بالسوء فى ميولها الطبيعية والانهماك فيها لذلك هى الغاية اشد مهلك جاذب للانسان
عن قصد الحق وصاد له عن سلوك سبيله وعن الترقى فى ملكوت السموات الى حضيض جهنم كما قال سيد
المرسلين صلى الله عليه واله ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وكما قال حب الدنيا
راس كل خطيئة وقال الدنيا والاخرة ضرتان بقدر ما تقرب من احديهما تبعد من الاخرى لا جرم كان احق
ما ينبغى ان يحذر من الامور المهلكة اتباع الهوى واما الامل فمراده به ايضا الامل الذى ينبغى ان يمد الامل
فيه من المقتنيات الفانية وظاهر ان طول الامل فيها يكون مطلقا لاتباع الهوى ويكون نسيان الاخرة
لان طول توقع الامور المحبوبة الدنيوية يوجب دوام ملاحظتها ودوام ملاحظتها مستلزم لدوام اعراض
النفس عن ملاحظة احوال الاخرة وهو مستعقب لانمحاء ما تصور فى الذهن منها وذلك معنى النسيان
لها وبذلك يكون الهلاك الابدى والشقاء الاشقى ولما كان عليه السلام هو المتولى لاصلاح حال
الخلق فى امور معاشهم ومعادهم وكان الاهتمام بصلاحهم منوطا بهمته العلية فلا جرم نسب الخوف عليهم
الى نفسه و قوله الا وان الدنيا قد ولت الى قوله صابها اقول الدنيا بالنسبة الى كل شخص معاد فذلك
وخفيفة سريعة الاجال لم يبق منها بالقياس اليه الا اليسير واطلاق الصبابة هاهنا استعارة لبقيتها
القليلة والقلة هى وجه تشبيهها بصبابة الاناء ايضا و قوله الا وان الاخرة فقد اقبلت لما نبه على ان
الدنيا سريعة الاجال اردف ذلك بالتنبيه على سرعة لحوق الاخرة واقبالها وكل ذلك تعظيم للامال التى
وردع عن اتباع الهوى ومن اثار الصالحين اذا كان العمر فى ادبار والموت فى اقبال فما اسرع الملتقى والموت
هو دهليز الاخرة و قوله ولكل منهما بنون الى قوله يوم القيمة من لطايف كلامه فاستعار لفظ الابناء
للخلق بالنسبة الى الدنيا والاخرة ولفظ الاب لهما ووجه الاستعارة ان الابن لما كان من شانه الميل
الى والده اما ميلا طبيعيا او بحسب تصور المنفعة منه وكان الخلق منهم من يريد الدنيا ومنهم من يريد
الاخرة ويميل كل منهما الى مراده مع ما يحصل من طرف الدنيا للراغبين فيها بتوهمونه لذة وخيرا وما يحصل
من طرف الاخرة للراغبين فيها من اللذة والسعادة اشبه كل بالنسبة الى ما رغب فيه واستفاد منه الخير

الابن بالنسبة الى الاب فاستعير لفظه لتلك المشابهة ولما كان غرضه حث الخلق على السعى لما يجب
للاخرة والميل اليها والاعراض عن الدنيا قال عليه السلام فكونوا من ابناء الاخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا
ثم ذكر فايدة امره عليهم بان يكونوا كذلك وهى ان كل ولد سيلحق بابيه يوم القيمة واشار بذلك الى ان
ابناء الاخرة والطالبين لها والعاملين لاجلها مقربون فى الاخرة لاحقون لمرادهم فيها ولهم فيها ما
تشتهى انفسهم ولهم فيها ما يدعون نزلا من غفور رحيم واما ابناء الدنيا فان نفوسهم لما كانت مستغرقة فى
محبتها وناسية لطرف الاخرة ومعرضة عنها لا جرم كانت يوم القيمة مغمورة فى محبة الباطل مغلولة بسلاسل
الهيات البدنية والملكات الردية المتمكنة من جواهرها فهى لتعلقها بمحبة الدنيا حيث لا تتمكن من
محبوبها بمنزلة ولد لا تعلق له ولا مسكة لا ابواله ولا الف له الا هو ولا انس له الا معه ثم حيل بينه وبينه
مع شدة تعلقه به وشوقه اليه واخذ الى اضيق الاسجان وبدل بالعز الهوان فهو فى اشد وله ويتم واعظم
حسرة وغم فاما ابناء الاخرة ففى حضانة ابيهم ونعيمه قد زال عنهم بؤس الغربة وشقاء اليتم وسوء الحضن فهى
الوليد اذن تعرف احوال الوالدين واتباع ابرهما واودهما شفقة واعظمهما بركة وما هى الا الاخرة فليكن
ذو العقل من ابناء الاخرة ولكن برا بوالده متوصلا اليه باقوى الاسباب واقربها و قوله وان اليوم عمل
الى اخره كنى باليوم عن مدة الحيوة وبغد عما بعد الموت وراعى المقابلة فقابل اليوم بالغد والعمل بالاعمل
ولا حساب بالحساب واليوم اسم ان وعمل قام مقام الخبر استعمالا للمضاف اليه مقام المضاف اى وان اليوم
يوم العمل ويحتمل ان يكون اسم ان ضمير الشان واليوم عمل جملة من مبتدأ وخبر هى خبرها وكذلك قوله وغدا
حساب ولا عمل وصدق هذين الحكمين ظاهر وفايدتهما التنبيه على وقت العمل وعدمه ليبادر والى
العمل الذى يكونون من ابناء الاخرة فى وقت امكانه قبل مجى الغد الذى هو وقت الحساب دون العمل وبالله
التوفيق ومن كلام له عليه السلام وقد اشار عليه اصحابه بالاستعداد لحرب اهل الشام بعد ارساله الى معوية
جرير بن عبد الله البجلى ان استعدادى لحرب اهل الشام وجرير عندهم اغلاق للشام وصرف لاهله عن خير ان
ارادوه ولكن وقت لجرير وقتا لا يقيم بعده الا مخدوعا او عاصيا والراى مع الاناة فارودوا ولا اكره لكم
الاعداد ولقد ضربت انف هذا الامر وعينه وقلبت ظهره وبطنه فلم ار فيه الا القتال او الكفر انه قد كان
على الامة وال احدث احداثا واوجد الناس مقالا فقالوا ثم نقموا فغيروا اقول وقد كان فى ظن كثير من
الصحابة بعد ولاية على عليه السلام ان معوية لا يطيع له بامارات كثيرة ولذلك اشار عليه اصحابه بعد
ارسال جرير اليه بالاستعداد لحربه وروى ان جريرا لما اراد بعثه قال والله يا امير المؤمنين ما ادخرك من
نصرتى شيا وما اطمع لك فى معوية فقال عليه السلام قصدى حجة اقيمها ثم كتب معه اما بعد فان بيعتى بالمدينة
لزمتك وانت بالشام لانه بايعنى القوم الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد
ان يختار ولا للغايب ان يرد وانما الشورى للمهاجرين والانصار فاذا اجتمعوا على رجل فسموه اماما كان كل

ذلك رضًا فان خرج من امرهم خارج بطعن او رغبة ردّوه الى ما خرج منه فان ابا قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين
وولّاه الله ما تولى ويصليه جهنم وساءت مصيرًا وان طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي وكان نقضهما كردّهما
فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فان احب الامور الى
فيك العافية الا ان تتعرض للبلاء فان تعرضت له قاتلتك واستعنت بالله عليك وقد اكثرت في قتلة
عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم الى احملك واياهم على كتاب الله فاما تلك التي تريدها فخدعة
الصبي عن اللبن ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني ابرأ قريش من دم عثمان واعلم انك من الطلقاء
الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى وقد ارسلت اليك جرير بن عبد الله وهو من اهل الايمان
والهجرة فبايع ولا قوة الا بالله وربما جاء شيء من هذا الكتاب في كتبه عليه السلام الى معوية فاجاب معوية
اما بعد فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وانت بريء من دم عثمان كنت كابي بكر وعمر وعثمان ولكنك
اغريت بعثمان وخذلت عنه الانصار فاطاعك الجاهل وقوي بك الضعيف وقد ابى اهل الشام الا قتالك
حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فان فعلت كانت شورى بين المسلمين ولعمري ما حجتك علي كحجتك على طلحة والزبير
لانهما بايعاك ولم ابايعك وما حجتك على اهل الشام كحجتك على اهل البصرة لانهم اطاعوك ولم يطعك اهل
الشام فاما شرفك في الاسلام وقرابتك من النبي صلى الله عليه وآله وموضعك من قريش فلست ادفعه وكتب
في اخر الكتاب قصيدة كعب بن جعيل اري الشام تكره اهل العراق واهل العراق لها كارهونا وقد ذكرنا
بعضها قبل وروي ان الكتاب الذي كتبه عليه السلام مع جرير كانت صورته اني قد عزلتك ففوض الامر الى جرير والسلام
وقال لجرير صن نفسك عن خداعه فان سلم اليك الامر وتوجه الي فاقم انت بالشام وان تعلل بشيء فارجع فلما
عرض جرير الكتاب على معوية تعلل بمشاورة اهل الشام وغير ذلك فرجع جرير فكتب معوية في اثره في ظهر كتاب
علي من ولاك حتى تعزلني والسلام واول الاستعداد التهيؤ للامر والخداع الاحتيال والحيلة والاناة الانتظار
من التأني والرفق وارودوا امهلوا ونعتا الامر بغير القافا نكوثه فقوله ان استعدادي الى قوله الرائد
المراد ان اهل الشام في زمان كون جرير عندهم في مقام التروي والتفكر في اي الامرين يتبعون وان لم
يكن كلهم فبعضهم كذلك فلو اعد هو للحرب في تلك الحال لبلغهم ذلك فاحتاجوا الى الاستعداد ايضا والتأهب
للقتال فكان ذلك الاستعداد سببا لغلق الشام بالكلية وصرفا لمن يكون في ذهنه تردد في هذا الامر او في
قلبه الخوف بما يريد وذلك مضاد للحزم وقوله لكن قد وقت الى قوله عاصيا اي قد وقت له وقتا يصل
اليه فيه لا يتخلف عنه الا لاحد مانعين اما خداع منهم له ومواعيد مختلفة بالجواب ليهيئوا امورهم في تلك
المدة واما عصيان منه ومخالفته فان قلت حصر تخلف جرير في هذين المانعين غير صحيح لجواز ان يتخلف
لمرض او موت او عرض اخر قلت انه عليه السلام لم يقصد الحصر اليقيني وانما اراد الحصر بحسب غلبة الظن
الناشئ من الامارات والقرائن الحالية ثم كلامه عليه السلام لبيان الاسباب الاضطرارية التي من قبل

الله

الله تعالى فان ذلك امر مفروغ منه لا يحسن ذكره واما الموانع الاختيارية فاما منهم وغالب الظن هو الخداع
واما منه وغالب الظن انه العصيان اذ لا يتصور من مثل جرير وقد ارسل في مثل هذا الامر المهم ان يعدل
عنه الى شغل اختياري لنفسه او لغيره الا ان يكون عاصيا وقوله والرأي مع الاناة رأي اجمع الحكماء على ان
فان اصابة المطالب والظفر بها في الغالب انما هي التثبت والتأني في الطلب وذلك ان اناة الطالب
هي مظنة فكره في الاهتداء الى تحصيل الوجه الاليق والاقيس والاشمل للمصلحة في تحصيل مطلوبه ولذلك
اكد بعض الحكماء الامر بالتأني بقوله من لم يتثبت في الامور لم يعد مصيبا وان اصاب الغرض وان كان
هو الاصابة الا انها انما حصلت من غير التأني كان مفرطا وثمرة التفريط غالبا الندامة وعدم الاصابة
والاصابة بمنه نادرة والنادر غير منتفع به ولا ملتفت اليه وقوله فارودوا ولا اكره لكم الاعداد لما نبههم
على فضيلة الاناة امرهم بها ولم يأمرهم بها مطلقا بل نبههم بقوله ولا اكره لكم الاعداد على امور ثلثة احدها
انه ينبغي لهم ان يكونوا على يقظة من هذا الامر حتى يكونوا حال اشارته اليهم قريبين من الاستعداد الثاني
ان لا يتوهم احد منهم فيه مداخلة ضعف عن مقاومة اهل الشام فيداخلهم بسبب ذلك فشل وضعف
عزيمة الثالث ذكر الشارح ابن ابي الحديد وهو انه عليه السلام وان كان كره الاستعداد الظاهر الا ان
قوله ولا اكره لكم الاعداد تنبيه لهم على الاستعداد الباطن والتهيؤ في السر وربما كان قرار الشارح
بهذا الوجه مما يتوهم تناقضا وهو كونه قد اشار بترك الاستعداد ثم قال لاصحابه ولا اكره لكم الاعداد
وقد علمت ان تركه للاستعداد في ذلك الوقت واختياره تركه لا ينافي تنبيههم على عدم كراهيته له ليكونوا
منه على يقظة كما اوما انا اليه وقوله ولقد ضربت الى قوله او الكفر اقول استعار لفظ العين والانف
والظهر والبطن التي هي حقائق في الحيوان لحاله مع معوية في امر الخلافة وخلاف اهل الشام له استعارة على سبيل
الكناية فكنى بالعين والانف عن المهم من هذا الامر وخالصه فان العين والانف اعز ما في الوجه وكنى بضربها
بالضرب لهما عن قصده للمهم منه على سبيل الاستعارة ايضا وكنى بلفظي الظهر والبطن لظاهر هذا الامر
وباطنه ووجوه الرأي فيه ولفظ التقليب لتصفح تلك الوجوه وعرضها على العقل واحدا واحدا وقوله فلم ار
الا القتال والكفر تعيين لما اختاره بعد التقليب والتصفح لوجوه المصلحة في امر مخالفيه وهو قتالهم
وبينه على وجه اختياره بقوله او الكفر اي ان احد الامرين لازم اما القتال او الكفر وذلك انه ان لم يختر
القتال لزمه تركه وتركه مستلزم للكفر لكن التزام الكفر منه محال فتعين اختياره للقتال ومراده بالكفر
الكفر الحقيقي فانه صرح بمثله فيما قبل حيث يقول ولقد قلبت هذا الامر بطنه وظهره حتى منعني النوم فما
وجدتني يسعني الا قتالهم او الجحود بما جاء به محمد عليه السلام فان قلت ما وجه الحصر في القتال والجحود مع ان
ترك القتال بدون الجحود ممكن قلت بيانه من وجهين احدهما قال الشارحون ان الرسول صلى الله عليه وآله
كان قد امره بقتال من خالفه لقوله امرت ان اقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين فلو ترك قتالهم

حتى

مع طلبه امر الاسلام من الخطر لكان قد خالف امر الرسول فظاهر ان مخالفة مثله عليه السلام لاوامر الرسول
لا يتصور الا عن عدم اعتقاد صحتها وذلك جحد به وكفر الثاني يحتمل ان يكون قد تجوز بلفظ الجحود في التهاون
بهذا الامر تعظيما له في نفوس السامعين وهو من المجازات الشايعة وقوله انه قد كان الى اخره تنبيه على وجه
عذره عما نسبه اليه معوية وجعله سببا لعصيانه له وهو الطلب بدم عثمان وتهمته له بذلك واراد بالوالي عثمان
وبالاحداث التي احدثها هو ما نسب اليه من الامور التي انكروها عليه كما سنذكرها واوجد الناس مقالا اي
جعل لهم بتلك الاحداث طريقا الى القول عليه فقالوا ثم انكروا اما فعل فغيروه اذا لوه فاما الاحداث
المنقولة عنه فالمشهور منها بين اهل السير عشرة الاول توليته امور المسلمين من ليس اهلا لذلك الفساق مراعاة
للقرابة دون حرمة الاسلام كالوليد بن عقبة حتى ظهر منه شرب الخمر وسعيد بن العاص حتى ظهرت عنه الامور
التي اخرج اهل الكوفة منها بسببها وعبد الله بن ابي سرح مع قوة ظلمه وتظلم المصريين منه وهو الذي اتهم المسلمون
بمكاتبته بقتل محمد بن ابي بكر ونقل انهم ظفروا بالكتاب ولاجله عظم التظلم وكثر الجمع واشتد الحصار عليه الثاني
رده الحكم بن ابي العاص الى المدينة بعد طرد رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد امتناع ابي بكر وعمر من رده فخالف
في ذلك سنة الرسول وسيرة الشيخين وعمل بدعواه مجردة عن البينة الثالث انه كان يؤثر اهله بالاموال
العظيمة من بيت المال من غير استحقاق وذلك في صور منها انه دفع الى اربعة نفر من قريش زوجهم بناته
اربعمائة الف دينار ومنها انه اعطى مروان مائة الف دينار وروي خمس افريقية وذلك مخالف لسنة الرسول
صلى الله عليه وآله ومن بعده من الخلفاء الرابع انه حمى عن المسلمين بعد تسوية الرسول بينهم في الماء والكلاء
الخامس انه اعطى من بيت مال الصدقة المقاتلة وغيرها وذلك مما لا يجوز في الدين السادس انه ضرب عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه وهو من اكابر الصحابة وعلمائها حتى كسر بعض اضلاعه وذلك ظلم ظاهر السابع انه جمع الناس على قراءة
زيد بن ثابت خاصة واحرق المصاحف وابطل ما لا شك انه من القرآن المنزل وذلك مخالفة لله وللرسول ومن
بعده الثامن انه اقدم على عمار بن ياسر رحمه الله بالضرب مع انه اشرف الصحابة ومع علمه بما قال الرسول صلى الله
عليه وآله عمار جلدة ما بين عيني يقتله الفئة الباغية لا انالها الله شفاعتي حتى اصابه الفتق ولذلك صار عمار
مظاهرا للبعض المتظلمين منه على قتله وروي عنه انه كان يقول قتلناه كافرا التاسع انه اقدم على نفي
ابي ذر مع ثناء الرسول صلى الله عليه وآله وصحبته له وقوله فيه ما اقلت الغبراء ولا اظلت الخضراء على ذي لهجة اصدق
من ابي ذر حتى نفاه الى الربذة العاشر تعطيله الحد الواجب على عبيد الله بن عمر بن الخطاب فانه قتل الهرمزان
مسلما بمجرد تهمة انه امر ابا لؤلؤة بقتل ابيه ثم لم يقده به وقد كان علي عليه السلام يطلبه بذلك فهرب الى الشام
المشهورة فيه وقد اجاب الناصرون لعثمان عن هذه الاحداث باجوبة مستحسنة وهي مذكورة في المطولات من
مظانها وانما ذكرنا هذه الاحداث واوردناها مختصرة لتعلق المتن بذكرها ومن كلام له عليه السلام لما هرب
مصقلة بن هبيرة الشيباني الى معوية وكان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل امير المؤمنين عليه السلام واعتقهم

فلما

فلما طالبه بالمال خاس به وهرب الى الشام فقال قبح الله مصقلة فعل فعل السادة وفر فرار العبيد فما انطق مادحه حتى
اسكته ولا صدق واصفه حتى بكته ولو اقام لاخذنا ميسوره وانتظرنا بماله وفوره اقول مصقلة هذا كان
عاملا لعلي عليه السلام على اردشير خره وبنو ناجية قبيلة نسبوا انفسهم الى سامة بن لؤي بن غالب فدفعهم
قريش عن هذا النسب وسموهم بني ناجية وهي امهم امرأة سامة واما سبب هربها الى الشام فهو ان الخريت
احد بني ناجية كان قد شهد مع علي عليه السلام صفين ثم استهواه الشيطان فصار من الخوارج بسبب التحكيم
وخرج هو واصحابه الى المداين معاندا لعلي فوجه اليهم معقل بن قيس في الفي فارس من اهل البصرة ولم يزل
يتبعهم بالعسكر بعد العسكر حتى لحقوهم بساحل فارس وكان بجماعة كثيرة من قوم الخريت وكان فيهم من اسلم
من النصرانية فلما راوا ذلك الاختلاف ارتدوا واجتمعوا عليه فزحف اليهم معقل بن قيس فقتل الخريت وجماعة
منهم وسبى من كان ادرك فيهم من الرجال والنساء ونظر فيهم فمن كان مسلما اخذ بيعته وخلى سبيله واحتمل
الباقين من النصارى وعيالهم معه وكانوا خمسمائة نفر حتى مروا بمصقلة فاستغاث اليه الرجال والنساء وبكوا
وطلبوا منه ان يعتقهم فاقسم ليتصدقن عليهم بذلك ثم بعث الى معقل بن قيس فابتاعهم منه بخمسمائة الف
درهم ثم وعده ان يحمل المال اليه في اوقات مخصوصة فلما قدم معقل على علي عليه السلام واخبره القصة شكر سعيه
وانتظر المال من يد مصقلة فابطأ به فكتب اليه باستعجاله وبعث من عليه فلما قرأ كتابه قدم عليه وهو بالكوفة
فاقره اياما ثم طالبه بالمال فادى منه مائتي الف درهم وعجز عن الباقي وخاف فلحق بمعوية فبلغ ذلك عليا
عليه السلام فقال الفصل ولنرجع الى المتن فقبحه الله اي نحاه عن الخير والتبكيت كالتقريع والملامة والوفور
مصدر وفر المال اي نما وزاد ويروى موفوره ومقصوده عليه السلام بعد ان قدم الدعاء على مصقلة بيان
خطائه فانه اشار الى جهة الخطاء وهي جمعه بين امرين متنافيين في العرف وهما فعل السادة وهو المروة والحمية
حيث اشترى القوم واعتقهم مع الفرار الذي هو شيمة العبيد ثم اكد عليه السلام ذلك بمثلين احدهما ما انطق
مادحه حتى اسكته ويفهم منه معنيان احدهما ان يكون حتى بمعنى اللام اي انه لم ينطق مادحه حتى يقصد اسكاته فهو
فان اسكات المادح لا يتصور قصده لو قصد لا يعد انطاقه وهو لم يتم فعله الذي يطلب به انطاق مادحه
بمدحه من الكرم والحمية والرقة ونحوها فكانه قصد اسكات مادحه بهربه فاذن عليه ذلك وقال انه
لم ينطقه بمدحه فكيف يقصد اسكاته بهربه وان كان العاقل لا يتصور منه قصد اسكات مادحه من بعد الا انه
لاختياره الهروب المستلزم لاسكات المادح صار كالقاصد له فنسب اليه الثاني ان يكون المراد انه قد جمع بين
غايتين متنافيتين انطاقه لمادحه بفدائه للاسرى مع اسكاته بهربه قبل تمام انطاقه وهو وصف له بسرعة
الحالة لعقبه برذيلته حتى كانه قصد الجمع بينهما وهذا كما تقول في وصف سرعة تفرق الاحباب عن اجتماعهم
ما اجتمعوا حتى افترقوا اي لسرعة افتراقهم كان الدهر قد جمع لهم بين الاجتماع والافتراق الثاني قوله ولا صدق
واصفه حتى بكته والمفهوم كالمفهوم من الذي قبله قوله ولو اقام الى اخره لما اشار الى خطائه اردفه بما يصلح

لما عساه يكون عذرا له واعتذر وهو قوله الشديد يعلية امر الباقي من المال حتى كانت تلك الملوم سبب هزيمته وفي
بعض الروايات ولو اقام لاخذنا منه ما قدر عليه فان اعسر انظرناه فان عجز لم ناخذه بشيء والاول هو المشهور
وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله غير مقنوط من رحمته ولا مخلو من نعمته ولا مايوس من مغفرته ولا
مستنكف عن عبادته الذي لا تبرح منه رحمة ولا تفقد له نعمة والدنيا دار منى لها الفناء ولاهلها منها الجلاء
وهي حلوة خضرة وقد عجلت للطالب والتبست بقلب الناظر فارتحلوا منها باحسن ما بحضرتكم من الزاد ولا تسألوا
فيها فوق الكفاف ولا تطلبوا منها اكثر من البلاغ اقول هذا الفصل ملتقط من خطبة طويلة له عليه السلام
خطب بها يوم الفطر وهو غير متسق بل بين قوله نعمته وقوله والدنيا فصل طويل وهذه الخطبة تنتظم الفصل المتقدم
وهو قوله اما بعد فان الدنيا قد ادبرت وهو فيها بعد هذا الفصل والفصل ولم نذكرها كراهة التطويل ولنعد
الى الشرح فنقول القنوط الياس والاستنكاف الاستكبار ومنى لها اي قدر والجلاء بالفتح والمد الخروج عن
الوطن والتبست امتزجت والكفاف ما كف عن الناس اي اغنى عنهم من المال والبلاغ ما يبلغ مدة الحياة من كفى
واعلم انه نبه على سبحانه في الحمد ووامه باعتبار ملاحظة ستة احوال فاشار الى الحالة الاولى بقوله غير
مقنوط من رحمته مقررا لقوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء ولقوله لا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون وهذه الحال مما يشهد باثباتها العقل اذ كان العبد عند اخذ العناية الالهية بضبعيه يعلم
استناد جميع الموجودات كليها وجزئيها الى مدبر حكيم وانه ليس شيء منها خاليا عن حكمة ومصلحة وان تلك العناية
له واخذ العهد عليه بالعبادة ليس الا لينجذب الى موطنه الاصلي وعبدته الاولى بالتوحيد المحقق والحمد المطلق عن
نار الجحيم وجحيم سعرت وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فلا ييأس من روح الله عند نزول امر ولحب المنزول
به مما يعد شرا بل يكون برجائه اوثق وقلبه بشمول العناية له اعلق فانه لا ييأس من روح الله الا الذين عميت
ابصار بصائرهم عن اسرار الله فهم في طغيانهم يعمهون واولئك هم الخاسرون واشار الى الحالة الثانية بقوله
ولا مخلو من نعمته مقررا لقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله فينبوع نعمته دائم لا انقطاع فيه اذ لا بخل في جانبه
الحاجة اليه فوجب لها فيض جوده فاستلزم ذلك وجوب مقرعها بلسان حالها ومقالها بالشكر المطلق
عليه ودوام الشكر له وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم واشار الى الحالة الثالثة بقوله ولا
مايوس من مغفرته مقررا لقوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية وهي شهادة
بشمول ستره وجميل عفوه وغفره لمن جذبته بعقله ايدي شياطينه ليحطه الى مهاوي الهلاك فجر عن مقاومتها
بعد ان كانت له ملكة بجناب الله فضعفت تلك الملكة عن ان يكون منجاة له حال مجاذبة هواه وان كان رجاء
الغفران منها وبحسب قوة تلك الملكة وضعفها والعقل مما يؤيد ذلك ويحكم بصحة هذه الشهادة فان كل
ذي علاقة بجناب الله سيخلص من العقاب وان بعد خلاصه على ما نطق به البرهان في موضعه وذلك بسبب لزوم الاكرام
بالاحسان ودوام الثناء والحمد واشار الى الرابعة بقوله ولا مستنكف عن عبادته مقررا لقوله تعالى لا يستكبرون

عن عبادته ولا يستحسرون وقوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون الاية وكونه تعالى
غير مستنكف عن عبادته شاهد عظيم على كمال عظمته وانه المستحق للعبادة دون ما عداه اذ هو المستجمع للكمال المطلق
فلا جهة نقصان فيه اليها يشار فيكون سببا للاستكبار والاستنكاف وعين مع محال السلوب الثلاثة بعدها ثبوتيا
على الحال وقوله الذي لا تبرح له رحمة ولا تفقد له نعمة اعتباران لهما يتلازمان في خطبتها وجوب شكره تعالى وينبغي
لا تبرح على دوام رحمة الله لعباده وقوله لا تفقد له نعمة كقوله ولا مخلو من نعمته ثم اعقب ذلك بالتنبيه على معايب
الدنيا للتنفير عنها فذكر وجوب فنائها الهائم حذرا بذكر العيب الاكبر لها الذي يرعب مع ذكره وملاحظة من له ادنى
بصيرة عن الركون اليها ومحبة قيامها وهو مفارقتها الولية والجلاء عنها ثم اردف ذلك بذكر جهتين من جهات
الميل اليها احداهما منسوبة الى القوة الذائقة وهي حلاوتها والاخرى الى القوة الباصرة وهي خضرتها واطلاق
لفظيهما مجاز كنى به عن جهات الميل اليها من باب اطلاق لفظ الجزء على الكل وايراد هذين الوصفين اللذين هما
وصفا مدح في معرض ذمها كتقدير اعتراض على ذمها الغرض ان يجيب عنه ولهذا اعقب ذكرهما بما يصلح جوابا وتنبيها
على ما يصرف عن الميل اليها من هاتين الجهتين وهو كونها معجلة للطالب اذ كان من شان المعجل ان ينتفع به حال
تعجيله دون ما بعده خصوصا في حق من احب ذلك المعجل ولم يلتفت الى ما سواه والدنيا كذلك كما اشار اليه بقوله
والتبست بقلب الناظر واما خص الناظر لتقدم ذكر الخضرة التي هي من حظ النظر فمن عجلت له محبته والتبست
بقلبه وكان لا بد له من مفارقتها لم ينتفع بما بعدها فابل بحق عذاب الفراق منكوسا وفي ظلمة الوحشة محبوسا
واليه اشار التنزيل الالهي من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما
مدحورا ثم لما نبه على معايبها امر بالارتحال عنها ولم يامره مطلقا بل لا بد معه من استصحاب احسن الازواد اذ
كانت الطريق المامور بسلوكها في غاية الوعارة مع طولها وقصر المدة التي يجد الزاد فيها فلا ينفع اذن الا
الزاد الاقوى الابقى الذي لا يتطرق اليه فناء ولا يتهم اعدك الله لا فاضة رحمته من هذا الارتحال
الارتحال الحسي الحاصل للناس بعضها الى بعض ولا من الزاد الماكول الحيواني فان احسن ما يحضرنا منه
ربما كان منهيا عنه بل المامور به ارتحال الجزئية من تصور سلوك الطريق الاخرة فانك لما علمت ان الغاية
من التكاليف البشرية هي الوصول الى حضرة الله ومشاهدة جلال كبريائه علمت من ذلك ان الطريق الى
هذا المطلوب في اثار وجوده وشواهد الاية وان القاطع لمراحل تلك الطريق ومنازلها هو قدم عقلك متنقلا
باعلامها الواضحة كما نزل بها منزلا عقلة المعرفة بالاستلاحة اعلام من اشراع واكرمه منه كما قال تعالى لتركبن
طبقا عن طبق الى ان تستقر في مقعد صدق عند مليك مقتدر واذا تصورت معنى الارتحال وقد علمت ان
لكل ارتحال وسفر زادا علمت ان اكرم الزاد واحسنه في هذه الطريق ليس الا التقوى والاعمال الصالحة
التي هي غذاء للعقول ومادة حيوتها واليه الاشارة بقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى واشار بقوله
ما يحضركم الى ما يمكننا ان ناتي به من الاعمال الصالحة في حيوتنا الدنيا ثم عقب الامر باتخاذ الزاد بالنهي

عن طلب الزيادة على ما يقوم به صورة البدن من متاع الدنيا اذ كان البدن بمنزلة مركوب تقطع به النفس مراحل
طريقها فالزيادة على المحتاج اليه مما يحوج الراكب الى الاهتمام به والعناية بحفظه المستلزمة لمحبته وكل ذلك
مشغل للخاطر ومشغل عن الجهة المقصودة وذلك معنى قوله ولا تسألوا منها فوق الكفاف ولا تطلبوا منها اكثر
من البلاغ ولا تمدن اعينكم فيها الى ما متع المترفون فيقصروا في الرحيل وتشتغلوا بطلب مثل ما شاهدتم وبالله
التوفيق ومن كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير الى الشام اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكابة المنقلب
وسوء المنظر في الاهل والنفس والمال اللهم انت الصاحب في السفر وانت الخليفة في الاهل ولا يجمعهما غيرك
لان المستخلف لا يكون مستصحبا والمستصحب لا يكون مستخلفا قال السيد الرضي رضي الله عنه وابتداء هذا الكلام
مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قفاه امير المؤمنين عليه السلام بابلغ كلام وتممه باحسن تمام من قوله
ولا يجمعهما غيرك الى آخر الفصل اقول روي انه عليه السلام دعا بهذا الدعاء عند وضعه رجله في الركاب متوجها
الى حرب معاوية ووعثاء السفر مشقته واصله المكان المتعب لكثرة رمله وغوص الارجل فيه والكابة الحزن
ويشتمل هذا الفصل على الالتجاء الى الله في خلاص طريقه المتوجه فيها بدءا وعودا من الموانع الصارفة عن تمام
المقصود وفي سلامة الاحوال المهمة التي يتعلق النفس بها عن الشغلات البدنية المعوقة عن عبادة الله
واعظمها احوال النفس ثم ما يصحبها من اهل ومال وولد ثم عقب ذلك بالاقرار بشمول عنايته وجميل رعايته
وصحبته مقررا لقوله تعالى وهو معكم اينما كنتم اذ كان شان الصاحب العناية بامور صاحبه وشان الخليفة على
الشيء العناية بذلك وحفظه مما يوجب له ضررا واسلم جمعه له بين هذين الحكمين وهما الخلافة والاستصحاب
بقوله ولا يجمعهما غيرك كونه تعالى بريا عن الجسمية والجهة اذ كان اجتماعهما ممتنعا للاجسام اذ لا يكون مستخلفا
فان قلت هذا الحصر انما يتم لو قلنا ان كل ما ليس بذي جهة هو واجب الوجود وهذا مذهب خاص فما وجه صحته
مطلقا قلت الحصر صادق على كل تقدير فانه على تقدير ثبوت امور مجردة عن الجسمية والجهة سوى الحق سبحانه
فالمستحق للجمع بين هذين الامرين بالذات والاولى هو الله تعالى وما سواه فبالعرض فيحمل الحصر على ذلك الاولى
ولنبحث عن فايدة الدعاء وسبب الاجابة فانه ربما يعرض لبعض الاذهان شبهة فيقول اما ان يكون المطلوب
بالدعاء معلوم الوقوع لله تعالى او معلوم اللاوقوع وعلى التقديرين لا فايدة في الدعاء لان ما علم الله وقوعه
وجب وما علم عدمه امتنع فنقول في الجواب عن هذا الوهم ان كل كائن فاسد فموقوف في كونه وفساده على
شرايط توجد واسباب تعد لاحدهما لا يمكن بدونها كما علمت ذلك في مظانه اذا جاز ذلك فلعل الدعاء من شرايط
ما يطلب وهما وان كانا معلومي الوقوع لله وهو سببهما وعلتهما الاولى الا انه هو الذي ربط احدهما بالاخر
فجعل سبب وجود ذلك الشيء الدعاء كما جعل سبب صحة المريض شرب الدواء وما لم يشرب الدواء لم يصح واما سبب
الاجابة فقال العلماء هو توافي الاسباب وهو ان يتوافى سبب دعاء رجل مثلا فيما يدعو فيه وساير اسباب
وجود ذلك الشيء معا عن الباري تعالى لحكمة الهية على ما قدر وقضى ثم الدعاء واجب في توقع الاجابة ولهذا

ابتغائنا سببا للدعاء سبب في هناك ويصير دعاؤنا سببا للاجابة وموافقا للدعاء لحدوث الامر المدعو لاجله هما
معلولا علة واحدة وقد يكون احدهما بواسطة الاخر وقد يتوهم ان السماويات تنفعل عن الارضية وذلك
انا ندعوا فيستجاب لنا وذلك باطل لان المعلول لا ينفعل في علته البتة واذا لم يستجب الدعاء الداعي بل عيب
نظام الكل فلذلك يتاخر اجابة دعائنا ولا يستجاب له وبالجملة يكون عدم الاجابة لفوات شرط من شروط
ذلك المطلوب حال الدعاء واعلم ان النفس الزكية عند الدعاء قد يفيض عليها من الاول قوة تصير بها موثرة
في العناصر فتطاوعها متصرفة على ارادتها فيكون ذلك اجابة للدعاء فان العناصر موضوعة لفعل النفس
فيها واعتبار ذلك في ابداننا فانا ربما تخيلنا شيئا فيتغير ابداننا بحسب ما يقتضيه احوال نفوسنا وتخيلاتها
وقد يمكن ان يؤثر النفس في غير بدنها كما يؤثر وقد تؤثر في نفس غيرها وقد اشرنا الى ذلك في المقدمات
وقد يستجيب الله لتلك النفس اذا دعت فيما تدعو فيه اذا كانت الغاية التي يطلبها بالدعاء نافعة بحسب نظام
الكل وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام كاني بك يا كوفة تمدين مد الاديم العكاظي تعركين بالنوازل
وتركبين بالزلازل واني لاعلم انه ما اراد بك جبار سوءا الا ابتلاه الله بشاغل ورماه بقاتل اقول عكاظ
بالضم اسم موضع بناحية مكة كانت العرب يجتمع به في كل سنة ويقيمون به سوقا مدة شهر ويتبايعون
ويتناشدون الاشعار ويتفاخرون وفي ذلك قول ابي ذويب اذا بني القباب على عكاظ وقام البيع واجتمع
الالوف فلما جاء الاسلام رفع ذلك واديم عكاظي منسوب اليها لكثرة ما كان يباع منه بها والاديم واحد
وجمعه ادم وربما جمع على ادمة كرغيف وارغفة والعرك الدلك والنوازل المصايب والخطاب هاهنا الشاهد
حال المدينة التي هي الكوفة ولها فيها حركات وتمدين وتعركين وتركبين في موضع النصب على الحال وتقدير
الخطاب كاني حاضرك ومشاهد لك المستقبلة حال تجاذب ايدي الظالمين لاهلك بانواع الظلم
المكني عنه بمدها وشبه ذلك بمد الاديم ووجه الشبه شدة ما يقع بهم من الظلم والبلاء كما ان الاديم مستحكم
الدباغ يكون شديد المد والعرك واستعار لفظ المد والعرك ملاحظة لذلك الشبه ولفظ الركوب ملاحظا
لشبهها بالمطايا وكذلك لفظ الزلازل ملاحظة لشبهها فيما يقع لهم من الظلم الموجب للاضطراب
الحال بالارض ذات الزلازل ثم اشار الى مشاهدة ثانية لما يقع لمن اراد بهم سوءا وقع ما اوقع من البلاء
فاشار الى كونهم جبابرة ثم الى ابتلاء بعضهم بشاغل في نفسه عما يريد بهم سوءا وبهم برمي حادث خراب ورمي
بعضهم بقاتل واما المصايب التي ابتلي بها اهل الكوفة والنوازل التي عركوا بها فكثيرة مشهورة في كتب التواريخ
واما الجبابرة الذين ارادوا بها سوءا وطغوا فيها فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب
واخذهم بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فمنهم زياد [illegible] وروي انه كان قد جمع الناس في
المسجد ليامرهم بسب علي عليه السلام والبراءة منه فيقتل من يعصيه فيه فبيناهم مجتمعين اذ خرج
حاجبه فامرهم بالانصراف وقال ان الامير مشغول عنكم وكان في تلك الساعة قد رمي بالفالج ومنهم

ابنه عبيد الله وقد اصابه الجذام ومنهم الحجاج وقد تولدت في بطنه الحيات واحترق وبره حتى هلك ومنهم
عمرو بن هبيرة وابنه يوسف وقد اصابهما البرص ومنهم خالد القسري وقد ضرب وحبس حتى مات جوعا واما
الذين رماهم الله بقاتل فعبيد الله بن زياد ومصعب بن الزبير والمختار بن ابي عبيدة الثقفي ويزيد بن المهلب
واحوالهم مشهورة من ارادها طالع التاريخ **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله كلما وقب ليل وغسق والحمد لله
كلما لاح نجم وخفق والحمد لله غير مفقود الانعام ولا مكافأ الافضال اما بعد فقد بعثت مقدمتي وامرتهم
بلزوم هذا الملطاط حتى ياتيهم امري وقد رايت ان اقطع هذه النطفة الى شرذمة منكم موطنين اكناف دجلة
فانهضهم معكم الى عدوكم واجعلهم من امداد القوة لكم قال السيد رضي الله عنه يعني بالملطاط هنا السمت
الذي امرهم بلزومه وهو شاطئ الفرات ويقال ذلك ايضا لشاطئ البحر واصله ما استوى من الارض ويعني
بالنطفة ماء الفرات وهو من غريب العبارات وعجيبها **اقول** روي ان هذه الخطبة خطب بها عليه السلام وهو
بالنخيلة خارجا من الكوفة متوجها الى صفين لخمس بقين من شوال سنة سبع وثلاثين وقب الليل دخل وغسق
وخفق النجم غاب ومقدمة الجيش اوله والشرذمة النفر اليسير والاكناف النواحي ووطن البقعة واستوطنها
اتخذها وطنا والامداد جمع مدد وهو ما يمد به الجيش من الجند واعلم انه قيد حمد الله باعتبار تكرر وقتين ودوام
حالين والمقصود وان كان دوام الحمد لله الا ان في التقييد بالقيود المذكورة فوايد فالاول قوله كلما وقب
ليل وغسق فيه تنبيه على كمال القدرة في تعاقب الليل والنهار واستحقاق دوام الحمد بما يلزم ذلك من ضروب الانعام
والثاني قوله كلما لاح نجم وخفق وفيه تنبيه على ما يلزم طلوع الكواكب وغروبها من الحكمة وكمال النعمة
كما سبقت الاشارة اليه الثالث الحمد لله حال كونه غير مفقود الانعام وقد تكررت الاشارة الى فايدة هذا
القيد الرابع كونه غير مكافأ الافضال وفايدة التنبيه على ان افضاله لا يمكن ان يقابل بجزاء اذ كانت القدرة
على الحمد والشكر نعمة ثانية وقد سبق بيان ذلك ايضا فاما قوله اما بعد الى اخره فخلاصته انه لما اراد التوجه الى
صفين بعث زياد بن النضر وشريح بن هانئ في اثني عشر الف فارس مقدمة له وامرهم ان يلزموا شاطئ الفرات
فاخذوا شاطئها من قبل البر مما يلي الكوفة حتى بلغوا عانات فذلك معنى امره لهم بلزوم الملطاط وهو سمت
الفرات واما هو عليه السلام فلما خرج من الكوفة انتهى الى المداين فحذرهم ووعظهم ثم سار عنهم وخلف عليهم
عدي بن حاتم فاستخلص منهم ثمانمائة رجل فسار بهم وخلف ابنه زيدا فلحقه في اربعمائة رجل منهم فذلك قوله
وقد رايت ان اقطع هذه النطفة اي الفرات الى شرذمة منكم موطنين اكناف دجلة وهم اهل المداين واما
المقدمة فانه لما بلغهم انه عليه السلام سار على طريق الجزيرة وان معوية خرج في جموعه لاستقباله كرهوا ان
يلقوهم وبينهم وبين علي عليه السلام الفرات مع قلة عددهم فرجعوا حتى عبروا الفرات من هيت ولحقوا به فصوب
ارائهم في الرجوع اليه وباقي الكلام ظاهر **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله الذي بطن خفيات الامور ودلت
عليه اعلام الظهور وامتنع على عين البصير فلا عين من لم يره تنكره ولا قلب من اثبته يبصره سبق في العلو فلا

اعلى منه وقرب في الدنو فلا شيء اقرب منه فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه ولا قربه ساواهم في المكان
لم يطلع العقول على تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب معرفته فهو الذي تشهد له اعلام الوجود على اقرار قلب ذي الجحود
تعالى الله عما يقول المشبهون والجاحدون له علوا كبيرا **اقول** يقال بطنت الوادي دخلته وبطنت الامر علمت
باطنه وفي هذا الفصل مباحث جليلة من العلم الالهي وجملة من صفات الربوبية فالاول كونه بطن خفيات الامور
ويفهم منه معنيان احدهما كونه داخلا في جملة الامور الخفية ولما كانت بواطن الامور الخفية اخفى من ظواهرها
كان المفهوم من كونه بطنها انه اخفى منها عند العقول الثاني ان يكون المعنى انه نفذ علمه في بواطن خفيات
الامور اما المعنى الاول فبرهانه انك علمت ان الادراك اما حسي واما عقلي ولما كان الباري تعالى مقدسا
عن الجسمية منزها عن الوضع والجهة استحال ان يدركه شيء من الحواس الظاهرة والباطنة ولما كانت ذاته
بريئة عن انحاء التركيب استحال ان يكون للعقل اطلاع عليها بالكنه فخفاؤه ادون على جميع الادراكات ظاهر
وكونه اخفى الامور الخفية واضح واما الثاني فقد سبق بيانه من انه عالم الخفيات والسرائر وثانيها كونه
قد دلت عليه اعلام الظهور عن اياته واثاره في العالم الدالة على وجوده الظاهرة لكل صورة منها كما قال وفي
كل شيء له اية تدل على انه واحد وهي كناية بالاستعارة ووجه المشابهة ما بينهما من الاشتراك في الهداية والى هذه
الاعلام الاشارة بقوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق واعلم ان هذه الطريق
من الاستدلال هي طريقة المليين وساير فرق المتكلمين فانهم يستدلون اولا على حدوث الاجسام والاعراض
ثم يستدلون بحدوثها وتغيراتها على وجود الخالق ثم بالنظر في احوال المخلوقات على صفاته واحدة واحدة
مثلا باحكامها واتقانها على كون فاعلها عالما حكيما وبتخصيص بعضها بامر ليس للاخر على كونه مريدا ونحو
ذلك وكذلك الحكماء الطبيعيون يستدلون ايضا بوجود الحركة على محرك وبامتناع اتصال المحركات لا الى
اول على وجود محرك اول غير متحرك ثم يستدلون من ذلك على وجود مبدأ اول واما الالهيون فلهم في ذلك
طريق اخر وهي انهم ينظرون اولا في مطلق الوجود اهو واجب او ممكن ويستدلون من ذلك على اثبات واجب
ثم بالنظر في لوازم الوجوب من الوحدة الحقيقية على نفي الكثرة بوجه ما المستلزمة لعدم الجسمية والعرضية وغير
ثم يستدلون بصفاته على كيفية صدور افعاله عنه واحدا بعد اخر وظاهر ان هذه الطريق اجل واشرف من الطريق
الاولى وذلك لان الاستدلال بالعلة على المعلول اولى البراهين باعطاء اليقين لكون العلم بالعلة
المعينة مستلزما للعلم بالمعلول المعين من غير عكس ولما كان صدر الاية المذكورة اشارة الى الطريق
الاولى فتمامها اشارة الى هذه الطريقة وهو قوله تعالى او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد قال بعض العلماء
وهذه طريق الصديقين الذين يستشهدون به لا عليه اي يستدلون بوجوده على كل وجود شيء اذ هو منشأ ولا
يستدلون عليه بوجود شيء بل هو اظهر وجودا من كل شيء فان خفي مع ظهوره فلشدة ظهوره وظهوره سبب
بطونه ونوره هو حجاب نوره اذ كل ذرة من ذرات مبدعاته ومكوناته فلها عدة السنة تشهد بوجوده وبالحاجة

الى تدبيره وقدرته لا يخالف شيء وجود لا يخالف شيء من الموجودات شيئا في تلك الشهادات ولا يختص
احدها بعدم الحاجات وقد ضرب لعلماء التمثيل لنوره مثلا في شدة ظهوره فقالوا ان اظهر الادراكات التي
يساعد عليها الوهم ادراك الحواس واظهرها ادراك البصر واظهر مدرك للبصر نور الشمس المشرق على الاجسام
وقد اشكل ذلك على جماعة حتى قالوا الاشياء الملونة ليس فيها الا الوانها فقط من سواد ونحوه فاما ان
فيها مع ذلك ضوءا يقارن اللون فلا فاذا اريد تنبيه هؤلاء على سهوهم فطريقه التنبيه بالتفرقة الى عدم
بين غيبة الشمس بالليل واحتجابها عن الملونات وبين حضورها بالنهار واشراقها عليها مع بقاء الالوان
في الحالين فان الفرق بين المستضيء بها وبين المظلم عنها جلية ظاهرة فيعرف وجود النور اذن بعدمه ولو
فرضت الشمس دايمة الاشراق على الجسم الملون لا يغيب عنه لتعذر على هؤلاء معرفة كون النور شيئا موجودا
زايدا على الالوان مع انه اظهر الاشياء وبه ظهورها ولو تصور لله تعالى وتقدس عدم او
غيبة لانهدمت السموات والارض وكل ما انقطع نوره عنه ولادركت التفرقة بين الحالين وعلم وجوده
قطعا ولكن لما كانت الاشياء كلها في الشهادة له متفقة والاحوال كلها على نسق واحد مطردة متفقة
كان ذلك سببا لخفائه فسبحان من احتجب عن الخلق بنوره وخفي عليهم لشدة ظهوره وثالثها اشارة الى
سلوب توجب ملاحظة تركيبها تعظيمه تعالى احدها كونه ممتنعا على عين البصير لا يصح ان يدركه بحاسة
البصر وصدق هذا السلب ظاهر بدليل هكذا الباري تعالى ليس بجسم وغير ذي وضع وكل ما كان كذلك
فيمتنع رؤيته بحاسة البصر فينتج انه تعالى يمتنع رؤيته بحاسة البصر والمقدمة الاولى والثانية ضروريتان وربما
استدل عليها والمسألة مستقصاة في الكلام والى ذلك اشار القرآن الكريم لا تدركه الابصار وثانيها
قوله فلا عين من لم يره تنكره اي انه سبحانه مع كون البصير لا يدركه بحاسة بصره لا ينكره من جهة انه لا يبصره
اذ كانت فطرته شاهدة بظهور وجوده في جميع اثاره ومع ذلك ليس له سبيل الى انكاره من جهة عدم ابصاره
اذ كان حظ العين ان يدرك بها ما صح ادراكها فاما ان ينفى بها ما لا يدرك من جهتها فلا وثالثها قوله ولا قلب
من اثبته يبصره اي من اثبته مع كونه مثبتا له بقلبه لا يبصره وانما اكد عليه السلام بهذين السلبين الاخيرين لانهما
يشتملان عند الوهم في مبدأ استماعهما على منافاة وكذب الى ان يتعين العقل على التصديق بهما فكان الوهم
يقول في جواب قوله فلا عين من لم يره تنكره كيف لا تنكر العين شيئا لا تراه وفي جواب السلب الثاني
قوله فلا عين من لم يره تنكره كيف لا تنكر العين شيئا لا تراه وفي جواب السلب الثاني كيف يثبت
القلب ما لم يبصر فلما كان في صدق هذين السلبين ازعاج لاوهام السامعين مفزع لهم الى ملاحظة
جلال الله وعظمته وتنزيهه عما لا يجوز عليه كان ذكرهما من لطيف الذكر ويحتمل ان يريد بقوله فلا قلب من
اثبته يبصره اي انه وان اثبته من جهة وجوده فيستحيل ان يحيط به علما ويبصره كونه تعالى قد سبق في العلو
فلا شيء اعلى منه وتقريره ان العلو يقال بالاشتراك على معان ثلثة الاول العلو الحسي المكاني ككون

بعض الاجسام على بعض الثاني العلو التخيلي كما يقال للملك انه اعلى الناس اي اعلاهم في الرتبة
المتخيلة كمالا الثالث العلو العقلي كما يقال في بعض الكمالات العقلية التي بعضها اعلى من بعض وكما يقال
السبب اعلى من المسبب اذا عرفت ذلك فنقول يستحيل ان يكون علوه تعالى بالمعنى الاول لاستحالة كونه في
المكان ويستحيل ان يكون بالمعنى الثاني لتنزهه سبحانه عن الكمالات الخيالية التي يصدق بها العلو الخيالي
اذ هي كمالات اضافية تتغير وتتبدل بحسب الاشخاص والاوقات وقد يكون كمالات عند بعض الناس و
نقصانات عند اخرين كدول الدنيا بالنسبة الى العالم الزاهد ويتطرق اليها الزيادة والنقصان ولانه
من كمال الاول الواجب سبحانه كذلك لتنزهه عن النقصان والتغير بوجه ما فبقي ان يكون علوه علوا عقليا مطلقا
بمعنى انه لا رتبة فوق رتبته بل جميع المراتب العقلية منحطة عنه وبيان ذلك ان اعلى مراتب الكمال العقلي هو
مرتبة العلية ولما كانت ذاته المقدسة هي مبدأ كل موجود حسي وعقلي وعلته التامة المطلقة التي لا يتصور
النقصان فيها بوجه ما لا جرم كانت مرتبته اعلى المراتب العقلية مطلقا وله الفوق المطلق في الوجود العاري
عن الاضافة الى شيء وعن امكان ان يكون فوقه ما هو اعلى منه وذلك معنى قوله سبق في العلو فلا شيء اعلى منه
منه في علوه تفرده في العلو المطلق وهو انه لغيره ان يلحقه فيه ويجانسها قربه في الدنو فلا شيء ادنى منه
وقد اورد عليه السلام القرب هنا مقابلا للبعد اللازم عن السبق في العلو فانه مستلزم للبعد عن الغير
واورد الدنو مقابلا للعلو وكما علمت ان العلو يقال على المعاني الثلاثة المذكورة بحسب الاشتراك فكذلك
الدنو يقال على معان ثلاثة مقابلة لها فيقال مكان فلان ادنى من مكان فلان اذا كان اسفل منه ويقال
بمعنى القرب ايضا ويقال رتبة الملك الفلاني ادنى من رتبة السلطان الفلاني اذا كان في مرتبة اقل منه
ويقال رتبة المعلول اعلى من رتبة علته ويقال على معنى رابع فيقال فلان دنا الى فلان واقترب اليه اذا كان
حضيا به مطلعا على احواله اكثر من غيره والباري تعالى منزه عن ان يراد بدنوه احد المفهومات الثلثة الاولى بل
المراد هو المفهوم الرابع فقربه في دنوه ادنى بحسب علمه الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر وبهذا الاعتبار هو اقرب كل قريب وادنى كل دان كما قال تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
وهو ادنى الى العبد من نفسه اذ نفس كل انسان لا يعرف نفسها وهو سبحانه العالم بها الموجد لها فهو ادنى القرب
في دنوه الذي لا شيء اقرب منه واعلم ان وروده بلفظ الدنو لحصول المقابلة فيتزعج النفوس السليمة عند انكارها
لاجتماع القرب والبعد والعلو والدنو في شيء واحد الى تفهم المقاصد بها ويطلع على عظمة الحق سبحانه منها **وقوله**
فلا استعلاؤه باعده من شيء من خلقه ولا قربه ساواهم في المكان به تاكيد لورود الاحكام الوهمية بالاحكام العقلية
فان الوهم يحكم بان ما استعلى على الاشياء كان بعيدا عنها بقدر علوه عليها وما قرب منها فقد ساواها في مكانها
وذلك لكونه مقصور الحكم على المحسوسات ونحن لما بينا ان علوه على خلقه وقربه منهم ليس علوا وقربا مكانيين
بل بمعان اخرى لا جرم لم يكن استعلاؤه بذلك المعنى على خلقه فانه مباعد له عن شيء منها ولم يكن منافيا القرب

بالمعنى الذي ذكرناه بل كان الاستيلاء والقرب محسوسين له ولم يكن فرق بينهما ايضا موجبا للمساواة لها في المكان
عنادا للوهم ورد الاحكام الفاسدة في صفات الجلال ونعوت الكمال وبيان سببها كونه لم يطلع العقول على تحديد
صفته ولم يحجبها عن واجب معرفته وبيانه ان من صفته معنيان احدهما شرح حقيقة ذاته والثاني شرح ما لها من صفات
الكمال المطلق وظاهر ان العقول لم يطلع على حصر صفته وتحديدها بالمعنى الاول اذ لا حد لحقيقته ولا بالمعنى الثاني
ايضا اذ ليس لها ان يعتبر العقول من كماله سبحانه نهاية يقف عندها فيكون حدا له واما انه سبحانه مع ذلك لم يحجبها
عن واجب معرفته فلانه تعالى وهب لكل نفس قسطا من معرفته هو الواجب لها بحسب استعدادها لقبوله حتى نفوس
الجاحدين له فانها ايضا معترفة بوجوده لشهادة اعلام الوجود وآيات الصنع له على نفس كل جاحد مقصد وهو عند
بحيث يحكم صريح عقلها وبديهتها بالحاجة لما شاهدته من تلك الآيات الى صانع حكيم فهو الذي تشهد له اعلام
الوجود على اقرار قلب كل من جحد بان جحده له انما هو رأي اتبع فيه وهمه مع اقرار قلبه بالتصديق به وشهادة آيات
الصنع وشواهد الآثار على صحة ذلك الاقرار واعلم ان الجحود على نوعين احدهما جحود المشبهة فانهم مع اختلافهم
واختلفوا في كيفية التشبيه بأسرهم جاحدون له في الحقيقة وذلك ان المعنى الذي يتصورونه ويثبتونه الها
ليس هو نفس الاله مع انهم ينفون ما سوى ذلك فكانوا نافين للاله الحق في المعنى والثاني جحود من لم يثبت
صانعا فكلا الفريقين جاحد له من وجه مثبت له من وجه اما المشبهون فيثبتونه صريحا جاحدون له لزوما
واما الآخرون فبالعكس اذ كانوا جاحدين له صريحا من الجهة التي يثبته العقلاء بها ومقرون به التزاما ولذلك
ولذلك نزهه عليه السلام عن قول الفريقين فقال تعالى عما يقول المشبهون به والجاحدون له علوا كبيرا
وحكي ان زنديقا دخل على الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فسأله عن دليل اثبات الصانع فاعرض عنه عليه
السلام ثم التفت اليه وسأله من اين اقبلت وما قصتك فقال الزنديق اني كنت مسافرا في البحر فعصفت علينا
الريح ذات يوم وتلعبت بنا الامواج من كل جانب فانكسرت سفينتنا فتعلقت بخشبة منها ولم تزل الامواج
تقلبها حتى قذفت بها الى الساحل وسلمت عليها فقال له عليه السلام ارأيت الذي كان قلبك اليه اذا انكسرت السفينة
وتلاطمت عليكم امواج البحر فزعا اليه مخلصا في التضرع له طالبا للنجاة منه فهو الهك فاعترف الزنديق
بذلك وحسن اعتقاده وبالجملة فاتفاق العقول على الشهادة بوجود الصانع سبحانه امر ظاهر وان غطتها
غواشي الاوهام والى الاشارة بقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم
وكان الانسان كفورا وقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف
وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من
الشاكرين فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** انما بدء وقوع
الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله ويتولى عليها رجال رجالا على غير دين الله فلو ان
الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ولو ان الحق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه السن المعاندين

ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فهنالك يستولي الشيطان على اوليائه وينجو الذين سبقت
لهم من الله الحسنى **اقول** المرتاد الطالب والضغث القبضة من الشيء واعلم ان مبدأ وقوع الفتن المؤدية الى خراب
العالم وفساده انما هو اتباع الهوى والآراء الباطلة والاحكام المبتدعة الخارجة عن اوامر الله وذلك
ان المقصود من بعثة الرسل ووضع الشرائع انما هو نظام احوال الخلق في امر معاشهم ومعادهم فكان كل رأي
ابتدع او هوى اتبع خارجا عن كتاب الله وسنة رسوله سببا لوقوع الفتنة وتبدد نظام الوجود في هذا العالم
وذلك كأهواء البغاة وآراء الخوارج ونحوها **وقوله** فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق الى آخره اشارة الى اسباب
تلك الآراء الفاسدة ومدار تلك الاسباب على امتزاج المقدمات الحقة بالباطلة في الحجج التي يستعملها
المبطلون في استعلام المجهولات فبين ان السبب هو ذلك الامتزاج بشرطيتين متصلتين احديهما قوله
فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ووجه الملازمة في هذه المتصلة ظاهر فان مقدمات
الشبهة اذا كانت كلها باطلة ادرك طالب الحق وجه فسادها بادنى سعي ولم يخف عليه بطلانها واما استثناء
نقيض تاليها فلأنه لما خفي وجه البطلان فيها على طالب الحق لم يكن الباطل فيها خالصا من مزاج الحق فكان ذلك
هو سبب الغلط واتباع الباطل لان النتيجة تتبع اخس المقدمتين والثانية قوله ولو ان الحق خلص من لبس
الباطل انقطعت عنه السن المعاندين ووجه الملازمة ايضا كما مر اي ان مقدمات الحجة التي استعملها المبطلون
لو كانت كلها حقة مرتبة ترتيبا حقا لكانت النتيجة حقا ينقطع السنتهم عن العناد فيه والمجادلة وقد حذف
عليه السلام كبرى هذين القياسين لانهما قياسا ضمير كما سبق ثم اتى بالنتيجة وما في معناها وهو قوله ولكن
يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث اي من الحق والباطل فيمزجان ولفظ الضغث مستعار ومقصوده بذلك
التصريح بلزوم الآراء الباطلة والاهواء المبتدعة لمزج الحق بالباطل ولذلك قال وهنالك يستولي
الشيطان على اوليائه اي يزين لهم اتباع الاهواء والاحكام الخارجة عن كتاب الله بسبب اغوائهم عن
تمييز الحق من الباطل فيما سلكوه من الشبهة وينجو الذين سبقت لهم منا الحسنى اي من اخذت عناية الله
بايديهم في ظلمات الشبهات فقادتهم فيها بافاضة نور الهداية عليهم الى تمييز الحق من الباطل واولئك
هم عن النار مبعدون **ومن كلام له عليه السلام** لما غلب اصحاب معوية اصحابه على شريعة الفرات بصفين
ومنعوهم من الماء قد استطعموكم القتال فاقروا على مذلة وتأخير محلة او رووا السيوف من الدماء ترووا من
الماء فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين الا وان معوية قاد لمة من الغواة وعمس عليهم
الخبر حتى جعلوا نحورهم اغراض المنية **اقول** اللمة بالتخفيف الجماعة القليلة وعمس بالتخفيف والتشديد عمى
وابهم ومنه عمس الليل اظلم والمحلة المنزلة وفي الفصل لطائف الاولى قوله قد استطعموكم القتال استعار
لفظ الاستطعام لتحرشهم بالقتال في منعهم الماء ووجه الاستعارة استتباعه لهم للقتال وطلبهم له بمنع الماء
الذي هو في الحقيقة اقوى جذبا للقتال من طلب المأكول بالاقوال ولانهم لما منعوا الماء اشبهوا في ذلك

من طلب الطعام لانه لما استلزم ذلك المنع طلبهم للقتال تعين ان يشبه ما طلبوا الطعام الثانية قوله فاقروا
على مذلة وتأخير محلة الى قوله الماء امر لهم باحد الامرين عن منعهم الماء واستطعامهم القتال بالامر بترك القتال
او ايقاعه وانما اورد الكلام بصورة التخيير بين هذين الامرين وان لم يكن مراده الا القتال لعلمه بانهم لا يختارون
ترك القتال مع ما يلزمه من الاقرار بالعجز والمذلة والاستسلام للعدو وتأخير المنزلة عن رتبة اهل الشرف و
الشجاعة وانما اورد الوصفين اللازمين لترك القتال وهما الاقرار على المذلة وعلى تأخير المحلة لينفرهم عنه
ويظهره لهم في صورة كريهة وانما جعل الري من الماء الذي هو مشتهى اصحابه في ذلك الوقت لازما لتروية
السيوف من الدماء التي يلزمها القتال في صورة محبوبة يميل طباعهم اليها ونسبة التروي الى السيوف نسبة
مجازية الثالثة قوله فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين من لطائف الكلام ومحاسنه
وهو جذب الى القتال بابلغ ما يكون من البلاغة فجذبهم اليه بتصويره لهم ان الغاية التي عساهم يفرون من
القتال لخوفها وهي الموت موجودة في الغاية التي عساهم يطلبونها من ترك القتال وهي الحيوة البدنية
حال كونهم مقهورين وتجوز بلفظ الموت في الشدائد والاهوال التي تلحقهم من عدوهم لو قهرهم وهي عند
العاقل اشد بكثير من موت البدن واقوى مقاساة فان المذلة وسقوط المنزلة والهضم والاستنقاص
عند ذي اللب موتات متعاقبة ويحتمل ان يكون مجازا في ترك عبادة الله بالجهاد فانه موت للنفس وعدم
لحياتها برضوان الله وكذلك جذبهم الى ان الغاية التي يفرون اليها بترك القتال وهي الحيوة موجودة في
الغاية التي يفرون منها وهي الموت البدني حال كونهم قاهرين اما في الدنيا فمن وجهين احدهما الذكر
الباقي الجميل الذي لا يموت ولا يفنى الثاني ان طيب حيوتهم الدنيا انما يكون بنظام احوالهم بوجود الامام
العادل وبقاء الشريعة كما هي وذلك انما يكون بالقاء انفسهم في غمرات الحرب محافظة على الدين وموت
بعضهم فيها ولفظ الموت مهمل يصدق في ذهنه في الكل وان وجد في البعض واما في الآخرة فالبقاء الابدي
على وظائف الله والحياة التامة في جنات عدن كما قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
بل احياء عند ربهم يرزقون الآية وفي القرينتين الاوليين السجع المتوازي وفي اللتين بعدهما السجع المطرف
وفي اللتين بعدهما المقابلة الرابعة قوله الا وان معوية الى آخره ذكر للعدو برذيلتين ولاصحابه برذيلتين اما الاوليان
فكونه قائدا للغواة وكونه قد لبس عليهم الحق بالباطل واراهم الباطل في صورة الحق واما الاخريان فكونهم
غواة عن الحق وكونهم قد انقادوا للباطل عن شبهة حتى صار جهلهم مركبا والغرض من ذلك التنفير عنهم
وقوله حتى جعلوا نحورهم اغراض المنية غاية لاصحاب معوية من تلبيسه الحق عليهم وكنى بذلك عن تعرضهم
للموت ولفظ الغرض مستعار لنحورهم ووجه المشابهة جعلهم لنحورهم بصدد ان يصيبها سهام المنية من الطعن
والضرب والذبح ووجوه القتل فاشبهت ما ينصبه الرامي هدفا وهي استعارة بالكناية كما نحاول ان يشبه
المنية لفظ الرامي وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** الا وان الدنيا قد تصرمت وآذنت بانقضاء

وتنكر معروفها وادبرت حذاء فهي تحفز بالفناء سكانها وتحدو بالموت جيرانها وقد امر منها ما كان صفوا فلم
يبق منها الا سملة كسملة الاداوة او جرعة كجرعة المقلة لو تمززها الصديان لم ينقع فازمعوا عباد الله الرحيل عن
هذه الدار المقدور على اهلها الزوال ولا يغلبنكم فيها الامل ولا يطولن عليكم فيها الامد فوالله لو حننتم
حنين الوله العجال ودعوتم بهديل الحمام وجأرتم جؤار متبتلي الرهبان وخرجتم الى الله من الاموال والاولاد
التماس القربة اليه في ارتفاع درجة عنده او غفران سيئة احصتها كتبه وحفظتها رسله لكان قليلا فيما ارجو
لكم من ثوابه واخاف عليكم من عقابه وتالله لو انماثت قلوبكم انمياثا وسالت عيونكم من رغبة اليه او رهبة
منه دما ثم عمرتم في الدنيا ما الدنيا باقية ما جزت اعمالكم عنكم ولو لم تبقوا شيئا من جهدكم انعمه عليكم العظام وهداه
اياكم للايمان **اقول** اذنت اعلمت وتنكر معروفها جهل وحذاء سريعة خفيفة وروي بالجيم اي مقطوعة الخير
والعلائق والحفز السوق الحثيث والحفز ايضا الطعن والسملة بفتح الميم البقية من الماء في الاناء والمقلة
بفتح الميم وسكون القاف حصاة يقسم بها الماء عند قلته يعرف بها مقدار ما يسقى كل شخص والتمزز تمصص الماء
قليلا قليلا والصديان العطشان ونقع ينقع اي سكن عطشه وازمعت الامر وازمعت عليه اي ثبت عزمي على
فعله والمقدور المقدر الذي لا بد من كونه والامد الغاية والوله العجال جمع واله وعجول وهما من الابل التي
فقدت اولادها وهديل الحمامة نوحها والجؤار الصوت المرتفع والتبتل الانقطاع الى الله باخلاص النية وانماث
الشيء تحلل وذاب واعلم ان مدار هذا الفصل على امور ثلثة احدها التنفير عن الدنيا والتحذير منها والنهي
عن تأميلها والامر بالرحيل عنها الثاني التنبيه على عظيم ثواب الله وما ينبغي ان يرجى منه ويلتفت اليه ويقصد
بالرحيل بالتنبيه الى ما الناس فيه مما يتوهم جزيلة الدنيا ثم على عظيم عقابه وما ينبغي ان يخاف منه الثالث
التنبيه على عظمة نعم الله تعالى على الخلق وانه لا يمكن جزاؤها بابلغ المساعي واكثر الاجتهاد واما الاول فاشار
اليه بقوله الا وان الدنيا قد تصرمت الى قوله فيها الامد وقد علمت ان تصرمها وهو تقضي احوالها الحاضرة
شيئا فشيئا بالنسبة الى من وجد فيها في كل حين وان ايذانها بالانقضاء هو اعلامها بلسان حالها الاذهان
المعتبرة انها لا تبقى لاحد فاما تنكر معروفها فمعناه تغيره وتبدله ومثاله ان الانسان اذا اصاب لذة من
لذات الدنيا كصحة او امن ومال او جاه ونحوه انس اليه وتوهم بقاءه له وكان ذلك معروفها الذي اسند
اليه وعرفه والفه منها ثم انه عن قليل يزول ويتبدل بضده فيصير بعد ان كان معروفا مجهولا ويكون الدنيا
كصديق تنكر في صداقته ومزجها بعداوته وقوله وادبرت حذاء اي ولت حال ما لا تعلق لاحد بشيء منها [illegible]
واستعار لفظ الادبار لاشتغال الخلق بها عن شغلت عنه بموته او غير ذلك من وجوه [illegible] شبهها
بملك اعرض عن بعض رعيته بوجهه وقوله فهي تحفز بالفناء سكانها وتحدو بالموت جيرانها استعار لها
وصفي السائق والحادي استعارة بالكناية ووجه المشابهة كونهم قاطعين لمدة العمر بالفناء والموت فهي
لهم بذلك كما يصحب السائق والحادي للابل بالسوق والحداء وان اريد بالحفز الطعن فيكون قد تجوز بنسبة

الى البلاء ملاحظة لشبه مصاحب الدنيا بالرماح وكذلك استعار لفظ الفناء والموت لانه السوق والحداء
ونزلهما منزلة الحقيقية ووجه المشابهة كون الموت هو السبب فى انتقال الانسان الى دار الآخرة كما ان السوق
والسوط مثلا اللذين هما آلتا الحداء والسوق هما اللتان بهما يحصل انتقال الابل من موضع الى موضع وقوله
وقد امر منها ما كان حلوا وكدر منها ما كان صفوا كقوله وتنكر معروفها اى ان الامور التى يتمتع لذتها فيها ويجدها
الانسان فى بعض اوقاته رضا فيستحلوه خالصة عن كدر ودار الامراض ومرارة التنغيص بالعوارض الكريهة هى
فى معرض التغير والتبدل بالمرارة والكدر فما من شخص خاطبه بما ذكر الا ويصدق عليه انه قد عرضت له
تلك اللذات ثم استعقب صفوها كدرا وحلاوتها مرارة اما من شباب يتبدل بكبر او غنى بفقر او عز بذل او
بسقم وقوله فلم يبق منها الا سملة الى قوله لم ينقع تقليل وتحقير لما بقى منها لكل شخص شخص من الناس فان بقاءها
له على حسب ما كان فيها وبقاء كل شخص فيها يسير ووقت قصير واستعار لفظ السملة لبقيتها وشبهها ببقية
الماء فى الاداوة وبجرعة المقلة ووجه الشبه ما اشار اليه بقوله لو تمززها الصديان لم ينقع اى كما ان العطشان
الواجد لبقية الاداوة والجرعة لو تمصصها لم ينقع عطشه كذلك طالب الدنيا المتعطش اليها الواجد لبقية
عمره وللبسير من الاستمتاع فيه بلذات الدنيا لا يشفى ذلك غليله ولا يسكن عطشه منها فالاولى ان تفطم
النفس بالفطام عن شهواتها وقوله فازمعوا عباد الله بالرحيل عن هذه الدار امر لهم بعد تحقيرها والتنفير عنها
بالازماع وتصميم العزم على الرحيل عنها بالالتفات الى الله والاقبال على قطع عقبات الطريق اليه وهو ارتحال
الحق عن الدنيا وقوله المقدور على اهلها الزوال تذكير بما لا بد منه من مفارقتها ليحصل الرغبة فيها ثم اعقب
ذلك بالنهى عن متابعة الامل فى لذاتها فانه ينسى الآخرة كما سبقت الاشارة اليه وذكر لفظ المغالبة تنكيلا
بالانفة واستثارة الحمية من نفوسهم ثم بالنهى عن توهم طول مدة الحياة واستبعاد الغاية التى هى الموت
فان ذلك يقسى القلب فيورث الغفلة عن ذكر الله كما قال تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم
فاسقون واما الثانى وهو التنبيه على عظيم ثواب الله وعقابه فاعلم انه لما حقر الدنيا وحذر منها وامر بالارتحال
عنها اشار بعد ذلك الى ما ينبغى ان يعظم ويلتفت اليه ويرجى ويخشى وهو ثواب الله وعقابه فاشار الى تعظيمهما
بتحقير الاسباب والوسائل التى يعتمد عليها العباد وهى غايات جهدهم بالنسبة الى ما ينبغى ان يرجى من ثوابه
ويخشى من عقابه وتلك الاسباب من شدة الحنين والوله الى الله تعالى والدعاء المستمر والتضرع المشبه لتبتل الراهب
هذا فى طرف العبادة وانما حسن التشبيه بتبتل الرهبان لشهرتهم بشدة التضرع وكذلك الخروج الى الله من
الاموال والاولاد وهو اشد الزهد ورتب ذلك فى صورة متصلة مقدمها قوله لو حننتم الى قوله وسلم
وتاليها قوله لكان ذلك قليلا الى قوله من عقابه والناس مفعول له وخلاصة هذا المقصود بوجيز الكلام
انكم لو اتيتم بجميع اسباب التقرب الى الله الممكنة لكم من عبادة وزهد ملتمسين بذلك التقرب اليه فى ان
يرفع لكم عنده درجة او يغفر لكم سيئة احصتها كتبه والواحه المحفوظة لكان ما انا ارجو من ثواب المتقرب

اليه

اليه فى ان يرفع منزلته من حضرة قدسه اكثر مما يتصوره المتقرب انه يصل اليه بتقربه ولكان الذى اخافه من عقابه
على المتقرب فى غفران سيئة عنه اكثر من العقاب الذى يتوهم انه يدفعه عن نفسه بتقربه فينبغى لطالب الزيادة
فى المنزلة عند الله ان يخلص بكليته فى التقرب اليه ليصل الى ما هو اعظم مما يتوهم انه يصل اليه من المنزلة عنده
وينبغى للهارب عن ذنبه الى الله ان يخلص بكليته فى الفرار اليه ليخلص من هول ما هو اعظم مما يتوهم انه يدفعه
عن نفسه بوسيلته اليه فان الامر فى معرفة ما اعد الله لعباده الصالحين من الثواب العظيم وما اعده لاعدائه
الظالمين من العذاب الاليم اجل مما تتصوره عقول البشر ما دامت فى عالم الغربة وان كانت عقولهم فى ذلك
الادراك متفاوتة ولما كانت نفسه القدسية اشرف نفوس الخلق فى ذلك الوقت لاجرم نسب الثواب المرجو لهم
والعقاب المخوف عليهم الى رجائه هو وخوفه فقال ما ارجو لكم من ثوابه واخاف عليكم من عقابه وذلك لعلوه
اطلاعه من ذلك على ما لم يطلعوا عليه واما الثالث وهو التنبيه على عظيم نعمة الله تعالى على العباد فنبه على ان
كل ما اتوا به من الاعمال التى يبذلوا جهدهم فيها فى طاعة الله وما عساه يمكنهم ان ياتوا به منها فهو قاصر عن مجازاة
نعمه العظام وقد سبق بيان ذلك ورتب المطلوب فى صورة شرطية متصلة ايضا مقدمها مركب من امور احدها قوله
لو انماثت قلوبكم اى ذابت خوفا منه ووجلا منه وكنى بذلك عن اقصى حال الخائف الراجى لربه فى عبادته الثانى
قوله وسالت عيونكم وما وهو كالاول الثالث قوله ثم عمرتم فى الدنيا ما الدنيا باقية اى مدة بقاء الدنيا
وتاليها قوله ما جزت اعمالكم الى آخره وانعمه منصوب مفعول لجزت وهداه فى محل النصب عطفا عليه وانما افرد
الهدى بالذكر وان كان من الانعم لشرفه اذ هو الغاية المطلوبة من العبد بكل نعمة افيضت عليه فانه لم يخلق
ولم يفض عليه انواع النعم لاجلها الا ليتأهل قلبه ويستعد نفسه لقبول صورة الهدى عن واهبها فيمشى بها
فى ظلمات الجهل الى ربه ويجوز بها عقبات صراط المستقيم واكد ملازمة هذه المتصلة بالقسم البار وكذلك
المتصلة السابقة وفائدة هذا التنبيه بعث الخلق على الشكر وتوفر الدواعى على الاجتهاد فى الاخلاص لله
حياء من مقابلة عظيم انعامه بالتقصير فى شكره والتشاغل بغيره وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** يوم النحر
فى صفة الاضحية ومن تمام الاضحية استشراف اذنها وسلامة عينها فاذا سلمت الاذن والعين سلمت الاضحية
وتمت وان كانت عضباء القرن تجر رجلها الى المنسك **اقول** الاضحية منسوبة الى الاضحى اذ كان وقت ذبحها فى
ضحى ذلك اليوم وقيل استشرفها واستشراف اذنها طولها وكنى بذلك عن سلامتها من القطع او نقصان الخلقة
والعضباء مكسورة القرن وقيل القرن الداخل وكنى بجر رجلها الى المنسك عن عرجها والمنسك موضع النسك
وهو العبادة والتقرب بذبحها واعلم ان المعتبر فى الاضحية سلامتها عما ينقص قيمتها وظاهر ان العمى والعور
والهزال وقطع الاذن تشويه فى خلقتها ونقصان فى قيمتها دون العرج وكسر القرن وفى فضل الاضحية اخبار
كثيرة روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال ما من عمل يوم النحر احب الى الله عز وجل من اراقة دم وانها
لتاتى يوم القيمة بقرونها واظلافها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع الارض فطيبوا بها نفسا

وروى عنه ايضا ان لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وبكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع فى الميزان فابشروا
وقد كانت الصحابة يتغالون فى اثمان الهدى والاضاحى ويكرهون المماكسة فيها فان افضل ذلك اغلاه
ثمنا وانفسه عند اهله وروى ان عمر اهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسال رسول الله صلى الله عليه وآله
ان يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وسر ذلك ان الجيد القليل خير من الكثير
الدون فثلثمائة دينار وان كان قيمة ثلاثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم بل المقصود تزكية
النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله
التقوى منكم وذلك بمراعاة النفاسة فى القيمة كثر العدد ام قل واعلم انه ربما لاح من اسرار وضع الاضحية
بانها هو ان يتذكر بها التذكر لقصة ابرهيم عليه السلام وابتلائه بذبح ولده وقوة صبره على تلك المحنة والبلاء
المبين ثم يلاحظ من ذلك حلاوة ثمرة الصبر على المصائب والمكاره فيتاسى الناس به فى ذلك مع ما فى ذلك
من تطهير النفس عن رذيلة البخل واستعداد النفس بها للتقرب الى الله تعالى وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام**
فتداكوا على تداك الابل الهيم يوم ورودها قد ارسلها راعيها وخلعت مثانيها حتى ظننت انهم قاتلى او بعضهم
قاتل بعض لدى وقد قلبت هذا الامر بطنه وظهره حتى منعنى النوم فما وجدتنى يسعنى الا قتالهم او الجحود بما جاء
به محمد صلى الله عليه وآله فكانت معالجة القتال اهون على من معالجة العقاب وموتات الدنيا اهون على من معالجة
العقاب وموتات الدنيا اهون على من موتات الآخرة **اقول** تداكوا دك بعضهم بعضا اى دق بالضرب والدفع
والهيم الابل العطاش والمثانى جمع مثناة وهى الحبل يثنى ويعقل به البعير واعلم ان قوله فتداكوا الى قوله لدى
اشارة الى صفة اصحابه بصفين لما طال منعه لهم من قتال اهل الشام وكان عليه السلام يمنعهم من قتالهم لامرين
احدهما انه كانت عادته فى الحرب ذلك ليكون خصمه البادى فيرتكب البغى والثانى انه كان يستخلص وجه المصلحة
فى كيفية قتالهم لا على سبيل شك فى وجوب قتال من خالفه فانه عليه السلام كان مامورا بذلك بل على وجه
استخلاص وجه الراى الاصلح او انتظارا لاجتذابهم الى الحق ورجوعهم الى طاعته وحقن دماء المسلمين كما سنصرح
به فى الفصل الذى ياتى ثم اكد وصفهم بالزحام عليه بامرين احدهما تشبيههم بزحام الابل العطاش حين يطلقها
رعاتها من مثانيها يوم ورودها الماء ووجه الشبه ما لهما من شدة الزحام الثانى غاية ذلك الزحام وهو ظنه
عليه السلام ان يقتلوه او يقتل بعضهم بعضا وقوله وقد قلبت هذا الامر الى آخره اشارة الى بعض علل منعه
لهم من القتال وهو تقليبه لوجوه الاراء فى قتالهم حتى يتبين له ما يلزم فى ترك القتال من الخطر وهو الكفر
على ان فى الامرين خطرا اما القتال ففيه بذل نفسه للقتل وهلاك جملة من المسلمين واما تركه ففيه مخالفة
امر الله ورسوله المستلزم للعقاب الاليم لكن قد علمت ان الدنيا لا قيمة لسعادتها ولا نسبة لشقاوتها الى سعادة
الآخرة وشقاوتها عند ذوى البصائر خصوصا مثله عليه السلام فلذلك قال فكانت معالجة القتال اهون على
من معالجة العقاب وموتات الدنيا اهون على من موتات الآخرة واستعار لفظ الموتات للاهوال والشدائد

فى الدنيا

فى الدنيا والآخرة لما بين الموت وبينها من المناسبة فى الشدة وقد استبطأ اصحابه اذنه لهم فى القتال بصفين
اما قولكم كل ذلك كراهية الموت فوالله ما ابالى دخلت الى الموت او خرج الموت الى واما قولكم شكا فى اهل
الشام فوالله ما دفعت الحرب يوما الا وانا اطمع ان تلحق بى طائفة فتهتدى بى وتعشو الى ضوئى فهو احب الى
من ان اقتلها على ضلالها وان كانت تبوء باثامها **اقول** عشا الى النار استدل عليها ببصر ضعيف وباء باثمه
اى رجع به وهذا الفصل مناسب للذى قبله والسبب فيه ان اصحابه لما طال منعه لهم عن قتال اهل الشام
الحوا عليه فى طلبه حتى نسبه بعضهم الى العجز وكراهية الموت ونسبه بعضهم الى الشك فى وجوب قتال هؤلاء
فاورد عليه السلام شبهة الاولين وهى قوله كل ذلك كراهية الموت وروى كراهية بالنصب على المفعول له
سد مسد الخبر واجاب عنها بقوله فوالله ما ابالى الى قوله الى وصدق فى هذه الدعوى المؤكد بالقسم البار ظاهر
منه فان العارف بمعزل عن تقية الموت خصوصا نفسه القدسية كما سبق ونسبة الدخول الى الموت والخروج
اليه نسبة مجازية يستلزم ملاحظة تشبيهه بحيوان مخوف ثم اورد الشبهة الثانية وهى قوله واما قولكم شكا فى
اهل الشام واجاب عنها بقوله فوالله ما دفعت الحرب الى آخره وتقريره ان المطلوب الاول من الانبياء والاولياء
انما هو اهتداء الخلق بهم من ظلمة الجهل واستقامة امورهم فى معاشهم ومعادهم بوجودهم واذا كان هذا
هو المطلوب الذاتى له عليه السلام من طلب هذا الامر والقتال عليه كان تحصيل المطالب كلما كان الطف
واسهل من القتل والقتال كان اولى لاجرم كان انتظاره بالحرب مدافعتها يوما فيوما انما هو انتظار وطمع
ان يلحق به منهم من يجذبه العناية الالهية بنفحة الى الحق فيهتدى به فى طريق الله ويعشو الى ضوء علمه وكماله
وكان ذلك احب اليه من قتلهم على ضلالهم وان كان كل ضال انما يرجع باثمه الى ربه ويكون رهين عمله
كما قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى **ومن كلام له عليه السلام**
ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وابناءنا واخواننا واعمامنا ما يزيدنا ذلك الا ايمانا
وتسليما ومضيا على اللقم وصبرا على مضض الالم وجدا فى جهاد العدو ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا
يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان انفسهما ايهما يسقى صاحبه كاس المنون فمرة لنا من عدونا ومرة لعدونا
منا فلما راى الله صدقنا انزل بعدونا الكبت وانزل علينا النصر حتى استقر الاسلام ملقيا جرانه ومتبوئا اوطانه
ولعمرى لو كنا ناتى ما اتيتم ما قام للدين عمود ولا اخضر للايمان عود وايم الله لتحتلبنها دما ولتتبعنها ندما
اقول المنقول ان هذا الكلام صدر عنه يوم صفين حين اقر الناس بالصلح واوله ان هؤلاء القوم لم يكونوا
ليفيئوا الى الحق ولا ليجيبوا الى كلمة سواء حتى يرموا بالمناسر تتبعها العساكر وحتى يرجموا بالكتائب تتبعها
الحلائب وحتى يجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس وحتى تدعق الخيول فى نواحى ارضهم وباعناء مشاربهم ومسارحهم
وحتى تشن عليهم الغارات من كل فج وحتى تلقاهم قوم صدق صبر لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم وموتاهم
فى سبيل الله الا جدا فى طاعة الله وحرصا على لقاء الله ولقد كنا مع رسول الله الفصل وكلمة سواء اى

والمنسر جمع من المائة الى المائتين ويقال بل الجيش ما يمر بشيء الا اقتلعه والخميس الجيش وتدعق تغار على ارضهم
فيوثر فيها حوافرها وشن الغارة واثارها واللقم منهج الطريق والمضض حرقة الالم وبيضا ولان يتجاولان
ويتطاولان ويتخالسان ينتهز كل منهما فرصة صاحبه والمنون المنية والكبت الصرف والاذلال وجران البعير
مقدم عنقه من مذبحه الى منحره وتبوا وطنه سكن فيه ومقصوده في هذا الفصل توبيخ اصحابه على ترك الحرب
والتقصير فيه فقوله ولقد كنا الى قوله واوطانه بيان الفضيلة وكيفية صنعهم هو وسائر الصحابة في الجهاد بين يدي
رسول الله صلى الله عليه واله لغرض قيام الاسلام وظهور امر الله ليتبين للسامعين تقصيرهم بالنسبة الى ما كان
اولئك عليه في جهادهم يومئذ فبدا بذكر ما كانوا يكابدونه من الشدائد وان احدهم كان يقتل اباه وولده
طلبا لرضاء الله ودفاعا عن دينه ثم لا يزيدهم ذلك الا ايمانا بالله وتسليما لقضائه ومضيا على واضح سبيله وصبرا
في طاعته على مضض الالام المتواترة وان احدهم كان يصاول عدوه ليختطف كل روح صاحبه ويجوز بلفظ
الكاس فيما يجرعه الانسان من غصص لاحتمال القتل وبه يقول مرة لنا ومرة لعدونا على ان اقدامهم
على القتال يومئذ لم يكن عن قوة منهم على العدو ويقين بغلبته بل مع غلبة العدو لهم وقهره ومرة منصوب
على الظرف وتقديره مرة الاداة التي تكون لنا من عدونا ومرة يكون لعدونا وقوله فلما راى الله صدقنا الى قوله
النصر فيه تنبيه على ان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع من جهته وانما هو عام الفيض على كل قابل استعد له
واشار بروية الله صدقهم الى علمه باستحقاقهم واستعدادهم بالصبر الذي اعدهم به وبانزال النصر عليهم وكبت
عدوهم الى افاضته على كل منهم ما استعد له وقوله حتى استقر الاسلام الى قوله واوطانه اشارة الى الحصول غايتهم
التي قصدوها بجهاد العدو وهي استقرار الاسلام في قلوب عباد الله واستعار له لفظ الجران ورشح تلك
الاستعارة بالالقاء ملاحظة لتشبيهه بالبعير الذي اخذ مكانه وكذلك استعار لفظ التبوء ونسبه الى الاوطان
تشبيها له بمن كان من الناس خائفا مترددا لا مستقر له ثم اطمان واستقر في وطنه واستعار لفظ الاوطان
لقلوب المؤمنين وكنى بتبوء اوطانه عن استقراره فيها وقوله ولعمري لو كنا ناتي الى قوله عود رجوع الى المقصود
الاصلي وهو تعيير اصحابه على تقصيرهم والمعنى لو قصرنا يومئذ كتقصيركم الان وتخاذلكم لما حصل لنا ما حصل
من استقامة الدين وكنى بالعمود للدين عن قوته ومعظمه كناية بالمستعار وكذلك باخضرار العود للايمان
عن نضارته في النفوس ولاحظ في الاولى تشبيه الاسلام بالبيت ذي العمود وفي الثانية تشبيه الايمان
بالشجرة ذات الاغصان وقوله وايم الله لتحتلبنها دما استعار لفظ الدم بثمرة تقصيرهم وتخاذلهم عما يدعوهم
اليه من الجهاد ولاحظ في تلك الاستعارة تشبيه تقصيرهم في افعالهم بالناقة التي اصيب ضرعها بافة من تفريط
حالبها فيها والضمير المؤنث منهم يرجع في المعنى الى افعالهم وكذلك الضمير في قوله ولتتبعنها ندما فان ثمرة
التفريط الندامة ودما وندما منصوبان على التمييز وقد اتفق في هذا الفصل نوعان من السجع فاللقم والالم
الالم سجع متوازي وجرانه واوطانه مطرف وكذلك عمود وعود ودما وندما وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام

لاصحابه اما انه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم مندحق البطن ياكل ما يجد ويطلب ما لا يجد فاقتلوه
ولن تقتلوه الا وانه سيامركم بسبي والبراءة مني فاما السب فسبوني فانه لي زكاة ولكم نجاة واما البراءة
فلا تتبرءوا مني فاني ولدت على الفطرة وسبقت الى الايمان والهجرة اقول رحب البلعوم واسع مجرى الحلق
وبطن مندحق بائن بارز وفي هذا الفصل اخبار بما سيكون لاصحابه من الابتلاء بسبه والخطاب لاهل
الكوفة فقوله اما يحتمل ان يكون المشددة المتقدمة بما بعدها انه كقوله ويحتمل ان يكون مخففة وهي ما النافية
دخلت عليها همزة الاستفهام والتقرير اما انه سيظهر واختلف في مراده بالرجل فقال اكثر الشارحين
المراد معوية لانه كان بطينا كثير الاكل روي انه كان ياكل فيمل فيقول ارفعوا فوالله ما شبعت ولكن مللت
وتعبت وكان ذلك داء اصابه بدعاء الرسول صلى الله عليه واله روي انه بعث اليه مرة فوجده ياكل فبعث اليه
ثانية فوجده كذلك فقال اللهم لا تشبع بطنه ولبعضهم في وصف اخر وصاحب بطنه كالهاوية كان في
امعائه معاوية وقيل هو زياد بن ابي سفيان وهو زياد بن ابيه وقيل هو الحجاج وقيل المغيرة بن شعبة وظهوره
عليهم بعده استعلاؤه وتامره عليهم واكله ما يجد مع طلبه لما لا يجد كناية عن كثرة اكله وجعل ذلك علامة
له وقوله فاقتلوه اي لما هو عليه من الفساد في الارض ولن تقتلوه حكم لدني اطلع عليه وقوله الا وانه سيامركم
بسبي الى اخره اشارة الى ما سيامرهم به في حقه من السب والبراءة ووصيته لهم بما هو المصلحة اذن وفرق عليه السلام
بين سبه والبراءة منه بان رخص في سبه عند الاكراه عليه ولم يرخص في التبري منه وفي الفرق بينهما لطف
وذلك ان السب من صفات القول اللساني وهو امر يمكن ايقاعه من دون اعتقاده مع احتماله التعريض
ومع ما يشتمل عليه من حقن دماء الماموريين ونجاتهم بامتثال الامر به فاما البراءة فليس بصفة قولية فقط
بل يعود الى المجانبة القلبية والمعاداة والبغض وهو المنهي عنه هاهنا فانه امر باطن يمكنهم الانتهاء عنه
ولا يلحقهم بسبب تركه وعدم امتثال الامر به ضرر وكانه لحظ فيهما قوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان
ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب الاية وقوله في السب فانه لي زكاة ولكم نجاة اشارة الى
اسباب ترخيصه في سبه اما نجاتهم بسببه فظاهرة واما كونه زكاة له فلوجهين احدهما ما روي في الحديث
ان ذكر المؤمن بسوء هو زكوة له وذلك بما ليس فيه زيادة في جاهه وشرفه الثاني ان الطباع حريص على ما
منع منه وتلح فيه فالناس لما منعوا من ذكر فضائله والموالاة له والزموا سبه وبغضه ازدادوا بذلك بحثا
له واظهارا لشرفه ولذلك انه عليه السلام سبته بنو امية الف شهر على المنابر فما ازداد ذكره على ذلك الا علوا
ولا ازداد الناس في محبته الا غلوا والمنقول ان الذي امر بقطع سبه عمر بن عبد العزيز ووضع مكان سبه
من الخطبة ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية ولذلك قال كثير بن عبد الرحمن يمدحه وليت فلم تشتم
عليا ولم تخف بريا ولم تقبل اساءة مجرم وفيه يقول الرضي الموسوي يا ابن عبد العزيز لو بكت العين فتى من
امية لبكيتك انت نزهتنا عن السب والشتم ولو كنت مجزيا لجزيتك غير اني اقول انك قد طبت وان لم يطب

واصله بزك حيك وقوله فاني ولدت على الفطرة الى اخره تعليل لحسن الانتهاء عن البراءة منه ووجوبه واراد
بالفطرة فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي بعثهم الى عالم الاجسام ماخوذا عليهم ميثاق العبودية والاستقامة
على سنن العدل في سلوك صراط المستقيم واراد بسبقه الى الاسلام والهجرة سبقه الى طاعة رسول الله
صلى الله عليه واله فيما جاء به من الدين وصحبته له ومهاجرته معه مستقيما في كل ذلك على فطرة الله لم يدنس
نفسه بشيء من الملكات الرديئة وقتا ما زمان صغره فالخبر المشهور كل مولود يولد على الفطرة واما بعد
ذلك فلان الرسول صلى الله عليه واله كان هو المتولي لتربيته وتزكية نفسه بالعلوم والاخلاق من اول
وقته الى ان توفي صلى الله عليه واله كما اشرنا اليه قبل وكما سنذكره من بعد كيفيته وكان قبوله واستعداده
لانوار الله امرا فطرت عليه نفسه وجبلت عليه طبيعته حتى لم يلحقه في ذلك احد من الصحابة وظاهر ان من
كان بهذه الصفة من خلفاء الله واوليائه كان التبري منه تبريا من الله ورسوله فوجب الانتهاء عنه وبالله
التوفيق ومن كلام له عليه السلام كلم به الخوارج اصابكم حاصب ولا بقي منكم ابر ابعد ايماني بالله وجهادي مع
رسول الله صلى الله عليه وآله اشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين فاوبوا شر ماب وارجعوا على اثر الاعقاب
اما انكم ستلقون بعدي ذلا شاملا وسيفا قاطعا واثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة قال الرضي رضي الله
عنه وقوله ولا بقي منكم ابر يروى بالراء من قولهم ابر للذي يابر النخل اي يصلحه ويروى اثر وهو الذي ياثر
الحديث اي يحكيه ويرويه وهو اصح الوجوه عندي كانه قال لا بقي منكم من يروي حديثا ويروى بالزاي معجمة
وهو الواثب والهالك ايضا يقال له ابر اقول المروي في السبب انه لما كتب عهد الصلح بالحكمين بين علي
ومعوية اعترضت الخوارج وتنادوا من كل ناحية لا حكم الا لله الحكم لله يا علي لا لك ان الله قد امضى حكمه
في معوية واصحابه ان يدخلوا تحت حكمنا وقد كنا زللنا واخطانا حين رضينا بالتحكيم وقد بان لنا زللنا
وخطانا ورجعنا الى الله وتبنا فارجع انت كما رجعنا وتب اليه كما تبنا وقال بعضهم اشهد على
على نفسك بالكفر ثم تب منه حتى نطيعك فاجابهم عليه السلام بهذا الكلام والحاصب ريح شديدة ترمي بالحصباء
وهي صغار الحصى والاثرة بالتحريك الاستبداد فدعا عليهم ولا يرجع عصيهم ثم بالفناء غضبا من مقالتهم اخذ
في تقريعهم وانكار مقالتهم وطلبهم شهادته على نفسه بالكفر ضلالا عن الحق وعدم اهتداء في سبيل الله ثم اردف
في صورة سؤال ذلك بامرين احدهما جذبهم بالعتب والقهر وامرهم بالرجوع الى الحق على عقابهم اي من حيث
خرجوا في صورة سؤال العتب تنبيههم على خطائهم في حضرة بيان غلطهم على نفسه ولو اجابهم الى ما سالوا فان
شهادة الانسان على نفسه بالكفر ضلال عن الحق وعدم اهتداء في سبيل الله ثم اردف ذلك بامرين احدهما
جذبهم بالعتب والقهر وامرهم بالرجوع الى الحق على عقابهم اي من حيث خرجوا من الحق وفارقوه الثاني اخبارهم
بما سيلقون بعده من الذل الشامل والسيف القاطع وهو كناية عمن يقتلهم بعده كالمهلب بن ابي صفرة
وغيره وهذا الاخبار لغرض استمالتهم اليه وتخويف لهم بوبال غيره والاثرة التي يتخذها الظالمون فيهم سنة

اشارة الى ما يستاثر به الملوك والعمال عليهم من الفيء والغنائم واهانتهم لهم وقد كانت دعوته عليه السلام
استجيبت فيهم فانهم لم يزالوا بعده في ذل شامل وقتل ذريع حتى افناهم الله تعالى واحوالهم في كيفية قتالهم
وقتلهم ومن قتلهم مستوفى في كتاب الخوارج وبالله التوفيق وقال عليه السلام لما عزم على قتال الخوارج وقيل
له ان القوم قد عبروا جسر النهروان مصارعهم دون النطفة والله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة
قال السيد يعني بالنطفة ماء النهر وهي افصح كناية عن الماء وان كان كثيرا جما اقول خلاصة هذا الخبر انه
لما خرج الى اصحاب النهر جاءه رجل من اصحابه فقال البشرى يا امير المؤمنين ان القوم عبروا النهر لما بلغهم
وصولك فابشر فقد منحك الله اكتافهم فقال الله انت رايتهم قد عبروا فقال نعم فقال عليه السلام والله
ما عبروه ولن يعبروه وان مصارعهم دون النطفة والذي فلق الحبة وبرا النسمة لن يبلغوا الاثلاث ولا
قصر بوران حتى يقتلهم الله وقد خاب من افترى قال ثم جاءه جماعة من اصحابه واحدا بعد اخر كلهم يخبر بما اخبر به
الاول فركب وسار حتى انتهى الى النهر فوجد القوم باسرهم قد كسروا جفون سيوفهم وعرقبوا خيولهم وجثوا
على الركب وحكموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل وروي ان شابا من اصحابه قال في نفسه حين حكم عليه السلام
بما حكم من امرهم وسار الى النهر لئن صدق حكمه والله لاكونن قريبا منه فان كانوا عبروا النهر لاحملن سنان
رمحي في عينه ايدعي علم الغيب فلما وجدهم لم يعبروا نزل عن فرسه ولجا الى ما روي في نفسه وطلب منه ان يغفر
له فقال عليه السلام ان الله هو الذي يغفر الذنوب جميعا فاستغفره واما حكمه بانهم لا يفلت منهم عشرة ولا
يقتل من اصحابه عشرة فروي انه قال لابي ايوب الانصاري وكان على ميمنته لما بدات الخوارج بالقتال احملوا
عليهم فوالله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة فلما قتلهم وجدوا المفلت منهم تسعة والمقتول من
اصحابه ثمانية وهذا مما كان من كراماته عليه السلام وقال عليه السلام لما قيل له يا امير المؤمنين هلك القوم باجمعهم
كلا والله انهم نطف في اصلاب الرجال وقرارات النساء كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون اخرهم لصوصا سلابين
اقول نجم طلع والسلاب المختلس وكلا رد لمقالة من حكم بهلاكهم جميعا واشار بكونهم نطفا في اصلاب الرجال
وقرارات النساء الى انه لا بد من وجود قوم منهم يقولون بمثل مقالتهم وانهم الان موجودون في الاصلاب و
الارحام بالقوة فمنهم نطف بورثت الى الارحام وكنى بالقرارات عنها ومنهم نطف بعد في الاصلاب ثم الحقهم
احكاما اخر بعد البغاثهم منها انه سيقوم منهم رؤساء واتباع وعبر عمن يظهر منهم بالقرن استعارة مرشحا
لتلك الاستعارة بقوله نجم وقطع لكونهما حقيقتين في النبات وجعل قوله اخرهم غاية ان يكون اخرهم لصوصا
سلابين اي قطاعا للطريق واما الذين ظهروا بعده من رؤسائهم فجماعة كثيرة وذلك ان الشعراء الذين
سلموا يوم النهر تفرقوا في البلاد فانهزم اثنان منهم الى عمان واثنان الى كرمان واثنان الى سجستان واثنان
الى الجزيرة وواحد الى تل موزون وقد كان منهم جماعة لم يظفر بهم عليه السلام فظهرت بدعتهم في اطراف
البلاد بعده فكانوا نحوا من عشرين فرقة وكبارها ستة احدها الازارقة اصحاب نافع بن الازرق وكانت

اكبر الفرق خرجوا من البصرة الى الاهواز وغلبوا عليها وعلى كورها وما وراها من بلدان فارس وكرمان في ايام عبد
الله بن الزبير وكان مع نافع من امراء الخوارج عشرة عطية بن الاسود الحنفي وعبد الله بن ماخول واخواه عثمان بن الزبير
وعمر بن عمير العنبري وقطري بن الفجاءة المازني وعبيدة بن هلال الشيباني وصخر التميمي وصالح العبدي وعبد ربه الكبير
وعبد ربه الصغير في نيف وثلاثين الف فارس منهم فانفذ اليهم المهلب بن ابي صفرة ولم يزل في حربهم هو واولاده
تسع عشرة سنة الى ان فرغ من امرهم في ايام الحجاج ومات نافع قبل وقايع المهلب وبايعوا قطريا وسموه امير المؤمنين
الثانية النجدات رئيسهم نجدة بن عامر الحنفي وكان معه اميران يقال لاحدهما عطية والاخر ابو فديك ففارقاه
بشبهة ثم قتل ابو فديك وصار لكل واحد منهما جمع عظيم وقتلا في زمن عبد الملك بن مروان الثالثة البيهسية
اصحاب ابي بيهس الهيصم بن جابر وكان بالحجاز وقتله عثمان بن حيان المزني بالمدينة بعد ان قطع يديه ورجليه
وذلك في زمن الوليد باشارة منه الرابعة العجاردة اصحاب عبد الكريم بن عجرد وتحت هذه الفرقة فرق كثيرة
لكل منهم رئيس مشهور الخامسة الاباضية اصحاب عبد الله بن اباض في ايام مروان بن محمد فوجه اليه عبد الله بن محمد بن
عطية فقاتله فقتله السادسة الثعالبة اصحاب ثعلبة بن عامر وتحت هذه الفرقة ايضا فرق كثيرة ولكل منها
رئيس مشهور وتفصيل رؤسائهم وفرقهم واحوالهم ومن قتلهم مذكور في كتب التاريخ واما كون اكثرهم لصوصا
سلابين فاشارة الى ما كانوا يفعلونه في اطراف البلاد باصبهان والاهواز وسواد العراق ويعيثون فيها ويغصبون
اموال الخراج وقيل ومن لم يذعن بدينهم جهرا وغيلة وذلك بعد ضعفهم وتفرقهم بوقايع المهلب وغيرها كما هو
مذكور في مظانه وقال عليه السلام لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فاخطأه كمن طلب الباطل
فادركه يعني معوية واصحابه اقول نهى عليه السلام عن قتل الخوارج بعده واومى الى علة استحقاق القتل بانها طلب
الباطل لانه باطل ليتبين بها منفيه في حقهم فتنتفي لازمها وهو استحقاق القتل واشار الى ان الخوارج لم
يطلبوا الباطل مع العلم بكونه باطلا بل طلبوا الحق بالذات فوقعوا في الباطل بالعرض ومن لم يكن غرضه
الا الحق لم يجز قتله وحسن الكلام بطرفيه متعين متصل هكذا لو استحقوا القتل بسبب طلبهم للباطل من
حيث هو باطل لكنهم لا يستحقونه من تلك الجهة لانهم ليسوا طالبين للباطل من حيث هو باطل فلا يستحقون
القتل وفرق بين من يطلب الحق لذاته فيظهر عنه في صورة الباطل ومن يطلب الباطل لذاته فيظهر في صورة
الحق حتى يدركه فان الثاني هو المستحق للقتل دون الاول واومى بمن طلب الباطل فادركه الى معوية واعلم
ان هذا نهي منه عليه السلام بانهم كانوا طالبين للحق وبيانه ان معظم رؤسائهم كانوا على غاية من المحافظة
على العبادات كما نقل عن الرسول صلى الله عليه وآله حيث وصفهم فقال يحقر احدكم صلوته في جنب صلوتهم
وكانوا مشهورين بالصلاح والمواظبة على حفظ القرآن ودرسه الا انهم بالغوا في التحري وشدة الطلب للحق
حتى عبروا عن فضيلة العدل في الى رذيلة الافراط فوقعوا في الفسق ومرقوا من الدين فان قلت كيف نهى
عن قتلهم بعده مع انه قتلهم قلت جوابه من وجهين احدهما انه عليه السلام انما نهى عن قتلهم بعده لعلمه بعدم ان

يلزم كل منهم نفسه ويشتغل بها ولا يعيث في الارض فسادا وهو انما قتلهم حيث افسدوا في زمانه وقتلوا
جماعة من الصالحين كعبد الله بن خباب وشقوا بطن امرأته وكانت حاملا ودعوا الناس الى بدعتهم وشبهتهم
كان يقول لاصحابه حين سار اليهم لا تبدؤهم بالقتال حتى يبدؤكم به ولم يشرع في قتلهم حتى بدؤه بقتل
جماعة من اصحابه الثاني انه يحتمل ان يقال انه انما قتلهم لانه امام عادل رأى الحق في ذلك وانما نهى عن قتلهم بعده
لانه عليه السلام علم انه لا يلي هذا الامر بعده من له حكم الشريعة ان يقتل ويتولى امر الحدود ولا من يعرف مواضعها
وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام لما خوف من الغيلة وان علي من الله جنة حصينة فاذا جاء يومي انفرجت
عني واسلمتني فحينئذ لا يطيش السهم ولا يبرأ الكلم اقول قد كان عليه السلام خوف من غيلة ابن ملجم لعنه
الله مرارا وروي ان الاشعث لقيه متقلدا سيفه فقال له ما يقلدك السيف وليس باوان حرب فقال اردت
انحر به جزور القرية فاتى الاشعث عليا فاخبره وقال قد عرفت ابن ملجم وفتكه فقال عليه السلام ما قتلني
بعد وروي ان عليا عليه السلام كان يخطب مرة ويذكر اصحابه وابن ملجم تلقاء المنبر فسمع وهو يقول والله
لاريحنهم منك فلما انصرف الى بيته اتي به ملببا فاشرف عليهم وقال ما تريدون فخبروه بما سمعوا منه فقال انه
ما قتلني بعد خلوا عنه وان على من الله جنة الفصل والغيلة القتل على غفلة والجنة ما يستتر به من سلاح
وطاش السهم انحرف عن الغرض والكلم الجرح وكنى بالجنة عن عناية الله بحفظ اسباب حيوته في المدة المكتوبة
له في القضاء الالهي كناية بالاستعارة ووجه الاستعارة انه مع بقاء اسباب الحيوة محفوظة لا يؤثر
في الانسان شيء من سهام المنية ابدا كما ان لابس الجنة محفوظ بها من اثار السهام ونحوها ووصفها
بالحصينة ترشيحا للاستعارة كنى بها ايضا عن قوة ذلك الحفظ وكنى بيومه عن وقت حضور موته وبلوغ
الجنة عنه عن عدم بعض اسباب الحيوة المستلزمة لعدم الحيوة ولحوق سهام الامراض وهو ترشيح للاستعارة
ايضا ونسب اليها اسلامها له ملاحظة لتشبيهها بمن يحفظه ثم يسلمه للقتل وقوله وحينئذ لا يطيش السهم استعار
لفظ السهم للامراض التي هي اسباب الموت وكنى بعدم طيشه عن اصابته وحصول الموت عنه ولفظ الكلم
للاثر الحاصل عن تلك الاسباب ووجه الشبه في الاولى كونهما سببين للهلاك وفي الثانية ما يستلزمانه
من الالم ورشح الاولى بذكر الطيش والثانية بذكر البرء ومن الشعر المنسوب اليه في ذلك قوله من اي يومي
من الموت افر ايوم لم يقدر ام يوم قدر فيوم لم يقدر فلا ارهبه ويوم قد قدر لا يغني الحذر وهو في ذلك
ملاحظ لقوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام الا وان الدنيا دار لا يسلم منها الا فيها ولا
ينجى بشيء كان لها ابتلي الناس بها فتنة فما اخذوه منها لها اخرجوا منه وحوسبوا عليه وما اخذوه منها لغيرها قدموا
عليه واقاموا فيه وانها عند ذوي العقول كفيء الظل بينا تراه سابغا حتى قلص وزائدا حتى نقص اقول
بينا اصله البين بمعنى الوسط فاشبعت الفتحة فحدثت الالف وقد تزاد ما فيقال بينما والمعنى واحد

الظرفية هنا ان الظل وابر بين السبوغ والتقلص والزيادة والنقصان وقلص الظل نقص وغرضه هذا
الفصل التحذير من الدنيا والتنبيه على وجوب لزوم اوامر الله فيها واشار الى ذلك في اوصافها الاول
كونها لا يسلم منها الا فيها وتحقيق ذلك انه لا دار الا الدنيا والاخرة وقد علمت ان اسباب السلامة هي الزهد
والعبادة وساير اجزاء الرياضة وشيء منها لا يمكن في الاخرة بل كلها اعمال متعلقة بالبدن فاذن لا يحقق
ما يلزمها من السلامة من الدنيا الا في الدنيا الثاني كونها لا ينجى بشيء كان لها وفيه اشارة الى ذم الرياء في الاعمال
والافعال وتحذير من كل عمل وقول قصد به الدنيا فان شيئا من ذلك لا حظ له في استلزام النجاة في الاخرة بل
ربما كان سببا للهلاك فيها لما ان الاشتغال بمهمات الدنيا منسي للاخرة الثالث كونها قد ابتلي الناس
بها فتنة وفتنة منصوب بالمفعول له ويحتمل ان يكون مصدرا سد مسد الحال ونحوه قوله تعالى ونبلوكم
بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ولنبحث عن معنى الابتلاء بالدنيا وكونها فتنة واعلم انه ليس المراد ان
الله تعالى لا يعلم ما يؤول اليه احوال العباد وما يكون منهم بعد خلقهم وابتلائهم بالدنيا فانه تعالى العالم بما
كان وما يكون قبل كونه كما قال تعالى وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين وقوله تعالى ما اصاب
من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير بل الكشف عن
حقيقة الابتلاء انه لما كان الانسان انما يكون انسانا بما خلق فيه من القوى الشهوية والغضبية وما
يتبعهما وكان لهذه القوى ميول طبيعية الى الحاضر اللذات الدنيوية فهي مشتهياتها ولا ابتهاج
لها الا بها ولا حظ لها من غيرها وكانت النفوس الانسانية محافظة لهذه القوى وهي آلاتها ولا وجه
لها في تصرفاتها غالبا لاحوالها الا هي وكانت تلك القوى في اكثر الخلق جاذبة لنفوسها الى مشتهياتها
الطبيعية وكانت تلك النفوس في اكثر الناس منقادة لقواها معرضة عن الاخرة مشغولة بحاضر ما وجد
من لذات الدنيا عن تصور ما وراها ثم مع ذلك كان المطلوب منها ما ينافي ذلك وهو ترك حاضر الدنيا
ومنازعة هذه القوى في مشتهياتها وجذبها عن التوجه بكليتها اليها لما يعد النفس في التفاتها عن ذلك الى
امر لا يتصور في الدنيا الا بالاوصاف الخيالية كما هو وظيفة الانبياء عليهم السلام مع الخلق كانت ارادته
تعالى لذلك الالتفات مع ما هم فيه من منازعة الهوى فان اطاعوه هلكوا وان عصوه بحوله صورة امتحان
فاشبه ذلك ما يعتمد احدنا عند عبده اذا اراد مثلا اختباره ومحنة لم يوهب لجميع ما يشتهيه ثم كلفه
مع ذلك تكاليف شاقة لا يتمكن من فعلها الا بالتفاته عن مشتهاه وتنغيصه عليه فلا جرم صدقت
صورة الابتلاء والاختبار من الله في الوجود وكذلك ظهر معنى كونها فتنة فانا لفتنة الامتحان والاختبار
وان فسرناها هاهنا بمعنى الضلال ويعود الى جذبها للنفوس الى حاضر لذاتها عن سنن الحق الرابع كونهم
ما اخذوه منها لها اخرجوا منه وحوسبوا عليه وهو تنبيه على وجوب قصد الاخرة لما يؤخذ من الدنيا ويخرج
فيه وتفسيره ان يحمل الماخوذ منها المجرد التنعم بها بذكر وصفين احدهما وجوب مفارقة الماخوذ منها والاخر

منه والثاني الحساب عليه الاخرة واعلم ان الحساب على راي المليين ظاهر قالوا ان الله تعالى قادر على حساب
الخلق دفعة واحدة ولا يشغله كلام عن كلام كما قال وهو سريع الحساب واما الحكماء فقالوا ان للحساب
معنى وتقريره بتقديم مقدمات الاولى ان كثرة الافعال وتكررها يوجب حدوث الملكات في النفوس
والاستقراء التام يكشف عن ذلك ومن كان مواظبته على عمل من الاعمال اكثر كان رسوخ تلك الملكة الصادرة
عن ذلك العمل في نفسه اقوى الثانية انه لما كان تكرر العمل يوجب حصول الملكة وجب ان يكون لكل عمل
يفعله الانسان اثر في حصول تلك الملكة بل يجب ان يكون لكل جزء من اجزاء العمل الواحد اثر في حصولها
بوجه ما وضربوا لذلك مثالا فقالوا لو فرضنا سفينة عظيمة بحيث لو القي فيها مائة الف من فانها تغوص
في الماء قدر شبر واحد ولو لم يكن فيها الا حبة واحدة من الحنطة فذلك القدر من الجسم الخفيف فيها يوجب
غوصها في الماء بمقدار ما له من الثقل وان بلغ في القلة الى حيث لا يدركه الحس اذا عرفت ذلك فنقول ما من
فعل من الخير والشر قليل ولا كثير الا ويفيد حصول اثر في النفس اما سعادة او شقاوة وعند هذا يكشف
سر قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكذلك لما ثبتت الافعال انما تصدر
بواسطة الجوارح من اليد والرجل وغيرهما لا جرم كانت الايدي والارجل شاهدة على الانسان يوم القيمة
بلسان حالها على معنى ان تلك الاثار النفسانية انما حصلت في جواهر النفوس بواسطة الافعال الصادرة
عنها فكان صدور تلك الافعال من تلك الجوارح جاريا مجرى الشهادة على النفس بما اكتسبته بها اذا عرفت
ذلك فنقول لما كانت حقيقة المحاسبة يعود الى تعريف الانسان ما له وما عليه من مال وغيره وكان ما
يحصل في النفوس من الملكات الخيرية والشرية امورا مضبوطة في جوهرها محصاة عليها وانما ينكشف لها
كثرة تلك الهيآت وتمكنها من ذواتها ونضرها بها في الآن الذي ينقطع فيه علاقة النفس مع البدن
ذلك ما يتبين للانسان عند المحاسبة مما له وعليه فاطلق عليه لفظ الحساب فذلك اليقين والاطلاع
هو المشار اليه بقوله عليه السلام قدموا عليه وليس المقصود ان ما تقدم عليه الاخرة هو عين ما اخذ من
الدنيا بل اثره في النفوس من خير او شر فالذي يتناوله الجاهلون منها لمجرد التنعم بها فهو الذي تمكن
عنه هيآت السوء في جواهر نفوسهم فيقدمون عليها ويقيمون بها في عذاب جهنم خالدين لا يفتر عنهم وهم
فيه مبلسون الخامس كونها عند ذوي العقول كفيء الظل وشبهها بهذا الوصف على سرعة زوالها وانما خص
ذوي العقول بذلك لامرين احدهما ان المعتبر لزوالها عامل بمجرد عقله دون هواه فلذلك نسبه الى العقل
الثاني ان حال ذوي العقول معروف فيه لحق لمن سمعه ولما كان مقصوده تحذير السامعين من سرعة زوالها
ليعملوا فيها لما بعدها نسب ذلك الى ذوي العقول ليقتفي السامعون اثرهم ثم اشار الى وجه شبهها بالظل
بقوله بينا تراه الى آخره اي انها تسرع زوالها كما يسرع زواله وهو من التشبيهات السائرة ومثله قول الشاعر
الا انما الدنيا كظل غمامة اظلتك يوما ثم خفت فولت ومن خطبة له عليه السلام فاتقوا الله عباد الله وبادروا

اجالكم باعمالكم وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم وترحلوا فقد جد بكم واستعدوا للموت فقد اظلكم وكونوا
قوما صيح بهم فانتبهوا واعلموا ان الدنيا ليست لكم بدار فاستبدلوا فان الله لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدى
وما بين احدكم وبين الجنة او النار الا الموت ان ينزل به وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة
وان غائبا يحدوه الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الاوبة وان قادما يقدم بالفوز او الشقوة لمستحق
لافضل العدة فتزودوا من الدنيا في الدنيا ما تحرزون به نفوسكم غدا فاتقى عبد ربه نصح نفسه قدم توبته
غلب شهوته فان اجله مستور عنه واملة خادع له والشيطان موكل به يزين له المعصية ليركبها ويمنيه التوبة
ليسوفها حتى تهجم منيته عليه اغفل ما يكون عنها فيا لها حسرة على كل ذي غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان تؤديه
ايامه الى شقوة نسال الله سبحانه ان يجعلنا واياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة ربه غاية ولا تحل
به بعد الموت ندامة ولا كآبة اقول المبادرة المسارعة والسدى المهمل ويحدوه يسوقه اي ويليه وحري حقيق
والتسويف قول الانسان سوف افعل وهو كناية عن التمادي في الامر والبطر تجاوز الحد في الفرح والكآبة
الحزن وحاصل هذه الموعظة التنفير من الدنيا والترغيب في الاخرة وما يكون وسيلة الى نعيمها والترهيب مما
يكون سببا للشقاء فيها فقوله فاتقوا الله الى قوله باعمالكم فيه تنبيه على وجوب لزوم الاعمال الصالحة وحث
عليها بالامر بمسابقة الاجال بها وعلى توقع سرعة الاجل واخطاره بالبال وهو من الجواذب القوية الى الله تعالى
ونسب المسابقة الى الاجال ملاحظة لشبهها بالمراهن اذ كان لحوقها لهم حائلا بينهم وبين الاعمال الصالحة
الشبيهة بما يستبق عليه من رهن فقوله وابتاعوا ما يبقى الى قوله عنكم اشارة الى لزوم الزهد في الدنيا و
التخلي عن متاعها الفاني وان تشترى بها ما يبقى من متاع الاخرة وقد عرفت غير مرة اطلاق لفظ البيع هنا
وقيد المشترى بما يبقى والثمن بما يزول ليكون المشترى احب الى النفوس لبقائه وقوله وترحلوا فقد جد بكم
امر بالترحل وهو قطع منزل من منازل السفر الى الله تعالى في مراتب السلوك لطريقه ونبه على وجوب الترحل
بقوله فقد جد بكم اي في السير الى اجالكم بقوة وذلك لجد يعود الى سرعة توارد الاسباب التي بعدها المزاج للفناء
وتقربها الى الاخرة ملاحظة لشبهها بسائق الابل ونحوها وقوله فاستعدوا للموت فقد اظلكم الاستعداد له
هو استكمال النفوس كمالها الذي ينبغي حتى لا يبقى للموت عندها كثير وقع بل يكون محبوبا لكونه وسيلة الى
المحبوب وهو لقاء الله والسعادة الباقية في حضرة الملأ الاعلى ونبه بقوله فقد اظلكم على قربه واستلزمه
تشبيهه بالسحاب والطير فاستعار وصف الاظلال وقوله وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا تنبيه لهم على الالتفات
الى منادي الله وهو لسان الشريعة والانبياء بذلة من مرافقة الطبيعة وقوله واعلموا الى قوله سدى تنبيه لهم
على ان الدنيا ليست بدار لهم ليلتفتوا عن الركون اليها ويتوقعوا الاخراج منها ثم امرهم بالاستبدال بها
ليذكروا ان هناك عوضا منها يجب ان يلتفت اليه وهو الدار الاخرة ونبه بقوله فان الله لم يخلقكم عبثا الى
اخره على وجوب العمل لذلك البدل فانهم لم يخلقوا الا لاجره والاهمام فيه وقوله وما بين احدكم الى قوله ينزل به

مبين لما خلقوا له ووعدوا بالوصول اليه وانه لا حايل بينهم وبينه الا الموت قال بعض الشارحين وهذا
الكلام مما يصلح متمسكا للحكماء في تفسيرهم الجنة والنار فانهم لما قالوا ان الجنة تعود الى المعارف الالهية و
لوازمها والنار تعود الى حب الدنيا والميل الى مشتهياتها وتمكن الهيئات الردية في جوهر النفس وعشقها بعد
المفارقة لما لا تمكن من العود اليه كمن نقل عن مجاورة معشوقه والالتذاذ به الى موضع ظلما في شديد الظلمة
مع عدم تمكنه من العود اليه كما قال تعالى قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا الاية وكان ادراك
لذة المعارف التامة وادراك الم النار بالمعنى المذكور امرا يتحقق حال مفارقة هذا البدن اذ كان الانسان
في عالم الشهادة في ذاك لما حصل في نفسه وتمكن من الهيئات كعضو مفلوج غطي جذوة على المرفا ازال
الخدر احس بالالم فكذلك النفس بعد الموت يدرك ما لها من لذة او الم كما هو لزوال الشواغل البدنية
عنها قلت وهذا الكلام ايضا ظاهر على مذهب المتكلمين اذ جاء في الخبر ان العبد يكشف له عند الموت
عما يستحقه من جنة او نار ثم يوجل ذلك الى قيام القيمة الكبرى وقوله وان غاية الى قوله المدة كنى بالغاية
عن الاجل المعلوم للانسان ثم نبه على قصره وحقارته بامرين احدهما كونه تنقصه اللحظة اي النظرة
وهو ظاهر فان كل جزء من الزمان فرضته فقد مضى من مدة الانسان تنقصها الثاني كونه تهدمه الساعة
كنى بالساعة عن وقت الموت ولا شك ان الآن الذي ينقطع فيه علاقة النفس مع البدن غاية لاجل
الانسان وغاية الشيء هي ما ينقطع عندها الشيء فكنى بالهدم عن ذلك الانقطاع والانتهاء كناية بالاستعارة
وظاهر ان مدة هذا شانها في غاية القصر وقوله وان غائبا الى قوله الاوبة اشار بالغائب الى الانسان
اذ كانت الدنيا عالم غربته ومحل سفره ومنزله الحقيقي انما هو منشاؤه وما اليه مرجعه واغا سمى الليل والنهار
جديدين لتعاقبهما فليس احدهما مخلقا للاخر واستعار لفظ الحدو لما يستلزمانه من عداد الانسان الى
اجله المشبه لصوت الحادي الذي يعدل الابل لسرعة سيرها وقربها من المنزل المقصود لها وظاهر ان من كان
الليل والنهار حاديه فهو في غاية سرعة الرجوع الى مبدئه ووطنه الاصلي وقال بعض الشارحين اراد بالغائب
الموت وهو وان كان محتملا الا انه لا يطابقه لفظ الاوبة لان الموت لم يكن حتى يرجع وقوله وان قادما
الى قوله العدة اشار بالقادم بالفوز او الشقوة الى الانسان حين قدومه على ربه بعد المفارقة فانه اما
الفوز بالسعادة الباقية والحصول على الجنة والشقوة ونبه بذكر القدوم على ان من هذا شانه فالواجب
عليه ان يستعد بافضل عدة ليصل بها الى الجنة الدينية ويتباعد بها عن كرهها عنده وقوله فتزودوا الى
قوله غدا فصل نوع تفصيل افضل العدة وهو الزاد الذي يحرز الانسان به نفسه يوم القيمة من النقي
نار جهنم وغليل حرها واشار بذلك الزاد الى تقوى الله وخشيته وقد علمت حقيقة الخشية والخوف وانه
انما يحصل في الدنيا واما كونه من الدنيا فلان الاثار الحاصلة للنفس من الحالات والملكات كالخشية
والخوف وسائر ما يتزود به ويستصحبه بعد المفارقة امور انما حصلت عن هذا البدن واستفيدت من الدنيا

بواسطته والمشابهة التي لاجلها استعار لفظ الزاد هنا هو ما يشترك فيه الزاد المحسوس والتقوى من سلامة
المتزود بهما كل في طريقه فذاك في المنازل المحسوسة من عذاب الجوع والعطش المحسوسين وهذا في المنازل
المعقولة ومراتب السلوك ومراحل السفر الى الله تعالى من عذاب الجوع المعقول وقوله فاتقى عبد ربه الى
قوله شهوته اوامر وردت بلفظ الماضي خالية عن العطف وهي بلاغة تركه الممتنع لحسن صورة فالامر
بالتقوى تفسير للامر بالزاد كما قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى والامر بنصيحة النفس امر بالنظر
في مصالحها والشور عليها ان تعمل ما هو الاولى بها من التمسك بحدود الله والوقوف عندها والامر بتقديم
التوبة وغلب الشهوة وهو من جملة الامر بالنصيحة كالتفسير له ومن لوازم التقوى لدفعهما واراد تقديم
التوبة على الموت او بالنسبة الى كل وقت يحضره وقوله فان اجله الى قوله شقوة حث على امتثال اوامره
السابقة الى التوبة وغيرها وتحذير من هجوم المنية على غفلة لما يستلزمه ذلك من شدة الحسرة وطول الندم
على التفريط وذلك ان ستر الاجل عن الانسان موجب للغفلة عنه فاذا انضاف الى ذلك خداع الامل
الناشي عن وساوس الشيطان في تزيينه المعصية وتسويفه التوبة مع كونه موكلا به وقرينا له كما قال سيد
المرسلين ما من مولود يولد الا ويولد معه قرين من الشيطان كانت الغفلة اشد والنسيان اكد واستعار
لفظ الخداع لصورة من النفس الامارة بالسوء وهو قولها للانسان مثلا تمتع من شبابك واغتنم لذة العيش
ما دمت في مهلة وستقبل من عمرك وستلحق التوبة ونحو ذلك من الاباطيل فان هذه صورة خداع من الشيطان
واما نسبه ذلك الى الامل فلان الامل هو عزم النفس على فعل تلك الامور وامثالها في مستقبل الاحوال
عن توهم طول مدة الحياة وانشاءها المتعلقة فيها من معصية وتوبة وذلك العزم من اسباب الانخداع للشيطان
وغروره فلذلك نسب الخداع الى الامل مجازا او جعل غاية ذلك الخداع هو ان يهجم على المخدوع منيته حال
ما هو في اشد غفلة عنها واشتغال بما يؤمله فيكون ذلك مستلزما لاعظم حسرة واكبر ندامة على ان تكون
عمره عليه حجة شاهدا بلسان حاله على ما اكتسبه من الاثام فصار بعد ان كان وسيلة لسعادته سببا
لشقاوته وافعل نصب على الحال وحسرة على التمييز المتعجب منه المدعو واللام في لها قيل للاستغاثة كما يقال
يا لحسرة على الغافلين ما اكثرك وقيل بل لام الجر فتحت لدخولها على الضمير والمنادى محذوف تقديره يا قوم
ادعوكم لها حسرة وان في موضع النصب بحذف الجار كانه قيل فعلام يقع عليهم الحسرة فقال على كون اعمارهم
حجة عليهم يوم القيمة وقوله نسال الله الى قوله كآبة ختم الخطبة وسال الله الخلاص من امور ثلاثة الاول
ان يخلص من شدة الفرح بنعمة الدنيا فان ذلك من لوازم محبتها المستلزمة للهلاك الابدي الثاني ان
لا يقصر به غاية عن طاعة ربه اي لا يقصر عن غاية من غايات الطاعة فيقال قصرت هذه الغاية بفلان الثالث
ان لا تحل به بعد الموت ندامة ولا حزن وذلك سؤال الجنة سببها وهو اتباع الهوى في الدنيا
والعدول عن طاعة الله وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الذي لم يسبق له حال حالا فيكون

اولا قبل ان يكون اخرا ويكون ظاهرا قبل ان يكون باطنا كل مسمى بالوحدة غيره قليل وكل عزيز غيره ذليل و
كل قوي غيره ضعيف وكل مالك غيره مملوك وكل عالم غيره متعلم وكل قادر غيره يقدر ويعجز وكل سميع غيره
يصم عن لطيف الاصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها وكل بصير غيره يعمى عن خفي الالوان ولطيف
الاجسام وكل ظاهر غيره غير باطن وكل باطن غيره غير ظاهر لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان ولا تخوف
من عواقب زمان ولا استعانة على ند مثاور ولا شريك مكاثر ولا ضد منافر ولكن خلائق مربوبون وعباد
داخرون لم يحلل في الاشياء فيقال هو فيها كائن ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائن لم يؤده خلق ما ابتدأ ولا
تدبير ما ذرأ ولا وقف به عجز عما خلق ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر بل قضاء متقن وعلم محكم وامر
مبرم المأمول مع النقم والمرهوب مع النعم اقول الثاور المواثب والداخر الذليل واده الامر اثقله وذرأ
خلق والمبرم المحكم وقد اشتملت هذه الخطبة على مباحث لطيفة من العلم الالهي ايضا لا يطلع عليها الا الفرد
فيها الاول الذي لم يسبق له حال قوله باطنا اقول انه لما ثبت ان السبق والمقارنة والقبلية والبعدية
امور تلحق الزمان لذاته وتلحق الزمانيات به وثبت انه تعالى منزه عن الزمان اذ كان من لواحق الحركة المتاخرة
عن وجود الجسم المتاخر عن وجود الله سبحانه كما علم ذلك في موضعه لاجرم لم يلحق ذاته المقدسة وما لها من
صفات الكمال ونعوت الجلال شيء من لواحق الزمان فلم يجز اذن ان يقال مثلا كونه عالما قبل كونه قادرا
وسابقا عليه او كونه قادرا قبل كونه مريدا او كونه حيا قبل كونه عالما ولا كونه اولا للعالم قبل كونه اخرا له
قبليه وسبقا زمانيا بقي ان يقال ان القبلية والبعدية قد تطلق بمعان اخر كالقبلية بالشرف والفضيلة
والذات والعلية وقد بينا في الخطبة الاولى ان كل ما يلحق ذاته المقدسة من الصفات فاعتبارات تحدثها
عقولنا العقول عند مقايسته الى مخلوقاته وشيء من تلك الاعتبارات لا ينفك وشايع بالقبلية والبعدية
باحد المعاني المذكورة بالنظر الى ذاته المقدسة فلا يقال مثلا هو مستحق لهذا الاعتبار اولا وبعده والا
لكان كماله قابلا للزيادة والنقصان بل استحقاقه بالنظر الى ذاته لما يصح ان يعتبر لها استحقاقا
لجميعها دايما فلا حال يعرض الا وهو يستحق فيه ان يعتبر له الاولية والاخرية معا استحقاقا اوليا
ذاتيا لا على وجه الترتيب وان تفاوتت الاعتبارات بالنظر الى اعتبارنا وهذا بخلاف غيره من الامور
الزمانية فان الجوهر مثلا يصدق عليه كونه اولا من العرض ولا يصدق عليه مع ذلك انه اخر حتى
لو فرضنا عدم جميع الاعراض وبقاء الجوهر بعدها لم يكن استحقاقه للاعتبارين مقابل استحقاقه
لاعتبار الاولية متقدم اذ كانت بعض احواله سابقة على بعض ولا استحقاقه لهما لذاته بل بحسب تعاقب
اسبابه ولا العرض لما صدق عليه انه بعد الجوهر يصدق عليه انه قبله باعتبار ما وخلاف المختلفين
في الصفات اقدم مبني على سوء تصورهم لصانعهم سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا اذا عرفت ذلك
فنقول اوليته هو اعتبار كونه مبدأ لكل موجود واخريته هو كونه غاية لكل ممكن وقد سبق معنى كونه ظاهرا

وفي البعد الاعتبار

وبالمثنا في الخطبة التي اولها الحمد لله الذي يبطن خفيات الامور الثاني كل مسمى بالوحدة غيره قليل مقصود
هذه الكلمة انه تعالى لا يوصف بالقلة وان كان واحدا وتقرير ذلك ان الواحد يقال بمعان والمشهور
منها المتعارف بين الخلق كون الشي مبدا الكثرة بكون عادا لها ومكيالا وهو الذي يلحقه القلة والكثرة
الاضافيتان فان كل واحد بهذا المعنى هو قليل بالنسبة الى الكثرة التي يصلح ان يكون مبدا لها والمقصود
لا كثر اهل العالم صدق هذا الاعتبار على الله بل ربما لا يتصور بعضهم كونه تعالى واحدا الا بهذا الوجه ولما
كان تعالى منزها عن الوصف بالقلة والكثرة لما يستلزمانه من الحاجة والنقصان اللازمين لطبيعة
الامكان اثبت القلة لكل ما سواه فاستلزم اثباتها للغير في معرض المدح له نفيها عنه واستلزم ذلك تنزيهه
تعالى عن الواحدية بالمعنى المذكور اذ سلب اللازم يستلزم سلب ملزومه وليس اذا بطل كونه واحدا
بهذا المعنى بطل كونه واحدا فانا نحاسب في الواحد عليه بمعنا الجزء للخطبة الاولى وقد بينهم من هنا
انه لما نفى عنه القلة استلزم ذلك اثبات له الكثرة وهو من سوء الفهم وقلة العلم فان عدم القلة
انما يستلزم ثبوت الكثرة عند تعاقبهما على محل من شانه قبولهما وربما قيل ان المراد بالقليل هنا
الحقير وهو غير مناسب لذكر الوحدة وانما قال عليه السلام كل مسمى بالوحدة ولم يقل كل واحد لئلا يتوهم
ان صدق الوحدة على واحديته تعالى وعلى واحدية غيره قول بحسب اشتراك الاسم الثالث وكل عزيز
غيره ذليل اقول رسم العزيز بانه الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه
في كل واحد من هذه القيود الثلثة كمال ونقصان فالكمال في قلة الوجود مثله وتشتد الحاجة اليه
ويصعب الوصول ثم في كل واحد من هذه القيود الثلثة كمال ونقصان فالكمال في قلة الوجود ان يرجع الى
واحد ويستحيل ان يوجد مثله وليس ذلك الا لله سبحانه والكمال في النفاسة وشدة الحاجة ان يحتاج كل
شي في كل شي وليس ذلك على الكمال الا لله تعالى والكمال في صعوبة المنال ان لا يوصل الى حقيقته على معنى
الاحاطة بها وليس ذلك على الكمال الا لله تعالى فهو اذن العزيز المطلق الذي كل موجود سواه فهو ذليل الحاجة
اليه وحقارة العبودية بالنسبة الى كمال عزه فاما العزيز من الخلق فهو الذي توجد له تلك الاعتبارات
لكن لا مطلقا بل بالقياس الى من هو دونه في الاعتبارات المذكورة فهو اذن وان صدق عليه انه عزيز بذلك
الاعتبار الا انه في ذل الحاجة الى من هو اعلى رتبة منه واكمل في تلك الاعتبارات وكذلك من هو اعلى منه الى
ان ينتهي الى العزيز المطلق الذي لا يلحقه ذل باعتبار ما فلذلك اثبت عليه السلام الذل لكل عزيز سواه
الرابع وكل قوي غيره ضعيف القوة تعود الى تمام القدرة ويقابلها الضعف ولما كان استناد جميع الموجودات
الى تمام قدرته لتمام قدرته علمنا انه لا اتم من قدرته فكل قوة وصف بها غيره فبالنسبة الى الضعف
يقابلها لمن هو دونه واذا قيس بالنسبة الى من هو فوقه كان ضعيفا بالنسبة اليه وكذلك من هو فوقه الى ان
ينتهي الى تمام قدرة الله فهو القوي الذي لا يلحقه ضعف بالقياس الى احد غيره وكذلك قوله وكل مالك

عيره

غيره مملوك فان معنى المالك يعود الى معنى القادر على الشي الذي ينفذ مشيته فيه باستحقاق دون غيره
وعيره باذنه ولما ثبت ان كل موجود سواه فهو في تصريف قدرته ومشيته اذ هما مستند وجوده ثبت انه هو المالك
المطلق الذي ليست له مملوكية بالقياس الى شي اخر وان كل ما سواه فهو مملوك له وان صدق على البعض
انه مالك بالقياس الى من هو دونه ثم لا يخفى عليك مما سلف ان قول القوي والمالك عليه وعلى غيره
قول بحسب اشتراك الاسم ايضا الخامس وكل عالم غيره متعلم لما ثبت ان علمه تعالى بالاشياء على ما هي عليه
انما هو لذاته ولم يكن شي منه مستفادا من امر اخر وكان علم من سواه انما هو مستفاد بالتعلم من الغير
ثم الغير من الغير الى ان ينتهي الى علمه تعالى الفائض بالخيرات لا جرم كان كل عالم سواه متعلما وان سمي
عالما بحصول العلم له وكان هو العالم المطلق الذي لا حاجة به في تحصيل العلم الى امر اخر السادس وكل قادر
غيره يقدر ويعجز اقول قدرة الله تعالى يعود الى اعتبار كونه مصدرا لاثاره فاما قدرة الغير فقد يراد بها
قوة جسمانية منبثة في الاعضاء محركة لها نحو الافاعيل الاختيارية وبالعجز ما يقابل القدرة بهذا المعنى وهو
عدمها عما من شانه ان يقدر كما في حق الواحد منا وقد يراد بهما اعتباران اخران سيقابلان اذا عرفت ذلك
فنقول القادر المطلق على كل تقدير هو مستند كل مخترع وموجود اختراعا ينفرد به ويستغني فيه عن معاونة
غيره وذلك انما يتحقق في حق الله سبحانه فاما كل منسوب الى القدرة سواه فهو وان كان بالجملة ذا قدرة
الا انها ناقصة لتناولها بعض الممكنات فقط وقصورها عن البعض الاخر وعدم تناولها له اذ كانت لا
يصلح للمخترعات وان نسب اليه ايجاد شي فلانه فاعل قريب واسطة بين القادر الاول سبحانه وبين ذلك
الاثر لا لتاثيره استقلالا وتفرده به على ما علم في مظانه فكل قادر سواه فلذلك يستحق العجز وعدم القدرة
وبالنسبة الى ما لا يمكن تعلق قدرته به من سائر المخترعات والممكنات وانما يستحق القدرة من جوده
تعالى وهو اذن الفاعل المطلق الذي لا يعجزه شي عن شي ولا يستعصي على قدرته شي السابع وكل
سامع غيره يصم عن لطيف الاصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها اقول حس السمع في الحيوان
عبارة عن قوة تنفذ من الدماغ الى الاذن في عصبة نابتة منه الى الصماخ مبسوطة عليه كجلد الطبل
وهذه العصبة آلة هذه القوة والصوت هيئة تحصل في الهواء عن تموجه بحركة شديدة اما من قرع يحصل
من اصطكاك جسمين صلبين فينضغط الهواء بينهما وينفلت بشدة واما من قلع شديد يقلع الهواء
بين الجسمين المنفصلين الصلبين ويحصل من السببين تموج الهواء على هيئة مستديرة كما يفعل وقوع
الحجر في الماء فاذا انتهى ذلك التموج الى الهواء الذي في الاذن حرك ذلك الهواء الراكد حركة مخصوصة
بهيئة مخصوصة فينفعل العصبة المفروشة على الصماخ من تلك الحركة وتدركها القوة السامعة هناك
فهذا الادراك يسمى سماعا اذا عرفت ذلك فاعلم ان ادراك هذه القوة للصوت يكون على قرب وبعد
محدود من القوة والضعف مخصوص فانه ان كان الصوت ضعيفا او بعيدا جدا لم يحصل بسببه تموج الهواء

فلم يصل الى الصماخ فلم يحصل السماع وذلك معنى قوله يصم عن لطيف الاصوات ويذهب عليه ما بعد منها فان
قلت لم خص اللطيف بالصمم عنه والبعيد بالذهاب عليه قلت يشبه ان يكون لان البعيد في مظنة ان يسمع
وانما يفوته بسبب عدم وصول الهواء الحامل له اليه واما الخفي فلما لم يكن من شانه ان يدركه القوة السامعة
اشبه عجزها عن ادراكه الصمم فاستعير لفظه له واما ان كان الصوت في غاية من القوة والقرب فربما احدث
الصمم وذلك لشدة قرعه للصماخ وتفرق اتصال الروح الحامل لقوة السمع عنه بحيث يبطل استعدادها
لتادية القوة الى الصماخ وكل ذلك من نقصان الحيوان وضعفه ولما كان الباري تعالى منزها عن الجسمية
وتوابعها لا جرم كانت هذه اللواحق من الصمم عن لطيف الاصوات وذهاب بعيدها والصمم من كبيرها
مخصوصة بمن له تلك القوة المذكورة والسمع المخصوص فكل سامع غيره فهو كذلك واستلزم ذلك في معرض
مدحه تنزيهه سبحانه عنها واذ ليس سميعا بالمعنى المذكور وقد نطق القرآن باثبات هذه الصفة له فهو
سميع بمعنى انه لا يعزب عن ادراكه مسموع وان خفي فيسمع السر والنجوى بل ما هو ادق واخفى ويسمع حمد الحامدين ودعا
الداعين وذلك هو السميع الذي لا يتطرق اليه الحدثان اذ لم يكن بالة واذان الثامن وكل بصير غيره يعمى
عن خفي الالوان ولطيف الاجسام اقول خفي الالوان مثلا كاللون في الظلمة واللطيف قد يكون بمعنى
عديم اللون كما في الهواء وقد يكون بمعنى رقيق القوام كالجوهر الفرد عند المتكلمين وكالذرة واللطيف
بالمعنيين غير مدرك للحيوان واطلق لفظ العمى مجازا اذ كان عبارة اما عن عدم البصر مطلقا او عن عدمه
عما من شانه ان يبصر ولا واحد من هذين الاعتبارين بموجود للبصير غير الله فلم يكن عدم ادراكهما عمى حقيقيا
بل لكون العمى من اسباب عدم الرؤية اطلق لفظه عليه اطلاقا لاسم السبب على المسبب وهذا الحكم
في معرض مدحه تعالى يستلزم تنزيه بصره عن لواحق العمى ومظنته اذ كان سبحانه منزها عن معرض العمى والبصر
ومثالهما عن ان يكون ادراكه بحدقة واجفان وانطباع الصور والالوان وان كان يشاهد ويرى حتى
لا يعزب عنه ما تحت الثرى واذ ليس بصيرا بالمعنى المذكور فهو البصير باعتبار انه مدرك لكمال صفات الجلال
وذلك الاعتبار اوضح واجلى مما يفهم من ادراك البصر للناس على ظواهر المرئيات التاسع وكل ظاهر
غيره غير باطن اقول ظهور الاشياء هو انكشافها للحس او للعقل انكشافا بينا فيقابله بطونها خفاؤها عن
احدهما ولما ثبت انه تعالى منزه عن الجسمية ولواحقها علم كونه منزها عن ادراك الحواس ولما قام البرهان على انه
تعالى بري عن انحاء التراكيب الخارجية والعقلية وجب تنزه ذاته المقدسة عن اطلاع العقول عليها فعلم
من هذا الترتيب ان اثارك الاشياء في معنى ظهورها وقد وصف نفسه بالظاهر فيجب ان يكون
ظهوره عبارة عن انكشاف وجوده لابصار بصائر عباده في جزئيات اثاره كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق
وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وان كانت مشاهدة الخلق له على مراتب متفاوتة ودرجات متصاعدة
كما اشار اليه بعض مجردي السالكين ما رايت شيئا الا ورايت الله بعده فلما ترقوا عن تلك المرتبة درجة

سو المشاهدة

سوا المشاهدة والحضور قالوا ما رايت شيئا الا رايت الله فيه فلما ترقوا قالوا ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله فلما
ترقوا قالوا ما رايت شيئا سوى الله والاولى مرتبة الفكر والاستدلال عليه والثانية مرتبة الحدس والثالثة
مرتبة المستدلين به لا عليه والرابعة مرتبة الفناء في ساحل عزته واعتبار الوحدة المطلقة محذوفا
منها كل لاحق واذا عرفت معنى ظهوره علمت ان شيئا من الممكنات لا يكون له الظهور المذكور فانه وان كان
لبعض الاشياء في عقل او حس الا انه ليس في كل عقل وفي كل حس اذ كل مطلع على شي فالذي خفي عنه اكثر
مما اطلع عليه فكل ظاهر غيره فهو باطن بالقياس اليه وهو تعالى الظاهر لكل شي وفي كل شي لكونه مبدا كل
شي ومرجع كل شي الا هنا شر وكل باطن غيره فهو ظاهر وقد عرفت معنى البطون للممكنات وظهورها وعلمت
ايضا مما سبق انه كونه باطنا يقال بمعنيين احدهما انه الذي خفي قدس ذاته عن اطلاع العقول عليه الثاني انه
الذي بطن جميع الاشياء خبرة ونفذ فيها علمه ثم علمت الظاهر المقابل المعنى الاول فاما المقابل للثاني
فهو الذي لم يطلع الا على ظواهر الاشياء ولم يكن له اطلاع على بواطنها يقال فلان ظاهر وظاهري اذا
عرفت ذلك فنقول ان كل باطن غيره سواء كان المراد بالبطون خفاء الصور او نفوذ العلم في البواطن فهو
ظاهر بالقياس اليه تعالى ظهورا بالمعنى الذي يقابله اما الاول فلان كل ممكن وان خفي على بعض العالمين لم
يخف على غيره وان خفي على الكل فهو ظاهر في علمه تعالى وممكن الظهور في علم غيره فليس اذن يخفى مطلقا وهو
تعالى الباطن الذي لا ابطن منه وكل باطن غيره فهو ظاهر بالقياس اليه واما الثاني فلان كل عالم وان جل
قدره فلا احاطة له ببعض المعلومات وهو قاصر عن بعضها وبعضها غير ممكن له وهو تعالى الذي لا يعزب عن
علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وكل ظاهر بالقياس اليه في بعض النسخ
وكل ظاهر غيره غير باطن وكل باطن غيره غير ظاهر ومعنى القضيتين انه كل ممكن ان كان ظاهرا منكشفا
لعقل او حس لم يوصف مع ذلك بانه باطن كالشمس مثلا وان كان باطنا خفيا عن العقل والحس لم يوصف مع
ذلك بانه ظاهر وهو تعالى الموصوف بانه الباطن الظاهر معا وفي هذه النسخة نظر فانا انما اثبتنا كونه تعالى
ظاهرا وباطنا معا باعتبارين وفي بعض الممكنات ما هو كذلك كالزمان مثلا فان كل عاقل يعلم بالضرورة
وجود الزمان وان خفيت حقيقته على جمهور الحكماء واضطربت فيه اقوال العلماء وكذلك العلم فليس اذن
كل ظاهر غيره غير باطن ولا كل باطن غيره غير ظاهر والله اعلم الحادي عشر لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان
الى قوله منا قرا قول انه تعالى لا يفعل لغرض ومتى كان منزها عن خصوصيات هذه الاعراض اما الاول فلانه
انه لو فعل لغرض لكان وجود ذلك الغرض وعدمه بالنسبة اليه تعالى اما ان يكونا على سواء او ليس والاول
باطل والا لكان حصول الغرض له ترجيحا من غير مرجح والثاني باطل لانهما اذا لم يستويا كان حصول الغرض
اولى به فحينئذ يكون حصول ذلك الغرض معتبرا في كماله فيكون بدونه ناقصا تعالى الله عن ذلك لا يقال
ليست اولوية الغرض بالنسبة الى ذاته بل بالنسبة الى العبد او غرضه الاحسان الى الغير لانا نقول غرض الاحسان

كذلك

الى الغير وعدمه ان كانا بالنسبة اليه على سواء وحديث الرجحان بلا مرجح وان كان احدهما اولى به عاد حديث الكمال والنقصان واذا عرفت انه تعالى لا يفعل لغرض وكل ما ذكره عليه السلام في هذا الفصل من تشديد سلطان وتقويته او تخوف عاقبة زمان او استعانة على ند وشريك وضد اغراض علمت صدق قوله انه لم يخلق شيئا من خلقه لشيء من هذه الامور وهذا تنزيه من طريق نفي الغرض المطلق واما تنزيهه تعالى عن خصوص هذه الاغراض فلان تشديد السلطان انما يحتاج اليه ذو النقصان في ملكه ولما كان تعالى هو الغني المطلق في كل شيء عن كل شيء صدق انه ذلك ليس بغرض له مما خلق واما التخوف من عواقب الزمان فلان الضرر والانتفاع ولواحقهما من الخوف والرجاء ونحوهما انما هي من لواحق الممكنات القابلة للنقصان والكمال وما هو في معرض التغير والزوال ولما ثبت تنزيهه تعالى عن الانفعال عن شيء لم يتصور ان يكون احد هذه الامور غرضا له وكذلك الاستعانة على الند والضد والشريك فان الاستعانة هي طلب العون من الغير وذلك من لوازم الضعف والعجز والخوف واذ لا عجز فلا استعانة فلا ند ولا شريك ولا ضد وكذلك نقول لا ند ولا شريك ولا ضد فلا استعانة والغرض تنزيهه سبحانه عن صفات المخلوقين وخواص المحدثين **وقوله** لكن خلايق مربوبون وعباد داخرون اي بل خلايق خلقهم بمحض جوده وهو فيضان الخير عنه على كل قابل بقدر ما يقبله من غير بخل ولا منع ولا تعويق وبذلك الاعتبار كان كل شيء مربوبا له وهو رب كل شيء وكل عبد ذليل مالكه ومولاه **وقوله** لم يحلل في الاشياء فيقال هو فيها كاين اشارة الى وصفه بسلب كونه ذا محل وللناس في تنزيهه تعالى عن المحل كلام طويل والمعقول من الحلول عند الجمهور قيام موجود بموجود على سبيل التبعية له وظاهر ان الحلول بهذا المعنى على واجب الوجود محال لان كونه تبعا للغير يستلزم حاجته اليه وكل محتاج ممكن قال افضل المتاخرين نصير الدين الطوسي ابقاه الله والحق ان حلول الشيء في الشيء لا يتصور الا اذا كان الحال بحيث لا يتعين الا بتوسط المحل واذ لا يمكن ان يتعين واجب الوجود بغيره فاذن يستحيل حلوله في غيره اذا عرفت ذلك فنقول لما كان الكون في المحل والنائي عنه والمباينة له امورا انما يقال على ما يصح حلوله فيه وعليه وكان هو تعالى منزها عن الحلول وجب ان يمتنع عليه اطلاق هذه الامور فاذن ليس هو بحال في الاشياء فليس هو بكاين فيها واذ ليس بكاين فيها فليس بناي عنها ولا مباين لها **وقوله** لم يؤده خلق ما ابتدا ولا تدبير ما ذرا الاعياء انما يقال لذي الاعضاء من الحيوان واذ ليس تعالى بجسم ولا ذي الة جسمانية لم يلحقه بسبب فعله اعياء وانما قال ما ابتدا ليكون سلب الاعياء عنه ابلغ اذ ما ابتدا من الافعال يكون المشقة فيه اتم والضمير يعود الى التصريف لجميع الذوات والصفات دايما تصريفا كليا وجزويا على وفق حكمته وعنايته ونحوه قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن **وقوله** ولا وقف به عجز عما خلق اشارة الى كمال قدرته وان العجز عليه محال وقد سبق بيانه **وقوله** ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر اشارة الى كمال علمه ونفي الشبهة ان تعرض له واعلم ان الشبهة انما يدخل على العقل في الامور المعقولة الصرفة عن الصور

وذلك انك علمت ان الوهم لا يصدق حكمه الا في المحسوسات فاما الامور المعقولة الصرفة فحكمه فيها كاذب فالعقل حال استفصاله وجه الحق منها يكون معارضا بالاحكام الوهمية فاذا كان المطلوب غامضا وربما كان في الاحكام الوهمية ما يشبه بعض اسباب المطلوب فيتصوره النفس بصورته ويعتقده مبدا فينتج الباطل في صورة المطلوب وليس به ولما كان الباري تعالى منزها عن القوى البدنية وكان علمه لذاته لم يجز ان يعرض لقضائه ولا قدره شبهة او يدخل الخير فيه شك لكونهما من عوارضها وقد عرفت معنى القضاء والقدر فيما سبق **وقوله** بل قضاء متقن وعلم محكم اي بري من فساد الشبهة والغلط **وقوله** وامر مبرم اشار الى حدوده الذي هو تفصيل قضائه المحكم وظاهر ان تفصيل المحكم لا يكون الا محكما **وقوله** المامول مع النقم المرهوب مع النعم **اقول** منبع هذين الوصفين هو كمال ذاته وعموم فيضه وانه لا غرض له وانه منبع الجود المطلق والخير لكل ما يستحقه ولما كان العبد حال حلول نقمته به قد يستعد بالاستغفار والشكر لافاضة الغفران ورفع النقمة فيفيضها عليه مع بقاء كثير من نعمه لديه كان تعالى مظنة الامل والفزع اليه في رفع ما لحق وابقاء ما بقي حتى انه تعالى هو المفيض لصورة الامل واليه اشار بقوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وكذلك حال افاضة نعمه لما كان العبد قد يستعد بالغفلة للاعراض عن شكرها كان تعالى في تلك الحال اهلا ان يفيض عليه بوارد نقمته بدلها فكان هو المامول مع النقم المرهوب مع النعم فهو المستعان به على دهر الذي لا مفزع له الا اليه ومن عداه فحلول نقمته عن جامع لامل رحمته وقيام نعمته مغاير لشمول رهبته فلا مامول ولا مرهوب في كلا الحالين سواه وبالله العصمة والتوفيق **ومن كلام له عليه السلام** كان يقول لاصحابه في بعض ايام صفين معاشر المسلمين استشعروا الخشية وتجلببوا السكينة وعضوا على النواجذ فانه انبا للسيوف عن الهام واكملوا اللامة وقلقلوا السيوف في اغمادها قبل سلها والحظوا الخزر واطعنوا الشزر ونافحوا بالظبا وصلوا السيوف بالخطى واعلموا انكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فعاودوا الكر واستحيوا من الفر فانه عار في الاعقاب ونار يوم الحساب وطيبوا عن انفسكم نفسا وامشوا الى الموت مشيا سجحا عليكم بهذا السواد الاعظم والرواق المطنب فاضربوا ثبجه فان الشيطان كامن في كسره قد قدم للوثبة يدا واخر للنكوص رجلا فصمدا صمدا حتى ينجلي لكم عمود الحق وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم **اقول** المشهور ان هذا الكلام قاله عليه السلام لاصحابه في اليوم الذي كان مساءه ليلة الهرير وروي انه قاله في اول ايام اللقاء بصفين وذلك في صفر سنة سبع وثلاثين استشعروا الشيء اتخذوه شعارا وهو ما يلي الجسد من الثياب والجلباب الملحفة والسكينة الثبات والوقار والنواجذ اقاصي الاضراس ونبا السيف اذا رجع في الضريبة ولم يعمل واللامة بالهمز الدرع وبالمد وتركه مع تضعيف الميم جميع الات الحرب والقلقلة التحريك والخزر بفتح الزاي ضيق العين وصغرها وكذلك تضييقها والنظر بمؤخرها عند الغضب والطعن الشزر بسكون الزاي الضرب على غير استقامة بل يمينا وشمالا والظبا جمع ظبة وهي طرف السيف والمنافحة المناولة باطراف السيوف والاعقاب جمع عقب

او جمع عقبى وهو العاقبة وسجحا اي سهلا والسواد العظيم الكثير والرواق بيت كالفسطاط يحمل على عمود واحد وثبجه وسطه والكسر جانب الخباء والنكوص الرجوع والصمد القصد ولن يتركم اي ينقصكم واعلم ان هذه الاوامر مشتملة على تعليم كيفية الحرب والمقاتلة وهي كيفية يستلزم الاستعداد بها افاضة النصر لاهلها فاولها الامر باستشعار خشية الله كما يلزم الشعار الجسد وهو استعارة كما سبق وفايدة هذا الامر النصر على الحق وامتثال جميع الاوامر الباقية اذ خشية الله مستلزمة لامتثال اوامره ولذلك قدمه الثاني الامر باتخاذ السكينة جلبابا تنزيلا للثبات الشامل للانسان منزلة الجلباب في شمولها للبدن والشمول هو وجه الاستعارة وفايدة هذا الامر طرد الفشل وارهاب العدو فان الطيش والاضطراب يستلزمان الفشل وطمع العدو الثالث الامر بالعض على النواجذ وفايدته ما ذكره وهو ان ينبو السيف عن الهامة وعلته ان العض على النواجذ يستلزم تصلب العضلات والاعصاب المتصلة بالدماغ فيقاوم ضربة السيف ويكون نكايته فيه اقل والضمير في قوله فانه يعود الى المصدر الذي دل عليه عضوا كقولك من احسن كان خيرا له وقال بعض الشارحين عض النواجذ كناية عن تسكين القلب وطرد الرعدة وليس المراد حقيقته قلت هذا وان كان محتملا الا وقطع عن التعليل الا انه غير مراد هنا لانه يضيع تعليله بكونه انبا للسيوف عن الهام الرابع الامر باكمال اللامة وكمال الدرع البيضة والسواعد ويحتمل ان يريد باللامة جميع الات الحرب مما يحتاج اليه وفايدته شدة التحصن الخامس الامر بقلقلة السيوف في الاغماد وفايدته سهولة جذبها حال الحاجة اليها فان طول مكثها في الاغماد يوجب صداها وصعوبة جذبها حال الحاجة السادس الامر بلحظ الخزر وذلك من هيات الغضب فان الانسان اذا نظر من غضب عليه نظر خزرا وفايدته امور احدها احماء الطبع واستثارة الغضب الثاني ان النظر بكلية العين الى العدو امارة الفشل ومن عوارض الطيش والخوف وذلك يوجب طمع العدو الثالث ان النظر بكليتها اليه يوجب له التنبه والحذر واخذ الاهبة والتحرز والنظر خزرا استغفال له ومظنة لاخذ غرته السابع الامر بالطعن الشزر وذلك ان الطعن يمينا وشمالا اوسع المجال على الطاعن ولان اكثر المناوشة للخصم في الحرب يكون عن يمينه وشماله الثامن الضرب باطراف السيوف وفايدته ان مخالطة العدو والقرب الكثير منه يشغل عن التمكن من ضربه التاسع الامر بوصل السيوف بالخطى وله فايدتان احدهما ان السيف ربما يكون قصيرا فلا ينال الغرض به فاذا انضاف اليه مد اليد والخطوات بلغ به المراد ومنه قول الشاعر اذا قصرت اسيافنا فكان وصلها خطانا الى اعدائنا فنضارب وقول الاخر نصل السيوف اذا قصرن بخطونا يوما ونلحقها اذا لم تلحق وقيل له عليه السلام ما اقصر سيفك فقال اطوله بخطوة الثانية ان الزحف في الحرب الى العدو والتقدم اليه خطوات في حال المكافحة يكسر توهم الضعف في عدوه ويلقي في قلبه الرعب بمداخلة الرهبة واليه اشار حميد بن ثور الهلالي ووصل الخطا بالسيف والسيف بالخطا اذا ظن ان المرء ذا السيف قاصر ثم لما اراد تاكيد تلك الاوامر في قلوبهم وان يريدهم اوامر اخرى ادمج ذلك بامرين احدهما ان اشعرهم ان الله يراهم وينظر كيف يعملون وذلك

قوله واعلموا انكم بعين الله والباء ههنا كهي في قولك انت مني بمراى ومسمع الثاني تذكيرهم بكونهم مع ابن عم رسول الله تنبيها لهم على فضيلته وان طاعته كطاعة رسول الله وحربه كحربه كما هو المنقول عنه حربك يا علي حربي فيثبتوا على قتال عدوهم كما ثبتوا مع رسول الله العاشر الامر بمعاودة الكر وذلك عند التحرف للقتال والانحياز الى الفئة وان يستحيوا من الفرار ثم نبههم على قبحه بامرين احدهما انه عار في الاعقاب اي انه عار في عاقبة امركم وسبة باقية في خلفكم والعرب يستقبح الفرار كثيرا الثاني كونه نارا يوم الحساب استحقاق النار وهو من كباير المعاصي وجعل نارا مجازا تسمية له باسم غايته وهو تذكير لهم بوعيده تعالى ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير الحادي عشر قوله وطيبوا عن انفسكم نفسا وهو تسهيل للموت عليهم الذي هو غاية ما يلقونه من الشدايد في الحرب بالبشارة بما هو اعظم واجل من الحياة الدنيا في ترك القتال وهو ما اعد لهم من الثواب الباقي وهذا كما يقول احدنا للمنفق ما له مع حب له طب نفسا بما ذهب منك فان الصدقة مضاعفة لك عند الله وتجدها اجرا واعظم اجرا ونفسا منصوب على التمييز اشار بها الى نفس المدة لهذا البدن وبالاولى الى الشخص الزايل بالقتل الثاني عشر الامر بالمشي الى الموت سجحا اي مشيا سهلا لا تكلف فيه ولا تعتع فان المتكلف سريع الفرار وهو امر لهم بالمشي الى غاية ما يخافون من القتال ليوطنوا نفوسهم عليه وليغزوا بسرعة الى الحرب اذ من العادة ان يستفز الشجاع بمثل ذلك فيسارع الى داعيه لما يتصور فيه من جميل الذكر وحسن الاحدوثة وروي سمحا والمعنى واحد **وقوله** عليكم بالسواد الاعظم الى قوله الخيام **اقول** لما شحذهم بالاوامر المذكورة عين مقصدهم واشار بالسواد الاعظم الى اهل الشام مجتمعين وبالرواق المطنب الى مضرب معوية اذ كان في مضرب عليه قبة عالية باطناب عظيمة وحوله من اهل الشام مائة الف كانوا تعاهدوا ان لا يتفرجوا عنه حتى يقتلوا وعين لهم وسط الرواق واغراهم به لقوله ان الشيطان كامن في كسره واراد بالشيطان معوية وقيل عمرو بن العاص وذلك ان الشيطان لما كان عبارة عن شخص يضل الناس عن سبيل الله وكان معوية في اصحابه كذلك عنده عليه السلام لا جرم اطلق عليه لفظ الشيطان وقد سبقت الاشارة الى معنى الشيطان ويحتمل ان يريد الشيطان المطلق ولما كانت محال الفساد وهي مظنة ابليس وكان المضرب فيه ضرب على غير طاعة الله كان محلا للشيطان فلذلك استعار له لفظ الجلوس في كسره **وقوله** قد قدم للوثبة يدا واخر للنكوص رجلا كناية عن تردد معوية وانتظاره لامرهم ان جبنوا وثب وان شجعوا نكص وهرب وعن الشيطان على سبيل استعارة الوثبة والنكوص اليد والرجل ويكون تقديمه يده للوثبة كناية عن تزيينه لاصحاب معوية الحرب والمعصية وتاخيره للنكوص الرجل كناية عن قبحه الفرار اذا التقى الجمعان كما حكى الله سبحانه عنه فلما ترائت الجمعان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون قلت فما معنى نكوص الشيطان على راي من فسره بالقوة الوهمية ونحوها قلت لما كانت وسوسته تقوده الى الغاية الى النفس صورة ما يحكم بحسنها فقط دون ما يلحق كما حكى الله تعالى عنه وما كان لي عليكم

من سلطان الا ان دعوتكم الاية كان نكوصه يعود الى اعراض لوهم عند عض الحرب ومشاهدة المكروه من ذلك الحكم ورجوعه عنه وهو معنى قوله انى برئ منكم انى ارى ما لا ترون وذلك ان الوهم اذن يحكم بالهرب والاندفاع من المخوف بعد ان كان قد زين الدخول فيه فيكون اذن قوله انى اخاف الله والله شديد العقاب موافقة لحكم العقل فيما كان يراه من طاعة الله بترك المعصية بالحرب وكل ذلك من تمام اغراء اصحابه باهل الشام وتنبيههم على ان باعثهم فى الحرب ليس الا الشيطان وانه لا غرض له الا فتنتهم ثم الرجوع ما لا عراض عنهم الثالث عشر امرهم بقصد عدوهم مؤكدا له بتكريره اى اصمدوا لهم صمدا الى غاية ان يظهر لكم نور الحق بالنصر واستعار لفظ العمود للحق الظاهر عن الصبح للمشاركة بينهما فى الوضوح والجلاء فالصبح الحسى والحق العقلى ولفظ التجلى ترشيح الاستعارة كنى به عن ظهوره ووضوحه والمعنى الى ان يتضح لكم ان الحق معكم بظفركم بعدوكم وقهره اذ الطالب لغيره حقه سريع الانفعال عن بيان الغرائز فى المقام وقوله وانتم الاعلون الاية تسكين لنفوسهم وبشارة بالمطلوب بالحرب وهو العلو والقهر كما بشر الله به الصحابة فى قتال المشركين وتثبيت لهم على المضى فى طاعته فان حزب الله هم الغالبون وقوله ولن يتركم اعمالكم تذكر لهم بجزاء الله لهم اعمالهم فى الاخرة وبعث لهم بذلك على لزوم العمل له وبالله التوفيق ومن
كلام له عليه السلام قالوا لما انتهت الى امير المؤمنين عليه السلام انباء السقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله قال عليه السلام ما قالت الانصار قالوا قالت منا امير ومنكم امير قال فهلا احتججتم عليهم بان رسول الله صلى الله عليه وآله وصى بان يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم قالوا وما فى هذا من الحجة عليهم فقال عليه السلام لو كانت الامارة فيهم لم تكن الوصية بهم ثم قال فماذا قالت قريش قالوا احتجت بانها شجرة الرسول صلى الله عليه وآله فقال احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة اقول الانباء التى بلغته عليه السلام هى اخبار ما جرى بين الانصار والمهاجرين من المشاجرة فى امر الامامة وايقاعهم البيعة لابى بكر وخلاصة القصة انه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله اجتمعت الانصار فى سقيفة بنى ساعدة وهى صفة كانوا يجتمعون بها فخطبهم سعد بن عبادة ومعهم فى خطبته واغراهم بطلب الامامة وقال ان لكم سابقة فى الاسلام ليست لقبيلة من العرب ان رسول الله صلى الله عليه وآله لبث فى قومه بضع عشرة سنة يدعوهم الى عبادة الرحمن فما آمن به من قومه الا القليل والله ما كانوا يقدرون ان يمنعوه ولا يدفعوا عنه ضيما حتى اراد الله بكم خير الفضيلة وساق اليكم الكرامة ورزقكم الايمان به والاقرار بدينه فكنتم اشد الناس على من تخلف عنه منكم واثقله على عدوه من غيركم حتى استقاموا لامره ودانت لاسيافكم العرب وانجز الله لنبيكم الوعد وتوفاه وهو عنكم راض فشدوا ايديكم بهذا الامر فانتم احق الناس به فاجابوه جميعا ان وفقت واصبت ولن نعدو ان نوليك هذا الامر واتى الخبر ابا بكر وعمر فجاءا مسرعين الى السقيفة فتكلم ابو بكر فقال للانصار الم تعلموا انا معاشر المهاجرين اول الناس اسلاما ونحن عشيرة رسول الله وانتم انصار الدين ووزراء رسول

الله واخواننا فى كتاب الله وانتم المؤثرون على انفسهم واحق الناس بالرضا بقضاء الله والتسليم لما ساق الله الى اخوانكم وان لا تكونوا انتقاض هذا الدين على ايديكم وانا ادعوكم الى بيعة ابى عبيدة او عمر فكلاهما قد رضيت لهذا الامر فقال عمر وابو عبيدة ما ينبغى لاحد من الناس ان يكون فوقك انت صاحب الغار وثانى اثنين وامرك رسول الله بالصلاة فانت احق بهذا الامر فقالت الانصار نحن اصحاب الدار والايمان لم يعبد الله علانية الا عندنا وفى بلادنا ولا عرف الايمان الا من اسيافنا ولا جمعت الصلوة الا فى مساجدنا فنحن اولى بهذا الامر فان ابيتم فمنا امير ومنكم امير فقال عمر هيهات لا يجتمع سيفان فى غمد ان العرب لا ترضى ان تؤمركم ونبيها من غيركم فقال الحباب بن المنذر يا معشر الانصار املكوا عليكم امركم فانكم احق بهذا الامر فقد دان لهذا الامر بأسيافكم من لم يكن يدين له وان لم يرضوا اجليناهم عن بلادنا انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ان شئتم لنعيدنها جذعة والله لا يرد على احد ما اقول الا حطمت انفه بالسيف فقام بشير بن سعد الخزرجى وكان يحسد سعد بن عبادة ان يصل اليه هذا الامر وكان سيدا فى الخزرج وقال انا لم نرد بجهادنا واسلامنا الا وجه ربنا لا عرض من الدنيا وان محمدا رجل من قريش وقومه احق بميراث امره واتقوا الله ولا تنازعوهم معشر الانصار فقام ابو بكر وقال هذا عمر وابو عبيدة بايعوا ايهما شئتم فقالا لا نتولى هذا الامر عليك وانت احق به ابسط يدك فبسط يده فبايعاه وبايعه بشير بن سعد وبايعته الاوس كلها وحمل سعد بن عبادة وهو مريض فادخل منزله وقيل بقى ممتنعا من البيعة حتى مات بحوران فى طريق الشام ولنرجع الى المتن فنقول اما الخبر الذى رواه عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله حجة عليهم فهو صحيح اخرجه مسلم والبخارى فى مسنديهما عن انس قال مر ابو بكر والعباس بمجلس من مجالس الانصار فى مرض رسول الله وهم يبكون فقالا ما يبكيكم فقالوا ذكرنا مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله فدخلا على الرسول فاخبراه بذلك فخرج صلى الله عليه وآله معصبا على راسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعد بعد ذلك اليوم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اوصيكم بالانصار فانهم كرشى وعيبتى وقد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم فاما وجه احتجاجه بهذا الخبر فهو فى صورة شرطية متصلة يستثنى فيها نقيض تاليها وتقريرها لو كانت الامامة حقا لهم لما كانت الوصية بهم لكنها بهم فليست الامامة لهم بيان الملازمة ان العرف قاض بان الوصية والشفاعة ونحوها انما يكون الى الرئيس فى حق المرؤس من غير عكس واما بطلان التالى فبالخبر المذكور واما قوله احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة فاشار الى نفسه واهل بيته فانهم ثمرة الغصن المورق المثمر لتلك الشجرة ولما استعير لفظ الشجرة لقريش استعار لفظ الثمرة لنفسه وقد عرفت قربته من رسول الله وكونه ثمرة له واضاعتهم لها اهمالهم له من هذا الامر ويحتمل ان يريد بالثمرة التى اضاعوها سنة الله الموصى فى اعتقاده استحقاقه لهذا الامر وظاهر كونها ثمرة الرسول صلى الله عليه وآله واهمالهم لها تركهم العمل بها فى حقه وهو كلام فى قوة احتجاج له على قريش بمثل ما احتجوا به على الانصار وتقديره انهم ان كانوا اولى من الانصار لكونهم شجرة رسول الله صلى الله عليه وآله فنحن اولى لكوننا ثمرة

والثمرة اختصاص بالشجر من وجهين احدهما القرب ومزيته ظاهرة والثانى ان الثمرة هى المطلوبة بالذات من الشجرة وغيرهما فان كانت الشجرة معتبرة فبالاولى اعتبار الثمرة وان لم يلتفت الى الثمرة فبالاولى لا التفات الى الشجرة ويلزم من هذا الاحتجاج احد امرين اما بقاء الانصار على حجتهم لقيام هذه المعارضة او كونه عليه السلام احق بهذا الامر وهو المطلوب والله اعلم بالصواب ومن كلام له عليه السلام لما قلد محمد بن ابى بكر مصر فملكت عليه وقتل وقد اردت تولية مصر هاشم بن عتبة ولو وليته اياها لما خلى لهم العرصة ولا انهزهم الفرصة بلا ذم لمحمد بن ابى بكر ولقد كان الى حبيبا وكان لى ربيبا اقول كان عليه السلام ولى محمد بن ابى بكر مصر فلما اضطرب الامر عليه بعد صفين وقوى امر معوية طمع فى مصر وقد كان عمرو بن العاص بايعه على ان يكون معه فى قتال على ويكون مصر له طعمة فبعثه اليها بعد صفين فى ستة الاف فارس وقد كان بها جماعة عظيمة ممن يطلب بدم عثمان وكانوا يزعمون ان محمدا قتله فانضافوا الى عمرو وكان معوية كتب الى وجوه اهل مصر اما الى شيعته فبالترغيب واما الى اعدائه فبالترهيب وكتب محمد بن ابى بكر الى على يستمده بالمال والرجال فكتب اليه يعده بذلك فجعل محمد يدعو اهل مصر لقتال عمرو فانتدب معه منهم اربعة الاف رجل فوجه منهم الفين مع كنانة بن بشر لاستقبال عمرو وبقى هو فى الفين فالتقى كنانة فى ذلك اليوم بلاء حسنا وقتل من عسكر عمرو خلقا كثيرا ولم يزل يقاتل حتى قتل هو ومن معه فلما قتل تفرق الناس عن محمد واقبل عمرو يطلب محمدا فهرب منه مختفيا فالتجى الى خربة فيها فدخل عمرو فسطاط وخرج معوية بن خديج الكندى وكان من امراء جيش عمرو فى طلب محمد فظفر به وقد كاد يموت عطشا فقدمه فضرب عنقه ثم احرقه بعد ما ادخله فى جوف حمار ميت ولحرقه وقد كان على عليه السلام وجه لنصرته مالك بن كعب الى مصر بنحو من الفى رجل فسار بهم خمس ليال وورد الخبر الى على بقتله واخذ مصر فجزع عليه السلام عليه جزعا ظهر اثره فى وجهه ثم قال رحم الله محمدا كان غلاما حدثا وقد كنت اردت الفصل والمهر النهوض لتناول الشئ والفرصة النهضة وهى ما امكنك من نفسه وانما اراد تولية هاشم لقوته على هذا الامر وكثرة تجاربه وهاشم هذا ابن عتبة بن ابى وقاص الذى كسر رباعية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد وكلم شفته وكان هاشم من شيعة على والمخلصين فى ولايته وشهد معه حرب صفين وابلى فيها بلاء حسنا واستشهد بين يديه بها وقوله لما خلى لهم العرصة اى عرصة الحرب كما فر محمد وظن انه ينجو بفراره ولو ثبت لثبت معه الناس وقتل كريما وقوله ولا انهزهم الفرصة كنى بالفرصة عن مصر اى لم يمكنهم من تناولها كما تمكنوا مع محمد وقوله بلا ذم لمحمد اى لست فى مدحى لهاشم ذاما لمحمد وبه على ما له من استحقاق الذم بوجهين الاول انه كان له حبيبا وظاهر انه عليه السلام لا يحب الا من يحبه الله ورسوله ويبرا من العيوب المنقصة وقد كان محمد رضى الله عنه من نساك قريش وعبادها والثانى انه كان ربيبا له وذلك مما يستلزم محبته وعدم ذمه فاما كونه ربيبا فلان ام محمد هى اسماء بنت عميس وكانت تحت جعفر بن ابى طالب وهاجرت معه الى الحبشة فولدت له عبد الله بن جعفر وقتل عنها يوم موتة فتزوجها ابو بكر فاولدها محمدا ثم لما مات عنها تزوجها على عليه السلام فكان محمد ربيبه ونشا على

ولانه مستنصبا وكان على يحبه ويكرمه ويقول محمد ابنى من ظهر ابى بكر وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام فى ذم اصحابه كم اداريكم كما تدارى البكار العمدة والثياب المتداعية كلما حيصت من جانب تهتكت من آخر كلما اطل عليكم منسر من مناسر اهل الشام اغلق كل رجل منكم بابه وانجحر انجحار الضبة فى جحرها والضبع فى وجارها الذليل والله من نصرتموه ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل انكم والله لكثير فى الباحات قليل تحت الرايات وانى لعالم بما يصلحكم ويقيم اودكم ولكنى والله لا ارى اصلاحكم بافساد نفسى اضرع الله خدودكم واتعس جدودكم لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل ولا تبطلون الباطل كابطالكم الحق اقول البكار جمع بكر وهو الفتى من الابل والعمدة هى التى شدخ سنامها ثقل الحمل والحوص الخياطة وتهتكت تخرقت واطل اشرف والمنسر بكسر الميم وفتح السين وبالعكس القطعة من الجيش من المائة الى المائتين وقد سبق وانجحر الضب دخل جحره وهو بيت الضبع ووجاره والافوق الناصل السهم لا فوق له ولا نصل والباحة ساحة الدار والاود الاعوجاج واضرع اذل واتعس اهلك وهذا الفصل يشتمل على توبيخ اصحابه لتقاعدهم عن النهوض معه الى حرب اهل الشام وذكر وجوها للتوبيخ الاول حاجتهم الى المداراة الكثيرة وليس ذلك من شيم الرجال ذوى العقول بل من شان البهائم ومن لا عقل له وشبههم فى حاجتهم الى المداراة تشبيهين احدهما بالبكار التى قد انهكها حملها ووجه الشبه بينها وبينهم هو قلة صبرهم وشدة اشفاقهم وفرارهم من التكليف بالجهاد واستغاثتهم كما تستغيث وتجرجر البكر العمدة وفراره من مداومة الحمل الثانى بالثياب المتداعية وهى التى تتبع الخرق منها ما انخرق فى مثل حال الروح الشبه ما ذكره وهو قوله كلما حيصت من جانب تهتكت من آخر اى كما ان الثياب المتداعية كذلك فكذلك اصحابه كلما اصلح حال بعضهم وجمعهم للحرب فسد بعض آخر عليه الثانى شهادة حالهم عليهم بالجبن والخوف وهو قوله كلما اطل الى قوله وجارها وكنى باغلاق كل منهم بابه عند سماعهم بقرب بعض جيوش الشام منهم عن فرارهم من القتال وكراهية سماعهم للحرب شبههم فى ذلك الخوف والفرار بالضبة والضبع حين ترى الصائد او امرا تخافه وانما خص الاناث لانها اولى بالمخافة من الذكران الثالث وصفهم بالذلة وقلة الانتفاع بهم فنبه على وصف الذل بقوله الذليل والله من نصرتموه فانه انما يكون ذليلا لكونهم كذلك ويحتمل ان يشير بذلك الى سوء آرائهم فى التفرق والاختلاف ثم بالغ فى ذلك حتى جعل الذل لكل منتصر بهم فيمن نصروه ونبه على قلة الانتفاع بهم بقوله ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل استعار لهم من اوصاف السهم ارذلها وكنى بذلك عن عدم فايدتهم ونكايتهم فى العدو كما لا فائدة فى الرمى بالسهم الموصوف الرابع وصفهم بالكثرة فى المجامع والاندية مع قلتهم فى الحرب عند الالوية وذلك يعود الى الذم بالجبن ايضا والعار به فان قلة الاجتماع فى الحرب والتفرق عنه من لوازم الخوف وكان مقابل هذا الوصف وهو الاجتماع والكثرة فى الحرب مع القلة فى غيره مدحا كما قال ابو الطيب ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا فالحرى ان كان هذا الوصف ذما كما قال عويف القوافى لستم اقل الناس عند لوائهم واكثرهم عند الذبيحة والقدر

وقوله وانى لعالم بما يصلحكم ويقيم اودكم اراد انه لا يصلحهم الا السياسة بالقتل ونحوه كما فعل الحجاج حين ارسل المهلب
الى الخوارج وروى انه نادى فى الكوفة من تخلف عن المهلب بعد ثلث فقد احل دمه وقتل جماعة فخرج الناس
الى المهلب يهرعون وكما فعله كثير من الملوك وقوله ولكنى لا ارى اصلاحكم بافساد نفسى اى لما لم يكن ليحل
من دماء اصحابه ما يستحل ملوك الدنيا من رعيتهم اذا ارادوا اثبات ملكهم ولو بفساد دينهم لا جرم لم يرد اصلاحهم
بالقتل اذ كان اصلاحهم بذلك سببا لفساد نفسه بلزوم اثامهم لها ولما كان من الواجب فى الحكمة ان يكون
الانسان للغير مقدما على اصلاح نفسه اولا لم يتصور منه عليه السلام ان يفعل فعلا يلزم فساد نفسه
وان اشتمل على وجه من المصلحة فان قلت الجهاد بين يدى الامام العادل واجب فلم لم يحملهم عليه فلم لا يجبرهم
قلت الجواب من وجهين احدهما انه ليس كل واجب يجب فى تركه القتل كالحج الثانى لعله عليه السلام لو شرع فى
عقوبتهم بالقتل على ترك الجهاد معه لتفرقوا عنه الى خصمه وسلموه اليه او اتفقوا على قتله وكل هذه مفاسد اعظم
من تقاعدهم عن دعوته لهم فى بعض الاوقات وقوله اضرع الله لكم خدودكم دعاء عليهم بالذل وهلاك الحظ ثم
نبههم على علة استحقاقهم لذلك وهى الجهل ثم ما ينشا عنه من ظلم انفسهم اما الجهل فعدم معرفتهم الحق كمعرفتهم
الباطل واراد به ما يلزمهم من امر الله واراد بمعرفتهم الباطل معرفتهم باحوال الدنيا وباطلها والاشتغال بها عن
اوامر الله ويحتمل ان يشير به الى ما يعرض لبعضهم من الشبهة الباطلة فى قتال اهل القبلة فيوجب لهم التوقف
والتخاذل عن الحرب ويكون مكاثرته بين معرفتهم للباطل والحق تنبيها على قوة جهلهم المركب وهو اشد الجهل
وغاية توبيخهم بكونهم على قسمى الجهل فالبسيط هو عدم معرفتهم للحق والمركب هو تصديقهم للجهل واما الظلم
فعدم ابطالهم للحق وذلك اشارة الى تعاميهم عن طاعة الله وتصاممهم عن سماع منادية واجابته وعدم ابطالهم
للباطل اشارة الى عدم انكارهم المنكر من انفسهم وغيرهم وبالله التوفيق وقال عليه السلام فى سحرة اليوم الذى
ضرب فيه ملكتنى عينى وانا جالس فسنح لى رسول الله صلى الله عليه واله فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من امتك من
الاود واللدد فقال ادع عليهم فقلت ابدلنى الله بهم خيرا لى منهم وابدلهم بى شرا لهم منى اقول السحرة السحر
واما كيفية قتله عليه السلام فمذكور فى التواريخ وقوله ملكتنى عينى فاستعارة حسنة ويجوز فى التركيب اما
الاستعارة فلفظ الملك للنوم ووجه الاستعارة دخول النائم فى غلبة النوم وقهره وتسخيره له ان يتصرف
فى نفسه كما يمنع الملك العبد عن التصرف فى امره واما المجوز ففى العين وفى الاسناد اليها اما الاول
فاطلق لفظ العين على النوم لما بينهما من الملابسة او لانطباق الجفون من عوارضهما واما الثانى فاسناد
الملك الى النوم المتجوز فيه بلفظ العين والواو فى قوله وانا الحال وقوله فسنح لى عرض اراد بالسنح حضور
صورة رسول الله صلى الله عليه واله فى لوح خياله كما علمت وشكايته منهم وجواب الرسول له يستلزم امرين
احدهما انه عليه السلام كان فى غاية الكرب من تقصيرهم فى اجابة ندائه ودعوته الى الجهاد حتى انتهت الحال
الى قتله الثانى علمه برضاء الرسول عنهم وقوله وابدلهم بى شرا لهم منى لا يقتضى ان فيه شرا كما ان

بيانه

يانه وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام فى ذم اهل العراق اما بعد يا اهل العراق فانما انتم كالمراة الحامل
حملت فلما اتمت املصت ومات قيمها وطال تايمها وورثها ابعدها اما والله ما اتيتكم اختيارا ولكن جئت
اليكم سوقا ولقد بلغنى انكم تقولون يكذب قاتلكم الله فعلى من اكذب اعلى الله فانا اول من امن به ام على
نبيه فانا اول من صدقه كلا والله ولكنها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من اهلها ويل امه كيلا بغير ثمن لو كان
له وعاء ولتعلمن نباه بعد حين اقول املصت اسقطت والايم التى لا بعل لها واللهجة اللسان والقول
الفصيح وهذا الكلام صدر عنه بعد حرب صفين وفيه مقصودان الاول توبيخهم على تركهم للقتال
بعد ان شارفوا النصر على اهل الشام وعدولهم الى التحكيم وابرز هذا المقصود فى تشبيههم بالمراة الحامل
وذكر لها اوصافا خمسة هى وجوه الشبه بينها وبينهم فالحمل يشبه استعدادهم وتعبيتهم للحرب والاتمام
يشبه مشارفتهم للظفر والاملاص يشبه رجوعهم عن عدوهم بعد طمعهم فى الظفر به وذلك رجوع غير طبيعى
ولا معتاد للعقلاء كما ان الاملاص امر غير طبيعى للحامل ولا معتاد لها ثم موت القيم بامورها وهو زوجها
وطول تايمها وذلك يشبه عدم طاعتهم له الجارى مجرى موته عنهم وطول ضعفهم لذلك ودوام عجزهم
وذلتهم بعد رجوعهم لتفرقهم الى الخوارج وغيرهم فان موت قيم المراة مستلزم لضعفها ودوام عجزها اذ
ثم كونها قد استحق ميراثها البعيد عنها لعدم ولدها وزوجها وذلك يشبه من حالهم اخذ عدوهم الذى
هو ابعد الناس عنهم ما لهم من البلاد واستحقاقه لذلك بسبب تقصيرهم فى حقه ومنه وبهذه الوجوه من
الشبه اشبهوا المراة المذكورة وتم توبيخهم من هذه الجهة ثم اخبرهم على وجه التضجر من حالهم بانه لم يلزم
ايثارا منه للمقام بينهم ولكن سوقا وقدرا اضطره لذلك وصدق اذ لم يكن خروجه من المدينة التى هى
دار الهجرة ومفارقته منزل رسول الله ومجيئه الى الكوفة الا لقتال اهل البصرة وحاجته الى الاستنصار باهل
الكوفة عليهم اذ لم يكن جيش يجاريهم ثم اتصلت تلك الفتنة بفتنة اهل الشام فدامت
حاجته الى المقام بينهم وروى ولا جئت اليكم شوقا بالشين المعجمة والمقصود الثانى توبيخهم على ما بلغه
من تكذيبهم له ومقابلته لهم على ذلك برد احكام اوهامهم الفاسدة فى حقه وذمهم بجهلهم وقصور افهامهم
عما يفيده من الحكمة وهو قوله ولقد بلغنى انكم تقولون يكذب صورة دعواهم المقولة عليه وقد كان جماعة
من منافقى اصحابه اذا اخبر عن امور ستكون او كانت ثم اخبر عنها واسنده الى رسول الله صلى الله عليه وآله يتجادلون
فيما بينهم بتكذيبه فبلغه ذلك كاخباره عن قصة الخوارج وما يكون منهم وعن ذى الثدية وانه سيقاتل
الناكثين والقاسطين والمارقين ونحو ذلك من الامور الغريبة التى يستنكرها طباع العوام ولا يعقل
اسرارها الا العالمون بل كانوا يكذبون بحضرته وروى انه لما قال لو كسرت لى الوسادة لحكمت بين اهل
التوراة بتوراتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم وبين اهل الفرقان بفرقانهم والله ما من اية نزلت فى بر
او بحر او سهل او جبل ولا سماء ولا ارض الا وانا اعلم فيمن نزلت وفى اى شىء نزلت قال رجل من تحت المنبر

وللدعوى الكاذبة وكذلك لما قال سلونى قبل ان تفقدونى اما والله لتشغرن الفتنة الصماء برجلها وتطا فى
خطامها يا لها فتنة شبت نارها بالحطب الجزل مقبلة من شرق الارض رافعة ذيلها داعية ويلها بدجلة او حولها
ذاك اذا استدار الفلك وقلتم مات او هلك باى واد سلك فقال قوم من تحت منبره ما افصحه
كاذبا وكانها اشارة الى واقعة التتار وقابل دعويهم بامرين احدهما الدعاء عليهم بقتال الله لهم وقد علمت
ان قتاله يعود الى لعنته وابعاده عن رحمته الثانى الحجة وتقريرها ان الذى اخبركم به من هذه الامور انما
هو عن الله وعن رسوله فلو كذبت فيه لكذبت اما على الله وهو باطل لانى اول من امن به واول مؤمن به
لا يكون اول مكذب له او على نبيه وهو باطل لانى اول من صدقه واتبع ملته وقوله كلا والله رد تصدق
دعواهم بعد الحجة كانه قال فاذن دعواكم على الكذب فيما اخبركم به باطلة وقوله ولكنها لهجة غبتم عنها
ولم تكونوا من اهلها يريد به بيان منشا دعواهم الفاسدة لتكذيبه وذلك كون ما يقوله ويخبر به من الامور
المستقبلة ونحوها طورا وراء عقولهم الضعيفة التى هى بمنزلة اوهام سائر الحيوان وليسوا لفهم اسرارها
باهل واشار باللهجة الى تلك الاقوال واسرارها وبغيبتهم عنها الى غيبة عقولهم عن ادراكها ومعرفة امكانها
فى حق مثله او الى غيبتهم عنها عند القائها الرسول صلى الله عليه واله فوائدها الكلية اليه وتعليمه لابوابها
وتفصيل ما فصل منها له وظاهر انه لما كانت عقول اولئك وامثالهم مقهورة تحت سلطان اوهامهم وكان
الوهم مكذبا ومنكرا لمثل هذه الاحكام لا جرم لم تنهض عقولهم لتصديقه عليه السلام فيما ولم يجوزوا اطلاع
عليها بل تابعت اوهامها فى الحكم بتكذيبه وحاله فى ذلك مختصرة من حال رسول الله صلى الله عليه وآله مع منافقى قومه
وقوله ويل امه فالويلة الاصل دعاء بالشر وجبر به واضافته الى الام دعاء عليها ان تصاب باولادها
وقيل انها تستعمل للتعجب واستعظام الامر وقوله كيلا بغير ثمن اشارة الى ما يفيضه عليهم من الاخلاق الكريمة
والحكم البالغة التى لا يريد بها جزاء ولا ثناء لا يفقهونها ولا يهذبون بها انفسهم لكون نفوسهم غير مستعدة
لقبولها فليس لها اذن من تلك الانفس وعاء يقبلها واستعار لفظ الكيل وكنى به عن كثرة ما يلقيه اليهم
منها وهو مصدر استغنى به عن ذكر فعله فعلى هذا يحتمل ان يكون ويل امه دعاء بالشر على من لم يقتبس منه الحكمة
يقتبس الحكمة منه والضير لانسان ذلك الوقت وان لم يجر له ذكر سابق معرفة يعود اليه الكسر موجود فى كل شخص
منهم فكانه قال ويل لامهم ويحتمل ان يكون ترحما لهم فان الجاهل مرحوم ويحتمل ان يكون تعجبا من قوة جهلهم
او من كثرة كيله للحكم عليهم مع اعراضهم عنها وقوله ولتعلمن نباه بعد حين اقتباس لهذه الاية المقصود عن
مقصوده اى لتعلمن نبا جهلكم واعراضكم عما امركم به والقيه اليكم من الحكم والاراء الصالحة وتكشف لكم
ثمرة ذلك بعد حين واشار بالحين الى ما بعد مدة الحياة الدنيا وثمرة افعالهم اذ ذاك الندامة والحسرة على ما
فرطوا فى جنب الله حيث لا ينفع الا الاعمال الصالحة وذلك حين تزول عنهم غواشى ابدانهم وتطرح نفوسهم
جلابيبها بالموت واما الى مدة حياتهم هو اى ستعلمون عاقبة فعلكم هذا بعد مفارقتى لكم والعاقبة

اذن

ادنى ابتلاؤهم ممن بعده من بنى امية وغيرهم بالقتل والذل والصغار وبالله التوفيق والعصمة ومن خطبة له
عليه السلام علم فيها الناس الصلوة على النبى صلى الله عليه وآله اللهم داحى المدحوات وداعم المسموكات وجابل القلوب على
فطراتها شقيها وسعيدها اجعل شرائف صلواتك ونوامى بركاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق
والفاتح لما انغلق والمعلن الحق بالحق والدافع جيشات الاباطيل والدامغ صولات الاضاليل كما حمل فاضطلع
قائما بامرك مستوفزا فى مرضاتك غير ناكل عن قدم ولا واه فى عزم واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا
على نفاذ امرك حتى اورى قبس القابس واضاء الطريق للخابط وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن
والاثام الى موضحات الاعلام ونيرات الاحكام فهو امينك المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم
الدين وبعيثك بالحق ورسولك الى الخلق اللهم افسح له مفسحا فى ظلك واجزه مضاعفات الخير من فضلك
اللهم واعل على بناء البانين بناءه واكرم لديك منزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة
ومرضى المقالة ذا منطق عدل وخطبة فصل اللهم اجمع بيننا وبينه فى برد العيش وقرار النعمة ومنى الشهوات
واهواء اللذات ورخاء الدعة ومنتهى الطمانينة وتحف الكرامة اقول المدحوات المبسوطات والمسموكات
المرفوعات ودعمها حفظها بالدعامة وجبل خلق والفطرات جمع فطرة وهى الخلقة والدمغ كسر عظم الدماغ
وجيشات جمع جيشة من جاشت القدر ارتفع غليانها واضطلع بالامر قوى على حمله والقيام به من الضلاعة
وهى القوة والاستيفاز الاستعجال والنكول الرجوع والقدم التقدم والوهى الضعف ووعى الامر فقهه
والقبس شعلة النار واورى اذكى واشعل وقد اشتملت هذه الخطبة على ثلثة فصول الاول فى صفات
المدعو له وهو النبى صلى الله عليه وآله الثالث فى انواع المدعو به وذلك هو الترتيب الطبيعى فبدا بتمجيد الله تعالى باعتبار
ثلثة احدها كونه داحى المدحوات اى باسط الارضين السبع وظاهر كونها مدحوات فان كل طبقة منها اذا
اعتبرت كانت مبسوطة فاما صدق البسط على جملة الارض مع انها كرة وشهادة ظاهر قوله تعالى والارض بعد
ذلك دحاها بذلك وقوله والارض مددناها فهو باعتبار طبقاتها وقد يصدق عليها البسط باعتبار جملها
البارز من الماء الذى يتصرف عليه الحيوان فانه فى الاوهام سطح مبسوط وان كان عند اعتبار العقل محدبا واليه
الاشارة بقوله تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا والله جعل لكم الارض بساطا الثانى داعم المسموكات
اى حافظ السموات ان يقع على الارض فان قلت قد قال فى الخطبة الاولى بلا عمد تدعمها ثم جعلها هنا مدعومة
فاوجه الجمع قلت لم ينف هناك الا كونها مدعومة بغير العمد وقد بينا هناك ان الدعامة التى يقوم بها السموات
هى قدرته تعالى الثالث كونه جابل القلوب عن فطراتها شقيها وسعيدها اى خالق النفوس على ما خلقها
عليه من التهيؤ والاستعداد لسلوك سبيلى الخير والشر واستحقاق الشقاوة او السعادة بحسب القضاء الالهى
كما قال تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها وقوله وهديناه
النجدين اى الهمناه معرفة سلوك طريقى الخير والشر واهل العرفان كثيرا ما يعبرون عن النفس بالقلب تبعا

جبلة من القلوب اى خالق شقى القلوب وسعيدها على فطرتها المكتوبة فى اللوح المحفوظ فمن احكمت العناية
الالهية بزمام عقله على وفق ما كتب له قاعدة لقبول الهداية لسلوك سبيل الله فهو السعيد ومن لحقته
حبايل القضاء الالهى لخطيئته الى مهاوى الهلكة فذلك هو الشقى البعيد والى الاشارة بقوله تعالى
فمنهم شقى وسعيد الاية وقوله واجعل شرايف صلواتك ونوامى بركاتك على محمد عبدك ورسولك بعض
مطلوباته من هذا الدعاء وشرايف صلواته ما عظم من رحمته وكمال جوده على النفوس المستعدة لها
ونوامى بركاته ما زاد منها الفصل الثانى فى ذكر اللبنيع احدا وعشرين وصفا هى جهات استحقاق الرحمة
وزيادة البركة المدعو بها الاول كونه عبدالله وظاهر كون العبودية جهة لاستحقاق الرحمة الثانى كونه
رسولا له والرسالة نوع خاص من الاستعباد يوجب مزيد الرحمة والشفقة والثالث كونه خاتما لما سبق
من انوار الوحى والرسالة النبوة وما جاء به من الدين الحق وظاهر كون ذلك جهة استعداد لقبول
الرحمة ودرجات الكمال والرابع كونه فاتحا لما انغلق من سبيل الله قبله وطريق جنته وحضرة قدسه
باتباع الشرايع ففتح صلى الله عليه وآله تلك السبل بشرعه وكيفية هدايته للخلق فيها الخامس كونه معلن
الحق بالحق والحق الاول هو الدين وما يدعو اليه والثانى فيه اقوال فقيل هو المعجزات اذ بسببها تمكن
من اظهار الدين وقيل الحرب والخصومة يقال فلان حاق فلانا فحقه اى خاصمه فغلبه وقيل هو البيان
اى اظهر الدين بالبيان الواضح واقول الاشبه انه اراد اظهر الحق بعضه ببعض وكل جزء من الحق حق وذلك
ان الدين لم يظهر دفعة وانما بنى الاسلام على خمس ثم كثرت فروعه وبالاصل يظهر الفرع وظاهر كون
اظهاره للحق جهة لاستحقاق الرحمة السادس كونه دافعا لجيشات الاباطيل اى لثوران فتن المشركين و
ابغاتهم لاطفاء انوار الله او لفتنتهم السابقة التى كانت معتادة لهم من الغارات وحروب بعضهم لبعض
فان كل ذلك امور باطلة على غير قانون عدلى من الله وذلك الدفع من جهات قبوله الرحمة السابع كونه
دامغا لصولات الاضاليل وهو قريب من السادس واستعار لفظ الدمغ لاهلاكه الضلال بالكلية بسيفه
مقتدره صلى الله عليه وآله ووجه الاستعارة كون الدمغ مهلكا للانسان فاشبه ما اهلك الباطل وماهو من
افعال الرسول والضلال هنا الانحراف عن طريق الله اللازم عن الجهل بها واستعار وصف الصولات
له ملاحظة لشبه المنحرفين عن سبيل الله الى الفساد فى قوة اغراضهم وشدة فسادهم بالفحل الصائل الثامن
كونه حمل الرسالة فقام بما كلف به وقوى عليه وقائما نصب على الحال وكذلك المستوفزا بعده وهى
وغير ناكل وكذلك محل لاواهى دواعيا وحافظا وماضيا وفى قوله كما حمل لطف اى كحمله صلوته مناسبة
مشابهة لتحمله للرسالة وقيامه بامرها لان الجزاء من الحكيم العدل يكون مناسبا للفعل المجزى لاجل
كونها جهة استحقاق طلب ما يناسبها من الجزاء التاسع كونه مجلا فى رضاة الله بامتثال اوامره العاشر كونه
غير ناكل فيما يتقدم فيه من طاعة الله الحادى عشر كونه ماضى العزم فى القيام بامر الله عز وان فيه الثانى عشر

كونه

كونه واعيا لوحيه ضابطا له قوى النفس على قبوله الثالث عشر كونه حافظا للعهد المأخوذ عليه من تبليغ
الرسالة واداء الامانة وقد سبق بيان معنى العهد فى الخطبة الاولى الرابع عشر كونه ماضيا على نفاذ
امره فى العالم وجذبه الخلق الى سلوك سبيله الخامس عشر ما انتهى اليه من الغاية باجتهاده فى رضاء الله
وهو كونه اورى قبس القابس اى اشعل انوار الدين وقدح زناد الافكار حتى ظهر انوار العلوم منها
للمقتبسين واستعار لفظ القبس لنور العلم والحكمة ولفظ الورى لاظهار الرسول تلك الانوار فى
طريق اسد وقد سبق وجه الاستعارة السادس عشر كونه اضاء الطريق للخابط فالطريق هى طريق الجنة
والحضرة الالهية واضاءته اما باظهار تلك الانوار وبيانها بتعليم كيفية سلوكها والارشاد اليها
والخابط هو الجاهل الذى قصدت الحكمة الالهية ارشاده حيث كان يخبط فى ظلمات الجهل السابع عشر
كونه قد هديت به القلوب الى موضحات الاعلام اى الى الادلة الواضحة على الحق ونيرات الاحكام هى الطا
الحقة الواضحة اللازمة عن تلك الادلة بعد ما كانت القلوب فيه من خوضات الفتن والاثام اللازمة
عما اجترحته من السيئات وذلك ظاهر الثامن عشر كونه امين الله اى على وحيه ورسالته والمأمون
تأكيد لامانته وقد عرفت معنى الامانة التاسع عشر كونه خازن علمه المخزون اى علومه اللدنية الغيبية
التى لا يتأهل لحملها كل البشر المشار اليها بقوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
العشرون كونه شهيدا يوم الدين كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
اى شاهدا يوم القيمة على امته بما علم منهم من خير وشر فان قلت وما حقيقة هذه الشهادة وفائدتها مع
ان الله تعالى عالم الغيب والشهادة قلت اما حقيقتها فيعود الى اطلاعه صلى الله عليه وآله على افعال امته
وبيان ذلك انك علمت فيما سلف ان للنفوس القدسية الاطلاع على الامور الغائبة والانتقاش بها
مع كونها فى جلابيب من ابدانها فكيف بها اذا فارقت هذا العالم والجسم المظلم فانها اذن يكون مطلعة
على جميع افعال امتها وشاهدة لها من خير او شر واما فائدتها فقد علمت ان اكثر احكام الناس وهمية والوهم
منكر للاله على الوجه الذى هو اله فالحرى ان ينكر كونه عالما بجزئيات افعال عباده ودقائق خطرات اوهامهم
وظاهر ان ذلك الانكار يستتبع عدم المبالاة بفعل القبيح والانهماك فى الامور الباطلة التى نهى الله تعالى
عنها فاذا ذكر لهم ان عليهم شهداء ورقباء وكتابا لما يفعلون مع صدق كل ذلك باحسن تأويل كان ذلك مما
يعين العقل على كسر النفس الامارة بالسوء وقهر الاوهام الكاذبة وردع النفس عن متابعة الهوى ثم لا
لكل رسول من امته على دينه وحفظه لهم شهداء ايضا على من بعده الى قيام الساعة واذا كان معنى الشهادة
يعود الى اطلاع الشاهد على ما فى ذمة المشهود عليه من علم بحقيقة وفائدتها حفظها فى ذمة المشهود عليه
خوفا ان يجحد او لم يوصله الى مستحقه ان يشهد عليه الشاهد فيفتضح وينزع منه على اقبح وجه وكان هذا المعنى
والفائدة قائمتين فى شهادة الانبياء عليهم السلام اذ بها يحفظ اوامره وتكاليفه التى هى حقوق الله

ويحصل الخوف للمقصرين فيما يذكر شهادة الرسل عليهم بالتقصير فيفتضحوا فى محفل القيمة ويستوفى منهم
جزاء ما كلفوا به تقصيرا فيه بالعذاب الاليم لا جرم ظهر معنى كونهم شهداء الله على خلقه الحادى والعشرون
كونه مبعوثه بالحق وهو الدين الثابت الباقى نفعه وثمرته فى الاخرة ثم اعاد ذكر كونه رسول الله الى خلقه
وانما كرره لانه الاصل فيما فى الاوصاف وظاهر ان كل هذه الاوصاف جهات استحقاق الرحمة والبركة
وافاضة الصلوات الالهية على نفسه القدسية الفصل الثالث فى تفصيل المطلوب من هذا الدعاء
وهو قوله اللهم افسح الى اخره وطلب امورا احدها ان يفسح له مفسحا فى ظلك اى مكانا متسعا فى حضرة قدسه
وظل جوده ولفظ الظل مستعار للجود ووجه المشابهة راحة المستظل بالظل من حر الشمس فاشبهها راحة
الملتجى الى جود الله المستظل به من حرارة جهنم وسعير عذابه والى الاشارة بقوله تعالى وظل ممدود والثانى
ان يجزيه مضاعفات الخير من فضله اى يضاعف له الكمالات من نعمه وقد علمت ان مراتب استحقاق نعم الله
غير متناهية الثالث ان يعلى على بناء البانين بناءه يحتمل ان يريد ببنائه ما شيده من الدين فيكون اعلاؤه
المطلوب هو اتمام دينه واظهاره بعده على الاديان كلها ويحتمل ان يريد به ما شيده من الملكات الخيرية
واستحقه من مراتب الجنة وقصورها الرابع ان يكرم لديه منزلته وهو اتاه المنزل المبارك الموعود فى قوله
رب انزلنى منزلا مباركا الخامس ان يتم له نوره وهو اما النور الذى بعث به واتمامه انتشاره فى قلوب العالمين
واما النور الذى فى جوهر ذاته وتمامه زيادة كماله السادس ان يجزيه عن ابتعاثه قبول شهادته ورضاء مقالته
ومقبول مفعول الجزاء وذا منطق نصب على الحال وقبول شهادته كناية عن تمام الرضى عنه اذ من كان مقبول
الشهادة مرضى القول فلابد وان يكون بريا من جهات الرذايل المسخطة او كناية عن كون مقتديا تزكية شاهد
من اعمال امته وغيرها بريئة عن كدر الاغاليط وشوايب الاوهام وكذلك رضاء اقواله فى شفاعته وغيرها
وكونه ذا منطق عدل اى لا يجور فيه عن الحق وخطبة فصل اى مميز للحق فاصلة له من الباطل وكل هذه الاعتبارات
وان اختلفت مفهوماتها ترجع الى مطلوب واحد وهو طلب زيادة كماله عليه السلام وقربه من الله تعالى وقوله
اللهم اجمع الى اخره سال الله ان يجمع بينه وبين الرسول فى امور احدها برد العيش والعرب يقول عيش بارد اذا كان
لاكلفة فيه من حرب وخصومة وهو فى الاخرة يعود الى ثمرات الجنة البريئة من كدر الاتعاب والثانى قرار النعمة
اى مستقرها وهو الجنة وحضرة رب العالمين الثالث منى الشهوات وهو ما يتمناه النفس من المشتهيات و
تهواه من اللذات بنعيم الابد الرابع رخاء الدعة ومنتهى الطمأنينة اى اتساع سكون النفس بلذة معارف
الحق والانس بالملأ الاعلى وامنها من مزعجات الدنيا وراحتها من معاناة افاتها الخامس تحف الكرامة
وهى ثمرات الجنة وقطوفها الدانية وسائر ما اعد لخواص اوليائه الابرار مما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ومن كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم بالبصرة قالوا لما اخذ مروان بن الحكم اسيرا
يوم الجمل فاستشفع بالحسن والحسين عليهما السلام الى امير المؤمنين فكلماه فيه فخلى سبيله فقالا له يبايعك

يا امير المؤمنين

يا امير المؤمنين فقال له او لم يبايعنى بعد قتل عثمان لا حاجة لى فى بيعته انها كف يهودية لو بايعنى بيده لغدر بسبته
اما ان له امرة كلعقة الكلب انفه وهو ابو الاكبش الاربعة وستلقى الامة منه ومن ولده يوما احمر اقول السبة
الاست والامرة بالكسر الولاية وكبش القوم رئيسهم ولما امتنع من بيعة مروان نبه على سبب امتناعه من ذلك
وهو انه مظنة الغدر وذلك قوله انها كف يهودية اذ من شان اليهود الخبث والمكر والغدر ثم فسر تلك
الكناية بقوله لو بايعنى بيده لغدر بسبته وذكر السبة اهانة له لان الغدر من اقبح الرذايل فنسبته الى السبة
اولى الست والعرب تسلك مثل ذلك فى كلامها قال المتوكل يوما لابى العيناء الى متى تمدح الناس وتذمهم
فقال ما احسنوا واساؤا ثم قال يا امير المؤمنين ان الله تعالى رضى فمدح فقال نعم العبد انه اواب وسخط
فذم فقال عتل بعد ذلك زنيم والزنيم ولد الزنا ثم ذكر مما سيكون من امر مروان ثلثة امور الاول انه سيصير
اميرا للمسلمين ونبه على قصر مدة امارته بتشبيهها بلعقة الكلب انفه ووجه الشبه هو القصر وكانت
مدة امرته اربعة اشهر وعشرا وروى ستة اشهر وانما خصه بلعقة الكلب لانه فى معرض الذم والبحث ثم اما كما
فى قوله اما انه سيظهر عليكم الثانى انه سيكون ابا الكبش الاربعة وكان له اربعة ذكور لصلبه وهم عبد الملك
وولى الخلافة وعبد العزيز وولى مصر وبشر وولى العراق ومحمد وولى الجزيرة ويحتمل ان يريد بالاربعة اولاد
عبد الملك وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام وكلهم ولى الخلافة ولم يلها اربعة اخوة الا هؤلاء
الثالث الى ما يصدر عنه ومن ذريته من الفساد فى الارض وما يلقى الناس منهم من القتل وانتهاك الحرمة
وكنى عن قتلهم للناس وشدايد ما يلقون منهم بالموت الاحمر ومن لسان العرب وصف الامر الشديد بالاحمر
ولعله لكون الحمرة صفة الدم كنى به عن القتل وروى يوما احمر وهو كناية عن مدة امرهم ووصفه بالحمرة
كناية عن شدته وفساد بنى امية ودمارهم للاسلام واهله مشهور وفى كتب التاريخ مسطور ومن كلام له عليه السلام
فى بيعة عثمان انى احق بها من غيرى ووالله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين ولم يكن فيها جور الا على خاصة
التماسا لاجر ذلك وفضله وزهدا فيما تنافستموه من زخرفها وزبرجها اقول الزخرف الزينة ويقال
الذهب والزبرج النقش والزينة بالحلية ايضا وقوله لقد علمتم انى احق بها يشير الى ما علم من وجه استحقاقه
للخلافة وهو استجماعه للفضايل الداخلية والخارجية والتصريح بها للخلافة وهو اما ان يعود الى ذكرها فى فصل
تقدم متصلا بهذا الفصل او لشهرتها وكون الحديث فيها قرينة معينة لها كما قال قبل لقد تقمصها وقوله والله
لاسلمن ما سلمت امور المسلمين اى لاتركن المنافسة فى هذا الامر ما سلمت امور المسلمين من الفتنة وفيه اشارة
الى ان غرضه عليه السلام من المنافسة فى هذا الامر هو صلاح حال المسلمين واستقامة امورهم وسلامتهم من الفتن
وقد كان لهم بمن سلف من الخلفاء قبله استقامة امر وان كانت لا يبلغ عنده كمال استقامتها لو ولى هو هذا
الامر فلذلك اقسم ليسلمن ذلك الامر ولا ينازع فيه اذ لو نازع فيه لثارت الفتنة بين المسلمين وانشق عصا
الاسلام وذلك ضد مطلوب الشارع وانما يتعين عليه النزاع والقتال عند خوف الفتنة وفيها فارقت

السؤال من وجهين الاول ما وجه منافسته في هذا الامر مع انه منصب يتعلق بامور الدنيا وصلاحها مع ما كان منه عليه السلام من الزهد فيها والاعراض عنها وذمها ورفضها الثاني كيف سلم هنا خوف الفتنة ولم يسلم لمعوية والطلحة والزبير مع قيام الفتنة في حربهم قلت الجواب عن الاول ان منصب رسول الله صلى الله عليه وآله ليس منصبا دنياويا وان كان متعلقا باصلاح احوال الدنيا لكن لا لكونها دنيا بل لانها مضمار الآخرة ومزرعتها والغرض من اصلاحها انما هو نظام احوال الخلق في معاشهم ومعادهم فمنافسته عليه السلام في هذا الامر على هذا الوجه من الامور المندوب اليها اذا اعتقد ان غيره لا يغني غناه في القيام به فضلا ان يقال انها لا يجوز وعن الثاني ان الفرق بين الخلفاء الثلثة وبين معوية في اقامة حدود الله والعمل بمقتضى اوامره ونواهيه ظاهر قوله ولم يكن فيها جور الا علي خاصة اي ظلم من عدل عنه ونسبه لهم الى الجور من حيث انه احقها في انتظامهم فاوصلوها اليه من سائر الخلفاء وخاصة نصب على الحال قوله التماسا لاجر ذلك الى آخره والتماسا مفعول له والعامل لاسلمن اي التمس ثواب الله وفضله جزاء صبري وكذلك قوله وزهدا مفعول له وفيه ايماء الى ان مقصود غيره من طلب هذا الامر والمنافسة فيه ليس الا الدنيا وزخرفها وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام لما بلغه اتهام بني امية له بالمشاركة في دم عثمن اولم ينه امية علمها بي عن قرفنا وما وزع الجهال سابقتي عن تهمتي ولما وعظهم الله به ابلغ من لساني انا حجيج المارقين وخصيم المرتابين على كتاب الله تعرض الامثال وبما في الصدور تجازى العباد اقول قرفني بكذا اي اتهمني به ونسبه الي ووزع كف وحجيجهم محاجهم والخصيم المخاصم وقوله اولم ينه اوما وزع استفهام عن عدم انتهائهم عن نسبته الى دم عثمان مع علمهم بحاله وقوته في الدين وعصمته على دم حرام فضلا عن مثل دم عثمان استفهاما على سبيل الانكار عليهم والتعجب منهم ونسبه لهم الى الجهل العظيم لجهلهم بمنزلة حاله وسابقته في الاسلام لبراءة زعما وقوته به وقوله ولما وعظهم الله به ابلغ من لساني تعذير لنفسه في عدم ردعهم عن الغيبة وامثالها اي اذا كان وعظ الله لهم مع كونه ابلغ من كلامي لا يردعهم فكلامي بطريق الاولى ووعظه كتاب الله كقوله ان بعض الظن اثم وقوله ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا الاية وقوله والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ونحو من القرآن كثيرا وارادوا بلسانه وعظه مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب وقوله انا حجيج المارقين اي الخوارج او كل من خرج عن دين الله وخصيم المرتابين اي الشاكين في نسبة هذا الامر اليه وقيل المنافقين الشاكين في صحة الدين وقوله على كتاب الله تعرض الامثال الى آخره اشارة الى الحجة التي يحج بها ويخاصم وتقريرها ان تعلق هذا المنكر به اما من جهة اقواله او افعاله او اعتقاده وارادته والثلثة باطلة فتعلق هذا المنكر به ونسبته اليه باطلة بيان الحصر ان هذه الجهات هي جهات صدور المنكر عن الانسان بيان بطلان الاول والثاني انه ان كان قد يحصل في اقواله وافعاله ما يشبه الامر بالقتل او فعله واوقع في نفوس الجهال شبهة القتل نحو ما روي عنه لما سئل عن قتل عثمن الله قتله وانا معه وتخلفه في داره يوم قتل عن الخروج فينبغي ان يعرض ذلك

على كتاب الله تعالى فانه عليه يعرض الامثال والاشباه فان دل على كون شيء من ذلك قتل فليحكم به والا ولن يدل ابدا فليس لهم ان يحكموا بالقتل من جهة قول او فعل واما بطلان الثالث فلان علم ما في القلوب الى الله وهو المجازي بما فيها من خير وشر وليسوا مطلعين على ما هنالك حتى يحكموا بالقتل من جهتها فاذن حكمهم بتعلق هذا المنكر به باطل وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام رحم الله امرا سمع حكما فوعى ودعي الى رشاد فدنا واخذ بحجزة هاد فنجا راقب ربه وخاف ذنبه قدم خالصا وعمل صالحا اكتسب مذخورا واجتنب محذورا رمى غرضا واحرز عوضا كابر هواه وكذب مناه جعل الصبر مطية نجاته والتقوى عدة وفاته ركب الطريقة الغراء ولزم المحجة البيضاء اغتنم المهل وبادر الاجل وتزود من العمل اقول الحجزة معقد الازار والمراقبة المحافظة والغراء البيضاء واعلم ان هذا الفصل يشتمل على ستة وعشرين وصفا الاول ان يسمع الحكم فيعيه والحكم الحكمة ودعاؤه لسامعها ووعيها ان يسلم امره تعليمها وتعليمها وهي اعم من العلمية والعملية ووعاها اي فهمها كالتفت اليه والثاني كونه اذا دعي الى رشاد دنا من الداعي اليه واجاب دعاه والرشاد يعود الى ما يهديه ويرشده في طريق معاشه ومعاده من العلوم والاعمال التي وردت بها الشريعة الثالث ان ياخذ بحجزة هاد فينجو به اي يكون في سلوكه لسبيل الله مقتديا بارشاد عالم ليحصل به نجاته واستعار لفظ الحجزة لاثار الارشاد وسننه ووجه المشابهة كون ذهن المقتدي لازما لتلك الاثار شبيهه في مضايق طريق الله وظلماتها بالمتجوه كاليد اللازمة للسالك الطريق المظلم ان يسلك قبل حجزة اخر قد سلك تلك الطريق وصار دليلا فيها ليهتدي به وينجو من التيه في ظلماتها وبين اهل السلوك خلاف انه هل يضطر المريد الى الشيخ في سلوكه ام لا واكثرهم يرى وجوبه ويفهم من كلامه عليه السلام وجوب ذلك ويمثل تهادنه بحجة الموجبون له اذ كان لسان العارفين ومنتهى طبقاتهم وظاهر ان طريق المريد مع الشيخ اقرب الى الحق وبدونه اطول واقرب الى الضلال عنها فلذلك قال عليه السلام فنجا اي ان النجاة معقلة به وقد ذكرنا ما احتج به العرفان في كتاب مصباح العارفين الرابع ان يراقب ربه واعلم ان المراقبة احدى ثمرات الايمان وهي مرتبة عظيمة من مراتب السالكين قال رسول الله صلى الله عليه وآله اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال ان الله كان عليكم رقيبا قال الامام الى رحمه الله وحقيقتها انها حالة للنفس يثمرها نوع من المعرفة وتثمر اعمالا في الجوارح والقلب اما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به واما العلم المثمر لها فهو العلم بان الله تعالى مطلع على السرائر والضمائر قائم على كل نفس بما كسبت وان سر القلوب مكشوف له كظاهر البشرة للخلق بل هو اشد فهذه المعرفة اذا استولت على القلب لم يبق فيها شبهة فلا بد ان تجذبه الى مراعاة الرقيب والموقنون بهذه المعرفة منهم الصديقون ومراقبتهم التعظيم والاجلال واستغراق القلب بملاحظة ذلك الجلال والانكسار تحت الهيبة والعظمة بحيث لا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير اصلا وهي مراقبة مقصورة على القلب اما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا عن المحظورات

وانا اعتركت بالطاعة كانت كالمستعمل لها فلا يصلح لغيرها ولا يحتاج الى تدبير في ضبطها على سنن السداد ومن نال هذه الرتبة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصرهم ولا يسمع اقوالهم ومثل هذا بمن يحضر في خدمة ملك عظيم فان بعضهم قد لا يحس بما يجري في حضرة الملك من استغراقه بهيبته وبمن يشغل امر مهم يفكر وروي ان يحيى بن زكريا عليه السلام مر بامرأة فدفعها على وجهها فقيل له لم فعلت هذا فقال ما ظننتها الا جدارا الثانية مراقبة الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله تعالى على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على الاعتدال متسعة للتلفت الى الاقوال والاعمال الا انها مع ممارستها للعمل لا تخلو عن المراقبة وقد غلب الحياء من الله على قلوبهم فلا تقدمون ولا يحجمون الا عن تثبت فيمتنعون عن كل امر فاضح في القيمة اذ يرون ان الله تعالى مشاهد لاعمالهم في الدنيا كما يرونه في القيمة ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج ان يراقب جميع حركاته وسكناته ولحظاته وجميع اختياراته ويرصد كل خاطر يسنح له فان كان الهيا تعجل مقتضاه وان كان شيطانيا بادر الى قمعه واستحيا من ربه ولام نفسه على اتباع هواها فيه وان شك فيه توقف الى ان يظهر له بنور الله سبحانه من اي جانب هو كما قال عليه السلام الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ولا يهمل شيئا من اعماله وخواطره وان قل ليسلم من مناقشة الحساب فقد قال الرسول صلى الله عليه وآله ان الرجل ليسأل عن كحل عينيه وعن فت الطين باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه الخامس ان يخاف ذنبه واعلم ان الخوف ليس مما هو ذنب بل من التعاقب على الذنب لكن لما كان الذنب سببا موجبا لسخط المعاقب وعقابا نسب الخوف اليه وقد سبق منا بيان حقيقة الخوف والرجاء السادس ان يقدم خالصا اي يكون احواله كلها خالصة لله من قول وعمل وخاطر يتبرء عن الالتفات الى غيره فيها وقد سبق معنى الاخلاص في الخطبة الاولى السابع ان يعمل صالحا وصلاح العمل الاتيان به كما امر به وهو نوع مما تقدم الثامن ان يكتسب مذخورا وهو ما يدخره من الثواب الماثور باكتسابه ونبه على وجوب التعب فيما يبقى ذخرا ليوم الفاقة اليه التاسع ان يجتنب محذورا وهو ما يحذر من الشريعة عنه ونبه على وجوب اجتنابه بكونه محذورا يستلزم العقاب في الآخرة العاشر ان يرمي غرضا اي يقصد لغرض الدنيا عن درجة الاعتبار وهو اشارة الى الزهد والتخلي عن موانع قبول الرحمة الحادي عشر ان يحرز عوضا اي يبقي في جوهر نفسه ملكات خيرية وتوجه سره الى مطالعة انوار كبرياء الله ويحرز ما يعاوض عليه من الحسنات ويثيبها ويكرمها فنعم العوض هي عن متاع الدنيا واعراضها الفانية الثاني عشر ان يكابر هواه اي يطوع نفسه الامارة بالسوء بالاعمال الدينية ويراقبها في كل خاطر يلقيه الى نفسه ويقابلها بكسره وقمعه الثالث عشر ان يكذب مناه اي يقابل ما يلقيه اليه الشيطان من الاماني ويعده به بالتكذيب والقمع لم يجوز عدم نيلها وقطع مادة ذلك بالمراقبة فان الوساوس الشيطانية تتبع بعضها بعضا ومن اشار ابه عليه السلام الى ذلك الحكم والتمني فانها بضائع النوكى اي الحمقى الرابع عشر ان يجعل الصبر مطية نجاته والصبر هو مقاومة النفس لئلا

تنقاد الى قبائح اللذات ولما علمت ان الانقياد في سلك اللذات القبيحة هو سبب الهلاك في الآخرة علمت ان مقاومتها ودفعها عنها هو سبب النجاة هناك وقد استعار لفظ المطية للصبر ووجه المشابهة كون لزومه سببا للنجاة كما ان ركوب المطية والهرب عليها سببا للنجاة من العدو الخامس عشر ان يجعل التقوى عدة وفاته ولما كان التقوى قد يراد به الزهد وقد يراد به الخوف من الله المستلزم للزهد كما علمت وكانت العدة هو ما استعد به الانسان للقاء الحوادث وكان الموت اعظم حادث يسنح للانسان من احوال الآخرة لا جرم كان التقوى عدة الموت اذ كان المتقي مشغول السر بعظمة الله وهيبته عن كل حال تلحقه فلا يكون للموت عنده كثير وقع ولا عظيم كرب وقد يراد بالتقوى مطلق الايمان وبالوفاة ما بعدها مجازا وظاهر كون الايمان عدة واقية من عذاب الله السادس عشر ان يركب الطريقة الغراء وهو ان يسلك الى الله تعالى الطريقة الواضحة المستقيمة وهي شريعة السابع عشر وان يلزم المحجة البيضاء والفرق بين هذا الامر والذي قبله ان الاول امر بركوب الطريقة الغراء والثاني امر بلزومها وعدم مفارقتها فانها وان كانت واضحة الا انها طويلة كثيرة المخاوف وسالكها ابدا محارب الشيطان وهو في معرض ان يستزله عنها الثامن عشر ان يغتنم المهل اي ايام مهلته وهي حيوته الدنيا واغتنامه العمل فيها قبل يوم الحساب التاسع عشر ان يبادر الاجل اي يسابقه الى العمل قبل ان يسبقه فيقطعه عنه العشرون ان يتزود من العمل واعلم انه عليه السلام راعي في هذه الفقر التسجيع المتوازي وجعل الصدر ثلثا والآخر ثلثا وعطف كل قرينة على مشاركها في الحرف الاخير منها وحذف حرف العطف من السابع ليتميز ما يتناسب منها عن غيره وكل ذلك بلاغة ومن كلام له عليه السلام ان بني امية ليفوقونني تراث محمد صلى الله عليه وآله وسلم تفويقا والله لئن بقيت لهم لانفضنهم نفض اللحام الوذام التربة ويروى التراب الوذمة وهو على القلب قوله ليفوقونني اي يعطونني من المال قليلا قليلا كفواق الناقة وهو الحلبة الواحدة من لبنها والوذام جمع وذمة وهي الحزة من الكرش او الكبد تقع في التراب فتنفض اقول استعار لفظ التفويق لعطيتهم له المال قليلا ووجه المشابهة هو قلة ما يعطونه منه مع كونه في دفعات كما يعطي الفصيل ضرع امه الدرة ثم يدفع عنها لتحلب ثم يعاد اليها لتدر وتراث محمد اشارة الى الفيء الحاصل ببركته صلى الله عليه وآله وهو التراث اللغوي المكتسب عن ابيه بوجه ما ثم اقسم ان بقي لبني امية ليحرمنهم التقدم في الامور واستعار لفظ النفض لابعادهم عن ذلك وشبه نفضه لهم بنفض القصاب القطعة من الكبد او الكرش من التراب اذا اصابته وهذه الرواية هي الحق والثانية سهو من الناقلين وقد ورد عنه هذا الكلام بزيادة ونقصان وفي رواية اخرى وذلك ان سعيد بن العاص حيث كان امير الكوفة من قبل عثمان بعث اليه بصلة فقال والله لا يزال غلام من غلمان بني امية يبعث الينا ما افاء الله على رسوله بمثل قوت الارملة والله لئن بقيت لانفضنها نفض القصاب الوذام التربة ومن كلمات كان يدعو بها عليه السلام اللهم اغفر لي ما انت اعلم به مني فان عدت فعد لي بالمغفرة اللهم اغفر لي ما وايت من نفسي ولم

له وقاعدى اللهم اغفر لى ما تقربت به اليك ثم خالفه قلبى اللهم اغفر لى رمزات الالحاظ وسقطات
الالفاظ وشهوات الجنان وهفوات اللسان اقول الوايى الوعد والرمزات جمع رمزة وهى الاشارة بما لعين
او الحاجب او الشفة والسقط من الشئ رديه والهفوة الزلة وقد سال الله سبحانه فى جميع هذا الفصل
المغفرة ومغفرة الله للعبد تعود الى ستر عليه ان يقع فى مهاوى الهلكة فى الآخرة او يكشف مقابحه
لاهل الدنيا فيها وكل ذلك يعود الى توفيقه لاسباب السعادة وجذبه بها عن متابعة الشيطان فى الما
قبل صدورها منه او قبل صيرورتها ملكات فى جوهر نفسه والمطلوب غفره امور الاول ما الله اعلم به منه
مما هو عند الله معصية وسيئة فى حقه وهو لا يعلمها فيفعلها ثم طلب تكرار مغفرة الله لما يعاوده ويتكرر منه
كذلك واذا تصورت معنى المغفرة تصورت كيف تكرارها الثانى ما وعد من نفسه ان يفعل لله ثم لم يوف
به وما هنا مصدرية ولا شك ان مطال النفس بفعل الخير وعدم الوفاء بما يكون عن خاطر شيطانى
يجب ان يستغفر الله له ويسال ستره ببعث الدواعى الجاذبة عن متابعة الشيطان المحرك له الثالث شوب النفس
ما يتقرب به من الاعمال الى الله بالرياء والسمعة ومخالفة نية القربة اليه بقصد غيره بها ولا شك ان ذلك
شرك خفى جاذب عن الترقى فى درجات العلى ويحتاج الى تدارك الله بالمغفرة والجذب عنه قبل تمكنه من
النفس الرابع الاشارة باللحظ وهو الايماء الخارج عن حدود الشريعة كما يفعل عند التنبيه على تنقص بعض
او ليضحك منه او يظلم وكل ذلك عن خواطر شيطانية ينبغى ان يسال الله تعالى رفع اسبابها وستر النفس
عن التدنس بها الخامس سقطات الالفاظ والردى من القول هو ما كان فحشا او زورا ونحوه مما يخرج بها
الانسان عن مستقيم صراطه السادس شهوات القلوب فمن روى بالشين المعجمة فالمراد جذب القوة
الشهوية للنفس الى مشتهياتها ومن روى بالسين فسهوات القلب خواطره التى لا يشعر بتفصيلها اذ كانت
اوامر الله وقد تستتبع حركة بعض الجوارح الى فعل خارج عن حدود الله ايضا وذلك وان كان لا يوجب اثما
فى النفس ولا يؤاخذ به الا انه ربما يقوى بقوة اسبابه وكثرتها فيقطع العبد عن سلوك سبيل الله كما فى
حق المنهمكين فى لذات الدنيا المجردين لها فان احدهم ربما رام انه بين يصلى الفرض فيصلى الصلوة
الواحدة مرتين او مرارا ولا يتثبت عدد ركعاتها وسجداتها ونحو مثل ذلك يجذب العبد عن الاسباب
الموجبة له السابع هفوات اللسان اى الزلل الحاصل من قبله وما ذلك الا عن خاطر شيطانى وعدم
توفيقه ملكا ومنه هواه واعلم ان الشيعة لما اوجبوا عصمته عليه السلام عن حملوا طلبه لمغفرة هذه الامور
على وجهين احدهما وهو الاوفق ان طلبه المغفرة منها انما هو على تقدير وقوعها منه فكانه قال اللهم ان صدر عنى
شئ من هذه الامور فاغفره لى وقد علمت انه لا يلزم من صدق الشرطية صدق كل واحد من جزئيها فلا يلزم من
صدق كلامه صدور شئ منها حتى يحتاج الى المغفرة الثانى انهم حملوا ذلك على باب التاسى وتعليمهم كيفية
الاستغفار من الذنوب وعلى التواضع والاعتراف بالعبودية وان البشر فى مظنة التقصير والاساءة

واما من لم يوجب عصمته فالامر معه ظاهر وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام قاله لبعض اصحابه لما عزم
على المسير الى الخوارج فقال له يا امير المؤمنين ان سرت فى هذا الوقت خشيت عليك ان لا تظفر بمرادك
من طريق علم النجوم فقال له اتزعم انك تهدى الى الساعة التى من سار فيها صرف عنه السوء وتخوف الساعة
التى من سار فيها حاق به الضر فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن واستغنى عن الاستعانة بالله فى نيل
المحبوب ودفع المكروه وينبغى فى قولك للعامل بامرك ان يوليك الحمد دون ربه لانك بزعمك انت هديته
الى الساعة التى نال فيها النفع وامن فيها الضر ثم اقبل عليه السلام على الناس فقال ايها الناس اياكم
وتعلم النجوم الا ما يهتدى به فى بر او بحر فانها تدعو الى الكهانة المنجم كالكاهن كالساحر كالكافر والكافر
فى النار سيروا على اسم الله اقول حاق به احاط ويوليه كذا اى يعطيه اياه ويجعله اولى به وروى ان المشير عليه
بذلك كان عفيف بن قيس اخا الاشعث بن قيس وكان يتعاطى علم النجوم امران احدهما اشتغال متعلمها
بها واعتماد كثير من الخلق السامعين لاحكامها فيما يرجون ويخافون عليه فيما يسنده الى الكواكب والاوقات
والاشتغال بالفزع اليه والى ملاحظة الكواكب عن الفزع الى الله تعالى والغفلة عن الرجوع اليه فيما يهم من
الاحوال وقد علمت ان ذلك مضاد مطلوب الشارع اذ كان غرضه ليس الا دوام التفات الخلق الى الله
وتذكرهم لمعبودهم بدوام حاجتهم اليه الثانى ان الاحكام النجومية اخبارات عن امور وهى تشبه الاطلاع
على الامور الغيبية واكثر الخلق من العوام والنساء والصبيان لا يميزون بينها وبين علم الغيب والاخبار
به فكان تعلم تلك الاحكام والحكم بها سببا لضلال كثير من الخلق وموهنا لاعتقاداتهم فى المعجزات
اذ الاخبار عن الكائنات منها وكذلك فى عظمة بارئهم ويشككهم فى عموم صدق قوله تعالى قل لا يعلم من
السموات والارض الغيب الا الله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقوله ان الله عنده علم الساعة
وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى ارض تموت وذلك
عين التكذيب للقرآن وكان هذين الوجهين هما المقتضيان لتحريم الكهانة والسحر والعزايم ونحوها و
اما مطابقة لسان الشريعة للعقل فى تكذيب هذه الاحكام فبيانها ان اهل النظر اما متكلمون فاما معتزلة
او اشعرية اما المعتزلة فاعتمادهم فى تكذيب المنجم على امرين احدهما ان الشريعة كذبته وعندهم ان كل
حكم شرعى فيشتمل على وجه عقلى وان لم يعلم عين ذلك الوجه والثانى مناقشته فى ضبطه للاسباب لما
ما اخبر عنه من كون او فساد واما الاشعرية فهم وان قالوا انه لا مؤثر الا الله تعالى وزعم بعضهم انهم
خلصوا بذلك من اسناد التاثير الى الكواكب الا انه لا مانع على مذهبهم ان يجعل الله تعالى اتصال
نجم بنجم او حركته علامة على كون كائن او فساده وذلك مما لا يبطل على المنجم قاعدة فيرجعون ايضا الى بيان
عدم احاطته باسباب كون ما اخبر عنه ومناقشته فى ذلك واما الحكماء فاعلم انه قد ثبت فى اصولهم
ان كل كائن فاسد فى هذا العالم فلا بد له من اسباب اربعة فاعلى ومادى وصورى وغائى اما السبب

الفاعلى القريب فالحركات السماوية والذى هو اسبق منها فالمحرك لها الى ان ينتهى الى الجود الالهى المعطى
لكل قابل ما يستحقه واما سببه المادى فهو القابل لصورته وينتهى القوابل الى القابل الاول وهو مادة
العناصر المشتركة بينها واما الصورى فصورته التى تقبلها مادته واما الغائى فهى التى لاجلها وجد اما
الحركات السماوية فان من الكائنات ما يحتاج فى كونه الى دورة واحدة للفلك ومنها ما يحتاج الى بعض
دورة ومنها ما يحتاج الى جملة من دوراته واتصالاته واما القوابل للكائنات فقد تقرر عندهم انه
ان قبولها لكل كائن معين مشروط باستعداد معين له وذلك الاستعداد يكون بحصول صورة سابقة
عليه وهكذا قبل كل صورة صورة معدة لحصول الصورة بعدها وكل صورة منها ايضا تستند الى الاتصالات
والحركات الفلكية ولكل استعداد معين زمان معين وحركة معينة واتصال معين يخصه لا يفى بدركها
القوة البشرية اذا عرفت ذلك فنقول الاحكام النجومية اما ان يكون جزئية اما الجزئية فان يحكم
مثلا بان هذا الانسان يكون من حاله كذا وكذا وظاهر ان مثل هذا الحكم لا سبيل الى معرفته اذ العلم
انما هو من جهة اسبابه اما الفاعلية فان تعلم ان الدورة المعينة او الاتصال المعين سبب لملك هذا
الرجل البلد المعين مثلا وانه لا سبب فاعلى لذلك الا هو والاول باطل لجواز ان يكون السبب غير
ذلك الاتصال وهو مع غيره اقصى ما فى الباب ان يقال انما كانت هذه الدورة وهذا الاتصال سببا
لهذا الكائن لانها كانت سببا لمثله فى الوقت الفلانى لكن هذا ايضا باطل لان كونها سببا للكائن
السابق لا يجب ان يكون لكونها مطلق دورة واتصال بل لعله ان يكون لخصوصية كونها تلك المعينة
التى لا يعود بعينها فيما بعد وحينئذ لا يمكن الاستدلال بحصولها على كون هذا الكائن لان المؤثرات
المختلفة لا يجب تشابه آثارها والثانى ايضا باطل لان العقل جزم بانه لا اطلاع له على انه لا مقتضى لذلك
الكائن من الاسباب الفاعلية الا الاتصال المعين وكيف وقد تبين ان من الكائنات ما يفتقر الى اكثر
من اتصال واحد ودورة واحدة واقول واما القابلية فان تعلم ان المادة قد استعدت لقبول مثل هذا
الكائن واستجمعت جميع شرايط قبوله الزمانية والمكانية والسماوية والارضية وظاهر ان الاحاطة
بذلك مما لا يفى به القوة البشرية واما الصورية والغائية فان علم ما يقتضيه استعداد مادة ذلك المعين
وقبولها من الصورة وما يتلزمه من الشكل والمقدار وان يعلم ما غاية وجوده وما اعدته العناية له
ظاهر ان الاحاطة بذلك غير ممكنة للانسان واما احكامهم الكلية فكان يقال كلما حصلت الدورة
الفلانية كان كذا والمنجم انما يحكم بذلك الحكم عن جزئيات من الدورات تشابهت آثارها فظنها
متكررة ولذلك يعدلون اذا حقق القول عليهم الى دعوى التجربة وقد علمت ان التجربة تعود الى تكرر مشاهدات
يضبطها الحس والعقل يحصل منها حكما كليا كالحكم بان كل نار محرقة فانه لما امكن العقل استثبات الا
بواسطة الحس امكنه الجزم الكلى بذلك فاما التشكلات الفلكية والاتصالات الكوكبية المقتضية

لكون ما يكون فليس شئ منها يعود بعينه كما علمت وان جاز ان يكون تشكلات وعودات متقاربة الاحوال
ومتشابهة الاثار لا يمكن للانسان ضبطها ولا الاطلاع على مقدار ما بينها من المشابهة والتفاوت وذلك
ان حساب المنجم مبنى على قسمة الزمان بالشهور والايام والساعات والدرج والدقايق واجزائها وتقسيم الحركة
بازائها ورفع بينهما نسبة عددية وكل هذه امور غير حقيقية وانما يؤخذ على سبيل التقريب اقصى ما فى
الباب ان التفاوت فيها لا يظهر فى المدد المتقاربة لكنه يشبه ان يظهر فى المدد المتباعدة ومع ظهور التفاوت
فى الاسباب كيف يمكن دعوى التجربة وحصول العلم الكلى الثابت الذى لا يتغير باستمرار آثارها على وتيرة واحدة
ثم لو سلمنا انه لا يظهر تفاوت اصلا الا ان العلم بعود مثل الدورة لا يقتضى بمجرده العلم بعود مثل الاثر السابق
لتوقف العلم بذلك على عود امثال الاسباب الباقية للاثر السابق من الاستعداد وسائر اسباب الطبيعة
وسائر اسبابه العلوية والسفلية وعلى ضبطها فان العلم التجربى انما يحصل بعد حصرها ليعلم عودها وتكررها
وكل ذلك مما لا سبيل للقوة البشرية الى ضبطه فكيف يمكن دعوى التجربة اذا عرفت ذلك فنقول قوله اتزعم
الى قوله الضر استفهام لما فى العادة ان تدعيه الاحكاميون كما ادعاه المنجم المشير بعدم المسير فى ذلك الوقت
اقول فمن صدقك بهذا الى قوله الضر الزامات له على ما يعتقده تنفر بها عن قبول احكام المنجم والاعتقاد
اولها ان من صدقه فقد كذب القرآن ووجه التكذيب ما ذكرناه الثانى كون مصدقه يستغنى عن الاستعانة
بالله فى نيل محبوبه ودفع مكروهه اى يفزع اليه فى كل امر يهم به ويجعله عدة له فيعرض عن الفزع الى الله كما
سبق الثالث انه ينبغى للعامل ان يوليه الحمد دون ربه وعلل هذا الالزام بقياس ضمير من الشكل الاول صورته
انك تزعم انك تهدى الى ساعة النفع والضر وكل من زعم ذلك فقد اهل نفسه لاستحقاق الحمد من مصدقه دون
الله فينتج انه قد اهل نفسه لاستحقاق الحمد من مصدقه دون الله والكبرى من المخيلات وقد يستعملها الخطيب
المنفر عن بعض الامور التى يقصد النهى عنها وقوله ايها الناس الى قوله بحر او بر تحذير عن تعلمها لما ذكرناه و
استثنى من ذلك تعلمها للاهتداء بها فى السفر واعلم ان الذى ذكرناه ليس الا بيان ان الاصول التى يبنى عليها
الاحكاميون احكامهم وما يخبرون به فى المستقبل اصول غير موثوق بها فلا يجوز الاعتماد عليها فى تلك
الاحكام والجزم بها وهذا لا ينافى كون تلك القواعد ممهدة بالتقريب كقسمة الزمان وحركة الفلك بالسنة
والشهر واليوم ماخوذا عنها حساب يبنى عليه مصالح اما دينية كمعرفة اوقات العبادات كالصوم والحج ونحوها
او دنيوية كآجال المداينات وسائر المعاملات وكمعرفة الفصول الاربعة ليعمل فى كل منهما ما يليق به من الحرث
والسفر واسباب المعاش وكذلك معرفة قوانين تقريبية من اوضاع الكواكب وحركاتها يهتدى بقصدها
وعلى سمتها المسافرون فى بر او بحر فان ذلك القدر منها غير محرم بل لعله من الامور المستحبة لخلو المصالح
المذكورة فيه عن وجوه المفاسد التى يشتمل عليها الاحكام كما سبق ولذلك امتن الله تعالى على عباده بخلق الكواكب
فى قوله وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر وقوله ولتعلموا عدد السنين والحساب وقوله

فانها الى آخره تعليل التعبير عن نقلها وتعبير عنها بقياس آخر موصول ينتج منه ان المنجم في النار وعلى تقدير
تفصيله فالنتيجة الاولى كون المنجم كالساحر وهي مع قوله والساحر كالكافر ينتج ان المنجم كالكافر وهذه
النتيجة مع قوله والكافر في النار ينتج المطلوب وهو ان المنجم في النار والقياسان الاولان من قياس الشكل
وقد علمت انه على الاختلال الى الحدود والمرتبة في القياس المنتج لان موضوع الكبرى جزء من محمول الصغرى
فليس الاوسط بمشترك فهو معدول لكن وجه الى وقوع الشركة في بعض الاوسط ولعلك تحتاج ان تعرف بابه
ويعمل لتحليله قانون يرجع اليه امثاله وقد سبق مثله في الخطبة الاولى فاقاصل على القياس الصحيح كان
تقديره المنجم يشبه الكاهن المشبه للساحر والمشبه للساحر فينتج ان المنجم يشبه الساحر وهكذا في القياس
الثاني المنجم يشبه الساحر المشبه للكافر يشبه الكافر فالمنجم يشبه الكافر والكافر في النار فالمنجم كذلك
وهو القياس الثالث نتيجة فاما بيان معنى الكاهن والساحر والاشارة الى وجوه التشبيهات المذكورة
فاعلم انا قد اشرنا في المقدمة الى امكان وجود نفس تقوى على الاطلاع على ما سيكون وعلى التصرفات
العجيبة في هذا العالم فتلك النفس ان كانت كاملة خيرة مجذوبة من الله تعالى مدعو الى السلوك الى سبيله
وما يقود اليه فهي نفوس الانبياء والاولياء وذوي المعجزات والكرامات وان كانت ناقصة شريرة منجذبة
عن تلك الجهة وعن تلك الطالبة لتلك المرتبة بل مقتصرة على رذايل الاخلاق وخسايس الامور كالكهن
ونحوه فهي نفوس الكهنة والسحرة واعلم ان اكثر ما يظهر قوة الكهانة ونحوها من قوى النفس في اوقات
الانبياء وقبيل ظهورهم وذلك ان الفلك اذا اخذ في التشكل بشكل يتم به في العالم حدوث عظيم عرض
من ابتداء ذلك الشكل وغايته احوال في الارض شبيهة بما يريد ان يتم ولكنها يكون غير تامة لان بها
عن تمام فاذا استكمل ذلك الشكل في الفلك وتم وجد به في العالم ما يقتضيه في اسرع زمان لسرعة تبدل الشكل
الفلك فيظهر تلك القوة التي يوجبها ذلك الشخص في شخص واحد او شخصين او اكثر على حسب ما يقتضيه العناية
الالهية ويستوعب ذلك الشخص تلك القوة على الكمال فاما من قرب من ذلك الشكل ولم يستوفه فانه يكون
ناقص القوة بحسب بعده من الشكل ويظهر ذلك النقصان بظهور النبوة المقصودة من ذلك الشكل فيتبين
قصور القوى المتقدمة على النبي والمتاخرة عنه ونقصانها عن قوة ذلك التمام فاما صفة الكاهن من اصحاب
تلك القوى فهو ان صاحب قوة الكهانة اذا احس بها من نفسه حركها اليها بالارادة لتكملها فتبرزها في امور
حسية ويثيرها في علامات يجري مجرى الفال والزجر وطرق الحصى وربما استعان بالكلام الذي فيه سجع
موازنة او بحركة عينيه من عدو وحيث كما حكي عن كاهن من الترك وكما نقل الي شاهد كاهنا كان في زماننا
وتوفي منذ عشرين سنة يكنى بابي عمر وكان بناحية من ساحل البحر يقال لها الهاقلهات وانه كان اذا سئل عن امر
استعان بتحريك راسه تحريكا يقوى ويضعف بحسب الحاجة واجاب عقيب ذلك وقيل انه كان قد يستغني في بعض
الاخبارات عن تلك الحركة والغرض من ذلك اشغال النفس عن المحسوسات فيداخل نفسه ويقوى فيها ذلك

الامر

الاثر ويجيز نفسه عن تلك الحركة ما تنفذ في على لسانه وربما صدق الكاهن وربما كذب وذلك انه يتنقص
بامرها بين الكمال عن ذا لحل فيه فيعرض له الكذب ويكون غير موثوق به وربما تعمد الكذب خوفا من كساد بضاعته
فيستعمل الزرق ويعجز عما لا اثر له في نفسه ويضطر الى التخمين ودرجات هولاء متفاوتة بحسب قربهم من
الافق الانساني وبعدهم منه وبقدر قبولهم للاثر العلوي ويتميزون عن الانبياء بالكذب وما يدعونه
من المحالات وان اتفق ان يلزم احدهم الصدق فانه لا يتجاوز قدره في قوته ويبادر الى التصديق باول ما
يلوح من النبي ويعرف فضله كما روي عن طليحة وسواد بن قارب ونحوهما من الكهنة في زمان الرسول صلى
الله عليه وآله اذا عرفت ذلك فنقول اما قوله فانها تدعوا الى الكهانة اي انها تدعو المنجم في آخر امره الى
ان يصير نفسه كالكاهن في دعوى الاخبار عما سيكون ثم اكد كونها داعية الى التمكين تشبيهه بالكاهن
واعلم ان الكاهن يتميز عن المنجم بكون ما يخبر به من الامور الكائنة انما هو عن قوة نفسانية له وظاهر ان
ذلك ادعى له فساد اذهان الخلق واغوائهم لزيادة اعتقادهم فيه على المنجم واما الساحر فيتميز عن الكاهن
بان له قوة على التاثير في امر خارج عن بدنه آثارا خارجة عن الشريعة مؤذية للخلق كالتفريق بين الزوجين
ونحوه وتلك زيادة شر آخر على الكاهن ادعى له فساد اذهان الناس وزيادة اعتقادهم فيه وانفعالهم
عنه خوفا ورغبة واما الكافر فيتميز عن الساحر بالبعد الاكبر عن الله تعالى وعن دينه وان شاركه في اصل
الانحراف عن سبيل الله وحينئذ صار الضلال والفساد في الارض مشتركا بين الاربعة الا انه مقول عليهم
بالاشد والاضعف فالكاهن اقوى في ذلك من المنجم والساحر اقوى من الكاهن والكافر اقوى من الساحر
ولذلك التفاوت جعل عليه السلام الكاهن اصلا في التشبيه للمنجم لزيادة فساده عليه في الجهة به وجعل
الساحر اصلا للكاهن والكافر اصلا للساحر لان التشبيه يستدعي كون المشبه به اقوى في الوصف الذي
فيه التشبيه ونحوه وقد لاح من ذلك ان وجه التشبيه في الكل هو ما يشتركون فيه من العدول والانحراف
عن طريق الله بالتنجيم والكهانة والسحر والكفر وما يلزم من ذلك من صد كثير من الخلق عن سبيل الله وان اختلفت
جهات هذا العدول بالشدة والضعف كما بيناه ولما فرغ عليه السلام من تنفير اصحابه عن تعلم النجوم وقبول
احكامها وعن ذهابهم من ذلك بالتخويف المذكور امرهم بالمسير الى الحرب وروي انه سار في تلك الساعة
الى الخوارج وكان منه ما علمت من الظفر بهم وقتلهم حتى لم يفلت منهم غير تسعة نفر ولم يهلك من اصحابه
غير ثمانية نفر كما سبق بيانه وذلك بيان لخطاء ذلك المنجم وتكذيب في مقاله وبالله التوفيق **ومن كلام
له عليه السلام** بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء معاشر الناس ان النساء نواقص الايمان نواقص الحظوظ
نواقص العقول فاما نقصان ايمانهن فقعودهن عن الصلوة والصيام في ايام حيضهن واما نقصان عقولهن
فشهادة الامرأتين منهن كشهادة الرجل الواحد واما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الانصاف من مواريث
الرجال فاتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر

اقول لما كانت واقعة الجمل واشتملت عليه من هلاك جمع عظيم من المسلمين منسوبا الى راي امراة اراد ان
ينبه على وجوه نقصان النساء واسبابه فذكر نقصانهن من وجوه ثلثة احدها كونهن نواقص الايمان و
اشار الى جهة النقص فيه بقعود احديهن عن الصلوة والصوم ايام الحيض ولما كان الصوم والصلوة من كمال
الايمان ومتممات الرياضة كان قعودهن عن الارتياض بالصوم والصلوة في تلك الايام نقصانا لايمانهن
وانما رفعت الشريعة التكليف عنهن بالعبادتين المذكورتين لكونهن في حال مستقذرة لا يناسب اهليتها
للوقوف بين يدي الملك الجبار ويعقل للصوم وجه آخر وهو انه يزيد الحايض الى ضعفها ضعفا عن ما لله
واسرار الشريعة ادق واجل ان يطلع عليها عقول ساير الخلق الثاني كونهن نواقص حظ واشار الى جهة
نقصانه بان ميراثهن على النصف من ميراث الرجال كما قال تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ
الانثيين والذي يلوح من سر ذلك كثرة المؤنة على الرجل وهو اهل التصرف وكون المراة من شانها ان يكون
مكفولة محتاجة الى قيم هو لها كالخادم الثالث كونهن نواقص عقول ولذلك سبب من داخل وهو نقصان
استعداد امزجتهن وقصورهن عن قبول تصرف العقل كما نبه تعالى عليه بقوله فرجل وامراتان ممن ترضون
من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى فانه نبه على ضعف القوة الذاكرة فيهن ولذلك
جعل شهادة امراتين بشهادة رجل واحد وله ايضا سبب عارض من خارج وهو قلة معاشرتهن لاهل العقل
والتصرفات وقلة رياضتهن لقواهن الحيوانية بلزوم القوانين العقلية في تدبير امر المعاش والمعاد
ولذلك كانت احكام القوى الحيوانية فيهن غالبة على احكام عقولهن فكانت المراة ارق واحكى وابكى واحسد
والج وابغى واجزع واوقح واكذب واكثر واقبل للمكر واذكر لمحقرات الامور ولكونها بهذه الصفات اقتضت
الحكمة الالهية ان يكون عليها حاكم ومدبر يعيش بتدبيره وهو الرجل فقال تعالى الرجال قوامون على
النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم ولشدة قبولها للمكر وقلة طاعتها للعقل
مع كونها مشركة وداعية الى نفسها اقتضت ايضا ان يبين في حقها التشر والتحذر وقوله فاتقوا شرار النساء
وكونوا من خيارهن على حذر لما نبه على جهات نقصانهن وقد علمت ان النقصان يستلزم الشر لاجرم نفر
عنهن فامر اولا بالخشية من شرارهن وهو يستلزم الامر بالهرب منهن وعدم مقاربتهن فاما خيارهن
فانه امر بالكون منهن على حذر ويفهم من ذلك انه لما كان لا بد من مقاربتهن وكان الانسان انما يختار
مقارنة الخيرة منهن فينبغي ان يكون معها على تحرز وتثبت في سياستها وسياسة نفسه معها لانه لم يكن
الخيرة منهن خيرة الا بالقياس الى الشريرة ثم نهى عن طاعتهن في المعروف كيلا يطمعن في المنكر واشار
الى طاعتهن فيما يشرن به من معروف تخصيصهن به ويامرن مطلقا وان كان معروفا وفيما يطلبنه
من زيادة المعروف والاحسان اليهن واكرامهن بالزينة ونحوها فان طاعتهن فيما يشرن به من معروف
تدعوهن الى الشور بما لا ينبغي والتسلط على الامر به فان فعل فليفعل لانه معروف لا لانه مقتضى

رايهن

رايهن وزيادة اكرامهن من مقويات دواعي الشهوة والشر فيهن حتى ينتهي بهن الطمع الى الاقتراح وطلب
الخروج الى المواضع التي يرى فيها زينتهن ونحو ذلك اذ العقل مغلوب فيهن بدواعي الشهوات وفي المثل
المشهور لا تطع عبدك كراعا فياخذ ذراعا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يخطب يوم عيد فالتفت الى صفوف
النساء فقال معاشر النساء تصدقن فاني رايتكن اكثر اهل النار عددا فقالت واحدة منهن ولم يا رسول
الله فقال لانكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير وتمكث احداكن شطر عمرها لا تصوم ولا تصلي **ومن
خطبة له عليه السلام** ايها الناس الزهادة قصر الامل والشكر عند النعم والورع عن المحارم فان عزب ذلك
عنكم فلا يغلب الحرام صبركم ولا تنسوا عند النعم شكركم فقد اعذر الله اليكم بحجج مسفرة ظاهرة وكتب بارزة
العذر واضحة **اقول** عزب ذهب وبعد واعذر اظهر عذره ومسفرة مشرقة واعلم ان قوله ايها الناس الى قوله
عند المحارم تفسير للزهد وقد رسمه بثلثة لوازم له الاول قصر الامل ولما علمت فيما سلف ان الزهد
هو اعراض النفس عن متاع الدنيا وطيباتها وقطع الالتفات الى ما سوى الله تعالى وظاهر ان ذلك الاعراض
مستلزم لقصر الامل في الدنيا اذ كان الامل انما يتوجه نحو مامول والملتفت الى الدنيا كيف يتصور
طول امله لشيء منها الثاني الشكر على النعمة وذلك ان العبد بقدر التفاته عن اعراض الدنيا يكون
محبته لله واقباله عليه واعترافه بالحق بالآية وذلك ان الشكر حال للقلب يثمرها العلم بالمشكور
وهو في حق الله ان يعلم انه لا منعم سواه وان كل منعم يقال في العرف فهو واسطة مسخرة من نعمته وتلك
الحال يثمر العمل بالجوارح الثالث الورع وهو لزوم الاعمال الجميلة والوقوف على حدود الله عن التورط
في محارمه وهو ملكة تحت العفة وقد علمت ان الوقوف على التورط في المحارم ولزوم الاعمال الجميلة
لازمة للالتفات عن جانب الدنيا ولذاتها المنهي عن الميل اليها وهذا التفسير منه عليه السلام مستلزم
للامر به وقوله بعد ذلك فان عزب عليكم الى آخره يحتمل معنيين احدهما وهو الظاهر انه ان بعد عليكم وشق
استجماع هذه الامور الثلثة فالزموا منها الورع والشكر وكانه رخص لهم في طول الامل وذلك انه قد يجوز
طوله فيما ينبغي من عمارة الارض لغرض الآخرة ولان قصر الامل لا يصدر الا عن غلبة الخوف من الله تعالى
على القلب والاعراض بالكلية عن الدنيا وذلك في غاية الصعوبة فلذلك نبه على لزوم الشكر و
الورع ورخص في طول الامل وفسر الورع بالصبر اذ كان لازما للورع وهما تحت ملكة العفة ثم نبههم بذكر
القلب على مقاومة الهوى ونبههم بذكر النسيان على لزوم التذكر الثاني يحتمل ان يكون لما فسر الزهد
باللوازم الثلثة في معرض الامر بلزومها قال بعدها ان صعب عليكم لزوم الشكر والثناء لله ولزوم الاعمال
الجميلة فاعدلوا الى امور اسهل منها فرخص لهم في طول الامل لما ذكرناه ثم في التذكر لنعم الله بحيث لا
ينسى بالكلية ويلتفت عنها عوضا من دوام الحمد والثناء ثم في الصبر عند المحارم وعدم الانفعال لغلبة
دواعي الشيطان عوضا من لزوم الاعمال الجميلة عندها فان الصبر عند شرب الخمر مثلا عند حضورها

اهون على الطبع من العنوم عند سائر المباحات حينئذ ولزوم سائر الاعمال الجميلة وقوله فعذا عذا لي
اخره تاكيد لما سبق من امره بالزهد وجذب اليه واشار بالحجة الى الرسل لقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولفظ الحجة مستعار ووجه المشابهة انه لما كان ظهور الرسل قاطعا
السنة حال الظالمين لانفسهم في محفل القيمة عن ان يقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك
قبل ان نذل ونخزى اشبه الحجة القاطعة فاستعير لفظها له وباسفارها فظهورها الى اشراقها نوار
الدين عن نفوسهم الكاملة على نفوس الناقصين وهو استعارة ايضا واشار بيوم عذرا لكتب الى ظهور
اعذار الله الى خلقه تخويفهم وترغيبهم وارشادهم الى طريق النجاة واسناد الاعذار الى الله تعالى استعارة
من الاقوال المخصوصة التي يبديها الانسان عذرا لافعال الله واقواله التي عرف خلقه فيها صلاحهم واشعرهم
فيها بلزوم العقاب لهم لو لم يلتفتوا اليها وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** في ذم الدنيا ما اصف
من دار اولها عناء واخرها فناء حلالها حساب وحرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن
ساعاها فاتته ومن قعد عنها واتته ومن ابصر بها بصرته ومن ابصر اليها اعمته قال السيد رضي الله عنه واذا
تامل المتامل قوله عليه السلام ومن ابصر بها بصرته وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد ما لا يبلغ
غايته ولا يدرك غوره لا سيما اذا قرن اليه قوله عليه السلام ومن ابصر اليها اعمته فانه يجد الفرق بين ابصر بها وابصر
اليها واضحا نيرا وعجيبا باهرا صلوات الله وسلامه عليه **اقول** العناء التعب وقد ذكر للدنيا في معرض الذم
والتنفير عنها اوصافا عشرة الاول كون اولها عناء وهو اشارة الى ان الانسان فيها من لدن ولادته
في تعب وشقاء ويكفي في الاشارة الى متاعب الانسان فيها ما ذكره الحكيم برزويه في صدر كتاب كليلة
ودمنة في معرض تطويع نفسه بالصبر على عيش النساك وليست الدنيا كلها اذى وبلاء اوليس الانسان
يتقلب في ذلك من حين يكون جنينا الى ان يستوفي ايامه فانا قد وجدنا في كتب الطب ان الماء الذي يقدر
منه الولد السوي اذا وقع في رحم المراة اختلط بمائها ودمها وغلظ ثم الريح يمخض ذلك الماء والدم حتى
يتركه كالرائب الغليظ ثم يقسمه في اعضائه لايامه فان كان ذكرا فوجهه قبل ظهر امه وان كان انثى
فوجهها قبل بطن امها وذقنه على ركبتيه ويداه على جنبيه منقبض في المشيمة كانه مصرور في صرة ويتنفس
من منفس شاق وليس منه عضو الا كانه مقموط فوقه حر البطن وتحته ما تحته وهو منوط بمعاء من سرته
الى سرة امه ومنها يمتص ويعيش من طعام امه وشرابها فهو بهذه الحالة في الغم والظلمات والضيق حتى
اذا كان يوم ولادته سلط الله الريح على بطن امه وقوى التحريك فتصوب راسه قبل المخرج ويصيبه من ضيق
ما يصيب صاحب الرهق فاذا وقع الى الارض فاصابته ريح او مسته يد وجد من ذلك من الالم ما لا يجده من سلخ
جلده ثم هو في الوان من العذاب ان جاع فليس له استطعام وان عطش فليس له استسقاء او وجع فليس له
استغاثة مع ما يلقى من الدفع والوضع واللف والحل والدهن والمرخ اذا انيم على ظهره لم يستطع تقلبا

فلا يزال

فلا يزال في اصناف هذا العذاب ما دام رضيعا فاذا افلت من ذلك اخذ بعذاب الادب فاذيق منه
الوانا وفي الحمية والدواء والاوجاع والاسقام فاذا ادرك فهم المال والاهل والولد والشره
والحرص ومخاطرة الطلب والسعي وكل هذا يتقلب معه فيها اعداؤه الاربعة المرة والبلغم والدم والريح والسم
المميت والحيات اللادغة مع خوف السباع والناس وخوف البرد والحر ثم الوان العذاب الهرم لمن بلغه
الثاني كون اخرها فناء وهو تنفير عنها بذكر غايتها وهو الموت وما يستصحب من فراق الاهل والاحبة
والاشراف على اهوال العظيمة المفصلة الثالث كونها في حلالها حساب وهو اشارة الى ما يطرح في
صحيفة الانسان يوم القيامة من الاثام المكتوبة عليه مما خاض فيه من مباحات الدنيا وتوسع فيه من
الماكل والمشارب والمناكح والمراكب وما يطرح في لوح نفسه من محبة ذلك فيعوقه عن اللحوق بالمجردين
عنها الذين لم يتصرفوا فيها تصرف الملاك فلم يكتب عليهم في شيء منها ما يحاسبون عليه واليه اشار سيد
المرسلين صلى الله عليه واله ان الفقراء ليدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام وان فقراء امتي ليدخلون
الجنة سعيا وعبد الرحمن يدخلها حبوا وما ذاك الا لكثرة حساب الاغنياء وتعويقهم بثقل ما حملوا من محبة
الدنيا وقيناتها عن اللحوق بدرجة المخفين منها وقد عرفت كيفية الحساب الرابع كونها في حرامها عقاب
وهو تنفير عما يوجب العقاب من الاثام بذكره الخامس كونها من استغنى فيها فتن اي كانت محبته لما اقتنى
فيها سببا للفتنة وضلاله عن سبيل الله كما قال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة السادس كونها من افتقر
فيها حزن وظاهر ان الفقير الطالب للدنيا غير الواجد لها في غاية المحنة والحزن على ما يفوته منها وعلى
ما يفوته بعد حصوله له السابع من ساعاها فاتته واقوى اسباب هذا الفوات ان تحصيلها اكثر ما يكون
بتنازع اهلها عليها وتجاذبهم اياها وقد علمت ثوران الشهوة والغضب والحرص عند التجاذب للشيء و
قوة منع الانسان له وتجاذب الخلق للشيء وعزته عندهم سبب لتفويت بعضهم له على بعض وفيه تنبيه على
وجوب ترك الحرص عليها والاعراض عنها اذ كان فواتها اللازم عن شدة السعي في طلبها مكروها للنفس
الثامن كونها من قعد عنها واتته وهو ايضا جذب الى القعود عنها وتركها وان كان الغرض مواتاتها
كما يفعله اهل الزهد الظاهري المشوب بالرياء والسمعة وقد علمت ان الزهد الظاهري مطلوب ايضا
للشارع اذ كان وسيلة الى الزهد الحقيقي كما قال الرسول صلى الله عليه واله الرياء قنطرة الاخلاص وقد
راعى هذه القرائن السجع المتوازي التاسع من ابصر بها بصرته اي من جعلها سبب هدايته وبصر اشتقاقه
منها التبصر والهداية انك علمت ان مقصود الحكمة الالهية من خلق هذا البدن وما فيه من الالات و
المنافع انما هو استكمال نفسه باستخلاص العلوم الكلية وفضائل الاخلاق من تصفح جزئيات الدنيا
ومقابلات بعضها الى بعض كالاستدلال بحوادثها وعجائب مخلوقات الله فيها على وجوده وتحصيل
الهداية الى اسرار ملكه فكانت سببا ماديا لذلك فلاجله صدق انها تبصر من ابصر بها العاشر من

ابصر اليها اعمته اي من ابصر اليها بصيرته ومد نظره اليها بعين قلبه محبة وعشقا لها اعمت عين بصيرته عن ادراك
انوار الله والاهتداء لكيفية سلوك سبيله واليه الاشارة بالنهي في قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما
متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه وقد ظهر الفرق بين قوله من ابصر اليها ومدح السيد
لهذا الفصل مدح في موضعه **ومن خطبة له عليه السلام وهي من الخطب العجيبة وتسمى الغراء** وفي هذه الخطبة فصول
الفصل الاول قوله الحمد لله الذي علا بحوله ودنا بطوله مانح كل غنيمة وفضل وكاشف كل عظيمة وازل
احمده على عواطف كرمه وسوابغ نعمه واومن به اولا باديا واستهديه قريبا هاديا واستعينه قاهرا قادرا
واتوكل عليه كافيا ناصرا واشهد ان محمدا صلى الله عليه واله عبده ورسوله ارسله لانفاذ امره وانهاء عذره
وتقديم نذره **اقول** الحول القوة والطول الفضل والمنحة العطية والازل الشدة والنذر النذارة
وقد اثنى على الله تعالى في هذا الفصل باعتبارات بعد من نعوت جلاله الاول كونه عليا والذي يراد
العلو المكاني لتقدسه تعالى عن الجسمية كما سبق فالمراد العلو المعقول له باعتبار كونه مبدا كل موجود
ومرجعه فهو العلي المطلق الذي لا اعلى منه في وجود وكمال رتبة وشرف كما سبق بيانه ولما كان ذلك
اعتبارا لحقه بالقياس الى كل موجود وصدر عن قدرته وقوته لاجرم جعل اللحوق له مبدءا هو حوله الثاني
كونه دانيا بطوله ولما عرفت ان معنى الدنو والقرب في حقه تعالى ليس مكانيا ايضا كان اعتبارا يحدث عنه
له من قرب افاضته نعمه على قوابلها وقربه من ابصار البصائر في صورة نعمة نعمة منها ولذلك جعل طوله
مبدا لدنوه الثالث كونه مانح كل غنيمة وفضل الرابع كونه كاشف كل عظيمة وازل وفيهما اشارة الى كل
نعمة صدرت عنه على قابلها فيدلها جوده ورحمته سواء كانت وجودية كالصحة والمال والعقل وغيرها
او عدمية كدفع الباساء والضراء واليه الاشارة بقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه
تجارون ثم اذا كشف الضر عنكم الاية وقوله امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء
الارض وقوله احمده الى قوله نعمه تنبيه للسامعين على مبدا استحقاقه لاعتبار الحمد وهو كرمه قال بعض
الفضلاء الكريم هو الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا اعطى زاد على منتهى الرجاء ولم يبال كم اعطى
ولا لمن اعطى وان رفعت الى غيره حاجة لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجا
على الوسائل والشفعاء فمن اجتمعت له هذه الاعتبارات حقيقة من غير تكلف فهو الكريم المطلق وليس ذلك
الا الله تعالى قلت والاجمع لا منع في رسم هذا الاعتبار انه يعود الى فيضان الخير عنه من غير بخل ومنع وتعويق
على كل من يستعد ان يقبله بقدر ما يقبله وعواطف كرمه هي نعمه واثار الخير التي يعود على عباده مرة بعد
اخرى وسوابغ نعمه نعمه السابغة التي لا قصور فيها عن قبول قابلها وقوله واومن به اولا باديا نصب اولا
باديا على الحال واشار بهذين الوصفين الى الجهة التي هي مبدا الايمان اذ كان باعتبار كونه اولا هو مبدا
لجميع الموجودات وكونه باديا هو كونه ظاهرا للعقل في جميع اثاره فاعتبار ظهوره مع كونه مبدا لكل موجود

واولا

واولا له يجب الايمان به والتصديق بالهيته وقوله واستهديه قريبا هاديا فاستهداؤه طلب الهداية منه وقربه
هو دنوه بجوده من قابل فضله وهدايته هي الشعور لكل نحاد ذلك بما هو اليق به ليطلبه دون ما الميل اليه
به فظاهر انه باعتبار هذين الوصفين مبدا الطلب الهداية منه وقوله واستعينه قادرا قاهرا استعانته
طلب المعونة منه على ما ينبغي من طاعته وسلوك سبيله والقاهر هو الذي لا يجري في ملكه خلاف حكمه بل
كل موجود مسخر تحت حكمه وقدرته وحقير في قبضته والقادر هو الذي اذا شاء فعل واذا لم يشا لم يفعل و
ان لم يلزم انه لا يشاء فلا يفعل كما سبق بيانه وظاهر انه باعتبار هذين الوصفين مبدا للاستعانة وقوله و
اتوكل عليه كافيا ناصرا التوكل كما علمت يعود الى اعتماد الانسان فيما يرجوه او يخاف على غيره والكافي اعتبار
كونه معطيا لكل قابل من خلقه ما يكفي استحقاقه من منفعة ودفع مضرة والناصر هو اعتبار اعطائه النصر
لعباده على اعدائهم باضافة هدايته وقوته وظاهر انه تعالى باعتبار هذين الوصفين مبدا التوكل عباده
عليه والقاء مقاليد امورهم اليه وقوله واشهد الى اخره تقرير للرسالة وتبيين لاغراضها وذكر منها ثلثة
احدها انفاذ امره اجراؤه لاحكامه على قلوب الخلق ليعترفوا بالعبودية له الثاني انهاء عذره في قوله وقد اقام
وقد سبق بيانه ووجه استعارة العذر الثالث تقديم نذره وهو التخويفات الواردة على السنة الرسل عليهم
السلام الى الخلق قبل لقاء الله الجاذبة الى لزوم طاعته وظاهر كون الثلثة اغراضا للبعثة **الفصل الثاني**
قوله اوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الامثال ووقت لكم الاجال والبسكم الرياش وارفغ
لكم المعاش واحاط بكم الاحصاء وارصد لكم الجزاء واثركم بالنعم السوابغ والرفد الروافغ وانذركم
بالحجج البوالغ فاحصاكم عددا ووظف لكم مددا في قرار خبرة ودار عبرة انتم مختبرون فيها ومحاسبون عليها
اقول الرياش اللباس الفاخر وقيل الغنى بالمال وارصد اعد والرفد جمع رفدة وهي العطية والروافغ
الواسعة الطيبة وهذا الفصل يشتمل على الوصية بتقوى الله وخشيته والاجتذاب اليه باعتبار امور
الاول ضرب الامثال والامثال التي ضربها الله لعباده في القران كثيرة منها قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد
نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم الى قوله يرجعون والاشارة بهذا المثل الى من كان قد طلب
اظهار المعجزات من الرسول صلى الله عليه واله فلما ظهرت لهم لم يقبلوها ورجعوا الى الظلمة جهلهم فهم صم عن
سماع دعاء الله باذان قلوبهم بكم عن مناجاة الله باسرارهم عمي عن مشاهدة انوار الله بابصار بصائرهم
فهم لا يرجعون عن تماديهم في غيهم وكفرهم ومنها قوله او كصيب من السماء الى قوله قاموا وهو مثل شبه
فيه القران بالمطر النازل من السماء وشبه ما في القران من الوعد والوعيد بما في المطر من الرعد والبرق
وشبه تصامم المنافقين عن الاصغاء الى القران وتغافلهم عن سماع الوعظ بمن جعل اصابعه في اذانه من
الصواعق وقوله يكاد البرق الى اخره اشارة الى من كان يرق قلبه لسماع الوعظ البالغ اذا قرع ويميل الى
التوبة وتجلى عن قلبه بعض الظلمة فاذا رجعوا الى قرنائهم اشاروا عليهم بالعود الى دينهم وبذلوا لهم

الجهد فى النصيحة وخوفوهم بالعجز فيضعف قصودهم ويظلم عليهم شبهات الباطل فيغطى ما كان ظهر لهم من نور
الحق وكذلك ما فى امثال الله فى كتابه الكريم الثانى قوله ووقت لكم الاجال اى كتبها بقلم القضاء الالهى فى
اللوح المحفوظ كل الى اجل مسمى ثم يرجع اليه فيحاسبه باعلانه واسراره ويجازيه اى يثيبه ويعاقبه الثالث
كونه قد البسهم الرياش وهو اظهار المنة عليهم كما قال تعالى يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم
وريشا ولباس التقوى الآية ليذكروا انواع نعمه فيستحيوا من مجاهرته بالمعصية الرابع كونه قد ارفع لهم المعاش
اى اطاب معايشهم فى الدنيا كما قال تعالى ورزقكم من الطيبات وهو كالثالث الخامس احاطته بهم احصاء
كقوله تعالى لقد احصاهم وعدهم عدا اى احاط بهم علما واحصاء منصوب على المصدر من غير لفظه او على
التمييز وظاهر ان علم العصاة بانه لا يشذ احد منهم عن احاطة علمه جاذب لهم الى تقواه السادس كونه قد ارصد
لهم الجزاء كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى
النار هل تجزون الا ما كانوا يعملون السابع ايثاره بالنعم السوابغ والرفد الروافع كقوله تعالى واحصى كل شى
عددا العاشر توظيفه لهم المدد وهو كتوقيته لهم الآجال وانما كرر وصف الاحصاء والعدد بهذين الوصفين
ايضا لان الوهم كثيرا ما ينكر احاطته تعالى بالجزئيات مع عدم تناهيها فيكون ذلك مشتبها على النفس توقيت
الآجال لكل شخص ويقدح فى امر المعاد والعقوبات اللازمة لكل آحاد الخلق بحسب كل ذرة من الاعمال
الصالحة فكررهما طردا للوهم وكرر الحكم ولان ذكر توقيت الآجال من اشد الجواذب عن الدنيا الى الله
قوله فى قرار خبرة ودار عبرة اى محل اختبار الله خلقه ومحل عبرتهم اى اشتغال اذهانهم فيما يجدونه فيها من آيات
العبرة وآثار القدرة والاستدلال بها على وحدانية مبدعها كما سبقت الاشارة الى معنى الاعتبار والاختبار
وكذلك قوله فانتم فيها مختبرون وعليها محاسبون قد سبقت الاشارة فى قوله الا وان الدنيا دار لا يسلم منها
الا فيها وفى هذين القرينتين مع السجع المتوازى نوع من التجنيس بين خبرة وعبرة والاختلاف بالحرف الاول
الفصل الثالث قوله فان الدنيا رنق مشربها ردغ مشرعها يونق منظرها ويوبق مخبرها غرور حائل وضوء
آفل وظل زائل وسناد مائل حتى اذا انس نافرها واطمان ناكرها قمصت بارجلها وقنصت باحبلها واقصدت
باسهمها واعلقت المرء اوهاق المنية قائدة له الى ضنك المضجع ووحشة المرجع ومعاينة المحل وثواب العمل
وكذلك الخلف يعقب السلف لا تقلع المنية اختراما ولا يرعوى الباقون اجتراما يحتذون مثالا ويمضون
ارسالا الى غاية الانتهاء وصيور الفناء اقول الرنق الكدر والردغ الوحل والتراب المختلط بالماء ويونق
يعجب ويوبق يهلك وغرور خداعة مستغفلة للاذهان والحائل المتغيرة المتحولة وقمصت الدابة رفعت
يديها وطرحتهما وعجنت برجليها وقنصت صادت واقصدت اصابت المقصد والاوهاق جمع وهق بالفتح
وهو الحبل والضنك الضيق وما قلع عن الشى امتنع منه والاخترام الموت دون المدة الطبيعية وارعوى كف
ورجع وحذا حذو فلان فعل فعله وارسالا اى جماعة رسلا بالفتح وهو القطيع من الغنم يتبع القطيع وصيور

واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة الثامن انذاره بالحجج البوالغ وهى مواعظه وسائر ما يجذب به عباده لعدد هم كقوله تعالى

الامر ما يرجع منه ومدار هذا الفصل على التنفير عن الدنيا بذكر معايبها وما تؤول اليه وذكر لها اوصافا
الاول كونها رنق مشربها وهو كناية عن كدر لذاتها بشوائب المصائب من الهموم والاحزان والاعراض و
الامراض الثانى كونها ردغ مشرعها ومشرعها محل الشروع فى تناولها والورود فى استعمالها وكونه ردغا
وصف للطريق المحسوس استعير له ووجه المشابهة كون طريق الانسان استعمال الدنيا والتصرف فيها
ذات مزالق ومزال اقدام يهوى بها الى جهنم لا يثبت فيها الاقدام عقل قد مرج بضبط قواه وقهر سلطوتها
كان الطريق ذات الوحل كذلك وهو من لطائف اشاراته عليه السلام الثالث كونها يونق منظرها ويوبق
مخبرها وهو اشارة الى ابتهاجها الدنوى لغفلة بزينتها الحاضرة مع هلاكهم باختيارها وذوقهم لحلاوتها
لغرض الالتذاذ بها الرابع كونها غرورا حائلا ويروى بفتح الغين وضمها ومعنى الاول ذات غرور اى تغر الخلق
بزخارفها فيتوهمون بقاءها ثم تنتقل عنهم وتحول ومن روى بالضم جعلها نفسها غرورا والغرور يطلق على
ما يغتر به حقيقة عرفية الخامس كونها ضوءا آفلا استعار لفظ الضوء لما يظهر فيها من الحسن فى عيون الغافلين
يقال على فلان ضوء اى له منظر حسن ولما ظهر لهم من وجوه مسالكها فاهتدوا به الى تحصيلها ومداخلها و
مخارجها وعلى التقديرين فضوءها آفل لا يدوم ولفظ الافول ايضا مستعار السادس وظل زائل استعار
لفظ الظل لما ياوى اليه الانسان من نعيمها فيستظل به من حرارة بؤسها وظاهر كونه زائلا السابع كونها
سنادا مائلا استعارة ايضا للفظ السناد فيما يعتمد الغافلون عليه من قيناتها وخيراتها التى لا اصل لها ولا
ثبات بل هى كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وذكر الميل ترشيح للاستعارة الثامن كونها
تغر الناس بصفوها وظلها وبهجة منظرها الى غاية ان يستانس بها من كان يستوحش ويفكر منكرا لها حتى اذا
كان ذلك منه طوعا لها فعلت به افعال العدو الخدوع ونسب اليها من الافعال امورا احدها قمصها
بالارجل واستعار لفظ القمص لامتناعها على الانسان عند حضور اجله كانها تدفعه برجلها مولية عنه
كما يفعل الدابة ورشح بذكر الارجل وانما جمع لاعتبار اليدين مع الرجلين وذكره بلفظ الرجل لان القمص
اليها انسب الثانى قنصها له باحبلها وهو كناية عن تمكن حبائل محبتها والهيئات الردية المكتسبة منها فى
نفسه كناية عن تمكن بالمستعار الثالث كونها اقصدت له باسهمها واستعار لفظ الاسهم للامراض و
اسباب الموت واقصادها كناية عن اصابتها كناية بالمستعار لاوصاف الرامى تنزيلا للعقبا منزلة الرابع
كونها اعلقته حبال المنية وحبالها استعارة لما يجذب به الى الموت من امراضه واسبابه وكذلك لفظ القائد
استعارة كنى بها عن انسياق المريض بحبال مرضه الحاصل فيها الى الامور المذكورة من ضنك المضجع وهو القبر
ووحشة المرجع وهو اشارة الى ما يجده النفوس الجاهلة عند رجوعها الى مبدئها من وحشتها وما كان
محبوبا لها فى الدنيا وما كانت الفته من مال واهل وولد وهى استعارات لاوصاف الصائد تنزيلا للدنيا
منزلته ومعاينة المحل اى مشاهدة الآخرة التى هى محل الجزاء وثواب العمل اى جزاؤه من خير او شر وقوله وكذ

الخلف الى آخره اى على الاحوال المذكورة للدنيا مضى الخلق يتبع خلفهم من سلف منهم لا المنية يقصر عن خرم
نفوسهم ولا الباقون منهم يرجعون عما هم عليه من ارتكاب الجرائم فيها والغرور بها بل يقتدون بامثالهم الماضين
فى ذلك ويمضون على اثرهم اتباعا الى غاية مسيرهم بمطايا الابدان ومصير امرهم وهو الفناء والعرض على الملك
الديان وقد راعى ايضا مع السجع التجنيس فى قوله يونق ويوبق ونافرها وناكرها وقمصت وقنصت والاختلاف
بحرف وسط وبالله التوفيق الفصل الرابع فى الاشارة الى ما يلحق الناس بعد الموت من احوال القيمة
تذكيرا لهم قوله حتى اذا تصرمت الامور وتقضت الدهور وازف النشور اخرجهم من ضرائح القبور واوكار
الطيور واوجرة السباع ومطارح المهالك سراعا الى امره مهطعين الى معاده رعيلا صموتا قياما صفوفا ينفذهم
البصر ويسمعهم الداعى عليهم لبوس الاستكانة وضرع الاستسلام والذلة قد ضلت الحيل وانقطع الامل
وهوت الافئدة كاظمة وخشعت الاصوات مهينمة والجم العرق وعظم الشفق وارعدت الاسماع لزبرة الداعى الى فصل
الخطاب ومقايضة الجزاء ونكال العقاب ونوال الثواب اقول تصرمت تقضت وازف دنا والضرائح
جمع ضريح وهو الشق فى وسط القبر والاوكار الطيور اعشاشها والاوجرة جمع وجار وهو بيت السبع مهطعين
مقبلين ورعيلا مجتمعين واللبوس ما يلبس والضرع الخضوع والانكسار وكاظمة ساكنة والهينمة صوت خفى
والجم العرق بلغ الفم فصار كاللجام والشفق الاشفاق وهو الخوف والزبرة الانتهار والمقايضة المعاوضة
والنكال تنويع العقوبة واعلم انه قد تطابقت السنة الانبياء والرسل عليهم السلام على القول بالمعاد
الجسمانى ونطق به الكتاب العزيز كقوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون خاشعة
ابصارهم ترهقهم ذلة الآية ونحوه واتفق المسلمون على القول به واما الحكماء فالمشهور من مذهبهم منع المعاد
الجسمانى بناء على ان المعدوم لا يعاد بعينه لامتناع عود اسبابه باعيانها من الوقت والدورة الفلكية
المعينة وغيرها وربما قال بعض حكماء الاسلام بجواز عود المثل وربما قلد بعضهم ظاهر الشريعة فى امر المعاد
الجسمانى واثبات السعادة والشقاوة البدنيتين مع الروحانية قال الرئيس ابو على بن سينا فى كتاب الشفا
ما هذه حكايته الفاظه يجب ان تعلم ان المعاد منه ما هو مقبول من الشرع ولا سبيل الى اثباته الا من طريق
الشريعة وتصديق خبر النبوة وهو الذى للبدن عند البعث وخيرات البدن وشروره معلومة لا تحتاج ان
تعلم وقد بسطت الشريعة الحقة التى اتانا بها سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله حال السعادة والشقاوة
اللتين بحسب البدن ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهانى وقد صدقته النبوة وهو السعادة
والشقاوة البالغتان الثابتتان بالمقاييس اللتان للانفس وان كانت الاوهام منا تقصر عن تصورها
الآن لما نوضح من العلل والحكماء الالهيون رغبتهم فى اصابة هذه السعادة اعظم من رغبتهم فى اصابة
السعادة البدنية بل كانهم لا يلتفتون الى تلك وان اعطوها ولا يستعظمونها فى جنب هذه السعادة التى
هى مقاربة الحق الاول واعلم ان الذى ذكره عليه السلام صريح فى اثبات المعاد الجسمانى ولنحقق فقوله الى

من ضرائح القبور واوكار الطيور واوجرة السباع ومطارح المهالك اشارة الى جمعه لاجزاء ابدان الناس
بعد تشذبها وتفرقها فيخرج من كان قبره من ضريح قبره ومن كان اكيل طير او سبع او مقتولا فى مطرح الهلاك
من معركة الحرب وغيرها اخرجه من ذلك المكان وجمع اجزاءه والف بينها فان قلت اذا اكل انسان انسانا واغتذى
به وصارت اجزاء بدنه اجزاء البدن الآكل فكيف يمكن اعادتهما لان تلك الاجزاء فى اى بدن منهما اعيدت
لزم نقصان الآخر وبطلانه قلت مذهب محققى المتكلمين ان فى كل بدن واحد اجزاء اصلية باقية من اول
العمر الى آخره لا تتغير ولا تتبدل واجزاء فضلية فاذا اعيد يوم القيمة فما كان اصليا من الاجزاء البدن
الماكول فهو فضلى للبدن الآكل فيرد اليه من غير ان ينقص من الاجزاء الاصلية للآكل شى ولا عبرة بالفاضلة
وباقى الفصل غنى عن البيان وقال بعض الفضلاء انه ربما احتملت هذه الالفاظ ان يبسط عليها من التاويل
ما يناسب مذهب القائلين بالمعاد الروحانى فقوله حتى اذا تصرمت الامور اى احوال كل واحد واحد من
الخلق فى الدنيا وقوله وتقضت الدهور اى انقضت مدة كل شخص منهم وقوله وازف النشور اى دنا انبعاث
كل واحد فى عالم الآخرة من قبور الابدان وقوله اخرجهم من ضرائح القبور استعار لفظ القبور للابدان وضرائحها
ترشيح للاستعارة ووجه المشابهة ان النفس يكون منغمسة فى ظلمة البدن وكدر الحواس متوحشة عن عالمها
كما ان المقبور متوهم لظلمة القبر ووحشته منقطع عن الاهل والمال وضمير اخرجهم يعود الى الله فى صدر الخطبة
وقوله واوكار الطيور فاعلم ان العارفين واهل الحكمة كثيرا ما يستعيرون لفظ الطير واوصافه للنفس الناطقة
وللملائكة كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله فى قوله حتى اذا حمل الميت على نعشه رفرفت روحه
فوق النعش ويقول يا اهلى ويا ولدى لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بى والرفرفة انما يكون لذى الجناح
الطير وكما جاء فى التنزيل الالهى فى وصف الملائكة اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع وكما اشار اليه ابو على فى
قصيدته التى اولها هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع واشار بالورقاء الى النفس الناطقة
وكما اشار اليه فى رسالته المسماة برسالة الطير بقوله برزت طائفة تقتنص فنصبوا الحبال ورتبوا الشرك
وهيأوا الطعم وتواروا فى الحشيش وانا فى سربة طير وغيره ووجه المشابهة فى هذه الاستعارة ما يشترك فيه
النفس والطير من سرعة التصرف والانتقال فالنفس بانتقال عقلى والطير بانتقال حسى واذا استعير لفظ
الطير للنفس فبالحرى ان يستعار لفظ الوكر للبدن لما بينهما من المشاركة وهو كونهما مسكنا لا يسهل مفارقته
وقوله واوجرة السباع استعارة للابدان ايضا والسباع اشارة الى النفوس المطيعة لقواها الغضبية التى
شانها محبة الغلبة والانتقام كما ان السبع كذلك وقوله ومطارح المهالك اشارة الى الابدان ايضا فانها
مطارح مهالك الغافلين الذين اتبعوا الشهوات اعنى ابدانهم وقوله سراعا الى امره نصب على الحال بقوله
اخرجهم وكذلك ما بعده من المنصوبات وامره هو حكم قضائه الازلى عليهم بالرجوع اليه وعودهم الى مبدئهم
وسرعتهم اليه اشارة الى قرب وصولهم وهو فى آن انقطاع علاقة النفس مع البدن وهو على غاية من الرغبة

وقوله مهطعين الى معاده اشارة الى اقبال النفوس بوجوهها على محل عودها وما اعد لها فيه من خير وشر وقوله رعيلا اشارة الى اجتماعهم في حكم الله وقبضته ومحل الاستحقاق لثوابه وعقابه وقوله صموتا اذ لا السنة لهم اذن ينطقون بها ويحتمل ان يكون الصمت كناية عن خضوعهم وانقيادهم في ذل الحاجة وهيبة الجلال وقوله قياما صفوفا فقيامهم استعارة لاستشعار النفوس هيبة الله وعظمته وقيامها بصورة الماثل على ساق العبودية وذل الامكان وصفوفا استعارة لانتظامهم اذن في سلك علمه تعالى اذ الكل بالنسبة الى علمه على السواء كما يستوي الصف المحسوس ويحتمل ان يكون الصف استعارة لمراتبهم في القرب الى الله تعالى متنازلين متصاعدين وقوله ينفذهم البصر اشارة الى احاطة علمه تعالى بهم وقوله ويسمعهم الداعي فالداعي هو حكم القضاء عليهم بالعود واسماعهم عموم ذلك الحكم لهم بحيث لا يمكن ان يخرج عنه منهم احد وقوله عليهم لبوس الاستكانة وضرع الاستسلام والذلة اشارة الى حالهم التي يخرجون من الاجداث عليها من ذل الامكان ورق الحاجة والخوف في قبضة الله وهو كقوله تعالى يوم يدعو الداعي الى شيء نكر خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث وقوله قد ضلت الحيل الدنيا فلا حيلة لهم في الخلاص تمام فيه كما كانوا يتخلصون بحيل الدنيا من بعض شرورها وانقطع الامل اي املهم بها لامتناع عودهم اليها وانقطاع طمعهم في ذلك وقوله وهوت الافئدة كاظمة اي سقطت النفوس في حضيض الذل والفاقة الى رضاء الله وعفوه ولفظ الكظم مستعار كالباكي وقوله وخشعت الاصوات مهينمة كقوله تعالى وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا وهو ثناؤها الى سؤالهم بلسان حالهم عفو الله ورحمته على وجه الذلة والضعف ورق العبودية في ملاحظة جلال الله وقوله والجم العرق وعظم الشفق استعار لفظ العرق وكنى به عن غاية ما يجده النفس من كرب الم الفراق وهيبة الله وعدم الانس بها للموت اذ غاية الخائف التاعب ان يعرق ويشفق من نزول العقاب به ونسبة الالجام الى العرق نسبة مجازية وقوله وارعدت الاسماع لزبرة الداعي اشارة الى ما يجده النفس عند تيقنها المفارقة واستعار لفظ الزبرة لقهر حكم القضاء للانفس على مرادها قهرا لا يمكن معه من الجواب بالامتناع وفصل الخطاب هو امضاء احكام الله على نفوس عباده عند الرجوع ليستوفي حالها واستيفاء ما عليها ومقايضة الجزاء معاوضتها بما اثبت بها اما من الملكات الرديئة فنكال العقاب واما من الملكات الفاضلة فنوال الثواب وهو لكل بحسب استعداده وقبوله واعلم ان العدول الى المجازات والاستعارات من حقائق الالفاظ والى التأويل عن الظواهر انما يجوز خصوصا في كلام الله وكلام رسوله واوليائه اذا عضده دليل عقلي يمنع من اجراء الكلام على ظاهره ولما اعترف القوم بجواز المعاد الجسماني نقليا للشريعة ولم يقم دليل عقلي يمنع منه لم يمكننا الجزم اذن بحصر هذه التأويلات وامثالها وبالله التوفيق والعصمة

الفصل الخامس في تنبيه الخلق على اوصاف حالهم النافية لما هم عليه من الجرم والاعراض عما خلقوا لاجله لعلهم يتذكرون فقوله عباد مخلوقون اقتدارا ومربوبون اقتسارا ومقبوضون احتضارا ومضمنون اجداثا

وكائنون رفاتا ومبعوثون افرادا ومدينون جزاء ومميزون حسابا قد امهلوا في طلب المخرج وهدوا سبيل المنهج وعمروا مهل المستعتب وكشفت عنهم سدف الريب وخلوا لمضمار الجياد وروية الارتياد واناة المقتبس المرتاد في مدة الاجل ومضطرب المهل **اقول** القسر القهر والجبر والاجداث القبور واحدها جدث والرفات الفتات من العظم ونحوه ومدينون مجزيون والمستعتب المسترضى والسدف جمع سدفة وهي ظلمة الليل والريب الشبه والشكوك والارتياد الطلب وذكر من تلك الاوصاف ثلثة عشر وصفا الاول كونهم مخلوقين اقتدارا اي خلقهم ليس لقدرتهم بل بقدرة قادر مستقلة عن مشاركة الغير وذلك مناف لعصيانهم له الثاني كونهم مربوبين اقتسارا اي ليس ملك مالكهم لهم عن اختيار منهم حتى يكون لهم الخيرة في معصيته وطاعته الثالث كونهم مقبوضين احتضارا اي يحضرون بالموت مقبوضين به الى حضرة جلال الله الرابع كونهم من شانهم ان يضمنوا الاجداث الخامس من شانهم ان يصيروا رفاتا السادس ان من شانهم ان يبعثوا افرادا كما قال تعالى وكلهم آتيه يوم القيمة فردا اي مجردا عن استصحاب غيره معه من اهل ومال السابع انهم مدينون جزاء ومن شانهم ذلك والجزاء مصدر نصب بغير فعله الثامن ان من شانهم ان يميزوا حسابا اي يحصون عددا كقوله تعالى لقد احصاهم وعدهم عدا وحسابا ايضا مصدر انتصب عن غير فعله التاسع كونهم قد امهلوا في طلب المخرج اي انما امهلوا في طلب المخرج الدنيا لطلب خلاصهم وخروجهم من ظلمات الجهل وربقات الهيئات الى نور الحق وسعة الجود العاشر كونهم قد هدوا سبيل المنهج اي الطرق باصل فطرهم ودلوا بالاعلام من الانبياء والشرائع على الطريق الى حضرة قدس الله والجنة الحادي عشر كونهم قد عمروا مهل المستعتب لما كان من يطلب استعتابه ويقصد رجوعه عن عتبه يمهل ويداري طويلا كانت مهلة الله سبحانه لخلقه ومدة اعمارهم ليرجعوا الى طاعته ويعملوا صالحا تشبه ذلك فنزلت منزلته ومهل نصب على المصدر لان التعمير امهال الثاني عشر كونهم قد كشفت عنهم سدف الريب اي زال عن بصائرهم ظلم الشكوك والشبهات والجهالات بما وهبه لهم من العقول وايدهم من بعثة الرسل الثالث عشر كونهم قد خلوا لمضمار الجياد اي تركوا في الدنيا ليضمروا انفسهم بازدياد التقوى ولما استعار لفظ المضمار رشح بذكر الجياد او شرف المضمار على جياد الخيل وفيه تنبيه لهم على ان يكونوا من جياد مضمارهم وقد سبق وجه الاستعارة ومعنى التضمير في قوله الا وان اليوم المضمار وكذلك خلوا لروية الارتياد اي ليتفكروا في طلب ما يخلصون به الى الله تعالى من سائر طاعاته وكذلك ليتأنوا اناة المقتبس للانوار الالهية الطالب للاستنارة بها في مدة آجالهم ومحل اضطرابهم في مهلتهم وتحصيلهم لما ينبغي لهم من الكمالات ومن ملك من عبيده هذه الحالات وافاض عليهم ضروب هذه الانعامات فكيف يليق بالحكيم ان يجاهره بالعصيان ويتجاسر ان يقابله بالكفران ان الانسان لكفور مبين

الفصل السادس في التنبيه على فضل موعظته وتذكيره ومدحهما بالبلاغة والتعريض بعدم القلوب الحاملة لها والحث على التقوى فقوله فيالها امثالا صائبة ومواعظ شافية

امثالا ومواعظ نصب على التمييز وصواب الامثلة مطابقتها للممثل به وشفاء الموعظة تأثيرها في القلوب ازالة مرض الجهل والرذائل الخلقية ورجوع المتعظ بها سليما الى ربه وقوله لو صادفت قلوبا زاكية واسماعا واعية وآراء عازمة والبابا حازمة فزكاء القلوب استعدادها لقبول الهداية وقربها من ذلك ووعي الاسماع فهم القلوب عنها واعيا وصفها بالوعي لانها ايضا قابلة لقشور المعاني مؤدية لها الى قوة الحس ثم الخيال وعزم الآراء توجيه الهمة الى ما ينبغي والثبات على ذلك وحزامة الالباب جودة راي العقول فيما يختاره وظاهر ان هذه الثلثة هي اسباب نفع الموعظة وقوله فاتقوا الله الى قوله معاده امر بتقوى الله تقية كتقوى من استجمع جميع هذه الاوصاف احدها تقية من سمع فخشع اي تقية من استعد قلبه لسماع الموعظة فخشع عندها الثاني تقية من اقترف فاعترف اي اكتسب الذنوب فاعترف بها واناب الى الله الثالث تقية من وجل اي خاف ربه فاقلقه خوفه فعمل اي فالتجا الى الاعمال الصالحة ليمحو بها الرابع تقية من حاذر اي عقاب ربه فبادر الى طاعته الخامس تقية من ايقن اي بالموت ولقاء ربه فاحسن اي فاحسن عمله [illegible] السادس تقية من عبر اي رأى العبر وذكر بها فاعتبر اي فجعلها سلما يعبر فيها ذهنه الى العلم بما ينبغي له السابع وحذر اي من سخط الله وعقابه فازدجر اي وزجر عن معصيته الثامن تقية من اجاب داعي الله فاناب اي رجع اليه وامتثل امره التاسع تقية من راجع اي راجع فكره وعقله فتاب اي فاستغفر به على شاطئه وقربه لانه بالتوبة تاب من خطاياه العاشر تقية من اقتدى اي بانبياء الله واوليائه وهداهم الذي اتوا به فاحتذى اي حذا حذوهم في جميع احوالهم فطلب قصدهم وفعل فعلهم الحادي عشر تقية من اري اي ادرك الحق فاطرح لعين بصيرته طريق الله وسبيله فرأى اي عرفها واسرع طالبا لما سلك له ونجا الى الله بمجانبتها هاربا من ظلمات جهله وثمراته فافاد ذخيرة اي فاستفاد بسلوكها وطاعة ربه في ذلك ذخيرة لمعاده واطاب بسلوكها سريرة من نجاسات الدنيا وعمر معادا بما يكتسبه في سلوكها من الكمالات المسعدة معاده واستظهر زادا ليوم رحيله من دنياه واستعد به لوجه سبيله التي هو سالكها وسافر فيها ولحال الحاجة ولموطن فاقته فان كل مرتبة من الكمال حصلت للانسان فهي عدة لترقيه الى اعلى منها ولو لم يحصلها الطريق لحاجته في الآخرة الى قطع منها حيث لا يجد لها سبيلا وكذلك قوله وقدم اي ما استظهر به زادا امامه اي تلقاء وجهته التي هو مستقبلها ومنزلها لدار مقامه اي الآخرة وقوله فاتقوا الله جهة ما خلقكم له اي باعتبار ما خلقكم له ولما كان ما خلقهم له انما هو عرفانه والوصول اليه كان المعنى اجعلوا تقواكم لله نظرا الى تلك الجهة ولاعتبارها لا للرياء والسمعة وجهة منصوب على الظرف ويحتمل ان يكون مفعولا به لفعل مقدر اي واقصدوا بتقواكم جهة ما خلقكم له وقوله واحذروا منه كنه ما حذركم من نفسه اي اسلكوا في حذركم منه حقيقة تحذيره لكم من نفسه بما توعدكم به وذلك الحذر انما يحصل بالبحث عن حقيقة المحذور منه والسلوك الى الله في تصور ذلك على مراتب متفاوتة وقوله واستحقوا منه ما اعد لكم بالتنجز لصدق ميعاده استحقاق ما وعد به الله تعالى من جزيل الثواب انما يحصل بالاستعداد له فهو امر بالاستعداد له والاستعداد

يحتاج الى اسباب فذكرها عليه السلام في امرين احدهما التنجز لصدق ميعاده والتنجز طلب نجاز الوعد وقضائه وذلك انما هو بالاقبال على طاعته كما قال تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الآية ونحوها والثاني الحذر من اهوال معاده وذلك باجتناب مناهيه والارتداع بزواجره ونواهيه منها قوله جعل لكم اسماعا اعلم ان في هذا الفصل فصلين **الفصل الاول** في تذكير عباد الله بضروب نعمه عليهم والتنبيه على الغاية منها ثم التذكير بحال الماضين من الخلق والتنبيه على الاعتبار بهم وهو في معرض الامتنان وذلك قوله عليه السلام جعل لكم اسماعا لتعي ما عناها وابصارا لتجلو عن عشاها واشلاء جامعة لاعضائها ملائمة لاحنائها في تركيب صورها ومدد عمرها بابدان قائمة بارفاقها وقلوب رائدة لارزاقها في مجللات نعمه وموجبات مننه وحواجز عافيته وقدر لكم اعمارا سترها عنكم وخلف لكم عبرا من آثار الماضين قبلكم من مستمتع خلاقهم ومستفسح خناقهم ارهقتهم المنايا دون الآمال وشذبهم عنها تخرم الآجال لم يمهدوا في سلامة الابدان ولم يعتبروا في انف الاوان فهل ينتظر اهل بضاضة الشباب الا حواني الهرم واهل غضارة الصحة الا نوازل السقم واهل مدة البقاء الا آونة الفناء مع قرب الزيال وازوف الانتقال وعلز القلق والم المضض وغصص الجرض وتلفت الاستغاثة بنصرة الحفدة والاقرباء والاعزة والقرناء فهل دفعت الاقارب او نفعت النواحب وقد غودر في محلة الاموات رهينا وفي ضيق المضجع وحيدا قد هتكت الهوام جلدته وابلت النواهك جدته وعفت العواصف آثاره ومحا الحدثان معالمه وصارت الاجساد شحبة بعد بضتها والعظام نخرة بعد قوتها والارواح مرتهنة بثقل اعبائها موقنة بغيب انبائها لا تستزاد من صالح عملها ولا تستعتب من سيء زللها اولستم ابناء القوم والآباء واخوانهم والاقرباء تحتذون امثلتهم وتركبون قدتهم وتطؤون جادتهم فالقلوب قاسية عن حظها لاهية عن رشدها سالكة في غير مضمارها كان المعني سواها وكان الرشد في احراز دنياها **اقول** عناها اهمها والعشا ظلمة تعرض للعين بالليل والاشلاء جمع شلو وهو العضو وهو ايضا القطعة من اللحم وكنى به عن الجسد والحنو الجانب والارفاق المنافع ويروى بارفاقها والرفق بعينه الروح والخلاق النصيب والخناق بالكسر حبل يخنق به والارهاق الاعجال والتشذيب التفريق ومهد الامر مخففا ومشددا اي هياه وانف الاوان اوله والبضاضة امتلاء البدن وقوته والهرم الكبر وغضارة العيش طيبه وآونة جمع اوان كازمنة جمع زمان والزيال المزايلة وازف قرب والعلز كالرعدة ياخذ المريض والحريص ان يبتلع ريقه على هم وحزن والحفدة الاعوان وغودر ترك والنهك الخلق والبلاء والمعالم الآثار والشحب الهالك الناحل والنخرة البالية والاعباء الاثقال والقدة بكسر القاف والدال المعجمة والاولى اصح ولنرجع الى المعنى فقوله جعل لكم الى قوله بارفاقها تذكير بنعم الله تعالى بخلق الابدان وما يشتمل عليه من المنافع ففائدة الاسماع ان تعي ما خلقت لاجله وفائدة الابصار ان يدرك بها الانسان عجائب مصنوعات الله تعالى فيحصل له منها عبرة ولفظ العشا يحتمل ان يكون مستعارا لظلمة الجهل العارض لابصار القلوب حتى يكون التقدير لتجلو عشا قلوبها وحينئذ فاوراك

المحصل عبرة يحصل للقلب به جلاء كذلك لعشا فصح اذن اسناد الجلاء الى الابصار ويحتمل ان يكون مستعارا
او راكها اذ كما يحصل منه عبرة اذكانت فايدتها ذلك فاذا لم يحصل منها ذلك الادراك كانت كبصر لعشا به المشا
ووجه المشابهة عدم الفايدة وشبه الجلاء اليها بوجود الادراك المفيد لعبرة عنها وهو استعارة ايضا ويرعيت
بنايه لان الجلاء يستدعى مجلوا ومجلوا عنه فذكر عليه لسلام المجلو واقام مقام المجلو عنه وكما تم قال المجلو
عن قواها عشاها واشار فايدة البدن واعضائه فقد اشرنا اليه قبل منفصلا وقوله قائمة بارفاقها اى لكل
بدن قايمة فى الوجود بحسب ما هيئ له من ضروب المنافع وقوله وقلوب رائدة الى قوله سترها عنكم اظهار لمنة
الله تعالى على عباده بخلقه لهم وهدايته لنفوسهم لادرياء ادراقها التى بها قوام حياتها الدنيا وتمكينها من اصلاح
معادها فهم باعتبار كونهم فى مجللات نعمه وسوابغها فيها سترة عليهم قبايح اعمالهم ان يظهر وهو لجبر خواطرهم
بعضهم لبعض حيث لو اطلع كل على ما فى ضمير صاحبه من الغل والحسد وتمنى زوال نعمته لافنى بعضهم بعضا
وجرف نظام وجودهم وموجبات منته نعمه التى يستوجبان يمن بها ومن دوى بفتح الجيم فالمراد بالمنح اد
النعم وموجباتها ما سقط منها وافيض على العباد وحواجزها فيما منع منها عوايل الامراض والمضار المتحفز
بها واما ذكر بتركيبه الاعمار فى معرض المنة لانه من النعم العظيمة على العبد اذ كان اطلاع الانسان على كمية
عمره مما يوجب اشتغال خاطره بخوف من الموت عن عمارة الارض ويبطل بسببه نظام هذا العالم وقوله
وخلف لكم عبرا وجه من الله تعالى على عباده فان ابقاه لحوال الماضين وما خلفوه عبرة للاحقين سبب
عظيم لجذبهم عن دار الغرور ومهاوى الهلاك الى سعادة الابد وستمتع خلافهم محل ما استمتعوا به مما كان
نصيبا للكل منهم فى مدة بقائه من متاع الدنيا ومستفسح خناقهم محل الفسحة لاعناقهم من ضيق حبايل الموت
واغلال الجحيم وذلك المستفسح هو مدة حياتهم ايضا ثم اردف ذلك بوصف حال الماضين فى غرورهم وذكر انجال
الموت لهم عن بلوغ امالهم وتشديده لهم باخترامهم عنها وبنبه على وجوب تقصير الامل والاستعداد للموت و
كذلك نبههم بقوله لم تمهدوا الى قوله الاوان على تقصير الماضين فى اصلاح معادهم حيث امكنهم ذلك فى سلامة
ابدانهم واول زمانهم ليحصل لهم بذلك التذكر نفرة عن حال السابقين وارتداع عن الغرور الى الاستعداد
بالتقوى والاعمال الصالحة ثم استفهم هل ينتظر الشباب لشبابهم عن حوانى الهرم واهل الصحة بصحتهم من عن
الاسقام والمعرون بطول اعمارهم عن الفناء استفهاما على سبيل الانكار لما ينتظرونه عن هذه الامور و
على ذلك الانتظار وتنفيرا عنه بذكر غاياته التى حصرها فيها واعلم ان ذلك ليس انتظارا حقيقيا لكن لما كان
المنتظر لامر والمترقب له تاركا فى اكثر احواله لما يعنيه من الاشتغال الى غاية ان يصل اليه ما ينتظره وكان
غاية الشباب ان يحنى ظهورهم الهرم وغاية الصحيح ان يسقم وغاية المعمران يفنى اشبه تركهم للعمل وعبادة الله
الى غاياتهم المذكورة الانتظار لها فاستعير له لفظ الانتظار ثم كنى عن شدة حال المفارق فى سكرات الموت
باوصاف تعرض له حينئذ كالرعدة والقلق والعز والخوف والغصص بالريق والتلفت للاستغاثة الا

والاقرباء والاعزة ثم نبه بقوله فهل دفع الاقارب ونفعت النواحب اى البواكى على ان ما يقع عند نزول
الموت من تلك الاحوال لا ينفع فى دفعه قريب ولا حبيب على طريق الاستفهام والانكار وقوله قد غودر
الجملة فى محل النصب على الحال والعامل نفعت اى لم ينفعه البكاء حال ما غودر فى محلة الاموات بالاوصاف
الكريهة تنفيرا عن احواله وحيدا اى الخلاص من هوالها بالعمل لله والاخلاص له ورهينا اى مقيما او من
بذنوبه وموثوق بها ونصبه على الحال وكذلك وحيدا وموضع قوله قد هتكت وما فى لافعال المعطوفة
عليه والهوام الديدان المتولدة من جيفه او غيرها وقوله والارواح مرتهنة يثقل اعبائها اشارة الى اثقال
النفوس والخطاطيها الى الجنبة السافلة بثقل ما حملته من الاوزار واكتسبته من الهيات الرديئة وما
يتحقق غيبته من الانباء هناك هو الاخبار عن الاحوال اللاحقة بها بعد الموت من حزن وبش فانها تيقن
غيبتها عن اهل الدنيا او انباء ما لحقته من اللواحق الدنيوية فانها تيقن بعد الموت غيبتها وانقطاعها
عنها والاول اولى وقوله لا تستزاد من صالح عملها ولا يستعتب من سى زللها اى لا يطلب منها زيادة من
العمل الصالح ولا يقال من سى زللها ويرضى عنها كقوله تعالى وان يستعتبوا فما هم من المعتبين وذلك لعدم آلة
العمل وامتناع الرجوع اليه وعدم تمكنها من نزع ما صار فى عنقها من اطواق الهيات البدنية كما قال تعالى
قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون وقوله
اولستم ابناء القوم والاباء واخوانهم والاقرباء اى او ليس فيكم من هو اب لاحد اولئك او ابن له او لحو
او نسيه وهو تنبيه للسامعين على وجه العبرة فانه لما شرح حال الماضين فى الموت وما بعده نبههم على انهم
امثالهم فى كل تلك الاحوال ليرجعوا الى تقوى الله الذى هو سبب النجاة من تلك الاهوال وقوله تحذون
امثلتهم اى تقتدون بهم فى افعالهم وتسلكون مسالكهم فى غرورهم ونحوه كما قال تعالى حكاية انا وجدنا
اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون وقوله فالقلوب قاسية عن حظها اى لا استعداد لها لتقبل حظها
الذى ينبغى لها طلبه لاهية عن رشدها غافلة عن طلب هدايتها سالكة فى غير مضمارها المضمار هنا
هو الشريعة واوامر الله تعالى وسلوكها العيرو ارتكابها المناهى الله ورياضتها بالاعمال الصالحة التى هى طرق
الجحيم وقوله كان المعنى سواها وكان الرشد فى احراز دنياها مبالغة فى ذكر اعراض القلوب وغفلتها
عن المواعظ وانهماكها فى تحصيل الدنيا لغاية انها اشبهت من لم يكن معنيا بالخطاب بها او ان الرشد
الذى جذبت اليه انما هو فى تحصيل الدنيا وجمعها الذى جذبت عنه وحذرت منه الفصل الثانى
فى التذكير بامر الصراط والتحذير من اهواله والحث على التقوى وذلك قوله واعلموا ان مجازكم على الصراط
ومزالق دحضه واهاويل زلله وتارات اهواله فاتقوا الله تقية ذى لب شغل التفكر قلبه وانصب الخوف
بدنه واسهر التهجد غرار نومه واظما الرجاء هواجر يومه وظلف الزهد شهواته واوجف الذكر بلسانه وقدم
الخوف لامانه وتنكب المخالج عن واضح السبيل وسلك اقصد المسالك الى النهج المطلوب ولم تفتله

فاتلات الغرور ولم تعم عليه مشتبهات الامور ظافرا بفرحة البشرى وراحة النعمى فى انعم نومه وآمن يومه
قد عبر معبر العاجلة حميدا وقدم زاد الآجلة سعيدا وبادر من وجل واكمش فى مهل ورغب فى طلب وذهب
عن هرب وراقب فى يومه غده ونظر قدما امامه فكفى بالجنة ثوابا ونوالا وكفى بالنار عقابا ووبالا وكفى بالله
منتقما ونصيرا وكفى بالكتاب حجيجا وخصيما اوصيكم بتقوى الله الذى اعذر بما انذر واحتج بما نهج وحذركم
عدوا نفذ فى الصدور خفيا ونفث فى الآذان نجيا فاضل واردى ووعد فمنى وزين سيئات الجرائم وهون
موبقات العظائم حتى اذا استدرج قرينته واستغلق رهينته انكر ما زين واستعظم ما هون وحذر ما امن
اقول المزلق الموضع الذى لا يثبت عليه قدم والدحض الزلق والتهجد العبادة بالليل والغرار النوم القليل
والوجيف السريع والمخالج الامور المشغلة الجاذبة واكمش امضى عزمه ومضى قدما لم يعرج واعلم ان الصراط
الموعود به فى القرآن الكريم حق يجب الايمان به وان اختلف الناس فى حقيقته وظاهر الشريعة والذى عليه
جمهور المسلمين ومن اثبت المعاد الجسمانى يقتضى انه جسم فى غاية الدقة والحدة ممدود على جهنم وهو طريق
الى الجنة يجوزه من اخلص لله ومن عصاه سلك عن جنبيه احد ابواب جهنم واما الحكماء فقالوا بحقيقته وما
يقال فى حقه انه كالشعرة الدقة فهو ظلم بل تشبيه الشعر اليه كتشبيهها الى الخط الهندسى الفاصل والشمس
الذى ليس من احدهما فهو كذلك الخط الذى لا عرض له اصلا وحقيقته هو الوسط الحقيقى بين الاخلاق
المتضادة كالسخاوة بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن والاقتصاد بين الاسراف والتقتير
والتواضع بين التكبر والمهانة والعفة بين الشهوة والخمود والعدالة بين الظلم والانظلام فالاوساط
بين هذه الاطراف المتضادة هى الاخلاق المحمودة ولكل واحد منها طرف تفريط وافراط هما مذمومان وكل
واحد منها هو غاية البعد بين طرفيه ومن ليس من طرف الزيادة ولا من طرف النقصان قالوا وحقيق ذلك
ان كمال الانسان فى التشبه بالملائكة وهم منفكون عن هذه المتضادة وليس فى امكان الانسان الانفكاك
عنها بالكلية فغايته التباعد عنها الى الوسط تباعدا يشبه الانفكاك عنها فالسخى كانه لا بخيل ولا مبذر
فالصراط المستقيم هو الوسط الحق الذى لا ميل له الى احد الجانبين ولا عرض له وهو ادق من الشعر
قال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل وروى عن الصادق عم
وقد سئل عن قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم قال يقول ارشدنا للزوم الطريق المودى الى محبتك
والمبلغ دينك والمانع من ان نتبع اهواءنا فنعطب او ناخذ باراءنا فنهلك وعن الحسن العسكرى عم الصراط
صراطان صراط فى الدنيا وصراط فى الآخرة فاما الصراط المستقيم فى الدنيا فهو ما قصر عن الغلو
وارتفع عن التقصير واستقام فلم يعدل الى شئ من الباطل والصراط الآخر هو طريق المومنين الى الجنة لا
يعدلون عن الجنة الى النار ولا الى غير النار سوى الجنة والناسخ ذلك متفاوتون فمن استقام على هذا
الصراط وتعود سلوكه مر على صراط الآخرة مستويا ودخل الجنة امنا اذا عرفت ذلك فنقول مزالق الصراط

كناية عن المواضع التى هى مظان انحراف الانسان عن الوسط بين الاطراف المذمومة وتلك المواضع هى مظان
الشهوات والميول الطبيعية واهاويل زلله هى ما يستلزمه العبور الى احد طرفى الافراط والتفريط من الفتنة
العظيم فى الآخرة وتارات اهواله تكرار ذلك تارة بعد اخرى وقوله فاتقوا الله عود الى الامر بتقوى الله تقية
من استجمع اوصاف الايمان احدها تقيه من شغل التفكر قلبه اى فى امر معاده عن محبة الدنيا وباطلها
الثانى وانصب الخوف بدنه اى اتعبه وخلخوف الله تعالى وما اعد للعصاة من الاهوال الثالث واسهرت
العبادة غرار نومه اى لم يترك له نوما الرابع واظماء الرجاء هواجر يومه اى اظماه رجاء ما اعد الله لاوليائه
الابرار عوضا من طيبات هذه الدار وظماؤه فى هواجر يومه كناية عن كثرة صيامه فى اشد اوقات حرارة
وانما جعل الهواجر مفعولا اقامة للظرف مقام المظروف وهو من وجوه المجاز الخامس وظلف الزهد شهواته
استعار لفظ الاطفاء للزهد وهو من اوصاف الماء ونسبة الزهد الى الشهوات فلاحظ الشبه بين الشهوات
والنار فى تاثيرهما المودى وبين الزهد والماء لما يستلزمانه من كون الاعراض عن الدنيا يستتبع قهر الشهوات
ودفع مضارها كما تفعله الماء بالنار السادس واسرع الذكر الى لسانه اى لتعوده اياه وادمانه فيه السابع و
قدم الخوف لامانه اى خوف دنياه فى ضمن خلاصه له ليامن عذابه الثامن وتنكب المخالج اى عدل عن الامور المشغلة
الى واضح سبيل الله التاسع وسلك اقصد المسالك اى اولاها بالقصد الى النهج الواضح والطريق المطلوب
لله من خلقه وهو سبيله المستقيم فان للناس فى سلوك سبيل الله مذاهب كثيرة ولكن اجمعها اليه اولاها
بالقصد الى طريقه الموصل اليه العاشر ولم تفتله فاتلات الغرور اى لم تهلكه غفلاته فى لذات الدنيا
عن ربه اذ لم تفتل عن طاعته الحادى عشر ولم تعم عليه مشتبهات الامور اى لم تظلم فى وجهه شبهة على حق يفيد
عليه وجه تخليصه الثانى عشر ظافرا بفرحة البشرى اى بشرى الملائكة يوم يقال بشراكم اليوم جنات تجرى من
تحتها الانهار الثالث عشر وراحة النعمى اى الراحة من مشاق الدنيا ومتاعبها بنعيم الآخرة ونعيم الله فى الآخرة
الجنة الرابع عشر فى انعم نومه اى اطيب راحة واطلق لفظ النوم على الراحة فى الجنة مجازا اطلاقا للاسم الملزوم
على لازمه الخامس عشر وآمن يومه اى آمنا وقاته واطلق لفظ اليوم على مطلق الوقت مجازا اطلاقا لاسم الجزء
على الكل السادس عشر قد عبر معبر العاجلة اى الدنيا حميدا اى محمود الطريقة السابع عشر وقدم زاد
الآجلة سعيدا اى عمله للآخرة تحصل على السعادة الابدية وحميدا وسعيدا حالان الثامن عشر وبادر من
وجل اى الى الاعمال الصالحة من وجل خوف الله التاسع عشر واسرع فى مهل اى الى طاعة ربه ايام مهلته وهى
حياة الدنيا العشرون ورغب فى طلب اى كان طلبه لله عن رغبة له الحادى والعشرون وذهب عن هرب
اى كان ذهابه عما يبعد عن الله عن هرب من خوف الله وفى كل قرينتين من هذه العشر السجع المتوازى الثانى
والعشرون وراقب فى يومه غده اى توقع فى ايام حياته هجوم آخرته الثالث والعشرون ونظر قدما امامه اى
لم يلتفت فى نظره عن قصد الله الى غيره ثم رتبه بقوله فكفى بالجنة ثوابا ونوالا على وجوب السعى لها دون غيرها

ثم يكون النار وبالا وعقابا على وجوب الهرب منها دون عنها ويقوله وكفى بالله منتقما ونصيرا على وجوب الانقطاع
على خشيته والاستغاثة به ويقوله وكفى بالكتاب حجيجا اى محجا وخصيما على وجوب الانفعال عنه وملاحظة شأنه
فى الاخرة على من لم يتبعه ونسبة الاحتجاج والخصام الى الكتاب مجازا والمثوبات يكفى على التمييز وقوله اوصيكم
بتقوى الله عود الى الحث على تقوى الله باعتبار امور ثلثة احدها اعذاره الى الخلق بما انذرهم به من العقوبات الثانى
احتجاجه عليهم بما وضحه بالدلائل والبينات الثالث تحذيره لهم عدوا نفذ فى الصدور خفيا ونفث فى الاذان نجيا وقد سبق معناه فى الخطبة
الاولى وذكرنا وصافاهى كونه نفثة فى الصدور وحيا والاشارة بها الى النفس الامارة بالسوء ويجوز بلفظ
الصدور فى القلوب اطلاقا لاسم المكان على المتمكن وكونه نفث فى الاذان خفيا وهو اشارة الى ما يلقيه شياطين
الانس بعضهم الى بعض من زخرف القول وغروره وقد سبق ذلك فى الخطبة الاولى وكونه اضل اى جذبه عن طريق
الله واردى اى فاد دام فى قرار الجحيم ووعد ومنى اى بلوغ الامال الكاذبة وزين سيئات الجرائم اى قبائح المعاصى
وهون موبقات العظائم اى مهلكات من عظيم الذنوب وتهوينه لها بمثل تمنية التوبة ومساعدة العقل له بقوله
ان الله غفور رحيم وبمثل الاقتداء بالغير الذى هو اولى بالعقوبة مثلا او اكبر قدرا فى الدنيا وسائر اصناف
الوساوس كما عرفت حقيقتها وقوله حتى اذا استدرج قرينته واستغلق رهينته فقرينته هى النفس الناطقة
باعتبار موافقته وهى رهينته باعتبار احاطة الذنوب بها من قبله كما يستغلق الرهن بما عليه من المال ولفظ
الرهينة مستعار واستدراجها ترقيته حالا بعد حال وتقويته بطاعته وقوله انكر ما زين الى اخره اشارة الى
غايته من وسوسته ويعود من النفس الامارة بالسوء الى موافقتها لحكم العقل فى قبح ما كانت [illegible] واستفظاع
خطره ومساعدتها على التحذير منه بالامتناع فى تحقيقه بعد ان كانت حث عليه ترتيبه وتومن منه وذلك
اما عند التوبة وقهر العقل لها او عند معاينة المكروهات الجزئية من العقوبات والالام اما فى الدنيا
او بعد المفارقة والحصول فى عذاب الجحيم بسبب الانهماك فيما كانت تزينه من الباطل وذلك ان النفس
فارقت البدن حملت معها القوة المتوهمة فيدرك ما يلحقها من جزئيات العقوبات كعقاب القبر وما يتنوع
منه كما سبقت الاشارة اليه وقد تتصور ذلك من شياطين الانس فى تزيينهم الجرائم واما من الشيطان الذى
ظاهر بينها فى صفة خلق الانسان وفى هذا الفصل فصلان الفصل الاول قوله ام هذا الذى انشاه
فى ظلمات الارحام وشغف الاستار نطفة دهاقا وعلقة محاقا وجنينا وراضعا ووليدا ويافعا ثم منحه
قلبا حافظا ولسانا لافظا وبصرا لاحظا ليفهم معتبرا ويقصر مزدجرا حتى اذا قام اعتداله واستوى مثاله
نفر مستكبرا وخبط سادرا ماتحا فى غرب هواه كادحا سعيا الدنيا فى لذات طربه وبدوات اربه لا يحتسب رزية
ولا يخشع تقية فمات فى فتنته غريرا وعاش فى هفوته يسيرا لم يفد عوضا ولم يقض مفترضا دهمته فجعات
المنية فى غبر جماحه وسنن مراحه فظل سادرا وبات ساهرا فى غمرات الالام وطوارق الاوجاع والاسقام بين اخ
شقيق ووالد شفيق وداعية بالويل جزعا ولادمة للصدر قلقا والمرء فى سكرة ملهية وغمرة كارثة

موجعة

موجعة وجذبة مكربة وسوقة متعبة ثم ادرج فى اكفانه مبلسا وجذب منقادا سلسا ثم القى على الاعواد رجيع وصب
ونضو سقم تحمله حفدة الولدان وحشدة الاخوان الى دار غربته ومنقطع زورته حتى اذا انصرف المشيع ورجع
المتفجع اقعد فى حفرته نجيا لبهتة السؤال وعثرة الامتحان واعظم ما هنالك بلية نزل الحميم وتصلية الجحيم
وفورات السعير لا فترة مريحة ولا دعة مزيحة ولا قوة حاجزة ولا موتة ناجزة ولا سنة مسلية بين اطوار
الموتات وعذاب الساعات انا بالله عائذون اقول اعلم ان مدار هذا الفصل على وصف حال الانسان من
مبدا عمره بالنقصان وبيان نعم الله تعالى عليه فى اطوار خلقه وتبكيته بمقابلة نعمه بالكفران والغفلة
فى متابعة الشيطان وتذكيره بما يكون غايته من حالات الدنيا وهو الموت وما يتبعه من احوال الميت بين اهله
واقاربه وحالهم معه وما يكون بعد الموت من العذاب فى القبر والسؤال والحساب وسائر ما ينفر طبعه منه
ويوجب له الالتفات الى اصلاح معاده وتذكيره مبدا له لعله يتذكر او يخشى والشغف بالغين المعجمة جمع
شغاف بالفتح وهو غلاف القلب والدهاق المفرغة والمحاق الناقصة واليافع الغلام المرتفع والسادر
اللاهى الذى لا يهتم بشئ والماتح الجاذب للدلو من البئر والبدوات الخطرات التى تبدو اى تظهر للخاطر
ودهمه بالكسر اى غشيه وغبر الشئ بقيته وجماحه سعيه فى ركوب هواه والساهر ثانيا المتحير واللادم
ضاربة الصدر والكارثة موجبة لشدة الغم والابلاس اليأس والرجيع من الابل المردد فى الاسفار والنضو
الذى قد اهزله وحفدة الولدان اعوانهم والحشدة بفتح الحاء والشين المجتمعون والنجى المتوجع وفى فصل
هذا الفصل نكت الاولى ام للاستفهام وهو استفهام فى معرض التقريع للانسان وامره باعتبار حال نفسه
ودلالة خلقته على جزئيات نعم الله عليه مع كفرانها وكان ام معادلة لهمزة الاستفهام قبلها والتقدير
اليس فيما اظهره الله لكم من عجائب مصنوعاته عبرة ام هذا الانسان وتقلبه فى اطوار خلقته وحاله الى
يوم نشوره كقوله تعالى وفى انفسكم افلا تبصرون وفى بعض النسخ وهذا والمعنى واحد واعلم ان فى ملاحظة
خلقة الانسان وما جمع فيها من لطائف الاسرار عبرة تامة حتى كان عالما مختصرا كما اومانا اليه قبل وكانيا
الثانية قبل [illegible] احوال تكون الانسان دبيب المنى واستقراره بطهر فيه فينمو به واول ما يكون فيه [illegible]
الروح بفعل الملك المصور ثم تحدث ريح من قبل الطبيعة فيثقب ثقبا امام فوهات العروق بحيث اذا
غلظت محسوسه صارت عروقا ثم ينبسط النطفة فى اقطارها ويحدث فى الغشاء ثقبا موازنة لثقب العروق
التى فى الرحم ينفتح عند الحيض ويحصل لجميعها مجار فى الغشاء المذكور يؤدى الى مجرى واحد فاذا عن
النطفة موديا الى باطنه الدم فى عرقين او عرق والنفس فى عرقين فاذا تخلقت هذه المجارى امتصت النطفة
حينئذ الغذاء من فوهات تلك العروق ونفذ فى الصفاق فدم يستحيل عن قبيل الجوهر المنى ويحدث لها
خطوط لها مبادى دموية ونقطة اولها القلب ثم لا تزال الدموية تزداد فى النطفة حتى تصير علقة ويكون
مثل الرغوة فى الاكثر لستة ايام وابتداء الخطوط الحمر والنطفة بعد ثلاثة ايام اخرى ثم بعد ستة ايام

اخرى وهو الخامس عشر من حين العلوق تنفذ الدموية فى الجميع فيصير علقة وبعد ذلك باثنى عشر يوما يصير
لحما وتميز قطعة لحم هى المضغة وتميز الاعضاء الرئيسة وتمتد رطوبة النخاع ثم بعد تسعة ايام ينفصل الراس عن
المنكبين والاطراف عن الضلوع والبدن تميز الحس فى بعضهم ويخفى فى بعض حتى يحس به بعد اربعة ايام اخرى
تمام الاربعين فيصير جنينا وقد يتم ذلك فى ثلاثين يوما وقد يتم فى خمس واربعين يوما وقيل المعدل فى ذلك
ذلك تحته وثلثون يوما فيتحرك فى سبعين يوما ويولد فى مائتين وعشرة ايام وذلك سبعة اشهر واذا كان
الاكثر تخته واربعين يوما فيتحرك فى تسعين يوما ويولد فى مائتين وسبعين يوما وذلك تسعة اشهر
فهذه اشارة الى تنقله فى ظلمات الرحم بتدبير الملك المقتدر وواسطة الملك المصور ولو كشف الغطاء
لراينا هذا التخطيط والتصوير يظهر عليه شيئا فشيئا مع انا لا نرى المصور ولا الته فسبحان المقتدر على
ما يشاء الثالثة انما وصف العلقة بالمحاق لكونها لم تفض عليها بعد صورة تخص الانسان فهى بعد ناقصة
الرابعة الولد ما دام يرضع فهو رضيع وبعده وليد فاذا ارتفع قبل يافع فاذا طر شاربه فهو غلام فاذا ادرك
فهو رجل وللرجولية ثلاثة حدود الشباب وهو الى تمام النمو وبعده الكهولة وبعدها الشيخوخة الخامسة
ذكر الحفظ للقلب واللفظ للسان واللحظ للبصر بيان لفوائدها ثم ذكر غاية تلك الفوائد ومقصودها
وهو ان يفهم الانسان معتبرا اى يستنبط من شواهد الاء الله دلائل قائدة وسائر نعوت جلاله ويعبر فيها
الى استكمال الفضائل النفسانية ويقصر مزدجرا اى يكف عما لا ينبغى من موبقات الاثام وعن الخوض فيما
لا يعنيه مزدجرا عنها السادسة قوله حتى اذا قام اعتداله واستوى مثاله نفر مستكبرا الى اخر الاوصاف بما
يعترض فيقال ان كثيرا من الناس لا يكون بهذه الصفة وحينئذ لا يصدق عليهم هذه الاحكام فجوابه
ان اشارته عليه السلام الى الانسان المطلق الذى هو فى قوة البعض لا الانسان العام وظاهر ان الاوصاف
المذكورة اذا صدقت على المطلق فقد صدقت على بعض الناس وذلك البعض هم العصاة المرادون بهذه
الاوصاف والتوبيخ بما لهم وفيه تنبيه للباقين على وجوب دوام شكر الله والبقاء على امتثال اوامره و
نواهيه السابعة ماتحا فى غرب هواه لما استعار لفظ الغرب لهواه الذى يملأ به صحائف اعماله من الماثم
كما يملأ دلو الغرب عن بئر من الماء رشح تلك الاستعارة بذكر المتح الثامنة المنصوبات العشرون نطفة وعلقة
وجنينا وراضعا ووليدا ويافعا ومعتبرا ومزدجرا ومستكبرا وسادرا وماتحا وكادحا وغريرا ومبلسا و
منقادا وسلسا ورجيع وصب ونضو سقم ونجيا كلها احوال والعامل فى كل حال ما يليه من الافعال
وسعيا اما مفعول به والعامل كادحا او مصدر استغنى عن ذكر فعله ويسيرا صفة ظرف محذوف قائم
مقامه اى زمانا يسيرا وروى اسيرا فعلى هذا يكون حالا وجزعا وقلقا وبقية مفعول له واستعار اسم الاسير
على الرواية الثانية وجه المشابهة ان صاحب الوالد يقوده هواه الى هواه كما يقاد الاسير الى ما يكرهه
التاسعة لم يفد عوضا اى لم يستفد فى الدنيا عوضا مما يفوته منها فى الاخرة والعوض الذى ضيعه هو

الكمالات

الكمالات التى خلق ليستفيدها وفرضت عليه ولم يقضها من العلوم والاخلاق العاشرة الواو فى الحال
العامل لادمة والانة الموجعة منه لقلوب الواجدين عليه والجذبة المكربة اى جذبة الملئكة للروح كما قال
تعالى ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملئكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم الاية وقد روى عن
رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال ان المؤمن اذا احتضر اتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل
روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية الى روح الله و
كرامته فاذا اخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها الى عليين وان
الكافر اذا احتضر اتته الملئكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال ايتها النفس الخبيثة اخرجى
ساخطة مسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا اخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وكان لها نشيش و
يطوى عليها ذلك المسح ويذهب بها الى سجين واعلم ان تلك الجذبة تعود الى ما يجده الميت حال النزع وهو
عبارة عن الم ينزل بنفس الروح فيستغرق جميع اجزائه المنتشرة فى اعماق البدن وليس هو كسائر ما يجده الم
المختص ببعض الاعضاء كعضو شاكته شوكة ونحوه لاختصاص ذلك بموضع واحد فالم النزع يهجم على نفس الروح
ويستغرق جميع اجزائه وهو المجذوب من كل عرق وعصب وجزء من الاجزاء ومن اصل كل شعرة وبشرة ولا تسأل
عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه وقد يمثل ذلك بشجرة شوك كانت داخل البدن ثم جذبت المكربة لما
كان موت كل عضو من البدن عقيب الامراض التى ربما طالت مدة وربما قتلت هى السوقة المتعبة الحادى عشر
رجيع وصب ونضو سقم استعارة وصفى الجمل فالرجيع باعتبار كونه قد ردد فى اطوار المرض وتواتر عليه
كما يردد الجمل فى السفر مرة بعد اخرى ولفظ النضو باعتبار نحوله من الاسقام كما ينحل الاسفار الجمل الثانى عشر قوله
اقعد فى حفرته نجيا لبهتة السؤال الى اخره اقول القول بعذاب القبر وسؤال منكر ونكير حق روى عن رسول
الله صلى الله عليه وآله انه قال لعمر بن الخطاب كيف بك اذا انت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة
اذرع فى ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك
التراب فيدفنوك فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف و
ابصارهما كالبرق الخاطف يجران اشعارهما ويحثان القبر بانيابهما فيتلتلانك ويترترانك فيقولان لك
من ربك ومن نبيك وما دينك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر فيكون معى عقلى الان فقال صلى الله عليه
واله نعم قال فاذن اكفيكهما وفى وصفهما عنه صلى الله عليه وآله انهما ملكان اسودان ازرقان احدهما منكر
والاخر نكير واعلم ان الايمان بما جاء من ذلك على ثلث مراتب احدها وهو الاظهر الاسلم ان يصدق بانهما موجودان
وان هناك ملكين على الصورة المحكية وحيات وعقارب تلدغ الميت وان كنا لا نشاهدها اذ لا تصلح
هذه العين لمشاهدة الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالاخرة فهو من عالم الملكوت كما كانت الصحابة يؤمنون
بنزول جبرئيل وكان النبى صلى الله عليه وآله يشاهده وان لم يكونوا يشاهدونه وكان جبرئيل لا يماثل الناس

فكذلك منكر ونكير وفعلهما والحيات والعقارب في القبر ليس من جنس حيات هذا العالم فتدرك بعين اخرى المقام
الثاني ان يتذكر ما قد يراه النائم من صورة شخص هائل يضربه او يقتله او حية تلدغه وقد يتألم بذلك حتى تراه
في نومه يصيح ويعرق جبينه وينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويشاهده ويتأذى به كما يتأذى اليقظان
وانت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حوله شخصا ولا حية والحية موجودة في حقه متخيلة له ولا فرق بين ان يتخيل عدوا
او حية او يشاهده المقام الثالث ان تعلم ان منكرا ونكيرا وساير احوال القبر غايته الايلام والمولم في حقه ليس هو
الشخص المشاهد ولا الحية بل ما حصل فيه من العذاب فالنفس العاصية اذا فارقت البدن حملت القوة المتخيلة
معها ولم تتجرد عن البدن منزهة عن الهيآت البدنية والاخلاق الرديئة المهلكة من الكبر والرياء والحسد و
الحقد والحرص وغيرها وهي عند الموت عالمة بمفارقة البدن متوهمة نفسها الانسان الذي مات وعلى صورته
كما كان في الرؤيا يتخيل ويتوهم بدنها مقبورة ويتخيل الالام الواصلة اليها من كل خلق ردي على سبيل العقوبة
المسببة لها كما قررته الشريعة الصادقة وانتزعت الاذهان عنها على صورة شخص منكر هائل الصورة يعتقد في الحال
ويهيئه يسؤ منظره وهول المسئلة ومحنته فيتلجلج لسانه فيضربه ويعذبه وعلى مثال شين يلدغه وان كانت النفس
سعيدة تخيلت الملذات الحاصلة لها من كل خلق حسن وعمل صالح قدمته في صورة ملايمة فوق ما كانت تعتقد
مما كان وصف لها من صور اشخاص بهية يدخلون عليهم ويلقاهم بالبشارة كبشير وبشير وساير الملائكة الذين
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ومن فسحة القبر والروح والريحان وساير ما وعدته فهذا عذاب القبر
وثوابه واليه الاشارة بقول الرسول صلى الله عليه وآله القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فان
قلت لم جعل او لم دخل على الانسان في قبره سواء كان سعيدا او شقيا ملكين ولم يكن ثلثة او واحدا مثلا
قلت قال بعض العلماء انه لما كانت السعادة والشقاوة الحاصلتين للنفس انما تحصل من جهة قوتين نظرية
وعملية جعل ما يكتسب عن كل واحدة منهما ملكا فان كان المكتسب جهلا مركبا ورذايل اخلاق فمنكر ونكير
وان كان علما ومكارم فبشير وبشير والله اعلم باسرار شريعته واعلم انك متى تصورت معنى ثواب القبر وعذابه في
المقامات تصورت معنى ثواب الجنة وعذاب النار الثالث قوله لا فترة مريحة ولا دعة حاجزة يجري مجرى ايات الكتاب
الناطقة بالتخليد وهي مخصوصة بالكفار الذين لا اسكنة لنفوسهم بعالم الملكوت وبحق قوله تعالى ان المجرمين
في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون واما انه ليس لهم قوة حاجزة فلان القوة الحاجزة بينهم وبين
العذاب مفقودة في حقهم وهي المسكة بالله تعالى وبحبل الالتفات الى عالم الغيب والملأ الاعلى واما عدم الموتة
الناجزة فلان الانسان غير قابل للفناء مرة اخرى كما علم ذلك في موضعه واما سلب السنة عنهم اشارة الى شدة
الامهم وما يلحقونه من اليم العذاب لما ان الالم الشديد يستلزم عدم النوم فلا سلوة ادنى بين حالات تسكين
العذاب واطلاق لفظ الموتات مجاز في شدة العذاب اطلاقا للذي للغاية على ما يصلح غاية له وقد لاحظ في
اكثر هذا الفصل السجع المتوازي وبالله التوفيق الفصل الثاني قوله عباد الله الذين عمروا فنعموا وعلموا

ففهموا وانظروا فلهوا وسلموا فنسوا امهلوا طويلا ومنحوا جميلا وحذروا اليما ووعدوا جسيما احذروا الذنوب
المورطة والعيوب المسخطة اولي الابصار والاسماع والعافية والمتاع هل من مناص او خلاص او معاذ او ملاذ او
فرار او محار ام لا فانى تؤفكون ام اين تصرفون ام بماذا تغترون وانما حظ احدكم من الارض ذات الطول والعرض
قيد قده متعفرا على خده الآن عباد الله والخناق مهمل والروح مرسل في فينة الارشاد وراحة الاجساد ومهل
البقية وانف المشية وانظار التوبة وانفساح الحوبة قبل الضنك والمضيق والروع والزهوق وقبل قدوم
الغايب المنتظر واخذة العزيز المقتدر اقول ونظمه في الامر حصلته فيه والمناص الملجأ والمحار المرجع فك
صرف وقيد قده مقدار قامته والمتعفر المترب والعفر التراب والفينة الحين وانف الشيء اوله والحوبة الحاجة
والمسكنة والضنك الضيق وفي هذا الفصل فوايد الاولى التنبيه والتقريع على كفران جملة من نعم الله فمنها
ان عمرهم فنعمهم وعلمهم ففهموا وانظرهم وسلمهم من الافات وامهلهم طويلا ومنحهم الجميل وحذرهم اليم العذاب و
وعدهم وعدا حسنا ومن كفرانهم لتلك النعم ان اشتغلوا بلذات الدنيا عن اوامره ولهوا عن الالتفات اليه ونسوا
ما ذكرهم به ودعاهم اليه الثانية التحذير من الذنوب المورطة في موارد الهلكة وانواع العذاب ثم من العيوب المسخطة
لله وهي اكتساب رذايل الاخلاق الثالثة تنبيه اولي الابصار والاسماع والعافية والمتاع في الدنيا على انه
لا مناص اي من امر الله ولا خلاص اي من عذابه لمن حصل فيه وكذلك لا معاذ ولا ملاذ منه لمن استحقه ولا فرار
اي من حكمه ولا مرجع اي بعد الموت وانما خص اولي الابصار والاسماع والعافية لكونهم اهل التكاليف التامة
والعقول داخلة في اشارته اما بالابصار والاسماع مجازا او في العافية وانما خص اولي المتاع لان اهل المتاع
بالدنيا هم المجذوبون عنها من جهة اشتغالهم بمتاعها عن سلوك سبيل الله ونحو استفهامه عن الامور المذكورة على
سبيل الانكار لها ثم استفهمهم عن وقت صرفهم عن عواقبهم وعن مكان ذلك على سبيل التقريع لهم ثم عما يعتذرون
به بعد لقاء الله في ترك اوامره على سبيل الانكار للاعتذار اي فأي معاذ لكم وهل لاستفهامية الرابعة التذكير
بامر القبر وتعيين المحذور فيه مما هو منفور عنه طبعا وفيه تنبيه على وجوب الانتهاء عن الاستكثار من قينات
الدنيا وجناتها لوجوب مفارقتها وانه لا نصيب للجسد في تحصيلها منها الا مقدار قامته وهو كناية عن قبره
الخامسة التنبيه على وقت العمل والاحوال التي يمكنهم فيها وكنى بالآن عن زمان الحيوة الدنيا وبالخناق عما يؤخذ
به اعناق النفوس الى بارئها وهو الموت كناية بالاستعارة ووجه المشابهة كون كل واحد منهما مكروها يقاد به
الى مكروه ورشح الاستعارة بذكر الاهمال وكنى به عن مدة الامهال في الحيوة الدنيا وكذلك اراد بارسال الروح
اهمالها وامهالها ويكون ذلك الارسال في فينة الارشاد اي في زمان ارشاد النفوس وطلبها لما تستعد
به من الكمال للقاء الله وروي الارشاد اي ارشاد النفوس الى سبيل الله فهي جهة السعادة الابدية وكذلك مهل
البقية اي بقية الاعمار السادسة قوله وانف المشية اي اول الارادات للنفوس وذلك انه ينبغي ان يكون اوايل ارادات
الانسان واوايل ميول قلبه الى طاعة الله والانقياد لاوامره لكون ما يرد على لوح نفسه من الكمالات

السعد في الآخرة واردا على لوح صاف عن كدر الباطل وانه متى عكس ذلك فجعل اوايل ميوله وارادته
لمعاصي الله تسود وجه نفسه بملكات السوء فلم يكد يقبل بعد ذلك الاستضاءة بنور الحق فكان من الاخسرين
اعمالا السابعة انظار التوبة امهال الله العصاة لاجلها ولما كان غرض العناية الالهية سوق كل ناقص الى
كماله حسن ان يعبر عن بقاء العاصي بانه انظار للتوبة الثامنة وانفساح الحوبة اتساع زمان العمل للحاجة في
الاخرة والاضافة تكفي فيها ادنى ملابسة وذلك ان كل حاجة عرضها الانسان في الدنيا فقد لا يكون في محل
الضرورة والضيق لكل منها وان كانت في محل الضرورة لكنها في مظنة ان يرجى زوالها بخلاف الحاجة و
الضرورة في الآخرة الى صالح الاعمال فانها لا يمكن زوالها بعد المفارقة ولا يتسع للعمل لها الا في الدنيا
وكان اهلها فيها في اشد ضرورة واضيق حال وافحج صورة واشار بالضنك والضيق الى انحصار الانسان
في اغلال الهيآت البدنية وسجن جهنم وبالروع والزهوق الى الفزع الاكبر من اهوال الموت وما بعده التاسع
الغايب المنتظر كناية عن الموت وقدومه هجومه ولما استعار له لفظ الغايب مراعاة للشبه بما فرع على
تلك الاستعارة بلفظ القدوم العاشر اخذة العزيز المقتدر حيث الارواح بحكم قدرة الله العزيز الذي لا
يلحقه اذلال قاهر المقتدر الذي لا امتناع منه لقدرته قادر وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام في ذكر عمرو بن
العاص عجبا لابن النابغة يزعم لاهل الشام ان في دعابة واني امرؤ تلعابة اعافس وامارس لقد قال باطلا
ونطق اثما اما وشر القول الكذب انه ليقول فيكذب ويعد فيخلف ويسأل فيلحف ويسأل فيبخل ويخون
العهد ويقطع الال فاذا كان عند الحرب فأي زاجر وآمر هو ما لم تأخذ السيوف مآخذها فاذا كان ذلك كان
اكبر مكيدته ان يمنح القوم سبته اما والله انه ليمنعني من اللعب ذكر الموت وانه ليمنعه من قول الحق نسيان
الآخرة انه لم يبايع معوية حتى شرط له ان يؤتيه اتية ويرضخ له على ترك الدين رضيخة اقول ابن النابغة
وسميت ام عمرو النابغة لشهرتها بالفجور وتظاهرها به الدعابة المزاح والتلعابة كثير اللعب والتاء للمبالغة
والمعافسة المداعبة والممارسة المعالجة بالمصارعة والقرص ونحوه والال القرابة وسبته سوءته والاتية
العطية والرضخ واحد وكذلك الرضيخة واعلم ان في هذا الفصل ثلثة فصول الاول ذكر دعوى عمرو في حقه
عليه السلام من كونه لعابا مزاحا كثير المعالجة والمصارعة وذكر هذه الدعوى مصدرة بالتعجب من صدورها
في حقه مختومة بالتكذيب لمدعيها والرد لمقاله وذلك قوله عجبا الى قوله ونطق اثما وباطلا وصف المصدر
واثما حال وانما كنى عنه بامه لان من عادة العرب النسبة الى الام اذا كانت مشهورة بشرف او خسة ونحوهما واعلم
انه عليه السلام قد كان يصدر عنه المزاح بالقدر المعتدل الذي لا يخرج به الى حد رذيلة الافراط فيه فمن ذلك
ما روي انه كان جالسا يوما على بارية من الارض وكان ابو هريرة جالسا معه واخذ منه لقمة وحذف بنواة قد
القاها ابو هريرة فتبسم عليه السلام فقال ابو هريرة هذا الذي اخرك عن الناس وقد علمت ان ذلك من توابع
حسن الخلق ولين الجانب فهو اذن فضيلة وليس برذيلة والمدعى لعمرو انما هو عبوره في ذلك الى حد الافراط

الذي يصدق عليه انه لعب وهزل وروي انه كان يقول لاهل الشام انا انما اخرنا عليا لان فيه هزلا لا جد
معه ونحوه ما كان يقوله ابو العاص لرسول الله صلى الله عليه وآله انه ساحر ومن اشبه اباه فما ظلم ولكن ينبغي
لعمرو انما هو فيما ادعاه من الخروج الى اللعب واما اصل المزاح فلم يكره وكيف وقد كان يصدر عن رسول الله
صلى الله عليه وآله كما روي انه قال يوما لعجوز ان العجايز لا يدخلن الجنة فبكت فتبسم فقال ان الله يجعلهن
شوابا ثم يدخلهن الجنة فاهل الجنة شباب جرد مرد وان الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وكان
يقول امزح ولا اقول الا حقا الثاني قوله اما وشر القول الى قوله سبته ويشتمل على ذكر ما اجتمع في هذا
المدعي من الرذايل التي توجب فسقه وسقوط دعواه لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ
فتبينوا الاية وذكر من تلك الرذايل خمسا الثالث الكذب وظاهر كونه شر القول وانه مفسدة مطلقة
في الدين والدنيا اما الدين فللمنقول والمعقول اما المنقول فقول رسول الله صلى الله عليه وآله الكذب
راس النفاق واما المعقول فلان الوجدان شاهد بان الكذب مما يسود لوح النفس ويمنعه من ان ينتقش
بصور الحق والصدق ويفسد المنامات والالهامات واما الدنيا فلانه سبب عظيم لخراب البلاد وقتل
النفوس وسفك الدماء وانواع الظلم ولذلك اتفق اهل العالم من ارباب الملل وغيرهم على تحريمه وادعى
المعتزلة قبحه بالضرورة لذاته وهو رذيلة مقابلة للصدق داخلة تحت رذيلة الفجور الثانية الخلف في الوعد
الثالثة الغدر في العهد وخيانته وهما رذيلتان مقابلتان للوفاء داخلتان تحت رذيلة الفجور ايضا
والغدر يستلزم رذيلة الخبث وهو طرف الافراط من فضيلة الذكاء وهما يستلزمان الكذب ايضا الرابعة
قطع الرحم وهي رذيلة الافراط من فضيلة صلة الرحم وحقيقتها عدم مشاركة ذوي اللحمة في الخيرات الدنيوية
وهي رذيلة تحت الظلم مستلزمة للبخل الخامسة رذيلة الجبن وهي طرف التفريط من فضيلة الشجاعة ونبه
عليها بقوله فاذا كان عند الحرب فأي زاجر وآمر هو الى قوله سبته وفيه تنبيه على دناءة همته ومهانة نفسه
اذ كان على الهمة شهم النفس لا يفر من قراع الاقران الى التخلص من الموت بالقبيح فهل يكون من كشف سوءته
وبقاء ذلك سبة في عقبه على مرور الدهور دعا الدناءة والمهانة وذيلتان تحت الجبن وقوله فأي زاجر
وآمر هو استفهام على سبيل التعجب والمبالغة في امره ونهيه وذكره في معرض الذم هنا وان كان من المحامد
لغرض ان يردفه برذيلته ليكون ذلك خارجا مخرج الاستهزاء فيكون ابلغ وقعا في النفوس واشد عارا
عليه اذ كان الامر والنهي في الحرب انما يحسن ممن يشهر بالشجاعة والاقدام لا ممن يأمر وينهى فاذا اشتد
القتال فر فرار الحمار من السبع واجتهد في البقاء ولو بالقبيح مقدمة فان عدم الامر والنهي والخمول يبذل
هنا اليق واولى من وجودها وكان بالطيب حكي صورة حاله اذ قال واذا ما خلا الجبان بارض طلب
الطعن وحده والنزالا واما صورة هذه الرذيلة منه فروي ان عليا عليه السلام حمل عليه في بعض ايام صفين
فلما تصور انه قاتله القى نفسه عن فرسه وكشف سوءته مواجها له عليه السلام بها فلما راى ذلك منه غض

بمس عنه وانصرف عمرو مكشوف العورة وبجابذلك فصار مثلا لمن يدفع عن نفسه مكروها بارتكاب المذلة ما العار وفيه يقول ابو فراس ولا خير في دفع الاذى بمذلة كما ردها يوما بسوءته عمرو وروى مثل ذلك لبسر بن
ارطاة معه عليه السلام فانه حمل على بسر فسقط بسر على قفاه ورفع رجليه فانكشفت عورته فصرف عليه السلام
وجهه عنه فلما قام سقطت البيضة عن راسه فصاح اصحابه يا امير المؤمنين انه بسر بن ارطاة فقال ذروه
لعنه الله فلقد كان معوية اولى بذلك منه فضحك معوية وقال لا عليك يا بسر ارفع طرفك ولا تستحي فلك
بعمرو اسوة وقد اراك الله منه ما اراه منك فصاح فتى من اهل الكوفة ويلكم يا اهل الشام اما تستحيون لقد
علمكم عمرو كشف الاستاه ثم انشد افي كل يوم فارس وكريهة له عورة وسط العجاجة بادية يكف لها عنه
على سنانه ويضحك منها في الخلاء معوية بدت امس من عمرو فقنع راسه وعورة بسر مثلها حذو حاذية
فقولا لعمرو وابن ارطاة ابصرا سبيلكما لا تلقيا الليث ثانية ولا تحمدا الا الحيا وخصاكما هما كانتا والله
للنفس واقية ولولاهما لم تنجوا من سنانه وتلك بما فيها عن العود ناهية وكان بسر ممن يضحك من عمرو فصار
ضحكة للرايه **الثالث** بيان وجه فساد مدعى عمرو في حقه وهو سند المنع وذكر وجهين احدهما يرجع اليه وهو
عليه السلام دائم الذكر للموت والتفكر في احوال المعاد والوجدان شاهد بان المستكثر من اخطار الموت عليه
يكون ابدا قصير الامل وجلا مترصدا لهجوم الموت عليه مشغول بذلك عن الالتفات الى حظ الشهوات من
اللعب ونحوه فكيف يتصور له اللعب منه هو وحال الثاني يرجع الى حال عمرو وهو انه ممن نسي الاخرة وظاهر
ان نسيانها مستلزم للكذب وساير وجوه خداع ابناء الدنيا عنها بالمكر والحيلة وما لا يستحي من مناهي الله
ومن كانت هذه حاله كيف يوثق بقوله ثم نبه بقوله ولم يبايع معوية الى آخره على بعض لوازم نسيان الآخرة
وهو اخذه لبيعته وقتاله معه الامام الحق الذي يخرج به عن دينه بقية الدين عوضا وثمنا وتلك العطية
مصر كما سبقت الاشارة اليه وبالله العصمة والتوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له الاول لا شيء قبله والآخر لا غاية له لا تقع الاوهام له على صفة ولا تعقد القلوب منه على كيفية
ولا تناله التجزية والتبعيض ولا تحيط به الابصار والقلوب **اقول** هذا الفصل يشتمل على اثبات ثماني
صفات من صفات الجلال **فالاولى** الوحدانية مؤكدة بنفي الشركاء وذلك قوله واشهد الى قوله لا شريك
له وقد اشرنا الى معقد البرهان العقلي على الوحدانية ولما لم تكن هذه المسألة مما يتوقف اثبات النبوة
عليها جاز الاستدلال فيها بالسمع كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقوله والهكم اله واحد
لا اله الا هو **الثانية** كونه اولا غير مسبوق بالغير **الثالثة** اثبات كونه آخرا غير منته وجوده الى غاية ينتهي عندها
وقد سبق البحث عنهما مستقصى ونفي قبلية شيء له والغاية عنه تاكيد له **الرابعة** من السلوب انه لا تقع الاوهام
منه على صفة وقد علمت فيما سبق ان الاوهام لا يصدق حكمها الا فيما كان محسوسا او متعلقا بمحسوس
فاما الامور المجردة عن علايق المادة والوضع فالوهم ينكر وجودها اصلا فضلا عن ان يصدق في اثبات

صفة لها واما الحاكم باثبات صفة له هو العقل الصرف وقد علمت ان ما ثبت منها ليست حقيقة خارجية
بل امور اعتبارية تحدثها عقولنا عند مقايسته الى الغير ولا يفهم من هذا انه اثبت له صفة بل معناه ان
الاوهام لا يصدق حكمها في وصفه **الخامسة** كونه لا تعقل له كيفية يكون عليها وبيان ذلك ببيان
معنى الكيفية فنقول انها عبارة عن هيئة قارة في المحل لا يوجب اعتبار وجودها قسمة ولا نسبة ولما بينا
انه ليس له صفة تزيد على ذاته وهي محل لها استحال ان تعقد القلوب منه على كيفية **السادسة** كونه لا تناله
التجزية والتبعيض وهو اشارة الى نفي الكمية عنه اذ كانت التجزية والتبعيض من لواحقها وقد علمت ان الكم من
لواحق الجسم والباري تعالى ليس بجسم وليس بكم فليس للتبعيض والتجزية ولان كل قابل لهما مفتقر عن جزئه والمفتقر
عن الغير ممكن على ما مر **السابعة** كونه تعالى لا تحيط به الابصار وهو كقوله تعالى لا تدركه الابصار وهذه المسألة
مما اختلف فيها علماء الاسلام وقد سبق فيها الكلام وخلاصته ان المدرك بحاسة البصر بالذات انما هو
الالوان والاضواء وبالعرض المتلون والمضيء ولما كان اللون والضوء من خواص الجسم وكان تعالى منزها عن
الجسمية ولواحقها وجب كونه منزها عن الادراك بحاسة البصر **الثامنة** كونه تعالى لا تحيط به القلوب والمراد ان العقول
البشرية قاصرة عن الاحاطة بكنه ذاته المقدسة وقد سبق تقرير ذلك وبالله التوفيق **ومنها** فاتعظوا عباد
الله بالعبر النوافع واعتبروا بالآي السواطع وازدجروا بالنذر البوالغ وانتفعوا بالذكر والمواعظ فكان قد علقتكم
مخالب المنية وانقطعت منكم علايق الامنية ودهمتكم مفظعات الامور والسياقة الى الورد المورود وكل
نفس معها سائق وشهيد سائق يسوقها الى محشرها وشاهد يشهد عليها بعملها **اقول** الآي جمع آية والساطع
المرتفع والنذر جمع نذير ومفظعات الامور شدايدها والورد المورود وفي هذا الفصل فوايد **الاولى** الامر
بالاتعاظ بالعبر النوافع واسم العبرة حقيقة في الاعتبار وقد يطلق مجازا فيما يعتبر به ويحتمل ان يراد هاهنا
اطلاقا لاسم الحال على المحل وللاتعاظ سبب وحقيقة وثمرة اما سببه فالنظر في آثار الماضين وقد تصرم
وتصريف قضاء الله وقدره لاحوالهم وهو الاعتبار واما حقيقته فالخوف الحاصل في نفس المعتبر من اعتباره
وتأثره من ان يلحقه ما لحقهم اذ هو مثلهم واولى بما لحقهم واما ثمرته فالانزجار عن مناهي الله واجابة داعيه الى الاعداد
لسلوك سبيله **الثانية** الامر بالاعتبار بالآي السواطع وهو ارداف للامر بالاتعاظ بالامر بسببه والمراد
بالآي آيات آثار الله وعجايب مصنوعاته او آيات القرآن المعذرة والمنذرة واستعار لها لفظ السطوع
ووجه المشابهة ظهور اشراق نور الحق منها على مرايا قلوب عباد الله كاشراق نور الصبح وسطوعه وهو
استعارة لفظ المحسوس للمعقول واعتباره بها الانتقال ذهنا فيها في مقام النظر والاستدلال كما سلف
بيانه **الثالثة** الامر بالازدجار بالنذر البوالغ وهو امر بغاية الاتعاظ والنذر هي زواجر الله ووعيداته
البالغة حد الكمال في التخويف والزجر عند اعتبارها **الرابعة** الامر بالانتفاع بالذكر والمواعظ وهو
امر بتحصيل ثمرة الذكر والموعظة عنهما وختم هذه الاوامر بذكر الانتفاع ترغيبا وجذبا للنفوس الى الذكر

وقبول المواعظ **الخامسة** التخويف والتذكير بالموت وما يتبعه ليبادروا الى امتثال اوامره السابقة **السادسة**
فكان قد علقتكم مخالب المنية استعار لفظ المخالب للمنية استعارة بالكناية ورشح بذكر العلوق وحظه
في ذلك تشبيه المنية بالسبع الذي يهجم ويتوقع افتراسه وكان مخففة من كان واسمها ضمير الشان ويحتمل
ان يكون ان الناصبة للفعل ودخلت عليها كاف التشبيه **السابعة** وانقطعت عنكم علايق الامنية اشار
الى ما ينقطع عن الميت بانقطاع امله من مال وجاه وساير ما كان يتعلق به آماله من علايق الدنيا ومتاعها
الثامنة ودهمتكم مفظعات الامور اشارة الى ما يهجم على الميت من سكرات الموت وما يتبعها من عذاب
القبر واهوال الآخرة وقوله والسياقة الى الورد المورود فالسياقة هي السوقة المعنية التي سلف ذكرها
والورد المورود هي المحشر **العاشرة** وكل نفس معها سائق وشهيد اقتباس للآية وجاءت كل نفس معها
سائق وشهيد فالسائق الذي يسوقها الى المحشر هو حكم القضاء الالهي واسباب الموت القريبة الحاكمة
على النفس برجوعها الى معادها فان كانت من اهل الشقاوة فيالها من سوقة صعبة وحقيقة من مجاز وسيق
الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم الآيات وان كانت
من اهل السعادة فسائقها سائق ذو رفق سوقا لطيفا ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وسيق
الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين واما الشاهد عليها بعملها فقد سبقت الاشارة اليه وبالله التوفيق **منها** في صفة الجنة درجات
متفاضلات ومنازل متفاوتات لا ينقطع نعيمها ولا يظعن مقيمها ولا يهرم خالدها ولا ييأس ساكنها
اقول اعلم ان الذ ثمار الجنة هي المعارف الالهية والنظر الى وجه الله ذي الجلال والاكرام والسعداء
في الوصول الى نيل هذه الثمرة على مراتب متفاوتة ودرجات متفاضلة **فالاولى** مرتبة من اوتي الكمال في
حدي القوة النظرية واستغنى عن معلم بشري راسا واوتي مع ذلك ثبات قوة المفكرة واستقامة وهم
متفاوتة تحت قلم العقل فلا يلتفت الى العالم المحسوس بما فيه حتى يشاهد العالم المعقول بما فيه من الاحوال
ويثبتها في اليقظة فيصير العالم وما يجري فيه متمثلا في نفسه فيكون للقوة النفسانية ان يؤثر في عالم
الطبيعة حتى ينتهي الى درجة النفوس السماوية وتلك هي النفوس القدسية اولات المعارج وهم السابقون
السابقون اولئك هم المقربون وهم افضل نوع البشري واحقه باعلى درجات السعادة في الجنة **الثانية**
من له الامران الاولان دون الثالث الشاعي التأثير في عالم الطبيعة وهذه مرتبة اصحاب اليمين وتحتها
مراتب **فاحدها** مرتبة من له استعداد طبيعي لاستكمال قوته النظرية دون العملية **الثانية** مرتبة من اكتسب
ذلك الاستكمال في قوته النظرية اكتسابا تكليفيا دون تهيؤ طبيعي ولا حظ له في امر القوة العملية
الثالثة مرتبة من ليس له تهيؤ طبيعي ولا اكتساب تكلفي في قوته النظرية وله ذلك التهيؤ في العملية
الرابعة مرتبة من له تكلف في اصلاح الاخلاق واكتساب الملكات الفاضلة دون تهيؤ طبيعي لذلك

اذا عرفت ذلك فاعلم ان للمقربين البالغين في الملكات الشريفة لذات عظيمة في الجنة فقد فازوا بنعيم
الابد والسرور الدايم في حضرة جلال رب العالمين في مقعد صدق عند مليك مقتدر غير محجوبين عن لذاتهم
لهم فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وهم فيها خالدون كما قال عليه السلام لا يظعن مقيمها مجردين عن عوارض
الابدان وشوايب المواد مجردين عن مزاحمة القوى المتعالية المتجاذبة المؤدية الى الهرم والموت مكتحلين بالانوار
الساطعة ينظرون الى ربهم بوجوههم الناضرة واما اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين ولهم لذات
دون الوصول الى رتبة السابقين وقد يخالط لذات هؤلاء شوب من لذات المقربين كما اشير اليه في التنزيل
الالهي في وصف شراب الابرار ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ولكل من المراتب المذكورة كمال يخصه
ودرجة من السعادة في الجنة تخصه كما قال هم درجات عند الله وقال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات وقال لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار واذا عرفت ذلك فلنرجع
الى المتن فنقول اما قوله لا ينقطع نعيمها فلقوله تعالى واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ وقوله ان هذا لرزقنا ما له من نفاد ولان الكمال الذي
حصل للانسان فاستحق به سعادة في الجنة ملكات ثابتة في جوهر لا تزول ولا تتغير ومهما دام استحقاق
القابل لجود الله ونعمته وجب دوام ذلك الجود وفيض تلك النعمة اذ هو الجواد المطلق الذي لا بخل من جهته
ولا منع واما قوله ولا يظعن مقيمها فلقوله ثم لهم جنات النعيم خالدين فيها ابدا وقوله ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا ولان النعيم الابدي مطلوب
بالذات غير ممنوع منه فلا يكون مهروبا عنه بالذات واما قوله ولا يهرم خالدها ولا ييأس ساكنها اي لا
يبؤس فلان الهرم مستلزم للتعب والنصب وكذلك البؤس عن الضعف وهذه اللوازم منفية عن اهل الجنة
لقوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله
لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب وبانتفاء هذه اللوازم ينتفي عنهم ملزومها وهو الهرم وبالله التوفيق
ومن خطبة له عليه السلام وفيها مقول **الاولى** قوله قد علم السراير وخبر الضماير له الاحاطة بكل شيء والغلبة
لكل شيء وهذا الفصل يشتمل على بعض اوصاف الحق سبحانه **الاول** كونه عالما بالسراير وهو كقوله يعلم سركم
ونجويكم **الثاني** كونه خبيرا بالضماير وهو قريب من المرادف للعالم بالسراير فان الخبير هو الذي لا يعزب عنه
الاخبار الباطنة ولا تضطرب نفس ولا تسكن الا ويكون عنده خبرها وذلك بعينه هو العالم مضافا الى
السراير والخفايا الباطنة وان كان مطلق العليم اعم **الثالث** كونه محيطا بكل شيء وهو اشارة الى علمه بكليات
الاشياء وجزئياتها وعليه تعالى جمهور المتكلمين والحكماء اما المتكلمون فظاهر واما المحققون من الحكماء
فلخص كلامهم اجمالا في كيفية علمه تعالى انه يعلم ذاته بذاته ويتحد هناك المدرك والمدرك والادراك ولا
يتعدد الا بحسب الاعتبارات العقلية التي تحدثها العقول البشرية واما المعلومات الغريبة منه فيكون باب

دوانها ويجد هناك المدرك والمدرك والادراك ولا يتمدد الا بحسب الاعتبارات العقلية التي تعدّدها
العقول ويغايرها المدرك واما المعلولات البعيدة كالماديات والمعدومات التي من شانها امكان ان تحدث
في وقت او يتعلق بموجود فيكون بارتسام صورها المعقولة من المعلولات القريبة التي هي المدركات لها اولا
وبالذات وكذلك الى ان ينتهي الى اوائل المحسوسات بارتسامها في الات مدركها قالوا وذلك لان الموجود
في الحاضر حاضر والمدرك الحاضر مدرك لما يحضر معه فاذن لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا
في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر ويكون ذوات معلولات القريبة مرتسمة بجميع الصور وهي التي يعبر عنها
تارة بالكتاب المبين وتارة باللوح المحفوظ وتسمى عندهم عقولا فعالة الرابع كونه تعالى غالبا لكل شيء الخامس
كونه قويا على كل شيء وهما اشارتان الى وصف قدرته تعالى بالتمام على كل مقدور فان القوة عليها والغلبة
لها من تمام القدرة ويفهم من الغالب زيادة على القوي ويعود الى معنى القاهر وقد سبق بيانه واما بيان
صدق هاتين القضيتين فبيان انه تعالى مبدأ كل موجود وان كل ممكن مفتقرة سلسلة الحاجة اليه وقد فرغ
من ذلك في الكتب الكلامية الفصل الثاني قوله فليعمل العامل منكم في ايام مهله قبل ارهاق اجله وفي فراغه
قبل اوان شغله وفي متنفسه قبل ان يؤخذ بكظمه وليمهد لنفسه وقدمه وليتزود من دار ظعنه لدار اقامته
فالله الله عباد الله فيما استحفظكم من كتابه واستودعكم من حقوقه فان الله سبحانه لم يخلقكم عبثا ولم يترككم
سدى ولم يدعكم في جهالة ولا عمى قد سمى اثاركم وعلم اعمالكم وكتب اجالكم وانزل عليكم الكتاب تبيانا
وعمر فيكم نبيه ازمانا حتى اكمل له ولكم فيما انزل من كتابه دينه الذي رضي لنفسه وانهى اليكم على لسانه محابه
من الاعمال ومكارهه ونواهيه واوامره فالقى اليكم المعذرة واتخذ عليكم الحجة وقدم اليكم بالوعيد و
انذركم بين يدي عذاب شديد فاستدركوا بقية ايامكم واصبروا لها انفسكم فانها قليل في كثير الايام التي
تكون منكم فيها الغفلة والتشاغل عن الموعظة ولا ترخصوا لانفسكم فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة
ولا تداهنوا فيهجم بكم الادهان على المعصية عباد الله ان انصح الناس لنفسه اطوعهم لربه وان اغشهم لنفسه
اعصاهم لربه والمغبون من غبن نفسه والمغبوط من سلم له دينه والسعيد من وعظ بغيره والشقي من انخدع
لهواه وغروره واعلموا ان يسير الرياء شرك ومجالسة اهل الهوى منساة للايمان ومحضرة للشيطان وجانبوا
الكذب فانه مجانب للايمان الصادق على شفا منجاة وكرامة والكاذب على شرف مهواة ومهانة لا تحاسدوا
فان الحسد ياكل الايمان كما تاكل النار الحطب ولا تباغضوا فانها الحالقة واعلموا ان الامل يسهي العقل
وينسي الذكر فاكذبوا الامل فانه غرور وصاحبه مغرور اقول الفصل الى اخره شروع في الموعظة والمشورة
ولما قدم الاشعار بان الله تعالى عالم بما في الصدور وغالب على كل مقدور امرهم بعده بالعمل واراد الاعمال الصالحة
المطلوبة بالتكاليف الشرعية وان يعملوها مهما امكن الثبات اقدامهم على الصراط المستقيم المامور بسلوكه
ثم تلطف في الجذب الى العمل بتذكيرهم بانهم في ايام مهلة وفراغ متنفس خناق يمكنهم فيه العمل وان الذي

التذكرة

يعملونه من الصالحات هو زاد لهم في سفرهم الى الله والى دار اقامتهم وان وراء هذه المهلة ادراك الاجل بعده شغل
باهوال الاخرة واخذها بالكظم وكنى به عن عدم التمكن من العمل اذ لم تكن الاخرة دار عمل ثم اتبع بالتاسي حذرهم
ربهم ان يخالفوا فيما امرهم بحفظه وهو كتابه وعن حفظه تدبر ما فيه والمحافظة على العمل باوامره ونواهيه
وهي حقوقه التي استودعهم اياها ثم علل ذلك بتنبيههم على انه تعالى لم يخلقهم عبثا خاليا عن وجه الحكمة بل خلقهم
ليستكملوا الفضائل النفسانية بواسطة الالات البدنية ولم يجعلهم في وجودهم مهملين بل ضبط اثارهم و
اعمالهم وكتب اجالهم في كتابه المبين والواحه المحفوظة الى يوم الدين ونظم وجودهم برسول كريم عمره فيهم
وكتابا اوضح لهم فيه السبيل التي لسلوكها خلقهم واكمل لهم ولنبيه دينهم الذي ارتضاه لهم وما اهلهم له من
الكمالات المسعدة في الاخرة كما قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا وبلّغهم على لسانه ما احب لهم من الخيرات الباقية وكره لهم من الشرور الشقية في الاخرة كما اشتملت عليه
اوامره ونواهيه وابان لهم فيه الاعذار واوضح فيه الحجج وتحذر بالوعيد والنذر بين يدي عذاب شديد و
استعار لفظ اليدين للعذاب وكنى ببين يديه عن الوقت المتقدم على عذاب الاخرة المشارف له ووجه الشبه
ان الانذار بالمخوف يكون من ذي سطوة وباس شديد فكانه تنزل العذاب الشديد بمنزلة المعذب فاستعار
له يدين وجعل الانذار والتخويف منه متقدما بين يديه وذلك من الجواذب اللطيفة ثم عاد الى امرهم
باستدراك بقية اوقاتهم في الدنيا وان يصبروا لها انفسهم اي يلزموا انفسهم فيها الصبر على الاعمال الصالحة
وفي لفظ الاستدراك اشعار بتقديم تفريط منهم في جنب الله ولذلك قال فانها قليل في كثير الايام التي
تكون منكم فيها الغفلة والتشاغل عن الموعظة وانما قال لها لان كل وقت يستحق ان يوقع فيه ما ينبغي
من الافعال فصدق عليها انه ذلك الفعل لها قوله ولا ترخصوا لانفسكم الى قوله المعصية اقول ليس
المقصود بالرخصة هنا الرخص الشرعية بل ما يتساهل الانسان فيه مع نفسه من توسيع الماكل والمشارب
والمناكح والخروج فيها الى ما لا ينبغي فيتسامح ويتأول له تأويلا وحيلة يخيل انها جائزة في الشريعة وترخص
بها اتباعا لهواه ونحوه الاجتماع في السماع لغير اهله وحضور مجالس الغناء ومعاشرة الظالمين والضابط
الكلي في هذا الباب هو توسع الانسان في الامور المباحة واستيفاؤه حده فانه متى فعل ذلك شارف المكروه
ثم ربما الحظ انه لا عقاب في فعله فقادته شهوته الى فعله فاستوفى حده فشارف المحظور وذلك ان العقل
اذا اطاع النفس الامارة بالسوء فيما تامر به مرة ومرة لم يبق له نفار عما يقوده اليه لوقوع الانس به وظاهر
ان ارتكاب بعض مامورتها يجر الى ارتكاب بعض فيؤدي ذلك الى تجاوز الحدود والترخيص وعبورها الى
الوقوع في حبائل الشيطان والتهور في المحظورات التي هي مهاوي الهلاك ولذلك ما ورد في الخبر من رتع
في حول الحمى اوشك ان يقع فيه وقد شبه العارفون القلب بالحصن والشيطان بعدو يريد ان يدخله ولم
يكن دفع ذلك العدو والتحفظ منه الا بضبط ابواب ذلك الحصن التي منها الدخول اليه وحراستها وهي ابواب

كثيرة كسائر المحرمات ومساهلة النفس في التوسع في المباحات والدخول في الامور المشتبهة من اعظم تلك
الابواب ودخول الشيطان منه اسهل وهو عليه اقدر ولذلك قال عليه السلام فتذهب بكم الرخص مذاهب
الظلمة ويهجم بكم الادهان على المعصية ومذاهب الظلمة مسالكها وطرقها المعتاد لها من العدول وروي
ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له يا ابليس ما هذه المعاليق
قال هذه هي الشهوات التي اصيب بهن قلوب بني ادم فقال هل لي فيها شيء قال نعم ربما شبعت فثقلناك
عن الصلوة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املأ بطني من طعام ابدا فقال
ابليس لله علي ان لا انصح مسلما ابدا ولا تداهنوا اي لا تسالموا الظلمة وتساهلوا معهم في السكوت عما
ترونه من منكراتهم فيهجم بكم الادهان على المعصية اي اذا انستم بمشاهدة المعاصي والفتم تكرارها كنتم بذلك
عصاة وربما ساقكم ذلك الى فعل المنكر ومشاركتهم فيه قوله عباد الله الى اخره لعبارات في معنى الاوامر
والنواهي فاوامر ونواهي صريحة مشتملة على جواذب الى طاعة الله ولزوم دينه اقول قوله ان انصح الناس
لنفسه اطوعهم لربه وبيانه انه لما كان غرض النصح انما هو جلب الخير والمنفعة الى المنصوح وكان اجل خير و
منفعة هو السعادة الباقية الابدية ومشاهدة الحضرة الربوبية وكانت تلك السعادة انما تنال بطاعة
الله تعالى فكل من كانت طاعته له اتم كانت سعادته اتم فكان هو انصح الناس لنفسه بمبالغته في طاعته قوله
قوله وان اغشهم لنفسه اعصاهم لربه وهو ظاهر مما قررناه فانه لما كانت غاية الغش انما هو جلب الشر
والمضرة الى المغشوش وكان اعظم شر وضرر يلحق العبد هو الشقاوة الابدية في قعر الجحيم وكانت تلك
الشقاوة انما يحصل الانسان عليها بمعصية الله تعالى فكل من كانت معصيته اتم كانت شقاوته اتم فكان
هو اغش الناس لنفسه بمبالغته في معصيته وحاصل القضية الاولى الامر بالطاعة بتمام ما يمكن والثانية
النهي عن المعصية بتمام ما يمكن ورغب في الطاعة بذكر نصيحة النفس لها ان النصيحة محبوبة ونفر عن المعصية
بذكر غشها اقول قوله والمغبون من غبن نفسه والمراد من غبنها بالمعصية المستلزمة لدخول النار فكان
الانسان بمتابعة شيطانه خادع لنفسه وقد بخسها ما يستحقه من ثواب الله ولما كانت السعادة الاخروية
اعظم ما يتنافس فيه لا جرم كان اعظم مغبون من لم يعرفها فلذلك حصر المغبون فيه على طريق المبالغة
وهو خبر في معنى النهي عن المعصية ونفر عنها بذكر غبن النفس قوله والمغبوط من سلم له دينه والغبطة ان
يتمنى الانسان مثل ما للغير من حال او مال مع قطع النظر عن تمني زوال تلك الحال عمن هي له وبهذا القيد
يتميز عن الحسد والقضية ظاهرة مما قبلها فانه لما كان من سلم دينه فائزا بالسعادة الكبرى الباقية
مع كونها اجل ما يغبط به ويتنافس فيه لا جرم كان هو اعظم مغبوط ولذلك حصر المغبوط فيه مبالغة
ورغب في المحافظة على الدين بكون من سلم له مغبوطا قوله والسعيد من وعظ بغيره وقد صارت هذه
القضية في معنى المثل اي السعيد في الاخرة من اعتبر حال غيره فشاهد بعين بصيرته مصير الظالمين فما

ما فيهم فعدل عن طريقهم وتذكر مال المتقين فمال الى جادتهم وسلك مسالكهم ورغب في الاتعاظ بالغير
بذكر استلزامه للسعادة الثاني وكذلك الشقي في الاخرة من انخدع لهواه وغروره ونفر عن اتباع الهوى بذكر
الخداع والغرور السابع التنبيه على ان يسير الرياء شرك وقد سبق منا بيان ان الرياء في العبادة وان قل التفات
مع الله الى غيره وادخال له في القصد بالعمل والطاعة وذلك في الحقيقة شرك خفي اتفقت عليه ارباب القلوب
الثامن قوله ومجالسة اهل الهوى منساة للايمان ومحضرة للشيطان اراد باهل الهوى الفساق المنقادين
لدواعي الشيطان الى الشهوات الخارجة عن حدود الله ونفر عن مجالستهم بانها محل لامرين احدهما نسيان الايمان
وهو ظاهر فان اهل الهوى لما اشتغلوا بذكر ما هم فيه من لعب ولهو وخاضوا في اصناف الباطل وانواعه
فمجالستهم عن رغبة مظنة الغفلة عن ذكر الله والانجذاب الى ما هم عليه عن الاعمال الصالحة وتلك اركان
الايمان وقواعده وقد علمت ان كثرة الغفلات عن الشيء تؤول الى نسيانه وانمحائه عن لوح الخيال والذكر
وربما يجوز في مطلق الغفلة عن اوقات العبادة والذكر بالنسيان تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه الثاني
كونها محلا لحضور الشيطان وقد علمت معنى الشيطان وقد علمت معنى الشيطان وان كل محل عصي الله فيه
فهو محضر للشيطان وموطن له التاسع الامر بمجانبة الكذب ونفر عنه بقوله فانه مجانب للايمان وهو صدق
بتوقف ومعنى المجانبة كون كل منهما في جانب فان كانت الاعمال الصالحة داخلة في مسمى الايمان فالصدق
من جملتها ومضاد الصدق مضاد للايمان واحد الضدين مجانب للاخر فالكذب مجانب للايمان وان
لم يكن كذلك قلنا ان الكذب من اعظم الرذائل الموبقة والايمان اعظم الفضائل المسعدة وبين الفضائل
والرذائل منافاة ذاتية فالكذب مناف للايمان ومجانب له ويحتمل ان يكون معنى مجانبته له كونه غير لائق
ان يجامعه في محل واحد وغير مناسب له وبالجملة كونه ليس من شانه وقد بينا ما يشتمل عليه الكذب من
المضار المهلكة ثم اردف ذلك بالترغيب في الصدق بكون الصادق على شفا منجاة اي مشارف النجاة و
كرامة او لحلها وهو الجنة اذا الصدق باب من ابوابها ثم بالتنفير عن الكذب بكون الكاذب على شرف
مهواة ومهانة اي هوي وهوان او محلهما وحضيض الجحيم الذي هو محل الهوان اذا الكذب باب من ابوابها
وموصل الى الباب مشارف الدخول وعن رسول الله صلى الله عليه وآله اياكم والكذب فانه يهدي الى الفجور
وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا وعليكم بالصدق فان الصدق
يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وقال صلى
الله عليه وآله الكذب راس النفاق وهو ظاهر فان مدار النفاق على المصانعة بالقول الغير المطابق لما
في نفس الامر وهو حقيقة الكذب العاشر النهي عن الحسد وقد اتفق ارباب القلوب على انه من اعظم ابواب
الشيطان التي يدخل بها على القلب وهو احد العوارض الرديئة للنفس ويتولد من اجتماع البخل والشره
في النفس واعني بالشره من يلتذ طباعها بمضار تقع بالناس ويكره ما يوافقهم وان كان مما لا يرونه

ولم يبنوا اليه وقد علمت ان من هذه صفته مستحق للمقت من الله عز وجل وذلك انه مضاد لارادته اذ هو
تعالى المتفضل على الكل المريد للخير المطلق الكل وقد يحكم الحسد بانه اعظم الاثام بجزئيا لخيره من
حيث لا مضرة عليه منه وقد يوجب الحسد ممن لم ينتفع ما من المحسود ويسمى الحسد البالغ فاما تعليله
وجوب توكيد بانه ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب فاعلم ان العلماء قد اتفقوا على ان الحسد مضر
بالنفس والجسد اما بالنفس فلانه يشغلها ويفرق فكرها بالاهتمام بامر المحسود لا يفرغ للتصرف فيما
يعود نفعه عليها بل ويمحو ما حصل عليه من الملكات الخيرية التي هي الحسنات المبعوثة في جوهرها ويجل
على طول تعود الحسد واشتغال الفكر فيه وطول الحزن والهم لان نعم الله على عباده اكثر من ان تحصى واذا
كان الحسد بها دام فانقطع وقت الحاسد به من تحصيل الحسنات واما بالجسد فلانه يعرض له عند حدوث
هذه الاعراض للنفس طول السهر وسوء الاغتذاء ويعقب ذلك رداءة اللون وسوء السحنة وفساد المزاج
اذا عرفت ذلك فنقول انه قد استعار هاهنا لفظ الاكل لكون الحسد ماحيا لما في النفس من الخواطر
الخيرية التي هي الحسنات ومانعا من صيرورتها ملكات وذلك بسبب استغراقها في حال المحسود واشتغالها
به وشبه ذلك باكل النار الحطب ووجه الشبه ما يشترك فيه الحسد والنار من افناء الحسنات والحطب
واستهلاكهما الحادي عشر النهي عن التباغض وتعليله ذلك بانها الحالقة واعلم انه لما كان امر العالم لا يتم
الا بالتعاون والتظافر وكان التعاون انما يتم بالالفة وكان اقوى اسباب الالفة هو المودة فالمودة
بين الخلق كانت المودة من المطالب المهمة للشارع ولذلك اخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين اصحابه
ليخلص محبتهم ويصفو الفتهم ويصدق بينهم التعاون والتظافر والاتحاد في الدين وقال صلى الله عليه
وآله المرء كثير باخيه ولا خير في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له فلذلك كان التباغض بينهم
منهيا عنه مكروها في الشريعة لما يستلزمه من التقاطع بينهم وعدم تعاونهم وتظافرهم ويسبب ذلك
تختطف كلا منهم ايدي حاسديه وتحكم فيه اهواء اعاديه فلا تسلم له نعمة ولا تصفو له مقة بل يكون
بذلك بواره واضمحلال النوع وهلاكه ولذلك قال عليه السلام فانها الحالقة واصل هذا اللفظ مستعار
مما يحلق الشعر كالموسى ونحوها للدواهي واسباب الشر ثم صار مثلا وقد وقع هاهنا موقع من الاستعارة
ووجه المشابهة ان الموسى مثلا كما انها سبب لحلق الشعر واستيصاله كذلك التباغض سبب لاستيصال
الخلق بعضهم بعضا الثاني التنبيه على مضار الامل للدنيا تنفيرا عنه والامر بتكذيبه المستلزم للنهي عنه
فاما مضاره الثالث انه يوجب سهو العقل عما هو الاولى بالانسان في معاشه ومعاده وهو ظاهر
فان الامل ابدا مشغول الفكر بما يامله ويرجوه وفي كيفية تحصيله وكيفية العمل به بعد حصوله وشغل
بذلك يستلزم فراغه عن غيره اذ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه الثانية انه ينسي الذكر اي ذكر الله
وما بعد الموت من احوال الاخرة وذلك باستغراقه فيما يامله من احوال الدنيا كما مر الثالث انه غرور و

صاحبه مغرور وروى بفتح الغين من غرور وضمها ووجه الفتح ان الامل ليس هو نفس الغفلة عن الذكر
وعينه بل مستلزم لها فلذلك صدقت نسبة الغرور اليه ووجه الضم انه مجاز من باب اطلاق اسم اللازم على
ملزومه واما تكذيبه فبذكر الموت ودوام اخطاره بالبال وملاحظة المرجع والمعاد وانما سمى بذلك الامل
تكذيبا له لان النفس حال توقعها المامول تكون حاكمة حكما وهميا ببلوغه ونيله فاذا رجعت الى حكم
العقل وملاحظة الموت وجواز الانقطاع به عن بلوغ ما رجته كان تجويزها ذلك مكذبا لما جزمت به الوهم
من الاحكام وردا له وبالله التوفيق والعصمة ومن خطبة له عليه السلام وفيها فصول الفصل الاول
في صفات المتقين وهو قوله عباد الله ان من احب عباد الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب
الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه واعد القرى ليومه النازل به فقرب على نفسه البعيد وهون الشديد
نظر فابصر وذكر فاستكثر وارتوى من عذب فرات سهلت له موارده فشرب نهلا وسلك سبيلا جددا قد
خلع سرابيل الشهوات وتخلى من الهموم الا هما واحدا انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة اهل الهوى وصار
من مفاتيح ابواب الهدى ومغاليق ابواب الردى قد ابصر طريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره
واستمسك من العرى باوثقها ومن الحبال بامتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس قد نصب نفسه
لله في ارفع الامور من اصدار كل وارد عليه وتصيير كل فرع الى اصله مصباح ظلمات كشاف عشوات مفتاح
مبهمات دفاع معضلات دليل فلوات يقول فيفهم ويسكت فيسلم قد اخلص لله فاستخلصه فهو من معادن
دينه واوتاد ارضه قد الزم نفسه العدل فكان اول عدله نفي الهوى عن نفسه يصف الحق ويعمل به لا يدع
للخير غاية الا امها ولا مظنة الا قصدها قد امكن الكتاب من زمامه فهو قائده وامامه يحل حيث حل ثقله
وينزل حيث كان منزله اقول القرى الضيافة والفرات صادق العذوبة والنهل الشرب في اول الورد و
الجدد الارض المستوية والسرابيل القمصان والمنار الاعلام والغمار جمع غمرة وهي الزحمة من كثرة الناس
والماء ونحوه والعشوات جمع عشوة وهي ركوب الامر على جهل به والعشوة بالعين المهملة هي الظلماء و
المبهمة الامر الملتبس والمعضلات الشدائد وذكر من صفاتهم التي هي سبب محبة الله لهم اربعين وصفا
وقد علمت ان محبة الله تعود الى افاضة الكمالات النفسانية على نفس العبد بحسب قربه بالاستعداد
لها الى جوده فمن كان استعداده اتم كان استحقاقه اوفى فكانت محبة الله له اكمل فالاول من تلك الاوصاف
كونه اعانه الله على نفسه اي افاضه قوة على استعداد يقوى به عقله على قهر نفسه الامارة بالسوء الثاني
ان يستشعر الحزن اي يتخذه شعارا له وارادة للحزن على ما فرط في جنب الله واكتسب من الاثم فانه من جملة ما
اعدته المعونة الالهية لاستشعاره ليستعد به لكمال اعلى الثالث ان يتجلبب الخوف وهو اتخاذه
جلبابا واستعار لفظ الجلباب وهو الملحفة للخوف من الله والخشية من عقابه ووجه المشابهة ما يشتركان
فيه كون كل منهما ملتبسا به وهو ايضا معونة من الله للعبد على تحصيل السعادة الرابع زهرة مصباح

في قلبه وهو اشارة الى شروق نور المعارف الالهية على مرآة سره وهو ثمرة الاستعداد بالحزن والخوف
ولذلك عطفه بالفاء واستعار لفظ المصباح لنور المعرفة لما كان فيه من كون كل منهما سببا للهداية وهو
استعارة لفظ المحسوس للمعقول الخامس كونه اعد القرى ليومه النازل به استعار لفظ القرى للاعمال الصالحة
واراد باليوم النازل به يوم القيامة واستلزمت الاستعارة تشبيهه لذلك اليوم بالضيف وبيوم القرى
للضيف المتوقع نزوله ووجه المشابهة ان القرى كما يتخلص به وجه القاري عند ضيفه ويخلص به من ذم
ويكسبه المحمدة والثناء منه كذلك الاعمال الصالحة في ذلك اليوم تكون سببا لخلاص العبد من اهواله
ويكسبه رضا الحق سبحانه والثواب الجزيل منه السادس وقرب على نفسه البعيد يحتمل وجهين احدهما
يشير بالبعيد الى رحمة الله فانها بعيدة من غير مستحقها والمستعد لقبولها قريبة ممن حسن عمله وكمل قبوله
فالعبد اذا ارتاض بالاعمال الصالحة نفسه واعدها قرى يومه كانت رحمة الله على غاية من القرب منه كما قال
ان رحمة الله قريب من المحسنين الثاني يحتمل ان يريد بالبعيد امله الطويل في الدنيا وتقريبه له على
تقصيره له بذكر الموت دون بلوغه كما سبق السابع كونه قد هون الشديد ويحتمل ايضا معنيين احدهما
ان يريد بالشدائد امر الاخرة وعذاب الجحيم وتهوينه لها بالاعمال الصالحة واستشراف انوار الحق وظاهر
كونها مهونة لشديد عذاب الله الثاني ان يريد بالشدائد شدائد الدنيا من الفقر والاهتمام بالمصائب
التي تنزل به من الظلم وفقد الاحبة والاقرباء ونحو ذلك وتهوينه لذلك تسهيله على طول واستحقارها
في جنب ما يتصوره من الفرحة بلقاء الله وما اعد له من الثواب الجزيل في الاخرة كما قال تعالى وبشر الصابرين
الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة و
اولئك هم المهتدون الثامن كونه نظر اي تفكر في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء فابصر
اي فشاهد الحق سبحانه في عجائب مصنوعاته بعين بصيرته التاسع وذكر فاستكثر اي ذكر ربه ومعاده
فاستكثر من ذكره حتى صار الذكر ملكة له وتجلى المذكور في لطوارق ذكره لمرآة سره والاستكثار من الذكر
باب عظيم من ابواب الجنة العاشر كونه ارتوى من عذب فرات شبه العلوم والكمالات النفسانية
التي يفاض على العارف بالماء الزلال فاستعار له لفظ العذوبة والفرات ورشح تلك الاستعارة
بذكر الارتواء وقد سبق وجه هذه الاستعارة مرارا الحادي عشر كونه سهلت له موارده العابرون بقصب
السبق في طريق الله لا ينفكون عن تاييد الحق بجاذبية من جهته يكون لهم بها سهولة الاستعداد لقبول
الكمالات الموصلة اليه اذا عرفت ذلك فنقول موارد تلك الكمالات من العلوم والاخلاق هي معادنها
ومواطنها المنتزعة منها وهي النفوس الكاملة التي يهتدى بها ويوجد عنها انوار الله كالانبياء ونصب
تلك ايمة على بدايع صنع الله التي يرد بها ذهن العبد ويكتسب بها الملكات الفاضلة وسهولة تلك الموارد
لهم هو سرعة قبولهم لاخذ الكمالات عنها بسهولة باذهان صافية هيأتها العناية الالهية لقبولها

ويسرتها لذلك الثاني عشر فشرب نهلا اي اخذ تلك الكمالات سابقا اليها كثيرا من ابناء نوعه ومتقدما
فيها السهو لتمورده عليه وهي الفاظ مستعارة لاخذه لها وسبقه اليها ملاحظة لشبهه بشرب السوابق
من الابل الى الماء الثالث عشر كونه قد سلك سبيلا جددا اي سبيل الله الواضح المستقيم العدل بين طرفي التفريط
والافراط الرابع عشر كونه قد خلع سرابيل الشهوات كثر الاوصاف السابقة اشارة فيها الى تحصيل العلم والا
له واشار بهذا الوصف الى طرف الزهد واستعار لفظ السرابيل للشهوات ووجه المشابهة تلبس صاحبها
بها كما يتلبس بالقميص ورشح بلفظ الخلع وكنى به عن طرحه لاتباع الشهوة والتنازع عنها فيما يخرج به عن حد
العدل الخامس عشر وتخلى من الهموم الا هما واحدا اي من هموم الدنيا وعلايق احوالها وطرح كل مقصود عن قصد
الا هما واحدا انفرد به وهو الوصول الى ساحل عزة الله وتوجيه سره الى مطالعة انوار كبريائه واستشراقها
وهو تمام الزهد الحقيقي وظاهر كونه متفردا به عن غيره من ابناء نوعه السادس عشر خرج من صفة العمى اي عمى الجهل
بما حصل عليه من فضيلة العلم والحكمة وعن مشاركة اهل الهوى اي في افراطهم وتجويدهم اذ هو على حاق الوسط
من فضيلة العفة السابع عشر فصار من مفاتيح ابواب الهدى فابواب الهدى هي طرقه وسبله المعدة لقبول من
واهبه وقد وقف عليها العارفون ودخلوا منها الى حضرة جلال الله فوقفوا على مراحلها ومنازلها ومخاوفها
فصاروا مفاتيح لما انغلق منها على اذهان الناقصين ومصابيح بها للنفوس الجاهلين ولفظ المفتاح مستعار
للعارف ووجه المشابهة ظاهر الثامن عشر ومغاليق ابواب الردى فابواب الردى هي اطراف التفريط والافراط
والمسالك التي تخرج فيها عن حدود الله المردي سلوكها الى قرار الجحيم والعارف لما سد ابواب المنكرات التي
سلكها الجاهلون ولزم طريق العدل لاجرم اشبه المغلاق الذي يكون سببا لسد الطريق ان يسلك
فاستعير لفظه له وفي القرينتين مطابقة فالمغاليق بازاء المفاتيح والردى بازاء الهدى التاسع عشر قد ابصر
اي بنور بصيرته طريقه اي المامور بسلوكها والمجذوب بالعناية الالهية وهو صراط الله المستقيم العشرون
وسلك سبيله اي لما ابصر السبيل سلكها اذ كان السلوك هو المقصود الاول الحادي والعشرون وعرف مناره لما كان
السالك الى الله قد يستقيم بطريق الحق اتفاقا وذلك كسلوك من لم يستكمل قوته النظرية بالعلوم وقد
يكون سلوكه بعد استكمالها فالسالك كذلك قد عرف بالبرهان مناره اي اعلام المقصودة في طريقه
التي هي سبب هدايته وهي القوانين الكلية العلمية ويحتمل ان يريد بالمنار ما يقصد بسلوكه وهو حضرة
جلال الله وملائكته المقربون الثاني والعشرون قد قطع غماره واشار بالغمار الى ما كان مغمورا فيه من شدائد الدنيا
وهمومها واثار لم يبيب فقدها ومجاذبة اهلها لها فان العارف بمعزل عن ذلك والسالم بسببه الرابع والعشرون
واستمسك من العرى باوثقها ومن الحبال بامتنها اراد باوثق العرى وامتن الحبال سبيل الله واوامر شرعها
ووجه الشبه ان العروة كما تكون سببا للنجاة من تمسك بها وكذلك الحبل وكان اجودها ما ثبت ومتن ولم
ينفصم كذلك طريق الله المؤدي اليه يكون لزومها والتمسك بها من سبب النجاة من اهوال الاخرة وهي عروة

لا انفصام لها وا وامرها حابل لا انقطاع لها واليها الاشارة بقوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها الثامن والعشرون فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس اى فكان بمنكرها ما امر الله ونواهيه ومجاهدته في سبيله فقد نشر فيها انوار اليقين فصار مشاهدا بعين بصيرته عالم الملكوت ماليها الى الجنة والنار بعين اليقين كما يرى بصره الظاهر نور الشمس في الوضوح والجلاء التاسع والعشرون قد نصب نفسه لله سبحانه في ارفع الامور من اصدار كل وارد عليه وتصيير كل فرع الى اصله اى لما كمل في ذاته نصب نفسه لارفع الامور من هداية الخلق وافادتهم لقوانين طريق الله فصار كالمصباح يقتبس منه انوار العلم فهو لكونه مليا بها قايما باصدار الاجوبة عن كل ما ورد عليه من الاسولة التى تشتبه امرها على الاذهان واف برد كل فرع من فروع العلم الى اصله المتشعب عنه الثلاثون كونه مصباح ظلمات اى يهتدى به التايهون في ظلمات الجهل الى الحق ولفظ المصباح مستعار له كما سبق الحادى والثلاثون كونه كشاف عشوات اى موضح لما اشكل امره وركب فيه الجهل من الاحكام الملتبسة مميز وجه الحق منها ومن يرى بالعين المجردة فالمراد كشاف غطية الجهل الاتية ابصار البصاير الثانى والثلاثون وكذلك كونه مفتاح مبهمات اى فاتح لما انغلق على اذهان الخلق واستبهم وجه الحق فيه من الاحكام الثالث والثلاثون كونه دفاع معضلات اى يدفع كل حيرة في معضلة من معضلات الشرع صعبت على الطالبين تمييز وجه الحق فيه وبحيهم ببيانه عن التردد فيها وتيه الجهل الرابع والثلاثون وكذلك كونه دليل فلوات واستعار لفظ الفلوات لموارد السلوك وهى الامور المعقولة ووجه المشابهة ان الفلوات كما لا يهتدى لسالكها الا الادلاء الذين اعتادوا سلوكها وضبطوا مراحلها ومنازلها حتى كان من حيث ان الداخل منهم فيها لا بد وان يتيه فيها ويكون جهله بطرقها سببا لهلاكه كذلك الامور المتصورة المعقولة لا يهتدى لطريق الحق فيها الا من اخذت العناية الالهية بضبعه فالقت بزمام عقله الى ارشاد مرشد يهديه سبيل الحق منها ومن لم يكن كذلك حتى حاد عن طريق الحق فيها خبط في ظلمات الجهل خبط عشواء وسلكت به شياطينهم ابواب جهنم والعارفون هم ادلاء هذه الطريق والواقفون على خطارها ومنازل السلامة فيها يهيمون بضايرهم الخامس والثلاثون كونه يقول فيفهم وذلك لمشاهدته عين الحق من غير شبهة تعتريه فيما يقول ولا اختلاف فيما ينشأ عن جهل بالمعقول السادس والثلاثون كونه يسكت فيسلم اى من خطر القول ولما كانت فايدة القول الافهام والافادة وفايدة السكوت السلامة من افات اللسان وكان كلامه في معرض المدح لاجرم ذكرهما مع فايدتيهما والمقصود ان العارف يستعمل كلا من القول والسكوت في موضعه وعند الحاجة اليه فقط السابع والثلاثون كونه قد اخلص لله فاستخلصه وقد عرفت ان الاخلاص لله هو النظر اليه مع حذف كل خاطر سواه عن درجة الاعتبار واستخلاص الحق للعبد هو اختصاصه من بين عباده بالرضى عنه وافاضة انواع الكمال عليه وادنائه الى حضرة قدسه وانفراده بها وظاهر ان اخلاصه سبب لاستخلاصه كما قال تعالى واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا الثامن والثلاثون فهو من معادن دينه استعار لفظ المعدن له وبجامع المشابهة

اشتراكهما في كون كل منهما اصلا يتنوع منه الجواهر فمن المعادن انواع الجواهر المحسوسة ومن نفس العارف جواهر العلوم والاخلاق وساير ما اشتمل عليه دين الله التاسع والثلاثون كونه من اوتاد ارضه استعار له لفظ الوتد ووجه المشابهة كون كل منهما سببا للحفظ ما يحفظ به فبالوتد يحفظ الموتود وبالعارف يحفظ نظام الارض واستقامة امور هذا العالم وقد سبق مثله في قوله في الخطبة الاولى ووتد بالصخور ميدان ارضه الاربعون والحادى والاربعون الزم نفسه العدل فكان اول عدله نفى الهوى عن نفسه لما كان العدل ملكة تنشأ عن الملكات الثلث وهى الحكمة والعفة والشجاعة وكان العارفون قد راضوا انفسهم بالعبادة وغيرها حتى حصلوا على هذه الملكات الخلقية لاجرم كان بتبعية حصولها قد الزم نفسه العدل ولما كان العدل في القوة الشهوية وهو ان يصير عفيفا لا جامد الشهوة ولا فاجرا اصعب من العدل على ساير القوى لكثرة موارد الشهوة وميلها بالانسان الى طرف الافراط ولذلك كان كثر المناهى الواردة في الشريعة هى موارد الشهوة لاجرم كان مقتضى المدح ان يبدا بذكر نفى الهوى عن نفسه ولان السالك اول ما يبدو في تكميل القوة العملية باصلاح القوة الشهوية فيقف عند حدود الله ولا يتجاوزها في ماكول ومنكوح او كسب ونحوه الثانى والاربعون كونه يصف الحق ويعمل به اى يتبع قوله الحق بعمله فان الخلف في القول عند الخلق قبيح ومع الله اقبح ولذلك عاتب الله المؤمنين يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وكانوا قالوا لنفعلن في سبيل الله ما فيه رضاه فلما كان يوم احد لم يثبتوا واكد عتابه بذكر مقته لخلفهم وعدم مطابقة افعالهم لاقوالهم الثالث والاربعون كونه لا يدع للخير غاية الا امها لما فرغ من جزئيات اوصاف العارف شرع فيها اجمالا فذكر انه طالب لكل غاية خيرية اى لا يقنع ببعض الحق ويقف عنده بل يتبع ما هو فيه ويتقصى غاياته الرابع والاربعون وكذلك هو قاصد لكل مظنة له ومظنته كل محل امكنه ان يتبعه منه ويستفيده كالاولياء ومجالس الذكر وغيرها الخامس والاربعون كونه قد امكن الكتاب من زمامه فهو قائده الى الحق فتمكينه الكتاب كناية عن انقياده لما اشتمل عليه من الاوامر والنواهى واستعار لفظ الزمام لعقله ووجه المشابهة ما يشتركان فيه من كون كل منهما الة للانقياد وهى استعارة لفظ المحسوس للمعقول وكذلك استعار لفظ القايد للكتاب لكونه جاذبا بزمام عقله الى جهة واحدة مانعا له عن الانحراف عنها وكذلك لفظ الامام لكونه مقتدى به وقوله يحل حيث حل ثقله وينزل استعار وصفى الحلول والنزول الذين هما من صفات المسافر وكنى بقوله حيث حل عن لزوم اثره والعمل بمقتضاه ومتابعته له في طريق سفره الى الله بحيث لا ينفك عنه وجودا وعدما وبالله التوفيق الفصل الثانى قوله واخر قد تسمى عالما وليس به فاقتبس جهايل من جهال واضاليل من ضلال ونصب للناس شركا من حبال غرور وقول زور قد حمل الكتاب على ارائه وعطف الحق على اهوائه يؤمن من العظايم ويهون كبير الجرايم يقول اقف عند الشبهات وفيها وقع ويقول اعتزل البدع وبينها اضطجع فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب

العمى فيصد عنه فذلك ميت الاحياء اقول وهذا الفصل في صفات بعض الفساق في مقابلة الموصوف السابق وخصص من تسمى عالما وليس بعالم بالذكر في معرض الذم لان اشد فتنة واقوى فسادا للذين لا يعقلون نفسه الى غيره وذكر له اوصافا الاول كونه قد تسمى عالما وليس بعالم طلبا للرياسة وتحصيل الدنيا وهذا الصنف من الناس كثير والعلماء فيهم مغمورون الثانى كونه قد اقتبس جهايل من جهال واضاليل من ضلال والجهايل جمع جهالة واراد الجهل المركب وهو الاعتقاد الغير المطابق لما في نفس الامر وهذا الوصف احد اسباب الاول ونسبة الاقتباس الى الجهل نسبة مجازية لما ان الجهل يشبه العلم في كونه مستفادا على وجه التعلم والتعليم والاضاليل من لوازم الجهالات وهى الانحراف عن سواء السبيل وانما قال من جهال وضلال ليكون اثبات الجهل والضلال له اكد فان تلقفهما عن الجهال الضلال واعتقادهما اثبت وارسخ في النفس من ساير الجهالات الثالث كونه نصب للناس شركا من حبال غرور وقول زور استعار لفظ الاشراك والحبال لما نصب على الناس من الاقوال الباطلة والافعال المزخرفة ووجه المشابهة ما تشترك فيه الشرك من الحبال وغيره وساير ما يجذب به الخلق من اقواله وافعاله في كونها محصلة للغرض فالشرك للصيد وغرور هؤلاء القلوب الخلق ورشح تلك الاستعارة بذكر النصب الرابع قد حمل الكتاب على ارائه للجاهل في تفسير كتاب الله مذاهب عجيبة ويكفيك منها ما يعتقده المجسمة من ظواهر الشرع بتجسيم الصانع جلت قدرته وتفسيرهم للكتاب على ما اعتقدوه من باطلهم الخامس وعطف الحق على اهوائه من فسر الفاظ القرآن على حسب عقيدته الفاسدة ورأيه الباطل فقد عطف الحق على هواه اى حمل كل هوى له حقا يتبع بتاويل ما ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن السادس كونه يؤمن الناس من العظايم ويهون كبير الجرايم اى يسهل على الناس امر الاخرة في موضع يحتاجون فيه الى تخويفهم وتذكيرهم بالتيم عقابه كما يخطى الجاهلون ويعرضوا عن اوامر الله ونواهيه فاذا لحضر واعتبر جهال الواعظين والزهاد توسلوا الى استجلاب قلوبهم وتشييد مناصبهم باجتماعهم عليهم بان ذكروا لهم مواعيد الله كقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا ونحوه فيهون بذلك عظيم الوعيد واهوال الاخرة ويصغر عندهم جرايمهم التى ارتكبوها في جنب ما تصوروه من الوعد الكريم وفي ذلك عدم ميل طباعهم الى الشهوات الخارجة عن حدود الله فعلا وردوا ما اقترفوه ولا كذلك العالم اذ من شانه ان يستعمل كلا من ايات الوعد والوعيد في موضعها ليبقى السامعون بين خوف ورجاء فلا ينهمكوا في اللذات الفانية اتكالا على الوعد ولا يقنطوا من رحمة الله نظرا الى الوعيد السابع يقول اقف عند الشبهات اى اذا اشتبه الحكم فيه شبهة لا اقدم عليه فيها وقع وذلك لجهله بمواقع الشبهة وعينها الثامن يقول اعتزل البدع اى ما يبتدع من الامور المخالفة لقوانين الشريعة وبينها اضطجع كنى باضطجاعه بين البدع عن تورطه فيها كناية بالمستعار وذلك ايضا لجهله باصول الشريعة كيفية تفريعها التاسع فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان

اراد بالحيوان غير الانسان كما هو مخصوص العرف واطلق على قلبه انه قلب حيوان كالحمار ونحوه لما بينهما من المناسبة وهو عدم صلاحيتهما لقبول المعارف والعلوم مع ميلهما الى الشهوات العاشر كونه لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب الردى فيصد عنه اى لا يعرف لجهله قانون الهداية الى طريق الحق فيسلكه ولا يجد دخوله في الباطل فيعرض عنه وذلك ان الجاهل الجهل المركب الخارج عن سبيل الله وجزم بما اعتقده من الباطل امتنع مع ذلك الجزم ان يعرف باب الهدى ومبدا الدخول اليه فامتنع منه اتباعه ولما اعتقد ان ما جزم به من الباطل هو الحق امتنع ان يعرف مبدا دخوله في الجهل وهو باب العمى فامتنع منه ان يصد عنه ثم حكم عليه السلام من تلك الاوصاف بانه ميت الاحياء اما كونه ميتا فلان الحيوة الحقيقية التى تطلب لكل عاقل والتى وردت الشرايع والكتب الالهية بالامر بتحصيلها هى حيوة النفس باستكمال الفضايل التى هى سبب السعادة الباقية وقد علمت ان الجهل المركب هو الموت المضاد لتلك الحيوة فالجاهل بالحقيقة ميت واما انه ميت الاحياء فلانه في صورة حى الفصل الثالث قوله فاين تذهبون وانى تؤفكون والاعلام قايمة والايات واضحة والمنار منصوبة فاين يتاه بكم بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم ازمة الحق والسنة الصدق فانزلوهم باحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش ايها الناس خذوها عن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله انه يموت من مات منا وليس بميت ويبلى من بلى منا وليس ببال فلا تقولوا بما لا تعرفون فان اكثر الحق فيما تنكرون واعذروا من لا حجة لكم عليه وانا هو الم اعمل فيكم بالثقل الاكبر واترك فيكم الثقل الاصغر وركزت فيكم راية الايمان ووقفتكم على حدود الحلال والحرام والبستكم العافية من عدلى وفرشتكم المعروف من قولى وفعلى واريتكم كرايم الاخلاق من نفسى فلا تستعملوا الراى فيما لا يدرك قعره البصر ولا يتغلغل اليه الفكر اقول تؤفكون تصرفون والتيه الضلال والعمه الحيرة والتردد وعترة الرجل اقاربه من ولده وولد ولده وادانى بنى عمه والهيم الابل العطاش واعلم انه لما قدم المتقين بصفاتهم والفاسقين بصفاتهم كان في ذكرهما تنبيه على وضع طريقى الحق والباطل ولوازمهما فلذلك اعقبها بالتنبيه على كونهم في ضلال وتيه وعمى عن الحق ثم بالتجريف والتبكيت والتذكير بكتاب الله وعترة رسوله ليتبعوا سمتهم ويسلكوا بهم طريق اهل التقوى ويقتبسوا من ضلالهم الى اقتباس انوار الحق من اهله قوله فاين تذهبون الى قوله منصوبة سوال عما يذهبون اليه وعن وقت صرفهم عن ذلك الحق سؤالا على سبيل الانكار لما هم عليه من الطريق الجايرة والواو في قوله والاعلام للحال واشار بالاعلام الى ائمة الدين ووضوحها ظهورها بينهم وكذلك المنار ونصبها قيام الائمة بينهم ووجودهم فيهم ثم اردف ما انكره من ذهابهم وتعجب منه بتغيره فقال فاين يتاه بكم وكيف تعمهون ونبه على ان الذهاب الذى سالهم عنه هو تيه في الضلال وحيرة الجهل والتردد في العمى وبين منه ان قوله وانى

تؤفكون اى متى تصرفون عن تيهكم وذهابكم فى الضلالة وقوله وبينكم عترة نبيكم الواو للحال ايضا
فالعامل تعمهون وتياه بكم وكذلك الواو فى قوله وهم ازمة الحق والمعنى كيف يجوز ان تتيهوا فى ظلمات
الجهل مع ان فيكم عترة نبيكم واراد بعترته اهل بيته عليهم السلام واليه الاشارة بقول الرسول صلى الله
عليه وآله وخلفت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى اهل بيتى لن يفترقا حتى يردا على الحوض
واستعار لهم لفظ الازمة ووجه المشابهة كونهم قادة للخلق الى طريق الحق كما يقود الزمام الناقة الى الطريق
وكذلك استعار لهم لفظ الالسنة ووجه المشابهة كونهم تراجمة الوحى الصادق كما ان اللسان ترجمان النفس
ويحتمل ان يريد بكونهم السنة الصدق انهم لا يقولون الا صدقا وقوله فانزلوهم باحسن منازل القرآن
فاعلم ان للقرآن منازل القلب وهو فيه بمنزلتين احديهما منزلة الاكرام والتعظيم والثانية منزلة التصور
فقط من دون تعظيم الثالثة منزلته فى الوجود اللسانى بالتلاوة الرابعة منزلته فى الدفاتر والكتب
واحسن منازله هى الاولى فالمراد اذن الوصية باكرامهم ومحبتهم وتعظيمهم كما يكرم القرآن بالمحبة والتعظيم
وقوله وردوهم ورود الهيم العطاش ارشاد لهم الى اقتباس العلوم والاخلاق منهم اذ كانوا معادنها
ولما كانت العلماء والائمة تشبه بالينابيع والعلم يشبه بماء العذب وعادة العطشان حسن منه
انيامهم بورودهم وان يشبه الورود المطلوب منهم بورود الابل العطاش وقوله ايها الناس الى قوله
وليس ببالى لما كان عليه السلام فى معرض ذكر العائلة فكانها قد تقدم ذكرها فلذلك حسن ايراد
الضمير قوله خذوها وان لم يسبق لها ذكر واشارة النبى صلى الله عليه وآله بهذه الكلمة تعريض لقوله تعالى
ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون وحين الآية ولما اتفقت عليه
كلمة العلماء ونطقت به البراهين العقلية ان اولياء الله لا يموتون ولا يبلون وان بليت اجسادهم
قال بعض الشارحين فيما لا يعنيه قوله ويبلى من بلى منا ليس ببال نص جلى على ان اجساد الاولياء تبلى وذلك
يخالف ما يعتقده الناس من ان اجسادهم باقية الى يوم القيمة بحالها قلت الاعتقاد المذكور لبعض
الناس انما نشأ من قول الرسول صلى الله عليه وآله فى قتلى بدر زملوهم بكلومهم ودمائهم فانهم يحشرون
يوم القيمة واوداجهم تشخب دما وقوله ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله الآية وليس ولا واحد
منهما دال على ان الاجساد لا تموت ولا تبلى اما الخبر فليس مقتضاه انها تبقى صحيحة تشخب دما الى
يوم القيمة بل ذلك مما يشهد ببطلانه الحس بل يحمل على انها كما تعاد يوم القيمة تعاد بجروحها تشخب
جراحاتها كهيئتها يوم موتها واما الآية فالذى اجمع عليه علماء المفسرين ان الحيوة المذكورة فيها هى
حيوة النفوس وهو ظاهر فى سبب نزولها عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وآله لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم فى اجواف طيور خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها
وتاوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا

من يبلغ اخواننا عنا انا فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله عز وجل
انا ابلغهم عنكم فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله الآية فاذن لا منافاة بين كلامه عليه السلام
وما ورد فى القرآن والخبر ومقصوده بهذه الكلمة تعريف فضيلتهم وانهم اولياء باقون عند ربهم فى ظل
كرامته وقوله فلا تقولوا بما لا تعرفون تنبيه على الرجوع الى العترة العارفين بما ينبغى ان يقال وقوله
فان اكثر الحق فيما تنكرون تاكيد للامر بالتثبت فى الاقوال والنهى عن التسرع اليها والجاهل قد
ينكر الحق اذا خالف طبعه او نبا عنه فهمه او سبق اعتقاد ضده اليه بشبهة او تقليد فنبه على ان اكثر
الحق فيما ينكرونه لئلا يتسرعوا الى القول من غير علم ولذلك ذكر هذه القضية منبهة بفاء التعليل
وقوله واعذروا من لا حجة لكم عليه وهو انا طلب عليه السلام العذر منهم فيما يلحقهم من عذاب الله بسبب
تقصيرهم فان الضرر اللاحق لهم قد انذروا به وتوعدوا فلو قصر هو عليه السلام فى تذكيرهم بتلك
الوعيدات والانذارات مع كون ذلك ماخوذا عليه من الله تعالى لكانت حجتهم عليه قائمة ولما كان لا عذر
لكنه بلغ وحذر وقد اعذر من انذر فما تذكرهم بسلب الحجة عنه فى ذلك ليتذكروا خطاءهم ولعلهم
يرجعون وقوله الم اعمل فيكم الى قوله من نفسى تفصيل لما احتج به من الجواذب الى الله فاعذر اليهم واتى
بلفظ الاستفهام على سبيل التقريع والتبكيت والثقل الاكبر كتاب الله واشار بكونه اكبر الى انه الاصل
المتبع المقتدى به والثقل الاصغر الائمة من ولده عليهم السلام وكنى براية الايمان عن سنته المتبعة وطرقه
الواضحة فى العمل بكتاب الله بالاستعارة ووجه المشابهة كون طريقته يهتدى بها الى سلوك سبيل الله كما
يهتدى بالاعلام والرايات امام الجيش ونحوه ولفظ الركز ترشيح للاستعارة كنى به عن ايضاحها لهم ووقوفهم
على حدود الحلال والحرام تعريفهم اياها واراد بالعافية السلامة من الاذى الحاصل من ايدى الظالمين
واستعار لفظ اللباس لها ووجه الاستعارة ان العافية تشمل المعافى كالقميص وكذلك استعار لفظ الفرش
للمعروف لكونه اذا وطئت قواعده يستراح به كالفراش وقوله واريتكم كرايم الاخلاق من نفسى اى اوضحتها
لكم وشاهدتموها منى متكررة وقوله فلا تستعملوا الراى الى آخره نهى عن الاشتغال بالخوض فى صفات
الله والبحث عن ذاته على غير قانون واستاد مرشد بل بمجرد الراى والتخمين فان تلك الدقايق لما كانت
لا ساحل لها ولا يقف الفكر عندها وان تغلغل فى اعماقها وكانت مع ذلك فى غاية العسر والدقة و
كثرة الاشتباه كانت مزاولتهم للاشتغال بها مؤدية الى الخبط وغاية افتراق المذاهب وتشتت الكلمة
والاشتغال بذلك عن الانتظام فى سلك الدين والاتحاد فيه كما عليه من ينتسب الى العلم ويعد وكل ذلك
ضد مطلوب الشارع فان الالفة والاتحاد فى الدين من اعظم مطلوباته ويحتمل ان يريد مطلق قانون
العلم وتفريع الفقه على غير قانون من امام هدى بل بالراى عن ادنى وهم وقوله حتى يظن الظان ان
الدنيا معقولة على بنى امية تمنحهم درها وتوردهم صفوها ولا يرفع عن هذه الامة سوطها ولا سيفها

وكذب الظان لذلك بل هى مجة من لذيذ العيش يتطعمونها برهة ثم يلفظونها جملة اقول معقولة محبوسة
والمجة الفعلة من مج الشراب اذا قذفه من فيه والبرهة المدة من الزمان فيها طول ولفظ كذا الغاه من
وهذا الكلام من فصل يذكر فيه حال بنى امية وطول مدتهم وبلاء الخلق بهم فقوله حتى يظن الظان الى
قوله سيفها غاية من غايات طول عناء الناس بهم واستعار للدنيا اوصافا فكونها معقولة ووجه الاستعارة
ملاحظة تشبيهها بالناقة فى كونها محبوسة فى ايديهم كما تحبس الناقة بالعقال الثانى كونها ذات در يمنحهم
اياه ووجه الاستعارة ايضا تشبيهها بالناقة فى كون ما فيها من فوايدها وخيرها مهيئة لهم ومصوبة عليهم
كما تبذل الناقة درها لحالبها الثالث كونها توردهم صفوها ونسبة الايراد اليها مجاز ويجوز بالسوط
والسيف فيما فيه الائمة معهم من العذاب والقتل ونحوه استعمالا للفظ السبب فى المسبب وقوله وكذب
الظان لذلك الى آخره رد لما عساه يظن من ذلك بتحقير ما حصلوا عليه من الامر ولذتهم به وتحقير مدته
واستعار لذلك لفظ المجة وكنى بكونها مطعومة لهم عن تلذذهم بهامدة امرتهم وبكونها ملفوظة عن زوال
الامرة عنهم واكد ذلك الزوال بقوله جملة اى بكليتها وهى كناية بالاستعارة تشبيها لها باللقمة التى لا يمكن اساغتها
وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام اما بعد فان الله سبحانه لم يقصم جبارى دهر قط الا بعد تمهيل
ورخاء ولم يجبر عظم احد من الامم الا بعد ازل وبلاء وفى دون ما استقبلتم من عتب واستدبرتم من خطب
معتبر وما كل ذى قلب بلبيب ولا كل ذى سمع بسميع ولا كل ذى ناظر ببصير فيا عجبا ومالى لا اعجب من خطاء
هذه الفرق على اختلاف حججها فى دينها لا يقتصون اثر نبى ولا يقتدون بعمل وصى ولا يؤمنون بغيب ولا
يعفون عن عيب يعملون فى الشبهات ويسيرون فى الشهوات المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر عندهم ما
انكروا مفزعهم فى المعضلات الى انفسهم وتعويلهم فى المبهمات على آرائهم كان كل امرء منهم امام نفسه قد اخذ
منها فيما يرى بعرى وثيقات واسباب محكمات اقول القصم بالقاف الكسر والاول بفتح الهمزة الضيق
والشدة واقتص اثره تبعه ومقصود هذا الفصل توبيخ الامة على اختلاف آرائهم فى الدين واستبداد كل
منهم بمذهب يذهب اليه فى المسائل الفقهية ونحوها مع وجوده عليه السلام بينهم واعراضهم عن مراجعته
مع علمهم بقيامه بذلك فقوله اما بعد الى قوله ببصير صدر الخطبة وكانه عليه السلام فهم ممن خرجت هذه الخطبة
بسببه انهم انما يستبدون بارائهم من دون مراجعته خوفا منهم عن التعلم والاستفادة ومحبة الراحة من
تحمل كلفة التحرى فى الدين والتحرز من الغلط فيه ومشقة الطلب فلذلك خوفهم من حال الجبابرة وان
نصيبهم بترك قواعد الدين الى ارائهم المتفرقة فيستعدوا للهلاك بقوله انه لم يقصم جبارى دهر الا بعد
امهالهم ورخائهم فانهم اذا امهلوا وانغمسوا فيما هم فيه من الرخاء والترف اعرضوا عن الآخرة ونسوا ذكر
الله تعالى فاستعدوا بتركهم لقوانين الدين التى بها نظام العالم للهلاك ونحوه قوله تعالى واذا اردنا ان
نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكذلك قوله ولم يجبر عظم

احد من الامم الا بعد ازل وبلاء كنى بجبران العظم عن قوتهم بعد الضعف كناية بالاستعارة وصدق هذه
القضية ظاهر فان احدا من الامم المتبعين لانبيائهم او لملوكهم فى اظهار دين او طلب ملك لن يصلوا
الى مطلوبهم الا بعد قوتهم وتضاعفهم وتظاهر بعضهم ببعض ومقاساة بلاء اثر بلاء بحيث يستعدون
بذلك للفزع الى الله تعالى فيهيئ قلوبهم لقبول الالفة ويعدها بالجماع عزائمها لقبول صورة النصر
وفيه تنبيه على وجوب الاتحاد فى الدين وعدم تشتت الآراء فيه فان ذلك يدعوا الى التخويف والتفرق
ويدخل عليهم الوهن والضعف وكل ذلك ضد مطلوب الشارع كما سبق ويحتمل ان يكنى بقوله لم يقصم
جبارى دهر عن جبارى وقته كمعوية واصحابه وبقوله لم يجبر من احد من الامم الا بعد ازل وبلاء عن اصحابه
فنبههم بالكلمة الاولى على ان اولئك الجبارين وان طالت مدتهم وقويت شوكتهم فانما ذلك املاء
من الله لهم ليستعدوا به للهلاك وبالكلمة الثانية على انكم وان ضعفتم وابتليتم فذلك عادة الله فيمن
يريد ان ينصره ثم عقب ذلك بتوبيخهم على الاختلاف وتشعب الآراء والمذاهب فى الدين لما ان ذلك
يؤدى الى طول محنتهم وضعفهم عن مقاومة عدوهم وقوله وفى دون ما استقبلتم من عتب اى من عتاب
لكم واستدبرتم من خطب اى من الاهوال التى كنتم تروها من المشركين فى مبدأ الاسلام حيث كنتم
قليلين ولم تروا ان يثبت الواحد منكم لعشرة منهم ثم ايدكم الله بنصره وبالتاليف بين قلوبكم وجمعكم
من اسلم ودخل فى دينكم وذلك اى معتبر وفيه اى اعتبار فانكم لولم تتحدوا فى الدين وتتواسوا امرائه والى
الصبر واختلفت آراؤكم فى ذلك الوقت كاختلافها الآن وكنتم اذن على غاية من الكثرة لم تغن عنكم
كثرتكم شيئا فكانه قال فيجب من ذلك الاعتبار ان تتفرقوا فى الراى وان تتحدوا فى الدين وتراجعوا
اهلكم باصوله وفروعه وقوله وما كل ذى قلب بلبيب الى قوله ببصير اراد بالقلب الانسان وظاهر
ان الانسان قد يخلو عن اللب واراد باللب العقل والذكاء واستعماله فيما ينبغى على الوجه الذى ينبغى
وبالجملة فاللبيب من ينتفع بعقله فيما خلق لاجله وكذلك السميع والبصير هما اللذان يستعملان سمعهما
وبصرهما فى استفادة العبرة واصلاح امر المعاد ونحوه قوله تعالى الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون
بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها وقوله فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب
التى فى الصدور وفائدة هذه الكلمات تحريك النفوس الى الاعتبار كيلا يعد التارك له عن لبيب ولا
سميع ولا بصير وقوله يا عجبا الى آخره ادرف تعجبه بما يصلح جواب سؤال مقدر عما يتعجب منه وكانه
فهم من تقدير ذلك السؤال تعجب السائل من تعجبه المستلزم لتبرمه وتضجره حتى كان السائل قال وم
تتعجب وعلام هذا التبرم والاستغفال وما لى لا اعجب من خطاء هذه الفرق الفصل ثم شرع فى تفصيل
الخطايا والمناهج التى كان اختلافها فيهم سببا للتعجب منهم فاشار الى تركهم لما ينبغى ثم اردفه بذكر فعلهم
لما لا ينبغى وقدم على الكل ذكر اختلاف حججهم فى دينهم وذلك هو الاصل الذى نشأت عنه اكثر هذه

الرذايل فاما تركهم لما ينبغى ففى صور احدها تركهم لاقتصاص اثر نبيهم فانهم لو اقتصوا اثره لما اختلفوا اذ لا اختلاف فيما جاء به كما سبق بيانه لكنهم اختلفوا فلم يقتصوا اثر نبيهم الثانية تركهم الاقتداء بعمل الوصى وهو اشارة الى نفسه وهذه اقطع لاعذارهم فان الاختلاف فى الدين قد يعرض عن ضرورة وهى عدم اصابة كل الخوض عدم الشارع الذى يرجع اليه فى التوقيف على اسرار الشريعة فاما اذا كان الموقف موجودا بينهم كمثله عليه السلام امتنع ان يقعوا فى تلك الضرورة فيعتذروا بها فى الاختلاف الثالثة تركهم الايمان بالغيب اى التصديق به والطمانينة فى اعتقاده وللمفسرين فى تفسير الغيب اقوال الاول عن ابن عباس هو ما جاء من عند الله الثانى عن عطا هو الله سبحانه الثالث عن الحسن هو الدار الاخرة والثواب والعقاب والحساب الرابع قيل يؤمنون بظهر الغيب كقوله تعالى يخشون ربهم بالغيب اى لا يحفظون شرايط الايمان فى غيب بعضهم عن بعض الخامس عن ابن عيسى الغيب ما غاب عن الحواس مما يعلم بالدليل السادس عن الاخفش يؤمنون بما غاب عن افهامهم من متشابهات القرآن السابع تركهم العفة عن عيب وهو اشارة الى الغيبة وظاهر انها فجور وعبور الى طرف الافراط من فضيلة العفة واما فعلهم لما لا ينبغى فامور احدها انهم يعملون فى الشبهات اى لا يتوقفون فيما اشتبه عليهم امره ولا يبحثون عن وجه الخوض فيه بل يعملون فيه بما قادهم اليه الهوى الثانى كونهم يسيرون فى الشهوات لما لحظ مشابهة ميل قلوبهم الى شهواتها الدنيوية وانهماكها فيها قاطعة مراحل الاوقات بالتلذذ بها السلوك السائر فى الطريق ونحوها استعار لذلك السلوك لفظ السير الثالث كون المعروف عندهم ما عرفوا والمنكر ما انكروا اى ان المعروف والمنكر تابعان لارادتهم وميولهم الطبيعية فما انكرته طباعهم كان هو المنكر بينهم وان كان معروفا فى الشريعة وما اقتضته طباعهم وما لت اليه كان هو المعروف بينهم وان كان منكرا فى الدين والواجب ان تكون ارادتهم وميولهم تابعة لرواسم الشريعة فى اتباع ما كان فيها معروفا وانكار ما كان فيها منكرا الرابع كون مفزعهم فى المعضلات الى انفسهم وتعويلهم فى المبهمات على ارائهم وهو كناية عن كون احكامهم فى كل ما يرد عليهم من مشكلات الدين ومشتبهاته من احكام تامة لاهوائهم لا يجوزونها على قانون شرعى يعرف حتى ابتهت نفوسهم الامارة بالسوء التى هى منبع الاهواء المخالفة للشريعة الائمة التى يرجع اليهم فى استفادة الاحكام فكل منهم ياخذ عن نفسه اى يتمسك فيما يراه ويحكم به بارائه كانها عنده عرى وثيقة اى لا ينفصل من تمسك بها واسباب محكمات اى نصوص جلية ظواهر واضحة لا اشتباه فيها وقد عرفت معنى المحكم ولفظ العرى مستعار وقد سبق وجه الاستعارة وبالله العصمة والتوفيق ومن خطبة له عليه السلام ارسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الامم واعتزام من الفتن وانتشار من الامور وتلظ من الحروب والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور على حين اصفرار من ورقها واياس من ثمرها واغورار من مائها قد درست اعلام الهدى وظهرت اعلام

الردى فهى متجهمة لاهلها عابسة فى وجه طالبها ثمرها الفتنة وطعامها الجيفة وشعارها الخوف ودثارها السيف فاعتبروا عباد الله واذكروا تيك التى اباؤكم واخوانكم بها مرتهنون وعليها محاسبون ولعمرى ما تقادمت بكم ولا بهم العهود ولا خلت فيما بينكم وبينهم الاحقاب والقرون وما انتم اليوم من يوم كنتم فى اصلابهم ببعيد والله ما اسمعهم الرسول صلى الله عليه وآله شيئا الا وها انا ذا مسمعكموه وما اسماعكم اليوم بدون اسماعهم بالامس ولا شقت لهم الابصار ولا جعلت لهم الافئدة فى ذلك الاوان الا وقد اعطيتم مثلها فى هذا الزمان والله ما بصرتم بعدهم شيئا جهلوه ولا اصفيتم به وحرموه ولقد نزلت بكم البلية جائلا خطامها رخوا بطانها فلا يغرنكم ما اصبح فيه اهل الغرور فانما هو ظل ممدود الى اجل معدود اقول الفترة ما بين زمانى الرسالة والهجعة النومة والاعتزام العزم وروى اعترام الفتن بالراء المهملة اى كثرتها وروى اعتراض من اعترض الفرس الطريق اذا مشى عرضا من غير قصد وتلظت الحرب تلهبت والتجهم العبوس والاحقاب جمع حقب بضم الحاء والقاف وهو الدهر والبطان حزام البعير القتب ومقصود هذا الفصل التذكير بنعمة الله تعالى التى بعث ما كانوا فيه من بؤس وهى بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وما اشتملت من الخيرات به ليعتبروا ويتفكروا ويخلصوا التوجه الى الله ثم اشار اولا الى النعمة المذكورة ثم اردفها بالاحوال اللاحقة التى تبدلت بتلك النعمة الجسيمة وعد منها امورا الاول الفترة من الرسل وظاهر ان خلو الزمان عن رسول فيه يستلزم وجود الشرور ووقوع الهرج والمرج وتلك احوال مذمومة ملحقة لذلك الزمان بها من الذم بقدر ما يلحق زمان وجود الرسول من المدح الثانى طول الهجعة من الامم وكنى بالهجعة عن الغفلة فى امر المعاد وساير المصالح التى تنبغى الثالث الاعترام من الفتن اما على الرواية الاولى فنسبة العزم الى الفتن مجاز كنى به عن وقوعها بين الخلق المشبه لقصدها اياهم وعلى الرواية الثانية اى على كثرة من الفتن وعلى الرواية الثالثة فى المعنى ان الفتن لما كانت جارية على قانون شرعى ولا انتظام مصلحى ولذلك سميت فتنة لاجرم اشبهت المعترض فى الطريق من الحيوان الماشى على غير استقامة فلذلك استعير لها لفظ الاعتراض الرابع وعلى انتشار من الامور اى تفرق امور الخلق واحوالهم وجريان افعالهم على غير قانون عدلى الخامس التلظى من الحروب وقد سبق تشبيه الحرب بالنار فلذلك اسند اليها التلظى على سبيل الاستعارة وكنى به عن هيجانها ووجودها بينهم زمان الفترة السادس والدنيا كاسفة النور والبهاء والجمال اى كاسف نورها ونور الدنيا كناية عن وجود الانبياء وما يأتون به من الشرايع وما ينتج عنهم من الاولياء والعلماء كناية بالمستعار ووجه المشابهة ما يلزمه النور ووجود الانبياء والشرايع من الاهتداء بهما ورشح تلك الاستعارة بذكر الكسوف وعبر عن عدم ذلك النور منها ملاحظة لتشبيهها بالشمس السابع ظاهرة الغرور اى كل مغتر بها وانهماك فى مشتهياتها وخدعة بخداعها الثامن كونه ارسل على حين اصفرار من ورقها واياس من ثمرها واغورار من مائها استعار لفظ الثمر والورق لمتاعها وزينتها ولفظ الاصفرار والتغير لتلك الزينة عن العرب ذلك وعدم طلاوة عيشهم اذ ذاك

وخشونة مطاعمهم كما يذهب حسن الشجرة باصفرار ورقها فلا يلتذ بالنظر اليها وكنى بالاياس من ثمرها انقطاع آمال العرب اذ ذاك من الملك والدولة وما يستلزمه من الحصول على طيبات الدنيا وكذلك استعار لفظ الماء لمواد متاع الدنيا وطرق لذاتها ولفظ الاغورار لعدم تلك المواد من ضعف التجارات والمكاسب وعدم التمالك للامصار وكل ذلك لعدم انتظام العدل بينهم وكلها استعارات بالكناية ووجه الاستعارة الاولى ان الورق كما انه زينة الشجرة وبه كمالها كذلك اللذات لحيوة الدنيا وزينتها ووجه الثانية ان الثمر كما انه مقصود الشجرة غالبا وغايتها كذلك متاع الدنيا والانتفاع به هو مقصودها المطلوب منها لاكثر الخلق ووجه الثالثة ان الماء كما انه مادة الشجرة وبه حيوتها وقيامها فى الوجود كذلك مواد اللذات وهى المكاسب والتجارات والصناعات وقد كانت العرب خالية من ذلك ووجوه باقى الاستعارات ظاهرة التاسع دروس اعلام الهدى وكنى باعلام الهدى عن ائمة الدين وكتبه التى بها يهتدى لسلوك سبيل الله وبدروسها عن موت اولئك وعدمهم كناية بالمستعار كما سبق ى ظهور اعلام الردى وهم ائمة الضلال الداعين الى الباطل يا كون الدنيا متجهمة لاهلها عابسة فى وجوه طلابها وكنى بذلك عن عدم صفائها لهم فان طيب العيش فى الدنيا انما يكون مع وجود نظام العدل والتعصب بين اهلها وعدم التظالم وذلك فى زمان الفترة مفقود بين العرب وهو كناية بالمستعار ووجه المشابهة ما يستلزمه المستعار عنه ولزمه من عدم تحصيل المطلوب معهما يب كون ثمرها الفتنة اى غاية سعيهم فيها على خبط فى ظلمات جهلهم انما هو الفتنة اى الضلال عن سبيل الله والتيه فى ظلمات الباطل وغاية كل شى هى مقصوده فشبه الثمرة التى هى مقصود الشجر فلذلك استعير لها لفظها يج وطعامها الجيفة يحتمل ان يكون لفظ الجيفة مستعارا هاهنا لطعام الدنيا ولذاتها ووجه المشابهة انه لما كانت الجيفة عبارة عما انتن وتغيرت رايحته من جثة حيوان ونحوها فخبث ماكله ونفر الطبع عنه كذلك طعام الدنيا ولذاتها فى زمان الفترة اكثر ما يكون من النهب والغارة والسرقة ونحوها مما يخبث تناوله شرعا وينفر العقل منه وتاباه كرايم الاخلاق فاشبه ما يحصل من متاعها اذ ذاك الجيفة فى خبثها وسوء مطعمها ولكون احد الخبيثين عقليا والاخر حسيا فاستعير لفظها له ويحتمل ان يكنى بالجيفة عما كانوا ياكلونه فى الجاهلية من الحيوان غير مذكى وهو ما حرمه القرآن الكريم من ذلك فى قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة اى المضروبة بالخشب حتى تموت ويبقى الدم فيها فيكون اطيب كما زعم المجوس والمتردية اى التى تردت من علو فماتت فان كل ذلك اذا مات فكثيرا ما يتعفن ويوكل فيصدق ان طعامهم كان الجيفة الرابع كون شعارها الخوف يد كون دثارها السيف استعار لفظى الشعار للخوف والدثار للسيف ووجه الاستعارة الاولى ان الخوف وان كان من العوارض النفسية الا انه كثيرا ما يستتبع اضطراب البدن وانفعاله بالرعدة فيكون شاملا له شمول ما يتخذ الانسان شعارا ووجه الثانية ان الدثار والسيف يشتركان فى مباشرة الضارب والمضروب من فوقهما وقوله فاعتبروا عباد الله شروع فى المقصود فقوله واذكروا تلك اشارة الى وجه العبرة

من قبايح الاعمال اى تلك الاعمال التى كانت عليها اباؤكم واخوانكم زمان الفترة وزمان دعوة الرسول لكم وقوله هم بها مرتهنون اى محبوسون فى سلاسل الهيآت البدنية واغلال ما اكتسبوا منها ومحاسبون عليها قوله ولعمرى الى قوله ببعيد الحاق لهم باباءهم فى تشبيه زمانهم بزمانهم وتقارب ما بين الزمانين وتشبيه حالهم بحالهم فى امور احدها ان اولئك كانوا اباءكم وليس زمان الابن وحاله ببعيد من حال ابيه فيما ياتى ويذره الثانية ان الرسول صلى الله عليه وآله ولم يسمعهم شيئا الا واسمعكم اياه فلا فرق بينكم وبينهم من هذه الجهة ج انه لا تفاوت بين اسماعكم واسماعهم د ان ساير الالات البدنية التى كانت لاولئك فاكتسبوا بها كالات اولم يكتسبوا حاصلة لكم ايضا ه انكم لم تعلموا شيئا كان اباءكم جهلوه حتى يكون ذلك سببا للفرق بينكم وبينهم و ولا اصفيتم من الدنيا بشى لم يكن لاباءكم مثله وعرضه من الحاقهم باباءهم فى هذه الاحوال ان احدها التنفير عن حال من سبق من العاصين بحال الغفلة اوامر الله ثم والثانى الجذب والترغيب فى حال من سبق من اطاع الله والرسول فانه اذا حصلت المشابهة بينهم وبين السابقين والمتشابهان يتحدان فى اللوازم كان من يشبه بابيه فى عصيانه لزمه ما لزمه من اليم العقاب ومن تشبه به فى طاعته واتقاه لزمه ما لزمه من الوصول الى جزيل الثواب وقوله ولقد نزلت بكم البلية يشبه ان يكون انذارا بابتلاء الخلق بدولة بنى امية وملوكها وقوله جائلا خطامها كناية بالمستعار عن خطرها وصعوبة حال من يركن اليها فانها لما كانت دولة خارجة عن نظام الشريعة جارية على وفق الاهواء كان الراكن اليهم على خطر فى دينه ونفسه كما ان من ركن الى الناقة التى جال خطامها اى لم يثبت فى وجهها وارتخى حزامها فركبها كان على خطر فى دينه ونفسه كان ان تصرعه فيهلك ثم اردف ذلك بالنهى عن الاغترار بما اصبح فيه اهل الغفلة من متاع الدنيا وطيباتها وتفرعه باستعارة لفظ الظل له ووجه المشابهة ما يشتركان فيه من كونه ممدودا ينتهى عند اجل ويزول به وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام المعروف من غير رؤية الخالق من غير روية الذى لم يزل قائما دائما اذ لا سماء ذات ابراج ولا حجب ذات ارتاج ولا ليل داج ولا بحر ساج ولا جبل ذو فجاج ولا فج ذو اعوجاج ولا ارض ذات مهاد ولا خلق ذو اعتماد ذلك مبتدع الخلق ووارثه واله الخلق ورازقه والشمس والقمر دائبان فى مرضاته يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد قسم ارزاقهم واحصى آثارهم واعمالهم وعدد انفاسهم وخائنة اعينهم وما تخفى صدورهم من الضمير ومستقرهم ومستودعهم من الارحام والظهور الى ان تتناهى بهم الغايات هو الذى اشتدت نقمته على اعدائه فى سعة رحمته واتسعت رحمته لاوليائه فى شدة نقمته قاهر من عازه ومدمر من شاقه ومذل من ناواه وغالب من عاداه من توكل عليه كفاه ومن ساله اعطاه ومن اقرضه قضاه ومن شكره جزاه عباد الله زنوا انفسكم من قبل ان توزنوا وحاسبوها من قبل ان تحاسبوا وتنفسوا قبل ضيق الخناق وانقادوا قبل عنف السياق واعلموا انه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها زاجر ولا واعظ اقول الارتاج الاغلاق والساجى الساكن والفجاج الاتساع والفج الواسع ودائبان مجدان فى سيرهما وعازه غالبه والمناواة المعاداة وقد صدر هذا

الفصل باعتبارات اضافية للحق سبحانه في معرض تمجيده فالاول كونه تعالى معروفا من حيث ذاته وقد سبق
معنى معرفته ومراتبها وبيان كونه منزها عن الرؤية بحاسة البصر ب كونه متوحدا القائم من حيث ذاته وقد سبق
ايضا بيانه في قوله في الخطبة الاولى بلا ادوات الحاجة ج كونه لم يزل دايما وذلك لكون وجوب وجوده مستلزما
لاستحالة عدمه ازلا وابدا د كونه قائما يجوز ان يريد به معنى الثابت الباقي ويجوز ان يريد به القائم بامور العالم
وللمفسرين فيه على هذا الوجه اقوال احدها عن ابن عباس رض كونه عالما بالخلق اينما كانوا وضابطا لاحوالهم
الثاني قيامه وتوكيله الحفظة عليهم وهو المشار اليه بقوله تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت الثالث
القائم على الشيء هو الحافظ له والمدبر لامره الرابع هو المجازي بالاعمال الخامس هو القاهر لعباده المقتدر
عليهم وقوله ه اذ لا سماء الى قوله ذو اعتماد اشارة الى جهة اعتبار ازليته قيامه بذاته وسبقه لكل ممكن
وهو امر تقرير القول الرسول صلى الله عليه واله كان الله ولا شيء فاما الحجب ذات الارتاج فيحتمل ان يريد بها
السموات على ظاهر الشريعة وانها في السماء فاشبهت الحجب له فاطلق له لفظها عليها وكونها ذات ارتاج
كناية عن عدم التمكن من فتحها والدخول فيها كناية بالاستعارة وقال بعض الفضلاء اراد بها الهيئات البدنية
ومحبة الدنيا والظلمات الحاصلة للنفس الحاجبة لها عن مشاهدة انوار جلال الله حتى كانها اقفال عليها
كما قال تعالى ام على قلوب اقفالها وقوله ولا حلق ذو اعتماد اي ذو قوة وبطش الظاهر كونه مبدع الخلق
اي مخترعه على غير مثال سبق السادس كونه وارثا اي كما انه مبداوه فهو مآله ومرجعه وذلك اشارة الى كونه
دائما قائما لم يزل ولا يزال السابع كونه الخالق وهو اعتبار لحقه بالقياس الى ايجاده لهم واستعباده
اياهم الثامن كونه رازقهم وهو اعتبار له بالقياس الى افاضة سائر نعمه عليهم التاسع كون الشمس والقمر دائبين
في مرضاته اي على وفق ارادته للخير المطلق والنظام الكلي وذكرهما في معرض تمجيده لكونهما من اعظم
آيات ملكه العاشر يبليان كل جديد نسب الابلاء اليهما لكونهما من الاسباب لحدوث الحوادث
في هذا العالم وتغيراته وكذلك قوله ويقربان كل بعيد وفيه جذب الى ذكر المعاد والعمل له فكونهما يبليان
كل جديد منبه على عدم الثقة والاعتماد على ما يروق ويعجب من حسن الابدان وجدتها وكذلك ما يجد
ويتجدد من خيرات الدنيا ولذاتها لوجوب دخولها فيما يبلى وكونهما يقربان البعيد تنبيه مع ذلك
على الحذر مما يستبعده اهل الغفلة من الموت والفناء في حال صحة ابدانهم وسلامتهم في حيوتهم الدنيا
الحادي عشر كونه قسم ارزاقهم كقوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا اي وهب لكل من الخلق ما كتب
له في اللوح المحفوظ كونه احصى آثارهم الى قوله من الارحام والظهور اي احصى كل ذلك منهم بقلم القضاء
الالهي في الالواح المحفوظة واليه الاشارة بقوله تعالى والله يعلم اعمالكم وقوله وما من غائبة في السماء
والارض الا في كتاب مبين وقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقوله وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين يب الى ان يتناهى بهم الغايات اي

يعلم كل احوالهم من حين ابتدائهم الى ان يقف كل عند غايته المكتوبة له من خير او شر يج وهو الذي
اشتدت نقمته على اعدائه في سعة رحمته واتسعت رحمته لاوليائه في شدة نقمته واشار بذلك
الى كمال ذاته بالنسبة الى ملوك الدنيا مثلا فان احدهم في حال غضبه على عدوه لا يتسع لرحمته ولا
رحمة غيره كذلك في حال رحمته لاوليائه لا يجتمع معها غضبه عليهم ولما ثبت انه تعالى هو الغني المطلق
المنزه عن صفات المخلوقين وانه المعطي لكل قابل ما يستحقه من غير توقف في جوده على امر من ذاته وكان
اعداء الله مستعدون ببعدهم عنه لقبول سخطه وشدة نقمته في الاخرة لاجرامهم ولاجل ذلك وان كانوا
في الدنيا في سعة رحمته وشمول نعمته وكذلك اولياؤه لما استعدوا لقبول رحمته وشمول نعمته اياهم
عليهم فهم في حضرة قدسه على غاية من البهجة والسعادة وضروب الكرامة وان كانوا باجسادهم في ضروب
من العذاب وشقاوة الفقر والضنك في الدنيا وذلك لا يملكه الا حليم لا يشغله غضب عن رحمة
عدل حكيم لا يمنعه رحمة عن انزال عقوبة سبحانه ليس الا هو يد قاهر من عازّه اي تعالى قاهر باعتبار
انه قاصم ظهور الجبابرة من اعدائه فيقهرهم بالموت والاذلال كفرعون اذ قال انا ربكم الاعلى فاخذه
الله نكال الاخرة والاولى وهو الذي يلحقه هذا الاعتبار مطلقا اذ كل موجود فهو مسخر تحت قدرته
وقهره عاجز في قبضته يه ومدمر من شاقه يو ومذل من ناواه يز وغالب من عاداه فمشاقة الله
اتباع غير سبيله من بعد ما تبين للمنحرف الهدى ومناواته الاعراض عن اوامره واتباع الشهوات ودون الاله
ثم حينئذ هو قاصمه لصورة الحاجة الى غيره يح كافي من توكل عليه يط ومعطي من ساله ك وقاضي
من قرضه كا ومجازي من شكره وهذه الاعتبارات تعود الى حرف واحد وهو ان العبد اذا استعد بحسن
التوكل والسؤال والصدقة والشكر لنعم الله وجب في جود الله وحكمته افاضة كفايته فيما توكل عليه فيه
فكفايته فيما توكل من الكمالات افاضة تمامها عليه ومن رفع النقصانات دفعها عنه ثم اعطاؤه
ما سال اذا استعد لقبوله ثم اداؤه عن قرضه اضعافا ثم جزاؤه على شكره زيادة انعامه واطلق لفظ
القرض لما يعطى الفقير مجازا كما قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اي بريا من جهات الرياء
والسمعة خالصا لوجه الله فيضاعفه له اضعافا كثيرة ووجه المناسبة كون الفقراء اهل الله وعياله
فكان المعطي هو الله تعالى وقوله عباد الله الى اخره شروع في الشور والموعظة فقوله زنوا انفسكم
من قبل ان توزنوا وزن النفوس في الدنيا اعتبار اعمالها وضبطها بميزان العدل اي مراعاة استقامتها
على حاق الوسط من طرفي الافراط والتفريط اللذين هما ككفتي الميزان مهما رجح احديهما فالنقصان
لازم والخسران قائم واما الميزان الاخروي فاما على راي المتكلمين وظاهر الشريعة فظاهر واما على
راي محققي السالكين من الصوفية فما اشار اليه الامام الغزالي كاف في بيانه قال ان تعلق النفس
بالجسد كالحجاب لها عن حقائق الامور وبالموت ينكشف الغطاء كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك

فبصرك اليوم حديد ومما ينكشف له تاثير اعماله فيما يقربه الى الله تعالى ويبعده عنه ومقادير تلك الآثار
وان بعضها اشد تاثيرا من بعض وفي قدرة الله تعالى ان يجري شيئا يعرف الخلق به في لحظة واحدة مقادير
الاعمال بالاضافة الى تاثيراتها التقريب والابعاد فحد الميزان ما يتميز به الزيادة والنقصان وان
اختلف مثاله في العالم المحسوس فمنه الميزان المعروف ومنه القبان والاصطرلاب لحركات الفلك
والمسطرة لمقادير الخطوط والعروض لمقادير حركات الاصوات فهذه كلها امثلة للميزان الحقيقي
وهو ما تعرف به الزيادة والنقصان وهو موجود فيها باسرها وصورته تكون للحس عند التشكيك
وللخيال بالتمثيل وقوله وحاسبوها قبل ان تحاسبوا محاسبة النفس ضبط الانسان على نفسه اعمالها
الخيرية ليزكيها بما ينبغي لها ويعاقبها على فعل ما لا ينبغي وهو باب عظيم من ابواب المرابطة في سبيل
الله فان للعارفين في سلوك سبيل الله ومرابطتهم مع انفسهم مقامات خمسة الاولى المشارطة ثم
المراقبة ثم المحاسبة ثم المعاتبة ثم المجاهدة والمعاقبة وضربوا لذلك مثالا فقالوا ينبغي ان يكون حال
الانسان مع نفسه كحاله مع شريكه اذا سلم اليه مالا ليتجر به فالعقل هو التاجر في طريق الاخرة ومطلبه
وربحه تزكية النفس اذ بذلك فلاحها كما قال تعالى قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وانما فلاحها
بالاعمال الصالحة فالعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة اذ يستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر
بشريكه وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا
ويحاسبه ثالثا ويعاتبه او يعاقبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس اولا فيوظف
عليها الوظائف ويامرها بسلوك طريق الحق ويرشدها اليها ويحرم عليها سلوك غيرها كما يشرط التاجر
على شريكه الثانية ان لا يغفل عن مراقبتها لحظة فلحظة عند خوضها في الاعمال ويلاحظها بالعين
الكالية والى مقام المراقبة الاشارة بقوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم
قائمون وقوله صلى الله عليه واله اعبد الله كانك تراه وقد سبق بيان حقيقة المراقبة ولا بد منها فان الانسان
لو غفل عن نفسه واهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع راس المال كالعبد الخائن اذا انفرد بمال سيده
الثالثة ثم بعد الفراغ من العمل ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط فان هذه تجارة ربحها الفردوس
الاعلى فتدقيق الحساب في هذا اهم من التدقيق في ارباح الدنيا لحقارتها بالنسبة الى نعيم الاخرة
فلا ينبغي ان يهمل مناقشتها في ذرة من حركاتها وسكناتها وخطراتها ولحظاتها فان كل نفس من انفاس
العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشترى بها كنز من كنوز الاخرة لا تتناهى قالوا وينبغي للانسان
ان يخلو عقيب فريضة كل صبح مع نفسه بالوصية ويقول اي نفس ليس لي بضاعة الا العمر ومهما فني فقد
فني راس مالي ووقع الياس من التجارة وطلب الربح وهذا يوم جديد قد امهلني الله فيه وهو ضالتي
ولو توفاني لقلت رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت فاحسبي انك رددت فاياك وتضييع

هذا اليوم والغفلة فيه واعلم ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه يفتح للعبد
في كل يوم وليلة اربع وعشرون خزانة مصفوفة فتفتح له فيها خزانة فيراها مملوة نورا من حسناته التي عملها
في تلك الساعة فيناله من الفرح والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار ما لو قسم على اهل النار لاغناهم عن
الاحساس بآلامها وتفتح له خزانة اخرى فيراها سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى
الله تعالى فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لنغص عليهم نعيمها وتفتح له خزانة اخرى فارغة ليس
فيها ما يسره ولا ما يسوؤه وهي الساعة التي نام فيها او غفل في شيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها وينال
من الغبن الفاحش ما ينال من قدر على ربح كثير ثم ضيعه واليه الاشارة بقوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك
يوم التغابن وقال بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه اليس قد فاته ثواب المحسنين وهو اشارة الى الغبن والحسرة
ثم يستانف وصيته لاعضائه السبعة وهي العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل ويسلمها
اليها فانها رعايا خادمة لها في التجارة وبها يتم اعمال هذه التجارة وان لجهنم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء
مقسوم وانما يتعين تلك الابواب لمن عصى الله تعالى بهذه الاعضاء ويوصي كل عضو بما ينبغي له وينهاه عما لا ينبغي
له ويرجع في تفصيل تلك الاوامر والنواهي الى مراسم الشريعة ثم يشترط عليها ان خالفت ذلك عاقبها بالمنع
من شهواتها وهذه الوصية قد تكون بعد العمل وقد تكون قبله للتحذير كما قال تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في
انفسكم فاحذروه الرابعة المجاهدة والمعاقبة وهو بعد المحاسبة اذا راى نفسه قد قارفت معصية فينبغي ان
يعاقبها بالصبر عن امثالها ويضيق عليها في مواردها وما يعودها اليها من الامور المباحة وان راها توانت وكسلت
عن شيء من الفضائل او ورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الطاعات
جبرا لما فات روي ان ابن عمر اخر صلوة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين الخامسة توبيخ النفس و
معاتبتها وقد علمت ان لك نفسا امارة بالسوء ميالة الى الشر وقد امرت بتقويمها وقودها بسلاسل القهر
الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها ولذاتها المالوفة فان اهملتها شردت وجمحت ولم تظفر بها
بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة واللائمة كانت نفسك هي النفس اللوامة وسبيل المعاتبة ان
تذكر النفس عيوبها وما هي عليه من الجهل والحمق وما بين يديها من مفاجاة الموت وما تؤول اليه من الجنة والنار
وما عليه اتفاق كلمة اولياء الله الذين هم بتسليمها سادات الخلق ورؤساء العالم من وجوب سلوك سبيل الله
ومفارقة معاصيه وتذكيرها بآيات الله واحوال الصالحين من عباده فهذه محاسبات النفس ومرابطاتها و
اما حسابها الاخروي فقد سبقت الاشارة اليه وقوله وتنفسوا من قبل ضيق الخناق استعار لفظ التنفس
لتحصيل الراحة والبهجة في الجنة بالاعمال الصالحة في الدنيا المستلزمة لها كما يستلزم التنفس راحة القلب
من الكرب واستعار لفظ الخناق من الحبل المخصوص للموت ووجه المشابهة ما يستلزمه ضيق الخناق والموت
من عدم التمكن والتصرف والعمل اي تهيؤا الفرصة للعمل قبل تعذره بزوال وقته وضيقه وقوله وانقادوا

قبل عنف السياق اى انقادوا لامر الله الى طاعته قبل السوق العنيف وهو سوق ملك الموت بالجذبة
المكتوبة كما سبق وقوله واعلموا انه من لم يعن على نفسه الى آخره اى من لم يعنه الله على نفسه واعانته لم يهو
اعدادا لعناية الالهية لنفسه الناطقة ان تقبل السوانح الخيرية وتاييدها بها على النفس الامارة
بالسوء لتقوى بتلك السوانح على قهرها وعلى الانزجار عن متابعتها والاجتناب الى ما يدعوها اليه من
الشهوات فانه متى لم يكن لها ذلك الاستعداد والقبول لم ينفعها وعظ غيرها ولم يقبله اذ لا قبول بدون
استعداد للقبول وفى ذلك تنبيه على وجوب الاستعانة بالله فى احوال النفس ودفع الشيطان منها وبالله
التوفيق ومن خطبة له عليه السلام تعرف بخطبة الاشباح وهى من جلايل خطبه وكان سايل سال ان يصف
الله لهم حتى كانه يراه عيانا فغضب لذلك وقال الخطبة وروى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد عليهما
السلام انه قال خطب امير المؤمنين عليه السلام هذه الخطبة على منبر الكوفة وذلك ان رجلا اتاه فقال يا امير
المؤمنين صف لنا ربنا لنزداد له حبا وبه معرفة فغضب ونادى الصلوة جامعة فاجتمع الناس حتى غص المسجد
باهله فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وآله ثم خطبها
واعلم ان فى الخطبة فصولا الفصل الاول قوله الحمد لله الذى لا يفره المنع ولا يكديه الاعطاء والجود
اذ كل معط منتقص سواه وكل مانع مذموم ما خلاه هو المنان بفوايد النعم وعوايد المزيد والقسم عياله
الخلايق ضمن ارزاقهم وقدر اقواتهم ونهج سبيل الراغبين اليه والطالبين ما لديه وليس بما سئل باجود منه
بما لم يسئل الاول الذى لم يكن له قبل فيكون شى قبله والآخر الذى ليس له بعد فيكون شى بعده و
الرادع اناسى الابصار عن ان تناله او تدركه ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال ولا كان فى مكان فيجوز
عليه الانتقال ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحكت عنه اصداف البحار من فلز اللجين والعقيان
ونثارة الدر وحصيد المرجان ما اثر ذلك فى جوده ولا انفد سعة ما عنده ولكان عنده من ذخاير الانعام
ما لا تنفده مطالب الانام لانه الجواد الذى لا يغيضه سؤال السايلين ولا يبخله الحاح الملحين اقول
الاشباح الاشخاص ويفره يزيد ماله وفورا ويتممه ويكديه ينقصه ويقطعه وتنفست عنه تفرجت والفلز ما
ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض والعقيان الذهب الخالص والمرجان صغار اللؤلؤ والح فى سؤاله
اذا دام عليه وقد شرع فى وصف الله سبحانه باعتبارات له الى آثاره الاول انه لا يزيد بما حرمه وسعه من فضله
الثانى ولا ينقصه عطاؤه وجوده ثم رد حكم الوهم عليه سبحانه بدخوله فى عموم المنتقصين بالعطايا بقوله
اذ كل معط منتقص سواه وكذلك قد نزهه عن الدخول فى زمرة المذمومين بمنعهم ما فى ايديهم عن طالبه
بقوله وكل مانع مذموم ما خلاه فكانت هاتان القضيتان مؤكدتين للاوليين وبرهانهما ان التزيد
بالمنع والتنقص بالاعطاء انما يطلق فى حق من ينتفع ويتضرر بالزيادة والنقصان والانتفاع والتضرر
على الله محال فالتزيد والتنقص عليه محال ولانهما يقتضيان عليه الحاجة والامكان ولانه مقدس ذاته

عن

غير متناهية وبه يقول اذ على جهة الفرق بينه وبين خلقه وانما انتقص المعطى من خلقه لحاجته الى ما يعطيه
وانتفاعه به وانما استحق المانع منهم الذم دونه سبحانه لكون ما يصدر عنه من منع واعطاء مضبوطا بنظام
الحكمة والعدل دون غيره من المانعين فان غالب منعهم يكون عن شح مطاع وهوى متبع واعلم ان صدق
الكلية فى المنتقصين بالعطاء ظاهر واما فى المذمومين بالمنع فتحقيقها ان كل مانع للمال فهو انما يمنعه
خوف الفقر ونحوه وظاهر ان الخايف من الفقر الدنيا محب لها وهو بمعزل عن عباد الله المتوكلين عليه
الزاهدين فى متاع الدنيا وقنياتها واذا كان العبد مامورا بان يكون من هؤلاء وفى زمرتهم فبالحرى
ان يكون مستحقا للذم على ما يمنعه من ماله فيكون حجابا له عن النظر الى وجه الله الكريم فصدق الكلية
اذن ظاهر وفى ادعية زين العابدين عليه السلام يا من لا يزيده كثرة العطاء الا كرما وجودا وفيه سر لطيف
فانه لما كان جوده سبحانه غير متوقف الا على وجود الاستحقاق وكانت كل نعمة صدرت عنه معدة لمحلها
ومهياة له لقبول نعمة اخرى كانت كثرة عطائه مستلزمة لكثرة الاعداد المستلزمة لزيادة الجود الثالث
انه المنان بفوايد النعم والمنة تذكير المنعم للمنعم عليه بنعمته والتطاول عليه بها كقوله تعالى يا بنى اسرائيل
اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم فى غير موضع من كتابه وهى صفة مدح للحق سبحانه وان كانت صفة ذم للخلق
والسبب الفارق كون كل منعم سواه محتملا ان يتوقع لنعمته جزاء او يستعيد كما لا يعود اليه مما افاده و
ايسر توقع الذكر ويفرح من يقابل نعمته ويتوقع لها جزاء ان يمن بها لما يستلزمه المن من التطاول والكبر
مما لا يجتمعان فى العرف اذ التطاول والكبر انما يليقان بالغنى عن ثمرة ما تطاول به ولان التطاول مما
يتاذى به المنعم عليه فيبطل بذلك استعداد نفس المنعم لقبول رحمة الله وجزائه ولذلك ورد النهى عن المنة
فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فجعلهما سببا لبطلان الصدقة اى عدم
استحقاق ثوابها وفوايد النعم ما افادها وعوايد المزيد والقسم معتادها الرابع كون الخلايق عياله ضمن
ارزاقهم وقدر اقواتهم واستعار لفظ العيال للخلق بالنسبة اليه تعالى ووجه المشابهة ان عيال الرجل هو من
جمعهم ليغنيهم ويصلح حالهم كذلك الخلق انما خلقهم وجمعهم تحت عنايته ليصلح احوالهم فى معاشهم ومعادهم
وكذلك استعار لفظ الضمان لما وجب فى الحكمة الالهية من وجود ما لا بد منه فى تدبير اصلاح حالهم من [illegible]
والارزاق وتقدير اقواتهم اعطاء كل ما كتب له فى اللوح المحفوظ من زايد وناقص الخامس كونه نهج سبيل
الراغبين اليه والطالبين ما لديه وذكر اولا ما يصلح حالهم فى الدنيا وهو ضمان الارزاق وتقدير الاقوات
ثم اردفه بما هو سبب صلاح حالهم فى الآخرة من نهج السبيل وايضاحه واشار الى ايضاح الشريعة لطريق السالكين
الراغبين فى النظر الى وجهه الكريم والطالبين لما عنده من النعيم المقيم السادس كونه ليس بما سئل باجود منه
بما لم يسئل وفى هذا الوصف اشارة لطيفة وهو ان فيضان ما يصدر عنه سبحانه له اعتباران
احدهما بالنظر الى جوده وهو من تلك الجهة غير مختلف فى جميع الموجودات بل نسبتها اليه على سواء بذلك

الاعتبار فلا يقال هو بكذا اجود منه بكذا والا لاستلزم ذلك ان يكون ببعض الاشياء ابخل واليها احوج
فيلزمه النقصان تعالى الله عن ذلك والثانى بالنظر الى الممكن نفسه والاختلاف الواقع فى القرب والبعد
الى جوده انما هو من تلك الجهة فكل ممكن كان اتم استعدادا واقبل للوجود واقل شرطا ومعاندا كان اقرب
الى وجوده اذا عرفت ذلك فاعلم ان السايل وان حصل له ما سال من الله تعالى دون ما لم يسال فليس منعه ما لم
يساله لعزته عند الله وليس بينه وبين ما سال بالنسبة الى جود الله فرق وتفاوت بل انما خص بما سال لوجوب
وجوده له عند تمام قبوله له بسؤاله دون ما لم يساله ولو سال ما لم يساله واستحق وجوده لما كان فى الجود
الالهى بخل به ولا منع فى حقه وان عظم خطره وجل قدره ولم يكن لذلك نقصان فى خزاين ملكه وعموم جوده
والى هذا اشار على بن موسى الرضا عليهما السلام وقد سئل عن الجواد فقال لسؤالك وجهان ان اردت
المخلوق فالذى يؤدى ما افترض الله عليه والبخيل الذى يمنع ما افترض عليه وان اردت الخالق فهو الجواد
ان اعطى وان منع لانه ان اعطى اعطى من له وان منع منع من ليس له فقوله وليس له اشارة الى ان الجود
الالهى انما يهب ويتوقف فى هبته على وجود المستحق وقد نزهه عليه السلام بهذا الوصف عن صفة الخلق اذ
كان من شانهم ان يكونوا بما سئلوا اجود منهم بما لم يسالوه لكونه اسهل عليهم ومن شان السايل ان لا يسال
ما هو اعز عندهم ولذلك كانوا بما سئلوا اجود السابع الاول الذى لم يكن له قبل فيكون شى قبله الثامن
والآخر الذى ليس له بعد فيكون شى بعده وقد اشرنا الى هذين الوصفين فيما سلف ونزيدهما بيانا فنقول
الاولية والآخرية اعتباريان اضافيان تحدثهما العقول لذاته المقدسة وذلك انك اذا لاحظت ترتيب
الوجود فى سلسلة الحاجة اليه سبحانه وجدته تعالى بالاضافة اليها اول اذ كان انتهاؤها فى سلسلة الحاجة
الى غناه المطلق فهو اول بالعلية والذات والشرف واذ ليس بذى مكان فالتقدم بالمكان منفى عنه
والزمان متاخر عنه اذ هو من لواحق الحركة المتاخرة عن الجسم المتاخر عن علته فلم تلحقه القبلية الزمانية
فضلا ان يسبق عليه فلم يكن شى قبله مطلقا لا من الزمانيات ولا من غيرها واذا اعتبرته بالنظر الى
ترتيب السلوك ولاحظت مراتب السالكين المسافرين فى منازل عرفانه وجدته آخرا اذ هو آخر ما يرتقى
اليه درجات العارفين ومعرفته هى الدرجة القصوى والمنزل الآخر ولان كل موجود سواه فهو ممكن العدم
فله من ذاته ان لا يستحق وجودا فضلا عن ان يستحق الآخرية والبعدية المطلقة وهو تعالى الواجب لذاته
فهو المستحق لبعدية الوجود وآخريته لذاته وبالقياس الى كل موجود فاذن هو الاول المطلق الذى لا شى
قبله والآخر المطلق الذى لا شى بعده التاسع الرادع اناسى الابصار عن ان تناله او تدركه وقد سبق ان
القوة الباصرة انما تتعلق بذى وضع وجهة والبارى تعالى منزه عنهما فيستحيل ان يدرك بحاسة البصر وردعه
لها قهرها بذل النقصان عن قبول ادراكه العاشر كونه لم يختلف عليه دهر فيختلف عليه الحال لما كان الدهر
مبدا للتغيرات واختلاف الاحوال وكان ذاته سبحانه مقدسة عن لحوق الزمان كانت مبراة عن تغير

الاحوال

الاحوال الجارية على الزمانيات واختلافها الحادى عشر ولا كان فى مكان فيجوز عليه الانتقال لما كان من
شان ذى المكان جواز ان ينتقل عن مكانه وكان سبحانه منزها عن المكان والا لزمه النقصان اللازم
للامكان لا جرم لم يجز عليه الانتقال الثانى عشر كونه لو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحكت عنه
اصداف البحار من فلز اللجين والعقيان الى قوله مطالب الانام انما عدد هذه الاشياء فى معرض المدح
ثم لكونها اعظم ما يقتدر عليه الانسان ويقتنيه واجل ما يتنافس فيه ابناء الدنيا تنبيها على كمال قدرته
وعدم تناهى مقدوراته اذ سبق انه انما يتاثر بهبة مثل ذلك جود المحتاجين الذين يتعاقب عليهم الاستغناء
والمفتقر واستعار لفظ الضحك للاصداف ووجه الشبه انفتاح الصدفتين واسفارهما عن اللؤلؤ
الشبيه فى بدوه باسنان الانسان حال ضحكه وعن لحمه شبه اللسان فى رقته وطرفه ولطافته ومن شان
الصدف عند فتحها وجدها كانسان يضحك وكذلك استعار لفظ الحصيد لصغار اللؤلؤ ملاحظة
لشبهه بما يحصد من الحنطة وغيرها واعلم ان الصدف وان كان حيوانا ذا حس وحركة الا انه يشبه
بالنبات ويلحق به من جهة انه ذو عرق فى الارض يغتذى به وقد اجل ما يخرج من معادن البر والبحر الثمينة
النامية بينها الثالث عشر لانه الجواد الذى لا يغيضه سؤال السايلين ولا يبخله الحاح الملحين انما كان
هذا علة لعدم تاثر جوده بهبة ما يعظم قدره ونقصان خزاينه باخراجه منها لان الجواد الذى شانه ما
ذكر انما كان كذلك لكونه ليس من شانه ان يلحقه النفع والضرر والنقص بل هو غنى غير متناه واستعار
لفظ الغيض لشبهها بالماء الذى له مادة تامة لا ينقص بالنزح ومن روى يغضبه فلان الغضب من لواحق
المزاج والبارى تعالى منزه عنه فيتنزه عن لواحقه وكذلك البخل رذيلة مكتسبة من البدن والمزاج تبعث
عليها الحاجة والنقصان فمن لا يتزيد ولا ينقص ولا يؤثر فى ملكه ان يهب الدنيا لمن سالها الفصل
الثانى قوله فانظر ايها السايل فما دلك القرآن عليه من صفته فائتم به واستضئ بنور هدايته وما
كلفك الشيطان علمه مما ليس فى الكتاب عليك فرضه ولا فى سنة النبى صلى الله عليه وآله وائمة الهدى
اثره فكل علمه الى الله سبحانه فان ذلك منتهى حق الله عليك واعلم ان الراسخين فى العلم هم الذين
اغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح
الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه
رسوخا فاقتصر على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين هو القادر
الذى اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته وحاول الفكر المبرا من خطر الوساوس ان يقع عليه فى
كيفية صفاته وغمضت مداخل العقول فى حيث لا تبلغه الصفات لينال علم ذاته ردعها وهى تجوب
مهاوى سدف الغيوب متخلصة اليه سبحانه فرجعت اذ جبهت معترفة بانه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته
ولا يخطر ببال اولى الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته الذى ابتدع الخلق على غير مثال امتثله

ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله وارانا من ملكوت قدرته وعجايب ما نطقت به آثار حكمته واعتراف الحاجة من الخلق ان يقيمها بمساك قوته ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته وظهرت في البدايع التي احدثها آثار صنعته واعلام حكمته فصار كل ما خلق حجة له ودليلا عليه وان كان خلقا صامتا فحجته بالتدبير ناطقة ودلالته على المبدع قائمة واشهد ان من شبهك بتباين اعضاء خلقك وتلاحم حقاق مفاصلهم المحتجبة لتدبير حكمتك لم يعقد غيب ضميره على معرفتك ولم يباشر قلبه اليقين بانه لا ند لك و كانه لم يسمع تبرؤ التابعين من المتبوعين اذ يقولون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين كذب العادلون بك اذ شبهوك باصنامهم ونحلوك حلية المخلوقين باوهامهم وجزأوك تجزئة المجسمات بخواطرهم وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم واشهد ان من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك والعادل بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك ونطقت عنه شواهد حجج بيناتك وانك انت الله الذي لم تتناه في العقول فتكون في مهب فكرها مكيفا ولا في رويات خواطرها محدودا مصرفا

اقول الانقحام الدخول في الامر بشدة دفعة والسدد جمع سدة وهي الابواب والحجب حجاب اللاداي اي قطعها والسدد جمع سدفة وهي الظلمة والجبه الرد ولاحتذى عليه اي سلك مسلكه والحقاق جمع حق وهي اطراف عظام المفاصل والعادل الجاعل لله عديلا والقريحة قوة الفكر وقصد بهذا الفصل تاديب الخلق في وصفهم لله سبحانه وتعليمهم كيفية السلوك في مدحه والثناء عليه بما هو اهله وان كان الخطاب للسائل اذ هو السبب في هذه الخطبة وذلك على طريقة قولهم اياك اعني واسمعي يا جاره ثم ارشده في ذلك الى كتاب الله تعالى وامره ان يجعله اماما يقتدي به ويستضيء بانواره في سلوك سبيل الله وكيفيته فان اولى ما وصف به تعالى هو ما وصف به نفسه وامره بان يكل علم ما لم يجد معرفته عليه علمه في كتاب الله او في سنة رسوله واثار ائمة الهدى لغاية ما بين مقاصدهم في ايضاح الدين وحفظه الى علم الله تعالى وهو المراد بالتفويض وذلك ان ائمة الهدى اعلم بوجوه نسبته تعالى الى خلقه وبما يناسب تلك الاعتبارات من الالفاظ وبعيدها فنطقوا عليه ونفره عن طلب ذلك والبحث عنه باشارته الى انه تكليف الشيطان وظاهر ان طلب ما وراء حدود الشريعة التي نهت عن تجاوزها انما هو بسبب وسوسة الشيطان وحرص الطبع على ما منع منه ثم اعلم ان ذلك هو منتهى حق الله عليه ومطلوبه منه ولما كان مطلوب الشارع من وضع الشريعة وتقرير قواعدها هو جمع قلوب العالم على قانون واحد واخذهم فيه بحيث لا يتفرقوا في اشتات امرها الا يكون ذلك الافتراق سببا لضعف الدين وعدم تعاونهم على تشييده كما سوى بانه لا جرم وجب في الحكمة ان يحرم حينئذ عليهم الخوض فيما وراء ذلك لتثبت قواعد الدين في قلوبهم وترسخ ولا يخرج بهم البحث عما وراءها الى اطراحها وفساد اعتقاد كثير من الخلق لها ولغيرها مما وراءها اذ لم يكن فيهم من يستعد لقبول ما وراء تلك الظواهر الا الفرد النادر وان كنا نعلم انه كان صلى الله عليه وآله ذا لعدم من احد

استعدادا لقبول شيء من اسرار الشريعة ووثق به ان يحمله القاه اليه كعلي عليه السلام وكابي هريرة وامثاله ثم وصف له بعد ذلك الراسخين في العلم الممدوحين في القرآن الكريم بقوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك الآية وقوله الراسخون في العلم يقولون آمنا به وفسر معنى الرسوخ فقال هم الذين اغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا ولما اشار الى السدد المضروبة وحجب الغيوب فلنشر الى ما كشف عنه بعض علماء الصوفية منها وما اشار اليه الخبر عن سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادرك بصره ولما ثبت ان الله تعالى متجلي لذاته بذاته والحجاب لا بد وان يكون بالنسبة الى محجوب فاقسام المحجوبين ثلاثة منهم من حجب بمجرد ظلمة ومنهم من حجب بمجرد نور ومنهم من حجب بنور مقرون بظلمة وتحت كل قسم من هؤلاء اقسام كثيرة لا تحصى فيكفينا الاشارة الى اصولها فنقول القسم الاول المحجوبون بمجرد الظلمة وهؤلاء هم الملحدة الذين لا يؤمنون بالله وهم صنفان فصنف منهم طلبوا للعالم سببا فلما لوه على الطبع وقد علمت ان الطبع صفة جسمانية مظلمة خالية عن المعرفة والادراك وصنف منهم لم يتفرغوا لذلك ولم يتنبهوا لطلب السبب بل اشتغلوا بانفسهم وعاشوا عيش البهايم فكانوا محجوبين بكدورات نفوسهم وشهواتهم المظلمة ولا ظلمة اشد من الهوى لذلك قال تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه وقال النبي صلى الله عليه وآله الهوى ابغض اله عبد على وجه الارض وتحت هؤلاء فرق كثيرة لا حاجة الى ذكرها القسم الثاني المحجوبون بنور مقرون بظلمة وهم ثلاثة اصناف صنف منهم منشأ ظلمته الحس وصنف منهم منشأوها الخيال وصنف منهم منشأوها مقايسات عقلية فاسدة فالاولون ايضا طوايف الاولى عبدة الاوثان فانهم علموا على سبيل الجملة ان لهم ربا وجبوا ايثاره على انفسهم واعتقدوا انه اعز وانفس من كل شيء ولكنهم حجبوا بظلمة الحس عن ان يجاوزوا العالم المحسوس في اثبات ربهم فاتخذوا من انفس الجواهر كالفضة والذهب والياقوت اشخاصا مصورة باحسن صورة وجعلوها آلهة فهؤلاء محجوبون بنور العزة والجلال من صفات الله لكنهم وضعوها في الاجسام المحسوسة فصارت حجبهم انوارا مكدرة بظلمة الحس فالحس ظلمة بالاضافة الى عالم المعقولات الثانية طائفة ترقوا عن رتبة الاحجار فكانوا ادخل من عبدة الاوثان في ملاحظة الانوار كما يحكى عن قوم من اقاصي الترك ليس لهم ملة ولكن يعتقدون ان لهم ربا هو اجل الاشياء فاذا راوا انسانا في غاية الجمال او فرسا او شجرا عبدوه وقالوا هو ربنا فهؤلاء محجوبون بنور الجمال مع ظلمة الحس ايضا الثالثة طايفة ترقوا عن هؤلاء وقالوا ينبغي ان يكون الرب نورانيا في صورته ذا سلطان في نفسه مهيبا لا يطاق القرب منه ولم يترقوا عن درجة المحسوس فعبدوا النار اذ وجدوها بهذه الصفات فهؤلاء محجوبون بنور

السلطنة والبهاء وكل ذلك من انوار الله مع ظلمات حسهم الرابعة طائفة ترقوا عن ذلك فقالوا ان النار تطفأ وتقهر فلا تصلح للالهية بل ما يكون بهذه الصفات ولكن تكون غير تحت تصرفه ويكون مع ذلك موصوفا بالعلو وكان المشهور بينهم علم النجوم واضافة التاثيرات اليها فعبدوا النجوم فمنهم عبدة المشتري ومنهم عبدة الشعرى وغيرهم فهؤلاء محجوبون مع ظلمة الحس بنور الاستعلاء والاشراق وهي من انوار الله الخامسة طائفة ترقوا عن هؤلاء فقالوا ان وجب ان يكون الرب بالصفات المذكورة الا انه ينبغي ان يكون اكبر الكواكب فعبدوا الشمس فهؤلاء محجوبون مع ظلمة الحس بنور الكبرياء والعظمة مع بقية الانوار السادسة طائفة ترقوا عن ذلك فقالوا ان الشمس لا تنفرد بالنور بل لغيرها انوار والاله لا يجوز ان يكون له شريك في نورانيته فعبدوا النور المطلق على كل نور وزعموا انه اكبر العالم والخيرات كلها منسوبة اليه ثم راوا في العالم شرورا فلم يستحسنوا اضافتها الى ربهم تنزيها له فجعلوا بينه وبين الظلمة منازعة واحالوا العالم الى النور والظلمة فهؤلاء هم الثنوية الصنف الثاني المحجوبون ببعض الانوار مقرونة بظلمة الخيال وهم الذين جاوزوا الحس واثبتوا وراء المحسوس امرا لكنهم لم يهتدوا الى مجاوزة الخيال فعبدوا موجودا قاعدا على العرش واخسهم رتبة المجسمة ثم اصناف الكرامية وارفعهم درجة من نفى الجسمية وجميع عوارضها الا الجهة فخصصوه بجهة فوق وهؤلاء لم يثبتوا موجودا غير محسوس ولا متخيل حتى ينزهوه عن الجهة الصنف الثالث المحجوبون بالانوار الالهية مقرونة بمقايسات عقلية فاسدة مظلمة فعبدوا الها سميعا بصيرا متكلما عالما قادرا منزها عن الجهات لكن فهموا هذه الصفات على حسب مناسبة صفاتهم وربما صرح بعضهم فقال كلامه صوت مثل كلامنا وربما ترقى بعضهم فقال لا بل هو كحديث انفسنا ولا صوت ولا حرف ولذلك لما حقق القول عليهم رجعوا الى التشبيه في المعنى وان انكروه لفظا اذ لم يدركوا كيفية اطلاق هذه الالفاظ في حق الله فهؤلاء محجوبون بجمل من الانوار مع المقايسات العقلية القسم الثالث المحجوبون بمحض الانوار وهم اصناف لا تحصى لكن نذكر منهم ثلاثة اصناف الاول الذين عرفوا معاني هذه الصفات وفرقوا بين اطلاق اساميها على الله تعالى وبين اطلاقها على البشر فتحاشوا من تعريفه بهذه الصفات وعرفوه بالاضافة الى المخلوقات فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه وهو الرب المنزه عن هذا المفهوم الظاهر وهو محرك السموات ومدبرها الصنف الثاني الذين عرفوا ان في السموات ملائكة كثيرة وان محرك كل سماء منها موجود اخر يسمى ملكا وان هذه السموات في ضمن فلك يتحرك الجميع بحركته في اليوم والليلة مرة واحدة والرب تعالى هو المحرك للفلك الاقصى منها المشتمل عليها الصنف الثالث الذين ترقوا عن هؤلاء وقالوا ان تحريك الاجسام الفلكية من الملائكة يكون خدمة لرب العالمين وعبادة له ويكون الرب تعالى هو المحرك للكل بطريق الامر فهؤلاء كلهم محجوبون بانوار محضة وقفت بهم عما وراءها وراء هؤلاء صنف رابع تجلى لهم ان هذا المطاع موصوف

بصفة الوحدة المطلقة والكمال البالغ وكشف عنهم حجب المقايسات والاعتبارات الى الغير وهم الواصلون فمنهم من احرق ذلك التجلي في تلك الانوار جميع ما ادركه بصره بالكلية وبقي ملاحظا للرتبة الحق فيها فانمحق فيه المبصرات دون المبصر ومنهم من تجاوز هؤلاء وهم خواص الخواص فاحرقتهم سبحات وجهه وغشيهم سلطان الجلال فانمحقوا وتلاشوا في انفسهم فلم يبق لهم التفات الى انفسهم وملاحظة لفنائهم عن انفسهم ولم يبق الا الواحد الحق وهؤلاء هم الواصلون كما سبقت الاشارة اليه وينتهي الكل الى حجاب الامكان الذي يهلك فيه كل موجود ولا يبقى الا وجه الله ذي الجلال والاكرام اذا عرفت ذلك فنقول السدد المضروبة وحجب الغيب التي اشار اليها هي درجات الاستدلالات في مفهومات صفات الله تعالى ومراتب عرفان ملائكته ومراتبهم وكمالاتهم وساير حجب الانوار التي حجب بها اهل القسم الثالث والراسخون الذين اشار اليهم في ظاهر كلامه الواقفون في المرتبة الاولى وهم الذين اقتصروا في صفات الله وملائكته وعالم غيبه على ما وقفتهم الشريعة عليهم على سبيل الجملة كما اوصل الى افهامهم الرسول صلى الله عليه وآله وعقلوا في وصفه تعالى بصفات الكمال ونعوت الجلال انه ليس على حد وصف البشر بها ورسخ في اذهانهم ما نصوه اجمالا وفصل لكان مطابقا ومراعاة العناية الالهية لقبول التفصيل وصل اليه بقي هاهنا بحث لطيف وهو انه لما كان التكليف في نفس الامر انما هو على قدر العقول وتفاوت مراتبها ولذلك قال صلى الله عليه وآله بعثت لاكلم الناس على قدر عقولهم كان كل عقل قوي على رفع حجاب من حجب الغيب وقصر عما وراءه واعترف به بالعجز عنه فذلك تكليفه وهو من الراسخين فعلم ان هذا الرسوخ ليس مرتبة واحدة هي تقليد ظواهر الشريعة واعتقاد حقيتها فقط بل تقليدها مرتبة اولى من مراتب الرسوخ وما وراءها مراتب غير متناهية بحسب مراتب السلوك وقوة السالكين على رفع حجب الانوار التي اشرنا اليها وكلامه عليه السلام لا ينافي ما قلناه بل يصدقه اذا نزل عليه فان قوله وسمى ترك التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا صادق ايضا على من قطع جملة من منازل السلوك وعجز عما وراءها فوقف ذهنه عن التعمق فيه والبحث اذ لا يكلف بما لا يفي به قوته وقوله فاقتصر على ذلك اي على ما نطق به الكتاب العزيز ودلت عليه السنة النبوية وارشد اليه ائمة الهدى وقوله ولا تقدر عظمة الله تعالى على قدر عقلك فتكون من الهالكين فالمقدر لعظمة الله بقدر عقله هو المعتقد ان عقله قدره واحاط به علما وهو مصغر لعظمة الله بحسب عقله الضعيف وعظمة الله تعالى اعظم واجل من ان يضبطها عقل بشري واعلم ان ذلك الحكم لمن حصل له هو الوهم الحاكم بمثلية الله تعالى لمدركاته من الاجسام والجسمانيات وذلك في الحقيقة كفر لاعتقاد غير الصانع صانعا وضلال عن طريق معرفة الله وهو مستلزم للهلاك في تيه الجهل واعلم ان في احالته عليه السلام لطالب المعرفة على الكتاب والسنة وبيان الائمة دلالة على ان مقصوده ليس ان يقتصر على ظاهر الشريعة فقط بل يتبع انوار القرآن والسنة واثار ائمة الهدى وقد ورد في القرآن الكريم والسنة وكلام الائمة من الاشارات والتنبيهات على

منازل السلوك ووجوب الاشتغال في درجاتها ما لا يحصى كثرة ونبهوا على كل مقام اهله ولحفوه من غير اهله
اذ كانوا اطباء النفوس وكما ان الطبيب يرى ان بعض الادوية لبعض المرضى ترياق وشفاء وذلك الدواء بعينه
لشخص آخر سم وهلاك كذلك كتاب الله والموضحون لمقاصده من الانبياء والاولياء يرون ان بعض الاسرار
الالهية شفاء لبعض الصدور فيلقونها اليهم وربما كانت تلك الاسرار باعيانها لغير اهلها سببا للضلال
وكفرهم اذا القيت اليهم فاذن مقصوده عليه السلام قصر كل عقل على ما هو الاولى به وعقله والجمع العظيم
المخاطبون هم اصحاب الظاهر الذين يجب قصرهم عليه والله اعلم وقوله هو القادر الذي اذا ارتمت الى آخره اشارة
الى عبارات ارتجالية في وصف قدرته فيها على ان غاية استقصاء العقول وتعمقها وغوص فطنها طالبة
لتحصيل صفات كماله ونعوت جلاله ان تقف خاسئة وترجع حسيرة معترفة بالعجز والقصور فقوله اذا ارتمت
الاوهام الى قوله ردعها شرطية متصلة في قوة شرطيات متعددة المقدمات وتاليها واحد فالمقدم الاول
قوله اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته واعماؤها استرسالها مجدة في المطالعة والتفتيش منتهى
قدرته منتهاها والمقدم الثاني قوله وحاول الفكر المبرء من خطرات وساوس الشيطان وشوائب الاوهام
ان يقع عليه فكيف ذاته ويثبتها بكل ما ينبغي لها من الكمالات في عميقات غيوب ملكوته اي اسرار عالم
الغيب العميقة المقدم الثالث قوله وتولهت القلوب اي اشتد شوقها اليه لتجري في كيفية صفاته المقدم
الرابع قوله وغمضت مداخل العقول اي دقت مواقع دخولها بحيث لا تبلغه الصفات اي انتهت العقول الى حد
انها لا تعتبر مع ملاحظة ذات الحق صفة له بل تحذف كل خاطر وكل اعتبار من صفة وغيرها عن ملاحظة قدسه
لتنال علم ذاته بالكنه وقوله ردعها هو تالي هذه الشرطيات وردعها هو ردها خاسئة حسيرة وسبب ذلك في
كل من هذه المدركات هو خلقها قاصرة عن ادراك ما تطلبه من هذه المطالب العظيمة فالاوهام لقصورها
عن ادراك ما ليس بمحسوس ولا متعلقا بالمحسوس وردع الفكر ان يقع عليه والقلوب ان تجري في كيفية صفاته
فيحدها وبحرها لخلقها قاصرة عن الاحاطة بما لا نهاية له اذ كانت صفات الكمال ونعوت الجلال كذلك وردع
العقول ان يحيط بكنه ذاته لخلقها قاصرة عن ادراك كنه ما ليس بذي حد وتركيب فكان مستند ذلك الردع
هو قدرته ولذلك قدم على الشرطيات اعتبار كونه قادرا فقال هو القادر الذي من شانه كذا وقوله وهي تجوب
مهاوي سدف الغيوب متخلصة اليه سبحانه الجملة في موضع الحال والعامل ردعها واستعار لفظ السدف لظلمات
الجهل بكل معنى غيبي من صفات جلاله وطبقات حجبها اي ردعها عن تلك المطالب حال ما هي قاطعة لتلك
تلك الظلمات ووجه الاستعارة ما تشتركان فيه من عدم الاهتداء فيها ومتخلصة حال ثانية والعامل المتخلص
اوردعها وتخلصها اليه توجهها بكليتها في طلبه وادراكه وقوله فرجعت اذ جبهت الى قوله عزته معرفة حال والعامل
رجعت وجوب الاعتساف شدة جولانها في تلك المنازل وظاهرات جور الاعتساف عن نيل ... في تحصيل ما لا
يكون واولوا الرويات اصحاب الفكر اي رجعت معترفة بامرين احدهما انه لا ينال كنه معرفته والثاني ان الفكر

لا يخطر

لا يقدر جلال عزته اي لا يحيط بكماله خبرا وظاهر ان صدق هذه الاحكام للنفس موقوف على ارتماء افكارها
في طلب هذه المعارف وعجزها عنها وقوله الذي ابتدع الخلق على غير مثال الى قوله قبله ان الصانع البشري
انما يعرف يحصل بعد ان يرتسم في الخيال صورة المصنوع بل وكل فعل لا يصدر الا عن تصور وضعه وكيفيته
اولا وتلك التصورات تارة تحصل عن امثلة للمصنوع ومقادير له خارجية يشاهدها الصانع ويحذو حذوها
وتارة تحصل بمحض الالهام والاختراع كما يفاض على اذهان كثير من الاذكياء صورة شكل لم يسبق الى تصوره
فيتصوره ويبرز صورته الى الخارج وكيفية صنع الله للعالم وجب انه منزه عن الوقوع على احد هذين الوجهين
اما الاول فلانا بينا انه لا قبل له فلا قبل لمصنوعاته فلا امثال مثلها اي عمل مثله ولا مقدار احتذى حذوه
واما الثاني وان سمي الفاعل على وفقه مخترعا لكن التحقيق يشهد بانه انما فعل على وفق ما حصل في ذهنه من
الشكل والهيئة وهما مستفادان من الصانع الاول جلت عظمته فكان في الحقيقة فعله على غير مثال سابق
يحذو المقدار غيره وعلم الاول سبحانه ليس على الحذو المذكور من حصول صورة مساوية للمعلوم في ذاته كما
تحققته من قبل فاذن فعله بمحض الابداع والاختراع على ابعد ما يكون عن حذو مثال وقوله وارانا من
ملكوت قدرته الى قوله معرفته ملكوت قدرته ملكها وانما نسبه الى القدرة لان اعتبارها مبدأ الوجود
كله فهي مبدأ المالكية وآثار حكمته ما صدر عنها من الافعال والاحكام وانقياد كل باقتضاء الحكمة له واستعار
لفظ النطق للسان حال آثاره فهو المفصح عن كمال الحكمة المعجبة بتمام النظام وحسن الترتيب ووجه
المشابهة ما اشترك فيه النطق وحال مصنوعاته من ذلك الافصاح والبيان واعتراف عطف على عجائب
والى ان متعلق بالحاجة وما في قوله ما دلنا هي المفعول الثاني لارانا اي وارانا من اعتراف الخلق لحاجتهم
الى ان يقيمهم في الوجود مساك قدرته التي تمسك السموات والارض ان تزولا ما دلنا باضطراره قيام الحجة
له على معرفته وقوله على معرفته متعلق بدلنا اي ما دلنا على معرفته فلزمت قيام الحجة له بالضرورة وقوله
وظهرت في البدائع الى قوله فانه استعار لفظ الاعلام لما يدل على حكمة الصانع في فعله من الاتقان
والاحكام واعلم ان كل ما ظهرت فيه آثار حكمة الله فهو ناطق بربوبيته وكمال الوهيته فبعض ناطق بلسان
حاله ومقاله كالانسان وبعض بلسان حاله فقط اذ لا عقل له ولا لسان كالجماد والنبات والضمير المضاف
اليه في قوله حجته يحتمل عوده الى الله ويحتمل ان يعود الى الخلق الصامت وقد علمت ان السالكين في سماع
هذا النطق من آثار الله ومشاهدته في مصنوعاته على درجات ومنازل متفاوتة كما اشرنا اليه غير مرة وقوله
واشهد ان من شبهك الى قوله برب العالمين التفات الى خطاب الله تعالى على طريق قوله مالك يوم الدين
اياك نعبد والمشبه به في الحقيقة هو الخلق وانما جعل المشبه به هو تباين اعضائهم وتلاحم حقاق مفاصلهم
لانه في معرض ذم المشبهة والتنبيه على وجه اغلاطهم وتباين الاعضاء وتلاحمها من لوازم المشبه به وهما
مستلزمان للتركيب واجتماع المفردات المستلزم لظهور الحاجة الى المركب والجامع ويمتنع على ...

ان يتشبه به الصانع المطلق البريء عن الحاجة بوجه ما فقد نبها الجارتها مجرى الاوسط في لزوم التركيب للمشبه
به فيظهر تنزيه الاله عن التشبيه به وان كان التقدير من شبهك بخلقك في اعضائهم المتباينة المتلاحمة والذي
يقال من وجه الحكمة في احتجاب المفاصل هو انها لو خلقت ظاهرة عرية عن الاغشية لبيت رباطاتها وقيدها
تصرف الحيوان بها كما هو الآن او انها كانت معرضة للآفات المفسدة لها وغير ذلك من خفي تدبيره ولطيف
حكمته وقد شهد عليه السلام على المشبه لله بخلقه بامرين احدهما انه لم يعرف والثاني انه لم يتيقن تنزيهه عن
المثل والقرآن والبرهان مصدقان لشهادته في الموضعين اما القرآن فبا به عليه بقوله وكانه لم يسمع تبرؤ
التابعين من المتبوعين اذ يقولون الآية ووجه الاستدلال على المطلوب الاول ان المشبهة وعبدة الاصنام
يكشف لهم في الآخرة انهم كانوا ضالين في تشبيه اصنامهم برب العالمين فيترتب قياس هكذا المشبهة ضال
من جهة تشبيههم لله بخلقه وكل من كان كذلك فهو ليس بعارف بالله والمقدمة الاولى ثابتة بمنطوق الآية
واما الثانية فلانه لو كان المشبه له عارفا به مع تشبيهه له بخلقه لما كان في ضلال مبين من تلك الجهة لكنه
في ضلال مبين من تلك الجهة فاذن ليس هو بعارف له واما البرهان فلان الله سبحانه لما تقدس عن ان يشبه
خلقا في شيء كان المشبه له بخلقه والمكيف له بكيفية يحويها وهو غير عارف به بل متصور لامر آخر هو في الحقيقة
غير الاله واما صدقه في القضية الثانية فلان المشبه لله ضال من جهة ما هو مشبه له وكل من كان كذلك
فليس بمتيقن له عن الند والمثل وصدق الاولى ظاهر من الآية واما الثانية فلانه لو كان منزها له عن الند لكونه
شبيها له لما كان ضالا من تلك الجهة لكنه ضال منها فليس بمتيقن له واما البرهان العقلي فلان الند والمثل
هو الشبيه وكلاهما في المشبه وفي الآية تنفير عن مذهب التشبيه بذكر تبرؤ التابعين ممن اتبعوا وتمنيها
رجوعهم وندامتهم على تفريطهم في ذلك وحسرتهم على الرجعى لتدارك الاعمال والاعتقادات الصالحة و
اعترافهم بانهم كانوا بتشبيههم في ضلال مبين وقوله كذب العادلون الى قوله عقولهم تكذيب للعادلين به
واشار الى تفصيل جهات كونهم عادلين والى سبب ذلك وهو الوهم وقد علمت ان منشأ التشبيه هو الوهم
اذ كان حكمه لا يرتفع عن المحسوسات وما يتعلق بها فان حكم في الجزئيات بحكم فانما محسوسة ذات احجام
والمفيها احكام المحسوس ولذلك لم يرتفع المشبهة لله عن تشبيهه بالاصنام وانتحال الاجسام كصورة الانسان
واعضائه وكذلك غير عبدة الاوثان من ساير فرق المشبهة حتى كانت غاية تنزيه من نزهه منهم ان توهم جسما
فوق وقد علمت ان الجهة والكون فيها من عوارض الاجسام المخلوقة فكانوا عن لزمهم قد نحلوه حلية المخلوقين
وصفاتهم باوهامهم الفاسدة فمنهم من اثبت له اعضاء من يد وساق وعين ووجه وساير ما ورد في القرآن
الكريم والسنة النبوية حملا على ظاهرها ومنهم من تجاسر على وصف هيئته فقال انه مجوف الاعلى مصمت الاسفل
وانه قطط الشعر الى غير ذلك من هذيانهم وكفرهم تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وتجزيه بخواطرهم
تجزئة المجسمات هو اثباتهم الاعضاء المذكورة وذلك عن تقديرهم له على الخلقة المختلفة القوى بقرائح

عقولهم

عقولهم الجامدة متابعة لاوهامهم الفاسدة وتقليد من سلف من آبائهم فان الاعضاء انما تتولد وتكمل
بواسطة قوى طبيعية ونباتية وحيوانية وغيرها وهي قوى مختلفة بحقايقها ومتضادة في افعالها محتاجة
الى الجامع والمركب موذنة بالامكان الذي تنزه قدس الصانع ان يتطرق اليه بوجه وقوله فاشهد ان
من ساواك بشيء من خلقك الى قوله بيناتك شهادة ثانية على من شبهه وجعل له مثلا بالكفر واشارة الى
برهانه بقياس من الشكل الاول استند بيان كبراه الى كتاب الله ونصوص آياته المحكمة وبينات الانبياء
وشواهد حججهم هي تلك الآيات اي حججهم الشاهدة بها كقوله ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في
يومين وتجعلون له اندادا وقوله ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد
وانني بريء مما تشركون والاشراك كفر ونحو ذلك واما المقدمة الاولى فلان الشبيه هو المثل والند
وقد علمت ان البرهان العقلي مما يشهد بصدق هذه الشهادة فان المشبه لله بخلقه مع براءته عن شبه
الغير اذا اعتقد ان ذلك الذي يشير اليه بوهمه هو صانع العالم فقد اعتقد غير الصانع صانعا وذلك
عين الكفر والضلال قوله وانك انت الله الذي لم تتناه في العقول الى قوله مصرفا شهادة ثالثة صح خلال
الشهادتين الاوليين بتنزيهه عن تناهيه في العقول البشرية وافكارها اي احاطتها بحقيقته وما لها
من صفات الكمال ونعوت الجلال بحيث لا يكون وراء ما ادركته شيء آخر ونبه في هذه الشهادة على
ما يلزم ذلك التناهي من كونه ذا كيفية يكيفه بها القوى المتخيلة لتسرح بها العقول ومهاب الفكر
جهاتها ثم من كونه محدودا اذ كانت الحقائق انما تدرك بكنهها من حدودها وقوله مصرفا اي محكوما
في ذاته بالتجزئة والتحليل والتركيب اذ كان من شان المحدود ذلك ولما كانت هذه اللوازم باطلة
لبراءته عن الكيفية والاجزاء والتركيب كان ملزومها وهو التناهي في العقول باطلا الفصل الثالث
قدر ما خلق فاحكم تقديره ودبره فالطف تدبيره ووجهه لوجهته فلم يتعد حدود منزلته ولم يقصر دون
الانتهاء الى غايته ولم يستصعب اذ امر بالمضي على ارادته وكيف وانما صدرت الامور عن مشيته المنشئ
اصناف الاشياء بلا روية فكر آل اليها ولا قريحة غريزة اضمر عليها ولا تجربة افادها من حوادث الدهور
ولا شريك اعانه على ابتداع عجائب الامور فتم خلقه واذعن لطاعته واجاب الى دعوته لم يعترض دونه
ريث المبطئ ولا اناة المتلكئ فاقام من الاشياء اودها ونهج حدودها ولاءم بقدرته بين متضادها
ووصل اسباب قرائنها وفرقها اجناسا مختلفات في الحدود والاقدار والغرائز والهيئات بدايا خلائق
احكم صنعها وفطرها على ما اراد وابتدعها اقول الريث واذعن خضع وذل والريث البطوء وكذلك الاناة
والتلكؤ التباطؤ من الامر والتوقف فيه والاود الاعوجاج وبدايا جمع بدية وهي الخلقة العجيبة وقوله
قدر ما خلق فاحكم تقديره اشارة الى ان كل مصنوع قدره في الوجود على وفق حكمته بحيث لو زاد على ذلك
المقدار او نقص منه لاختلت مصلحة ذلك المقدار وتغيرت منفعته وقوله ودبره فالطف تدبيره اجاده على

وقوة المصلحة ولطفه في ذلك تصرف في جميع الذوات والصفات تصرفات كلية وجزئية من غير شعور غيره
بذلك **وقوله** ووجهه لوجهته الى قوله الى غايته اى الهمه كلا وشيرهم لما خلق له وكما كتب له في اللوح المحفوظ
فلم يتجاوز مرسومه تلك المنزلة المعلومة له اى لم يعبرها ولم يقصر دونها والى الزم التعزيز في علمه سبحانه وتعالى
وقوله ولم يستصعب اذا امر بالمضى على ارادته اى لما امر المخلوق بالتوجه الى وجهته على وفق ارادة الله
وسابق الحكمة الالهية كل الى غايته لم يكن ثقله واستصعابه عن ذلك الامر وامره اشارة الى وجوب
اسبابه بحسب القضاء الالهى عليه بذلك **وقوله** وكيف وانما صدرت الامور عن مشيته اى وكيف يتسبب
ثم اشارا الى علة عدم استصعابه وسرعة طوعه وانقياده بذكر علته وهو استناد جميع الاثار الى مشيته
اذ كل اثر فهو واجب على مؤثره والكل منته في سلسلة الحاجة الى اثاره وواجب عنها وقد علم ذلك في العلم
الالهى **وقوله** المنشئ اصناف الاشياء الى قوله عجائب الامور قد سبق في الخطبة الاولى بيان ان الروية
والفكر والتجربة مما يلحق الانسان ويخصه وان البارى سبحانه منزه عن شئ في كيفية ابداعه لخلقه واما
الشريك فمنزه عنه ببرهان الوحدانية كما سبقت الاشارة اليه فيها وقريحة الغريزة قوة الفكر للعقل **وقوله**
فاتم خلقه واذعن لطاعته واجاب الى دعوته تمام مخلوقاته من جهة جوده بافادتها ما ينبغى لها فان ما عرض
لشئ منها فوت كماله لعدم استعداده وقبوله لذلك واذعانه ذلك في رفع الحاجة والامكان وتصريف قدرته
واجابته الى دعوته كونه في الوجود عن قوله كن **وقوله** لم يعترض دونه ريث المبطئ ولا اناة المتلكئ تنزيه
لفعله تعالى وامره ان يعرض في طاعة الاشياء له شئ من هذه الكيفيات اذ كل شئ في قهره وهى عائدة من
السرعة في اجابة امره ولما كان تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وفي قوله كن هيئة كل
ما ينبغى لذلك المامور وما يعده لاجابة امره بالكون في الوجود ويجب عنه فكيف يمكن ان يعرض له
اجابة الامر بطوء وتلكى بل يكون كلمح البصر كما قال تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر ويحتمل ان يكون
ذلك تنزيها له تعالى ان يعرض له من جهة ما هو فاعل شئ من هذه الكيفيات فان البطوء والاناة والتلكى
من عوارض الحركة التى هى من عوارض الجسم واعراضها فيمن يفعل بالالة وتستدعى كثرة وضعف وقد علمت
تنزيه الله تعالى عن جميع ذلك **وقوله** فاقام من الاشياء اودها الى قوله والهيات اقامته لاودها وتقويمه
كل شئ باعداده لما ينبغى له وافاضته كماله ونهجه لحدودها وتحديدها على الزوايا بين هو ايضاحه لكل
شئ وجهته وغايته وتيسيرها له وملايمته بين متضادها لجمعه العناصر الاربعة على تضاد كيفياتها في
مزاج واحد وقد سبق بيانه ووصله لاسباب قرائنها اشارة الى ان الموجودات لا تنفك عن اسباب تقترن
بها من هيئة او شكل او غريزة ونحوها واقتران الشيئين لا محالة مستلزم لاقتران اسبابهما واتصالهما
لاستحالة قيام الموجود بدون اسبابه وذلك الوصل مستند الى كمال قدرته اذ هو مسبب الاسباب وقال
بعض الشارحين اراد بالقرائن النفوس وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى وصله لاسبابها هدايتها الى عبادته

وماهو الاولى بها في معاشها ومعادها وسوقها الى ذلك اذ المفهوم من قول القائل وصل الملك اسباب
فلان اذا علقه عليه ووصله بره وانعامه والاول اظهر **وقوله** وفرقها اجناسا مختلفات في الحدود و
الاقدار والغرائز والهيات لا يريد بالاجناس والحدود ما اصطلح عليه قوم في عرفهم بل ما اختلف من الامور
المذكورة كلها او بعضها فهو مختلف الجنس لغة وحد الشئ منتهاه وما يحيط به والاقدار المقادير والا
يض والغرائز القوى النفسانية والاخلاق والهيات والصفات وان حملنا الحدود على ما هو المتعارف
كان حسنا فان حكمة الخالق سبحانه اقتضت تمييز بعض الموجودات من غيرها بحدودها وحقائقها وبعضها
باشكالها وهياتها ومقاديرها وغرائزها واخلاقها كما يقتضيه نظام الوجود واحكام الصنع وحكم
الارادة الالهية **وقوله** بدايا خلائق احكم صنعها وفطرها على ما اراد وابتدعها اى هى بدايا اى
عجائب مخلوقات احكم صنعها على وفق ارادته وبالله التوفيق **منها في صفة السماء** ونظم بلا تعليق رهوات
فروجها ولاحم صدوع انفراجها ووشج بينها وبين ازواجها وذلل للهابطين بامره والصاعدين باعمال
خلقه حزونة معراجها وناداها بعد اذ هى دخان فالتحمت عرى اشراجها وفتق بعد الارتتاق صوامت ابوابها
واقام رصدا من الشهب الثواقب على نقابها وامسكها من ان تمور في خرق الهواء بايده وامرها ان تقف
مستسلمة لامره وجعل شمسها اية مبصرة لنهارها وقمرها اية ممحوة من ليلها فاجراهما في مناقل مجراهما
وقدر سيرهما في مدارج درجهما ليميز بين الليل والنهار بهما وليعلم عدد السنين والحساب بمقاديرهما
ثم علق في جوها فلكها وناط بها زينتها من خفيات دراريها ومصابيح كواكبها ورمى مسترقى السمع بثواقب
شهبها واجراها على اذلال تسخيرها من ثبات ثابتها ومسير سائرها وهبوطها وصعودها ونحوسها وسعودها
اقول الرهوات جمع رهوة وهى الفرجة المتسعة والايد القوة وبايده اى الكثرة ومار تحرك وناط علق و
الصدوع الشقوق ووشج بالتشديد اى شبك والحزونة الصعوبة والاشراج جمع شرج بالفتح وهى عرى
العيبة التى تخاط بها وتقفل ويطلق ايضا على حروفها التى تخاط بها والارتتاق الالتصاق والنقاب
جمع نقب بفتح النون وهو الطريق في الجبل والدرارى الكواكب المضيئة وهذا الفصل يشتمل على كيفية
خلق السماء **فقوله** ونظم بلا تعليق الى قوله انفراجها يقتضى بظاهره ان السماء كانت ذات فرج وصدوع
وهذا على راى المتكلمين ظاهر فان الاجسام لما كانت عندهم مركبة من الاجزاء التى لا تتجزى كانت قبل
تاليفها ذات فرج وصدوع واما على راى غيرهم فقالوا يحتمل امرين احدهما انه لما كانت السموات مركبة
من الاجزاء وكانت بين اجزاء كل مركب مباينة لولا المركب والمؤلف استعار عليه السلام لفظ الرهوات
والفرج لما يتصور من المباينة بين اجزاء السماء عند قطع النظر عن صانعها ومركبها سبحانه ونظام رهوات
فرجها افاضته لصورها على قوابلها حتى تمت مركبا منتظما فلاحم الصدوع والفرج الثانى يحتمل ان يشير
بالفروج الى ما بين اطباق السموات من التباين ونظمه لرهواتها وملاحمه صدوعها خلقها اكرا متماسة

لا خلاء بينهما ونبه على كمال قدرة الله بقوله بلا تعليق فان الاوهام حاكمة بان السماء واقفة في خلاء
كما يقف الحجر في الهواء وذلك منشأ حيرتها وتعجبها لحركتها بذلك القول الى التعجب والاستعظام **وقوله**
ووشج بينها وبين ازواجها اراد بازواجها نفوسها التى هى الملائكة السماوية بمعنى قرائنها وكل قرين زوج اى
ربط ما بينها وبين نفوسها بقبول كل جرم سماوى لنفسه لا يقبلها غيره **وقوله** وذلل للهابطين بامره الى
قوله انفراجها قد سبقت الاشارة الى ان الملائكة ليست اجساما كسائر الحيوان فاذن ليس هبوطها و
صعودها الهبوط والصعود المحسوسين والا لكان البارى جل قدسه عن وهام المتوهمين في جهة
اليه يصعد وعنه ينزل فاذن هو استعارة لفظ النزول عن الجهة المحسوسة الى اسفل للنزول المعقول
من سماء الجود الالهى الى اراضى المواد القابلة للافاضات العالية وبذلك المعنى يكون هبوط الملائكة
عبارة عن ايصالها الى كل ما دونها كمالا لمتوسطة بينه وبين مبدعه وموجده وهم المرسلون من الملائكة
بالوحى وغيره وكذلك الصاعدون باعمال الخلق هم الملائكة ايضا واما معنى الصعود بها فيعود الى كونها
منقوشة في ذوات الصاعدين بها وقد لاح فيما سبق ان علمه تعالى بمعلولاته البعيدة كالزمانيات والمعدومات
التى من شانها ان توجد في وقت ويتعلق بزمان يكون بارتسام صورها المعقولة في تلك الالواح وهو
ايضا مستعار كلفظ الهبوط للمعنى الذى ذكرناه من اراضى النفوس الى الالواح المحفوظة فاما انفراجها
الذى ذلل حزونته لهم وسهل عليهم سلوكه فيعود الى عدم حجبها ومنعها النفوذ علوم الملائكة باعمال الخلائق
وما يجرى في هذا العالم وكما ان الاجسام المتصدع لا يمنع نفوذ جسم اخر فيه من حيث هو متصدع والوصول
الى ما وراءه كذلك السماء لا يحجب علوم الملائكة ان تتعلق بما في هذا العالم من الموجودات لجريه مجرى
المنفرج من الاجسام فاطلق عليه لفظ الانفراج وتذليله لحزونة ذلك الانفراج لهم هو كونها غير مانعة
بحجمها الجرمانى علوم الملائكة المقربين في هذا العالم **وقوله** وناداها بعد اذ هى دخان فالتحمت عرى
اشراجها وفتق بعد الارتتاق صوامت ابوابها فيه لطيفتان الاولى انك قد علمت فيما سبق معنى كون
السماء من دخان فاما نداؤه لها فاشارة الى امره لها بالاتيان والكون في قوله ثم قال لها وللارض
ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين واما التحامها فاعتبار تركيبها بانضمام جزويها الصورى الى
جزئها القابل كما يلتحم طرفا العيبة بتشريج عراها وفتق صوامت ابوابها بعد ذلك الارتتاق هو
جعلها اسبابا لنزول رحمته ومدبرات تنزل بواسطة حركاتها على هذا العالم انواع رحمة الله فكانت
حركاتها تشبه الابواب اذ هى ابواب رحمته ومفاتيح جوده الثانية ان العرب تقول لكل ما علاك فهو سماء
فعلى هذا يحتمل ان يكون المراد بالسماء ما هو اعم من السماء المعهودة ويكون قوله وناداها اشارة الى سماء
السحاب وكونها دخانا هو كونها بخارا قبل الانعقاد يشبه الدخان فاستعير له لفظه والتحام عرى اشراجها
اشارة الى التحام تلك الاجزاء البخارية وانعقادها سحابا وافتتاق صوامت ابوابها هو انزال المطر منها

كما قال تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر **وقوله** واقام رصدا من الشهب الثواقب على نقابها فيه معنيان
احدهما ان يكون استعار لفظ النقاب لكونها بحيث لا تمنع تعلق العلوم بما وراءها من الاجسام والجزئيات
وقد سبق معنى الشهب واقامتها رصدا الثانى ان يكون استعار لفظ الرصد لهذه الشهب المحسوسة ورشح
بذكر النقاب اذ شان الرصد والحرسة حفظ الفرج والابواب ويكون سر ذلك ووجه الحكمة فيه ان
العرب كانت تعتقد ان الشياطين تصعد الى السماء فتسترق الغيب من الملائكة وتلقيه الى الكهنة والسحرة
ونحوهم فلما ان دور الشرع والنهى عن التكهن ونحوه لما فيه من فساد اذهان الخلق وصرف قلوبهم
عن غرض الشريعة القى الوحى اليهم ان هذه الشهب التى تنقض انما جعلت رجوما للشياطين مسترقى السمع
فكل من استمع منهم رمى بشهاب منها وان السموات حجبت عنهم فلا يصلون اليها لينغرس في اذهان الخلق
انقطاع مادة الكهانة ونحوها فتنسوا اعتقادهم فيهم ويكون ذلك كسرا لاوهامهم التى بنيت انما ثبات
النفوس وقمعها لها وبالله التوفيق **وقوله** وامسكها ان تمور في خرق الهوى بايده وامرها ان تقف مستسلمة
لامره اى حفظها بقوته عن ان تحركها الريح المخترقة فيها مجيئا وذهابا وحكمت الحكمة الالهية عليها بالاستسلام
انقيادا للقهر والامر الاول اشارة الى حكم القضاء والامر الثانى في اشارة الى اعتبار القدرة **وقوله**
وجعل شمسها اية مبصرة لنهارها وقمرها اية ممحوة من ليلها كقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار ايتين الاية
وكونهما ايتين اى علامتين لدلالتهما على كمال قدرته ونقل عن ائمة التفسير في ابصار اية النهار ومحو اية الليل وجوه
احدها ان ابصار اية النهار هو بقاء الشمس بحالها وتمام ضيائها في كل حال ومحو اية الليل هو اختلاف
احوال القمر في اشراقه ومحاقه بحيث لا يبقى ليلتين على حالة واحدة بل كل ليلة في منزل بزيادة او نقصان
الثانى ما نقل ان ابن الكوا سال عليا عليه السلام عن اللطخة التى في وجه القمر فقال ذلك محو اية الليل **الثالث**
عن ابن كثير ان الايتين هما ظلمة الليل وضياء النهار والتقدير وجعلنا الليل والنهار ذوى ايتين وقوله
فمحونا اية الليل اى لم نجعل للقمر نورا من ذاته بل من الشمس وابصار اية النهار كون الشمس مضيئة بذاتها
ومن هنا لابتداء الغاية ولبيان الجنس يتعلق بممحوة او بجعل وقيل اراد من ايات ليلها **وقوله** فاجراها
في مناقل مجراهما وقدر مسيرهما في مدارج درجهما مناقل مجراهما ومدارج درجهما التى قدر سيرهما
فيها هى بروجهما ومنازلهما ولنشر الى مفهومات الدرج والبروج والمنازل وهو ان الناس قسموا دور
الفلك الذى تسير فيه الكواكب باثنى عشر قسما وسموا كل قسم برجا وقسموا كل برج ثلثين قسما وسموا
كل قسم درجة وسموا تلك البروج اسماء الحمل الثور الجوزاء السرطان الاسد السنبلة الميزان العقرب
القوس الجدى الدلو الحوت والشمس تسير كل برج منها في شهر واحد والقمر يسير كل برج منها في ازيد
من يومين وانقص من ثلثة ايام واما منازل القمر فثمانية وعشرون واسماؤها الشرطين البطين الثريا
الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانا الاكليل

القلب الشولة النعايم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية الفرع المقدم الفرغ
المؤخر الرشا والقمر يكون في كل يوم في منزل منها وكل في فلك يسبحون وذلك تقدير العزيز العليم **وقوله**
ليميز بين الليل والنهار الى قوله بمقاديرها اى بمقادير سيرهما وقد سبق بيانه في الخطبة الاولى **قوله** ثم علق
في جوها فلكها اما اشارة ولا الى تركيبها اشارة الى افرادها في احيازها وهو المشار اليه بتعليق فلكها في
جوها فان قلت فقد قال اولا بلا تعليق ثم قال هنا وعلق فما وجه الجمع قلت التعليق مرادا في يصدق
سلبه واثباته باعتبارين فالمراد بالاول انها غير معلقة بجسم آخر فوقها وبالثاني انه علقها في جوها بقدرته
ولا منافاة واراد بالفلك اسم الجنس وهو اجسامها الشديرة التي يصدق عليها هذا الاسم **قوله** وناطبها
زينتها من خفيات دراريها ومصابيح كواكبها كقوله تعـ وزينا السماء الدنيا بمصابيح ورمى مسترق السمع
بثواقب شهبها كقوله تعـ فاتبعه شهاب ثاقب وقد تقدم بيانه وانما اعاد ذكر الشهب لانه ذكرها ولا انه
اثامها رصدا وذكرها انجعلها رصدا الذى لمن يسترق السمع بها **وقوله** واجراها على اذلال تسخيرها كقوله
تعـ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره والذلة ذلة الامكان والحاجة الى الايجاد والتدبير واما الثابت
والسائر منها فالسائر هي الكواكب السبعة زحل والمشترى والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر وتسمى
الشمس والقمر النيرين والخمسة الباقية بالمتحيرة لان لكل واحد منها استقامة ثم وقوفا ثم رجوعا ثم وقوفا
ثانيا ثم عود الى الاستقامة وليس للنيرين غير الاقامة وباقى الكواكب التى على السماء غير هذه السبعة
يسمى بالثوابت وفلكها الثامن وكل واحد من السبعة يتحرك حركة مخصوصة غير الفحركة الاخرى فاما
صعودها وهبوطها فصعودها طلبها الشرفها وشرف الشمس في الدرجة التاسعة عشر من الحمل وشرف
القمر في الدرجة الثالثة من الثور وشرف زحل في الحادية والعشرين من الميزان وشرف المشترى في الخامسة
عشر من السرطان وشرف المريخ في الثامنة والعشرين من الجدى وشرف الزهرة في السابعة والعشرين من
الحوت وشرف عطارد في الخامسة عشر من السنبلة وشرف الراس في الثالثة من الجوزا وشرف الذنب في
الثالثة من القوس وبرج الشرف كله شرفا لا ان تلك الدرجات قوية فما دام الكوكب متوجها الى
قوة الشرف فهو في الازدياد والصعود فاذا جاوزها صار في الانتقاص والهبوط وهبوط كل كوكب يقابل
شرفه وصعوده واما نحوسها وسعودها فعلوا زحل والمريخ نحسان اكبرها زحل والمشترى والزهرة سعدان
اكبرهما المشترى وعطارد سعد مع السعود ونحس مع النحوس والنيران سعدان من التثليث والتسديس
نحسان من المقابلة والتربيع والمقارنة والراس سعد والذنب والكيد نحسان ومعنى سعودها ونحوسها
كون اتصالها اسبابا لصلاح شىء من احوال هذا العالم وفساده وبالله التوفيق **منها في صفة الملئكة**
خلق الاسكان سمواته وعمارة الصفيح الاعلى من ملكوته خلقا بديعا من ملئكته فملأ بهم فروج فجاجها
وحشا بهم فتوق اجوائها وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم في حظاير القدس وسترات الحجب

وسرادقات المجد ووراء ذلك الرجيج الذى تستك منه الاسماع سبحات نور تردع الابصار عن بلوغها
فيقف خاسئة على حدودها انشاهم على صور مختلفات واقدار متفاوتات اولى اجنحة تسبح جلال عزته
لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعه ولا يدعون انهم يخلقون شيا معه مما انفرد به بل عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون جعلهم فيما هنالك اهل الامانة على وحيه وحملهم الى المرسلين ودايع امره ونهيه
وعصمهم من ريب الشبهات فما منهم زايغ عن سبيل مرضاته وامدهم بفوايد المعونة واشعر قلوبهم تواضع اخبات
السكينة وفتح لهم ابوابا ذللا الى تماجيده ونصب لهم منارا واضحة على اعلام توحيده لم تثقلهم موصرات
الآثام ولم يرتحلهم عقب الليالى والايام ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة ايمانهم ولم تعترك الظنون
على معاقد يقينهم ولا قدحت قادحة الاحن فيما بينهم ولا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته بضمايرهم وسكن
من عظمته وهيبة جلالته في اثناء صدورهم ولم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها على فكرهم منهم من هو
في خلق الغمام الدلح وفى عظم الجبال الشمخ وفى قترة الظلام الايهم ومنهم من قد خرقت اقدامهم تخوم الارض
السفلى فهى كرايات بيض قد نفذت في مخارق الهواء وتحتها ريح هفافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود
المتناهية قد استفرغتهم اشغال عبادته ووصلت حقايق الايمان بينهم وبين معرفته وقطعهم الايقان
به الى الوله اليه ولم تجاوز رغباتهم ما عنده الى ما عند غيره قد ذاقوا حلاوة معرفته وشربوا بالكاس الروية
من محبته وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيجة خيفته فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم ولم ينفد طول الرغبة
اليه مادة تضرعهم ولا اطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم ولم يتولهم الاعجاب فيستكثروا ما سلف
منهم ولا تركت لهم استكانة الاجلال نصيبا في تعظيم حسناتهم ولم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم ولم
تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربهم ولم تجف لطول المناجاة اسلات السنتهم ولا ملكتهم الاشغال
فتنقطع بهمس الجؤار اليه اصواتهم ولم تختلف في مقادم الطاعة مناكبهم ولم يثنوا الى راحة التقصير في امره رقابهم
ولا تعدو على عزيمة جدهم بلادة الغفلات ولا تنتضل في هممهم خدايع الشهوات قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة
ليوم فاقتهم ويمموه عند انقطاع الخلق الى المخلوقين برغبتهم لا يقطعون امد غاية عبادته ولا يرجع بهم
الاستهتار بلزوم طاعته الا الى مواد من قلوبهم غير منقطعة من رجائه ومخافته لم تنقطع اسباب الشفقة
منهم فينوا في جدهم ولم تاسرهم الاطماع فيؤثروا وشيك السعى على اجتهادهم ولم يستعظموا ما مضى من اعمالهم
ولو استعظموا ذلك لنسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم ولم يفرقهم
سوء التقاطع ولا تولاهم غل التحاسد ولا شعبتهم مصارف الريب ولا اقتسمتهم اخياف الهمم فهم اسراء ايمان
لم يفكهم من ربقته زيغ ولا عدول ولا ونى ولا فتور وليس في اطباق السموات موضع اهاب الا وعليه
ملك ساجد او ساع حافد يزدادون على طول الطاعة بربهم علما وتزداد عزة ربهم في قلوبهم عظما **اقول**
الصفيح السطح والفجاج الطرق الواسع والجو المكان المتسع العالى والفجوة الفرجة والزجل الاصوات والرفع

الستر الذى يمد فوق البيت والرجيج الزلزلة والاضطراب وتستك الاسماع تصم وخاسئة متحيرة والاخبات
التذلل والاستكانة وذللا اسهلة والموصرات المثقلات والعقب جمع عقبة وهى المرة من التعاقب و
النوازع بالغين المعجمة الخواطر المفسدة وبالمهملة الفتنة والاحن جمع احنة وهى الحقد ولاق التصق و
اثناء جمع ثنى وهى تضاعيف الشىء والرين الغلبة والتغطية والقلح جمع الحتم وهى الثقال والشمخ العالية
وقترة الظلام سواده والايهم الذى لا يهتدى فيه والتخوم جمع تخم بفتح التاء وهو منتهى الارض وحدودها
والريح الهفافة الساكنة الطيبة والوشيجة عروق الشجرة والربق جمع ربقة وهى الحلقة من الحبل والدؤوب
الجد فى العمل والاسلة طرف اللسان والجؤار رفع الصوت بالدعاء ونحوه والهمس الخفى من الصوت ولا
الرتمى بالسهام واستهتر بالامر اعجبه وتظاهر به ووشيك السعى قريبه والنسخ الازالة والاستحواذ على الشى
الاحاطة به والغلبة عليه واخياف الهمم مختلفاتها واحدها اخيف والحافد السريع واعلم ان هذا الفصل اشتمل
على وصف الملئكة الذين هم اشرف الموجودات الممكنة بكمال العبودية لما ذكان فى معرض تمجيده ووصف
عظمته وقد سبق ذكر انواع الملئكة واسكانهم اطباق السموات وبينا مقاصده بقدر الامكان ولنشر هاهنا
الى ما يختص بهذا الموضع من المباحث **الاول** ثم خلق سبحانه الى قوله من ملئكته يحتمل ان يشير بالصفيح الاعلى
الى الفلك التاسع وهو العرش لكونه اعظم الاجرام واعلاها وسكانه الملائكة المدبرون له وبعمرانه
يريد به محل عبادة الملائكة من حضرة جلال رب العالمين وعالم الملكوت ومقعدهم الصدوق من معرفته
فان خلقهم انما كان لعمارة ذلك المحل وهو البيت المعمور بجلال الله وعبادتهم له ولما كانوا من اشرف الموجودات
كانوا هم الخلق البديع التام العجيب **الثانى** فملأ بهم فروج فجاجها وحشى بهم فتوق اجوائها استعار لفظ الفروج
والفجاج والفتوق لما يتصور بين اجزاء الفلك من التباين لولا الملئكة الذين هم ارواح الافلاك وبها
قام وجودها وبقاء اجرامها محفوظة بها ووجه المشابهة ظاهر ورشح تلك الاستعارة بذكر الملأ والحشو
اما فجاجها وفروجها فاشارة الى ما يعقل بين اجزائها واجوائها المنتظمة من التباين لولا الناظم لها
بوجود الملئكة فيكون حشو تلك الفرج بالملئكة كناية عن نظامها بوجودها وحفظها مدبرة لها **الثالث**
وبين فجوات تلك الفرج الى قوله المجد استعار لفظ الزجل لكمال عبادتهم لربهم كما ان عبادة الرجل فى
رفع صوته بالتضرع والتسبيح والتهليل وكذلك استعار لفظ الحظاير لمنازل الملائكة من عالم الغيب و
مقامات عباداتهم ووجه كونها حظاير القدس لطهارتها وبراءتها عن نجاسات الجهل والنفس الامارة
بالسوء وكذلك استعار لفظ سترات الحجب والسرادقات لما انهما عليه من حجب النور التى حجبت بها عن الاذهان
او لتجردهم عن المواد والاوضاع المحسوسة ووجه المشابهة كونهم محجوبين بذلك عن رؤية الابصار والاوهام
وظاهر كون تلك الحجب سرادقات المجد لكمال ذواتهم وشرفهم بها على من دون تلك الحجب **الرابع** ووراء
ذلك الرجيج الذى تستك الى قوله حدودها استعار لفظ الرجيج لعبادات الملئكة كما استعار لفظ الزجل

ورشح استعارة الرجيج بقوله تستك منه الاسماع وكنى به عن كمال عباداتهم ويحتمل ان يشير بذلك الزجل
والرجيج الى ما تسمعه الانبياء من اصوات الملئكة كما علمت كيفيته فى سماع الوحى وبيناه فى المقدمة واشار
بسبحات النور التى وراء ذلك الرجيج الى جلال وجه الله وعظمته وتنزيهه ان تصل اليه ابصار البصاير
ونبه بكون ذلك وراء رجيجهم الى ان معارفهم لا يتعلق به كما هو بل وراء علومهم وعباداتهم اطوار اخرى
من جلاله تنقص معارفهم عنها وبردع ابصار البصاير عن ادراكها فترجع حسيرة متحيرة واقفة عند حدودها
وغاياتها من الادراك **الخامس** انشاهم على صور مختلفات الى قوله عزته اختلاف صورهم كناية عن اختلافهم
بالحقايق وتفاوت اقدارهم تفاوت مراتبهم فى الكمال والقرب منه ولفظ الاجنحة مستعار لقواهم
التى حصلوا على المعارف الالهية وتفاوتها بالزيادة والنقصان كما قال تعـ اولى اجنحة مثنى وثلاث
ورباع كناية عن تفاوت ادراكهم لجلال الله وعلومهم بما ينبغى له ولذلك جعل الاجنحة هى التى تسبح جلال
عزته فان علمهم بجلاله منزه له عما لا ينبغى لكرم وجهه ولا يناسب جلال عزته **السادس** ولا ينتحلون الى قوله يعملون
اى لا ينسبون بعض مصنوعاته الى قدرهم وان كانوا وسايط فيها ولا يدعون انهم يقدرون على شىء منها
الا باقداره لهم بل غايتهم انهم وسايط فى افاضة الجود على مستحقه وما لم يجعلهم وسايط فيه بل انفرد
بفاته فى ابداعه فلا يدعون القدرة عليه اصلا وذلك لكمال معارفهم باقدارهم ونسبتهم الى باريهم وقد
اكرمهم الله تعـ بالتقديس عن النفوس الامارة بالسوء التى هى مبدأ مخالفة امره والخروج عن طاعته **السابع**
جعلهم فيما هنالك الى قوله ونهيه اى فى مقاماتهم من حضرة قدسه وقد سبقت الاشارة الى كل ذلك فى
الخطبة الاولى **الثامن** وعصمهم الى قوله مرضاته منشا الشكوك والشبهات والزيغ عن سبيل الله هو
معارضة النفس الامارة للعقل وجذبها له الى طرق الباطل والملئكة مبرؤون عنها فكانوا معصومين
ممنوعين مما يعقود اليه ويامر به من الزيغ والاعراض عن قصد الله وامدادهم بفوايد المعونة زيادتهم فى
كمالاتهم على غيرهم ودوام ذلك بدوام وجوده **التاسع** واشعر قلوبهم تواضع اخبات السكينة استعار
لفظ التواضع والاستكانة لحالهم من الاعتراف بذل الحاجة والامكان الى وجوده والانقهار تحت عظمته
اى جعل ذلك الاعتراف شعارا لازما لذواتهم او من الشعور وهو الادراك **العاشر** وفتح لهم ابوابا
ذللا الى تماجيده الابواب الذلل وجوه معارفهم الالهية التى بها يحققون حق تمجيده وهى ابوابهم ووسائلهم
التى تنزيهه وتعظيمه وظاهر كونها سهلة اذ حصولها ليس اكتسابا من طرق نوعرت بتراكم الشكوك و
الشبهات ومنازعات الاوهام والخيالات كما عليه علومنا **ب** ونصب لهم منارا واضحة على اعلام توحيده
قيل استعار المنار الواضحة للوسايط من الملائكة المقربين بينهم وبين الحق سبحانه اذا جادهم من الملئكة
السماوية ولفظ الاعلام لصور المعقولات فى ذواتهم المستلزمة لتوحيده وتنزيهه عن الكثرة ووجه الشبه
ان المنارة الاعلام كما تكون وسايط فى حصول العلم بالمطلوب كذلك الملئكة المقربون والمعارف الحا

بواسطتهم تكون وسايط فى الوصول الى المطلوب لاول محرك الكل عز سلطانه الثانى عشر لم يثقلهم موبقات
الاثام لما لم تكن النفوس الامارة بالسوء موجودة لهم استلزم عدمها نفى اثارها عنهم من الاثام والثرود
الرابع عشر ولم ترتحلهم عقب الليالى والايام اى لم يستلزم تعاقب الزمان رحيلهم عن الوجود وذلك لتجردهم
وبراءة المجردات عن لحوق الزمان والتغيرات الحادثة بسببه الخامس عشر ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة
ايمانهم ولم يعترك الظنون على معاقد يقينهم عزيمة ايمانهم ما لزموه وانهم من التصديق بمبدعهم وما
ينبغى له ومعاقد يقينهم اعتقاداتهم اليقينية واعتراك الشكوك والظنون منشاؤه الاوهام و
الخيالات وعلوم الملائكة المجردين مبراة عنها ولفظ الرمى مستعار لانبعاث النفوس الامارة بالسوء
والقائها الخواطر الفاسدة الى النفس المطمئنة ومن روى النوازع بالعين المهملة فهو ترشيح للاستعارة
وكذلك استعار لفظ الاعتراك لاختلاط الظنون والاوهام على القلوب وجولانها فى النفوس
ووجه المشابهة ظاهر السادس عشر ولا قدحت قادحة الاحن فيما بينهم اى لم تثر بينهم الاحقاد شيا من الثرود
كاثير النار قادحها لبراءتهم عن قوى الغضب والشهوة السابع عشر ولا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته
بضمايرهم الى قوله صدورهم لما كانت الحيرة تردد العقل فى اى الامرين اولى بالطلب والاختيار وكان
منشأ ذلك هو معارضات الوهم والخيال للعقل حيث لا وهم ولا خيال فلا حيرة عما لطمعا رفهم ويزيل
هيبة عظمته من صدورهم والهيبة كناية عن استشعار عظمته ولفظ الصدور مستعار لذواتهم
ولم يطمع فيهم الوساوس فيقترع بريبها على فكرهم وقد مر تفسير الوسوسة وفاعل الطمع ههنا اما
مضمر على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اى اهل الوساوس وهم الشياطين او يكون
الفاعل هو الوساوس واسناد الطمع اليه مجازا كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وريبها غلبة
الشكوك اللازمة عنها على وجوه عقولهم وابصار ذواتهم التى بها ينظرون الى وجدتهم واشتغالها
عنهم لاستقامة اسبابها وهى النفوس الامارة الثامن عشر منهم من هو فى خلق الغمام الى قوله الايهم هذا
التقسيم يعود الى جنس الملائكة فاما الاوصاف السابقة فكانت خاصة بسكان السموات منهم
وقد وردت الشريعة بان فى الغمام ملائكة تسبح الله وتقدسه وكذلك فى الجبال والاماكن المظلمة
وهم من الملائكة الارضية وقد علمت ما قيل فيها فى الخطبة الاولى التاسع عشر ومنهم من خرقت اقدامهم
تخوم الارض السفلى الى قوله الشاهقة يشبه ان يكون هذا القسم من الملائكة السماوية ايضا واستعار
لفظ الاقدام لعلومهم المحيطة باقطار الارض السفلى ونهاياتها ووجه المشابهة كون العلوم
للعالم وسارية فيه وواصلة الى نهايته كما ان الاقدام تقطع الطريق وتصل الى الغاية منها وشبهها
بالرايات البيض النافذة فى مخارق الهواء من وجهين احدهما فى البياض فان للبياض لما استلزم
الصفاء عن الكدر والسواد كذلك علومهم صافية من كدورات الباطل وظلمات الشبه الثانى فى

نفوذها

نفوذها فى اجزاء المعلوم كما تنفذ الرايات فى الهواء واشار بالريح التى تحبس الاقدام على حيث انتهت
من الحدود الى حكمة الله ثم التى اعطت كلا ما يستحقه وقصرت كل موجود على حده وبعضوفها الى
لطف تصرفها وجريانها فى المصنوعات العشرون فذا استغرقتهم اشتغال عبادته الى قوله وشيجة خيفته
اى لم يجعل لهم فراغا لغيرها وقد علمت ان تحريك الملائكة السماوية لاجرام الافلاك الجارية لها
مجرى الابدان بحركة ارادية شوقية للتشبه بالملائكة المتوسطة بينها وبين الحق سبحانه فى كمال عبادتهم
له وتلك الحركات القايمة الواجبة مستغرقة لهم عن الاشتغال لغيرها كما قال يسبحون الليل والنهار
لا يفترون وحقايق الايمان تصديقهم الحق بوجوده عن شاهد وجودهم وظاهر كونه سببا لارادة
معرفته التامة والدوام عليها وابرازما فى قوتهم من الكمال بها الى الفعل فان التصديق بوجودا
الواجب تحصيله اقوى الاسباب الباعثة على طلبه فصار الايمان والتصديق الحق اليقين بوجوده
وسيلة جامعة بينهم وبين معرفته والاستكمال بها وقاطعا لهم الى الوله اليه والعشق لربوبيات
الرغبات على ما عنده دون غيره ولما استعار لفظ الذوق لتعقلاتهم ولفظ الشرب لما تمكن فى
ذواتهم من عشقه وكمال محبته رشح الاستعارة الاولى بذكر الحلاوة وكنى بها عن كمال ما يجدونه
من اللذة بمعرفته كما يتلذذ ذايق الحلاوة بها والثانية بذكر الكاس الروية اذ من كمال الشرب ان
يكون بكاس روية اى من شانها ان تروى وكنى بها عن كمال معارفهم بالنسبة الى غيرهم وكذلك
رشح استعارة لفظ القلوب بذكر سويدائها اذ كان من كمال تمكن العوارض العقلية كالمحبة والخوف
ان يبلغ سويداءه واشار بوشيجة خيفته الى العلاقة المتمكنة من ذواتهم لخيفته وهى كمال علمهم بعظمته
ولفظ الخيفة مستعار كما سبق لانفعالهم فى ذل الامكان عند اعتبار عزته وقهره الحادى والعشرون فحنوا بطول
الطاعة اعتدال ظهورهم تجوز باعتدال الظهور فى كمال خضوعهم فى عباداتهم وهو اطلاق لاسم
السبب على المسبب الثانى والعشرون ولم ينفد طول الرغبة اليه مادة تضرعهم لما كان من شان احدنا اذا
قام الى بعض الملوك وفزع اليه فيه بالتضرع والخدمة ان ينقطع تضرعه بانقطاع مادته ومادته
اما دواعى نفسه الى الطلب وميولها وانقطاعها باستيلاء الملال على نفسه وضعفها عن تحمل المشقة
او مطلوبه وتصوره لامكان تناوله وانقطاعها اما باياسه منه او باعطائه اياه وكانت مادة تضرعهم
وعباداتهم له ثم على التقديرين بريئة عن القواطع اما من ذواتهم فلان الكلال والملال من عوارض الحركات
العنصرية واما مطلوبهم فلانه كمال معرفة الله بعد تصورهم لعظمة الله لعظمة ذلك المطلوب وعلمت
ان درجات الوصول اليه غير متناهية لاجرم سلب عنهم فى معرض مدحهم انقطاع مادة تضرعهم لسلب
ذلك سلب انقطاع تضرعهم وعبادتهم له الثالث والعشرون ولا اطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم لما
كان من قرب من السلطان مثلا من شانه ان تقوى نفسه وتخف هيبته منه وكان ذلك الشان هو حال

ملوك الدنيا وكونه مكتسبا لهم وتصورا للمتقرب اليهم مثلية لهم وامكان وصولهم الى ما وصلوا اليه
وكان سلطان الله لا يتناهى عظمة وعزة وعرفانا لم يتصور من العارف المتقرب اليه ان تخف هيبته
او ينقص خشوعه وعبادته بل كلما ازداد معرفة به ازدادت عظمته فى نفسه اذ كان يقدر فى سلوكه عظمة
الله بقدر عرفانه به فكلما عبر منزلا من منازل المعرفة علم عظمة خالقه فكمل عقد يقينه بذلك وعلم نقصان
ذاته فكمل خشوعه وصدق خضوعه واستعار لفظ الربق لما حصلوا فيه من الخشوع الرابع والعشرون ولم يتولهم
الاعجاب الى قوله حسناتهم اى لم يستول عليهم والاعجاب هو استعظام الانسان نفسه عما يتصوره فى
فضيلة له ومنشأ ذلك الحكم هو النفس الامارة فيتوهم الانسان ان تلك الفضيلة حصلت له عن استحقاق
وجب له بسببه وكونه مع قطع النظر عن واهب النعم ومفيضها والملائكة السماوية مبرؤن عن الاوهام
واحكامها عارفة فى لولها اليه ودوام مطالعة الايه والاستكانة تحت جلال عزته فلا يستكثرون ما سلف
منهم من عبادته ولا يستعظمون ما صدر عنهم من خير الخامس والعشرون ولم تجر الفترات فيهم على طول دوؤبهم فقد ثبت
ان الملائكة السماوية دايمة التحريك لاجرامها حركة لا يتخللها سكون ولا يكلها ولا يفترها اعياء وقد ثبت
وليان ذلك بالبرهان اصول ممهدة فى مواضعها واما بالقرآن فلقوله تعالى يسبحون الليل والنهار
لا يفترون وقد سبق السادس والعشرون ولم تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربهم المخالفة عن الشئ العدول عنه
وقد سبق ان رغبات الملائكة السماوية واشواقها الى كمالاتها دايمة ثابتة فكانت لذلك دايمة
الرجاء لها من واهبها ولفظ الغيض مستعار كما سبق السابع والعشرون ولم تجف لطول المناجاة اسلات السنتهم
لطول مناجاتهم يعود الى توجيه وجوههم وانما استعار لفظ الاسلة ورشح بذكر الاسلات ملاحظة
للتشبيه باحدنا فى مناجاته وكنى بعدم جفاف السنتهم من عدم فتورهم وعدم لحوق الاعياء والكلال
لهم وظاهر انه لا السنة لحقيقة لهم فلا جفاف الثامن والعشرون ولا ملكتهم الى قوله اصواتهم اى لم تضعفهم العبادة
فتنقطع اصواتهم وتضعف فيخفى بالتضرع اليه وهو تنزيه لهم عن الاحوال البشرية والعوارض البدنية
من الضعف والاعياء وكلال الاعضاء عند كثرة الاشغال وقوتها وقد مر ان الملائكة السماوية
لا يجوز عليها شئ من تلك العوارض واستعار لفظ الاصوات كما استعار لفظ الالسنة التاسع والعشرون ولم
تختلف فى مقادم الطاعة مناكبهم الى قوله رقابهم استعار لفظ المقادم من ريش الطاير وهى عشرة فى كل جناح
لما سبق وجه من طاعة الله وكان انهم عبادة كمعرفته والتوجه اليه ولفظ المناكب وهى اربع ريشات
بعد المقادم فى كل جناح لذواتهم ووجه المشابهة ان المناكب تالية المقادم وعلى نظامها وترتيبها لا
تخالف صفها ونسقها كذلك الملائكة لا تختلف ذواتهم واجرامها فى نسق تمامهم من عبادة ربهم وتعظيمه
بل صافون لا يخالف بعضهم بعضا فى استقامة طريقهم اليه ولا يخرجون عن نظام ترتيبه لهم فى التوجه
اليه كما اشار اليه فى الخطبة الاولى وصافون لا يتزايلون وكذلك استعار لفظ الثنى اى لم يلتفتوا

الى الراحة

الى الراحة من تعب العبادة فيقصروا فى اوامره والمقصود نفى الاحوال البشرية عنهم من التعب والراحة
لكونها من توابع هذه الابدان الثلاثون لا تعدو الى قوله الشهوات قد عرفت معنى الغفلة فيما سبق و
البلادة هى طرف التفريط من فضيلة الذكاء وكلاهما من عوارض هذا البدن وبواسطته وكذلك
الشهوات والملائكة السماوية برية عنها فلم تغز ان يطرا على قصودهم لما توجهوا له غفلة ولا بلادة
حتى يكون ذلك سببا لاعراضهم عن التوجه فيه ولم تغز ان ترمى الشهوات هممهم بسهام خدايعها ولفظ
الانتضال مستعار لتوارد جواذب الشهوة على النفس الناطقة مع كونها موذية لها ومردية فى قرار
الجحيم الحادى والثلاثون قد اتخذوا الى قوله برغبتهم اشار بيوم فاقتهم الى حال حاجتهم فى الاستكمال الى جوده ولما كان
ذلك دايما فهو ذخرهم الذى اليه يرجعون وكذلك الاشارة بقوله عند انقطاع الخلق الى المخلوقين
الى حال الحاجة ايضا فانه انما يكون ذخيرة لهم لرجوعهم اليه فيما يحتاجون وانما يحقق قصدهم له زمان
حال الحاجة اليه الثانى والثلاثون لا يقطعون الى قوله ومخافته لما كانت غاية عبادته هو الوصول الى كمال
معرفته وكانت درجات المعارف الالهية غير متناهية لم يكن قطعهم لتلك الغاية ممكنا ولما كان
غرقهم فى محبته عالمين بكمال عظمته وان ما يرجونه من تمام جوده اشرف المطالب وابرح المكاسب وما
يخشى من انقطاع جوده ونزول حرمانه اعظم المهالك والمعاطب لاجرم دام رجاؤهم له وخضوعهم
فى دفع الحاجة اليه والفزع من حرمانه وكان ذلك الرجاء والخوف هو مادة استهتارهم بلزوم طاعته
التى يرجعون اليها من قلوبهم فلم ينقطع استهتارهم بلزومها الثالث والثلاثون لم تنقطع اسباب الشفقة منهم فينوا
جدهم الشفقة الاسم من الاشفاق اى لم تنقطع اسباب خوفهم له واسباب حاجتهم الى القيام فى الوجود
الى الاستكمال بجوده فان الحاجة الضرورية الى الغنى مطلوب يستلزم الخوف منه فى عدم قضائه
ويوجب الاقبال على الاستعداد لجوده بلزوم طاعته وحاجتهم اليه دايمة فجدهم فى عبادته دايم والتوانى
فيه مفقود الرابع والثلاثون ولم ياسرهم الى قوله اجتهادهم سلب لبعض اوصاف البشر عنهم فان كثيرا من الناس
قد يصرفهم عن الاجتهاد فى طاعة الله سبب ما يظهر لهم من كمالات الدنيا وربما يؤثرون ما قرب
من السعى فى تحصيله على ما يتبعد ويستر من تحصيل السعادة الاخروية الباقية وقد عرفت ان ذلك
من جواذب الشهوات والغفلة عن ماورآء هذه الدار والملائكة مبرؤن عن الشهوات وما يلزمها
من اسر الاطماع الكاذبة لهم ولفظ الاسر استعارة لقود الاطماع الى ما يطمع فيه الخامس والثلاثون ولم يستعظموا
ما مضى من اعمالهم الى قوله وجلهم معنى هذه الشرطية انهم لو استعظموا ذلك لكان رجاؤهم لثواب
عبادتهم عظيما فكان لقوته ماحيا لاشفاقهم وخوفهم منه وهذا كما ان الانسان اذا عمل لبعض
الملوك عملا يستعظمه فانه يرى فى نفسه استحقاق اتم جزاء له ويجد التطاول بره لذلك عليه
فيهون ذلك ما يجده من خوفه وكلما ازداد استعظاما لخدمته ازداد اعتقاده فى قربه من الملك قوة

ويقدار ذلك ينقص خوفهم ويقل هيبته لكن الملائكة خايفون ابدا كما قال تعم يخافون ربهم من فوقهم
والملائكة من خيفته فينتج انهم لا يستعظمون سالف عبادتهم السادس قوله ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ
الشيطان عليهم اي في اثباته واستحقاقه كمال العبادة وذلك لعدم سلطانه عليهم وهو سلب لبعض
احوال البشر وكذلك قوله ولم يفرقهم الى قوله اخياف الهمم تنزيه لهم عن امور من عوارض البشر احدها
سوء التقاطع وهو كتقاطع المتعادين وتباينهم الناشي عن الغضب والشهوة الثاني غل الحسد وقد علمت
ان الحسد رذيلة نفسانية تنبعث عن البخل والشره ومنبعهما النفس الامارة الثالث تشعب مصارف
الريب لهم والريب الشكوك والشبه ومصارفها هي الامور الباطلة التي تنصرف اذهانهم اليها عن الشبه
او تلك الشبهة والشكوك انفسها وتشعبها اقسامها بحيث يذهب كل واحد من شبهة الى باطل وقد علمت
ان منشأ الشكوك والشبهات هو الوهم والخيال ولما كانوا مبرئين عن النفوس الامارة وجب تنزيههم
عن هذه الامور الثلاثة الرابع لما كان معبودهم واحدا وهو غاية مطلوبهم كانت هممهم فيه واحدة فلم يلتفتوا
الى شي آخر ولم يفترقوا السابع قوله فهم اسراء الايمان الى قوله ولا فتور استعار لفظ الاسر ورشح بذكر الربقة
ونزههم عن ان يعدل بهم عن الايمان احد الامور الاربعة وقد سبق وجه تنزيههم عنها الثامن قوله وليس في اطباق
السموات الى قوله عظما المراد ان السموات مملوة بالملائكة فبين ساجد لوجه ربه وبين ساع مجد في امره
واعلم ان السماء ملائكة تباشرة لتحريكها وملائكة اعلى مرتبة من اولئك هم الآمرون لهم بالتحريك فيشبه
ان يكون الاشارة بالساجدين منهم الى الآمرين والسجود كناية عن كمال عبادتهم كناية بالساعين ويكون
الاشارة بالساعين المسرعين الى المتولين للتحريك فاما زيادتهم بطول الطاعة علما بربهم فلما ثبت ان كمالهم
انما هي بشوقية للتشبه بملائكة اعلى رتبة منهم في كمالهم بالمعارف الالهية وظهور ما في ذواتهم بالقوة الى
الفعل وزيادة معرفة ربهم عندهم عظما بحسب زيادتهم معرفتهم لما تابعتها كما بيناه عليه فصل وبالله التوفيق منها
في صفة الارض ودحوها على الماء كبس الارض على مور امواج مستفحلة ولجج بحار زاخرة تلتطم اواذي امواجها
وتصطفق متقاذفات اثباجها وترغو زبدا كالفحول عند هياجها فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها وسكن
هيج ارتمائه اذ وطئته بكلكلها وذل مستخذيا اذ تمعكت عليه بكواهلها فاصبح بعد اصطخاب امواجه ساجيا
مقهورا وفي حكمة الذل منقادا اسيرا وسكنت الارض مدحوة في لجة تياره وردت من نخوة بأوه واعتلائه
وشموخ انفه وسمو غلوائه وكعمته على كظة جريته فهمد بعد نزقاته ولبد بعد زيفان وثباته فلما سكن هيج
الماء من تحت اكنافها وحمل شواهق الجبال البذخ على اكتافها فجر ينابيع العيون من عرانين انوفها وفرقها
في سهوب بيدها واخاديدها وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها وذوات الشناخيب الشم من صياخيدها
فسكنت من الميدان برسوب الجبال في قطع اديمها وتغلغلها متسربة في جوبات خياشيمها وركوبها اعناق
سهول الارضين وجراثيمها وفسح بين الجو وبينها واعد الهواء متنسما لساكنها واخرج اليها اهلها على تمام

مرافقها ثم لم يدع جرز الارض التي تقصر مياه العيون عن روابيها ولا تجد جداول الانهار ذريعة الى
بلوغها حتى انشأ لها ناشئة سحاب تحيي مواتها وتستخرج نباتها الف غمامها بعد افتراق لمعه وتباين قزعه حتى
اذا تمخضت لجة المزن فيه والتمع برقه في كففه ولم ينم وميضه في كنهور ربابه ومتراكم سحابه ارسله سحا متداركا
قد اسف هيدبه تمريه الجنوب درر اهاضيبه ودفع شآبيبه فلما القت السحاب برك بوانيها وبعاع ما استقلت
به من العبء المحمول عليها اخرج من هوامد الارض النبات ومن زعر الجبال الاعشاب فهي تبهج بزينة رياضها
وتزدهي بما البسته من ريط ازاهيرها وحلية ما سمطت به من ناضر انوارها وجعل ذلك بلاغا للانام ورزقا
للانعام وخرق الفجاج في آفاقها واقام المنار للسالكين على جواد طرقها فلما مهد ارضه وانفذ امره اختار
آدم عليه السلام خيرة من خلقه وجعله اول جبلته واسكنه جنته وارغد فيها اكله واوعز اليه فيما نهاه
عنه واعلمه ان في الاقدام عليه التعرض لمعصيته والمخاطرة بمنزلته فاقدم على ما نهاه عنه موافاة لسابق
علمه فاهبطه بعد التوبة ليعمر ارضه بنسله وليقيم الحجة به على عباده ولم يخلهم بعد ان قبضه مما يؤكد
عليهم حجة ربوبيته ويصل بينهم وبين معرفته بل تعاهدهم بالحجج على السن الخيرة من انبيائه ومتحملي ودائع
رسالاته قرنا فقرنا حتى تمت بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حجته وبلغ المقطع عذره ونذره وقدر الارزاق
فكثرها وقللها وقسمها على الضيق والسعة فعدل فيها ليبتلي من اراد بميسورها ومعسورها وليختبر
بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها ثم قرن بسعتها عقابيل فاقتها وبسلامتها طوارق آفاتها وبفرج
افراحها غصص اتراحها وخلق الآجال فاطالها وقصرها وقدمها واخرها ووصل بالموت اسبابها وجعله
خالجا لاشطانها وقاطعا لمرائر اقرانها عالم السر من ضمائر المضمرين ونجوى المتخافتين وخواطر رجم
الظنون وعقد عزيمات اليقين ومسارق ايماض الجفون وما ضمنته اكنان القلوب وغيابات الغيوب
وما اصغت لاستراقه مصائخ الاسماع ومصائف الذر ومشاتي الهوام ورجع الحنين من المولهات وهمس الاقدام
ومنفسح الثمرة من ولائج غلف الاكمام ومنقمع الوحوش من غيران الجبال واوديتها ومختبأ البعوض بين سوق الاشجار
والحيتها ومغرز الاوراق من الافنان ومحط الامشاج من مسارب الاصلاب وناشئة الغيوم ومتلاحمها
ودرور قطر السحاب في متراكمها وما تسفي الاعاصير بذيولها وتعفو الامطار بسيولها وعوم نبات الارض
في كثبان الرمال ومستقر ذوات الاجنحة بذرى شناخيب الجبال وتغريد ذوات المنطق في دياجير الاوكار وما
اوعبته الاصداف وحضنت عليه امواج البحار وما غشيته سدفة ليل او ذر عليه شارق نهار وما اعتقبت
عليه اطباق الدياجير وسبحات النور واثر كل خطوة وحس كل حركة ورجع كل كلمة وتحريك كل شفة و
مستقر كل نسمة ومثقال كل ذرة وهماهم كل نفس هامة وما عليها من ثمر شجرة او ساقط ورقة او قرارة نطفة
او نقاعة دم ومضغة او ناشئة خلق وسلالة لم تلحقه في ذلك كلفة ولا اعترضته في حفظ ما ابتدع من خلقه
عارضة ولا اعتورته في تنفيذ الامور وتدابير المخلوقين ملالة ولا فترة بل نفذهم علمه واحصاهم عدده ووسعهم

عدله وغمرهم فضله مع تقصيرهم عن كنه ما هو اهله اللهم انت اهل الوصف الجميل والتعداد الكثير
ان تؤمل فخير مأمول وان ترج فاكرم مرجو اللهم وقد بسطت لي فيما لا امدح به غيرك ولا اثني به على احد
سواك ولا اوجهه الى معادن الخيبة ومواضع الريبة وعدلت بلساني عن مدائح الآدميين والثناء على
المربوبين المخلوقين اللهم ولكل مثن على من اثنى عليه مثوبة من جزاء او عارفة من عطاء وقد رجوتك
دليلا على ذخائر الرحمة وكنوز المغفرة اللهم وهذا مقام من افردك بالتوحيد الذي هو لك ولم ير مستحقا
لهذه المحامد والممادح غيرك وبي فاقة اليك لا يجبر مسكنتها الا فضلك ولا ينعش من خلتها الا منك
وجودك فهب لنا في هذا المقام رضاك واغننا عن مد الايدي الى سواك انك على كل شي قدير اقول
كبسها اغاصها في الماء بقوة والمور التردد في الحركة ومستفحلة صائلة والتلاطم التراد والاواذي جمع
اذي وهو ما عظم من موج البحر والاصطفاق التراد ايضا والاثباج جمع ثبج وهو معظمها وعواليها وجمع
المزبد اذا غلب صاحبه ولم يملكه والارتماء التقاذف والتراد والكلكل الصدر والمستخذي الخاضع و
التمعك التمرغ واصطخاب امواجه علبتها واصواتها والساجي الساكن والحكمة ما احاط من اللجام بحنك
الدابة والدحو البسط والتيار الموج والنخوة الكبر والترفع والباو الفخر وشمخ بانفه تكبر والغلواء
تجاوز الحد وكعمه سد فاه والكظة شدة البطنة وهمد سكن وخمد والنزق الخفة والطيش ولبد
لصق بالارض ساكنا والزيفان التبختر والبذخ العالية والعرنين اعلى الانف عند ملتقى الحاجبين
والسهوب جمع سهب وهو الفلاة الواسعة والبيد جمع بيداء وهي الفلاة ايضا والاخدود الشق في الارض
والجلاميد الصخور والشناخيب رؤس الجبال والشم العالية والصيخود الصخرة الصلبة واديمها سطحها
وتغلغله دخوله في اعماقها والتسرب الدخول في السرب والجوبة الفرجة في الارض وجراثيم الارض عاليها
وما اجتمع منها وارض جرز لا نبات بها لانقطاع الماء عنها والروابي اعالي الارض والقزع قطع السحاب
الرقيقة الواحدة قزعة والكنهور بالضم ما استطال من السحاب وما استدار قبل الكسر والوميض اللمعان
والكنهور العظيم من السحاب والرباب الغمام الابيض والسح الصب واسف دنا من الارض لثقله والهيدب
ما تهدب منه الى الارض اي تدلى وتمريه يستخرج ما فيه من الماء والدرر جمع درة بالكسر وهي كثرة اللبن
وسيلانه والاهاضيب جمع هضاب وهو حلبات القطر بعد القطر والشآبيب جمع شؤبوب وهو الرشقة
القوية من المطر والبرك الصدر والبواني ما يلي الصدر من الاضلاع وبعاع السحاب ثقله بالمطر والعبء
الثقل وجبلة زعراء لا نبت بها وتزدهي تتكبر والريط جمع ريطة وهي الازاهير النيرة وسمطت ربطت بالسمط
وهو العقد ومن روى شمطت بالشين المعجمة اراد خلطت والجبلة الخلقة واوعز اليه بكذا تقدم اليه
به والعقابيل بقايا المرض والترح الحزن والفاقة الفقر والخلج الجذب والاشطان جمع شطن
وهي الحبال والمرائر الحبال اللطيفة الفتل والتخافت المسارة والرجم بالظن القول عنه والغيابة

ظلمة قعر البئر ومصائخ الاسماع خروقها والاصاخة التسمع والولائج المداخل والاكمام جمع كم بالكسر وهو
غلاف الطلع والمنقمع محل الانقماع وهو الارتداع ولحى الشجرة قشرها والافنان الاغصان والامشاج
النطفة المختلطة بالدم وتعفو تمحو وشناخيب الجبال رؤسها وذراها اعاليها والتغريد ترديد صوت
الطائر والدياجير جمع ديجور وهو الظلام والسدفة الظلمة وذر الشارق طلع ورجع الكلمة جوابها والنقاعة
نقرة يجتمع فيها الدم واعتورته احاطت به والعارضة المعروف والخلة الفقر وانعشه انهضه من عثرته
واعلم ان هذا الفصل يشتمل على فصول الفصل الاول في تمجيد الله تعالى باعتبار خلقه للارض في الماء
وجملة من احوالها وهو الى قوله جواد طرقها وفيه ابحاث البحث الاول في الاستعارات والتشبيهات
والمجازات لفظية الاول استعارة لفظ الكبس لخلقه لها غايصا معظمها في الماء كما يغوص بعض الزق
المنفوخ ونحوه بالاعتماد عليه الثاني استعارة لفظ الاستفحال للموج ووجه المشابهة ما اشترك فيه
الموج والفحل من الاضطراب والهيجان والصولة الثالث تشبيهه بالفحول ايضا ووجه الشبه ما يظهر على
رؤس الموج عند اضطرابه وغليانه من رغوة الزبد كما يظهر من فم الفحل الرابع استعار لفظ الجماح لحركة
الماء على غير نسق واضطراب لا يملك معه مضربه كما يجمح الفرس الخامس استعار وصاف الناقة من
الكلكل والكاهل للارض ورشح تلك الاستعارة بالوطي والتمعك وانما خص الصدر والكاهل لقوتهما
وكنى بالمجموع عن الحاقها بالناقة السادس استعار للماء لفظ الاستخذاء والقهر ولفظ الحكمة والانقياد
والاسر وكنى بها عن الحاقه بحيوان صائل قهر كالفرس واضاف الحكمة الى الذل اضافة للسبب الى
المسبب السابع استعار لفظ النخوة والبأو والتيه وشموخ الانف والغلواء والنزق والزيفان والوثبات
للماء في هيجانه واضطرابه ملاحظة لشبهه بالانسان المتجبر التياه في حركاته الموقعة بتكبره وزهوه
الثامن استعار لفظ الاكتاف للارض ووجه المشابهة كون الارض محلا لحمل ما ثقل من الجبال كما ان
كتف الانسان وغيره محل لحمل الاثقال التاسع استعار لفظ العرانين والانوف لاعالي رؤس الجبال كناية
عن الحاقها بالانسان العاشر كنى بالتغلغل والتسرب عما يتوهم من نفوذ الجبال في الارض وغوصها فيها
واستعار لفظ الخياشيم لتلك الاسراب الموهومة ولما جعل الجبال انوفا جعل تلك الاسراب المتوهمة قيام
الجبال فيها خياشيم الحادي عشر استعار لفظ الركوب للجبال والاعناق للارض كناية عن الحاقها بالقاهر و
المقهور الثاني عشر استعار لفظ الوجبات والذريعة للجداول كناية عن الحاقها بالانسان عند عدم الوسيلة
الى مطلوبه الثالث عشر الضمير في تغلغلها وركوبها للجبال والضمير في خياشيمها يعود الى الارض وباقي الضماير
ظاهرة الرابع عشر تجوز في اسناد لفظ الاحياء والاستخراج الى السحاب اذ المخرج هو الله تعالى الخامس عشر كنى بعدم النوم
عن عدم الخفاء وميض البرق في السحاب كناية بالمستعار السادس عشر استعار لفظ الهدب لقطرات المطر المتصل
يتلو بعضها بعضا ملاحظة لشبهها بالخيوط المتدلية السابع عشر استعار لفظ الدرر والاهاضيب في الحلب

للغمام كناية عن الحاقها بالنافة الثامن اسند المرى الى الجنوب مجازا اولان لها سببية ما فى نزول الغيث وانما خص الجنوب لانها فى اكثر البلاد حارة رطبة اما الحرارة فلانها تاتى من الجهة المتسخنة بمقاربة الشمس واما الرطوبة فلان البحار اكثرها جنوبية والشمس تعمل فيها بفوق وتخرج عنها ابخرة تخالط الرياح واذا كان كذلك كانت الجنوب اولى بالذكر من وجهين احدهما انها اكثر استصحابا للابخرة ولذلك كان السحاب اكثر انعقادا معها ومصاحبة لها الثانى انها لحرارتها تفتح المسام ولرطوبتها ترخى فكان درور المطر عنها اكثر التاسع استعار لفظ البرك والبوانى للسحاب واسند اليه الالقاء كناية عن الحاقه بالجمل الذى ثقله الحمل فرمى بصدره الى الارض العشرون نسب الابهاج والازدهاء واللبس الى الارض ذات الازاهير مجازا ملاحظة لشبهها بالمراة المتبجحة بما عليها من فاخر الملبوس وجميل الثياب البحث الثانى ان مقتضى الكلام انه تعالى خلق الماء قبل الارض ثم دحاها فيه وسكن بها مستحيل امواجه وهذا مما شهد به البرهان العقلى فان الماء لما كان حاويا لاكثر الارض كان سطحه الباطن المماس لسطحها الظاهر مكانا لها وظاهر ان المكان تقدما باعتبار ما على المتمكن فيه وان كان اللفظ يعطى تقدم خلق الماء على خلق الارض تقدما زمانيا كما هو المقبول عند السامعين البحث الثالث انه اشير الى كونها مدحوة فى القرآن الكريم بقوله والارض بعد ذلك دحيها مع ان الارض كرة كما ثبت بيانه فى علم الهيئة فلابد من التاويل وقد نبهنا عليه فى قوله اللهم داحى المدحوات وقد ورد فى الخبر ان الارض دحيت من تحت الكعبة قال بعض العارفين الاشارة بالكعبة الى كعبة وجود واجب الوجود التى هى مقصد وجوه المخلصين التى جعلت هذه الكعبة فى عالم الشهادة مثالا لها ودحوها من تحتها عبارة عن وجودها عن ذلك المبدا البحث الرابع الاشارة الى خلق الجبال فيها وكونها سببا لسكونها وللناس فى تكون ما يكون من الجبال فيها وجوه احدها انه قد يكون عن بخار ات مياهها الثانى قد يكون عن زلزلة فصلت قطعة على ناحية فارتفعت الثالث قد يكون عن رياح جمعت بهبوبها ترابا متراكما وعلاه الرابع قد يكون لعمارات تراكمت فخربت فاما كونها اسبابا لسكون الارض فقد سبقت الاشارة اليه فى الخطبة الاولى واعلم ان البرهان مطابق على الشهادة بكونها كما اشار اليه فى مطابقة البحث الخامس فى تفجير ينابيع العيون فى الجبال وغيرها وقد اشار العلماء الى اسبابه فقالوا ان الاء والابخرة ما يحتبس منها تحت الارض وفيه ثقب وفرج فيها هواء او بخار ومياه فتتبرد الابخرة والهواء فيصيرها ماء فما له قوة ومدد ينفجر عيونا ويجرى على الولاء لعدم مدخل الهواء بين الخارج وما يتصل به ويتبعه وما لا مدد له من العيون تركد وما له مدد الا ان اجزاءه مبددة والارض واهية لا تحتاج الى مقاومة تحصل منه القنوات وماء الابار ايضا من قبيل ما له مدد لكنه لم يجد سبيلا الى احد الجوانب لعدم رخاوة ارضه فخالف القنوات وانما خص الجبال بتفجر العيون منها لان العيون اكثر ما يتفجر من الجبال

والاماكن المرتفعة وذلك لشدة احتقان الابخرة فيها بالقياس الى ساير الاماكن الهابطة الرخوة فان الارض اذا كانت رخوة نفضت البخار عنها فلا تكاد يجتمع منه قدر يعتد به ولان هذا التخصيص دل على حكمة الصانع وعنايته بالخلق وهو فى معرض تمجيده وتعديد الائه البحث السادس انه اعد الهواء لساكنها واعلم انه سبحانه كما جعل الهواء عنصر الابدان الحيوان وارواحه البدنية كذلك جعله مددا يصل الى الارواح ويكون علة لصلاحها وبقائها بالتعديل وذلك التعديل يكون بفعلين احدهما الترويح والثانى التنقية اما الترويح فهو تعديل مزاج الروح الحار اذا افرط بالاحتقان فى الاكثر فان الهواء الذى يحيط بنا ابرد بكثير من ذلك المزاج فاذا وصل اليه باستنشاق الرية ومن مسام منافس النبض وصدمه وخالطه منعه عن الاستحالة الى النارية الاحتقانية المؤدية الى سوء مزاج يزول به عن الاستعداد لقبول التاثير النفسانى الذى هو سبب الحيوة واما التنقية فهى باستصحابه عند رد النفس لما سلمته اليه القوة المميزة من البخار الدخانى الذى نسبته الى الروح نسبة الخلط الفضلى الى البدن فكما ان التعديل هو بورود الهواء على الروح عند الاستنشاق فالتنقية بصدوره عنه عند رد النفس وذلك ان الهواء المستنشق انما يحتاج اليه فى تعديله اول وروده لكونه باردا بالفعل فاذا استحال الى كيفية الروح بالتسخن لطول مكثه بطلت فائدته فاستغنى عنه واحتيج الى هواء جديد يدخل ويقوم مقامه فدعت الضرورة الى اخراجه لاخلاء المكان لمعاقبه وليندفع معه فضول جوهر الروح فهذا معنى قوله عليه السلام واعد الهواء متنسما لساكنها واعتبار اعداده لمنفعة الحيوان اعم مما ذكرنا فانه ايضا معد لساير الامزجة المعدنية والنباتية والحيوانية التى يحتاج الانسان فى بقائه اليها وكونه عنصرا لها ومعتبرا فى بقائها وعند ملاحظة هذه المنافع عن الهواء يظهر اثر نعمة الله تعالى به البحث السابع فى اخراجه تعالى اهل الارض اليها بعد تمام مرافقها كما قال تعالى والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل شىء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين والا باهلها المخرجين اليها الى الحيوان مطلقا واعلم ان ارتفاقهم بها ان جعلها قرارا لهم صالحا للسكنى عليها كما قال تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا ولكونها فراشا شرايط احدها ان تكون ساكنة ليصح الاستقرار عليها والتصرف فيها بحسب الاختيار وموافقة المصلحة دون كونها متحركة الثانى ان تكون خارجة من الماء وذلك لان الانسان وغيره من البرية لا يمكنه ان يعيش فى الماء فاقتضت عناية الحق سبحانه بالحيوان ان ابرز بعضها من الماء ليعيش فيه ويتصرف عليه الثالث ان لا تكون فى غاية الصلابة كالحجر والكان النوم والمشى عليها مولما وايضا لم يكن لينبت فيها انواع النبات والاشجار وايضا لكان تسخن كثيرا فى الصيف وتبرد كثيرا فى الشتاء فما كانت تصلح لسكنى الحيوان وايضا كان يتعذر حفرها وتركيب بعضها ببعض الرابع ان لا تكون فى غاية الرخاوة كالماء وغيره من المايعات التى يغوص فيها

الحيوانات م

الانسان الخامس انه سبحانه لم يخلقها فى غاية الشفافية واللطافة فانها ان كانت مع ذلك جسما سيالا كالهواء لم يتمكن من الاستقرار عليه وان كانت جسما ثابتا صقيلا براقا احترق الحيوان وما عليها بسبب انعكاس اشعة الشمس عليها كما يحترق القطن اذا قرب من المرايا المحاذية للشمس والبلور لكنه خلقها غبراء ليستقر النور على وجهها فيحصل فيها نوع من السخونة وخلقها كثيفة لئلا تنعكس الاشعة منها على ما فيها فيحرقه فصارت معتدلة فى الحر والبرد فصلح ان تكون فراشا ومسكنا للحيوان المنفعة الثانية خلق الجبال فيها وتفجيرها بالماء كما سبقت الاشارة اليه المنفعة الثالثة ما يتولد فيها من المعادن والنبات والحيوان وفى انواع كل من هذه المولدات واختلاف اصنافه والوانه وروايحه وطعومه ولينه وصلابته وملاسته وخشونته ما لا يحصى من المنافع التى يحتاج اليها الانسان فى بقائه وصلاح حاله المنفعة الرابعة كونها اصلا لبدن الانسان وذلك ان الماء لرقته ورطوبته لا يحفظ الشكل والتصوير فاذا خلط بالتراب حصل له قوام واستمساك وحصل قبول الاشكال والتخطيط كما قال انى خالق بشرا من طين المنفعة الخامسة قبولها للحيوة بعد الموت كما قال تعالى واية لهم الارض الميتة احييناها البحث الثامن فى تمجيده تعالى باعتبار انشائه للسحاب والبرق والنظر فى وجه الحكمة فيه وفى اصله وفى حيوة الارض به اما وجه الحكمة فى انشائه فكونه مادة لما ينبت فى الارض الجرز مما هو قوام بدن الحيوان وغذاء له كما اشار اليه عليه السلام بقوله ثم لم يدع جرز الارض التى تقصر مياه العيون والانهار عنها ولا تجد جداول الارض ذريعة الى بلوغها الى قوله وجعل ذلك بلاغا للانام ورزقا للانعام ونحوه قوله تعالى اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون البحث التاسع فى تمجيده باعتبار تخريقه للفجاج فى افاقها اى الطرق الواسعة فى نواحيها كما قال تعالى وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون ثم باعتبار اقامة المنار للسالكين فيها والاشارة بالمنار اما الى النجوم كما قال تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون او الى الجبال الفصل الثانى فى تمجيده تعالى باعتبار خلقه لادم واختياره له واتمام نعمته عليه ومقابلته بالعصيان ومقابلة عصيانه بقبول توبته واهباطه الى الارض واكرام ذريته بعد بعثة الانبياء منهم واليهم وقسمته بينهم معيشتهم واجالهم بالقلة والكثرة وابتلائه لهم بذلك وهو من قوله فلما مهد ارضه وانفذ امره الى قوله فالما برا قرانها واعلم ان الكلام فى قصة ادم عليه السلام قد سبق فى الخطبة الاولى مستوفى فلا نعيده غير ان فى هذا الكلام فوايد الفايدة الاولى معنى قوله مهد ارضه اى جعلها مهادا كقوله تعالى الم نجعل الارض مهادا او جعلها مهدا كقوله تعالى جعل لكم الارض مهدا وعلى التقدير الاول اراد انه تعالى خلقها بحيث يسهل على العباد ان يتصرفوا فيها بالقعود والقيام والزراعة وساير جهات المنفعة وانفذ امره فى خلق ادم خلقه بعد ذلك وعلى التقدير الثانى يكون لفظ المهد استعارة لها ملاحظة لتشبيهها

بمهد الصبى فى كونه محل الراحة والنوم الفايدة الثانية قوله وانفذ امره اى فى ايجاد مخلوقاته واتمامها فحكم على العالم بالتمام باختيار نوع الانسان الذى هو تمام دايرة الوجود فقال له كن فكان الفايدة الثالثة قوله خيرة من خلقه نصب على الحال ويحتمل النصب على المصدر وشاهد كونه خيرة الله من خلقه قوله تعالى ان الله اصطفى ادم وقوله ولقد كرمنا بنى ادم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا وبيان هذا التكريم من وجهين احدهما قال ابو يزيد البسطامى رحمه الله ان انواع كرامات الله فى حق البشر غير متناهية كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها هذا على سبيل الاجمال اما التفصيل فمن وجوه الاول انه سبحانه يعطى كل ساعة على المتوكلين مطر الكفاية كما قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه الثانى انه يمطر كل ساعة على المطيعين مطر المودة كما قال تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا الثالث انه يمطر على المجتهدين مطر الهداية كما قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الرابع انه يمطر على الشاكرين مطر الزيادة كما قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم الخامس انه يمطر على المتذكرين مطر البصيرة كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون الثانى ان التكريم لادم وذريته اما باحوال داخلة فى الانسان او خارجة عنه والداخلة فيه اما بدنية او غيرها اما البدنية التى اكرم بها فامور الاول الصورة الحسنة كما قال تعالى وصوركم فاحسن صوركم الثانى حسن القامة والتعديل كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم وذلك ان الشىء كلما كان اكبر علوا وارتفاعا كان اشرف فى نوعه فان احسن الاشجار اعلاها امتدادا الثالث انه اكرمه بتمكينه من القيام والقعود والاستلقاء والانبطاح والاضطجاع وذلك انه تعالى ركب الخلق على اصناف اربعة احدها ما يشبه القايمين كالاشجار وثانيها ما يشبه الراكعين كالبهايم وثالثها ما يشبه الساجدين كالحشرات التى تدب على وجوهها وبطونها ومنها ما يشبه القاعدين كالجبال ثم انه سبحانه خلق الانسان قادرا على جميع هذه الهيات ومكنه من ذكره على جميع هذه الاحوال كما قال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم واما الاحوال التى اكرم بها غير بدنية فامور احدها الروح التى هى محل العلم باشرف الموجودات وسيدها وهو الله تعالى كما قال ونفخت فيه من روحى وشرفه باضافة روحه اليه وبهذا التشريف تميز عن ساير الموجودات فى هذا العالم الثانى العقل وشرفه من وجوه الاول روى ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام اذا رايت عاقلا فكن له خادما الثانى قول الرسول صلى الله عليه واله اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا اكرم على منك بك اخذ وبك اعطى وبك اعاقب واعلم ان للعقل بداية ونهاية وكلاهما يسميان عقلا اما الاول فهو القوة المهيئة للعلوم الكلية الضرورية كما للطفل وهو المشار اليه بقول النبى صلى الله عليه واله والثانى العقل المستفاد وهو المشار اليه بقوله صلى الله عليه واله لعلى عليه السلام اذا تقرب الناس الى خالقهم

بابواب البر فتقرب الى اليه بعقلك تسبقهم بالدرجات والزلفى عند الناس في الدنيا وعند الله في
الآخرة الثالث العلم والحكمة التي هي ثمرة العقل كما قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا
العلم درجات وقال يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا
الالباب وسماه حيوة ونورا فقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واما
التكرمة الخارجة عنه فامور احدها انه خلق ما سواه منفعة له فقال هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
وقال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ففرش الارض وجعل السماء سقفا محفوظا وجعل
ما اخرج من الارض رزقا له وما ارسل من السحاب من ماء مادة لذلك كما قال تعالى وانزل من السماء ماء
فاخرج به من الثمرات رزقا لكم والفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار واكرمه بخلق الشمس والقمر
والنجوم كما قال وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وقوله وجعل لكم النجوم لتهتدوا
بها في ظلمات البر والبحر وقال ولتعلموا عدد السنين والحساب واكرمه بخلق الانعام تحصل منه غذاءه
ملبوسه وراحته وجماله وزينته فقال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ولكم
فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون الى قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون
الثاني روي عن امير المؤمنين عليه السلام في تفسير قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم انه قال بالدعوة الى الجنة
كما قال تعالى والله يدعوا الى دار السلام الثالث انه اكرمهم بتجرية قلوبهم لمعرفته والسنتهم لشهادته ولما
لحق منه فشرفهم بتكليفه وبعثة الانبياء اليهم من انفسهم كما قال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم ثم جعل
آدم والانبياء من ذريته اكرم عباده لديه فحباهم بالنبوة والرسالة كما قال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا
وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض ثم فضل اولي العزم منهم فقال فاصبر كما صبر اولو
العزم من الرسل ثم فضل بعضهم على بعض وهو الخليل والكليم والروح والحبيب فقال تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح
القدس ثم فضل محمدا صلى الله عليه وآله على الكل فقال وكان فضل الله عليك عظيما وجعله خاتم النبيين
وخاتمة كمالهم فقال ولكن رسول الله وخاتم النبيين **الغاية الرابعة** قوله وجعله قبلة لخلقه اشارة
الى ان آدم اول شخص يكون في الوجود من نوع الانسان وقوله والمخاطرة بمنزلته اي عند الله وكونه
مستحقا للقرب منه وقوله موافاة لسابق علمه اشارة الى ان وقوعه في الوجود بعد ذلك عن ضابط القلم
والقضاء الالهي السابق **الغاية الخامسة** قوله فاهبطه بعد التوبة من قال ان المراد بآدم هو نوع
النفوس البشرية وقد بينا انه حادث والشخص الاول منها قال ان التوبة قبل الاهباط هي التوبة بالقوة
المعلومة لله من عصاة اولاد آدم التائبين اليه قبل اهباط نفوسهم من درجات عرفانه والتفاتهم
الى عمارة الارض والاشتغال بالحرث والنسل والانبياء عليهم السلام يرجعون عن المباحات الى

ما هو الاولى والاتم من عبادة الله ومطالعة انوار كبريائه ويعدون ما رجعوا عنه ذنوبا ورجوعهم عنه
توبة كما قال النبي صلى الله عليه وآله انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة وليس ذلك
المستغفر منه الا اشتغال ذهنه بتدبير امور الارض وعمارتها واشتغاله بذلك عن الخلوة بالله والنظر الى
انوار قدسه **الغاية السادسة** قوله وليقيم الحجة به على عباده اي الذي بعث آدم حجة عليهم اما اولاده الموجودون
في زمانه والمنقول انه مات عن اربعين ولدا او من بلغته سنته منهم بعد وفاته والمنقول ان الله تعالى
انزل من الاحكام تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم احدى وعشرين ورقة وهو اول كتاب
كان في الدنيا اجرى الله عليها الالسنة كلها **الغاية السابعة** قوله ولم يخلهم بعد ان قبضه مما يؤكد عليهم
حجة ربوبيته اي ان حجة ربوبيته قائمة عليهم في كيفية تخليقه لهم وخلق ما يستدلون عليه به من صنعه
كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق الآية وغيرها من الآيات وانما
تكون بعثة الانبياء مؤكدة لتلك الحجج مذكرة للغافلين عنها بها ومنبهة على وجودها وموصلة بينهم
وبين معرفته بما جاءت به من الكتب المنزلة والسنن الشريفة وقوله وبلغ المقطع عذره ونذره اي اعذاره
الى الخلق وانذاره لهم بلغ الغاية ومقطع كل شيء غايته **الغاية الثامنة** تقديره تعالى ارزاقهم وتقسيمه
لها واعطاء كل مخلوق ما كتب له في اللوح المحفوظ منها من قليل وكثير وضيق وواسع وميسر ومعسر
ومعاقبة الاضداد عليهم من تعقيب سعة الغنى بلواحق الفقر والفاقة كما قال فبينما الانسان في ملكه
اصبح محتاجا الى الفلس وكذلك الخاتمة السلامة في النعم بطوارق الآفات من غرق او حرق او غصب
ظالم او غلبة غاشم وكذلك سعة الارزاق وفرح افراحها وتكديرها بغصص اتراحها واتراحها بفرح افراحها
الاجال متفاوتة بالطول والقصر والتقدم والتاخر **الغاية التاسعة** تقديره للموت متصلا باسبابها
ولما كان الاجل عبارة عن وقت حضور الموت وكان اسباب حلول تلك الاوقات هي بعض الامراض او
القتل مثلا لا جرم صدق ان الموت الذي هو عبارة عن مفارقة الارواح لاجسادها متصلا بتلك الاسباب
واستعار لفظ الخلج وهو الجذب للموت ورشح بذكر الاشطان ووجه المشابهة ما يستلزمه الموت من قرب
الاجل كما يستلزمه الجاذب من قرب المجذوب اليه فقدر الموت جاذبا للاجل بالحبال كما يجذب بها الانسان
ما يريد واما كونه قاطعا لمرائر اقرانها فاستعار ايضا لفظ المرائر لاسباب العلاقة بين اقران الاجال
المتقاربون في الزمان الواحد يتصل بهم الاجل وتلك الاسباب كالصداقة والاخوة وسائر اسباب العلاقة
بين الناس وظاهر كون الموت قاطعا لتلك المرائر **الغاية العاشرة** انه عليه السلام جعل قسمة الله تعالى
للارزاق وتقديرها بالكثرة والقلة والضيق والسعة سورة ابتلاء من الله للشكر من الاغنياء والصبر
من الفقراء وقد اشرنا في قوله الا ان الدنيا دار لا يسلم منها الا فيها الى ان المراد بالابتلاء من الله معاملته
تعالى لعباده معاملة المبتلين المختبرين لانه تعالى عالم بالخفيات والسرائر فلا يتصور في حقه الاختبار حقيقة

الا انا نريد ههنا بيانا فنقول ان العبد اذا تمكن في خاطره ان ما يفعل الله تعالى من افاضة نعمه عليه او
حرمانه لها ابتلاء لشكره او صبره فشكر او صبر حصل من شكره او صبره على ملكات فاضلة في نفسه يستعد
بها لمزيد الكمال وتمام النعمة كما قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون و
اما التحقيق في امثال هذه القسمة من ضيق رزق او سعته او طول اجل او قصره ومعاقبة شدة لرخاء وحزن
لفرح فهو ان لكل واحد من هذه الامور اسبابا قد تجري على من تعرض له ولا بد من انتهائها الى قضاء
الله فما عد منها خيرا فهو داخل في الارادة الكلية بالخير المطلوب بالذات وما عد منها شرا فداخل في
القضاء الالهي بالعرض كما علم ذلك في مظانه وبالله التوفيق **الفصل الثالث** في تمجيده سبحانه باعتبار
كونه عالما بالاشياء وعدد من جزئياتها جملة هي من قوله عالم السر من ضمائر المضمرين الى قوله اول شيئة
خلق وسلالة ولنشر الى ما عساه يشكل من الفاظه **الاول** خواطر رجم الظنون لما كانت الخواطر الظنية
للانسان تتعلق بمظنون لا محالة بعد ان لم يكن اشبه تعلقه به الرجم وهو الرمي بالحجر ونحوه فاستعير
لفظه له وانما خص الظن بذلك دون العلم لما ان كثيرا ما يظن ما لا يكون ظنا غير مطابق كما يظن
بعض الناس ما يقبح منه ويصل اليه فيه اذى وان لم يكن صدقا فكان اشبه الاشياء برميه بالحجر المشكوك
لاداء **الثاني** عقد عزيمات اليقين ما انعقد في النفس من العزوم عن يقين **الثالث** ومسارق ايماض الجفون
لما اشبه شعاع البصر البرق في ومضه واختفائه عند فتح الجفون وطبقها استعار لفظ الوميض لبروقه
ولفظ المسارق لمخارجه **الرابع** استعار لفظ الاكنان للقلوب بالنسبة الى ما اخفته من الاسرار ولفظ
الغيابات للغيوب ووجه المشابهة كون القلوب حافظة كالبيوت وكون الظلمات مانعة من ادراك
المبصرات كما يمنع الغيوب ادراكها **الخامس** مصائف الذر ومشاتي الهوام بيوتها واسرابها الصيفية
والشتوية من بطن الارض الواقية لها حر الصيف وبرد الشتاء ورجع الحنين من المولهة ترديد صوت الثكلى
في بكائها وحنينها الى من فقدته **السادس** ولائج غلف الاكمام اغلفتها الا ان في هذا الاضافة لان كل كم غلاف ولا
ينعكس فجاز تخصيص العام بالاضافة الى بعض جزئياته **السابع** محط الامشاج محل نزول النطف من الاصلاب
ومساربها وهي الاوعية التي تسرب فيها المني والاخلاط التي يتولد عنها **الثامن** وما تسفي الاعاصير بذيولها
اي ما تثيره وتذروه من التراب واستعار لفظ الذيول لما اخذ الارض منها **التاسع** استعار لفظ العوم
لدخول عروق النبات في نواحي الارض لملاحظة شبهها بالماء وروي نبات الارض بتشديد الباء وهي
الهوام التي تنشأ في الرمل وتغوص فيه وتسير كالحلكة وهي دويبة كالعظاءة دون الشبر صفراء ملساء
تسميها العرب الشحمة وكنوع من الحيات وغيرها **العاشر** وتغريد ذوات المنطق استعار لفظ المنطق
للطير ووجه المشابهة ان مدلول تغريدها معلوم لله فاشبه النطق المفيد من الانسان **الحادي عشر** ما اوعته

الاصداف

الاصداف كاللؤلؤ والمرجان وما حضنت عليه امواج البحار من لؤلؤ وحيوان وغيرهما لفظ الحضن استعار
للامواج ملاحظة لشبهها بالحواضن في انطباقها على البيض والفراخ **الثاني عشر** سبحات النور ما تنزه منه عن
كدر الظلمة ولفظ النور مستعار لمعارف جلال الله والضمير في قوله عليها يرجع الى الارض وقرارة النطفة
مستقرها من الارحام ولفظ النقاعة استعارة لمحل دم الحيض والمضغة الولد في بعض اطوار خلقته كالعلقة
قبل ونائشة الخلق ما نشأ من مخلوقاته **الثالث عشر** قوله لم يلحقه في ذلك كلفة الى قوله ولا فترة الكلفة كون
الفعل يستلزم للفاعله نوع مشقة وتلك المشقة اما لضعف قوة الفاعل او ضعف آلته وقصور علمه
عن تصور ما يفعل والباري تعالى منزه عن هذه الامور لاستلزامها الحاجة كذلك العارضة من عوارض
موانع العلوم ونفوذها يستلزم وجود المقاوم والمثل وقد عرفت قدس الحق عنهما واما الملالة فالمفهوم
انصراف النفس عن الفعل بسبب كلال الارواح الدماغية وضعفها عن العمل ولعارض لحوقها وقد
علمت انها من لواحق الاجسام وكذلك الفترة والباري تعالى منزه عنهما **الرابع عشر** قوله بل نفذهم علمه الى قوله
وغمرهم فضله اثبت كل واحدة من هذه القرائن الاربع مقابلة للاربع التي نفاها فنفاذ علمه فيهم مقابل
لما نفاه من لحوق الكلفة في علمه بهم واحصاؤهم بعدله مقابل لاعتراض العارضة في حفظ خلقه ووسع علمه
لهم مقابل لنفي اعتوار الملالة له في تنفيذ اموره وتدبير مخلوقاته اذ كان معنى عدله فيهم وضعه لكل موجود
في مرتبته وهبته له ما يستحقه من زيادة ونقصان مضبوطا بنظام الحكمة واعتراض الملالة سبب لاختلال
نظام الفعل وقوله وغمرهم فضله مقابل لنفي الفترة فان فتور الفاعل عن الفعل مانع له عن تمام فعله
وتمام جوده وقوله مع تقصيرهم عن كنه ما هو اهله تنبيه على حقارة عبادتهم في جنب عظمته واستحقاقه
لما هو اهله ليديموا شكرهم وثناءهم ولا يستكثروا شيئا من طاعاتهم وبالله التوفيق **الفصل الرابع** في تمجيده
خطابا له ودعاء وطلبا للجزاء ما سبق من ثنائه وتمجيدا وصفا في الجملة وهو رضاه عنه واغناؤه عن غيره
وفيه اشارات **الاول** قوله انت اهل الوصف الجميل والتعداد الكثير اشارة الى انه تعالى مستحق
الوصف باشرف طرفي النقيض كان اهل الوصف الجميل وباعتبار تعدد ثنائه وحمده بالنظر الى كل جزئي
من جزئيات نعمه هو اهل التعداد الكثير **الثاني** قوله وقد بسطت لي فيما لا امدح به غيرك ولا اثني به على
احد سواك اشارة الى اذنه له في شكره والثناء عليه بالاوصاف الجميلة التي لا يستحقها حقيقة الا هو ولا
ان يطلق الا له ومعنى هذا الاذن اما الهام حسن شكر المنعم ومدحه واذ لا منعم في الحقيقة الا هو فلا يستحق
التمجيد المطلق الا هو واما مخاطبته له بايجاب الشكر كقوله تعالى واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون وبالتسبيح
في قوله تعالى ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقوله وسبحوه بكرة واصيلا واستعار لفظ المعادن
للخلق ووجه المشابهة ان معدن الشيء كما انه مظنة المطلوب منها كذلك الخلق ارباب النعم الغائبة مظنات
خيبة طالبها من ايديهم وحرمانها وكذلك مواضع الريبة اي الشك في منعهم وعطائهم لها ولذلك قرنه بقوله

وعدلت بلسانى من مقابح الادميين والثنا على المربوبين المخلوقين **الثالث** قوله دليلا منصب على الحال او
المفعول والمراد برجاءه دليلا على ذخائر الرحمة رجائى ان يوفقه بهدايته الى وجوه الاستعدادات الى رحمته وبشر
عليه تنبيهه للالتفات اليه عن كل خاطر سواه فان كل خاطر سوى الحق سبحانه ذنب فى حق مثله عليه السلام ولفظ
الذخيرة والكنوز مستعارات لجوده **الرابع** قوله هذا مقام من فردك بالتوحيد اشارة الى مقامه بين يديه بهذا
الذكر والتوحيد فى خطبته وهو توطئة لذكر مطلوبه واستنزال رحمة الله ثم قال وبى فاقة اليك فذكر وجه حاجته
لجوده اولا وقصر سد تلك الفاقة على فضله اذ لم يكن فاقة فى مرجوه يمكن المخلوقين الاتيان به ثم اردفه
بذكر مطلوبه وهو رضا الله واغناؤه عمن سواه وظاهر ان حصولهما مستلزم لما رجاه الله دليلا عليه من ذخائر
رحمته وكنوز مغفرته وبالله العصمة والتوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما اريد على البيعة بعد قتل عثمان
دعونى والتمسوا غيرى فانا مستقبلون امرا له وجوه والوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول وان
الآفاق قد اغامت والمحجة قد تنكرت واعلموا انى ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم ولم اصغ الى قول القائل وعتب
العاتب وان تركتمونى فانا كاحدكم ولعلى اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه امركم وانا لكم وزيرا خير منى لكم
اميرا **اقول** حاصل هذا الفصل انه لابد لكل مطلوب على امر من تعزز فيه وتمنع والحكمة فى ذلك ان الطالب له
يكون بذلك ارغب فيما يطلب فان الطبع حريص على ما منع سريع النفرة مما سورع الى اجابته فيه فاراد عليه السلام
التمنع عليهم لتقوى رغبتهم اليه فانه لم يصل اليه هذا الامر الا بعد اضطراب فى الدين فى قتل عثمان والجراة على الدين
فاحتاج فى تقويم الخلق وردهم الى قواعد الحق الى ان يزدادوا فيه رغبة بهذا الكلام ومثله فقال دعونى
والتمسوا غيرى الا ترى انه نبههم بعد هذا التمنع على ان ههنا امورا صعبة مختلفة يريد ان يكرهها عليهم ويقيم
بعضهم فيها بعضا ويحملهم على الصلاح وجعل استقبال تلك الامور الصعبة علة الاستقالة منهم هذا الامر فقال
انا مستقبلون امرا له وجوه والوان لا تقوم له القلوب اى لا تصبر ولا تثبت عليه العقول بل تنكره وتاباه لمخالفة
الشريعة ومضادته لمطامع العالم وذلك الامر هو ما كان يعلمه من اختلاف الناس عليه بنصرة من التاويلات
الفاسدة والشبهات الباطلة كشبهة معوية واهل البصرة لدم عثمان وكتاويل الخوارج عليه الرضا بالتحكيم
ونحو ذلك وهو المكنى عنه بالوجوه والالوان كناية بالاستعارة وقوله وان الآفاق قد اغامت وان المحجة
قد تنكرت استعار لفظ الغيم لما غشى آفاق البلاد واقطار القلوب المتغيرة العارضة على الفساد من ظلمات
الظلم والجهل ووجه المشابهة ما يلزم هذه الظلمات من توقع نزول الشرور منها كما يتوقع نزول المطر والثلج
من الغيم واشار بالمحجة الى واضح طريق الشريعة وتنكرها جهل الناس بها وعدم سلوكهم لها **وقوله** واعلموا الى
قوله عتب العاتب لما منع عليهم وعلم صدق رغبتهم فيه شرع فى تقريرها وبيان ما يفعله معرضا لها عليهم مع تمنع
دون الاول فاعلمهم انه على تقدير اجابتهم الى هذا الامر لا يركب بهم الا ما يعلم من امر الشريعة ولا يصغى الى قول
قائل يحمله على غير امر الله لتمنعه هواه ولا عتب عاتب عليه انه لم يفضله او لم يرضه بما ينافى ما يعلمه من امر الشريعة

او التفاتا

اذ القائل والعاتب فى ذلك مغتر على الله وعاتب عليه ولقد وفى عليه السلام بما وعدهم به من ذلك كما تذكره
من قصته مع عقيل لما استماحه صاعا من بر وشعير فحمى له حديدة وقربها منه فان عقيل فقال له ثكلتك
الثواكل اتئن من حديدة احماها انسان للعبه ولا تئن من نار احماها جبارها لغضبه ولفظ الركوب مستعار
لاستوائه على ما يعلم **وقوله** وان تركتمونى الى آخره اى كنت كاحدكم فى الطاعة لاميركم بل لعلى اكون اطوعكم
لراى لقوة علمه بوجوب طاعة الامام وانما قال لعلى لانه على تقدير ان يولوا احدا يخالف امر الله لا يكون
اطوعهم له بل اعصاهم واحتمال توليتهم لمن هو كذلك قائم فاحتمال طاعته له وعدم طاعته قائم فحسن ايراد
لعل والواو فى قوله وانا للحال ووزيرا واميرا حالان والعاملان ما يتعلق بهما الجار والمجرور واراد الوزير
اللغوى وهو المعين والظهير الحامل لوزر من يظاهره وثقله وظاهر انه عليه السلام كان وزيرا للسلف
وعضدا لهم والخيرية هاهنا تعود الى سهولة الحال عليهم فى امر الدنيا فانه اذا كان اميرا لهم حملهم على ما يكره
طباعهم من المصابرة فى الحروب والتسوية فى العطايا ومنعهم ما يطلبون مما فيه للشريعة اذى فمنع ولا كذلك
اذا كان وزيرا فان حظ الوزير ليس الا المشورة والراى الصالح والمعاضدة فى الحروب وقد يخالف فى رايه
حيث لا يتمكن من الزام العمل به وانما كان هذا التمنع دون الاول لان قوله ان اجبتكم فيه اطماع لهم
بالاجابة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** اما بعد ايها الناس فانا فقأت عين الفتنة ولم يكن
ليجترئ عليها احد غيرى بعد ان ماج غيهبها واشتد كلبها فاسئلونى قبل ان تفقدونى فوالذى نفسى بيده
لا تسئلونى عن شئ فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدى مائة وتضل مائة الا انباتكم بناعقها وقائدها
وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ومن يقتل من اهلها قتلا ومن يموت منهم موتا ولو قد فقدتمونى و
نزلت بكم كرائه الامور وحوازب الخطوب لاطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسئولين وذلك اذا قلصت حربكم وشمرت عن ساق
وضاقت الدنيا عليكم ضيقا تستطيلون ايام البلاء عليكم حتى يفتح الله لبقية الابرار منكم ان الفتن اذا
اقبلت شبهت واذا ادبرت نبهت ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات يحمن حوم الرياح يصبن بلدا ويخطين
بلدا الا ان اخوف الفتن عندى عليكم فتنة بنى امية فانها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها وخصت بليتها واصاب
البلاء من ابصر فيها واخطأ البلاء من عمى عنها وايم الله لتجدن بنى امية لكم ارباب سوء بعدى كالناب الضروس
تعذم بفيها وتخبط بيدها وتزبن برجلها وتمنع درها لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم الا نافعا لهم او غير
ضائر ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار احدكم منهم الا كانتصار العبد من ربه والصاحب من مستصحبه
ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية وقطعا جاهلية ليس فيها منار هدى ولا علم يرى نحن اهل البيت منها بنجاة
ولسنا فيها بدعاة ثم يفرجها الله عنكم كتفريج الاديم بمن يسومهم خسفا ويسوقهم عنفا ويسقيهم بكاس مصبرة
لا يعطيهم الا السيف ولا يحلسهم الا الخوف فعند ذلك تود قريش بالدنيا وما فيها لو يروننى مقاما واحدا
ولو قدر جزر جزور لاقبل منهم ما اطلب اليوم بعضه فلا يعطونيه **اقول** فقأت عينه غورتها وماج اضطرب

والغيهب الظلمة والكلب الشر والكلب داء معروف والفئة الطائفة وناعقها الداعى لها والمناخ بالضم
محل البروك وحوازب الخطوب ما حزب منها اى اصاب والتقلص التقبض وشبهت اشتبهت واوقعت الشبهة
وحام الطائر دار والخطة الحال والامر والناب الناقة المسنة والضروس التى تعض حالبها والعذم العض
العض وهو الكدم ايضا والزبن الدفع وشوهاء جمع شوهاء وهى قبيحة المنظر وسامه خسفا اولاه ذلا والعنف
شدة السوق ويحلسهم اى يلبسهم الحلس وهو الكساء تحت بردعة البعير والجزر القطع ومنه سميت الجزور لما يجزر
من الابل ومقصود هذا الفصل التنبيه على فضيلته وشرفه وفضله وعلى رذيلة بنى امية بذكر فتنتهم وما
يكون منهم ليشتد النفار عنهم وتقوى الرغبة اليه من جهتين احديهما باخباره عما سيكون والثانى بذكر الشر
من غيره **فقوله** فانا فقأت عين الفتنة اشارة الى فتنة اهل البصرة وغيرها واستعار لها لفظ العين وانما
خص العين لانها اشرف عضو فى الوجه وبها تصرف الشخص وحركته ورشح الاستعارة بذكر الفقأ وكنى به
عن زوال فتنتهم بيمنه **وقوله** ولم يكن ليجترئ عليها احد غيرى اى ان الناس كانوا لا يتجاسرون على قتال
اهل القبلة ويخافون من ذلك الحرج والاثم ولا يعلمون كيفية قتالهم هل يتبعون مدبرهم وهل يجهزون على
جريحهم وهل تسبى ذراريهم ويقسم اموالهم او لا يعرفوا ام لا حتى اقدم عليه السلام على فتنتهم ففقأ عينها فكفت
بعد هياجها ومبدأ ذلك حرب عايشة وقد صرح عليه السلام بذلك فى الفاظ اخرى فقال اما بعد فانا فقأت
عين الفتنة شرقيها وغربيها ومنافقها ومارقها لم يكن ليجترئ عليها غيرى ولو لم اكن لما قوتل اصحاب
الجمل ولا اصحاب صفين ولا اصحاب النهر ويحتمل ان يكون المراد فقأت عين اهل الفتنة بحذف المضاف واقام المضاف
اليه مقامه ويكون فقأه لعيونهم كناية عن قتلهم وروى ان من المتوقفين عن الحرب الاحنف بن قيس وجماعة
معه وكنى بموج غيهبها عن انتشار ظلمات الشبه عن تلك الفتن فى اذهان الناس فجهلوا ان خلاف طلحة
وخروج عايشة كان حقا او باطلا فكان ذلك سببا لاضطرابهم وقتالهم وقتلهم وكذلك كنى باشتداد
كلبها عن شدة ما وقع منها من الشرور وكلب اهلها وحرصهم على القتل والقتال كناية بالاستعارة فى الموضعين
وقوله فاسئلونى الى قوله ومن يموت موتا تعرض للسؤال عما سيكون ولم يكن ليجترئ على ذلك احد غيره
من بين ساير الصحابة والتابعين ولو ادعى غيره ذلك لكذبه العيان وفضحه الامتحان وروى ان قتادة دخل
الكوفة فالتفت عليه الناس فقال سلونى عما شئتم وكان ابو حنيفة حاضرا وهو اذ ذاك غلام حدث السن فقال
سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فانقطع فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له بم عرفت ذلك
فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كان ذكرا لقال قال نملة وذلك ان لفظ النملة يقع على الذكر والانثى
كالحمامة والشاة وانما يميز بينهما بعلامة التانيث فانظر الى هذا المعجب بنفسه كيف انقطع من سؤال لم يكن
الفطن ان يجيب عنه بادئ شئ فكيف به اذا سئل عن الامور المستقبلة التى لا تتيسر لها من عالم الغيب الا من
ايد بقوة الهية تكشف بنور بصيرته حجاب الاسرار وقد بينا فيما سبق وجه تمكنه من الاخبار عما سيكون

وكيفية

وكيفية ذلك واراد بالساعة القيمة واستعار اوصاف الابل ورعاتها واصحابها من الناعق والقائد
والسائق والمناخ والركاب والرحال للفئة المهدية والضالة ومن يهديهم ويضلهم ملاحظة لشبههم
بالابل فى الاجتماع والانقياد لقائد وداع والضمير فى اهلها يعود الى الفئة **وقوله** ولو قد فقدتمونى الى
قوله المسئولين كرائه الامور ما يكرهون منها وحوازب الخطوب ما يصيبهم من الامور العظيمة المعضلة واطراق
السائلين لحيرتهم فى عواقب تلك الخطوب وما يكون منها وكيفية الخلاص وفشل كثير من المسئولين اى
جبنوا عن رد الجواب لجهلهم بعواقبها وما يسئلون عنه منها وقوله وذلك اشارة الى اطراق السائلين وفشل
المسئولين **وقوله** اذا قلصت حربكم تفسير لكرائه الامور النازلة بهم واستعار لفظ التقلص والتشمير عن
ساق الحرب ووجه الاستعارة تشبيهها بالجد فى الامر الساعى فيه وكان اذا اراد ان يتوجه قلص ثيابه
وشمرها عن ساقه لئلا يعوقه وتهيأ واجمع عليه كذلك الحرب كونها مجتمعة على النزول بهم واللحوق لهم
والواو فى قوله وضاقت للعطف على شمرت وموضع تستطيلون النصب على الحال **وقوله** حتى يفتح الله لبقية
الابرار منكم اى الذين يسلمون من بنى امية فى دينهم واعمارهم ويفتح الله لهم بهلاكهم وزوال دولتهم **وقوله**
ان الفتن اذا اقبلت شبهت اى يكون فى مبدئها شبيهة بالحق فى اذهان الخلق واذا ادبرت نبهت الاذهان
على كونها فتنة بعد وقوع الهرج والمرج بين الناس واضطراب امورهم بسببها واكثر ما يكون ذلك عند ابتداء
الفساد فى الدول مثلا الذى يعرف به عامة الخلق كونها فتنة وضلالا عن سبيل الله اكثر ما يكون
فى آخرها فيكون موذنا بزوالها وعلامة مبشرة به **وقوله** ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات تفسير له اى
لا يعرف فى مبدأ الحال كونها فتنة ويشبه بكونها حقا ودعاتها هدى فاذا انقضت عرف انها عن الحق بمعزل
وان دعاتها كانوا دعاة ضلالة **وقوله** يحمن حوم الرياح استعار لها لفظ الحوم ملاحظة لشبهها فى دورانها
الموهوم ووقوعها عن قضاء الله من دعاة الضلال فى بلد دون بلد بالطاير والريح ولذلك شبهها بحوم
وكذلك لفظ الخطأ **وقوله** الا ان اخوف الفتن عندى الى آخره شروع فى تعيين ما يريد ان يخبر به وهو
بعض ما يتعرض للسؤال عنه وانما كانت هذه الفتن اشدها على الاسلام واهله وكثرة بلوى اهل الدين
فيها بالقتل وانواع الاذى ويكفى فى عظم تلك الفتنة هتكهم حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وقتل الحسين
عليه السلام وذريته وهتك حرمة الاسلام بهدم الكعبة وحرقها وقتل ابن الزبير وسب على عليه السلام ثمانين
سنة وما انتشر من البلاء وعم بتوليتهم الحجاج دماء المسلمين الى غير ذلك من منكراتهم المسطورة فى التواريخ
واشار بكونها فتنة عمياء الى ذلك واستعار لفظ العمى لها لجريانها على غير قانون الحق كالاعمى المتصرف
فى حركاته فى غير جادة او لكونها لا يسلك فيها سبيل كما لا يهتدى بالعين العمياء وكذلك لفظ المظلمة
وقوله عمت خطتها لكونها ولاية عامة وخصت بليتها اى باهل التقوى وشيعة على عليه السلام ومن
بقى من الصحابة والتابعين الذين هم اعيان الاسلام **وقوله** واصاب البلاء من ابصر فيها واخطأ من عمى

عنها اى من اهتدى لكونها فتنة كان فيها بلاء من نفسه ومنهم امامن نفسه فبالحزن الطويل من شاهد
المنكر واما منهم فلان التقى العالم لم يكونهم اتمنه ضلالا ينحرف عنهم فى غير داخل فى نصرهم الباطل وكان
من شانهم تتبع من هذه حاله بالاذى والقتل فكان البلاء بهم اخص واما من لم يهتد لكونها فتنة
بل كان فى عمى الجهل عنها فهو منقاد لدعوتهم الباطلة منساق تحت رايات ضلالهم جار على فى اوامرهم
فكان سالما من بلائهم ثم اردف ذلك بالقسم البر ليجدنهم الناس ارباب سوء لهم وشبههم فى اضالهم
المضرة لهم بالناب الضروس لحالبها واشار الى وجه الشبه باوصاف فكدمها وعضها وخبطها بيديها
وزبنها برجلها ومنعها درها اشارة الى جميع حركاتها المؤذية الرديئة وهى تشبه حركاتهم فى الخلق بالاذى
والقتل ومنع الرفد والاستحقاق من بيت المال ثم اردف ذلك بذكر غايتين لحركاتهم الشريرة وبلائهم
للناس احديهما انهم لا يتركون من الاذى والقتل لا احد رجلين اما نافع لهم سالك مسلكهم او من لا
يضرهم بانكار منكر عليهم ولا بجا قوته عليهم ولئم من سائر العوام والسوقة الثانية انه لا يكون انتصارهم
منهم الا مثل انتصار العبد من سيده والصاحب من استصحبه اى كما لا يمكن العبد ان ينتصر من سيده ولا
المستصحب الذى من شانه الضعف وعدم الاستقلال بنفسه ممن يستصحبه كذلك لا يمكن بقية هولاء ان
ينتصروا من بنى امية اصلا ويحتمل ان يريد هناك ما يشبه الانتصار من الغيبة ونحوها كما قال عليه السلام
فى موضع آخر وتكون نصرة احدكم كنصرة العبد من سيده اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه ثم اردف ذلك
بذكر فتنتهم وانها مشتملة على فتن فوق واحدة ما فى شآبيب وقطعا كقطع الليل المظلم ومن روى فتنهم
بلفظ الجمع فاراد حربهم وشرورهم فى دولتهم واستعار لفظ الشوهاء لقبحها عقلا وشرعا ووجه الشبه
كونها منفورا عنها كما ان قبيحة المنظر كذلك وكذلك استعار لفظ القطع لورودها عليهم دفعات
كقطع الخيل المقبلة فى الغارة والحرب واشار بكونها جاهلية الى كونها على غير قانون عدلى كما ان
حركات اهل الجاهلية كانت كذلك ولذلك قال ليس فيها منار هدى ولا علم يرى اى ليس فيها امام عدل
ولا قانون حق يقتدى به وقوله عن اهل البيت منها بنجاة ولسنا فيها بدعاة اى انا ناجون من آثامها
والدخول فيها والدعوة الى مثلها وليس المراد انا سالمون من آثام غير داعين فيها الى الحق بشهادة خروج
الحسين عليه السلام الى نفسه وقتله واولاده وهتك ذريته ويحتمل ان يريد انا بنجاة من آثامها ولسنا
فيها بدعاة مطلقا والحسين عليه السلام لم يكن داعيا مبتغيا من نفسه للدعوة وانما كان مدعوا الى
القيام من اهل الكوفة ومجيبا لهم وقوله ثم يفرجها الله كتفريج الاديم الى قوله الا الخوف اشارة الى زوال
دولتهم بظهور بنى العباس عليهم وقتلهم واستيصالهم وتتبعهم لآثارهم وحصول الفرج منهم لبقية الآل
من عباد الله المقصودين باذاهم كما يفرج الجلد اى يشق عما فيه ولقد ولاهم بنو العباس من الذل والهوان
واذاقوهم كاس العذاب طعوما مختلفة واروهم عيان الموت الوانا شتى كما هو مذكور فى كتب التاريخ

والفظ

ولفظ الكاس والتصبير والعطية مستعار وكذلك لفظ التحليس ووجه المشابهة جعلهم الخوف شعارا
لهم كما ان حلس البعير كذلك وقوله حتى تود قريش الى آخره اشارة الى غاية هذه الفرقة المتغلبة من قريش
على هذا الامر اى ان حالهم فى التراذل والضعف عن مجاذبتهم ينتهى الى ان يتمنوا ويتيسر مقاما واحدا
مع انه ابغض الخلق اليهم ليقبل منهم ما يطلب اليوم بعضه من نصوحهم لهم واتباعهم لامره ولفيا دهم
لهذاه فيمنعونه اياه وكنى عن قصر ذلك المقام المتمنى له بمقدار زمان جزر الجزور وصدقه عليه السلام
فى هذا الخبر ظاهر فان ارباب السير نقلوا ان مروان بن محمد آخر ملوك بنى امية قال يوم الزاب حين شاهد
عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس مارا به فى صف خراسان لوددت ان على بن ابى طالب تحت
هذه الرايات بدلا من هذا الفتى والقصة مشهورة وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام فتبارك الذى لا
يبلغه بعد الهمم ولا يناله حدس الفطن الاول الذى لا غاية له فينتهى ولا آخر له فينقضى اقول تبارك
قيل مشتق من البروك المستلزم للمقام فى موضع واحد والثبات فيه وقيل من البركة وهو الزيادة و
بالاعتبار الاول يكون اشارة الى عظمته باعتبار دوام بقائه واستحقاقه قدم الوجود لذاته وبقاء
وجوده لا من استفتاح ولا الى انقطاع وبالاعتبار الثانى اشارة الى فضله واحسانه ولطفه وهدايته
ووجوه الثناء عليه وقوله الذى لا يبلغه بعد الهمم ولا يناله حدس الفطن كقوله فى صدر الخطبة الاولى
الذى لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الا انه ابدل الغوص هاهنا بالحدس والحدس فى اللغة
الظن وفى اصطلاح العلماء لما كان الفكر عبارة عن حركة الذهن منتقلا من المطالب الى المبادى ثم
منها الى المطالب كان الحدس عبارة عن جودة هذه الحركة الى اقتناص الحد الاوسط من غير طلب وتجشم
كلفة وهو معقول بحسب التشكيك وهو بجميع اعتباراته وباعلى مراتبه قاصر عن تناول ذات الحق تعالى كما
سبق وقوله الاول الى آخره قد تقدم تفسير اوليته وآخريته غير مرة وبالله التوفيق منها قوله فاستودعهم
فى افضل مستودع واقرهم فى خير مستقر تناسختهم كرائم الاصلاب الى مطهرات الارحام كلما مضى سلف
قام منهم بدين الله خلف حتى افضت كرامة الله سبحانه الى محمد صلى الله عليه وآله فاخرجه من افضل المعادن
منبتا واعز الارومات مغرسا من الشجرة التى صدع منها انبياءه وانتجب منها امناءه عترته خير العتر واسرته
خير الاسر وشجرته خير الشجر نبتت فى حرم وبسقت فى كرم لها فروع طوال وثمر لا ينال فهو امام من
اتقى وبصيرة من اهتدى سراج لمع ضوءه وشهاب سطع نوره وزند برق لمعه سيرته القصد وسنته الرشد
وكلامه الفصل وحكمه العدل ارسله على حين فترة من الرسل وهفوة من العمل وغباوة من الامم اعملوا
رحمكم الله على اعلام بينة فالطريق نهج يدعو الى دار السلام وانتم فى دار مستعتب على مهل وفراغ والصحف
منشورة والاقلام جارية والابدان صحيحة والالسن مطلقة والتوبة مسموعة والاعمال مقبولة اقول
المنبت المنقل وافضت انتهت والارومة الاصل والصدع الشق وعترة الرجل نسله ورهطه الادنون

واسرته قومه وبسقت طالت والزند العود الاعلى يقتدح به والنهج الواضح وقوله فاستودعهم الى قوله خلف
اشارة الى الانبياء عليهم السلام انما يعرف بعين الله واعلم ان دين الله واحد بعث جميع الانبياء لتسليك الخلق
اياه وله اصول وفروع فاصله الطريق الى معرفته والاستكمال بها وجماع مكارم الاخلاق ونظام امر الخلق فى
معاشهم ومعادهم وهذه الامور هى المراد من الشرع وهو اصل لا يخالف فيه نبى نبيا واما الاختلافات الواقعة
فى الشرائع فهى امور جزئية بحسب مصالح جزئية تتعلق بوقت الرسول المعين وحال الخلق المرسل اليهم يوقع
عليها ذلك الاصل ويكون كالمخصصات له والعوارض التى تختلف بها الطبيعة الواحدة النوعية وافضل
مستودع استودعهم فيه حظاير القدس ومنازل الملائكة وهو خير مستقر اقرهم فيه ومحل كرامته فى مقعد
صدق عند مليك مقتدر وتناسخ الاصلاب لهم الى مطهرات الارحام نقلهم اليها نطفا وكرائم الاصلاب
ما كرم منها وحق للاصلاب بحيث مثلهم ان توصف بالكرم ومطهرات الارحام ما طهر منها وحقها التطهر منها
الانتاج مثل هذه الامزجة وقبولها ان يكون طاهرة من كدر الفساد والشيعة يطهرون اصول الانبياء
من طرف الآباء والامهات عن الشرك ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله نقلنا من الاصلاب الطاهرة
الى الارحام الزكية ويحتمل ان يريد بافضل مستودع وخير مستقر فى مبدئهم اصلاب الآباء وارحام الامهات
ويكون قوله تناسختهم تفسيرا لهم وبيانا وقوله كلما مضى منهم سلف قام بدين الله منهم خلف اشارة الى توارد
وجود الانبياء عند الحاجة اليهم على التعاقب وقد سبقت الاشارة اليه وقوله حتى افضت كرامة الله الى محمد
الى قوله امناءه اشارة الى غاية سلسلة الانبياء وكنى بكرامة الله عن النبوة واستعار لفظ المعدن والمنبت
والمغرس لطينة النبوة وهى مادته القريبة التى استعدت لقبول مثله ووجه الاستعارة ان تلك المادة منشأ
لمثله كما ان الارض معدن الجواهر ومغرس الشجر الطيب وظاهر ان اصله صح بمثله افضل المعادن واعز الا
وقيل اراد بذلك مكة شرفها الله وقيل بحيه وقبيلته ثم مدح بما هو اخص واشرف فقال من الشجرة التى
صدع منها انبياءه فاستعار لفظ الشجرة لصنف الانبياء وكما ان الشجرة اشرف من طينتها كذلك صنف
الانبياء اشرف من قوابل صورهم ووجه الاستعارة هو ما كنى بالانصداع عنه من تفرع اشخاص الانبياء من
صنفهم كما يتفرع اغصان الشجرة منها وامناءه اى على رسالته وقوله عترته خير العتر واسرته خير الاسر
بالعترة لما عرفت انها اخص واقرب من الاسرة ومصداق افضلية عترته قوله صلى الله عليه وآله سادة اهل
المحشر سادة اهل الدنيا انا وعلى وحسن وحسين وحمزة وجعفر ووجه افضلية اسرته قوله صلى الله عليه
وآله ان الله اصطفى من العرب معدا واصطفى من معد بنى النضر بن كنانة واصطفى هاشما من بنى النضر و
اصطفانى من بنى هاشم وقوله صلى الله عليه وآله قال لى جبرئيل يا محمد قد طفت الارض شرقا وغربا فلم اجد فيها
اكرم منك ولا بيتا اكرم من بنى هاشم وقوله صلى الله عليه وآله الناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم
وقوله وشجرته خير الشجر قيل اراد بالشجرة فى الموضعين ابراهيم عليه السلام وقيل اراد هاشما وولده بقرينة

قوله

قوله نبتت فى حرم واراد مكة ورشح تلك الاستعارة بوصف الانبات والبسوق وكنى بالكرم الذى فيه عن
ذكاء اصله وما استلزم من الفضل وكنى بالفروع عن مثله صلى الله عليه وآله وذريته وساير النجباء من بنى
هاشم وبوصفهم بالطول عن بلوغهم فى الشرف والفضل الغاية البعيدة وهو ترشيح للاستعارة وكذلك ما
الثمر وكنى به عن العلوم والاخلاق المتفرعة عنه وعن ائمة امته وبكونها لا تنال عن شرفها وعلو محلها
او انها لشرفها وعلوها لا يمكن ان يطاول فيها او لغموض اسرارها لا تصل الاذهان اليها وقوله
فهو امام من اتقى الى قوله برق لمعه استعار لفظ البصيرة والسراج والشهاب والزند له صلى الله عليه وآله
ووجه الاستعارة كونه سبب هداية الخلق كما ان هذه الامور الثلثة كذلك ورشح استعارة السراج باللمعان
الضوء والشهاب بسطوع النور والزند ببروق اللمع ويحتمل ان يكون وجه استعارة الزند هو كونه مثيرا
لانوار العلم والهداية وقوله سيرته القصد اى طريقته العدل والاستواء على الصراط المستقيم وعدم
الانحراف الى احد طرفى الافراط والتفريط وسنته الرشد اى سلوك طريق الله عن هداية وكلامه الفصل اى
الفاصل بين الحق والباطل كقوله تعالى انه لقول فصل وحكمه العدل الوسط بين رذيلتى الظلم والانظلام وقوله
ارسله على حين فترة من الرسل وهفوة من العمل اى زلة عنه وغباوة من الامم اى جهل منهم وعدم فطنة لما ينبغى
وقد سبق بيان الفترة وقوله اعملوا رحمكم الله على اعلام بينة استعار لفظ الاعلام لائمة الدين وما يتلى
من مصابيح الهدى وكنى بكونها بينة عن وجودها وظهورها بين الخلق وقوله والطريق نهج يدعو الى
دار السلام فالطريق الشريعة ونهجه وضوحها فى زمانه عليه السلام وقرب العهد بالرسول صلى الله عليه
وآله وظاهر كون الشريعة داعية الى الجنة واسناد الدعوة الى الطريق مجاز اذ الداعى قيم الطريق وولاتها
وقوله وانتم فى دار مستعتب اى دار الدنيا التى يمكن ان يستعتبوا فيعتبوا اى يطلبوا رضا الله بطاعته
فيرضى عنكم وعلى مهل اى امهال وانظار وفراغ عن عوائق الموت وما بعده وقوله والصحف منشورة
الى آخره الواوات السبع للحال والمراد صحائف الاعمال واقلام الحفظة على الخلق اعمالهم وفائدة التذكير
بهذه الامور التنبيه على وجوب العمل معها وبذكر اضدادها مما لا يمكن معه العمل ولا ينفع الندم من الكون
والى الصحف وجفاف الاقلام وفساد الابدان وخرس الالسنة وعدم سماع التوبة كما قال ثم يوسند لا
الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام بعثه والناس ضلال فى حيرة
وخابطون فى فتنة قد استهوتهم الاهواء واستزلتهم الكبرياء واستخفتهم الجاهلية الجهلاء حيارى فى زلزال
من الامر وبلاء من الجهل فبالغ النبى صلى الله عليه وآله فى النصيحة ومضى على الطريقة ودعى الى الحكمة والموعظة
اقول الفصل تقرير لفضيلة الرسول صلى الله عليه وآله والواو فى والناس للحال اى فى حال ما هم ضالون
عن سبيل الله فى حيرة من امرهم ماذا يتبعون وخابطون فى فتنة اى كانت حركاتهم على غير نظام فى ضلالهم
البدع ومن روى حاطبون فهو استعارة ووجهها كونهم يجمعون فى ضلالهم وفتنتهم ما اتفق من اقوال

واضلال كما يجمع الحاطب ومنه المثل حاطب ليل لمن جمع الغث والسمين والحق والباطل في امره وقوله استهوتهم
الاهواء اى جذبتهم الاراء الباطلة الى مهاوى الهلاك او الى العقبها واستزلتهم الكبرياء اى قادتهم الى الزلل
والخطل عن طريق العدل واقتفاء آثار الانبياء في التواضع ونحوه واستخفتهم الجاهلية الجهلاء فطاربهم
الى ما لا ينبغى من الغارات والفساد في الارض كما فرادى خفة وطيش ولفظ الجهلاء تاكيد للاول كما يقال
ليل اليل ووتد واتد وقوله حيارى في زلزال من الامر وبلاء من الجهل اى لا يهتدون لجهلهم الى مصالحهم فهو
منشأ اضطراب امورهم وبلائهم بالغارات وبغى بعضهم بعضا وقتلهم وقوله فبالغ الى قوله ومضى على الطريقة
سلوكه لسبيل الله من غير انحراف ودعوته الى الحكمة والموعظة هي دعوته الى سبيل الله بهما امتثالا لقوله تعالى
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فالدعوة بالحكمة الدعوة بالبرهان وبالموعظة الدعوة بالخطابة
وقد سبقت الاشارة الى ذلك في المقدمات وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الاول فلا شيء قبله
والآخر فلا شيء بعده والظاهر فلا شيء فوقه والباطن فلا شيء دونه اقول اثنى على الله سبحانه باعتبارات اربع
الاولية والاخرية والظاهرية والباطنية واكد كل واحد منها بكماله فكمال الاولية بسلب قبلية شيء عنه
وكمال الاخرية بسلب بعدية شيء له والظاهرية بسلب فوقية شيء له والباطنية بسلب شيء دونه والمراد
بالظاهر هنا العالى فلذلك حسن تاكيده بسلب فوقية الغير له وبالباطن الذى بطن خفايا الامور
وهو بهذا الاعتبار اقرب الاشياء اليها فلذلك حسن تاكيده بسلب ما هو دونه اى ما هو اقرب اليها منه وحسنت
حينئذ المقابلة بين الدانى والعالى ويحتمل ان يريد بالظاهر البين ويكون معنى قوله فلا شيء فوقه اى لا شيء
يوازى وجوده ومحجبه عن معرفة خلقه به وبالباطن الخفى ومعنى فلا شيء دونه اى في الخفاء وقد سبق بيان هذه الاعتبارات
الاربعة غير مرة وبالله التوفيق منها في ذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مستقره خير مستقر ومنبته
اشرف منبت في معادن الكرامة ومماهد السلامة قد صرفت نحوه افئدة الابرار وثنيت اليه ازمة الابصار دفن
به الضغائن واطفا به الثوائر الف به اخوانا وفرق به اقرانا اعز به الذلة واذل به العزة كلامه بيان وصمته لسان
اقول المماهد جمع ممهد والميم زائدة وثنيت اى صرفت والضغائن الاحقاد والثوائر جمع ثائرة وهي العداوة و
المخاصمة والاقران الاخوان المقترنون واشار بمستقره الى مكة وكونها خير مستقر لكونها ام القرى ومقصد
خلق الله ومحل كعبته ويحتمل ان يريد محله من جود الله وعنايته وظاهر كونه خير مستقر واستعار لفظ المنبت لاصله
وقد مر بيان مجازيته وبهما ومماهد السلامة مجال الشرطية لها وهي كناية عن مكة والمدينة وما حولها فانها
محل العبادة لله والخلوة بها لليه مهاد السلامة من عذابه وعقابه كان كذلك لكونها دار العشق الى
والقيامات الدينية ويحتمل ان يريد بمماهد السلامة ما تقلب فيه ونشأ عليه من مكارم الاخلاق الممهدة
للسلامة من سخط الله وفي قوله قد صرفت نحوه افئدة الابرار تنبيه على ان الصارف هو لطف الله وعنايته
بهم بالتفات قلوبهم الى محبته والاستضاءة بانوار هدايته ولما استعار لفظ الازمة للابصار ملاحظا لشبهها

بمقاود

بمقاود الابل رشح تلك الاستعارة بذكر الثنى وكنى بذلك عن التفات الخلق اليه بابصارهم وبصائرهم وتلقى الرحمة
الالهية منه واستعار لفظ الدفن لاخفاء الاحقاد بعد ان كانت ظاهرة مجاهرا بها ولفظ الاطفاء لازالة
العداوات بين العرب بالتاليف بين قلوبهم كما قال تعالى في اظهار المنة على عباده واذكروا نعمة الله عليكم اذ
كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا والاقران المفرق لهم هم المتالفون على الشرك وقوله
اعز به الذلة اى ذلة الاسلام واهله واذل به العزة اى عزة الشرك واهله وبين كل قرينتين من هذه المقابلة
مطابقة فقابل بالتفريق التاليف وبالذلة الاعزاز وبالعزة الاذلال وقوله وكلامه بيان اى لما انغلق من
احكام كتاب الله كقوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم وقوله وصمته لسان استعار لفظ اللسان لسكوته ووجه
المشابهة ان سكوته صلى الله عليه وآله مستلزم لبيان من وجهين احدهما انه كان يسكت عما لا ينبغى من القول فيعلم
الناس السكوت عن الخوض فيما لا يعنيهم الثانى ان الصحابة كانوا اذا فعلوا فعلا على سابق عادتهم فسكت
عنهم ولم ينكره عليهم علموا بذلك انه على حكم الاباحة فكان سكوته عنهم في ذلك بيانا له واشبه سكوته لسان
المعرب عن الاحكام وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام ولئن امهل الله الظالم فلن يفوت اخذه وهو له بالمرصاد
على مجاز طريقه وبموضع الشجا من مساغ ريقه اما والذى نفسى بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم ليس لانهم اولى
بالحق منكم ولكن لاسراعهم الى باطل صاحبهم وابطائكم عن حقى ولقد اصبحت الامم تخاف ظلم رعاتها واصبحت
اخاف ظلم رعيتى استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا واسمعتكم فلم تسمعوا ودعوتكم سرا وجهرا فلم تستجيبوا ونصحت
لكم فلم تقبلوا اشهود كغياب وعبيد كارباب اتلو عليكم الحكم فتنفرون منها واعظكم بالموعظة البالغة
فتتفرقون عنها واحثكم على جهاد اهل البغى فما اتى على آخر قولى حتى اراكم متفرقين ايادى سبا ترجعون الى مجالسكم
وتتخادعون عن مواعظكم اقومكم غدوة وترجعون الى عشية كظهر الحية عجز المقوم واعضل المقوم ايها
الشاهدة ابدانهم الغائبة عنهم عقولهم المختلفة اهواؤهم المبتلى بهم امراؤهم صاحبكم يطيع الله وانتم تعصونه وصاحب
اهل الشام يعصى الله وهم يطيعونه لوددت والله ان معوية صارفنى بكم صرف الدينار بالدرهم فاخذ منى
عشرة منكم واعطانى رجلا منهم يا اهل الكوفة منيت منكم بثلث واثنتين صم ذوو اسماع وبكم ذوو كلام
وعمى ذوو ابصار لا احرار صدق عند اللقاء ولا اخوان ثقة عند البلاء تربت ايديكم يا اشباه ابل غاب عنها
رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من جانب والله لكانى بكم فيما اخال لو حمس الوغى وحمى الضراب قد انفرجتم
عن ابن ابى طالب انفراج المراة عن قبلها انى لعلى بينة من ربى ومنهاج من نبيى وانى لعلى الطريق الواضح
القطه لقطا انظروا اهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا اثرهم فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم
في ردى فان لبدوا فالبدوا وان نهضوا فانهضوا ولا تسبقوهم فتضلوا ولا تتاخروا عنهم فتهلكوا ولقد
رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فما ارى احدا منكم يشبههم ولقد كانوا يصبحون شعثا غبرا قد باتوا
سجدا وقياما يراوحون بين جباههم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم كان بين اعينهم ركب

المعزى من طول سجودهم اذا ذكر الله هملت اعينهم حتى تبل جيوبهم ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفا
من العقاب ورجاء للثواب اقول المرصاد الطريق يرصد بها والرصد الراقب والشجا الغصص لقمة وغيرها
والحث السوق الشديد واعضل اشكل والحنية القوس متى ابلى وتربت اصابت التراب دون الخير واخال
احسب والوغى الحرب واصله من الاصوات وحمس اشتد والسمت الطريقة ولبد الطائر لصق بالارض فقوله
ولئن امهل الله الظالم الى قوله ريقه في معرض التهديد لاهل الشام باخذ الله لهم وعدم فوتهم وانه لهم بالمرصاد
على جميع حركاتهم وعلى مجاز طريقهم التى هم سالكوها ضلالا وعلى موضع الشجى من مساغ ريقهم وهو الحلق وفي
ذكر الشجى وكون الله بالرصد تنبيه على ان الله تعالى في مظنة ان يرمى الظالم بعقوبته عند اطلاعه على ظلمه كما
قال تعالى او ياخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين او ياخذهم على تخوف ثم اردف ذلك بالقسم البار ليظهرن اصحاب
معوية عليهم تنفيرا لهم الى مقاومتهم ثم نفى ما عساه يتوهم انه علة غلبهم لهم كيلا يتخاذلوا بسبب ذلك وهو
قوله ليس لانهم اولى بالحق منكم واردفه بتعيين السبب الحق في ذلك وهو قوله لكن لاسراعهم الى باطل صاحبهم
اى امره الباطل وابطائكم عن حقى اذ كانت النصرة باجتماع الكلمة وطاعة الامام لا باعتقاد حقية امر مع التخاذل
عنه ثم اردف ذلك بتوبيخهم وتنفيرهم عما هم عليه من مخالفة امره بقوله ولقد اصبحت الامم الى قوله رعيتى لان
شان الرعية الخوف من سلطانها فاذا كان خائفا من رعيته بالعكس كانت اللائمة عليهم بعصيانه دون حجة
لهم عليه واما التشبيه فبذكرانهم في محل ظلم مثله ولقد اشفق عليه السلام منهم في مواطن كثيرة كيوم الحكم
اذ قالوا له ان لم ترض فعلنا بك كما فعلنا بعثمن ونحو ذلك ثم اردف ببيان وجوه تقصيرهم ببيان ما فعله
معهم من الايادى الجميلة والهداية الى وجوه المصالح من استنفارهم لجهاد عدوهم وحفظ بلادهم واسماعهم
الدعوة الى مصالحهم سرا وجهرا ونصيحته لهم بالوجوه الصائبة من الراى وهو كقوله تعالى حكاية عن نوح عليه
السلام قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم الى قوله اسرارا
ثم شبههم بالغياب مع شهادتهم وبالارباب مع كونهم عبيدا ووجه الشبه ان الغاية في شاهد الموعظة دون الغائب
منها هو سماعها والانتفاع بها فاذ ليسوا كذلك فهم كالغياب عنها في عدم الانتفاع بها واما الثانية فلان
العبيد من شانهم التعبد لاوامر امرائهم ثم انهم لتعززهم وشموخهم كبرا وعدم طاعتهم كالارباب الذين من شانهم
ان يامروا ولا ياتمروا ثم وبخهم بنفارهم عما يتلوا عليهم من الحكم وتفرقهم عن مواعظه البالغة لهم واهل
البغى اشارة الى اهل الشام وايادى سبا مثل يضرب في شدة التفرق ضربه لتفرقهم عن مجالس الذكر وهما
لقحطان جعلا اسما واحدا كمعدى كرب وسبا قبيلة من ولد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان واصل المثل
ان هذه القبيلة كانت بمارب فلما آن وقت انفتاح سد مارب ورات طريفة الكاهنة ذلك الامر وعرفته
المثل الى عمرو بن عامر الملقب بمزيقيا فباع امواله بمارب وانتقل الى مكة فاصابت هؤلاء الحمى وكانوا لا يعرفونها
فدعوا الكاهنة فاخبرتهم بما سيقع وقالت انى مفرق بينكم فاستشاروها في امرهم فقالت من كان منكم

ذا هم

ذا هم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد فكانت ازد عمان ثم قالت ومن كان منكم ذا جلد
وقسر وصبر على ازمات الدهر فعليه بالاراك من بطن مر فكانت خزاعة ثم قالت ومن كان منكم يريد الراسيات
في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فكانت الاوس والخزرج ثم قالت ومن كان منكم يريد الخمر
والخمير والملك والتامير ويلبس الديباج والحرير فليلحق ببصرى وعوير وهما من ارض الشام فكان الذين
يسكنونها آل جفنة من غسان ثم قالت ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق وكنوز الارزاق
والدم المهراق فليلحق بارض العراق فكانت آل جذيمة الابرش ومن كان بالحيرة وآل محرق فضربت العرب
بتفرقهم في البلاد هذا المثل وسار فيمن يتفرق بعد اجتماع ثم لما كانت المخادعة هي الاستغفال عن المصلحة
قال يتخادعون اى انهم اذا رجعوا من مجلس وعظه اخذ كل منهم يستغفل صاحبه عن تذكر الموعظة ويشغله
بغير ذلك من الاحاديث وان لم يكن عن قصد خداع بل يقع منهم صورة المخادعة وتقويمه لهم بالغدوة اصلاح
اخلاقهم بالحكم والمواعظ ورجوعهم اليه عشية كظهر الحنية اى معوجين كظهر القوس وهو تشبيه للمعقول
من اعوجاجهم وانحرافهم عن جميل الاخلاق بالمحسوس وقوله عجز المقوم اشارة الى نفسه واعتراف بعجزه عن
تقويمهم واعضل المقوم اى اشكل امرهم واعيت ادواؤهم علاجا ثم عاد الى ندائهم وتنبيههم بذكر معايبهم لشغل
عقولهم عنها فوصفهم بشهادة الابدان مع غيبة العقول ثم باختلاف الاهواء ثم بكونهم ممن ابتلى بهم
امراؤهم ثم نبههم على رذيلتهم من مخالفة امره مع كونه مطيعا لله وما عليه خصومهم من فضيلة طاعة
امامهم مع كونه عاصيا لله وجعل ذلك مقايسة بينهم ليظهر الفرق فيه ذكرهم الغيرة ثم اردف بتحقيرهم
وتفضيل عدوهم عليهم في الباس والنجدة واستقامة الحال فاقسم انه ليود ان يصارفه معوية بهم
صرف الدينار بالدرهم وذلك قوله ايها القوم الى قوله رجلا منهم ثم اردف ذلك ببيان ما ابتلى به
منهم واشار الى خمس خصال وانما قال بثلث واثنتين لتناسب الثلث وكون الثنتين من نوع آخر
فالثلث الصمم مع كونهم ذوى اسماع والبكم مع كونهم ذوى كلام والعمى مع كونهم ذوى ابصار ووجه
هذه الثلث مع اضدادها هو سبب التعجب منهم والتوبيخ لهم واراد بها عدم انتفاعهم في مصالحهم الدينية
ونظام امور دولتهم بآلة السمع واللسان والعين فان من لم يفده سمعه وبصره عبرة ومن لم يكن كلامه
فيما يعنيه كان كفاقد هذه الآلات في عدم الانتفاع بها بل كان فاقدها احسن حالا منه لان وجودها
اذا لم يفد منفعة اكتسب مضرة فكان منها فاقدها واما الثنتان فكونهم لا احرار صدق عند اللقاء اى انهم
عند اللقاء لا تصدق حريتهم ولا تبقى عندهم من مخالطة الجبن والتخاذل والفرار اذ الحر الخالص
من شوب الرذائل والمطاعن ثم كونهم غير اخوان ثقة عند البلاء اى ليسوا ممن يوثق باخوتهم في البلاء
بالنوازل ثم عاد الى الدعاء عليهم على عجز التضجر منهم وتشبيههم بالنعم فقوله تربت ايديكم دعاء بعدم
اصابة الخير وقوله يا اشباه الابل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من جانب ذكر للتشبيه

بالمشبه به ووجه الشبه ثم اردفه بذكر رذيلة يظهرها منهم بابا بابا وهى تفرقهم عنه على تقدير اشتباك الحرب وشبه انفراجهم عنه بانفراج المرأة عن قبلها ليرجعوا الى الانفة وتسليم المرأة لقبلها وانفراجها عنه اما وقت الولادة او وقت الطعان ثم عاد الى ذكر فضيلته ليثبت قلوبهم وبيانه انها والبينة التى هو عليها من ربه ايات الله وبراهينه الواضحة له على وجوده والثقة بما هو عليه من سلوك سبيله وهو كقوله تعالى قل انى على بينة من ربى والمنهاج من نبيه طريقه وسنته والطريق الواضح الذى هو عليه سبيل الله وشريعة دينه والتقاطه له لفظا تنبيه وتمييزه عن طرق الضلال بالسلوك له ثم اردف فضيلته بالامر باتباع اهل البيت ولزوم سمتهم واقتفاء اثرهم واشار الى جهة وجوب اتباعهم بكونهم يسلكون بهم سبيل الهدى لا يخرجون عنه ولا يردونهم الى ردى الجاهلية والضلال القديم وفيا فيا اى ان اتباع غيرهم يردى الى ذلك وقوله فان لبدوا فالبدوا اى ان سكنوا واحبوا لزوم البيوت على طلب امر الخلافة والقيام فيما يقوم فى ذلك فان سكونهم قد يكون لمصلحة يغيب علمها عن غيرهم وان نهضوا فى ذلك فانهضوا معهم ثم نهاهم عن ان يسبقوهم فيضلوا اى الى امر لم يتقدموكم فيه فان متقدم الدليل شانه الضلال عن القصد وان لا يتاخروا عنهم فيهلكوا اى لا يتاخروا عن متابعتهم فى اوامرهم وافعالهم بالمخالفة لهم فيكونوا من الهالكين فى تيه الجهل وعذاب الاخرة والامامية تخص ذلك بالاثنى عشر من اهل البيت عليهم السلام وقوله ولقد رايت اصحاب رسول الله الى اخره مدح لخواص الصحابة وذكر مكانهم من خشية الله ودينه ترغيبا فى مثل تلك الفضايل وحرك بقوله فما ارى احدا يشبههم ما عساه يدرك السامعين من الحمية على تلك الفضايل وحرك بقوله ان يختصوا بها دونهم وذكر من مدايحهم اوصافا احدها الشعث والاغبرار وهو اشارة الى قشفهم وتركهم زينة الدنيا ولذاتها الثانى بياتهم ثم سجدا وقياما واشار به الى احيائهم الليل بالصلوات وهو كقوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما الثالث مراوحتهم بين جباههم وخدودهم وقد كان احدهم اذا تعبت جبهته من طول السجود راوح بينها وبين خده الرابع وقوفهم على الجمر من ذكر معادهم واشار به الى قلقهم ووجدهم من ذكر المعاد واهوال يوم القيمة كما يقلق الواقف على الجمر مما يجده من حرارته الخامس كان بين اعينهم ركب المعزى من طول سجودهم ووجه المشابهة ان محال سجودهم من جباههم كانت قد اسودت وماتت جلودها وقست كما ان ركب المعزى كذلك السادس انهم كانوا اذا ذكر الله هملت اعينهم حتى تبل جيوبهم ومن روى جباههم فذلك فى حال سجودهم ممكن ومادوا كما يميد الشجر بالريح العاصف خوفا من عقاب ربهم ورجاء الثواب فتارة يكون ميدانهم وقلقهم عن خوف الله وتارة يكون عن ارتياح واشتياق الى ما عنده من عظيم ثوابه وهو كقوله تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرما الا استحلوه ولا عقدا الا حلوه وحتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم وحتى يقوم الباكيان

باكى يبكى لدينه وباكى يبكى لدنياه وحتى يكون نصرة احدكم من احدهم كنصرة العبد من سيده اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه وحتى يكون اعظمكم فيها عناء احسنكم بالله ظنا فان اتاكم الله بعافية فاقبلوا وان ابتليتم فاصبروا فان العاقبة للمتقين اقول يا به المنزل اذا لم يوافقه والعناء التعب والاشارة فى هذا الفصل الى بنى امية فاقسم لا يزالون ظالمين فحذف الخبر للعلم به وذكر لظلمهم غايات احدها انهم لا يدعون محرما الا استحلوه واعظم كبائر المحرمات الظلم وقتل النفس وحالهم فيهما مشهور فما ظنك بغيرهما ومعنى قوله استحلوه استعملوه كاستعمال الحلال فى عدم التحرج والتاثم به الثانية ان لا يدعوا عقدا الا حلوه اى من عقود الاسلام التى تنتظم بها امر العالم من قوانين الشرع وضوابطه وحله كناية عن خرقهم تلك القواعد بجهالتهم الثالثة انه لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا دخله ظلمهم وهو كناية عن عموم عدوانهم وبغيهم على جميع الخلق من البدو والحضر وقوله نبا به سوء رعيهم اى وجب سوء رعيهم لاهله نبوهم عنه الرابعة ان يقوم الباكيان باكى يبكى لدينه وباكى يبكى لدنياه الخامسة وحتى يكون نصرة احدكم من احدهم كنصرة العبد من سيده ذكر المشبه والمشبه به ثم اشار الى وجه الشبه بقوله اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه السادسة وحتى يكون اعظمكم فيها عناء احسنكم بالله ظنا وانما كان كذلك لان حسن الظن بالله اشد الناس بعدا منهم وتوكلا عليه فيكونون عليه اشد كلبا وله اقوى طلبا فكان منهم اكثر تعبا ثم اردف ذلك بامر من اتته العافية ان يقبلها ويشكر الله عليها نعمة واراد العافية من الابتلاء بشرورهم لبعض الناس وبقايهم عدل مخلص من بلائهم وبامر من ابتلى بهم بالصبر على ما ابتلى به ووعده على ذلك بحسن العاقبة لان الدنيا للتقوى والصبر كما قال تعالى واصبر ان العاقبة للمتقين ❊ هذا آخر المجلد الثانى واول المجلد الثالث من هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن خطبة له عليه السلام نحمده على ما كان ونستعينه من امرنا على ما يكون ونسأله المعافاة فى الاديان كما نسأله المعافاة فى الابدان اوصيكم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم وان لم تحبوا تركها والمبلية لاجسادكم وان كنتم تحبون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كسفر سلكوا سبيلا فكانهم قد قطعوه وامّوا علما فكانهم قد بلغوه وكم عسى المجرى الى الغاية ان يجرى اليها حتى يبلغها وما عسى ان يكون بقاء من له يوم لا يعدوه وطالب حثيث يحدوه فى الدنيا حتى يفارقها فلا تنافسوا فى عز الدنيا وفخرها ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها ولا تجزعوا من ضرائها وبؤسها فان عزها وفخرها الى انقطاع وزينتها ونعيمها الى زوال وضراءها وبؤسها الى نفاد وكل مدة فيها الى انتهاء وكل حى فيها الى فناء اوليس لكم فى آثار الاولين وفى آبائكم الماضين تبصرة ومعتبر ان كنتم تعقلون اولم تروا الى الماضين منكم لا يرجعون والى الخلف الباقى

لا يبقون اولستم ترون اهل الدنيا يمسون ويصبحون على احوال شتى فميت يبكى وآخر يعزى وصريع مبتلى وعائد يعود وآخر بنفسه يجود وطالب للدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وعلى اثر الماضى ما يمضى الباقى الا فاذكروا هادم اللذات ومنغص الشهوات وقاطع الامنيات عند المساورة للاعمال القبيحة واستعينوا بالله على اداء واجب حقه وما لا يحصى من اعداد نعمه واحسانه اقول الرفض الترك والسفر المسافرون وامّوا قصدوا ويحدوه يسوقه والمساورة المواثبة فقوله نحمده الى قوله فى الابدان حمده بما كان لان الشكر على النعمة مترتب على وقوعها والاستعانة على ما يكون لان تطلب العون انما يكون فى امر هو بصدد ان يفعل ثم سأل العافية فى الاديان كما سألها فى الابدان لان لها سقما هو فى الحقيقة اشد وقيل لاعرابى ما تشتكى قال ذنوبى قيل ما تشتهى قال الجنة قيل افلا ندعو لك طبيبا فقال الطبيب امرضنى وسمعت عفيرة العابدة البصرية رجلا يقول ما اشد العمى على من كان بصيرا فقالت يا عبد الله غفلت عن مرض الذنوب واهتممت بمرض الاجساد وعمى القلب عن الله اشد والمعافاة فيها بامداد العناية الالهية بقائها سليمة او بتداركها للمذنبين بجذبهم الى التوبة ثم اردف ذلك بالراى الصالح والوصية الناصحة برفض الدنيا ونفرهم منها بذكر معايب احدها تركها لهم ومن اكبر المصالح ترك محبوب لا بد من مفارقته تركا باستدراج النفس واستغفالها كى لا يفجعها مفارقته دفعة مع تمكن محبته من جوهرها فيبقى كمن نقل من معشوقه الى موضع ظلمانى شديد الظلمة الثانى كونها مبلية لاجسامهم وان احبوا تجديدها وابلاؤها بالامراض والهرم ومن شان المؤذى ان يجتنب لا ان يحب اصلاحه ثم اردف ذلك التمثيل فى الكونها فمثلهم بالسفر ومثلها بسبيل هم سالكوه ومن سلك سبيلا فكانهم قد قطعوه فالمشبه هم باعتبار سرعة سيرهم وقرب الاخرة منهم وقطع منازل الاعمار والمشبه به قاطع ذلك السبيل اى من سلك سبيلا اشبه فى سرعة سيره من قطعه ثم لما كان لا بد لكل طريق سلك من غاية يقصد فمن سلك سبيلا فكانهم لم يعوا تلك الغاية اى اشبهوا فى قرب وصولها من بلغها وهو تخويف بالموت وما بعده وتحقير لمدة البقاء فى الدنيا والمقام فيها واكد ذلك بقوله وما عسى المجرى الى الغاية ان يجرى اليها حتى يبلغها اى لجرى وما اليها بسير سريع وفى بعض النسخ وكم عسى المجرى وكم يرجو الذى يجرى الى غاية من الجرى اليها حتى يبلغها وهو استفهام فى معنى التحقير لما يرجو من مدة الجرى وهى مدة الحيوة الدنيا ومفعول المجرى محذوف والمجرى مركوبه ولما لم يكن الغرض الا ذكر الاجراء لا اجرم حذف المفعول وقد يجئ لازما وكذلك قوله وما عسى ان يكون مقام من له يوم لا يعدوه وله قوله يفارقها اى وما يرجى ويؤمل ان يكون من ذلك البقاء وكان هنا تامة وهو فى الموضعين استفهام على سبيل التحقير لما يرجى من البقاء فى الدنيا والانكار على المؤمل الراجى له وعنى بالطالب الحثيث الموت واسند اليه الطلب مجازا واستعار له لفظ الحدو وقد علمت وجه هذه الاستعارة وكنى بذلك الحدو عما يتوهم من سوق اسباب الموت للبدن اليه ثم قوله ولا تنافسوا

قوله الى فناء نهى عن اعتبار شئ من احوالها خيرها وشرها من خيرها عزها وفخرها وزينتها ونعيمها ونهى عن المنافسة فيه والاعجاب به واما ضرائها وشدايدها ونهى عن شرها الجزع منها وعلل وجوب الانتهاء عما نهى عنه بانقطاعه وزواله وما كان من شانه الزوال والانقطاع فمن الواجب ان لا يتنافس فيه ولا يعجب به وان عد نافعا وان لا يجزع من وجوده وان عد ضارا وقوله اوليس لكم فى آثار الماضين الى قوله لا يبقون تذكرة لهم بآثار السابقين لهم والماضين من آبائهم على سبيل استفهامهم عن حصول العبرة لهم بهم استفهام انكار عليهم ان لا يستفيد وامن ذلك عبرة على تقدير انهم عقلاء كما يزعمون ذلك ثم نبههم على وجه الاعتبار والاتعاظ وهو عدم رجوع الماضى منهم وعدم بقاء الباقى فان ذلك محل العبرة ثم نبههم على ما يرون من احوال اهل الدنيا المختلفة ليستدلوا على عدم بقائها باختلاف احوالها وعلى انها لا تصلح قرارا فاهلها بين ميت يبكى وآخر يعزى وآخر صريع مبتلى بالامراض والاسقام وآخر يعوده مشغول الخاطر به وآخر فى المعارفة والاحتضار والسالم من تلك الامور طالب للدنيا والموت من ورائه طالب له غافل عما يراد به وليس الله بغافل عنه ثم لا بد له ان يمضى على اثر من مضى وان طال بقاؤه فى ما يمضى مصدرية واعاد قدم الميت فى اقسام اهل الدنيا لان ذكره اشد موعظة واستعار لفظ الجود للمحتضر ووجه المشابهة انه يسمح بنفسه ويسلمها كما يسلم الجواد ما يعطيه من مال ثم امرهم بذكر الموت ووصفه بلوازمه المنفرة عنه وهى كونه هادما للذات الدنيوية ومنغصا لشهواتها وقاطعا للامنيات فيها وعين لهم وقت ذكره وهو عند وثباتهم الى الاعمال القبيحة ليكون ذكره زاجرا لهم عنها ثم امرهم بالرغبة الى الله فى طلب معونته وجواذب عنايته وجميل لطفه على اداء واجب حقوقه التى كلفنا القيام بها بالمواظبة عليها واداء واجب ما لا يحصى من نعمه بدوام شكرها والاعتراف بها ملاحظين لجلال كبريائه باعتبار كل جزئى منها وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الناشر فى الخلق فضله والباسط فيهم بالجود يده نحمده فى جميع اموره ونستعينه على رعاية حقوقه ونشهد ان لا اله غيره وان محمدا عبده ورسوله ارسله بامره صادعا وبذكره ناطقا فادى امينا ومضى رشيدا وخلف فينا راية الحق من تقدمها مرق ومن تخلف عنها زهق ومن لزمها لحق دليلها مكيث الكلام بطئ القيام سريع اذا قام فاذا انتم النتم له رقابكم واشرتم اليه باصابعكم جاءه الموت فذهب به فلبثتم بعده ما شاء الله حتى يطلع الله لكم من يجمعكم ويضم نشركم فلا تطمعوا فى غير مقبل ولا تياسوا من مدبر فان المدبر عسى ان تزل احدى قائمتيه وتثبت الاخرى فترجعا حتى تثبتا جميعا الا ان مثل آل محمد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء اذا خوى نجم طلع نجم فكانكم قد تكاملت فيكم من الله الصنايع واراكم ما كنتم تاملون اقول مرق خرج من الدين وزهق هلك والمكيث البطئ المتانى وخوى النجم سقط للمغيب والصنيعة النعمة وهذا الفصل يشتمل على اعلامهم بما يكون بعده من امر الائمة وتعليمهم ما ينبغى ان يفعل الناس معهم ويبشرهم بظهور امام من آل محمد عقيب اخر قوم

بتكامل صنايع الله فيهم بما يأملونه من ظهور امام منتظر **قوله** الحمد لله الى قوله حقوق شكره لنعمه باعتبار
امرين احدهما نشره لفضله في خلقه الثاني بسطه فيهم بالجود يده وبيده تجوز مجازا للتعدد عن الجارحة
وهو من باب اطلاق اسم السبب على المسبب وظاهر كون الجود مبدء للنعمة والنشر والبسط وان كانا
حقيقة في الاجسام الا انهما من الاستعارات الشايعة التي قاربت الحقيقة ثم اكد ذلك الحمد بتعميمه باعتبار
كل صادر عنه من رخاء وشدة اذ الشدايد للاحصر من نعمه ايضا فانها اذا قوبلت بصبر جميل استلزمت ثوابا
جزيلا كما قال تعالى وبشر الصابرين الاية وظاهر ان اسباب النعم نعم ونحمده على الحق من تمام طلبه
المعونة على رعاية واجب حقوقه واستعار لفظ الصادع للرسول ووجهها انه شق بامر الله بيضة الشرك
وقلوب المشركين فاخرج ما كان فيها من الكفر والجهل ونطق بذكره ثم فاوده اياه فادى ما امر به امينا
عليه وقبضه الله اليه مرشدا الى حضرة قدسه ومنازل الابرار من ملكته وصادعا وناطقا وامينا ورشيدا
احوال واشار براية الحق التي خلفها رسول الله صلى الله عليه وآله الى كتاب الله وسنته واشار بتقدمها والتخلف
عنها الى الافراط والتفريط من فضيلة الاستقامة عليها اي ان من كان تحتها لاحقا بها فهو على حاق اوسط
من الفضايل ومن يقدمها كان على طرف الافراط قد تعدى في طلب الدين واعلى فيه على جهل فرق منه كما
فعلت الخوارج ومن تخلف عنها كان على طرف التفريط والتقصير فهلك في طرق الضلال والحيرة ولفظ الراية
مستعار ووجه المشابهة كون الكتاب والسنة مقصدين لتابعيهما يهتدى بهما في سبيل الله كما ان الراية
كذلك واشار بدليلها الى نفسه استعارة ووجهها ان الامام مظهر ومبين لاحكام الكتاب والسنة وما
منهما للسالكين الى الله كما يرفع الراية حاملها لتابعيه ليقتدوا به ثم اشار الى صفات ذلك الدليل وكنى
بقوله مكيث الكلام عن توقيره وتثبته في اقواله وما يشير به عليكم وبقوله بطيء القيام عن تأنيه في حركته في
وجوه المصالح الى حين استثبات الرأي الاصلح ووجه المصلحة وبقوله سريع اذا قام عن نهضته الى وجوه المصالح
وانتهاز الفرص ثم اخذ يذكرهم بموته وكنى بقوله النتم له رقابكم عن خضوعهم لطاعته وانقيادهم لامره وبقوله
واشرتم اليه بالاصابع عن اشتهاره فيهم وتعيينه وتعظيمهم له واشار الى انه اذا تم الاسلام به توفي وبقوله
بقوله فلبثتم بعده ما شاء الله الى انهم يخلون عن امام يجمعهم مدة والاشارة الى مدة بني امية وبقوله حتى
يطلع الله لكم الى قوله تشركم على انه لا بد لهم بعد تلك المدة من يجمعهم ويطلع عن ظهوره وتعيينه للرياسة
بعد اختفاء فقيل هو الامام المنتظر وقيل هو قائم بني العباس بعد انقضاء دولة بني امية وقوله فلا تطمعوا
في غير مقبل اي من لم يقبل على طلب هذا الامر ممن هو اهله ومتعين له واثر تركا الى الخلوة بالله فلا تطمعوا
فيه فان له بالله شغلا عن كل شيء وقيل المراد بغير المقبل من انحرف عن الدين بارتكاب منكر فانه لا يجوز الطمع
فان يكون اميرا لكم ودوي فلا تطمعوا في غير مقبل اي من اقبل عليكم من اهل البيت طالبا لهذا الامر وهو
اهل له فكونوا معه وكنى بالطعن في عينه عن دفعه عما يريد **قوله** ولا تيأسوا من مدبر الى قوله فتثبتا جميعا

اراد

اراد من ادبر عن طلب هذا الامر ممن هو اهل لها فلا ينبغي ان يحصل الاياس من عوده واقباله على الطلب فانه
انما ادبر عن ذلك لاختلال بعض الشرايط التي يتعين عليه معها القيام وكنى عن اختلال بعض احواله من قلة
ناصر ونحوه بزوال احدى قايمتيه وثبات الاخرى عن وجود بعض الشرايط كثبات اهليته للطلب وبعض
انصاره معه وبقوله مرجعا حتى تثبتا عن تكامل شرايط قيامه ولا تنافي النهي عن الاياس ههنا النهي عن الطمع
في غير المقبل لجواز ان ينهى عن الطمع فيه حال اعراضه وادباره عن الطلب لاختلال بعض شرايطه والنهي عن
الاياس منه لجواز حصول شرايط القيام فيرونه كاملها **وقوله** الا ان مثل آل محمد صلى الله عليه وآله الى قوله
طلع نجم تعيين للائمة من آل محمد قالت الامامية هم الاثنا عشر من اهل البيت وشبههم بالنجوم ووجه الشبه
امران احدهما انهم يستضاء بانوار هديهم في سبيل الله كما يستضيء السار بالنجوم في سفره ويهتدى بها الثاني
ما اشار اليه بقوله كلما خوى نجم وهو كناية عن كونهم كلما اخلا منهم سيد قام سيد والا ما خير بتبدلون بهذا
الكلام منه عليه السلام على انه لا يخلو زمان من وجود امام من اهل البيت يهتدى في سبيل الله اليه وقوله
فكانكم لكم الحرج اشارة الى نشر الله عليهم بظهور الامام المنتظر واصلاح احوالهم بوجوده ووجدت له عليه السلام
في اثناء بعض خطبه في اقتصاص ما يكون بعده فصلا يجري مجرى الشرح لهذا الوعد وهو ان قال يا قوم هذا اوان
طلايع ان الذي يستقبل فيا انتم من امر جاهليتكم ليس بدون ما استقبل الرسول من امر جاهليتكم وذلك
ان الامة كلها يومئذ جاهلية الا من رحم الله فلا تعجلوا فيعجل الخرق بكم واعلموا ان الرفق يمن وفي الاناة
بقاء وراحة والامام اعلم بما ينكر ولعمري لينزعن عنكم قضاة السوء وليقبضن عنكم المراضين وليعزلن عنكم
امراء الجور وليطهرن الارض من كل غاش وليعملن فيكم بالعدل وليقومن فيكم بالقسطاس المستقيم وليتمنين
احياؤكم لاموتاكم رجعة الكرة عما قليل فيعيشوا اذن فان ذلك كائن فلله انتم باحلامكم كفوا السنتكم و
كونوا من وراء معايشكم فان الحرمان سيصل اليكم وان صبرتم واحتسبتم واستيقنتم انه طالب وتركم ومدرك
ثاركم واخذ بحقكم واقسم بالله قسما حقا ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون **ومن خطبة له عليه السلام**
تشتمل على ذكر الملاحم الاول قبل كل اول والآخر بعد كل آخر باوليته وجب ان لا اول له وباخريته وجب ان لا
آخر له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يوافق فيها السر الاعلان والقلب اللسان ايها
الناس لا يجرمنكم شقاقي ولا يستهوينكم عصياني ولا تتراموا بالابصار عند ما تسمعونه مني فوالذي فلق الحبة
وبرأ النسمة ان الذي انبئكم به عن النبي صلى الله عليه وآله ما كذب المبلغ ولا جهل السامع لكاني انظر الى ضليل
قد نعق بالشام وفحص براياته في ضواحي كوفان فاذا فغرت فاغرته واشتدت شكيمته وثقلت في الارض
وطأته عضت الفتنة ابناءها بانيابها وماجت الحرب بامواجها وبدا من الايام كلوحها ومن الليالي كدوحها
فاذا اينع زرعه وقام على ينعه وهدرت شقاشقه وبرقت بوارقه عقدت رايات الفتن المعضلة واقبلن
كالليل المظلم والبحر الملتطم هذا وكم يخرق الكوفة من قاصف ويمر عليها من عاصف وعن قليل تلتف القرون

طلع نجم

بالقرون ويحصد القائم ويحطم المحصود **اقول** يجرمنكم يحق عليكم واستهواه امالة والضليل الكثير الضلال
ونعق صاح وفحص الطاير الارض برجله بحثها والضواحي النواحي البارزة وكوفان اسم للكوفة وفغر فوه
انفتح وفلان شديد الشكيمة اذا كان قوي النفس ابيا والكلوح تكشر في عبوس والكدح فوق الخدش واينع
الزرع نضج والحطم الدق ومضمون هذا الفصل بعد توحيد الله تحذير السامعين عن عصيانه وعن التغافل
بتكذيبه فيما بينهم فيما كان يخبرهم به من الامور المستقبلة **فقوله** الاول والآخر قد مضى تفسيرهما **وقوله**
باوليته وجب ان لا اول له لما اراد باوليته كونه مبدأ لكل شيء وباخريته كونه غاية ينتهي اليها كل شيء في جميع
احواله كان بذلك الاعتبار يجب ان لا يكون له اول هو مبدؤه ولا آخر يقف عنده وينتهي ووصف شهادته
بانها التي يوافق السر الاعلان والقلب اللسان كناية عن خلوصها عن شايبة النفاق والجحود بالله ثم ايها
الناس وحذرهم من شقاقه وعصيانه وتكذيبه فيما يقول وهو تقريع لمن ضعفت عين بصيرته عن ادراك
فضله وامكان الاخبار عما سيكون من مثله ثم استدرك ان ما يخبر به من ذلك وما الخبر به عن النبي صلى الله
عليه وآله وتنزيهه ليكون ذلك شهادة لصدقه وكذلك تنزيهه صلى الله عليه وآله وتنزيه السامع يعني
نفسه من الكذب فيما بلغ عن ربه وفيما سمع هو منه وقد بينا كيفية الاطلاع لهذه العلوم منه في المقدمة
وقوله لكاني انظر الى ضليل قد نعق بالشام من جملة اخباراته عما سيكون والضليل قيل اشارة الى
السفياني الدجال وقيل انه اشارة الى معوية فان مبدأ ملكه بالشام ودعوته بها واشهب غاراته الى نواحي
الكوفة والى الانبار في حياته عليه السلام كما عرفت ذلك من قبل وكنى بفحصه براياته على ضواحي الكوفة
ونواحيها كناية بالاستعارة ايضا ملاحظة لشبهه بالقطاة المتخذة مفحصا وكذلك فغر فاغرته كناية عن اقتحامه
الناس كناية بالاستعارة ايضا ملاحظة لشبهه بالاسد في اقتحام فريسته واشتداد شكيمته كناية عن قوة بأسه
وشدة باسه ولما كان الفرس الجموح قوي الراس يحتاج الى قوة الشكيمة وشدتها وكذلك ثقل وطأته
كناية عن شدة باسه في الارض وعلى الناس والاشبه انه اشارة الى عبد الملك وقد عرفت احواله وثقل
وطأته في الارض فيما سبق واستعار لفظ العض للفتنة ووجه المشابهة ما يستلزمه من الشدة والالم و
رشح تلك الاستعارة بذكر الانياب وابناء الفتنة اهلها وكذلك استعار لفظ الموج للحرب وكنى به عن
الاختلاط الواقع فيها من القتل والاهوال وللايام لفظ الكلوح وكنى به عن شدة ما يلقى فيها من الشر كما
يلقى من العبس المكشر وكذلك لفظ الكدوح استعارة لما يلقى فيها من المصايب لشبهها بها ولفظ الزرع
استعارة لاحواله ولفظ الايناع كناية عن بلوغه غاية فعاله ولفظ الشقاشق والبروق استعارة لحركاته
الهائلة واقواله المخوفة تشبيها بالسحاب ذي الشقاشق والبروق **وقوله** عقدت رايات الفتن المعضلة
اي ان هذه الفتنة اذا قامت ثارت فتن كثيرة بعدها يكون فيها الهرج والمرج وشبه تلك الفتن في اقبالها
بالليل المظلم ووجه المشابهة كونها لا يهتدى فيها الحق كما لا يهتدى في ظلمة الليل لما يراد وبالبحر الملتطم

في عظمها

في عظمها وخلطها الخلق بعضهم ببعض وانقلاب قوم على قوم بالمحق لهم والهلاك كما يلتطم بعض امواج البحر
ببعض ثم اشار الى ما يلحق الكوفة بسبب تلك الفتنة بعدها من الوقايع والفتن وقد وقع فيها وفي احيائها
وقايع جمة وفتن كثيرة كفتنة الحجاج والمختار بن ابي عبيدة وغيرهما واستعار لفظي القاصف والعاصف من الريح
لما يمر بها من ذلك ويجري على اهلها من الشدايد **وقوله** وعن قليل تلتف القرون بالقرون الى آخره اي عن
قليل يلحق قرن من الناس بقرن وكنى بالتفاف بعضهم ببعض عن اجتماعهم في بطن الارض واستعار لهم لفظ الحصد
والحطم ملاحظة لشبههم بالزرع يحصد قائمه ويحطم محصوده فكنى بحصدهم عن موتهم او قتلهم وبحطم
محصودهم عن فنائهم وتفرق اوصالهم في التراب واعلم انه ليس في اللفظ دلالة قاطعة على ان المراد بالضليل
المذكور معوية بل يحتمل ان يريد به شخصا آخر يظهر فيما بعد بالشام كما قيل انه السفياني الدجال وان كان
الاحتمال الاول اغلب على الظن وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** تجري هذا المجرى وذلك يوم يجمع الله
فيه الاولين والآخرين لنقاش الحساب وجزاء الاعمال خضوعا قياما قد الجمهم العرق ورجفت بهم الارض فاحسنهم
حالا من وجد لقدميه موضعا ولنفسه متسعا **اقول** اشار باليوم الى يوم القيمة ونقاش الحساب التحقيق
والتدقيق فيه وقد عرفت كيفية ذلك اليوم فيما سبق ونحوه قوله تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا
اعمالهم الاية وخضوعا كقوله تعالى خشعا ابصارهم وقياما كقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وهما
كناية عن كمال ما بهم من حولهم وقوتهم اذ ذاك ويقينهم ان لا سلطان الا سلطانه والجمهم العرق بلغ منهم مبلغ
اللجام وهو كناية عن بلوغهم الغاية من الجهد اذ كانت غاية التاعب ان يكثر عرقه **وقوله** ورجفت بهم الارض
كقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا قال بعضهم المراد بالارض
الراجفة والمرتجفة ارض القلوب عن نزول خشية الله عليها وشدة اهوال يوم القيمة وقال الآخرون ان ذلك
صرف الكلام عن ظاهره من غير ضرورة فلا يجوز اذ كل ما اخبر الصادق عنه من جزئيات احوال القيمة امور ممكنة
والقدرة الالهية وافية بها فاحسنهم حالا من وجد لقدميه موضعا ولنفسه متسعا قيل المراد به من وجدت
قدما عقله موضعا من معرفة الله سبحانه وعبادته ومن وجد لنفسه متسعا في حظاير قدس الله وسعة
رحمته وظاهر ان اولئك احسن الخلق حالا يوم القيمة وحمله على ظاهره موافقة لظاهر الشريعة ممكن **منها**
فتن كقطع الليل المظلم لا تقوم لها قائمة ولا ترد لها راية تأتيكم مزمومة مرحولة يحفزها قائدها ويجهدها
راكبها اهلها قوم شديد كلبهم قليل سلبهم يجاهدهم في الله قوم اذلة عند المتكبرين في الارض مجهولون
وفي السماء معروفون فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نقم الله لا رهج له ولا حس وسيبتلى اهلك بالموت
الاحمر والجوع الاغبر **اقول** يحفزها يدفعها من خلف والكلب الشر والاذلة جمع ذليل والرهج الغبار والحس
الصوت الخفي وقد نبه في هذا الفصل على ما سيقع بعده من الفتن ويخص فيها فتنة صاحب الزنج بالبصرة
وشبه تلك الفتن بقطع الليل المظلم ووجه الشبه ظاهر ولا تقوم لها قائمة اي لا يمكن مقابلتها بايقاف

وقوله

وبدفعها ما تمالك لكون الفائمة فى مقابلة الفتنة وقيل ولا يثبت لها فائمة وترس واستعار لفظ الزمام
والرحل والمحضر والقايد والراكب وجهد لها ملاحظة لشبهها بالناقة وكنى بالزمام والرحل عن تمام
اعداد الفتنة وتعبيتها كما ان كمال الناقة للركوب ان يكون مزموما مرحولة وبقايدها عن اعوانها و
راكبها عن منشئها المتبوع فيها ويجهزها وجهدها عن سرعتهم فيها واهلها اشارة الى الزنج وظاهر شدة كلبهم
وقلة سلبهم اذ لم يكونوا اصحاب حرب وعدة وخيل كما يعرف ذلك من قصتهم المشهورة وكما سنذكر طرفا منها
فيما يستقبل من كلامه فى فصل آخر وقد وصف مقاتليهم فى الله بكونهم اذلة عند المتكبرين وكونهم مجهولين
فى الارض اى ليسوا من ابناء الدنيا المشهورين بتبعها وكونهم معروفين فى السماء هو اشارة الى كونهم
من اهل العلم والايمان يعرفهم ربهم بطاعته ويعرفهم ملائكته بعبادة ربهم ثم اردف ذلك باخبار البصرة
مخاطبا لها والخطاب لاهلها بما سيقع بها من فتنة الزنج وظاهر انه لم يكن لهم غبار ولا اصوات اذ لم يكونوا
اهل خيل ولا قعقعة لجم وانه لا رهج لهم ولا حس وظاهر كونهم من نقم الله للعصاة وان عمت الفتنة اذ
قلما تختص العقوبة النازلة بقوم بعضهم كما قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة **وقوله**
وسيبتلى اهلك بالموت الاحمر والجوع الاغبر قيل فالموت الاحمر اشارة الى قتلهم بالسيف من قبل الزنج و
من قبل غيرهم ووصفه بالحمرة كناية عن شدته وذلك ان اشد الموت ما كان بسفك الدم وقول على
عليه السلام بهلاكهم من قبل الغرق كما حكيته عنه وهو ايضا فى غاية الشدة لا استلزامه زهوق الروح وكذلك
وصفه الاغبر لان اشد الجوع ما اغبر معه الوجه وغير الصفرة الصافية لقلة مادة الغذاء وورد فى الحديث فلذلك
سمى اغبر وقيل لانه يلصق بالغبراء وهى الارض وقد اشار عليه السلام الى هذه الفتنة فى فصل من خطبة
خطب بها عند فراغه من حرب البصرة وفتحها وهى خطبة طويلة نحكيها فيها فصولا يتعلق بالملاحم من ذلك
فصل يتضمن حال الغرق فى البصرة عند فراغه عليه السلام من ذلك الفصل قام اليه الاحنف بن قيس فقال له يا
امير المؤمنين ومتى يكون ذلك قال يا ابا بحر انك لن تدرك ذلك الزمان وان بينك وبينه لقرونا ولكن
ليبلغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكى يبلغوا اخوانهم اذا هم رأوا البصرة قد تحولت اخصاصها دورا واجامها
قصورا فالهرب الهرب فانه لا بصيرة لكم يومئذ ثم التفت عن يمينه فقال كم بينكم وبين الابلة فقال له
المنذر بن الجارود فداك ابى وامى اربعة فراسخ قال له صدقت فوالذى بعث محمدا واكرمه بالنبوة وخصه
بالرسالة وعجل بروحه الى الجنة لقد سمعت منه كما تسمعون منى ان قال يا على هل علمت ان بين التى تسمى
البصرة والتى تسمى الابلة اربعة فراسخ وقد يكون فى التى تسمى الابلة موضع اصحاب العشور يقتل فى ذلك
الموضع من امتى سبعون الفا شهيدهم يومئذ بمنزلة شهداء بدر فقال له المنذر يا امير المؤمنين ومن يقتلهم
فداك ابى وامى قال يقتلهم اخوان الجن وهم جيل كانهم الشياطين سود الوانهم منتنة ارواحهم شديد
كلبهم قليل سلبهم طوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه ينفر لجهادهم فى ذلك الزمان قوم هم اذلة عند المتكبرين

من اهل ذلك الزمان مجهولون فى الارض معروفون فى السماء تبكى السماء عليهم وسكانها والارض وسكانها
ثم هملت عيناه بالبكاء ثم قال ويحك يا بصرة ويلك يا بصرة من جيش لا رهج له ولا حس قال له المنذر يا امير
المؤمنين وما الذى يصيبهم من قبل الغرق مما ذكرت وما الويح قال هما بابان فالويح باب الرحمة والويل
باب عذاب يا ابن الجارود نعم ثارات عظيمة منها عصبة يقتل بعضها بعضا ومنها فتنة تكون بها اخراب
منازل وخراب ديار وانتهاك اموال وقتل رجال وسبى نساء يذبحن ذبحا يا ويل امرهن حديث عجيب منها
ان يستحل بها الدجال الاكبر الاعور الممسوح العين اليمنى والاخرى كانها ممزوجة بالدم لكانها فى الحمرة علقة
ناتئ الحدقة كهيئة حبة العنب الطافية على الماء فيتبعه من اهلها عدة من قتل بالابلة من الشهداء اناجيلهم
فى صدورهم يقتل من يقتل ويهرب من يهرب ثم رجف ثم قذف ثم خسف ثم مسخ ثم الجوع الاغبر ثم الموت
الاحمر وهو الغرق يا منذر ان للبصرة ثلثة اسماء سوى البصرة فى الزبر الاول لا يعلمها الا العلماء منها الخريبة
ومنها تدمر ومنها المؤتفكة يا منذر والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لو شئت لاخبرتكم بخراب العرصات عرصة
عرصة متى تخرب ومتى تعمر بعد خرابها الى يوم القيمة وان عندى من ذلك علما جما وان تسألونى تجدونى
به عالما لا اخطى منه علما ولا وافيا ولقد استودعت علم القرون الاولى وما هو كائن الى يوم القيمة قال
فقام اليه رجل فقال يا امير المؤمنين اخبرنى من اهل الجماعة ومن اهل الفرقة ومن اهل السنة ومن اهل
البدعة فقال ويحك اذا سألتنى فافهم عنى ولا عليك ان لا تسأل احدا بعدى اما اهل الجماعة فانا
ومن اتبعنى وان قلوا وذلك الحق عن امر الله وامر رسوله واما اهل الفرقة فالمخالفون لى ولمن اتبعنى
ان كثروا واما اهل السنة فالمتمسكون بما سنه الله ورسوله لا العاملون برأيهم واهوائهم وان كثروا
وقد مضى الفوج الاول وبقيت افواج وعلى الله قصمها واستيصالها عن جديد الارض وبالله التوفيق
ومن خطبة له عليه السلام ايها الناس انظروا الى الدنيا نظر الزاهدين فيها الصادفين عنها فانها والله
عما قليل تزيل الثاوى الساكن وتفجع المترف الآمن لا يرجع ما تولى منها فادبر ولا يدرى ما هو آت منها
فينتظر سرورها مشوب بالحزن وجلد الرجال فيها منسوب الى الضعف والوهن فلا يغرنكم كثرة ما يعجبكم
فيها لقلة ما يصحبكم منها رحم الله امرأ تفكر فاعتبر واعتبر فابصر فكان ما هو كائن من الدنيا عن قليل
لم يكن وكان ما هو كائن من الآخرة عما قليل لم يزل وكل معدود منقض وكل متوقع آت وكل آت قريب دان
اقول صدف اعرض وثوى بالمكان اقام به والفجيعة والجلد القوة وحاصل الفصل تزهيد فى
الدنيا والتحذير منها فامرهم ان ينظروا اليها نظر الزاهدين فيها المعرضين عنها امر لهم بتركها والتفاتا
الا بمقدار الضرورة اليها لغو من سر الصورة ثم اراد فى ذكر معايبها المنفرة فالاول انها المقيم بها
المطمئن اليها عما قليل يسرها الثانى تفجيعها المترف المتنعم بها الذى خدعته بامانيها حتى امن فيها
بسلب ما ركن اليه وامن عليه الثالث كونها لا يرجع ما تولى منها فادبر من شباب وصحة ومال ثم

ويحوه الرابع كونها لا يدرى ما هو آت من مصايبها فينتظر ويحترز منه الخامس شوب سرورها بالحزن اذ
كان سرورها لا يعدم فى كل اوان فوت مطلوب او فقد محبوب السادس نسبة قوة اهلها وجلدهم الى
الضعف كما قال الله ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة ويقد سعد بعض الصالحين فى الدنيا فقال عيش مشوب
بسقم متساق الى هرم مختوم بعدم مستعقب بندم هل يجوز الشاق فيه ثم نهى عن الاغترار بكثرة ما يعجبهم
منها وعلل حسن ذلك الانتهاء بقلة ما يصحبهم فيها فات المنا فينبغى ان يكون باقيا للانسان حيث كان
كان واشار بقليل ما يصحبهم منها الى الكفن ونحوه ثم دعا الى التفكر فافاده فكرة عبرة اى انتقال ذهن الى
ما هو الحق من وجوب ترك الدنيا والعمل للآخرة فافادة ذلك الانتقال ادراكا للحق ومشاهدة ببصرة
البصيرة له ثم اراد فى تشبيه وجود متاع الدنيا الحاضر بعدمه تنبيها على سرعة لحوق عدمه لوجوده فكان
وجوده شبيه بان لم يكن لسرعة زواله وكذلك تشبيه عدم الآخرة الآن وما يلحق فيها من الثواب والعقاب
بوجودها العائد اى كانها لسرعة وجودها ولحوقها لم تزل موجودة ونبه بقوله وكل معدود منقض على
انقضاء مدد الاعمار لكونها معدودة الايام والساعات والانفاس **وقوله** وكل متوقع آت وكل آت
قريب دان فى صورة الضرب الاول من الشكل الاول ونتيجته فكل متوقع قريب دان والاشارة به الى
الموت وما بعده **منها** العالم من عرف قدره وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره وان من ابغض الرجال
الى الله لعبدا وكله الله الى نفسه جائرا عن قصد السبيل سائرا بغير دليل ان دعى الى حرث الدنيا عمل وان دعى
الى حرث الآخرة كسل كان ما عمل له واجب عليه وكان ما ونى فيه ساقط عنه **اقول** حصر العالم فيمن عرف
قدره واراد بقدره مقداره من ملك الله ومحله من الوجود ولما كان عرفانه بذلك مستلزما المعرفة بنسبته
الى مخلوقات الله فى العالمين وانه اى شئ هو منها ولاى شئ وجد لاجرم كان هو العالم اللازم لحده
لما امر به من المتقدى بطوره المرسوم له فى كتاب ربه وسنن انبيائه **وقوله** وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف
قدره لما كان العالم مستلزما المعرفة القدر كان معرفة علم القدر مستلزما لعدم العلم وهو الجهل لان
نقيض اللازم يستلزم نقيض الملزوم **وقوله** وكفى بذلك الجهل اشارة الى قوته واستلزامه للعذاب
وقوله وان من ابغض الرجال الى الله تعالى الى قوله قصد السبيل قد سبق بيانه **وقوله** سائرا بغير دليل
كنى بالدليل عن ائمة الهدى والمرشدين الى الله تعالى ويدخل فى ذلك الكتاب والسنة فان من سار فى
معاملة الله اولعباده بغير دليل منهما كان من الهالكين **وقوله** ان دعى الى حرث استعار لفظ الحرث
لاعمال الدنيا واعمال الآخرة ووجه المشابهة كونها مستلزمة للمكاسب الاخروية والدنيوية كما ان الحرث
كذلك ثم شبه ما عمل له من حرث الدنيا بالواجب عليه فى مبادرته اليه ومواظبته عليه وشبه ما قطع عنه
من حرث الآخرة بالساقط عنه فرضه فى تكاسله وقعوده عنه مع ان الامر فيه ينبغى ان يكون بالعكس
وبالله التوفيق **منها** وذلك زمان لا ينجو منه الا كل مؤمن نومة ان شهد لم يعرف وان غاب لم يفتقد

اولئك مصابيح الهدى واعلام السرى ليسوا بالمساييح ولا المذاييع البذر اولئك يفتح الله لهم ابواب رحمته
ويكشف عنهم ضراء نقمته ايها الناس سيأتى عليكم زمان يكفأ فيه الاسلام كما يكفأ الاناء بما فيه ايها الناس
ان الله قد اعاذكم من ان يجور عليكم ولم يعذكم من ان يبتليكم وقد قال جل من قائل ان فى ذلك لآيات
وان كنا لمبتلين قال السيد اما قوله عليه السلام كل مؤمن نومة فانما اراد به الخامل الذكر قليل الشر
والمساييح جمع مسياح وهو الذى يسيح بين الناس بالفساد والنمائم والمذاييع جمع مذياع وهو الذى اذا
سمع لغيره بفاحشة اذاعها ونوه بها والبذر جمع بذور وهو الذى يكثر سفهه ويلغو منطقه **اقول** النومة
كثير النوم ودوى نومة تكون الميم وهو الضعيف وكفأت الاناء قلبته لوجهه وكنى بالنومة عن خامل
الذكر بين الناس المشتغل بربه عنهم كما فسره عليه السلام بقوله ان شهد لم يعرف وان غاب لم يفتقد واشار
باولئك الى كل مؤمن كذلك واستعار لهم لفظ المصابيح والاعلام لكونهم اسباب الهداية فى سبيل الله
وقد سبق ذلك وقوله ليسوا بالمساييح الى قوله ضراء نقمته ظاهر وقد فسر السيد رضى الله عنه مشكله
وقوله ايها الناس الى قوله الاناء بما فيه ووجه الشبه خروج الاسلام عن كونه منتفعا به معتد تركهم للعمل
به كما يخرج ما فى الاناء الذى كب عن الانتفاع واحسن بهذا التشبيه فان الزمان للاسلام كالاناء
للماء واشار الى ان ذلك ليس بظلم بقوله ان الله قد اعاذكم من ان يجور عليكم فى قوله تعالى وما ربك
بظلام للعبيد ان ذلك ابتلاء منه يبتلى به عباده كما قال تعالى ان فى ذلك لآيات وان كنا لمبتلين فمن
صبر فنفعه صبره ومن كفر فعليه كفره وقد عرفت معنى ابتلاء الله لخلقه وفائدته فلا وجه لاعادته وبالله
التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** وقد تقدم مختارها بخلاف هذه الرواية اما بعد فان الله سبحانه
بعث محمدا صلى الله عليه وآله وليس احد من العرب يقرأ كتابا ولا يدعى نبوة ولا وحيا فقاتل بمن اطاعه
من عصاه يسوقهم الى منجاتهم ويبادر بهم الساعة ان تنزل بهم يحسر الحسير ويقف الكسير فيقيم عليه
حتى يلحقه غايته الا هالكا لا خير فيه حتى اراهم منجاتهم وبوأهم محلتهم فاستدارت رحاهم واستقامت
قناتهم وايم الله لقد كنت من ساقتها حتى تولت بحذافيرها واستوسقت فى قيادها ما ضعفت ولا جبنت
ولا خنت ولا وهنت وايم الله لابقرن الباطل حتى اخرج الحق من خاصرته **اقول** لنشرح ما انفرد
هذه الرواية به من الزيادة على الفصل المتقدم فالحسير الذى اعيا فى طريقه والرحا قطعة من الارض
تستدير وترتفع على ما حولها واستوسقت اجتمعت وانتظمت وجنبت جبنت **وقوله** فقاتل بمن اطاعه
من عصاه معناه ظاهر **وقوله** ويبادر بهم الساعة ان تنزل بهم اى يسارع الى هديهم وتسليكهم
لسبيل الله كيلا تنزل بهم الساعة على عمى منهم عن صراط الله فيقعوا فى مهاوى الهلاك **وقوله** يحسر
الحسير ويقف الكسير الى قوله لا خير فيه اشارة الى وصفه عليه السلام بالشفقة على الخلق فى اسفاره
معه فى الغزوات ونحوها اى انه كان يسير فى آخرهم ويتفقد المنقطع منهم عن اعياء او انكسار مركوب فلا

يزال يلطف به حتى يلمه اصحابه الا ما لا يمكن ايصاله ولا يرجى قال بعض الناسكين كنى بالحسير الكسير عمن عجز ووقف قدم عقله فى الطريق الى الله لضعف فى عين بصيرته واعوجاج فى آرائه وادراكه وبقيامه عليه حتى يلحقه الى غايته عن اخذه لربوجوه الحيل والجواذب الى الدين حتى يوصله الى ما يمكن من لعقبه المرضية والاعمال الزكية التى هى الغاية من طريق الشريعة المطلوب سلوكها وقوله الا هالكا لا خير اراد به من كان مايوسا من رشده لعلمه بانه نفو غير ممكن كابى لهب وابى جهل ونحوهما وقوله فاستدار نحام استعار لهم لفظ الرحا لاجتماعهم وارتفاعهم على غيرهم كما ترتفع القطعة من الارض عن القطعة ونحوه وقوله واستوسقت فى قيادها اشارة الى طاعة من اطاع من العرب وانقيادهم للاسلام واستعار لفظ الاستواق والقياد ملاحظة لتشبيههم بالابل المجتمعة لسائقها والمنقادة فى قيادها واستعار لفظ الخاصرة للباطل ورشح تلك الاستعارة بذكر البقر ملاحظة لشبهه بالحيوان المبتلع ما هو اعز قيمة منه كنى به عن تميز الحق منه وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم شهيدا وبشيرا ونذيرا خير البرية طفلا وانجبها كهلا اطهر المطهرين شيمة واجود المستمطرين ديمة فما احلولت لكم الدنيا فى لذتها ولا تمكنتم من رضاع اخلافها الا من بعد ما صادفتموها جائلا خطامها قلقا وضينها قد صار حرامها عند اقوام بمنزلة السدر المخضود وحلالها بعيدا غير موجود وصادفتموها والله ظلا ممدودا الى اجل معدود فالارض لكم شاغرة وايديكم فيها مبسوطة وايدى القادة عنكم مكفوفة وسيوفكم عليهم مسلطة وسيوفهم عنكم مقبوضة الا ان لكل دم ثائرا ولكل حق طالبا وان الثائر فى دمائنا كالحاكم فى حق نفسه وهو الله الذى لا يعجزه من طلب ولا يفوته من هرب فاقسم بالله يا بنى امية عما قليل لتعرفنها فى ايدى غيركم وفى دار عدوكم الا ان ابصر الابصار ما نفذ فى الخير طرفه الا ان اسمع الاسماع ما وعى التذكير وقبله ايها الناس استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متعظ وامتاحوا من صفو عين قد روقت من الكدر عباد الله لا تركنوا الى جهالتكم ولا تنقادوا الى اهوائكم فان النازل بهذا المنزل نازل بشفا جرف هار ينقل الردى على ظهره من موضع لراى يحدثه بعد راى يريد ان يلصق ما لا يلتصق ويقرب ما لا يتقارب فالله الله ان تشكوا الى من لا يشكى شجوكم ولا ينقض برايه ما قد ابرم لكم انه ليس على الامام الا ما حمل من امر ربه الابلاغ فى الموعظة والاجتهاد فى النصيحة والاحياء للسنة واقامة الحدود على مستحقيها واصدار السهمان على اهلها فبادروا العلم من قبل تصويح نبته ومن قبل ان تشغلوا بانفسكم عن مستثار العلم من عند اهله وانهوا غيركم عن المنكر وتناهوا عنه فانما امرتم بالنهى بعد التناهى اقول الشيمة الخلق واحلولى حلا والخلف حلمة ضرع الناقة والوضين حزام الهودج والمخضود الذى لا شوك فيه والماتح الجاذب للدلو من البئر وشغر الكلب رفع احدى رجليه ليبول والترويق التصفية والجرف المكان ياكله السيل وهار اصله هائر وهو المنهدم نقلت

من الثلاثى الى الرباعى كشائك وشاكى والشجو الهم والحزن وصوح النبت يبس وقوله حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله الى قوله من بعد ما فخار به صلى الله عليه وآله ومدح له بالقوة فى الدين وتوبيخ لجمع الدنيا وبخبها بعد وهو غاية الفصل السابق كانه ذكر فيه ما كانوا عليه من سوء الحال والشقاء والفقر ومن عليهم بذكر هذه الغاية المنة لتلك الاحوال ووصفه باوصاف وقوله كونه شهيدا اى على الخلق باعمالهم يوم القيمة كما قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقد عرفت كيفية هذه الشهادة وقوله وبشيرا للخلق بما اعد لهم من الثواب العظيم وقوله ونذيرا لهم بما اعد للعصاة من العذاب الاليم وينتظم هذه الاوصاف قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا والثلثة احوال وقوله خير البرية طفلا ولما علمت ان الفضيلة انما هى بالاعمال الصالحة والتشديد لسلوك سبيل الله وكان هو صلى الله عليه وآله منذ صباه وطفوليته افضل الخلق فى لزوم ذلك القدم لا جرم كان خير الناس طفلا وقوله وانجبها كهلا ولما كانت النجابة مستلزمة لكرم الخصال والتقاط الفضايل وتتبعها وكان هو صلى الله عليه وآله فى كهوليته ودعوته منبع كل فضيلة لا جرم كان انجبهم كهلا وطفلا وكهلا منصوبان على الحال اليمن وقوله كونه اطهر المطهرين شيمة ولما كان عليه السلام متمم مكارم الاخلاق الطاهرة وكل خلق عدل فمنه مكتسب لا جرم كان اطهر الشيمة واكرم الخلق وقوله اجود المستمطرين ديمة استعار له وصف السحاب المرجو منه نول الديمة وهى المطر الدائم الذى لا رعد فيه ولا برق ورشح بلفظ الديمة وكنى بذلك عن غاية جوده وكرمه وقد كان صلى الله عليه وآله اذا امسى ولم يجد فى بيته شيئا من فضة او ذهب لا تصدق به ولم يبت فى بيته منه شيء وشيمة وديمة تمييزان وقوله فما احلولت الدنيا فى لذاتها الى قوله مربعدها الخطاب لبنى امية ونحوهم وهو تبكيت لهم بتطعمهم لذة الدنيا وانهم بها وتمكنهم منها بعد الرسول صلى الله عليه وآله وتذكير لهم بما لعنتهم تشبيه فى ذلك واستعار لفظ الاخلاف وكنى به عن وجوه مكاسب الدنيا ولذاتها ورشح تلك الاستعارة بذكر الرضاع وكنى به عن تناولهم لها ملاحظة لتشبيهها بالناقة وقوله وصادفتموها الى قوله غير موجود استعار لها لفظ الخطام والوضين ورشحهما بالقلق والجولان وكنى بذلك عن مصادفتهم للدنيا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله غير منظومة الحال ولا مضبوطة على ما ينبغى لضعف ولاتها عن اصلاح حالها كما ان الناقة قلقة الحزام وجائلة الخطام غير منظومة الالة ولا مضبوطة الحال التى هى بعرض ان تمشى وتتصرف على غير استقامة فتهلك راكبها ثم ذكر رذيلة القوم فشبه حرامها بالسدر المخضود معهم ووجه الشبه ان نواهى الله ووعيداته على فعل المحرمات تجرى مجرى الشوك للسدر فى كونها مانعة منه كما يمنع شوك السدر جانبه من تناول ثمرته ولما كان بعض الامة قد طرح اعباء النواهى والوعيد جانبا عن نفسه وفعل المحرم عليه جرى ذلك عنده مجرى تناوله للسدر الخالى عن الشوك فى سهولة التناول ولم واقدامه عليه ثم كون حلالها بعيدا غير موجود اى بين اولئك المشار اليهم وجائلا وقلقا حالان وقوله صادفتموها والله الى قوله معدود استعار لفظ الظل لها ورشح بالممدود وكنى بذلك عن زوالها

بعد حين تهديدا لهم به ثم استعار لفظ الشاغرة للارض وكنى به عن خلوها لهم تقال بقى الامر الفلانى شاغرا برجله اذا لم يكن له طالب ولا حام يحميه وكنى ببسط ايديهم فيها عن قدرتهم على التصرف واراد بالقادة الخلفاء وبسلاطة سيوفهم على القادة جراتهم وحكمهم عليهم وبقبض سيوف القادة عدم تمكنهم منهم وقوله الا ان لكل دم ثائرا الى قوله من هرب تهديد بالله لبنى امية وتخويف باخذه وعقابه وهاتان الكليتان ظاهرتا الصدق فانه تعالى هو الثائر لكل دم معصوم والطالب به ان عدم طالبه او ضعف ولما كان دم سلمهم عليهم السلام وساير الصحابة ممن عصم الله دمه ومنع منه وحرمه يجرى مجرى الحق الثابت المعارف لله فى كونه يطلبه ولا يهمله وهو الحاكم المطلق لا جرم استعار لفظ الثائر واثبت له الحاكم لان اطلاق لفظ الحق حقيقة ليس الا لحق من شانه ان ينتفع باخذه ويتضرر بتركه والبارى تعالى منزه عن ذلك لكن لما اجرى ذلك الدم مجرى الحق له شبه به الحاكم منا فى استيفاء الحق ووصفه تعالى بانه لا يعجزه مطلوب ولا يفوته هارب فى معرض التهديد لهم باخذه وقوته ثم اردف ذلك بالقسم البار مخاطبا لبنى امية لتعرفنها اى الدنيا او امرتها فى يد غيرهم من اعدائهم وذلك ظاهر الصدق باشتغالها الى بنى العباس ثم شرع بعده فى التنبيه على الفكر فى تحصيل السعادة الباقية والخير الدايم وعلى قبول الوعظ والتذكر فاشار الى ان ابصر الابصار ما نفذ فى الخير طرفه واسمع الاسماع ما وعى الذكر وقبله واراد بطرف لبصر العقل وسمعه استعارة او حمل البصر والسمع على معنى ان افضل ابصار البصر وعلاقة السمع ما عاد على المبصر والسامع بالغاية المطلوبة منهما وهى تحصيل الكمالات النفسانية من العلوم والاخلاق ولما قدم ذلك امام مقصوده ايه بالناس بعده الى قبول قوله والاستصباح بنوره واستعار لنفسه لفظ المصباح ورشح بذكر الشعلة والاستصباح واستعار لفظ العين ورشح بذكر الصفو والترويق والمتح ووجه الاستعارة الاولى كونه مقتدى به كالمصباح ووجه الثانية كونه العلم المستفاد منه مادة الحيوة الابدية كما ان ماء العين مادة الحيوة الدنيوية وكنى بترويقها من الكدر عن سلوكهما علم بحيث لا يتطرق اليه فيه شبهة تكدر يقينه وهو امر لهم بالاهتداء به واخذ العلوم والاخلاق عنه ثم لما امر باخذهما عنه اردفه بالنهى عن الجهل والركون اليه ثم عن الانقياد للاهواء الباطلة المخرجة عن كرائم الاخلاق الى رذائلها ومن حق المصالح الى باطلها قوله فان النازل بهذا المنزل اراد المنزل المشير المدعى للنصيحة لهم عن جهل منه بوجوه المصالح وذلك انه عليه السلام كان يرى الراى الصالح ويشير عليهم به فاذا خلا بعضهم الى بعض فما كان من ذلك فيه مشقة عليهم من جهاد او امر على عمل شاق اشار بعضهم المبغضون له المدعون الاهليتهم لمقامه بعكس ما راى فيه واشار برده وقوموهم على ما يوافق اهواءهم ويلايم طباعهم افسادا فى الدين فاشار عليه السلام الى ما نزل نفسه منزلة المشير الناصح ان كل ما يشير به عن هوى متبع وجهل فهو على شفا جرف هار واستعار لفظ الجرف للآراء الفاسدة الصادرة فانها لم تبن على نظام العقل ولم ترخص فيه الشريعة فكانت منهارة لا يبنى عليها الا ما كان بصدد ان ينهار وكان المشير بها واقفا على شفا جرف هار منها يخار به فى نار جهنم او فى الهلاك الحاضر يقال لمن فعل فعلا على غير اصل

او يوقع له منه عقوبة مثلا انه على شفا جرف هار ونحوه قوله تعالى ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار الاية وقوله ينقل الردى على ظهره من موضع لما كان الردى هو الهلاك وكان الراى الفاسد يستلزم الهلاك للمشار عليه وللمشير كان المشير على الخلق به عن هوى كالناقل للهلاك من شخص الى غيره والمشير له على من يشير عليهم به وهو فى معرض التعيير منه وقوله لراى يحدثه بعد راى يريد ان يلصق ما لا يلتصق ذكر غاية نقله من موضع الى آخر فان نقله للردى يستلزم ان ينقله دون راى بالواو وعلى هذا يكون كلاما مستانفا والتقدير انه يبيت راى بعد راى يريد الصاق ما لا يلتصق واستعار لفظ اللصق للصلح اى يريد ان يصلح بينكم وبين اعدائكم وذلك امر لا يتصلح ووجه المشابهة كون الخصمين فى طرفين يجمعهما الصلح ويوجب لهما الاتحاد كما يجمع اللصاق بين الملتصقين ويحتمل ان يريد ان يلصق بكم من الآراء الفاسدة ما لا ينبغى ان يلتصق بكم وكذلك قوله ويقرب ما لا يتقارب ويقرب عليكم ما بينكم وبينهم من البعد والافتراق وذلك امر لا يتقارب ونهيهم من هذا الى من كان ينهاهم عن الركون الى استشارته كان يخذلهم عن الحرب بذكر الصلح بينهم وبين معوية والدخول تحت حكمهم الله وعقابه فان يشكوا الى من لا يشكى حزنهم وذلك ان الشكاية الى المستشار اذا لم يكن الشاكى همه ولم يكن اهلا للراى فى مثل ذلك الامر المشكو فيه وان كان معروفا بجودة الراى وسر ذلك ان الاهتمام بالامر يبعث زايد الفكر على الاستقصاء فى تفتيش وجوه الآراء الصالحة فيه فيكون بصدد ان يستخرج منها اصلحها وانفعها وان كان دون غيره فى جودة الراى بخلاف الخلى العديم الباعث على طلب الاصلح واردفهم نهيهم عن ان ينقض برايه الفاسد ما قد ابرمه هو عليه السلام لهم من الراى الصايب فى التجرد للحرب ثم اردفه ببيان ما يجب على الامام مما هو تكليفه بالنسبة الى الرعية وفائدة ذلك الاعتذار اليهم فيما عساهم ينسبون اليه من تقصير فيركنون الى غيره فى الراى ونحوه وذكر امورا خمسة الابلاغ فى موعظة العباد ثم الاجتهاد فى النصيحة لهم ثم الاحياء لسنة الله ورسوله فيهم ثم اقامة الحدود والتى يستحقونها بجناياتهم ثم اصدار السهمان على اهلها والسهمان جمع سهم وهو النصيب المستحق للمسلم من بيت المال ثم لما سبق نهيه عن الركون الى الجهل امرهنا بالمبادرة الى العلم من قبل تصويح نبته واستعار لفظ النبت ورشح بذكر التصويح وكنى به عن عدمه بموته عليه السلام وقوله ومن قبل ان تشغلوا بانفسكم اى بتخليصها من شرور الفتن الذى سينزل بهم من بنى امية ومعاناتها ومستثار العلم ما استثير منه واستخرج واهله هو عليه السلام ومن فى معناه ثم امرهم بالانتهاء عن المنكر ونهى غيرهم عنه فان النهى عن الشىء بعد الانتهاء عنه هو النهى المثمر المطابق لمقتضى الحكمة اذ كان انفعال الطباع عن مشاهدة الافعال والاقتداء بها اقوى واسرع منها عن سماع الاقوال خصوصا اذا خالفها فعل القايل وذلك امر ظاهر شهدت به العقول السليمة والتجارب وتوافقت عليه الآراء والشرايع واليه اشار الشاعر لا تنه عن خلق وتاتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الذى شرع الاسلام فسهل شرايعه لمن ورده واعز اركانه على من غالبه فجعله امنا لمن علقه وسلما لمن دخله وبرهانا لمن تكلم به وشاهدا لمن

خاصم به ونورا لمن استضاء به وفهما لمن عقل ولبا لمن تدبر وآية لمن توسم وتبصرة لمن عزم وعبرة لمن اتعظ و
نجاة لمن صدق وثقة لمن توكل وراحة لمن فوض وجنة لمن صبر فهو ابلج المناهج واوضح الولائج مشرف المنار مشرق
الجواد مضيء المصابيح كريم المضمار رفيع الغاية جامع الحلبة متنافس السبقة شريف الفرسان التصديق منهاجه
والصالحات مناره والموت غايته والدنيا مضماره والقيمة حلبته والجنة سبقته **منها في ذكر النبي ص**
حتى اورى قبسا لقابس وانار علما لحابس فهو امينك المامون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة
ورسولك بالحق رحمة اللهم اقسم له مقسما من عدلك واجزه مضاعفات الخير من فضلك اللهم اعل على
بناء البانين بناءه واكرم لديك نزله وشرف عندك منزلته وآته الوسيلة واعطه السناء والفضيلة واحشرنا
في زمرته غير خزايا ولا نادمين ولا ناكبين ولا ناكثين ولا ضالين ولا مضلين ولا مفتونين وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم
الا انا قد كررناه هاهنا لما في الروايتين من الاختلاف **منها في خطاب اصحابه** وقد بلغتم من كرامة الله لكم منزلة
تكرم بها اماؤكم وتوصل بها جيرانكم ويعظمكم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده ويهابكم من لا يخاف لكم
سطوة ولا لكم عليه امرة وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون وانتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون وكانت
امور الله عليكم ترد وعنكم تصدر واليكم ترجع فمكنتم الظلمة من منزلتكم والقيتم اليهم ازمتكم واسلمتم
امور الله في ايديهم يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات وايم الله لو فرقوكم تحت كل كوكب لجمعكم الله
لشر يوم لهم **أقول** الابلج الواضح المشرق والوليجة بطانة الرجل وخاصته والمضمار محل تضمير الخيل للسباق
والحلبة خيل تجتمع من مواضع متفرقة للسباق وقد يطلق على مجمعها والسبقة ما يستبق عليه من الخطر وقد
حمد الله سبحانه باعتبار ما انعم به من وضع شريعة الاسلام للعقول لتسلك بها اليه واشار بشرعه الى
موارد العقول من اركانه وبتسهيله الى ايضاح قواعده وخطاباته بحيث يفهمها الفصيح والالكن وذي
العجمة ووروده مناهلها الفطن الذكي والغبي واعزازه اركانه حمايتها او رفعها على من قصد هدمها والطعن فيها
من المشركين والجاهلين ثم مدح الاسلام باوصاف اسندها الى جعله وشارعه سبحانه **الاول** جعله
امنا لمن علقه وظاهر كونه امنا لمن تعلق به في الدنيا من القتل وفي الاخرة من العذاب **الثاني** وكذلك
سلما لمن دخله اي سالما الدخول وفي الاول ملاحظة لتشبيهه بالحرم باعتبار دخوله وفي الثاني ملاحظة تشبيهه
بالمعاقل من الشجعان باعتبار سلامة من اخذه ومعنى سلامة الاسلام له كونه محقون الدم معززا على ما كان بلكنه
فكان الاسلام سالما وصالحا لكونه لا ينتقض ما يؤديه بعد دخوله فيه **الثالث** كونه برهانا لمن تكلم به
ما هو برهان **الرابع** كونه شاهدا لمن خاصم به والشاهد اعم من البرهان لتناوله الجدل والخطابة **الخامس** كونه نورا
يستضاء به فاستعار له لفظ النور ورشح بذكر الاستضاءة ووجه المشابهة كونه مقتدى به في طريق الله الى جنته
السادس كونه فهما لمن عقل ولما كان الفهم عبارة عن جودة تهيئ الذهن لقبول ما يرد عليه وكان الدخول في
الاسلام ورياضة النفس بقواعده واركانه سببا عظيما لتهيئة الذهن لقبول الانوار الالهية وفهم الاسرار

لاجرم اطلق عليه لفظ الفهم مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب **السابع** كونه لبا لمن تدبر ولما كان
اللب هو العقل وانه كان سببا له كان المجاز الاول واراد العقل بالملكة وما فوقه من مراتب العقل فان
الاسلام وقواعده اقوى الاسباب لحصول العقل بمراتبه **الثامن** كونه آية لمن توسم واراد من تفرس طرق
الخير ومقاصده فان الاسلام آية وعلامة لذلك المتفرس اذا اهتدى بها فقد وقع في طريق الهدى **التاسع**
كونه تبصرة لمن عزم واراد من عزم على امر يقصده فان في الاسلام تبصرة لكيفية فعله على الوجه الذي ينبغي
العاشر كونه عبرة لمن اتعظ وذلك ظاهر فان الاسلام نعم المعبر لنفس المتعظ الى حضرة قدس الله بما فيه من احوال
القرون الماضية وتصرف الزمان بهم **العاشر** كونه نجاة لمن صدق الرسول صلى الله عليه وآله فيما جاء به فان
دخوله في الاسلام سبب نجاته من سيوف الله في الدنيا وعذابه في الاخرة واطلق عليه اسم النجاة اطلاقا لاسم
المسبب على السبب **الثاني عشر** كونه ثقة لمن توكل اي هو سبب ثقة المتوكلين على الله لاشتماله على الوعد الكريم
وبه يكون استعدادهم للتوكل **الثالث عشر** كونه راحة لمن فوض اي من ترك البحث والاستقصاء في الدلائل وتمسك
باحكام الاسلام ودلائل القرآن والسنة المتعارفة ولم يتعمق وفوض امره الى الشرع استراح بذلك التفويض وقيل
بل المراد انه قيد التقريب الى تفويض الامور الى الله وعلم ما لم يعلم منها وترك التكليف به وذلك راحة وقيل
بل المراد ان المسلم اذا كمل اسلامه وفوض امره الى الله كفاه الله جميع اموره واراحه من الاهتمام بها **الرابع عشر**
كونه جنة لمن صبر على العمل بقواعده واركانه وظاهر كونه جنة من عذاب الله ولفظ الجنة مستعار **الخامس عشر**
ابلج المناهج ومناهج الاسلام طرقه واركانه الذي يصدق على من سلكها انه مسلم وهي الاقرار بالله ورسوله
والتصديق بما ورد به الشريعة كما يفسره هو به وظاهر كونها انوارا واضحة الهدى **السادس عشر** كونه واضح الولائج
او واضح البواطن والاسرار لمن نظر اليه بعين الاعتبار **السابع عشر** كونه مشرف المنار ومنار الاسلام الاعمال
الصالحات التي يقتدي بها السالكون كالعبادات الخمس ونحوها وظاهر كونها مشرفة عالية على غيرها
من العبادات السالفة **الثامن عشر** كونه مشرق الجواد وهو قريب من ابلج المناهج **التاسع عشر** كونه مضيء المصابيح وكنى
بها عن علماء الاسلام وائمته كناية بالمستعار ورشح بذكر الاضاءة وكنى بها عن ظهور العلم عنهم واقتداء
الخلق بهم ويحتمل ان يريد بالمصابيح ادلة الاسلام كالكتاب والسنة **العشرون** كونه كريم المضمار ومضمار الاسلام
الدنيا كما سنذكره ولا شك في كونها كريمة باعتبار اقتباس الانوار منها والعبور بها الى الله تعالى ولفظ المضمار
مستعار لها وقد سبق بيانه **الحادي والعشرون** كونه رفيع الغاية ولما كانت غايته الوصول الى حضرة رب العالمين التي هي جنة
المأوى لاجرم كان رفيع الغاية اذ لا غاية ارفع منها واعلى مرتبة **الثاني والعشرون** كونه جامع الحلبة واستعار لفظ
الحلبة للقيمة فانها حلبة الاسلام كما سنبينه ووجه الاستعارة كونها محل الاجتماع بها للسباق الى حضرة الله
التي هي الجنة كاجتماع الخيل في الحلبة للسباق الى الرهن **الثالث والعشرون** كونه متنافس السبقة ولما كانت سبقته
الجنة كانت اشرف ما يتنافس فيها **الرابع والعشرون** كونه شريف الفرسان واستعار لفظ الفرسان لعلماء الدين هم

فرسان العلوم ورجالها ملاحظة لشبههم بالفرسان في الجواد الذي لا يجارى راكبه **الخامس والعشرون** التصديق منهاجه
وهو الى آخره تفسير لما اجمل تفسيره من منهاجه ومناره وغايته ومضماره وحلبته وسبقته واما جعل الموت
غايته اي الغاية القريبة التي هي باب الوصول الى الله تعالى ويحتمل ان يريد بالموت موت الشهوات فلها غاية
مرتبة للاسلام ايض وكذلك استعارة لفظ السبقة للجنة لكونها الثمرة المطلوبة والغاية من الدين كما
ان السبقة غاية سعي المتراهنين **منها** في ذكر الرسول صلى الله عليه وآله حتى اورى قبسا لقابس وانار
علما لحابس فهو امينك المامون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم
اقسم له مقسما من عدلك واجزه مضعفات الخير من فضلك اللهم اعل على بناء البانين بناءه واكرم لديك نزله وشرف
لديك منزله وآته الوسيلة واعطه السناء والفضيلة واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا نادمين ولا ناكبين
ولا ضالين ولا مفتونين قال السيد وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم الا انا كررناه هاهنا لما في الروايتين
من الاختلاف **أقول** القبس الشعلة واورى اشعل والحابس الواقف بالمكان والنزل ما يهيأ للنزيل
من ضيافة ونحوها والسناء الرفعة والزمرة الجماعة من الناس والناكب المنحرف عن الطريق **فقوله**
حتى اورى الى قوله لحابس غاية الكلام مدح فيه النبي صلى الله عليه وآله وذكر فيه جهاده واجتهاده في الدين
للغاية المذكورة واستعار لفظ القبس لانوار الدين المشتعلة لتقتبس منها نفوس الخلق انوار الهدى
وكذلك استعار لفظ العلم واسند اليه تنويره ويفهم منه امران احدهما انه اظهر انوارا جعلها اعلاما يهتدى
بها في سبيل الله من حبسته ظلمة الحيرة والشبهة عن سلوكها فهو واقف على باب الحيرة كقوله واذا اظلم
عليهم قاموا وكنى بتلك الاعلام عن آيات الكتاب والسنة الثاني ان يكون المراد بالاعلام ائمة الدين
وتنويرها تنوير قلوبهم بما ظهر عن نفسه القدسية من الكمالات والعلوم **وقوله** فهو امينك المامون
اي على وحيك وشهيدك يوم الدين اي على خلقك وبعيثك نعمة اي مبعوثك اليهم نعمة عليهم بهدايتهم به
الى جنتك ورسولك بالحق رحمة لعبادك ان يقعوا في مهاوي الهلاك بسخطك وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين ثم اردفه بالدعاء له صلى الله عليه وآله فدعا الله ان يقسم له مقسما من عدله ولما كان مقتضى
عدل الله ان يبلغ كل نفس الى محل الرتبة التي اقتضى ما استعدت له من درجات الكمال ويعدها بعد ذلك
اعلى دعا له ان يقسم له نصيبا وافرا من عدله ويفيض عليه درجات من ذلك الوصول العين الشاهية **وقوله**
واجزه مضاعفات الخير من فضلك لما دعا له بما يستحقه زاده على ذلك فدعا له بان يتفضل عليه بزيادة
من فضله فيضاعف له ما يستحقه من الخيرات وقوله اللهم اعل على بناء البانين بناءه دعاه لشيده
ما بناه من قواعد الدين على سائر بناء البانين للشرائع من الرسل قبله واراد ما بناه لنفسه من مراتب
الكمال ولفظ البناء مستعار ثم دعاه ان يكرم لديه ما هيأ له من الثواب الجزيل وان يشرف مقامه
في حضرة قدسه وان يؤتيه ما يتوسل به اليه ويقربه منه وهو ان يكمل استعداده لما هو اتم القوة على

الوصول اليه وان يعطيه الرفعة ويشرفه بالفضيلة التامة وان يحشره في زمرته على احوال غير خزايا من اي تبعة
الذنوب ولا نادمين على التفريط في جنب الله والتقصير في العمل بطاعته ولا ناكبين منحرفين عن سبيله الى
احد طرفي التفريط والافراط ولا ناكثين لعهوده ومواثيقه التي واثق بها خلقه ان يعبدوه ويخلصوا
له الدين ولا ضالين عن سواء السبيل العدل ولا مفتونين بشبهات الاباطيل وبالله التوفيق **منها**
في خطاب اصحابه وقد بلغتم من كرامة الله لكم منزلة تكرم بها اماؤكم وتوصل بها جيرانكم ويعظمكم من لا فضل
لكم عليه ولا يد لكم عنده ويهابكم من لا يخاف لكم سطوة ولا لكم عليه امرة وقد ترون عهود الله منقوضة
فلا تغضبون وانتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون وكانت امور الله عليكم ترد وعنكم تصدر واليكم ترجع
فمكنتم الظلمة من منزلتكم والقيتم اليهم ازمتكم واسلمتم امور الله في ايديهم يعملون بالشبهات ويسيرون
في الشهوات وايم الله لو فرقوكم تحت كل كوكب لجمعكم الله لشر يوم لهم **أقول** صدر هذا الفصل بتذكيرهم
المنزلة التي اكرمهم الله بها من الاسلام والهداية للايمان وما في تلك المنزلة من الفضل حتى عظمت حرمتها
اماؤهم وجيرانهم وان كانوا غير مسلمين وعظمهم من لا فضل لهم عليه ولا يد لهم عنده وهابهم من لا يخاف
سطوتهم وظاهر ان سبب ذلك كله هو كرامة الله لهم بالاسلام والهداية للايمان ثم لما قرر نعمة الله عليهم
اردف ذلك بالتوبيخ لهم على التقصير في اداء واجب حقه واشار الى ارتكابهم لبعض مسببات كفران نعمته
وهو عدم انكارهم لما يرون من نقض عهود الله وسكوتهم عليها وعدم غضبهم منها كالراضين بذلك و
اراد بذلك بغي البغاة وخروج الخوارج وسائر المنكرات التي وقعت من اهل الشام وغيرهم مخالفين فيها امر
الله ونكثوا بيعته التي هي من عهود الله عليهم فان السكوت على مثل ذلك مع التمكن من ازالته وانكاره
بالجهاد منكرهم راكبوه والواو في قوله وانتم للحال اي وانتم مع ذلك تأنفون لنقض ذمم آبائكم فكان يجب عليكم
بطريق الاولى ان تأنفوا لعهود الله ان تنقض وذمه ان تخفر ثم ذكرهم تفريطهم وتهاونهم في الامور التي كان
الله سبحانه فوضها اليهم وجعلهم موردها ومصدرها من امور الاسلام والاحكام والتسلط به على سائر الناس
وبكتهم بتمكينهم الظلمة في منزلتهم تلك من الاسلام واراد بالظلمة معوية وقومه وتمكينهم لهم عنادا لهم
عنهم والقائهم ازمة الامور اليهم بذلك ولفظ الازمة مستعار والامور التي سلموها اليهم احوال بلاد
الاسلام كل ذلك بالتقصير عن مجاهدتهم وعملهم بالشبهات عملهم على وفق اوهامهم الفاسدة وآرائهم الباطلة
التي يتوهمونها حججا فيما يفعلون وسيرهم في الشهوات قطعا اوقاتهم بالانهماك في مقتضيات الشهوة
وقوله وايم الله الى آخره تهديد لهم بما سيكون من بني امية من جمع الناس في بلائهم وشرورهم وعمومه فيهم
وكنى باليوم عن مدة خلافتهم التي كانت شر الاوقات على الاسلام واهله وانما نسب التفريق اليهم والجمع
الى الله تعريضا لما سينزل به قدرة من ابتلاء الخلق بهم فانهم لو فرقوهم في اطراف البلاد لم يمنعهم ذلك التفريق
عن لحوق ما قدره الله لهم ولم يمنعهم من تولى جميعهم بما يراد لهم من الابتلاء بدولة بني امية وشرورها واحوال

وليهم مع الخلق خصوصا الصالحين من عباد الله ظاهرة وبالله العصمة والتوفيق ومن خطبة له عليه السلام في بعض ايام صفين وقد رايت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفاة الطغام واعراب اهل الشام وانتم لهاميم العرب ويآفيخ الشرف والانف المقدم والسنام الاعظم ولقد شفا وحاوح صدري ان رايتكم باخرة تحوزونهم كما حازوكم وتزيلونهم عن مواقفهم كما ازالوكم حسا بالنضال وشجرا بالرماح تركب اوليهم اخريهم كالابل الهيم المطرودة ترمى عن حياضها وتذاد عن مواردها اقول الجولة الدورة وانحيازكم والطغام اوغاد الناس واللهاميم جمع لهموم وهو الجواد من الناس واليآفيخ جمع يافوخ وهو اعلى الدماغ والوحاوح جمع وحوحة وهي صوت فيه بحح يصدر عن المتألم والحس الاستيصال والنضال جمع نصل السيف والشجر الطعن وتذاد تساق وتطرد وفي هذا الفصل تبكيت لاصحابه بانحيازهم عن عدوهم وتقريع ثم تحببة واغراء كيلا يعاودوا الى الفرور ذلك قوله وقد رايت الى قوله اهل الشام اي وقد رايت تحاذلكم عنهم حتى حازكم اراذل اهل الشام مع انكم اهل الشرف وسادات العرب واستعار لفظ اليآفيخ لهم اذ كانوا بالنسبة الى العرب في علوهم وشرفهم كاليآفيخ بالنسبة الى الابدان وكذلك استعار لفظ الانف والسنام ووجه المشابهة عزهم وشرفهم كعزة الانف وتقدمه وحسن الوجه به بالنسبة الى باقي الاعضاء وكعزة السنام وعلوه بالنسبة الى باقي اعضاء الجمل ثم اردف ذلك التبكيت والتذكير بالرذيلة بذكر فضيلتهم التي ختموا بها وهي حوزهم لعدوهم بالاخرة كحوزهم لهم اولا وازالتهم لهم عن مواقفهم كما ازالوهم وحسهم استيصالا اولا وطعنا بركب مقدمهم تاليهم واوليهم اخريهم ليثبتوا على مثل هذه الافعال في مثل تلك المواقف وعقد للاخير شفاء لوحاوح صدره وكنى بالوحاوح عما كان يجد من الالم بسبب انقهار اصحابه وغلبة عدوهم لهم وشبههم في تضعضعهم وركوب بعضهم لبعض مولين بالابل العطاش التي اجتمعت على الحياض للشرب ثم طردت ورميت عنها بالسهام وذيدت عما وردته فان طردها على تلك الاجتماع يوجب لها ان يركب بعضها بعضا ويقع بعضها على بعض وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام وهي من خطب الملاحم الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه والظاهر لقلوبهم بحجته خلق الخلق من غير روية اذ كانت الرويات لا تليق الا بذوي الضماير وليس بذي ضمير في نفسه خرق علمه باطن غيب السترات واحاط بغموض عقايد السريرات اقول حمد الله تعالى باعتبارات خمسة احدها اعتبار تجليه لخلقه بخلقه وقد علمت غير مرة ان تجليه يعود الى جلائه معرفته من مصنوعاته لقلوب عباده حتى اشبهت كل ذرة من مخلوقاته مراة ظهر فيها لهم فهم يشاهدونه على قدر قبولهم لمشاهدته وتفاوت تلك المشاهدة بحسب تفاوت اشعة ابصار بصايرهم فمنهم من يرى الصنعة اولا والصانع ثانيا ومنهم من يراهما معا ومنهم من يرى الصانع اولا ومنهم من لا يرى مع الصانع غيره الثاني الظاهر لقلوبهم بحجته اي الدالة على وجوده لقلوب منكريه باوهامهم والسنتهم بعيانا بحجته عليهم بذلك وهي لحكام الصنع واتقانه في انفسهم وان احتاجوا الى تنبيه ما كقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وكذلك في ملكوت السموات والارض كقوله

اولم يتفكروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء الاية وهو قريب مما مر الثالث خلقه الخلق بلا روية وفكرة كيفية خلقه واشار الى برهان سلب الروية عن واجب الوجود سبحانه والمقدمتان عنه اذ كانت الرويات لا تليق الا بذوي الضماير اي بذي قلب وحواس بدنية وليس الباري بذي ضمير في نفسه والقياس من الشكل الثاني وترتيبه كل روية فلذي ضمير ولا شيء من واجب الوجود بذي ضمير فينتج انه لا شيء من الروية لواجب الوجود سبحانه والمقدمتان جليتان مما سبق غير مرة الرابع كون علمه خارقا باطن غيب السترات وهو اشارة الى نفوذه في كل ستر وغايب بحيث لا يحجبه ستر ولا يستره حجاب الخامس كونه محيطا بغموض عقايد السريرات اي بما دق من عقايد اسرار القلوب كقوله تعالى يعلم السر واخفى منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله اختاره من شجرة الانبياء ومشكاة الضياء وذؤابة العلياء وسرة البطحاء ومصابيح الظلمة وينابيع الحكمة اقول الذؤابة ما تدلى من الشعر ونحوه وبطحاء مكة بسيط واديها وسرة الوادي اشرف موضع فيه وفي الفصل استعارات الاولى لفظ الشجرة لصنف الانبياء عليهم السلام ووجه المشابهة كون ذلك الصنف ذا ثمر وفروع فهم اشخاص الانبياء وثمرة العلوم والكمالات النفسانية كما ان الشجرة ذات غصون وثمر الثانية لفظ المشكوة لال ابراهيم ووجه المشابهة ان هؤلاء قد ظهرت منهم الانبياء وسطع من بينهم ضياء النبوة ونور الهدى كما يظهر نور المصباح من المشكوة الثالثة لفظ الذؤابة وشبهه ان قريشا الى قريش ووجه المشابهة تدليهم في اغصان الشرف والعلو عن ابائهم كتدلي ذوابة الشعر عن الراس الرابعة سرة البطحاء واشار بها الى اختياره من افضل بيت في مكة الخامسة استعارة لفظ المصابيح للانبياء ايضا ووجه المشابهة ظاهر وقد مر غير مرة كونهم مصابيح ظلمات الجهل السادسة استعارة لفظ الينابيع ووجه المشابهة فيضان العلم والحكمة عنهم كفيضان الماء عن ينابيعه منها طبيب دوار بطبه قد احكم مراهمه واحمى مواسمه يضع من ذلك حيث الحاجة اليه من قلوب عمي واذان صم والسنة بكم متتبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة لم يستضيئوا باضواء الحكمة ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة فهم في ذلك كالانعام السائمة والصخور القاسية قد انجابت السرائر لاهل البصائر ووضحت محجة الحق لخابطها واسفرت الساعة عن وجهها وظهرت العلامة لمتوسمها ما لي اراكم اشباحا بلا ارواح وارواحا بلا اشباح ونساكا بلا صلاح وتجارا بلا ارباح وايقاظا نوما وشهودا غيبا وناظرة عميا وسامعة صما وناطقة بكما راية ضلال قد قامت على قطبها وتفرقت بشعبها تكيلكم بصاعها وتخبطكم بباعها قايدها خارج من الملة قايم على الضلة فلا يبقى يومئذ منكم الا ثفالة كثفالة القدر او نفاضة كنفاضة العكم تعرككم عرك الاديم وتدوسكم دوس الحصيد وتستخلص المؤمن من بينكم استخلاص الطير الحبة البطينة من بين هزيل الحب اين تذهب بكم المذاهب وتتيه بكم الغياهب وتخدعكم الكواذب ومن اين تؤتون وانى تؤفكون ولكل اجل كتاب ولكل غيبة اياب فاستمعوا من ربانيكم واحضروه قلوبكم واستيقظوا ان هتف بكم وليصدق رائد اهله وليجمع شمله وليحضر ذهنه فلقد فلق لكم الامر فلق الخرزة وقرفه قرف

الصمغة فعند ذلك اخذ الباطل ماخذه وركب الجهل مراكبه وعظمت الطاغية وقلت الداعية وصال الدهر صيال السبع العقور وهدر فنيق الباطل بعد كظوم وتواخى الناس على الفجور وتهاجروا على الدين وتحابوا على الكذب وتباغضوا على الصدق فاذا كان ذلك كان الولد غيظا والمطر قيظا وكان اهل ذلك الزمان ذئابا وسلاطينه سباعا واوساطه اكالا وفقراؤه امواتا وغار الصدق وفاض الكذب واستعملت المودة باللسان وتشاجر الناس بالقلوب وصار الفسوق نسبا والعفاف عجبا ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوبا اقول المواسم المياسم التي تكوى وانجابت انكشفت والمتوسم المتفرس والضلة الضلال والعكم بكسر العين العدل والبطينة الممتلية والغياهب الظلم وتؤفكون تصرفون والفنيق الفحل المكرم وكظوم الجهل سكونه عن الحركة قوله طبيب دوار بطبه كناية عن نفسه كناية بالمستعار فانه طبيب مرضى الجهل ورذايل الاخلاق وكنى بقوله دوار بطبه عن تعرضه لعلاج الجهال من دائهم ونصب نفسه لذلك واستعار لفظ المراهم لما عنده من العلوم ومكارم الاخلاق ولفظ المواسم لما يمكن منه من اصلاح من لا ينفع فيه الموعظة والتعليم بالجلد وساير الحدود فهو كالطبيب الكامل الذي يملك المراهم والادوية والمكاوي لمن لا ينفع فيه المراهم يضع كل واحد من ادويته ومواسمه حيث الحاجة اليه من قلوب عمي يقنع عماها باعدادها القبول انوار العلم والهداية لسلوك سبيل الله ومن اذان صم يعدها لقبول المواعظ وتجوز بلفظ الصمم في عدم انتفاع النفس بالموعظة من جهتها فهي كالصماء المطلقا لاسم الملزوم على اللازم اذ كان الصمم يستلزم ذلك العدم ومن السنة بكم يطلقها بذكر الله والحكمة واطلق لفظ البكم مجازا في عدم المطلوب فيها بوجودها وهو التكلم بما ينبغي فانها المفقدها ذلك المطلوب كالبكم وقوله متتبع صفة الطبيب ومواضع الغفلة ومواطن الحيرة كناية عن قلوب الجهال ولذلك اشار اليهم بانهم لم يستضيئوا باضواء الحكمة اي لم يكتسبوا شيئا من العلوم والاخلاق ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة فتجوز بالزناد عن الفكر وبالقدح عن الاكتساب به كناية بالمستعار ووجه المشابهة كون الفكر يستخرج به العلوم الثاقبة التي تثقب سرادق الحجب كما يستخرج بالزناد النار وقوله فهم في ذلك اي عدم استضاءتهم باضواء الحكمة كالانعام السائمة والصخور القاسية ووجه المشابهة بينهم وبين الانعام استواؤهم في الغفلة والانخراط في سلك الشهوة والغضب دون اعتبار شيء من حظ العقل وعدم التقيد به كالاغتذاء للانعام السائمة وبينهم وبين الصخور قساوة قلوبهم وعدم لينها وخشيتها من ذكر الله واياته كما قال ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وقوله قد انجابت السرائر لاهل البصائر اشارة الى انكشاف ما يكون بعده لنفسه القدسية ولمن تفرس ما يكون من ملوك بني امية وعموم ظلمهم من اولي التجارب والفطن السليمة ويحتمل ان يريد بالسرائر سرائر الشريعة وانكشافها لاهلها وقوله ووضحت محجة الحق لخابطها اشارة الى وضوح الشريعة وبيان طريق الله وفايدة القضية الاولى التنبيه على النظر في العواقب وفايدة الثانية الجذب الى اتباع الدين وسلوك

سبيل الله اذ لا عذر للخابطين فيها لانها جلية وضح من الله وقوله واسفرت الساعة عن وجهها اي بدت مقبلة ولما كان وجه الشيء اول ما يبدو منه وينظر كنى به عما بدا من امر الساعة وهو قيام الفتن واقبالها وقوله وظهرت العلامة لمتوسمها اي علامة قيام الساعة وهي الفتن المتوقعة المتفرسة من بني امية ومن بعدهم وقد يستعار الساعة وظهور علاماتها تهديد وترغيب في العمل لها اما لي اراكم اشباحا بلا ارواح شبههم في عدم انتفاعهم بالعقول وعدم تحريك المواعظ والتذكير لهم بالجمادات الخالية من الارواح كما قال كانهم خشب مسندة وقوله وارواحا بلا اشباح قيل فيه وجوه الاول ان ذلك مع ما قبله اشارة الى نقصانهم اي ان منهم من هو شبح بلا روح كما سبق ومن كان له روح وفهم فلا قوة له بامر الحرب ولا نهضة معه فهو كروح خلت عن بدن فهم في طريقي تفريط وافراط الثاني قيل كنى بذلك عن عدم نهضة بعضهم الى الحرب دون بعض اذا دعوا اليه كما لا ينفع البدن بدون الروح ولا الروح بدون البدن الثالث قال بعضهم اراد انهم ان خافوا ذهلت عقولهم وطارت البابهم فكانوا كالاجسام بلا ارواح وان امنوا تركوا الاهتمام بامورهم ومهماتهم العرض ومصالح الاسلام حتى كانهم في ذلك ارواح لا تعلق لها بما يحتاج الاجسام اليه وقوله ونساكا بلا صلاح اشارة الى الذين يتزهدون منهم زهدا ظاهريا ليس عن صلاح سريرة وقيل اراد من يتزهد منهم عن جهل فانه وان عمل الا ان اعماله لما لم تكن عن علم كانت ضايعة واقعة على غير الوجه المرضي والمامور به كما روي عن الرسول صلى الله عليه وآله الزاهد الجاهل مسخرة الشيطان وقوله تجارا بلا ارباح اشارة لمن يتاجر منهم بالاعمال الفاسدة وهو يعتقد كونها قربة الى الله مستلزمة لثوابه وليس كذلك ولفظ التجار والربح مستعاران ووجه الاستعارتين ظاهر وقوله وايقاظا نوما كنى بنومهم عن نوم نفوسهم في مراقد الطبيعة ومراهدها لغفلة فهم بذلك الاعتبار ايقاظ العيون نوم العقول وقوله وشهودا غيبا اي شهودا بابدانهم غيبا بعقولهم عن التفطن لمقاصد الله والتلقي لانواره من الموعظة والاوامر الالهية وقوله وناظرة عميا اراد وجوها ناظرة عميا اي عن تصفح ايات الله للعبرة بها والانتفاع في امر الاخرة فهي تشبه العمي في عدم الفايدة بها وقوله وسامعة صما عن نداء الله والنافع من كلامه فهي تشبه الصم في عدم الفايدة المقصودة وقوله وناطقة بكما اي والسنة ناطقة بكما عن النطق بما ينبغي فاشبهت البكم ولفظ العمي والصم والبكم مستعار للمذكورة وقد راعى في ذلك التضاد في الالفاظ واراد ذوي عيون واذان والسنة بالصفات المذكورة اي خالية عن الفايدة وقوله راية ضلال لما نبههم وايقظهم بالتوبيخ والتقريع والتعنيف الذي ليس من شانه ان يحترزوا منه وياخذوا اهبتهم لما من ظهور الفتن المتوقعة لبني امية وكنى عن ظهورها بقوله راية ضلال والتقدير هذه راية ضلال وكنى بقيامها على قطبها عن اجتماع اهلها على قايد الفتنة ورئيسهم فيها وكنى بالقطب كناية بالمستعار وتفرقها وتشعبها انتشارها في الافاق وتولد فتن اخرى عنها ثم استعار لفظ الكيل لاختهم واهلاكهم ورشح بلفظ الصاع وكذلك ملاحظة لشبهها بالكيال في اخذه المكيل جملة جملة

استعار لفظ الخبط لايقاع الشبه والاحكام الجايرة فيهم على غير قانون دينى ولا انتظام حق ملاحظا لشبهها بالبكرة النفور من الابل التى تخبط ما تلقاه بيديها ورشح الاستعارة بذكر الباع ولم يقل بيدها لان ذكر الباع ابلغ فى التعبير عن قوة الخبط وقوله مايدها خارج عن الملة اى خارج عن الدين والشريعة فاسق عن امر الله قائم على الظلة اى مقيم على الضلالة وقوله فلا يبقى يومئذ منكم الا ثفالة كثفالة القدر استعار لفظ الثفالة وكنى بها عمن لا خير فيه من الاراذل ومن لا ذكر له ولا شهرة وشبه اولئك بثفالة القدر فى كونهم غير معتبرين ولا ملتفت اليهم وكذلك نفاضة العكم وهو ما يبقى فى اسفل العدل من اثر الزاد او الحنطة ونحوها ثم استعار لفظ العرك لتقليب الفتن لهم ودوسهم وتذليلهم بها كما يذلل وتلين الاديم وكذلك استعار لفظ الدوس لاهانتهم لهم وشدة امتهانهم اياهم بالبلاء وشبه ذلك بدوس الحصيد من الحنطة ونحوها وهو ظاهر ثم اشار الى استقصاء اهل تلك الضلالة على المؤمنين واستخلاصهم لهم لايقاع المكروه بهم وشبه ذلك لاستخلاص باستخلاص الطير الحبة السمينة المليئة من الحب المهزولة وذلك ان الطير يلتقط الحب السمين من المهزولة فيخلى عن المهزول منه ثم اخذ يسالهم على سبيل التهكم والتقريع لهم بقائهم على غفلاتهم فسالهم عن غاية اخذ مذاهب الضلال لهم وعما تتيه بهم ظلم الجهالات اليه من المطالب وعما تخدعهم اوهامهم الكواذب بالحسنات لهم اليه منكرا عليهم مطلوبا الخروج من الله مع من طريق غير شريعته ثم سالهم عن الجهة التى يؤتون منها اى من اين اتيكم هذه الامراض وهو عليه السلام يعلم ان الداخل انما دخل عليهم من جهلهم لكن هذا وجه من البلاغة ذكرنا انه يسمى تجاهل العارف وهو كقوله تعالى فاين تذهبون وكذلك قوله تعالى فانى تؤفكون الى متى يكون انصرافكم عما انتم عليه من الغفلة وقوله ولكل اجل كتاب ولكل غيبة اياب تهديد بالاشارة الى قرب الموت وانهم بمعرض ان ياخذهم على غفلتهم فيكونوا من الاحسرين اعمالا ثم امرهم باستماع الموعظة منه والرباني العالم علم الربوبية المجرب ثم باحضار قلوبهم وهو التفاتهم باذهانهم الى ما يقول ثم بالاستيقاظ من نوم الغفلة عند هتفه بهم وتنادى لهم وقوله وليصدق رايد اهله مثل نزله هاهنا على مراده واصله لا يكذب رايد اهله فاستعار لفظ الرايد للفكر ووجه المثل ان الرايد لما كان هو الذى يبعثه القوم لطلب الكلاء والماء اشبهه الفكر فى كونه مبعوثا من قبل النفس فى طلب مرعاها وماء حيوتها من العلوم وسائر الكمالات فكنى به عنه واصله على هذا البيان هو النفس فكانه عليه السلام قال فلتصدق افكاركم وتتخيلاتكم نفوسكم وصدقها اياها انصرافها على حسب اشارة العقل فيما تقول وتشير به دون الشبهات الى مشاركة الهوى فان الرايد اذا ارسلته النفس عن مشاركة ميل شهوانى كذبها ودلاها بغرور ويحتمل ان يريد بالرايد نفسه من حضر عنده فان كلا منهم له اهل وقبيلة يرجع اليهم فامره ان يصدقهم امره بتبليغ ما سمع على الوجه الذى ينبغى والنصيحة بوجه الدعوة اليه كما يرجع طالب الكلاء والماء الواجد لهما الى قومه فيبشرهم به ويحملهم اليه وقوله وليجمع شمله اى ما تفرق وتشعب من خواطره فى امور الدنيا ومهماتها وليحضر ذهنه اى يوجه الى ما اقول

وقوله وقوله

وقوله فلقد فلق لكم الامر فلق الخرزة اى اوضح لكم اسرار ما جهلتموه من الدين واحكام الشريعة وقيل امر ما سيكون من الفتن وشق لكم ظلمة الجهل عنه كما يتضح باطن الخرزة بشقها وقرفه قرف الصمغة اى اوضح علمه بكليته والنصيحة فيه حتى لم يبق عنكم شيئا من ذلك كما يقرف الصمغة فلا يبقى منها يقال تركته على مثل مقرف الصمغة اذا لم يبق له شيئا لان الصمغة تقتلع من شجرها حتى لا تبقى عليها علقة وقوله فعند ذلك اخذ الباطل ماخذه ... من بين هزيل الحب اى فعند ما تفعل بكم تلك الفتن وراية الضلال ما تفعل فقد اخذ الباطل ماخذه اى استحكم وثبت واخذ مقاره وكذلك ركب الجهل مراكبه اى كان زوال ذلك وقت حماله ملاحظا لشبهه بالمستعد للغارة قد ركب خيله وكنى بمراكبه عن الجهال وقوله وعظمت الطاغية اى الفتنة الطاغية التى تجاوزت فى عظمها الحد والمقدار وقلت الراعية اى رعاة الدين واهله الذين يحمون حوزته اى الفرقة الراعية وروى الداعية اى الفرقة الداعية الى الله وقوله وصال الدهر صيال السبع العقور استعار الصيال للدهر ملاحظا لشبهه بالسبع ووجه الاستعارة كون الدهر مبدا قويا لتلك الشرور الواقعة فاشبه السبع الضارى العقور فى شدة صياله ثم استعار لفظ الفنيق للباطل ورشح الاستعارة بذكر الهدير والكظوم ووجه المشابهة ظهور الباطل واكرام اهله وتمكينهم من الامر والنهى كالفحل المكرم ذى الشقشقة وعنى بالهدير ظهورهم وتمكنهم وبالكظوم خفاء الباطل وخمول اهله فى زمان ظهور الحق وقوته وقوله وتواخى الناس على الفجور اى كان تصافيهم وتحبب بعضهم لبعض على الفجور واتباع الاهواء وتهاجروا على الدين اى من احسوا منه قوة فى دينه هجروه ورفضوه فجرهم والتحابب على الكذب داخل تحت التواخى على الفجور والتباغض على الصدق داخل تحت التهاجر على الدين والغرض بتعداد ذلك تنفير السامعين عن تلك الرذايل وتخويفهم بوقوعها وقوله فاذا كان ذلك كان الولد غيظا اى اذا حدث ذلك اشتغل كل امرئ بنفسه ليتجو بها فيكون الولد الذى هو اعز محبوب غيظا للوالد اى من اسباب محنته وغيظه واطلق لفظ الغيظ عليه اطلاقا لاسم المسبب على السبب وقوله والمطر قيظا جعل وقوع المطر قيظا من علامات تلك الشرور وهو ايضا مما يعد شرا لانه لا ينبت نباتا ولا يقوم عليه زرع ويفسد الثمار القائمة وكانه كنى به عن انقلاب احوال الخير شرورا وقوله وكان اهل ذلك الزمان الى قوله امواتا اهل كل زمان ينقسمون الى ملوك اكابر واوساط واداني فاذا كان زمان العدل كان اهله فى نظام سلك فيفيض عدل الملوك على من يليهم ثم بواسطتهم على من يليهم حتى ينتهى الى اداني الناس واذا كان زمان الجور فاض الجور كذلك فكانت السلاطين سباعا ضارية مفترسة لكل ذى حق وكان اهل ذلك الزمان واكابره ذيابا ضارية على اوساط الناس وكانت الاوساط اكالا لهم وكانت الفقراء امواتا لانقطاع مادة حيوتهم ممن هو اعلى منهم رتبة وتجوز بلفظ الاموات عن غاية الشدة والبلاء لكون الموت غاية ذلك اطلاقا لاسم المسبب على سببه ثم استعار لفظ الغيض لقلة الصدق والفيض لظهور الكذب وكثرته ملاحظا لشبههما

بالماء واستعمال المودة باللسان اشارة الى النفاق وهو التحبب بالقول مع التباعد بالقلوب وعقدها على الحقد والحسد واستعار لفظ التشاجر للقلوب ملاحظا لشبهها بالرماح فكما ان الرمح يتجرح فكذلك قلوب بعضهم بعقدها على هلاك بعض والطعن فيه بانواع المهلكات وكذلك لفظ النسب للفسوق ووجه المشابهة كون الفسوق بينهم يومئذ هو سبب التواصل والتزاور والتحابب كما ان النسب كذلك وصار العفاف عجبا لقلة وجوده وندوره بينهم ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوبا من احسن التشبيه وابلغه والمشبه به هاهنا هو لبس الفرو ووجه الشبه كونه مقلوبا وبيانه انه لما كان الغرض الاصلى من الاسلام ان يكون باطنا ينتفع به القلب ويظهر فيه منفعته فقلب المنافقون غرضه واستعملوه بظاهر السنتهم دون قلوبهم اشبه قلبهم له لبس الفرو اذ كان اصله ان يكون حمله ظاهر المنفعة الحيوان الذى هو لباسه فاستعمله الناس مقلوبا وبابه التوقى

ومن خطبة له عليه السلام كل شئ خاشع له وكل شئ قائم به غنى كل فقير وعز كل ذليل وقوة كل ضعيف ومفزع كل ملهوف من تكلم سمع نطقه ومن سكت علم سره ومن عاش فعليه رزقه ومن مات فاليه منقلبه لم ترك العيون فتخبر عنك بل كنت قبل الواصفين من خلقك لم تخلق الخلق لوحشة ولا استعملتهم لمنفعة ولا يسبقك من طلبت ولا يفلتك من اخذت ولا ينقص سلطانك من عصاك ولا يزيد فى ملكك من اطاعك ولا يرد امرك من سخط قضاءك ولا يستغنى عنك من تولى عن امرك كل سر عندك علانية وكل غيب عندك شهادة انت الابد فلا امد لك وانت المنتهى لا محيص عنك وانت الموعد لا منجا منك الا اليك بيدك ناصية كل دابة واليك مصير كل نسمة سبحانك ما اعظم ما نرى من خلقك وما اصغر عظيمه فى جنب قدرتك وما اهول ما نرى من ملكوتك وما احقر ذلك فيما غاب عنا من سلطانك وما اسبغ نعمك فى الدنيا وما اصغرها فى نعم الاخرة

اقول هذا الفصل من اشرف الفصول المشتملة على توحيد الله وتنزيهه واجلاله وتعظيمه واللهف الحزن والملهوف المظلوم يستغيث والابد الدائم والامد الغاية وحاص عن الشئ عدل وهرب والمحيص المهرب وفيه اعتبارات ثبوتية وسلبية اما الثبوتية فعشرة الاول خشوع كل شئ له والخشوع مراد هاهنا بحسب الاشتراك اللفظى اذ الخشوع من الناس يعود الى تطامنهم وخضوعهم لله ومن الملائكة ... فى عباداتهم ملاحظة لعظمته ومن ساير الممكنات انفعالها عن قدرته وخضوعها فى رق الامكان والحاجة اليه والمشترك وان كان لا يستعمل فى جميع مفهوماته حقيقة فقد بينا انه يجوز استعماله فيها بحسب القرينة وهى هاهنا اضافته الى كل شئ او لانه فى قوة المتعدد كقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى فكانه قال الملك خاشع له والبشر خاشع له وهذا الاعتبار يستلزم وصفه باعتبارين احدهما كونه عظيما والثانى كونه غنيا اما العظيم فينقسم الى ما يكبر حاله فى النفس لكن يتصور ان يحيط بكماله العقول ويقف على كنه حقيقته والى ما يمكن ان يحيط ببعضه العقول وان فات اكثرها وهذان القسمان انما يطلق عليهما لفظ العظمة الا وقياس كل المراد ونه فيما هو عظيم فيه والى ما لا يتصور ان يحيط به العقول اصلا وذلك هو العظيم المطلق

الذى جاوز حدود العقول ان يقف على صفات كماله ويعوث جلاله وليس هو الا الله تعالى واما الغنى فسنذكره الثانى قيام كل شئ به واعلم ان جميع الممكنات اما جواهر او اعراض وليس شئ فيها يقوم بذاته فى الوجود اما الاعراض فظاهر لظهور حاجتها الى المحل الجوهرى واما الجوهر فلان قوامها فى الوجود انما يكون بقيام عللها وينتهى الى الفاعل الاول جلت عظمته فهو اذن الفاعل المطلق الذى به قوام كل موجود فى الوجود واذ ثبت انه تعالى غنى عن كل شئ فى كل شئ وثبت ان به قوام كل شئ ثبت انه القيوم المطلق اذ مفهوم القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره فكان هذا الاعتبار مستلزما لهذا الوصف الثالث كونه تعالى غنى كل فقير ويجب ان يحمل الفقر على ما هو اعم من الفقر المتعارف وهو مطلق الحاجة ليتم التمجيد كما ان الغنى هو مطلق الحاجة واذ ثبت ان كل ممكن فهو مفتقر فى طرفيه منه فى سلسلة الحاجة اليه وانه تعالى المقيم له فى الوجود ثبت انه تعالى رافع حاجة كل موجود بل كل ممكن وهو المراد بكونه غنى له واطلق عليه تعالى لفظ الغنى وان كان الغنى به مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب الرابع كونه عز كل ذليل وقد سبق ان معنى العزيز هو الخطير الذى يقل وجود مثله وتشتد الحاجة ويصعب الوصول اليه فما اجتمعت فيه هذه المفهومات الثلثة سمى عزيزا وبقى ايضا ان هذه المفهومات مقولة بالزيادة والنقصان على ما يصدق عليه وانه ليس الكمال فى واحد منها الا لله سبحانه ويقابله الذليل وثبت انه تعالى عز كل موجود لان كل موجود سواه انما تحقق فيه هذه المفهومات الثلثة فيه سبحانه الناظم لسلسلة الوجود والواضع لكل من الموجودات فى رتبته من النظام الكلى فهو عز كل موجود وكل موجود ذليل فى رق الامكان والحاجة اليه فى افاضة المفهومات الثلثة اليه فهو اذن عز كل ذليل واطلاق لفظ العز عليه كاطلاق لفظ الغنى الخامس وقوة كل ضعيف القوة تطلق على كمال القدرة وعلى شدة الممانعة والدفع ويقابلها الضعف وهما مقولان بالزيادة والنقصان على من يطلقان عليه واذ ثبت انه تعالى مبدع الموجودات والمفيض على كل قابل ما يستعد له ويستحقه فهو المعطى لكل ضعيف عادم القوة من نفسه كماله وقوته فهو قوة كل ضعيف بالمعنيين المذكورين لها وروى ان الحسن قال واعجبا لنبى الله لوط اذ قال لقومه لو ان لى بكم قوة او آوى الى ركن شديد اتراه اراد ركنا اشد من الله تعالى واطلاق لفظ القوة عليه كاطلاق لفظ الغنى ايضا السادس كونه مفزع كل ملهوف اى اليه ملجا كل مضطر فى ضرورته حال حزن او خوف او ظلم كما قال تعالى واذا مسكم الضر فاليه تجارون واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فكل مفزع وملجا غيره فلمضطر ما لكل مضطر ومجاز لا حقيقة واضافى لا حقيقى وهذا الاعتبار يستلزم كمال القدرة لله لشهادة فطرة ذى الضرورة بحسب حال وجوده الى جوده ويستلزم كمال العلم لشهادة فطرته بالاطلاع على ضرورته وكذلك كونه سميعا بصيرا وحالقا ومجيبا للدعوات وقيوما ونحوها من الاعتبارات السابع كونه من تكلم سمع نطقه الثامن من سكت علم سره وهما اشارتان الى وصفى السميع العليم ولما كان السميع يعود الى العالم بالمسموعات استلزم الوصفان الاحاطة بالظاهر العبد وابداه وما اسره واخفاه فى حالتى نطقه وسكوته وقد سبقت الاشارة الى ذلك التاسع ومن عاش فعليه

الذى

رزق الخامس ومن مات فالیه منقلبه وهما اشارتان الى کونه تعالى مبدأ للعباد فی وجودهم وما یقوم به علیها ومنتهی وغایة لهم اجلا فالیه رجوع الاحیاء منهم والاموات وبه قیام وجودهم حالتی الحیوة والممات السادس لم تلن الاعتبارات السلبیة لم ترك العیون فتخبر عنك وفیه التفات من الغیبة الى الخطاب کقوله تعالى ایاك نعبد وهذا الالتفات وعکسه یستلزم شدة عنایة المتکلم بالمعنى المنتقل الیه وبحثه معلوم فی علم البیان واعلم ان هذا الکلام لا بد فیه من تجوز او اضمار وذلك ان حملنا الرؤیة هو العیون کما علیه اللفظ ویصدق فی حقیقة لزم اسناده وقوله فتخبر الیها مجازا لکون الاخبار لیس لها وان راعینا عدم المجاز لزم ان یکون التقدیر لم ترك العیون فتخبر عنك اربابها او لم ترك ارباب العیون فتخبر عنك فیلزم الاضمار ویلزم التعارض بینه وبین المجاز لکن قد علمت فی مقدمات اصول الفقه انهما یتساویان فی المرتبة وغرض الکلام تنزیهه تعالى عن وصف المشبهة ونحوهم ولخبارهم عنه بالصفات التی من شانها ان یخبر عنها الراوون عن مشاهدة حسیة مع اعترافهم بان اخبارهم عن ذلك من جهة ورؤیة فلما کان الاخبار عن المحسوسات ومامن شانه ان یحس انما یصدق اذا استند الى الحس لاجرم استلزم سلبه لرؤیة العیون له سلب الاخبار عنه من جهتها وکذب الاخبار عنه بما لا یعلم الامن جهتها ویخبر وان کان فی صورة الاثبات لا انه منفی لنفی لازمه وهو رؤیة العیون له اذ کان الاخبار من جهتها یستلزم رؤیتها ونصب باضمار ان عقیب الفاء فی جواب النفی والکلام فی تقدیر شرطیة متصلة تصورها لو صح اخبار العیون عنك لکانت قد رأتك لکنها لم ترك فلم یصح ان تخبر عنك فاما قوله بل کنت قبل الواصفین من خلقك فتعلیل لسبب لرؤیة المستلزم لسلب الاخبار عنها بقیاس ضمیر تقدیر کبراه وکل من کان قبل واصفیه لم یروه فلم یخبروا عنه وهذه الکبرى من المظنونات المشهورات فی بادی النظر وهی کما علمت من مواد قیاس الخطیب وان کانت اذا تعقبت لم توجد کلیة اذ لیس کلما وجد قبلنا بطل اخبارنا عنه ویمکن حمل هذا القول على وجه التحقیق وهو ان نقول المراد قبلیته تعالى للواصفین قبلیة وجوده بالعلیة الذاتیة وهی بهذا الاعتبار مستلزمة لتنزیهه تعالى عن الجسمیة ولواحقها المستلزمة لامتناع الرؤیة المستلزمة لکذب الاخبار عنه من وجه المشابهة الحسیة الثامن کونه لم یحلق الخلق لوحشه وهو اشارة الى تنزیهه عن الطبع المستوحش المستانس وقد سبق بیان ذلك فی الخطبة الاولى التاسع ولا استعملهم لمنفعة ای لم خلقه لهم لمنفعة تعود الیه وقد سبق بیان ان جلب المنفعة ودفع المضرة من لواحق المزاج المنزه قدس الله تعالى عنه العاشر ولا یسبقك من طلبت ولا یفوتك هربا الحادی عشر ولا ینقص من اخذت ولا ینقص منك بعد اخذه فحذف حرف الجر وعدى الفعل بنفسه کما قال تعالى واختار موسى قومه وهذان الاعتباران یستلزمان کمال ملکه وتمام قدرته واحاطة علمه اذ لیس ملك قوی قد یحور من یده الهارب ویفلت من اسره المأخوذ بالحیلة ونحوها الثانی عشر ولا ینقص سلطانك من عصاك الثالث عشر ولا یزید فی ملکك من اطاعك وهما تنزیه له تعالى عن احوال ملوك الدنیا اذ کان کمال سلطان احدهم بزیادة جنوده وکثرة مطیعیه وقلة المخالف والعاصی له ونقصان ملکه بعکس ذلك وهو سبب لتسلط اعدائه علیه وطمعهم فیه واما سلطانه تعالى فلما کان لذاته وکال قدرته مستولیا وهو مالك الملك

تؤتی الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بیدك الخیر وهو على کل شیء قدیر لم یتصور خروج العاصی بعصیانه عن کمال سلطانه حتى یؤثر فی نقصانه ولم یکن لطاعة الطایع تاثیر فی زیادة ملکه الرابع عشر ولا یرد امرك من سخط قضاءك ویرید بالامر هنا القدر النازل على وفق القضاء الالهی وهو تفصیل قضائه کما بیناه وهذا الاعتبار یستلزم ایضا تمام قدرة الله وکمال سلطانه اذ کان ما علم وجوده فلا بد من وجوده سواء کان مکروها للعبد او محبوبا له کما قال تعالى ویابى الله الا ان یتم نوره ولو کره الکافرون ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع وان یمسسك الله بضر فلا کاشف له الا هو وان یمسسك بخیر فهو على کل شیء قدیر وانما خص الساخط للقضاء بالعجز عن رد الامر اذ کان من شانه ان لو قدر لرد القدر الخامس عشر ولا یستغنی عنك من تولى عن امرك اراد بالامر هنا ظاهره وهو امر عباده بطاعته وعبادته وظاهر ان من تولى عن امر الله فهو الیه اشد فقرا واخس ذاتا ممن تولى امره وهذا الاعتبار یستلزم کمال سلطانه وغناه المطلق السادس عشر کل سر عندك علانیة السابع عشر وکل غیب عندك شهادة وهذان الاعتباران یستلزمان کمال علمه واحاطته بجمیع المعلومات ولما کانت نسبة علمه الى المعلومات على سواء لاجرم استوى بالنسبة الیه السر والعلانیة وایضا فان السر والغیب انما یطلقان بالقیاس الى یخفی عنه وغاب عنه وهی القلوب المحجوبة بحجب الطبیعة واستار الهیات البدنیة والارواح المستولی علیها نقصان الامکان الحاکم علیها بالجهل باحوال ما هو کل منها وکل ذلك مما تنزه قدس الصانع عنه الثامن عشر انت الابد فلا امد لك ای انت الدایم فلا غایة لك تقف عندها وجودك وذلك لاستلزام وجوب وجوده امتناع عدمه وانتهائه بالغایة وقال بعض الشارحین اراد انت ذو الابد کما قیل انت خال ای ذو خال من الخیلاء وهی الکبر واقول تقریر ذلك انه لما کان الازل والابد لازمین لوجوده تم اطلق الابد على وجوده مجازا المبالغة فی الدوام کان احدهما هو بعینه الاخر کقولهم انت الطلاق للمبالغة فی البینونة التاسع عشر وانت المنتهى فلا محیص عنك کذوانت الموعد فلا منجى منك الا الیك اما انه تعالى المنتهى والموعد فلقوله تعالى وان الى ربك المنتهى وقوله الى الله مرجعکم جمیعا والمنتهى فی کلامه علیه السلام الغایة وقد سبق بیان انه تعالى غایة الکل ومرجعه واما انه لا معدل عنه ولا منجى منه الا الیه فاشارة الى ضرورة الغایة منه وطلبه ان لا ملجأ من الله الا الیه کذ بیدك ناصیة کل دابة ای فی ملکك وتحت تصریف قدرتك کقوله تعالى ما من دابة الا هو اخذ بناصیتها وانما خصت الناصیة لحکم الوهم بانه تعالى فی جهة فوق فیکون اخذه بالناصیة ولانها اشرف ما فی الدابة فسلطانه تعالى على الاشرف یستلزم القهر والغلبة وتمام القدرة کو والیك مصیر کل نسمة وقد سبق انه تعالى منتهى الکل والیه مصیره وقوله سبحانك ما اعظم ما نرى من خلقك الى آخره تنزیه وتقدیس لله تعالى عن احکام الاوهام على صفاته تشبیهه مدرکاتها وتعجب فی معرض التمجید من عظم ما یشاهد من مخلوقاته کالطباق الافلاك والعناصر وما یترکب عنها ثم من حقارة هذه العظیمة بالقیاس الى ما غاب عن العقول من مقدوراته وما یکون فی کمال قدرته من الممکنات الغیر المتناهیة فان نسبة الموجود الى الممکن فی العظم والکثرة تستلزم حقارته وصغره ثم من هول ما وصلت الیه العقول من عظم

ملکوته ثم من حقارته بالقیاس الى ما غاب عنها وحجبت عن ادراکه باستار القدرة وحجب العزة من الملأ الاعلى وسکان حظایر القدس وحال العالم العلوی ثم من سبوغ نعمة الله تعالى على عباده فی الدنیا وحقارة تلك النعم بالقیاس الى نعم التی اعدها لهم فی الاخرة وظاهر ان نعم الدنیا اذا اعتبرت الى نعم الاخرة فی الدوام والکثرة والشرف کانت بالقیاس الیها فی غایة الحقارة وبالله التوفیق منها من ملائکة اسکنتهم سمواتك الى آخره وفی هذا الفصل فصول الاول قوله من ملائکة اسکنتهم سمواتك ورفعتهم عن ارضك هم اعلم خلقك بك واخوفهم لك واقربهم منك لم یسکنوا الاصلاب ولم یضمنوا الارحام ولم یخلقوا من ماء مهین ولم یتشعبهم ریب المنون وانهم على مکانهم ومنزلتهم عندك واستجماع اهوائهم فیك وکثرة طاعتهم لك وقلة غفلتهم عن امرك لو عاینوا کنه ما خفی علیهم منك لحقروا اعمالهم ولازروا على انفسهم ولعرفوا انهم لم یعبدوك حق عبادتك ولم یطیعوك حق طاعتك اقول المهین الحقیر والتشعب الاقتسام والتفریق والمنون الدهر وریبه ما یکره من حوادثه والمکانة المنزلة وکنه الشیء نهایة حقیقته وزریت علیه عبت فعله واعلم ان من صدر هذا الفصل البیان الجنس وذلك انه علیه السلام لما شرع فی بیان عظمة الله تعالى وجلاله جعل مادة ذلك التعظیم تعدید مخلوقاته وذکر الاشرف فالاشرف منها فذکر الملائکة السماویة واشار الى فضیلتهم باوصاف الاول کونهم اعلم خلق الله به وهو ظاهر اذ ثبت ان کل مجرد کان علمه ابعد من منازعة النفس الامارة بالسوء التی هی مبدأ الغفلة والسهو والنسیان کان اکمل فی معارفه وعلومه ممن عداه ولان الملائکة السماویة وسایط لغیرهم فی وصول العلم وسایر الکمالات الى الخلق فکانوا کالاستاذین لمن عداهم وظاهر ان الاستاد اعلى درجة من التلمیذ وقد علمت فی الخطبة الاولى ان المعارف مقولة بحسب التشکیك الثانی کونهم اخوف له وذلك لکونهم اعلم بعظمة الله وجلاله وکل من کان اعلم بذلك کان اخوف له واشد خشیة اما الاولى فلما مر واما الثانیة فلقوله تعالى انما یخشى الله من عباده العلماء حصر الخشیة فی العلماء ویجب تفاوت العلم بالشدة والضعف یکون تفاوت الخشیة بها الثالث کونهم اقرب منه والمراد لا القرب المکانی لتنزهه تعالى عن المکان بل قرب المنزلة والرتبة منه وظاهر ان من کان اعلم به واخوف منه کان اقرب منزلة عنده لقوله تعالى عن المکان ان اکرمکم عند الله اتقیکم الرابع من سلب نقصانات البشریة عنهم کونهم لم یسکنوا الاصلاب لم یضمنوا الارحام ولم یخلقوا من ماء مهین ولم یختلف علیهم حوادث الدهر وظاهر کون هذه الامور الاربعة نقصانات تلزم الحیوان العنصری لاستلزامها التغیر ومخالطة المحال المستقذرة ومعاناة الاسقام والامراض وسایر الحجب البدنیة المانعة عن التوجه الى الله تعالى فکان سلبها عمن لا یجوز علیه من کمالاته وقوله وانهم على مکانهم منك الى آخره لما بین عظمة الملائکة بالنسبة الى من عداهم شرع فی المقصود وهو بیان عظمة الله بالنسبة الیهم وحقارتهم على عظمتهم بالقیاس الى عظمته وکبریائه ای انهم مع کونهم على هذه الاحوال التی توجب لهم العظمة والاجلال من قرب منزلتهم منك وکمال محبتهم لك وغرقهم فی انوار کبریائك عن الالتفات

الى غیرك لو عرفوا کنه معرفتك لصغرت فی اعینهم اعمالهم وعلموا ان لا نسبة لعبادتهم الى عظمتك وجلال وجهك ولما کان کمال العبادة ومطابقتها للامر المطاع بحسب العلم بعظمته وکانت ذات الحق سبحانه اعظم من ان یطلع علیها بالکنه ملك مقرب او نبی مرسل لاجرم کانت عبادة الملائکة بحسب معارفهم القاصرة عن کنه حقیقته فکل من کانت معرفته اتم کانت عبادته من دونه مستحقرة فی جانب عبادته حتى لو زادت معارفهم به وامکن اطلاعهم على کنه حقیقته لزادت عباداتهم وکانت کل فاستحقروا ما کانوا فیه وعابوا انفسهم بقصور الطاعة العبادة عما یستحقه کماله المطلق وعبر بقلة الغفلة عن عدمها فی حقهم مجازا اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه اذ کان کل معدوم قلیل ولا ینعکس ویحتمل قلة الغفلة فی مقابلة کثرة الطاعة ویحتمل ان یرید بقلة الغفلة قوة معرفة بعضهم بالنسبة الى بعض مجازا ایضا لاطلاق الاسم الملزوم على لازمه اذ کانت قلة الغفلة مستلزمة لقوة المعرفة وزیادتها وقد سبق ذکر انواع الملائکة السماویة وعزیم وذکر نکت من احوالهم فی الخطبة الاولى الفصل الثانی قوله سبحانك خالقا ومعبودا بحسن بلائك عند خلقك خلقت دارا وجعلت فیها مادبة مشربا ومطعما وازواجا وخدما وقصورا وانهارا وزروعا وثمارا ثم ارسلت داعیا یدعو الیها فلا الداعی اجابوا ولا فیما رغبت رغبوا ولا الى ما شوقت الیه اشتاقوا اقبلوا على جیفة قد افتضحوا باکلها واصطلحوا على حبها ومن عشق شیئا اعشى بصره وامرض قلبه فهو ینظر بعین غیر صحیحة ویسمع باذن غیر سمیعة قد خرقت الشهوات عقله واماتت الدنیا قلبه ولهت علیها نفسه فهو عبد لها ولمن فی یدیه شیء منها حیث ما زالت زال الیها وحیث ما اقبلت اقبل علیها لا ینزجر من الله بزاجر ولا یتعظ منه بواعظ وهو یرى المأخوذین على الغرة حیث لا اقالة ولا رجعة کیف نزل بهم ما کانوا یجهلون وجاءهم من فراق الدنیا ما کانوا یامنون وقدموا من الاخرة على ما کانوا یوعدون فغیر موصوف ما نزل بهم اجتمعت علیهم سکرة الموت وحسرة الفوت ففترت لها اطرافهم وتغیرت لها الوانهم ثم ازداد الموت فیهم ولوجا فحیل بین احدهم وبین منطقه وانه لبین اهله ینظر ببصره ویسمع باذنه على صحة من عقله وبقاء من لبه یفکر فیم افنى عمره وفیم اذهب دهره ویتذکر اموالا جمعها اغمض فی مطالبها واخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها قد لزمته تبعات جمعها واشرف على فراقها تبقى لمن وراءه ینعمون فیها ویتمتعون بها فیکون المهنا لغیره والعبء على ظهره والمرء قد غلقت رهونه بها فهو یعض یده ندامة على ما اصحر له عند الموت من امره ویزهد فیما کان یرغب فیه ایام عمره ویتمنى ان الذی کان یغبطه بها ویحسده علیها قد حازها دونه فلم یزل الموت یبالغ فی جسده حتى خالط سمعه فصار بین اهله لا ینطق بلسانه ولا یسمع بسمعه یردد طرفه بالنظر فی وجوههم یرى حرکات السنتهم ولا یسمع رجع کلامهم ثم ازداد الموت التیاطا به فقبض بصره کما قبض سمعه وخرجت الروح من جسده فصار جیفة بین اهله قد اوحشوا من جانبه وتباعدوا من قربه لا یسعد باکیا ولا یجیب داعیا ثم حملوه الى مخط من الارض واسلموه فیه الى عمله وانقطعوا عن زورته اقول المادبة بضم الدال وفتحها الطعام یصنع ویدعى الیه الولیمة الحیرة لشدة الوجد

والمحنة واعمض اى ازد لوامن طالبها ونساهل فى وجوه اكتسابها ولم يحفظ دينه والتبعة ما يلحق من اثم وعقاب والمهنا مصدر من هنوء بالضم وهنى بالكسر والعب الحمل واصل انكشف ورجع الكلام جوابه وترديده ولا الا التضائى والمحط موضع الحط كناية عن القبر يغبط اولا ثم يعجز ويروى بالحاء ومحط القوم منزلهم وفى هذا الفصل نكت الاول ان خالقنا ومعبودنا الان انتصابهما فى سبحانك من معنى الفعل اى سبحك خالقا ومعبودا واشار بذلك الى وجوب تنزيهه فى هذين الاعتبارين اعنى اعتبار كونه خالقا للخلق ومعبودا لهم عن الشركاء والانداد فانه لما انفرد بالابداع والخلق واستحق بذلك التفرد تفرده بعبادة الكل له وجب تنزيهه عن مساواته فى الاعتبارين الثانية قوله بحسن بلائك عند خلقك خلقت دارا الجار والمجرور متعلق بخلقت ولفظ الدار مستعار للاسلام ولفظ المادبة للجنة والداعى هو الرسول صلى الله عليه وآله وقد جمعها الخبر فى بعض امثاله صلى الله عليه وآله ان الله جعل الاسلام دارا والجنة مادبة والداعى اليها محمدا ووجه الاستعارة الاولى ان الاسلام يجمع اهله ويحميهم كالدار ووجه الثانية ان الجنة مجمع الشهوات و منبع اللذات كالمادبة ويحتمل ان يريد بالدار الاخرة باعتبار كونها مجمعا ومستقرا والمادبة فيها الجنة و المنصوبات الثمانية مميزات لتلك المادبة وظاهر ان الاسلام والجنة والدعوة اليها بلاء حسن من الله لخلقه وقد عرفت معنى ابتلائه لهم وقال بعض الشارحين ان قوله بحسن بلائك متعلق بسبحانك او بمعبود وهو بعيد الثالثة قوله فلا الداعى اجابوا الى قوله بواغط شرح لحال العصاة الذين لم يجيبوا داعى الله وبيان لعيوبهم وغرتهم فى حب الباطل من الدنيا وفائدته اما التنبيه للارمنين لاوامر الله المجيبين لدعوته فتنفير عن الركون الى هؤلاء والوقوع فيما وقعوا فيه واما لهؤلاء فتنبيههم من مراقد غفلاتهم بتذكير عيوبهم لعلهم يرجعون واستعار لفظ الجيفة للدنيا ووجه المشابهة ان لذات الدنيا وقنياتها فى نظر العقلاء واعتبار الصالحين منفور عنها ومهروب منها ومستقذرة كالجيفة والى ذلك اشار الواصف لها وما هى الا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها فان تجتنبها كنت سلما لاهلها وان تجتذبها نازعتك كلابها ويمكن اخذ البيت الثانى فى وجه الاستعارة المذكورة وكذلك استعار لفظ الافتضاح للاشتها باقتنائها وجمعها والخروج به عن سمة الصالحين ووجه الاستعارة انه لما كان الاقبال على جمع الدنيا و الاشتغال بها عن الله من اعظم الكبائر والمساوى فى نظر الشارع والسالكين لطريق الله وكان الافتضاح عبارة عن انكشاف المساوى المتعارف قبحها الاجرم اشبه الاشتهار بجمعها وانكشاف الحرص عليها الافتضاح ويمكن ان يصدق الافتضاح حقيقة وكنى بالكلها عن جمعها وتجوز بلفظ الاصطلاح فى التوافق على محبتها اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه فان الاصطلاح عبارة عن التراضى بعد التغاضب ويلزمه الاتفاق على الاحوال وقوله ومن عشق شيئا اعمى بصره وامرض قلبه كبرى قياس دل على صغراه قوله واصطلحوا على حبها لان الاصطلاح على محبة الشىء يستلزم شدة محبته وهو معنى العشق ونتيجته ان المذكورين فى معرض الذم

وبحوره

معنى

قد اعشت الدنيا ابصارهم وامرضت قلوبهم واستعار لفظ البصر لنور البصيرة ملاحظة لشبه المعقول بالمحسوس ولفظ العشا لظلمة الجهل ملاحظة للشبه بالظلمة العارضة للعين بالليل واسنا الاعشاء الى الدنيا يحتمل ان يكون حقيقة لما يستلزم حبها من الجهل بالاخطاء والغفلة عن احوال الاخرة ويحتمل ان يريد بالبصر حقيقته ويكون لفظ العشا مستعارا لعدم استفادتهم بابصارهم عبرة تصرفهم عن حب الدنيا الى ملاحظة احوال الاخرة وبوائقها قوله فهو ينظر بعين غير صحيحة وكنى بعدم صحتها عما يلزم العين غير الصحيحة من عدم الانتفاع بها فى تحصيل الفائدة وكذلك استعار لفظ المرض للداء الاكبر وهو الجهل استعار لفظ المحسوس للمعقول وقوله ويسمع باذن غير سميعة كنى بذلك عن عدم افادتها عبرة من المواعظ والزواجر الالهية كما سبق وكذلك استعار لفظ التخريق لتفرق عقله فى مهمات الدنيا ومطالبها ووجه الاستعارة ان العقل اذا استعمل فيما خلق لاجله من اعداد الزاد ليوم المعاد واقتباس العلم والحكمة فى تصفح جزئيات الدنيا و الاستدلال منها على وجود الصانع وما ينبغى له ونحو ذلك مما هو كماله المسعد فى الاخرة فانه يكون منتظما به واما ان استعمل فيما لا ينبغى من جمع متفرقات الدنيا وتوزيع الهمة فى تحصيل جزئياتها وضبطها حتى يكون ابدا فى الحزن والاسف على فوات ما فات وفى الخوف من زوال ما يحصل وفى الهمة والحرص على جمع ما لم يحصل بعد فانه يكون كالثوب المخرق الذى لا ينتفع به صاحبه ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله من جعل الدنيا اكبر همه فرق الله عليه همه وجعل فقره بين عينيه الحديث ونسبة ذلك التخريق الى الشهوات ظاهرة اذ كان زمام عقله بيد شهوته فهى تفرقه وتمزقه على حسب تصرفاتها وميولها الى انواع المشتهيات وكذلك استعار لفظ الاماتة للقلب ووجه المشابهة خروجه عن الانتفاع به الانتفاع الحقيقى الباقى كالميت والضمير فى قوله عليها يعود الى الدنيا اليه وولهت الدنيا على نفسها نفسه وكنى بالتوله عن شدة المحبة لها واطلق مجازا تسمية للشىء بما هو من غاياته وكذلك استعار لفظ العبد لها باعتبار كونه محبا لها والتحرم لتحصيلها متصرفا بحسب مصرفها ودائرا فى حركاته حيث دارت فان كانت فى يد اقبل عليها بالعمارة والحفظ وان زالت عنه انصب الى تحصيلها وخدمة من كانت فى يده لغرضها فهو فى ذلك كالعبد لها بل احسن حالا كما قال عليه السلام فى موضع آخر عبد الشهوة اذل من عبد الرق لان الباعث لعبد الرق على الخدمة والانقياد قد يكون قسريا والباعث لعبد الشهوة طبيعى وشتان ما هما الرابعة قوله وهو يرى الماخوذين على الغرة فالواو فى قوله وهو للحال وهو شروع فى وصف نزول الموت بالغافلين عن الاستعداد له ولما وراءه من احوال الاخرة وكيفية قبض الموت لارواحهم من مبدا نزوله بهم الى آخره وكيفية احوالهم مع اهليهم واخوانهم معه وهو وصف لا مزيد على فصاحته وبلاغته وفائدته تذكير العصاة باهوال الموت وتنبيههم من غفلتهم فى الباطل بذلك على وجوب العمل له وتثبيت للسالكين الى الله تعالى على ما هم عليه ومراده بقوله ما كانوا يجهلون لا الموت فانه معلوم لكل احد بل تفصيل سكراته واهواله وما كانوا يامنون اشارة الى الموت وما بعده فان الغافل حال

انهماكه فى لذات الدنيا لا يعرض له خوف الموت بل يكون فى تلك الحال امنا منه وقوله فغير موصوف ما نزل بهم اى ليس ذلك مما يمكن استقصاؤه بوصف بل غايته التمثيل كما ورد فى التورية ان مثل الموت كمثل شجرة شوك ادرجت فى بدن ابن آدم فتعلقت كل شوكة بعرق وعصب ثم جذبها رجل شديد الجذب فقطع ما قطع وابقى ما ابقى واستعار لفظ الولوج لما يتصور من فراق الحيوة لعضو عضو فاشبه ذلك دخول جسم فى جسم آخر وكذلك استعار لفظ العب للاثام التى تحملها النفس ورشح بذكر الظهر استعارة لفظ المحسوس للمعقول الخامسة قوله والمرء قد غلقت رهونه بها اضرب مثلا لحصول المرء فى تبعات ما جمع وارتباطه بها عن الوصول الى كماله وانبعاثه الى سعادته بعد الموت وقد كان يمكنه افتكاكها بالتوبة والاعمال الصالحة فاشبه ما جمع من الهيئات الرديئة فى نفسه من اكتساب الاموال فارتهنت بها فى ما على الرهن من الحال وقال بعض الشارحين اذا اشتمل اشفى على الفراق صارت الاموال التى جمعها مستحقة لغيره ولم يبق له فيها تصرف فاشبهت الرهن الذى على صاحبه فخرج عن كونه مستحقا لصاحبه وصار مستحقا للمرتهن وهذا وان كان محتملا الا انه يضيع فائدة قوله بها لان الضمير يعود الى الاموال المجموعة وهو اشارة الى المال الذى تغلق الرهون به فلا يكون فى نفس الرهن وقوله وهو يعض يده كناية عما يلزم ذلك من الاسف والحزن والندم على تفريطه فى جنب الله حيث انكشف له حال الموت انقطاع سببه من الله وفوت ما كان يتوهم بقاءه عليه مما اشتغل به عن ربه وحيث يتحسر على ذلك التفريط كما قال تعالى ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين وتمنى هداية الله فيقول لو ان الله هدانى لكنت من المتقين او الرجعة الى الدنيا لامتثال ما فرطت فيه من الاوامر الالهية فيقول حين يرى العذاب لو ان لى كرة فاكون من المحسنين وكما قال تعالى ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا وقد نبه عليه السلام فى هذا الكلام على ان آلة النطق تبطل من الانسان حال الموت قبل آلتى السمع والبصر بقوله فحيل بين احدهم وبين منطقه وانه ليبين اهله ينظر ببصره ويسمع باذنه على صحة من عقله ثم نبه على ان بطلان آلة السمع بعدها قبل آلة البصر تبطل مع المفارقة بقوله حتى خالط سمعه الى قوله يرى حركات السنتهم ولا يسمع رجع كلامهم وذلك لعلمه عليه السلام باسرار الطبيعة وليس كلامه مطلقا بل فى بعض الناس واغلب ما يكون ذلك فيمن تعرض له الموت الطبيعى لا لامراض والا فقد يعرض لا فة لقوة البصر والسمع قبل آلة السمع وآلة النطق والذى يلوح من اسباب ذلك انه لما كان السبب العام القريب للموت هو انطفاء الحرارة الغريزية عن فناء الرطوبة الاصلية التى منها خلقنا وكان فناء تلك الرطوبة عن عمل الحرارة الغريزية فيها التجفيف والتحليل وقد يعينها على ذلك الاسباب الخارجية من الاهوية واستعمال الادوية المجففة وسائر المجففات كان كل عضو ابرد فى طبيعته واليبوسة اسرع الى البطلان واسبق الى الفساد اذا عرفت ذلك فنقول اما ان آلة النطق اسرع فسادا من آلة السمع فلان آلة النطق مبنية على الاعصاب المحركة مركبة منها وآلة السمع من الاعصاب المفيدة للحس وانفع الاطباء على ان الاعصاب المحركة ايبس

وان آلة البصر

ابرد لكونها منبعثة من موخر الدماغ دون الاعصاب المفيدة للحس فانها جلها منبعث من مقدم الدماغ فكانت لذلك اقرب الى البطلان ولان النطق اكثر شرائط من السماع لتوقفه مع الآلة وسلامتها على الصوت وسلامة مخارجه ومجارى النفس والاكثر شرطا اسرع الى الفساد واما بطلان آلة السمع قبل البصر فلان منبت الاعصاب التى هى محل القوة السامعة اقرب الى موخر الدماغ من منابت محل القوة الباصرة فكانت ايبس وابرد واقبل لانطفاء الحرارة الغريزية ولان العصب المفروش على الصماخ الذى هو محل قوة السمع يحتاج ان يكون مكشوفا غير مسدود عنه سبيل الهواء بخلاف العصب الذى هو آلة البصر فكان لذلك اصلب والاصلب ايبس واسرع فسادا هذا مع انه قد يكون ذلك لتحلل الروح الحامل للسمع قبل الروح الحامل للبصر او لغير ذلك والله اعلم واما سبب النفرة الطبيعية من الميت والتوحش من قربه فحكم الوهم على المتخيلة بمحاكاة حال الميت فى نفس المتوهم وغلبه العقل فى ذلك الموضع حتى ان الجاهل ليبيت فى موضع منفرد فيخيل ان الميت يجذبه اليه ويصيره الى مثل حالته المنفور عنها طبعا السادسة قوله واسلموا الى عمله اشارة الى ان كل ثواب وعقاب اخروى يفاض على النفس فبحسب استعدادها باعمالها السابقة الحسنة والسيئة فعمل الانسان هو النافع او الضار له حين لا ناصر له ولما كان ميله عليه السلام فى هذا الكلام الى الانذار والتخويف لاجرم ذكر اسلامهم له الى عمله لان الاسلام انما يكون الى العدو فلذلك حاول ان ينفر الى قبح الاعمال منه على ان عمل الانسان القبيح يكون كعدوه العوى عليه يسلم اليه الفصل الثالث قوله حتى اذا بلغ الكتاب اجله والامر مقاديره والحق آخر الخلق باوله وجاء من امر الله ما يريده من تجديد خلقه امار السماء وفطرها وارج الارض وارجفها وقلع جبالها ونسفها ودك بعضها بعضا من هيبة جلالته ومخوف سطوته واخرج من فيها فجددهم بعد اخلاقهم وجمعهم بعد تفرقهم ثم ميزهم لما يريده من مسئلتهم عن الاعمال وخبايا الافعال وجعلهم فريقين انعم على هؤلاء وانتقم من هؤلاء فاما اهل الطاعة فاثابهم بجواره وخلدهم فى داره حيث لا يظعن النزال ولا يتغير بهم الحال ولا تنوبهم الافزاع ولا تنالهم الاسقام ولا تعرض لهم الاخطار ولا تشخصهم الاسفار واما اهل المعصية فانزلهم شر دار وغل الايدى الى الاعناق وقرن النواصى بالاقدام والبسهم سرابيل القطران ومقطعات النيران فى عذاب قد اشتد حره وباب قد اطبق على اهله فى نار لها كلب ولجب ولهب ساطع وقصيف هائل لا يظعن مقيمها ولا يفادى اسيرها ولا تفصم كبولها لا مدة للدار فتفنى ولا اجل للقوم فيقضى اقول الرج والرجف الاضطراب الشديد ويروى بعينها بغير همزة وهو الاشهر ونسفها قلعها من اصولها وتهاوت بعضها لبعض تصادمت وتنوبهم تعودهم والخطر الاشراف على الهلاك وتشخص خرج من منزل الى آخر واشخصه والكلب الشدة والجلبة الجلب الصوت والقصيف الصوت الشديد والكبول الاغلال واحدها كبل وفصمها كسرها واشار بقوله حتى اذا بلغ الكتاب اجله الى غاية التناسخ موتهم وهو بلوغ الوقت المعلوم الذى يجمع له الناس وهو يوم القيمة واراد بالامر القضاء ومقاديره تفاصيله من الآثار التى توجد على وفقه كما سبق بيانه ولحوق الخلق

او له اشارة الى توافيهم فى الموت وتساويهم فيه كما نطقت الشريعة به وتجديد الخلق بعثهم واعادتهم واما امانة
السماء وشقها وارجاج الارض ونسف الجبال فظاهر الشريعة الناطق بخراب هذا العالم ناطق به واما من زعم انها
وتباعدوا الى التاويل والذى يحتمل ان يقال فى ذلك وجوه احدها ان القيمة لما كانت عندهم عبارة عن موت الانسان
ومفارقته لهذا البدن ولما يدرك بواسطته من الاجسام والجسمانيات ووصوله الى مبدائه الاول كان عدم هذه
الاشياء مستلزما لغيبوبتها عنه وعدمها وخرابها بالنسبة فيصدق عليه انه اذا انقطع نظره عن جميع الموجودات
سوى مبدائه الاول جلت عظمته انها قد عدمت وتفرقت وكذلك اذا انقطع نظره عن عالم الحس والخيال وتملصا
من الاجسام والجسمانيات واتصل بالملأ الاعلى فبالحرى ان تتبدل له الارض والسموات بالنسبة اليه فيصير عالم
الاجسام والجسمانيات ارضا له وعالم المفارقات سماوية الثانى ان هذه الموجودات المشار اليها لما كانت مقهورة
تحت الامكان فى قبضة القدرة الالهية كان ما نسب اليها من الانشقاق والانفطار والارجاج والنسف وغيرها
امورا ممكنة فى نفسها وان امتنعت بالنظر الى الاسباب الخارجية فعبر عما يمكن بالواقع مجازا وحسن فى العربية
معلوم وفائدته التهويل بما بعد الموت والتخويف للعصاة بتلك الاهوال الثالث قالوا يحتمل ان يريد بالارض
القوابل للجود الالهى استعارة فعلى هذا امانة السماء عبارة عن تحريكاتها واتصالات كواكبها التى هى اسباب معدة
لقوابل هذا العالم وانقطاعها افاضة الجود بسبب تلك المعدات على القوابل وارجاج الارض اعداد المواد
لاعادة امثال هذه الابدان او لنوع اخر بعد فناء النوع الانسانى وقلع الجبال ونسفها ودكها اشارة الى
دفع الموانع الاستعدادات لنوع اخر ان كان او لاعادة ابناء هذا النوع استعارة وجهها ان الارض بنسف
الجبال يستوى سطحها ويعتدل فكذلك قوابل الجود تستعد وتعتدل لان يفاض عليها صورة نوع اخر او صورة
اخرى لابناء هذا النوع الرابع قالوا يحتمل ان يريد بالسماء سماء الجود الالهى وبالارض عالم الانسان فعلى هذا
يكون امانة السماء عبارة عن ترتيب كل استحقاق لقابل فى القضاء الالهى وانفطارها عبارة عن التعيين وارجاج
الارض وارجافها عبارة عن الهرج والمرج الواقع بين ابناء نوع الانسان وقلع جبالها ونسفها ودك بعضها
بالبعض عبارة عن اهلاك الجبابرة والمعاندين للناموس الالهى وقتل بعضهم بعضا كل ذلك باسباب مقهورة
مستندة الى هيبة جلال الله وعظمته واخراج من فيها وتجديدهم اشارة الى ظهور ناموس اخر تجديد لهذا الناموس
والمتبع له اذن قوما اخرين هم كنوع جديد وتميزهم فريقين منعم عليهم ومنتقم منهم ظاهر فان السعداء بن لاتباع
الناموس الشرعى والقائلين به هم المنعم عليهم المثابون والتاركين له المعرضين عنه هم المنتقم منهم المعاقبون
فاما صفة الفريقين وما اعد لكل منهم بعد الموت فعلى ما نطق به الكتاب العزيز ووصفته هذه الالفاظ الكريمة
وعلى تقدير التاويلات السابقة لمن عدل عن الظواهر فثواب اهل الطاعة جوار ربهم وملاحظة الكمال
المطلق له وخلودهم فى داره بقاؤهم فى تلك النعمة غير جائز عليهم الفناء كما تطابق عليه الشرع والبرهان لكونهم
غير ظاعنين ولا متغيرة بهم الاحوال ولا فزعين ولا تنالهم سقم ولا خطر ولا يشخصهم سفر فلان كل ذلك من لواحق

الابدان والكون فى الحيوة الدنيا بحيث نالت عوارضها ولواحقها واما جزاء اهل المعصية فانزالهم شر
دار وهى جهنم التى هى ابعد بعيد عن جوار الله وغل ايديهم الى اعناقهم اشارة الى قصور قواهم العقلية عن تناول ثمار
المعرفة واقران النواصى بالاقدام اشارة الى انتكاس رؤسهم عن مطالعة انوار الحضرة الالهية والباسهم سرابيل
القطران استعار لفظ السرابيل للهيأت البدنية المتمكنة من جواهر نفوسهم ووجه المشابهة اشتمالها عليها و
تمكنها منها كالسربال للبدن ونسبها الى القطران اشارة الى شدة استعدادهم للعذاب وذلك ان اشتعال
النار فيما يمسح بالقطران اشد ونحوه قوله تعالى سرابيلهم من قطران وكذلك مقطعات النيران اشارة الى تلك
الهيأت التى تمكنت من جواهر نفوسهم ونسبها الى النار لكونها ملبوس اهلها فيها كما قال تعالى قطعت لهم
ثياب من نار ولما كان سبب الخروج من النار هو الخروج الى الله من المعاصى بالتوبة والرجوع الى تدبر الايات
والعبر النوافع وكان البدن وحواسه ابواب الخروج الى الله فبعد الموت تغلق تلك الابواب فلاجرم يبقى
الكفار وتطبق تلك الابواب فى شدة بحرارة ذلك العذاب وطيب النار ولهيبها واصواتها الهائلة استعار
لاوصاف النار المحسوسة المستلزمة للهيبة والخوف من النار المعقولة التى هى فى الحقيقة اشد نعوذ بالله
منها وانما عدل الى المحسوس للغفلة عن صفات تلك النار وعدم تصور اكثر الخلق لها الا من هذه الاوصاف
المحسوسة وكونها لا تطعن مقيمها كناية عن التخليد وذلك فى حق الكفار ولفظ الاسير والعديم استعارة و
كذلك لفظ الكبول استعارة لقيود الهيأت البدنية المتمكنة من جواهر نفوس الكفار فكما لا ينفصم القيد
الوثيق من الحديد ولا ينفك المكبل به كذلك النفوس المقيدة بالهيأت الردية البدنية عن [illegible]
جلال الله وعظمته والنشؤ فى جنان حظائر قدسه ومقامات اصفيائه ولما كان الاجل مفارقة البدن
لم يكن لهم بعد موتهم اجل اذ لا ابدان بعد الابدان ولا خلاص من العذاب للزوم الملكات الردية لاعناق
نفوسهم وتمكنها منها فهذا ما اعلم من تاويلهم او يعبرون به عن الاسرار التى يحتويها تحت هذه العبارات
الواضحة التى وردت الشريعة بها ككتك وقد علمت ان العدول الى هذه التاويلات وامثالها مبنى على امتناع
المعاد البدنى وذلك مما صرحت به الشريعة تصريحا لا يجوز العدول عنه ونصوصا لا يحتمل التاويل واذا حملنا
الكلام على ما وردت به الشريعة فهذا الكلام منه عليه السلام افصح ما وصف به حال القيمة والمعاد والتعرض
لشرحه يجرى مجرى ايضاح الواضحات وبالله التوفيق ومنها فى ذكر النبى صلى الله عليه وآله قد حقر الدنيا وصغرها واهون
بها وهونها وعلم ان الله زواها عنه اختيارا وبسطها لغيره احتقارا فاعرض عن الدنيا بقلبه وامات ذكرها
من نفسه واحب ان تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها رياشا او يرجو فيها مقاما بلغ عن ربه معذرا ونصح
لامته منذرا ودعا الى الجنة مبشرا نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملئكة ومعادن العلم وينابيع
الحكم ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة اقول الرياش اللباس والفصل
اقتصاص لحال الرسول صلى الله عليه وآله واوصافه الحميدة ليبنى عليها مادح نفسه بعد تحقيره للدنيا

وتصغيرها وتهوينها اشارة الى ما كان يجذب الخلق بها من ذكر مثالبها وتعديد معايبها واهوانها اشارة
الى زهده فيها وعلمه بان زواء الله اياها عنه اختيارا اشارة الى ان زهده فيها كان عن علم منه باختيار الله له ذلك و
تسبيب اسبابه وهو وجه مصلحة ليستعد نفسه بذلك لكمال النبوة والقيام باعباء الخلافة الارضية وبسطها
لغيره احتقارا لها وعلى الرواية الثانية فقد عرفت معنى الاختبار من الله لخلقه غير مرة فكان اعراضه عنها
بقلبه واماتة ذكرها عن نفسه ومحبته ان يغيب زينتها عن عينه لئلا يتخذ منها رياشا ولا يرجو فيها مقاما
جذبا للعناية الالهية له الى الالتفات اليها الى الكمالات المعلومة له وعن ان يحط لحبها عن مقامه الذى
قضت العناية الالهية بنظام العالم بسببه ثم اعقب ذلك بذكر ثلثة احوال هى ثمرة النبوة التى هى ثمرة الزهد
المشار اليه وهى تبليغ رسالة ربه اعذارا الى خلقه ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين والنصح لهم انذارا
بالعذاب الاليم فى عاقبة الاعراض عن الله ودعاؤه الى الجنة مبشرا لمن سلك سبيل الله ونهج المستقيم
بما اعد له فيها من النعيم المقيم ثم عقب اقتصاص تلك المدائح بالاشارة الى فضيلة نفسه وذلك منزل فى
معرض المفاخرة بينه وبين مشاجريه كمعوية فاشار الى فضيلته من جهة اتصاله بالرسول صلى الله عليه وآله وكان
من البيت الذى هو شجرة النبوة ومحط الرسالة ومعدن العلم وينبوع الحكمة بافضل مكان بعد الرسول صلعم
كما سبق بيانه فى بيان فضائله ولفظ الشجرة والمعادن والينابيع مستعار كما سبق فاذا كان من تلك الشجرة
كما علمت ولكل غصن من الشجرة قسط من الثمرة بحسب قوته وقربه من الاصل وعناية الطبيعة به علمت مقدار
فضيلته ونسبها الى الرسول صلى الله عليه وآله وقوله بعد ذلك ناصرنا ومحبنا الى اخره ترغيب فى نصرته ومحبته
وجذب لهما بالوعد برحمة الله وافاضة بركاته وتنفير عن عداوته وبغضه وخذلانه بالخوف سطوة الله ولعل
ذلك هو غايته هنا من ذكر فضيلته وبالله التوفيق والعصمة ومن خطبة له عليه السلام ان افضل ما يتوسل به
المتوسلون الى الله سبحانه الايمان به وبرسوله والجهاد فى سبيله فانه ذروة الاسلام وكلمة الاخلاص فانها الفطرة
واقامة الصلوة فانها الملة وايتاء الزكوة فانها فريضة واجبة وصوم شهر رمضان فانه جنة من العقاب وحج
البيت واعتماره فانهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب وصلة الرحم فانها مثراة فى المال ومنساة للاجل
وصدقة السر فانها تكفر الخطيئة وصدقة العلانية فانها تدفع ميتة السوء وصنائع المعروف فانها تقى
مصارع الهوان افيضوا فى ذكر الله فانه احسن الذكر وارغبوا فيما وعد المتقين فان وعده اصدق الوعد
واقتدوا بهدى نبيكم فانه افضل الهدى واستنوا بسنته فانها اهدى السنن وتعلموا القرآن فانه احسن
الحديث وتفقهوا فيه فانه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فانه شفاء الصدور واحسنوا تلاوته فانه انفع القصص
وان العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذى لا يستفيق من جهله بل الحجة عليه اعظم والحسرة له الزم وهو عند
الله الوم اقول ذروة الشئ اعلاه والملة الدين والجنة الوقاية ويرحضان يغسلان والرحض
الغسل والمثراة المكثرة وهى محل كثرة المال والثروة به والمنساة محل النساء وهو التاخير والافاضة

الذكر الاندفاع فيه والهدى ضد الاضلال وهو مصدر وقد اشار عليه السلام فى هذا الفصل الى ان افضل
الوسائل الموصلة الى الله سبحانه هو الايمان الكامل فالايمان بالله هو التصديق بوجوده وهو اشارة
الى اصل الايمان ثم له لواحق وكمالات احدها التصديق برسوله وانما قدمه على سائر العبادات لانها اثار
لها لا تصح بدونه الثانى الجهاد فى سبيله وقد عرفت فضائل الجهاد فيما سلف واشار الى وجه فضيلته بكونه
ذروة الاسلام واستعار لفظ الذروة له ملاحظة لشبهه فى العلو والمرتبة فى الاسلام بالسنام للبعير
وانما قدمه على الصلوة لكون سالكه على يقين من لقاء الله وقوة من التصديق بما جاء به الرسول حيث
يلقى بنفسه الى التهلكة الحاضرة التى ربما يغلب على ظنه او يتيقنها ولانه الاصل الاعظم فى جمع
العالم على الدين الثالث كلمة الاخلاص وهى كلمة التوحيد المستلزمة لنفى الشركاء والانداد وهو معنى
الاخلاص ولذلك اضيفت اليه ووجه فضيلتها كونها فطرة الله التى فطر الناس عليها فان العقول
السليمة البريئة عن شوائب العلائق البدنية وعوارض التربية شاهدة ومقرة بما اخذ عليها من العهد
القديم من توحيد صانعها وبرائته عن الكثرة واطلق عليها لفظ الفطرة وان كانت الفطرة عليها
مجازا اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه الرابع اقامة الصلوة وانما جعلها الملة وان كانت بعض اركان
الدين لانها الركن الاقوى من اركانه فاطلق عليها ذلك اللفظ اطلاقا لاسم الكل على الجزء مجازا واعلم
ان للصلوة فضائل واسرارا يجب التنبيه عليها اما فضيلتها فقد ورد فيها اخبار كثيرة من بعد تاكيد القرآن
الكريم للامر بها كقوله صلى الله عليه وآله الصلوة عمود الدين من تركها فقد هدم الدين وقوله مفتاح
الجنة الصلوة وقوله فى فضل اتمامها ان الرجلين من امتى يقومان فى الصلوة وركوعهما وسجودهما
واحد وان ما بين صلوتيهما ما بين السماء والارض وقوله اما يخاف الذى يحول وجهه فى الصلوة ان يحول
الله وجهه وجه حمار وقوله من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشئ من الدنيا غفر الله له ذنوبه واما
اسرارها فينقسم الى عامة وخاصة اما العامة فقد بيناها فيما سلف فى ذكر الحج فى الخطبة الاولى السر
العام لجميع العبادات وهى كونها متممة للغرض الثانى من اغراض العارف من الرياضة ومعينة على
تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وتمرينها على موافقتها واذا لاح لك هذا السر فقد
علمت ان جميع الايات والاخبار الواردة فى فضلها يرجع معناها اليه كنهيها عن الفحشاء والمنكر فى قوله
تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر اذ كان سببهما القوة الشهوية والغضبية اذا خرجت عن حكم العقل فاذا
كانت الصلوة هى التى توجب دخولها تحت حكم العقل والعقل ناه عن الفحشاء والمنكر فقد كانت الصلوة
هى السبب فى الانتهاء فكانت ناهية وظهر ايضا معنى كونها عماد الدين اذ قال بنى الاسلام على خمس فكل
منها عماد يجب شرائطه فمن اخل بها فقد هدم بنيانه الذى يصعد به الى الله وكذلك كونها مفتاحا
للجنة اذ بها يفتح باب من ابواب الوصول الى الله ولذلك ظهر التفاوت الذى يشير اليه صلى الله عليه وآله

في صلوة الرجلين من امته فاذا ذاكابت فائدة الصلوة هي الالتفات الى الله تعالى بجمع الشيطان كان
احدا لرجلين في صلوته خاشعا لخشية الله مستحضرا لعظمته والاخر غافلا عن هذه الجهة فقصر فلشيطا
وجر قلبه الى غير القبلة فاين احدهما من الاخر وكذلك ما اشار اليه من التخويف لمن يحول وجهه في
الصلوة فانه نهى منه عن الغفلة عن الالتفات الى الله وملاحظة عظمته في حال الصلوة فان الملتفت يمينا
وشمالا ملتفت عن الله وغافل عن مطالعة انوار كبريائه ومن كان كذلك فيوشك ان تدوم تلك الغفلة
عليه فيتحول وجه قلبه كوجه قلب الحمار في قلة عقليته للامور العلوية وعدم اكرامه بشيء من العلوم
القرب الى الله كذلك غفران ذنب المصلي بسبب توكه حديث نفسه بشيء من الدنيا فانه في تلك الحال ملتفت
الى الله تعالى غافل عن غيره والالتفات اليه هو روح العبادة وخلاصتها ولذلك قال صلى الله عليه وآله انما فرضت
الصلوة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله فاذا لم يكن في قلبك المذكور الذي هو
المقصود والمبتغى عظمة ولاهيبة فما قيمة ذكرك وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله
يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه شغلا بالله عن كل شيء وكان علي عليه السلام
اذا حضر وقت الصلوة يتململ ويتزلزل ويتلون فيقال له ما لك يا امير المؤمنين فيقول جاء وقت امانة
عرضها الله على السموات والارضين فابين ان يحملنها واشفقن منها وكان علي بن الحسين اذا حضر
للوضوء اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول ما تدرون بين يدي من
اقوم وكل ذلك اشارة الى استحضار عظمة الله والالتفات اليه حال العبادة والانقطاع عن غيره واما
ما يخصها من الاسرار فقد علمت ان الصلوة ليس الا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود اما الذكر
فظاهر انه محاورة ومناجاة لله تعالى وغايتها استلزام الالتفات اليه وتذكرا يجذب القوى الشيطانية
تحت قياد العقل وتيسر تعودها بذلك وهو المقصود من القراءة والاذكار والحمد والثناء والتضرع و
الدعاء وليس المقصود منه الحرف والصوت امتحانا للسان بالعمل فان حصلت الغفلة فان تحريك اللسان
بالهذيان خفيف على الانسان لا كلفة فيه من حيث انه عمل وسنبين حال الذكر وفضيلته وفائدته في
موضع اليق به ان شاء الله تعالى واما الركوع والسجود والقيام والقعود فالغرض بها التعظيم لله تعالى المستلزم
للالتفات اليه وذكره ايضا اذ لو جاز ان يكون معظما لله بفعله وهو غافل عنه لجاز ان يعظم شيئا موضوعا
بين يديه وهو غافل عنه يؤيد ذلك ما روي عن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا في
الصلوة فلا صلوة له وقال عليه السلام ان العبد ليصلي الصلوة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وانما
يكتب للعبد من صلوته ما عقل منها ولما عرفت ان الاصل من اركانها هو الالتفات الى الله تعالى فاعلم ان
الالتفات اليه مستلزم للتذكر والتفهم لان الالتفات اليه تعالى انما هو مطالعة كبريائه وعظمته والمطالعة
ليس الا التفكر الذي هو عين البصيرة وحذف العقل الانساني فوات التذكر والتفهم مستلزم للتعظيم

فان مطالعة

فان مطالعة عظمته اعظم من ان لا يعظمها العارف بها والتعظيم مستلزم للخوف والرجاء فانا نجد عند
تصور عظمة ملك من ملوك الدنيا وجدانا ضروريا انا نشعر عن مكالمته ومحاورته وتلزمه معه السكون
والخضوع وربما يتبع ذلك رعدة البدن وتلعثم اللسان ونحو ذلك كل ذلك للخوف الحادث عن تصوره
عظمته فكيف بتصور جبار الجبابرة وملك الدنيا والاخرة وكذلك الرجاء فانا عند تصور عظمة الله نتصور
ان الكل منه وذلك باعث على رجائه خصوصا وقد تاكد ذلك بالايات الواردة في باب الخوف والرجاء
وكذلك يستلزم الحياء لان المتصور لعظمة الامر لا يزال مستشعرا مقصرا ومتوهما ذنبا وذلك الاستشعار
والتوهم يوجب الحياء من الله سبحانه الخامس منها الزكوة وهي ركن قوي من اركان الدين واشار الى وجه
فضيلتها بكونها فريضة واجبة قال قطب الدين الراوندي اراد بالفريضة السهم المقطع من المال للفقراء
المستحقين المسمى زكوة قال وهو عرف شرعي لان الفريضة بمعنى الواجب فان كل العبادات الواجبة كذلك
ولان الفرض والواجب بمعنى فيكون قوله فريضة واجبة تكرارا او قول ما ذكره وجه حسن وهو اشارة الى
بعض اسرارها كما بيّنه وهذه العبادة مع السر العام الشامل لجميع العبادات وهو الالتفات الى الله
ومحبته اسرار تخصها الاول ان المراد بكلمة الشهادة التوحيد المطلق وافراد المعبود بالتوجه اليه وذلك
لا يتم الا بان ينفي كل محبوب عداه فان المحبة لا تحتمل الشركة والتوحيد باللسان قليل الفائدة في الباطن
وانما تمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال المحبوبة عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وانسهم بها
ونفرتهم عن الموت فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو معشوقهم كما
قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ولما فهم الناس هذا المعنى افترقوا
اقساما فطائفة اخلصوا في حب معشوقهم ووفوا بعهده فبذلوا اموالهم ولم يدخروا منها شيئا حتى قيل
لبعضهم كم يجب من الزكوة في مائتي درهم فقال اما على العوام فبحكم الشرع خمسة دراهم واما علينا فيجب
بذل الجميع ومنهم من قعد عن هذه المرتبة وامسكوا اموالهم وراقبوا مواقيت الحاجة ومواسم الخيرات
فجعلوا قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه
البر وهؤلاء لا يقتصرون على واجب الزكوة كالنخعي والشعبي ومجاهد وقيل للشعبي هل في المال حق
سوى الزكوة فقال نعم اما سمعت قوله تعالى وآتى المال على حبه ذوي القربى الاية واستدلوا بقوله تعالى
ومما رزقناهم ينفقون ولم يجعلوا ذلك مخصوصا باية الزكوة بل هو داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه
انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته بما يفضل عن مال الزكوة ومنهم من اقتصر على اداء الواجب
من الزكوة من غير زيادة ولا نقصان وهي ادون الرتب وقد اقتصر العوام على ذلك لجهلهم بسر البذل
وبخلهم بالمال وضعف حبهم للاخرة ويلزم هذا السر تطهير ذوي الاموال عن رذيلة البخل فانها من المهلكات
قال عليه السلام ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه ووجه كونه مهلكا انه انما يصلد

عن محبة المال وقد علمت ان الدنيا والاخرة ضرتان بقدر ما يقرب من احدهما يبعد من الاخرى فكانت
محبة المال صادفة عن التوجه الى الله ومبعدة منه وذلك يستلزم الهلاك الاخروي كما بيناه وانما
تزول هذه الرذيلة بتعود البذل اذ حب الشيء لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته بالتدريج حتى يصير
ذلك عادة فالزكوة بهذا المعنى طهور اي مطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر
بذله وفرحه واستبشاره بصرفه في جنب الله تعالى ومحبته له وملاحظة كحذف كل محبوب عداه عن نفسه
الفضيلة السر الثاني شكر النعمة فان لله على العبد نعمة في نفسه وشكرها العبادات البدنية ونعمة
في ماله وشكرها العبادات المالية وليس احد اخس وابعد عن رحمة الله ممن ينظر الى فقير قد ضيق
عليه في الرزق واضطر اليه فلم تسمح نفسه بان يؤدي شكر الله تعالى على ما اغناه عن السؤال واحوج
غيره اليه بعشر ماله او بربع عشره السر الثالث يتعلق باصلاح المدن وتدبير احوال اهلها وهو ان
جعل الله هذا الغرض في اموال الاغنياء شركة للفقراء لان تسد به خلتهم واليه اشار عليه السلام
بكونه فريضة واجبة وفي هذا السر سران احدهما ان يكون ذلك عونا لهؤلاء على عبادة الله كي لا تشتغل
بالطلب عنها الثاني ان تنكسر هممهم عن حسد اهل الاموال والسعي بالفساد في الارض فلا ينتظم
امر المدينة وتكون قلوبهم ساكنة الى ذلك القدر معلقة به مستمدة من الله تعالى بالدعاء في حفظه
متالفة مع اهل الاموال فتجذبهم اليهم فيتم بذلك امر المشاركة والمعاونة والانس والمحبة الموجبات
للالفة الموجبة لنظام العالم وقوام امر الدين وبقاء نوع الانسان الى الاجل وجد السادس صوم شهر
رمضان وخصصه بكونه جنة من العقاب اي ساترا كسائر العبادات كذلك لما انه اشدها وفائدته
وبيان ذلك انه مستلزم لقهر اعداء الله التي هي الشياطين المطيفة بالانسان فان وسيلة الشيطان
هي الشهوات وانما تقوى الشهوة وتثيرها الاكل والشرب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه و
آله ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع قال صلى الله عليه وآله لعائشة
داومي قرع باب الجنة فقالت بماذا قال بالجوع فكان الصوم على الخصوص اشد قمعا للشيطان و
واسد لمسالكه وتضييق مجاريه ولما كان العقاب انما يلحق الانسان ويتفاوت في حقه بالشدة و
الضعف بحسب تفاوت قربه من الشيطان وبعده منه وكانت هذه العبادة ابعد بعيد عن الشيطان
كان سببها العبد بعيدا عن العقاب فلذلك خصت بكونها وقاية منه واعلم ان هذه العبادة
ان كانت عدمية الا انها ليست عدما صرفا بل عدم ملكة تحرك من الطبيعة عن تحريكها شيئا يتبه
صاحبها على جملة من الامر ليس هذا فيذكر سبب ما ينويه من ذلك وانه التقرب الى الله سبحانه
كما هو غاية السر العام للعبادات السابع حج البيت واعتماره وقد سبقت منا الاشارة الى اسراره في
الخطبة الاولى والذي ذكره هنا كونهما ينفيان الفقر ويغسلان الذنب فجمع فيه بين منفعة

الدنيا

الدنيا ومنفعة الاخرة اما منفعة الدنيا فكونهما ينفيان الفقر وذلك بسبب التجارة الحاصلة في موسم الحج وقيام الاسواق
بمكة واما منفعة الاخرة فكونهما يغسلان الذنب عن لوح النفس كما علمته في سائر العبادات وهذه هي المنافع
المشار اليها في القرآن الكريم بقوله ليشهدوا منافع لهم قال اكثر المفسرين هي منافع الدنيا من التجارة وهو المنقول
عن سعيد بن جبير وابن عباس في رواية رزين عنه ومنهم من جعلها عامة في منافع الدنيا والاخرة كالتجارة والثواب
وهو المنقول عن مجاهد وابن عباس في رواية عطاء الثامن صلة الرحم وذكر من فوائدها امرين احدهما كونها مثراة في
المال وذلك من وجهين احدهما ان العناية الالهية قسمت لكل حي قسطا من الرزق بما لمدة الحياة الدنيا وبقوام
صورة بدنه فاذا اعدت شخصا من الناس للقيام بامر جماعة وكفالته بامدادهم ومعونتهم وجب في العناية افاضة رزقهم
على يده وما يقوم بامدادهم بحسب استعداده لذلك سواء كانوا ذوي ارحام او مرحومين في نظره حتى لو نوى قطع احد منهم
ربما نقص الرزق بقدر ذلك المقطوع وذلك معنى كونه مثراة للمال الثاني ان صلة الرحم من الاخلاق الحميدة التي يستمال
بها طباع الخلق فواصل رحمه مرحوم في نظر الكل فيكون ذلك سببا للامداد ومعونته من ذوي الامداد والمعونات
كالملوك ونحوهم فكانت صلة الرحم مظنة لزيادة المال والثاني كونه منساة في الاجل وهو من وجهين احدهما ان صلة
الرحم توجب تعاطف ذوي الارحام وتوادهم ومعاضدتهم لواصلهم فيكون عن اذى الاعداء ابعد وفي ذلك مظنة تاخير اجله
وطول عمره الثاني ان مواصلة ذوي الارحام توجب تعلق هممهم ببقاء واصلهم وامداده بالدعاء وقد يكون نفوس بعضهم
متعلق هممهم بيقظة من شرايط بقائه وانساء اجله فكانت مواصلتهم منساة في اجله التاسع صدقة السر وذكر من فوائدها
كونها تكفر الخطيئة وانما خصها بذلك مع ان سائر العبادات كذلك لكونها ابعد عن الرياء وتخالط الطبيعة الاية به وجبر
تعالى فكان الاخلاص فيها اتم فكانت اولى بالتقرب من الله ومحو الخطيئة العاشر صدقة العلانية وذكر من فوائدها
انها تدفع ميتة السوء وبيان ذلك ان صدقة تستلزم الشهرة بفعل الخيرات وتوجب الذكر الجميل والمحبة للمتصدق ولما
كانت ميتات السوء كالحرق والغرق والصلب والقتل ونحو ذلك من الاحوال الشنيعة التي يكثر نفرة الناس عن الموت
عليها وكان قليلا ما يقع شيء منها بقصد من الناس لمن اشتهر بالزهد واجتلاب قلوب الفقراء بالصدقة و
الايثار فلا جرم كانت تلك الصدقة مظنة الدفع لتلك الميتة الحادي عشر صنائع المعروف وذكر من فوائدها انها تقي
مصارع الهوان وتقريره قريب مما قبله اذ كان اصطناع المعروف مستلزما لتاليف قلوب الخلق وجامعا لهم على محبة
المصطنع فقلما يقع مع ذلك تسليمهم في مصارع الهوان ثم انه فرغ من تعداد كمالات الايمان امر بما يؤكده في القلوب
ويثبته وهي امور احدها الاندفاع في ذكر الله وهو مؤكدات الايمان بروعة فيه بكونه احسن الذكر وذلك لما يستلزمه
من الحصول على الكمالات المسعدة في الاخرة والوصول الى الله كما ستبين فائدته وفضيلته في موضع اليق به الثاني
الرغبة فيما وعد المتقون من ثواب الاخرة والنعم وهو ايضا من مؤكدات طاعته والعمل له ولما كان الخلف في جزيه
مما لا كان وعده اصدق الوعد الثالث الاهتداء بهدى النبي صلى الله عليه وآله الرابع اتباع سنته ولما كان افضل الانبياء كانت
سنته اشرف السنن والاقتداء به واتباع سنته اهدى الطرق الى الله الخامس تعلم القرآن وظاهر كونه من مؤكدات الايمان

بالله ورسوله استعار له لفظ الربيع ووجه المشابهة كون القرآن جامعا لانواع العلوم الشريفة والاسرار العجيبة اللطيفة
التي هي متنزه القلوب كما ان زمن الربيع محل الازهار الرايقة التي هي مستمتع النظر ومطرح السرور الثاني الاستشفاء
بنوره وظاهر كونه شافيا للقلوب من ظلمة الجهل الثالث حسن تلاوته وذلك لان حسن تلاوته ونغمته تفهم معانيه
وعين تلاوته نظر فايدته وتحصيل منفعته فضرا وانما يكون انفع القصص اذا تلي حق تلاوته كما سبق بيانه ثم اكد الاوامر
المذكورة بالاعمال التي عددها فانما ينبغي ان يعمل على وفق العلم بالتنبيه على نقصان العالم الذي لا يعمل بعلمه فسوى
اولا بينه وبين الجاهل العادل عن سواء سبيل الله ووجه التسوية اشتراكهما في ثمرة الجهل وهو الجمود عن قصد السبيل
وفي عدم الانتفاع بفايدة العلم وثمرته وهي الاعمال الصالحة ثم جعل حال العالم اخس لثلاثة اوجه احدها ان الحجة
عليه اعظم لان للجاهلين ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين وليس للعالم ذلك وروي عن الرسول صلى الله عليه
وآله انه قال العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع الذي
الطاعة بالعمل الثاني ان تحسره اكثر وذلك ان النفوس الجاهلة عن علم المستعد لما يفوتها من الكمال بالتفصيل
فارقت ابدانها وهي وان كانت محجوبة عن ثمار الجنة وما اعد الله فيها لاوليائه من العلماء الا انها لما لم تعد لذتها ولم
تطعم حلاوة المعارف الالهية لم يكن لها كثير حسرة عليها ولا اسف على التقصير في تحصيلها بخلاف العارف بها العالم بنسبتها
الى اللذات الدنيوية فانه بعد المفارقة اذا علم وانكشف له ان الصارف له والمانع عن الوصول الى حضرة جلال الله
وهو تقصيره في العمل بما علم مع علمه بمقدار ما فاته من الكمالات والدرجات كان اسفه وحسرته على ذلك اشد الحسرات
وجرى ذلك مجرى من علم قيمة جوهرة نفيسة يساوي جملة من المال ثم اشتغل عن تحصيلها ببعض لعبه حتى فاته فانه يعظم
حسرته عليها وندمه على التفريط فيها بخلاف الجاهل بقيمتها الثالث انه يكون عند الله الوم واشد تثبيتا للائمة له بعد المفارقة
مجاز في انقطاع لسان حاله عن العذر في معصيته عن علم وانما يكون الوم لان اقدام العالم على المعصية التي علم قبحها
انما يكون عن غاية الانقياد للنفس الامارة بالسوء والطاعة لابليس ووجوده طاعة مفضل على طاعة الجاهل
وانقياده لقيام الصارف عنها في حق العالم وهو علمه بقبحها ونجح الداعي اليها عليه بعدم الصارف في حق الجاهل
ولا شك ان اشد الائمة انما يقع لاشد الانقياد لابليس خصوصا مع العلم بما يستلزم مما بعثه من الهلاك فظاهر
اذن كونه الوم عند الله وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** اما بعد فاني احذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت
بالشهوات وتحببت بالعاجلة وراقت بالقليل وتحلت بالآمال وتزينت بالغرور لا تدوم حبرتها ولا تؤمن فجعتها
غرارة ضرارة حايلة زايلة نافدة بايدة اكالة غوالة لا تعدو اذا تناهت الى امنية اهل الرغبة فيها والرضا بها ان تكون
كما قال الله سبحانه كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا
لم يكن امرؤ منها في حبرة الا اعقبته بعدها عبرة ولم يلق من سرائها بطنا الا منحته من ضرائها ظهرا ولم تطله فيها ديمة رخاء
الا هتنت عليه مزنة بلاء وحري اذا اصبحت له منتصرة ان تمسي له متنكرة وان جانب منها اعذوذب واحلولى امر منها جانب
فاوبى لا ينال امرؤ من غضارتها رغبا الا ارهقته من نوائبها تعبا ولا يمسي منها في جناح امن الا اصبح على قوادم خوف

غرارة غرور ما فيها فانية فان من عليها لا خير في شيء من ازوادها الا التقوى من اقل منها استكثر مما يؤمنه ومن
استكثر منها استكثر مما يوبقه وزال عما قليل عنه كم من واثق بها قد فجعته وذي طمانينة اليها قد صرعته وذي
ابهة قد جعلته حقيرا وذي نخوة قد ردته ذليلا سلطانها دول وعيشها رنق وعذبها اجاج وحلوها صبر وغذاؤها
سمام واسبابها رمام حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم ملكها مسلوب وعزيزها مغلوب وموفورها منكوب وجارها
محروب الستم في مساكن من كان قبلكم اطول اعمارا وابقى آثارا وابعد آمالا واعد عديدا واكثف جنودا تعبدوا
للدنيا اي تعبد وآثروها اي ايثار ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ ولا ظهر قاطع فهل بلغكم ان الدنيا سخت لهم
نفسا بفدية او اعانتهم بمعونة او احسنت لهم صحبة بل ارهقتهم بالقوادح واوهقتهم بالقوارع وضعضعتهم بالنوائب
وعفرتهم للمناخر ووطئتهم بالمناسم واعانت عليهم ريب المنون فقد رايتم تنكرها لمن دان لها وآثرها واخلد اليها
حين ظعنوا عنها لفراق الابد هل زودتهم الا السغب واحلتهم الا الضنك او نورت لهم الا الظلمة او اعقبتهم
الا الندامة افهذه تؤثرون ام اليها تطمئنون ام عليها تحرصون فبئست الدار لمن لم يتهمها ولم يكن فيها على
وجل منها فاعلموا وانتم تعلمون بانكم تاركوها وظاعنون عنها واتعظوا فيها بالذين قالوا من اشد منا قوة حملوا
الى قبورهم فلا يدعون ركبانا وانزلوا فلا يدعون ضيفانا وجعل لهم من الصفيح اجنان ومن التراب اكفان ومن
الرفات جيران فهم جيرة لا يجيبون داعيا ولا يمنعون ضيما ولا يبالون مندبة ان جيدوا لم يفرحوا وان قحطوا لم
يقنطوا جميع وهم آحاد وجيرة وهم ابعاد متدانون لا يتزاورون وقريبون لا يتقاربون حلماء قد ذهبت اضغانهم
وجهلاء قد ماتت احقادهم لا يخشى فجعهم ولا يرجى دفعهم استبدلوا بظهر الارض بطنا وبالسعة ضيقا وبالاهل غربة
وبالنور ظلمة فجاؤوها كما فارقوها حفاة عراة قد ظعنوا عنها باعمالهم الى الحيوة الدائمة والدار الباقية كما قال سبحانه
كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين **اقول** الحبرة السرور والنعمة الوسيعة والغوالة التي تاخذ على غرة
واوبى امر من والغضارة طيب العيش وقوادم الطير مقاديم ريش جناحه واوبقه اهلكه والابهة العظمة والرنق الكدر
والرمام البالية المتقطعة والمحروب مسلوب المال وارهقتهم غشيتهم وقدحه الامر اغتاله واثقله والقارعة الداهية
الشديدة وضعضعتهم اذلتهم والمناسم اخفاف الابل والسغب الجوع والاجنان جمع جنن جمع جنة وهي الستر واعلم ان
مدار هذا الفصل على التحذير والتنفير عنها بذكر معايبها وفيه نكت فالاولى استعار لفظ الحلاوة والخضرة التعلق
بحسي الذوق والبصر لما وقع منها وملذا النفس ووجه المشابهة المشترك في الالتذاذ بهما وانما خص متعلق هذين
الحسين لاكثرية تاديتهما الى النفس والالتذاذ بواسطتهما دون سائر الحواس الثانية وصف الدنيا بكونها محفوفة
بالشهوات وفي الخبر حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات قال اصحاب المعاني وفي ذلك تنبيه على ان النار
هي الدنيا وحبها بعد المفارقة هو سبب عذابها فلنار ذلك عبر عنه من كلامه عليه السلام واما معنى الخبر فجاز
ان يراد فيه النار المعقولة فيكون وزنها ما قالوا وجاز ان يراد النار المحسوسة ويكون المعنى على التقديرين ان النار
انما يدخل بالانهماك في شهوات الدنيا ولذاتها والخروج في استعمالها عما ينبغي الى ما لا ينبغي فكانها اللذات المحفوفة

وعاجلة بالشهوات لا يدخل اليها الا منها واراد بالعاجلة اللذات الحاضرة التي مالت القلوب الى الحيوة الدنيا
بسببها فاشبهت المراة المحببة بمالها فاستعير لها وصف التحبب وكذلك قوله راقت بالقليل اي اعجبت بزينتها
القليلة بالنسبة الى متاع الآخرة كمية وكيفية وكذلك تحليها بالآمال الكاذبة المنقطعة وتزينها بما هو
في نفس الامر غرور وباطل فانه لولا الغرور والغفلة عن عواقبها لما رايت في عيون طالبيها الثالثة استعار
لها اوصافا لمثل المخدوع وهي كونها غرارة وغوالة لكثرة الاستغفال لاهلها والخداع لهم ووصف
السبع العقور لكونها اكالة لهم وكنى بالاولين عن كونها كالمخادع في كونها سببا لغفلتهم عما خلقوا لاجله
بالاشتغال بها والانهماك في لذاتها وبالاكالة عن كونها كالسبع في افنائهم بالموت ومحقهم تحت التراب
الرابعة معنى قوله لا تعدو الى قوله مقتدرا ان غاية صفاتها الراغبين فيها والراضين بها وموافقتها لهم
لا يتجاوز المثل وهو ان تزهر في عيونهم وتروقهم محاسنها ثم عن قليل تزول عنهم فكانها لم تكن كما هو معنى المثل
المضروب لها في القرآن الكريم واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كما الآية الخامسة كنى بالعبرة عن الحزن
المعاقب للسرور وتخصيص البطن بالسراء والظهر بالضراء يحتمل امرين احدهما ان يريد بطن المجن وظهره وذلك
من العادة في حال الحرب ان يلي الانسان ظهر المجن وفي حال السلم ان يلقى المجن فيكون بطنه ظاهرا لجري المثل
به في حق المتكرين والمخاصمين بعد سلم فقيل قلب له ظهر المجن كما قال علي عليه السلام لابن عباس في بعض كتبه
اليه قلبت لابن عمك ظهر المجن فكذلك استعمل ههنا لفظ البطن لسرائها في اقبالها عليه ولفظ الظهر لضرائها في
ادبارها عنه ومحاربتها له الثاني يحتمل ان يريد بطنها وظهرها وذلك ان العادة فيمن يلقى صاحبه بالبشر والسرور
ان يلقاه بوجهه وبطنه وفيمن يلقاه بالشر والادبار ان يلقى بظهره موليا عنه فاستعير ذلك للدنيا وعبر به
عن اقبالها وادبارها واما خص امنها بالجناح لان الجناح محل التغير بسرعة فنبه به على سرعة تحولها وانما
خص الخوف بالقوادم من الجناح لان القوادم هي راس الجناح وهي الاصل في سرعة حركته وتغيره وهو في مساوقتها
والتخويف منها المخوف لك التخصيص ومراده انه وان حصل فيها امن فهو في محل التغير السريع والخوف لبله سريع
لتخصيصه بالقوادم السابعة لا خير في شيء من ازوادها الا التقوى استثنى ما هو المقصود من خلق الدنيا ووجود
هذا النوع فيها وهو التقوى الموصل الى الله سبحانه وانما كان من ازواد الدنيا لانه لا يمكن تحصيله الا فيها وقد
سبقت الاشارة اليه في قوله فتزودوا من الدنيا في الدنيا ما تحرزون به انفسكم غدا وظاهر انه لا خير فيما عداها
من ازوادها الفانية ومضرته في الآخرة الثامنة من اقل منها استكثر مما يؤمنه اي من الزهد فيها وقد عرفت كيفية
الامان به من عذاب الله ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه وهو ملكات السوء الحاصلة عن حب قنياتها
وملذاتها الفانية الموجبة للهلاك بعد مفارقتها وزوالها التاسعة استعار لفظ العذب والحلو للذاتها و
لفظي الاجاج وهو المالح والصبر لما يشوب لذاتها من الكدر بالامراض والتغيرات ووجه الاستعارات
في الالتذاذ والايلام العاشرة استعار لفظ الغذاء وكنى به عن لذاتها ايضا ولفظ السمام له ووجه الاستعارة

ما يستعقب الانهماك في لذاتها من الهلاك في الآخرة كما يستعقبه شرب السم والسمام جمع سم ثم اعقب التحذير منها
بالتنبيه على مصارع السابقين فيها ممن كان اطول اعمارا واشد بأسا من تغيراتها وتنكراتها لهم مع شدة محبتهم
وتعبدهم لها والسؤال على سبيل الانكار عنه وام سرورها لهم وحسن صحبتها اياهم وصرح بعده بالانكار بقوله
بل ارهقتهم بالقوادح واستعار لها لفظ الارهاق والتضعضع والتعفير والوطء واعانة ريب المنون عليهم واسند
اليها افعال الاحياء ملاحظة لشبهها بالمراة المترنية لخداع الرجال عن نفسهم واموالهم وعودة لك الحادي
عشر لما فرغ من ذمها والتنفير عنها بتعديد مذامها استفهم السامعين على سبيل التقريع لهم عن ايثارهم لها بعد
المقام واطمئنانهم اليها وحرصهم عليها ثم عاد الى ذمها مجملا بقوله بئست الدار لمن لم يتهمها اي لمن اعتقد بصحتها
وانها مقصودة بالذات فركن اليها فانها بذلك الاعتبار مذمومة في حقه اذ كانت سبب هلاكه في الآخرة واما
المتهم لها بحقيقته والغرور فانه يكون فيها على وجل فيها عاملا لما بعدها فكانت محمودة له اذ كانت سبب نجاته
في الآخرة ثم شرع في الامر بالعمل على وفق العلم بمفارقتها وذلك ان ترك العمل للآخرة انما يكون للاشتغال
بالدنيا فالعالم بضرورة مفارقتها له وما اعد لتاركي العمل من العذاب الاليم اذا بقي على تلك الحال كان
ذلك صارفا له عنها ومستلزما للعمل لغيرها واكد التنبيه على مفارقتها بالتذكير باحوال المفارقين لها بعد
مفارقتها المضادة للاحوال المعتادة للاحياء التي الفوها واستراحوا اليها اذ كان من عادتهم اذا حملوا ان
يدعوا ركبانا واذا نزلوا ان يسموا ضيفانا واذا غزوا ان يجيبوا داعيهم ويمنعون عنه الضيم وان يفرحوا ان جاءهم
الغيث ويقنطوا ان قحطوا اشرا وبطرا وان يتزاوروا في التداني ويحلوا عند وجود الاضغان ويجهلوا عند خيامهم الا
ويخشوا ويرجوا فسلبت عنهم تلك الصفات وعرفوا باضداد تلك السمات الثانية عشر فجاؤوها كما فارقوها
اي اشبه مجيئهم اليها ووجودهم فيها خروجهم منها يوم مفارقتهم ووجه الشبه كونهم حفاة عراة وهو كناية عن الفقر
منها ودل على ذلك استشهاده بالآية الكريمة وموضع قوله قد ظعنوا عنها النصب على الحال كما انه انتصب حفاة
عراة وما لعامل فارقوها ولا يقدر مثله بعد جاؤوها وان قدر مثل الحالين السابقين قال الامام الوبري رحمه
الله فراقهم من الدنيا ان خلقوا منها ومجيئهم اليها ان دفنوا فيها قال الله تعالى هو الذي خلقكم من تراب قلت وكان
الحامل لهذا الامام على هذا التاويل انه لو كان مراده مجيئهم اليها هو دخولهم فيها حين الولادة مع انه في ظاهر الامر
هو المشبه ومفارقتهم هي المشبه به لانعكس الغرض اذ المقصود تشبيه المفارقة بالمجيء وذلك يستلزم كون المشبه
هو المفارقة والمشبه به هو المجيء لكن ينبغي ان يعلم ان المشابهة اذا حصلت بين الشيئين في نفس الامر جاز ان
يجعل احدهما اصلا والآخر فرعا وجاز ان يقصد اصل المساواة بينهما من دون ذلك فحمله هنا على الوجه الثاني اولى
من التعسف الذي ذكره فاما الايراد من فيها لبيان الجنس فلا يدل على المفارقة والانفصال وبالله التوفيق
ومن خطبة له عليه السلام ذكر فيها ملك الموت وتوفيه الانفس هل تحس به اذا دخل منزلا ام هل تراه اذا توفى احدا بل كيف
يتوفى الجنين في بطن امه ايلج عليه من بعض جوارحها ام الروح اجابته باذن ربها ام هو ساكن معه في احشائها كيف

يسف الله من يعجز عن صفة مخلوق مثله **اقول** هذا الفصل من خطبة طويلة ذكره في معرض التوحيد والتنزيه وتعظيم
اطلاع العقول البشرية على كنه وصفه فقدم التنبيه بالاستفهام على سبيل الانكار عن الاحساس في دخوله منازل
المتوفين وذلك قوله هل تحس به الى قوله احدا وثبته باستنكار الاحساس على انه ليس بجسم اذ كان كل جسم من شانه
ان يحس باحدى الحواس الخمس ثم عن كيفية توفيه الجنين في بطن امه وهو استفهام من قبيل تجاهل العارف بالتنبيه
اليه وذلك قوله ام كيف يتوفى الجنين الى قوله في احشائها وجعل الموت من هذه الاقسام في الوسط وهو اجابتها بادنه
ربها الى الجاهل في محل الحيرة مترددا ثم لما بين ان ملك الموت لا يمكن الانسان من وصفه نبه على عظمة الله
سبحانه بالتنبيه اليه انه اذا عجز الانسان عن وصف مخلوق مثله فبالاولى ان يعجز عن صفة خالقه ومبدعه
الذي هو ابعد الاشياء عنه مناسبة وتقدير البيان بذلك التنبيه ان العبد عاجز عن صفة مخلوق مثله لما
بينا من العجز عن صفة ملك الموت وحاله وكل من عجز عن صفة مخلوق مثله فهو عن صفة خالق ذلك المخلوق
ومبدعه اشد عجزا ولنشر اشارة خفيفة الى حقيقة الموت والى ما عساه يلوح من وصف ملك الموت انشاء
الله ثم فنقول اما حقيقة الموت فاعلم ان الذي نطقت به الاخبار وشهدت الاعتبار ان الموت ليس للاعبارة
عن تغير حال وهو مفارقة الروح لهذا البدن الجاري مجرى الالة الذي العنصر وان الروح باقية بعده كما شهدت
به البراهين العقلية في مظانها والاثار النبوية المتواترة ومعنى مفارقتها له هو انقطاع تصرفها له هو انقطاع
تصرفها فيه لخروجه عن حد الانتفاع به فما كان من الامور المدركة لها يحتاج في ادراكه الى آلة فهي متعطلة عنه
بعد مفارقة البدن الى ان يعاد اليه في القبر او يوم القيمة وما كان مدركا لها بنفسها من غير آلة فهو باق معها
يتنعم به ويفرح او يحزن من غير حاجة الى هذه الالة في بقاء تلك العلوم والادراكات الكلية لها هناك وقد تحصل
المفارقة التي سميناها بالموت مثلا فيما كان بعض اعضاء المريض متعطل بسبب فساد مزاج يقع فيه او بسبب
عرض للاعصاب فيمنع نفوذ الروح فيها فتكون النفس مستعملة لبعض الاعضاء دون ما استعصى عليها منها فكذلك
الموت عبارة عن استعصاء جميع الاعضاء كلها وتعطلها وحاصل هذه المفارقة يعود الى سلب الانسان عن
هذه الاعضاء والالات والقنيات الدنيوية من الاهل والمال والولد ونحوها ولا فرق بين ان تسلب هذه
الاشياء عن الانسان او يسلب هو عنها اذ كان المولم هو الفراق وقد يحصل ذلك بنهب مال الرجل وسبي ذريته وقد
يحصل بسلبه ونهبه عن المال والاهل فالموت في الحقيقة هو سلب الانسان عن اموال بازعاجه الى عالم آخر فان
كان له في هذا العالم شيء ما انس به ويستريح اليه فبقدر عظم خطره عنده يعظم تحسره عليه في الاخرة ويصعب
شقاوته في مفارقته ويكون سبب عظم خطره عنده ضعف تصوره لما اعد للابرار المتقين في الاخرة مما
يستحقر القليل منه اكثر نفايس الدنيا فاما ان كانت عين بصيرته مفتوحة حتى لم يكن الا بذكر الله ولم يانس الا
به عظم نعيمه وتمت سعادته اذ خلى بينه وبين محبوبه فقطع علايقه وعوايقه الشاغلة له عنه ووصل اليه وانكشف
له هناك ما كان يدركه من السعادة بعين اليقين وصف الكشف مشاهدة كما يشاهد المستيقظ من نومه صورة ما راه

فنقول

في النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا اذا عرفت ذلك فاعلم ان ملك الموت عبارة عن الروح المتولي لافاضة
صورة العدم على اعضاء هذا البدن والحامل لمفارقة النفس له ولعله هو المتولي لافاضة صورة الوجود عليها
لكنه بالاعتبار الاول يسمى ملك الموت ثم لما كانت النفوس البشرية انما تدرك المجردات ما دامت في هذا
العالم وتشبهها بان يستصحب القوة المتخيلة معها فيحاكي ما كان محبوبا منها للنفس ومستبشرا بلقائه بصورة
بهية كتصورها لجبرئيل في صورة دحية الكلبي وغيره من الصورة البهية الحسنة وما كان مستكرها مخوفا مستوحشا
من لقائه بصورة هايلة لا جرم اختلف رؤية الناس لملك الموت فمنهم من يراه على صورة بهية وهم المستبشرون
بلقاء الله الذين قلت رغبتهم في الدنيا ورضوا بالموت ليصلوا الى لقاء محبوبهم وفرحوا بكونه وسيلة اليه
كما روي عن ابرهيم انه لقي ملكا فقال له من انت فقال انا ملك الموت فقال اتستطيع ان تريني الصورة التي تقبض
فيها روح المؤمن قال نعم اعرض عني فاعرض عنه فاذا هو شاب فذكر من حسنه وثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك
الموت لو لم يلق المؤمن من البشرى الا حسن صورتك لكان حسبه ومنهم من يراه على صورة فيجدها هايلة المنظر
وهم الفجار الذين اعرضوا عن لقاء الله ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها كما روي عن ابرهيم ايضا انه قال
لملك الموت فهل تستطيع ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر فقال لا تطيق ذلك فقال بلى قال فاعرض
عني فاعرض عنه ثم التفت اليه فاذا هو رجل اسود قايم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومناخره النار
والدخان فغشي على ابرهيم عليه السلام ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى حالته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم
يلق الفاجر عند موته الا صورتك لكفته وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** واحذركم الدنيا فانها منزل قلعة
وليست بدار نجعة قد تزينت بغرورها وغرت بزينتها دار هانت على ربها فخلط حلالها بحرامها وخيرها بشرها
وحياتها بموتها وحلوها بمرها ولم يصفها الله لاوليائه ولم يضن بها على اعدائه خيرها زهيد وشرها عتيد وجمعها
ينفد وملكها يسلب وعامرها يخرب فما خير دار تنقض نقض البناء وعمر يفنى فناء الزاد ومدة تنقطع انقطاع السير اجعلوا
ما افترض الله عليكم من طلبكم واسألوه من اداء حقه ما سألكم واسمعوا دعوة الموت اذانكم قبل ان يدعى بكم ان
الزاهدين في الدنيا تبكي قلوبهم وان ضحكوا ويشتد حزنهم وان فرحوا ويكثر مقتهم انفسهم وان اغتبطوا بما
رزقوا قد غاب عن قلوبكم ذكر الاجال وحضرتكم كواذب الامال فصارت الدنيا املك بكم من الاخرة والعاجلة
اذهب بكم من الاجلة وانما انتم اخوان على دين الله ما فرق بينكم الا خبث السرائر وسوء الضمائر فلا توازرون ولا
تناصحون ولا تباذلون ولا توادون ما بالكم تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه ولا يحزنكم الكثير من الاخرة تحرمونه
ويقلقكم اليسير من الدنيا يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم وقلة صبركم عما زوي منها عنكم كانها دار مقامكم وكان متاعها باق عليكم وما يمنع احدكم ان يستقبل اخاه بما
يخاف من عيبه الا مخافة ان يستقبله بمثله قد تصافيتم على رفض الاجل وحب العاجل وصار دين احدكم لعقة على
لسانه صنيع من قد فرغ من عمله واحرز رضا سيده **اقول** يقال هذا منزل قلعة بضم القاف اي لا يصلح للاستيطان

محل

والنجعة بضم النون طلب الكلاء والعتيد المهيأ المعد واللعقة بالضم اسم لما تاخذه الملعقة وفي الفصل نكت
فالاولى التحذير من الدنيا والاستدراج الى تركها بذكر معايبها وذلك من اول الفصل الى قوله انقطاع السير فاما
اولا فلانها لا تصلح للاستيطان وطلب الكلاء وكنى به عما ينبغي ان يطلب من الخيرات الباقية التي هي محل الامن
والسرور الدائم وثانيا الى ان زينتها سبب لاستغفالها الخلق والاغترار بها سبب لاستحسانها فان قلت
فقد جعل الزينة سببا للغرور والغرور سببا للزينة وذلك دور قلنا انما جعل الزينة سببا للاستغراق في
الغرور سببا لاستحسانها وعدم التنبه لمعايبها فلا دور وثالثا انها هانت على ربها اي لم يكن العناية الالهية
اليها بالذات فلم تكن خيرا محضا بل كان كل ما فيها مما يعد خيرا مشوبا بشر يقابله وذلك بسبب الممكن فيها
وزهادة خيرها بالنسبة الى خير الاخرة الثانية التاديب باوامر احدها ان يجعلوا ما افترض الله عليهم من جملة
ما يطلبونه منه والغرض ان تصير محبوبة لهم كمحبتهم لما يطلبونه من مال وغيره فيواظبوا على العمل بها الثاني ان يسالوه
اداء حقه عنهم وذلك بالاعانة والتوفيق والاعداد لذلك كما سالهم اداءه والغرض ايضا ان يصير الاداء
مهما لهم محبوبا اليهم ونحوه في الدعاء الماثور اللهم اني اسالك من نفسي ما لا املكه الا بك فاعطني منها ما يرضيك
عني الثالث ان يسمعوا دعاء الموت اذانهم اي يقصدون سماع كل لفظ يخوف الموت واهواله وذلك بالجلوس في مجالس
الذكر ومحاضرة الزاهدين في الدنيا وفايدة ذكر الموت تنغيص اللذات الدنيوية كما قال عليه السلام اكثروا
ذكر هادم اللذات الثالثة شرح حال الزاهدين في الدنيا ليهتدى من عساه ينجذب الى الله الى كيفية طريقهم
فيقتدى بهم فذكر لهم اوصافا الاول انهم تبكي قلوبهم وان ضحكوا وذلك اشارة الى دوام حزنهم لملاحظتهم الخوف
من الله فان ضحكوا مع ذلك فمعاملة مع الخلق الثاني انهم يشتد حزنهم وان فرحوا وهو قريب مما قبله الثالث انهم
يكثر بغضهم لانفسهم فيتركون الالتفات اليها بالزينة وطاعتها فيما تدعوهم اليه من متاع الحيوة الدنيا الخامس
وان غبطهم غيرهم بما قسم لهم من رزق الرابعة تعنيف السامعين على ما هم عليه من الاحوال المضرة في الاخرة وذلك
بالغفلة عن ذكر الاجل واستحضارهم للامال الكاذبة وغيرها من الاحوال المذكورة الى آخر الفصل ومحل تدركونه
وتحرمونه ويفوتكم النصب على الحال وقلة صبركم عطف على وجوهكم اي حتى يتبين ذلك القلق في وجوهكم وفي
قلة صبركم عما غيب عنكم منها وقوله وما يمنع احدكم ان يستقبل اخاه الى آخره اي ما يمنع احدكم من لقاء اخيه بعيبه
عليه الا الخوف من ان يلقاه بمثل ما ذكره اياه فيه كما صرح به في قوله تصافيتم على رفض الاجل الى آخره واستعار
لفظ اللعقة لما ينطق به من شعار الاسلام والدين كالشهادتين ونحوهما من دون ثبات ذلك في القلب والعمل على وفقه وتشبيه نصب على المصدر اي صنعتم صنيعا مثل صنيع من فرغ من عمله الى آخره ووجه التشبيه الاشتراك في الترك والاعراض عن العمل وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله
الواصل الحمد بالنعم والنعم بالشكر نحمده على الائه كما نحمده على بلائه ونستعينه على هذه النفوس البطاء عما
امرت به السراع الى ما نهيت عنه ونستغفره مما احاط به علمه واحصاه كتابه علم غير قاصر وكتاب غير مغادر ونؤمن به ايمان

من عاين الغيوب ووقف على الموعود ايمانا نفى اخلاصه الشرك ويقينه الشك ونشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله شهادتين تصعدان القول وترفعان العمل لا يخف ميزان توضعان فيه ولا
يثقل ميزان ترفعان منه اوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاذ زاد مبلغ ومعاذ منجح دعا اليها اسمع داع
ووعاها خير واع فاسمع داعيها وفاز واعيها عباد الله ان تقوى الله حمت اولياء الله محارمه والزمت قلوبهم مخافته
حتى اسهرت لياليهم واظمات هواجرهم فاخذوا الراحة بالنصب والري بالظما واستقربوا الاجل فبادروا العمل وكذبوا
الامل فلاحظوا الاجل ثم ان الدنيا دار فناء وعناء وغير وعبر فمن الفناء ان الدهر موتر قوسه لا تخطي سهامه ولا تؤسى
جراحه يرمي الحي بالموت والصحيح بالسقم والناجي بالعطب آكل لا يشبع وشارب لا ينقع ومن العناء ان المرء يجمع ما لا
ياكل ويبني ما لا يسكن ثم يخرج الى الله لا مالا حمل ولا بناء نقل ومن غيرها انك ترى المرحوم مغبوطا والمغبوط
مرحوما ليس ذلك الا نعيما زل وبؤسا نزل ومن عبرها ان المرء يشرف على امله فيقتطعه حضور اجله فلا امل يدرك
ولا مؤمل يترك فسبحان الله ما اعز سرورها واظما ريها واضحى فيئها لا جاء يرد ولا ماض يرتد فسبحان الله ما اقرب
الحي من الميت للحاقه به وابعد الميت من الحي لانقطاعه عنه انه ليس شيء بشر من الشر الا عقابه وليس شيء بخير من
الخير الا ثوابه وكل شيء من الدنيا سماعه اعظم من عيانه وكل شيء من الاخرة عيانه اعظم من سماعه فليكفكم من
العيان السماع ومن الغيب الخبر واعلموا ان ما نقص من الدنيا وزاد في الاخرة خير مما نقص من الاخرة وزاد في
الدنيا فكم من منقوص رابح ومزيد خاسر ان الذي امرتم به اوسع مما نهيتم عنه وما احل لكم اكثر مما حرم عليكم فذروا
ما قل لما كثر وما ضاق لما اتسع قد تكفل لكم بالرزق وامرتم بالعمل فلا يكونن المضمون لكم طلبه اولى بكم من
المفروض عليكم عمله مع انه والله لقد اعترض الشك ودخل اليقين حتى كان الذي ضمن لكم قد فرض عليكم وكان
الذي فرض عليكم قد وضع عنكم فبادروا العمل وخافوا بغتة الاجل فانه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق
ما فات اليوم من الرزق رجي غدا زيادته وما فات امس من العمر لم يرج اليوم رجعته الرجاء مع الجائي واليأس
مع الماضي فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون **اقول** لا توسى اي لا تداوى ولا ينقع لا يسكن عطشه
واعلم ان مدار الشرح في الخطبة لطايف الاولى انه صدر الخطبة بحمد الله تعالى باعتبارين احدهما وصله حمد خامديه
بافاضة نعمه عليهم كما قال تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم وسره ان العبد يستعد بشكر النعمة الثاني وصله النعم
التي يفيضها على عباده بافاضة الاعتراف بها على اسرار قلوبهم وقد علمت ان الاعتراف بالمنعم هي حقيقة الشكر فظهر
اذن معنى وصله النعم بالشكر وان الشكر والتوفيق له نعم اخرى كما سبقت الاشارة اليه في الخطبة الاولى ويحتمل
ان يريد بالشكر ثناءه تعالى لعباده الشاكرين كما قال تعالى والله شاكر عليم وظاهر ان وصله نعمه بشكره في نهاية
الانعام فان الاحسان المتعارف يستتبع الشكر من المحسن اليه فاما من المحسن فذلك تفضل آخر وزيادة على
التاثير انه سبحانه سوى بين حمده على النعماء وحمده على البلاء تنبيها منه على وجوب ذلك لان البلاء النعمة قد تكون بلاء
من الله كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والبلاء منه ايضا نعمة يستحق به الثواب الاجل وسبب النعمة نعمة

وبهذا الاعتبار يجب الشكر على البلاء ايضا كما يجب على النعماء اذ الكل نعمة الثالثة تنبيه على وجوب الاستعانة
على النفوس وذكر ما لاجله الاستعانة عليها وهو كونها ابطأ مما امرت به من سائر التكاليف وذلك لحاجة النفوس
الى مقاومة الطبيعة سراعا الى ما نهيت عنه من المعاصي وذلك لموافقتها مقتضى الطبيعة الرابعة تنبيه على وجوب
طلب المغفرة من الله لكل ذنب صغير او كبير مما احاط به علمه واحصاه كتابه المبين ولوحه المحفوظ جبرئيل الامين علام
بكل شيء وكتاب غير مغادر لشيء الخامسة ان الخص الايمان من عاين الغيوب ووقف على الموعود اي وقف على ما
وعد به المتقون بعين الكشف لكونه اقوى درجات الايمان فان من الايمان ما يكون بحسب التقليد ومنه ما
يكون بحسب البرهان وهو علم اليقين واقوى مراتب الايمان بحسب الكشف والمشاهدة وهو عين اليقين وذلك
هو الايمان الخالص ويجب الاخلاص فيه بكونه نفيه للشرك ونحسب نفيه نفي اعتقاد ان لا امر كما امر فعال
انه لا يمكن ان يكون الا كذا يكون نفي الشك وقد علمت انه عليه السلام من اهل هذه المرتبة السادسة كون
الشهادتين تصعدان القول وترفعان العمل وذلك ان اخلاص الشهادتين اصل لقبول الاقوال والاعمال
الصالحة لا يصعد الى الله قول وعمل لا يكونان اصلا له واشار الى ذلك بقوله لا يخف ميزان توضعان فيه
ولا يثقل ميزان ترفعان منه وقد اشرنا الى معنى الوزن فيما سبق وسنزيده بيانا ان شاء الله تعالى السابعة اراد
بكون تقوى الله هي الزاد اي الزاد المبلغ وانها المعاد المنجح ولذلك اورده ما تفسير الثامنة اراد بالجمع اي
اشد الداعي اسماعا وتبليغا وهو الرسول صلى الله عليه وآله واراد بخير داعي السامعين الى داعي الى الله الذين هم
افضل القوابل الانسانية التاسعة وصف ما يستلزمه تقوى الله من الآثار في اولياء الله ووصفا الليالي
بالسهر والهواجر بالظمأ لكونهما الظرفين فالليالي لقيام الصلوات والنهار للصوم فكان ذلك من باب اطلاق
صفة المظروف على الظرف وهو كقولهم نهاره صائم وليله قائم واخذهم الراحة الآخرة بالنصب اي حين
الانتقال من التعب والري من حين تشبيها بالاستعداد بظمأ الصيام والعناء في عبادتها ولاحظوا الاجل
فان استقراب الاجل مستلزم للعمل له ولما بعده وكذلك تكذيب الامل وانقطاعه ملازم لملاحظة الاجل العاشرة
ذكر معايب الدنيا اجمالا وهو كونها دار فناء وعناء وغير وعبر ثم اعقب ذلك الاجمال بتفصيل كل جملة وذلك
قوله ولا موئل ببركة واستعار لفظ الايتار لاثار الدهر ورشح بذكر القوس ووجه الاستعارة ان الدهر كالرامي
بمصائبه المستندة الى القضاء الالهي الذي لا يتغير كما يرمي الرامي الذي لا يخطي وكذلك استعار لفظ الجراح لنوائب
الدهر لاشتراكهما في الايلام ورشح بذكر عدم المداواة وكذلك استعار لفظ الاكل والشارب عديمي الشبع
والري ووجه المشابهة كونه ياتي على الخلق فيفنيهم كما ياتي الاكل والشارب المذكوران على الطعام والشراب
فيفنيانهما واراد بالمرحوم الذي يرى مغبوطا اهل المسكنة والفقر الذي يتبدل فقرهم بالغنى فيغبطون و
بالمغبوط الذي يرى مرحوما اهل الغنى المتبدل بالفقر عقيب تصاريف الدهر فيصيرها في محل الرحمة وقوله
ليس ذلك الا نعيما زل اي عن المغبوطين وبؤسا نزل بهم الحادي عشر تنبيه الغرور الى سرورها والظماء الى ريها

والظمى الى ريها واتى بلفظ التعجب وكنى بريها عن استتمام لذاتها وبفيئها عن الركون الى فيئها والاعتماد عليها
ووجه هذا التنبيه ان سرورها وفيئها هي الصوارف عن العمل للآخرة والملفتات عن الاقبال على الله فكان
سرورها اقوى سبب للغرور بها وفيئها اقوى الاسباب لظمأ المنهمك فيها من شراب الابرار واوجب لا يراد
الى الجحيم فلهذه النسبة جازت اضافة الغرور والظمأ والضحى الى سرورها وريها وفيئها وقوله لا جاني يرد اي
من آفات الدهر كالموت والقتل ونحوهما ولا امن يرتد اي من الاموات والغائب الثانية عشر قوله انه ليس شيء
بشر من الشر الا عقابه الى قوله سماعه يحتمل ان يريد الشر والخير المطلقين ويكون ذلك للمبالغة اذ يقال للامر
الشريف هذا اشد من الشديد واجود من الجيد ويحتمل ان يريد شر الدنيا وخيرها فان اعظم شر في الدنيا يحقر
في عقاب الله واعظم خير فيها يستحقر بالنسبة الى ثواب الله ثم اكد ذلك باعظمية احوال الآخرة بالنسبة الى احوال
الدنيا ومصداق كلامه عليه السلام ان اعظم شر يتصوره الانسان بالسماع ويهوله ويستنكره من مثل سورة
القتل والجراح فاذا وقع في مثل تلك الاحوال وشاهدها واضطر الى المخاصمة والمحاربة سهل عليه ما كان يستصعب
منها وهان في عينه ذلك الوقع والخوف كذلك لا يزال الانسان يخوف المثول بين يدي الملوك ويتصور
عظمتهم وبطشهم الى ان يصل الى مجالسهم فاذا وجد من نفسه زوال ذلك الخوف فكانت مشاهدة ما كان يتصور
شرا عظيما اهون عنده من وصفه والسماع له وكذلك حال الخير فان الانسان لا يزال يحرص على تحصيل الدرهم
والدينار وغيرها من سائر مطالب الدنيا ويكون قلبه مشغولا بتحصيله فربما استطال وصوله فاذا وصل اليه
هان عليه وهو امر وجداني واما احوال الآخرة فالذي يسمع من شرورها وخيراتها انما يلاحظها بالعقل
الى خيرات الدنيا وشرورها وربما كانت في اعتبار اكثر الخلق اهون من خيرات الدنيا وشرها لقرب الخلق
من المحسوس وقرب الدنيا منهم وذوقهم لها دون الآخرة مع قيام البرهان العقلي على ضعف الاحوال الحاضرة
من خير وشر بالقياس الى احوال الآخرة فلذلك كان عيان احوالها اعظم من سماعها واذا كانت الحال كذلك
فينبغي ان يكتفى من العيان بالسماع ومن الغيب بالخبر حيث لا يمكن الاطلاع على الغيب ومشاهدة العيان
لتلك الاحوال في هذا العالم ثم نبه على افضلية الآخرة بان ما زاد فيها مما يقرب الى الله تعالى وان استلزم
نقصان الدنيا من بذل المال والجاه خير من العكس وبيان هذه الخيرية كون خيرات الدنيا في معرض الزوال مشوبة
بالاوجاع والاوجال وكون تلك باقية على كل حال في نهاية الكمال وضرب المثل بكثرة المنقوص من الدنيا
الرابح في الآخرة وهم اولياء الله واحباؤه الذين اشترى منهم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وبكثرة المزيد
الخاسر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ثم اكد الحث على
سلوك طريق الآخرة ببيان اتساعها بالنسبة الى طريق الدنيا فقال ان الذي امرتم به اوسع من الذي نهيتم عنه
وذلك ظاهر فان كل فضيلة فيها احسن من الفضيلة في الحلم والعفو والصبر التي هي اشرف الاخلاق المحمودة متسع
عن ثمرة الظلم وفي العدل والاقتصار على تناول الامور المباحة التي هي اكثر واوسع سعة من الكذب الذي

هو رأس النفاق وعليه يبتني خراب العالم وفي المعاريض والصدق الذي هو سبب في عمارة العالم متسع
عن الزنا ولا شك ان في سائر وجوه النكاحات مع كثرتها وسلامتها عن المفاسد اللازمة عن الزنا متسعا عنه
ثم شرب الخمر التي هي ام الخبائث ومنشأ اكثر الفساد وفي تركها الى ما يقارب فعالها التي ندعي كونها محمودة
من سائر الاشربة وغيرها معدل عنها ومتسع وكذلك قوله وما احل لكم اكثر مما حرم عليكم فان الواجب والمندوب
والمباح وغيرها المكروه يصدق على جميعها اسم الحلال وهي اكثر من الحرام الذي هو قسم واحد من الاحكام الخمسة
الثابتة على وجه المصلحة في ترك المنهي والمحرم اوفق ذلك بالامر بتركهما لان العقل اذا لاحظ طريقا مخوفا واحدا
بين طرق كثيرة آمنة اقتضى العدول عن المخوفة الضرورة الثالثة عشر تنبيه بالنهي عن ترجيح طلب الرزق على
الاشتغال بفرائض الله وعلى ان الاشتغال بها اولى بكون الرزق مضمونا فالسعي في تحصيله يجري مجرى تحصيل
الحاصل ثم اردف ذلك بما يجري مجرى التوبيخ للسامعين على ترجيحهم طلب الرزق على الاشتغال بالفرائض
فاقسم ان ذلك منهم عن اعتراض الشك لهم فيما يعتقدونه من تكفل الله سبحانه بارزاقهم ووعده وضمانه لهم
بقوله وفي السماء رزقكم وما توعدون اي في سماء جوده وقد علمت ان الجد في طلب الرزق يستند الى ضعف
التوكل على الله وهو مستند الى ضعف اليقين فيه وسوء الظن به وذلك يستلزم استناد العبد الى نفسه وتوكله
عليها وحملهم في طلب الرزق كمن تيقن المضمون له مفروضا طلبه عليه والمفروض عليه طلبه موضوعا
عنه مبالغة في قلة احتفالهم بفرائض الله عليهم واشتغالهم عنها بطلب الدنيا الرابعة عشر تنبيه على وجوب
المحافظة على العمر بالعمل فيه للآخرة وعلى اولوية مراعاته بالنسبة الى مراعاة طلب الرزق بكون العمر لا
يرجى من رجعته ما يرجى من رجعة الرزق فان العمر في نقص وما فات منه غير عائد بخلاف الرزق فانه يرجى
زيادته وجبران ما نقص منه في الماضي ولما كان العمر الذي من شأنه ان لا يعود ما فات منه ظرفا للعمل
بفواته وجب بذلك العمل ببداركم وقوله الرجاء مع الجائي يريد الرزق واليأس مع الماضي يريد العمر وهو مؤكد
لما قبله الخامسة عشر انه ختم بالآية اقتباسا من نور القرآن ووجه هذا الاقتباس انه لما كان الكلام في
معرض جذب السامعين الى العمل الذي هو سبب تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة الذي هو
جزء من الرياضة وكان التقوى عبارة عن الزهد في الدنيا الذي حقيقته حذف الموانع الداخلية والخارجية
عن القلب الذي هو الجزء الثاني من الرياضة وكان الاسلام هو الدين الحق المركب من هذين الجزئين لا جرم
حسن ايراد الآية المشتملة على الامر بالتقوى والموت على الاسلام بعد الامر بالعمل ليكون ذلك امرا بكمال
الدين والعمل وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** في الاستسقاء اللهم قد انصاحت جبالنا واغبرت
ارضنا وهامت دوابنا وتحيرت في مرابضها وعجت عجيج الثكالى على اولادها وملت التردد في مراتعها
والحنين الى مواردها اللهم فارحم انين الآنة وحنين الحانة اللهم فارحم حيرتها في مذاهبها وانينها في موالجها
اللهم خرجنا اليك حين اعتكرت علينا حدابير السنين واخلفتنا مخايل الجود فكنت الرجاء للمبتئس والبلاغ

للملتمس ندعوك حين قنط الانام ومنع الغمام وهلك السوام ان لا تؤاخذنا باعمالنا ولا تأخذنا بذنوبنا
وانشر علينا رحمتك بالسحاب المنبعق والربيع المغدق والنبات المونق سحا وابلا تحيي به ما قد مات وترد به
ما قد فات اللهم سقيا منك محيية مروية تامة عامة طيبة مباركة هنيئة مريعة زاكيا نبتها ثامرا فرعها
ناضرا ورقها تنعش بها الضعيف من عبادك وتحيي بها الميت من بلادك اللهم سقيا منك تعشب بها نجادنا
وتجري بها وهادنا ويخصب بها جنابنا وتقبل به ثمارنا وتعيش بها مواشينا وتندى بها اقاصينا وتستعين
بها ضواحينا من بركاتك الواسعة وعطاياك الجزيلة على بريتك المرملة ووحشك المهملة وانزل علينا سماء
مخضلة مدرارا هاطلة يدافع الودق منها الودق ويحفز القطر منها القطر غير خلب برقها ولا جهام عارضها ولا
قزع ربابها ولا شفان ذهابها حتى يخصب لامراعها المجدبون ويحيا ببركتها المسنتون فانك تنزل الغيث من بعد
ما قنطوا وتنشر رحمتك وانت الولي الحميد قال السيد رحمه الله تفسير ما في هذه الخطبة من الغريب قوله انصاحت
جبالنا اي تشققت من المحول يقال انصاح الثوب اذا انشق ويقال انصاح النبت وصاح وصوح اذا جف
ويبس وقوله هامت دوابنا اي عطشت والهيام العطش وحدابير السنين جمع حدبار وهي الناقة التي انضاها
السير فشبه بها السنة التي فشا فيها الجدب قال ذو الرمة حدابير ما تنفك الا مناخة على الخسف او نرمي بها بلدا
قفرا والقزع القطع الصغار من السحاب المتفرقة وقوله ولا شفان ذهابها فان تقديره ولا ذات شفان ذهابها
والشفان الريح الباردة والذهاب الامطار اللينة فحذف ذات لعلم السامع به **اقول** اعتكرت اختلطت
وازدحمت والمخايل جمع مخيلة للسحابة التي ترجى المطر والمبتئس الحزين والمنبعق السحاب المنصب بشدة والربيع
هنا المطر والسقيا بالضم الاسم من السقي والمريع المخصب والنجاد وهو المرتفع من الارض والضواحي النواحي البارزة
اي اهل نواحينا والمرملة قليلة المطر والمخضلة الرطبة والودق القطر والجهام المظلم الذي لا ماء فيه والخلب
التي يكذب الظن فيها والمسنتون الذين اصابتهم شدة السنة واعلم انه نبه بقوله ندعوك ان لا تؤاخذنا
باعمالنا ولا تاخذنا بذنوبنا على ان للذنوب والاعمال الخارجة عن اوامر الله تاثيرا في دفع الرحمة وسر ذلك
ان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع من قبله وانما يكون ذلك بحسب عدم الاستعداد وقلته وكثرته وظاهر ان
المقبلين على الدنيا المرتكبين لمحارم الله معرضون عنه غير مستعدين لآثار رحمته بل مستعدون لضد ذلك من
سخطه وعذابه بحسب استعدادهم بالانهماك في محارمه والجور عن سبيله وحري بمن كان كذلك ان لا ينال بركته
ولا يفاض عليه اثر رحمته ونصب سحا ووابلا على الحال والعامل انشر واراد بالسماء المخضلة هنا السحاب والعرب
تقول كل ما علاك فهو سماء ومعنى انزل ارسل انشاء واداره ويحتمل ان يريد بالسماء المطر نفسه ونحوه انزل
علينا الغيث وقد اقتبس من القرآن الكريم ختام هذا الفصل ايضا ووجه مناسبته للآية ظاهر وبالله التوفيق
ومن خطبة له عليه السلام ارسله داعيا الى الحق وشاهدا على الخلق فبلغ رسالات ربه غير وان ولا مقصر وجاهد
في الله اعداءه غير واهن ولا معذر امام من اتقى وبصر من اهتدى **اقول** الواهن الضعيف والمعذر بالتشديد

المعصر واعلم ان الاوصاف التي ذكرها النبي صلى الله عليه وآله ظاهرة وقد سبقت الاشارة اليها غير مرة فاما كونها
كونه اماما من اتقى فلاستناد اهل التقوى اليه في كيفية سلوك سبيل الله التي هي التقوى وقد استعار لفظ البصر له وقد
الثاقبة كونها سببا لاهتداء الخلق الى سبيل الرشاد كما يهتدي صاحب البصيرة في طريقه المحسوس وبالله التوفيق **متن**
ولو تعلمون ما اعلم مما طوي عنكم غيبه اذن لخرجتم الى الصعدات تبكون على اعمالكم وتلتدمون على انفسكم ولتركتم
اموالكم لا حارس لها ولا خالف عليها ولهمت كل امرئ منكم نفسه لا يلتفت الى غيرها ولكنكم نسيتم ما ذكرتم وامنتم
ما حذرتم فتاه عنكم رايكم وتشتت عليكم امركم لوددت ان الله فرق بيني وبينكم والحقني بمن هو احق بي منكم قوم والله
ميامين الرأي مراجيح الحلم مقاويل بالحق متاريك للبغي مضوا قدما على الطريقة واوجفوا على المحجة فظفروا بالعقبى الدائمة والكرامة
الباردة اما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذيال الميال ياكل خضرتكم ويذيب شحمتكم ايه ابا وذحة قال السيد
رضي الله عنه والوذحة الخنفساء وهذا القول يومئ به الى الحجاج وله مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره **اقول**
الصعدات جمع وهو وجه الارض والالدم والالتدام ضرب الوجه ونحوه وميامين جمع ميمون مبارك وقدما بضم القاف والدال
اي تقدموا ولم ينثنوا والوجيف ضرب من السير فيه قوة والوذحة كما قيل انها الخنفساء ولم ينقل ذلك في المشهور
من كتب اللغة وانما المشهور انها القطعة من بعر الشاة تتعقد على اصواف اذنابها وتتعلق بها وهذا الفصل من
خطبة له بالكوفة يستنهض فيها اصحابه الى حرب الشام ويتوعدهم من تقاعدهم عن نصرته فنبههم اولا على جهلهم بما سيقع
من الفتن في الاسلام مما غاب عنهم علمه وهو من الله ورسوله بحيث لو تصوروه او علموا منها الاجمال لكل منهم في
الخلاص لنفسه ولهاموا على وجه الارض باكين على تقصيرهم في اعمالهم على فوت اوامره التي بها يكون نظام العالم الى
الابد والامن من تلك الفتن لو فعلوها ولكنهم نسوا ما ذكروا به من ايات الله وامنوا ما حذروا فضلت عنهم اراؤهم
الصالحة التي يكون بها انتظام امورهم فاستعقب ذلك تشتت امورهم وغلبة العدو على بلادهم وقيل اراد بما طوي عنهم
غيبه وعلمه هو ما يلقى المقصر من اهوال الاخرة والاول انسب لسياق الكلام ثم عقب ذلك بالتبرم منهم وطلب فراقهم
واللحاق باخوانه من اولياء الله تبارك وتعالى الاوائل ثم اثنى عليهم بجميل الخصال ملازمي الصدق ومجانبة الذين
شانهم ترك البغي على انفسهم وغيرهم مضوا على الطريقة الحميدة سالكين لمحجة الله عز وجل ملتفتين عنها فوصلوا الى
الثواب الدائم والنعيم المقيم وقوله الظفر يختص العقبى بالثواب والعرب تصف النعمة والكرامة بالبرد ثم نبه
بعض ما سيلحقهم من الفتن العظيمة مما طوى عنهم غيبه وهي فتنة الحجاج بن يوسف بن الحكم بن ابي عقيل بن مسعود بن عامر
ابن معتب بن مالك بن كعب من الاحلاف وهم من ثقيف وكان ضعيف العين دقيق الصوت ذيالا اي طويل الذيل يجره
متبخترا ميالا اي كثير التمايل كبرا والخضرة ياكل خضرتكم وكنى بها عما هم عليه من الابهة وسلامة النفوس والاموال
وحسن الاحوال وباكله لها عن ازالة ذلك وتغييرها الى اضدادها ولفظ الاكل مستعار لذلك ووجه الاستعارة ظاهر
وكذلك استعار لفظ الشحمة لرؤسائهم وقوتهم ووصفها بالاذابة لافنائه ذلك بالقتل والاهانة ومصداق ذلك المشهور
من فعله باهل العراق كما سبق بيانه في ذكر الكوفة ثم قال ايه ابا وذحة وكلمة ايه اسم من اسماء فعل الامر يستدعي

بها الحديث المعهود من الغير ان سكنت وان نونت كانت لاستدعاء قول او فعل ما وقيل التسكين للوقف والتنوين
للدرج فاما تلقيبه عليه السلام له بابي وذحة فروي في سبب ذلك انه كان يوما يصلي على سجادة له فدبت اليه خنفساء فقال
نحوها عني فانها وذحة من وذح الشيطان وروي انه قال قاتل الله قوما يزعمون ان هذه من خلق الله فقيل له مما
هي فقال من وذح ابليس وكانه شبهها بالوذحة المتعلقة بذنب الشاة في حجمها او شكلها فاستعار لها لفظها او
نسبها الى ابليس لاستقذاره اياها واستكراهه لصورتها او لانها تشوش في الصلوة وروى ابو علي ابن مسكويه
انه عاقها بقضيبه وقال لعنك الله وذحة من وذح الشيطان ونقل بعض الشارحين وذجة بالدال والجيم وكنى
بذلك عن كونه سفاكا للدماء قطاعا للاوداج وفيه بعد **ومن كلام له عليه السلام** فلا اموال بذلتموها للذي رزقها
ولا انفس خاطرتم بها للذي خلقها تكرمون بالله على عباده ولا تكرمون الله في عباده فاعتبروا بنزولكم منازل من
كان قبلكم وانقطاعكم عن اصل اخوانكم **اقول** مدار هذا الفصل على التوبيخ بالبخل بالاموال والانفس وفي قوله
للذي رزقها وخلقها استدراج حسن فان البخيل انما يستقبح بذله لملاحظة امرين احدهما خوف الفقر والثانية
كثيرا ما يتوهم الاغنياء ان لا مستحق للمال الا هم فيكون ذلك وامثاله عذرا لهم مع انفسهم في عدم البذل وكذلك
الشحيح بنفسه انما يشح بها خوف الموت وان لا يكون له من هذه الحياة عوض تساويها فاذا اعلم ان بذل المال لرازقه
اياه معبود ان يكون حسن الظن به زال عذره في البخل لعلمه بعوض جزائه وبانه احق منه اذ كان المملوك وما يملك
لمولاه وكذلك يزول عذر الشحيح بنفسه لعلمه ان الطالب لبذلها هو الاحق بها وانه الغنا وعلى ان يوصله الى ما هو خير له
من هذه الحياة الفانية وفي انقطاع ما يتوهمونه عذرا في البخل بالمال والنفس يكون سهولة بذلهما في سبيل
الله وقوله تكرمون بالله على عباده اي تفخرون وتشرفون على الخلق بانكم اهل طاعة الله وعباده ثم لا تكرمونه فيما
يدعوكم اليه ولا تجيبونه اليه في اكرام عباده والالتفات الى قطعهم بالتيسير مما رزقكم ثم امرهم بالاعتبار بنزولهم منازل
الدارجين وانقطاعهم عن وصل اخوانهم تنبيها لهم على انهم امثالهم في اللحاق بمن سلف والانقطاع عمن بقي وروي عن
اصل اخوانكم اي اقربهم اصلا اليكم وفائدة هذا الاعتبار تذكر الموت والعمل لما بعده **ومن كلام له عليه السلام** انتم
الانصار على الحق والاخوان في الدين والجنن يوم البأس والبطانة دون الناس بكم اضرب المدبر وارجو طاعة
المقبل فاعينوني بمناصحة خلية من الغش سليمة من الريب فوالله اني لاولى الناس بالناس **اقول** الجنن جمع جنة
وهي ما استترت به من سلاح وبطانة الرجل خاصته وقد اشتمل هذا الفصل على استمالة طباع اصحابه الى مناصحته
في الحرب فمدحهم بكونهم من اهل الدين ثم بالشجاعة ثم باعلامهم انهم من اهل خاصته الذين يعتمد عليهم في ضرب المدبر
وطاعة المقبل وطلب منهم الاعانة بمناصحتهم خالصة سليمة من الشك في صحة امامته وانه اولى بالامر من غيره فلذلك
اقسم انه كذلك وقد سبق بيانه **ومن كلام له عليه السلام** وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا مليا فقال عليه السلام
ما بالكم امخرسون انتم فقال قوم منهم يا امير المؤمنين ان سرت سرنا معك فقال عليه السلام ما بالكم لا سددتم لرشد
ولا هديتم لقصد افي مثل هذا ينبغي ان اخرج انما يخرج في مثل هذا رجل ممن ارضاه من شجعانكم وذوي باسكم ولا ينبغي

لي ان ادع الجند والمصر وبيت المال وجباية الارض والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق المطالبين ثم اخرج
في كتيبة اتبع اخرى اتقلقل تقلقل القدح في الجفير الفارغ وانما انا قطب الرحا تدور علي وانا بمكاني فاذا فارقته
استحار مدارها واضطرب ثفالها هذا لعمر الله الرأي السوء والله لولا رجائي الشهادة عند لقائي العدو لو قد حم
لقاؤه لقربت ركابي ثم شخصت عنكم فلا اطلبكم ما اختلف جنوب وشمال **اقول** الكتيبة الجيش والقدح السهم قبل
ان يراش والجفير كالكنانة اوسع منها والثفال الجلد الذي يوضع تحت الرحى ليسقط عليه الدقيق وحم الامر قدر
ومدار هذا الفصل على الرد عليهم مصدرا بالاستفهام عن حالهم القبيحة التي هم عليها من عدم السداد على سبيل الانكار
ثم عدم الارشاد وانه من عجز وجبن تنفر الى الحرب منكرا له ذلك ايضا ثم على الاشارة الى من ينبغي ان يخرج عوضا له ثم بين
وجه المفسدة في خروجه بنفسه وهو ترك المصالح التي عددها مما يقوم به امر الدولة ونظام العالم وخروجه على
الوجه المذكور وظاهر قبح ذلك وشبه خروجه بالقدح في الجفير ووجه الشبه انه كان قد تقدم الجيش قبل ذلك
واراد ان يجهز من بقي من التابعة كتيبة اخرى فشبه نفسه في خروجه في تلك الكتيبة وحده مع تقدم اكابر جماعتهم
وشجعانها بالقدح في الجفير الفارغ في كونه يتقلقل وفي العرف ان يقال للشريف اذا مشى في حاجة ينوب فيها من هو
دونه وترك المهام التي لا يقوم الا به ترك المهم العلاني ومشى يتقلقل كذا ثم استعار لنفسه لفظ القطب
لدوران الاسلام ومصالحه عليه كما يدور الرحى على قطبها وذلك هو وجه الاستعارة واستلزم ذلك تشبيه الاسلام
واهله بالرحى وانه اذا اهملها بخروجه الى الحرب اضطرب كاضطراب الرحى بخروج مدارها واستحار عن الحركة
السديدة الى المستقيمة ولما بين وجه المفسدة في رايهم حكم بانه راي سوء واكد ذلك بالقسم البار ثم حلف انه لولا
رجاؤه لقاء الله بالشهادة في لقاء العدو لو قدر له ذلك لفارقهم غير متأسف عليهم ولا طالب للعود اليهم ابدا
تبرما من سوء صنيعهم وكثرة مخالفتهم لاوامره وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** تالله لقد علمت تبليغ الرسالات
واتمام العدات وتمام الكلمات وعندنا اهل البيت ابواب الحكم وضياء الامر الا وان شرايع الدين واحدة وسبله
قاصدة من اخذ بها لحق وغنم ومن وقف عنها ضل وندم اعملوا ليوم تذخر فيه الذخائر وتبلى فيه السرائر ومن لا ينفعه
حاضر لبه فعازبه عنه اعجز وغائبه اعوز واتقوا نارا حرها شديد وقعرها بعيد وحليتها حديد وشرابها صديد
الا وان اللسان الصالح يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه من لا يحمده **اقول** مدار الفصل ذكر فضيلته
وهو علمه بكيفية تبليغ الرسالات واداتها وعلمه باتمام الله تعالى ما وعد به المتقين في دار القرار فتمام وعده انه لا
خلف فيه وتمام اخباره ان لا كذب فيها وتمام اوامره ونواهيه لاشتمالها على المصالح الخالصة والغالبة وهكذا
ينبغي ان يكون اوصياء الانبياء وخلفاؤهم في ارض الله وعباده ثم اردف ذلك بالاشارة الى فضل اهل البيت على ما
واراده بضياء الامر انوار العلوم التي يبتنى عليها الامور والاعمال الدينية وما ينبغي ان يهتدي الناس في حركاتهم
من قوانين الشريعة وما يستقيم به نظام الامر من قوانين السياسات وتدبير المدن والمنازل ونحوها اذ كان
كل امر شرع فيه على غير ضياء من الله ورسوله او احد اهل بيته وخلفائه الراشدين فهو محل التيه والزيغ عن سبيل

الله واستعار لفظ الشرايع وهي موارد الشاربة لاهل البيت ووجه الاستعارة كونهم موارد لطلاب العلم كما ان
الشرايع موارد لطلبة الماء وكونها واحدة اشارة الى ان اقوالهم لا تختلف في الدين بل لما علموا اسراره لم تختلف
كلمتهم فيه فكلهم كالشريعة الواحدة وكذلك استعار لهم لفظ السبيل ووجه المشابهة كونهم موصلين الى الله
على بصيرة وقصدا كما توصل الطريق الواضح وقوله من اخذ بها لحق اي من اخذ عنهم واقتدى بهم لحق بالسابقين
من سالكي سبيل الله وندم على تفريطه بتخلفه وقيل اراد بشرايع الدين وسبله قوانينه الكلية فان من علم بها
عمل بها فانه مسلك لثواب الله وهي واحدة في ذلك وموصل الى الجنة من غير جور ولا عدول وذلك معنى
كونها قاصدة والاول اظهر لكونه في معرض ذكر فضيلتهم ولما كان غرض الخطيب من اظهار فضيلته قبول قوله
شرع في الامر بالعمل ليوم القيمة والذخاير الاعمال الصالحة ومعنى قوله ومن لا ينفعه حاضر لبه الى قوله اعوز
اعتبروا حال حضور عقولكم فانها ان لم تنفعكم الان كانت اعوز واعجز عن نفعكم اذا عزبت عند حضور الموت
ومقاسات اهواله وما بعده من احوال الاخرة ثم اكد التخويف بما فيه الحساب بالتخويف بالنار واراد بحليتها
من الحديد ما اعد فيها للعصاة من الاغلال والاصفاد والمقامع والسلاسل التي تشبه الحلية وقوله الا وان
اللسان الى اخره تنبيه لهم على طلب الذكر الجميل من الناس بالعطاء وتهوين المال وقد سبقت الاشارة الى
هذا في قوله اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى الارض **ومن خطبة له عليه السلام** وقد قام رجل من اصحابه
فقال نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فما ندري اي الامرين ارشد فصفق عليه السلام باحدى يديه على
الاخرى ثم قال هذا جزاء من ترك العقدة اما والله لو اني حين امرتكم بما امرتكم به حملتكم على المكروه الذي
يجعل الله فيه خيرا فان استقمتم هديتكم وان اعوججتم قومتكم وان ابيتم تداركتكم لكانت الوثقى ولكن بمن
والى من اريد ان اداوي بكم وانتم دائي كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم ان ضلعها معها اللهم قد ملت
اطباء هذا الداء الدوي وكلت النزعة باشطان الركي اين القوم الذين دعوا الى الاسلام فقبلوه وقرأوا القرآن
فاحكموه وهيجوا الى الجهاد فولهوا وله اللقاح الى اولادها وسلبوا السيوف اغمادها واخذوا باطراف الارض زحفا زحفا
وصفا صفا بعض هلك وبعض نجا لا يبشرون بالاحياء ولا يعزون عن القتلى مره العيون من البكاء خمص البطون
من الصيام ذبل الشفاه من الدعاء صفر الالوان من السهر على وجوههم غبرة الخاشعين اولئك اخواني الذاهبون
فحق لنا ان نظمأ اليهم ونعض الايدي على فراقهم ان الشيطان يسني لكم طرقه ويريد ان يحل دينكم عقدة
عقدة ويعطيكم بالجماعة الفرقة فاصدفوا عن نزغاته ونفثاته واقبلوا النصيحة ممن اهداها اليكم واعقلوها
على انفسكم **اقول** الضلع بفتح الضاد وسكون اللام الميل والهوى والداء الدوي الشديد وصف بما هو
من لفظه والدوي اسم الفاعل من دوي اذا مرض والنزعة المستقون والركي جمع ركية وهي البئر ومره جمع امره
وهي العين التي فسدت اي عيونهم مارهة وسنى له كذا سهله وعقلت عليه كذا اي حبسته عليه وكان
هذا الكلام منه عليه السلام بصفين حين امرهم بالحكومة بعد ان نهاهم والسبب انه لما احس بالعجز وظهر

على عليه السلام ليلة الهرير راجع عمرو بن العاص في الراى فقال له خبأت لك رايا لمثل هذا الوقت وهو ان تامر اصحابك برفع المصاحف على الارماح ويدعون اصحاب على الى المحاكمة الى كتاب الله فانهم ان فعلوا افترقوا وكان الاشتر صبيحة تلك الليلة قد اشرف على الظفر فلما اصبحوا رفعوا المصاحف والمصحف الكبير بالجامع الاعظم على عشرة ارماح وهم يستغيثون معاشر المسلمين الله الله في اخوانكم في الدين حاكمونا الى كتاب الله الله الله في النساء والبنات فقال اصحاب على عليه السلام اخواننا واهل دعوتنا استقالونا واستراحوا الى كتاب الله فالراى التنفيس عنهم فغضب عليه السلام من هذا الراى فقال انها كلمة حق يراد بها باطل كما سبق القول فيه فافترق اصحابه فريقين منهم من راى رايه عليه السلام في الاصرار على الحرب ومنهم من راى ترك الحرب والرجوع الى الحكومة وكانوا الاكثر فاجتمعوا اليه عليه السلام وقالوا ان لم تفعل قتلناك كما قتلنا عثمان ورجع الى قولهم وامر برد الاشتر من الحرب ثم كتبوا كتاب الصلح وطافوا به في اصحابه عليه السلام واتفقوا على الحكومة ثم خرج بعض اصحابه من هذا الامر وقالوا كنت نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فما ندرى اى الامرين ارشد وهذا يدل على انك شاك في امرك نفسك فصفق باحدى يديه على الاخرى فعل النادم غضبا من قولهم وقال هذا جزاء من ترك العقدة اى عقد الامر الذى عقده ولحكمه وهو الراى في الحرب والاصرار عليها والذى كان امرهم به هو البقاء على الحرب وهو المكروه الذى يجعل الله فيهم خيرا من الظفر وسلامة العاقبة وقوله مكرهه اى بالقتل والضرب ونحوه وكذلك معنى قوله تداركتكم وقوله لكانت الوثقى اى العقدة المحكمة وقوله ولكن بمن اى بمن كنت استعين عليكم والى من اى الى من ارجع في ذلك وقوله اريد ان اداوى بكم اى اريد ان اداوى ما فى بعضكم من بعض وانتم دائى فاكون في ذلك كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم ان ضلعها معها وهذا مثل تضربه العرب لمن يستعان به في اصلاح من يراد اصلاحه وميله الى المستعان عليه فقال لا تنقش الشوكة بالشوكة فان ضلعها معها يقول ان استعانتي ببعضكم في اصلاح بعض كنقش الشوكة بالشوكة ووجه المشابهة ان طباع بعضكم يشبه طباع بعض ويميل اليها كما يشبه الشوكة الشوكة ويميل اليها وقوله الكرب منها في العضو وحاجته الى منقاش ثم رجع الى الشكاية الى الله واراد بالداء الدوى ما هم عليه من اعتياد المخالفة لامره وتثاقلهم عن صوته وبالاطباء نفسه فانه الحمل وما يلزمه اعظم من سائر الادواء الحسية وفضل اطباء النفوس على اطباء الابدان بقدر شرف النفوس على الابدان وهى استعارة تكاد ان تكون حقيقة وكذلك استعار لفظ النزع لمثل ضربه لنفسه معهم كنازع من المصلحة في قعر بئر عميق وذلك هو من جذبهم اليها ثم اخذ في السؤال عن اخوانه من اكابر الصحابة الذين بذلوا جهدهم في نصرة الدين واعرضوا عن الدنيا اسفا عليهم على سبيل التوجع لفقدهم وهذا كما يقول احدنا اذا وقع في شدة اين اخى عنى ثم وصفهم بالاوصاف الحميدة ترغيبا للسامعين في مثل حالهم وازراء عليهم حيث لم يكونوا بهذه الاوصاف وذلك بطريق المفهوم وقوله اولادها انتصب باسقاط الجار اذا الفعل وهو قوله عبر متعدى الى مفعولين بنفسه وفي الخبر لا توله والدة بولدها وتوليهم لها تركهم اياها عند خروجهم للجهاد

وان لم يتنبهوا الفرقة [illegible]

وقوله اى اخذوها باطرافها وتحفروا حفا وصفا صفا مصدران مؤكدان بمثليهما قاما مقام الحال وقوله لا يبشرون بالاحياء ولا يعزون عن القتلى اى كانوا في تلك الحال غير ملتفتين الى حميم ولا مواسين ومعاطين على جبنهم حتى يبشرون ببقائه او يعزون لموته فيعزون عليه بل يحرضون الجهاد في سبيل الله ولعلهم يفرحون بقتل من يقتلونه في سبيله وان كان ولدا او والدا او بالعكس واعلم ان السهر موجب لصفرة اللون لانه يهيج الحرارة ويفسد السحنة ويجفف البدن ويكثر المرة والصفرة من توابع ذلك لا سيما في الابدان النحيفة كما عليه اهل الدين ومكدرا لمجاز وغبرة الخاشعين قشف الزاهدين الخائفين من الله لعدم تحليهم بالدنيا واستعار لفظ الظماء للشوق اليهم ملاحظة لشبههم بالماء في شدة الحاجة اليه فنزل الشوق اليهم والحاجة الى لقائهم منزلة العطش الى الماء فاعطاه لفظه واراد بعقد الدين ما احكم منه من القوانين والقواعد وجعل الشيطان لها بتخيله ترك قانون وسنة الاجماع عقدة عقدها الشارع لما سبق بها من المصالح واكدها فكانت الفرقة حلا لتلك العقدة ونزغات الشيطان حركاته بالافساد وتعاقب الوسوسة في القلوب مرة بعد اخرى وعنى بمن اهدى اليهم النصيحة نفسه وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام للخوارج وقد خرج الى معسكرهم اكلكم شهد معنا صفين فقالوا منا من شهد ومنا من لم يشهد قال فامتازوا فرقتين فليكن من شهد صفين فرقة ومن لم يشهد فرقة حتى اكلم كلا بكلامه ونادى الناس فقال امسكوا عن الكلام وانصتوا لقولى واقبلوا بافئدتكم الى فمن نشدناه فليقل بعلمه فيها ثم كلمهم عليه السلام بكلام طويل من جملته ان قال الم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة ومكرا وخديعة اخواننا واهل دعوتنا استقالونا واستراحوا الى كتاب الله تعالى فالراى القبول منهم والتنفيس عنهم فقلت لكم هذا امر ظاهره ايمان وباطنه عدوان واوله رحمة واخره ندامة فاقيموا على شانكم والزموا طريقتكم وعضوا على الجهاد بنواجذكم ولا تلتفتوا الى ناعق نعق ان اجيب اضل وان ترك ذل ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وان القتل ليدور بين الاباء والابناء والاخوان والقرابات فما نزداد على كل مصيبة وشدة الا ايمانا ومضيا على الحق وتسليما للامر وصبرا على مضض الجراح ولكنا انما اصبحنا نقاتل اخواننا في الاسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتاويل فاذا طمعنا في خصلة يلم الله بها شعثنا ونتدانى بها الى البقية فيما بيننا رغبنا فيها وامسكنا عما سواها اقول التنفيس التفريج واكثر هذا الفصل ظاهر مما سبق وقوله هذا امر ظاهره ايمان اى رفع المصاحف وطلبهم الحكومة فان ظاهره منهم الاجتهاد في الدين بالرجوع الى كتاب الله وباطنه منهم عدوان اى حيلة للظلم والغلبة واوله رحمة منكم لهم برجوعكم الى قولهم واخره ندامة لكم عند تمام الحيلة عليكم فاقيموا على شانكم اى ما كنتم عليه من الاجتهاد في الحرب والناعق اشارة الى طالبى الحكومة او المشير عليهم بذلك الراى وهو عمرو بن العاص ولحرجه في اوصاف ابليس وقوله شهد

ولقد كنا مع رسول الله الى قوله مضض الجراح اسند اليه لهم بشرح حاله وحال الصحابة حيث كانوا في الجهاد مع الرسول صلى الله عليه وآله كذلك على الحال التى شرحها لعلهم يتاسون بالماضين فيها وقوله ولكنا انما اصبحنا نقاتل اخواننا في الاسلام الى اخره تنبيه على اعتراض عساهم يقولونه وجوابه وهو ان يقولوا انما قاتل اخواننا التابعون ما فعلوا ليقينهم بما هم عليه من الدين الحق ويقينهم ضلال الكفار والمحاربين لهم فاما نحن فانما يقاتل بعضنا بعضا فكيف يجوز لنا قتل قوم مسلمين استسلموا الينا ودعونا الى المحاكمة الى كتاب الله فاجاب بما معناه انما نقاتل في مبدا الامر ومنتهاه دعوة الى الاسلام ورغبة في رسوخ قواعده في الدين فانما لتحصل ماهيته في الوجود وفي الثاني فانما لنحفظ ماهيته وبقاءها وحيث دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتاويل ما دخل فاذا طمعنا في خصلة محمودة يجمع الله بها تفرقنا ونتقارب بها الى ما بقى فيما بيننا من الاسلام والدين رغبنا فيها وقاتلنا طمعا في تحصيلها وكانت تلك الخصلة رجوع محاربيه الى الطاعة والقائهم عليه وهذا الكلام في قوة صغرى قياس ضمير احتج عليهم به وتقديرها انكم حين قلتم لكم ان رفعهم المصاحف حيلة منهم ليخدعوكم بهذا الجواب وتقدير الكبرى وكل من اجاب بهذا الجواب فليس له ان ينكر الحكومة اذ كان قد رضى بها فينتج انه ليس لهم ان يابوا الحكومة وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام قاله لاصحابه في وقت الحرب واى امرئ منكم احس من نفسه رباطة جاش عند اللقاء ورأى من احد من اخوانه فشلا فليذب عن اخيه بفضل نجدته التى فضل بها عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله ان الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب ان اكرم الموت القتل والذى نفس ابن ابى طالب بيده لالف ضربة بالسيف اهون من ميتة على الفراش اقول النجدة الشجاعة والذب الدفع والمنع وقد امرهم في هذا الفصل بقاعدة يبين لبعض الحرب ومنع بعضهم عن بعض مما اصابه كما يمنع عن نفسه وبذلك يكون انعقاد الاجتماع ويتعاون الهمم حتى يكون كنفس واحدة وبذلك يكون الظفر والغلبة واستمال ذوى النجدة بذكر فضيلة تخصهم دون من يذبون عنه تثبيتا لنجدتهم وتعظيما لهم وقوله ان الموت طالب حثيث الى قوله ان اكرم الموت القتل تسهيل القتل والموت بذكر انه لا بد وتسهيل الحرب عليهم ولما ان اكرم الموت القتل فاراد القتل في سبيل الله وذلك لاستلزامه الذكر الجميل في الدنيا والثواب الدائم في الاخرى ثم اكد ذلك بالقسم لالف ضربة بالسيف اهون من ميتة على الفراش وصدق ذلك في حق من نظر الى الدنيا بعين الاستحقار وحب نعيم الابد في الاخرة والذكر الجميل في الدنيا وحصلت له ملكة الشجاعة ظاهر وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام وكانى انظر اليكم تكشون كشيش الضباب لا تاخذون حقا ولا تمنعون ضيما قد خليتم والطريق فالنجاة للمقتحم والهلكة للمتلوم اقول كشيش الضباب احتكاك جلودها بعضها ببعض عند الازدحام والتلوم الانتظار والتوقف واشار بهذا الكلام الى ما سيلحقهم من غلبة من العدو وتغشيهم الحروب بحيث يضعفون وياخذون في الهرب والتحقق فلا ينتفع بهم في تحصيل حق ولا دفع ضيم ووصف الكشيش مستعار لهم باعتبار هيئتهم في الحيد عن العدو والهرب وهو وجه الشبه بكشيش الضباب وقوله فقد خليتم

والطريق اى طريق الاخرة فالنجاة للمقتحم اى مقتحمها والمبادر الى سلوكها والهلكة للمتوقف عن ذلك والطريق منصوب على المفعول معه ومن كلام له عليه السلام في حض اصحابه على القتال فقدموا الدارع واخروا الحاسر وعضوا على الاضراس فانه انبى للسيوف عن الهام والتووا في اطراف الرماح فانه امور للاسنة وغضوا الابصار فانه اربط للجاش واسكن للقلوب واميتوا الاصوات فانه اطرد للفشل ورايتكم فلا تميلوها ولا تخلوها ولا تجعلوها الا بايدى شجعانكم والمانعين الذمار منكم فان الصابرين على نزول الحقائق هم الذين يحفون براياتهم ويكتنفونها حفافيها ووراءها وامامها لا يتاخرون عنها فيسلموها ولا يتقدمون عليها فيفردوها اجزا امرؤ قرنه واسى اخاه بنفسه ولم يكل قرنه الى اخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن اخيه وايم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلمون من سيف الاخرة انتم لهاميم العرب والسنام الاعظم ان في الفرار موجدة الله والذل اللازم والعار الباقى وان الفار لغير مزيد في عمره ولا محجوز بينه وبين يومه من رائح الى الله كالظمآن يرد الماء الجنة تحت اطراف العوالى اليوم تبلى الاخبار اللهم ان ردوا الحق فافضض جماعتهم وشتت كلمتهم وابسلهم بخطاياهم انهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطيح العظام ويندر السواعد والاقدام وحتى يرموا بالمناسر تتبعها المناسر ويرجموا بالكتائب تقفوها الحلائب وحتى يجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس وحتى تدعق الخيول في نواحر ارضهم واعنان مساربهم ومسارحهم اقول هذا الكلام قاله بصفين والموارد جمع كثرة ونعوذ والجاش روعة القلب واضطرابه عند الخوف والذمار ما وراء الرجل مما يجب عليه حمايته وحفافا الشئ جانباه ولهاميم العرب اجوادهم والموجدة الغضب وابسلهم اسلمهم للهلكة والعوالى جمع عالية الرمح وهو ما دخل منه الى الثلث والنسيم النفس والمنسر القطعة من الجيش وكذلك الخميس الجيش والنواحر ايضا جمع ناحرة وهو اخر ليلة من الشهر مع يومها كانها تنحر المستقبل فيكون مراده بنواحر ارضهم اقاصيها واعنان مساربهم اقطارها وما اعترض منها ومساربهم مراعيهم واحدها مسرب وقد امرهم باوامر في مصلحة الحرب وكيفيتها ونهاهم عن مناهى فاولها الامر بتقديم الدارع وتاخير الحاسر والمصلحة فيه ظاهرة الثانى العض على الاضراس وحكمته ما سبق في قوله معاشر المسلمين استشعروا الخشية قوله لانه ابنى للسيوف عن الهام وقد ذكرناه ايضا الثالث الالتواء في اطراف الرماح وعلته ما ذكر وهو ان التوى الانسان مع الرمح حال ارسال كان الرمي اشد وذلك لحركة صدر الانسان بعد التوائه مع حركة يده حين الارسال فكانت حركته اشد واقوى نفوذا الرابع غض الابصار وفائدته ما ذكر من كونه اربط للجاش لان اضطراب القلب واسكن وسببه ذلك مد البصر الى القوم فانه مظنة الخوف والفشل وعلامة لهما عند العدو الخامس اماتة الاصوات وفائدته طرد الفشل اذ كانت كثرة اللغط والصياح علامة لخوف الصائح وذلك مستلزم لطمع العدو فيه وجراته عليه السادس قوله ورايتكم فلا تميلوها الى اخرها مما يبطن به العدو فشلا واضطراب حال فيطمع ويقدم ولانها اذا اميلت تغيب عن عيون الجيش فربما لا يهتدى كثير منهم للوجه المطلوب التابع ولا تخلوها وسنفسر هو العلة لتركها فلا تجعلوها الا في شجعانكم وذلك انها اصل نظام العسكر وعليها يدورون وبها يقوى قلوبهم ما دامت قائمة فحينئذ ترتب الحرب ان يكون حاملها

انجمع القوم وقوله فان الثابرين الى قوله فيقرؤها تخصيص لمن يحفظ الراية وعينها بوصف الصبر على نزول
الحقائق اى الشدائد الحقة المتيقنة التى لا شك فى نزولها كى يسارعوا الى حفظها والاحاطة بها رغبة فى ذلك
المدح وبين بقوله لا يتأخرون عنها الى قوله فيفردوه وهما معنى التحليلة التى نهاهم عنها وقوله فيبلوها ويفردوها
نصب الفعلان باضمار ان عقيب الفاء فى جواب النفى النوع التاسع قوله اجزأ امرؤ قرنه والعاشر آسى اخاه بنفسه فعلان
ماضيان فى معنى الامر والتقدير وليجزئ امرؤ قرنه وهو خصمه وكفوه فى الحرب اى ليغنى وليواس اخاه بنفسه
فى الحرب عنه ولا يتركه من قرنه اضعافا على اخيه فى دفعه فيجتمع على اخيه قرنه وقرن اخيه ثم ذكرهم عدم الغاية
فى الفرار اذ كانت غاية الفرار السلامة من الموت وهو لا يدفعه كقوله تعالى قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت
او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا واستعار لفظ سيف الآخرة للموت ووجه المشابهة كونهما مبطلين للحياة
وانما كان سيف الآخرة لانها غاية ثم مدحهم باوصاف يستقبح معها الفرار وهى كونهم لهاميم العرب والسنام الاعظم
واستعار لهم لفظ السنام لمشاركتهم اياه فى العلو والرفعة ثم اكد تقبيح الفرار بذكر معايبه من انه لا فائدة فيه
اما معايبه فكونه يستلزم غضب الله فان الفار من الجهاد فى سبيله عاص لامره والعاصى له مستحق لغضبه وعقابه
ثم كونه مستلزما للذل اللازم والعار الباقى فى الاعقاب وهو ظاهر واما انه لا فائدة فيه فلان الفار
لا يزاد فى عمره بفراره اذ علمنا بفراره انه لم يبلغ الاجل المكتوب له فكان بقاؤه فى مدة الفرار من عمره لا زيادة
فيه وان لم يموتا فى القضاء الالهى لا يحجز بينه وبينه فرار وفيه تخويف بالموت وقوله من رائح الى الله كالظمآن يرد
استفهام عن سالك سبيل الله ويروح اليه كما يروح الظمآن استفهاما على سبيل العرض لفضيلة الرواح ووجه الشبه
القوة فى السير والسعى الحثيث واشار بقوله الجنة تحت اطراف العوالى الى ان مطلوب الرواح الى الله بالجهاد
وجذب اليه بذكر الجنة وخصها بجهة تحت لان دخول الجنة على تلك الافعال التى هى غاية منها مجازا تسمية للشىء
باسم غايته ثم اعقب ذلك بدعاء الله على محاربيه ان يردوا دعوة الحق بالتفريق والاهلاك ثم حكم بانهم لن
يزولوا عن مواقفهم دون ما ذكر حكما على سبيل التهديد والوعيد لهم والطعن الدراك المتدارك وكنى بخروج
النسيم منه عن كونه يخرق الجوف والامعاء بحيث يتنفس المطعون من الطعنة وروى النسيم وروى النشم بالنون
والشين المعجمة وهو اللحم والشحم وهو بعيد وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** فى التحكيم انا لم نحكم الرجال
وانما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان وانما
ينطق عنه الرجال ولما دعانا القوم الى ان نحكم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولى عن كتاب الله وقال
فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول فرده الى الله ان نحكم بكتابه ورده الى الرسول ان نأخذ بسنته
فاذا حكم بالصدق فى كتاب الله فنحن احق الناس به وان حكم بسنة رسول الله فنحن اولاهم به واما قولكم لم
جعلت بينكم وبينهم اجلا فى التحكيم فانما فعلت ذلك ليتبين الجاهل ويتثبت العالم ولعل الله ان يصلح فى
هذه الهدنة امر هذه الامة ولا يؤخذ باكظامها فتعجل عن تبين الحق وتنقاد لاول الغى ان افضل الناس عند

الله

من كان العمل بالحق احب اليه وان نقصه وكرثه من الباطل وان جر اليه وزاده فاين يتاه بكم ومن اين اتيتم استعدوا
للمسير الى قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه وموزعين بالجور لا يعدلون به جفاة عن الكتاب نكب عن الطريق ما انتم
بوثيقة يعلق بها ولا زوافر عز يعتصم اليها لبئس حشاش نار الحرب انتم اف لكم لقد لقيت منكم برحا يوما اناديكم ويوما
اناجيكم فلا احرار صدق عند النداء ولا اخوان ثقة عند النجاء **اقول** هذا الفصل من كلام له بعد سماعه لامر الحكمين
وخدعة عمرو بن العاص لابى موسى وكرثه الامر اشتد عليه واوزع لهج به موزع اذا اغرى به ونكب بضم الكاف
جمع ناكب وهو العادل عن الطريق كبازل وبزل والزوافر انصار الرجل وعشيرته والحشاش جمع حاش وهو
موقد النار وكذلك الحشاش بكسرها وتخفيف الشين كنائم ونوام ونيام وقيل هو ما يحش به النار اى يوقد به
البرح بسكون الراء الشدة والاذى يقال لقيت منه برحا بارحا ودوى برحا وهو الحزن وهذا الفصل من اوله الى
قوله اولاهم به جواب له عن شبهة التحكيم للخوارج عن امره بالحرب بعد ان رضى بالتحكيم وتقرير الشبهة انك رضيت بتحكيم
رجلين فى هذا الامر وعاهدت على ذلك وكل من رضى بامر وعاهد عليه فليس له ان ينقض عهده فقدح فى صغرى
هذه الشبهة بقوله انا لم نحكم الرجال اى لكونهما رجالا وانما حكمنا القرآن لكن لما كان القرآن لابد له من ترجمان
يبين مقاصده ودعانا القوم الى حكم القرآن لم نكن عن الفريق الكاره لكتاب الله المتولى عنه مع امره تعالى
بالرجوع اليه والى رسوله فى الكتاب والسنة فيما اشتبه امر بقوله فان تنازعتم الآية فاذا حكم بالصدق فى علم
كتابه فنحن احق الناس به اى اولاهم باتباعه ولا ريب ان نص على كون الامر لنا كما فى قوله تعالى وان طائفتان
من المؤمنين الى قوله حتى تفىء الى امر الله وظاهر كون اولئك بعد خذلان الامام بغاة عليه فوجب بنص الكتاب
قتالهم وكذلك الايات الدالة على وجوب الوفاء بالعهود والعقود وكان هو اولى بالحق الذى يجب قتالهم
عليه فكان الحاكم لهم مخطئا مخالفا لكتاب الله غير عامل بموجبه مخالف محكمه وان حكم بسنة رسول الله فنحن
اولى الناس برسول الله للقرابة والعمل بسنته لموافقتها الكتاب ونص على وجوب متابعة الامام العادل فكان
الحاكم لغيره مخالفا للسنة ايضا فصارت خلاصة هذا الجواب انا لم نرض بتحكيم الرجلين لكونهما رجلين ولكن
بتقدير حكمهما بكتاب الله الذى هما ترجمان عنه وهو الحاكم الذى دعانا الخصم اليه حيث خالفاه لم يجب علينا قبول
قولهما وقوله واما قولكم الى قوله لاول الغى تقدير سؤال الخوارج مع جوابه وذلك انهم حين اتفقوا على التحكيم
كتبوا كتاب الصلح وضربوا لحكم الحكمين اجلا مدة سنة وصورة الكتاب هذا ما تقاضى عليه على بن ابى طالب
ومعوية بن ابى سفيان قاضى على بن ابى طالب على اهل العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين
وقاضى معوية بن ابى سفيان على اهل الشام ومن كان معه من شيعته من المؤمنين ومن المسلمين انا
ننزل عند حكم الله تعالى وكتابه ولا يجمع بيننا الا اياه وان كتاب الله سبحانه بيننا من فاتحته الى خاتمته نحيى ما
احيى القرآن ونميت ما امات القرآن فما وجد الحكمان ذلك فى كتاب الله اتبعاه وان لم يجداه اخذا بالسنة العادلة
غير المفرقة والحكمان عبد الله وعمرو بن العاص وقد اخذ الحكمان من على ومعوية ومن الجندين انهما امينان على

انفسهما واموالهما واهلهما والامة لهما انصار وعلى الذى يتقاضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين
عهد الله ان يعمل بما يتقاضيان عليه مما وافق الكتاب والسنة وان الامن والموادعة ووضع السلاح متفق عليه
بين الطائفتين الى ان يقع الحكم وعلى كل واحد من الحكمين عهد الله ليحكمن بين الامة بالحق لا بما يهوى واجل الموادعة
سنة كاملة فان احب الحكمان ان يعجلا الحكم عجلاه وان توفى احدهما فلامير شيعته ان يختار مكانه رجلا لا يألو الحق
والعدل وان توفى احد الاميرين كان نصب غيره الى اصحابه ممن يرضون امره ويحمدون طريقته اللهم انا نستنصرك
على من ترك ما فى هذه الصحيفة واراد فيها الحادا وظلما وشهد فيه من اصحاب على عليه السلام عشرة ومن اصحاب معوية عشرة فقيل
معنى الاجل فى التحكيم وتقدير هذا السؤال انك حين رضيت بالتحكيم لم ضربت بينك وبينهم اجلا وما الحكمة
فى ذلك فاجاب انما فعلت ذلك ليتبين الجاهل اى وجه الحق ويتثبت العالم الموقن امره بحيث يخلص من الشبهة وقد
يصلح هذه الامة بهذا الصلح وقوله ولا تؤخذ باكظامها فتعجل الى آخره تعبير باخذ الكظم عن الاخذ بغتة وعلى غرة
وهؤلاء القوم لما خدعوا الاول بشبهة عرضت من رفع المصاحف وهو اول الغى ولم يحقق فى امرهم انتهوا من اخذ
بجرى نفسه فلم يمكن من الاسترسال الى التنفيس فاستنفر وصفا اخذ الكظم لهم وقوله ان افضل الناس الى قوله وان
جذب الى الحق ادى الى الغاية المذكورة وتغير عن الباطل وان استلزم الغاية المذكورة بذكر الافضلية عند الله
وقوله من الباطل متعلق باحب اليه وقوله وان نقصه وكرثه اعتراض بينهما والحكم فى هذه القضية ظاهر الصدق
اذ كان ملازمة الحق والاتباع افضل عند الله تعالى كما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقوله فاين يتاه بكم اى
الى اى غاية يكون هذا التيه الذى انتم اخذتم فيه وفيه تنبيه على ان ذلك التيه ضلال الغرض وسؤال من اين اتيتم
اى من اى وجه دخلت عليكم الشبهة ويشبه هذا السؤال تجاهل العارف اذ كان يعلم وجه الداخل عليهم ثم اعقب
ذلك التعنيف لهم بالامر بالمسير الى اهل الشام ووصفهم بالحيرة عن الحق والعمى عنه والاغراء بالجور عن طريق الحق
لاستيلاء الجور عليهم وتجافى الطباع عن فهم كتاب الله وبعد الامام عنه وبعدهم عن طريقه كل ذلك اغراء بهم
وقوله ما انتم بوثيقة الى قوله وهو عتاب لهم وتنفير منهم على قلة طاعته وقوله يوما اناديكم اى
الى النصرة واستغيث بكم ويوما اناجيكم اى اطالبكم واحاد لكم على تقصيركم وقوله فلا احرار عند النداء لان
الحر من شأنه اجابة الداعى والوفاء بالوعد ولستم كذلك ولا اخوان ثقة عند النجاء لان اخا الثقة اذا دل وعول
من اخيه اعتب واذا اعوج واعتذر اليه رجع الى صفاء الاخوة لمكان وثاقتها ولستم من ذلك فى شىء وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلام لما عوتب على التسوية فى العطاء اتأمرونى ان اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه والله لا اطور
به ما سمر سمير وما ام نجم فى السماء نجما لو كان المال لى لسويت بينهم فكيف وانما المال مال الله الا وان اعطاء
المال فى غير حقه تبذير واسراف وهو يرفع صاحبه فى الدنيا ويضعه فى الآخرة ويكرمه فى الناس
ويهينه عند الله ولم يضع امرؤ ماله فى غير حقه وعند غير اهله الا حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودهم فان زلت به
النعل يوما فاحتاج الى معونتهم فشر خليل والأم خدين **اقول** لا اطور به اى لا اقربه والسمير الدهر يقال لا افعله

ما سمر

ما سمر سمير اى الدهر كله وكذلك لا افعله ما ام ابنا سمير وهما الليل والنهار والحديث الصحيح ان التسوية فى
العطاء من سنة الرسول صلى الله عليه وآله وكان ابو بكر كذلك على تلك السنة فلما فضل من بعدهما اهل السابقة
والشرف فى العطاء على غيرهم اعتاد المفضلون بذلك الى زمانه عليه السلام ولما كان سالكا لمسالك الرسول
صلى الله عليه وآله ومقتفيا اثر سنته لم يكن الا التسوية فطلب المفضلون عادتهم من التفضيل عند ولايته
لهذا الامر فقال الكلام فقوله اتأمرونى ان اطلب النصر بالجور جواب لمن اشار عليه بالتفضيل وكان المشير له
ان فضلت هؤلاء كانوا معك يقاتلون وينصرونك فاجابهم بذلك والجور العدول عن سبيل الله بالتفضيل حيث كان
خارجا عن سنة الرسول صلى الله عليه وآله ثم اقسم لا يقرب التفضيل ابدا وان المال لو كان له لكان من العدل ان
يسوى بينهم فكيف والمال لله ولهم ووجه ذلك ان التسوية هى العدل الذى يجتمع به النفوس على النصرة وبها
الهمم على مقاومة العدو دون التفضيل المستلزم لانكسار قلوب المفضولين مع كثرتهم فلو كان المال له مع كونه
مطباع البشرية المائلة الى محض دون تخص لسوى بينهم فكيف والمال لله الذى تساوى نسبة الخلق اليه وما
الدنيا قد قسمه الله لهم على سواء وهو كالاعتذار الحاسم لمادة الطمع فى التفضيل ثم نبه على قبح وضع المال فى غير
اهله وعلى غير وجهه وغير اهله هم غير الفقراء وخواصهم وغير وجهه هو الذى لم يفرضه الشارع واشار الى وجوه المفاسد
ففى غير اهله تبذير وفى غير وجهه اسراف وعرفت انهما طرفا الافراط من فضيلة السخاء وقوله يرفع صاحبه فى الدنيا
اى يحصل له بالتبذير ذكر الكرم بين العوام والعامة ومن لا يعرف حقيقة الكرم ويضعه فى الآخرة اذ كان رذيلة
رذيلة وكذلك يكرمه عند الناس ويهينه عند الله وانه حكم عليه السلام بان الواضع ماله فى غير حقه وعند غير
اهله يحرمه شكرهم ولغيره ودهم وعلى تقدير وقوع الذلة التى يحتاج فيها الى مساعدتهم يتقاعدون عنه فذلك
امر يحصل بالاستقراء وربما بلغ التجربة واما سر ذلك فيحتمل ان يكون لانهم لما كانوا غير اهل لوضع المعروف لم
يكونوا اهلا للاعتراف به اما لجهلهم وغفلتهم او لاعتقادهم ان المسدى اليهم غير اهل لشكرهم او انهم اعلى منه واحق
بالمال منه واكثر ما يكون عدم الشكر من هؤلاء لنظر كل منهم الى ان غيره من المسدى اليه غير اهل وانه هو احق فيرى
نفسه دائما مبخوس الحظ من نائل المعروف فلا يزال متسخطا عاتبا عليه دائما الزمان وحينئذ لا يتحقق اعترافه
بنعمة الباذل فاذا اصابه من غيره ادنى معروف ولم يصبه بل جمع مدح لعدو وشكر الناس له ساعد على مدحه والطعن
وقال انه ممن يضع المعروف فى اهله فيكون فى ذلك كالمستهزئ بهذا الباذل او كالمرثى عليه المغاير له وكنى بزلة النعل
عن حطاط شرو عثار وفى المصائب وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** ايضا للخوارج فان ابيتم الا ان تزعموا انى اخطأت
وضللت فلم تضللون عامة امة محمد صلى الله عليه وآله بضلالى وتأخذونهم بخطائى وتكفرونهم بذنوبى سيوفكم على
عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم وتخلطون من اذنب بمن لم يذنب وقد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وآله
رجم الزانى ثم صلى عليه ثم ورثه اهله وقتل القاتل وورث ميراثه اهله وقطع السارق وجلد الزانى غير المحصن ثم قسم
عليهما من الفىء ونكحا المسلمات فاخذهم رسول الله صلى الله عليه وآله بذنوبهم واقام حق الله فيهم ولم يمنعهم سهمهم من

من الاسلام ولم يخرج اسماءهم من بين اهله ثم انتم شرار الناس ومن رمى به الشيطان مراميه وضرب به تيهه وسيهلك
فيّ صنفان محب مفرط يذهب به الحب الى غير الحق ومبغض مفرط يذهب به البغض الى غير الحق وخير الناس فيّ حالا النمط
الاوسط فالزموه والزموا السواد الاعظم فان يد الله على الجماعة واياكم والفرقة فان الشاذ من الناس للشيطان
كما ان الشاذ من الغنم للذئب الا من دعا الى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه وانما حكم الحكمان ليحييا
ما احيى القرآن ويميتا ما امات القرآن واحياؤه الاجتماع عليه واماتته الافتراق عنه فان جرّنا القرآن اليهم اتبعناهم
وان جرّهم الينا اتبعونا فلم آت لا ابا لكم بجرا ولا ختلتكم عن امركم ولا لبسته عليكم انما اجتمع راى ملائكم على اختيار
رجلين اخذنا عليهما الا يتعدّيا القرآن فتاها عنه وتركا الحق وهما يبصرانه وكان الجور هواهما فمضيا عليه وقد سبق
استثناؤنا عليهما في الحكومة بالعدل والعمد للحق سوء رايهما وجور حكمهما اقول البجر الشر والامر العظيم والكلمة
الحديثة والصفة القصد وهذا الفصل من تتمة الكلام مع الخوارج وهو منع لشبهتهم التي بها كفروا اصحابه عليه السلام وصورتها
انكم ضللتم بالتحكيم وكل من كان من شيعتكم كفار فقوله عليه السلام فان ابيتم الى قوله وضللت يجري مجرى تسليم
لما منعه اولا في الفصول السابقة من صغرى شبهتهم وبيان ان التحكيم لم يكن منه خطأ ولا ضلالا فكانه يقول وهب
انّا خطأنا ضللنا وقوله فلم تضللون عامة امة محمد بضلالي منع لصغرى هذه الشبهة وقوله وتكفرونهم بذنوبي الى
قوله بمن لم يذنب منع للكبرى فكانه يقول وهب انكم ضللتموهم بضلالي منع لصغرى هذه الشبهة وقوله وتكفرونهم
بذنوبي الى قوله بمن لم يذنب منع للكبرى فكانه يقول وهب انكم ضللتموهم بضلالي فلم تكفرونهم وتقتلونهم بسبب
تكفيرهم المذنب وغير المذنب وقوله وقد علمتم الى قوله بين اهله استشهاد عليهم بفعل الرسول صلى الله عليه وآله في خطائها
وانه لم يكفرهم بذنوبهم بل اجرى عليهم احكام الاسلام ولم يسلبهم اسمه وهذا الاستشهاد يجري مجرى الكبرى التي تمنع
وان الزاني الذي رجمه هو المحصن ولم يمنعه استحقاقه الرجم صدق الاسلام عليه حتى في احكامه من الصلوة عليه وتوريث
ماله لاهله وكذلك الباقون من اهل الكبائر من الامة لم يمنعهم ذلك من اجراء احكام الاسلام عليهم وصدق اسمه
المنافي لصدق الكفر عليهم وضمير الاثنين في نكاحهما يرجع الى السارق والزاني اى لم يمنعهم استحقاق القطع والجلد من
حصتهما من الفيء ولا من نكاح المسلمات وضمائر الجمع في قوله فاخذهم الله بذنوبهم الى قوله بين اهله راجعة الى كل من
ذكر من المذنبين والكلام المذكور وحكاية الحال والضمير في اهله يرجع الى الاسلام ثم لما فرغ من بيان غلطهم ذمهم
ونسبهم الى الانفعال عن الشيطان اذ كانت وساوسه مبادي الاغلاط والشبه ثم عقّب ذلك بالاخبار عن هلاك
من سلك طريق الافراط في حبه او بغضه لخروجهما عن الحق والعدل الى الباطل والجور فافراط الحب ان يجعل له
كالمسيح الى النصيرية وغيرهم من الغلاة وافراط البغض ان ينسب الى الكفر كما هو المنقول عن الخوارج وجعل خير الناس فيه
حالا النمط الاوسط في المحبة وهم اهل العدل فيه والنمط الاوسط الجماعة من الناس امرهم واحد وفي الحديث خير هذه
الامة النمط الاوسط يلحق بهم التالي ويرجع اليهم الغالي فالتالي هو المفضل الواقف في طرف التفريط والغالي هو
المغالي الى طرف الافراط وامر بلزوم ذلك النمط ولزوم ما هو السواد الاعظم اى اكثر المسلمين المتفقين على راى

واحد

واحد ورغب في لزوم طريقتهم بان يد الله على الجماعة فيجوز ان يطلق اليد في قدرة الله وحراسته للجماعة اذ كانوا امنع
وابعد عن الانفعال للعدو وآمن من الغلط والخطا لكثرة آرائهم وانما قيدها فلا يكاد تتفق على امر لا مصلحة فيه
مع كثرتها واختلافها وحذّر من الفرقة والشذوذ عن الجماعة بان الشاذ من الناس اى المنفرد المستبد برايه
للشيطان اى محل تطرق الشيطان لانفراده وشبه ذلك بالشاذ من الغنم ووجه الشبه كون انفراده محلا لتطرق
الهلاك اليه باستغواء الشيطان لما كان الشاة المنفردة في مظنة الهلاك لانفرادها ووحدتها للذئب
ثم امر بقتل من دعا الى هذا الشعار وهو مفارقة الجماعة والاستبداد بالراى وقوله ولو كان تحت عمامتي
هذه مبالغة في الكلام كنى بها عن اقصى القرب من عنايته اى ولو كان ذلك الداعي الى هذا الحد من عنايتي
به وقيل اراد ولو كان ذلك الداعي انا وقوله وانما حكم الحكمان اعتذار عن شبهة التحكيم واسند اليهما لفظي
الاحياء والاماتة مجازا باعتبار كونهما في الاجتماع عليه والعمل به مظهرين لمنفعته وفائدته كما يفعله موجد الحي
وكونهما في تركه والاعراض عنه سببا لبطلان منفعته وعدم فائدته كما يفعله مميت الشيء ومبطل حيوته وقوله
فلم آت لا ابا لكم بجرا الى آخره لما بين وجه عذره في التحكيم انكر ان يكون فعله ذلك مشتملا على قصد شر او خديعة
لهم او تلبيسا عليهم في التحكيم من حيث انفراده منهم ومساعدة لهم بل انما كان ذلك عن اجماع آراء قومهم على اختيار
حكمين اخذت عليهم الشرائط المعدودة في كتاب الصلح وفي نسبته اختيار الحكمين الى ملائهم ونسبته اخذ العهد
عليهما في اتباع الكتاب الى نفسه او الى الجماعة هو احدهم تنبيه على ان اخذ العهد عليهما كان منه او بتركه دونه
بينهما للحكومة لما تقدم انه كان حريصا من تنصيب ابو موسى نائبا عنه وانما اكره على ذلك وكان ميله واختياره في نصب
لابن عباس والمحصّل للكلام انا انما رضينا بالحكمين بشرط ان يعملا بكتاب الله والمشروط بشرط عدم عند عدم ذلك
الشرط فحيث خالفا الشرط عمدا بعد ان سبق استثناؤنا عليهما سوء رايهما وحيث خالفتهما وانتصب سوء رايهما
وحيث خالفتهما وانتصب سوء رايهما لانه مفعول به عن سبق وبالله التوفيق والعصمة ومن كلام له عليه السلام
وهو مما كان يخبر به عن الملاحم بالبصرة يا احنف كاني به وقد سار بالجيش الذي لا يكون له غبار ولا قعقعة لجم
ولا حمحمة خيل يثيرون الارض باقدامهم كانها اقدام النعام يومي بذلك الى صاحب الزنج ثم قال عليه السلام ويل
لسكككم العامرة والدور المزخرفة التي لها اجنحة كاجنحة النسور وخراطيم كخراطيم الفيلة من اولئك الذين لا يندب
قتيلهم ولا يفتقد غائبهم انا كاب الدنيا لوجهها وقادرها بقدرها وناظرها بعينها اقول الملحمة الوقعة
وهذا الفصل من خطبة له عليه السلام بالبصرة بعد وقعة الجمل ذكرنا منها فصولا فيما سبق والخطاب مع الاحنف بن
قيس لانه كان رئيسا ذا عقل وسابقة في قومه وكان اسمه صخر بن قيس بن معوية بن حصين بن عبادة بن مرة بن عبيد بن
تميم وقيل اسمه الضحاك وكنيته ابو بحر وسببه كان اسلام بني تميم حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله الى الاسلام
فلم يجيبوا فقال لهم الاحنف انه يدعوكم الى مكارم الاخلاق وينهاكم عن ملائمها فاسلموا واسلم الاحنف وشهد
مع علي عليه السلام صفين ولم يشهد الجمل مع احد الفريقين والضمير في قوله كاني به لصاحب الزنج واسمه علي بن محمد

علوي النسب والجيش المشار اليه هم الزنج ووقائعهم بالبصرة مشهورة واخبارهم وبيان احوالهم وتفصيل وقائعهم
يشتمل عليها كتاب مفرد في نحو من عشرين كراسة فليطلب علمها من هناك فاما وصفه لذلك الجيش بالاوصاف
المذكورة فلان الزنج لم يكونوا اهل خيل ولا اصحاب خيل حتى يكونوا بالاوصاف المشار اليها واثارتهم التراب
باقدامهم كناية عن كونهم حفاة في الاغلب مشققي الاقدام فهي من اعياء الحفا ومباشرة الارض كالخشب وتوغلها
سطحية اثارة التراب عوضا من حوافر الخيل وحسن تشبيهها باقدام النعام ان اقدامهم في الاغلب قصار عراض منتشرة
الصدور مفرقات الاصابع في عرضها الايبين لها طول فاشبهت اقدام النعام في بعض تلك الاوصاف ثم اخبر
بالويل لحال البصرة ودورها المزخرفة من اولئك واستعار لدورها لفظ الاجنحة واراد بها الطاقات التي تعمل
من الاخشاب والبواري بارزة عن السقوف كالوقاية للشارف والحيطان من اثار الامطار وهي لشبهها بالاشيا
في هيئتها وصورتها وصفها بالاجنحة كبار الطير كالنسور وكذلك استعار لفظ خراطيم الفيلة للميازيب التي تعمل
من الخوص على شكل خراطيم الفيل وتطلى بالقار تكون نحوا من خمسة اذرع او ازيد تدلى من السطوح حفظا للحيطان
من دفق السيل ايضا وهي شبيهة الاشياء في صورتها بخراطيم الفيلة فاما وصفه لهم بانه لا يندب قتيلهم ولا
يفتقد غائبهم قال بعض الشارحين ذلك وصف لهم بشدة الباس والحرص على الحرب والقتال وانهم لا يبالون بالموت
ولا ياسفون على من فقد منهم واقول والاشبه ان ذلك لكونهم لا اصول لهم ولا اهل لاكثرهم من ام او اخت
او غير ذلك ممن عادته ان يفجع ويندب قتيله ويفتقد غائبه لكون اكثرهم غرباء في البصرة ممن قتل منهم لا يكون
له من يندبه ومن غاب لا يكون له من يفقده وقوله انا كاب الدنيا لوجهها اشارة الى زهده فيها وتنبيه على
فضيلته يقال كببت فلانا لوجهه اذا تركته ولم التفت اليه وقادرها بقدرها اى معامل لها بمقدارها ولما
كان مقدارها حقيرا عنده وكان التفاته اليها التفاتا حقيرا بحسب ضرورة البقاء فيها وكذلك ناظرها بعينها
اى معتبرها بالعين التي ينبغي ان يعتبرها الدنيا من كونها غرارة غدارة زائلة حائلة الى غير ذلك من اوصافها
وانها مزرعة الاخرة وطريق اليها غير مطلوبة لذاتها وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام يومي به الى وصف
الاتراك كاني اراهم قوما كان وجوههم المجان المطرقة يلبسون السرق والديباج ويعتقبون الخيل العتاق
ويكون هناك استحرار قتل حتى يمشي المجروح على المقتول ويكون المفلت اقل من الماسور فقال له بعض اصحابه
لقد اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب فضحك عليه السلام وقال للرجل وكان كلبيا يا اخا كلب ليس هو بعلم
غيب وانما هو تعلم من ذي علم وانما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه وتعالى بقوله ان الله عنده
علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام فيعلم سبحانه ما في الارحام من ذكر او انثى وقبيح او جميل وسخي
او بخيل وشقي او سعيد ومن يكون للنار حطبا او في الجنان للنبيين مرافقا فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه
احد الا الله وما سوى ذلك فعلم علّمه الله نبيه صلى الله عليه وآله فعلمنيه ودعا لي بان يعيه صدري وتضطم
عليه جوانحي اقول المجان بالفتح جمع مجن بكسر الميم وهي الترس والمطرقة بفتح الراء التي يطبق وخصف

كخصف

كطبقات النعل يقال اطرقت بالجلد اذا البست والسرق بفتح السين والراء شقق الحرير واحدتها سرقة قال ابو عبيد
هي البيض منها وهو فارسي معرب اصله سره اي جيد كالاستبرق الغليظ من الديباج ويعتقبون الخيل يحتبسونها
ويرتبطونها واستحر القتل وحرّ اشتد واعلم انه عليه السلام من عادته اذا اراد الاخبار عن امر سيكون فانه يصدّره
بقوله كاني كما سبق من اخباره عن الكوفة كاني بك يا كوفة وكقوله كاني به وقد نعق بالشام وحجة ذلك انه شاهد
بعين بصيرته لما افيض على نفسه القدسية من انوار الغيب على سبيل الالهام بواسطة الاستاد المرشد صلى الله عليه
وآله تشبه المشاهدة بعين البصر في الجلاء والظهور الخالي عن الشك فلذلك حسن حرف التشبيه صدرا و
ضماير الجمع في الفصل يعود الى الاتراك وشبه وجوههم بالتروس المطبقة ووجه الشبه في تشبيهها بالتروس
الاستدارة والعظم والانبساط وفي كونها مطرقة الخشونة والغلظ وهو تشبيه المحسوس بالمحسوس واما وصفه
لهم بمراعاة لبس السرق والديباج واعتقاب الخيل فاعتبار احوال الترك تشهد بصدقه واما اخباره عن استحرار
القتل الى الغاية المذكورة حين ظهورهم فما يشهد بصدقه التواريخ بالوقائع المشهورة بينهم وبين العرب وغيرهم
من المسلمين في ايام عبد الله بن الزبير وفي ايام قتيبة بن مسلم ويحكى في صدق ذلك الى الغاية المذكورة ما شاهد
من وقايع التتار مع المسلمين وقتلهم اياهم بالعراقين وخراسان وغيرهما من البلاد واما جوابه عليه السلام للكلبي
ان ذلك ليس بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم وتحديده المعلومات بعلم الغيب التي لا يعلمها الا الله سبحانه
فحق وصدق وقد نبهنا على الفرق بين علم الغيب والاخبار عن المغيبات في المقدمات لكن ينبغي ان يعلم ان
العلم الحاصل له من قبل الرسول صلى الله عليه وآله ليس على سبيل ان كل ما القى اليه صور جزئية ووقايع جزئية بل
معناه هو اعداد نفسه القدسية على طول الصحبة حيث كان طفلا الى ان توفي الرسول صلى الله عليه وآله لهيئة
العلوم بالرياضة التامة وتعليم كيفية السلوك واسباب تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة حتى
نفسه الشريفة للانتقاش بالامور الغيبية وانتقشت فيها الصور الكلية وامكنه الاخبار عنها وبها ولذلك
قال ودعا لي بان يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي اي يضبطه قلبي فيشتمل عليه كنى بالجوانح عن القلب لاشتمالها
عليه لو كانت تلك العلوم صورا جزئية لم يحتج الى مثل هذا الدعاء فان فهم الصور الجزئية وضبطها والاخبار عنها
ممكن لكل السامعين من العوام وغيرهم وانما الصعب المحتاج الى الدعاء بان يعيه الصدر وتستعد الاذهان لقبوله
هو القوانين الكلية وكيفية انشعابها وتفصيلها واسباب تلك الامور المعدة لادراكها حتى اذا استعدت النفس
بها امكن ان ينتقش بالصور الجزئية من مفيضها كما سبقت الاشارة اليه وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام
في ذكر المكاييل والموازين عباد الله انكم وما تاملون في هذه الدنيا اثوياء مؤجلون ومدينون مقتضون اجل
منقوص وعمل محفوظ فرب دائب مضيع ورب كادح خاسر قد اصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا
اقبالا والشيطان في هلاك الناس الا طمعا فهذا اوان قويت عدته وعمت مكيدته وامكنت فريسته اضرب بطرفك
حيث شئت من الناس فهل تبصر الا فقيرا يكابد فقرا او غنيا بدل نعمة الله كفرا او بخيلا اتخذ البخل بحق الله وفرا

او بحوزة كان باذنيه عن سمع المواعظ وقرّ اين خياركم وصلحاؤكم واين احراركم وسمحاؤكم واين المتورعون في
مكاسبهم والمتنزهون في مذاهبهم اليس قد ظعنوا جميعا عن هذه الدنيا الدنية والعاجلة المنغصة وهل خلفتم الا
في حثالة لا يلتقي بذمهم الشفتان استصغارا لقدرهم وذهابا عن ذكرهم فانا لله وانا اليه راجعون ظهر الفساد فلا
منكر مغير ولا زاجر مزدجر افبهذا تريدون ان تجاوروا الله في دار قدسه وتكونوا اعز اوليائه عنده هيهات لا يخدع
الله عن جنته ولا تنال مرضاته الا بطاعته لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر العاملين
به اقول انه الجمع مؤتى على فعيل وهو الضيف والقليب المجد في العمل والكدح العمل والوقر الصمم والحثالة الثفل وكانه
الردي من كل شيء وقد نبّه عليه السلام عن الدنيا بذكر هذه من معايبها احدها كونهم فيها اضيافا واستعار لهم لفظ
الضيف وكذلك لما يأملون منها ووجه الاستعارة مشابهتهم للضيف في تأجيل الاقامة وانقطاع وقته وقرب
رحيله وموجلون ترشيح للاستعارة الثانية كونهم مدينين فيها واستعار لفظ الدين باعتبار وجوب الفرايض
المطلوبة منهم وعهد الله الماخوذ عليهم ان يرجعوا اليه قاهرين عن بخس المجدين ورشح المقتضين لما ان شان
الدين ان يقتضي منه الدين ثم لما ذكر كونهم موجلين ومدينين كرر ذكر الاجل بوصف النقصان ولا شك في
نقصان ما لا يبقى وذكر العمل الذي خالصه وصالحه هو الدين المقتضى منهم بوصف كونه محفوظا عليهم لينبّه
بنقصان الاجل الى العمل وبحفظ العمل الى صلاحه والاخلاص فيه واجل وعمل خبران حذف مبتداهما اي اجلكم اجل
منقوص وعملكم عمل محفوظ ونبه بقوله رب دائب مضيع ورب كادح خاسر على ان العمل وان قصد فيه الصلاح ايضا الا
انه قد يقع على وجه الغلط فيحصل بذلك اعراض عن الدين وضلال عن الحق فيضيع العمل ويخسر الكدح ككدح الخوارج
ونحوهم ويتداخل الكادح في قوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا وذلك ككدح اهل الكتاب ونحوهم وقوله وقد اصبحتم الى قوله اقبالا شكاية الزمان وذم له وهو كقوله
الا وقد اصبحنا في زمن كنود ودهر عنود وذلك لاخذ الزمان في البعد عن وقت ظهور الشريعة وطراوتها وجراءة الناس
على هلاك الدين وارتكاب محارم الله وكذلك طمع الشيطان في هلاك دينهم الذي يكون فيه هلاكهم في الاخرة و
اشار الى ان ذلك الوقت هو وان قوة عدته وعموم مكيدته وامكان عمله فيما تلك يوما نادهذا وما بعده واستعار
لفظ العزيمة لطاعة الاشقياء والمنفعلين عنه ووجه الاستعارة بلوغه منهم مراده وتصريفهم لغاية هلاكهم كالامير
مع رعيته وقوله اضرب بطرفك الى قوله وقرا سرح لما الجملة والامر بذلك امر بتدبر اقبال الشر وادبار الخير وكفر النعم
وكثرة واعراضهم عن شكر نعم الله سبحانه عليهم وقوله بحق الله مستعلوا بالبخل الى ان البخيل بقصد بخله حق الله على مستحقه من
المال والزيادة فيه وقوله اين خياركم الى قوله مذاهبهم سؤال عن باب تجاهل العارف تنبيها لهم على ما صاروا اليه
من الفناء وفراق الدنيا وعلى انه لم يبق فيهم من اولي الاعمال الصالحة احد لعلهم يرجعون الى لزوم الاعمال الصالحة
واراد بالاحرار الكرماء والمتورعون في مكاسبهم الملازمون للاعمال الجميلة فيها من التقوى والسماحة واخراج حقوق
الله تعالى والمتنزهون في مذاهبهم المتنزهون عن ولوج ابواب المحارم والشبهات في مسالكهم وحركاتهم وقوله اليس قوله

المنغصة

المنغصة سؤال على سبيل التقرير لما بهم من فراق الدنيا ودناءتها بالنسبة الى عظيم ثواب الاخرة وتنغيصها بالآلام
ونحوها قال بعض الحكماء ان كل لذة في الدنيا فانما هي خلاص من الم وقوله وهل خلفتم الى قوله عن ذكرهم سؤال
على سبيل التقرير لما ذكر ايضا واستعار لفظ الحثالة لرعاع الناس وهمجهم وقوله لا يلتقي بذمهم الشفتان اي انهم
احقر من ان يشتغل الانسان بذمهم وانتصب استصغارا وذهابا على المفعول له وحسن اقتباس القرآن هنا لما اقتضته
الحال التي الناس عليها من فقد خيارهم وبقاء اشرارهم مصيبة تجمعهم لحقهم ومن اداب الله للصابرين على نزول المصائب
ان يسلموا انفسهم ويلوا امرهم اليه فيقولوا عنده انا لله وانا اليه راجعون كما قال سبحانه وبشر الصابرين الاية ثم حكم
على سبيل التوجع والاسف بظهور الفساد ونفي المنكر المغير للفساد والمزدجر عنه شيئا لهم على انهم وان كان فيهم من ينكر
ويزجر الا انه لا يغير منكره ولا يزدجر عن نسله وذلك من قبايح الاعمال والرذايل فيها وقوله افبهذا اي بأعمالكم
هذه المدخولة وتقصيركم بمجاورة الله الوصول اليه والمقام معه في جنته التي هي مقام الطهارة عن نجاسات الهيئات
البدنية ومقام تنزيه ذات الله تعالى وطهارتها عن اتخاذ الشركاء والانداد وهو استفهام على سبيل الانكار ولذلك
عقبه بقوله هيهات الى آخره ولما كان ذلك يجري مجرى الزهد الظاهر مع النفاق في الباطن اعني عالهم المدخولة من
انكار المنكر وارتكابه نبههم على ان ظنهم كخداع الله عن جنته وصرح بان الله لا يخدع لعلمه بالسرائر وانه لا تنال مرضاته
الا بطاعته اي الطاعة الحقيقية الخالصة دون الظاهرة ثم ختم بلعن الآمرين بالمعروف مع تركهم للعمل والناهين
عن المنكر المرتكبين له لانهم منافقون مغرون بذلك لمن يقتدي بهم والنفاق مستلزم للعن والبعيد عن رحمة الله
وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام لابي ذر رحمه الله لما اخرج الى الربذة يا ابا ذر انك غضبت لله فارج من غضبت
له ان القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فاترك في ايديهم ما خافوك عليه واهرب منهم بما خفتهم عليه فما احوجهم
الى ما منعتهم واغناك عما منعوك وستعلم من الرابح غدا والاكثر حسدا ولو ان السموات والارض كانتا على عبد
رتقا ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجا لا يؤنسنك الا الحق ولا يوحشنك الا الباطل فلو قبلت دنياهم لاحبوك ولو
قرضت منها لامنوك اقول ابو ذر اسمه جندب بن جنادة وهو من بني غفار قبيلة من كنانة واسلم بمكة ولم يشهد بدرا ولا
احد ولا الخندق لانه حين اسلم رجع الى بلاد قومه فاقام حتى مضت هذه المشاهد ثم قدم المدينة على رسول الله
وكان يتولى عليا واهل بيته وهو الذي قال الرسول صلى الله عليه وآله في حقه ما اقلت الغبراء ولا اظلت الخضراء
ذي لهجة اصدق من ابي ذر وروى ابن المعتمر قال رايت ابا ذر اخذا بحلقة باب الكعبة وهو يقول انا ابو ذر الغفاري
من لم يعرفني فانا جندب صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول مثل اهل بيتي
كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وكان قد اخرجه عثمان الى الربذة وهي موضع قريب الى المدينة
واختلف في سبب اخراجه فروى عن زيد بن وهب قال قلت لابي ذر رحمه الله وهو بالربذة ما انزلك هذا المنزل قال
اخبرك اني كنت بالشام في ايام معاوية فذكرت قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
فقال معاوية هذه نزلت في اهل الكتاب فقلت بل فينا وفيهم فكتب معاوية الى عثمان يشكو مني في ذلك فكتب الي

اقدم عليّ فقدمت عليه فانثال الناس عليّ كانهم لم يعرفوني فشكوت ذلك الى عثمان فخيرني وقال انزل حيث شئت
فنزلت الربذة وهذا قول من نزه عثمان عن اخراج ابي ذر ونفيه انه كان خرج الى الربذة باختياره وقيل انه كان يغلظ القول له
في انكار ما يراه منكرا في حق عثمان ويقول له لم يبق اصحاب محمد على عهده وينفر بهذا القول وامثاله عنه فاخرجه لذلك
وخطابه عليه السلام لابي ذر اليوم القول الثاني فقوله انك غضبت لله شهادة له ان انكاره لما ينكره انما يقصد
وجه الله تعالى وقوله ان القوم خافوك على دنياهم اي على امر الخلافة بالتغيير عليهم وخفتهم على دينك باجتناب موافقتهم
واخذ عطاياهم على صيانته وقوله فاترك الى قوله منعوك اي اترك لهم دنياهم وانج بدينك فما احوجهم الى دينك واغناك
عن دنياهم وقوله وستعلم من الرابح غدا والاكثر حسدا اي يوم القيمة وظاهر كون تارك الدنيا اربح من المقبل عليها
واكثر الحسد من لواحق كثرة الربح وقوله ولو ان السموات الى قوله مخرجا بشارة له بالخلاص مما هو فيه من ضيق
الحال بسبب الاخراج وشرط في ذلك تقوى الله اشارة الى قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا وقال ابن عباس
قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله ومن يتق الله يجعل له مخرجا قال من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت وشدائد يوم
القيمة وظاهر كون التقوى عند استشعارها سببا قاطعا الطمع المتوهم من الدنيا وقيامها وهو مستلزم للخلاص
من مجاذبة النفس الامارة بالسوء والوقوع في شبهات الدنيا وهي مستلزم الخلاص من غمرات الموت وشدائد يوم
القيمة اظهر وكنى عليه السلام بالغاية المذكورة وهي رتق السموات والارض على العبد من غاية الشدة مبالغة في بيان
فضل التقوى ثم امره بالاستيناس بالحق وحده والاستيحاش من الباطل وحده واكد الحصر في الموضعين بقوله وحده
تنفيرا عن ان يستوحش من حق ما يتركه وينزعه وان صعب وشق على النفس او يستانس بباطل ثم قد يتكل او يركن
عليه وان لذتها وبه على علة بغضهم له وخلافهم له وهو عدم مشاركتهم في دنياهم والانفراد بالانكار فقطعه القول
عليهم وكنى بالقرض من الدنيا عن الاخذ منها وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام ايتها النفوس المختلفة والقلوب
المتشتتة الشاهدة ابدانهم والغائبة عنهم عقولهم اظاركم على الحق وانتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الاسد
هيهات ان اطلع بكم سرار العدل او اقيم اعوجاج الحق اللهم انك تعلم انه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان
ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من
عبادك وتقام المعطلة من حدودك اللهم اني اول من اناب وسمع واجاب لم يسبقني الا رسول الله صلى الله عليه وآله
بالصلوة وقد علمتم انه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين البخيل
فيكون في اموالهم نهمته ولا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الخائف للدول فيتخذ قوما
دون قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك الامة اقول
اظاركم اعطفكم والوعوعة الاسد صوته وسرار العدل ما خفي منه والنهمة الحرص على الدنيا ومقابلة النفوس بصفة
الاختلاف اي لاختلاف الاهواء والقلوب المتشتتة اي المتفرقة عن مصالحها وما خلقت لاجله واراد بغيبة عقولهم
ذهولها عن رشدها واصابة وجه الحق بانصرافها عنه عما لا ينبغي وشبه نفارهم بنفور المعزى من صوت الاسد

ووجه

ووجه التشبيه شدة نفارهم من الحق ثم استبعد اظهاره للعدل واقامة الدين مثلهم على ما هم عليه من قلة طاعة
ثم عقب ذلك باستشهاد الله سبحانه على ان قصده بما قصد في امر الخلافة لم يكن لسلطان ولا لفضل حطام دنيوي
ولكن للغاية التي ذكرها من رد معالم الدين وهي الآثار التي يهتدى بها وكذا سائر ما عدده من المصالح ثم تلى
ذلك الاستشهاد باستشهاده على انه اول من اناب اي رجع الى الله تعالى فلعله كان يعد في حقه نبا وسمع اي طاع
الله واجاب اي داعي الله ثم استثنى سبق الرسول صلى الله عليه وآله الى الدين بالصلوة وذلك امر معلوم من حاله وانما
يقول حقيرا ايهام حين بعث الرسول صلى الله عليه وآله كان طفلا لا اعتداد باسلامه وسنذكر ذلك في موضعه من الخطبة
المسماة بالقاصعة وغرضه من هذا الاستشهاد مع ما بعده من الاشارة الى الرذايل التي ينبغي ان يكون الامام منزها
عنها تقرير فضيلته ونبه على ان غيره من الفضايل ما يقابل تلك الرذايل بتعديدها ونفيها عن الامام الوالي لامور المسلمين
والاشارة الى وجوه المفاسد اللازمة عنها وتذكيرهم بما علموه من ذلك بقوله وقد علمتم الى آخره اما البخيل فلشدة
حرصه على ما في ايدي الناس من الرعية وقد عرفت ما يلزمه من نفارهم عنه وعدم انتظام الاحوال به واما الجاهل
فلانه لجهله بقوانين الدين وتدبير امور العالم ضال فضلاله يستلزم ضلال من اقتدى به وذلك ضد مقصود
الشارع واما الجافي فلان جفاءه يستلزم النفرة والانقطاع عنه وذلك ضد الالفة والاجتماع المطلوب للشارع
واما الخائف من الدول فيختص بعنايته من يخافه دون غيره وذلك ظلم لا ينتظم معه نظام العالم واما المرتشي
في الحكم فلطلبه وذهابه بالحقوق والوقوف فيها على الحيف دون المقاطع الحقة فترى احدهم اذا اراد فصل قضيته
دافع بها طويلا وصعب الحق وعرض بعوضه واشار بالصلح بين الخصمين مع ظهور الحق لاحدهما وكانت غايته من ذلك تخويف
صاحب الحق من فوات حقه ليجنح الى الصلح والرضى ببعض حقه مع انه قد يأخذه منه رشوة ايضا ودعا كانت في المقدار كشف
المبطل منهما وليس في ذلك سبيل يعرفها من عاداتهم والله المستعان على ما يصفون واما المعطل للسنة فلتضييعه
قوانين الشريعة واهمالها المستلزم لفساد النظام في الدنيا والهلاك الدائم في الاخرى وبالله التوفيق
ومن خطبة له عليه السلام نحمده على ما اخذ واعطى وعلى ما ابلى وابتلى الباطن لكل خفية الحاضر لكل سريرة العالم بما
تكن الصدور وما تخون العيون ونشهد ان لا اله غيره وان محمدا نجيبه وبعيثه شهادة يوافق فيها السر
الاعلان والقلب اللسان اقول الضمير في قوله نحمده يعود الى الله في كلام سابق لم يذكر وقد علم شكر الله
تعالى على اخذه وعطائه وعلى بلائه بالخير وابتلائه بالشر ونبه بذلك على وجوب شكر الله تعالى في طوري
السراء والضراء وحالتي الشدة والرخاء فاما وصفه له بالباطن والحاضر والعالم فقد سبق شرحه غير مرة
ومصداق الوصفين الاولين قوله تعالى يعلم السر واخفى ومصداق الآخر قوله تعالى خائنة الاعين وما تخفي
الصدور وكذلك سبقت الاشارة الى سر الشهادتين ونجيبه وبعيثه منتجبه ومبعوثه فعيل بمعنى مفعول
وقوله شهادة يوافق فيها السر اي شهادة خالصة من النفاق والرياء وبالله التوفيق منها فانه والله الجد
لا اللعب والحق لا الكذب وما هو الا الموت اسمع داعيه واعجل حاديه ولا يغرنك سواد الناس من نفسك

وقد رايت من كان قبلك ممن جمع المال وحذر الاقلال وامن العواقب طول امل واستبعاد اجل كيف نزل به الموت
فازعجه عن وطنه واخذه من مامنه محمولا على اعواد المنايا يتعاطى به الرجال الرجال حملا على المناكب وامساكا بالانامل اما
رايتم الذين يأملون بعيدا ويبنون مشيدا ويجمعون كثيرا اصبحت بيوتهم قبورا وما جمعوا بورا وصارت اموالهم
للوارثين وازواجهم لقوم آخرين لا فى حسنة يزيدون ولا من سيئة يستعتبون فمن اشعر التقوى قلبه برز مهله
وفاز عمله فاهتبلوا هبلها واعملوا للجنة عملها وان الدنيا لم تخلق لكم دار مقام بل خلقت لكم مجازا لتزودوا
منها الاعمال الى دار القرار فكونوا منها على اوفاز وقربوا الظهور للزيال اقول المشيد المعلى والاهتبال ...
السوانح الحكام وهبلها مصدر مضاف الى ضمير التقوى مؤكد للفعل اى احكموها احكامها والاوفاز جمع وفز
وهى العجلة والضمير فى قوله فانه اما ان يرجع الى مذكور سابق او الى معنى الكلام وهو التحذير والانذار وكذلك
الذى فى قوله وما هو الا الموت يحتمل ان يعود الى ملفوظ به سابق ويحتمل ان يعود الى المعنى بالتحذير منه والانذار
اى وما الذى احذركم ومحومه عليكم الا الموت واسمع واعجل محلهما النصب على الحال من معنى الاشارة وقوله فلا يغرنك
الى قوله وامن العواقب اى فلا يغرنك من نفسك الامارة بالسوء وسوستها واستغفالها لك عن ملاحظة الموت
برؤية سواد الناس اى كثرتهم اذ كثيرا ما يرى الانسان الميت محمولا فيغفله عن ذلك رقة ورعه ... فيعاوده
الوسواس ... باعتبار كثرة المشيعين له من الناس فان يحمل نفسه من الاحياء الكثيرين بلا خطر
شبابه وصحته ويامره باعتبار اسباب موت ذلك الميت من القتل وساير الامراض وباعتبار ... الابناء
فى حق نفسه وبالجملة فيبعد فى اعتباره حضور الموت بكل حيلة فهى الشامتين على الانخداع للنفس ... التحذير و
اسند الغرور الى سواد الناس لانه مادته ثم نبههم بقوله وقد رايت الى قوله يستعتبون على كذب تلك الخديعة
والواو فى قوله وقد واو الحال ومن فى قوله من جمع بدل البعض من الكل من قوله من كان قبلك والمعنى انه كان
باولئك الموت وازعجهم عن اوطانهم وكذلك انتم وقوله طول امل نصب على المفعول له اى فعلوا ذلك لاجل طول
الامل ويحتمل ان يكون مصدرا سد مسد الحال ويحتمل ان يكون ظرفا والعامل امن وقيل هو بدل من قوله من
كان قبلك ويروى بطول امل واعواد المنايا النعوش ويتعاطى به الرجال الرجال اى يتداوله الحاملون بعضهم
الى بعض والخطاب بالكاف لنوع المخاطب او لشخص على طريقة قولهم اياك اعنى واسمعى يا جاره وقوله اما رايتم
على سبيل التقرير ... ما كانوا لا يستطيعون زيادة فى حسنة ولا استعتابا من سيئة لان محل الاعمال هى الدنيا دون
ما بعدها وقوله فمن اشعر التقوى قلبه اى من القى تقوى حقيقية برزت ... اى ظهرت عليه آثار الرحمة الالهية فى
السكينة والوقار والحلم والاناة عن التسرع الى مطالب الدنيا وعلمت رحلته فى الاخرة وفاز عمله فيها بالجزاء الاوفى
ثم امرهم باحكام التقوى اى ان تتقوا الله تقوى حقيقية فانها التى يستحق بها الثواب الدائم وان يعملوا للجنة عملها
التى يستحق به ثم نبههم على وجوب العمل للجنة بالتصريح عما لاجله خلقت الدنيا وانها لم تخلق دار اقامة بل طريقا يعبر
بها الى الاخرة كما يعبر المسافرون ويتزودون منها الاعمال الصالحة الموصلة الى الجنة وامرهم ان يكونوا فيها على عزم

فى قطع عقباتها ومهلة الارتحال عنها لان التانى فيها يستلزم الالتفات الى لذاتها والغفلة عن المقصد الحق
واستعار لفظ الظهور وهى الركوب لمطايا الاخرة وهى الاعمال الصالحة وتقريبها للزيال هو المبادرة بالاعمال
المقربة الى الاخرة المستلزمة للبعد عن الدنيا والاعراض عنها ومفارقتها ومن خطبة له عليه السلام وانقادت
له الدنيا والاخرة بازمتها وقذفت اليه السموات والارضون مقاليدها وسجدت له بالغدو والاصال الاشجار
الناضرة وقدحت له من قضبانها النيران المضيئة وآتت اكلها بكلماته الثمار اليانعة اقول المقاليد المفاتيح
مقلد بكسر الميم واليانع من الثمار المدرك وهذا الفصل يشتمل على تمجيد الله سبحانه واظهار عظمة سلطانه فانقياد
الدنيا والاخرة له بازمتها دخولهما فى ذل الامكان والحاجة اليه وقوله وقذفت اليه السماوات والارضون مقاليدها
كقوله تعالى له مقاليد السموات والارض قال ابن عباس ومقاتل المراد مفاتيح السموات والارض بالرزق والرحمة
وقال الليث المقلاد الخزانة ومقاليد السموات والارض خزائنهما واقول لفظ القذف مجاز فى تسليمها ...
بتمام الحاجة والامكان الى قدرته مع جميع ما هى بسببه وجوده فى هذا العالم مما هو رزق ورحمة للخلق وكذلك
لفظ المفاتيح على راى ابن عباس استعارة للاسباب المعدة للارزاق والرحمة وتلك الاسباب كحركات السموات و
اتصالات بعض الكواكب ببعض وكاستعدادات الارض للنبات وغيره ووجه الاستعارة ان هذه الاسباب باعدادها
المواد الارضية يفتح بها خزائن الجود الالهى كما يفتح الابواب المحسوسة بمفاتيحها وكلها سلسلة الحكمة وجريانها بيده
وعلى قول الليث فلفظ الخزاين استعارة فى موادها واستعداداتها ووجه الاستعارة ان تلك المواد والاستعدادات
الارضية يكون فيها بالقوة والفعل جميع المحدثات من الارزاق وغيرها كما يكون فى الخزاين ما يحتاج اليه ...
الناضرة له بالغدو والاصال خضوعها وذلها تحت قدرته وحاجتها الى جوده ونسب قدح النيران اليها لما انها
المادى وان كان القدح حقيقة فى فعل ... الفاعل القريب ومجاز ذلك له تعالى لانه الفاعل الاول وقوله
... بكلماته اوامره واحكامه وقدرته المعبر عنها بقوله كن واطلاق الكلمات عليها استعارة وجهها نفوذ
تلك الاحكام فى المحكومات كنفوذ الاوامر القولية فى المامورات واراد باتيان الثمار دخولها طوعا فى الوجود
المعبر عنه بقوله تعالى فيكون وبالله التوفيق منها وكتاب الله بين اظهركم ناطق لا يعيا لسانه وبيت لا تهدم
اركانه وعز لا تهزم اعوانه اقول هذا الفصل كانه فى معرض التوبيخ على ترك اوامر الله ... ويحتمل ان
يكون الواو للحال كانه يقول تفعلون كذا وكتاب الله بين اظهركم ناطق وكونه بين اظهركم كناية عن وجوده بينهم
مع انه من شانه ان يسترشد به واستعار لفظ الناطق للكتاب باعتبار ان المكتوب معبر عن المقصود كما ان الناطق
كذلك ولفظ اللسان وانه لا يعيا ترشيح للاستعارة كنى بها عن بيان الكتاب على مرور الاوقات ويحتمل ان
يريد باللسان نفسه مجازا اذ كان هو لسان الكتاب الذى لا ينبس ولا يقصر عن بيان مقاصده وكذلك استعار
لفظ البيت باعتبار كونه حافظا لحافظيه والعاملين به كما يحفظ البيت اهله واركانه قواعده الكلية التى بنى
عليها نظام العالم من الاوامر والنواهى والمواعظ والحكم وتلك القواعد لا تكاد تنهدم فى وقت من الاوقات

اما لحكم الكلية ... لجميع الاوقات وكونه عزا ... الاسم اللازم على ملزومه اذ كان حفظه والعمل به
مستلزما للعز الدائم لا يعرض له ذل واعوانه هم الله وملائكته ورسله واولياؤه واولئك اعوان لا خوف عليهم
ولا انهزام لجمعيتهم من امره وبالله التوفيق منها ارسله على حين فترة من الرسل وتنازع من الالسن فقفى به الرسل
وختم به الوحى فجاهد فى الله المدبرين عنه والعادلين به اقول فقفا اتبع به من قبله وغرض الفصل الشهادة للرسول
صلى الله عليه وآله فقوله ارسله الى قوله الالسن بيان لبعض امارات النبوة فان منها الزمان المتطاول الذى تندرس
فيه الشريعة السابقة والقوانين التى بها نظام العالم ويحتاج الخلق الى قوانين مجددة لنظام احوالهم وذلك يوجب
بعثة رسول وكانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة وعشرين سنة ومنها تنازع الالسن واختلاف الخلق
فى الآراء والمذاهب وقلة الاتفاق على قانون شرعى جامع لهم وقوله وقفى به الرسل كقوله تعالى ثم قفينا من بعده
بالرسل وقوله وختم به الوحى كقوله وخاتم النبيين وهذا الختام مستفاد من الشريعة وليس للعقل فيه حكم لانقطاع
الرسل فيما بعده ... من الامور الممكنة عنده والمدبرون عن الله المعرضون عن اتباع اوامره ونواهيه و
العادلون به الجاعلون له عديلا وهو الند والمثل كالمشركين تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ونسبة المجاهدة
الى الله تعالى استعارة ووجهها انه تعالى عادى محمد صلى الله عليه وآله المشركين كما يرى المجاهد بنفسه واعوانه مجاهدته
بالله التوفيق منها وانما الدنيا منتهى بصر الاعمى لا يبصر مما وراءها شيئا والبصير ينفذها بصره ويعلم ان الدار
وراءها فالبصير منها شاخص والاعمى اليها شاخص والبصير منها متزود والاعمى لها متزود اقول الشاخص الذاهل
والمسافر والشاخص ايضا الذى يرفع بصره الى الشىء ويمده اليه وهذا الفصل مع قلة الفاظه يشتمل على لطائف
فالاولى ان الدنيا منتهى بصر الاعمى شيئا واستعار لفظ الاعمى للجاهل كقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن
تعمى القلوب التى فى الصدور ووجه الاستعارة ان الجاهل لا يدرك بعين بصيرته الحق كما لا يدرك الاعمى من
المبصرات واشار بقوله لا يبصر مما وراءها شيئا الى جهله باحوال الموت وما بعده من سعادة الاخرة وشقاوتها
فان قلت انه اثبت للاعمى ... بصر الدنيا وذلك نوع مناقضة قلت انه لما اراد بالاعمى عمى البصيرة وهو
الجاهل استعارة لم يكن فى اثبات البصر الحسى له ونظره الدنيا به مناقضة ويحتمل ان يريد بصره ايضا بصر بصيرته
استعارة وظاهر انه منتهى بصر بصيرة الجاهل المتصرف فى احوال الدنيا وكيفية تحصيلها والتمتع بها دون ان
ينفذ عبره لما وراءها من احوال الاخرة الثانية قوله والبصير ينفذها بصره استعار لفظ البصير للعالم ونفوذ
بصره كناية عن ادراكه ما وراء الدنيا من احوال الاخرة وعلمه انها دار القرار الثالثة قوله فالبصير منها شاخص
اى راحل مسافر قد جعلها طريقا له الى الاخرة والاعمى اليها شاخص اى متطلع اليها بعين بصيرته وهمته وان كان
اعمى عن مصالحه الحقيقية وعن آفاتها وطرقها المخوفة وفى هذه الكلمة مع التى قبلها من اقسام البديع التجنيس
التام والمطابقة بين الاعمى والبصير الرابعة قوله والبصير منها متزود اى بالتقوى والاعمال الصالحة فى سفره
الى الله تعالى والاعمى لها متزود اى متخذ للذاتها وقنياتها زادا له فى قطعها مدة عمره وقد جعل هو الزاد المقيم

والكمال الذى ينبغى له وهى من البديع كالتى قبلها وبالله التوفيق منها واعلموا انه ليس من شىء الا ويكاد صاحبه
يشبع منه ويمله الا الحياة فانه لا يجد له فى الموت راحة وانما ذلك بمنزلة الحكمة التى هى حياة للقلب الميت و
بصر للعين العمياء وسمع للاذن الصماء ورى للظمآن وفيها الغنى كله والسلامة كتاب الله تبصرون به وتنطقون به وتسمعون
به وينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض ولا يختلف فى الله ولا يخالف بصاحبه عن الله وقد اصطلحتم على
الغل فيما بينكم ونبت المرعى على دمنكم وتصافيتم على حب الآمال وتعاديتم فى كسب الاموال لقد استهام بكم
الخبيث وتاه بكم الغرور والله المستعان على نفسى وانفسكم اقول الدمن آثار الناس وما سودوا واحدها دمنة
والغل الغش والحقد وقد استثنى الحياة مما يشبع منه ويمل ثم علل عدم ملال الحياة بفقدان الراحة فى الموت
قال بعض الشارحين ان فقدان الراحة فى الموت مخصوص باهل الشقاوة فى الاخرة فاما اولياء الله وعباده
الصالحون فلهم فى الموت الراحة الكبرى كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ليس للمؤمن راحة دون لقاء
الله قال بعضهم بل يحمل على العموم مراعاة لظاهر الكلام وذلك من وجهين احدهما ان بالموت يفوت متجر الاخرة
وينقطع الاستعداد لكمال اشرف مما حصل عليه الميت وان كان وليا فلا جرم لا يجد الراحة التى يلحقه بما يفوته
من ذلك الكمال الثانى ان النفوس البشرية لما لم يكن معارفها ... ولم تتمكن مادامت فى هذه الابدان
من الاطلاع على ما بعد الموت من سعادة او شقاوة فبالحرى ان لا تجد لها راحة بتصورها فى الموت قال وذلك
لا ينافى الخبر اذ ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله اما على الوجه الاول فلان الراحة الحاصلة من الكمال الفائت بالموت
لا تحصل له وان حصل له راحة ما بحسب طاعته السابقة واما على الثانى فلان المؤمن لا يجد له مادام فى الدنيا
راحة فى الموت وذلك لا ينافى ان تحصل له الراحة عند لقاء الله كما نقل ان الحسن عليه السلام لما ان سفر الى
الاخرة بكى فقال له اخوه الحسين عليه السلام ما لى اراك تبكى وتجزع مع يقينك بانك تقدم حيث تقدم على جدك
وابيك فقال نعم بالحق لا اشك فى ذلك الا انى سالك مسلكا لم اسلكه من قبل واقول ان كان مراده عليه السلام
بقوله لا يجد فى الموت راحة اى فى نفس الموت مع قطع النظر عن غيره من احوال الاخرة فالحق قول من عمم فقدان
الراحة فى حق الجميع اذ الموت من حيث هو موت لا راحة فيه لاحد من الناس كافة وان كان مراده فقدان الراحة فى
الموت وما بعده فالحق التخصيص باهل الشقاوة الدائمة فان شدة محبة الحياة ونقصانها مستفاد من ...
تصور زيادة الراحة فى الاخرة ونقصانها وذلك ظاهر عند اعتبار اهل الدنيا المقبلين عليها بالكلية واهل
الاخرة المقبلين عليها بالكلية ومن بينهم من طبقات السالكين وقوله وانما ذلك اى الامر الذى هو الحق
بان لا يمل ولا يشبع منه بمنزلة الحكمة اى ما كان بمنزلة الحكمة والحكمة فى لسان الشريعة هى العلم النافع فى الآخرة
وقد يطلق على ما هو اعم من ذلك ثم ذكر لها اوصافا الاول انها حياة للقلب الميت وقد مر ان القلب فى عرف
العارفين هى النفس الانسانية واستعار للحكمة لفظ الحياة ووجه المشابهة كون الحياة بها وجود القلب باقيا كما
ان الحكمة بها بقاء الانسان وسعادته فى الدارين وكذلك استعار لفظ الميت للقلب الجاهل باعتبار انه غير مطلع

على وجوه مصالحهم ومفاسدهم في الدارين وعن جهة لا انتفاع او دفع مضرة كما لبث الثاني استعار وصف البصر
للحكمة ووصف العمى للعين الجاهل ثم يجوز ان يكون لفظ العين ايضا استعارة في بصيرة الجاهل ويجوز ان يكون
المراد حقيقته ووجه الاستعارة الاولى ان بالحكمة يبصر الانسان مصالحه ومفاسده ويهتدي الى وجوه مصالحه الدنيوية والاخروية
كما يهتدي البصير بعينه وجوه مسالكه ومقاصده ووجه الثانية ان بصيرة الجاهل لا يهتدي لسلوك تلك الوجوه كما لا
يهتدي العين العمياء الى شيء ووجه الثالثة ان بصر الجاهل تابع لبصيرته فاقدامه واحجامه وحركاته المنسوبة
الى حس البصر وغيره انما يعتمد لما يتصوره ولما كانت تلك التصرفات عبثا فهي في الاكثر بل قد يكون مضارة لاجرم
اشبهت عينه الباصرة التي وقع بها سوء ذلك التصرف العين العمياء فاستعير لها لفظها وكذلك استعار لفظ السمع
ولفظ الصما للاذن ووجه الاستعارات ما سبق فان المراد بالسمع ادراك البصيرة والاذن يحتمل ان يراد بها
البصيرة استعارة او الاذن المحسوسة وكذلك استعار لفظ الري للحكمة ولفظ الظمآن للجاهل ووجه الاولى
ان الحكمة تملأ النفس وتنفعها شفاء لها من داء الجهل كما يملأ الماء جوف الظمآن وينقع غلته ويشفي من الم
الظماء ووجه الثانية ان الجاهل لخفة الم الجهل ويكون سببا للموت في الاخرة كما يلحق الظمآن الم الظماء
الثالث ان فيها الغنى كله والسلامة واراد بالغنى غنى النفس عن كل شيء وكمالها بها فان غاية الحكمة الوصول
الى الحق سبحانه والغرق في بحار معرفته وفي ذلك غنى العارفين عن كل شيء واراد بالسلامة سلامة النفوس من
عذاب الجهل اذ ثبت في اصول الحكمة انه السبب الاكبر للهلاك الاخروي وقوله كتاب الله تبصرون به مبتدأ اما خبره ان
لعلك وما كان بمنزلة الحكمة خبر اول او المبتدأ محذوف تقديره وهو كتاب الله ويحتمل ان يكون عطف
بيان لما كان بمنزلة الحكمة وذكر له اوصافا الاول قوله تبصرون به اشارة الى اشتمال الكتاب على الحكمة ووجه
تبصرهم بها فان به ابصار الجاهلين لمفاسدهم الدنيوية والاخروية لما فيه من الحكمة الثاني وكذلك ينطقون
به الثالث وتسمعون به الرابع قوله ينطق بعضه ببعض اي يفسر بعضه بعضا كالمبين المفسر للمجمل والمقيد
للمطلق والمخصص المبين للعام الخامس ويشهد بعضه على بعض اي يستشهد ببعضه على ان المراد ببعض آخر
وهو قريب مما قبله السادس قوله ولا يختلف في الله اي لما كان مدار الكتاب على بيان القواعد الكلية التي
بها يكون صلاح حال نوع الانسان في معاشه ومعاده وكانت غاية ذلك الجذب الى الله سبحانه والوصول الى
جواره لم يكن فيه لفظ يختلف في الدلالة على هذه المقاصد بل كله مطابق الالفاظ على مقصود واحد وهو
الوصول الى الحق سبحانه بصفة الطهارة عن نجاسات هذه الدار وان تعددت الاسباب الموصلة الى ذلك
المقصود السابع قوله ولا يخالف بصاحبه عن الله اي لا يجوز بالمهتدين بانواره في سلوك سبيل الله عن الغاية
الحقيقية وهو الله سبحانه وقوله قد اصطلحتم الى آخره توبيخ للسامعين على ارتكاب رذائل الاخلاق واستعار
لفظ الاصطلاح لسكوتهم عن انكار بعضهم على بعض ما يصدر عنه من المنكر كالغش والحقد والحسد واشتراكهم
في تلك الرذائل وقوله ونبت المرعى على دمنكم لفظ ضرب مثلا للمتصالحين في الظاهر مع غل القلوب فيما بينهم

ووجه

ووجه مطابقة المثل ان ذلك الصلح سريع الزوال لا اصل له كما يسرع جفاف النبات في الدمن وقوله تصافيتم على
حب الآمال اشارة الى وجه الصلح الذي ذكره ولذلك اسقط حرف العطف هنا وقوله وتباغضتم في كسب الاموال
اشارة الى وجه الغل الذي اشار اليه اما الاول فلان الجامع للتصالح الظاهر هو ما يؤمل كل من صاحبه من
الانتفاع به او دفع شره فيما هو بصدده من المأمولات الدنيوية وان انطوى له على غل كما هو المتعارف في زماننا
واما الثاني فلان الاحقاد والعداوات اغلب ما يكون على التجاذب لاموال الدنيا وقنياتها وقوله لقد استهام
بكم الخبيث اي اشتد عشقه لكم ولازمكم واراد بالخبيث ابليس وذلك شبيه على ما يظهر منهم من آثار وسوسته
وملازمتهم لما ينهون عنه وكذلك قوله وتاه بكم الغرور اي استغفلكم فتيهكم في استغفاله لكم عن سواء سبيل
الله والغرور هو الشيطان كما قال تعالى ولا يغرنكم بالله الغرور ثم ختم باستعانة الله له ولهم على النفوس
الامارة بالسوء اما في حقه عليه السلام ففي ولايتها مقهورة لعقله واما في حقهم فقهرها وقمعها وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر في الخروج الى غزو الروم بنفسه وقد توكل الله لاهل هذا الدين باعزاز
الحوزة وستر العورة والذي نصرهم وهم قليل لا ينتصرون ومنعهم وهم قليل لا يمتنعون حي لا يموت انك متى
تسر الى هذا العدو بنفسك فتلقهم فتنكب لا تكن للمسلمين كانفة دون اقصى بلادهم وليس بعدك مرجع يرجعون
اليه فابعث اليهم رجلا محربا واحفز معه اهل البلاء والنصيحة فان اظهر الله فذاك ما تحب وان تكن الاخرى
كنت ردءا للناس ومثابة للمسلمين اقول ذلك حين خرج قيصر الروم في جماهير اهلها الى المسلمين وانزوى
خالد بن الوليد فلازم بيته وصعب الامر على ابي عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة وغيرهما من امراء سرايا
الاسلام والحوزة كل شيء بيضته وجمعه وكنفه حفظه وواه والمحرب بكسر الميم الرجل صاحب حروب وحفز كذا
اي دفعه وحفزه ضمه الى جيشه واظهر الله على فلان نصر عليه والردء العون والمثابة المرجع وقوله وقد توكل الله
قوله لا يموت صدر هذه النصيحة والرأي بذكر ما يجب التوكل على الله والاستناد اليه في هذا الامر
خلاصتها انه ضمن لاهل هذا الدين اعزاز حوزة اهله وكنى بالعورة عن هتك الشريعة النساء ويحتمل ان يكون
استعارة لما يظهر عليهم من الذل والقهر لو اصيبوا فضمن سبحانه ستر ذلك بافاضة النصر عليهم ووعد الحكم
من قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم
وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا وقوله والذي نصرهم الى آخر الصدر
احتجاج في هذه الخطابة يشبه ان يكون تمثيلا وتلخيصه ان الذي نصرهم حال قلتهم حي لا يموت فهو ينصرهم
حال كثرتهم فاصل التمثيل هو حال قلتهم وفرعه حال كثرتهم وحكمه النصر وعلة ذلك الحكم هو حياته الباقية
التي لا يفنيها موت وقوله انك متى تسر الى آخره نفس الرأي وخلاصته المشورة بعدم خروجه بنفسه ووجه
هذا الرأي تجويز النكبة وانفضاضهم عند ملاقاة العدو مع انه يومئذ ظهر المسلمين الذين يلجؤون اليه فلو
انكسر لهم لم يبق لهم كانفة ولا جمع يستندون اليه ثم باخراج من يقوم مقامه من اهل النجدة ممن عرف

بكثرة الوقائع والحروب فيكون على بصيرة في امر الحرب وان يضم اليه اهل البلاء اي المجربون في النصيحة والحروب
في الوقائع ثم استنتج من هذا الرأي انه ان نصر الله المسلمين فذاك الذي يجب وان يكن الاخرى اي الانكسار
وعدم الانتصار كان للمسلمين ظهر يستندون اليه ومأمن يأوون اليه ومن كلام له عليه السلام وقد وقعت
مشاجرة بينه وبين عثمان فقال المغيرة بن الاخنس لعثمان انا اكفيكه فقال امير المؤمنين عليه السلام للمغيرة يا ابن
اللعين الابتر والشجرة التي لا اصل لها ولا فرع انت تكفيني فوالله ما اعز الله من انت ناصره ولا قام من انت
منهضه اخرج عنا ابعد الله نواك ثم ابلغ جهدك فلا ابقى الله عليك ان ابقيت اقول هذه المشاجرة كانت في
زمن ثوران الفتنة على عثمان في خلافته وكان الناس يستعزون بهم اليه والابتر كل امر انقطع من الخير
اثره والنوى القصد الذي ينويه المسافر من قرب او بعد والنوى لغة في النأي وهو البعد وقد ذم
المغيرة بسقوط الاصل والفرع واستعار لنفسه لفظ الشجرة وكنى بنفي اصلها وفرعها عن سقوط بيته ودناءته
وحقارته في الناس ثم استفهمه عما ادعى من الكفاية له استفهاما على سبيل الانكار والاستحقار له واقسم ان
الله لا يعز من هو ناصره وانما يعز الله من نصره اولياء الله واهل عنايته ومن لم يعز الله لم يقم من نهضته كقوله
تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ثم دعا عليه بابعاد الله نواه
وقوله ابلغ جهدك اي في الاذى فلا ابقى الله عليك ان ابقيت اي لا رعاك ولا رحمك ان راعيتني يقال
ابقيت على فلان اذا راعيته ورحمته ومن كلام له عليه السلام لم تكن بيعتكم اياي فلتة وليس امري وامركم
واحدا اني اريدكم لله وانتم تريدونني لانفسكم ايها الناس اعينوني على انفسكم وايم الله لانصفن المظلوم من ظالمه و
لاقودن الظالم بخزامته حتى اورده منهل الحق وان كان كارها اقول الفلتة الامر يقع بغير تدبر ولا روية
والخزامة الحلقة من الشعر تجعل في انف البعير ومفهوم قوله لم تكن بيعتكم اياي فلتة انها لما كانت عن تدبر
واجماع رأي منكم لم يكن لاحد منكم بعدها ان يخالف ويهدم عليها وفيه تعريض ببيعة ابي بكر حيث قال عمر
فيها كانت بيعة ابي بكر فلتة وقى الله شرها وقوله وليس امري وامركم واحدا اشارة الى الاختلاف بين حركاته
ومقاصده ثم بين الفرق بقوله اني اريدكم لله اي انما اريد طاعتكم لاقامة دين الله واقامة حدوده وانتم تريدونني
لانفسكم اي لحظوظ انفسكم من العطاء والتقريب وسائر منافع الدنيا ثم لما وبخهم بذلك اتبعهم وطلب
منهم الاعانة على انفسهم اي بالطاعة له وامتثال اوامره فاقسم لينصفن المظلوم وليقودن الظالم بخزامته
واستعار لفظ القود في تذليل الظالم واذعانه للحق ورشح بذكر الخزامة وكذلك استعار لفظ المنهل للحق
ووجه الاستعارة كونه موردا يشفي به المظلوم كما يشفي الماء العطشان وبالله التوفيق ومن كلام له
في معنى طلحة والزبير والله ما انكروا علي منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وانهم ليطلبون حقا هم تركوه و
دما هم سفكوه فان كنت شريكهم فيه فان لهم نصيبهم منه وان كانوا ولوه دوني فما الطلبة الا قبلهم وان اول
عدلهم للحكم على انفسهم وان معي لبصيرتي ما لبست ولا لبس علي وانها للفئة الباغية فيها الحمأ والحمة

والشبهة

والشبهة المغدفة وان الامر لواضح وقد زاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه عن شغبه وايم الله لافرطن لهم حوضا
انا ماتحه لا يصدرون عنه بري ولا يعبون بعده في حسي اقول الضغن الضغينة والطلبة بكسر اللام المطلوب والحماة
الطين الاسود المنتن كما قال تعالى من حمإ مسنون ويروى الحما بالالف مقصورة والحمة بضم الحاء وتخفيف الميم وفتحها سم العقرب
والمغدفة بالدال والفاء المظلمة يقال اغدف الليل اذا اشتد ظلامه ويروى المغدفة بفتح الدال اي الخفية واصله
ان المرأة تغدف وجهها بالقناع وزاح الباطل نحى وتنحى ونصابه اصله ومقره ولافرطن لاملان والتفريط التكثير
الماتحة وتهييج الشر والماتح بنقطتين من فوق المستقي وبنقطتين من تحت الذي يملأ الدلو في البئر والعب الشرب
والحسي بكسر الحاء وسكون السين الماء الذي يشربه الرمل فينتهي الى ارض صلبة فيحفظه ثم يحفر عنه فيستخرج واعلم
ان قوله والله الى قوله ولا لبس علي قد تقدم تفسيره في قوله الا وان الشيطان قد ذمر حزبه وفي فصل قبله بعبارة
اخرى فلا حاجة الى اعادته واما قوله وانها للفئة الباغية فيها الحما والحمة فقال بعض الشارحين في تعريف الفئة
بالالف واللام تنبيه على انه كان عنده علم من الرسول صلى الله عليه وآله انه سيبغي عليه فئة من غير تعيين لها
فلما خرجت هذه الفئة عليه بامارات او قد سبق ايضا تفسير الحما والحمة على بعض الروايات واما على هذه الرواية
فاستعارة للغل والفساد الذي كان في صدور هذه الفئة ووجه الاستعارة استلزامه لتكدير الاسلام واثارة
الفتنة بين المسلمين كما يكدر الحمأة الماء ويخبثه او استلزامه للاذى والقتل كما يستلزم ذلك سم العقرب واشار
بالشبهة المغدفة الى شبهتهم في الطلب بدم عثمان واستعار لها وصف الظلمة لعدم اهتداء اكثر الخلق فيها الى وجه الحق
فيها كما لا يهتدى في الليل المظلم وقوله وان الامر لواضح الى قوله شغبه نفي لتلك الشبهة عن نفسه و[illegible]
وان الحق واضح فحاله لا اصل للباطل فيه ولا لسان يشغب به ولفظ اللسان استعارة والشغب ترشيحها
وما في الفصل قد تقدم تفسيره ايضا في الفصل المذكور منها فاقبلتم الي اقبال العوذ المطافيل على اولادها
تقولون البيعة البيعة قبضت كفي فبسطتموها ونازعتكم يدي فجاذبتموها اللهم انهما قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي
والبا الناس علي فاحلل ما عقدا ولا تحكم لهما ما ابرما وارهما المساءة فيما املا وعملا ولقد استثبتهما قبل القتال
واستانيت بهما امام الوقاع فغمطا النعمة وردا العافية اقول العوذ جمع عوذة وهي الناقة الحديثة النتاج والمطافيل
جمع مطفل بضم الميم وهي قريبة العهد بالنتاج والتأليب التحريض وابرما الامر احكماه واستثبتهما بالثاء المثلثة
بثلث نقط طلبت رجوعهما ويروى بالتاء من التوبة واستانيت انتظرت وهذا الفصل احتجاج على طلحة والزبير
ومن تابعهما على نكث بيعته فقوله فاقبلتم الى قوله فجاذبتموها يجري مجرى صغرى قياس ضمير من الشكل الاول و
تلخيصها انكم اجتهدتم علي في طلب البيعة حتى بايعتكم واخذت عهودكم وتقدير الكبرى وكل من اجتهد اجتهادكم
الى تلك الغاية فيجب عليه الوفاء ببيعته والصغرى مسلمة منهم وبرهان الكبرى الكتاب يا ايها الذين آمنوا اوفوا
بالعقود واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم الآية وقد شبه اقبالهم عليه طالبين البيعة باقبال مسنات النوق على
اطفالها ووجه التشبيه شدة الاقبال والحرص على بيعته وخص المسنات لانها اقوى حنوا على اولادها ونسب

البيعة على الاغراء و فائدة التكرير فى الاغراء تاكيد الامر الدال على شدة الاهتمام بالمامور به وقال بعض الشارحين
فائدة التكرار دلالة المنصوب الاول على تخصيص الامر الاول و دلالة الثانى على تخصيص الامر الباقى فى المستقبل
او حفظ البيعة فى الحال و حفظها للاستقبال قال وكذلك قوله اتقوا الله اتقوا الله فى الحال واتقوه فى الاستقبال
واقول ان ذلك غير مستفاد من اللفظ باحدى الدلالات وقوله اللهم الى قوله على وشكايته الى الله منهما فى امور
ثلثة قطع رحمه وظلمهما له ونكثهما بيعته ثم نكث بيعته ثم جمع الناس على قتاله وقوله فاحلل ما
عقدا الى قوله على تمام دعاء عليهما بما يشبه الخلاف ... وان لا يحكم لهما ما ابرماه من الاراء
فى حربه وان يريهما المساءة فى امالهما واعمالهما اى عكس اغراضهما فيهما واستجابة دعائه ظاهرة بقتلهما وقوله
ولقد استثبتهما الى قوله الوقاع الطهار لعذره مع الناكثين حتى قبل وقاع الحرب بانه فى حقهما استعطافه
لهما فى الرجوع الى الحق واستتابته لهما من نبهما فى نكث البيعة وقوله فغمطا الى آخره بيان لجوابهم عن عذاره لهم
وهو مقابلتهم نعمة الله اى قسمهما من الحق بالاحتقار لها والنظر عليها اذ كان احد الاسباب الباعثة لهما على
هو التسوية بينهم وبين غيرهم فى العطاء وكذلك مقابلتهم للسلامة والعافية من بلاء الحرب بالشقاق والخلاف
الدين والنفس عافيته فعلهما بردهما لها والاصرار على الحرب المنابذة من غير نظر فى عاقبة امرهما وبالله التوفيق
ومن خطبة له عليه السلام يومى فيها الى ذكر الملاحم يعطف الهوى على الهدى اذا عطفوا الهدى على الهوى ويعطف
الراى على القرآن اذا عطفوا القرآن على الراى اقول الاشارة فى هذا الفصل الى وصف الامام المنتظر فى اخر
الزمان الموعود به فى الخبر والاثر فقوله يعطف الهوى على الهدى اى يرد النفوس الحايرة عن سبيل الله المتبعة لظلمات
اهوائها عن طرقها الفاسدة ومذاهبها المختلفة الى سلوك سبيله واتباع انوار هداه وذلك اذا اعرضت تلك النفوس
عن اتباع انوار هدى الله فى سبيله الواضح الى اتباع اهوائها فى اخر الزمان وحين ضعف الشريعة وزعمت ان الحق
ما هى عليه فذلك وكذلك قوله ويعطف الراى على القرآن اذا عطفوا القرآن على الراى اى يرد كل راى خارج الى القرآن
يحملهم عليها وافقه يعتادون ما خالفه وذلك ان تاول الناس القرآن وحملوه على ارائهم وردوه الى اهوائهم كما عليه
اهل المذاهب المتفرقة من فرق الاسلام كل على ما يميل اليه وكل يزعم ان الحق الذى يشهد به القرآن هو ما اداه وانه
لا حق وراءه سواه وبالله التوفيق منها حتى يقوم الحرب بكم على ساق باديا نواجذها مملوءة اخلافها حلوا رضاعها
علقما عاقبتها الا وفى غد وسياتى غد بما لا تعرفون ياخذ الوالى من غيرها عمالها على مساوى اعمالها وتخرج له
الارض افاليذ كبدها وتلقى اليه سلما مقاليدها فيريكم كيف عدل السيرة ويحيى ميت الكتاب والسنة اقول
اخلاف الناقة حلمات ضرعها والافاليذ جمع الجمع لفلذة وهى القطعة من الكبد وجمعها فلذ فقوله حتى تقوم الحرب
بكم على ساق الى قوله عاقبتها كانه غاية لتمادى لهم من طاعته فى امر الحرب ولقاء العدو وكانه يقول لا تزالون
متمادين عن مقاعدين حتى يشتد العدو فتقوم بكم الحرب على ساق وقيامها على الساق كناية عن بلوغها الغاية
فى الشدة وبدو نواجذها كناية عما يستلزمه من الشدة والاذى وهو من اوصاف الاسد عند غضبه كانه حاول

ان يشعر لها لفظ الاسد فاتى بوصفه وقال بعض الشارحين بدو النواجذ فى الضحك اى تبلغ بكم الحرب الغاية كما
ان غاية الضحك ان تبدو النواجذ وهى اقصى الاضراس فكنى بذلك عن مبالغتها قلت هذا وان كان محتملا الا ان الحال
حالة اقبال الغضب لا اقبال الضحك فكان الاول انسب وكذلك قوله مملوءة اخلافها استعارة لوصف الناقة
لحال استعداد الحرب باستكمال اعدتها ورجالها كاستكمال ضرع الناقة اللبن وقوله حلوا رضاعها استعارة لوصف
المرضع لها وكنى بحلاوة رضاعها عن اقبال اهل النجدة فى اول الحرب عليها فكل منهم يحب ان يناجز قرنه ويستحلى
مغالبته كما يستحلى الراضع لبن امه وكذلك استعار لفظ العلقم لعاقبتها ووجه الاستعارة المشابهة بين المرارتين
الحسية والعقلية والمنصوبات الاربعة باديا ومملوءة وحلوا وعلقما احوال والمرفوعات بعد كل منها فاعل
وانما ارتفع عاقبتها من علقما مع انه اسم صريح لقيامه مقام اسم الفاعل كانه قال مريرة عاقبتها وقوله الا وفى
غد اخبار عن بعض الامور التى ستكون وقوله وسياتى غد بما لا تعرفون المراد به تعظيم شان الموعود به
وبيان لفضيلته عليه السلام بعلم ما جهلوه وهو جملة اعتراضية كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو
تعلمون عظيم انه لقرآن كريم فقوله وانه لقسم اعتراض وقوله ياخذ الوالى من غيرها عمالها يشبه ان يكون قد
سبقه ذكر طايفة من الناس ذات ملك وامرة فاخبر عليه السلام ان الوالى من غير تلك الطايفة ويومى به الى الامام
المنتظر ياخذ عمالها على مساوى اعمالها اى يواخذهم بذنوبهم وقوله ويخرج له الارض افاليذ كبدها استعار
لفظ الكبد لما فى الارض من الكنوز والخزاين ووجه المشابهة ان الكنوز كالكبد فى العزة والخفاء ورشح بذكر
الافاليذ وقد ورد ذلك فى الخبر المرفوع ومن لفظه وقاءت له الارض افلاذ كبدها وفسر بعضهم قوله
واخرجت الارض اثقالها بذلك فاما كيفية ذلك الاخراج فقال بعض المحققين هو اشارة الى ان جميع ملوك
الارض تسلم اليه مقاليد ممالكها طوعا وكرها وتحمل اليه الكنوز والذخاير واسند الاخراج الى الارض مجازا لان
المخرج اهلها واستبعد ان يكون الارض بنفسها هى المخرجة لكنوزها ولاهل الظاهر ان يقولوا ان المخرج يكون
هو الله تعالى ويكون ذلك من معجزات الامام ولا مانع وقوله ويلقى اليه سلما مقاليدها اسند ايضا لفظ الالقاء
الى الارض مجازا لان الملقى المقاليد سلما هو اهل الارض وكنى بذلك عن طاعتهم وانقيادهم اجمعين لامره
وتحت حكمه وسلما مصدر سد مسد الحال ثم لحين انهم سيريهم عدل سيرته وانه يحيى ميت الكتاب والسنة ولفظ الميت
استعارة لما ترك منهما وانقطع اثره والانتفاع به كما ينقطع اثر الميت فان قلت قوله ويريكم يدل على ان المخاطبين
يدركون المخبر عنه ويرون عدله مع انكم قلتم انه يكون فى اخر الزمان فكيف وجه ذلك قلت خطاب الحاضرين
من الامة كالعام لكل الامة وذلك كسائر خطابات القرآن الكريم مع الموجودين فى عصر الرسول فانه يتناول
الموجودين الى يوم القيمة فيخرج المخاطبون بدليل العادة اذ من المعلوم ان لا يمتد اعمارهم الى وقت ظهوره
فيبقى الموجودون فى زمانه وبالله التوفيق منها كانى به وقد نعق بالشام وفحص براياته فى ضواحى كوفان فعطف
عليها عطف الضروس وفرش الارض بالرؤس قد فغرت فاغرته وثقلت فى الارض وطاته بعيد الجولة عظيم

الصولة والله ليشردنكم فى اطراف الارض حتى لا يبقى منكم الا قليل كالكحل فى العين فلا تزالون كذلك حتى تؤوب
الى العرب عوازب احلامها فالزموا السنن القائمة والاثار البينة والعهد القريب الذى عليه باقى النبوة
واعلموا ان الشيطان انما يسنى لكم طرقه لتتبعوا عقبه اقول نعق الغراب ونعق الراعى بغنمه بالعين والغين
صاح وفحص القطا التراب قلبه والفحص البحث وكوفان اسم للكوفة وضواحيها نواحيها البارزة والضروس الناقة
السيئة الخلق تعض حالبها وفغرت فاغرته انفتح فوه واكد الفعل بذكر الفاعل من لفظه ويسنى يسهل والعقب
بكسر القاف مؤخر القدم وقد اخبر فى هذا الفصل انه سيظهر بجميع هذه الصفات قال بعض الشارحين هو عبد
الملك بن مروان وذلك لانه ظهر بالشام حين جعله ابوه الخليفة من بعده وسار لقتال مصعب بن الزبير الى
الكوفة بعد ان قتل مصعب المختار بن ابى عبيدة الثقفى فالتقوا بارض مسكن بكسر الكاف من نواحى الكوفة ثم قتل
مصعبا ودخل الكوفة فبايعه اهلها وبعث الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن الزبير بمكة فقتله وهدم الكعبة و
ذلك سنة ثلث وسبعين من الهجرة وقتل خلقا عظيما من العرب فى وقايع عبد الرحمن بن الاشعث ورمى الناس بالحجاج
بن يوسف وفى الفصل لطايف الاولى الطلق لفظ النعيق لظهور اوامره ودعوته بالشام مجازا وكذلك استعار
لفظ الفحص لغلبته اهل الكوفة بعضهم على بعض وتقصيه لحال الائمة التى كانوا عليها ثم شبه عطفه وحمله عليها بعطف
الناقة الضروس ووجه التشبيه شدة الغضب والحنق والاذى الحاصل منهما الثانية فرشه للارض بالرؤس
كناية عن كثرة قتله فيها وذلك مما يشهد به التواريخ وفغر فيه استعارة لبعض اوصاف السبع الضارى كنى به عن
شدة اقدامه على القتل واقباله على الناس بشدة الغضب والاذى وكذلك ثقل وطاته فى الارض كناية عن شدة
باسه وتمكنه فى الارض الثالثة بعد جولته كناية عن اتساع ملكه وجولان خيله ورجله فى البلاد البعيدة وبعيد
وعظيم حالان ومن روى بالرفع فهما خبر مبتدا محذوف الرابعة لما فرغ من صفاته بين لهم ما سيفعل بهم
من التشريد والطرد فى اطراف البلاد واكد ذلك بالقسم البار وذلك اشارة الى ما فعله عبد الملك ومن ولى
الامر من بعده ولده فى باقى الصحابة والتابعين واحوالهم معهم فى الاستخفاف والاحتقار والطرد والقتل ثم
وشبه البقية منهم بالغبار الذى يكون فى العين من الكحل ووجه التشبيه الاشتراك فى القلة الخامسة اخبرهم
لا تزالون كذلك اى بالحال الموصوفة مع عبد الملك ومن بعده من اولاده حتى يعود الى العرب عوازب احلامها
اى ما كان ذهب من عقولها العلية فى نظام احوالهم والعرب هم بنو العباس ومن معهم من العرب ايام ظهور الدولة
كقحطبة بن شبيب الطائى وابنيه حميد والحسن كبنى رزيق ابى طاهر بن الحسين واسحق بن ابراهيم المصعبى وعدادهم فى
خزاعة وغيرهم من العرب من شيعة بنى العباس وقيل ان ابا مسلم اصله عربى وكل هؤلاء كانوا مستضعفين مقهورين
مغمورين فى دولة بنى امية لم ينهض منهم ناهض الى ان اذن الله تعالى عليهم بما كان عزب عنهم من حميتهم فغاروا
للدين وللمسلمين من جور بنى مروان واقاموا الامر وازالوا تلك الدولة فان قلت ان قوله تؤوب تدل على ان
انقطاع تلك الدولة بظهور العرب عود عوازب احلامها وعبد الملك مات وقامت بنوه بعده بالدولة

ولم يزل الملك عنه بظهور العرب فاين فائدة الغاية قلت ان تلك الغاية ليست غاية له ولا لعبد الملك بل غاية
من كونهم لا يزالون مشردين فى البلاد وذلك لا انفهار وان كان اصله من عبد الملك لا انه استمر فى زمن اولاده
الى حين انقضاء دولتهم فكانت غاية ما ذكر وقال بعض الشارحين فى الجواب ان ملك اولاده ملكه وما زال
الملك عن بنى مروان حتى آبت الى العرب عوازب احلامها وهذا الجواب من لم يتدبر كلامه عليه السلام ولم يتتبع
الفاظ الفصل حتى يعلم ان هذه الغاية لاى شىء منه فيلحقها به ثم امرهم بلزوم سنن الله ورسوله القائمة
فيهم من بعده واثاره البينة فيهم وعهده القريب بينهم وبينه ومضى عليهم ذلك الامر فى الحال وعند نزول
تلك الشدايد بهم اى اذا نزل بكم منه ما وصف فلتكن وظيفتكم لزوم ما ذكرت ثم نبههم على ما فى سهولة
المعاصى وفى تسهيل نفوسهم الامارة بالسوء عليهم طرقها الخادعة من المحذور وهو ان تنقاد لها النفوس لما
فيضلها عن سبيل الله ويقودها الضلال الى الهلاك الاخروى وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام
وقت الشورى لن يسرع احد قبلى الى دعوة حق وصلة رحم وعائدة كرم فاسمعوا قولى وعوا منطقى عسى ان تروا
هذا الامر من بعد هذا اليوم ينتضى فيه السيوف ويخان فيه العهود وحتى يكون بعضكم ائمة لاهل الضلالة
وشيعة لاهل الجهالة اقول هذا من جملة كلام قاله عليه السلام لاهل الشورى وقد ذكرنا طرفا من اخبارها
فقوله لن يسرع احد الى قوله تقرير لفضيلته ليسمع قوله ولذلك قال بعده فاسمعوا قولى وعوا منطقى فذكر
فضائل ثلثا الدعوة الى الحق الذى لم يسابقه احد اليها الاسرعة وهى ثمرة العدالة وصلة الرحم وعائدة الكرم
وهما فضيلتان تحت ملكة العفة والذى امرهم باستماعه هو التنبيه على عاقبة امر الخلافة وما يقع فيها من
الهرج والمرج بعدهم بناء على ما حضر من الخبط والاختلاط فيها فكانه يقول اذا كان حال هذا الامر هذه الحال
من الخبط ومجاذبة من لا يستحق والتغلب فيه على اهله فعسى ان ترونه بعد هذا اليوم بحال يختصم الناس فيه
بالسيوف ويخان فيه العهود وهو اشارة الى ما عليه من حال البغاة والخوارج عليه الناكثين لعهد بيعته
فقوله حتى يكون بعضهم ائمة لاهل الضلالة وشيعة لاهل الجهالة الزعامة للتغالب على هذا الامر واشار بالائمة
الى طلحة والزبير وباهل الضلالة الى اتباعهم وباهل الجهالة الى معوية ورؤساء الخوارج وسائر امراء بنى امية
وبشيعة اهل الجهالة الى اتباعهم وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام فى النهى عن غيبة الناس وانما
ينبغى لاهل العصمة والمصنوع اليهم فى السلامة ان يرحموا اهل الذنوب والمعصية ويكون الشكر هو الغالب عليهم
والحاجز لهم عنهم فكيف بالعائب الذى عاب اخاه وعيره بلواه اما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه ما هو
اعظم من الذنب الذى عابه به وكيف يذمه بذنب قد ركب مثله فان لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد
عصى الله فيما سواه مما هو اعظم منه وايم الله لئن لم يكن عصاه فى الكبير وعصاه فى الصغير لجرأته على عيب الناس
اعظم يا عبد الله لا تعجل فى عيب عبد بذنبه فلعله مغفور له ولا تامن على نفسك صغير معصية فلعلك معذب
عليه فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه وليكن الشكر شاغلا له على معافاته مما ابتلى به غيره اقول

اهل العصمة هم الذين اعانهم الله سبحانه على قهر نفوسهم الامارة بالسوء حتى صارت اسيرة فى ايدى نفوسهم العاقلة
فحصلوا من ذلك على ملكة ترك الذنوب والانزجار عن ولوج ابواب المحارم واولئك هم الذين اصطنع الله اليهم
السلامة من الانحراف عن سبيله والوقوع فى مهاوى الهلاك فينبهم اولا على ما ينبغى لهم وهو ان يرحموا اهل الذنوب
وحصول تلك الرحمة منهم باعتبارهم حال العصاة ووقوعهم فى مهاوى الهلاك ومن عادة عباد الله الرحمة لمن
يرونه فى مهلكة بانقاذه واعانته على الخروج منها وان يكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم وذلك بان يلزم
عند مشاهدة اهل المعاصى لما انعم الله به عليهم من اعانته لهم على قهر شياطينهم التى هى مواد الذنوب وقوله وكيف
بالعايب شروع فى تنبيه من هو دون اهل العصمة ممن يرتكب كبيرة او صغيرة على ما ينبغى له من ترك الغيبة وكان
قال فهذا هو ما ينبغى لاهل المعصية فكيف يليق بغيرهم ممن يعيب اخاه ويعيره بلواه بل ينبغى لمثله ان يترك
الغيبة ويشكر الله بطريق الاولى وذلك باعتبار ستر الله عليه من ذنوبه ما هو اعظم مما عير اخاه به وتلك نعمة
الله يجب شكره عليها واشار بموضع ستر الله عليه الى النعمة المصطنعة عنده وهى تاهيله واعداده له ولاستغنائه
على سبيل الانكار اخذ يتعجب من ذم العايب لاخيه بذنب وهو فى صورة المحتاج عليه بارتكاب لهذا الذنب وذلك
قوله وكيف يذمه الى قوله ما عند الله فكانه يقول لا يجوز لاحد ان يعيب اخاه لانه اما ان يكون بذنب قد ذكر
العايب مثله او اكبر منه او اصغر فان كان بذنب قد ارتكب مثله او اكبر كان له فى عيب نفسه شغل عن عيب غيره وان
كان ارتكب اصغر منه فهو ممنوع على تقدير جرأته على الغيبة فصدوده عنه لانها من الكباير وانما قال هى اكبر
ما عند الله اما مبالغة ولان المفاسد التى يشتمل عليها ارتكاب ساير المنهيات جزئية ومفسدة الغيبة كلية لانه
لما كان من المقاصد المهمة للشارع اجتماع النفوس على هم واحد وطريقة واحدة وهى سلوك سبيل الله بسائر وجوه
الاوامر والنواهى ولن يتم ذلك الا بتعاونهم وتضافرهم فى بواطنهم واجتماعهم على الالفة والمحبة حتى يكونوا بمنزلة
عبد واحد فى طاعة مولاه ولن يتم ذلك الا بنفى الضغاين والاحقاد والحسد ونحوه وكانت الغيبة من كل منهم لاخيه
مثيرة لضغنه ومستدعية منه مثلها فى حقه لا جرم كانت ضد المقصود الكلى للشارع فكانت مفسدة كلية فلذلك
اكثر الله تعالى ورسوله من النهى عنها كقوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا حتى استعار لما يعرض منه الغايب من عرض لفظ
اللحم وزاده تقبيحا وتكريها بصفة الميت فقال ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا وقال صلى الله عليه وآله اياكم والغيبة
فان الغيبة اشد من الزنا لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وعنه صلى الله عليه وآله مررت ليلة اسرى بى فرايت قوما يخمشون وجوههم باظفارهم
فسالت جبرئيل عليه السلام عنهم فقال هؤلاء الذين يغتابون الناس وفى حديث البراء بن عازب خطبنا رسول الله صلى الله
عليه وآله حتى اسمع العواتق فى بيوتهن فقال الا لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فمن تتبع عورة اخيه تتبع الله
عورته يفضحه فى جوف بيته ثم نهى عن الاستعجال والتسرع الى العيب ونبه على وجوب ذلك الانتهاء باحتمال ان
يكون الذنب الذى يعيبه اخاه به مغفورا له وان كان كبيرا وذلك لاحتمال ان يكون حاله لم تتمكن من جوهر نفسه
ونهى عن ان يامن على نفسه صغير معصية يرتكبها لاحتمال ان يعاقب عليها لصيرورتها ملكة متمكنة من جوهر نفسه ثم

عاد الى الامر بالكف عن العيب باعتبار ما يعلم الانسان من عيب نفسه وان يكون الشكر لله وابدا على السلامة
من التورط فى مورد الهلكة الذى سلكه صاحب العيب وابتلاه الله به واعلم ان تعريف الغيبة يعود الى ذكر الانسان
بما يكره نسبته اليه مما يعد نقصانا فى العرف ذكرا على سبيل قصد الانتقاص والذم سواء كان ذلك النقصان
عدم كمال بدنى كالعور والعمى او نفسانى كالجهل والشره والظلم او عدم كمال من خارج كسقوط الاصل ودناءة الآباء
واحترزنا بالقيد الاخير عن تعريفها وهو قصد الانتقاص عن ذكر العيب للطبيب مثلا او لاستدعاء الرحمة من السلطان
فى حق الزمن والاعمى بذكر نقصانهما من الغيبة وقد يكون باللسان وهى الحقيقة وقد يكون بالاشارة ونحوها
من سائر ما يعلم به انتقاص اخيك والتنبيه على عيبه وتسمى غيبة مجازا لقيامها مقام الغيبة ولها اسباب غائية
احدها شفاء الغيظ فان الانسان كثيرا ما يشفى غيظه بذكر مساوى من غاظه الثانى المباهاة والتفاضل كما
تقول من يتعاطى الانشاء والشعر كلام فلان ركيك وشعره بارد الثالث اللعب والهزل وتزجية الوقت فيذكر
غيره بما يضحك الحاضرين الرابع ان يستشعر من غيره انه سيذمه عند السلطان مثلا فيقصد سبقه بتقبيح حاله
ليسقط شهادته عنده عليه وقد يكون لها غايات اخر وقد وردت الرخصة فى غيبة الفاسق المجاهر بفسقه كالخمار
والمخنث والعشار الذى ربما يفتخر بعيبه ولا يستحيى منه قال النبى صلى الله عليه وآله من القى جلباب الحياء عن وجهه
فلا غيبة له لكن تركها الى السكوت اولى وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام ايها الناس من عرف من اخيه
وثيقة دين وسداد طريق فلا يسمعن فيه اقاويل الرجال اما انه قد يرمى الرامى وتخطى السهام ويحيك الكلام
وباطل ذلك يبور والله سميع وشهيد اما انه ليس بين الحق والباطل الا اربع اصابع فسئل عليه السلام عن معنى قوله
هذا فجمع اصابعه ووضعها بين اذنه وعينه ثم قال الباطل ان تقول سمعت والحق ان تقول رايت اقول لحاك
الكلام يحيك اذا عمل واثر وكذلك حاك وروى يحيل اى يبطل ولا يصيب وهذا الفصل نهى عن التسرع الى
التصديق بما يقال فى حق مستور الظاهر المشهور بالصلاح والتدين من عيب والقدح فى دينه وهو نهى عن
عن سماع الغيبة بعد نهيه عنها نفسها واليه الاشارة بقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ
فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ثم نبه على جواز الخطا على المسرعين الى الغيبة
بالمثل فقال اما انه قد يرمى الرامى وتخطى السهام ووجه مطابقة هذا المثل ان الذى يرمى بعيب قد يكون
بريا منه فيكون الكلام فى حقه غير مطابق ولا صايب كما لا يصيب السهم الذى يرمى به فيخطى الغرض وعلى الرواية
بالكاف ويحيك الكلام اى ان السهم قد يخطى فلا يؤثر والكلام يؤثر على كل حال وان لم يكن خطا فانه يسود العرض
ويلوثه فى نظر من لا يعرفه وقوله وباطل ذلك يبور والله سميع وشهيد يجرى مجرى التهديد وتحقير ثمرة ذلك
القول الكاذب الذى لا يبقى من مال او جاه او نحوهما بالنسبة الى عظم عقوبته وعظيم الباقى فان ثمرة مثلها
مثلها الغضب المستلزم لعقوبته وقوله اما انه ليس بين الحق والباطل الا مقدار اربع اصابع وتفسيره الفعل الذى
وتفسيره ذلك الفعل هو قوله الباطل ان يقول سمعت والحق ان يقول رايت ثم هنا لطيفتان فالاولى ان قوله

الباطل ان يقول سمعت لا يستلزم الكلية حتى يكون كل ما سمعه باطلا فان الباطل والمسموع مهملتان الثانية ان الحق
ليس هو قوله سمعت بل القول المسموع له وانما قوله رايت وسمعت اخبار عن وصول المرئى والمسموع الى بصره وسمعه فاقام
هذين مقام المخبر عنهما مجازا وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام وليس لواضع المعروف فى غير حقه وعند غير اهله
من الحظ فيما اتى الا محمدة اللئام وثناء الاشرار ومقالة الجهال ما دام منعما عليهم ما اجود يده وهو عن ذات الله بخيل
فمن آتاه الله مالا فليصل به القرابة وليحسن منه الضيافة وليفك به الاسير والعانى وليعط منه الفقير والغارم وليصبر نفسه
على الحقوق والنوايب ابتغاء الثواب فان فوزا بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا ودرك فضايل الآخرة ان شاء الله
اقول لما كان لواضع المعروف سواء كان فى اهله او غير اهله ثناء من الناس ومدح له بالكرم والبذل كان مما يميزه وضعه
فى غير اهله عن وضعه فى اهله ان الاول انما يحصل به لواضعه حمد من لئام الناس اى اراذلهم الاسول والسفهاء والاشرار
والجهال لعدم معرفتهم بوضع الاشياء فى مواضعها التى هى مقتضى العقل الذى به تنتظم امور الدنيا وقوام نوع الانسان
فى الوجود مع انه فى الحقيقة وعند اولى الالباب العارفين بمواقع المعروف بخيل بجنب الله تعالى واما الثانى فيحصل
له المحمدة من الكل فى الدنيا محمدة مطابقة للحق مع الثواب الجزيل فى الاخرى والى الاول اشار بقوله فليس لواضع
المعروف الى قوله وهو عن ذات الله بخيل وقوله ما اجود يده متعلق بمقالة اى ذلك هو الامر الذى يقولونه ما دام منعما
عليهم وانما قيده بهذا القيد لان الجاهل قد يعتقد ان ما يسديه اليه حق له فيذم دوامه بدوام ذلك الانعام لكن
ينقطع بانقطاعه واما الجاهل الشرير فكثيرا ما يعتقد انه انما يسدى اليه لشره وخوف اذاه فربما شكر المنعم ما دام
منعما حتى اذا انقطع انعامه حول شره من شكره استجلابا لذلك الانعام المنقطع واستعادة له واما الثانى فنبه
اولا على موضع المعروف وامر بوضعه فيها وذكر منها خمسة الاول صلة الرحم الثانى حسن الضيافة الثالث فك الاسير
وهو العانى وانما اختلف اللفظ الرابع اعطاء الفقير والغارم وهو المديون الخامس الحقوق الواجبة على اهلها
كالزكوات والمستحبة كالصدقات واشار بالنوايب الى ما يلحق الانسان من الصادرات والغرامات التى يفك بها الانسان
من ايدى الظالمين والمتغلبين والانفاق فى ذلك من الحقوق الواجبة على الانسان والفضايل الحسنة الخلقية وفضيلة
الكرم والاشارة الى ذلك بقوله فمن آتاه الله الى قوله ابتغاء الثواب ونبه بهذه الغاية على المفعول له على ان الانفاق
فى هذه الوجوه انما يكون وضعا للمعروف موضعه اذا قصد به وجه الله تعالى فاما اذا قصد به الرياء والسمعة فهو وان عد
فى ظاهر الشريعة مجزيا الا انه غير مجز ولا مقبول فى باطنها ثم اشار بقوله فان فوزا بهذه الخصال الى آخره الى ما
يميزه وضع المعروف فى اهله وهو شرف مكارم الدنيا من الذكر الجميل بين الناس والجاه العريض ودرك فضايل
الآخرة وهى درجات الثواب الجزيل الموعود لاولى الفضايل النفسانية وانما نكر الفوز لان تنكيره يفيد نوع
الفوز فقط الذى يحصل باى شخص كان من اشخاصه هذا وان كان حاصلا مع الالف واللام لتعريف تلك الطبيعة
الا ان ذلك التعريف مشترك بين التعريف للطبيعة والمعهود الشخصى فكان موهما للفوز الشخصى ولذلك كان لاتيانه
به منكرا افصح وابلغ وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام فى الاستسقاء الا وان الارض التى تقلكم والسماء

التى تظلكم مطيعتان لربكم وما اصبحتا تجودان لكم ببركتهما توجعا لكم ولا زلفة اليكم ولا لخير ترجوانه منكم ولكن
امرتا بمنافعكم فاطاعتا واقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا ان الله يبتلى عباده عند الاعمال السيئة بنقص الثمرات
وحبس البركات واغلاق خزاين الخيرات ليتوب تائب ويقلع مقلع ويتذكر متذكر ويزدجر مزدجر وقد جعل الله
سبحانه الاستغفار سببا لدرور الرزق ورحمة الخلق فقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا
ويمددكم باموال وبنين فرحم الله امرأ استقبل توبته واستقال خطيئته وبادر منيته اللهم انا خرجنا اليك من
تحت الاستار والاكنان وبعد عجيج البهايم والولدان راغبين فى رحمتك وراجين فضل نعمتك وخائفين من عذابك
ونقمتك اللهم فاسقنا غيثك ولا تجعلنا من القانطين ولا تهلكنا بالسنين ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا
يا ارحم الراحمين اللهم انا خرجنا اليك نشكو اليك ما لا يخفى عليك حين الجاتنا المضايق الوعرة واجاءتنا المقاحط المجدبة
واعيتنا المطالب المتعسرة وتلاحمت علينا الفتن المستصعبة اللهم انا نسالك ان لا تردنا خائبين ولا تقلبنا واجمين
ولا تخاطبنا بذنوبنا ولا تقايسنا باعمالنا اللهم انشر علينا غيثك وبركتك ورزقك ورحمتك واسقنا سقيا نافعة
مروية معشبة تنبت بها ما قد فات وتحيى بها ما قد مات نافعة الحيا كثيرة المجتنى تروى بها القيعان وتسيل البطنان
وتستورق الاشجار وترخص الاسعار انك على ما تشاء قدير اقول اقلع عن خطيئته اى رجع عنها والمثاب
المواثب والزلفة القربى والمنزلة والواجم الذى اشتد حزنه حتى امسك عن الكلام والناقعة المروية والقيعان جمع
قاع وهو المستوى من الارض والبطنان جمع البطن وهو ما انخفض من الارض واعلم انا بينا فيما سبق ان
الجود الالهى لا بخل فيه ولا منع من جهته وانما يكون منع الكمالات فى هذه الحياة لعدم الاستعدادات لها فكل
لا من ملاق له وفايض عليه اذا عرفت ذلك فاعلم انه عليه السلام قصد بهذا الفصل تنبيه العباد على وجوب الاستعداد
لرحمة الله التى ارتفعت عنهم بحبس المطر وذلك فى قوله الا وان الارض الى قوله وبادر منيته فنبههم اولا فى ذلك القصد
على ان الارض التى هى كالام للنبات والزرع والسماء التى هى كالاب مطيعتان لربهم واشار بالسماء الى السحاب والى
السموات لكونهما بحركاتها اسبابا معدة لكل ما فى هذا العالم من الحوادث واشار بطاعتهما الى دخولهما تحت حكم
القدرة الالهية واشار بقوله وما اصبحتا الى قوله ترجوانه منكم الى الطيفة وهى الحوادث الحادثة فى هذا العالم من الحيوانات
ليست مقصودة بالذات لهما فيكون ذلك منهما لاجل توسع للناس ولاجل قرابة ومنزلة بينهم وبينها ولا لخير ترجوانه
منهم كما هو المتعارف من منافع الناس بعضهم لبعض لان السموات والارض غنية عنا لكن لما كانت السموات متحركة دائما
طلبا لكمالاتها اللايقة بها من واهبها جل وعلا ومسخرة باموره عن هذه الحركات والاتصالات اعدادا للارض لقبول
النبات والزرع ووجود الحيوانات التى هى ارزاق لها وبها قوام وجودها فكانت مصالح هذه الحيوانات ادنى منوطة
بتلك الحركات وجارية على وفقها باذن المدبر الحكيم سبحانه والى ذلك اشار بقوله ولكن الى قوله فقامتا وغرض
ما سبق الى ههنا ان يعرف النفوس عظمة الله سبحانه وان الارزاق واسبابها مسخرة لديه منه حتى تتوجه النفوس
اليه بالاقلاع عن الذنوب التى هى حجب لها عن فاضت الرحمة عليها منه ثم بين بعد ان الله سبحانه انما يفعل ما يفعل

من نقص الثمرات وحبس البركات واغلاق خزائن الخيرات عن الخلق عند اعمالهم السيئة ابتلاء لهم كقوله تعالى ولنبلونكم
بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين وقد علمت معنى ابتلائه لهم ثم بين ان
غاية العناية الالهية من ذلك الابتلاء رفع حجب النفوس التي هي الذنوب والمعاصي واستعدادها بذلك لقبول
رحمة الله بالتوبة والاقلاع منها والازدجار عنها والتذكر للمبدأ لاجل عظمته وما اعد لاوليائه الابرار
في دار القرار ولاعدائه الاشرار في دار البوار ثم بين لهم ان الله سبحانه جعل الاستغفار سببا لدرور الرزق
والرحمة ولما كان الاستغفار هو طلب غفر الذنوب اي سترها على العبد ان يفتضح بها وذلك انما يكون بمحوها من
لوح نفسه لاجرم كان المستغفر المخلص ماحيا الخطيئة باستغفاره عن لوح نفسه وبذلك يكمل استعداده لافاضة
رحمة الله عليه في الدنيا بانزال البركات وفي الاخرة برفع الدرجات والى ذلك الاشارة بالشاهد العدل قوله تعالى
فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الاية وقوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا و
اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض الاية وقوله ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم
لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقوله وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا ثم دعا لمن استقبل
توبته وشرع في الاستعداد بها ولمن استقال خطيئته اي طلب الاقالة من الزام عقابها او ثمرتها وهو العقاب
عليها والمواخذة بها ولمن واثب منيته وعاجلها قبل ادراكها له بالتوبة كل ذلك تنبيه على الاستعداد وطلب له
منهم اذ كان لا يتم المطلوب بدونه ولفظ الاقالة استعارة ووجهها ان المخطئ كالمعاهد والملتزم لعقاب اخروي
بلذة عاجلة لما علم من استلزام تلك اللذة المنهي عنها للعقاب فهو يطلب الاقالة من هذه المعاهدة كطلب الذي
الاقالة من البيع وقوله اللهم الى اخره لما قدم الامر بالاستعداد لرحمة الله رجع الى استنزالها عليهم فقدم في الدعاء
ما عادته ان يقدم بين يدي الملوك من الكلام المرقق للطباع والموجب للعطف والرحمة فذكر الخروج تحت الاستار
والاكنان التي ليس من شانها ان يفارقها الا لضرورة شديدة وكذلك عجيج البهائم والولدان واصواتها المرتفعة
بالبكاء وذكر الغاية من ذلك وهي الرغبة في رحمته والرجاء لفضل نعمته والخوف من عذابه ونقمته وهذه هي جهات
الشاكي البشرية ثم سال بعد ذلك المطالب وهي السقيا وعدم الياس المبعد للرحمة وعدم الهلاك بالجدب و
ان لا يؤاخذهم بافعال السفهاء من المعاصي المبعدة عن رحمته كقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام اتهلكنا بما
فعل السفهاء منا ثم عاد الى تكرير شكوى الجدب بذكر اسبابها الحاملة عليها ليكون اقوم للعذر والقاحط الماكن
القحط او سني القحط وظاهر كون الجوع والعري وسائر السيئات عن القحط فتنة اي صارفة للقلوب عما يراد بها من
الطلب [illegible] وقوله ولا تخاطبنا بذنوبنا اي لا تجعل جوابنا الاحتجاج علينا بذنوبنا ولا تقايسنا باعمالنا
اي لا تجعل معاملتك لنا مقايسة لاعمالنا السيئة مثلها ثم عاد الى الطلب منجحا له بما ينبغي على الوجه الذي
الى اخره وهو ظاهر وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** بعث رسله بما خصهم به من وحيه وجعلهم حجة له
على خلقه لئلا تجب الحجة لهم بترك الاعذار اليهم فدعاهم بلسان الصدق الى سبيل الحق الا ان الله تعالى كشف

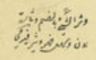
الخلق

الخلق كشفة لا انه جهل ما اخفوه من مصون اسرارهم ومكنون ضمائرهم ولكن ليبلوهم ايهم احسن عملا فيكون الثواب
جزاء والعقاب بواء اين الذين زعموا انهم الراسخون في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا ان رفعنا الله ووضعهم واعطانا
وحرمهم وادخلنا واخرجهم بنا يستعطى الهدى وبنا يستجلى العمى ان الائمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم
لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم **اقول** هذا الفصل منافرة بينه وبين جمع من الصحابة الذين كانوا
ينازعونه الفضل والبواء الكفو فقوله بعث رسله الى قوله سبيل الحق كقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولسان الصدق هو لسان الشريعة الناطقة عن مصباح النبوة المشتعل عن نور
الحق سبحانه وسبيل الحق هو الطريق الموصلة اليه تعالى التي تطابقت على الهداية اليها السنة الرسل والاولياء وقدم
الفصل بذلك لاشتماله على فضيلة الانبياء كالتنبيه على فضيلة نبيه وقوله الا ان الله الى قوله بواء كلام يجري مجرى
التهديد لمن نافق باطلاع الله على اسرارهم وان ما كلفهم به انما هو ابتلاء منه لهم ايهم احسن عملا وقد عرفت معنى ابتلائه
لخلقه مرارا واراد بالكشفة الاختبار والابتلاء ايضا ثم عقب ذلك الاستفهام عن الذين زعموا انهم افضل منه وذلك
ان قوما من الصحابة كان منهم من يدعي الافضلية في فن من العلم فمنهم من كان يدعي انه افرض ومنهم من كان يدعي
انه اقرأ ومنهم من كان يدعي انه اعلم بالحلال والحرام ورووا افرضكم زيد بن ثابت واقرؤكم ابي وروى اقضاكم
علي وذلك الاستفهام على سبيل الانكار عليهم ولذلك اردفه بالتكذيب لهم فيما ادعوه من الافضلية ثم ان كان
ما رووه حقا مع ان القضاء يحتاج الى جميع ما ادعوه فضيلة لهم ثبت انه عليه السلام افضلهم لاجتماع ما تفرق فيهم من
الفضائل وان لم يكن حقا مع ان انوار فضائله مستطيرة في افاق الصدور فقد ظهر فضله عليهم وذلك وجه التكذيب
لهم ثم اشار الى العلة الحاملة لهم على الكذب فيما ادعوه وهو قوله ان رفعنا الله اي رفع درجاتنا في الدنيا و
الاخرة على الكافر ووضعهم دوننا وان وما بعدها نصب على المفعول له واعطانا اي الملك والنبوة وحرمهم
ذلك وكذلك ادخلنا بعنايته الخاصة بنا فيما اعطانا واخرجهم من ذلك وقوله بنا يستعطى الهدى وبنا يستجلى
العمى فاستعار لفظ العمى للجهل ورشح بذكر الاستجلاء ولما كانوا عليهم السلام المعدين لاذهان الخلق لقبول
انوار الله والمرشدين لنفوسهم الى سبيل الله لاجرم كان بهم يستعطى الهدى من الله اذ بواسطة اعدادهم يفاض
على النفوس هداها وبواسطة اعطائهم القوانين الشرعية الكلية والجزئية يستجلى الجهل من واهب ذلك
الجلاء وهو كناية عن الاستعداد ايضا وقوله ان الائمة من قريش الى اخره لفظ النص المشهور عن الرسول صلى الله
عليه واله الائمة من قريش وتخصيصه ذلك بهذا البطن من هاشم اما على مذهب الشيعة فهو نص يجب اتباعكم
لوجوب اتباع نص الرسول صلى الله عليه واله لاعتقادهم عصمته واما على مذهب الباقين من المسلمين فلوجوب الاتباع
ايضا لقوله عليه السلام انه مع الحق وان الحق معه يدور حيث دار ومراده بذلك البطن اما على مذهب الاثني عشرية
فنفسه مع الاحد عشر من ولده ونص كل منهم على من بعده مع كونهم معصومين واما على مذهب الباقين من الامامية
فكل منهم يحمل هذا الكلام على من اعتقد امامته لا تصلح على من سواهم اي لا يكون لها صلاح على غيرهم ولا تصلح

الولاة من غيرهم **منها** اثروا عاجلا واخروا اجلا وتركوا صافيا وشربوا اجنا كاني انظر الى فاسقهم وقد صحب المنكر فالفه وبسئ
به ووافقه حتى شابت عليه مفارقه وصبغت به خلائقه ثم اقبل مزبدا كالتيار لا يبالي ما غرق او كوقع النار في
الهشيم لا يحفل ما حرق اين العقول المستصبحة بمصابيح الهدى والابصار اللامحة الى منار التقوى اين القلوب
التي وهبت لله وعوقدت على طاعة الله ازدحموا على الحطام وتشاحوا على الحرام ورفع لهم علم الجنة والنار فصرفوا
عن الجنة وجوههم واقبلوا الى النار باعمالهم دعاهم ربهم فنفروا وولوا ودعاهم الشيطان فاستجابوا واقبلوا
اقول بسئ به الفه واستانس به واعلم ان ضمير الجمع في اثروا واخروا وما بعدها ضمائر مهملة يصدق اطلاقها على
الجماعة وان كان المعنى بها بعضهم وهذا الكلام يصدق على من تخلف من الناس الى زمانه ممن هو غير مرضي الحال
وان كان معدودا من الصحابة بالظاهر كالمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم ومعوية ونحوهم
من امراء بني امية ممن اثر عاجل الدنيا وثاروا عليه واخروا اجل ثواب الاخرى فنبذوه وراء ظهورهم وتركوا ما وعدوا
من تلك اللذات الصافية عن كدورات الدنيا والعلائق البدنية الى اللذات الوهمية الاجنة بشوب الاكدار
والامراض والتغير والزوال واستعار لفظ الاجن للذات الدنيا ملاحظة لتشبيهها بالماء الذي لا يسوغ
شربه لتغير طعمه ورشح بذكر الشرب وقوله كاني انظر الى فاسقهم يحتمل ان يريد فاسقا معينا كعبد الملك بن مروان
ويكون الضمير عائدا الى بني امية ومن تابعهم ويحتمل ان يريد مطلق الفاسق اي من يفسق من هؤلاء فيما بعد ويكون
بالصفات التي ذكرها من صحبة المنكر والفه له وموافقته لطبعه الى غاية عمره وكنى عن تلك الغاية بشيب المفارق
وصبغت له خلائقه اي صار المنكر ملكة له وخلقا واستعار له لفظ الازباد تشبيها له بالبحر الطامي ووجه الشبه
كونه عند غضبه لا يحفل بما يفعله في الناس من المنكرات كما لا يحفل البحر بمن غرق فيه وكذلك شبه حركته في المنكرات
والظلمات بوقع النار في الحطب ووجه الشبه كونه لا يبالي بتلك الحركات كما لا يبالي النار بما احرقت ثم اخذ
يسئل عن العقول المستكملة بانوار الله واستعار لفظ مصابيح الهدى اما للائمة الدين او لقوانينه الكلية
والاستصباح بها الاقتداء بها وعن الابصار اللامحة لمنار التقوى الناظرة الى اعلام التقوى واستعارة لفظ المنار
كاستعارة لفظ المصابيح ثم عن القلوب التي وهبها اهلها لله اي جعلوا همهم قبلة انوار كبريائه والتوجه الى
كعبة وجوب وجوده وعوقدت على طاعة الله اي اخذ الله عليهم العهد بطاعته والمواظبة عليها ثم اخذ
الى ذم السابقين ووبخهم بازدحامهم على حطام الدنيا واستعار لفظ الحطام لمقتنيات الدنيا ووجه الاستعارة
سرعة فنائها وفسادها كما يسرع فساد النبت اليابس وتكسره وبتشاحهم على الحرام اي كل واحد يشاح صاحبه
على الحرام ويبخل به عليه فاستعار علم الجنة الى قانون الشريعة القائد الى الجنة وعلم النار الى الوساوس المزينة
لقنيات الدنيا والعلم الاول بيد الدعاة الى الله وهم الرسول صلى الله عليه واله ومن بعده من اولياء الله من اهل
بيته والتابعين لهم باحسان والعلم الثاني بيد ابليس وجنوده من شياطين الانس والجن الداعين الى اتباعهم
ثم ذمهم بصرفهم وجوههم عن الجنة واقبالهم باعمالهم الى النار حين رفع العلمين من قبل الدعاة وانما قال واقبلوا

باعمالهم

باعمالهم ولم يقل بوجوههم كما قال صرفوا وجوههم لان اقبالهم بوجوه نفوسهم على لذات الدنيا وقنياتها يستلزم
صرفها عن الاعمال الموصلة الى الجنة وذلك يستلزم اعراضها عن الجنة ثم لما كانت الغاية التي يطلبها الانسان من
الدنيا هو الحصول على لذاتها وكانت النار لازمة للاعمال الموصلة الى تلك الغاية لزوما عرضيا لم تكن النار
غاية ذاتية قد اقبلوا بوجوههم عليها بل كان اقبالهم عليها باعمالهم اذ كانت هي المستلزمة لها ثم ذكر معرض الذم
لهم عن غفلتهم لدعاء ربهم لهم بالنفار عنه ولدعاء الشيطان لهم باستجابتهم لدعوته واقبالهم اليه في قوله دعاهم
الى اخره فصار الرافع لعلم الجنة هو الله بايدي خلفائه والرافع لعلم النار هو الشيطان بايدي اوليائه وبالله التوفيق
ومن خطبة له عليه السلام ايها الناس انما انتم في هذه الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا مع كل جرعة شرق وفي كل اكلة
غصص لا تنالون منها نعمة الا بفراق اخرى ولا يعمر معمر منكم يوما من عمره الا بهدم اخر من اجله ولا تجدد له زيادة في اكله
الا بنفاد ما قبلها من رزقه ولا يحيى له اثر الا مات له اثر ولا يتجدد له جديد الا بعد ان يخلق له جديد ولا تقوم له
نابتة الا وتسقط منه محصودة وقد مضت اصول نحن فروعها فما بقاء فرع بعد ذهاب اصله **اقول** الغرض الهدف ومدار
هذا الفصل ذم الدنيا وتقبيحها بذكر معايبها لتحقير الرغبات فيها وتصرف الى ما وراءها من الامور الباقية فاستعار
لهم لفظ الغرض ووجه الاستعارة كونهم مقصودين بسهام المنية من سائر الامراض والاعراض كما يقصد الغرض
بالسهام واسند الانتضال الى المنايا مجازا لان القاصد لهم بالامراض هو فاعلها بهم فكان المجاز هنا في الافراد
والتركيب ثم كنى بالجرعة والاكلة عن لذات الدنيا وبالشرق والغصص عما في كل منها من شوائب الكدورات اللازمة
لها طبعا من الامراض والمخاوف وسائر المنغصات لها وقوله لا تنالون منها نعمة الا بفراق اخرى فيه لطف وهو تنبيه
على ان كل نوع من نعمة فانما يتجدد شخص منها ويلتذ به بعد مفارقة مثله كلذة اللقمة مثلا فانها تستدعي فوت اللذة
بالتي السابقة وكذلك لذة ملبوس شخصي ومركوب شخصي وسائر ما يعد نعما دنيوية ملتذا بها فانها انما تحصل
بعد مفارقة ما سبق من امثالها بل واعم من ذلك فان الانسان لا يتهيا له الجمع بين الملاذ الجسمانية في وقت واحد بل
ولا اثنين منها فانه حال ما يكون اكلا لا يكون مجامعا او حال ما هو في لذة الاكل لا يلتذ بشرب ولا حال ما يكون
خاليا على فراشه الوثير يكون راكبا للنزهة ونحو ذلك وبالجملة لا يكون مشغولا بنوع من الملاذ الجسمانية الا وهو تارك
لغيره وما استلزم مفارقة نعمة اخرى لا يعد في الحقيقة نعمة ملتذا بها وكذلك قوله لا يعمر معمر منكم الى قوله اجله
لان السرور بالبقاء الى يوم معين لا يحصل الا بعد نقصان ما قبله من الايام المحسوبة من عمره فاذا هدم من عمره يوم
فكونه لذة في الحقيقة يغاير مستلزمه للقرب من الموت وما استلزم القرب من الموت فلا لذة فيه عند الاعتبار وكذلك
قوله ولا تجدد له زيادة في اكله الا بنفاد ما قبلها من رزقه اي من رزقه المعلوم انه رزقه وهو ما وصل اليه وقد مثلا
فانه لو لم يصل جاز ان يكون رزقا لغيره وقد علمت ان الانسان لا ياكل لقمة حتى يفني ما قبلها فهو اذن لا يتجدد له زيادة
في اكلة الا بنفاد رزقه السابق وما استلزم نفاد الرزق لم يكن لذيذا في الحقيقة ودون اكلة ويحتمل ان يريد انه اذا
تجددت له جهة رزق فوجد فيها طالبا له كان ذلك الوجد مستلزما لانصرافه عن طلبها من الجهات وانقطاع رزقه



من جنسها او اللفظ مهمل بعيد ولو في بعض الناس ولا يجب الكلية وكذلك قوله ولا يحيى له اثر واراد بالاثر الذكر او الفعل
فان كل ما يعرف به الانسان في وقت ما من فعل محمود او مذموم او ذكر حسن او قبيح ويحيى له بين الناس يموت منه ما كان
معروفا به قبله من الآثار ويبقى وكذلك لا يجدد له جديد بمعنى زيادة بدنه ونقصانه او فالمراد لا يعيد ان يخلق له جديد
يخلق بدنه ومعاقبة شخوص شبابه ومستقبله وقالوا لها وكذلك لا يقوم له ثابتة الا بعد ان يسقط منه محصود
واستعار لفظ النابتة لمن ينشأ من اولاده واقربائه ولفظ المحصود لمن يموت من آبائه واهله ولذلك قال وقد
اصول بعين الآباء نحن فروعها ثم استفهم على سبيل التعجب عن بقاء الفرع بعد ذهاب اصله وقد صرح ابو العتاهية بهذا
المعنى حيث قال كل حياة الى مماة وكل ذي جدة يحول كيف بقاء الفرع يوما وقد ذوت قبله الاصول منها وما احدث
بدعة الا ترك بها سنة فاتقوا البدع والزموا المهيع ان عوازم الامور افضلها وان محدثاتها شرارها اقول المهيع الطريق
الواسع والعوازم جمع عوزم وهي العجوز المسنة والمراد بالبدعة كل ما احدث مما لم يكن على عهد الرسول صلى الله عليه وآله
وقد اشتمل هذا الفصل على تحذير ترك البدعة وبيان استلزام احداث المبدعة لترك السنة ان عدم احداث البدع سنة
لقوله عليه السلام كل بدعة حرام فكان احداثها مستلزما لترك تلك السنة ثم على لزوم التقوى البدع اي خشية هو اقبها
ثم بلزوم الطريق الواضح وهي سبيل الله وشريعته واراد بعوازم الامور ما قدم منها وهو ما كان عليه عهد النبوة وما
جاز فيها وهي المقطوع بها دون المحدثات منها التي هي محل الشبهة والشك ورجح الاول المقابلة بمحدثاتها وجهة وصفها
بكونها شرارا كونها محل الشبهة خارجة عن قانون الشريعة فكانت مستلزمة للهرج والمرج وانواع الشرور وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلام وقد استشاره عمر بن الخطاب عليه اللعنة في الشخوص لقتال الفرس بنفسه ان هذا الامر لم يكن
نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلة وهو دين الله الذي اظهره وجنده الذي اعده وامده حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع ونحن
على موعود من الله والله منجز وعده وناصر جنده ومكان القيم بالامر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه فان انقطع
النظام تفرق وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره ابدا والعرب اليوم وان كانوا قليلا فهم كثيرون بالاسلام عزيزون بالاجتماع
فكن قطبا واستدر الرحى بالعرب واصلهم دونك نار الحرب فانك ان شخصت من هذه الارض انتقضت عليك العرب من اطرافها
واقطارها حتى يكون ما تدع وراءك من العورات اهم اليك مما بين يديك ان الاعاجم ان ينظروا اليك غدا يقولوا هذا
اصل العرب فاذا اقتطعتموه استرحتم فيكون ذلك اشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك فاما ما ذكرت من مسير القوم الى
قتال المسلمين فان الله سبحانه هو اكره لمسيرهم منك وهو اقدر على تغيير ما يكره واما ما ذكرت من عددهم فانا لم نكن نقاتل
فيما مضى بالكثرة وانما كنا نقاتل بالنصر والمعونة اقول اختلف الناقلون لهذا الكلام في الوقت الذي قاله فيه فقيل
انه قاله في غزاة القادسية وهو المنقول عن المدائني في كتاب الفتوح وقيل في غزاة نهاوند وهو نقل محمد بن جرير الطبري
واما وقعة القادسية فكانت سنة اربع عشرة للهجرة استشار عمر المسلمين في خروجه فيها بنفسه فاشار عليه السلام بالرأي
المسطور فاخذ عمر ورجع عن عزم المسير بنفسه وامر سعد بن ابي وقاص على المسلمين وروي في تلك الواقعة ان رستم
امير العسكر من قبل يزدجرد اقام ويدا من الرجال الواحد منهم الى جانب الآخر من القادسية الى المداين كلما تكلم رستم

بكلمة اداها بعضهم الى بعض حتى يصل السمع يزدجرد وقصص الواقعة مشهورة في التواريخ واما وقعة نهاوند فانه لما اراد الاعاجم
ان يغزوا العجم وجيوش كسرى قد اجتمعت بها وقد استشار اصحابه فاشار عثمان عليه ان يخرج بنفسه بعد ان يكتب الى جميع
المسلمين من اهل الشام واليمن والحرمين والكوفة والبصرة ويامرهم بالخروج واشار علي عليه السلام بالرأي المذكور وقال
اما بعد فان هذا الامر لم يكن نصره ولا خذلانه العمل فقال عمر اجل هذا الرأي وقد كنت احب ان اتابع عليه فاشيروا
على برجل اوليه ذلك الثغر فقالوا انت افضل رأيا فقال اشيروا علي به واجعلوه عراقيا فقالوا انت اعلم باهل العراق
وقد وفدوا عليك فرأيتهم وكلمتهم فقال اما والله لاولين امرهم رجلا يكون غدا اول الاسنة قيل ومن هو فقال النعمان
بن مقرن فقالوا هو لها وكان النعمان يومئذ بالبصرة فكتب اليه عمر فولاه امر الجيش والمرجع الى المتن فقوله عدا فزع اي ثابت
وقوله ان هذا الامر الى قوله للاجتماع صدر هذا الكلام اورده ليبني عليه الرأي فقرر هنا اولا ان هذا الامر اي امر
الاسلام ليس نصره بكثرة ولا خذلانه بقلة ونبه على صدق هذه الدعوى بانه دين الله الذي اظهره وجنوده هي جنده الذي
اعده وامده بالملائكة والناس حتى بلغ هذا المبلغ وطلع في آفاق البلاد حيث طلع ثم وعدنا بموعوده هو النصر والغلبة
والاستخلاف في الارض كما قال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين
من قبلهم الآية وكل وعد من الله فهو منجز لعدم الخلف في خبره وقوله وناصر جنده يجري مجرى النتيجة لوعده بنصر
جنده وجنده هم المؤمنون فالمؤمنون منصورون على كل حال سواء كانوا قليلين او كثيرين ثم شبه مكان القيم بالامر
بمكان الخيط من العقد ووجه التشبيه هو قوله يجمعه ويضمه الى قوله ابدا وقوله لم يجتمع بحذافيره ابدا وذلك انهم عند
فساد نظامهم بقتل الامام مثلا يقع بهم طمع العدو وظفره فيكون ذلك سببا لشتاتهم ثم قرر دفع عذر الشبهة في عدم الحاجة
الى اجتماع كل العرب في هذه الواقعة وذلك لكثرتهم بالاسلام واستقبال الدولة وعزهم باجتماع القلوب الذي هو خير
من كثرة القوة والغلبة مجازا اطلاقا لاسم مظنة الشيء على الشيء وقوله فكن قطبا شروع في الرأي الخاص بعمر واشار
عليه ان يجعل نفسه مرجعا للعرب تؤول اليه وتدور عليه واستعار له لفظ الرحى ورشح بالاستدارة وكنى بذلك عن جعل
العرب دونه وحيطة له ولذلك قال واصلهم دونك نار الحرب لانهم ان سلموا وغنموا فذلك الذي ينبغي وان
انكسروا كان هو مرجعا لهم وسندا يقوي ظهورهم بخلاف شخوصه معهم فانهم ان ظفروا فذاك وان انكسروا لم يكن لهم
ظهر يلجأون اليه كما سبق بيانه وقوله فانك ان شخصت الى قوله فيك بيان المفسدة في خروجه بنفسه من وجهين احدهما ان
الاسلام كان في ذلك الوقت غضا وقلوب كثير من العرب ممن اسلم غير مستقرة بعد فاذا انضاف الى من لم يسلم منهم
وعلموا خروجه وتركه للبلاد كثر طمعهم وخافت فتنتهم على الحرمين وبلاد الاسلام فيكون ما تركه وراءه اهم عنده مما يقابله
ويطلبه ويلتقي عليه لعدوان من الاعداء الثاني ان الاعاجم اذا خرج اليهم بنفسه طمعوا فيه وقالوا المقالة فكان
خروجه محرجا لهم على القتال وهم اشد عليه كلبا واقوى فيه طمعا وقوله فاما ما ذكرت من مسير القوم الى آخره فهو انه
قال له ان هؤلاء الفرس قد قصدوا المسير الى المسلمين وقصدهم اياهم دليل قوتهم وانا اكره ان يغزونا قبل ان نغزوهم
فاجابه بانك ان كرهت ذلك فان الله تعالى اشد كراهية واقدر منك على التغيير والازالة وهذا الجواب يدور على

حرف وهوان مسيرهم الى المسلمين وان كان مفسدة الآن لكنه لهم بنفسه مفسدة اكبر واذا كان كذلك فينبغي ان
ان يدفع المفسدة العظمى ويكل دفع المفسدة الاخرى الى الله تعالى فانه كاره لها ومع كراهيته لها فهو اقدر على ازالتها
وقوله واما ما ذكرت من عددهم الى آخره فهو ان عمر ذكر كثرة القوم وعددهم فاجابه عليه السلام بتذكير قتال المسلمين في
صدر الاسلام فانه كان من غير كثرة وانما كان بنصرة الله ومعونته فينبغي ان يكون الحال الآن كذلك وهو يجري مجرى التمثيل
كما اشرنا اليه في المشورة الاولى وبوعد الله تعالى المسلمين بالاستخلاف في الارض وتمكين دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من
بعد خوفهم امنا كما هو مقتضى الآية ومن خطبة له عليه السلام فبعث محمدا صلى الله عليه وآله بالحق ليخرج عباده من عبادة الاوثان
الى عبادته ومن طاعة الشيطان الى طاعته بقرآن قد بينه واحكمه ليعلم العباد ربهم اذ جهلوه وليقروا به بعد اذ جحدوه وليثبتوه
بعد اذ انكروه فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير ان يكونوا رأوه بما اراهم من قدرته وخوفهم من سطوته وكيف محق من محق
بالمثلات واحتصد من احتصد بالنقمات وانه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء اخفى من الحق ولا اظهر من الباطل
ولا اكثر من الكذب على الله ورسوله وليس عند اهل ذلك الزمان سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته ولا انفق
منه اذا حرف عن مواضعه ولا في البلاد شيء انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر فقد نبذ الكتاب حملته وتناساه حفظته
فالكتاب يومئذ واهله منفيان طريدان وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤو فالكتاب واهله
في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم ومعهم وليسا معهم لان الضلالة لا توافق الهدى وان اجتمعا فاجتمع القوم
على الفرقة وافترقوا عن الجماعة كانهم ائمة الكتاب وليس الكتاب امامهم فلم يبق عندهم منه الا اسمه ولا يعرفون الا
خطه وزبره ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كل مثلة وسموا صدقهم على الله فرية وجعلوا في الحسنة عقوبة السيئة وانما
هلك من كان قبلكم بطول آمالهم وتغيب آجالهم حتى نزل بهم الموعود الذي ترد عنه المعذرة وترفع عنه التوبة وتحل
معه القارعة ايها الناس انه من استنصح الله وفق ومن اتخذ قوله دليلا هدي للتي هي اقوم وان جار الله آمن وعدوه خائف
وانه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله ان يتعظم فان رفعة الذين يعلمون ما عظمته ان يتواضعوا له وسلامة الذين يعلمون ما
قدرته ان يستسلموا له فلا تنفروا من الحق نفار الصحيح من الاجرب والباري من ذي السقم واعلموا انكم لن تعرفوا الرشد
حتى تعرفوا الذي تركه ولن تاخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه فالتمسوا
ذلك من عند اهله فانهم عيش العلم وموت الجهل الذي يخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم وظاهرهم عن باطنهم
لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق اقول الاوثان الاصنام وزبره كتبه
ومثلوا بفتح الميم والثاء اي نكلوا والاسم المثلة بضم الميم وسكون الثاء والقارعة الشديدة من شدايد الدهر ومدار
هذا الفصل على بيان بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وبيان غاية البعثة والسبب المعد للوصول الى تلك الغاية ثم بيان
غاية تلك الغاية فالاشارة الى البعثة بقوله فبعث الى قوله بالحق واشار الى غايتها بقوله ليخرج الى قوله الى طاعته وقد
علمت ان طاعته بسلوك الصراط المستقيم في الدنيا وهو اتباع الدين القيم والعدول عن طاعة الشيطان التي هي
بالخروج الى احد طرفي الافراط والتفريط فاشار الى سبب تلك الغاية بقوله بقرآن قد بينه واحكمه وقد علمت انها

القرآن الكريم على الجواذب الالهية الى طاعة الله وسلوك صراطه المستقيم واشار الى غاية تلك الغاية اعني غاية طاعة
الله بقوله ليعلم العباد الى قوله انكروه وهي مسئلتان من امهات العلم الالهي فالاولى معرفتهم له بعد جهلهم به والثانية
الاقرار به بعد جحدهم له واثباتهم له بعد انكارهم اياه والمعنى واحد وان اختلفت العبارتان وهو التصديق بوجوده
الا ان يحمل الاقرار على الاقرار باللسان والجحد به ويحمل الاثبات والانكار على اثباته بالقلب بعد الانكار به وقوله فتجلى
المعنيان واشار بتجليه سبحانه في كتابه الى ظهوره لهم في تذكيرهم فيه بما اراهم من عجايب مصنوعاته وبما خوفهم من
وعيده وبتذكيرهم انه كيف محق من محق من القرون الماضية بالعقوبات واحتصد من احتصد منهم بالنقمات كل ذلك
الظهور والجلاء من غير ان يروه لتنزيهه تعالى عن ادراك الحواس وقال بعض الفضلاء يحتمل ان يريد بتجليه في كتابه ظهوره
في عجايب مصنوعاته ومكنوناته ويكون لفظ الكتاب استعارة في العالم ووجه المشابهة كونه محلا قابلا لآثار الصنع
المختلفة وعجايب الصور المنقوشة فيه كما ان الكتاب محل لنقش الحروف كل ذلك من غير رؤية بحاسة البصر له
لتعاليه وتقدسه عن ذلك وقوله سياتي الى قوله المنكر اخبار عن زمان ياتي بعده بالصفات المذكورة وقد نبه
ورايه قرون قبلنا فاخفائية الحق وظهور الباطل عليه امر ظاهر وكون الحق لا شيء اخفى منه والباطل لا شيء اظهر
منه على سبيل المبالغة وكذلك لا اكثر من الكذب على الله وعلى رسوله روي عن شعبة وكان امام المحدثين
انه قال تسعة اعشار الحديث كذب وعن الدارقطني ما الحديث الصحيح الا كالشعرة البيضاء في الثور الاسود وقوله
وليس عند اهله الى آخره قد مر تفسيره في الفصل الذي يذم من يتصدى للحكم بين الامة وليس له باهل ونبذ حملة
الكتاب له اعراض قراءته عن تدبر ما فيه والعمل به وتناسي حفظته ايضا تغافلهم عن اوامره ونواهيه وتغافلهم عن
اتباعها وقوله فالكتاب الى قوله وان اجتمعا فاهل الكتاب الملازمون للعمل به وحيث كان اهل ذلك الزمان اشار
اليه غير ملتفتين الى الكتاب كانوا ايضا غير ملتفتين الى اهله ومن يعول به لا يؤوونهم فيما يخالفونهم فيه مما
يقتضيه احكام الكتاب ويوجبه اتباعه فكان اعراضهم عنهم ابعادا لهم ونفيا وطردا والطريق الذي اصطحب فيه الكتاب
واهله هو طريق الله الواحد وصدق اذن لا يؤويهما مؤو من اهل ذلك الزمان اللهم الا اذا وافقا غرضه لكون ذلك
ليس للكتاب وللعامل به بل لموافقتهما الغرض وكونهما في الناس اي بوجودهما وكونهما ليسا فيهم لعدم اتباعهما
والعاملين بهما فاشبها ما ليس بموجود ولان فائدة الموجود ان ينتفع به وكذلك معهم بالمصاحبة الاتفاقية في
وليسا معهم لان ضلالتهم لا تجامع هدى الكتاب واهله فكانا متضادين لهم وان اجتمعا في الوجود وقوله فاجتمع القوم
على الفرقة اي اتفقوا على مفارقة الاجتماع وما عليه الجماعة اما في زمنه عليه السلام فكالخوارج والبغاة واما فيما
يستقبل من الزمان بعده فكالآخذين بالآراء والمذاهب المتفرقة المحدثة في الدين والاجتماع على الفرقة يلازم
الافتراق عن الجماعة وقوله كانهم ائمة الكتاب تشبيه لهم بالائمة في الجراءة على حمل الكتاب على ظواهره والاختلاف فيه
على حسب اغراضهم اذ شان الامام مع المأموم ذلك مع انه امامهم الذي يجب ان يتبعوه ويقتفوا اثره واذ قد القوه
ونبذوه وراء ظهورهم فلم يبق معهم من تمسكهم به الا اسمه وعلم خطه وزبره دون اتباع مقاصده وقوله ومن قبل

ماشلوا بالصالحين اشارة الى من زمن بنى امية الكاين قبل زمن من عبر عنهم وتمثيل بنى امية بالصالحين من الصحابة
والتابعين وحملهم لهم على المكروه ونسبتهم له الى الكذب على الله وجعلهم فى الحشية عقوبة السيئة ظاهر منهم وقد
لمن يأتى فى ذلك الزمان بالاوصاف المذكورة لاينافى وصف من قبلهم من بنى امية بمثل تلك الاوصاف وما مع
الفعل فى حكم المصدر ومحلها الرفع بالابتدا وخبرها من قبل وقوله وانما هلك الى اخره تنبيه على وجوب تقصير الامال
فى الدنيا لاستلزام طلبها الهلاك الاخروى واشار الى القرون الماضية من قبل واراد الهلاك الاخروى وجعل سبب
هلاكهم طول امالهم فى الدنيا الموجب للاستغراق فى لذاتها المبعد عن الله تعالى مع تغيب اجالهم عنهم اى غفلتهم
عنها وقلة فكرهم فيها وعدم علمهم بتعيينها فان استشعار الاجل موجب للاقلاع عن الانهماك فى اللذات الحاضرة
وتنغص لها وقوله حتى نزل بهم الموعود الى اخره ذكر غاية طول امالهم والموعود هو الموت وترد عنه المعذرة اى لاتقبل
فيه معذرة معتذر وترفع عنه التوبة اى تسد بابها حين نزوله كقوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات
حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الان الاية وتحل معه القارعة اى تنزل بمن نزل به الشدايد والاهوال و
العقوبات الاخروية ثم عاد الى الراى الصالح للسامعين فامرهم وحثهم على وجوب استنصاحه اى اتخاذه ناصحا
فى قبول اوامره ونواهيه واتخاذ قوله دليلا الى المطالب المهمة فان استنصاحه يستلزم التوفيق واتخاذه دليلا
يستلزم الهدى للتى هى اقوم اى للطريق التى هى اقوم الطرق ثم نبه على حسن جوار الله بالامن الذى هو غاية الجوار
وعلى قبح عداوته بذكر الخوف الذى هو غاية عداوة الملوك خصوصا جبار الجبابرة وملك الدنيا والاخرة واراد
بجواره القرب منه بالطاعة وبعداوته البعد عنه بالمعصية ومخالفة اوامره ولاشك فى كون الاول امانا من اهوال
الاخرة وفى كون الثانى فى محل الخوف والخطر وقوله وانه لاينبغى لمن عرف الى اخره ارشاد لهم الى التواضع لله ولمن
ارشد الى طريقه ونهى عن التكبر عليهم والنفار عن قبول الحق منهم وخاطب من يعرف عظمة الله لانحصار منفعة
ملاحظة لغيره ونسبتها الى جلال الله فهو اسرع الخلق الا واحقر فى نفسه ان يتكبر على الله ونبه على حسن التواضع
له بذكر عظمته ورفعه للعالمين بعظمته فانه لما كان هو العظيم المطلق وكل عظمة ورفعة لعظيم مستفادة من وجوده
والقرب منه وكانت العادة جارية من الملوك فى حق من يتواضع لهم ويوفيهم حقهم من الاجلال والاكرام وحسن
الانقياد ان يرفعوه ويعظموه فبالحرى ان يكون رفعة المتواضع للملك المطلق والعظيم المطلق لازمة عن التواضع
له وكذلك العادة جارية منهم بسلامة من استسلم لهم عن معرفة باقدارهم فبالحرى ان يكون سلامة المستسلم لله عن
العلم بجلية قدرته واستيلاء سلطانه لازمة عن استسلامه واداته بالتواضع لله ولاوليائه ثم نبههم الى قبول
الحق منهم وعدم النفار عنه اليه بنفار الصحيح من الاجرب والبارى من السقم ووجه الشبه هو شدة النفار ثم عاد
الى تنفيرهم عن ائمة الضلال وذلك بتنبيههم على انهم لن يعرفوا الرشد المعرفة التامة ولا اخذين بميثاق
الكتاب ولا متمسكين به الاخذ والتمسك التام ما لم يعرفوا اولئك الضالين وانما شرط معرفتهم الرشد بمعرفة
تاركه لان المعرفة التامة للرشد بل لكل شئ تستدعى معرفة ما عليها من الشكوك والشبهات التى هى سبب التشكيك

فيها وترك العمل على وفقها ولما كان الرشد وهو الحق الذى هو عليه هو وتابعوه وكان التارك لذلك هم مخالفوه
وخصومه فى الامر من ائمة الضلال لاجرم كان من تمام معرفة الحق فيه والرشد الذى يدعوا اليه معرفة خصومه وانهم
على شبهة اذا عرفها طالب الحق تمت معرفته بطريق الرشد فسلكها ونفر عمن نكب عنها وكذلك شرطه لاخذهم
بميثاق الكتاب والعمل بما فيه بمعرفتهم لمن نقضه من خصومه اى ان اخذهم بما يعمل به عليه السلام منه لايتم الا ان يعرفوا
شبهة ناقضه وهو العامل بخلاف حكمه عليه السلام على وفق الكتاب لشبهة حتى اذا اطلعوا على كيفية فسادها و
ضلاله بها اخذوا بميثاق الكتاب على بصيرة وعلموا انه ناقض له فنفروا عنه وكذلك شرط تمسكهم بالكتاب و
لزومهم لميثاقه بمعرفة نابذه وانما ذلك ليحصل النفرة عنه فيتم التمسك به ويتأكد لزومهم ميثاقه وغاية كل ذلك
التنفير عن ائمة الضلال بمعرفتهم ومعرفة ما هم عليه من الشبه والتبرى منهم ثم بعد ان نبه على تلك المعرفة امر
بالتماسها من عند اهلها والاشارة بهم الى نفسه واهل بيته عليهم السلام واستعار لهم وصفى عيش العلم اى حياته
وموت الجهل ووجه الاستعارة الاولى ان بهم يكون وجود العلم والانتفاع به كما يكون بحياة الشئ الانتفاع به
ووجه الثانية ان بهم يكون عدم الجهل وعدم التضرر به كما يكون بموت الشرير عدمه وعدم مضرته وقوله هم
الذين يخبركم حكمهم عن علمهم اى يدلكم منطقهم بالحكمة وسيرتهم على وفقها على كمال نفوسهم بالعلوم وصمتهم
عن منطقهم فان الصمت المنطبق اللسن ذى الحكمة العزيزة وقتا وهيبة ومحاله يكون قراين دالة على حسن نطقه
وعلمه بما يقول وكذلك ظاهرهم عن باطنهم وقوله لايخالفون الدين اشارة الى لزومهم لاوامر الله وطريق شريعته
ولا يختلفون فيه اشارة الى اتفاق ارائهم على احكامه عن كمال علومهم به فانه لما كان طريقا واحدا واتفقوا على معرفته
وجب ان لايختلفوا فيه ولايضل احدهم عن حكم من احكامه حتى يخالف صاحبه فيه وقوله فهو بينهم شاهد صادق
اى شاهد يستدلون به على الاحكام والوقايع النازلة بهم ويميزهم لايكذبه من حيث هو شاهد وصامت ناطق
لكونه حروفا واصواتا وانما ينطق بالسنتهم فهو بمنزلة الناطق واللفظان استعارة وجهها الافادة مع النطق به
وعدمها مع السكوت عنه كافادة الناطق وعدم افادة الصامت **ومن كلام له عليه السلام** فى ذكر اهل البصرة كل
واحد منهما يرجوا الامر له ويعطفه عليه دون صاحبه لايمتان الى الله بحبل ولايمدان اليه بسبب كل واحد منهما حامل
ضب لصاحبه وعما قليل يكشف قناعه به والله لئن اصابوا الذى يريدون لينتزعن هذا نفس هذا ولياتين هذا
على هذا قد قامت الفئة الباغية فاين المحتسبون وقد سنت لهم السنن وقدم لهم الخبر ولكل ضلة علة ولكل
ناكث شبهة والله لا اكون كمستمع اللدم يسمع الناعى ويحضر الباكى **اقول** مت اليه بكذا اى تقرب اليه به والضب
الحقد والغل والمحتسبون طالبوا الاجر والثواب واللدم ضرب الصدر باليد فعل الحزين والضمير فى منهما راجع الى
طلحة والزبير والامر امر الخلافة وذلك حين خرجا الى البصرة مع عايشة ويعطفه اى يجذبه الى نفسه ويزعم انه احق
به من صاحبه وقوله لايمتان الى قوله بسبب اى لاحجة لهما يعتذران الى الله تعالى بها فى قتالهما له عليه السلام وهلاك المسلمين
فيما بينهم وقوله كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه اى فى صدره غل عليه وعما قليل يظهره ويكشف واستعار

السلام م

لفظ القناع لظاهره الساتر لباطنه وذلك مثل يضرب لمن يأتى صاحبه ويظهر له الصداقة مع حسد وعداوة
له فى الباطن والعرب تضرب بالضب المثل فى العقوق فيقال اعق من ضب وذلك انه ربما ياكل حسوله ثم اقسم
لئن اصابوا بغيتهم لينتزعن هذا نفس هذا ولياتين عليه اى يسعى كل منهم فى قتل صاحبه وهذا مما لاشك فيه فان
العادة جارية بعدم قيام الامر برئيسين معا وسره ان الطباع البشرية متشاحة على الكمال ويتفاوت ذلك
التشاح بحسب تفاوت ذلك الكمال فى تصور قوته وضعفه ولاشئ فى نفوس طالبى الدنيا اعظم من الملك خصوصا
فى نفس من يعتقد انه يقدر على تحصيل الاخرة به ايضا فان تحصيل الدنيا والاخرة هى اكمل الكمالات المطلوبة
للانسان ولاشئ بعدهما وهذا المطلوب فى النفوس هو مشروع تحصيله بكل ممكن من قتل الولد والوالد ولا
ولذلك قيل الملك عقيم وقد نقل عن هذين الرجلين الاختلاف قبل اصابتهما بغيتهما وقبل وقوع الحرب
فاختلفا فى الاحق بالتقديم فى الصلوة فاقامت عايشة محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير يصلى هذا يوما وهذا
يوما الى ان ينقضى الحرب ثم ان عبد الله بن الزبير ادعى ان عثمان نص عليه بالخلافة يوم الدار واحتج على ذلك بانه استخلفه
له فى الصلوة واحتج تارة بنص صريح ادعاه وطلب طلحة ان يسلم الناس عليه بالامرة وادلى اليها بالتيمية وادلى الزبير
اليها باختها اسماء فامرت الناس ان يسلموا عليهما معا بالامرة واختلفا فى تولى القتال فطلبه كل واحد منهما اولا
ثم نكل عنه واحوالهم فى ذلك ظاهرة وقوله قد قامت الفئة الباغية اشارة اليهم وهم الناكثون الذين نقل
فيما سبق فيهم الخبر امرت ان اقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين وقوله فاين المحتسبون وقد سنت لهم
السنن اى اين طالبوا الثواب عن الله بعد وضوح الطريق وروى فاين المحسنون وقوله وقدم لهم الخبر اى خبر
الرسول صلى الله عليه وآله عن خروج فئة باغية وناكثة ومارقة فبالحرى ان يحذر هؤلاء ان يكونوا ممن اخبر عنهم و
قوله ولكل ضلة علة اى لكل خروج عن سبيل الله علة واشار الى علة خروج هذه الفرقة عن الدين وتلك العلة
هى البغى والحسد وكذلك لكل ناكث شبهة تغطى عين بصيرته عن النظر الى وجه الحق كطلبهم بدم عثمان وقوله والله
لا اكون الى اخره اقسم انه لايكون كذلك اى انه يعيد بسماع تلبية هؤلاء وجلبهم عليه فيتهددهم اياه لاينالهم
ويصبرهم حتى يوافقوا فيكون فى الغرور كمن يسمع الضرب والبكاء الذى هو مظنة الخطر ثم لايستعد ويجيء
لمشاهدة الحال ويحضر الباكى وقد كان الاولى به ان يكتفى بذلك السماع لظهور دلالته وياخذ فى الاستعداد
للعدو والحرب منه **ومن كلام له عليه السلام** قبل موته ايها الناس كل امرئ لاق ما يفر منه فى فراره والاجل مساق
النفس والهرب منه موافاته كم اطردت الايام ابحثها عن مكنون هذا الامر فابى الله الا اخفاءه هيهات علم مخزون اما وصيتى
فالله لاتشركوا به شيئا ومحمد فلا تضيعوا سنته اقيموا هذين العمودين واوقدوا هذين المصباحين وخلاكم ذم
ما لم تشردوا حمل كل امرئ منكم مجهوده عبرة لكم وغدا مفارقكم ان تثبت الوطأة فى هذه المزلة فذاك المراد
وان تدحض القدم فانا كنا فى افياء اغصان ومهاب رياح وتحت ظل غمام اضمحل فى الجو متلفقها وعفا فى
الارض مخطها وانما كنت جارا جاوركم بدنى اياما وستعقبون منى جثة خلاء ساكنة بعد حراك وصامتة

بعد نطوق ليعظكم هدوى وخفوت اطراقى وسكون اطرافى فانه اوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ والقول المسموع
وداعى لكم وداع امرئ مرصد للتلاقى غدا ترون ايامى ويكشف لكم عن سرائرى وتعرفوننى بعد خلو مكانى وقيام
غيرى مقامى **اقول** اطردت الايام صيرتها طريدة لى وشرد الجمل ذهب لوجهه ودحضت القدم زلقت واضمحل فنى والمخط
الاثر وهذا الفصل محل الوعظ والاعتبار فابتدا بالتنبيه على لحوق الموت للفار منه طبعا والحريص على
فراره فانه لما كان الانسان دايما فارا من الموت ومتوقيا له وكان لابد منه لاجرم كان ضرورى اللقاء له فى فراره
والاجل قد يراد به غاية الحيوة الدنيا كما قال تعالى فاذا جاء اجلهم وقد يراد به المدة المضروبة للانسان وهو مدة عمره
واياه يعنى هيهنا بقوله والاجل مساق النفس فان مدة بقائها فى هذا البدن هو مساقها الى غايتها لا محل فرارها وقوله
والهرب منه موافاته وغاية التلطف وذلك ان الفار من الموت مثلا بالحركات والعلاجات ونحوها يستلزم حركاته
فى ذلك فناء الاوقات وتصرمها وتصرم تلك الاوقات مستلزم لملاقاته وموافاته فاطلق لفظ الموافاة على الهرب
مجازا اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه وقوله كم اطردت الايام اى صيرتها طريدة لى اتبع بعضها بعضا بالبحث وتعرف
مكنون هذا الامر اى الذى وقع له من القتل وذلك المكنون هو وقته المعين بالتفصيل ومكانه فان ذلك مما استاثر
الله تعالى بعلمه كقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وقوله وما تدرى نفس باى ارض تموت وان كان قد اخبره الرسول
صلى الله عليه وآله بكيفية قتله مجملا كما روى عنه انه قال ستضرب على هذه واشار الى هامته فتخضب منها هذه واشار الى
لحيته وعنه انه قال اتعلم من اشقى الاولين قال نعم عاقر الناقة فقال له اتعلم من اشقى الاخرين قال لا قال من يضربك هيهنا
فيخضب هذه واما بحثه هو فعن تفصيل الوقت والمكان ونحوها من القرائن المشخصة وذلك البحث اما بالسؤال من الرسول
صلى الله عليه وآله مدة حيوته وكتمانه اياه او بالتفحص لتفرس من قرائن احواله فى ساير اوقاته ثم الناس فابى الله الا ان
يخفى عنه تلك الحال هيهات اى بعد ذلك العلم فهو علم مخزون ثم شرع فى الوصية فبدا بالاهم فالاهم فالاول هو الاخلاص
لله بالاعراض عن كل ما سواه وفى ذلك لزوم اوامره ونواهيه وساير ما نطق به كتاب العزيز الثانى لزوم سنة محمد
وعدم اهمالها وانما قدم اسم الله ومحمد اهتماما بهما فان المطلوب فى علم البيان تقديم الاهم ثم اكد القول فى الامر باتباع
التوحيد المطلق والسنة النبوية واستعار لهما لفظ العمودين ورشح بذكر الاقامة ولفظ المصباحين ورشح بذكر
الايقاد ووجه الاستعارة الاولى انهما لما كان قوام الاسلام ونظام امور المسلمين فى معاشهم ومعادهم على توحيد الله ولزوم
ما جاء به رسوله كان مدار الخيمة وقيامها بالعمد ووجه الثانية ان توحيد الله والاقتداء بما جاء به رسوله مستلزمان
الهداية فى طريقه من ظلمات الجهل فايدان الى جوار الله فى جنات النعيم وهو المطلوب الحقيقى كما يهدى المصباح فى الظلام
على الطريق الى المطلوب وقوله وخلاكم ذم اى عداكم وهى كلمة تجرى مجرى المثل اى عند لزومكم لتوحيد الله وسنة
رسوله لا ذم عليكم واول من قالها قصير مولى جذيمة حين بعث عمرو بن عدى بن اخت جذيمة على طلب ثاره من الزباء
فقال له عمرو وكيف لى بذلك والزباء امنع من عقاب الجو فقال قصير اطلب الامر وخلاك ذم وقوله ما لم تشردوا اى
من معنى لحوق الذم لهم اى وقد اوقدوا هذين المصباحين فمادمتم كذلك فلا ذم يلحقكم الا ان تشردوا اى تفرقوا عما امر

عليه ثم لما كان قد امرهم بلزوم هذين الامرين اللذين يدور عليهما التكليف بين لهم بقوله حل كل امرئ منكم الى
قوله الجهلة ان التكليف بذلك يتفاوت فكل امرئ من العلماء واهل البصائر ومن هو بصدد العلم حمل مجهوده وهاتين
مشربا التنبيه على الادلة وتعليمها واما الجهال كالنساء واهل البادية والرعاع ونحوهم من اهل القبائل فتكليفهم دون
ذلك وهو بالمحسوس من العبادات دون الامر بالتفكر في مقاصدها ثم ذكر وصف الرحمة للرب لمناسبة ما سبق من
ذكر التخفيف عن الجهلة في التكليف ودين قويم لا عوج فيه ولا زيغ عن القصد الحقيقي وامام عليم اشارة الى الرسول صلى
الله عليه وآله العالم بكيفية سلوك طريق الله ومراحلها ومنازلها والهادي فيها بما يقتضيه حكمه من القول والعمل والى
نفسه لكونه وارث علم رسول الله ... خبر مبتدأ محذوف وتقديره وذلك المكلف رب رحيم ويجوز ان يكون
فاعلا لفعل بغير وهو قوله حمل وخففا اي حملكم رب كقوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال ثم ختم الوصية
للدعاء لهم وله وبطلب المغفرة ثم شرع بالتنبيه لهم على وجه الاعتبار وهو بطرف ما انسحب الازمان فقد كان
بالامس صاحبهم في الحرب ومنازعة الاقران وصاحب الامر والنهي فيهم واليوم عبرة لهم على العجز وضعفه عن الحراك
وعقد استعارتهم بالموت وكل هذه التغيرات محل الاعتبار يجب التنبه لها والاعتبار بها والحقيقة ان كان قد غلب على ظنه
موته في تلك الواقعة وما يستقبل من الزمان وان بعد وهذا ارجح لقوله ان ثبتت الوطأة في هذه المزلة اي ان كون
لي ثبات في الدنيا وبقاء في هذه المزلة اي محل الزوال عن الحيوة فذلك المرجو وكنى بثبات الوطأة عما ذكرناه وبدحض
القدم عن عدم ذلك بالموت وقوله في جواب الشرط فانا كنا في افياء اغصان الى قوله محطها اي وان تمت فانا كنا
في كذا وكنى بالامور المذكورة عن احوال الدنيا وملذاتها وبقائه فيها ومتاعه بها وقيل استعار لفظ الاغصان
للاركان الاربعة من العناصر ولفظ الافياء لما اشتمل عليه النفوس من تركيبها في هذا العالم ووجه الاستعارة الاولى
ان الاركان في موادها كالاغصان للشجرة ووجه الثانية ان الافياء محل الاستراحة واللذة كما ان الكون في هذا البدن
حين صحة التركيب واعتدال المزاج من هذه الاركان كذلك وكذلك استعار لفظ مهاب الرياح للابدان ولفظ المتحافات
الجو ولفظ الرياح للارواح والمتحافات لانها عليها في هذه الابدان ووجه الاولى جعل الابدان لمتحافات الجو كهبوب
مهاب الرياح لها استعارة لفظ المحسوس للمعقول ووجه الثانية اظهر من ان يذكر وكذلك لفظ الغمام للاسباب
العلوية من الحركات السموية والاتصالات الكوكبية والاوار والمفاضة على الانسان في هذا العالم التي هي سبب
بقائه ووجهها الاشتراك في الافاضة والسببية وكنى بظلها عما يستراح اليه منها كما يقال فلان يعيش في ظل فلان
اي في عيشه وعنايته وكنى باضمحلال متلفقها في الجو عن تغير الاسباب العلوية للبقاء وفنائها وبعفاء محطها
في الارض عن فناء آثارها في الابدان والضمير في متلفقها يعود الى الغمام وفي محطها يعود الى مهاب الرياح وقوله فانما
كنت جارا جاوركم بدني اياما فيه تنبيه على بقاء النفس بعد الموت كانت متصلة بالملاء الاعلى ولم يكن لها سبيل الى البقاء
في الدنيا ومجاورة اهلها فيها فكانت مجاورته لهم ببدنه فقط وايضا فان المجاورة من عوارض الجسمية فيحتمل ان يكون
ذلك منبها على وجود امر من غير البدن وهو النفس وكنى بالايام عن مدة حياته الدنيا وقوله وستعقبون اي

توجدون في عاقبة امركم من جثة خالية لا روح بها ولا حراك قد افترقت من تلك المعاني المعهودة لكم من العقل والنطق
والقوة فهو مبتذلة بالحراك السكون وبالنطق السكوت ثم عاد الى امرهم بالاتعاظ بذلك الهدء وخفوت الاطراق و
سكون الاطراف بالموت وقوله فانه اوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ صاحب اللسن والفصاحة كلام حق فان الطباع اكثر
انفعالا واعتبارا من مشاهدة ما فيه العبرة من الوصف له بالقول المسموع ولو ابلغ عبارة ثم اخذ عليه السلام في توديعهم
فقوله وداعيكم اي وداع امرئ مرصد للتلاقي اي معد مهيأ للقاء الله وقوله غدا ترون ايامي الى قوله تكشف
لهم بفضيلته وشبه عليها البيت ستعوم على اتباعه والغافلون عن فضله ومحله بينهم اذا فارقهم وولي امرهم الظلمة
بعده فلابد ان يكشف لهم ما كان مغطى عن اعين بصائرهم من لزومه للقصد في سبيل الله ويعرفون منزلته وفضله حين
مشاهدة المنكرات ممن يقوم مقامه خلفا في الناس وان تقاعده وحرصه على هذا الامر لم يكن لنيل دنيا بل
لاقامة سنن العدل ورضاء الله تعالى ومن خطبة له عليه السلام يومي فيها الى الملاحم واخذوا يمينا وشمالا ظعنا
في مسالك الغي وتركا لمذاهب الرشد فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد ولا تستبطئوا ما يجيء به الغد فكم من مستعجل بما
ان ادركه ود انه لم يدركه وما اقرب اليوم من تباشير غد يا قوم هذا ابان ورود كل موعود ودنو من طلعة ما لا تعرفون
الا وان من ادركها منا يسري فيها بسراج منير ويحذو فيها على مثال الصالحين ليحل فيها ربقا ويعتق رقا ويصدع
شعبا ويشعب صدعا في سترة عن الناس لا يبصر القائف اثره ولو تابع نظره ثم ليشحذن فيها قوم شحذ القين النصل تجلى
بالتنزيل ابصارهم ويرمى بالتفسير في مسامعهم ويغبقون كاس الحكمة بعد الصبوح اقول ايان الشيء بكسر الهمزة وتشديد
الباء وقته والربق بكسر الراء وتسكين الباء حبل فيه عدة عرى يشد به البهم والصدع الشق والشعب الاصلاح والشحذ
التحديد والقين الحداد والغبوق الشرب بالعشي والصبوح الشرب بالغداة فقوله عليه السلام فاخذوا يمينا وشمالا
الى قوله الرشد اشارة الى من ضل من فرق الاسلام عن طريق الهدى التي عليها الكتاب والسنة وسلكوا طرفي الافراط
والتفريط منها كما قال عليه السلام اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة وقد سبق تفسير ذلك مستوفى
ومسالك الغي اطراف الرذايل من الفضائل التي عددناها كالحكمة والعفة والشجاعة والعدالة وما تحتها ومذاهب
الرشد هي تلك الفضائل وظعنا وتركا مصدران قاما مقام الحال وقوله فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد فتلك
اشارة الى ما كانوا يتوقعونه من الفتن التي اخبر الرسول صلى الله عليه وآله عن وقوعها في المستقبل وكانوا في اكثر الوقت
يسألونه عليه السلام عنها فقال لا تستعجلوا ما هو كائن اي لابد من وقوعه وهو مرصد معد ولا تستبطئوا ما يجيء
الغد اي من الفتن والوقايع وقوله فكم من مستعجل الى قوله لم يدركه ذم للاستعجال والاستبطاء لهذا الذي عسى
ان تكرهوا شيئا وهو شر لكم وما اقرب اليوم من تباشير غد اي من البشرى بغد كقوله غد ما غد ما اقرب
اليوم من غد وكقوله وان غدا للناظرين قريب ثم اخذ في تقريب ذلك الموعود من الفتن فقال هذا ابان كل موعود
به ووقته ودنو طلوع ما لا تعرفون من تلك الامور بالتفصيل وقوله الا وان من ادركها منا اي ادرك تلك الفتن
من اهل بيته الائمة الاطهار يسري فيها بسراج منير واستعار لفظ السراج لكمالات نفسه التي استضاءت بها

في طريق الله من العلوم والاخلاق الفاضلة ولفظ المنير ترشيح وهو اخبار عن معرفته الحق وتمييزه من الباطل وان
تلك الفتن لا توقع له شبهة ولا تاثير لها في عقيدته الصافية بل يتصرف فيها مستفيدا بانوار الله على صراط المستقيم لا يلوي
عنه ولا يلتفت بل يقتفي في آثار الصالحين ويلزم مكارم الاخلاق فيحل ما انعقد فيها واشكل على الناس من الشبه ويفك
ربق الشك من اعناق نفوسهم او يفتدى فيها الاسرى فيفك ربق اسرهم ويعتقهم ويصدع ما انشعب والتأم من ضلالهم
بكسر صدعهم ويشعب ما انصدع من امر الدنيا ما امكنه في سترة عن الناس لا يبصر القائف اثره ولو تابع النظر
وما ذاك الا ان الائمة اهل البيت عليهم السلام مغمورون في الناس لا يعرفهم الا من عرفوه انفسهم حتى لو تعرفهم من لا يريد
معرفته لهم لم يعرفهم ولما قيل لم يعرف اشخاصهم بل لا يعرف انهم اهل الحق والاحقون بالامر وقوله ثم ليشحذن
فيها قوم اي في اثناء ما ياتي من الفتن يشحذ اذهان قوم ويعد لقبول العلوم والحكمة كما يشحذ الحداد النصل وشبه
الشحذ لاعداد الاذهان ووجه الاستعارة الاشتراك في الاعداد والتام النافع فهو مضي في مسائل الحكمة
والعلوم كمضي النصل فيما يقطع به وهو وجه التشبيه المذكور ثم اخذ في تفسير ذلك الشحذ والاعداد فقال تجلى بالتنزيل
ابصارهم اي تشحذ بالقرآن الكريم ودراسته وتدبره ابصار بصائرهم لادراك الحكمة واسرار العلوم وذلك لان
التنزيل الالهي جلاؤها ويرمى بالتفسير في مسامعهم ان يلقي اليهم تفسيره على وجهه من امام الوقت ثم عبر عن اخذهم الحكمة
ومواظبتهم على تلقفها بعد استعدادهم لها بالغبوق والصبوح ولفظ الصبوح والغبوق مستعاران لكونهما حقيقتين
في الشرب المخصوص المحسوس وهولاء المشار اليهم بالاستعداد للحكمة واخذها هم علماء الامة من خاصتهم قبلنا ومن
في آخر الزمان من المستعدين لكمالات النفوس السالكين لسبيل الله المرتضين في نظره ونظر الائمة ... ولده
منها وطال الامد بهم ليستكملوا الخزي ويستوجبوا الغير حتى اذا اخلولق الاجل واستراح قوم الى الفتن واشتالوا
عن لقاح حربهم لم يمنوا على الله بالصبر ولم يستعظموا بذل انفسهم في الحق حتى اذا وافق وارد القضاء انقطاع مدة البلاء
حملوا بصائرهم على اسيافهم ودانوا لربهم بامر واعظهم حتى اذا قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله رجع قوم على الاعقاب
وغالتهم السبل واتكلوا على الولايج ووصلوا غير الرحم وهجروا السبب الذي امروا بمودته ونقلوا البناء عن رص
اساسه فبنوه في غير موضعه معادن كل خطيئة وابواب كل ضارب في غمرة قد ماروا في الحيرة وذهلوا في السكرة على
سنة من آل فرعون من منقطع الى الدنيا راكن ومفارق للدين مباين اقول الامد الوقت والاشتيال الرفع والبصيرة
البطانة وهي خاصة الرجل من اهله وعشيرته ورص الاساس احكامه وماروا تحركوا وهذا الفصل يستدعي كلاما
منقطعا قبله لم يذكره الرضي رحمه الله وقد وصف فيه قوما من الفساق وملكت واملى لها الله سبحانه وقوله وطال
الامد بهم ليستكملوا الخزي كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما الاية وقوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها
ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وقوله حتى اذا اخلولق الاجل اي صار خلقا وهو كناية عن بلوغهم
غاية مدتهم المكتوبة بقلم القضاء الالهي في اللوح المحفوظ وقوله واستراح قوم الى الفتن اشارة الى من يعتزل الاقوام
التي ستقع في آخر الزمان من شيعة الحق وانصاره ويستريح اليها اي يجد في اشتغال القوم بعضهم ببعض راحة في

الانقطاع والعزلة والخمول واشتالوا اي عن لقاح حربهم دفعهم لانفسهم عن تهييجها واستعار لفظ اللقاح بفتح اللام
لاثارة الحرب ملاحظة لشبهها بالناقة وقوله لم يمنوا جواب قوله حتى اذا اخلولق والضمير في عنوا قال بعض الشارحين
انه عائد الى العارفين الذين تقدم ذكرهم في الفصل السابق يقول حتى اذا القى هؤلاء السلم الى هذه الفئة الضالة
وحزبوا واستراحوا من منابذتهم الى فتنتهم تقية منهم انهض الله اولئك الذين خصهم بحكمته واطلعهم على اسرار
العلوم فنهضوا ولم يمنوا على الله بالصبر طاعته وفي دولة بالنظر الى نصرهم ولم يستعظموا ما بذلوه من نفوسهم
في طلب الحق حتى اذا وافق القدر الذي هو وارد القضاء وتفصيله انقطاع مدة هذه الفئة وارتفاع ما كان
شمل الخالفين بلاءهم حمل هؤلاء العارفون بصائرهم على اسيافهم وفيه معنى لطيف يريد انهم اظهروا اعتقادهم قلوبهم
للناس وكشفوها وجردوها مع تجريد سيوفهم فكانهم حملوها على سيوفهم فرأيتها غاية الجلاء والظهور كما ترى
السيوف المجردة ومنهم من قال اراد بالبصائر جمع بصيرة وهي الدم فكانه اراد طلبوا ثاراتهم والدماء التي سفكتها
تلك الفئة فكانت تلك الدماء المطلوب ثارها محمولة على اسيافهم المجردة للحرب واشار بواعظهم الى الامام
القائم واقول يحتمل ان يريد بالضمير في عنوا وما بعده القوم الذين استراحوا الى الفتنة واشتالوا عن لقاح الحرب
وذلك انهم لم يفعلوا ذلك الا لانه لم يوذن لهم في القيام حين استراحتهم والقائهم السلم لهذه الفئة ولم يمكنوا
من مقاومتهم لعدم قيام القائم بالامر فكانوا حين سالمتهم صابرين على مضض من المنكر الذي يشاهدونه
غير مستعظمين لبذل انفسهم في نصرة الحق لو ظهر من يكون لهم ظهرا يلجاون اليه حتى اذا ورد القضاء الالهي بانقطاع
مدة بلاء هذه الفئة وظهور من يقوم بنصر الحق ودعا اليه حمل هؤلاء انصارهم على اسيافهم وقاموا لربهم بامر من يقوم
فيهم واعظا ومخوفا وداعيا وهذا المحمل يرجحه عود الضمير الى الاقرب هم القوم وقوله حتى اذا قبض الله رسوله الى
آخره هذا الفصل منقطع عما قبله لان صريحه ذكر غاية الاقتصاص حال حيوة الرسول صلى الله عليه وآله وحال الناس
قبله ومعه وليس في الكلام المتقدم شيء من ذلك اللهم الا ان يحمل من طال الامد بهم في الكلام المتقدم على من كان
من اهل الضلال قبل الاسلام حتى اذا اخلولق اجلهم واستراح قوم منهم الى الفتن والوقائع بالنهب والغارة
واشتالوا عن لقاح حربهم اي اعدوا انفسهم لها كما تعد الناقة نفسها بشول ذنبها للقاحها اي يرفعه ويبقى
شائلا ويكون الضمير في قوله لم يمنوا راجعا الى ذكر سبق للصحابة في هذه الخطبة حين قام الرسول صلى الله عليه وآله فيهم
وبهم الحرب فلم يمنوا على الله بصبرهم معه وفي نصرة الحق ولم يستعظموا بذل انفسهم له حتى اذا وافق وارد القضاء انقطاع
مدة البلاء بدولة الجاهلية والكفر حمل هؤلاء الذين لم يمنوا على الله بصبرهم بصائرهم اي ما كانوا يخفونه من الاسلام
قبل ذلك على سيوفهم اي كشفوا عقائدهم كما سبق القول فيه اقاموا هم وثاراتهم من الكفار ودانوا لربهم بامر واعظهم
وهو الرسول صلى الله عليه وآله وحينئذ يصح قوله حتى اذا قبض الله رسوله غاية لذلك الكلام على هذا التاويل
قوله رجع قوم على الاعقاب الى آخره اما على مذهب الامامية فاشارة الى عدول الصحابة بزمام الخلافة عنه وعن اهل بيته
عليهم السلام الى الخلفاء الثلاثة واما على مذهب من صحح امامة الخلفاء الثلاثة فيحتمل ان يريد بالقوم الراجعين

على الاعقاب من خرج عليه فى زمن خلافته من الصحابة كمعوية وطلحة والزبير وغيرهم وزعموا ان غيره احق بها
منه ومن ولاده والرجوع على الاعقاب كناية عن الرجوع عما كانوا عليه من الانقياد للشريعة والاوامر الله ورسوله
ووصيته باهل بيته وغيلة السبل لهم كناية عن اشتباه طرق الباطل بالحق واستراق طرق الباطل لهم واهلاكها
اياهم وهى لشبه الملازمة للاراء الفاسدة كما يقال فى العرف اخذ بر الطريق الى مضيق وهى مجاز فى المفرد والمركب
اما فى المفرد فلان سلوكهم سبل الباطل لما كان عن غير علم منهم بكونه باطلا اشبه الغيلة فاطلق عليه لفظها
واما فى المركب فلان اسناد الغيلة الى السبل ليس حقيقة لان الغيلة من فعل العقلاء واتكالهم على الولايج اضمار
كل من راى منهم رايا فاسدا على اهله وخواصه فى نصرة ذلك الراى ووصلوا غير الرحم الرسول صلى الله عليه وآله و
نقل المضاف اليه للعلم به وكذلك هجروا السبب الذى امروا بمودته ولزومه ويريد اهل البيت ايضا وظاهر كونهم
سببا لمن اهتدى بهم فى الوصول الى الله سبحانه كما قال الرسول صلى الله عليه وآله خلفت فيكم الثقلين كتاب الله
وعترتى اهل بيتى حبلان ممدودان من السماء الى الارض لن يفترقا حتى يردا على الحوض فاستعار لهم لفظ الحبل
والسبب فى اللغة الحبل وامرهم بمودته كما فى قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى وقوله ونقلوا
البناء عن رص اساسه فبنوه فى غير موضعه اشارة الى العدول بامر الخلافة عنه وعن اهل بيته الى غيرهم وصلة
غير الرحم خروج عن فضيلة العدالة الى رذيلة الظلم وعدم مودة اولى القربى رذيلة التفريط من تلك الفضيلة
الداخلة تحت العفة وكذلك نقل البناء عن موضعه دخول فى رذيلة الظلم ثم وصفهم وصفا لها بكونهم
معادن كل خطيئة اى انهم مستعدون لفعل كل خطيئة ومهيئون لها فهم مظانها ولفظ المعادن استعارة و
كذلك ابواب كل ضارب فى غمرة واستعار لفظ الابواب لهم باعتبار ان كل من دخل فى غمرة جهالة او شبهة يثيرها
فتنة واستعان بهم فتحوا له ذلك الباب وساعدوه وحسنوا الدراية فكانهم بذلك ابواب الى مراده الباطل يدخل
منها وقوله قد ماروا فى الحيرة اى ترددوا فى امرهم فهم حائرون لا يعرفون محجة الحق فيقصدونه وذهلوا اى غابت
اذهانهم فى سكرة الجهل فهم على سنة من آل فرعون وطريقته وانما ذكر انه لانه يرى بها مشابهتهم فى بعض طباعهم
وآل فرعون اتباعه وقوله من منقطع الى الدنيا الى آخره تفصيل لهم باعتبار كونهم على سنة من آل فرعون فمنهم
المنقطع الى الدنيا المنهمك فى لذاتها المكب على تحصيلها ومنهم المفارق للدين المباين له وان لم يكن له
دنيا والمنفصلة مانعة الخلو لا يلتبس الا الاشارة اليهم ويحتمل ان يريد مانعة الجمع ويشير بمفارق الدين الى من
ليس براكن الى الدنيا ككثير ممن يدعى الزهد مع كونه جاهلا بالطريق فهو متنفر من الدنيا وبعيد عنها الى غيره
مع انه جاهل بكيفية سلوك سبيل الله يعوده بيانا وشمالا عنها وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام واستعينه
على مداحر الشيطان ومزاجره والاعتصام من حبائله ومخاتله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له و
اشهد ان محمدا عبده ورسوله ونجيبه وصفوته لا يوازى فضله ولا يجبر فقده اضاءت به البلاد بعد الضلالة
المظلمة والجهالة الغالبة والجفوة الجافية والناس يستحلون الحريم ويستذلون الحليم يحيون على فترة ويموتون

على كفرة ثم انكم معشر العرب اغراض بلايا قد اقتربت فاتقوا سكرات النعمة واحذروا بوائق النقمة وتثبتوا فى
قتام العشوة واعوجاج الفتنة عند طلوع جنينها وظهور كمينها وانتصاب قطبها ومدار رحاها تبدو فى مدارج
خفية وتؤول الى فظاعة جلية شبابها كشباب الغلام وآثارها كآثار السلام يتوارثها الظلمة بالعهود اولهم قائد
لآخرهم وآخرهم مقتد باولهم يتنافسون فى دنيا دنية ويتكالبون على جيفة مريحة وعن قليل يتبرأ التابع من
المتبوع والقائد من المقود فيتزايلون بالبغضاء ويتلاعنون عند اللقاء ثم يأتى بعد ذلك طالع الفتنة
الرجوف والقاصمة الزحوف فتزيغ قلوب بعد استقامة وتضل رجال بعد سلامة وتختلف الاهواء عند هجومها
وتلتبس الآراء عند نجومها من اشرف لها قصمته ومن سعى فيها حطمته يتكادمون فيها تكادم الحمر فى العانة
قد اضطرب معقود الحبل وعمى وجه الامر تغيض فيها الحكمة وتنطق فيها الظلمة وتدق اهل البدو بمسحلها
وترضهم بكلكلها يضيع فى غبارها الوحدان ويهلك فى طريقها الركبان وترد بمر القضاء وتحلب عبيط الدماء
وتثلم منار الدين وتنقض عقد اليقين تهرب منها الاكياس وتدبرها الارجاس مرعاد مبراق كاشفة عن ساق
تقطع فيها الارحام ويفارق عليها الاسلام بريها سقيم وظاعنها مقيم اقول المداحر جمع مدحر وهى الامور التى
بها يدحر اى يطرد ومخاتلها محال غروره التى يختل الناس بها ويوهمهم انها نافعة والبوائق جمع بائقة
وهى الداهية والقتام بفتح القاف الغبار والعشوة بكسر العين الامر على غير بيان ووضوح والفظاعة تجاوز
الامر الشديد الحد والمقدار والسلام بالكسر الحجارة الصم واحدها سلمة بكسر السين والمريحة المنتنة ويتزايلون
يتفارقون ونجومها طلوعها واشرف لها اى انتصب لدفعها والتكادم التعاض بادنى الفم والعانة القطيع
من الوحش والمسحل المبرد والمسحل الفم تكون فى طرف شكيمة اللجام مدخله فى فمها والوحدان جمع واحد
والعبيط الخالص الطرى وقصد بهذا الفصل الاستعانة بالله تعالى على ما يدحر الشيطان ويزجره وذلك هو الملائكة
والاعمال الصالحة المستلزمة لطرده وزجره وتطويعه وعلى الاعتصام من حبائله وهى الشهوات واللذات التى
استعار لها لفظ الحبائل وهى شرك الصائد لمشابهتها اياها فى استلزام الحصول فيهما للسعيد من السلامة
والحصول فى العذاب ومن مادح الرسول كونه صلى الله عليه وآله نجيبا لله اى مختارا ودرى نجيبه وصفوته لا من خلقه
لا يوارى فضله اى لا يحصل مثله فى احد اذ كان كمال قوتيه النظرية والعملية غير مدرك لاحد من الخلق ومن
كان كذلك لم يجبر فقده بالانبياء مثله من الناس ولا امثل لديهم فلا جبران لفقده وقوله اضاءت به البلاد بعد
الضلالة اى ضلالة الكفر ووصفها بالظلمة لعدم الاهتداء فيها للحق والوصف مستعار وكذلك وصف الاضاءة
مستعار لاهتداء الخلق به فى معاشهم ومعادهم واسناد الاضاءة الى البلاد مجاز والجهالة الغالبة على اكثر الخلق
واراد الجهل بالطريق الى الله تعالى وبكيفية نظام المعاش مما بينه هو وكشفه بشريعته والجفوة الجافية يريد
غلظة العرب وما كانوا عليه من قساوة القلوب وسفك الدماء ووصفها بما اشتق منها مبالغة وتاكيدا لها
واراد الجفوة القوية والناس يستحلون الحريم اراد الحرام والحال والعامل اضاءت ويستذلون الحليم وظاهر من عادات

العرب الى الآن استدلال من عقل منهم وحلم عن الغارة والنهب واثارة الفتن واستهضامه ونسبته الى الجبن و
الضعف ويحيون على فترة اى على حالة انقطاع الوحى والرسل وتلك حالة انقطاع الخير وموت النفوس بداء الجهل
ويموتون على كفرة وهى الفعلة من الكفر لاهل كل قرن حيث لا هادى لهم ثم اخذ عليه السلام فى انذار السامعين
باقتراب حوادث الوقايع المستقبلة التى يرمون بها كما يرمى الغرض بالسهام واستعار لفظ الغرض لهم ولما كانت
الفتن الحادثة كثيرا ما تكون عن قوتهم واهلاكهم مثلا لحسب استعدادهم لذلك وكان اكبر الاسباب المعدة لها الغفلة
عن ذكر الله بالانهماك فى نعم الدنيا ولذاتها استعار للغفلات لفظ السكرات ثم امر باتقائها وحذرهم من وقايع
النقمات بسبب كفران النعم ثم امر بالتثبت اما التبين على الروايتين عند اشتباه الامور عليهم وظهور الشبهة
المثيرة للفتن كشبهة قتل عثمان التى نشأت منها وقايع الجمل وصفين والخوارج واستعار لفظ القتام لذلك
الامر المشتبه ووجه المشابهة كون ذلك الامر مما لا يهتدى فيه لحاقه كما لا يهتدى القايم فى القتام عند
ظهوره وخوضه واعوجاج الفتنة اتيانها على غير وجهها ولفظ الجنين يحتمل ان يكون حقيقة اى عند طلوع ما
اجتن منها وخفى عليكم وكذلك كمينها اى ما كمن منها واستتر ويحتمل ان يكون استعارة وعنى بقطبها من يدور
عليها من البغاة المناوين استعارة واستصحابه قيامه لذلك الامر وكذلك استعار لفظ مدار الرحى لدوراتها
على من يدور عليه من انضاد ذلك القطب وعسكره الذين يدور عليهم الفتنة ثم اخبر انها تبدو فى مدارج خفية
واراد بالمدارج صدور من ينوى القيام فيها ويعقد على آثارها وكان هذا اشارة الى فتنة بنى امية وقد كان
مبدأها شبهة قتل عثمان ولم يكن احد من الصحابة يتوهم خصوصية هذه الفتنة وانما كانوا علموا من الرسول
صلى الله عليه وآله حدوث وقايع وفتن غير معينة الازمان ولا من يثيرها ويكون قطبها لها فحقا مدارجها
كتمان معوية وطلحة والزبير وغيرهم لامورهم وما عزموا عليه من اثارة الفتنة والطمع فى الملك والدولة حتى
آل ذلك الطمع الى الامور العظيمة الواضحة بعد الخفاء واستعار لفظ الشباب لقيامها وظهورها فى الناس
ووجه المشابهة الشدة فى الظهور ولذلك اكدها بتشبيه ذلك الظهور بشباب الغلام اى فى الشدة ومع سرعتها
الثانية هدم الاسلام كآثار الحجارة فى الثلب فى الجلد ووجه الشبه افسادها للدين ونظام المسلمين كما فساد الحجر لما
يقع عليه بالرض والكسر واشار بالظلمة التى يتوارثونها الى بنى امية بعهد الاب لابنه الى آخرهم وذكر قوله اولهم لآخرهم
الى النار والدخول فى الظلم والضلالة واثارة تلك الفتن واستعار لفظ العقود لهيئته الاول منهم اسباب الملك الحق
بعده واقتدى الآخر بالاول فى ذلك وضمير المفعول فى يتوارثونها يرجع الى تلك الفتنة واشار الى صفة لهم
اثارة تلك الفتن وتوارثها وهى المنافسة فى الدنيا الدنية فى نظر العقلاء واستعار لفظة التكالب للمجاذبة
بعضهم لبعض عليها كالمجاذبة بين الكلاب على الميتة واستعار لفظ الجيفة ورشح بذكر المريحة للتنفير عنها ووجهها
كونها مستلزمة لاذى طالبها من وبالها للعقلاء كالهرب من الجيفة المنتنة والاثر واعلانها ثم اخبر بانقضائها عن قليل
وكنى عن ذلك بتبرئ التابع من المتبوع والقايد من المقود اى يتبرأ كل من الفريقين من الآخر كما قال تعالى اذ تبرأ الذين

اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وقوله فيتزايلون بالبغضاء ويتلاعنون عند اللقاء ولكن تدحضوا من قبل شيا ذلك التبرى قيل عند ظهور الدولة العباسية
فان العادة جارية بتبرى الناس من الولاة المعزولين خصوصا عند الخوف ممن تولى عزل اولئك او قتلهم فيتبرؤون منهم
اذ لم يمكن الفتهم ويحتمل ان العرض دنيا وى طال ويتلاعنون عند اللقاء او قيل ذلك يوم القيمة وقوله وعن قليل الى
قوله عند اللقاء جملة اعتراضية مؤكدة بها المعنى بتجنبهم فكانه قال انهم على تكالبهم عليها عن قليل يتبرأ بعضهم من بعض
وذلك ادعى لهم الى ترك التكالب عليها وقوله ثم يأتى بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف وكان هذه الفتنة هى فتنة
التتار فالدائرة فيها على العرب وقال بعض الشارحين بل ذلك اشارة الى الملحمة الكائنة فى آخر الزمان كفتنة
الدجال وكنى عن اهوالها واضطراب امر الاسلام فيها بكونها رجوفا اى كثيرة الرجف وطالعها مقدماتها واوائلها
وكنى بعضها عن اهلاك الخلق فيها واستعار لها لفظ الزحوف ملاحظة لشبهها بالرجل الشجاع كثير الزحف فى
الحرب الى قرنه اى مشى اليهم قدما ثم شرع فى بيان افعال تلك الفتنة بالناس من ازاغة قلوب قوم عن سبيل
الله بعد استقامتهم عليه وضلال رجال اى هلاكهم فى الآخرة بالمعاصى بعد سلامتهم واختلاف الاهواء عن ارادة
الله بهجومها والتباس الآراء الصحيحة بالفاسدة عند ظهورها على الناس فلا يعرفون وجه المصلحة من غيره ومن تطلع
الى مقاومتها وسعى فى دفعها هلك واستعار لفظ التكادم مما لبثه مبرى هذه الفتنة بعضهم لبعض ولعنهم
لغيرهم وشدة ذلك بتكادم الحمر فى العانة ووجه التشبيه المغالبة مع الايماء الى خلوهم عن التكليف من اعمالهم وكثرة
غفلتهم عما يراد فى الآخرة واستعار معقود الحبل لما كان ابرم من دولة الاسلام واستقام ولفظ الحبل للدين وكنى
باضطرابه عن عدم استقرار قواعد الدين عند ظهورها ولهذه الفتنة وعمى وجه هذا الامر او عدم الاهتداء الى وجه
المصلحة واشار بالحكمة التى تغيض فيها الى الحكمة الخلقية التى عليها مدار الشريعة وتعليمها واستعار لفظ الغيض
لعدم ظهورها والانتفاع بها او نطقوا فيها الظلمة اى بالامور التى تقتضيها آراؤهم الخارجة عن العدل واستعار لفظ
المسحل لما تؤذى به العرب واهل البادية ووجه المشابهة اشتراك المبرد وشكيمة اللجام وما تؤذى به العرب من
هذه الفتنة فى الايذاء فكانها شجاع سائق عليهم قد قهم بشكيمة فرسه او نحو ذلك وكذلك استعار لفظ الكلكل
لما يدهم البدو منها ملاحظة لشبهها بالناقة التى تبرك على الشى فتسحقه وقوله يضيع فى غبارها الوحدان ويهلك
فى طريقها الركبان كناية عن عظمها اى لا ينجو منها الفرد ولا يخلص منها الوحدان والركبان ولفظ الغبار مستعار
للقليل البين من حركة اهلها اى ان القليل من الناس اذا ارادوا دفعها هلكوا فى غبارها من دون ان يدخلوا فى
غمارها واما الركبان وكنى بهم عن الكثير من الناس فانهم يهلكون فى طريقها وعند خوضها وقيل اراد بالوحدان
فضلاء الوقت اذ يقال فلان واحد وقته والغبار الشر الذى تغطى الخوض عنهم فيكون الركبان كناية عن الجاهلين
اهل القوة واذا كان هؤلاء يهلكون فى طريقها اى عند الخوض لعزائها فكيف بغيرهم وكنى بمر القضاء عن القتل
والاسر ونحوهما وظاهر كون الواردات المؤذية والنافعة واردة عن القضاء الالهى معلومة الكون وكذلك
استعار وصف الحلب لها ملاحظة لشبهها بالناقة وكنى بذلك عن سفك الدماء فيها ومنار الدين اعلامه وهم

علماؤه ويحتمل ان يريد قواعد الكلية وثلمها عبارة عن قتل العلماء وهدم قواعد الدين وترك العمل به وعقد
اليقين هو الاعتقاد الموصل الى علم اليقين او الى عين اليقين وهو اعتقاد الشريعة وايصال ذلك الى جوار الله
تعالى والقرب منه ونقضه هو ترك العمل على وفقه عن غيره وشذلهم والاكياس الهاربون منها هم العلماء واهل العقول
السليمة وكل هذه الاشارات معلومة من فتنة من ذكرنا وظاهر كونهم ارجاس النفوس برجس الشيطان لتجاسرهم
بالهيئات البدنية والملكات الرديئة انجاس الايمان بحكم الشريعة وكنى عن شدتها وكونها محل المخاوف بعين
المرعاد والمبراق المستعارين ملاحظة لشبهها بالسحابة كثيرة البروق والرعود بوصف كشفها عن ساق عن قيامها
بجدة كالمشمر للحرب ولامر مهم وظاهر كونها يقطع منها الارحام ويفارق عليها الاسلام واشار بعينها المقرون
في هذه الدولة انه وصالح بري من المعاصي والاثام مع كونه ليس كذلك او من الظاهر ان السالم في هذه الفتنة
من معصية الله قليل بل اقل من القليل ولعله عند الاستقراء لا يوجد واشار بظاعنها الى من يعتقد انه متخلف منها
وغير داخل فيها وظاهر كونه غير منحرف عنها ويحتمل ان يريد به من ارتحل عنها خوفا لا يخرج منها وبالله التوفيق **منها**
بين قتيل مطلول وخائف مستجير يختلون بعقد الايمان وبغرور الايمان فلا تكونوا انصاب الفتن واعلام البدع
والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة وبنيت عليه اركان الطاعة واقدموا على الله مظلومين ولا تقدموا عليه
ظالمين واتقوا مدارج الشيطان ومهابط العدوان ولا تدخلوا بطونكم لعق الحرام فانكم بعين من حرم عليكم
المعصية وسهل لكم سبيل الطاعة **اقول** يقال طل دم فلان فهو مطلول اذا اهدر ولم يطلب به ويختلون يخدعون
واللعق جمع لعقة وهي اسم لما يتناوله الملعقة مرة فقوله بين قتيل الى قوله مستجير يشبه ان يكون صفة حال المتمسكين
بالدين في زمان الفتنة الاولى وقوله يختلون الى قوله وغرور الايمان صفة حال اصحاب هؤلاء المفتونين اي انهم
يخدعون باعطاء الاقسام والعهود الكاذبة وذلك كخداع الحسين عليه السلام عن نفسه واصحابه وروى يختلون
بالبناء للفاعل فيكون وصف حال اهل الفتنة واتباعهم ثم اخذ في نهي السامعين ان تكونوا انصاب الفتن اي
يدكونها واعلاما للبدع اي رؤساء يشار اليهم فيها ويقتدى بهم كما يشار الى الاعلام البينة ويقتدى بها
في الفتنة كابن لبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب وقوله واقدموا على الله مظلومين ليس المراد منه الامر
بالانظلام فان ذلك طرف التفريط من فضيلة العدالة الذي هو رذيلة بل المراد انكم اذا كانت لكم مكنة من الظلم
فلا تظلموا ولو استلزم ترك الظلم انظلامكم وهو كسر للنفوس عن رذيلة الظلم خصوصا نفوس العرب فانها
اكثر ظلما وميلا الى الظلم وامنع عن قبول الانظلام والانفعال لعدوان استلزم الظلم كما اشار اليه العربي ومن
لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم ومدارج الشيطان طرقه وهي الرذائل التي يتمشى
بقود اليها وكذلك مهابط العدوان محاله التي يهبط فيها وهي من طرق الشيطان ايضا ولعق الحرام كناية
عما يكتسبه الانسان من الدنيا ومتاعها على غير وجه الشرع ونبه باللعق على قلتها وحقارتها بالنسبة الى متاع
الآخرة ونبه على وجوب الانتهاء عما نهي عنه بقوله فانكم بعين من حرم عليكم الى آخره يقال فلان من فلان بمرأى

ومسمع وبعين منه اذا كان مطلعا على امره اي فانه الذي حرم عليكم المعصية واوجب عليكم الطاعة مطلع عليكم
وعالم بما تفعلون وذلك اردع لهم من التهجم على الحرمة ولفظ العين مجاز في العلم **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله الدال على
وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على ازليته وباشتباههم على ان لا شبه له لا تستلمه المشاعر ولا تحجبه السواتر لافتراق
الصانع والمصنوع والحاد والمحدود والرب والمربوب الاحد لا بتأويل عدد والخالق لا بمعنى حركة ونصب والسميع
لا باداة والبصير لا بتفريق آلة والشاهد لا بمماسة والبائن لا بتراخي مسافة والظاهر لا برؤية والباطن لا
بلطافة بان من الاشياء بالقهر لها والقدرة عليها وبانت الاشياء منه بالخضوع له والرجوع اليه من وصفه فقد
حده ومن حده فقد عده ومن عده فقد ابطل ازله ومن قال كيف فقد استوصفه ومن قال اين فقد حيزه عالم
اذ لا معلوم ورب اذ لا مربوب وقادر اذ لا مقدور **اقول** المشاعر الحواس اذ هي محل الشعور وقد حمد الله تعالى
باعتبارات من اوصافه وفرقها بفصول ابحاث من العلم الالهي **الاول** اشارة الى وجوده تعالى الواجب وللناس في
اثباته طريقان احدهما اثبات وجوده بالنظر في نفس الوجود وقسمته الى اقسام حاصرة وتقرير هذه الطريقة ان
يقال لا شك في وجود موجود فذلك الموجود ان كان واجب الوجود فهو المطلوب وان كان ممكنا افتقر الى المؤثر
بناء على ان العلة المحوجة الى المؤثر هي الامكان وذلك الموجود ان كان ممكنا افتقر الى المرجح ولزم الدور او التسلسل
وكلاهما باطلان اما الاول فلانه لو افتقر كل واحد من الامرين الى الآخر باعتبار واحد لزم تقدم كل منهما على
المتقدم على نفسه فيلزم تقدمه على نفسه بمراتب واما الثاني فلانه لو كانت سلسلة من علل ومعلولات لا نهاية
لها في الوجود لكان مجموعها ممكنا لافتقاره الى اجزائه التي هي غيره فالمجموع علة تامة هي اما نفسه وهو محال
بالبديهة او امر داخل فيه وهو باطل لان العلة التامة للمركب علة لكل الاجزاء والا لتوقف علة الاجزاء فلم يكن
علة تامة له بل هو مع علة الاجزاء هذا خلف واذا كانت علة المركب علة لكل الاجزاء لزم كون ذلك الجزء المؤثر في
المجموع مؤثرا في نفسه اولا وفي علله السابقة عليه فيلزم تقدمه على نفسه بمراتب غير متناهية وذلك باطل بالبديهة
فبقي ان يكون المؤثر في ذلك المجموع اما امرا خارجا عنه او ما يتركب من الداخل والخارج عنه لكن القسم الثاني
ايضا باطل لان الداخل لما كان جزءا من العلة المركبة فله تقدم عليها وهي متقدمة على مجموع الممكنات فلها
تقدم عليه وعلى اجزائه فيعود ما ذكرناه فله تقدم على نفسه وعلى علله وهو باطل فبقي الاول لكن الموجود الخارج
عن كل الممكنات لا يكون ممكنا بل واجب الوجود وهو المطلوب وهذه طريقة الالهيين الذين يستدلون على
مخلوقاته ويسمونه برهان اللم واما الطريقة الثانية فهي الاستدلال بالنظر في المخلوقات وطبايعها وامكانها
وتكثرها وقبولها للتغير والتركيب على حاجتها الى المبدأ الاول جلت عظمته وهو طريق الطبيعيين وهي التي اشار
اليها بقوله الدال على وجوده بخلقه والمتكلمون فرعوا هذه الطريق الى اربع طرق احدها انهم استدلوا بحدوث
هذه الذوات على امكانها وبامكانها على حاجتها الى موجد ومؤثر وهي طريق الاشعري وابي الحسين البصري
الثانية من المتكلمين الثانية استدلوا بحدوث هذه الذوات فقط على وجود محدث لها من غير نظر الى الامكان

قالوا الاجسام محدثة وكل محدث فله محدث والمقدمة الاولى استدلالية والثانية عندهم بديهية الثالثة
استدلالهم بامكان الصفات وذلك انهم اثبتوا ان الاجسام الفلكية والعنصرية متماثلة ثم قالوا لو ان بعضها
قد اختص بصفات ليست للآخر فذلك التخصيص ليس للجسمية ولا للوازمها والا لوجب في كل جسم كذلك ولا العارض
من عوارضها لان الكلام في تخصيص ذلك العارض كالكلام في الاول ويلزم التسلسل ولا للطبيعة كما يقول بعض
الناس لانها لا تعقل في المادة البسيطة كالنطفة مثلا فعلا مختلفا فبقي ان يكون ذلك التخصيص لمدبر حكيم
وهو مرادنا بالصانع الرابعة الاستدلال بحدوث الصفات وهو ظاهر وتقرير هذه الطرق وما لها وعليها
في الكتب الكلامية وينبغي ان يخصص المتكلم قوله عليه السلام الدال على وجوده بخلقه الطريقة الاولى لهم لانه
قال عليه السلام جعل الحدوث دليلا على الازلية البحث الثاني في ازليته وبيانه ما ذكره عليه السلام بقوله و
بمحدث خلقه على ازليته وتقرير هذه الدلالة انه قد ثبت في موضعه ان جميع المحدثات صادرة عن قدرته تعالى
وتنتهي عندها فلو كان هو محدثا لكان محدثا لنفسه وهو باطل بالضرورة البحث الثالث انه لا شبه له ولا شبيه
واليه الاشارة بقوله وباشتباههم على ان لا شبه له واراد اشتباههم في الحاجة اليه لكونه المفتقر حق والثاني
مثله وقيل اراد اشتباههم في الجسمية والجنس والنوع والاشكال والمقادير والالوان ونحو ذلك واذ ليس بخلا
تحت جنس لبراءته عن التركيب المستلزم للامكان ولا تحت النوع لافتقاره في التخصيص بالعوارض الى غيره ولا بذي ما
لاستلزامها التركيب ايضا فليس بذي شبه في شيء من الامور المذكورة والاول اعم في نفي الشبيه البحث الرابع
ان المشاعر لا تستلمه وبيانه ان استلام المشاعر مستلزم للجسمية والاعراض القائمة بها وقد تنزه قدسه تعالى
عن الجسمية ولواحقها فقد تنزه عن ادراك المشاعر ولمسها البحث الخامس ان السواتر لا تحجبه وبيانه ان الحجاب
الستر من لواحق الجهة والجسمية وقد تنزه قدسه عنهما فقد تنزه عن الحجب وستر المحسوسين وقوله لافتراق
الصانع والمصنوع الى قوله والمربوب التعليل راجع الى الجمل المتقدمة كلها اذ كان لكل من الصانع والمصنوع صفات
تخصه ويتميز بها وهي اليق به وبها يفارق الآخر فالمخلوقية والحدوث والاشباه والملموسية بالمشاعر والحجاب
من لواحق الامور الممكنة المصنوعة ومما ينبغي لها ويليق بها والوجود الازلي الذي لا شبيه له المنزه عن لمس المشاعر
وحجاب السواتر من لواحق الصانع الاول الواجب وهو الذي ينبغي له ويليق به وكذا ما سبق من اوصافه
واراد بالحاد خالق الحدود والنهايات وهو الصانع واعتبار الصانع غير اعتبار الرب لدخول المالكية في مفهوم
الربوبية دون الصنع البحث السادس في وحدانيته وقد سبق برهانها واراد بقوله ليس بمعنى العدد ان احديته
ليس بمعنى كونه مبدأ الكثرة معدودة كما يقال في اول العدد واحد وقد علمت فيما سبق ان الواحد يقال بالاشتراك
اللفظي على معان عدة عرفتها وعرفت اطلاق الواحد عليه تعالى باي معنى هو وانه لا يجوز ان يكون مبدأ للعدد
بل هو تعالى واحد بمعنى انه لا ثاني له فهو له بالذات والفعل البحث السابع في كونه تعالى خالقا منزها عن الحركات
والمتاعب وقد عرفت لمية ذلك في الخطبة الاولى وهو كونهما من لواحق الاجسام المنزه قدسه عنها البحث الثامن

كونه سميعا لا باداة اي لا بسمع وقد سبق بيانه في الخطبة الاولى البحث التاسع كونه بصيرا لا بتفريق آلة وتفريقها
اما عبارة عن بعث القوة الباصرة وتوزيعها على المبصرات وهذا المعنى على قول من جعل الابصار بآلة الشعاع الخارج
من العين المتصل بسطح المرئي المظهر له توزيعه او وضع من توزيع الآلة على قول من يقول ان الادراك يحصل بانطباع
صورة المرئي في العين ومعنى التفريق على القول الثاني هو تقليب الحدقة وتوجيهها مرة الى هذا المبصر ومرة الى ذلك
كما يقال فلان متفرق الهمة والخاطر اذا وزع فكره على حفظ اشياء متباينة ومراعاتها كالعلم وتحصيل المال
تنزيهه تعالى عن الابصار بالآلة لكونها من توابع الجسمية ولواحقها البحث العاشر كونه تعالى شاهدا اي حاضرا
بمماسة شيء والمراد تنزيه حضوره عن مماثلة حضور الجسمانيات المستلزمة للقرب المستلزم لمماسة الاجسام و
تقاربها بل معنى حضوره تعالى الحاضر بعلمه عند كل شيء والشاهد لكل شيء من غير قرب ولا مماسة ولا اين مطلقا
لتنزهه عن الجسمية ولواحقها البحث الحادي عشر انه تعالى بائن للاشياء لا بتراخي مسافة اي ان مباينته للاشياء
لا تستدعي التميز بالوضع والاين بل بذاته فقط وقد سبق تقرير ذلك في الخطبة الاولى ايضا البحث الثاني عشر انه
الظاهر لا برؤية والباطن لا بلطافة وذلك ان الظاهر من الاجسام ما كان منها مرئيا بحاسة البصر والباطن منها
ما كان لطيفا اما لصغر حجمه او لطافة قوامه كالهواء وظهوره تعالى وبطونه منزه عن هاتين الكيفيتين وقد شرحنا
هذين الوصفين غير مرة البحث الثالث عشر كونه بائنا من الاشياء بالقهر لها والقدرة عليها الى قوله اليه ذكره
بينونته تعالى من مخلوقاته بما ينبغي له من الصفات في بينونتها بما ينبغي لها فالذي ينبغي له كونه قاهرا لها غالبا
عليها ومستوليا وكونه قادرا على ايجادها واعدامها والذي ينبغي لها كونها خاضعة في ذل الامكان والحاجة
وقهر ولحجة في وجودها وكمالاتها الى جوده وبذلك حصل التباين بينها وبينه البحث الرابع عشر تنزيهه عن الصفات
الزائدة بالقياس الذي ذكره بقوله من وصفه فقد حده فقد عده وقد مر هذا القياس بعينه في الخطبة الاولى مع
تقريره وبالجملة فحقيق غير انه قال هناك ومن اشار اليه فقد حده وقال هنا ومن وصفه فقد حده لكن المراد بوصفه هنا
هو اشارة الوهم اليه واستثباته بكيفيات وصفات فيكون معنى العبارتين واحدا وقوله ومن عده فقد ابطل ازله
لما كان عده عبارة عن جعله مبدأ الكثرة معدودة او عن كونه ذا اجزاء معدودة وكان ذلك من لواحق الممكنات والمحدثات
الغير المستحقة للازلية بالذات لاجرم كان من عده بهذا الاعتبار من مبطلا ازله الذي يستحقه لذاته البحث الخامس عشر
تنزيهه ان يسأل عنه بكيف لانها سؤال عن الكيفية والصفة وهو معنى قوله فقد استوصفه وقد بينا تنزيهه تعالى
عن الكيفيات والصفات البحث السادس عشر تنزيهه عن السؤال عنه باين وذلك لانها سؤال عن الحيز والجهة اللذين
هما من لواحق الاجسام وقد بينا تنزيهه عن الجسمية وما يلحقها فليس هو سبحانه في مكان وهو في كل مكان بعلمه
والاحاطة البحث السابع عشر كونه تعالى عالما اذ لا معلوم الى قوله مقدور وقد علمت معنى عالم ورب وقدير وقد شرحنا
ان الاشارة بها الى اعتبار تقدمه بذاته على معلوماته ومعلولاته فظاهر حينئذ ذلك الاعتبار انه لا معلوم في الوجود
سوى ذاته لعلته ولا مربوب ولا مقدور موجود هناك بل هو والحيز الشاعر عن ذلك الاعتبار سواء كانت بعد ذلك

كلها كما عليه المتكلمون او بعضها كما عليه الاوايل وبالله التوفيق **منها** فلن يطلع طالع ويلمع لامع ولاح لايح واعتدل مايل واستبدل الله بقوم قوما وبيوم يوما وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر وانما الائمة قوام الله على خلقه وعرفاؤه على عباده لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه ان الله قد خصكم بالاسلام واستخلصكم له وذلك لانه اسم سلامة وجماع كرامة اصطفى الله منهجه وبين حججه من ظاهر علم وباطن حكم لا تفنى غرايبه ولا تنقضي عجايبه فيه مرابيع النعم ومصابيح الظلم لا تفتح الخيرات الا بمفاتيحه ولا تكشف الظلمات الا بمصابيحه قد احمى حماه وارعى مرعاه فيه شفاء المشتفي وكفاية المكتفي **اقول** العرفاء جمع عريف وهو النقيب وهو دون الرئيس واشار بطلوع الطالع الى ظهور الامر والخلافة عليه واشتمالها اليه وبلموع اللامع الى ظهورها من حيث هي حق له وسطوع انوار العدل منه وبيانها اليه وبلوح اللايح الى ما يلحق اشتمالها اليه من الفتن والحروب الموعودة التي لاحت اماراتها يومئذ وقال بعض الشارحين المراد بالثلثة معنى واحد وهو اشتمال الخلافة اليه فقوله واعتدل مايل اي الخلافة فيمن كان قبله في نظره اذ كان يعتقد انه اولى بها وان العدل ان تكون فيه واعتدالها [illegible] باشتمالها اليه واستبدل الله بقوم اي من سبق عليه قوما اي هو وتابعوه وبيوم يوما كناية عن زمانهم وقوله وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر اشارة الى ما كان يتوقعه من انتقال هذا الامر اليه واراد بالغير تغيرات الدنيا وتقلبات الاحوال فان قلت اليس هو المطلق للدنيا فاين هذا القول من طلاقها ثلثا قلت انما طلقها من حيث هي دنيا ولم يردها لذاتها ولم يطلقها من حيث يعمر بها الاخرة بانكار المنكرات واظهار العدل واقامة عمود الدين وحراسته فان طلبه لها انما كان لذلك كما سبق في قوله لابن عباس بذي قار وهو يخصف نعله وتشبيه انتظاره للغير بانتظار المجدب للمطر ووجه الشبه شدة التوقع والانتظار ويمكن ان يلاحظ في وجه الشبه لحوق الامر المنتظر اذ من لواحقها انتظاره هو من الغير واشتمال الامر اليه شمول العدل وظهور الخصب وآثاره المشبه لوقع المطر في الارض المجدبة واستلزام الخير والبركة ثم شرع في تعريف حال الائمة وما نصبوا له وقوله لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه معناه ان اهل كل عصر لا يدخلون الجنة الا بمعرفة امامهم ومعرفته لهم واراد الاعتراف ولا يطلبهم الا ومعرفتهم معرفة حق ولايتهم وصدق امامتهم وبيان الحصر من وجهين احدهما ان دخول الجنة لا يمكن لاحد من هذه الامة الا باتباع الشريعة ولزوم العمل بها ولا يمكن ذلك الا بمعرفتها ومعرفة كيفية العمل بها ولا يمكن ذلك الا ببيان صاحب الشريعة والقايم بها وارشاده وتعليمه وذلك لا يمكن الا بمعرفة المأموم للامام وحقية امامته وصدق ولايته ليقتدي به ومعرفة الامام المأموم ليهديه فاذن دخول الجنة مستلزم لمعرفة الامام المأموم ومعرفتهم له ليقتدي به ومعرفة الامام الثاني ان معرفة هولاء الائمة عليهم السلام كما هو المشهور المنقول عشر ومعرفة حقية امامتهم وصدق ولايتهم ركن من اركان الدين فلا يدخل الجنة الا من قام ومن عرفهم كذلك وجب معرفتهم له بذلك فان قلت فنحن نرى كثيرا من شيعة هولاء الائمة وهم لا تعرفهم الائمة ولا يرون اشخاصهم قلت لا نسلم في معرفتهم لمحبيهم ومعرفة محبيهم لهم المعرفة الشخصية العينية بل الشرط المعرفة على وجه كلي وهو ان يعلموا ان كل

من اعتقد حق امامتهم واهتدى بما اشتهر من هديهم فهو ولي لهم ومعتقد لهذا الركن من الدين فيكونون عارفين بمن يتولاهم على هذا الوجه ومن يتولاهم عارفا بهم لمعرفته بحقية ولايتهم واعتقاد ما يقولون وان لم يشترط المشاهدة والمعرفة الشخصية واما انه لا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه فهو ايضا حق وذلك ان دخول الجنة مستلزم لمعرفتهم على الوجه الذي قررناه ومنحصر فيه فكل واحد ممن يدخل الجنة عارف بهم وذلك يستلزم انه لا يدخل الجنة منكر لهم لان معرفتهم وانكارهم مما لا يجتمعان في ملزوم واحد اذا عرفت ذلك فنقول ان من انكرهم وانكروه لا يجوز ان يكون امرا ممن يدخل النار اما اولا فللخبر المشهور من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية دل الخبر على ان انكارهم مستلزم للميتة الجاهلية المستلزمة لدخول النار واما ثانيا فلانه لو كان امرا لصدق على بعض من يدخل الجنة منكر لهم فحينئذ ينعكس بعض من يدخل الجنة منكر لهم وقد بينا انه لا واحد ممن يدخل الجنة بمنكر لهم هذا خلف وكذلك لا يجوز ان يكون لمن والا لصدق على بعض من يتولاهم ويعترف بصدق امامتهم انه يدخل النار لكن ذلك باطل لقول الرسول صلى الله عليه وآله يحشر المرء مع من احب وقوله لو احب احدكم حجرا لحشر معه دل الخبر على ان محبة الانسان لغيره مستلزم لحشره معه وقد ثبت انهم عليهم السلام الى الجنة يحشرون فكذلك من احبهم واعترف بحقية امامتهم ودخول الجنة مع دخول النار مما لا يجتمعان فيثبت انه لا واحد ممن يحبهم ويعترف بحقهم يدخل النار فقد ظهر اذن صدق هذه الكلية ايضا ووجه الحصر فيها ثم اخذ في اظهار منة الله تعالى عليهم بالقرآن الكريم وتخصيصهم به من بين ساير الكتب واستخلاصهم له اعدادهم لقبوله من بين ساير الامم ثم نبه على بعض اسباب كرامة تعالى لهم به انه اسم سلامة لانه مشتق من السلامة بالدخول في الطاعة وانما مر معناه من وجوه احدها انه مجموع كرامة تعالى لهم به انه من جهة من الله تعالى لان منه جميع ابانه على هداية الخلق لسبيل الله العايدة الى الجنة الثاني ان الله تعالى اصطفى منهجه وهو طريقه الواضحة الموصلة للسالكين بها الى رضوان الله الثالث انه تعالى بين حججه وهي الادلة والامارات ومن للتمييز والتقسيم هنا تقسيم الحجج الى ظاهر علم واشار به الى ظواهر الشريعة واحكامها الفقهية وادلة تلك الاحكام وباطن حكم واشار به الى ما يشتمل عليه الكتاب العزيز من الحكمة الالهية واسرار التوحيد وعلم الاخلاق والسياسات وغيرها الرابع انه لا تفنى غرايبه واراد بالغرايب هنا ابكار الحكم وبواهر العلم اي لطايفه وعدم فنائها اشارة اما الى بقائها واستمرارها على طول المدة وتغير الاعصار واما الى كثرتها عند البحث والتفتيش عنها الخامس ولا ينقضي عجايبه وذلك انه كلما تامل الانسان استخرج منه بفكره لطايف عجيبة من انواع العلوم لم تكن عنده من قبل السادس فيه مرابيع النعم واستعار لفظ المرابيع وهو الامطار التي تاتي في زمن الربيع فتحيي الارض وينبت الكلا لما يحصل عليه الانسان من النعم ببركة تعلم القرآن ولزوم اوامره ونواهيه وحكمه وآدابه اما في الدنيا فالنعم التي يحصل عليها الحاملين من القراء والمفسرين وغيرهم ظاهرة الكثرة واما بالنسبة الى الاخرة فما يحصل عليه متعلموا انواره من كمالات السعادة في الاخرة من العلوم والاخلاق الفاضلة اعظم نعمة واتم فضل ووجه الاستعارة ظاهر السابع ان فيه مصابيح الظلم واستعار لفظ المصابيح لقواعده وقوانينه الهادية الى الله في سبيله كما يهدي المصباح في الطريق المظلمة الثامن انه لا يفتح الخيرات الا بمفاتيحه

واراد الخيرات الحقيقية الباقية واستعار لفظ المفاتح لمناهجه وطرقه الموصلة الى تلك الخيرات ووجه الاستعارة كونها اسبابا موصلة اليها كما ان المفاتح اسباب موصلة الى خيرات الخزاين مثلا التاسع ولا تكشف الظلمات الا بمصابيحه واراد ظلمات الجهل وبالمصابيح قواعده كما سبق استعارة العاشر كونه قد احمى حماه اي جعله وعرضه لان يحمى كما يقال احميت فلانا او ضربته اذا هيأته للقتل وعرضته للضرب واستعار لفظ الحمى لحفظه وبركة العمل بقواعده ووجه الاستعارة انه بذلك يكون حفظ الشخص وحراسته اما في الدنيا فمن ايدي كثير من الظالمين لاحترامهم حملة القرآن ومفسريه ومن يتعلق به واما في الاخرة فلصيانته حفظه ومتدبره والعامل به من عذاب الله كما يحمي الحمى من يلوذ به ونسبة الاحماء اليه مجاز اذ المعرض له ان يتدبر ويعمل به هو الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وقيل اراد بحماه محارمه واحماها اي منع بنواهيه وزواجره ان يستباح محارمه وهو اخص مما قلناه الحادي عشر وكذلك ارعى مرعاه اي هيأه لان يرعى واستعار لفظ المرعى للعلوم والحكم والاداب التي يشتمل عليها القرآن ووجه المشابهة ان هذه مراعي النفوس الانسانية وغذاها الذي به يكون نشوها العقلي وتمامها العقلي كما ان المرعى المحسوس من النبات والعشب غذاء للابدان الحيوانية التي بها يقوم وجودها الثاني عشر فيه شفاء المشتفي اي طالب الشفاء منه اما في الابدان فبالتعوذ به مع صدق النية فيه وسلامة الصدر واما في النفوس فلشفائها به من امراض الجهل الثالث عشر وكفاية المكتفي واراد بالمكتفي طالب الكفاية اما من الدنيا فلان حملة القرآن الطالبين به المطالب الدنيوية هم في اكثر الناس على الاحتيال في تحصيل مطالبهم وكفايتهم بها واما من الاخرة فلان طالب الكفاية منها بكيفية تدبر القرآن ولزوم مقاصده وتحصيل مطلوبه منها وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** وهو في مهلة من الله يهوي مع الغافلين ويغدو مع المذنبين بلا سبيل قاصد ولا امام قايد **اقول** هذا الفصل يشتمل على صفة مطلق الضال واشار بالمهلة الى مدة عمره المضروبة له من الله تعالى وبهويه مع الغافلين الى سقوطه وانحطاطه في سلكهم بسبب جهله وغفلته عما يراد به واستعار لفظ الهوي لذلك الانحطاط وتلك المتابعة ووجه المشابهة ان المنهمك في مجاري الغفلة ومسالك الجهل تحطه عن درجة اهل السلامة ويهوي في مهابط الهلاك وهي الرذايل المبعدة عن الله تعالى كما ان الهاوي من علو كذلك ويغدوه مع المذنبين موافقته لهم فيما هم فيه ومسارعته الى المعاصي من غير ان يسلك سبيلا قاصدا للحق او يتبع اماما يقوده اليه من استاد مرشد او كتاب او سنة وبالله التوفيق **منها** حتى اذا كشف لهم عن جزاء معصيتهم واستخرجهم من جلابيب غفلتهم استقبلوا مدبرا واستدبروا مقبلا فلم ينتفعوا بما ادركوا من طلبتهم ولا بما قضوا من وطرهم فاني احذركم ونفسي هذه المنزلة فلينتفع امرؤ بنفسه فانما البصير من سمع فتفكر ونظر فابصر وانتفع بالعبر ثم سلك جددا واضحا يتجنب فيه الصرعة في المهاوي والضلال في المغاوي ولا يعين على نفسه الغواة بتعسف في حق او تحريف في نطق او تخوف من صدق فافق ايها السامع من سكرتك واستيقظ من غفلتك واختصر من عجلتك وانعم الفكر فيما جاءك على لسان النبي الامي صلى الله عليه وآله مما لا بد منه ولا محيص عنه وخالف من خالف ذلك الى غيره ودعه وما رضي لنفسه وضع فخرك واحطط كبرك واذكر قبرك فان عليه ممرك وكما تدين تدان وكما تزرع تحصد وما قدمت اليوم تقدم عليه

غدا فامهد لقدمك وقدم ليومك فالحذر الحذر ايها المستمع والجد الجد ايها الغافل ولا ينبئك مثل خبير ان من عزايم الله في الذكر الحكيم التي عليها يثيب ويعاقب ولها يرضى ويسخط انه لا ينفع عبدا وان اجهد نفسه واخلص فعله ان يخرج من الدنيا لاقيا ربه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها ان يشرك بالله فيما افترض عليه من عبادته او يشفي غيظه بهلاك نفس او يعر بامر فعله غيره او يستنجح حاجة الى الناس باظهار بدعة في دينه او يلقى الناس بوجهين او يمشي فيهم بلسانين اعقل ذلك فان المثل دليل على شبهه ان البهايم همها بطونها وان السباع همها العدوان على غيرها وان النساء همهن زينة الحيوة الدنيا والفساد فيها ان المؤمنين مستكينون ان المؤمنين مشفقون ان المؤمنين خائفون **اقول** الطلبة المحبة والوطر الحاجة والجدد الطريق الواضح واستنجح الحاجة استقضاها وصدر هذا الفصل صفة غاية الغافلين عن احوال الاخرة المشمرين في طلب الدنيا وفاعل كشف ضمير يعود الى اسم الله تعالى فيما سبق من الكلام وقد علمت ان النفس ذات جهتين جهة تدبير احوالها البدنية بما لها من القوة العملية وجهة استكمالها بقوتها النظرية التي تتلقى بها من العاليات كمالها وعلمت انه بقدر خروجها عن حد العدل في استكمال قوتها العملية ينقطع عن الجهة الاخرى وتكتنفها الهيآت البدنية فيكون في اغطية منها وجلابيب من الغفلة عن الجهة الاخرى لانصرافها الى ما يقتضيه مما يعد جزئيات الدنيا ووجوب انصبابها في هذه الجهة وتمكن تلك الهيآت البدنية منها يكون بعدها عن ناديها وهبوطها في دركات الجحيم وبالعكس كما قال صلى الله عليه وآله الدنيا والاخرة ضرتان بقدر ما تقرب من احديهما تبعد من الاخرى وظاهر ان بالموت تنقطع تلك الغفلة وتنكشف تلك الحجب فيومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى ويكون ما احتبله يومئذ من تعلق تلك الهيآت بنفسه وحطها عن درجات الكمال وما شاهده من السلاسل والاغلال هو جزاء معصيتهم المكشف لهم ولفظ الجلابيب استعارة لفظ المحسوس للمعقول ووجه المشابهة حجب الغفلة لاعين بصايرهم عن النور بانوار الله كحجب البصر بالجلباب والمدبر الذي استقبلوه هو العذاب الاخروي والاهوال التي كانت غايبة عنهم والمقبل الذي استدبروه هو ما كانوا فيه من مأمولاتهم واحوالهم الدنيوية وظاهر انهم لم ينتفعوا اذن بما ادركوا من طلباتهم الدنيوية ولا بما قضوا من اوطارهم ومحابهم الحاضرة فيها ثم عاد الى التحذير من هذه المنزلة اي الحالة التي هولاء الموصوفون عليها من الغفلة فانها لمقام صعب ومنزلة ذميم وشرك نفسه في التحذير لانه ادخل في جذب نفوس السامعين الى طاعته ثم امر كلا بالانتفاع بنفسه وشرح كيفية الانتفاع بشرح حال البصير لانه لا ينتفع بنفسه الا البصير وذكر امورا فالاول ان يتفكر فيما يسمعه من كلام الله ورسوله والمواعظ البالغة فانه لا ينتفع بها بدون الفكر كما علمت الثاني ان ينظر بعين حسه وبصيرته فيتوجه المقاصد النافعة فيبصرها ويدرك بعقله منها العبر الثالث ان ينتفع بما يدركه من العبر وذلك بالعمل بها وفق ما علم وادرك الرابع ان يسلك الصراط المستقيم الذي وردت به الشريعة وهو الجدد الواضح ويتجنب فيه العدول والانحراف فانه من انحرف عنه ولو باليسير انصرع في مهاويه وضل في مغاويه وقد نبهناك فيما سلف على ذلك بالمثل الذي ضربه النبي صلى الله عليه وآله حيث قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي

الصراط ابواب مفتحة وعليها ستور مرخاة وعلى راس الصراط داعي يقول ادخلوا ولا تعرجوا قال فالصراط هو الدين
وهو الجدد الواضح هنا والداعي هو القرآن والابواب المفتحة محارم الله وهي المهاوي والمعاوي هنا والستور المرخاة
هي حدود الله ونواهيه ثم نهى ان يعين الانسان على نفسه الغواة بامور ارتبها في جواب لا يحملهم على ترك الحق
وصعبه فان الحق له درجات بعضها اسهل من بعض فالاستقصاء فيه على غير اهله يوجب لهم التفرق عمن يقول به ويأمر
والعداوة له والقول فيه ويحتمل ان يريد بالتعسف في الحق التكلف في العمل به مع نوع من التقصير فيه فان الغواة
تاركوا الحق فاذا وجدوا ركيكا فيه او متكلفا للعمل به مقصرا طمعوا في الاتيان بالباطل فكان قد اعانهم على نفسه
بذلك وكذلك اذا انسوا منه الكذب والتحريف في القول والتخوف من الصدق كان ادعى لهم الى الطمع في ادخال
الباطل وادخاله فيه فكان معينا لهم على اغواء نفسه بذلك ثم عاد الى امر السامع باوامر احدها الافاقة من سكرة
الجهل والتيقظ من الغفلة في الدنيا ولفظ السكرة مستعار ووجه المشابهة كون الغفلة مستلزمة لترك الاعمال
كما ان السكر كذلك الثاني بالاختصار من العجلة واراد بالعجلة سرعة الحركة في طلب الدنيا والاهتمام بها وبالاختصار
تخفيف تلك الحركة وتقليلها الثالث بانعام الفكر فيما دار على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وكثر من ذكر
الموت وعرض النفوس على ديانها وانعام الفكر في ذلك تدقيق النظر في حال الموت وما بعده والاعتبار بما
لا بد منه ولا محيص عنه من ذلك الرابع بمخالفة من خالف ذلك ونظرائه غيره مما عنه بد من احوال الدنيا وزينتها
وان يدع ذلك المخالف وما رضي لنفسه من التعوض بالامور الفانية عن الامور الباقية وما يستلزم
ذلك من الشقاوة الاخروية الخامس ان يضع الفخر ويحط الكبر وقد سبق بيان ما في الكبر من الآفات والفخر يستلزم
الكبر اذ كل مفتخر متكبر ومثلا زمان السادس ان يذكر قبره لان في ذكره عبرة تامة وقوله فان عليه ممرك تنبيه
له على وجوب الذكر له فان السالك لطريق لا بد من سلوكها اذا كان فيها منزل موحش مظلم وجب الاستعداد له
بحمل الضوء للاستنارة فيه والانسان في سلوكه لطريق الآخرة لا بد له من المرور بالقبر واحكام الشارع الكريم
ثم نبههم بالمثلين المشهورين كما تدين تدان على وجوب حسن المعاملة مع الله سبحانه اذ كان حسن جزائه بعد حسن
معاملة العبد له وقبحه بقبحها وكذلك قوله كما تزرع تحصد ولفظ الزرع مستعار لما يفعله الانسان فيكتسبه
ملكة خيرا او شرا وكذلك لفظ الحصد للحصول على ما يثمره تلك الآثار ويستلزمه من ثواب وعقاب ووجه الاستعارة
ظاهر وقوله وما قدمت اليوم تقدم عليه غدا ظاهر فان الملكات النفسانية التي هي ثمرات الافعال المستلزمة للسعادة
او الشقاوة وان كانت مستصحبة للنفس مدة تعلقها في الدنيا ايضا الا انها لا تنكشف لها الا بعد المفارقة كما
سبق بيانه فيكون حينئذ حالة الانكشاف بمنزلة من قدم على امر لم يكن معه واذا كان كذلك فينبغي للانسان
ان يمهد لقدمه اي يوطئ موضع قدمه في الآخرة لطيب الاعمال وتقديم صالحها اليوم قياسا ثم عاد الى التحذير
من حيث هو سامع للموعظة والى امره بالجد في العمل لما بعد الموت واليقظة من الغفلة ونبهه باقتباس الآية
على ان الواعظ له خبير باحوال طريق الآخرة واهوالها ولا يخبر بحقائق الامور كالعارف بها ثم عاد الى التحذير من

بعض الكبائر التي نص القرآن المجيد انها مستلزمة للعقاب لا محالة والذكر الحكيم هو القرآن وقد سبق بيان
معنى الحكيم منه وقيل هو اللوح المحفوظ واسم ان انه لا ينفع والضمير في انه ضمير الشأن وفاعل ينفع ان يخرج ولاقيا
نصب على الحال واراد ان من جملة نصوص الله سبحانه التي هي في محكم كتابه العزيز التي باعتقادها والعمل على وفقها
يثيب ويرضى وبتركها يعاقب ويسخط انه لا ينفع عبدا خروجه من الدنيا لاقيا ربه باحد الخصال المذكورة وان اجهد
نفسه في العمل واخلص فيه احدها الشرك بالله تعالى وقد سبق منا بيان درجات الشرك وبقدر قوته وضعفه
يكون قوة العقاب وضعفه والنص الدال على مضرة الشرك لعدم نفعه قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به
وقوله فيما افترض عليه من عبادته يعني به انه اراد الشرك بالرياء في العبادة لا اتخاذ الأوثان وهذه الآفة تلحق النفس
تارة من غلبة الجهل عليها واستيلاء الغفلة وترك النظر في المعرفة والتوحيد وتارة من غلبة الشهوة كما تلحق نفس
المرائي بعبادته لطلب الدنيا الثانية ان يشفي غيظه بهلاك نفس وفي نسخة نفسه ونفس اعم وذلك الهلاك
تارة في الدنيا كما يستلزم السعي بالنميمة الى الملوك ونحوه وفي الآخرة باكتساب الآثام المستلزمة لشفاء الغيظ
والنص فيه قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الآية وهذه الآفة تلحقها بواسطة القوة الغضبية
الثالثة ان يقر بامر فعله غيره اي يتم على غيره بامر فعله ذلك الغير فيستلزم اهلاكه او اذاه فيدخل فيمن يسعى في الارض
فسادا والنص عليه قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا الآية
وروى بعض الشارحين يعر بالعين المهملة قال ومعناه ان يقذف غيره بامر قد فعله هو فيكون غيره مضروبا للنشر
به والعامل يعر يقال عره يعره عرا اي عابه ولطخه فعلى هذا يكون داخلا في جملة الفاسقين والكاذبين والمؤذين
للمؤمنين بغير ما اكتسبوا وهذه الآفة تلحق النفس بشركة من الشهوة والغضب الرابعة ان يستنجح حاجة الى الناس
باظهار بدعة في دينه كشاهد الزور ولغاية يصل اليها او المرتشي في الحكم والقضاء الخامسة ان يلقى الناس بوجهين
او يمشي فيهم بلسانين اي يلقى كلا من الصديقين مثلا بغير ما يلقى به الآخر ليغري بينهما او بين العدوين
ليغري بينهما وبالجملة ان يقول بلسانه ما ليس في قلبه فيدخل في زمرة المنافقين ووعيد المنافقين في القرآن
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ومطابقة ذلك من العقل ان من نقش لوح نفسه بهيئات السوء
ولم يمحها بالتوبة الخالصة فهو من اصحاب النار وقوله اعقل ذلك الى آخره اي اعقل ما اضربه لك من المثل واحمل عليه
ما يشبهه فان المثل دليل على شبيهه وذلك المثل قوله ان البهائم الى قوله والنساء فيها فقوله ان البهائم همها
بطونها اشارة الى ان الانسان المتبع لشهوته بمنزلة البهيمة في اتباع قوة الشهوة والاهتمام بالطعام والشراب
دون المطالب الحقيقية وقوله وان السباع همها العدوان على غيرها اشارة الى ان متبع القوة الغضبية
بمنزلة السبع في اتباعها ومحبتها للانتقام والغلبة على الغير وقوله ان النساء همهن زينة الحيوة الدنيا والفساد
فيها اشارة الى ان النساء متبعة للقوتين الشهوية والغضبية ولما كان همهن زينة الحيوة الدنيا والغضبية ولما كان
همهن الفساد في الدنيا فالتابع لشهوته وغضبه لاحق بالنساء في ذلك ثم لما حض تابع الشرع فوق الشهوة

والغضب ذكر المؤمنين بصفات ثلاث كل منها يستلزم كسر تينك القوتين وهي الاستكانة لله والخضوع له ثم الاشفاق
من غضبه ثم الخوف من عقابه وظاهر كون كل واحد من هذه الصفات حادبا لهم عن طرف الافراط في القوتين والخروج
عن حد العدل فيهما وغاية هذا المثل التنفير عن طاعة الشهوة والغضب بالتشبيه على ان الخارج فيهما عن حد
العدل الى ما لا ينبغي اما ان يشبه البهيمة او السبع او المرأة وكل منها مما يرغب العاقل عنه وهو الذي امر بعقله
فانظر الى ما اشتمل عليه هذا الكلام من الاشارة اللطيفة التي يشهد عليه السلام بمشاهدة الحق كلها وان العبرة
ذلك وامثاله من الحكم البالغة وتطرقت الى انه عليه السلام لم يرجع فيه الى بسط العمر كتابا واستفادة بحث بل
انه فيض رباني بواسطة اعداد سيد البشر والاستاد المرشد صلى الله عليه وآله قال الشارح الفاضل عبد الحميد بن ابي الحديد
رحمه الله انما قصد باطن هذا الكلام الرؤساء يوم الجمل لانهم حاولوا ان يشفوا غيظهم باهلاكه واهلاك غيره من المسلمين
وعيروه عليه السلام بامر هم فعلوه وهو التأليب على عثمان وحصره واستنجحوا حوائجهم الى اهل البصرة باظهار البدعة
والفتنة ولقوا الناس بوجهين ولسانين لانهم بايعوه واظهروا الرضا به ثم نكثوا من وجه آخر فجعل ذنوبهم هذه مماثلة
للشرك في انها لا يغفر الا بالتوبة قال وهذا معنى قوله اعقل ذلك فان المثل دليل على شبيهه وبالله التوفيق ومن خطبة
له عليه السلام وناظر قلب اللبيب به يبصر امده ويعرف غوره ونجده داع دعا وراع رعى فاستجيبوا للداعي واتبعوا
الراعي قد خاضوا بحار الفتن واخذوا بالبدع دون السنن وارز المؤمنون ونطق الضالون المكذبون نحن الشعار
والاصحاب والخزنة والابواب لا تؤتى البيوت الا من ابوابها فمن اتاها من غير ابوابها سمي سارقا اقول الامد الغاية
والغور والنجد المنخفض والمرتفع وارز بتقديم الراء اي انقبض واجتمع وناظر قلب اللبيب عين بصيرته فظاهر انه يبصر
بها طريقه وغايته التي هو متوجه اليها ومطلوبه منها وغوره ونجده طريقي الخير والشر وهما النجدان في قوله تعالى وهديناه
النجدين وعبارة القرآن المجيد احسن وهذه العبارة انسب الى المعنى فان الغور هو المنخفض والمستفل اشبه ان يعبر
عن رتبة النازلين في دركات الجحيم من النجد واشار بالداعي له الى الرسول صلى الله عليه وآله وما جاء به من القرآن الكريم
والسنة وبالراعي الى نفسه وامر بالاستجابة للاول والاتباع للثاني وظاهر وجوب الاستجابة لله لقوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ويجب اتباع من اوجب اتباعه وقوله قد خاضوا بحار الفتن
يحتمل ان يكون التفاتا الى صفة قوم معهودين للسامعين كمعوية واصحاب الجمل والخوارج ويحتمل ان يكون منقطعا
عما قبله متصلا بكلام لم يحكه الرضي رضي الله عنه واليه ذهب بعض الشارحين قال وهو ذكر قوم من اهل الضلال
قد كان اخذ في ذمهم وعيبهم ولفظ البحار مستعار لما عظم من الفتن والحروب وقد عرفت وجه الاستعارة قبل و
رشح بذكر الخوض والبدعة قد يراد بها ترك السنة وقد يراد بها امر آخر يفعل مع ترك السنة وهو الاظهر في العرف
ثم التفت الى ذكر فضيلته فاستعار لفظ الشعار لنفسه واهل بيته ووجه المشابهة ملازمتهم الرسول صلى الله عليه
وآله واختصاصهم به كما يلزم الشعار الجسد ثم ذكر كونهم اصحابا له ثم كونهم خزنة اي خزنة علمه كما نقل عن الرسول
صلى الله عليه وآله هو خازن علمي وفي رواية عيبة علمي وقيل خزنة الجنة على معنى ان من جاء يوم القيمة بولايتهم دخل

الجنة والا فلا ولفظ الخزنة على تقديرين مستعار ووجه المشابهة تصرفهم بمنع العلم واعطائه او بمنع الجنة بسببهم و
اعطائها كما ان الخازن للشيء كذلك ثم كونهم الابواب اي ابواب العلم كما قال صلى الله عليه وآله انا مدينة العلم
وعلي بابها او ابواب الجنة على الاستعارة السابقة وقوله لا تؤتى البيوت الا من ابوابها وذلك لوجوه احدها
العادة الجارية على وفق الحكمة الثاني النص واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله الثالث العرف وهو ان
من اتاها من غير ابوابها سمي سارقا والتقبيح العرفي يستلزم الترك ومراده ان من طلب العلم والحكمة واسرار
الشريعة فليرجع الينا وبالله التوفيق منها فيهم كرائم الايمان وهم كنوز الرحمن ان نطقوا صدقوا وان
صمتوا لم يسبقوا فليصدق رائد اهله وليحضر عقله وليكن من ابناء الآخرة فانه منها قدم واليها ينقلب فالناظر
بالقلب العامل بالبصر يكون مبتدأ عمله ان يعلم اعليه ام له فان كان له مضى فيه وان كان عليه وقف عنه فان العامل
بغير علم كالسائر على غير الطريق فلا يزيده بعده عن الطريق الا بعدا عن حاجته والعامل بالعلم كالسائر على الطريق
الواضح فلينظر ناظر اسائر هو ام راجع واعلم ان لكل ظاهر باطنا على مثاله فما طاب ظاهره طاب باطنه وما خبث
ظاهره خبث باطنه وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله ان الله يحب العبد ويبغض عمله ويحب العمل ويبغض بدنه
واعلم ان لكل عمل نباتا وكل نبات لا غنى به عن الماء والمياه مختلفة فما طاب سقيه طاب غرسه وحلت ثمرته
وما خبث سقيه خبث غرسه وامرت ثمرته اقول الاشارة الى فضائل اهل البيت عليهم السلام فالاولى فيهم
كرائم الايمان اي نفائسه المستلزمة لاستدعاء القرب من الله تعالى كالاخلاق الفاضلة والاعتقادات الحقة اطلق
لما عليه الامر بعينه الثانية وهم كنوز الرحمن اي خزائن علمه وسائر ما امر به من مكارم الاخلاق الثالثة ملازمة
منطقهم للصدق الرابعة اختصاصهم بالحكمة التي لا يتمكن غيرهم من النطق بها والسبق اليها حال سكوتهم فهم ان
نطقوا فبحكمة وان صمتوا فالحكمة ووضع للصمت في موضعه واما ذكر هذه الفضائل لنفسه واهل بيته بالالتماس
قوله ودعوته الى الله ولذلك عقبه بالمثل فليصدق رائد اهله واشار به الى ان من يحضرنا لطلب الاخبار فليصدق
من يعينه امرنا انا اهل الحق وينابيع العلوم والحكمة والادلاء الى الله كما يصدق الرائد الطالب للكلاء والماء
اهله مبشرا بهما وليحضر عقله لما يقوله ليعرف صحة ما ادعيناه ثم شرع فيما ينبغي ان يقوله انسان وهو التنبيه على
احوال الآخرة وان يكون العاقل من ابنائها ووجه استعارة البنوة هنا قوله فانه منها قدم واليها ينقلب اي كما ان
الابن ينقلب عن الام اليها واوطنه وجوده كذلك الانسان مبدأه الحضرة الالهية فمنها ينقلب واليها يعود فينبغي
ان يكون من ابنائها بالرغبة فيها والوله اليها والعمل لها ثم نبه العاقل ذا الفكر السليم الناظر بعين بصيرته
على ما ينبغي له ابتداء به في حركاته وسكناته وهو ان يتفقد احوال نفسه فيما يهم به وينبعث في طلبه او تركه ويعلم ان ذلك
الخاطر او تلك الحركة مقربة له من الله تعالى فيكون له فينبغي ان يمضي فيها او مبعدة له عن رضاه ومستلزمة لسخطه فيكون
عليه فيقف عنها ثم شبه الجاهل في حركاته وسكناته بالسائر على غير طريق واشار الى وجه التشبيه بقوله فلا يزيد
بعده عن الطريق الا بعدا من حاجته اذ كان بعده عن مطلوبه بقدر بعده عن طريق ذلك المطلوب وبضده العامل

بالعلم في سلوكه وقربه من مطلوبه وتقريب ذلك التشبيه عن الجهل وزاد في التشبيه بقوله فلينظر ناظر أسائر هو أم راجع وليعلم
اذا علم انه سائر وجب ان يعلم كيف يسير ويشعل مصباح العلم ليسلم من الضلال والحيرة في مهاوي الهلاك وقوله واعلم
ان لكل ظاهر باطنا الى قوله ويبغض بدنه فاعلم ان هذه القضية الكلية صادقة وذلك انه لما صدر عن الجود الالهي عالم
الغيب والشهادة وان شئت عالم الخلق والامر وان شئت العالم الروحاني والجسماني اقتضت الحكمة الالهية كون عالم
الشهادة طريقا للنفوس البشرية الى عالم الغيب ولولاها لتعذر السفر الى الحضرة الالهية وانسد طريق الترقي الى
الله فكان جميع ما ظهر في عالم الشهادة مثالا لامر باطن من عالم الغيب هو الطريق اليه والدليل عليه وغرضه
المفهوم من كلامه عليه السلام هنا تخصيص تلك الكلية باحد امرين فاما ان يشير بالظاهر الى الاعمال وبالباطن
الى الاخلاق واعمال القلوب وما في الامزجة المختلفة من الخير والشر وقيل اشارة الى ما يحصل
من الثواب والعقاب في الآخرة وقد دل الاستقراء والقياس على ان حسن الصورة او حسن الاعمال الظاهرة التي
تبدو من الانسان حسن الاخلاق وطيب السريرة مستقيم السيرة وعلى ان قبحها سيء الاخلاق شريرها اما الاستقراء فظاهر
واما القياس فلان تحسين الاخلاق وقرب النفس من الاستقامة على طلب الحق مقتضى قرب المزاج حسن الاخلاق
من الاعتدال وكذلك حسن الصورة فهو قياس هكذا احسن الصورة معتدل المزاج وكل معتدل المزاج حسن الاخلاق
فحسن الصورة حسن الاخلاق وان شئت هكذا معتدل المزاج حسن الصورة ومعتدل المزاج حسن الاخلاق فاكثر ثياب
فاق بعض حسن الصورة قبح الباطن وبعض خبيث الظاهر حسن الباطن ولذلك استشهد بما رواه
من الرسول صلى الله عليه وآله فان الله يحب العبد من حيث صورة الحسن لكونها مقتضى الحكمة الالهية
الوجود من القبيحة التي هي انسب الى العدم الذي هو الشر المحض ويبغض عمله من جهة ما هو شر وكذلك يحب العمل
الباطن الطيب ويبغض بدنه القبيح لنسبته الى العدم الذي هو شر واما النص في دلالة الظاهر على الباطن فما
نطق به القرآن الكريم والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا اي عسرا شوما قال ابن عباس
ومجاهد والحسن وقتادة والسدي هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر بالارض العذبة التربة وبالارض
السبخة المالحة شبه فيه المؤمن الذي اذا سمع القرآن وعاه وعقله وانتفع به فبان اثره عليه بحسن الاعمال وطيبها
بالبلد الطيب اذ كان البلد الطيب يمرع ويخصب ويحسن اثر المطر عليه وشبه الكافر الذي يسمع القرآن فلا يؤثر
فيه اثرا محمودا بالبلد الخبيث اذ كان لا يمرع ولا يخصب ولا يتبين اثر المطر فيه واما البغض والمحبة فقد علمت انهما
يعودان في الله سبحانه الى الارادة والكراهة فما كان خيرا محضا او الخير غالب عليه فهو مراد له بالذات وما كان
شرا محضا او غالبا فهو مراد له بالعرض مكروه له بالذات وقوله واعلم ان لكل عمل نباتا استعار لفظ النبات
لزيادة الاعمال ونموها ورشح تلك الاستعارة بذكر الماء وكنى به عن المادة القلبية للاعمال ووجه التشبيه
ان الحركات في العبادة انما تكون بالميول القلبية والنبات كما ان حركة النمو للنبات انما تكون بالماء وظاهر ان اختلاف
المياه في الحلاوة والملوحة سبب لاختلاف استعداد النبات لطيب المغارس والثمار فطاب سقيه اي بنفسه

من الماء طابت ثمرته وما خبث خبثت ثمرته فكذلك ما يشبه النباتات وهي الاعمال يكون طيب ثمارها وهي نيل الجنة
وانواع لذاتها بحسب طيب مادتها من الاخلاص لله وخبثها بحسب خبث مادتها من الرياء وحب الشهرة ويكون ثمرتها
امر الثمار اذ لا امر مذاقا من عذاب النار وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** يذكر فيها بديع خلقة الخفاش
الحمد لله الذي انحسرت الاوصاف عن كنه معرفته وردعت عظمته العقول فلم تجد مساغا الى بلوغ غاية ملكوته هو الله الحق
المبين احق وابين مما ترى العيون لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبها ولم تقع عليه الاوهام بتقدير فيكون ممثلا
خلق الخلق على غير تمثيل ولا مشورة مشير ولا معونة معين فتم خلقه بامره واذعن لطاعته فاجاب ولم يدافع وانقاد
ولم ينازع ومن لطائف صنعته وعجائب خلقته ما ارانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء
الباسط لكل شيء ويبسطها الظلام القابض لكل حي وكيف عشيت اعينها عن ان تستمد من الشمس المضيئة نورا
تهتدي به في مذاهبها وتتصل بعلانية برهان الشمس الى معارفها وردعها بتلألؤ ضيائها عن المضي في سبحات اشراقها
واكنها في مكامنها عن الذهاب في بلج ائتلاقها فهي مسدلة الجفون بالنهار على حداقها وجاعلة الليل سراجا تهتدي به
في التماس ارزاقها فلا يرد ابصارها اسداف ظلمته ولا تمتنع من المضي فيه لغسق دجنته فاذا القت الشمس قناعها
وبدت اوضاح نهارها ودخل من اشراق نورها على الضباب في وجارها اطبقت الاجفان على مآقيها وتبلغت
بما اكتسبته من المعاش في ظلم لياليها فسبحان من جعل الليل لها نهارا ومعاشا والنهار سكنا وقرارا وجعل لها
اجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة الى الطيران كانها شظايا الآذان غير ذوات ريش ولا قصب الا انك ترى
مواضع العروق بينة اعلاما لها جناحان لما يرقا فينشقا ولم يغلظا فيثقلا تطير وولدها لاصق بها لاجئ
اليها يقع اذا وقعت ويرتفع اذا ارتفعت لا يفارقها حتى تشتد اركانه ويحمله للنهوض جناحه ويعرف مذاهب عيشه
ومصالح نفسه فسبحان البارئ لكل شيء على غير مثال خلا من غيره **اقول** الخفاش مفرد جمعه خفافيش وهو من
الخفش وهو ضعف البصر خلقة وانحسرت كلت ورد عت كفت والمساغ المسلك وسبحات اشراقها جلاله والائتلاق
والبلج جميعا بمعنى واول ضوء الصبح وقد يكون مصدرا والائتلاق اللمعان والاسداف مصدر اسدف الليل اظلم
والغسق الدجنة ظلام الليل ووضح النهار ضوؤه ووجار الضب بيته والشظايا القطع وقد حمد الله تعالى باعتبارات
الاول انحسار الاوصاف عن كنه معرفته ولما كانت ذاته تعالى بريئة من انحاء التراكيب لم يكن للعقول ادراكها بشيء
من الاوصاف لكنه وقد سبق مرارا الثاني ردع عظمته العقول عن بلوغ غاية ملكوته وذلك ظاهر لان الادراك
للاشياء بحقائقها انما يتم بادراك حقائق عللها واذا استلزمت عظمته وارتفاعه عن ادراك العقول ردعها
عن معرفة كنهه فظاهر انها لا تجد مسلكا الى غاية ملكوته وما عليه نظام الوجود الاعلى والاسفل كما هو الثالث
قوله هو فهو الهو المطلق وهو الذي لا يكون هويته موقوفة على غيره ومستفادة منه فان كل ما كان مستفادا من
الغير فما لم يعتبر غيره لم يكن هو فلم يكن هو هو المطلق وكل ما كان هو هو لذاته فسواء اعتبر غيره او لم يعتبر فهو هو
لكن كل ممكن فوجوده من غيره وكل ما كان وجوده من غيره فخصوصية وجوده وتعينه من غيره وهو الهوية فاذن كل

ممكن فهويته من غيره فلا يكون هو هو لذاته لكن المبدأ الاول هو هو لذاته فلا يكون من غيره فلا يكون ممكنا فهو
واجب لذاته فاذن واجب الوجود هو الذي لذاته هو هو بل ذاته هويته لبراءته عن التركيب المستلزم للامكان الرابع
ذكر الهوية باسم الله وذلك لانه لما كانت تلك الهوية والخصوصية عديمة الاسم لا يمكن شرحها الا بلوازمها واللوازم
منها اضافية ومنها سلبية واللوازم الاضافية اشد تعريفا والاكمل في التعريف هو اللازم الجامع لنوعي الاضافة
والسلب وذلك هو كون تلك الهوية الها فان الاله هو الذي ينسب اليه غيره ولا ينسب هو الى غيره فانتساب غيره اليه
اضافي وعدم انتسابه الى غيره سلبي فلا جرم عقب ذكر الهوية بما يدل على ذلك اللازم الاكمل في التعريف من حيث
ليكون كالكاشف لما دل عليه لفظ هو وفيه سر لطيف وهو انه لما عرف تلك الهوية بلازمها وهو الالهية نبه على انه
لا جزء لتلك الهوية والا لكان العدول عنه الى التعريف باللازم قصورا الخامس ذكر الحق وهو الثابت الموجود فانه
لما اشار الى الهوية وشرح اسمها عقب ذلك بالاشارة الى كونها حقا موجودا وجودها عند العقول احق وابين مما
ترى العيون وذلك ظاهر فان العلم بوجود الصانع جلت عظمته فطري للعقول وان احتاج الى تنبيه ما والعلوم التي
مستندها الحس قد يقع الخلل فيها بسبب ما يقع للوهم من اشتباه المحسوسات وعدم ضبطها او بسبب تقصير الحس
في كيفية الاداء لصورة المحسوس فكانت المعقولات الصرفة احق لادراك العقل لها بذاته السادس ان العقول
لم تبلغه بتحديد فيكون مشبها وفيه اشارة لطيفة تدل على كمال علمه عليه السلام وذلك انك علمت في المقدمات
ان العقول انما قويت على الاتصال بالامور المجردة وكانت القوة المتخيلة بحيث تقوى على استخلاص الحس المشترك
وضبطه عن الحواس الظاهرة فان النفس والحال هذه اذا توجهت الى اقتناص امر معقول واخذت القوى التي
اثرها انتقشت بذلك المعقول ثم انها تستعين في ضبط ذلك الامر بالقوة المتخيلة فتحاكيه بما يشبهه من الامور
المحسوسة ثم تحطه الى خزانة الخيال فيصير مشاهدا مثلا اذا عرفت ذلك فنقول لو كان البارئ تعالى مما تدركه
العقول وتثبته بحد وصفة لكان استثباتها له على النحو المذكور فيلزم ان يكون مشبها بغيره من الاجسام و
الجسمانيات لتثبت صورته عند الذهن وقد تنزه وتقدس الله عن التشبيه فنفى منها التابع وكذلك لم يقع الاوهام
عليه بتقدير فيكون ممثلا اذ الوهم لا يدرك الا المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات ولا بد في ادراك ذلك المعنى
من بعث المخيلة على تشبيهه بمثال من الصور الجسمانية فلو وقع عليه وهم لمثله في صورة حسية حتى ان الوهم انما يدرك
نفسه في مثال من صورة وحجم ومقدار الثامن خلقه الخلق على غير مثال الى قوله معين وقد سبق ايضا بيانه في الخطبة
الاولى وغيرها وتمام خلقه بامره بلوغه الى غايته في الكمال الممكن له اذ نطقت البراهين العقلية ان كل ما امكن
لشيء وصل اليه من الجود الالهي المنزه عن البخل والمنع من جهته واذعانه لطاعته دخوله تحت القدرة الالهية وكذلك
اجابته من غير مدافعة وانقياده من غير منازعة ثم شرع في مقصود الخطبة وهو حمد الله تعالى باعتبار بعض لطائف
صنعه وعجائب خلقه والتنبيه على غوامض حكمته في خلقة هذا الحيوان المخصوص وبدأ بالتعجب مما اقتضاه سائر
الحيوان في قبض الضياء لابصارها مع بسطه لسائر ابصار الحيوانات واعداده لانبساط النبات ونموه وغيره

ثم من بسط الظلام لابصارها مع قبضه لسائر الاحياء ثم نبه على العلة الطبيعية لذلك وهو عشاء اعينها وضعفها
ان تستمد من نور الشمس المضيئة نورا تهتدي به والذي ذكره علة ذلك الضعف هو افراط التحلل في الروح الحامل للقوة
الباصرة من هذا الحيوان اذا لقي حر النهار فيصيبه لذلك التحلل ضعف يحتاج معه الى ما يقويه عما يتحلل فيرجع عن
العضو الباصر منها طالبا لبدل ما يتحلل فيتكمل البدل بقرب الليل لمكان برده وضعف حرارة النهار فيعود الابصار
ووصفه عليه السلام لهذه الخاصية منها وكيفية حالها فيها الى قوله ظلم لياليها وصف لا مزيد على فصاحته وقوله
وتتصل بعلانية برهان الشمس الى معارفها في غاية الفصاحة ومعارفها بمعرفة من مذاهبها ووجوه تصرفها
وتتصل عطف على قوله تستمد واما اسدالها الجفون على حداقها فلان تحلل الروح الحامل للقوة الباصرة سبب
للنوم ايضا فيكون ذلك الاسدال ضربا من النوم وكثيرا ما يحصل لكثير من الحيوان وسببه ما ذكرناه واستعار لفظ
القناع للشمس ملاحظة لشبهها بالمرأة ذات القناع وكنى بالقائه عن بروزها من حجاب الارض ثم تسبيحه لله
وتعظيمه باعتبار امر آخر لها على التعجب وهو خلق اجنحتها من لحم بلا ريش ولا قصب كسائر اجنحة الطير بل من عروق
وغيرها تبسطه وتقبضه على مفاصل مخصوصة من غير ان قد توجب له الانشقاق وضعف الطيران ولا غلظ يوجب له
الثقل ثم ثلث بعجيب حالها مع ولدها وذلك انه يلصق بها فيرتضعها ولا يفارقها في حالتي وقوعها وطيرانها
حتى يشتد ويمكنه الطيران والتصرف بنفسه وذلك امر تخالف به سائر الحيوان وهو محل التعجب ثم ختم
الفصل بتسبيح الله تعالى باعتبار خلقه لكل شيء من غير مثال سبق من غيره ومن الامثال العامة قيل للخفاش لما
ذا لا اجنحة لك قال لاني تصوير مخلوق وقيل فلما ذا لا تخرج نهارا قال حياء من الطيور يريدون ان المسيح صوره
وان اليه الاشارة بقوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وفي الطير
عجائب لا يهتدي لها العقول بل وفي كل ذرة من ذرات مبدعاته ومكنوناته لطائف واسرار كالنحل والبعوض
والنمل يعجز عن ادراكها واستقصائها وصاف الالباب لاولي الالباب وحكمة الحكماء فسبحانه ما اعظم شانه وابهر برهانه
ومن خطبة له عليه السلام خاطب بها اهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم فمن استطاع عند ذلك ان يعتقل
نفسه على الله فليفعل فان اطعتموني فاني حاملكم ان شاء الله على سبيل الجنة وان كان ذا مشقة شديدة ومذاقة
مريرة واما فلانة فادركها راي النساء وضغن غلا في صدرها كمرجل القين ولو دعيت لتنال من غيري ما اتت
الي لم تفعل ولها بعد حرمتها الاولى والحساب على الله **اقول** اعتقل نفسه اي ضبطها وحبسها والضغن
الحقد والمرجل القدر وقوله عند ذلك يقتضي انه سبق منه قبل هذا الفصل ذكر فتن وحرب يقع بين المسلمين
وجب على من ادركها ان يحبس نفسه على طاعة الله دون مخالطتها او الدخول فيها وسبيل الجنة هو الدين
القيم وظاهر شرطه حملهم عليه بالطاعة اذ لا راي لمن لا يطاع ونبه على ان من الدين الحق ما هو ذو مشقة
شديدة ومذاقة مريرة كالجهاد وكذلك سائر التكاليف فيها مشقة وقوله فلانة كناية عن عائشة وادراك
النساء لها في حرب البصرة وقد علمت ان راي النساء يرجع الى قرب وضعف وفي الخبر لا يفلح قوم اسندوا امرهم

الى امراة وجاءا بهن قليلات عقل ودين كما سبق بيان العلة فيهن واما الضغن فقد نقل له اسباب منها ما كان بينها
وبين فاطمة عليها السلام بسبب تزوج الرسول صلى الله عليه وآله بها عقيب موت خديجة ام فاطمة واقامتها مقامها ومن
المعلوم المعتاد ما يقع بين المرأة وابنة زوجها من غيرها من الكدر وكان سبب البغض من المرأة لبنت الزوج حركة الخيال
باقامة البنت مقام الام التي هي ضرة لها وتشبيها بها فيقيمها مقام الضرة ويتوهم فيها العداوة والبغضاء ثم يتبع ذلك
الخيال ويقوى باسباب اخرى فيتاكد البغض خصوصا ان كان للزوج اكرام لبنته كما هو المنقول من الرسول صلى الله عليه وآله
في حق فاطمة عليها السلام واما من جهة البنت فلتخيلها الناظرة امها وتوهمها بسبب ذلك بغضها لها او الباغض
للام باغض للبنت لا محالة ويتاكد ذلك بالميل المنقول عن الرسول صلى الله عليه وآله في حق عائشة وايثارها
على سائر نسائه والنفوس البشرية خصوصا نفوس النساء تغيظ على ما دون ذلك فكيف بذلك منه صلى الله
عليه وآله ولا شك في تعدي ذلك الى نفس بعلها عليه السلام فان النساء كثيرا ما تحصل بينهن الاحقاد في قلوب
الرجال وعن بعض الحكماء اذا رايت في الدنيا خصومة لست بسبب امرأة فاحمد الله تعالى فانها امر عجيب وكثيرا
ما كانت فاطمة عليها السلام تشكو الى بعلها من عائشة ومنها ما كان من امر قذف عائشة ونقل ان عليا عليه السلام
كان من المشيرين بطلاقها تنزيها لعرض الرسول صلى الله عليه وآله من اقوال المنافقين وقال له لما استشاره
ان هي الا شسع نعلك وقال له سل الخادمة وخوفها فان اقامت على الجحود فاضربها وبلغها كل ذلك الكلام
وسمعت اضعافا من الغير مما جرت عادة الناس ان يتناقلوه في مثل هذه الواقعة ونقل اليها النساء ان عليا
عليه السلام وفاطمة سرا بذلك فتفاقم الامر وغلظ ثم لما نزلت براءتها وصالحها الرسول صلى الله عليه وآله
ظهر منها ما جرت العادة بظهوره ممن انتصر بعد ظلم وخيف بعد ظنته من بسط اللسان والتبجح بالبراءة من
العيب وفلتات القول في اثناء ذلك وبلغ ذلك عليا عليه السلام وفاطمة عليها السلام ومنها كون النبي
صلى الله عليه وآله سد باب ابي بكر من المسجد وفتح باب صهره ومنها بعثه اياه بسورة براءة ثم اخذها منه ودفعها
الى علي الى غير ذلك من الاسباب الجزئية التي تشهد بها قرائن الاحوال ولا تكاد تتبين بالاقوال فان كل ذلك
مما يثير الاحقاد ويؤكد الاضغان وقوله ولو دعيت الى اخر كلام حق لكان الباعث لها في حقه دون غيره وقوله
ولها بعد حرمتها الاولى وجه اعتذاره في الكف عن اذاها بعد استحقاقها للاذى شطرا وحرمتها نكاح رسول
الله صلى الله عليه وآله وكونها زوجته وقوله والحساب على الله تنبيه على انه وان سامحها في الدنيا بما
فعلت فان الله تعالى هو المتولي لحسابها في الاخرة ولعل هذا الكلام منه عليه السلام قبل اظهارها للتوبة
وعلم بذلك لانه في معنى اظهار الوعيد لها من الله منها سبيل ابلج المنهاج انور السراج فبالايمان يستدل
على الصالحات وبالصالحات يستدل على الايمان وبالايمان يعمر العلم وبالعلم يرهب الموت وبالموت تختم
الدنيا وبالدنيا تحرز الاخرة وبالقيمة تزلف الجنة للمتقين وتبرز الجحيم للغاوين وان الخلق لا مقصر لهم عن
القيمة مرقلين في مضمارها الى الغاية القصوى اقول ازلفت قدمت وقربت والارقال ضرب من الخبب لا مقصر

عن كذا اي لا محبس ومبدا الفصل وصف الايمان والمراد بالايمان التصديق القلبي بالتوحيد وبما جاء به
الرسول صلى الله عليه وآله ولا شك في كونه سبيلا ابلج واضح المسلك الى الجنة انور السراج في ظلمات الجهل
ولفظ السراج مستعار والصالحات هي الاعمال الصالحة من سائر العبادات ومكارم الاخلاق التي وردت
بها الشريعة وظاهر كونها معلولات للايمان وثمرات له يستدل بوجوده في قلب العبد على ملازمته لها استدلالا
بالعلة على المعلول ويستدل بصدورها من العبد على وجود الايمان في قلبه استدلالا بالمعلول على العلة
واما قوله فبالايمان يعمر العلم فلان الايمان بالتفسير المذكور اذا اعتضد بالبرهان كان علما وهو روح العلوم
ويطلق اسم الايمان على جميع ثمراته وهي الاعمال الصالحة لانها من كماله ولا تمام له ولا منفعة بدونها فان
العلم اذا لم يعتضد بالعمل فهو قليل الفائدة في الاخرة بل لا ثمرة له فهو كالخراب الغير الصالح للاقتناء فكما
لا يصلح الخراب للسكنى فكذلك العلم الخالي من الاعمال الصالحة ولذلك قال عليه السلام في موضع اخر
العلم مقرون بالعمل والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل واما قوله وبالعلم يرهب الموت فلان العلم
بالله تعالى وبغاية خلقه للانسان وملاحظة نسبة الدنيا الى الاخرة والعلم باحوال المعاد يستلزم ذكر
الموت ودوام ملاحظته وذلك مستلزم لرهبته والعمل له ولما بعده وقوله وبالموت تختم الدنيا ظاهر اذ
الدنيا عبارة عما فيه الانسان قبل الموت من المصالح البدنية وقوله وبالدنيا تحرز الاخرة اشارة الى
ان الدنيا محل الاستعداد لتحصيل الزاد ليوم المعاد وفيها يحصل كمال النفوس الذي تحرز به سعادة الاخرة
وقد سبق بيانه وقوله بالقيمة تزلف الجنة للمتقين وتبرز الجحيم للغاوين اشارة لطيفة ذكرناها غير مرة
وهو ان بالموت وطرح جلباب البدن يتبين ما للانسان وما عليه مما قدم من خير وشر وان كانت ثمرة ذلك
امرا حاصلا للنفوس في الدنيا الا انها لم تشعر به ولا تلتذ ولا تتألم الا بما يحصل لها بعد طرح البدن واليه الاشارة بقوله تعالى
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ولفظ الازلاف
والبروز يشهد بذلك لان فيه معنى الظهور اي ظهورها للادراك اذن وقوله وان الخلق لا مقصر لهم عن
القيمة الى اخره كلام في غاية الحسن مع غزارة الفائدة وهو اشارة الى انه لا بد لهم من ورود القيمة ومضمارها
مدة الحيوة الدنيا وهو لفظ مستعار ووجه المشابهة كون تلك المدة محل استعداد النفوس للسباق الى حضرة
الله كما ان المضمار محل استعداد الخيل للسباق وقد سبق بيان ذلك في قوله الا وان اليوم المضمار وغدا
السباق ومرقلين حال وارقالهم كناية عن سيرهم المتوهم في مدة اعمارهم الى الاخرة وسرعة حثيث الزمان
بهم نحو اعداد ابدانهم للخراب والغاية القصوى هي السعادة والشقاوة الاخروية منها قد شخصوا
من مستقر الاجداث وصاروا الى مصائر الغايات لكل دار اهل لا يستبدلون بها ولا ينقلون عنها وان
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لخلقان من خلق الله تعالى وانهما لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق وعليكم
بكتاب الله فانه الحبل المتين والنور المبين والشفاء النافع والري الناقع والعصمة للمتمسك والنجاة للمتعلق

لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستعتب ولا تخلقه كثرة الرد وولوج السمع من قال به صدق ومن عمل به سبق وقام
اليه عليه السلام رجل فقال اخبرنا عن الفتنة وهل سالت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام لما
انزل الله سبحانه قوله الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون علمت ان الفتنة لا تنزل بنا
ورسول الله صلى الله عليه وآله بين اظهرنا فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة التي اخبرك الله بها فقال يا علي ان امتي
سيفتنون بعدي فقلت يا رسول الله اوليس قد قلت لي يوم احد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت عني
الشهادة فشق ذلك علي فقلت لي ابشر فان الشهادة من ورائك فقال لي ان ذلك لكذلك فكيف صبرك
اذن فقلت يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرى والشكر وقال يا علي ان القوم
سيفتنون باموالهم ويمنون بدينهم على ربهم ويتمنون رحمته ويامنون سطوته ويستحلون حرامه بالشبهات
الكاذبة والاهواء الساهية فيستحلون الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع فقلت يا رسول الله
فباي المنازل انزلهم عند ذلك ابمنزلة فتنة ام بمنزلة ردة فقال بمنزلة فتنة اقول صدر هذا الفصل صفة
حال اهل القبور في القيمة ومصائر الغايات بالجنة والنار وظاهر ان لكل دار منهما اهل لا يستبدلون
بها ويحبان يعني باهل النار الكفار ليتم قوله لا يستبدلون بها ولا ينتقلون عنها فان العصاة من
اهل القبلة وان صح انهم يعذبون لكن ثبت انهم ينتقلون عنها وقوله وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
الى قوله من رزق حث عليهما بذكر كونهما خلقين من خلق الله واعلم ان اطلاق لفظ الخلق على الله استعارة
لان حقيقة الخلق انه ملكة نفسانية تصدر عن الانسان بها افعال خيرية او شرية واذ قد تنزه قدسه تعالى
عن الكيفيات والهيئات لم يصدق هذا اللفظ عليه حقيقة لكن لما كان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من
الاخلاق الفاضلة اشبه ما يعتبر له تعالى من صفات الكمال ونعوت الجلال التي ينسب اليها ما يصدر عنه
من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والافعال الخيرية التي بها نظام العالم وبقاؤه كحكمته وقدرته
وجوده وعنايته وعدم حاجته ما يتعارف من الاخلاق الفاضلة التي يصدر عنها الافعال الخيرية البشرية
فاستعير لها لفظ الاخلاق واطلق عليها وكونهما لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق فلان كثيرا من ضعفاء الانفس
القعائد منهم عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر توهم احد الامرين وخصوصا ترك نهي الملوك عن المنكرات
ثم شرع في الحث على لزوم كتاب الله باوصاف نبه بها على فضيلته الاول كونه الحبل المتين ولفظ الحبل مستعار
له ووجه المشابهة كونه سببا لنجاة المتمسك به من الهوي في دركات الجحيم كالحبل في نجاة متمسكه ورشح بذكر المتانة
الثاني كونه نورا مبينا ولفظ النور ايضا مستعار له باعتبار الاهتداء به الى المقاصد الحقيقية في سلوك سبيل
الله الثالث كونه الشفاء النافع اي من الم الجهل وكذلك الري الناقع اي للعطشان من ماء الحيوة الابدية والعلوم
والكمالات الباقية الرابع كونه عصمة للمتمسك ونجاة للمتعلق ومعناه كالذي سبق في كونه حبلا الخامس لا يعوج
فيقام اذ ليس هو كساير الالات المحسوسة السادس لا يزيغ فيستعتب اي يطلب منه العتبى والرجوع الى الحق كما يفعل

سائر الحكماء من الناس والشايع كونه ولا تخلقه كثرة الرد اي الترديد في الالسنة وولوج الاسماع واستهجان الا القران
الكريم فانه لا يزال غضا طريا يزداد على طول التكرار في كرور الاعصار محبة في القلوب وحسنا والذي يلوح من
سر ذلك كثرة اسراره وغوامضه التي لا يطلع عليها الا الافراد مع كونه في غاية من فصاحة الالفاظ وعذوبة
المسمع فاما ما حكاه من سواله لرسول الله صلى الله عليه وآله وجواب الرسول له فقد روى كثير من المحدثين عنه عليه السلام
عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب علي جهاد المشركين قال فقلت يا
رسول الله وما هذه الفتنة التي كتب علي فيها الجهاد قال فتنة قوم يشهدون ان لا اله الا الله واني رسول الله
وهم مخالفون للسنة فقلت يا رسول الله فعلام اقاتلهم وهم يشهدون كما اشهد قال على الاحداث في الدين
ومخالفة الامر فقلت يا رسول الله انك كنت وعدتني بالشهادة فاسال الله ان يعجلها لي بين يديك قال فمن يقاتل
الناكثين والقاسطين والمارقين اما اني وعدتك الشهادة وستشهد تضرب على هذا فتخضب هذه فكيف صبرك
اذن فقلت يا رسول الله ليس ذا بموطن صبر هذا موطن شكر قال اجل اصبت فاعدد للخصومة فانك مخاصم فقلت يا
رسول الله لو بينت لي قليلا فقال ان امتي ستفتن من بعدي فتتاول القران وتعمل بالرأي وتستحل الخمر بالنبيذ و
السحت بالهدية والربا بالبيع وتحرف الكتاب عن مواضعه وتغلب كلمة الضلال فكن جلس بيتك حتى تقلدها فاذا
قلدتها جاشت عليك الصدور وقلبت لك الامور فقاتل حينئذ على تاويل القران كما قاتلت على تنزيله فليست حالهم
الثانية دون حالهم الاولى فقلت يا رسول الله فباي المنازل انزل هؤلاء المفتونين ابمنزلة فتنة ام بمنزلة ردة
فقال بمنزلة فتنة يعمهون فيها الى ان يدركهم العدل فقلت يا رسول الله ايدركهم العدل منا ام من غيرنا قال بل
منا فبنا فتح وبنا يختم وبنا الف الله بين القلوب بعد الشرك وبنا يولف القلوب بعد الفتنة فقلت الحمد لله على ما وهب
لنا من فضله وليس في هذا الفصل غريب ينبه عليه سوى قوله ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن الشكر فانك
علمت فيما سلف ان الصبر والشكر من ابواب الجنة والمقامات العالية للسالك الى الله تعالى لكن علمت ان مقام الشكر
ارفع من مقام الصبر ولما كان هو عليه السلام سيد العارفين بعد سيد المرسلين صلى الله عليه وآله لا جرم كان اولى من يصدر
عنه هذه الاشارة فاما اخبار الرسول صلى الله عليه وآله له بان الناس سيفتنون باموالهم ويمنون بدينهم على ربهم
ويتمنون رحمته ويامنون سطوته وسائر ما اخبر به الى قوله بالبيع فكل ذلك مشاهد في زماننا وقبله بقرون واما
كون ذلك منزلة فتنة لا منزلة ردة فلبقائهم على الاقرار بالشهادتين وان ارتكبوا من المحارم ما ارتكبوا بشبهات
على اعين بصائرهم وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحا لذكره وسببا
للمزيد من فضله ودليلا على الائه وعظمته عباد الله ان الدهر يجري بالباقين كجريه بالماضين لا يعود ما
قد ولى منه ولا يبقى سرمدا ما فيه اخر فعاله كاوله متشابهة اموره متظاهرة اعلامه فكانكم بالساعة تحدوكم
حدو الزاجر بشوله فمن شغل نفسه بغير نفسه تحير في الظلمات وارتبك في الهلكات ومدت به شياطينه في
طغيانه وزينت له سيء اعماله فالجنة غاية السابقين والنار غاية المفرطين اعلموا عباد الله ان التقوى دار حصن

ومن خصائص القرآن الكريم فان كل كلام اذا كرر [illegible] تمجه الاسماع

عزيز والعجز دار حصن ذليل لا يمنع اهله ولا يحرز من لجأ اليه الا وبالتقوى تقطع حمة الخطايا وباليقين تدرك الغاية
القصوى عباد الله الله الله في اعز الانفس عليكم واحبها اليكم فان الله تعالى قد اوضح سبيل الحق وانار طرقه فشقوة
لازمة او سعادة دائمة فتزودوا في ايام الفناء لايام البقاء قد دللتم على الزاد وامرتم بالظعن وحثثتم على المسير فانما انتم
كركب وقوف لا تدرون متى تؤمرون بالمسير الا فما يصنع بالدنيا من خلق للاخرة وما يصنع بالمال من عما قليل يسلبه
وتبقى عليه تبعته وحسابه عباد الله انه ليس لما وعد الله من الخير مترك ولا فيما نهى عنه من الشر مرغب عباد الله احذروا يوما تفحص
فيه الاعمال ويكثر فيه الزلزال وتشيب فيه الاطفال اعلموا عباد الله ان عليكم رصدا من انفسكم وعيونا من جوارحكم
وحفاظ صدق يحفظون اعمالكم وعدد انفاسكم لا تستركم منهم ظلمة ليل داج ولا يكنكم منهم باب ذو رتاج وان غدا من اليوم
قريب يذهب اليوم بما فيه ويجيء الغد لاحقا به فكان كل امرئ منكم قد بلغ من الارض منزل وحدته ومخط حفرته فيا له من
بيت وحدة ومنزل وحشة ومفرد غربة وكان الصيحة قد اتتكم والساعة قد غشيتكم وبرزتم لفصل القضاء قد زاحت
عنكم الاباطيل واضمحلت عنكم العلل واستحقت بكم الحقائق وصدرت بكم الامور مصادرها فاتعظوا بالعبر و
اعتبروا بالغير وانتفعوا بالنذر اقول الشول النوق التي خف لبنها وارتفع ضرعها واتى عليها من نتاجها سبعة
اشهر الواحدة شائلة على غير قياس والارتياك الاختلاط وحمة العقرب ابرتها وهي محل سمها والرتاج الغلق وقد
الله تعالى باعتبارات احدها جعل الحمد مفتاحا لذكره في عدة امور الثاني كونه سببا للمزيد من فضله والمراد بالحمد هنا الشكر
لقوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم وقد عرفت اعداده للزيادة في النعم الثالث ودليلا على الاء الاختصاص الشكر بولي النعم
وعلى عظمته لاختصاصه باستحقاق ذلك الثناء اذ هو مبدأ الكل نعمة ولان الحمد لا ينبغي الا لمن اخذ في الحيطة فنبه
السامعين على فضل الدهر بالماضين ليذكروا انهم امثالهم ولاحقون بهم فيتنبهوا عن غفلتهم ويعملوا لما بعد الموت
ثم نبه على حاله في تقضيه بان كل وقت مضى منه لا يعود اذ كل وقت منه له اهل ومتاع من الدنيا انما يكون في الوجود
بوجود ذلك الوقت وظاهر انه يتقضى بتقضيه ولا يبقى سرمدا ما فيه وان اخره متشابهة لاوله كما وهما اي يوجد
ما يكون باعداد وقت منه بوجود ذلك الوقت ويتقضى بتقضيه اما قبلها على سيرة واحدة وكذلك قوله متشابهة
اموره فلانه كما كان اولا يعدو قوما بالفقر وقوما بالغنى وقوما بالضعة وقوما بالرفعة وقوما بالوجود ولاخرين بالعدم
كذلك هو اخرا وقوله متظاهرة اعلامه اي لا تمر على شيمته وطبيعته وافعاله التي يعامل الناس بها قديما وحديثا
متعاضدة يتبع بعضها بعضا ونسبة هذه الامور الى الدهر جريا على ما في اوهام العرب وان كان الفاعل هو الله
تعالى وانما للدهر الاعداد كما سبق ثم نبه على قرب الساعة وشبه حدوها اي سوقها لهم بسوق الزاجر للنوق
في حشرها وقد عرفت كيفية ذلك السوق ووجه الاستعارة فيه في قوله وان الساعة تحدوكم من ورائكم وانما
وجه الشبه هو السرعة والحث وانما خص الشول من النوق لخلوها من الاثقال فيكون سوقها بعنف واسرع
بهم على قربها ولما حذرهم نبههم على وجوب شغل الكل بنفسه اذ كان مشتغل بنفسه بغيره عن تحصيل الزاد يتحير
في ظلمات طريق الاخرة بل انما يحصل على الخطيئة والتبعة من الهيئات البدنية اكتسبها عما اشتغل به من متاع الد

والعمل

والعمل لها وعلمت ان تلك الاغطية معتبرة لنور البصيرة فلا جرم يتحير في تلك الظلمات ويرتبك في مهالك تلك
الطريق ومعاويها وعذبه شياطينه ونفسه الامارة في طغيانه وتزين له سيء اعماله ثم ذكر غاية وجود الانسان
فخص الجنة بالسابقين والنار بالمفرطين وقد كان ذكر الجنة كافيا في الجذب اليها والنار كافيا في الجذب عنها
فقرن ذكر الجنة بذكر فضيلة السبق وذكر النار برذيلة التفريط ليقوى الباعث على طلب اشرف الغايتين و
الهرب من اخسهما وايضا فلان السبق والتفريط علتان للوصول الى غايتيهما المذكورتين تؤديان الى طلب احديهما
والهرب من الاخرى بذكر سببيهما ثم عاد الى التنبيه على فضيلة التقوى واستعار لفظ الدار الحصينة التي تعز من
تحصن بها ووجه الاستعارة كونها تحصن النفس مما في الدنيا من الرذائل الموبقة المفضية الموجبة لكثير من الهلاك
الدنيوية واما في الاخرة فمن ثمرات الرذائل وملكات السوء المستلزمة للعذاب الاليم ثم على رذيلة الفجور وهو
طرف الافراط من فضيلة العفة واستعار لفظ الدار بقيد كونها حصنا ذليلا ووجه الاستعارة كونه مستلزما لضد
ما استلزمه التقوى ويجب ان يخص التقوى هنا بفضيلة القوة البهيمية وهي العفة والزهد لمقابلته الفجور بالعفة
ثم نبه على فضيلة اخرى للتقوى وهي كونها قاطعا حمة الخطايا ولفظ الحمة مستعار لها باعتبار كونها اسبابا مستلزمة
للاذى في الاخرة كما يستلزم ابرة العقرب وسمها للاذى ومن روى حمة مشددة اراد شدة الخطايا وباسها لان
حمة الحر معظمه وظاهر كون التقوى قاطعا لباس الخطايا وملجيا لاثارها ولما اشار الى كون التقوى حاسما لمادة
الخطايا وكان بذلك اصلاح القوة العملية اشار الى ان اليقين الذي به اصلاح القوة النظرية سبب لادراك
الغاية القصوى فان الانسان اذا حصل على كمال القوة النظرية باليقين وعلى كمال القوة العملية بالتقوى بلغ
الغاية القصوى من كمال الانسان ثم عقب بتحذير السامعين من الله تعالى في اعز الانفس عليهم واحبها اليهم وفي
الكلام اشارة الى ان للانسان نفوسا متعددة وهي باعتبار مطمئنة وامارة بالسوء ولوامة وباعتبار عاقلة وشهوية
وغضبية والاشارة الى الثلث الاخيرة واعزها النفس العاقلة اذ هي الباقية بعد الموت ولها الثواب وعليها
العقاب وفيها الوصية وغاية هذا التحذير حفظ كل نفسه مما يوبقها في الاخرة وذلك بالاستقامة على سبيل
الله ولذلك قال فقد اوضح لكم سبيل الحق وانار طرقه اي الايات والنذر ثم نبه على غايتي سبيل الحق وسبيل
الباطل بقوله فشقوة لازمة او سعادة دائمة ثم عاد الى الحث على اتخاذ الزاد بعد ان ذكر التقوى تنبيها على ان
الزاد هو التقوى كما قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى وايام الفناء ايام الحيوة الدنيا وايام البقاء الحال
التي بعد الموت ودلالتهم على الزاد في الاية التي حثهم الله تعالى بها عليه وامرهم بالظعن كقوله تعالى سارعوا الى مغفرة
من ربكم وجنة الاية وقوله ففروا الى الله وبالجملة فكل امر بالاعراض عن الدنيا والتنفير عنها فهو مستلزم
للحث على الظعن والامر بالمسير عن الدنيا بالقلوب لان الظعن هنا هو قطع درجات المعارف والاعمال في سبيل
الله وصراطه المستقيم والسير فيها ويحتمل ان يريد بالحث على المسير حث الليل والنهار بتعاقبهما على الاعمار فهما
سائقان حثيثان عنيفان فيجب التنبيه لسوقهما على اتخاذ الزاد لما يسوقان اليه وقوله وانما انتم كركب الى اخره

فوجه التشبيه ظاهر فالانسان هو النفس والمطايا هي الابدان والقوى النفسانية والطريق هي العالم الحسي و
العقلي والسير الذي ذكره قبل الموت وهو تصرف النفس في العالمين لتحصيل الكمالات المسعدة وهي الزاد لغاية
السعادة الباقية واما السير الثاني الذي هم وقوف ينتظرونه ولا يدرون متى يؤمرون به فهو الرحيل الى الاخرة
في دار الدنيا وطرح البدن وقطع عقبات الموت والقبر اذ الانسان لا يعرف وقت ذلك وح يتبين لك من
سر هذا الكلام ان قوله وامرتم بالظعن مع قوله لا تدرون متى تؤمرون بالسير غير متنافيين كما ظنه بعضهم ثم
اخذ في تزهيد الدنيا والتنفير عنها بذكر ان الانسان حين خلق وطلب لغيرها ومقتضى العقل ان يعمل الانسان
لما خلق له وفي تزهيد المال بتذكير سلبه عن قليل بالموت وبقاء الحساب عليه وتبعاته من عقارب الهيئات
الحاصلة بسبب محبته وجمعه والتصرف الخارج عن العدل فيه لا بسببه لمقتنيه ثم عقب بالترغيب في وعد الله
بانه ليس منه مترك اي ليس منه عوض وبدل في النفاسة وبالتنفير عما نهى الله عنه بكونه لا مرغب فيه اي ليس
مصلحة ينبغي ان يجعلها العاقل غاية مقصوده اذ هو تعالى اعلم بالمصالح فلا يليق بجوده ان ينهى العبد عما فيه
مصلحة راجحة ثم عقب بالتحذير من يوم الوعيد ووصفه بالصفات التي باعتبارها يجب الخوف منه والعمل له وهي
فحص الاعمال فيه ونقاش الحساب عليها كقوله تعالى ولتسئلن عما كنتم تعملون وظهور الزلزال كقوله تعالى اذا
زلزلت الارض زلزالها وتشيب الاطفال كقوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا واعلم ان هذه الصفات في
يوم القيمة ظاهرة في الشريعة وقد سلط التاويل عليها بعض من تعذر فقال اما الفحص عن الاعمال فيرجع الى
احاطة اللوح المحفوظ بها وظهورها للنفس عند مفارقتها للبدن والى نقاش النفوس بها كما قال تعالى
كقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية واما ظهور الزلزال فيحتمل ان يريد التغيير الذي لابد
والاضطراب العارض للبدن عند مفارقة النفس والتشويش لها ايضا على ما تقدم من الاشارة الى الدنيا
هي قرة النفوس واجدانها واما تشيب الاطفال فكثيرا ما يكنى بذلك عن غاية الشدة فيقال هذا امر يشيب
النواصي ويهرم فيه الاطفال اذا كان صعبا ولا اصعب على النفس من حال المفارقة وما بعدها ثم عقب بالتحذير
من المعاصي بالتنبيه على الرصد القريب الملازم واشار بالرصد الى الجوارح كما قال تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقوله وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا الاية فالشهادة هنا بلسان الحال
والنطق فان كل عضو لما كان مباشر الفعل من الافعال كان حضوره ذلك العضو وما صدر عنه في علم الله تعالى
بمنزلة الشهادة القولية بين يديه واكد في الدلالة واشار بحفاظ الصدق الى الكرام الكاتبين وقد سبقت
الاشارة الى ذلك في الخطبة الاولى وظاهر كونهم لا يسترهم ساتر ثم بالتحذير بقرب غد وكنى به عن وقت
ثم بلوغ منزل الوحدة وكنى به عن القبر ووصفه بالاوصاف الموحشة المنفرة المستلزمة للعمل لحلوله ولما بعده
ثم بالصيحة وهي الصيحة الثانية ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون والنفخة الثانية ونفخ فيه
اخرى فاذا هم قيام ينظرون ثم بالقيمة الكبرى والبروز لفصل القضاء وهو حال استغنا في كل نفس ما ابدها

من

منه من دوام عذاب او دوام نعيم بحكم القضاء الالهي وذلك بعد زوال الهيئات الباطلة المكتسبة والزوال عن
النفوس التي اشكال ما ولحوقها بها واضمحلال العلل الباطلة للنفوس واستحقاق الحقايق بالخلق
ورجوع كل امر الى ما تقدم ثم علاه الى الموعظة الجامعة الكلية فامر بالاتعاظ بالعبر وكل ما يفيد شيئا على
الاحوال الاخرة فهو عبرة وبالاعتبار بالغير وهي جمع غيرة فعلم من التغير واعتبارها طريق الاتعاظ والازدجار
ثم بالانتفاع بالنذر جمع نذير وهو اعم من الانسان بل كل امر افاد عوقبا باحوال الاخرة فهو نذير والانتفاع
حصول الخوف عنه وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ارسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة
من الامم وانتقاض من المبرم فجاءهم بتصديق الذي بين يديه والنور المقتدى به ذلك القرآن فاستنطقوه
ولن ينطق ولكن اخبركم عنه الا ان فيه علم ما ياتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم ما بينكم **اقول**
الهجعة النومة والمبرم الحبل المحكم الفتل وغرض الفصل التنبيه على فضيلة الرسول صلى الله عليه وآله والفترة الزمان
بين الرسولين وكنى بالهجعة من الامم عن رقدتهم في مراقد الطبيعة ونوم الغفلة عما خلقوا لاجله في مدة زمان
الفترة واشار بالمبرم الى ما كان الخلق عليه من نظام الحال بالشرائع السابقة وابرام امورهم بوجودها وانتقاض
فساد ذلك النظام بتغير الشرائع واضمحلالها والذي صدق بين يديه هو التورية والانجيل كما قال تعالى مصدقا
لما بين يديه من الكتاب وكل امر يتقدم امرا منتظرا قريبا منه يقال انه بين يديه واستعار لفظ النور للقرآن
ووجه الاستعارة ظاهر ثم امر باستنطاقه وفسر ذلك الاستنطاق باستماع لحنا ومعناه هو لسان الكتاب والسنة
وكبار وهاميهم التي عن شاهدها تستنكر امره باستنطاقه معول فلن ينطق ونبه على ما فيه من علم الاولين والحديث
من القرون الماضية وعلم ما ياتي من الفتن واحوال القيمة وان فيه دواء دائهم وذلك الداء هو الرذائل المفضية
ودواء ذلك الداء هو لزوم الفضائل العلمية والعملية التي اشتمل عليها القرآن الكريم ونظم ما بينهم اشارة
الى ما اشتمل عليه من القوانين الشرعية والحكمة السياسية التي بها نظام العالم واستقامة اموره **منها** فعند ذلك
لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا وادخله الظلمة ترحة واولجوا فيه نقمة فيومئذ لا يبقى لهم في السماء عاذر ولا في الارض
ناصر اصفيتم بالامر غير اهله واوردتموه غير مورده وسينتقم الله ممن ظلم ماكلا بماكل ومشربا بمشرب من مطاعم العلقم
ومشارب الصبر والمقر ولباس شعار الخوف ودثار السيف وانما هم مطايا الخطيئات وزوامل الاثام فاقسم
ثم اقسم لتنخمنها امية من بعدي كما تلفظ النخامة ثم لا تذوقها ولا تطعم بطعمها ابدا ما كر الجديدان **اقول**
الترحة الحزن والمقر الصبر والزاملة الجمل يستظهر به الانسان في حمل متاعه وتنخمت النخامة لفظتها وسياق الكلام
الاخبار عن حال بني امية وما يحدث فيه ولهم من الظلم وكنى ببيت المدر والوبر عن البدو والحضر وعن استحقاقهم
عند فعلهم ذلك للتغير وزوال الدولة بعدم العاذر في السماء والناصر في الارض ثم عقب بتوبيخ السامعين
على اصفائهم بامر الخلافة غير اهله والخطاب عام خص العقل من هو راض بدولة معوية ودينه ورغب الحق من
تقاعد عن القيام معه في قتاله لان القعود عن دفع الظالم وقتاله مستلزم لقوته وجريه مجرى نصرته واعانته

لهام

على ظلمه وان لم يقصد العاقة عنه ذلك ثم اخبر ان الله سينتقم منهم وما كلا وشربا منصوبان بفعل مضمر والتقدير وسيبدلهم
ماكلا بماكل واستعار لفظ العلقم والصبر والمقر لما يتجرعونه من شدائد القتل واهوال العدو ومرارات زوال
الدولة وكذلك لفظ الشعار للخوف ورشح بذكر اللباس ولفظ الدثار للسيف ووجه الاستعارة الاولى ظاهر
ووجه الثانية ملازمة الخوف لهم كملازمة الشعار للجسد وافاد بعض الشارحين انه انما خص الخوف بالشعار
لانه باطن في القلوب والسيف بالدثار لانه ظاهر في البدن كما ان الشعار ما كان يلي الجسد والدثار ما كان فوقه
واستعار لهم لفظ المطايا والزوامل ووجه الاستعارة حملهم للآثام ولذلك اللفظ انما اشاره الى ان جميع حركاتهم
وتصرفاتهم على غير قانون شرعي فيكون خطيئة واثاما ثم اقسم لتنخعنها امية من بعده فاستعار لفظ التنخم لزوال
الخلافة عنهم فكانهم قاءوها وقذفوها من صدورهم ملاحظة لشبهها بالنخامة وكنى بعدم ذوقها وتطعمها عن
عدم رجوعها اليهم وما هنا بمعنى المدة والجديدان الليل والنهار وكنى بذلك عن الابد وهو جار مجرى [illegible]
وروي عن الرسول صلى الله عليه وآله انه اخبر ان بني امية تملك الخلافة بعده مع ذم منه لهم نحو ما روي عنه عليه السلام
في تفسير قوله وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن قال المفسرون انه
الرؤيا انه راى بني امية ينزون على منبره نزو القردة وهذا اللفظ منه عليه السلام لا بد وان اداه ذلك ثم قال الشجرة
الملعونة بنو امية وبنو المغيرة وروي عنه انه قال اذا بلغ بنو ابي العاص ثلثين رجلا اتخذوا مال الله دولا وعباده
خولا وكما روي عنه في تفسير قوله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر قال الف شهر يملك فيها بنو امية ونحو قوله لبعض
الاسماء الى الله الحكم والهشام والوليد الى غير ذلك وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ولقد احسنت جواركم
واحطت بجهدي من ورائكم واعتقتكم من ربق الذل وحلق الضيم شكرا مني للبر القليل واطراقا عما ادركه البصر
وشهده البدن من المنكر الكثير **اقول** الاحاطة بجهده من ورائهم اشارة الى حفظه وحراسته لهم واعتاقهم من ربق
الذل وحلق الضيم حمايتهم من عدوهم واعزازهم ثم رتبهم على شكره للقليل من برهم اي مقدار طاعتهم لله في قتال
واطراقه عن كثير منكرهم مما شاهده منها عليهم بالمشاهدة والمعوفان قلت فكيف يجوز له ان يسكت عن انكاره المنكر
مع مشاهدته له قلت يحمل على عدم التمكن من ازالته بالعنف والقهر لجواز ان يلزم من ذلك مفسدة اكبر مما هم عليه
من المنكر وظاهر انهم غير معصومين ومحال ان يستقيم دولة او يتم ملك بدون الاحسان الى المحسنين من الرعية
والتجاوز عن بعض المسيئين وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** امره قضاء وحكمة ورضاه امان و
رحمة يقضي بعلم ويعفو بحلم اللهم لك الحمد على ما تاخذ وتعطي وعلى ما تعافي وتبتلي حمدا يكون ارضى الحمد لك واحب
الحمد اليك وافضل الحمد عندك حمدا يملأ ما خلقت ويبلغ ما اردت حمدا لا يحجب عنك ولا يقصر دونك حمدا لا ينقطع عدده
ولا يفنى مدده فلسنا نعلم كنه عظمتك الا انا نعلم انك حي قيوم لا تاخذك سنة ولا نوم لم ينته اليك نظر ولم يدركك
بصر ادركت الابصار واحصيت الاعمال واخذت بالنواصي والاقدام وما الذي نرى من خلقك ونعجب له من قدرتك
ونصفه من عظيم سلطانك وما تغيب عنا منه وقصرت ابصارنا عنه وانتهت عقولنا دونه وحالت سواتر الغيوب

بيننا وبينه اعظم فمن فرغ قلبه واعمل فكره ليعلم كيف اقمت عرشك وكيف ذرات خلقك وكيف علقت في الهواء سماواتك
وكيف مددت على مور الماء ارضك رجع طرفه حسيرا وعقله مبهورا وسمعه والها وفكره حائرا **اقول** امره حكم
قدرته الالهية وكونه قضاء كونه حكما لازما لا يرد وكونه حكمة كونه على وفق الحكمة الالهية والنظام الاكمل ورضاه
يعود الى حمده بطاعة العبد له وفق امره ونهيه وقوله يقضي بعلم افادة لمعنى قوله امره قضاء وحكمة يجري مجرى التفسير
له وقوله ويعفو بحلم فالعفو يعود الى الرضا بالطاعة بعد تقدم الذنب وانما يتحقق العفو مع تحقق القدرة على
العقاب اذ العاجز لا يسمى عفوا فلذلك قال ويعفو بحلم ثم عقب خطابه لله بالاعتراف بحمده والحمد له باعتبار شروعه
من السراء والضراء اشارة الى حمده على كل حال وهي الاخذ والاعطاء والمعافاة والابتلاء ثم باعتبار كيفيته وهو
كونه ارضى الحمد له واحبه اليه وافضله عنده اي اشده وقوعا على الوجه الاليق المناسب لعظمته ثم باعتبار كميته
وهو كونه يملأ ما خلق ويبلغ ما اراد كثرة ثم باعتبار غايته وهو كونه لا يحجب عنه ولا يقصر دونه ثم باعتبار مادته
وهو كونه لا ينقطع عدده ولا يفنى مدده وقد يكون التفصيل في القول في بعض المواضع ابلغ وقعا في النفوس والذ
وقد يكون الاجمال والاختصار انفع وابلغ ثم شرع في الاعتراف بالعجز عن ادراك كنه عظمته وفي بيان وجه معرفته
الممكنة للخلق وهي اما بالصفات الحقيقية او الاعتبارات السلبية او الاضافية واشار الى الاعتبارات الثلثة
فكونه حيا قيوما اشارة الى الصفات الحقيقية وقد عرفت انهما يستلزمان الوجود اذ كل حي موجود والقيوم هو
القائم بذاته المقيم لغيره وكل قائم بذاته فهو موجود واجب الوجود وكونه لا تاخذه سنة ولا نوم ولا ينتهي اليه نظر
عقلي او بصري ولا يدركه بصر اعتبارات سلبية وكونه مدركا للابصار محصيا للاعمال اخذا بالنواصي والاقدام
اي محيط القدرة بها اعتبارات اضافية ثم عاد الى استحقار ما عده مما ادركه بالنسبة الى ما لم يدركه من عظيم ملكوته
وما في قوله وما الذي استفهامية على الاستحقار لما استفهم عنه وما الثانية في قوله وما يغيب عنا منه بمعنى
الذي محلها الرفع بالابتداء وخبره اعظم والواو فيها للحال ثم عقب بالحكم على من فرغ قلبه واعمل فكره ليصل
الى كنه معرفته وعلم كيفية نظامه للعالم الاعلى والاسفل برجوع كل من الآيات اذ ادركه حسيرا مبهوتا عن ادراك
ما كلفه ادراكه من ذلك وقد سبقت الاشارة الى براهين هذه الاحكام غير مرة وبالله التوفيق **منها** يدعي
بزعمه انه يرجو الله كذب والعظيم ما باله لا يتبين رجاؤه في عمله وكل من رجا عرف رجاؤه في عمله وكل رجاء
الا رجاء الله فانه مدخول وكل خوف محقق الا خوف الله فانه معلول يرجو الله في الكبير ويرجو العباد في الصغير
فيعطي العبد ما لا يعطي الرب فما بال الله عز وجل يقصر به عما يصنع بعباده اتخاف ان تكون في رجائك له كاذبا او
تكون لا تراه للرجاء موضعا وكذلك ان هو خاف عبدا من عبيده اعطاه من خوفه ما لا يعطي ربه فجعل خوفه من العباد
نقدا وخوفه من خالقهم ضمارا ووعدا وكذلك من عظمت الدنيا في عينه وكبر موقعها من قلبه اثرها على الله
فانقطع اليها وصار عبدا لها ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله كاف لك في الاسوة ودليل لك على ذم الدنيا
وعيبها وكثرة مخازيها ومساويها اذ قبضت عنه اطرافها ووطئت لغيره اكنافها وفطم من رضاعها وزوي عن

زخارفها وان شئت ثنيت بموسى كليم الله اذ يقول رب اني لما انزلت الي من خير فقير والله ما ساله الا خبزا ياكله لانه
كان ياكل بقلة الارض ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذب لحمه وان شئت
ثلثت بداود عليه السلام صاحب المزامير وقارئ اهل الجنة فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده ويقول لجلسائه ايكم يكفيني
بيعها وياكل قرص الشعير من ثمنها وان شئت قلت في عيسى بن مريم فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن
وكان ادامه الجوع وسراجه بالليل القمر وظلاله في الشتاء مشارق الارض ومغاربها وفاكهته وريحانه ما تنبت
الارض للبهائم ولم يكن له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يلفته ولا طمع يذله دابته رجلاه وخادمه يداه
فتاس بنبيك الاطيب الاطهر صلى الله عليه وآله فان فيه اسوة لمن تاسى وعزاء لمن تعزى واحب العباد الى الله المتاسي بنبيه
والمقتص لاثره قضم الدنيا قضما ولم يعرها طرفا اهضم اهل الدنيا كشحا واخمصهم من الدنيا بطنا عرضت
عليه الدنيا فابى ان يقبلها وعلم ان الله ابغض شيئا فابغضه وحقر شيئا فحقره وصغر شيئا فصغره ولو لم يكن
فينا الا حبنا ما ابغض الله وتعظيمنا ما صغر الله لكفى به شقاقا لله ومحادة عن امر الله ولقد كان صلى الله عليه
وآله ياكل على الارض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العاري ويردف خلفه
ويكون الستر على باب بيته فيكون فيه التصاوير فيقول يا فلانة لاحدى ازواجه غيبيه عني فاني اذا نظرت اليه
ذكرت الدنيا وزخارفها فاعرض عن الدنيا بقلبه وامات ذكرها من نفسه واحب ان تغيب زينتها عن عينه
لكيلا يتخذ منها رياشا ولا يعتقدها قرارا ولا يرجو فيها مقاما فاخرجها من النفس واشخصها عن القلب
وغيبها عن البصر وكذلك من ابغض شيئا ابغض ان ينظر اليه وان يذكر عنده ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه
وآله ما يدلك على مساوئ الدنيا وعيوبها اذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته فلينظر
ناظر بعقله اكرم الله محمدا بذلك ام اهانه فان قال اهانه فقد كذب والعظيم وان قال اكرمه فليعلم ان الله قد
اهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن اقرب الناس منه فتاسى متاس بنبيه واقتص اثره وولج مولجه والا
فلا يامن الهلكة فان الله تعالى جعل محمدا صلى الله عليه وآله علما للساعة ومبشرا بالجنة ومنذرا بالعقوبة
خرج من الدنيا خميصا وورد الآخرة سليما لم يضع حجرا على حجر حتى مضى لسبيله واجاب داعي ربه فما اعظم منة الله
عندنا حين انعم علينا به سلفا نتبعه وقائدا نطا عقبه والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها
ولقد قال لي قائل الا تنبذها عنك فقلت اعزب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى **اقول** المدخول الذي
فيه شبهة وريبة وكذلك المعلول الغير الخالص والضمار الذي لا يرجى من الموعود والمقتص للاثر المتبع له والقضم
الاكل باد في الفم والهضيم الخميص لقلة الاكل والمحادة المعاداة والرياش الزينة والمدرعة الدراعة واعزب
اي تباعد ومساق الكلام يقتضي ذم من يدعي رجاء الله ولا يعمل له وتنبيهه ان رجاءه ليس على الصحة لكذبه او
تقصيره في العمل فقوله يدعي بزعمه انه يرجو الله ذكر صورة الدعوى الحالية او المقالية وقوله والعظيم ردة
لتلك الدعوى مؤكدا بالقسم بالبار وانما قال والعظيم دون الله لان ذكر العظمة هنا انسب للرجاء وقوله

ما باله الى قوله عرف رجاؤه في عمله قياس من الشكل الثاني بين فيه انه غير راج وتلخيصه ان هذا المدعي لا يتبين رجاؤه
في عمله وكل من رجا يتبين رجاؤه في عمله فينتج ان هذا المدعي للرجاء غير راج ومراده الرجاء التام الذي يجتهد في العمل
له ولذلك قال الا رجاء الله فانه مدخول فيه دخلا على وجوده الا انه غير خالص وبيان الدليل ان كل من رجا امرا من
سلطان او غيره فانه يخدمه الخدمة التامة ويبالغ في طلب رضاه ويكون عمله له بقدر قوة رجائه له وخلوصه ونرى هذا
المدعي للرجاء غير عامل فيستدل بتقصيره في الاعمال الدينية على عدم رجائه الخالص من الله وكذلك قوله وكل خوف
محقق الا خوف الله فانه معلول توبيخ للسامعين في رجاء الله تعالى مع تقصيرهم في الاعمال الدينية وتقدير الاستثناء
الاول مع المستثنى منه وكل رجاء لراج يعرف في عمله اي يعرف خلوص رجائه فيما يرجوه الا رجاء الراجي لله فانه غير خالص
[illegible] وكل رجاء الا رجاء الله فانه مدخول والتقدير وكل رجاء محقق اي خالص [illegible] الكليتين على ما في هذا
وجه على الاضمار في الكلية الاولى وقوله في الثانية محقق فانه يفسر المضمر هناك وقوله يرجو الله في الكبير الى
قوله يعطي الرب قوة قياس ضمير صغراه قوله يرجو الى قوله الصغير وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فينبغي ان
يعطي الله الذي هو رب من رجائه والعمل له ما لا يعطي المخلوقين الذين هم عباده والصغرى مسلمة فان الحس يشهد
باكثرية اعمال الخلق لما يرجوه بعضهم من بعض بالنسبة الى اعمالهم لما يرجونه من الله تعالى واما الكبرى فبيانها
ان المقرر في الفطرة ان المرجو الكبير ينبغي ان يناسب ما هو وسيلة اليه كمية وكيفية وقوله فيعطي العبد ما لا
يعطي الرب نقض الكبرى وقوله فما بال الله جل ثناؤه الى قوله بعباده توبيخ وتشنيع على من يخالف العقل بالنتيجة
وقوله اتخاف الى قوله موضعا استفهام عن علة التقصير المذكور في رجاء الله والعمل له بالنسبة الى رجاء العباد و
العمل لهم استفهاما على سبيل الانكار وتقريعا على ما عساه يدعي من احد العلتين المذكورتين وهما خوف الكذب في
رجاء الله او ظنه غير اهل للرجاء والامر الاول خطاء عظيم لرفض التقصير في معرفة الله والثاني كفر صراح وانما خص
هاتين العلتين بالذكر لانهما المشهورتان في عدم رجاء الخلق بعضهم لبعض او ضعفه وانتفاؤهما في حق الله تعالى
ظاهر فانه تعالى الغني المطلق الذي لا بخل فيه ولا منع من جهته فان العبد اذا استعد بقوة الرجاء له والعمل لما يرجوه منه
وجب افاضة الجود عليه ما يرجوه فلا يكذب رجاؤه وهو اهل [illegible] الموضع الثالث وقوله وكذلك ان هو خاف الى قوله
يعطي ربه قياس ضمير استثنائي بين فيه قصور خوف الخائف من الله بالنسبة الى خوفه من بعض عبيده والضمير في عبيده
لله وفي خوفه للخائف ويحتمل عوده الى قوله وعدا توبيخ وتشنيع على من لزمه ذلك الاحتجاج وانه من القبيح المشهور ان
يجعل الانسان خوفه من عبد مثله نقدا حاضرا وخوفه من خالقه وعدا غير حاضر وقوله وكذلك من عظمت الدنيا الى
اخره اشارة الى علة ايثار الناس الحيوة الدنيا على ما عند الله مما وعد به وانقطاعهم اليها وصيرورتهم عبيدا لها
وذكر جزئي العلة العرفية وهو عظمة الدنيا في اعينهم وتمام هذه العلة حضارة ما تصوروه من الوعد الاخروي بالنسبة
الى الدنيا وعلة هذه العلة وهو تصورهم للذات العاجلة كما هي وغيبة اللذات الموعودة وتصورها الضعيف
بحسب الوصف الذي لا يتاتى ان يوجب في ادها ثم مشابهتها ما وعدوا به لحضورهم الآن فلذلك كانت العاجلة اعظم

في نفوسهم واكبر وضا في قلوبهم ولذلك آثروها وانقطعوا اليها فاستعبدتهم وغاية هذا التوبيخ التنفير عن الدنيا
والجذب عنها الى الرغبة فيما وعد الله ولذلك عقب بالتنبيه على ترك الدنيا من الرسول صلى الله عليه وآله وسائر
الانبياء والمرسلين الذين هم القدوة للخلق واعراضهم عنها وعلى كونهم محل الاسوة الكافية لهم في ذلك وهو كقوله
تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة الآية والدليل التام على ذمها وعيبها وكثرة مساويها ومخازيها واشار بقوله
اذ قبضت عنه اطرافها الى مقدمة من مقدمات الدليل على حقارتها وخستها وذلك الى قوله وخادمه بيده وقبض اطرافها
عنه كناية عن منعها منه بالكلية لعدم استعداده لها وقبوله اياها وتوطئته اكنافها لغيره كناية عن اعطائه اياها وتذليلها
لكما الملوك واستعار لفظ الفطم لمنعه منها وكذلك لفظ الرضاع لها ملاحظة لشبهها بالام وله بالابن ووجه
الشبه ظاهر والذي ذكره عليه السلام والله ما سأل الا خبزا هو تفسير الآية كما نقله المفسرون ايضا وصفاق البطن
هو الجلد الباطن منه وشفيفه ما رق منه فلم يحجب البصر عن ادراك ما وراءه وتشذب لحمه تفرقه واستعار لفظ
المزامير لاصوات داود عليه السلام ولفظ الادام للجوع والسراج للقمر والظلال لمشارق الارض ومغاربها والفاكهة والريحان
لما ينبت الارض والدابة للرجلين والخادم لليدين ووجه الاولى مشاركة صوته المزمار وهي الآلة التي يزمر بها في الحسن
دون ان الوحش والطير كانت تقع عليه حال القراءة في محرابه لاستغرابها في لذة صوته ونغمته ووجه الثانية قيام
الجوع له عليه السلام كقيام الادام ووجه الثالثة مشاركة القمر للسراج في الضوء ووجه الرابعة استتاره عن البرد بالمشارق
والمغارب كاستتاره بالظلال ووجه الخامسة التذاذه وقوت جسمه بما ينبت الارض كما يلتذ غيره بالفاكهة والريحان
ووجه السادسة والسابعة قيام اشتغاله برجليه ويديه كقيام الدابة والخادم وبالجملة فحال الانبياء المذكورين
سلام الله عليهم اجمعين في التقشف وترك الدنيا والاعراض عنها ظاهر معلوم بالتواتر فاما كون داود قارئ اهل
الجنة كما ورد في الخبر فلان كل امر حسن ينسب الى الجنة في العرف ولانه مع حسنه جاذب الى الجنة وداع الى الله تعالى
ولما وصف حالهم عاد الى الامر بالتاسي بالرسول صلى الله عليه وآله لانهم المامورون بوجوب الاقتداء به مطلقا
وانه الاسوة الكافية لمن تاسى به ولانه اقرب عهدا ممن سبق وحث على وجوب التاسي المقتص لاثره لحب العباد الى الله وذلك
من قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ثم عاد الى مقاصده صلى الله عليه وآله في ترك الدنيا
والاقتصار منها على قدر الضرورة ليتبين ما يكون فيه التاسي به وكنى عن ذلك بقضمها ثم كنى عن عدم التفاته
اليها بعدم اعارتها طرفه وعن كونه اقل الناس شبعا فيها والتفاتا الى ماكلها ومشربها بكونه اخمصهم من الدنيا بطنا
روي عنه انه كان اذا اشتد جوعه ربط حجرا على بطنه ويسميه المشبع مع ملكه قطعة واسعة من الدنيا وروي انه
ما شبع آل محمد من لحم قط وان فاطمة وبعلها وبنيها كانوا يصومون على اقراص من الشعير كانوا يعدونها لافطارهم
وربما آثروا بها السائلين وطووا كما روي انهم فعلوا ذلك ثلث ليال طووا في ايامها حتى كان ذلك سبب نزول
سورة هل اتى في حقهم كما هو المشهور في التفاسير واما قوله وعرضت عليه الدنيا فابى ان يقبلها فكما ورد عنه صلى الله عليه
وآله انه قال عرضت علي كنوز الارض ودفعت الي مفاتيح خزائنها فكرهتها واخترت الدار الآخرة وقوله علم ان الله

ابغض

ابغض شيئا الى قوله فصغره فبغض الله لها عدم ارادته لها لاوليائه دارا وايثاره على انها مقصود وجودها بالعرض و
تحقيرها وتصغيرها بالقياس الى ما اعد لهم في الآخرة ثم نفر عن محبتها بعد ان اشار الى بغض الله لها وتصغيره اياها
بجملة اعتراضية يلحظ منها قياس هكذا اقل معايبنا محبتنا لما ابغض الله وتعظيمنا لما صغره وكل محبة وتعظيم كذلك
فكفى به شقاقا لله ومحادة عن امره فينتج ان اقل ما فينا من المعايب يكفينا في مشاقة الله ومحادته ثم اردف ذلك
بحال اوصافه في ترك الدنيا والتكلف لها فقوله ولقد كان ياكل على الارض ويجلس جلسة العبيد كما روي
عنه صلى الله عليه وآله انه قال انما انا عبد آكل اكل العبيد واجلس جلسة العبيد وغاية ذلك هو التواضع وكذلك
غاية خصف نعله بيده وترقيع ثوبه بيده وركوبه الحمار العاري واردافه خلفه واما امره بتغييب الستر ذي التصاوير فحسم
من حركة الوسواس الخناس وكان الانبياء عليهم السلام كانوا كاسرين للنفس الامارة بالسوء وقاهرين لشياطينهم
كانوا ايضا محتاجين الى مراعاتهم ومراقبتهم وتفقد احوال نفوسهم في كل لحظة وطرفة فانها كاللصوص المخادعين
للنفوس المطمئنة مهما تركت وغفل عن قهرها والتحفظ منها عادت الى طباعها وقوله فاعرض عن الدنيا بقلبه الى قوله
وان تذكر عنده اشارة الى الزهد الحقيقي وهو حذف الموانع الداخلة النفسية عن النفس وما قبله من الاوصاف
اشارة الى زهده الظاهري وحذف الموانع الخارجية عنه ثم عاد الى التذكير بالمقدمة السابقة للدليل على حقارة
الدنيا وخستها فاعاد ذكر جوعه هو وخاصته من اهل بيته مع عظيم زلفته وعظم منزلته عند الله وازواءها عنه ولما
ذكر تلك المقدمة شرع في الاستدلال بقوله فلينظر ناظر الى قوله اوزت الناس اليه وهو قياس شرطي متصل
مقدمه حملية وتاليه قضية شرطية منفصلة وتلخيصه اذا كان محمد صلى الله عليه وآله جاع في الدنيا مع خاصته وزوى
الله عنه زخارفها مع عظيم زلفته عنده فلا يخلو فعله بذلك اما ان يكون اكرمه بذلك او اهانه والقسم الثاني
ظاهر البطلان اذ نبينا صلى الله عليه وآله اخص خواص الله واذا كان احدنا ملكا في الدنيا لا يقصد بجليس خاصته
اذا كان مطيعا له الاهانة فكيف يقصد ذلك من جبار الجبابرة ومالك الدنيا والآخرة احكم الحكماء وارحم الرحماء في
حق خواصه واشدهم طاعة له ولاجل وضوح ذلك اقتصر على تكذيب من قاله واكده بالقسم البار واما القسم الاول
وهو انه اكرمه بذلك فمن المعلوم ان الشيء اذا كان عدمه اكراما وكمالا كان وجوده نقصانا واهانة فكان وجود الدنيا
في حق غيره وازواءها عنه مع قربه منزلة اهانة لذلك الغير وذلك يستلزم حقارتها وبعث العاقل على النفار عنها
ثم عاد الى الامر بالتاسي وهو امر في صورة الخبر مع زيادة تنبيه على ان الميل اليها محل الهلكة فمن لم يتاس بالنبي
في احواله في الدنيا وخاطر في الميل الى شيء منها لم يامن الهلكة اذ قد عرفت ان حب الدنيا راس كل خطيئة وهي الحاجبة
عن درجات دار النعيم الى دركات الجحيم وقوله فان الله جعل محمدا الى قوله داعيا هي في صورة احتجاج على قوله والا فلا يامن
الهلكة وتقريره ان الله جعله علما للساعة وامارة على قربها ومبشرا بالجنة ومنذرا بالعقوبة واطلعه على احوال
الآخرة ثم خرج من الدنيا بهذه الاحوال المعدودة اللازمة للنفار عنها والبغض والحذر منها فلو لم يكن الركون اليها
وارتكاب اضداد هذه الاحوال منها مظنة الهلكة لما نفر النبي صلى الله عليه وآله عنها ولم يركن اليها لكنه نفر عنها فكان

مظنة الهلكة فوجب التاسي به في نفاره عنها والا لم يامن غير المتاسي به الهلكة فيها وروي علما للساعة بكسر العين وهو
اطلاقا لاسم المسبب على السبب اذ هو صلى الله عليه وآله سبب للعلم بالساعة وكنى بوضع الحجر على الحجر عن البناء ثم عقب
بتعظيم منة الله تعالى على الناس حين انعم عليهم به سلفا يتبعونه وقائدا يتبعون اثره واردف ذلك بذكر بعض احواله
التي تاسى به عليه السلام بها من ترك الدنيا والاعراض عن الاستمتاع بها الى غاية ترقيع مدرعته حتى استحيا من راقعها
وقول من قال له الا تنبذها وتلبسها وحوار الحسن وقوله عند الصباح يحمد القوم السرى مثل يضرب لمتحمل المشقة لاجل
الى الراحة واصله ان القوم يسيرون في الليل فيحمدون عاقبة ذلك بقرب المنزل اذا اصبحوا ومطابقته الصباح لمفارقة
النفس البدن ولاعراضها عنه واتصالها بالملأ الاعلى بسبب ملكة الرياضة الكاملة واشراق انوار العالم العلوي
عليها التي عندها تحمد عواقب الصبر على مكاره الدنيا وترك لذاتها ومعاناة شدائدها مطابقة ظاهرة واقعة موقعها
وروي انه سئل عليه السلام لم رقعت قميصك فقال يخشع لها القلب ويقتدي بها المؤمنون ومما نقل في زهده عليه السلام
ما رواه احمد في مسنده عن ابي النوار الحوام بالكوفة قال جاءني علي بن ابي طالب الى السوق ومعه غلام له وهو خليفة
فاشترى مني قميصين وقال لغلامه اختر ايهما شئت فاخذ احدهما واخذ علي الاخر ثم لبسه ومد يده فوجد كمه فاضلا
فقال اقطع الفاضل فقطعه ثم كفه وذهب وروى احمد ايضا قال لما ارسل عثمان الى علي وجدوه مؤتزرا بعباءة محتجزا
بعقال وهو يهنأ بعيرا له اي يطليه بالقطران وهو الهناء والاخبار في ذلك كثيرة وبالله التوفيق والعصمة **ومن خطبة**
له عليه السلام ابتعثه بالنور المضيء والبرهان الجلي والمنهاج البادي والكتاب الهادي اسرته خير اسرة وشجرته
خير شجرة اغصانها معتدلة وثمارها متهدلة مولده بمكة وهجرته بطيبة علا بها ذكره وامتد منها صوته ارسله بحجة
كافية وموعظة شافية ودعوة متلافية اظهر به الشرائع المجهولة وقمع به البدع المدخولة وبين به الاحكام المفصولة
فمن يبتغ غير الاسلام دينا تتحقق شقوته وتنفصم عروته وتعظم كبوته ويكن مآبه الى الحزن الطويل والعذاب الوبيل
واتوكل على الله توكل الانابة اليه واسترشده السبيل المؤدية الى جنته القاصدة الى محل رغبته اوصيكم عباد الله بتقوى
الله وطاعته فانها النجاة غدا والمنجاة ابدا رهب فابلغ ورغب فاسبغ ووصف لكم الدنيا وانقطاعها وزوالها
وانتقالها فاعرضوا عما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها اقرب دار من سخط الله وابعدها من رضوان الله فغضوا عنكم
عباد الله غمومها واشغالها لما قد ايقنتم به من فراقها وتصرف حالاتها فاحذروها حذر الشفيق الناصح والمجد الكادح
واعتبروا بما قد رايتم من مصارع القرون قبلكم قد تزايلت اوصالهم وزالت اسماعهم وابصارهم وذهب شرفهم وعزهم
وانقطع سرورهم ونعيمهم فبدلوا بقرب الاولاد فقدها وبصحبة الازواج مفارقتها لا يتفاخرون ولا يتناسلون
ولا يتزاورون ولا يتحاورون فاحذروا عباد الله حذر الغالب لنفسه المانع لشهوته الناظر بعقله فان الامر واضح
والعلم قائم والطريق جدد والسبيل قصد **اقول** اسرته اهله والمتهدلة المتدلية وطيبة اسم للمدينة سماها رسول
الله صلى الله عليه وآله وقد كان اسمها يثرب وروي ان يزيد بن معوية سماها خبيثة وتلافيت الشيء استدركته والكبوة
العثرة والوبيل المهلك والكدح السعي والعمل وخلاصة الفصل ذكر ممادح النبي صلى الله عليه وآله ثم الموعظة الحسنة

والتنفير

والتنفير عن الدنيا فالنور المضيء نور النبوة والبرهان الجلي المعجزات والآيات الموضحة لنبوته والمنهاج البادي هو شريعته
ودينه الواضح والكتاب الهادي القرآن لهدايته الى سبيل الجنة وظاهر كون اسرته خير الاسر ولفظ الشجرة مستعار لاصله
وظاهر كون قريش افضل العرب ولفظ الاغصان مستعار لاشخاص بيته صلى الله عليه وآله كعلي واولاده وزوجته
واعمامه كحمزة واعتدال هذه الاغصان تقاربهم في الفضل والشرف وثمارها مستعار لعلومهم العلمية والعملية
وتهدلها كناية عن ظهورها وكثرتها وسهولة الاستمتاع بها وذكر مولده بمكة وهجرته بالمدينة في معرض مدحه لشرف
مكة بالبيت العتيق وشرف المدينة باهلها حيث آووه ونصروه وحين هاجر اليها فعلا بها ذكره وانتشر فيها صيته
وامتدت دعوته ولانه هاجر اليها وهي بلد مجدب قليل الخصب ضعيف الاهل مع غلبة خصومه وقوة المشركين عليه
في ذلك الوقت ثم انه مع ذلك علا بها ذكره وانتشر فيها صيته فكان ذلك من آيات نبوته ايضا والحجة الكافية ما
جاء به من الآيات التي قهر بها اعداء الله والموعظة الشافية ما اشتمل عليه القرآن العظيم والسنة الكريمة من
الوعد والوعيد وضرب الامثال والتذكير بالقرون الماضية والآراء المحمودة الجاذبة للناس في ارشد الطرق الى
جناب ربهم وكنى بها شفاء للقلوب من ادواء الجهل والدعوة المتلافية فانه استدرك بها ما فسد من نظام
الخلق وتلافى بها ما هلك من قلوبهم واسود من الواح نفوسهم والشرائع المجهولة طرائق دينه وقوانين شريعته
التي لم يكن ليهتدى اليها الا بظهوره والبدع ما كانت عليه اهل الجاهلية من الآثام والفساد في الارض والاحكام
المفصولة ما فصله وبينه لنا من احكام دين الاسلام الذي من ابتغى غيره دينا ضل عن سواء طريق النجاة فتحققت شقوته
في الآخرة وانفصمت عروته اي انقطع مستمسك النجاة في يده فعظمت عثرته في سفره الى الآخرة وكان مرجعه الى الحزن
الطويل على ما فرط في جنب الله ومصيره الى العذاب المهلك في دار البوار ثم انشأ يتوكل على الله توكل المنيب اليه
الملتفت بقلبه من غيره المسلم لجميع اموره اليه طالبا الارشاد الى سبيله القاصدة الى جنته التي هي محل الرغبة اليه ثم
عقب بالموعظة فبدأ بالوصية بتقوى الله وطاعته واطلق عليها لفظ النجاة مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب
المادي لكونها معدة لافاضة النجاة من عذاب يوم القيمة وقيل النجاة الناقة التي ينجى عليها فاستعار لفظها
للطاعة لانها المطية ينجو بها المطيع من العطب ولفظ المنجاة اذ هي محل النجاة دائما والضمير في رهب ورغب
اي فابلغ في وعيده واسبغ الترغيب فاتم ووصف الدنيا بالاوصاف الموجبة للرغبة عنها ثم امر عليه السلام
بالاعراض عن زينتها وعلل حسن ذلك الاعراض بقلة ما يصحب الانسان منها الى الآخرة واراد الاعراض بالقلب
الذي هو الزهد الحقيقي وانما قال لقلة ذلك ولم يقل لعدمه لان الناس لا يمكن لابدانهم ان يستصحبوا منها شيئا
وهو ما يكتسبه احدهم من الكمالات الى الآخرة لكون القدر الذي يكتسبه المترفون من الكمالات اذا قصدوا
باموالهم ووسائل زينة الحيوة الدنيا الوصول الى الله تعالى قليل نزر ومع ذلك فهم في غاية الخطر من زلة القدم
في كل حركة وتصرف بخلاف اهل التقشف الذين اقتصروا منها على مقدار الضرورة البدنية ويحتمل ان يريد بالقليل
الذي يصحبهم منها كالكفن ونحوه وانما كانت اقرب دار من سخط الله وابعدها من طاعة الله لان الميل فيها الى

واللعب والاستمتاع بزينتها المستلزم لسخط الله اغلب من الانتفاع بها في سلوك سبيل الله وقوله فغضوا اي فكفوا عن انفسكم الغم لاجلها او الاشتغال بها لما يتعنتم من فراقها لان الغم انما ينبغي ان يوجه نحو ما يبقى ثم حذر منها حذر الشفيق على نفسه الناصح المجد الكادح لها ثم اخذ في الامر بالاعتبار بما هو شاهد من مصارع القرون الماضية ولحوالها الخالية من تغير اوصالهم وزوال اسماعهم وابصارهم الى سائر ما عدده من الاحوال التي حلت بهم واستبدلوها من احوالهم الدنيوية التي كانوا عليها ثم حذر منها حذر الغالب لنفسه الامارة بالسوء المأمون سبين عقله مغالب شهوته المانع لها عن العبور الى حد الافراط من فضيلة العفة فان امر الدنيا والآخرة واضح لمن اعتبر حالهما وعلم الشريعة الهادي الى الحق قائم والطريق الى الله سهل مستقيم قاصد اي فلا يكن امركم عليكم غمة ومن كلام له عليه السلام لبعض اصحابه وقد سأله كيف دفعكم قومكم عن هذا الامر وانتم احق به فقال يا اخا بني اسد انك لقلق الوضين ترسل في غير سدد ولك بعد ذمامة الصهر وحق المسألة وقد استعلمت فاعلم اما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الاعلون نسبا والاشدون بالرسول صلى الله عليه وآله نوطا فانها كانت اثرة شحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين والحكم الله والمعود اليه القيمة ودع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل وهلم الخطب في ابن ابي سفيان فلقد اضحكني الدهر بعد ابكائه ولا غرو والله فيا له خطبا يستفرغ العجب ويكثر الاود حاول القوم اطفاء نور الله من مصباحه وسد فواره من ينبوعه وجدحوا بيني وبينهم شربا وبيئا فان يرتفع عنا وعنهم محن البلوى احملهم من الحق على محضه وان يكن الاخرى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون اقول الوضين بطان القتب وحزام السرج والقلق الاضطراب والذمامة الحرمة وروي ماتة الصهر اي وسيلته وهي المصاهرة والنوط التعلق والاثرة بالتحريك الاستبداد والاستيثار والحجرة بفتح الحاء الناحية والجمع حجرات بفتح الجيم وسكونها وهلم تستعمل بمعنى تعال كقوله تعالى هلم الينا وقد تستعمل بمعنى هات كما هي هاهنا فيتعدى كما قال تعالى هلم شهداءكم ولا غرو اي لا عجب والاود الاعوجاج والجدح بالجيم سبق الخلط والتحريك والتكدير والشرب بالكسر الحظ من الماء والوبي ذو الوباء المرض فاما جوابه للاسدي فانه يقال للرجل اذا لم يكن ذا ثبات في عقله وامورة بحيث يأتي العمل لا بعينه او يضع سؤاله في غير موضعه ويستعجل انه قلق الوضين واصله ان الوضين اذا قلق اضطرب القتب فلم يثبت فطابق حال من لا يثبت في مقاله وحركاته فضرب مثلا وكذا قوله وترسل في غير سدد اي تتكلم في غير موضع الكلام لا على استقامة وهذا تأديب له وقوله ولك بعد الى قوله استعلمت ابتداء للعذر في حسن جوابه فان للمصاهرة حقا وللسائل على المسئول حق الاسترشاد والسؤال فاما كونه صهرا فلان زينب بنت جحش زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت اسدية وهي زينب بنت جحش بن رياب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن اسد بن خزيمة وامها اميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وهي بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا والمصاهرة المشار اليها هي هذه ونقل القطب الراوندي ان عليا عليه السلام كان متزوجا في بني اسد وانكر الشارح ابن ابي الحديد معتمدا على انه لم يبلغنا ذلك وهو محتمل والانكار لا معنى له

اذ ليس كل ما لم يبلغنا من حالهم لا يكون حقا ويلزمه ان لا يصل اليه خبرنا وقوله اما الاستبداد شروع في الجواب والضمير في فانها يعود الى معنى الاثرة في الاستبداد والقوم الذين شحوا عليها هم الائمة من تقدم عليه في الامامة وعند غيرهم قريبا قالوا المراد بهم اهل الشورى بعد مقتل عمر وقوله والحكم الله والمعود اليه القيمة اي المرجع في يوم القيمة معنى التظلم والتشكي والمعود مصدر والخبر والقيمة فاما البيت فهو لامرئ القيس واصله ان شغل في احياء العرب بعد قتل ابيه فنزل على رجل من جديلة طي يقال له طريف فاحسن جواره فمدحه واقام معه ثم انه خاف ان لا يكون له منعة فتحول عنه ونزل على خالد بن سدوس من اصح النبهاني فاغارت بنو جديلة عليه وهو في جوار خالد فذهبوا بابله فلما اتاه الخبر ذكر ذلك لخالد فقال له اعطني رواحلك الحق عليها فارد اليك ابلك ففعل فركب خالد في اثر القوم حتى ادركهم فقال يا بني جديلة اغرتم على ابل جاري فقالوا ما هو لك بجار قال بلى والله وهذه رواحله فرجعوا اليه فانزلوه عنهن وذهبوا بهن وبالابل فقال امرؤ القيس القصيدة التي فيها البيت فدع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديث ما حديث الرواحل والنهب هاهنا ما ينهب وحجراته جوانبه وحديث الثاني مبتدأ والاول خبره وما للتنكير وهي التي اذا دخلت على اسم زادته ابهاما كقولهم لامر ما جدع قصير انفه والمعنى دع ذكر الابل فانه مفهوم ولكن حديثا لي فلحديث مبهم ما اي حديث مبهم لا يدري كيف هو وذلك انه قيل ان خالدا هو الذي ذهب بالرواحل فكان عنده الريب في امرها فاما استشهاده عليه السلام فالمروي ان استشهاده بالنصف الاول من البيت ووجه مطابقته له هو ان السابقين من الائمة وان كانوا قد استبدوا بهذا الامر فحديثهم مفهوم اذ لهم الاحتجاج بالقدمة في الاسلام والهجرة وقرب المنزلة من الرسول وكونهم من قريش فدع ذكرهم وذكر نهبهم هذا المقام فيما سبق ولكن هات ما نحن فيه الآن من خطب معاوية بن ابي سفيان والخطب هو الحادث الجليل واراد هات ذكر خطبه فحذف المضاف للعلم به واشار الى الاحوال التي ادت الى ان كان معاوية منازعا له في هذا الامر مع بعده عنه حتى صار قائما عند كثير من الناس مقامه وقوله فلقد اضحكني الدهر بعد ابكائه اشارة الى غبنه اي ذلك امر يضحك من التعجب ثم اخذ في استعظام فقال يا له خطبا يستفرغ العجب اي يفنيه حتى صار كلا عجب وهو من باب الاغراق والمبالغة كقول ابن هاني قد سرت في الميدان يوم طرادهم فعجبت حتى كدت لا اتعجب ويحتمل ان يكون قوله ولا غرو والله اي لا عجب اذا نظر الانسان الى حقيقة الدنيا وتصرفاتها فيكون قوله بعد ذلك فيا له استئناف لاستعظام هذا الامر وكونه يكثر الاعوجاج ظاهر فان كل امرئ بعيد عن الشبهة اذا دار الامر اعوجاجا وقوله حاول القوم الى قوله ينبوعه فالقوم قريش ومصباح انوار الله استعار لخاصة الرسول صلى الله عليه وآله من اهل بيته وكذلك ينبوعه استعارة لهم باعتبار كونهم معدنا لهذا الامر ولوازمه ووجه الاستعارة بين ظاهر بيانهم حاولوا ان هذا الامر عنهم مستقرة ومعدنه الاخير وهو بيت الرسول صلى الله عليه وآله استعار لفظ الشرب لوبي لذلك الامر ولفظ الجدح للكدر الواقع بينهم والمحاولة لهذا الامر واستعار وصف الوبي له باعتبار كونه سببا للهلاك والقتل بينهم وقوله فان يرتفع الى الحق اي فان

يجتمعوا علي ويرتفع بيني وبينهم ما ابتلينا به من هذه المحن والاحن اسلك بهم محض الحق وان ابوا الا البقاء على ما هم عليه فلا اسف عليهم واقتبس الآية المشتملة على تأديب نفسه وتوطينها على ترك الاسف عليهم ان لم يؤمنوا وعلى تهديدهم ووعيدهم بالاطلاع الله على اعمالهم السيئة ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله خالق العباد وساطح المهاد ومسيل الوهاد ومخصب النجاد ليس لاوليته ابتداء ولا لازليته انقضاء هو الاول لم يزل والباقي بلا اجل خرت له الجباه ووحدته الشفاه حد الاشياء عند خلقه لها ابانة له من شبهها لا تقدره الاوهام بالحدود والحركات ولا بالجوارح والادوات لا يقال له متى ولا يضرب له امد بحتى الظاهر لا يقال مما والباطن لا يقال فيما لا شبح فيتقضى ولا محجوب فيحوى لم يقرب من الاشياء بالتصاق ولم يبعد عنها بافتراق ولا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة ولا كرور لفظة ولا ازدلاف ربوة ولا انبساط خطوة في ليل داج ولا غسق ساج يتفيأ عليه القمر المنير وتعقبه الشمس ذات النور في الكرور والافول وتقليب الازمنة والدهور من اقبال ليل مقبل وادبار نهار مدبر قبل كل غاية ومدة وكل احصاء وعدة تعالى عما ينحله المحددون من صفات الاقدار ونهايات الاقطار وتأثل المساكن وتمكن الاماكن فالحد لخلقه مضروب والى غيره منسوب لم يخلق الاشياء من اصول ازلية ولا من اوائل ابدية بل خلق ما خلق فاقام حده وصور ما صور فاحسن صورته ليس لشيء منه امتناع ولا له بطاعة شيء انتفاع علمه بالاموات الماضين كعلمه بالاحياء الباقين وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في الارضين السفلى اقول الساطح الباسط والمهاد الارض والوهاد جمع وهدة وهي المكان المطمئن والنجاد جمع نجد وهو المكان المرتفع وازدلاف الربوة تقدمها والساجي الساكن وتفيؤ القمر ذهابه ومجيئه حالتي اخذه في الزيادة والاخذ في النقصان الى المحاق ونحل مؤثل ومجد مؤثل اصيل قديم وقد اشتملت الخطبة من علم التوحيد على مباحث قدم الحمد لله تعالى باعتبارات الاول قوله خالق العباد الى قوله النجاد اشارة الى كونه سبحانه الخالق الموجد وبيانه ان لفظ العباد مشتمل على من في السموات ومن في الارض لقوله تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا ويدخل في ذلك الاجسام الفلكية لكونها اجساما للملائكة وسطح المهاد اشارة الى خلق الارض وجعلها مهادا لما خلق من الحيوان ومسيل الوهاد ومخصب النجاد اشارة الى ايجاد سائر ما ينتفع به الخلق في الدنيا اذا عرفت ذلك فقد اشتملت هذه الالفاظ على ايجاده لجميع الموجودات الممكنة وقد ثبت ان خالق جميع الموجودات الممكنة لا يكون ممكنا فاستلزم ذلك كونه تعالى واجب الوجود الثاني من الاعتبارات السلبية كونه تعالى لا ابتداء لاوليته اي لا اخر لكونه اولا للاشياء يقف عنده اوليته وينتهي به والا لكان محدثا فكان ممكنا فلم يكن واجب الوجود هذا خلف الثالث ولا انقضاء لازليته اي لا غاية ينتهي عندها وينقضي عندها والا لقبل العدم فلم يكن واجب الوجود هذا خلف وقوله هو الاول لم يزل والباقي بلا اجل تأكيد للاعتبارين الثاني والثالث ببيانه الاثبات الرابع خرت له الجباه ووحدته الشفاه وهو اشارة الى كمال الوهية واستحقاقه للعبادة الخامس انه لا يشبهه شيء اذ كل شيء ما عداه محدود يقدره العقل

والوهم ويشار اليه بحدود يحيط بها ولا شيء منه تعالى كذلك اذ كل وهم قدر حدا او حركة او جارحة او اداة كما هو مقتضى الوهم في ادراكه لمدركاته فقد ضل ضلالا بعيدا عن تصوره وقد سبقت الاشارة الى تلك السادس تنزهه عن لحوق الزمان فلا يسأل عنه بمتى وعن غاية الزمان فلا يضرب له امد بحتى السابع كونه ظاهرا ومع غاية ظهوره لا مادة له ولا اصل يستفاد منه فلا يقال مما هو موجود الثامن كونه باطنا ومع غاية بطونه وخفائه لا حيز له فيقال فيه بطن وخفي كسائر الخفيات من الاجسام والجسمانيات وقد سبق بيان كونه باطنا وظاهرا غير مرة التاسع كونه ليس بشخص فيلحقه التغير والانقضاء العاشر ولا محجوب فيحويه حجاب اذ الشخص الناظر والحجاب من لواحق الاجسام التي تنزه عنها الحادي عشر من الاعتبارات الاضافية كونه تعالى في قربه من الاشياء لا بالالتصاق الثاني عشر كونه بعيدا عنها لا بالافتراق وقد عرفت معنى قربه وبعده من الاشياء الثالث عشر كونه لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة الى قوله وادبار نهار مدبر اشارة الى احاطة علمه بكل المعلومات وشخوص اللحظة مد البصر بلا حركة جفن وكرور اللفظة رجوعها وازدلاف الربوة تقدمها واراد بالربوة المتقدمة اي في النظر والباقي عند مد العين فان الربى اول ما يقع في العين من الارض والضمير في عليه للغسق وقوله وتعقبه الشمس اي وتعقبه فحذف احدى التائين كقوله تعالى يوم تقوم الملائكة ودوي يعقبه والضمير المنصوب فيه للقمر وقوله من اقبال ليل متعلق بتقليب والمعنى ان الشمس تعاقب القمر فتطلع عند افوله وتطلع عند افولها الرابع عشر كونه قبل غاية ومدة وكل احصاء وعدة لانه تعالى خالق الكل ومبداه فوجب تقدمه وقبليته الخامس عشر تنزهه وتعاليه عما تصفه به المشبهة المبعوث عكما او هامهم في جناب المقدس من صفات المقادير كالاقطار والنهايات والجوانب واتخاذ البيوت وقد مها والاستقرار في المساكن وسائر ما هي حدوده ولواحق تقيده بها وذات الاحيار فان كل تلك الحدود مضروبة منه لخلقه ومنسوبة اليهم السادس عشر كونه خالقا للاشياء مخلوقا تصادرة عنه من غير اصول ازلية ولا اوائل ابدية اي لم يخلقها من مادة سابقة ومعنى هذا الكلام انه لم يخلق ما خلق على مثال سبق يكون اصلا لا اول له قديما وقيل معناه انه ليس للمخلوق اصل ازلي ابدي خلق منه من مادة وصورة كما زعمت الفلاسفة وروي لا من اوائل ابدية وقوله بل خلق ما خلق فاقام حده اي بل هو المخترع لا قامة حدوده وهي ما له من المقادير والاشكال والنهايات والآجال والغايات على وفق الحكمة الالهية وكذلك صور ما صور فاحسن صورته اي اوقعها على وجه الاحكام والاتقان السابع عشر كونه ليس لغيره منه امتناع اشارة الى كمال قدرته ولاحاطة علمه الثامن عشر كونه لا انتفاع له بطاعة شيء لان الانتفاع من لوازم الحاجة الممتنعة عليه وهو اشارة الى وصف الغني التاسع عشر كون علمه تعالى بالاموات الماضين كعلمه بالاحياء الباقين وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في الارضين السفلى وهو اشارة الى ان علمه غير مستفاد من غيره ولا يلحقه تغير وتجدد فلا يتجدد له علم بكون بل علمه تعالى ازلي ابدي تام لا يلحقه نقصان نسبة جميع الممكنات اليه على سواء وقد علمت تحقيقه في المباحث الالهية في مظانها وبالله التوفيق منها ايها المخلوق السوي والمنشأ المرعي في ظلمات الارحام ومضاعفات الاستار بدئت من سلالة من طين

ووضعت في قرار مكين الى قدر معلوم واجل مقسوم تمور في بطن امك جنينا لا تحير دعاء ولا تسمع نداء ثم اخرجت من مقرك الى دار لم تشهدها ولم تعرف سبل منافعها فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدي امك وعرفك عند الحاجة مواضع طلبك وارادتك هيهات ان من يعجز عن صفات ذي الهيئة والادوات فهو عن صفات خالقه اعجز ومن تناوله بحدود المخلوقين ابعد اقول السوي المستوي والمرعي المعتني بامره والخطاب للانسان ونبهه بكونه سويا مرعيا على وجود خالقه الحكيم اللطيف وقد عرفت كيفية تخليق الانسان وتصويره فيما في الاحوال كالرحم ووضعه وكذلك نبهه بتقلبه في حالاته واطوار خلقته وباستغنائه بمن هداه لاجترار غذائه من ثدي امه ومن عرفه عند الحاجة مواضع طلبه وهي الاثداء على وجود خالق هداه الى جميع حاجاته فهذا القدر من العلم بالصانع مرضي ونبه النفس وان احتاج الى ادنى تنبيه وما وراء ذلك بمعنى صفات الكمال ونعوت الجلال فامور لا يطلع عليها العقول البشرية بالكنه وانما نطلع منها على اعتبارات ومقايسات لها الى خلقه ويحتاج فيها الى الدليل والبرهان وقد اشرنا الى ذلك من قبل ونبه على بعد ادراكها والعجز عنها بقوله هيهات الى قوله والادوات اي من يعجز عن صفات نفسه في حال غلبته والاطلاع على منافع جزئيات اعضائه مع كونها محسوسة مشاهدة له فهو عن صفات خالقه الذي هو ابعد الاشياء عنه مناسبة اعجز ومن ادركه بالمعاينة والتشبيه بحدود المخلوقين وصفاتهم ابعد وبالله العصمة والتوفيق

ومن كلام له عليه السلام لما اجتمع الناس اليه وشكوا ما نقموه على عثمن وسالوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم فدخل على عثمان فقال ان الناس ورائي وقد استسفروني بينك وبينهم والله ما ادري ما اقول لك ما اعرف شيئا تجهله ولا ادلك على امر لا تعرفه انك لتعلم ما نعلم ما سبقناك الى شيء فنخبرك عنه ولا خلونا بشيء فنبلغكه وقد رايت كما راينا وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله كما صحبنا وما ابن ابي قحافة ولا ابن الخطاب باولى بعمل الحق منك وانت اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وشيجة رحم منهما وقد نلت من صهره ما لم ينالا فالله الله في نفسك فانك والله ما تبصر من عمى ولا تعلم من جهل وان الطرق لواضحة وان اعلام الدين لقائمة واعلم ان افضل عباد الله عند الله امام عادل هدي وهدى فاقام سنة معلومة وامات بدعة مجهولة وان السنن لنيرة لها اعلام وان البدع لظاهرة لها اعلام وان شر الناس عند الله امام جائر ضل وضل به فامات سنة ماخوذة واحيا بدعة متروكة واني سمعت رسول الله يقول يؤتى يوم القيمة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور فيها كما تدور الرحا ثم يرتبك في قعرها ويرتبط يا عثمان انا انشدك الله ان تكون امام هذه الامة المقتول فانه كان يقال يقتل في هذه الامة امام يفتح عليها القتل والقتال الى يوم القيمة ويلبس امورها عليها ويبث الفتن فيها فلا يبصرون الحق من الباطل يموجون فيها موجا ويمرجون فيها مرجا فلا تكونن لمروان سيقة يسوقك حيث شاء بعد جلال السن وتقضي العمر فقال له عثمان كلم الناس في ان يؤجلوني حتى اخرج اليهم من مظالمهم فقال عليه السلام ما كان بالمدينة فلا اجل فيه وما غاب فاجله وصول امرك اليه **اقول** استسفروني اتخذوني سفيرا اي رسولا والوشيجة عروق الشجرة والسيقة بتشديد الياء ما يسوقه العدو في الغارة من الدواب وجلال السن وحاصل الكلام استعتابه باللين من القول فاثبت له مرتبة من العلم اي

بالحكم

احكام الشريعة والسنن المتقدمة ولترتيبهم في زمان الرسول صلى الله عليه وآله والظهور على كل ما اطلع عليه منهما من مرئي ومسموع والعجز الثالثة لصحبة وذكر الشيخين ليسا باولى منه بعمل الحق ثم رجحه عليهما بقرب الوشيجة من رسول الله صلى الله عليه وآله والصهورة من دونهما ولفظ الوشيجة مستعار لما بينه وبينهم من القرابة واما كونه اقرب وشيجة منهما فلكونه من ولد عبد مناف دونهما ثم حذره الله وعقب التحذير بتنبيهه على انه غير محتاج الى تعليم فيما يراد منه مع وضوح طرق الشريعة وقيام اعلام الدين ثم نبهه على فضيلة الامام العادل بالصفات المذكورة وعلى قيام اعلام البدع ليقتدي بذلك وينكب عن هذا ثم على حال الامام الجائر يوم القيمة بما نقل من الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وآله ثم ناشده الله تعالى تحذيرا له ان يكون الامام المقتول في هذه الامة وقد كان الرسول صلى الله عليه وآله اخبر بذلك بهذه العبارة التي نقلها بعد قوله يقال وبلغنا بها ثم نهاه ان يكون سيقة لمروان بن الحكم اي يصرفه حيث شاء بعد بلوغه معظم السن وتقضي عمره وقد كان مروان من اقوى الاسباب الباعثة على قتل عثمان وكان يعكس الاراء التي يشار على عثمان بها من علي عليه السلام وغيره مع كونه مغيظا له المعتبرين من الصحابة وكونه طريدا لرسول الله وقوله في جوابه ما كان بالمدينة فلا اجل فيه الى اخره كلام حق لحاسم ما عساه يكون مما طلبه من طلب التاجيل لان الحاضر لا معنى لتاجيله والغائب لا عذر في تاخيره بعد بلوغ امرك اليه كالذي اعطاه اقرباه من اموال بيت المال على غير وجهه وقد سبق في الفصول المتقدمة من امر عثمان مع الصحابة وما نقموه عليه ما فيه كفاية وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس ابتدعهم خلقا عجيبا من حيوان وموات وساكن وذي حركات واقام من شواهد البينات على لطيف صنعته وعظيم قدرته ما انقادت له العقول معترفة به ومسلمة له ونعقت في اسماعنا دلائله على وحدانيته وما ذرا من مختلف صور الاطيار التي اسكنها اخاديد الارض وخروق فجاجها ورواسي اعلامها من ذوات اجنحة مختلفة وهيئات متباينة مصرفة في زمام التسخير ومرفرفة باجنحتها في مخارق الجو المنفسح والفضاء المنفرج كونها بعد اذ لم تكن في عجائب صور ظاهرة وركبها في حقاق مفاصل محتجبة ومنع بعضها بعبالة خلقه ان يسمو في السماء خفوفا وجعله يدف دفيفا ونسقها على اختلافها في الاصابيغ بلطيف قدرته ودقيق صنعته فمنها مغموس في قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه ومنها مغموس في لون صبغ قد طوق بخلاف ما صبغ به ومن اعجبها خلقا الطاوس الذي اقامه في احكم تعديل ونضد الوانه في احسن تنضيد بجناح اشرج قصبه وذنب اطال مسحبه اذا درج الى الانثى نشره من طيه وسما به مطلا على راسه كانه قلع داري عنجه نوتيه يختال بالوانه ويميس بزيفانه يفضي كافضاء الديكة ويار بملاقحه احيلك من ذلك على معاينة لا كمن يحيل على ضعيف اسناده ولو كان كزعم من يزعم انه يلقح بدمعة تسفحها مدامعه فتقف في ضفتي جفونه وان انثاه تطعم ذلك ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى الدمع المنبجس لما كان ذلك باعجب من مطاعمة الغراب تخال قصبه مداري من فضة وما انبت عليها من عجيب داراته وشموسه خالص العقيان وفلذ الزبرجد فان شبهته بما انبتت الارض قلت جني جني من زهرة كل ربيع وان ضاهيته بالملابس فهو كموشي الحلل او مونق عصب اليمن وان شاكلته بالحلي فهو كفصوص ذات الوان قد نطقت باللجين المكلل يمشي مشي المرح المختال

ويتصفح ذنبه وجناحه فيقهقه ضاحكا لجمال سرباله واصابيغ وشاحه فاذا رمى ببصره الى قوائمه زقا معولا بصوت يكاد يبين عن استغاثته ويشهد بصادق توجعه لان قوائمه حمش كقوائم الديكة الخلاسية وقد نجمت من ظنبوب ساقه صيصية خفية وله في موضع العرف قنزعة خضراء موشاة ومخرج عنقه كالابريق ومغرزها الى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية او كحريرة ملبسة مرآة ذات صقال وكانه متلفع بمعجر اسحم الا انه يخيل لكثرة مائه وشدة بريقه ان الخضرة الناضرة ممتزجة به ومع فتق سمعه خط كمستدق القلم في لون الاقحوان ابيض يقق فهو ببياضه في سواد ما هنالك ياتلق وقل صبغ الا وقد اخذ منه بقسط وعلاه بكثرة صقاله وبريقه وبصيص ديباجه ورونقه فهو كالازاهير المبثوثة لم تربها امطار ربيع ولا شموس قيظ وقد يتحسر من ريشه ويعرى من لباسه فيسقط تترى وينبت تباعا فينحت من قصبه انحتات اوراق الاغصان ثم يتلاحق ناميا حتى يعود كهيئته قبل سقوطه لا يخالف سالف الوانه ولا يقع لون في غير مكانه واذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه ارتك حمرة وردية وتارة خضرة زبرجدية واحيانا صفرة عسجدية فكيف تصل الى صفة هذا عمائق الفطن او تبلغه قرائح العقول او تستنظم وصفه اقوال الواصفين واقل اجزائه قد اعجز الاوهام ان تدركه والالسنة ان تصفه فسبحان الذي بهر العقول عن وصف خلق جلاه للعيون فادركته محدودا مكونا ومولفا ملونا واعجز الالسن عن تلخيص صفته وقعد بها عن تادية نعته وسبحان من ادمج قوائم الذرة والهمجة الى ما فوقهما من خلق الحيتان والفيلة ووأى على نفسه ان لا يضطرب شبح مما اولج فيه الروح الا وجعل الحمام موعده والفناء غايته **اقول** نعقت صاحت والاخاديد شقوق الارض وشعابها والفجاج جمع فج وهي الطريق بين الجبلين والعبالة امتلاء الجسد ونسقها نظمها والزيفان الخيلاء وزيفانه عنانه وتبختره بهز تمايل والار النكاح والحركة فيه وملاقحه الات اللقاح واعضاء التناسل والاشراج شد الشق والقلع الداري الشراع المنسوب الى دارين وهي جزيرة من سواحل القطيف من بلاد البحرين يقال ان الطيب كان يجلب اليها من الهند وهي الان خراب لا عمارة بها ولا ساكن وفيها اثار قديمة وعنجه عطفه والنوتي ربان السفينة وضفتا جفونه جانباها والمنبجس المتفجر والمداري جمع مدرى وهي خشبة ذات اطراف كاصابع الكف محدودة الروس ينقى بها الطعام ودارات الخطوط المستديرة بقصبه والعقيان الذهب وفلذ جمع فلذة وهي القطعة والزبرجد قيل هو الزمرد وقيل يطلق على الجوهر والجني فعيل بمعنى المجني وهو الملتقط والعصب برود تعمل باليمن والمضاهاة المشابهة والحلي الدقاق ونطقت في اللجين اي شدت فيه ورصعت والوشاح شيء ينسج من اديم ويرصع بالجواهر فتجعله المراة على عاتقيها وكشحيها وزقا صاح والمعول الصارخ والديكة الخلاسية هي المتولدة بين الدجاج الهندي والفارسي ونجمت ظهرت والظنبوب حرف الساق والصيصية الهنة التي في موخر رجل الديك والقنزعة الشعر المجتمع في موضع من الراس والوسمة بكسر السين وسكونها شجر العظلم بروا والاسحم الاسود والمتلفع الملتحف واليقق الخالص البياض وياتلق يلمع والبصيص البريق وتترى يسقط منها شيء عقيب شيء وادمج احكم والذرة النملة الصغيرة والهمجة ذبابة صغيرة كالبعوضة ومقصود الخطبة

التنبيه

التنبيه على عجائب صنع الله تعالى لالتفات اليه والتفكر في ملكوته وقد عرفت معنى الابتداع واراد بالموات ما لا حياة به والساكن كالارض وذو الحركات كالافلاك وشواهد البينات ما ظهر للعقول من لطائف المخلوقات فاستدلت بها على لطف صنعته وكمال قدرته فانقادت لتلك الدلائل والطرق الواضحة الى معرفته والاقرار والتسليم لامره واستعار لفظ النعيق في الاسماع لظهور تلك الدلائل في صماخ العقل وما الاولى مفعول لاقام والضمير في له يرجع اليها وفي به وله الثانية الى الله وفي دلائله يحتمل العود الى كل واحد منهما وما الثانية محلها الجر بالعطف على الضمير المضاف اليه في دلائله اي نعقت في اسماعنا دلائله على وحدانيته ودلائل ما خلق وقد عرفت فيما سبق كيفية الاستدلال بكثرة ما خلق واختلافه على وحدانيته والاطيار التي اسكنها اخاديد الارض كالقطا والصدا والتي اسكنها رؤس الجبال كالعقبان والصقور ثم اخذ يصف اختلافها بالاجنحة في هيئاتها وكيفيات خلقها تحت تصريف قدرته وحكمته ثم اشار الى اعتبار تكوينها واحداثها في عجائب صورها والوانها وتركيب خلقها من عبالة الجثة تمنع سموه في الهواء كالنعام ثم نبه على لطيف حكمته في تنسيقها مختلفة الالوان والاصباغ فمنها مغموس في قالب لون واحد وقد طوق بخلاف ما صبغ به كالفواخت وشرع في التنبيه بحال الطاوس على لطف الصنع لاشتماله على جميع الالوان وكفى بوصفه عليه السلام شارحا فانه لا ابلغ منه ولا اجمع للتفاصيل الحكمة الموجودة في هذا الموصوف غير انه قد يحتاج بعض الفاظه عليه السلام الى بيان فاراد بقصبه قصب ريش ذنبه وجناحيه واشراجها ضبط اصولها بالاعصاب والعظام وشرج بعضها ببعض ووصفه عليه السلام لهيئته في درجه الى الانثى حال ارادة السفاد وصف من شاهده واثبت الهيئة واحسن تشبيهه لذنبه عند ارادة السفاد بالقلع الداري فانه في تلك الحال يبسط ريشه وينشره ثم يرفعه وينصبه فيصير كهيئة الشراع المرفوع وفي وجه التشبيه زيادة على ذلك اشار اليها بقوله عنجه نوتيه وذلك ان الملاحين يصرفون الشراع تارة بالانخفاض وتارة بجذبه يمينا وشمالا وقد ذلك بحسب انصرافهم من بعض الجهات الى بعض فاشبههم هذا الطائر عند حركته لارادة السفاد ودبقانه في تصريف ذنبه وعطفه وله في ذلك هيئة لا يثبت وجه التشبيه فيها كما هو الا من شاهدها مع مشاهدة المشبه به ولذلك قال احيلك من ذلك على معاينة لا كمن يحيل على ضعيف اسناده وانما خص دارين بالذكر لانها كانت المربي للسفن في زمانه عليه السلام حيث كانت معمورة وقوله ولو كان كزعم من يزعم الى قوله المنبجس اي لو كان حاله في النكاح كزعم من يزعم وهو اشارة الى زعم قوم ان الذكر تدمع عينه فتقف الدمعة بين جفنيه فتاتي الانثى فتطعمها فتلقح من تلك الدمعة وروي تنشجها مدامعه اي تعض بها وتحارفها وهو عليه السلام لم يحل ذلك وانما قال ليس ذلك باعجب من مطاعمة الغراب والعرب تزعم ان الغراب لا يسفد ومن امثالهم اخفى من سفاد الغراب ويزعمون ان اللقاح من مطاعمة الذكر والانثى وايصال جزء من الماء الذي في قانصته اليها وهي ان يضع كل منهما منقاره في منقار صاحبه ويتزاقا وذلك مقدمة للسفاد في كثير من الطير كالحمام وغيره وهذا وان كان ممكنا في بعض الطير كالطاوس والغراب غير ان ذلك بعيد على انه قد نقل الشيخ

في الشماريخ التي يحملها ريح تهب من ناحية المحل ومن سماع صوته قال والنوع المسمى ما لاهيا يلاقح بافواهها
ثم يتشابك فذلك سفادها ونقل الجاحظ في كتاب الحيوان ان الطاووسة قد تبيض من الريح بان تكون في سفال
الريح وفوقها الذكر فيحمل ريحه فتبيض منها قال وبيض الريح قل ان يفرخ واقول قد يوجد في الدجاج ذلك الا انه
قل ما يفرخ كما ذكره ثم شبه قصب ريشه بالمدارى من الفضة ومن شاهد صورته فيما ينبت مع بياض اصوله
وتفرقها عند نشره للسفاد عرف موضع التشبيه المذكور وهو تشبيه موافق وكذلك شبه الخطوط الصفر التي
على رؤوس ريش الذنب بخالص العقيان في الصفرة الفاقعة مع ما يعلوها من البريق وما في وسط تلك الدارات
من الدوائر الخضر بقطع الزبرجد في الخضرة واستعار لها لفظ الشموس ملاحظة لمشابهتها لها في الاستدارة
والاستنارة ثم قال وان شبهته بما انبتت الارض الى قوله بكل ربيع ووجه الشبه اجتماع الالوان مع نضارتها
وبهجتها وكذلك وجه الشبه في تشبيهه بموشي الحلل او المعجب من برود اليمن وكذلك تشبيهه بالحلي ووجه
شبهه بالفصوص المختلفة الالوان المنطقة في الفضة اي المرصعة في صفائح الفضة والمكلل الذي جعل
كالاكليل وحاصل الكلام انه شبه قصب ريشه بصفائح من فضة رصعت بالفصوص المختلفة الالوان
فهي كالاكليل بذلك الترصيع ثم حكى صورة مشيته وصوته كالقهقهة عند نظره الى حسن سرباله واعجابه
بجمال الكسوة ولفظ الضحك والقهقهة والسربال مستعار وكذلك قوله في نظره الى قوائمه فانه يصيح كالمتوجع
من قبح ساقيه ودقتهما ويخصم ويتقمع بعد تغطرفه وتجزلقه ووجه تشبيه قوائمه بقوائم الديكة الخلاسية الدلالة
والطول والتشظي ونتوء العرقوب ثم اخذ في وصف صيصيته وقنزعته وهي ريشات يسيرة طوال خضر موضع
راسه نحو الثلث بارزة عن ريش راسه خضر موشاة ثم اخذ في وصف عنقه وشبه مخرجه بالابريق ووجه الشبه
الهيئة المعلومة بالمشاهدة وكذلك مغرزه من راسه الى حيث بطنه شبه في لونه صبغ الوسمة في السواد الشرقي
او الحرير المسودة الملبسة مرآة ذات صقال في سوادها ونحا الطبرسي المراة لها او المعجر الاسود الا انه لك
السواد لكثرة مائه وشدة بريقه يخيل الناظر انه ممتزج بخضرة ناضرة ثم وصف الخط الابيض عند مخرج سمعه وشبهه
في دقته واستوائه بخط القلم الدقيق وفي بياضه بلون الاقحوان ثم اخذ في تعديد الالوان فقال وقل صبغ
الا وقد اخذ منه بقسط وعلاه اي وزاد على الصبغ بكثرة صقاله وبريقه وبصيص ديباجه ولفظ الديباج
مستعار لريشه ثم رجع الى تشبيهه بالازاهير المبثوثة ونبه على كمال قدرة صانعها بانها مع ذلك لم تربها امطار
الربيع اي لم تنمها تلك الالوان امطار ربيع ولا شموس قيظ لان تلك الاصباغ للازاهير وكان من شان الالوان
المختلفة انها لا تكون الا في زمن الربيع بامطاره وحرارة الشمس المعدة لتنويره اراد ان يبين عظمة صانعها
بانها مع كونها ازاهير خلقها بغير مطر ولا شمس ثم اخبر عن حالة له اخرى هي محل الاعتبار في حكمة الصانع وقدرته
وهو انه يتحسر ويعرى من ذلك الريش الحسن شيئا بعد شيء ثم ينبت جميعا كل ريشة موضع ريشة وبلونها
الاول من غير زيادة ونقصان حتى كانها هي وشبهه في سقوطه ونباته بتحات الاوراق من الاغصان

ونباتها

ونباتها ثم نبه على وجوه حكمة الصانع في الشعرة الواحدة من شعرات ريشه بانك اذا تاملتها اريتك من شعبها
بعضها تارة حمرة كحمرة الورد وتارة خضرة كخضرة الزبرجد وتارة صفرة كصفرة الذهب ثم عقب ذلك الوصف البليغ باستبعاد
وصول الفطن العميقة لصفة هذا واراد العجز عن وصف علل هذه الالوان واختلافها واختصاص كل من مواضعها
بلون غير الاخر وعلل هيئاتها وسائر ما عدده فان اقل جزء منه مما يحير الاوهام في درك علله وتنعت الالسنة
عن وصفه ويحتمل ان يريد العجز عن استثبات جزئيات اوصافه الظاهرة وتفريعها فان ما ذكره عليه السلام وان كان
في غاية البلاغة الا ان فيه وراء ذلك جزئيات لم يتبينها الوصف وهو الاقرب ويوبخه ثم نزهه تعالى باعتبار
بهره للعقول عن وصف هذا المخلوق الذي جلاه للعيون فادركه محدودا ملونا مؤلفا مكونا واعجز
الالسن عن تلخيص صفته وتادية نعته ثم نزهه باعتبار امر اخر وهو احكامه قوائم الذرة والهمجة وسائر ما هو فوقها
كالحيتان وكبار حيوان البر كالفيلة ثم باعتبار حكمه وتقديره على كل ذي مهجة منها ضرورة الموت وفيه تنبيه على ذكر
هادم اللذات واعلم انه قد ذكرت للطاووس احوال اخرى نختصر اكثرها قالوا انه اكثر ما يعيش خمسا وعشرين سنة
ويبيض في السنة الثالثة من عمره ويبيض في السنة مرة واحدة اثنتي عشرة بيضة في ثلاثة ايام ويحضنها ثلاثين يوما
فيفرخ ويحتت ريشه عند سقوط ورق الشجر وينبت مع ابتداء نبات ورقه **منها** في صفة الجنة فلو رميت ببصر
قلبك نحو ما يوصف لك منها لعزفت نفسك عن بدايع ما اخرج الى الدنيا من شهواتها ولذاتها وزخارف مناظرها
ولذهلت بالفكر في اصطفاق اشجار غيبت عروقها في كثبان المسك على سواحل انهارها وفي تعليق كبائس اللؤلؤ
الرطب في عساليجها وافنانها وطلوع تلك الثمار مختلفة في غلف اكمامها تجنى من غير تكلف فتاتي على منية مجتنيها و
يطاف على نزالها في افنية قصورها بالاعسال المصفقة والخمور المروقة قوم لم تزل الكرامة تتمادى بهم حتى حلوا
دار القرار وامنوا نقلة الاسفار فلو شغلت قلبك ايها المستمع بالوصول الى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقة
لزهقت نفسك شوقا اليها ولتحملت من مجلسي هذا الى مجاورة اهل القبور استعجالا بها جعلنا الله واياكم ممن يسعى
بقلبه الى منازل الابرار برحمته **اقول** عزفت زهدت وانصرفت والكبائس جمع كباسة وهي العذق والعساليج
الغصون واحدها عسلوج وكذلك الافنان جمع فنن والاكمام جمع كم بكسر الكاف وهي غلاف الطلع والعسل
المصفى وقوله فلو رميت ببصر قلبك استعارة لطيفة اي لو نظرت بعين بصيرتك وفكرت في معنى ما وصف لك من
متاع الجنة لم تجد لشيء من بدايع ما اخرج الى الدنيا من متاعها الى شيء من متاع الجنة الا نسبة وحينئذ لاحتقرتها
نفسك عزفت واعرضت عن متاع الدنيا وما يجد فيها لذة وعلمتها بفكرها في اصطفاق الاشجار الموصوفة فيها
وتمايل اغصانها ثم وصف اشجارها وانهارها وسائر ما عدده من متاع الجنة وصفا لا مزيد عليه فهذه هي الجنة
المحسوسة الموعودة وانت بعد معرفتك بقواعد التاويل وتصفحك لالفاظ العرب ومجازاتها واستعاراتها وتشبيهاتها
وتمثيلاتها وسائر ما عددناه لك في صدر الكتاب من قواعد علم البيان فكان لك مع ذلك ذوق وفطرة من العلم الالهي
امكنك ان تحمل هذه الجنة المحسوسة مثالا ومثلا للجنة المعقولة ومتاعها كما وبلك مثلا اشجار الجنة

استعارة للملكة السماوية والاصطفاق ترشيح لتلك الاستعارة وكثبان المسك استعارة للمعارف والكمالات التي
لهم من واهب الجود وهم مغمورون فيها قد وجدوا لها ومنها كما تثبت الاشجار في الكثبان ولفظ الانهار استعارة
للملكة المجردين عن التعلق بالاجرام الفلكية باعتبار كون هذه الملكة اصولا ومبادي للملكة السماوية كما
ان الانهار مبادي مادة لحياة الاشجار واسباب لوجودها واللؤلؤ الرطب والثمار استعارة لما يفيض من تلك
الارواح من العلوم والكمالات على النفوس القابلة لها من غير بخل ولا منع فهي تعدو لها تاتي على منية مجتنيها بحسب
استعداده لكل منها والقوة المتخيلة تحكي تلك الافاضات في هذه العبارات والظواهر المحسوسة المعدودة
ويكسوها صورة ما هو مشتهى للمتخيل كل بحسب شهوته ولذلك كان في الجنة كل ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
وبها اهل الحضور فيحضرها اعدادا وتهيئا اياه وكذلك لفظ العسل والخمر استعارة لتلك الافاضات المشتهات الملذة
للنفس بحسب محاكاة المتخيلة لها في صورة هذا المشروب المحسوس المشتهى لبعض النفوس فضوره بصورته وقوله
قوم لم تزل الكرامة الى قوله الاسفار استعار لفظ التمادي الذي هو من افعال العقلاء لاتصال الكرامة عنهم وانتقالهم
لها في الدنيا الى غاية حلولهم دار القرار وحصول الكرامة لهم هناك وامنهم من نقلة الاسفار ثم عقب بتشويق
السامع الى ما هناك بقوله فلو شغلت قلبك اي اخذت في اعداد نفسك للوصول الى ما يهجم عليك اي يفاجئ قلبك
من تلك الصور البهية المعجبة لزهقت نفسك اي ماتت شوقا اليها ولرحلت الى مجاورة اهل القبور استعجالا لغرضهم
الى ما ياتون اليه ثم ختم الخطبة بالدعاء لنفسه وللسامعين ان يعدهم الله تعالى لسلوك سبيله وقطع منازل الطريق
الموصلة الى منازل الابرار وهي درجات الجنة ومقاماتها وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ليتاس صغيركم
بكبيركم وليرؤف كبيركم بصغيركم ولا تكونوا كجفاة الجاهلية لا في الدين تتفقهون ولا عن الله تعقلون كقيض
بيض في اداح يكون كسرها وزرا ويخرج حضانها شرا **اقول** قيض البيض كسره تقول قضت البيضة كسرتها وانقاضت
تصدعت من غير كسر وتقيضت تكسرت فلقا والاداحي جمع ادحي افعول من الدحو هو الموضع الذي يفرخ فيه النعام
وقد امر عليه السلام صغيرهم بالتاسي بكبيرهم لان الكبير اكثر تجربة وعلما واكيس واحزم فكان بالقدوة اولى وامر
كبيرهم ان يرؤف بصغيرهم لان الصغير مظنة الضعف واهل لان يرحم ويعذر لقلة عقله للامور وانما بدا بامر
الصغير لانه احوج الى التاديب والغاية من هذا الامر انتظام امورهم وحصول الفتهم عما امرهم به ثم نهاهم ان يشبهوا
جفاة الجاهلية في عدم تفقههم في الدين وعدم عقليتهم لاوامر الله فيشبهون اذن بيض الافاعي في اعشاشها ووجه
الشبه انها ان كسرها كاسر اثم لتاذي الحيوان به وقيل لانه يظن بيض القطا فياثم كاسره وان لم يكسر يخرج حضانها
شرا اذ تخرج افعى قاتلا فكذلك هؤلاء اذا اشبهوا جفاة الجاهلية لا يحل لاحد اذاهم واهانتهم لحرمة ظاهر الاسلام
عليهم وان اهملوا وتركوا على ما هم عليه من الجهل وقلة الادب خرجوا شياطين وبالله التوفيق **منها** افترقوا بعد
الفتهم وتشتتوا عن اصلهم فمنهم اخذ بغصن اين ما مال مال معه على ان الله سيجمعهم لشر يوم لبني امية كما تجتمع قزع الخريف
يؤلف الله بينهم ثم يجعلهم ركاما كركام السحاب ثم يفتح لهم ابوابا يسيلون من مستثارهم كسيل الجنتين حيث لم تسلم

عليه

عليه قارة ولم تثبت عليه اكمة ولم يرد سننه رص طود ولا حداب ارض يذعذعهم الله في بطون اوديته ثم يسلكهم ينابيع
في الارض ياخذ بهم من قوم حقوق قوم ويمكن لقوم في ديار قوم وايم الله ليذوبن ما في ايديهم بعد العلو والتمكين كما تذوب
الالية على النار ايها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق ولم تهنوا عن توهين الباطل لم يطمع فيكم من ليس مثلكم
ولم يقو من قوي عليكم لكنكم تهتم متاه بني اسرائيل ولعمري ليضعفن لكم التيه من بعدي اضعافا بما خلفتم الحق وراء
ظهوركم وقطعتم الادنى ووصلتم الابعد واعلموا انكم ان اتبعتم الداعي لكم سلك بكم منهاج الرسول وكفيتم
مؤنة الاعتساف ونبذتم الثقل الفادح عن الاعناق **اقول** القزع قطع السحاب المتفرقة ومستثارهم موضع ثورانهم
والقارة الاكمة والحداب جمع حدب وهو ما ارتفع من الارض والذعذعة بالذال المعجمة التفريق وتهنوا
تضعفوا وتوهين الباطل اضعافه والفادح المثقل والاشارة في هذا الفصل الى اصحابه واهله الذين تشتتوا
منهم عليه السلام وافتراقهم بعد الفتهم هو افتراقهم الى خوارج وغيرهم بعد اجتماعهم عليه وقوله فمنهم اخذ بغصن
اي يكون منهم من يتمسك بمن اخلفه بعدي من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله ايما سلك سلك معه كالشيعة وبعد ذلك
الكلام ومنهم من ليس كذلك لانه انما استغنى بالقسم الاول لدلالته على الثاني وقوله على ان الله سيجمعهم اي من كان
على عقيدة فينا ومن لم يكن لشر يوم يكون لبني امية وشبه جمعه لهم وتاليفه بينهم بجمعه لقزع السحاب الخريف
وتراكمهم بذلك الجمع كتراكم ذلك القزع ووجه الشبه الاجتماع بعد التفرق والابواب التي يفتحها لهم اشارة الى وجوه
الاراء التي تكون اسباب الغلبة او الانبعاث على الاجتماع او اعم منها كسائر الاسباب للغلبة من اعانة بعضهم
لبعض بالانفس والاموال وغير ذلك واستعار لخروجهم لفظ السيل وشبهه بسيل جنتي مارب وهما جنتا سبا
المحكيتان في القرآن الكريم فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين الاية ووجه الشبه الشدة
في الخروج وافسادهم ما ياتون عليه كقوة ذلك السيل حيث لم تسلم عليه مرتفع من الارض ولم يرد طريقه وجرجل
مرصوص اي شديد الالتصاق ثم قال يذعذعهم الله في بطون اوديته ثم يسلكهم ينابيع في الارض وهو من
الفاظ القرآن والمراد كما ان الله ينزل من السماء ماء فيكنه في اعماق الارض ثم يظهره منها ينابيع الى ظاهرها
كذلك هؤلاء القوم يفرقهم الله في بطون الاودية وغوامض الارض ثم يظهرهم بعد الاختفاء فياخذ بهم من قوم
حقوق اخرين وتمكن قوما من ملك قوم وديارهم ثم اقسم ليذوبن ما في ايدي بني امية بعد علوهم وتمكينهم كما
يذوب الالية على النار ووجه الشبه الفناء والاضمحلال وهذا من الاخبار بما كان امر الشيعة الهاشمية
واجتماعها على ازالة ملك بني امية من كان منهم تابعا لعلي واهل بيته ومن حاد منهم عن ذلك في اواخر ايام
مروان الحمار عند ظهور الدعوة الهاشمية ثم عاد الى توبيخ السامعين بالاشارة الى سبب الطمع فيهم ممن هو دونهم
في القوة والمنزلة وقوته عليهم والاشارة الى معاوية واصحابه وذلك السبب هو تخاذلهم عن نصرة الحق وتصامهم
عن اضعاف الباطل وهو في معرض التوبيخ واللائمة لهم ثم شبه تيههم بتيه بني اسرائيل ووجه الشبه لحوق الضعف
والذلة والمسكنة لهم حيث لم يجتمعوا على العمل باوامر الله فتاهوا بالتيه وضرب عليهم الذلة والمسكنة ثم اخبرهم

بعاقبة امرهم ثم التخاذل وهو اضعاف اليد والتفرق يعنى به لالتفاتهم عن الحق ومغالطة بعضهم لجمع دنوه وقربه
من الرسول صلى الله عليه وآله وتصلبهم لمعوية وغيره مع بعده عنه ثم اخذ في ارشادهم وجذبهم الى اتباعه فقال ان
اتبعتم الداعى وعنى نفسه سلك بكم منهاج الرسول صلى الله عليه وآله وطريقته وكفيتم مؤنة الاعتساف في طرق الضلال
والفتنة ونقل الاوزار الى الاخرة عن اعناقكم ونفوسكم وظاهر كونها فادحة ويحتمل ان يريد بالثقل الفادح الاثام مع
ما يلحقهم في الدنيا من الخطوب الفادحة بعصيان الامام والخروج عن امره وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
في اول الخلافة ان الله سبحانه انزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر فخذوا نهج الخير تهتدوا واصدفوا عن سمت
الشر تقصدوا الفرائض الفرائض ادوها الى الله تؤدكم الى الجنة ان الله حرم حراما غير مجهول واحل حلالا غير مدخول وفضل
حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها فالمسلم من سلم المسلمون من
لسانه ويده الا بالحق ولا يحل اذى المسلم الا بما يجب بادروا امر العامة وخاصة احدكم وهو الموت فان الناس
امامكم وان الساعة تحدوكم من خلفكم تخففوا تلحقوا فانما ينتظر باولكم اخركم اتقوا الله في عباده وبلاده فانكم
مسؤلون حتى عن البقاع والبهائم اطيعوا الله ولا تعصوه واذا رايتم الخير فخذوا به واذا رايتم الشر فاعرضوا عنه
اقول اصدفوا اعرضوا وتقصدوا تعتدلوا ومعاقدها مواضعها وصدر الفصل بالتنبيه على فضيلة الكتاب وهي
كونه هاديا الى طريق الخير والشر ثم امر باخذ طريق الخير لكونه طريق الهدى الى المطالب الحقيقية الباقية وبالاعراض عن
طريق الشر وسمته لاستلزام الاعراض عنه لزوم طريق الحق والاستقامة فيه ثم امر باداء الفرائض لانها اقوى طرق الخير
ولذلك قال تؤدكم الى الجنة فان الجنة منتهى الخير كله ثم بين ان الله حرم حراما غير مجهول بل هو في غاية الوضوح وكذلك
احل حلالا غير مدخول اى لا عيب فيه ولا شبهة فلا عذر لمن تركه وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وهذا لفظ الخبر
النبوى حرمة المسلم فوق كل حرمة دمه وعرضه وماله وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها اى
ربطها بهما فاوجب على المخلصين المعترفين بوحدانيته المحافظة على حقوق المسلمين ومراعاة مواضعها وقرن ذلك
بذلك حتى صار فضله كفضل التوحيد ثم عرف المسلم ببعض صفات المسلم الحق وهو من سلم المسلمون من يده ولسانه
الا ان يكون بحق او لسان حق وهو لفظ الخبر النبوى ايضا وقوله لا يحل اذى المسلم الا بما يجب كقوله الا بالحق او
تاكيدا له ثم عقب تنبيههم على امر العامة وخاصة احدهم وهو الموت اى خذ لذلك الامر هو الموت وانما كان عاما لكل
الحيوان خاصة لاحدهم لان لزومه لكل شخص خصوصية وكيفية تخالف لزومه غيره وامر بمبادرته اى بمبادرة العمل له
بعدما قبل بعضه اليهم ونبههم على ان الناس امامهم اى قد سبقوهم الى الاخرة والساعة تحدوهم من خلفهم وامر بالتخفيف
للحاق بهم وحثهم على ذلك بقوله فانما ينتظر باولكم اخركم اى السابقين الى الاخرة للاحقين منكم ليبعثوا الكل
جميعا وقد سبقت هذه الالفاظ بعينها وشرحها مستوفى ثم امر بتقوى الله في عباده وذلك بلزوم حدود الله فيهم وفي
ما ينبغي لكل احد مع غيره وفي بلاده بترك الفساد في الارض ونبه على وجوب ذلك باستعقاب كل عمل لزوم السؤال
عنه ومناقشة الحساب عليه حتى عن البقاع فيقال لم استوطنتم هذا المكان وزهدتم في ذلك وعن البهائم فيقال

لم ضربتم

لم ضربتم هذه وقتلتم هذه ولم اجعتموها واليه الاشارة بقوله تعالى ولتسئلن عما كنتم تعملون وقوله لتسئلن يومئذ
عن النعيم قيل هو شبع البطن وبارد الشراب ولذة النوم وظلال المساكن واعتدال الخلق وقوله تعالى ان السمع
والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا فيقال لم اشغلت قلبك وسمعك وبصرك وفي الخبر الصحيح النبوى ان
الله عذب انسانا بهرة حبسها في بيت واجاعها حتى هلكت ثم اجمل القول بعد تفصيله وامر بطاعة الله ونهى عن معصيته
وارشد الى الاخذ بالخير عند رؤيته والاعراض عن الشر عند رؤيته **ومن كلام له عليه السلام** بعدما بويع بالخلافة
وقال له قوم من الصحابة لو عاقبت قوما ممن اجلب على عثمان فقال يا اخوتاه انى لست اجهل ما تعلمون ولكن كيف
لي بقوة والقوم المجلبون على حد شوكتهم يملكوننا ولا نملكهم وها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم والتفت
اليهم اعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤا وهل ترون موضعا لقدرة على شئ تريدونه ان هذا الامر امر جاهلية
وان لهؤلاء القوم مادة ان الناس من هذا الامر اذا حرك على امور فرقة ترى ما ترون وفرقة ترى ما لا ترون و
فرقة لا ترى هذا ولا هذا فاصبروا حتى يهدأ الناس وتقع الحقوق مواقعها وتؤخذ الحقوق مسمحة فاهدؤا عنى
وانظروا ماذا ياتيكم به امرى ولا تفعلوا فعلة تضعضع قوة وتسقط منة وتورث وهنا وذلة وسامسك الامر ما
استمسك فاذا لم اجد بدا فاخر الدواء الكي **اقول** اجلب عليه جمع وشوكتهم قوتهم والعبدان بتشديد الدال
وتخفيفها وكسر العين وضمها جمع عبد والتفت انضمت ويسومونكم يكلفونكم ومسمحة مسهلة والالف في اخوتاه هي
المنقلبة عن ياء النفس المضاف اليه والهاء للسكت واعلم ان هذا الكلام اعتذار منه عليه السلام في تاخير القصاص
من قتلة عثمان وقوله انى لست اجهل ما تعلمون دليل على ان كان ذلك في نفسه وحاصل هذا العذر عدم التمكن كما نبه
ولذلك قال وكيف لي بقوة والقوم على حد شوكتهم وصدقه عليه السلام ظاهر فان اكثر اهل المدينة كانوا من المجلبين
عليه وكان من اهل مصر ومن الكوفة خلق عظيم حضروا من بلادهم وقطعوا المسافة البعيدة لذلك وانضم اليهم اعراب
اجلاف من البادية وعبدان المدينة فكانوا في غاية من شدة الشوكة حال اجتماعهم وثاروا ثورة واحدة ولذلك
قال والقوم مجتمعون الى قوله يسومونكم ما شاؤا وروى انه عليه السلام جمع الناس ووعظهم ثم قال لتقم قتلة
عثمان فقام الناس باسرهم الا القليل وكان ذلك الفعل منه استشهادا على صدق قوله والقوم على حد شوكتهم و
مع تحقق هذه الحال لا يبقى له موضع قدرة على شئ من امرهم ثم قال على سبيل قطع لجاج الطالبين مخاطبا لهم ان هذا
الامر امر الجاهلية يريد امر المجلبين عليه اذ لم يكن قتلهم اياه بمقتضى الشريعة اذ الصادر عنه من الاحداث لا يجب
فيها قتل وان لهؤلاء القوم مادة اى معينين وناصرين ثم قسم حال الناس على تقدير الشروع في امر القصاص الى
ثلثة اقسام وهو احتجاج منه على الطالبين وتضعيف لرايهم بقياس ضمير من الشكل الاول مركب من شرطيتين متصلتين
صغراهما قوله ان هذا الامر اذا حرك كان الناس فيه على امور وتقدير الكبرى واذا كان الناس فيه على امور
فرقة ترى كونه مصيبا كما راى الطالبون وفرقة ترى انه مخطئ وهم انصار المقتص منهم وفرقة لا ترى هذا ولا ذاك
بل يتوقف كما جرى ذلك في امر التحكيم ثم امرهم بالصبر الى غاية هدو الناس اذ يتبين لهم الامصلحة في تحريك الامر ثم

فان الحقوق عند هدو الناس واستقرار القلوب اسهل ماخذا وقوله فاهدؤا وانظروا ماذا ياتيكم به من امرى يدل
على ترصده وانتظاره للفرصة من هذا الامر ثم خوفهم من الاستعجال بفعل يضعف شوكة الدين ويورث وهنا وذلة
فانه لو شرع في عقوبة الناس والقبض عليهم لم يؤمن من تجدد فتنة اخرى اعظم من الاولى وهو غالب الظن فكان الاولى
في التدبير والذي يقتضيه العقل والشرع الامساك الى حين سكون الفتنة وتفرق اولئك الشعوب ورجوع
كل قوم الى بلادهم وربما كان عليه السلام ينتظر مع ذلك ان يحضر بنو عثمان للطلب بدمه ويعينون قوما باعيانهم
بعضهم للقتل وبعضهم للحصار كما جرت عادة المتظلمين الى الامام ليتمكن من العمل بحكم الله فلم يقع الامر كذلك وعصى
معوية واهل الشام والتجأ اليه ورثة عثمان وفارقوا حوزة امير المؤمنين عليه السلام ولم يطلبوا القصاص طلبا
شرعيا وانما طالبوه مغالبة وجعلها معوية عصبية جاهلية ولم يات احد منهم الامر من بابه وقبل ذلك ما كان
من امر طلحة والزبير ونقضهما البيعة ونهبهما اموال المسلمين بالبصرة وقتلهما الصالحين من اهلها وكل تلك
الامور التي جرت مانعة للامام عن التصدى للقصاص ولذلك قال عليه السلام لمعوية في بعض كلامه فاما طلبك
بدم عثمان فادخل في الطاعة وحاكم القوم الى احملك واياهم على كتاب الله وسنة رسوله فاما قوله وسامسك الامر
ما استمسك الى اخره فاعلم ان هذا الكلام انما صدر عنه عليه السلام بعد اكثار القول عليه في امر عثمان واضطراب الامر
من طلحة والزبير وتكثيرهما هذه الشبهة مع كونهما من اكابر الصحابة وتشتت قلوب كثير من المسلمين عنه حتى كان
بعض الصحابة يامر باخذ القصاص من قتلة عثمان تسكينا لفتنة طلحة والزبير ومعوية لغلبة الظن حينئذ بخمود الفتنة واستقرار
امر الشام فقال الكلام اى قد ابين هذا العذر فان لم يقبلوا منى امساك الامر اى امر الخلافة فيهدى فاذا لم اجد
بدا اى من قتال من يبغى ونكث فاخر الدواء الكي اى الحرب والقتال لانها الغاية التي ينتهى امر العصاة اليها
ومداواة امراض قلوبهم كما ينتهى مداواة المريض الى ان يكوى وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** عند مسير
اصحاب الجمل الى البصرة ان الله بعث رسولا هاديا بكتاب ناطق وامر قائم لا يهلك عنه الا هالك وان المبتدعات
المشبهات هن المهلكات الا ما حفظ الله وان في سلطان الله عصمة لامركم فاعطوه طاعتكم غير ملومة ولا مستكره
بها والله لتفعلن او لينقلن الله عنكم سلطان الاسلام ثم لا ينقله اليكم ابدا حتى يارز الامر الى غيركم ان هؤلاء قد تمالؤا على سخطة
امارتي وساصبر ما لم اخف على جماعتكم فانهم ان تمموا على فيالة هذا الراى انقطع نظام المسلمين وانما طلبوا هذه
الدنيا حسدا لمن افاءها الله عليه فارادوا رد الامور على ادبارها ولكم علينا العمل بكتاب الله وسيرة رسوله والقيام
بحقه والنعش لسنته **اقول** يارز يجتمع وينقبض وقالوا اجتمعوا والفيالة الضعف والنعش الرفع وقوله ان
الله بعث الى قوله هالك تصدير للفصل بالامور الجامعة للمسلمين التي هي اصول دولتهم وتذكير لهم بها ليرجعوا اليها
وامر قائم مستقيم وقوله لا يهلك عنه الا هالك اى لا يهلك عن مخالفته الا الاعظم هلاكا كما تقول لا يعلم هذا الفن من العلم
الا عالم وقوله وان المبتدعات المشبهات هن المهلكات الا ما حفظ الله لما لعنها الكتاب والسنة الجامعين لحدود
الله وخرجها عنهما واراد الهلاك الاخروى وقوله الا من حفظ الله استثناء من المهلكات اى الا ما حفظ الله منها

بالعصمة

بالعصمة من ارتكابها اذ لا يكون مهلكة الا لمن ارتكبها والمشبهات ما اشبه السنن وليس منها وروى المشبهات
بتشديد الباء وفتحها وهو ما شبه على الناس ولبس وروى المشتبهات اى الملتبسات وسلطان الله هو سلطان
الاسلام فحذف المضاف واراد سلطان دين الله ويحتمل ان يريد بسلطان الله نفسه لكونه خليفة له في ارضه وانما
اضافها اليه احترازا وظاهر ان فيه شفقة وعصمة لهم فان الذى نصرهم وهم قليلون حتى قووا فبالاولى ان ينصرهم
على كثرتهم بشرط طاعته الخالصة والدخول في امر سلطانه ولذلك قال فاعطوه طاعتكم غير ملومة اى غير ملوم صاحبها
بالنسبة الى النفاق والرياء ولا مستكره عليها ويروى غير ملوية اى غير معوجة ثم اخذ في وعيدهم ان لم يطيعوه بنقل
الله عنهم سلطان الاسلام من غير ان يرده اليهم ابدا حتى يصير الامر الى غيرهم واراد امر الخلافة ثم ان جعلنا حتى وما
بعدها غاية لنقل السلطان عنهم لم يفهم منها عوده اليهم وان جعلناها غاية من عدم نقله اليهم فهم منها ذلك فان
قلت لم قال لا يرجع اليهم ابدا وقد عاد بالدولة العباسية قلت الجواب من وجوه الاول ان القوم الذين خاطبهم من
اصحابه بهذا الخطاب لم ترجع الدولة اليهم ابدا فان اولئك بعد انقضاء دولة بنى امية لم يبق منهم احد ثم لم يرجع
الى احد من اولاده اصلا الثانى انه قيد بالغاية فقال لا ينقله اليكم حتى يصير في قوم اخرين وظاهر انه كذلك باشتغاله
الى بنى امية الثالث قال بعض الشارحين انما عاد لان الشرط لم يقع وهو عدم الطاعة فان اكثرهم اطاعه طاعة غير ملومة
ولا مستكره بها الرابع قال قوم اراد بقوله ابدا المبالغة كما تقول لغريمك لاحبسنه ابدا والمراد بالقوم الذين يارز
اليهم هذا الامر بنو امية كما هو الواقع وقوله ان هؤلاء قد تمالؤا اشارة الى طلحة والزبير وعائشة واتباعهم اى
اتفقوا على سخطهم من امارته لا لما اظهروه من الطلب بدم عثمان ثم وعد بالصبر عليهم ما دام لا يخاف على حوزة
الجماعة واخبر انهم ان بقوا على ضعف رايهم في مسيرهم وتمالئهم قطعوا نظام المسلمين وفرقوا جماعتهم وقوله وانما
طلبوا الى قوله عليه بيان لعلة سخطهم لامارته وهي الحسد على الدنيا لمن افاءها الله عليه والاشارة الى بيت الرسول
صلى الله عليه وآله وقوله فارادوا رد الامور على ادبارها اى ارادوا اخراج هذا الامر عن اهل بيت الرسول الذى كان لهم
اولا او صرف هذا الامر عنهم بعد اقباله اليه كما كان عليه من ادباره عنهم ثم اخبرهم بما لهم عليه من الحق ان اطاعوه الطاعة
غير المدخولة وهي ان يعمل فيهم بكتاب الله وسيرة رسوله صلى الله عليه وآله والقيام بحقوقه التي اوجبها واقامة سننه
وذلك هو الواجب على الامام وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما قال الكليب الجرمي قبل وقعة
الجمل بايع فقال انى رسول قوم ولا احدث حدثا دونهم حتى ارجع اليهم فقال عليه السلام ارايت لو ان الذين وراءك
بعثوك رائدا تبتغى لهم مساقط الغيث فرجعت اليهم واخبرتهم عن الكلاء والماء فخالفوك الى المعاطش والمجادب ما
كنت صانعا قال كنت تاركهم ومخالفهم الى الكلاء والماء فقال له عليه السلام فامدد اذا يدك فقال الرجل فوالله ما
استطعت ان امتنع عند قيام الحجة على فبايعته عليه السلام **اقول** الجرمي منسوب الى بنى جرم وكان قوم من اهل البصرة
بعثوه اليه عليه السلام ليستعلم حاله هو على حجة ام على شبهة فلما راه وسمع لفظه لم يتخالجه شك في صدقه فبايعه و
كان بينهما الكلام المنقول ولا الطف من التمثيل الذى جذبه به عليه السلام فالاصل في هذا التمثيل هو حال الرائد الذي

في وجدانه الماء والكلاء على تقدير كونه دائما لهما والفرع هو خالد في وجدانه للعلم والفضائل والهداية عنده
والحكم في الاصل هو نجاة القوم لاضطرارهم الى الماء والكلاء على تقدير وجدانه لهما والنجاة للغير اضطرارهم اليه وعلة ذلك الحكم
في الاصل هو وجدانه للكلاء والماء ولما كان المشبه لهذه العلة هو وجدانه للفضائل والعلوم التي هي غذاء النفوس
ومادة حياتها كما ان الكلاء والماء غذاء للابدان ومادة حياتها موجود لهذا الرائد في الفرع وهو خالد وجدانه
للعلم والفضل والهداية وجب عن تلك العلة مثل الحكم في الاصل وهو نجاة القوم اضطرارهم الى الفضل والعلم والهداية
عنده عليه السلام ولزم من ذلك ان يبايع ولذلك قال له فامدد يدك اذن وهو تمثيل لانكار النفس السليمة
عند سماع البرهان دون الانفعال عنه والاذعان له ولذلك اقسم الرجل انه لم يستطع الامتناع عند قيام هذه
الحجة عليه فبايع وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما عزم على لقاء القوم بصفين اللهم رب السقف المرفوع
والجو المكفوف الذي جعلته مغيضا لليل والنهار ومجرى للشمس والقمر ومختلفا للنجوم السيارة وجعلت سكانه
سبطا من ملائكتك لا يسأمون من عبادتك ورب هذه الارض التي جعلتها قرارا للانام ومدرجا للهوام والانعام
وما لا يحصى مما يرى ومما لا يرى ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للارض اوتادا وللخلق اعتمادا ان اظهرتنا على عدونا
فجنبنا البغي وسددنا للحق وان اظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة واعصمنا من الفتنة اين المانع للذمار والغائر
عند نزول الحقائق من اهل الحفاظ النار وراءكم والجنة امامكم **اقول** مغيضا لهما اي مغيبا والسبط القبيلة
وقد دعا الله سبحانه باعتبار كونه ربا للسماء والارض وباعتبار ما فيهما من الايات المنبهة على كمال عظمته والطمع بجلاله
وهذا الدعاء مما تستعد به القلوب والابدان لاستنزال الغلبة والنصر على العدو والسقف المرفوع السماء وكذلك
الجو المكفوف وقد مرت الاشارة الى ذلك في الخطبة الاولى وكونه مغيضا لليل والنهار لان الفلك بحركته المستلزمة
لحركة الشمس الى وجه الارض يكون سببا لغيبوبة الليل وباستلزام حركته غيبتها عن وجه الارض يكون سببا لغيبوبة
النهار فكان كالمغيض لهما فاستعار له لفظ المغيض وكونه محلا لجري الشمس والقمر ومحل اختلاف النجوم السيارة ظاهر
ليس فيه دلالة على ان النجوم تتحرك بنفسها من دون حركته والطائفة من الملائكة اشارة الى الارواح الفلكية المحركة
لاجرامها وقد سبقت الاشارة اليهم وبيان انهم لا يسأمون من العبادة في الخطبة الاولى ثم دعاه باعتبار كونه ربا للارض
وباعتبار ما بسطها لاجله من كونها قرارا للانام ومدرجا للهوام والانعام وما لا يحصى مما يرى ومما لا يرى من
انواع الحيوان قال بعض العلماء من اراد ان يعرف حقيقة قوله عليه السلام مما يرى ومما لا يرى فليوقد نارا صغيرة في
فلاة في ليلة صيفية وينظر ما يجتمع عليها من غرائب انواع الحيوان العجيبة الخلق لم يشاهد هو ولا غيره واقول
يحتمل ان يريد بقوله وما لا يرى ما ليس من شأنه ان يرى اما لصغره او لشفافيته ثم دعاه باعتبار كونه ربا للجبال وقد علمت
معنى كونها اوتادا للارض فاما كونها اعتمادا للخلق فلانهم قد يبنون بها المساكن ويعدون فيها من المنافع ما لا يعدون
في الاودية ككثير من الاشجار والثمار ولانها معادن الينابيع ومنابع المعادن وظاهر كونها اذن معتمدا للخلق في معاشهم
ومنافعهم ثم سأل على تقدير نصره ان يجنبه البغي وهو العبور الى طرف الافراط من فضيلة العدل ثم التسديد الى

على فضيلة العدل

على فضيلة العدل وهو الحق وعلى تقدير اظهارهم عليه الشهادة والعصمة من فتنة الغبن والانقهار فان المقتول
اذا كان معتقدا انه على الحق فلم يسلم من التسخط على البخت والتعب على بقيته وربما كفر كثير من الناس عند نزول البلاء
بهم فظاهر كونه فتنة اي صارفا عن الله واستعصم عليه السلام من تلك الفتنة وامثالها استثباتا للنفس على الحق و
تاديبا للسامعين ثم اخذ فيما العادة ان يتحرى به الانسان اظهاره في الحرب ليستثير طباعهم من الاستفهام عن حامي الذمار
والذي تصيبه الغيرة من اهل المحافظة عند نزول الحقائق اي عظائم الامور وشدائدها ثم قال النار وراءكم اي
ان رجوعكم القهقرى هربا من العدو مستلزم لدخولكم النار واستحقاقكم لها والجنة امامكم اي ان اقدامكم على العدو
والتقدم الى مشاجرته وهو كلام في غاية الوجازة والبلاغة **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله الذي لا توارى عنه
سماء سماء ولا ارض ارضا **اقول** حمد الله تعالى باعتبار احاطة علمه بالسموات والارضين واستلزم ذلك تنزيهه تعالى
عن وصف المخلوقين اذ كان نوع ادراكهم للبعض من الاجرام السماوية والارضية محجوبين عما وراءها وعلمه تعالى هو
المحيط بالكل الذي لا يحجبه السواتر ولا يخفى عليه السرائر **منها** وقال لي قائل انك يا ابن ابي طالب على هذا
الامر لحريص فقلت بل انتم والله لاحرص وابعد وانا اخص واقرب وانما طلبت حقا لي وانتم تحولون بيني وبينه
وتضربون وجهي دونه فلما قرعته بالحجة في الملأ الحاضرين هب كأنه لا يدري ما يجيبني به اللهم اني استعديك على قريش
ومن اعانهم فانهم قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي واجمعوا على منازعتي امرا هو لي ثم قالوا الا ان في الحق ان تأخذه
وفي الحق ان تتركه **اقول** هذا الفصل من خطبة يذكر فيها عليه السلام ما جرى له يوم الشورى بعد مقتل عمر والذي قال
له هذا القول هو سعد بن ابي وقاص مع روايته فيه انت مني بمنزلة هرون من موسى وهو محل التعجب فاجابه بقوله
بل انتم والله احرص وابعد اي لحرص على هذا الامر وابعد من استحقاقه وهو في صورة احتجاج بقياس ضمير من الشكل الاول
سكت للقائل صغراه ما ذكر وتقدير كبراه وكل من كان احرص على هذا الامر وابعد منه فليس له ان يعير الاقرب
اليه بالحرص عليه وقوله وانا اخص واقرب لبيان انه بالحرص عليه اولى وقوله وانا اخص واقرب صغرى قياس ضمير احتج به على
اولويته بطلب هذا الامر وتقدير كبراه وكل من كان اخص واقرب الى هذا الامر فهو اولى بطلبه وروي ان هذا الكلام
قاله يوم السقيفة وان الذي قال له انك على هذا الامر لحريص هو ابو عبيدة الجراح والرواية الاولى اظهر واشهر وقوله
هب بهت فيها وانتبه كأنه كان غافلا ذاهلا عن الحجة فاستيقظ من غفلته ثم اخذ في استعانة الله تعالى على قريش ومن
اعانهم عليه شكا امورا منها قطع رحمه فانهم لم يراعوا قربه من رسول الله صلى الله عليه وآله ومنها تصغيرهم عظيم منزلته بعدم
التفاتهم اليها ورد من النصوص النبوية في حقه ومنها اتفاقهم على منازعته امر الخلافة الذي يرى انه احق به منهم وقوله
ثم قالوا الى آخره اي انهم لم يقتصروا على اخذ حقي ساكتين عن دعوى كونه حقا لهم ولكنهم اخذوه مع دعواهم ان الحق
لهم وانه يجب علي ان اترك المنازعة فيه فليتهم اخذوه معترفين بانه حق لي فكانت المصيبة اهون وروي نأخذه ونتركه
بالنون في الكلمتين وعليه نسخة الرضي رضي الله عنه والمراد انا نتصرف فيه كما نشاء بالاخذ والترك دونك ومعنى كلامه
ظاهرة لا تأويل فيها **منها** في ذكر اصحاب الجمل فخرجوا يجرون حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله كما تجر الامة عند شرائها

متوجهين بها الى البصرة فحبسا نساءهما في بيوتهما وابرزا حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله لهما ولغيرهما في جيش ما منهم
رجل الا وقد اعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة طائعا غير مكره فقدموا على عاملي بها وخزان بيت مال المسلمين وغيرهم
من اهلها فقتلوا طائفة صبرا وطائفة غدرا فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين الا رجلا واحدا معتمدين لقتله بلا جرم
جره لحل لي قتل ذلك الجيش كله اذ حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا بيد دع ما انهم قد قتلوا من المسلمين
مثل العدة التي دخلوا بها عليهم **اقول** جره جناه ومقصود الفصل اظهار عذره في قتال اصحاب الجمل وذكر لهم ثلث
كبائر من الذنوب وتستلزم اباحة قتالهم وقتلهم الاولى خرقهم حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وتحقيقه بجرها
كما تجر الامة عند شرائها مع حبسهما النساء لهما وتحافظهما عليهن وضمير التثنية في حبسا لطلحة والزبير ووجه الشبه
انتهاك الحرمة وتعسفهما في اخراجها وفي ذلك الجراءة على رسول الله صلى الله عليه وآله وروى عكرمة عن ابن عباس ان
رسول الله قال يوما لنسائه وهن عنده جميعا ليت شعري ايتكن صاحبة الجمل الادبب تنبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها
وشمالها قتلى كثير كلهم في النار وتنجو بعدما كادت وروى حبيب بن عمير قال لما خرجت عائشة وطلحة والزبير من مكة الى
البصرة طرقت ماء الحوأب وهو ماء لبني عامر بن صعصعة فنبحتهم الكلاب فنفرت صعاب ابلهم فقال قائل منهم لعن الله الحوأب
ما اكثر كلابها فلما سمعت عائشة ذكر الحوأب قالت اهذا ماء الحوأب قالوا نعم قالت ردوني ردوني فسألوها ما شأنها ما
بدا لها فقالت اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول كلاب الحوأب تنبح بعض نسائي ثم قال لي يا حميراء اياك
ان تكونيها فقال لها الزبير مهلا يرحمك الله فانا قد جزنا ماء الحوأب بفراسخ كثيرة فقالت اعندك من يشهد بان هذه
النابحة ليست على ماء الحوأب فلفق لها الزبير وطلحة خمسين اعرابيا جعلا لهم جعلا فحلفوا لها وشهدوا ان
هذا الماء ليس بماء الحوأب فكانت هذه اول شهادة زور عملت في الاسلام فسارت عائشة لوجهها فاما قوله في الخبر
وتنجو بعدما كادت فقالت الامامية معناه تنجو من القتل بعدما كادت ان تقتل وقال المعتذرون لها معناه تنجو
من النار بالتوبة بعدما كادت ان تدخلها بافعالها الثانية نكثهم لبيعته وخروجهم عليه بعد الطاعة في جماعة ما منهم
الا من اخذ بيعته الثالثة قتلهم لعامله بالبصرة وخزان بيت مال المسلمين بها بعض صبرا اي بعد الاسر وبعض غدرا اي بعد
اعطائهم الامان وخلاصة القصة ما روي ان طلحة والزبير وعائشة لما انتهوا في مسيرهم الى الحفر ابي موسى قريب البصرة
كتبوا الى عثمان بن حنيف الانصاري وهو يومئذ عامل علي على البصرة ان اخل لنا دار الامارة فلما قرأ كتابهم بعث الى الاحنف
ابن قيس والى حكيم بن جبلة العبدي فاقرأهما الكتاب فقال الاحنف انهم ان حاولوا بهذا الطلب بدم عثمان وهم
الذين البوا على عثمان وسفكوا دمه فاراهم والله لا يزايلونا حتى يلقوا العداوة بيننا ويسفكوا دماءنا واظنهم
سيركبون منك خاصة ما لا قبل لك به والرأي ان تتأهب لهم بالنهوض اليهم فيمن معك من اهل البصرة فانك اليوم
الوالي عليهم وانت فيهم مطاع فسر اليهم بالناس وبادرهم قبل ان يكونوا معك في دار واحدة فيكون الناس لهم اطوع منهم
لك وقال حكيم مثل ذلك فقال عثمن بن حنيف الرأي ما رأيتما لكني اكره الشر وان ابدأهم به وارجو العافية والسلامة
الى ان يأتي كتاب امير المؤمنين ورأيه فاعمل به فقال له حكيم فأذن لي حتى اسير اليهم بالناس فان دخلوا في طاعة امير

كا في نسخه

ان تدخلها بافعالها نسخه

المؤمنين ورأيه فاعمل به فقال له حكيم فاذن لي حتى والا نابذتهم الى سواء فقال عثمان لو كان ذلك لي لسرت اليهم بنفسي
فقال حكيم اما والله لان دخلوا عليك هذا المصر لينتقلن قلوب كثير من الناس اليهم وليزيلنك عن مجلسك هذا
وانت اعلم فابى عثمان عليه ثم كتب علي عليه السلام الى عثمان بن حنيف لما بلغه مسير القوم الى البصرة من عبد الله علي امير
المؤمنين الى عثمان بن حنيف اما بعد فان البغاة عاهدوا الله ثم نكثوا وتوجهوا الى مصرك وساقهم الشيطان لطلب
ما لا يرضى الله به والله اشد بأسا واشد تنكيلا فاذا قدموا عليك فادعهم الى الطاعة والرجوع الى الوفاء بالعهد
والميثاق الذي فارقونا عليه فان اجابوا فاحسن جوارهم ما داموا عندك وان ابوا الا التمسك بحبل النكث و
الخلاف فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك وبينهم وهو خير الحاكمين وكتبت كتابي هذا من الربذة وانا معجل السير
اليك ان شاء الله وكتب عبيد الله بن ابي رافع في صفر سنة ست وثلثين فلما وصل الكتاب الى عثمان بعث ابا الاسود
الدؤلي وعمران بن الحصين اليهم فدخلا على عائشة فسألاها عن مخرجها فقالت لهما القيا طلحة والزبير فقاما
واتيا الزبير فكلماه فقال لهما جئنا لنطلب بدم عثمان وندعو الناس ان امر الخلافة شورى ليختار الناس لانفسهم فقالا
له ان عثمان لم يقتل بالبصرة لتطلبا دمه فيها وانت تعلم قتلة عثمان واين هم وانك وصاحبك وعائشة كنتم
اشد الناس عليه واعظمهم اغراء بدمه فاقيدوا من انفسكم واما اعادة امر الخلافة شورى فكيف وقد بايعتم عليا
طائعين غير مكرهين وانت يا ابا عبد الله لم يبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول الله صلى الله عليه
وآله وانت آخذ قائم سيفك تقول ما احد احق بالخلافة منه ولا اولى بها منه وامتنعت من بيعة ابي بكر فاين ذلك من هذا القول فقال
لهما اذهبا الى طلحة فقاما الى طلحة فوجداه خشن الملمس شديد العريكة قوي العزم في اثارة الفتنة فانصرفا الى عثمان بن حنيف
فاخبراه بما جرى وقال له ابو الاسود يا ابن حنيف قد اتيت فانفر وطاعن القوم وجالدهم واصبر وابرز لهم مستلئما
وشمر فقال ابن حنيف اي والحرمين لافعلن وامر مناديه فنادى في الناس السلاح السلاح فاجتمعوا اليه واقبلوا
حتى انتهوا الى المربد فملأوه مشاة وركبانا فقام طلحة فاشار الى الناس بالسكوت ليخطب فسكتوا بعد جهد فقال
اما بعد فان عثمان بن عفان كان من اهل السابقة والفضيلة ومن المهاجرين الاولين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه
ونزل القرآن ناطقا بفضلهم واحد ائمة المسلمين الوالين عليكم بعد ابي بكر وعمر صاحبي رسول الله صلى الله عليه وآله
وقد كان احدث احداثا نقمناها عليه فاتيناه واستعتبناه فاعتبنا فعدا عليه امرؤ ابتز هذه الامة امرها غصبا بغير رضى
ولا مشورة فقتله وساعده على ذلك قوم غير اتقياء ولا ابرار فقتل محرما بريا تائبا وقد جئناكم ايها الناس نطلب
بدمه وندعوكم الى الطلب بدمه فان نحن امكننا الله من قتلته قتلناهم به وجعلنا هذا الامر شورى بين المسلمين
وكانت خلافة رحمة للامة جميعا فان كل من اخذ الامر من غير رضى العامة ولا مشورة منها ابتزازا كان ملكه ملكا
عضوضا وحدثا كبيرا ثم قام الزبير فتكلم بمثل كلام طلحة فقام اليهما ناس من اهل البصرة فقالوا لهما الم تبايعا
عليا فيمن بايعه ففيم بايعتماه ثم نكثتما فقالا ما بايعناه وما لاحد في اعناقنا بيعة وانما استكرهنا على بيعته فقال
الناس قد صدقا ونطقا بالصواب وقال آخرون ما صدقا ولا اصابا حتى ارتفعت الاصوات فاقبلت عائشة

الفعل

فقاما الى طلحة

فاعتبنا

على جملها فنادت بصوت مرتفع ايها الناس اقلوا الكلام واسكتوا فسكت الناس لها فقالت ان امير المؤمنين عثمان
قد كان غير وبدل ثم لم يزل يغسل ذلك بالتوبة حتى قتل مظلوما تائبا وانما نقموا عليه ضربه بالسوط وتاميره الشبان
وحمايته موضع الغمامة فقتلوه محرما في حرمة الشهر وحرمة البلد ذبحا كما يذبح الجمل الا وان قريشا رمت غرضها بنبالها
وادمت افواهها بايديها وما نالت بقتلها اياه شيئا ولا سلكت به سبيلا قاصدا اما والله ليرونها بلايا عقيم
تنبه النائم وتقيم الجالس وليسلطن عليهم قوم لا يرحمونهم يسومونهم سوء العذاب ايها الناس انه ما بلغ من ذنب
عثمان ما يستحل به دمه مصتموه كما يماص الثوب الرحيص ثم عدوتم عليه فقتلتموه بعد توبته وخروجه من ذنبه وبايعتم
ابن ابي طالب بغير مشورة من الجماعة ابتزازا وغصبا اتروني اغضب لكم من سوط عثمان ولسانه ولا اغضب لعثمان من سيوفكم
الا ان عثمان قتل مظلوما فاطلبوا قتلته فاذا ظفرتم بهم فاقتلوهم ثم اجعلوا الامر شورى بين الرهط الذين اختارهم
امير المؤمنين عمر بن الخطاب ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان قال فماج الناس واختلطوا فمن قائل يقول القول
ما قالت ومن قائل يقول وما هي من هذا الامر انما هي امراة مامورة بلزوم بيتها وارتفعت الاصوات وكثر اللغط حتى
تضاربوا بالنعال وتراموا بالحصا ثم تمايزوا فرقتين فرقة مع عثمان بن حنيف وفرقة مع طلحة والزبير ثم اقبلا
يريدان عثمان بن حنيف فوجدوه واصحابه قد اخذوا بافواه السكك فمضوا حتى انتهوا الى موضع الدباغين فاستقبلهم
اصحاب بن حنيف فشجرهم طلحة والزبير واصحابهما بالرماح فحمل عليهم حكيم بن جبلة فلم يزل هو واصحابه يقاتلونهم حتى اخرجوهم
من جميع السكك ورماهم النساء من فوق البيوت بالحجارة فاخذوا الى مقبرة بني مازن فوقفوا بها مليا حتى ثابت
اليهم خيلهم ثم اخذوا الى مسناة البصرة حتى انتهوا الى الزابوقة ثم اتوا سبخة دار الرزق فنزلوها فاتاهما عبد الله بن
حكيم التميمي لما نزلا السبخة بكتب كتباها اليه فقال لطلحة يا ابا محمد اما هذه كتبك الينا فقال بلى فقال فكتبت امس
تدعونا الى خلع عثمان وقتله حتى اذا قتلته اتيتنا ثائرا بدمه فلعمري ما هذا رايك ولا تريد الا هذه الدنيا مهلا اذا
كان هذا رايك فلم قبلت من علي ما عرض عليك من البيعة فبايعته طائعا راضيا ثم نكثت بيعتك وجئتنا لتدخلنا
في فتنتك فقال ان عليا دعاني الى بيعته بعد ما بايع الناس فعلمت اني لو لم اقبل ما عرضه علي لم يتم لي ثم يغري بي من معه
ثم اصبحا من غد فصفا للحرب فخرج اليهما عثمان في اصحابه فناشدهما الله والاسلام واذكرهما بيعتهما عليا فقالا
شتما فحشا وذكرا امه فقال للزبير اما والله لولا صفية ومكانها من رسول الله فانها ادنتك الى الظل وان الامر بيني
وبينك يا ابن الصعبة يعني طلحة اعظم من القول لاعلمتكما من امركما ما يسوؤكما اللهم اني قد اعذرت الى هذين الرجلين
ثم حمل عليهم فاقتتل الناس قتالا شديدا ثم تحاجزوا واصطلحوا على ان يكتب بينهم كتاب صلح فكتب هذا ما اصطلح
عليه عثمان بن حنيف الانصاري ومن معه من المؤمنين من شيعة علي بن ابي طالب ع وطلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين
المسلمين من شيعتهما ان لعثمان بن حنيف الانصاري دار الامارة والرحبة والمسجد وبيت المال والمنبر وان لطلحة
والزبير ومن معهما ان ينزلوا حيث شاؤوا من البصرة ولا يضار بعضهم بعضا في طريق ولا في سوق ولا فرضة ولا
مشرعة ولا مرفق حتى يقدم امير المؤمنين علي بن ابي طالب ع فان احبوا دخلوا فيما دخلت فيه الامة وان احبوا لحق

كل قوم بهواهم وما احبوا من قتال وسلم وخروج او مقام وعلى الفريقين بما كتبوا عهد الله وميثاقه واشد ما اخذه
على نبي من انبيائه من عهد وذمة وختم الكتاب ورجع عثمان حتى دخل دار الامارة وامر اصحابه ان يلحقوا باهلهم ويداووا
جراحاتهم فمكثوا كذلك اياما ثم خاف طلحة والزبير من مقدم علي وهما على تلك القلة والضعف فراسلوا القبائل
يدعونهم الى الطلب بدم عثمان وخلع علي فبايعهم على ذلك الازد وضبة وقيس عيلان كلها الا الرجل والرجلين من
القبيلة كرهوا امرهم فتواروا عنهم وبايعهما هلال بن وكيع بمن معه من بني عمرو بن تميم واكثر بني حنظلة وبني دارم فلما
استوثق لهما امرهما خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر ومعهما اصحابهما وقد البسوهم الدروع وظاهروا فوقها بالثياب
فانتهوا الى المسجد وقت صلاة الفجر وقد سبقهم عثمان بن حنيف اليه واقيمت الصلاة فتقدم عثمان ليصلي بهم واخره
اصحاب طلحة والزبير وقدموا الزبير فجاءت السبابجة الشرط حرس بيت المال فاخروا الزبير وقدموا عثمان فغلبهم اصحاب الزبير
فقدموه واخروا عثمان فلم يزالوا كذلك حتى كادت الشمس تطلع فصاح بهم اهل المسجد الا تتقون الله اصحاب محمد وقد
طلعت الشمس فغلب الزبير فصلى بالناس فلما انصرف من صلاته صاح باصحابه المستلحين ان خذوا عثمان فاخذوه
بعد ان تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفيهما فلما اسر ضرب ضرب الموت ونتف حاجباه واشفار عينيه وكل
شعرة في راسه ووجهه واخذوا السبابجة وهم سبعون رجلا فانطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف الى عائشة فقالت
لابان بن عثمان اخرج اليه فاضرب عنقه فان الانصار قتلت اباك واعانت على قتله فنادى عثمان يا عائشة ويا
طلحة ويا زبير ان اخي سهل بن حنيف خليفة علي بن ابي طالب على المدينة واقسم بالله ان قتلتموني ليضعن السيف
في بني ابيكم واهليكم ورهطكم فلا يبقي منكم احدا فكفوا عنه وخافوا من قوله فتركوه وارسلت عائشة الى الزبير
ان اقتل السبابجة فانه بلغني الذي صنعوا بك قبل فذبحهم والله كما تذبح الغنم ولي ذلك عبد الله ابنه وهم سبعون
رجلا وبقيت منهم طائفة مستمسكين ببيت المال قالوا لا ندفعه حتى يقدم امير المؤمنين فسار اليهم الزبير في جيش ليلا
فاوقع بهم واخذ منهم خمسين اسيرا فقتلهم صبرا فحكي ان القتلى من السبابجة يومئذ اربعمائة رجل وكان غدر طلحة
والزبير بعثمان بن حنيف بعد غدرهم في بيعتهم على عذرا في غدرهم فكانت السبابجة اول قوم ضربت اعناقهم من المسلمين
صبرا وخيروا عثمان بن حنيف بين ان يقيم او يلحق بعلي فاختار الرحيل فخلوا سبيله فلحق بعلي عليه السلام فلما رآه
بكى وقال له فارقتك شيخا وجئتك امرد فقال علي عليه السلام انا لله وانا اليه راجعون قالها ثلاثا وذلك معنى قوله فقدموا
على عاملي بها وخزان بيت مال المسلمين الى آخره ثم اقسم عليه السلام انهم لو لم يصيبوا اي يقتلوا من المسلمين الا
رجلا واحدا متعمدين قتله بغير جرم لحل له قتل الجيش كله فان قلت المفهوم من هذا الكلام تعليل
جواز قتل اولئك الجيش كله بعدم انكارهم المنكر فهل يجوز قتل من لم ينكر المنكر قلت اجاب الشارح عبد الحميد
بن ابي الحديد عنه فقال انه يجوز قتلهم لانهم اعتقدوا ذلك القتل مباحا مع انه حرام لانه يجري ذلك مجرى اعتقادهم
اباحة الزنا وشرب الخمر واجاب القطب الراوندي بانه يجوز قتلهم لدخولهم في عموم قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون
الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا الآية وان هؤلاء القوم قد حاربوا رسول الله لقوله صلى الله

عليه وآله حربك يا علي حربي وسعوا في الارض بالفساد واعترض المجيب الاول عليه فقال الاشكال انما هو في تعليله
لقتل الجيش المذكور بكونهم لم ينكروا على من قتل رجلا واحدا من المسلمين فالتعليل بعدم انكار المنكر لا بعمومه الآية
واقول الجواب الثاني اسد والاول ضعيف لان القتل وان وجب على من اعتقد اباحة ما علم تحريمه من الدين ضرورة
كشرب الخمر والزنا فلم قلت انه يجب على من اعتقد اباحة ما علم تحريمه من الدين بالتاويل كقتل هؤلاء القوم لمن قتلوا
وخروجهم لما خرجوا له فان جميع ما فعلوه كان بتاويل لهم وان كان معلوم الفساد فظهر الفرق بين اعتقاد حل الخمر
والزنا وبين اعتقاد هؤلاء لاباحة ما فعلوه واما الاعتراض على الجواب الثاني فضعيف ايضا لان له ان يقول لما
قتل المسلم الذي لا ذنب له عمدا واصدر من بعض الجيش ولم ينكر الباقون مع تمكنهم وحضورهم كان ذلك قرينة
دالة على الرضا من جميعهم والراضي بالقتل شريك القاتل خصوصا اذا كان معروفا بصحبته والاتحاد به كاتحاد بعض
الجيش ببعض فكان خروج ذلك الجيش على الامام العادل محاربة لله ورسوله وقتلهم لعامله وخزان بيت مال
المسلمين ونهبهم له وتفريق كلمة اهل المصر وفساد نظامهم سعيا في الارض وذلك عين مقتضى الآية وقوله دع الى
آخره اي لو كان من قتلوه من المسلمين واحدا لحل لي قتلهم فكيف وقد قتلوا منهم عدة مثل عدتهم التي دخلوا بها البصرة
وما مصدرية زائدة والمماثلة هنا في الكثرة وصدق عرفا انهم قتلوا من اوليائه وخزان بيت المال بالبصرة خلقا
كثيرا كما ذكرناه على الوجه الذي ذكره بعضهم غدرا وبعضهم صبرا وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** امين وحيه
وخاتم رسله وبشير رحمته ونذير نقمته ايها الناس ان احق الناس بهذا الامر اقواهم عليه واعلمهم بامر الله فيه فان
شغب شاغب استعتب فان ابى قوتل ولعمري لئن كانت الامامة لا تنعقد حتى يحضرها عامة الناس فما الى ذلك
سبيل ولكن اهلها يحكمون على من غاب عنها ثم ليس للشاهد ان يرجع ولا للغائب ان يختار الا واني اقاتل رجلين
رجلا ادعى ما ليس له وآخر منع الذي عليه اوصيكم بتقوى الله فانها خير ما تواصى العباد به وخير عواقب الامور عند الله
وقد فتح باب الحرب بينكم وبين اهل القبلة ولا يحمل هذا العلم الا اهل البصر والصبر والعلم بمواضع الحق فامضوا لما
تؤمرون به وقفوا عند ما تنهون عنه ولا تعجلوا في امر حتى تتبينوا فان لنا مع كل امر تنكرونه غيرا الا وان هذه
الدنيا التي اصبحتم تتمنونها وترغبون فيها واصبحت تغضبكم وترضيكم ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له ولا
الذي دعيتم اليه الا وانها ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها وهي وان غرتكم منها فقد حذرتكم شرها فدعوا
غرورها لتحذيرها واطماعها لتخويفها وسابقوا فيها الى الدار التي دعيتم اليها وانصرفوا بقلوبكم عنها ولا يخنن
احدكم خنين الامة على ما زوي عنه منها واستتموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله والمحافظة على ما استحفظكم
من كتابه الا وانه لا يضركم تضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم الا وانه لا ينفعكم بعد تضييع
دينكم شيء حافظتم عليه من امر دنياكم اخذ الله بقلوبنا وقلوبكم الى الحق والهمنا واياكم الصبر **اقول** صدر هذا
الفصل من مدائح الرسول صلى الله عليه وآله فشهادة بكونه امينا على الشرائع من التحريف والتبديل لعصمته وكونه
خاتما للرسل لقوله تعالى وخاتم النبيين وكونه بشيرا برحمته بالثواب الجزيل ونذيرا بنقمته بالعذاب الوبيل وقوله ثم

انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ثم اردف ببيان احكام الاول بيان الحاكم الذي هو احق بامر الخلافة وحصر الاحقية
في امرين احدهما اقوى الناس عليه وهو الاكثر قدرة على السياسة والاكمل علما بمواقعها وكيفياتها وكيفية تدبير
المدن والحروب وذلك يستلزم كونه اشجع الناس والثاني اعلمهم بامر الله فيه ومفهوم الاعلم بامر الله يستلزم
الاعلم باصول الدين وفروعه ليضع الاعمال مواضعها ويستلزم ذلك محافظا على مراعاة حدود الله والعمل بها
وذلك يستلزم كونه ازهد الناس واعبدهم واعفهم واعدلهم ولما كانت هذه الفضائل مجتمعة له عليه السلام كان في ذلك
اشارة الى نفسه ونوع تعريض لغيره الثاني بيان حكم الشاغب للامام بعد انعقاد بيعته وهو انه ينبغي اولا
في اول مشاغبته مطالبته بالعتبى والرجوع الى الحق والطاعة بلين القول فان ابى قوتل وذلك الحكم مقتضى قوله
تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الآية الثالث بيان كيفية انعقاد الامامة بالاجماع فبين
بقوله ولعمري الى قوله فما الى ذلك سبيل ان الاجماع لا يعتبر فيه دخول جميع الناس حتى العوام اذ لو كان ذلك
شرطا لادى الى ان لا ينعقد اجماع قط فلم تصح امامة احد ابدا لتعذر اجتماع المسلمين باسرهم من اطراف الارض بل
المعتبر في الاجماع اتفاق اهل الحل والعقد من امة محمد صلى الله عليه وآله على بعض الامور وهم العلماء وقد كانوا بالمدينة
مجتمعين حين بيعته عليه السلام فليس لاحد منهم بعد انعقادها ان يرجع ولا لمن عداهم من العوام ومن غاب عنها
ان يختار واعني من اجمع هؤلاء عليه فان قلت انه عليه السلام انما احتج على القوم بالاجماع على بيعته ولو كان له
حجة من نص او وصية لكان احتجاجه بالنص اولى فلم عدل الى دعوى الاجماع قلت احتجاجه بالاجماع لا ينافي النص ولا
لا اثباته بل يجوز ان يكون النص موجودا وانما احتج عليهم بالاجماع لاتفاقهم على العمل به فيمن سبق من الائمة ولانه يحتمل
ان يكون المخصوص سكوته عن العلم بانه لا يلتفت الى ذكره على تقدير وجوده لانه لما لم يلتفت اليه تصريحا الامر حين موت
الرسول فبالاولى ان لا يلتفت اليه الان وقد طالت المدة وبعد العهد فلم يكن في ذكره فائدة الرابع بيان من يجب
قتاله وهو احد رجلين الاول رجل خرج على الامام العادل بعد تمام بيعته وادعى ان الامامة حق له وقد ثبت بالاجماع
على غيره انها ليست له الثاني رجل خرج عن الامام ولم يمتثل له في شيء من الاحكام والاول اشارة الى اصحاب الجمل والثاني
الى معاوية واصحابه ثم عقب بالوصية بتقوى الله فانها خير زاد عند الله يستعد الانسان من جوده كانت وسكنا له ولما
كان كذلك كان خير ما تواصى به عباد الله وقوله وقد فتح باب الحرب بينكم وبين اهل القبلة الى قوله غير اعلام لاصحابه
بحكم البغاة من اهل القبلة على سبيل الاجمال واحال التفصيل على اوقات الحرب وقد كان الناس قبل حرب الجمل
لا يعرفون كيفية قتال اهل القبلة ولا كيفية السنة فيهم الى ان علموا ذلك منه ونقل عن الشافعي انه قال لولا علي
ما عرف شيء من احكام اهل البغي وقوله ولا يحمل هذا العلم الا اهل البصر اي اهل البصائر والعقول الراجحة والصبر
على المكاره وعن التسرع الى الوساوس والعلم بمواضع الحق وذلك ان المسلمين عظم عندهم حرب اهل القبلة واكبروه
والمقدمون منهم على ذلك انما اقدموا على خوف وحذر فقال عليه السلام ان هذا العلم لا يدركه كل احد بل من ذكره وروي العلم
بفتح اللام وذلك ظاهر فان حامل العلم عليه مدار الحرب وقلوب العسكر منوطة به فيجب ان يكون بالشرائط المذكورة

ليضع للاشياء مواضعها ثم امرهم بقواعد كلية عند عزمه على المسير الى الحرب وهي ان يمضوا فيما يؤمرون به ويقفوا
عند ما ينهون عنه ولا يعجلوا في امر الى غاية ان يتبينوا اي يتبينوا الانكار امر فعله ويامرهم به ويقفوا حتى يسالوه
عن فايدته وبيانه فان لنا عند كل امر ينكرونه تغييرا اي قوة على التغيير ان لم يكن في ذلك الامر مصلحة في نفس الامر
وفايدة امرهم بالتبين عند استنكار امر انه يحتمل ان لا يكون ما استنكروه منكرا في نفس الامر فيكون بكونه منكرا لقلة
علمهم بوجهه ويتسرعون الى انكاره بلسان او يد فيقعون في الخطاء قال بعض الشارحين وفي قوله فان لنا عند كل ما
ينكرونه تغييرا ايماء الى انه ليس كعثمان في صبره على ارتكاب الناس لما كان ينهاهم عنه بل يغير كل ما ينكره المسلمون ويقتضي
العرف والشرع تغييره ثم اخذ في التنفير عن الدنيا بامور الاول التنفير عن تمنيها او الرغبة فيها وعن الغضب لفوتها
والرضى بحصولها لكونها ليست الدار والمنزل الذي خلقوا له ودعوا اليه الاسلام ثم ذلك التنفير المنبه على ما دعوا اليه
والعمل له الثاني تعرضها ما يفنيها ما اصابهم وفاتهم عنها الثالث بانه لا فايدة فيها فانها وان كانت تغر وتخدع بما فيها
مما يتسعه غيرا وكالا فارقها ما يقابل ذلك وهو التحذير عما فيها من الافات والتغيرات المعدودة ثم ارشد فينبغي ان
يتركوا ايرها القليل لشرها الكثير والمامها لتخويفها وتسابقوا الى الخير لتجنبها الصنع الغار التي دعوا اليها وخلقوا لاجلها
وينصرفوا بقلوبهم عنها اي يزهدوا الزهد الحقيقي فيها فان الزهد الظاهري مع الحنين الى ما زوي عنها من احدكم غير
منتفع به وخص حنين الامة لان الحنين اكثر ما يسمع من الامة لان العادة ان تضرب وتؤذى فيكثر حنينها ووصف حنين
بالحنا المنجر والحنين كالبكا في الانف واذا امر بالزهد الحقيقي امر بالصبر على طاعة الله وعبادته والمحافظة على ما
كتابه ونواهيه اذ بالزهد يكون حذف الموانع الداخلة والخارجة وبالطاعة والعبادة يكون تطويع النفس الامارة
بالسوء للنفس المطمئنة وهما جزءا الرياضة والسلوك لسبيل الله ورغب في الصبر على طاعة الله بانه فيه تمام
نعمة الله وظاهر ان طاعة الله سبب عظيم لافاضة نعم الدنيا ونعم الاخرة ثم اكد الامر بالمحافظة على ما قام من الدين
بانه لا يضره في ترك شيء من الدنيا وتضييعها مع المحافظة على الدين لما في المحافظة على الدين من الخير الدائم الثابت
الاخروي الذي لا نسبة لخير الدنيا اليه وبانه لا منفعة في المحافظة على ما فيها اي الدنيا مع تضييع الدين وهما
وذلك امر مفروغ عنه ومستغنى عن بيانه ثم ختم بالدعاء لهم ولنفسه باخذ الله بقلوبهم الى الحق اي الهامهم الطلب
وهدايتهم اليه وحديهم الى سلوك سبيله ثم الهامهم الصبر على طاعته وعن معصيته وبالله التوفيق ومن كلام له
عليه السلام في معنى طلحة بن عبيد الله قد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب وانا على ما وعدني ربي من النصر والله
ما استعجل متجردا للطلب بدم عثمان الا خوفا من ان يطالب بدمه لانه مظنته ولم يكن في القوم احرص عليه منه فاراد ان
يغالط بما اجلب فيه ليلتبس الامر ويقع الشك ووالله ما صنع في امر عثمان واحدة من ثلث لئن كان ابن عفان
ظالما كما كان يزعم لقد كان ينبغي له ان يوازر قاتليه وان ينابذ ناصريه ولئن كان مظلوما لقد كان ينبغي له
ان يكون من المنهنهين عنه والمعذرين فيه ولئن كان في شك من الخصلتين لقد كان ينبغي له ان يعتزله ويركد جانبا
ويدع الناس معه فما فعل واحدة من الثلث وجاء بامر لم يعرف بابه ولم تسلم معاذيره اقول هذا الفصل من كلام

قاله

قاله حين بلغه خروج طلحة والزبير الى البصرة وتهديدهما له بالحرب وتهدد عنه كف وزجر والمعذرين بالتخفيف المعتذرين
عنه وبالتشديد المظهرين للعذر مع انه لا عذر وركد سكن فقوله قد كنت الى قوله النصر جواب لتهديدهم وقد مرت
هذه الالفاظ بعينها مشروحة الا ان هناك واني على يقين من ربي فعنا وانا على ما وعدني ربي من النصر وذلك
الذي هو عليه هو اليقين بالنصر على لسان الرسول صلى الله عليه وآله والواو في قوله وما اهدد للحال وكان تامة و
قوله والله ما استعجل الى قوله ويقع الشك اشارة الى شبهتهم في الخروج الى البصرة وهي الطلب بدم عثمان ثم الى بطلان
هذه الشبهة وهي ان خروجه ليس الا خوفا من ان يطالب بدمه لانه مظنة ذلك وقد سبقت منا الاشارة الى دخول طلحة
في تحريض الناس على قتل عثمان وجمعه لهم في داره وروى انه منع الناس من دفنه ثلثة ايام وان حكيم بن حزام وجبير بن مطعم
استنجدا بعلي عليه السلام في دفنه فاقعد لهم طلحة في الطريق اناسا يرمونهم بالحجارة فخرج به نفر من اهله يريدون به حايطا في المدينة
يعرف بحش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم فلما صاروا هناك رجم سريره فهموا بطرحه فارسل اليهم علي عليه السلام
فكفهم عنه حتى دفن بحش كوكب وروى انه دفن في مقابر المسلمين وقال ينبغي ان يدفن بدير سلع يعني مقابر اليهود
وبالجملة فهو كما قال عليه السلام لم يكن في القوم احرص منه على قتله لكنه اراد ان يغالط بما اجلب من الطلب بدمه
ليلتبس الامر ويقع الشك في دخوله في قتله وقوله والله ما صنع في امر عثمان الى آخره صورة احتجاج عليه في قطع عذره
في الخروج والطلب بدمه بقياس شرطي منفصل وتقريره انه لا يخلو في امر عثمان وخروجه في طلب دمه من امور ثلثة
فانه اما ان يعلم انه كان ظالما او يعلم انه كان مظلوما او يشك في الامرين ويتوقف فيهما فان كان الاول فقد كان
الواجب عليه ان يساعد قاتليه ويوازرهم وينابذ ناصريه لوجوب انكار المنكر ايضا مع انه عليه وهو قد عكس الحال
لانه نابذ قاتليه وثار في طلب دمه مع ناصريه ممن توهم فيه ذلك وان كان الثاني فقد كان يجب عليه ان يكون ممن
يكف الناس عنه ويعتذر عنه فيما فعل لوجوب انكار المنكر ايضا مع انه ممن وازر عليه الناس واظهر احداثه وعظمها
كما هو المنقول المشهور عنه وان كان الثالث فقد كان الواجب عليه ان يعتزل ويسكن عن الخوض في امره ولم يفعل
ذلك بل ثار في طلب دمه فكان في هذه الاحوال الثلثة محجوجا في خروجه ونكثه للبيعة فاذن قد جاء بامر لم
يعرف بابه اي وجه دخوله فيه ولم يسلم له فيه عذر وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام ايها الغافلون غير
المغفول عنهم والتاركون والماخوذ منهم ما لي اراكم عن الله ذاهبين والى غيره راغبين كانكم نعم اراح بها ساير الى
مرعى وبي ومشرب دوي انما هي كالمعلوفة للمدى لا يعرف ماذا يراد بها اذا احسن اليها تحسب يومها دهرها وشبعها
امرها والله لو شئت ان اخبر كل رجل منكم بمخرجه وموالجه وجميع شانه لفعلت ولكن اخاف ان تكفروا في برسول الله
صلى الله عليه وآله الا واني مفضيه الى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه والذي بعثه بالحق واصطفاه على الخلق ما انطق
الا صادقا ولقد عهد الي بذلك كله وبمهلك من يهلك ومنجى من ينجو ومآل هذا الامر وما ابقى شيئا يمر على راسي الا
افرغه في اذني وافضى به الي ايها الناس اني والله ما احثكم على طاعة الا واسبقكم اليها ولا انهاكم عن معصية الا
واتناهى قبلكم عنها اقول السايم الراعي والوبي محل الوباء والدوي محل الداء والمدى جمع مدية وهي السكين

والخطاب عام وكونهم غافلين اي عما يراد بهم من امر الاخرة وغير مغفول عنهم اي ان اعمالهم محصلة في اللوح المحفوظ
وتاركين اي لما امروا به من الطاعة وماخوذا منهم اي ينتقص من اعمارهم وقيناتهم الدنيوية من مال واهل ثم نبههم على
ذهابهم عن الله وهو التفاتهم عن طاعته ورغبتهم في غيره وهو الحياة الدنيا وزينتها ثم شبههم في ذلك بالنعم التي
اراح بها راعيها الى مرعى كثير الوباء والداء ووجه الشبه انهم لغفلتهم كالنعم ونفوسهم الامارة بالسوء القائدة لهم
الى المعاصي كالراعي القايد للنعم الى المرعى الوبي ولذات الدنيا ومشتهياتها وكون تلك اللذات والمشتهيات
محل الاثام التي هي مظنة الهلاك الاخروي والداء الدوي تشبه المرعى الوبي والمشرب الدوي وقوله وانما
هي كالمعلوفة تشبيه اخر لهم بمعلوفة النعم ووجه الشبه انهم لعنايتهم بلذات الدنيا من المطاعم والمشارب كالنعم
المعتنى بعلفها وكون ذلك اللذة غاية الموت تشبه غاية المعلوفة وهي الذبح وكونهم غافلين عن غاية الموت
وما يراد بهم يشبه غفلة النعم عن غايتها من الذبح وكونهم يظنون ان الاحسان اليهم بسط اللذات الدنيوية في بعض
الاوقات دايم في جميع اوقاتهم وان شبعهم في هذه الحيوة الدنيا وريهم هو غايتهم التي خلقوا لاجلها وتمام امرهم
يشبه غفلة النعم في حال الحضور علفها في بعض الاوقات عما بعده من الاوقات وتوهمها ان ذلك غايتها التي خلقت
لاجلها ووجه هذا الشبه مركب من هذه الوجوه ثم اقسم انه لو شاء لاخبر كل رجل منهم بمواضع تصرفاته وحركاته وجميع
احواله وهو كقول المسيح عليه السلام وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم وقد علمت امكان ذلك العلم وسببه
في حق الانبياء والاولياء في مقدمة الكتاب وقوله ولكن اخاف ان تكفروا في برسول الله اي اخاف ان تغلوا في امري
وتفضلوني على رسول الله بل كان يخاف ان يكفروا في رسول الله كما ادعت النصارى في المسيح حيث اخبرهم بالامور الغايبة ثم قال
الا واني مفضيه الى الخاصة اي اهل العلم والثبات من اصحابه ممن يؤمن ذلك الكفر منه وهكذا شان العلماء والحكماء
للحكمة ورايهم ان لا يضعوا العلم الا في اهله هذا مع ان من الناس من يدعي فيه النبوة وانه شريك محمد في الرسالة ومنهم
من ادعى انه اله وهو الذي ارسل محمدا الى غير ذلك من الضلال وقد يقول بعض شعرائهم ومن اهلك عادا وثمود بدواهيهم
ومن كلم موسى فوق طور اذ نادى به ومن قال على المنبر يوما وهو راقيه سلوني ايها الناس قبل ان تفقدوني وقول الاخر
انما خالق الخلائق من زعزع اركان حصن خيبر جذبا وقد رضينا به اماما ومولى وسجدنا له الها وربا ثم اقسم انه ما نطق
الا صادقا فيما يخبر به من هذه الامور ولخبر الرسول صلى الله عليه وآله عهد اليه بذلك وبمهلك من يهلك الى قوله
وافضى به الي اي القاه الي واعلمني به وذلك التعليم منه يكون على وجه جزئي اي يخبره بواقعة واقعة ومنه يكون
على وجه كلي بان يلقي اليه اصولا كلية يتمكن معها باستفاضة الصور الجزئية من واهب الصور كما سبق تقريره ومما
نقل عنه من ذلك في بعض خطبه التي يشير فيها الى الملاحم يومي به الى القرامطة ينتحلون لنا الحب والهوى ويضمرون
لنا البغض والقلى وآية ذلك قتلهم وراثنا وهجرهم احداثنا وصح ما اخبر به لان القرامطة قتلت من آل ابي طالب
خلقا واسماؤهم مذكورة في كتاب مقاتل الطالبيين لابي الفرج الاصبهاني قال بعض الشارحين ومن هذه الخطبة
وهو يشير الى السارية التي كانت ينسب اليها في مسجد الكوفة كاني بالحجر الاسود منصوبا هيهنا ويحهم ان فضيلته

ثم

ليس

ليست في نفسه بل في موضعه واسه يمكث هيهنا مدة ثم هيهنا مدة واشار الى مواضع ثم يعود الى مأواه ويام مثواه
ووقع من القرامطة في الحجر الاسود بموجب ما اخبر به عليه السلام واقول في هذا النقل نظر لان المشهور ان القرامطة
نقلوا الحجر الاسود الى ارض البحرين وبقي الموضع خاليا ووضعوا فيه شيئا الى الان بالكعبة وبقي هناك مدة ثم اعيد الى
مكة وروى انه مات في المحيء به خمسة وعشرون بعيرا وعاد به الى مكة بعير اعجف ضعيف وذلك من اسرار دين الله تعالى ولم
ينقل انهم نقلوه مرتين والله اعلم ومن خطبة له عليه السلام انتفعوا ببيان الله واتعظوا بمواعظ الله واقبلوا
نصيحة الله فان الله قد اعذر اليكم بالجلية واتخذ عليكم الحجة وبين لكم محابه من الاعمال ومكارهه منها لتتبعوا
هذه وتجتنبوا هذه فان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول ان الجنة حفت بالمكاره وان النار حفت بالشهوات
واعلموا انه ما من طاعة الله شيء الا ياتي في كره وما من معصية الله شيء الا ياتي في شهوة فرحم الله رجلا نزع عن
شهوته وقمع هوى نفسه فان هذه النفس ابعد شيء منزعا وانها لا تزال تنزع الى معصية في هوى واعلموا عباد
الله ان المؤمن لا يصبح ولا يمسي الا ونفسه ظنون عنده فلا يزال زاريا عليها ومستزيدا لها فكونوا كالسابقين
قبلكم والماضين امامكم قوضوا من الدنيا تقويض الراحل وطووها طي المنازل واعلموا ان هذا القرآن هو
الناصح الذي لا يغش والهادي الذي لا يضل والمحدث الذي لا يكذب وما جالس هذا القرآن احد الا قام
عنه بزيادة او نقصان زيادة في هدى ونقصان من عمى واعلموا انه ليس على احد بعد القرآن من فاقة ولا لاحد قبل القرآن
من غنى فاستشفوه من ادوائكم واستعينوا به على لاوائكم فان فيه شفاء من اكبر الداء وهو الكفر والنفاق
والغي والضلال فاسألوا الله به وتوجهوا اليه بحبه ولا تسألوا به خلقه انه ما توجه العباد بمثله الى الله واعلموا
انه شافع مشفع وقائل مصدق وانه من شفع له القرآن يوم القيمة شفع فيه ومن محل به القرآن يوم القيمة صدق
عليه فانه ينادي مناد يوم القيمة الا ان كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن فكونوا من حرثته
واتباعه واستدلوه على ربكم واستنصحوه على انفسكم واتهموا عليه اراءكم واستغشوا فيه اهواءكم العمل العمل
ثم النهاية النهاية والاستقامة الاستقامة ثم الصبر الصبر والورع الورع ان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم وان لكم
علما فاهتدوا بعلمكم وان للاسلام غاية فانتهوا الى غايته واخرجوا الى الله بما افترض عليكم من حقه
وبين لكم من وظايفه انا شاهد لكم وحجيج يوم القيمة عنكم الا وان القدر السابق قد وقع والقضاء
الماضي قد تورد واني متكلم بعدة الله وحجته قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل
عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقد قلتم ربنا الله فاستقيموا
على كتابه وعلى منهاج امره وعلى الطريقة الصالحة من عبادته ثم لا تمرقوا منها ولا تبتدعوا فيها ولا تخالفوا
عنها فان اهل المروق منقطع بهم عند الله يوم القيمة ثم اياكم وتهزيع الاخلاق وتصريفها واجعلوا اللسان
واحدا وليخزن الرجل لسانه فان هذا اللسان جموح بصاحبه والله ما ارى عبدا يتقي تقوى تنفعه حتى يخزن
لسانه وان لسان المؤمن من وراء قلبه وان قلب المنافق من وراء لسانه لان المؤمن اذا اراد ان يتكلم بكلام

ونقصان

يدبره في نفسه فان كان خيرا ابداه وان كان شرا واراه وان المنافق يتكلم بما اتى على لسانه لا يدرى ماذا له وماذا عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه فمن استطاع منكم ان يلقى الله سبحانه وهو نقى الراحة من دماء المسلمين واموالهم سليم اللسان من اعراضهم فليفعل واعلموا عباد الله ان المؤمن يستحل العام ما استحل عاما اول ويحرم العام ما حرم عاما اول وان ما احدث الناس لا يحل لكم شيئا مما حرم عليكم ولكن الحلال ما احل الله والحرام ما حرم الله فقد جربتم الامور وضرستموها ووعظتم بمن كان قبلكم وضربت الامثال لكم ودعيتم الى الامر الواضح فلا يصم عن ذلك الا اصم ولا يعمى عنه الا اعمى ومن لم ينفعه الله بالبلاء والتجارب لم ينتفع بشيء من العظة واتاه التقصير من امامه حتى يعرف ما انكر وينكر ما عرف وانما الناس رجلان متبع شرعة ومبتدع بدعة ليس معه من الله سبحانه برهان سنة ولا ضياء حجة فان الله سبحانه لم يعظ احدا بمثل هذا القرآن فانه حبل الله المتين وسببه الامين وفيه ربيع القلب وينابيع العلم وما للقلب جلاء غيره مع انه قد ذهب المتذكرون وبقى الناسون او المتناسون فاذا رايتم خيرا فاعينوا عليه واذا رايتم شرا فاذهبوا عنه فان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول يا ابن آدم اعمل الخير ودع الشر فاذا انت جواد قاصد الا وان الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب فاما الظلم الذى لا يغفر فالشرك بالله قال الله سبحانه ان الله لا يغفر ان يشرك به واما الظلم الذى يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات واما الظلم الذى لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص هناك شديد ليس هو جرحا بالمدى ولا ضربا بالسياط ولكنه ما يستصغر ذلك معه فاياكم والتلون فى دين الله فان جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقة فيما تحبون من الباطل وان الله سبحانه لم يعط احدا بفرقة خيرا ممن مضى ولا ممن بقى يا ايها الناس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وطوبى لمن لزم بيته واكل قوته واشتغل بطاعة ربه وبكى على خطيئته فكان من نفسه فى شغل والناس منه فى راحة **اقول** الظنون المتهمة والرادى الغايب وتعويض الشىء تقصيره واللاواء الشدة ومحل به الى السلطان كاده وقال فيه ما يضره ويورث الجبل البليد دخلها قطعة قطعة وتهزيع الاخلاق تكسيرها وتعريفها وضربت الامر ايكه غيره وقدامر السامعين ان ينتفعوا ببيان الله فى كتابه وعلى لسان رسوله ويتعظوا بمواعظه ويقبلوا نصيحته فيما لاجله خلقوا واقام عدد اسم الله صريحا دون الضمير للتعظيم ثم اشار الى وجه وجوب الامتثال عليهم وهو عذاره اليهم بالجلية اى اظهار ما هو موعودة العذر من الايات والنذر الجلية الواضحة واتخاذ الحجة ببعث الرسل وبيانه لمحاب مكارهه ثم نبه على ما فى الطاعة وامتثال التكليف من الشدة والمكروه فذكر الجنة وتعرف المحبة الجنة وانه لو رتبه على الشدة مجردة بل قرنها بذكر الجنة وجعلها محبوبة بها لتحصل الرغبة فى الجنة فيتم السعى فى قطع تلك الحجب المكروهة وكذلك قرن ذكر الشهوات بذكر كونها محفوفة بها النار تنفيرا عنها ثم بعد تسهيل المكاره التى يشتمل عليها الطاعات بذكر الجنة وتحقير الشهوات التى يريد الجذب عنها بذكر النار صرح بانه لا ان

من الاعمال الصالحات ومكارهه من المحرمات فى كتابه العزيز ...

طاعة الا فى كره ولا معصية الا فى شهوة وقد عرفت سر ذلك وان النفس لقوة الشهوية اطوع منها للعقل لحصول ما هو قريب لها من اللذات المحسوسة التى تلحقها العقاب عليها ثم عقب ذلك بدعائه الله ان يرحم امرا نزع من شهوته اى امتنع من الانهماك فيها وقمع نفسه الامارة بالسوء فانها ابعد شىء منزعا عن الله ثم فسر منزعها الذى ينزع اليه وهى المعصية فى هواها وما تميل اليه ثم نبه على حال المؤمن الحق وتهمته نفسه فى جميع اوقاته من صباح ومساء وانه لا يزال عاتبا عليها ومراقبا لاحوالها ومواخذها بالزيادة فى الاعمال الصالحة وقد سبقنا الاتقاء الى ذلك ثم امرهم ان يكونوا كالسابقين من اكابر الصحابة والماضين امامهم الى الجنة فى الاعراض عن الدنيا واستعار لفظ التقويض والطى لقطعهم علايق الدنيا ورحيلهم الى الآخرة كما يقوض الراحل متاعه للسفر ويطوى خيامه للرحيل ثم عقب بذكر القرآن ومدحه ترغيبا فى الاقتداء به واستعار وصف الناصح له ووجه الاستعارة ان القرآن يرشد الى وجوه المصالح كما ان الناصح كذلك ورشح بكونه لا يغش معه وكذلك كونه هاديا لا يضل الى طريق الله ودونه لا يضل غيره وكذلك استعار وصف المحدث ورشح بكونه لا يكذب ووجه الاستعارة اخبار القرآن بالاخبار والقصص الصحيح وفهم واستفادته عنه كالمحدث الصادق وكنى بمجالسة القرآن عن مجالسة حملته وقرائه لاستماعهم وتدبره عنهم فان فيه من الايات البواهر والنواهى الزاجرة ما يزيد بصيرة المستبصر من الهدى وينقص من عمى الجهل ثم نبههم على انه ليس بعده على احد فقر اى ليس بعد نزوله للناس وبيانه الواضح حاجة الى بيان حكمة اصلاح معاشهم ومعادهم ولا لاحد قبله من غنى اى قبل نزوله لا غنى عنه للنفوس الجاهلة واذكار بهذه الصفة امرهم باخذ الشفاء منه لادوائهم اى ادواء الجهل وان يستعينوا به على شدائدهم وفقرهم الى تحصيلها منه وجوه المصالح الدنيوية والاخروية ثم عدد اكبر ادواء الجهل واعاد ذكر كونه شفاء منها اولها الكفر بالله وهو عمى القوة النظرية من قوى النفس عن معرفة صانعها ومبدعها الحقيقي انكارا واعتقادا ثانيا له والحكم عليه بصفات المخلوقين المحدثين والثانى النفاق وهو مستلزم لرذيلة الكذب المقابلة لفضيلة الصدق ثم لرذيلة الغدر المقابلة لفضيلة الوفاء وقد سبق بيان حال النفاق وانه بين الرذيلتين الثالث الغى وهو رذيلة التفريط من فضيلة الحكمة الرابع الضلال وهو الانحراف عن فضيلة العدل والى كونه شفاء الاشارة بقوله ان القلوب تصدا كما يصدا الحديد قيل يا رسول الله وما جلاؤها قال قراءة القرآن وذكر الموت وقد علم اشتماله على ذكر الموت فى مواضع كثيرة ثم امرهم ان يسألوا الله به والمراد اكرم اعدوا الله بالشكر وكلوها لاستنزال المطالب من الله بما اشتمل عليه القرآن من الكمالات النفسانية وتوجهوا اليه بحبه لان من احب شيئا كمل بما فيه حسن توجهه الى الله وقوله ولا تسألوا به خلقه اى لا تجعلوا اشتغالكم به لطلب الرزق من خلق مثلكم فانه لم ينزل لذلك وقوله فانه ما توجه العباد الى الله بمثله وذلك لاشتماله على جميع الكمالات النفسانية من العلوم ومكارم الاخلاق والنهى عن جميع الرذايل الموبقة ثم استعار لفظى الشافع والمشفع ووجه الاستعارة كون تدبره والعمل بما فيه ماحيا لما يعرض للنفس من الهيئات الردية من المعاصى وذلك مستلزم لمحو غضب الله كما يمحو الشفيع المشفع ثم الذنب

عن قلب المشفوع اليه وذلك سر الخبر المرفوع ما من شفيع من ملك ولا نبى ولا غيرهما افضل من القرآن وكذلك لفظ القائل المصدق ووجه الاستعارة كونه ذا الفاظ اذا نطق بها لا يمكن تكذيبها كالقائل الصادق ثم اعاد معنى كونه شفيعا يوم القيمة ثم استعار لفظ المحل للقرآن ووجه الاستعارة ان لسان حال القرآن شاهد فى علم الله وحضرته ربوبيته على من اعرض عنه بعدم اتباعه ويحال العدل لما اشتمل عليه من ذلك شهادة لا يجوز عليها الكذب فالواجب ان يصدق فاشبه الساعى به الى السلطان فى حق غيره بما يضره وقوله فانه ينادى مناد يوم القيمة الى آخره فالمنادى هو لسان حال الاعمال والحرث كل عمل يطلب به غاية وتستخرج منه ثمرة والابتلاء ههنا ما يلحق النفس على الاعمال وعواقبها من العذاب بقدر الخروج فيها عن طاعة الله وظاهر ان حرث القرآن والبحث عن مقاصده لغاية الاستكمال به ومن لواحق العقوبات ثم حثهم على ان يكونوا من حرثته واتباعه وان يستدلوه اى يتخذوه دليلا قائدا الى ربهم وان يستنصحوه على انفسهم اى يتخذوه ناصحا على نفوسهم الامارة بالسوء لكونها هى الغاشة لهم بقودها الى المعصية لله وكون القرآن زاجرا لهم عما تامرهم به تلك النفوس فيجب ان تقبل نصيحته عليها وكذلك اتهموا عليه آراءكم اى اذا رايتم رايا يخالف القرآن فاتهموا ذلك الراى فانه صادر عن النفس الامارة بالسوء وكذلك قوله واستغشوا فيه اهواءكم وانما قال ههنا استغشوا وقال فى الآراء اتهموا لان الهوى هو ميل النفس الامارة من غير مراجعة العقل فاذا حكمت النفس عن متابعتها كم فهو غش صراح واما الراى فقد يكون بمراجعة العقل وحكمه وقد يكون بدونه فجاز ان يكون خطا وجاز ان يكون باطلا فكان بالتهمة اولى ثم امر بلزوم العمل الصالح ثم عقبه بالنهاية المطلوبة منهم بالعمل والوصول اليها منذرا بها ولوا فيكم ونهاية احالكم ونظائرها فان الامور بخواتيمها ثم امر بالاستقامة اى على العمل ثم بالصبر عليه وحقيقته معا ومن الهوى لئلا ينقادوا الى متابعة اللذات فيخرج عن الطرف ثم بالورع وهو لزوم الاعمال الجميلة وانما عطف النهاية والصبر ثم لتاخر نهاية العمل عنه وكون الصبر مع عدم ما هو فى معنى الترك والمنع عن العمل الذى هو معنى وجودى بخلاف الاستقامة على العمل فانها الكيفية له والورع فانه جزء منه وكرر تلك الالفاظ للتاكيد والنصب فى جميعها على الاغراء ثم اشار الى ان لهم نهاية هى النهاية التى امرهم بالانتهاء اليها وهى الامر الذى خلقوا لاجله اعنى الوصول الى الله طاهرين عن رجس الشيطان وهو لفظ الخبر النبوى ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم غاية فانتهوا الى غايتكم فان المراد بالغاية ولعل المراد بالمعالم حظاير القدس ومنازل الملائكة وكذلك ان لكم علما فاهتدوا بعلمكم اى الى تلك النهاية واستعار لفظ العلم للنبى ثم لجبرائيل عليه السلام غاية ولعلهم بالانتهاء اليها وتلك الغاية هى النهاية المشار اليها وقوله واخرجوا الى الله الى قوله وطالبكم فالمعنى اخرجوا من حقوقه فيما افترض عليكم وحفظه فى قرائضه ووظايفه والاخلاص بما لوجهه ثم رغبهم فى طاعته واتباع اوامره بكونه شاهدا لهم يوم القيمة ومحاجا قال بعض الشارحين وانما ذكر الاحتجاج وان كان ذلك الموقف ليس موقف محاجة لانه اذا شهد لهم فكانه احتج لهم فاشبه المحاج واقول لما كان لكل قوم هو المخاطب عنهم والشهيد لهم كما قال تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم وقوله ويوم نبعث من كل امة شهيدا

فعلنا هاتوا برهانكم وكان ذلك الموقف هو موقف السوال والجواب كان ذلك معنى المحاجة والمجادلة والخلوص من الاسولة باجوبة يشير غلبة المسؤول بالحجة وهو البرهان المطلوب وجرت العادة بان البرهان يكون عند المحاجة وكذلك الانقطاع عن الجواب يشبه كون المسؤول محجوجا وهذا الاحتجاج والشهادة مما ينبه عليه القائلين بعث الاجساد وحالته عند غيرهم ثم اخبر ان القدر السابق فى علم الله قد وقع والقضاء الماضى اى السابق قد تورد اى دخل فى الوجود شيئا فشيئا وقد علمت فيما سلف ان القضاء هو العلم الالهى بما يكون وما هو كاين وان القدر تفصيله على وفقه لكنه اشار بوقوع القدر ههنا الى واقع خاص هو خلافته وما يلزمها من الفتن والوقايع وروى ان هذه الخطبة من اوايل الخطب التى خطب بها ايام بويع بعد قتل عثمان قال بعض الشارحين وفى هذا الكلام اشارة الى ان الرسول اخبره ان الامر سيصل اليه فى آخر وقته واقول هذا الامر من القدر السابق على وفق القضاء وليس للفظ اشعار بما قال هذا الفاضل اذ كان عليه السلام عالما بان كل واقع فى الوجود فبقضاء من الله وقدره وقوله وانى متكلم بعدة الله وحجته اى لما وقع هذا الامر لى فانى اتكلم بكذا وعدة الله ما وعد به عباده الذين امنوا فى ربوبيته واستقاموا على سلوك سبيله بطاعته من تنزل الملائكة عليهم بذهاب الخوف والحزن والبشارة بالجنة واما الحجة التى تكلم بها فقوله وقد قلتم ربنا الله اى اعترفتم بالربوبية فاستقيموا على كتابه وعلى منهاج امره وعلى الطريقة الصالحة من عبادته التى هى من علم والخالصة من الرياء والنفاق من غير ان تمرقوا منها اى تخرجوا منها الى التعدى والتشدد الى طرف الافراط الذى هو ثمرة الجهل ولا تعدوا فيها بدعة ولا تخالفوا عنها وعبدوا فيها وشا الا فتعوا به مهاوى الهلاك فانكم متى فعلتم ذلك فقد فقدتم شرطا استحقاقكم لا عارة عدة المذكورة فان ذلك الشرط مركب من الاعتراف بربوبيته والاستقامة على الامور المذكورة فيجب ان تعلموا من تلك العدة ومع فوت جزء من ذلك الشرط لا يقع المشروط فلم يتحقق الموعود به وذلك معنى كون اهل المروق منقطعا بهم اى لا يجدون بلاغا يوصلهم الى المقصد لان ذلك الشرط هو البلاغ الى المقصد الحقيقى ثم شرع فى النهى عن النفاق لان تهزيع الاخلاق تغييرها ونقلها من حال الى حال وهو معنى تصريفها وذلك هو النفاق اذ المنافق لا يلزم خلقا واحدا بل تارة يكون صادقا وتارة وفيا ولمن نرى غادرا ومع الظالمين ظالم ومع اهل العدل عادل ولذلك قال واجعلوا اللسان واحدا وهو شروع فى الوصية بحال اللسان وعد له اى لا يكون احدكم ذا لسانين وهو المنافق فانه ذو لسانين واسلم ثم النهى من اموره الفضل من القول وصنعه فى غير مواضعها كالغيبة والنميمة والسعاية والمسابة والقذف ونحو كلها رذايل فى طرف الافراط من فضيلة العدل وقوله فان اللسان جموح بصاحبه تعليل لذلك النهى واشارة الى خروجه بصاحبه من فضيلة العدل الى الرذايل التى هى موارد الهلكة فى الآخرة والدنيا كما ان الفرس الجموح يخرج بصاحبه الى الهلاك ولفظ الجموح مستعار له بهذا الاعتبار ثم اقسم انه لا يرى متقيا ينفعه تقواه الا بخزن لسانه وهو حق لان التقوى النافع هو التقوى التام وخزن اللسان وكفه عن الرذايل المذكورة جزء عظيم من التقوى لا يتم بدونه فهى اذن لا ينفع الا به ثم نبه على ما ينبغى عند ارادة القول من التثبت وتامل ما يراد النطق به وعلى ما لا ينبغى

لا تشاء ...

من القول بعد مراجعة الفكر وقرن الاول بالاولى ترغيبا فيه والثانى بالثانى وتنفيرا عنه وقوله لان المومن اذا اراد
وما ذا عليه بيان لمعنى كون اللسان وراء واماما وتلخيص هذا البيان ان لوراء فى الموضعين كناية عن البعيد
لان لسان المومن تابع لعقله فلا ينطق الا بعد تقديم الفكر فيما ينبغى ان يقوله وقلب المنافق وفكره متاخر
عن نطقه فكان لفظ الوراء استعارة من المعنى المحسوس للمعقول فاما الخبر النبوى المذكور فهو استشهاد على
ان الايمان لا يتم الا باستقامة اللسان على الحق وحفظه عن الرذايل التى عددناها وذلك عين ما اقتضاه قوله ان
التقوى لا ينفع العبد حتى يخزن لسانه فاما بيان الخبر فهو ان استقامة القلب عبارة عن التصديق بالله ورسوله
واعتقاد حقية ما وردت به الشريعة من المامورات والمنهيات وذلك عين الايمان وحقيقته فاذن لا يستقيم
الايمان حتى يستقيم القلب واما انه لا يستقيم القلب حتى يستقيم اللسان على الاقرار بالشهادتين ولوازمهما
وعلى الامساك عما لا ينبغى من الامور المعدودة من لوازم استقامة القلب لحكمنا على غير المقر بتلك الامور
بما يعدم الايمان الكامل ولا يستقيم امر من دون لازمه وقوله فمن استطاع الى قوله فليفعل امر بالاجتهاد فى لقاء
الله تعالى على احوال هى نقاء الراحة من دماء المسلمين واراد السلامة من قتل النفس واموالهم واراد السلامة
من الظلم وان يكون الانسان سليم اللسان من اعراضهم واراد الكف عن الغيبة والسب واشترط ذلك بالاستطاعة
لعسره وشدته وان كان واجب الترك على كل حال واشدها الكف عن الغيبة فانه يكاد ان لا يستطاع والى نحو هذا
اشارة الرسول صلى الله عليه وآله المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه فسلامتهم من يده سلامة دمائهم واموالهم
وسلامتهم من لسانه سلامة اعراضهم واعم من ذلك وقال بعض الحكماء من علم ان لسانه جارحة اقل من اعمالها واشنع
ادامة تحريكها كما يشنع ان يحرك رأسه ومنكبيه دائما وقوله واعلموا الى قوله حرم عليكم قال بعض الشارحين هو اشارة
الى ان ما ثبت من طريق النص والعادة يشهد بها النص فى زمان الرسول صلى الله عليه وآله لا يجوز ان ينقض بالقياس
والاجتهاد بل كل ما ورد به النص فيتبع فيه مورد النص فما كان حلالا لا يقتضى النص عمومه فى العام الماضى فهو
هذا العام حلال وكذا فى الحرام وعموم هذا الكلام يقتضى عدم جواز نسخ النص وتخصيصه بالقياس وهو مذهب
الامامية لاعتقادهم بطلان القول بالقياس المتعارف ومذهب جماعة من الاصوليين مع اعترافهم بصحة القياس
ومن يجوز تخصيصه به يحمل هذا الكلام على عدم قبول القياس فى نسخ النص من كتاب او سنة وما احدث الناس
اشارة الى القياس وقوله ولكن الحلال ما احل الله والحرام ما حرم الله تاكيد لاتباع النص ما كان عليه الصحابة
من الدين مما هو معلوم بينهم دون ما احدث من الآراء والمذاهب وقوله فقد جربتم الامور وضرستموها الى قوله
الامر الواضح اشارة الى وجوه العلم وما اخذه ووجه اتصاله بما قبله انهم اذا كانوا قد احكموا الامور بتجربتها ووعظوا
بمن كان قبلهم وضربت لهم الامثال ودعوا الى الامر الواضح وهو الدين وطريقه فلا بد ان تكون نفوسهم قد
استعدت بذلك لعلم الاحكام الشرعية ومقاصدها من الكتاب والسنة وعادات الرسول والصحابة فلا يخفى
عليهم ما ابتدع بعدها وان كل بدعة حرام فضلا ان ترفع حكم نص او سنة سبق العلم بها ولا يصم من هذه المواعظ

والامثال والدعوة الى الدين الا اصم اى من هو شديد الصمم كما يقال ما يجهل هذا الامر الا جاهل اى اشد الناس
جهلا وكذلك لا يعمى عنه الا اعمى اى شديد عمى بصيرة اشد عماها وقوله ومن لم ينفعه الى قوله من امامه كلام حق وذلك ان الانسان فى صلاة
الفطرة خال عن العلوم وانما خلقت له هذه الآلات البدنية ليتصفح بها صور المحسوسات ومعانيها ويتنبه لما
بينها ومباينات فيحصل له التجربة وساير العلوم الضرورية والمكتسبة فمن لم ينتفع بالبلاء اى بامتحان الامور وتجاربها
وهو اشارة الى اختبار الامور والتفكر فيها والابتلاء بها كالوقوع فى المكاره ومعاناة الاعمال ولم يستفد منها
علما فظاهر انه لا ينتفع بالعظة لان العظة فرع تصفح الامور واعتبار آيات الله منها ومحال ان يحصل فرع من دون
اصله وتحتمل ان يريد بالنقص فى كمال نفسه ووجوه مصالحه ويحتمل ان يريد بالعظة لا الاتعاظ بل الموعظة وظاهر ان
الموعظة ايضا لا تنفع لان البلاء بالمكاره والوقايع النازلة اقوى فعلا فى النفس واكثر تاثيرا فاذا لم ينتفع
بها ولم يستفد منها علما فبالاولى ان لا ينتفع بالموعظة وقوله من امامه لان الكمالات التى يتوجه اليها بوجه عقله
متوقف لنقصان تجربته وتوقف عقله عنها فاشبه فوتها له مع طلبه لها اتيان النقصان له من امامه وقوله حتى يعرف
ما انكر وينكر ما عرف اشارة الى غاية نقصانه وهى الاختلاط والحكم على غير بصيرة فتارة يجهل فيما انكره ويجهل
انه عارف بحقيقته وتارة ينكر ما كان يعرفه ويحكم ببحث الخيال بخطاء عليه ثم قسم لهم الناس الى قسمين فقسم متبع
شرعة اى طريقة ومنهاجا وهو منهاج الدين وقسم مبتدع بغير برهان سنة من الله يستضئ عليه ولا ضياء حجة يقوده فى
فى ظلمات الجهل ليحصوا بافضل العملين وقوله ان الله سبحانه لم يعظ احدا بمثل هذا القرآن يرجع الى مدايح القرآن
واستعار له الفاظا الاول لفظ الحبل ورشح بالمتين وقد عرفت وجه هذه الاستعارات مرارا الثانية وكذلك
سببه الامين الثالثة لفظ الربيع ووجهها ان القلوب تحيى به كما تحيى الانعام بالربيع الرابعة لفظ الينابيع ووجهها
ان العلوم وحكمه تدبره والتفهم عنه يفيض عنه وينتفع بها كما يفيض الماء عن الينابيع الخامسة لفظ الجلاء ووجهها
ان التفهم عنه يكشف عن القلب صدأ الجهل كما يجلو الصيقل المرآة فان قلت فلم قال وليس للقلب جلاء غيره مع ان
ساير العلوم جلاء له قلت الجواب من وجهين احدهما ان العلوم الجالية للقلب هى المعدة لسلوك سبيل الله والوصول
الى الغاية من الكمال النفسانى كالعلوم الالهية وعلم الاخلاق واحوال المعاد ولا علم منها الا وفى القرآن اصله ومآخذه
وهو مقتبس من القرآن الثانى ان هذا الكلام صدر عنه عليه السلام ولم يكن فى ذلك الزمان علم مدون للمسلمين
الا من القرآن الكريم فلم يكن اذن جلاء للقلب غيره وقوله مع انه قد ذهب المتذكرون اى المتدبرون لمقاصد
القرآن وبقى الناسون لم او المتناسون المتعمدون للتشاغل والنسيان للجواذب الى الله وهو فى معنى التوبيخ لهم ثم امرهم
بالاعانة من يعمل الخير على فعله ووجوه الاثر كثيرة ثم بالاعراض عن الشر وانكاره عند رؤيته واستشهد على وجوب امتثال
امره بالخبر النبوى وقد نبه الخبر على وجوب عمل الخير والانتهاء عن الشر باستلزام ذلك لكونه فاعله جوادا قاصدا
واستعار وصفى الجواد القاصد ووجه المشابهة ان العامل للخير المنتهى عن الشر مستقيم على طريق الله فلا تعرج فى طريقه
ولا اعوجاج فيكون سيره فى سلوك سبيل الله اسرع سير كالجواد من الخيل المستقيم على الطريق ثم قسم عليه السلام الظلم

الى ثلثة اقسام الاول الظلم الذى لا يغفر اصلا وهو ظلم النفس بالشرك بالله وبرهانه النص والمعقول اما
النص فقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به واما المعقول فلان المغفرة عبارة اما عن محو آثار الجرايم من الواح
النفوس وعما يلزم ذلك من ستر الله على النفوس ان تحترق بنار جهنم والهيئات البدنية التى تحجب نفوس المشركين
عن معرفة الله هيئات متمكنة من تلك النفوس قد صارت ملكات لا يمكن زوالها مع عدم مسكتهم بالمعارف الالهية
فهم فى العذاب ماكثون فى سلاسل تلك الهيئات واغلالها مكبلون فاذن لا يتحقق المغفرة فى حقهم لعدم تخلصهم
منها وجاذبهم عنها وهى عصمة المعرفة الثانى ظلم لا يترك اى لا بد من اخذ فاعله بالعقوبة والقصاص وهو ظلم
العباد بعضهم لبعض واليه الاشارة بقوله يوم يقتص للجماء من القرناء وهذا الظالم ان كانت له مسكة بعصمة
عصم النجاة من المعارف الالهية وجب خلاصه من العذاب بعد حين لكن بتفاوت مكثه بحسب تفاوت شدة تمكن
تلك الهيئات الرديئة من نفسه وضعفها واليه اشار الخبر النبوى يخرجون من النار بعد ما يصيرون حمما وفحما والثالث
الظلم الذى يغفر ولا يطلب وهو ظلم العبد نفسه عند ارتكابه بعض صغاير الزلات وهى التى لا تكتسب النفس هيئة
ردية باقية بل حالة سريعة زوالها واليه الاشارة بقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم اى فى حال كونهم
ظالمين ثم اخذ فى التحذير من الظلم بذكر شدة القصاص فى الآخرة وصدق انه ليس جرحا بالمدية ولا ضربا بالسوط
كقصاص الدنيا ولكن ما يستصغر ذلك معه من العقوبات بالنار المشهورة اوصافها وروى عن الرسول صلى الله
عليه وآله انه كان جالسا فى اصحابه فسمع هدة فقال هذا حجر ارسله الله تعالى من شفير جهنم فهو يهوى فيها منذ سبعين
خريفا حتى بلغ الآن قعرها فهذا بعض اوصافها المحسوسة واعلم ان فى هذا الخبر لطيفة يكشف سرها وهو ان الراوى قال
فسمعنا بعد ذلك صيحة وصراخا فقلنا ما هذا فقالوا فلان المنافق مات وكان عمره يومئذ سبعين سنة وقال
بعض من تلطف ان المراد بجهنم المشار اليها هى الدنيا ومتاعها وبالحجر هو ذلك المنافق استعارة ووجه المشابهة
ان ذلك المنافق لم ينتفع بوجوده مدة حيوته ولم يكتسب نفسه خيرا فاشبه الحجر فى ذلك وارسال الله تعالى هو وافضا
ما استعد له من اتباع هواه فيها والانهماك فى شهواتها والتيه عن سبيله المشار اليه بقوله يضل من يشاء و
شفيرها هو اولها بالنسبة اليه وذلك حين استعداده للانهماك فيها واول الهوى القايد له فى طريق الضلال
من متاعها ولذاتها وهويه فيها سبعين خريفا هو انهماكه فيها مدة عمره وبلوغه قعرها هو وصوله بموته الى غاية
العذاب بسبب ما اكتسب منها من ملكات السوء كما اومانا اليه غير مرة ثم نهى عن التلون فى دين الله وكنى به عن
منافرة بعضهم لبعض فان ذلك يستلزم الفرقة ولذلك قال فان جماعة فيما يكرهون من الحق خير من فرقة فيما
تحبون من الباطل المحبوب عندكم كمتاع الدنيا فان الاجتماع على الحق المكروه اليكم كالحرب مثلا خير لكم من
الافتراق فى الباطل المحبوب عندكم كمتاع الدنيا ثم عمم النهى عن الفرقة وقال فان الله لم يعط احدا بالفرقة خيرا
لا من الماضين ولا من الباقين ولما كان الحكمة الالهية الاجتماع والالفة والمحبة حتى يصير الناس كرجل واحد ويتم نظام
العالم بذلك كان فى الفرقة اضداد ذلك ولذلك ما روى عن الرسول صلى الله عليه وآله من فارق الجماعة قيد

شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وقد سبق بيان فضيلة الاجتماع ثم اعاد النهى عن الغيبة للناس بذكر عيوبهم
وبشر من عساه ان يستحى من نفسه بان لكل عيبا ينبغى ان يشتغل به وطوبى فعلى من الطيب والواو منقلبة عن الياء
وقيل هى اسم شجرة فى الجنة وعلى التقديرين هى مبتدأ خبره على فضل العزلة ولزوم البيت للاشتغال بطاعة الله
والبكاء على الخطيئة والندم عليها وقوله فكان من نفسه فى شغل الى آخره ذكر ثمرة العزلة واعلم ان الناس قد
اختلفوا فى ان العزلة افضل ام المخالطة ففضل جماعة من مشاهير الصوفية والعارفين العزلة منهم ابراهيم بن
ادهم وسفيان الثورى وداود الطائى والفضيل بن عياض وسليمان الخواص وبشر الحافى وفضل الآخرون
المخالطة ومنهم الشعبى وابن ابى ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وابن عيينة وابن المبارك واحتج الاولون بالنقل
والعقل اما النقل فقوله صلى الله عليه وآله لعبد الله بن عامر الجهنى لما سأله عن طريق النجاة فقال ليسعك بيتك
امسك عليك دينك وابك على خطيئتك وقيل له صلى الله عليه وآله اى الناس افضل فقال رجل معتزل فى شعب
من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وقال صلى الله عليه وآله ان الله يحب التقى النقى الخفى واما العقل فهو ان
فى العزلة فوايد مطلوبة لله لا توجد فى المخالطة فكانت اشرف منها الفراغ لعبادة الله والذكر له والاستيناس
بمناجاته والاستكشاف لاسراره فى امور الدنيا والآخرة من ملكوت السموات والارض ولذلك كان رسول الله
صلى الله عليه وآله يتعبد بجبل حراء ويعتزل به حتى اتته النبوة واحتج الآخرون بالقرآن والسنة اما القرآن فقوله
والف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وقوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ومعلوم ان العزلة
تنفى الف القلوب وتوجب تفرقها واما السنة فقوله صلى الله عليه وآله من فارق الجماعة قيد شبر خلع ربقة
الاسلام من عنقه وما روى ان رجلا اتى جبلا ليتعبد الله فيه فجاء به اهله الى الرسول صلى الله عليه وآله فنهاه عن ذلك
وقال له ان صبر المسلم فى بعض مواطن الجهاد يوما واحدا خير له من عبادة اربعين سنة واقول ان كلا الاحتجاجين صحيح
لكنه لا افضلية للعزلة مطلقا ولا افضلية للمخالطة مطلقا بل كل فى حق بعض الناس بحسب مصلحته وفى بعض الاوقات
بحسب ما يشتمل عليه من المصلحة واعلم انه لا بد ان يعرف مقاصد الانبياء عليهم السلام فى اوامرهم وتدبيراتهم فينبغى
ان يعرف طرفا من قوانين الاطباء ومقاصدهم من العبادات المطلقة لهم فانه كما ان الاطباء هم المعالجون للابدان
بانواع الادوية والعلاجات لغاية بقائها على صلاحها او رجوعها الى الصحة من الامراض البدنية كذلك الانبياء
عليهم السلام ومن يقوم مقامهم فانهم اطباء النفوس والمبعوثون لعلاجها من الامراض النفسانية كالجهل وساير
رذايل الاخلاق بانواع الكلام من الآداب والمواعظ والاوامر والنواهى والضرب والقتل وكما ان الطبيب قد يقول
الدواء الفلانى نافع من المرض الفلانى ولا يعنى به فى كل الامزجة بل فى بعضها كذلك الانبياء والاولياء اذا اطلقوا
القول فى شئ انه نافع كالعزلة مثلا فانهم لا يريدون انها نافعة لكل الانسان وكما ان الطبيب قد يصف لبعض
المرضى دواء ويرى ان ذلك الدواء بعينه لمريض آخر كالسم القاتل وربما يجر بغيره كذلك الانبياء عليهم السلام
قد يرون ان بعض الامور دواء لبعض النفوس فيقتصرون عليه وقد يرون ان بعض الاوامر علاج لبعض النفوس

كالامر بالعزلة والحث عليها لبعض الناس وقد يرون ان ذلك العلاج بعينه مضر لغير تلك النفس فيأمرونها
بضد ذلك كالامر بالمخالطة لكثير من الناس لان اكثر الكمالات الانسانية من العلوم والاخلاق انما تحصل
بالمخالطة خصوصا اذا كان ذلك الانسان اعنى المامور بالعزلة خاليا عن فضايل يحتاج الى ان يكتسب لهم
اكثر ما يحتاجون الى المخالطة لهم والاجتماع ليحصل الالفة والاتحاد بالمحبة وللاتحاد غايتان كليتان احديهما
حفظ اصل الدين وتقويته بالاتحاد والثانية تحصيل الكمالات التي بها نظام امر الدارين لان اكثر العلوم
والاخلاق تستفاد من العشرة والمخالطة كما حياه وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام في معنى الحكمين فاجمع
راى ملأكم على ان اختاروا رجلين فاخذنا عليهما ان يجعجعا عند القرآن ولا يجاوزاه وتكون السنتهما معه
وقلوبهما تبعه فتاها عنه وتركا الحق وهما يبصرانه وكان الجور هواهما والاعوجاج رايهما وقد سبق استثناؤنا
عليهما في الحكم بالعدل والعمل بالحق سوء رايهما وجور حكمهما والثقة في ايدينا لانفسنا حين خالفا سبيل الحق
واتيا بما لا يعرف من معكوس الحكم اقول هذا الفصل من خطبة خطبها بعد ما بلغه امر الحكمين والاجماع تتميم
العزم ويجعجعا يحبسا نفسيهما على القرآن والخطاب لمن انكر عليه عدم رضاه بالتحكيم بعد الرضا به وقد حكى فيه
اجماع راى جماعتهم على اختيار الرجلين وهما ابو موسى الاشعرى وعمرو بن العاص واخذه عليهما ان يحبسا نفسيهما على
العمل بالقرآن ولا يجاوزاه ويكون السنتهما وقلوبهما معه واطلق لفظ القلوب على الميول والارادة مجازا اطلاقا
لاسم السبب على المسبب كقوله تعالى فقد صغت قلوبكما وذلك هو شرط رضاه عليه السلام بالتحكيم ثم حكى خروجهما
عما شرط عليهما وتيههما عن الكتاب وتركهما الحق مع ابصارهما له وخروجهما عن فضيلة العدل بحسب الهوى الى
رذيلة الجور والاعوجاج عن طريق الحق وقوله وقد سبق استثناؤنا اعادة لذكر سبق الشرط في الحكم بالعدل
وسوء رايهما منصوب لانه مفعول سبق وقوله والثقة في ايدينا لانفسنا اى انا على برهان وثقة من امرنا وليس
بلازم لنا حكمهما لانهما خالفا الشرط واتيا بما لا يعرف من الحكم المعكوس وقد حكينا فيما سبق طرفا من حال
التحكيم وخداع عمرو بن العاص لابى موسى الاشعرى وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام لا يشغله شان
عن شان ولا يغيره زمان ولا يحويه مكان ولا يصفه لسان ولا يعزب عنه عدد قطر الماء ولا نجوم السماء ولا سوافي
الريح في الهواء ولا دبيب النمل على الصفا ولا مقيل الذر في الليلة الظلماء يعلم مساقط الاوراق وخفى طرف
الاحداق واشهد ان لا اله الا الله غير معدول به ولا مشكوك فيه ولا مكفور دينه ولا مجحود تكوينه شهادة من
صدقت نيته وصفت دخلته وخلص يقينه وثقلت موازينه واشهد ان محمدا عبده ورسوله المجتبى من خلائقه والمعتام
لشرح حقائقه والمختص بعقائل كراماته والمصطفى لكرائم رسالاته والموضحة به اشراط الهدى والمجلو به غربيب العمى
ايها الناس ان الدنيا تغر المؤمل لها والمخلد اليها ولا تنفس بمن نافس فيها وتغلب من غلب عليها وايم الله ما كان
قوم قط في غض نعمة من عيش فزال عنهم الا بذنوب اجترحوها لان الله ليس بظلام للعبيد ولو ان الناس حين
تنزل بهم النقم وتزول عنهم النعم فزعوا الى ربهم بصدق من نياتهم وولـه من قلوبهم لرد عليهم كل شارد واصلح لهم كل

فاسد وانى لاخشى عليكم ان تكونوا في فترة وقد كانت امور مضت ملتم فيها ميلة كنتم فيها عندى غير محمودين ولئن
رد عليكم امركم انكم لسعداء وما على الا الجهد ولو اشاء ان اقول لقلت عفا الله عما سلف اقول هذه الخطبة
خطب بها بعد مقتل عثمان في اول خلافته والدخلة بالكسر والضم باطن الشئ والمعتام المختار وعقائل الشئ
نفايسه واشراط الهدى علاماته والغربيب الاسود والمخلد اليها المائل اليها ولا تنفس لا تضن
وغض النعمة طريها وصدر الخطبة بالاشارة الى اعتبارات توحيدية الاول انه لا يشغله شان عن شان
وذلك لان الشغل لشئ عن شئ انما لقصور القدرة او العلم وقدرته تعالى وعلمه محيطان بكل مقدور ومعلوم
فاذن لا يشغله مقدور عن مقدور ولا معلوم عن معلوم وتقدير هذين السلبين في الكتب الكلامية والحكمية الثاني
لا يغيره زمان وقد بينا انه تعالى خالق الزمان ولا زمان يلحقه فلا تغير يلحقه بتغيره ولانه واجب الوجود ولا شئ
من المتغير ذاته او صفاته بواجب الوجود فلا شئ منه يلحقه التغير الثالث ولا يحويه مكان لبراءته عن الجسمية
ولواحقها وكلما كان كذلك فهو برئ عن المكان ولواحقه فينتج انه برئ من المكان ولواحقه الرابع ولا يصفه
لسان اى لا يعبر اللسان عن حقيقة وصفه وبيانه هو ان ذاته تعالى منزه عن وجوه التراكيب فمحال ان يقع
المعقول على حقيقته وصفه فكيف باللسان الذي هو المعبر عنها الخامس لا يعزب عنه عدد قطر الماء الى قوله الاحداق
وهو اشارة الى احاطة علمه المقدس بكليات الامور وجزئياتها وهذه مسئلة عظيمة حارت فيها العقول وقد
اشرنا اليها في المختصر الموسوم بالقواعد الالهية ثم عقب هذا التنزيه بالشهادة بكلمة التوحيد وذكر لله تعالى
احوالا تشهد بوحدانيته عليها الاول كونه غير معدول به اى لا عديل له ولا مثل الثاني ولا مشكوك فيه اى في وجوده فان ذلك
ينافي الشهادة بالوحدانية الثالث ولا مكفور دينه لان الجحود لدينه يستلزم النقصان في معرفته فكان الاعتراف
به كمالا لمعرفته وللشهادة بوحدانيته الرابع ولا مجحود تكوينه اى ايجاده للموجودات وكونه الها ثم عقب بوصف
المشهود له حال تلك الشهادة باوصاف الشاهد بها باعتبارها ثم وهي كونه صادق النية في تلك الشهادة
اى باعتقاد جازم وصافي الدخلة اى نقي الباطن من لوث النفاق وخالص اليقين بوجود المشهود له وكمال
وحدانيته من الشكوك والشبهات فيه وثقيل الموازين بكمال تلك الشهادة والقيام بحقوقها من سائر الاعمال
الصالحات واردفها باختها وذكر للمشهود بحقيقة رسالته اوصافا احدها كونه مجتبى من الخلائق ومصطفى
منهم وذلك يعود الى اكرامه باعداد نفسه لقبول انوار النبوة الثاني المختار لشرح حقائقه اى لايضاح ما خفى
من الحقائق الالهية والشرعية التي يبينها الثالث المختص بنفايس كراماته وهي الكمالات النفسانية من العلوم
ومكارم الاخلاق التي اقتدر معها على تكميل الناقصين الرابع والمصطفى لكرائم رسالاته اى رسالاته الكريمة
ونعتها باعتبار نفاسة نزول الاوامر عليه فان كل امر يبلغه الى الخلق رسالة كريمة الخامس الموضحة به اعلام
الهدى وهي قوانين الشريعة ودلالات الكتاب والسنة السادس والمجلو به غربيب العمى واستعار لفظ الغربيب
لشدة ظلمة الجهل ولفظ الجلاء لزوال تلك الظلم بانوار النبوة ثم اتبعها بالتنفير للناس منبها لهم على معايب الدنيا ومنها

منها انها تغر المؤمل لها والراكن اليها وذلك ان المؤمل لبعض مطالبها لا يزال يجدد له امارات
خيالية على مطالب وهمية وانها ممكنة التحصيل بالفعل فتوجب له مد الامل وقد يخترم دون بلوغها
وقد ينكشف بطلان تلك الامارات بعد العناء الطويل ومنها انها لا تنفس على من نافس فيها و
احبها بل تسوقه الى المهالك وترميه بغرائب من النوائب ومنها انها تغلب على من غلب عليها اى من ملكها
واخذها بالغلبة فعن قريب تقهره وتهلكه والاوصاف المذكورة التي من شانها ان يكون للعدو
القوي الداهي وهي كونها تغر المؤمل وتغلب مغالبها ولا يبقى على محبها استعارة ووجه المشابهة
استلزام الكون فيها والاغترار بها ومحبتها والتملك لها الهلاك فيها وغمها في الاخرة كاستلزام
المغرور بالعدو القاهر الداهي الذي لا يحب احدا والركون اليه الهلاك ثم اخذ عليه السلام في التنبيه
على وجوب شكر النعم واستدراكها بالفزع الى الله واقسم ان زوالها عنهم ليس الا بذنوب اجترحوها
وذلك اشارة الى ان الذنوب تعد لزوال النعم وحلول النقم لانهم لو استحقوا افاضة النعم مع
الذنوب لكان منعهم اياها منعا للمستحق المستعد وذلك ظلم وهو من الجود الالهي محال كما قال
تعالى وما ربك بظلام للعبيد والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم اى يستعدوا للتغيير بالمعاصي وقوله ولو ان الناس الى قوله كل فاسد اشارة الى ان الفزع
الى الله بصدق النية وولـه القلب وتحيره وذهوله عن كل شئ سوى الله يعد الاعداد التام لافاضة
المطالب سواء كانت عود نعمة واستعدادها او زوال نقمة او استمرارها على عدو ورد الشارد اى من
النعم واصلاح الفاسد من سائر الاحوال وقوله وانى لاخشى ان تكونوا في فترة كنى بالفترة عن امر
الجاهلية كناية بالمجاز اطلاقا لاسم الظرف على المظروف اى اخشى ان تكون احوالكم احوال الجاهلية
في التعصبات الباطلة بحسب الاهواء المختلفة وقوله وقد كانت امور الى قوله محمودين فالمشار اليه
تلك الامور التي مالوا فيها اى تقديمهم عليه من سبقه من الائمة وقال بعضهم هي حركاتهم وميلهم عليه
في تقديم عثمان وقت الشورى واختيارهم له وما جرى فيها من الاقوال والافعال وقوله ولئن رد
عليكم امركم اى صلاح احوالكم واستقامة سيرتكم التي كنتم عليها في زمن الرسول صلى الله عليه وآله
انكم لسعداء عند الله وفي الدنيا وما على الا الجهد اى في عود ذلك الامر عليكم وقوله ولو اشاء ان
اقول لقلت يفهم منه انه لو قال لكان مقتضى قوله نسبة من تقدم عليه الى الظلم له وتخطئتهم في التقدم
عليه وذكر معايب يقتضي وجوب تأخرهم في نظره وتقدير الكلام ولكني لا اقول فلم اكن مريدا للقول
وقوله عفا الله عما سلف اشارة الى مسامحته لهم بما سبق منهم اذ العادة جارية بان يقول الانسان مثل
ذلك فيما تسامح به غيره من الذنوب واحسن العبارات في ذلك لفظ القرآن الكريم فيقتبس في الكلام
وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام قاله لذعلب اليماني وقد ساله هل رايت ربك فقال افا

عبد ما لا ارى قال وكيف تراه قال لا تراه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان قريب من
الاشياء غير ملامس بعيد منها غير مباين متكلم بلا روية مريد بلا همة صانع بلا جارحة لطيف لا يوصف بالخفاء كبير لا يوصف
بالجفاء بصير لا يوصف بالحاسة رحيم لا يوصف بالرقة تعنو الوجوه لعظمته وتجب القلوب من مخافته اقول تعنو تخضع
وتجب القلوب تخفق والفصل مشتمل على شريف من التوحيد والتنزيه فقوله عليه السلام افاعبد ما لا ارى استفهام على سبيل
الانكار لعبادة ما لا يدرك وفيه ارشاد للسائل وقوله لا تدركه العيون الى آخره تنزيه له عن الرؤية بحاسة البصر
وشرح لكيفية الرؤية الممكنة له ولما كان تعالى منزها عن الجسمية ولواحقها من الجهة وتوجيه البصر اليه اردف ذكر ما
اراه وبه يدرك مما يكون لبصيرة العقل لا جرم نزهه عن ذلك واثبت له هذه فقال لا تدركه العيون الى قوله بحقائق
الايمان واراد بحقائق الايمان اركانه وهي التصديق بوجود الله ووحدانيته وسائر صفاته واعتبارات اسمائه الحسنى
وعد من جملة اعتبارات يدركها بها احدها كونه قريبا من الاشياء ولما كان المفهوم من القرب المطلق الملاصقة والالتصاق
وهما من عوارض الجسمية ونزهه تعالى عنها فقال غير ملامس فاوجبت هذه القرينة صرف ذلك اللفظ عن حقيقته الى مجازه وهو
القرب بالاشياء وقربه منها بعلمه المحيط وقد سبق الثاني كونه بعيدا منها ولما كان البعد يستلزم المباينة وهي ايضا
من لواحق الجسمية نزهه عنها بقوله غير مباين وقد سبق بيان ذلك مرارا فكان بعده عنها اشارة الى مباينته بذاته الكاملة
عن مشابهة شئ منها الثالث وكذلك قوله متكلم بلا روية وكلامه يعود الى علمه بصور الاوامر والنواهي وسائر انواع
الكلام عند قوم والى المعنى النفساني عند الاشعري والى خلقه الكلام في جسم النبي عند المعتزلة وقوله بلا روية تنزيه
له عن كلام الخلق لكونه تابعا للافكار والروية الرابع وكذلك مريد بلا همة تنزيه لارادته عن مثلها لنا في سبق
العزم والهمة لها الخامس صانع بلا جارحة وهو تنزيه لصنعه عن صنع المخلوقين لكونه بالجارحة التي هي من لواحق الجسمية
السادس وكذلك لطيف لا يوصف بالخفاء واللطيف يطلق ويراد به رقيق القوام ويراد به صغير الحجم المستلزم للخفاء
وعدم اللون من الاجسام والمحكم من الصنعة وهو تعالى منزه عن اطلاقه باحد هذه المعاني لاستلزامها الجسمية والامكان
فبقى اطلاقه عليه باعتبارين احدهما تصرفه في الذوات والصفات حيث ابعد الاسباب لمعدها لا افاضة كمالاتها و
الثاني جلالة ذاته وتنزيهه عن قبول الادراك البصري السابع رحيم لا يوصف بالرقة تنزيه له عما يلحقه من الالام
رقة الطبع والانفعال النفساني وقد سبق بيان كونه تعالى رحيما الثامن كونه عظيما تخضع الوجوه وتذهل لعظمته لانه المطلق
لكل موجود وممكن فهو العظيم المطلق بعزه باستحقاق ذل الكل وخضوعه له ووجيب القلوب اضطرابها من هيبته عند
ملاحظة كل منها ما يمكن له من تلك العظمة ومن كلام له عليه السلام في ذم اصحابه احمد الله على ما قضى من امر وقدر من فعل
وعلى ابتلائي بكم ايتها الفرقة التي اذا امرت لم تطع واذا دعوت لم تجب ان امهلتم خضتم وان حوربتم خرتم وان اجتمع الناس
على امام طعنتم وان اجئتم الى مشاقة نكصتم لا ابا لغيركم ما تنتظرون بنصركم والجهاد على حقكم الموت او الذل لكم فوالله
ان جاء يومى وليأتيني ليفرقن بيني وبينكم وانا لصحبتكم قال وبكم غير كثير لله انتم اما دين يجمعكم ولا حمية تشحذكم اوليس عجبا ان
معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء وانا ادعوكم وانتم تريكة الاسلام وبقية الناس الى المعونة

اوطايفة من العطاء فتفرقون عني وتختلفون عليّ ثم لا يخرج عليكم من امري رضا فترضونه ولا سخط فتجتمعون عليه
ان احب ما انا لاقٍ الي الموت قد دارستكم الكتاب وفاتحتكم الحجاج وعرفتكم ما انكرتم وسوغتكم ما مججتم لو كان الاعمى يلحظ
او النائم يستيقظ واقرب بقوم من الجهل بالله قائدهم معوية ومؤدبهم ابن النابغة اقول الخور الضعف ويحتمل ان يكون
من الخوار وهو الصياح والجيشة جذبتم وعيثم ونكص رجع على عقبيه والقالي المبغض والطغام اوغاد الناس والزبد
جمع الشام وعجز الفناء من غيره وقد حمد الله تعالى على ما قضى وقدر ولما كان القضاء هو الحكم الالهي بما يكون قال
ما قضى من امر لان الامر اعم من ان يكون فعلا ولما كان القدر هو تفصيل القضاء وايجاد الاشياء على وفقه قال وقدر
من فعل وقوله وعلى ابتلائه بكم تخصيص لبعض ما قضى وقدر وقوله ايتها الفرقة الى قوله نكصتم شرح لوجوه الابتلاء بهم
وحاصلها يعود الى مخالفتهم له في جميع ما يريد منهم مما ينتظم به حالهم وقوله الى ما تنتظرون اى الى شيء وقوله لا ابا
لغيركم دعاء بالذل لغيرهم وفيه نوع تلطف لهم والاصل لا اب والالف زائدة اما لاستثقال توالي اربع حركات فاشبعت
الفتحة فانقلبت الفا او لانهم قصدوا الاضافة واتوا باللام للتاكيد ثم اقسم ان لو جاء يومه اى وقت موته ليفرقن بينه
وبينهم وهو تهديد لهم بفراقه وانشعاب امورهم بعده وقوله وليأتين حشوة لطيفة في الكلام واتى بالمؤكدة لان اتيان
الموت امر محقق وكان تردد بها ما يقتضيه ان من شأنك ... هذه الحشوة بعدها ... فيهم ولصبرهم
بعضهم وانه غير كثير بهم لان الكثرة انما تراد للمنفعة حيث لا منفعة فكثرتهم كلا كثرة وقوله لله انتم جملة اسمية فيها معنى
التعجب ومثله لله ابوك ولله درك ثم اخذ في استفهامهم عما يدعونه موجودا فيهم وهو الدين والحمية والانفة ومن
شأن الدين ان يحمل على انكار المنكر والحمية ان تحمل ونشير القوة الغضبية لدفع العدو واستفهامه على سبيل
العجب والانكار عليهم وقوله اوليس عجبا الى قوله ويختلفون على استفهام لتقرير التعجب من حاله معهم في تفرقهم عنه حتى
عند الدعوة الى العطاء ومن حال معوية مع قومه في اجتماعهم عليه من غير معونة ولا عطاء وقوله المشهور ان معوية كان
استجلب على من استجلب من العرب بالاموال والرغائب فلم قال يتبعونه على غير معونة ولا عطاء قلنا ان معوية لم يكن
يعطي جنده على وجه المعونة والعطاء المتعارف بين الجند وانما كان يعطي رؤساء القبائل من اليمن والشام الاموال الجليلة
ليستعبدهم بها واولئك الرؤساء يدعون اتباعهم من العرب فيطيعونهم فصادق اذن انهم يتبعونه على غير معونة وعطاء
واما هو عليه السلام فانه كان يقسم بيوت الاموال بالتسوية بين الاتباع والرؤساء على وجه الرزق والعطاء ولا يرى لشريف
على مشروف فضلا وكان اكثر من يقعد عن نصرته من الرؤساء لما يجدونه في انفسهم من المساواة بينهم وبين الاتباع
واذا لم يحصل للاتباع بذلك غاية لو ايضا تابعة لرؤسائهم والمعونة ما يطلبه الجند في وقت الحاجة الى مهم لتجهيزهم
واصلاح دوابهم وهو خارج عن العطاء المفروض شهرا فشهرا واستعار لهم لفظ الترايك وجه المشابهة انهم خلفت كالتريكة
وبقية اهله كالبيضة التي تركها النعامة وقوله انه لا يخرج الى قوله فترضونه اى انه لا يخرج اليكم من امري امر من شأنه
ان ترضوا به او يحط منه فترضونه وتجتمعون عليه بل لا بد لكم من التفرق والمخالفة على الحالين ثم انه ذم على سوء صنيعه
معهم بان احب الاشياء اليه الموت وقد لاحظ هذه الحال ابو الطيب فقال كفى بك داء ان ترى الموت شافيا

دجب

وحسب المنايا ان تكن امانيا تمنيتها لما تمنيت ان ترى صديقا فاعيا اوعدوا مداجيا وقوله قد دارستكم الكتاب
الى قوله مججتم اشارة الى وجوه الاحسان عليهم وهي مدارستهم الكتاب اى تعليمهم وتفهيمهم الحجاج اى مجادلاتهم وتعريفهم
وجوه الاحتجاج وتعريفهم ما انكروه اى الامور المجهولة لهم وتسويغهم ما مجوه واستعار وصف التسويغ لما اعطاهم
لهم العطيات والارزاق التي كانوا يحرمونها من بعد غيره لو كان كمعوية واما لادخال العلوم في افواه اذهانهم
وكذلك لفظ المج لما انهم كانوا يحرمونها من بعد غيره او لعدم العلوم من اذهانهم ونبوا فهامهم عنها فكانهم لفظوها لعدم
قبولها للاساغة ووجه الاستعارتين ظاهر وقوله لو كان الاعمى الى قوله يستيقظ اشارة الى انهم جهال لا يلحظون باعين
بصائرهم ما افادهم من العلوم وغافلون لا يستيقظون من سنة غفلتهم بما ايقظهم به من المواعظ وغيرها ولفظ
الاعمى والنائم مستعاران والقوم في قوله واقرب بقوم هم اهل الشام وهو تعجب من شدة قربهم من الجهل بالله اذ كان
قائدهم في الطريق معوية ومؤدبهم ابن النابغة اى عمرو بن العاص وهو رئيس المنافقين واهل الغدر والخداع ولما
كان الرئيس القائد والمؤدب لتلك الطريق من الجهل والجور كان الرجلين المشار اليهما فما اقرب اتباعهما من
البعد عن الله والجهل به واقرب صيغة التعجب وقائدهم معوية جملة اسمية محلها الجر صفة لقوم وفصل بين الموصوف
والصفة بالجار والمجرور كما في قوله تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق
محل مردوا الرفع صفة لمنافقون وفصل بينهما بقوله ومن اهل المدينة والغرض من ذكرهم ووصفهم بما وصف التشنيع
عنهم ومن كلام له عليه السلام لرجل من اصحابه وقد ارسله ليعلم له علم قوم من جند الكوفة قد هموا باللحاق بالخوارج
وكانوا على خوف منه عليه السلام فلما عاد قال له امنوا فقطنوا ام جبنوا فظعنوا فقال بل ظعنوا يا امير المؤمنين فقال بعدا لهم
كما بعدت ثمود اما لو اشرعت الاسنة اليهم وصبت السيوف على هاماتهم لقد ندموا على ما كان منهم ان الشيطان
اليوم قد استفلهم وهو غدا متبرئ منهم ومتخل عنهم فحسبهم بخروجهم من الهدى وارتكاسهم في الضلال والعمى وصدهم
عن الحق وجماحهم في التيه اقول فقطنوا اقاموا وبعدت بالكسر هلكت واشرعت الرمح سددته وسويته نحو من تريد
ضربه واستفلهم اى طلب منهم التفرق والهزيمة ورتبها لهم والفل التفرق والانهزام والارتكاس الرجوع في الشيء
مقلوبا والفصل يشتمل على السؤال عن ظعنهم واقامتهم وعلتهما وهما الجبن ثم على الدعاء عليهم بالهلاك وانتصب
بعدا على المصدر ثم على الوعيد لكان سبب الندم على ما فعلوا وهو الهجوم عليهم بالقتل والاذلال على ما كان
منهم من الخروج باولياء الشيطان ثم على علة خروجهم لهم وهي استفلال الشيطان لهم وتفريقه لجماعتهم ويروى استفزهم
اى استخفهم ويروى استفلهم اى تعقلهم ورضي عنهم وهي اقوى القرينة قوله وهو غدا متبرئ منهم ومتخل عنهم اى تارك لهم
فان التبري في مقابلة الاستقبال وذلك كقوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الى قوله اني بريء منكم وقوله
فحسبهم بخروجهم من الهدى اى يكفيهم ذلك عذابا وشرا والباء في بخروجهم زائدة كهي في قوله تعالى وكفى بالله شهيدا
وارتكاسهم في الضلال والعمى رجوعهم الى الضلال القديم وهي الجهل الذي كانوا عليه بعد خروجهم منه بهدايته
وصدهم عن الحق بالخروج عن طاعته وجماحهم في تيه الجهل والهوى بعد الاستقرار في مدينة العلم والعقل ولفظ

الجماح مستعار لخروجهم عن فضيلة العدل الى رذيلة الافراط منها كما سبق والغلو في طلب الحق الحد المجور عن القرار
المستقيم وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام روى عن نوف البكالي قال خطبنا امير المؤمنين وهو قائم
على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي وعليه مدرعة من صوف وحمايل سيفه من ليف وفي رجله نعلان من ليف
وكان جبينه ثفنة بعير فقال الحمد لله الذي اليه مصاير الخلق وعواقب الامر نحمده على عظيم احسانه ونير برهانه ونوامي
فضله وامتنانه حمدا يكون لحقه قضاء ولشكره اداء والى ثوابه مقربا ولحسن مزيده موجبا ونستعين به استعانة راج
لفضله مؤمل لنفعه واثق بدفعه معترف له بالطول مذعن له بالعمل والقول ونؤمن به ايمان من رجاه موقنا واناب
اليه مؤمنا وخنع له مذعنا واخلص له موحدا وعظمه ممجدا ولاذ به راغبا مجتهدا لم يولد سبحانه فيكون في العز مشاركا
ولم يلد فيكون موروثا هالكا ولم يتقدمه وقت ولا زمان ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان بل ظهر للعقول بما
ارانا من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم فمن شواهد خلقه خلق السموات موطدات بلا عمد قائمات
بلا سند دعاهن فاجبن طائعات مذعنات غير متلكئات ولا مبطئات ولولا اقرارهن له بالربوبية واذعانهن
له بالطواعية لما جعلهن موضعا لعرشه ولا مسكنا لملائكته ولا مصعدا للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه جعل
نجومها اعلاما يستدل بها الحيران في مختلف فجاج الاقطار لم يمنع ضوء نورها ادلهمام سجف الليل المظلم ولا استطاعت
جلابيب سواد الحنادس ان ترد ما شاع في السموات من تلألؤ نور القمر فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج ولا
ليل ساج في بقاع الارضين المتطاطئات ولا في يفاع السفع المتجاورات وما يتجلجل به الرعد في افق السماء
وما تلاشت عنه بروق الغمام وما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف الانواء وانهطال السماء ويعلم
مسقط القطرة ومقرها ومسحب الذرة ومجرها وما يكفي البعوضة من قوتها وما تحمل من انثى في بطنها والحمد لله
الكائن قبل ان يكون كرسي او عرش او سماء او ارض او جان او انس لا يدرك بوهم ولا يقدر بفهم ولا يشغله سائل ولا
ينقصه نائل ولا يبصر بعين ولا يحد باين ولا يوصف بالازواج ولا يخلق بعلاج ولا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس
الذي كلم موسى تكليما واراه من اياته عظيما بلا جوارح ولا ادوات ولا نطق ولا لهوات بل ان كنت صادقا ايها
المتكلف لوصف ربك فصف جبريل وميكائيل وجنود الملائكة المقربين في حجرات القدس مرجحنين متولهة عقولهم
ان يحدوا احسن الخالقين وانما يدرك بالصفات ذو الهيئات والادوات ومن ينقضي اذا بلغ امد حده بالفناء فلا
اله الا هو اضاء بنوره كل ظلام واظلم بظلمته كل نور اوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي البسكم الرياش واسبغ عليكم
المعاش فلو ان احدا يجد الى البقاء سلما او لدفع الموت سبيلا لكان ذلك سليمان بن داود الذي سخر له ملك الجن
والانس مع النبوة وعظيم الزلفة فلما استوفى طعمته واستكمل مدته رمته قسي الفناء بنبال الموت فاصبحت الديار منه
خالية والمساكن معطلة وورثها قوم اخرون وان لكم في القرون السالفة لعبرة اين العمالقة وابناء العمالقة
اين الفراعنة وابناء الفراعنة اين اصحاب مداين الرس الذين قتلوا النبيين واطفأوا سنن المرسلين واحيوا سنن
الجبارين واين الذين ساروا بالجيوش وهزموا الالوف وعسكروا العساكر ومدنوا المداين اقول نقل الجوهري

في الصحاح ان نوفا البكالي بفتح الباء وتخفيف الكاف كان صاحب علي عليه السلام ونقل عن ثعلب انه منسوب الى بكالة
قبيلة وقال القطب الراوندي هو منسوب الى بكال وبكيل وبكال شيء واحد وهو اسم حي من همدان قال وبكيل اكثر
وقال الشارح عبد الحميد بن ابي الحديد والصواب غير ما قاله واتما هو بكال بكسر الباء من حمير فمنهم هذا الشخص وهو
نوف بن فضالة صاحب علي عليه السلام والاقوال محتملة واما جعدة بن هبيرة فهو ابن اخت امير المؤمنين عليه السلام ام هاني بنت ابي
طالب بن عبد المطلب بن هاشم وابو هبيرة بن ابي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وهو صحابي والثفنة بالكسر
واحدة الثفنات وهي ما يقع على الارض من اعضائه والخنوع الخضوع ويتعاوره يختلف عليه وموطدات ممهدات و
التلكؤ التوقف والطواعية الطاعة والفجاج الطرق بين الجبال والادلهمام شدة الظلمة والسجف الستور والحندس
بكسر الحاء الليل شديد الظلمة والسفع الجبال والسفعة سواد مشرب بحمرة وهو لون الجبال في الاكثر واليفاع المرتفع
من الارض والتجلجل صوت الرعد وتلاشى اضمحل والانواء جمع نوء وهو سقوط نجم من منازل القمر الثمانية والعشرين
في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته في كل ليلة الى ثلاثة عشر يوما وهكذا كل نجم منها الى انقضاء
السنة ما خلا الجبهة فان لها اربعة عشر يوما ومرجحنين مائلين الى جهة تحت والرياش اللباس والطعمة الماكلة
وقوله الحمد لله الى قوله الامر حمد له باعتبار كونه منتهى جميع اثاره في عالمي الخلق والامر انتهاء في اوليتها بالصنع و
الابداع وانتهاء في اخريتها الى غاية مطلوب السالكين وهو الباقي بعد كل شيء منها باعتبار وجوب وجوده فهو
مستحق البقاء الدائم وهي الممكنة والمستحقة للفناء باعتبار كونها ممكنة لها ولما كان الحمد قد يكون لاداء حق ما
سبق من النعمة وقد يكون للاستزادة منها كان قوله نحمده الى قوله ايامه نظرا الى ما سبق من انواع نعم الله وهي عظيم
احسانه بالخلق والايجاد على وفق الحكمة والمنفعة ثم باثاره في متقن صنعه ومحكم وعلى السنة رسله ليوقفنا
في صراطه المستقيم الى جنات النعيم ومعايننا اليها ثم بافاضة نوامي فضله وامتنانه كما يتنا في جنوبنا الدنيا
ثم بافاضة اسباب معاشنا ومعادنا وكان قوله والى ثوابه الى قوله موجبا نظرا الى الاشارة لما يستزاد منها وهو الغرض
من ثوابه الاخروي لاستكمال النفس بذلك وحسن مزيده من ثمره الحاضرة كما قال تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم ثم اردف ذلك
الشكر بطلب المعونة منه استعانة بالصفات المعدودة الى قوله والقول فان استعانة من هذه صفته تكون اقرب
الاستعانات الى اجابة المستعان بالعون لقوتها باستجماعها قوة الرجاء والامل له تعالى وحسن اليقين في قدرته
على بذل النفع ودفع الضر والشكر والاذعان بالطاعة العلمية والقولية ثم اردف ذلك بالاقرار بالايمان الكامل
وهو ايمان من استكمل الاوصاف المعدودة اثناء وهي جامعة للمطالب العالية منها حال اليقين التام بانه اهلها
والرجوع اليه عن جميع العرضات وفي سائر المهمات حال الايمان والخضوع حال انقياده لعزته ثم الاخلاص له حال
تمجيده واللوذ به حال الرغبة اليها والاجتهاد فيها وظاهر ان ذلك الايمان كامل ثم اخذ في تنزيهه تعالى باعتبارات
سلبية واضافية وغاية الواصفين منها انه لم يكن له والد فيكون له شريك في العز اذ العادة ان يكون والد العزيز
عزيزا ومنها انه لم يلد فيكون موروثا هالكا وهو تنزيه له عن صفات البشر اذ العادة ان الانسان يهلك فيرثه

ثم تعظيم حال م

ولعا وبرهانهما انهما من لواحق الحيوانية المستلزمة للجسمية المنزه قدسه عنها ومنها انه لم يسبقه وقت ولا زمان
والوقت جزء الزمان واذا كان خالق الوقت والزمان فبالحرى ان يتقدمهما ومنها انه لم يختلف عليه الزيادة
والنقصان لان الزيادة والنقصان من لواحق الممكنات لاستلزامهما التغير المستلزم للامكان المنزه قدسه عنه
ومنها انه ظاهر للعقول في علامات التدبير وهي الاحكام والاتقان في مصنوعاته الموجودة على وفق القضاء المحكم
فمن جملتها خلق السموات كقوله تعالى ان في خلق السموات والارض لآيات وقوله او لم ينظروا في ملكوت السموات
والارض وقد مر بيان كونها بلا عمد وقيامها بلا سند في الخطبة الاولى ودعاؤهن حكم سلطان القدرة الالهية
عليهن واجابتهن وخضوعهن في الوجود عن ذلك الحكم وطوعهن واذعانهن من غير تلكئ ولا ابطاء مع اجابتهن خضوعهن
في ذل الحاجة والامكان لواجب وجوده وسلطانه ولولا اقرارهن له بالربوبية والعمل الصالح من خلقه كلام حق فان
الاقرار بالربوبية له راجع الى شهادة لسان حال الممكن بالحاجة الى الرب والانقياد لحكم قدرته وظاهر انه لولا
وانقيادها عن قدرته وتدبيره لم يكن فيها عرش ولم يكن اهلا للقبول تدبير احوال الملائكة وسكانها ولم تكن فيها
لصعود الملائكة بالكلم الطيب والاعمال الصالحة الخالق وقد سبقت الاشارة الى بيان الصعود بالاعمال وغيرها
في الخطبة الاولى بحسب الامكان ولفظ الدعاء والاقرار والاذعان مستعارة ويحتمل ان يكون حقا بان ينظر
الى ان لها ارواحا مدبرة عاقلة وقوله وجعل نجومها الى قوله الاقطار اشارة الى بعض غايات وجود النجوم وقد
سبق بيان ذلك وقوله لم يمنع الى قوله القمر استعار لفظ السجف والجلابيب للشاخص من سواد الليل ووجه الاستعارة
ظاهر وخص القمر بالذكر لكونه من الآيات العظيمة والمقابلة بين الضياء والظلمة مقابلة العدم والملكة وكل
منهما يوجد بوجود سببه ويعدم بعدم سببه فلا يكون دفع احدهما بالاخر وظاهر ان ظلمة الليل نور القمر والنجوم لا تمنعه
من الوجود والتحقق ظلمة الليل بل بغيابه بحسب تعاقب اسبابهما المنتهية الى قدرة الصانع الحكيم جلت قدرته
وقوله فسبحان الى قوله في بطنها تنزيه له بحسب احاطة علمه بجميع كليات الاشياء وجزئياتها والخطابات
مهابط الارض وما تجلجل به الرعد اشارة الى التسبيح في قوله تعالى ويسبح الرعد بحمده وذلك التسبيح يعود الى شهادة
لسان حاله في ذلك الصوت على كمال قدرة مسخر السحاب ومؤلفه والمقدر لتصويته وقد عرفت سببه وما تلاشت
عنه بروق الغمام اشارة الى ما لم ينكشف للابصار باضاءتها واعتاض ذلك دون ما اضاءته لان العلم هناك اشرف
لتعلقه بما لا يدركه ابصار المخلوقين دون ما تتنبه لادراك الكل له واعتاض العواصف الى الانواء لان العرب
تضيف الآثار العلوية من الرياح والامطار والحر والبرد اليها ثم عاد الى حمده تعالى باعتبار تفرده في الوجود على تمام
مخلوقاته وقد عرفت ما يقال في الكرسي والعرش ثم نزهه تعالى باعتبارات سلبية الاول انه لا يدرك بوهم الثاني
انه لا يقدر بفهم اي لا يحد بفهم والفهم من صفات العقل وقد عرفت الاشارة الى عجز العقول والاوهام عن وصفه
تعالى الثالث ولا يشغله سائل لاحاطة علمه وقدرته وقد سبق بيانه ايضا الرابع ولا ينقصه نائل لان النقصان
يتوجه نحو ذي الحاجة وقد تنزه قدسه تعالى عنها الخامس كونه لا يبصر بعين اي ان ادراكه ليس بحاسة البصر وان كان

بصيرا

بصيرا وذلك لتنزه قدسه عن الحواس السادس ولا يحد باين اي لا يعده العقول بالامكنة ويحيط به باعتبارها البراءة
من التحيز وهو نفي الكم المتصلة عنه السابع ولا يوصف بالازواج وهو نفي الكم المنفصل عنه اي ليس فيه اثنينية و
تعددا الثامن ولا يخلق بعلاج تنزيه لصنعه عن وساطة الآلة والحيلة كما تزاوله اصحاب الصنائع التاسع ولا يدرك
بالحواس لتخصيص ادراكها بالاجسام وكيفياتها وتنزهه تعالى عن الجسمية ولواحقها العاشر ولا يقاس بالناس تنزيه
له عن التشبيه بخلقه في كما لاتهم كما يتوهمه اهل التجسيم الحادي عشر كونه كلم بلا جوارح ونطق ولا لهوات وهو تنزيه
له عن حال البشرية وعلمت في المقدمات كيفية سماع الانبياء عليهم السلام للوحي فاما قوله واراه من آياته عظيما
فقيل اراه آيات في كلامه لئلا يتبصر من قوله تكليما وقوله بلا جوارح اعراض عن غير مناسب والذي اراه من تلك الآيات
ما روي انه كان يسمع الصوت من جهات الست ليس على حد سماع البشر من جهة مخصوصة وله دوي كوقع السلاسل
العظيمة على الحصاة الصم وفي هذه الكيفية سر لطيف وكونه يسمع من الجهات الست اشارة الى ان الكلام كان
بايه فينتقش في لوح خياله لامن جهة بل نسبة الجهات الست اليه على سواء في عدم سماعه منها فلاجرم قيل يسمع من
الجهات الست وهو اولى من ان يقال يسمع لامن جهة لتعبده ذلك عن اوهام الخلق فاما كونه كوقع السلاسل في
القوة فاشارة الى عظمته بالنسبة الى فيشبه باشد الاصوات جرسا وقيل اراد بها الآيات التسع كانشقاق
البحر وقلب العصا ثعبانا وغيرها ثم نبه على عجز القوة البشرية عن وصفه كما له تعالى بقوله بل ان كنت صادقا
الى قوله احسن الخالقين وهي صورة قياس استثنائي متصل نبه به على عجز من يدعي وصف ربه كما هو وتقديره
كنت صادقا فايها المتكلف لوصف ربك في وصفه فصف بعض خلقه وهو جبرئيل وميكائيل وجنود ملائكة
المقربين ويحتج باستثناء نقيض تاليه اي لكنك لا يمكنك وصف هؤلاء بالحقيقة فلا يمكنك وصفه تعالى
بيان الملازمة انه وصفه تعالى اذا كان ممكنا لك فوصف بعض آثاره اسهل عليك واما بطلان التالي فلان
حقيقة جبرئيل وميكائيل وسائر الملائكة المقربين غير معلومة لاحد من البشر ومن عجز عن وصف بعض آثاره فهو
عن وصفه اعجز وحجرات القدس مقار الطهارة عن الهيئات البدنية والتعلقات الحائلة عن ثواب النفس
الامارة بالسوء واستعار لفظ المرجحين لخضوعهم تحت سلطان هيبته وعظمته وتولهت عقولهم حيرة في انتشائها
عن ادراك حقيقته بحد تعقب عنه عظمته فرتبة على ما يدرك من جهة الوصف وهو دون الهيئات والآلات التي
يحرز بها ويحيط بها الافهام من جهتها ومن بلحقه الفناء فيتقضي ذا بلغ امد حده ويقف الافهام على ذلك الحد
وظلله الحرابية منطلع على كنهه منها ثم عقب ذلك التنزيه بتوحيده ونفي الكثرة عنه وقوله اضاء بنوره كل ظلام
فالظلام اما محسوس فاضاءه بانوار الكواكب واما معقول وهو ظلام الجهل فاضاءه بانوار العلم والشرائع وقوله
واظلم بنوره كل نور اي جميع الانوار المحسوسة والمعقولة لغيره مضمحلة في نور علمه وظلام بالنسبة الى
ضياء براهينه في جميع مخلوقاته الكاشفة عن وجوده ثم شرع في المواعظ فبدأ بالوصية بتقوى الله باعتبار
امرين هما سبب البقاء في الحيوة الدنيا وهما الملبوس والمطعوم ويحتمل ان يريد بالمعاش سائر اسباب الحياة

وثنى بذكر انه لا سبيل الى البقاء ودفع الموت عمن بقي وبرواحتج عليه بقياس استثنائي تلخيصه لو ان احدا يجد
سبيلا الى دفع الموت لوجده سليمان ويتقدير الاستثناء لكنه لم يجده فلن يجده احد بعده اما الملازمة فلان
سليمان كان اقوى سلطان وجد في العالم لاستيلاء حكمه على ملك الجن والانس مع النبوة وعظيم الزلفة عند الله
فكان اولى بدفعه لو كان يمكن دفعه واما بطلان التالي فلانه لما استوفى طعمته واستكمل مدته رمته قسي الفناء
بنبال مدفعا الدفع عن نفسه فقوله فلو ان الى قوله سبيلا هو مقدم الشرطية وقوله لكان ذلك الى قوله عليه السلام
هو التالي وقوله الذي الى قوله الزلفة بيان لوجه الملازمة وقوله فلما استوفى الى قوله قوم آخرون هو بيان بطلان
التالي ولفظ القسي والنبال استعارة لرامي الامراض واسبابها التي هي نبال الموت ووجهها ظاهر ثم شرع
في التنبيه على الاعتبار باحوال القرون السالفة واستفهم عن قرن قرن منهم على فنائهم واستفهاما على سبيل
التقرير والعماليق اولاد لاود بن سام بن نوح وكان الملك باليمن والحجاز وما تاخم ذلك من الاقاليم ومن اولاده
عملاق وطسم وجديس وكان العز والملك بعد عملاق بن لاوذ في طسم فلما ملكهم عملاق بغى واكثر العيث
والفساد في الارض حتى كان يطأ العروس ليلة هدائها الى بعلها وان كانت بكرا افتضها قبل وصولها اليه
ففعل ذلك بامرأة من جديس فغضب لها اخوها وتابعه قومه على الفتك بعملاق بن طسم واهل بيته فصنع اخوها
طعاما ودخل عملاق الملك اليه ثم وثب به وبطسم فاتى على رؤسائهم ونجا منهم رياح بن
فصار الى ذي جيشان بن تبع الحميري ملك اليمن فاستغاث به واستنجده على جديس واتى ذو جيشان في حمير بلاد
جو وهي قصبة اليمامة فاستاصل جديسا واخرب اليمامة فلم يبق لجديس باقية ولا لطسم الا اليسير منهم ثم ملك
بعد طسم وجديس وبار بن اميم بن لاوذ بن ادم بولده واهله فنزل بارض وبار وهي المعروفة الان برمل عالج فعتو
في الارض جميعا فافناهم الله ثم ملك بعد وبار عبد ضخم بن اسف بن لاوذ فنزلوا بالطائف حينا ثم بادوا ولما الفراعنة
فهم ملوك مصر فمنهم الوليد بن الريان فرعون يوسف ومنهم الوليد بن مصعب فرعون موسى ومنهم فرعون الاعرج
الذي غزا بني اسرائيل واخرب بيت المقدس واما اصحاب مدائن الرس فقيل انهم اصحاب شعيب النبي وكانوا عبدة
اصنام ولهم مواشي وابار يسقون منها والرس بئر عظيم جدا انخسفت بهم وهم حولها وقيل الرس قرية باليمامة
كان يسكنها قوم من بقايا ثمود فبغوا فاهلكوا وقيل الرس اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود وقيل الرس نهر
في اقليم الباب والابواب مبداه من مدينة طراز وينتهي الى نهر الكر فيختلط به حتى يصب في بحر الخزر وكان هناك ملوك
اولوا باس وقدرة فاهلكهم الله ببغيهم وبالله التوفيق منها قد لبس للحكمة جنتها واخذها بجميع ادبها من
الاقبال عليها والمعرفة بها والتفرغ لها فهي عند نفسه ضالته التي يطلبها وحاجته التي يسئل عنها فهو مغترب
اذا اغترب الاسلام وضرب بعسيب ذنبه والصق الارض بجرانه بقية من بقايا حجته خليفة من خلائف انبيائه
ثم قال عليه السلام ايها الناس اني قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ بها الانبياء اممهم واديت اليكم ما ادت
الاوصياء الى من بعدهم وادبتكم بسوطي فلم تستقيموا وحدوتكم بالزواجر فلم تستوسقوا لله انتم اتتوقعون اماما

بعون

غيري يطأ بكم الطريق ويرشدكم السبيل الا انه قد ادبر من الدنيا ما كان مقبلا واقبل منها ما كان مدبرا وازمع الترحال
عباد الله الاخيار وباعوا قليلا من الدنيا لا يبقى بكثير من الاخرة ما لا يفنى ما ضر اخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفين
الا يكونوا اليوم احياء يسيغون الغصص ويشربون الرنق قد والله لقوا الله فوفاهم اجورهم واحلهم دار الامن بعد
خوفهم اين اخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق اين عمار واين ابن التيهان واين ذو الشهادتين واين نظراؤهم
من اخوانهم الذين تعاقدوا على المنية وابرد برؤسهم الى الفجرة ثم ضرب بيده الى لحيته فاطال البكاء ثم قال اوه على اخواني
الذين تلوا القرآن فاحكموه وتدبروا الفرض فاقاموه احيوا السنة واماتوا البدعة دعوا للجهاد فاجابوا ووثقوا
بالقائد فاتبعوه ثم نادى باعلى صوته الجهاد الجهاد عباد الله الا واني معسكر في يومي هذا فمن اراد الرواح الى الله فليخرج
قال نوف وعقد للحسين عليه السلام في عشرة الاف ولقيس بن سعد في عشرة الاف ولابي ايوب الانصاري ولغيرهم على اعداد
اخر وهو يريد الرجعة الى صفين فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله فتراجعت العساكر فكنا كاغنام
فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كل مكان اقول جران صدره وعسيب ذنبه طرفه واستوسق الامر انتظم واجتمع
الرنق الكدر والرنق بالسكون الكدر وابرد ارسل واوه ساكنة الواو ومكسورة الها كلمة توجع والاحتطاب والتحطب
الاخذ بسرعة والاشارة الى العارف مطلقا وقال بعض الامامية الاشارة الى الامام المنتظر وليس بواضح من هذا
الكلام ولفظ الجنة مستعار للاستعداد للحكمة بالزهد والعبادة الحقيقيين والمواظبة على العمل باوامر الله ووجه
الاستعارة ان ذلك الاستعداد مانع من اصابة سهام الهوى ونوازع دواعي الشهوات القائدة الى النار كما يمنع لابس
الجنة من اذى الضرب والجرح واخذها بجميع ادبها من الاقبال عليها والمعرفة بها اي بمقدارها والتفرغ لها عن العلائق
الدنيوية بالزهد من جملة الاستعداد لها ولفظ الضالة لمكان انشاده لها وطلبه كما يطلب الضالة من الابل واليه
الاشارة بقوله عليه السلام الحكمة ضالة المؤمن وقوله فهو مغترب اذا اغترب الاسلام اشارة الى اخفائه نفسه ولزوم
العزلة عند اغتراب الاسلام وضعفه بظهور البدع والمنكرات كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله بدا الاسلام
غريبا وسيعود غريبا كما بدا واستعار لفظ العسيب والذنب والجران ملاحظة لشبهه بالبعير البارك وكنى بذلك عن
ضعفه وقلة نفعه فان البعير قلما يكون نفعه حال بروكه وقوله بقية من بقايا حجته اي على خلقه اذ العلماء والعارفون
حجج الله في الارض على عباده وظاهر كونه خليفة من خلائف انبيائه لقوله صلى الله عليه وآله العلماء ورثة الانبياء وقوله
ثم لم تستوسقوا تذكير بموعظته لهم واعذاره اليهم باداء ما كلف به في حقهم مما كلفت به الانبياء مع اممهم والاوصياء الى
من بعدهم ومعاتبة لهم وتوبيخ على عدم استقامتهم واجتماعهم على امره مع تاديبه لهم بالضرب والتحريض بالزواجر وقوله
لله انتم الى قوله السبيل استفهام لهم عن توقعهم اماما هاديا ومرشدا غيره استفهاما على سبيل الانكار لوجود سبيل لذلك
الامام واكد ذلك الانكار المفهوم من الاستفهام بقوله الا انه قد ادبر من الدنيا ما كان مقبلا اي من الخير وصلاح اهلها
واقبل منها ما كان مدبرا اي من الشرور التي ادبرت بمقدم الرسول صلى الله عليه وآله وظهور الاسلام وازمع للترحال عباد
الله الاخيار المتوقع فيهم امام كهو عليه السلام في الهداية لسبيل الله وازماعهم للترحال كناية عن قضاء الزمان

لهذا ثمنهم من الدنيا والرحيل عنها ثم استعار لفظ البيع لتعويضهم بالقليل الفاني من متاع الدنيا والكثير الباقي
من متاع الآخرة ثم اخذ في التذكير بمعنى ضرر الموت وعدم الحيوة عن اخوانه من الصحابة الذين قتلوا بصفين ورغّبهم
في تلك الحياة بكونها محل تجرع الغصص وشرب الكدر من الالام والاعراض ومشاهدة المنكرات ولما نفد في تلك
الحيوة نبّه على ما لهم في عدمها من الفائدة وهي لقاء الله وتوفيته لاجورهم على الاعمال الصالحة وحلولهم دار الامن في
الجنة بعد خوفهم من فتن اهل الضلال ثم اخذ في الاستفهام عن ركب طريق الحق ومضى مستصحبا له استفهاما على سبيل
التوجع لفقدهم والتوحش لفراقهم ثم عن اعيان كابرهم فذكر عمار بن ياسر وفضيلته في الصحابة مشهورة وابوه عربي قحطاني
وامه امة لابي حذيفة بن المغيرة المخزومي وولدت عمارا فاعتقه ابو حذيفة فمن هنالك كان عمار مولى لبني مخزوم واسلم هو
وامه سمية فعذبهما بنو مخزوم في الله فاعطاهم عمار ما طلبوا بلسانه مع اطمينان قلبه بالايمان فنزلت فيه الا من اكره وقلبه مطمئن
بالايمان وهاجر الى ارض الحبشة وصلى القبلتين وهو من المهاجرين الاولين وشهد بدرا والمشاهد كلها وابلى
بلاء حسنا ثم شهد اليمامة فابلى فيها ايضا ويومئذ قطعت اذنه وعن ابن عباس في قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه
وجعلنا له نورا يمشي به في الناس قال هو عمار بن ياسر وعن عائشة انها قالت ما من احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وآله
يقول انه ملئ ايمانا الى اخمص قدميه وعنه صلى الله عليه وآله عمار جلدة ما بين عيني تقتله الفئة الباغية لا انالها الله شفاعتي
صلى الله عليه وآله من ابغض عمارا ابغضه الله واما ابن التيهان بتاء مشددة مفتوحة بنقطتين من فوق بعدها ياء
مشددة مكسورة بنقطتين من تحت ويروى مخففة ساكنة فهو من الانصار كنيته ابو الهيثم واسمه مالك بن مالك
وقيل بل اسمه عبد بن عمرو بن الحرث وهو التيهان كان احد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرا والمشهور انه ادرك صفين
مع علي عليه السلام وقيل انه توفي في زمن الرسول صلى الله عليه وآله واما ذو الشهادتين فكنيته ابو عمارة واسمه خزيمة
ابن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الخطمي الانصاري من الاوس جعل رسول الله صلى الله عليه وآله شهادته بشهادة رجلين
لقصة مشهورة وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد وكانت راية بني خطمة من الاوس يوم الفتح بيده وشهد صفين
مع علي عليه السلام فلما قتل عمار قاتل هو حتى قتل معه ونظراؤهم من اخوانه الذين قتلوا بصفين معه من الصحابة
كابن بديل وهاشم بن عتبة ونحوهما وما قدمهم على المنية انما هم على المقاتلة الى ان قتلوا ودوى بهامهم
والفجرة الذين حملت رؤسهم اليهم امراء الشام ثم اخذ في التشكي والتوجع على فقدهم ثم اشار الى فضائلهم التي هي
غاية الشريعة المطلوبة منهم بها وهي تلاوة القرآن واحكامه بفهم مقاصده ومعانيه والتدبر للغرض اي فهم ما لا
العبادات واقامتها والمواظبة عليها نظرا الى اسرارها واحياء السنة النبوية واماتة البدع المخالفة لها و
اجابتهم للدعوة الى الجهاد لاقامة الدين ووثوقهم بقائدهم اليه في سبيل الله يعني نفسه واتباعهم له والرواح الى
الله الخروج الى الجهاد الذي هو سبيل الموصلة اليه الى ثوابه وقيس بن سعد الخزرجي صحابي كنيته ابو عبد الملك
روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله احاديث وابوه سعد من رؤساء الخزرج وهو سعد بن عبادة الذي حاول
الامرة واقامة خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وكان قيس هذا من كبار شيعة علي ومحبيه وشهد معه حروبه

كلها وكان مع الحسن ابنه ونقم عليه صلحه لمعوية واما ابو ايوب الانصاري فهو خالد بن سعد بن كعب الخزرجي من بني النجار
شهد العقبة وبدرا وسائر المشاهد وعليه نزل رسول الله صلى الله عليه وآله لما خرج عن بني عمرو بن عوف حين قدم المدينة
مهاجرا فلم يزل عنده حتى بنى مسجده ومساكنه ثم انتقل اليها وشهد مع علي مشاهده كلها الجمل وصفين وكان على مقدمته
يوم النهروان وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله المعروف من غير رؤية والخالق من غير منصبة
خلق الخلائق بقدرته واستعبد الارباب بعزته وساد العظماء بجوده وهو الذي اسكن الدنيا خلقه وبعث الى
الجن والانس رسله ليكشفوا لهم عن غطائها وليحذروهم من ضرائها وليضربوا لهم امثالها وليبصروهم عيوبها و
ليهجموا عليهم بمعتبر من تصرف مصاحها واسقامها وحلالها وحرامها وما اعد الله سبحانه للمطيعين منهم والعصاة
من جنة ونار وكرامة وهوان احمده الى نفسه كما استحمد الى خلقه وجعل لكل شيء قدرا ولكل قدر اجلا ولكل اجل
كتابا **اقول** المنصبة التعب وحمد الله باعتبار كونه معروفا بآيات آثاره عند العقول المعرفة المنزهة عن ادراك البصر
المختص بالاجسام ولو لحقها ثم باعتبار كونه خالقا وموجدا لا بآلة المنزه عن المتاعب لاستلزامها الآلات السلوك
الجسمية التي من شأنها الضعف والنهاية في القوة ثم به على استناد الخلائق والنعم المفاضة الى قدرته ليعتبر
السامعون نسبتهم اليه وباعتبار استعباده الارباب على كمال عزه المطلق لواجب المستلزم لخضوع كل موجود في
ذل الامكان والحاجة اليه وبسيادته العظماء على كمال عظمة وجوده الواجبي المطلق المستلزم لفقر كل ما عداه
لم ترغبه اسكانهم الدنيا وبعثه رسله الى الجن والانس منهم كما قال يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون
عليكم آياتي الآية على كمال لطفه بخلقه وحكمته في ايجادهم في الدنيا وغاية ذلك ان يكشفوا لهم ما يغطي عيب
الدنيا من امين بصائرهم من احوال الآخرة التي خلقوا لها وان يحذروهم بالتحذير من ضرر الدنيا وعواقبها وضرب
الامثال بتبيينها كما في القرآن الكريم انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه الآية وامثالها وان يبصروهم عيوبها
وان يهجموا عليهم بما في تصاريفها من العبر وهي الصحة والسقم والحلال والحرام على طريق الابتلاء وحلالها عطف على
تصرف ويحتمل ان يكون عطفا على اسقامها باعتبار ان الحلال والحرام من تصاريف الدنيا وبيانه ان كثيرا من المحرمات
التي كانت حلالا من قبل وبالعكس وذلك تابع لمصالح الخلق بمقتضى تصاريفها وقيامهم واحوالهم في تصاريف
الدنيا وقوله وما اعد الله عطف على معتبر او على عيوبها اي ويبصرونهم ما اعد الله للمطيعين والعصاة في الآخرة
وقوله احمده الى نفسه كما استحمد الى خلقه اي احمده حمدا يكون في الكيفية والكمية على الوجه الذي طلبه لنفسه
من خلقه وقوله جعل لكل شيء قدرا كقوله تعالى قد جعل الله لكل شيء قدرا ومقدارا من الكيفية والكمية التي هي حقه
يقف عنده ولكل اجل كتابا واراد بالكتاب العلم الالهي المعبر عنه بالكتاب المبين واللوح المحفوظ المحيط بكل شيء
وقيد قدر كل شيء وبالله التوفيق **منها** في ذكر القرآن والقرآن آمر زاجر وصامت ناطق حجة الله على خلقه
اخذ عليه ميثاقهم وارتهن عليه انفسهم اتم نوره واكرم به دينه وقبض نبيه صلى الله عليه وآله وقد فرغ الى الخلق من احكام
الهدى به فعظموا منه سبحانه ما عظم من نفسه فانه لم يخف عنكم شيئا من دينه ولم يترك شيئا رضيه او كرهه الا

وجعل له علما باديا واية محكمة تزجر عنه او تدعو اليه فرضاه فيما بقي واحد وسخطه فيما بقي واحد واعلموا انه لن يرضى
عنكم بشيء سخطه ممن كان قبلكم ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممن كان قبلكم وانما تسيرون في اثر بين وتتكلمون
برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم قد كفاكم مؤنة دنياكم وحثكم على الشكر وافترض من السنتكم الذكر واوصاكم
بالتقوى وجعلها منتهى رضاه وحاجته من خلقه فاتقوا الله الذي انتم بعينه ونواصيكم بيده وتقلبكم في قبضته
ان اسررتم علمه وان اعلنتم كتبه وقد وكل بكم حفظة كراما لا يسقطون حقا ولا يثبتون باطلا واعلموا ان من يتق
الله يجعل له مخرجا من الفتن ونورا من الظلم ويخلده فيما اشتهت نفسه وينزله منزل الكرامة عنده في دار اصطنعها
لنفسه ظلها عرشه ونورها بهجته وزوارها ملائكته ورفقاؤها رسله فبادروا المعاد وسابقوا الآجال فان
الناس يوشك ان ينقطع بهم الامل ويرهقهم الاجل ويسد عنهم باب التوبة فقد اصبحتم في مثل ما سأل اليه الرجعة من
كان قبلكم وانتم بنو سبيل على سفر من دار ليست بداركم وقد اوذنتم بالارتحال وامرتم فيها بالزاد واعلموا انه ليس لهذا
الجلد الرقيق صبر على النار فارحموا نفوسكم فانكم قد جربتموها في مصائب الدنيا افرايتم جزع احدكم من الشوكة تصيبه
والعثرة تدميه والرمضاء تحرقه فكيف اذا كان بين طابقين من نار ضجيع حجر وقرين شيطان اعلمتم ان مالكا اذا غضب
على النار حطم بعضها بعضا لغضبه واذا زجرها توثبت بين ابوابها جزعا من زجرته ايها اليفن الكبير الذي قد لهزه
القتير كيف انت اذا التحمت اطواق النار بعظام الاعناق ونشبت الجوامع حتى اكلت لحوم السواعد فالله الله معشر العباد
وانتم سالمون في الصحة قبل السقم وفي الفسحة قبل الضيق فاسعوا في فكاك رقابكم من قبل ان تغلق رهائنها اسهروا عيونكم
واضمروا بطونكم واستعملوا اقدامكم وانفقوا اموالكم وخذوا من اجسادكم فجودوا بها على انفسكم ولا تبخلوا بها
عنها فقد قال الله سبحانه ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم وقال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه
له وله اجر كريم فلم يستنصركم من ذل ولم يستقرضكم من قل استنصركم وله جنود السموات والارض وهو العزيز الحكيم
واستقرضكم وله خزائن السموات والارض وهو الغني الحميد وانما اراد ان يبلوكم ايكم احسن عملا فبادروا باعمالكم
تكونوا مع جيران الله في داره رافق بهم رسله وازارهم ملائكته واكرم اسماعهم عن ان تسمع حسيس نار ابدا وصان
اجسادهم ان تلقى لغوبا ونصبا ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم اقول ما تسمعون والله المستعان
على نفسي وانفسكم وهو حسبنا ونعم الوكيل **اقول** اليفن الشيخ الكبير والقتير الشيب ولهزه خالطه والجوامع جمع جامعة
وهي الغل لجمعها الايدي الى الاعناق واللغوب التعب وقد وصف القرآن الكريم بالاسناد المتعادية لاختلاف
الاعتبارات فالامر مع الزاجر واطلاقهما عليه مجاز من باب اطلاق اسم السبب على المسبب فالامر والناهي هو الله
تعالى والصامت مع الناطق واطلاق لفظ الناطق عليه مجاز اذ الناطق هو المتكلم من باب اسم المتعلق على المتعلق
وكونه حجة لله على خلقه لاشتماله على وعدهم ووعيدهم وبيان غاية وجودهم والمطلوب منهم والاعذار اليهم ان يقولوا
يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ولانه خلاصة ما بعث به الرسول صلى الله عليه وآله وقد بعث رسلا مبشرين
ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولانه احوى المعجزات التي احتج بها الرسول على الخلق في صدقه

وقوله اخذ عليهم ميثاقهم اي الزمهم حفظه وفي ميثاقه للكتاب وذلك لاخذ هو خلقهم وبعثهم الى الوجود على العمل
بما اشتمل عليه الكتاب من مطالب الله الحقة وهو ما اشار اليه القرآن الكريم واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
ذريتهم الآية والتعذيب لاخذ عليهم الميثاق بما فيه وقوله وارتهن عليه انفسهم اي جعل انفسهم رهنا على العمل بما فيه
والوفاء به فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما واتم به نوره اي نوره في
الخلق والنور المتمم هو نور النبوة وهو المشار اليه بقوله تعالى يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى
الله الا ان يتم نوره واطفاؤه بما كانوا يقولونه من كونه صلى الله عليه وآله معلم مجنون وساحر كذاب وكون القرآن اساطير
الاولين اكتتبها وكذلك اكرم به دينه وقوله وقبض نبيه الى قوله به كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم الآية واحكام
الهدى بيان طرقه وكيفية سلوكها وتثبيتها في قلوب المؤمنين ثم امر بتعظيم الله تعالى يقال عظمت فلانا من
فلان كما يقال عظمته وما هنا مصدرية اي عظموه كتعظيمه لنفسه اي اطلبوا المناسبة في تعظيمكم له لتعظيمه نفسه
ثم اشار الى وجه وجوب تعظيمه له وهو قوله لم يخف عنكم شيئا من دينه بل كشفه لنا وبينه باجمعه مقدار الامكان
ولم يترك شيئا من مراضيه ومكارهه الا نصب عليه علما ظاهرا وآية واضحة من كتابه تشتمل على امر بما يرضيه او زجر
عما يكرهه وقوله فرضاه فيما بقي واحد وسخطه فيما بقي واحد اشارة الى ان المرضي له من الاحكام والمسخوط فيما مضى
هو المرضي والمسخوط فيما بقي من الاوقات واستقبل من الزمان وحكمته في كونه مرضيا او مسخوطا واحد في جميع
الاوقات لا يتغير ولا ينقص وفيه ايماء الى ان رفع شيء من الاحكام الثابتة بالقياس والراي لا يجوز كما سبق
بيان مذهبه عليه السلام في ذلك وقوله فانه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم الى قوله قبلكم تاكيد
وتقرير لما سبق اي ان ما سخطه ونهى عنه الصحابة مثلا فلن يرضى عنكم بفعله فليس لكم ان تجوزوه وتحلوه بلحنها
وكذلك ما وصاهم وامرهم به فلن يسخط عليكم بفعله حتى تحرموه باجتهاد منكم ويحتمل ان يريد بقوله فرضاه
فيما بقي واحدا وسخطه فيما بقي واحد اي فيما بقي من الاحكام الجزئية التي لم يدل النص عليها بالمطابقة بل يحتاج
الى الاجتهاد في الحاقها بالمنصوص وادراجها تحت النصوص ومعنى وحدة رضاه وسخطه فيها ان الحكم المطلوب
او المكروه فيها واحد لا يجوز الاختلاف فيه حتى يحكم احد المجتهدين في الشيء الواحد بالحل ويحكم الآخر فيه بالحرمة
ويختلف الفتاوى بل الحكم في تلك القضية اما مسخوط او مرضي ويكون ذلك نهيا منه عليه السلام عن الاختلاف
في الفتيا كما علمت ذمه لذلك فيما سبق من الفصول ويكون قوله واعلموا انه لن يرضى عنكم الى قوله قبلكم في معنى
النهي عن رفع الاحكام الشرعية بالاجتهاد والقياس كما قررناه وقيل معناه النهي عن الاختلاف في الفتيا ايضا اي
انه لن يرضى عنكم بالاختلاف الذي سخطه ممن كان قبلكم كما اشار اليه تعالى بقوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا
شيعا لست منهم في شيء وكذلك ليس يسخط عليكم بالاتفاق والاجتماع المرضي ممن كان قبلكم وقيل بل المراد
لن يرضى عنكم بشيء سخطه ممن كان قبلكم من الاعتقادات الباطلة في المسائل الالهية ولن يسخط عليكم بشيء
رضيه ممن كان قبلكم من الاعتقادات الحقة فيها ويكون ذلك مختصا بالاصول دون الفروع وقوله وانما

تبرون فی تربتی الی قوله قبلکم اشارة الی ان الاداة لکم واضحة وقد تداولها الاولون قبلکم فانتم تتکلون
بها وتردّدونها ورجع القول المردّد منه وقوله قد کفاکم مؤنة دنیاکم کقوله تعالی وآتاکم من کل ما سألتموه وتلك
الکفایة اما بخلقها او ایجادها او اما برزقه بکل ما کتب له فی اللوح المحفوظ وحثّ علی الشکر فی تکرارا وامره به وقول
من الحسن البصری انه قال ان الله کفانا مؤنة دنیانا وحثنا علی القیام بوظایف دیننا فلیته کفانا مؤنة دیننا
وحثنا علی القیام بوظایف دنیانا وهو اشارة منه الی شدة التحفظ فی الدین والاحتراز علیه وقوله وافترض من
السنتکم الذکر ولما کان لکل من الجوارح عبادة کانت العبادة المفروضة باعتبار اللسان الذکر وقد علمت
انه باب عظیم من ابواب السلوك الی الله بل هو روح العبادات کلها اذ کل عبادة لم تشفع بالذکر فهی خداج ثم رتبه
علی التقوی بوصیته الله تعالی فیها ثم بکونها منتهی رضاه وحاجته من خلقه ولفظ الحاجة مستعار اذ تنزّه وقدس
تعالی عنها ووجه شبهه للحاجة هو الحث والطلب المتکرر منه حتی کانه محتاج الی عبادة العباد وتقویهم ولما
استلزمت التقوی الحقیقیة الوصول الی الله لاجرم کانت منتهی رضاه من خلقه ثم امرهم بها بعد التنبیه علیها و
علی الوجوه التی لاجلها تحصیل تقوی الله وحسنه وهی کونهم بعینه ای بحیث یعلم ما یعملون ولفظ العین مجاز فی
العلم اطلاقا لاسم السبب علی المسبب لاستلزامها اياه وكون نواصيهم بيده اى فى قدرته وانه احصن الناصية
اشارة الی ان اعلی ما فی الانسان واشرف ما فیه مملوك والید مجاز فی القدرة اطلاقا لاسم السبب القابلی علی
المسبب وکذلك کون تقلّبهم فی قبضته ای تصرفهم فی حرکاتهم وسکناتهم بحسب تصریف قدرته وحکمه لا مرجع لهم
فی شیء وقوله ان اسررتم علمه کقوله تعالی یعلم ما تسرون وما تعلنون الی قوله باطلاعه وقد سبقت الاشارة الی
جزیرة ثم اکد القول فی التقوی بقوله واعلموا الی قوله من الفتن وهو لفظ القرآن وقوله من الفتن تفسیر لقوله مخرجا
ونورا من الظلم ای من ظلم الجهل بانوار العلوم الحاصلة من الاستعداد بالتقوی وقوله ویخلده فیما اشتهت نفسه
کقوله تعالی وهم فیما اشتهت انفسهم خالدون ومنزل الکرامة هو المنزل المبارك المأمور بطلبه فی قوله تعالی وقل رب
انزلنی منزلا مبارکا وانت خیر المنزلین والدار التی اصطنعها لنفسه کنایة عن الجنة ونسبها الی نفسه تعظیما لها
وترغیبا فیها وظاهر حسن تلك النسبة فان الجنة المحسوسة اشرف دار وجدت لاشرف المخلوقات واما المعقولة
فیعود الحد رجلت الوصول والاستغراق فی المعارف الالهیة التی بها السعادة والبهجة واللذة التامة وهی
الاعتبار العقلی منازل اولیاء الله وخاصته ومقامات ملائکته ورسله ومن السعادة فی زمرة الملأ العظیم
اذ اصرف عنایته الی بنائها ربیکها هو وخاصته ان یقال انها تختص بالملك وانریاها النفسه وظاهر الکلام
یدل علی انها فوق السموات وان العرش علیها وفی هذه الکلمة لطیفة وذلك علمت ان العرش یطلق ویراد به الفلك
التاسع ویطلق ویراد به العقل الاول باعتبار احاطته علمه بجمیع الموجودات وباعتبار حمله لمعرفته لا واجب
عظمته ویطلق ویراد به سلطانه وعظمته واستعار لفظ الظل للعرش بالمعنی الاول باعتبار ان حرکة الفلك
من الاسباب المعدة لوصول النفوس البشریة والفلکیة الی کمالها بالمعارف الالهیة التی بها الراحة الکبری من

حرارة

حرارة نار الجهل کما ان بالظل یکون الراحة من حرارة الشمس وبالمعنی الثانی ایضا هو ان المعارف الالهیة المفاضة
علی اسرار المستعدین من قبل العقل الفعال المقدس یکون بها الراحة الکبری کما یکون بالظل ایضا وبالمعنی الثالث
ان سلطانه تعالی وعلوه هو المستولی علی کل سلطان والعالی علیه لعلوه المطلق واذ هو مبدأ راحة جمیع النفوس
بجمیع کمالاتها العقلیة فهو ظلها الذی الیه الملجأ واطلاق لفظ الظل علی النعمة والسلطان فی العرف ظاهر
یقال انا فی ظل فلان وفی ظل الملك وعدله اذا کان فی نعمته وعنایته وقوله ونورها بهجته ای بهجة الله تعالی یعود
الی بهائه وکماله المشرق فی اقطار العالمین علی اسرار النفوس وظاهر کونه نور الجنة الذی تمشی فیه ابصار البصائر
وتستغرق فی الابتهاج به الملائکة المقربون وقوله وزوّارها ملائکته ورفقاؤها رسله فیه لطیفة وذلك
انه لما کانت فی الجنة لسکانها النفوس البشریة متعددة کانت متفاوتة المنازل فی الکمال وممکن لها ذلك تعبیر
عن الرسل بالرفقاء فی الجنة لسکانها ولما کانت انواع الملائکة السماویة والمجردین عن علایق الاجسام فی
الحقایق ومتفاوتة فی الکمالات لاجرم خصص الملائکة بکونهم زوّارها ای زوّار ساکنیها اذ کان من شأن المزور
ان یقرب من الزائر وعبّر بتلك الزیارة عن حضور الملأ الاعلی عند النفوس الکاملة حین تعطیها من اعلام
المحبة والتقاتها عنها ولما کان ذلك الحضور غیره انما هو عجب فلذات النفس بشرا الزیارة فاستعیر لفظها
وانما کان الملك هو الزائر دون النفس لان صورته ومثاله هو الواصل الی النفس عند استعدادها المقصوده
من فیض واهب الصور ثم عاد الی التذکیر بامر المعاد فامرهم بالمبادرة ای المعاجلة الی ما یصلحهم وغلّس من اهوال
من سائر القربات الی الله وکذلك مسابقة الآجال وقوله فان الناس یوشك ان ینقطع بهم الامل ای امل
الدنیا والبقاء فیها فلاجل ذلك الانقطاع وقربه یجب ان یلتفت الی صلاح المعاد ویرهقهم الاجل ای یلحقهم
فلاجل ذلك اللحوق یجب ان یسارع الی العمل لما یبقی ویسد عنهم باب التوبة باداك الاجل فیجب مبادرتها
وقوله فقد اصبحتم الی قوله قبلکم ای اصبحتم فی حال الحیوة والصحة والامن وسائر الاسباب التی یمکن معها
مثلکم الرجعة الیها ویمکنکم معها العمل وقوله وانتم بنو سبیل الی قوله بالزاد فالواو فی انتم للحال واستعار
لهم وصف بنی السبیل لکونهم فی هذه الدار بالعرض تقصد بهم العنایة الالهیة غایة اخری وحثّهم الشرع
علی الرحیل عن الدنیا فهم فیها کالمسافرین فابواب مدینتهم جود الله واوّل الابواب الی الدنیا الارحام التی
منها یخرجون الیها وابواب الخروج منها هو الموت ولفظ السفر مستعار وشهود بیّن من الحقیقة وظاهر ان دار الا
نحو الانسان فیها بل تکون مراحل لطریق دار اخری لیست بدار للسالك الی تلك الدار ونبّه علی بنائهم
فیها بالرحیل منها تنفیرا عن الرکون الیها واتخاذها وطنا وعلی امرهم باتخاذ الزاد فیها تنبیها علی ان هناك
غایة مطلوبة یجب ان یستعد للسلوك الیها فیها ولفظ الزاد مستعار لتقوی الله وطاعته التی هی زاد النفوس الی
حضرة رب العالمین وقوله واعلموا الی قوله نفوسکم تذکیر بالوعید علی المعاصی وامر لهم برحمة نفوسهم وذلك
بالاعمال الصالحة واتباع اوامر الله وقوله فانکم قد جربتموها الی قوله شیطان فی قوة احتجاج علی وجوب تلك

الرحمة والخبيصة الکریم جرّبتم انفسکم فی هذه الامور الحقیرة فجزعتم وکل من جزع من امثال هذه فبالاولی ان
یجزع من کونه بین طابقین من نار ضجیع حجر وقرین شیطان وقد علمت فیما سلف ان للنار سبع طبقات وهی
درکاتها وضجیع حجر من قوله تعالی وقودها الناس والحجارة وقرین شیطان من قوله فکبکبوا فیها هم والغاوون
وجنود ابلیس اجمعون وهم الشیاطین وقوله ومن یعش عن ذکر الرحمن نقیض له شیطانا فهو له قرین الی قوله
ولن ینفعکم الیوم اذ ظلمتم انکم فی العذاب مشترکون وقوله اعلمتم ان مالکا الی قوله زجرته من صفات النار
المحسوسة ذکرها للتخویف والتحذیر وقوله التوعد خطاب الشیخ الکبیر لانه اولی بالاقلاع عن المعصیة لقربه
من الآخرة وسؤاله عنها للرسول تقریع وتوبیخ علی المعصیة والاطواق النار المحسوسة ظاهرة واطواقها المعقولة
تمکن الهیئات البدنیة من اعناق النفوس واغلالها من سواعدها ثم اخذ فی التحذیر من الله لغایة العمل بما
یرضیه حال الصحة والفسحة قبل لحوق ضدیهما ثم فی الامر بالسعی لغایة فکاك رقابهم من النار قبل ان تغلق
رهائنها باثامها وقد علمت وجه الاستعارة هناك للرهن ثم فی الامر بالسهر وکنی به عن قطع اللیل بالعبادة
کقوله تعالی ومن اللیل فاسجد له وسبحه لیلا طویلا وانما خص اللیل لانه مظنة الخلوة بالله والفراغ من الشواغل
ولان النهار محل عبادة اخری کالجهاد والکدح للعیال ثم تضمیر البطون وکنی به عن صیام النهار ثم باستعمال
اقدامهم وکنی به عن القیام فی الصلوة ثم بانفاق اموالهم وکنی به عن الصدقات والزکوات فی سبیل الله ثم بالاخذ من
ابدانهم وکنی به عن اذابتها بالصیام والقیام للصلوات وایثار الشق السالم للاعراض عن تسمیر هذه الاجساد
لاستلزام ذلك حب الدنیا والاقبال علی لذاتها ولاشك ان الاخذ من البدن بهذه العبادات یجود علی النفس
بملکات الخیر والقرب من الله وقوله فجودوا بها علی انفسکم ولا تبخلوا بها عنها وقد ذکر ان الثاقب الجود
علی النفس ترغیب فیه ثم استشهد بالآیتین علی وعد الله بالنصر لمن نصره وعظم الاجر لمن قرضه وعبّر به عن
بامتثال اوامره وبقرضه بالصدقات ووجه استعارة لفظ القرض کون الاوامر الالهیة الطالبة للصدقات فی
طلب المحتاج المستقرض وفایدة هذا الاستشهاد الی قوله ایکم احسن عملا اعلامهم بانه الغنی المطلق عن عباده فیما
طلبه من نصره وقرضه وبیان غایة العنایة الالهیة منهم بذلك وهو الابتلاء وقد علمت ابتلاء الله تعالی لخلقه ثم
رتّب علی الامر بالمبادرة الی الاعمال الآخرة لغایة الکون مع جیران الله فی جنته من اصطفین لرسله کما قال تعالی وفتحت
ابوابها وقال لهم خزنتها سلام علیکم طبتم فادخلوها خالدین ومرافقة رسله کقوله تعالی اولئك مع الذین
انعم الله علیهم من النبیین والصدیقین والشهداء والصالحین وحسن اولئك رفیقا ومزاورة الملائکة کقوله
والملائکة یدخلون علیهم من کل باب سلام علیکم بما صبرتم فنعم عقبی الدار وتکریم اسماعهم ان تسمع حسیس نار ابدا
کقوله تعالی لا یسمعون حسیسها وهم فیما اشتهت انفسهم خالدون وصیانة اجسادهم ان یلقی لغوبا ونصبا کقوله
لا یمسنا فیها نصب ولا یمسنا فیها لغوب وقوله ذلك فضل الله الآیة اقتباس للآیة ووجه الاقتباس ظاهر وقوله اقول
الی آخره خاتمة الخطبة وفیها الاستعاذة بالله علی النفوس الامارة بالسوء فی قهرها وتطویعها للنفوس المطمئنة

فانه

فانه نعم المعین ونعم الوکیل **ومن کلام له علیه السلام** للبرج بن مسهر الطائی وقد قال بحیث یسمعه لا حکم الا لله وکان
من الخوارج اسکت قبحك الله یا اثرم فوالله لقد ظهر الحق فکنت فیه ضئیلا شخصك خفیا صوتك حتی اذا نعر الباطل نجمت
نجوم قرن الماعز **اقول** هو البرج بالباء المضمومة والجیم وقبحه الله نحّاه عن الخیر والاثرم ساقط الثنیة والضئیل الصغیر
الحقیر النحیف ونعر صاح ونجم طلع وکان البرج شاعرا مشهورا من شعراء الخوارج نادی بشعارهم بحیث یسمعه فزجره وقبّحه
ودعاه بالاثرم اهانة له واستقصاء کما هو العادة فی اهانة ذوی العاهات بذکر آفاتهم وکنی بضئولة شخصه عن خمول
الموهن حقارته فی زمن العدل بین الجماعة وخموله ذکره وظهور الحق زمان قوة الاسلام وقبل ظهور الفتن وقوة الباطل
وبخفاء صوته عن عدم الالتفات الی قوله وحقارته واستعار لفظ النعر لظهور الباطل بملاحظة شبهه فی قوته وعلوّه
بالرجل الصائل الصائح بکلام عن جرأة وشجاعة وشبّه طلوعه بین الناس وارتفاعه ظهور الباطل وقوته بطلوع قرن
الماعز فی السرعة بغتة ای طلعت بلا شرف ولا شجاعة ولا قدم له علی فضیلة کما ان قرن الماعز من البلاهة تشبیه
من یرادها تشبیها بالمهین الحقیر وتشبیه من یراد تعظیمه بالعظیم الخطیر وبالله التوفیق **ومن خطبة له علیه السلام** روی
ان صاحبا لامیر المؤمنین علیه السلام یقال له همام کان رجلا عابدا فقال یا امیر المؤمنین صف لی المتقین حتی کانی انظر
الیهم فتثاقل عن جوابه ثم قال یا همام اتق الله واحسن فان الله مع الذین اتقوا والذین هم محسنون فلم یقنع همام
بذلك حتی عزم علیه فحمد الله واثنی علیه وصلی علی النبی وآله ثم قال علیه السلام اما بعد فان الله سبحانه خلق الخلق حین خلقهم
غنیا عن طاعتهم آمنا من معصیتهم لانه لا تضره معصیة من عصاه ولا تنفعه طاعة من اطاعه فقسم بینهم معایشهم ووضعهم
من الدنیا مواضعهم فالمتقون فیها هم اهل الفضائل منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشیهم التواضع غضوا
ابصارهم عما حرم الله تعالی علیهم ووقفوا اسماعهم علی العلم النافع لهم نزلت انفسهم منهم فی البلاء کالتی نزلت فی الرخاء
ولولا الاجل الذی کتب الله لهم لم تستقر ارواحهم فی اجسادهم طرفة عین شوقا الی الثواب وخوفا من العقاب عظم الخالق
فی انفسهم فصغر ما دونه فی اعینهم فهم والجنة کمن قد رآها فهم فیها منعمون وهم والنار کمن قد رآها وهم فیها معذبون
قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة واجسادهم نحیفة وحاجاتهم خفیفة وانفسهم عفیفة صبروا ایاما قصیرة اعقبتهم راحة
طویلة تجارة مربحة یسّرها لهم ربهم ارادتهم الدنیا ولم یریدوها واسرتهم ففدوا انفسهم منها اما اللیل فصافّون اقدامهم
تالین لاجزاء القرآن یرتلونه ترتیلا یحزّنون به انفسهم ویستثیرون به دواء دائهم فاذا مرّوا بآیة فیها تشویق رکنوا الیها طمعا
وتطلعت نفوسهم الیها شوقا وظنوا انها نصب اعینهم واذا مرّوا بآیة فیها تخویف اصغوا الیها مسامع قلوبهم وظنوا
ان زفیر جهنم وشهیقها فی اصول آذانهم فهم حانون علی اوساطهم مفترشون لجباههم واکفهم ورکبهم واطراف اقدامهم یطلبون
الی الله تعالی فی فکاك رقابهم واما النهار فحلماء علماء ابرار اتقیاء قد براهم الخوف بری القداح ینظر الیهم الناظر فیحسبهم
مرضی وما بالقوم من مرض ویقول قد خولطوا ولقد خالطهم امر عظیم لا یرضون من اعمالهم القلیل ولا یستکثرون
الکثیر فهم لانفسهم متهمون ومن اعمالهم مشفقون اذا زکی احدهم خاف مما یقال له فیقول انا اعلم بنفسی من غیری وربی
اعلم منی بنفسی اللهم لا تؤاخذنی بما یقولون واجعلنی افضل مما یظنون واغفر لی ما لا یعلمون فمن علامة احدهم انك تری له

قوة في دين وحزما في لين وايمانا في يقين وحرصا في علم وقصدا في غنى وخشوعا في عبادة وتجملا في فاقة وصبرا في شدة
وطلبا في حلال ونشاطا في هدى وتحرجا عن طمع يعمل الاعمال الصالحة وهو على وجل يمسي وهمه الشكر ويصبح وهمه الذكر
يبيت حذرا ويصبح فرحا حذرا لما حذر من الغفلة وفرحا بما اصاب من الفضل والرحمة ان استصعبت عليه نفسه فيما تكره
لم يعطها سؤلها فيما تحب قرة عينه فيما لا يزول وزهادته فيما لا يبقى يمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل تراه قريبا امله قليلا
زلله خاشعا قلبه قانعة نفسه منزورا اكله سهلا امره حريزا دينه ميتة شهوته مكظوما غيظه الخير منه مامول والشر منه مامون
ان كان في الغافلين كتب في الذاكرين وان كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل
من قطعه بعيدا فحشه لينا قوله غائبا منكره حاضرا معروفه مقبلا خيره مدبرا شره في الزلازل وقور وفي المكاره صبور وفي
الرخاء شكور لا يحيف على من يبغض ولا ياثم فيمن يحب يعترف بالحق قبل ان يشهد عليه لا يضيع ما استحفظ ولا ينسى
ما ذكر ولا ينابز بالالقاب ولا يضار بالجار ولا يشمت بالمصائب ولا يدخل في الباطل ولا يخرج من الحق ان صمت
لم يغمه صمته وان ضحك لم يعل صوته وان بغي عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له نفسه منه في عناء والناس منه
في راحة اتعب نفسه لآخرته واراح الناس من نفسه بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ليس
تباعده بكبر وعظمة ولا دنوه بمكر وخديعة قال فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها فقال امير المؤمنين عليه السلام
اما والله لقد كنت اخافها عليه ثم قال هكذا تصنع المواعظ البالغة باهلها فقال له قائل فما بالك انت يا امير المؤمنين
فقال ويحك ان لكل اجل وقتا لا يعدوه وسببا لا يتجاوزه فمهلا لا تعد لمثلها فانما نفث الشيطان على لسانك
اقول ومن هيهنا اختلف نسخ النهج فكثير منها يكون هذه الخطبة فيها اول المجلد الثاني بعد الخطبة المسماة
بالقاصعة ويكون عقيب كلامه للبرج بن مسهر الطائي قوله وخطبة له عليه السلام الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد
ولا تحويه المشاهد وكثير من النسخ يكون هذه الخطبة فيها متصلة بكلامه عليه السلام للبرج بن مسهر ويتاخر تلك
الخطبة فيكون بعد قوله ومن كلام له وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله ويتصل ذلك الى تمام الخطبة المسماة
بالقاصعة ثم يليه قوله باب المختار من كتب امير المؤمنين عليه السلام ورسائله وعليه جماعة من الشارحين كالامام
القطب الدين ابي الحسن الكيدري والفاضل عبد الحميد بن ابي الحديد ووافقتهم في هذا الترتيب لغلبة الظن بتقدمه
على النسخ الصحيحة واما همام هذا فهو همام بن شريح بن يزيد بن مرة عمرو بن جابر بن عوف الاصهب كان من شيعة علي
عليه السلام واوليائه ناسكا عابدا وتثاقله عليه السلام عن جوابه لما راى من استعداد نفسه لاثر الموعظة وخوفه
عليه ان يخرج به خوف الله الى ازعاج نفسه وصعوقها فامره بتقوى الله وان يحسن الى نفسه فادرج بيسير سؤاله
واحسن اي احسن اليها بترك تكليفها فوق طوقها ولذلك قال عليه السلام حين صعق همام اما والله لقد كنت اخافها
عليه حيث لم يقنع همام الا بما سال وعزم عليه بذلك والح في السؤال واقسم حابر فان قلت كيف جاز منه عليه السلام
ان يجيبه مع غلبة ظنه بهلاكه وهو كالطبيب يعطي كلا من المرضى بحسب احتمال الطبيعة من الدواء قلت انه لم يكن
يغلب على ظنه عليه السلام الا الصعقة عن الوجد الشديد فاما ان تلك الصعقة فيها موته فلم يكن مظنونا له واما

ثم قرر بان كونه غنيا عن الخلق طاعتهم وآمنا منهم في معصيتهم لانه لما كانت اوامره تعالى باسرها او اكثرها يعود
الى الامر بتقواه وطاعته وكان اشرف ما يتقرب اليه البشر بالتقوى وهو في معرض صفة المتقين فربما خطر ببعض
اوهام الجاهلين ان له تعالى في تقواه وطاعته منفعة او بمعصيته مضرة فصدر الخطبة بتنزيهه تعالى عن لواحق
النقص وقدم برهان ذلك بقوله وقوله فقسم الى قوله مواضعهم تقرير وتاكيد لكمال غناه عنهم لانه اذا كان
جوده هو سبب خلقهم وقسم معايشهم ووضعهم من الدنيا في مراتبهم بحسب ما ذكرهم من غنى وفقر وشريف ووضيع
فهو الغني المطلق عنهم واليه الاشارة بقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق
بعض درجات ثم اخذ في غرض الخطبة وهو وصف المتقين فوصفهم بالوصف المجمل فقال فالمتقون فيها هم اهل
الفضائل اي الذين استجمعوا الفضائل المتعلقة باصلاح قوتي العلم والعمل ثم شرع في تفصيل تلك الفضائل وبدا بها
فالاولى الصواب في القول وهو فضيلة العدل المتعلقة باللسان وحاصله ان لا يسكت عما ينبغي ان يقال فيكون
مفرطا ولا يقول ما ينبغي ان يسكت عنه فيكون مفرطا بل يضع كلا من الكلام والسكوت موضعه اللائق به وهو اخص من الصدق
لجواز ان يصدق الانسان فيما لا ينبغي من القول الثانية وملبسهم الاقتصاد وهو فضيلة العدل في الملبوس فلا
يلبس ما يلحقه بدرجة المترفين ولا ما يلحقه باهل الخسة والدناءة مما يخرج به عن عرف الزاهدين في الدنيا الثالثة
مشيهم التواضع والتواضع ملكة تحت العفة يعود الى العدل بين رذيلتي المهانة والكبر ومشي التواضع مستلزم
للسكون والوقار عن تواضع يقيم الرابعة غض الابصار عما حرم الله وهو ثمرة العفة الخامسة وقوفهم اسماعهم على
العلم النافع وهو فضيلة العدل في قوة السمع والعلوم النافعة ما هو كمال القوة النظرية من العلم الالهي وما يناسبه
وما هو كمال للقوة العملية وهي الحكمة العملية كما سبق بيانها السادسة نزول انفسهم منهم في البلاء كنزولها في الرخاء
اي لا يقنط من بلاء ينزل بها ولا يبطر برخاء يصيبها بل مقامها في الحالين مقام الشكر والذي صفة مصدر محذوف
والضمير العائد اليه محذوف ايضا والتقدير نزلت كالنزول الذي نزلته في الرخاء ويحتمل ان يكون المراد بالذي الذين وحذف
النون كما في قوله تعالى كالذي خاضوا ويكون المقصود تشبيههم حال نزول انفسهم منهم في البلاء بالذين نزلت انفسهم
منهم في الرخاء والمعنى واحد السابعة غلبة الشوق الى ثواب الله والخوف من عقابه على نفوسهم الى غاية ان ارواحهم لا
تستقر في ابدانهم من ذلك لولا الآجال التي كتبت لهم وهذا الشوق والخوف اذا بلغ الى حد الملكة فانه يستلزم دوام
الجد في العمل والاعراض عن الدنيا وسببهما تصور عظمة الخالق وبقدر ذلك يكون تصور عظمة وعده ووعيده و
بحسب قوة ذلك التصور يكون قوة الخوف والرجاء الثامنة عظم الخالق في انفسهم وذلك بحسب
الالتفات الى الاستغراق في معرفته ومحبته وبحسب تفاوت ذلك الاستغراق يكون تفاوت تصور العظمة وبحسب
تصور عظمته تعالى يكون تصورهم لاصغرية ما دونه ونسبته اليه في اعين بصائرهم وقوله فهم والجنة كمن قد راها الى قوله
معذبون اشارة الى ان العارف وان كان في الدنيا بجسده فهو في مشاهدة بعين بصيرته لاحوال الجنة وسعادتها
واحوال النار وشقاوتها كالذين شاهدوا الجنة وتنعموا فيها وكالذين شاهدوا النار وعذبوا فيها

وهي مرتبة عين اليقين فبحسب هذه المرتبة كانت شدة شوقهم الى الجنة وشدة خوفهم من النار التاسعة حزن قلوبهم
وذلك ثمرة الخوف الغالب العاشر كونهم مامونين الشر وذلك ان مبدا الشرور محبة الدنيا واباطيلها والعارف
بمعزل عن ذلك الحادي عشر نحافة اجسادهم ومبدا ذلك كثرة الصيام والسهر وجشوبة المطعم وخشونة الملبس وهجر
الملاذ الدنيوية الثانية عشر خفة حاجاتهم وذلك لاقتصارهم من حوائج الدنيا على القدر الضروري من ملبس و
ماكل ولا اخف من هذه الحاجة الثالثة عشر عفة انفسهم وملكة العفة فضيلة القوة الشهوية وهي الوسط بين رذيلتي
خمود الشهوة والفجور الرابعة عشر الصبر على المكاره ايام حيوتهم من ترك الملاذ الدنيوية واحتمال اذى الخلق وقد
عرفت ان الصبر مقاومة النفس الامارة بالسوء لئلا ينقاد الى قبائح اللذات وانما ذكره فضيلة الصبر واستعقابها
للراحة الطويلة ترغيبا فيه وتلك الراحة بالسعادة في الجنة كما قال تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا الآية وقوله
تجارة مربحة استعارة لفظ التجارة لاعمالهم الصالحة وامتثال اوامر الله ووجه المشابهة كونهم متعوضين بمتاع الدنيا
وبحركاتهم في العبادة متاع الآخرة ورشح بلفظ الربح لافضلية متاع الآخرة وزيادته في النفاسة على ما تركوه و
ظاهر ان ذلك بتيسير الله لاسبابه واعداده لهم بالجود والوهب الخامسة عشر عدم ارادتهم للدنيا مع ارادتها
لهم وهو اشارة الى الزهد الحقيقي وهو ملكة تحت العفة وكنى بارادتها لهم عن كونهم اهلا لان يكونوا فيها رؤساء
واشرافا كفضلاء ووفدا ونحو ذلك وكونها معرضة ان تصل اليهم لو ارادوها ويحتمل ان يريد ارادة اهل الدنيا لحذف
المضاف السادسة عشر فدي من اسرته نفسه منها وهو اشارة الى من تركها وزهد فيها بعد الانهماك فيها والالتذاذ
بها ففك بذلك الترك والاعراض والتمرن على طاعة الله اغلال الهيئات الردية المكتسبة منها عن عنقه ولفظ
الاسر استعارة في تمكن تلك الهيئات من نفوسهم ولفظ الفدي استعارة لتبديل ذلك الاستمتاع بها بالاعراض
عنها والمواظبة على طاعة الله وانما عطف بالواو في قوله ولم يريدوها وبالفاء في قوله لان زهد الانسان في
الدنيا كما يكون متاخرا عن اقبالها عليه كذلك قد يكون متقدما عليه لقوله صلى الله عليه وآله ومن جعل الآخرة
اكبر همه جمع الله عليه همه واتته الدنيا وهي راغمة فلم يحسن العطف هيهنا بالفاء واما الفدية فلما لم يكن الا بعد الاسر
لا جرم عطفها بالفاء السابعة عشر كونهم صافين اقدامهم بالليل يتلون القرآن ويرتلونه الى قوله آذانهم وذلك
اشارة الى تطويع نفوسهم الامارة بالسوء بالعبادات وشرح لكيفية استماعهم للقرآن العزيز في تلاوته وغايتهم
تحزين انفسهم مقاصده وتحزينهم لانفسهم عند ذكر الوعيدات من جملة استثمارهم لادواء دائهم ولما كان داؤهم
هو الجهل وسائر الرذائل العملية كان دواء ذلك الجهل بالعلم ودواء كل رذيلة الحصول على الفضيلة المضادة فهم بتلاوة
القرآن يستثيرون بالتحزين الخوف عن وعيد الله المضادة للانهماك في الدنيا ودواء العلم الذي هو دواء الجهل
وكذلك كل فضيلة حث القرآن عليها فهي دواء لما يضادها من الرذائل وما في الكلام شرح لكيفية التحزين والتشويق
وقوله فهم حانون على اوساطهم ذكر لكيفية ركوعهم وقوله مفترشون بجباههم الى قوله اقدامهم اشارة الى كيفية
سجودهم وذكر الاعظم السبعة وقوله يطلبون الى قوله رقابهم اشارة الى غايتهم من عبادتهم تلك الثامنة عشر من

صفات النهار كونهم حكماء اراد الحكمة الشرعية وما فيها من كمال القوة العلمية والعملية لكونها المتعارف بين
الصحابة والتابعين وذوي حلم والحلم فضيلة تحت ملكة الشجاعة وهي الوسط بين رذيلتي المهانة والافراط
في الغضب وانما خص الليل بالصلوة لكونها اولى بها من النهار كما سبق التاسعة عشر كونهم علماء واراد كمال القوة
النظرية بالعلم النظري وهو معرفة الصانع وصفاته العشرون كونهم ابرارا والبر يعود الى العفة المقابلة للفاقة
الحادية والعشرون كونهم اتقياء والمراد بالتقوى هيهنا الخوف من الله وقد مر ذكر العفة والخوف وانما كررهما هيهنا
عداد صفاتهم بالنهار وذكرهما هناك في صفاتهم المطلقة قوله وقد براهم الخوف الى قوله عظيم شرح لفعل الخوف الغالب
بهم وانما يفعل الخوف ذلك لاشتغال النفس المدبرة للبدن به عن النظر في اصلاح البدن ووقوف القوة الشهوية و
والغاذية عن اداء بدل ما يتحلل وشبه بري الخوف لهم ببري القداح ووجه الشبه شدة النحافة ويتبع ذلك تغير
السحنات والضعف عن الانفعالات النفسانية من الخوف والحزن حتى يحسبهم الناظر مرضى وان لم يكن بهم مرض وقوله
قد خولطوا اشارة الى ما يعرض لبعض العارفين من اتصال نفسه بالملأ الاعلى واشتغالها عن تدبير البدن
وضبط حركاته ان يتكلم بكلام خارج عن المتعارف مستشنع بين اهل الشريعة الظاهرة فينسب ذلك تارة الى الاختلاط
والجنون وتارة الى الكفر والخروج عن الدين كما نقل عن الحسين بن منصور الحلاج وغيره وقوله ولقد خالطهم
امر عظيم وهو اشتغال اسرارهم بملاحظة جلال الله ومطالعة انوار الملأ الاعلى الثانية والعشرون كونهم لا يرضون
القليل الى قوله الكثير وذلك لتصورهم شرف غايتهم المقصودة باعمالهم وقوله فهم لانفسهم متهمون الى قوله من اعمالهم
مشفقون تهمتهم لانفسهم وخوفهم من اعمالهم يعود الى شكهم فيما يحكم به اوهامهم من حسن عباداتهم وكونها مقبولة او واقعة
على الوجه المطلوب الموصل الى الله تعالى فان حكم الوهم يكون مبدا للعجب بالعبادة والتقاعد عن الازدياد من العمل
والتشكك في ذلك وتهمة النفس بانقيادها في ذلك الحكم للنفس الامارة بالسوء فخوفها ان تكون تلك الاعمال
قاصرة عن الوجه المطلوب وحيث وقعت عليه فذلك باعث على العمل وكاسر للعجب وقد عرفت ان العجب من المهلكات
كما قال عليه السلام ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وكذلك خوفهم من تزكية الناس لهم هو
لما يخشى من تلك التزكية من الكبر والعجب بما يزكون به فيكون جواب احدهم عند تزكيته انا اعلم بنفسي من غيري الى
آخره ثم شرع بعد ذلك في علاماتهم التي يتحلى بها يعرف احدهم والصفات السابقة وان كان كثير منها مما يختص احدهم
يعرف به الا ان بعضها قد يدخله الريا فلا يدل على التقوى الحقة فجمعها هيهنا ونسقها فالاولى القوة في الدين
وذلك ان يقاوم فيه وسوسة الوسواس الخناس ولا يدخل في خداع الناس وهذا انما يكون في الدين العالم الثانية الحزم
في الامور الدنيوية والدينية والتثبت فيها ممزوجا باللين في الخلق وعدم الفظاظة عليهم كما في المثل لا تكن حلوا
فتسترط ولا مرا فتلفظ وهي فضيلة العدل في المعاملة مع الخلق وقد علمت ان اللين قد يكون للتواضع المطلوب
بقوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقد يكون عن مهانة وضعف يقين والاول هو المطلوب هيهنا
الحزم في الدين ومصالح النفس والثاني رذيلة ولا يمكن معه الحزم لانفعال المهين عن كل جانب الثالثة الايمان

في اليقين ولما كان الايمان عبارة عن التصديق بالصانع وبما وردت به الشريعة وكان ذلك التصديق قابلا
للشدة والضعف فتارة يكون عن التقليد وهو الاعتقاد المطابق للموجب هو الدليل وتارة عن العلم بانه مع العلم بانه
لا يكون الا كذلك وهو علم اليقين ومحققوا السالكين لا يقفون عند هذه المرتبة بل يطلبون عين اليقين
سيطرح حجب الدنيا والاعراض عنها الا ان علمهم علم يقين لا يتطرق اليه احتمال الرابعة الحرص في العلم والازدياد
الخامسة مزج العلم وهو فضيلة القوة الملكية بالحلم وهو من فضائل القوة السبعية السادسة القصد في الغنى
وهو فضيلة العدل في استعمال متاع الدنيا وحذف الفضول عن قدر الضرورة السابعة الخشوع في العبادة وهو
ثمرة الفكر في جلال المعبود وملاحظة عظمته الذي هو روح العبادة الثامنة التجمل في الفاقة وذلك بترك الشكوى
الى الخلق والطلب منهم واظهار الغنى عنهم وينشأ عن القناعة والرضا بالقضاء وعلو الهمة ويعين على ذلك
ملاحظة الوعد الاجل وما اعد للمتقين التاسعة وكذلك الصبر في الشدة العاشرة الطلب في الحلال وينشأ
من العفة الحادية عشر النشاط في الهدى وسلوك سبيل الله وينشأ عن قوة الاعتقاد فيما وعد المتقون وتصور
شرف الغاية الثانية عشر عمل الصالحات على وجل اي من ان يكون على غير الوجه اللائق فلا يقبل كما روي عن زين
العابدين انه كان في التلبية وهو على راحلته فخر مغشيا عليه فلما افاق قيل له في ذلك فقال خشيت ان يقول لي لا
لبيك ولا سعديك الثالثة عشر ان يكون همهم عند المساء الشكر على ما رزقوا بالنهار وما لم يرزقوا ويصبحوا و
همهم الذكر لله ليذكرهم الله ويرزقهم من الكمالات النفسانية والبدنية كما قال تعالى فاذكروني اذكركم واشكروا
لي ولا تكفرون الرابعة عشر ان يبيت حذرا ويصبح فرحا وقوله حذرا لما قوله الرحمة تفسير للحذر وبما به الفرح
وليس مقصوده تخصيص البيات بالحذر والصباح بالفرح بل كما يقول احدنا يمسي فلان ويصبح حذرا فرحا ولذا
تخصيص الشكر بالمساء والذكر بالصباح يحتمل ان لا يكون مقصودا الخامسة عشر قوله ان استصعبت له نفسه فيما
الى مخاوفه لنفسه الامارة بالسوء عند استصعابها عليه قهرها على ما تكره وعدم مطاوعته لها في هواها
ومحابها السادسة عشر ان يرى قرة عينه فيما لا يزول اي من الكمالات النفسانية الباقية كالعلم والحكمة ومكارم
الاخلاق المستلزمة للذات الباقية والسعادة الدائمة وقرة عينه كناية عن لذته وابتهاجه لاستلزامهما لقرار
العين وبردها برؤية المطلوب وزهادته فيما لا يبقى من متاع الدنيا السابعة عشر ان يمزج العلم بالحلم فلا يجهل
ولا يطيش والقول بالعمل فلا يقول ما لا يفعل فلا يامر بمعروف ويقف دونه ولا ينهى عن منكر ثم يفعله ولا يعد
فيخلف فيدخل في مقت الله كما قال تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون الثامنة عشر قصر امله وذلك
لكثرة ذكره الموت والوصول الى الله التاسعة عشر قلة زلله وقد عرفت ان زلل العارفين يكون من باب ترك
الاولى لان صدور الخطايا عنهم مع ملكة الجواذب فيهم الى الزلل والخطيئات نادرة فيكون لضرورة منهم
او سهو ولا شك في ذلك العشرون خشوع قلبه عن تصور عظمة المعبود وجلاله الحادية والعشرون قناعة نفسه
وينشأ عن ملاحظة حكمة الله في قدرته وقسمة الارزاق ويعين عليها تصور فوائدها الحاضرة وغاياتها في الآخرة

الثانية

الثانية والعشرون قلة اكله وذلك لما يتصور في البطنة من ذهاب الفطنة وزوال الرقة وحدوث القسوة و
الكسل عن العمل الثالثة والعشرون سهولة امره اي لا يتكلف لاحد ولا يكلف احدا الرابعة والعشرون حرزه دينه
فلا يهمل منه شيئا ولا يطرق اليه خللا الخامسة والعشرون موت شهوته ولفظ الموت مستعار لخمود شهوته عما
حرم عليه ويعود الى العفة السادسة والعشرون كظم غيظه وهو من فضائل القوة الغضبية السابعة والعشرون
كونه مأمول الخير وذلك لاكثرية خيريته مأمون الشر وذلك لعلم الخلق بعدم قصده للشر الثامنة والعشرون
قوله ان كان من الغافلين الى قوله الغافلين اي ان رآه الناس في عداد الغافلين عن ذكر الله لترك ذكر اللسان كتب
عند الله من الذاكرين لاشتغال قلبه بالذكر وان ترك بلسانه وان كان من الذاكرين بلسانه بينهم فظاهرا لا
يكتب من الغافلين ولذكر الله مدائح كثيرة وهو باب عظيم من ابواب الجنة والاشتغال بجلال الله وقد اشرنا الى فضله
واسراره التاسعة والعشرون عفوه عمن ظلمه والعفو فضيلة تحت الشجاعة وخص من ظلمه لتحقق عفوه مع قوة الداعي
الى الانتقام الثلثون ويعطي من حرمه وهي فضيلة تحت السخاء الحادية والثلثون ويصل من قطعه والمواصلة
فضيلة تحت العفة الثانية والثلثون بعد فحشه واما بعد الفحش منه فلما يخرج في اقواله الى ما لا ينبغي الثالثة
والثلثون لين في القول عند محاورات الناس ووعظهم ومعاملتهم وهو من اجزاء التواضع الرابعة والثلثون غيبة
منكره وحضور معروفه وذلك للزومه حدود الله الخامسة والثلثون اقبال خيره وادبار شره وهو كقوله الخير منه مأمول
والشر منه مأمون ويحتمل باقبال الخير اخذه في الازدياد من الطاعة وتشمره فيها وبعوده ذلك يكون ادباره عن الشر
لان من استقبل امرا وسعى فيه بعد عما يضاده وادبر عنه السادسة والثلثون وقاره في الزلازل وكنى بها عن الامور
العظام والفتن الكبار المستلزمة لاضطراب القلوب واحوال الناس والوقار ملكة تحت الشجاعة السابعة والثلثون
كثرة صبره في المكاره وذلك عن شجاعة وعلو همة عن احوال الدنيا الثامنة والثلثون كثرة شكره في الرخاء وذلك لمحبة
المنعم الاول جلت قدرته فيزداد شكره في نعمائه وان قل التاسعة والثلثون كونه لا يحيف على من يبغض ويسلب
الحيف والظلم مع قيام الداعي اليهما وهو البغض لمن تمكن من حيفه وظلمه الاربعون كونه لا يأثم فيمن يحب وهو سلب
لرذيلة الجور عنه باتباع الهوى فيمن يحب وهو سلب لرذيلة الجور عنه باتباع الهوى فيمن يحب اما باعطائه ما لا يستحق
او دفع ما يستحق عليه عنه كما يفعله قضاة السوء وامراء الجور فالتقي لا يأثم بشيء من ذلك مع قيام الداعي اليه وهو المحبة
لمن يحب بل يكون على فضيلة العدل في الكل على السواء الحادية والاربعون اعترافه بالحق قبل ان يشهد عليه وذلك
لتحرزه في دينه من الكذب اما الشهادة اما عناد الجاحد لانكار الحق وذلك كذب الثانية والاربعون كونه لا يضيع
امانته ولا يفرط فيما استحفظ الله من دينه وكتابه وذلك لورعه ولزوم حدود الله الثالثة والاربعون ولا ينسى ما
ذكر من آيات الله وغيره وامثاله ولا يترك العمل بها وذلك لعلمه او لشدة ملاحظتها وكثرة اخطارها بالبال والعمل بها الغاية
المطلوبة منه الرابعة والاربعون ولا ينابز بالالقاب وذلك لملاحظة النهي في الذكر الحكيم ولا تنابزوا بالالقاب ولسر ذلك
النهي وهو كون ذلك مستلزما لاثارة الفتن والتباغض بين الناس والفرقة المضادة لمطلوب الشارع الخامسة والاربعون

ولا يضار بالجار لملاحظة وصية الله تعالى به والجار ذي القربى والجار الجنب ووصية رسول الله صلى الله عليه وآله في المرفوع
اليه اوصاني ربي بالجار حتى ظننت انه يورثه ولغاية ذلك وهي الالفة والاتحاد في الدين السادسة والاربعون ولا
يشمت بالمصائب وذلك لعلمه باسرار القدر وملاحظة لاسباب المصائب فانه في معرض ان يصيبه فيتصور مثالها في
نفسه فلا يفرح بورودها على غيره السابعة والاربعون انه لا يدخل الباطل ولا يخرج عن الحق اي لا يدخل فيما يبعده عن الله
من باطل الدنيا ولا يخرج عما يقربه اليه من مطالب الحق وذلك لتصور شرف غاية الثامنة والاربعون كونه لا يغمه
صمته لو صمت كان من الصمت والكلام في موضعه واما يستلزم الغم الصمت عما ينبغي من القول وهو جهل بموضعه التاسعة
والاربعون كونه لا يعلو ضحكه وذلك لغلبة ذكر الموت وما بعده على قلبه وما نقل من صفات الرسول صلى الله عليه وآله
كان اكثر ضحكه التبسم وقد يفتر احيانا ولم يكن من اهل القهقهة والكركرة وهما كيفيتان للضحك الخمسون صبره في
البغي عليه الى غاية انتقام الله له وذلك عن نظره الى ثمرة الصبر والى الوعد الكريم في ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم
بغي عليه لينصرنه الله الآية وقوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين الحادية والخمسون كون نفسه منه في عناء اي نفسه
الامارة بالسوء لمنعها وقهرها ومراقبته اياها والناس من اذاه في راحة لذلك الثانية والخمسون كون بعده
عمن تباعد عنه لزهده فيما في ايدي الناس وتواضعه لا عن كبر وتعظيم عليهم وكذلك دنوه ممن دنا منه عن لين ورحمة
منه لهم لا يمكر بهم وخديعة لهم من بعض المطالب كما هو عادة الخبيث المكار وهذه الصفات والعلامات قد يتداخل
بعضها ولكن تورد بعبارة اخرى ويذكر مفردة ثم يذكر ثانيا مركبة مع غيرها وبالجملة فهذه الخطبة من جليل الخطب وبليغ
وصفه ولذلك فعلت بهمام ما فعلت فاما جوابه لمن سال بقوله ويحك ان لكل اجل وقتا لا يعدوه اي ينتهي اليه
يكون غاية له لا يتجاوزها ولا يستاخر عنها والشيء بعده للاجل وسببا لا يتجاوزه اي ولغير ذلك الاجل سببا اي علة
فاعلة لا يتعداها الا عن غيرها من الاسباب فمنها ما يكون موعظة بالغة كهذه فهو جواب مقنع للسامع مع انه حق وصدق
وهو اشارة الى السبب الابعد لبقائه عليه السلام عند سماع المواعظ البالغة وهو الاجل المحكوم به للقضاء الالهي
واما السبب الاقرب للفرق بينه وبين همام وهو قوة نفسه القدسية على قبول الواردات الالهية وتعودها
بها وبلوغ رياضته حد السكينة عند ورود اكثرها وضعف نفس همام وقد دعا عليه من خوف الله ورجائه ولم يجب السائل
بمثل هذا الجواب لاستلزامه تفضيل نفسه او لقصور فهم السائل ونهيه له عن مثل هذا السؤال والتقريع به بكونه
من نفثات الشيطان لوضعه في غير موضعه وهو من آثار الشيطان وبالله العصمة والتوفيق ومن خطبة له ع
يصف فيها المنافقين نحمده على ما وفق له من الطاعة وذاد عنه من المعصية ونسأله لمنته تماما وبحبله اعتصاما
ونشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله خاض الى رضوان الله كل غمرة وتجرع فيه كل غصة وقد تلون له
الادنون وتالب عليه الاقصون وخلعت اليه العرب اعنتها وضربت الى محاربته بطون رواحلها حتى انزلت بساحته
عداوتها من ابعد الدار واسحق المزار اوصيكم عباد الله بتقوى الله واحذركم اهل النفاق فانهم الضالون المضلون
والزالون المزلون يتلونون الوانا ويفتنون افتنانا ويعمدونكم بكل عماد ويرصدونكم بكل مرصاد قلوبهم دوية

وصفاحهم

وصفاحهم نقية يمشون الخفاء ويدبون الضراء وصفهم دواء وقولهم شفاء وفعلهم الداء العياء حسدة الرخاء ومؤكدو البلاء
ومقنطوا الرجاء لهم بكل طريق صريع والى كل قلب شفيع ولكل شجو دموع يتقارضون الثناء ويتراقبون الجزاء ان سالوا
الحفوا وان عذلوا كشفوا وان حكموا اسرفوا قد اعدوا لكل حق باطلا ولكل قائم مائلا ولكل حي قاتلا ولكل باب مفتاحا
ولكل ليل مصباحا يتوصلون الى الطمع باليأس ليقيموا به اسواقهم وينفقوا به اعلاقهم يقولون فيشبهون ويصفون
فيموهون قد هونوا الطريق واضلعوا المضيق فهم لمة الشيطان وحمة النيران اولئك حزب الشيطان الا ان حزب
الشيطان هم الخاسرون اقول الغمرة من كل شيء معظمه واسحق المزار ابعده والسحق بضم السين البعد
كذلك بضم الحاء ويعمدونكم يهدمونكم ويفدحونكم والعماد الامر الفادح ويرصدونكم يقعدون لكم المرصد
وينتظرونكم والضراء ما واراك من الشجر الملتف والالحاف الاستقصاء في السؤال والشجو الحزن والاعلاق
جمع علق وهي السلعة النفيسة والتمويه التزيين التلبيس واضلعوا المضيق امالوه اي عوجوه واما الوه وهو ضلع
اي مائل وضلع بفتح اللام اي معوج خلقة والحمة بالتخفيف الجماعة وحمة النيران بالتشديد معظم حرها وبالتخفيف
سم العقرب وقد حمد الله تعالى باعتبارين وهما التوفيق لطاعته التي هي سبب الفوز الاكبر والطرد عن معصيته
التي هي سبب الخزي الاخروي وذلك الذود لما بالنواهي وبحسم اسباب المعاصي وعدم الاعداد لها والكل منه
سبحانه ثم سال الدوام التمام لما شكر من النعمة نظرا الى قوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم والاعتصام بحبله
المتين وهو الدين القويم العاصم لمن تمسك به عن الهوي في مهاوي الهلاك ودركات الجحيم وارد في شهادة الرسالة
وشرح حال المرسل صلى الله عليه وآله في اداء رسالته واستعار لفظ الغمرة لمعظم الشرور والمكاره المتكاثفة المحيطة
حين بعثه صلى الله عليه وآله ملاحظة لشبهها بغمرة الماء ورشح بذكر الخوض وكنى به عن مقاساته للمتاعب الكثيرة
وملاقاته للنوائب من المشركين في بدو دعوته وكنى بالغصص عن عوارض الغموم له من ملاقات تلك المكاره
وكنى بتلون الادنين له عن تغير قلوب اقربائه عليه من بني عبد المطلب وتالب الاقصين عليه اجتماع الاباعد عليه
من العرب وانضمامهم من اقصى البلاد الى حربه وقوله وخلعت العرب اليه اعنتها مثلان كنى بهما عن المسارعة الى حربه
لان اقوى عدو الخيل اذا خلعت اعنتها واقوى عدو الرواحل اذا ضربت بطونها وفيهما ايماء الى انهم اتوه فرسانا و
ركبانا مسرعين الى حربه وقوله حتى انزلت بساحته عداوتها اي حروبها وشرورها التي هي ثمرة العداوة واطلق
لفظ العداوة على الحرب مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب ومن طالع كتب السير علم ما لاقى رسول الله صلى الله
عليه وآله في ذات الله سبحانه من المشاق كاستهزاء قريش به في اول الدعوة ورميهم اياه بالحجارة حتى ادموا عقبيه
وصياح الصبيان به وفرث الكرش على راسه وفتل الثوب في عنقه وحصره هو واهله في شعب ابي طالب ثلث سنين عدة تحريمهم
ومبايعتهم ومناكحتهم وكلامهم حتى كادوا يهلكون جوعا لولا بعض من كان يحنو عليهم لرحم او لسبب اخر فكان يسرق
عليهم القليل من الدقيق او التمر فيلقيه اليهم ليلا ثم ضربهم لاصحابه وتعذيبهم بالجوع والوثاق في الشمس وطردهم
اياهم عن شعاب مكة حتى خرج بعضهم الى الحبشة وخرج هو عليه السلام مستجيرا منهم تارة بثقيف وتارة ببني عامر

وتارة بربيعة الفرس وبعيرهم ثم اجمعوا على قتله والفتك به ليلا حتى هرب منهم لاجئا الى الاوس والخزرج تاركا الاولاد
واهله ناجيا حتى انتشر حتى وصل الى المدينة فاصبوه الحرب ورموه بالكتائب وضربوا اليه اباط الابل
حتى اكرمه الله تعالى ونصره وايده به واظهره ثم عقب عليه السلام بالوصية بتقوى الله والتحذير من المنافقين وتعديد
مذاهبهم ليعرفوا فيجتنبوا فيحصل النفار عنهم فانهم الضالون اى المنحرفون عن سبيل الله لعدم الاهتداء اليها
المضلون لغيرهم عنها بالشبهات الباطلة وكذلك الزالون المزلون وكنى بتلونهم الوانا عن تغيراتهم في اقوالهم
وافعالهم من حال الى حال بحسب اغراضهم الفاسدة فيلقون كلا بوجه ولسان غير الاخر وكذلك تفننهم اى تشعب
اقوالهم وحالاتهم بحسب تشعب اغراضهم وارادتهم لهم قصدهم بكل مكروه على وجه الحيلة والخدعة وترصدهم
لهم بكل مرصاد وتتبع وجوه الحيل في هلاكهم واذاهم ويكون قلوبهم دوية وصفاحهم نقية اشتمال نفوسهم على الداء
النفساني من الحسد والحقد والمكر والخديعة واعمال الحيلة مع اظهار البشاشة والصداقة والمحبة والنصيحة لهم
وهذا هو الضابط في النفاق وهو ان يظهر الانسان بلسانه امرا حسنا محمودا ويبطن خلافه واراد بصفاح
وجوههم وبنقائها سلامتها من ظاهر وقوله يمشون الخفاء كناية عن كون حركاتهم القولية والفعلية فيما
يريدونه في خفاء عن افهام الناس وكذلك قوله ويدبون الضراء والخفاء والضراء منصوبان على الظرف
مثلا لمن يختل غيره ويخدعه وقوله وصفهم دواء الى قوله العياء اى قولهم اقوال الزاهدين العابدين من الحض على
والامر بالتقوى وطاعة الله الذي هو دواء الغي والضلال وشفاء منهما وافعالهم افعال الفاسقين الضالين
من معصية الله التي هي الداء الاكبر والعياء المعي للاطباء وقوله حسدة الرخاء اى ان رأوا لامرئ نعمة حسدوه
ومؤكدو البلاء اى ان رأوا به بلاء اكدوه بالسعاية والتألب عليه وروى ومولدو وهو ظاهر ومقنطو
الرجاء اى اذا خالج امرا في طباعهم ان يقنطوه ويؤيسوه وهكذا شأن المنافق الكذاب ان يبعد القريب
ويقرب البعيد وقوله لهم بكل طريق صريع كناية عن كثرة من يقتلونه او يؤذونه بخديعتهم ومكرهم وكنى بالطريق
اما عن كل مقصد قصدوه او عن كل حيلة احتالوها ومكر مكروه فانه لابد ان يسلم مراده وقوله والى كل قلب
شفيع ان من شأن المنافق ان يتخذ الى كل قلب ذريعة ووجاهة عند الآخر فيكون صديق الكل حتى المتعادين
ليتوصل بذلك الى اثارة الفتن وايقاع الشر بينهم وهو في نفس الامر عدو الكل وكذلك لهم لكل شجو دموع
كناية عن توجعهم لكل شجو وتوصلهم بذلك الى اغراضهم وان كان اهل الشجو اعداء وقوله يتقارضون الثناء و
يتراقبون الجزاء اى يثني احدهم على الآخر ليثني الآخر عليه ويترقب كل منهم الجزاء من صاحبه على ثنائه وقوله ان سألوا
الحفوا اى الحوا في السؤال وهو من المقام كما قال تعالى لا يسألون الناس الحافا وقوله وان عذلوا كشفوا اى اذا
عذلك احدهم كشف لك عيوبك في ذلك العذل وجبهك بها وربما ذكرها بمحضر من لا تحب ذكرها معه وليس
كالناصحين الذين يعرضون بالذنب عند العتاب تعريضا لطيفا دون التصريح واذا حكموا اسرفوا اى اذا ولي
احدهم ولاية اسرف فيها بالظلم والانهماك في ماكله ومشربه وغيره فيأتي الدنيا الى حد الافراط من حيلة

العدل

العدل وذلك لجهله بالعواقب وتصوره ان لا غاية اشرف مما هو فيه وقد اعدوا لكل حق باطلا اى من الشبه يموهون
عليه ويغطونه بها ولكل حق قائلا اى سببا يميتونه به والحق اعم من الانسان هنا بل كل امر حقي ويقوم اذا ارادوا
فساده ولكل باب مفتاحا من الحيل والخديعة ولفظ المفتاح مستعار ولكل ليل مصباحا ولفظ الليل مستعار لما
اشكل من الامور واظلم وكذلك لفظ المصباح للرأي الذي يدخلون به في ذلك الامر ويهتدون به الى وجه
مكر كرأي عمرو بن العاص على معوية ليلة الهرير برفع المصاحف ودعوتهم اهل العراق ان حاكموهم الى كتاب الله فلم يكن
لذلك المشكل الا ذلك الرأي الصعب ويتوصلون الى الطمع باليأس اى باظهار اليأس مما في ايدي الناس والزهد
فيه كما يفعله كثير من زهاد الوقت ووصفهم باخذ الشيء بضده ابلغ ما يكون في وصف النفاق والحيلة وقوله ليقيموا
به اسواقهم استعار لفظ الاسواق لاحوالهم في معاملة الخلق من اخذ واعطاء فان فعلهم ذلك يقيمها بين الناس
ويروجها عليهم وكذلك ينفقوا به اعلاقهم ولفظ الاعلاق مستعار لما يزعمون انه نفيس من ارائهم وحركاتهم
الخارجة عن امر الله وقوله يقولون الى قوله فيموهون اى يوقعون باقوالهم الشبه في القلوب ويموهون عليهم الباطل
بصورة الحق وقوله قد هيئوا الطريق اى قد عرفوا كيف يسلكون شبههم الى صدور من الآراء والحيل واضلعوا المضيق
اى عوجوا مضايقها وكنى بمضايقها عن دقائق المداخلة في الامور وتعويجها عن انهم اذا ارادوا الدخول في امر ضيق
اظهروا انهم يريدون غيره تعمية على الغير وتلبيسا ان يقف على وجه الحيلة فيفسد مقصودهم وقوله فهم لمة الشيطان
اى جماعته واتباعه وحمة النيران استعار لفظ الحمة لمعظم شرورهم ووجه المشابهة استلزامها للاذى البالغ وكذلك حمة الجحيم

ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الذي اظهر من آثار سلطانه وجلال كبريائه ما حير مقل العقول من عجائب قدرته وردع
خطرات هماهم النفوس عن عرفان كنه صفته واشهد ان لا اله الا الله شهادة ايمان وايقان واخلاص واذعان واشهد
ان محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله ارسله واعلام الهدى دارسة ومناهج الدين طامسة فصدع بالحق ونصح للخلق
وهدى الى الرشد وامر بالقصد صلوات الله وسلامه عليه وآله واعلموا عباد الله انه لم يخلقكم عبثا ولم يرسلكم هملا علم مبلغ
نعمه عليكم واحصى احسانه اليكم فاستفتحوه واستنجحوه واطلبوا اليه واستمنحوه فما قطعكم عنه حجاب ولا اغلق عنكم
دونه باب وانه لبكل مكان وفي كل حين وزمان ومع كل انس وجان لا يثلمه العطاء ولا ينقصه الحباء ولا يستنفده سائل
ولا يستقصيه نائل ولا يلويه شخص عن شخص ولا يلهيه صوت عن صوت ولا تحجزه هبة عن سلب ولا يشغله غضب عن رحمة
ولا تولهه رحمة عن عقاب ولا يجنه البطون عن الظهور ولا يقطعه الظهور عن البطون قرب فنأى وعلا فدنا
وظهر فبطن وبطن فعلن ودان ولم يدن لم يذرأ الخلق باحتيال ولا استعان بهم لكلال اوصيكم عباد الله بتقوى
الله فانها الزمام والقوام فتمسكوا بوثائقها واعتصموا بحقائقها تؤل بكم الى اكنان الدعة واوطان السعة و
معاقل الحرز ومنازل العز في يوم تشخص فيه الابصار وتظلم له الاقطار وتعطل فيه صروم العشار وينفخ في الصور فتزهق
كل مهجة وتبكم كل لهجة وتذل الشم الشوامخ والصم الرواسخ فيصير صلدها سرابا رقرقا ومعهدها قاعا سملقا فلا شفيع
يشفع ولا حميم يدفع ولا معذرة تنفع **اقول** مقلة العين شحمتها والهماهم حديث النفس مع صوت خفي لا يفهم والطا

سملقا

كالدارسة والطامسة الزوال ونداء خلق والمعقل الملجأ والصرم جمع صرمة وصرمة وهي القطعة من الابل نحو الثلاثين
والعشار النوق التي عليها عشرة اشهر وفي الحمل عشرة اشهر والشم الشوامخ الجبال العالية ومعهدها ما كان مسكونا منها
والقاع الخالي والسملق الصفصف المستوي ليس بعضه ارفع من بعض وقد حمد الله تعالى باعتبار اظهاره من آثار ملكه
وسلطانه ما اظهره من ملكوت السموات والارض وترتيب العالمين على وجه النظام الاتم مما هو محل العجب العجيب الذي
حار ابصار البصائر في كيفية وقوعه عن القدرة الالهية وفي ترتيبه على النظام الاكمل بل كل مخلوق منها فهو محل ذلك
العجب والحيرة ولفظ المقل مستعار ونسبة ذلك الى جلال كبريائه مناسب لما ان السلطان والعظمة والكبرياء اسباب لصدور
الآثار العظيمة العجيبة المحكمة عنها وردع خطرات هماهم النفوس اى ما يخطر للنفوس فتهمهم به وقد سبق السر في كون
المطلوب محجوبا عن ادراك حقيقته وقد سبق ذلك غير مرة ثم شهد بكلمة التوحيد معبرا عنها باربعة امور لحوقها كونها
ايمانا اى يطابق القول فيها للعقد القلبي الثاني وايقانا اى يكون اعتقادها يقينيا وهو اعتقاد ان لا اله الا هو مع
اعتقاد انه لا يمكن ان يكون ذلك المعتقد الا كذلك الثالث واخلاصا وهو ان يجرد عن ذلك المعتقد كل امر غيره في
الاعتبار ولا يلاحظ معه غيره الرابع واذعانا ثمرة ذلك الاخلاص وكماله ويتفاوت بتفاوته ويعود الى سائر الطاعات
والعبادات التي هي ثمرة تلك الكلمة وتوابعها ثم اردفها باختها وذكر الاحوال التي كان العالم عليها حين الرسالة
مما هي سر وتنبيها على فضيلة الرسول صلى الله عليه وآله واستعار اعلام الهدى لائمة الدين الهادين الى سبيل الله ولفظ
المناهج لقوانين الشريعة التي تسلك فيها جزئيات الاحكام ولفظ دروسها وطموسها لاضمحلالها قبل النبوة والواو
في واعلام للحال فصدع بالحق اى ابان الحق وفصله من الباطل ونصح الخلق ليردهم عن غوايتهم الى صراط الله وهداهم الى
الرشد في سلوكه وامرهم بالعدل والاستقامة على شريعة التامتين اجلالا على ان خلق الله لم يخلقهم ليبرحوا الى امر غاية
وانه لم يرسلهم في الدنيا مهملين عن مرادهم كما هي حال البهيمة ثم علم مبلغ نعمه عليهم كميته وكيفيته واحصائه لها
عددا ليبعثهم على شكرها ولذلك قال فاستفتحوه اى اطلبوا منه ان يفتح عليكم ابواب بركاته ونصره واستنجحوه اى اطلبوا
اليه اى اطلبوا الهداية الحرمة ووجوه مرضاته واستمنحوه ان يعطيكم ما لكم كل ذلك بالشكر وسائر العبادات التي
بها الاستعداد لافاضة رحمته وقوله فما قطعكم عنه حجاب الى قوله الكلال لاظهار وجوه كماله وعظمته وتنزيهه عن
صفات المخلوقين المحدثين وتقريب له من عباده ليطلبوا منه واليه ويستنجحوه ويستمنحوه ويتضح انما لهم منه واذ لم يكن
متحيزا فلا حجاب دونه ولا باب وكان بكل مكان في حالة واحدة اى بعلمه المحيط لاستحالة ذلك التحيز وفي كل حين وزمان
بمعنى ما وقد وجوده لوجود الزمان لا بمعنى الظرفية له لتقدسه عن لحوق الزمان المتأخر عنه بمراتب من المعلولات ومع
كل انس وجان بعلمه وهو معكم اينما كنتم وقوله لا يثلمه العطاء الى قوله نائل ما استقصاء السائل له بلوغ الجود منتهى
مقدوره وبرهان تلك الاحكام ان الثلم والنقصان والاستنفاد والاستقصاء على المقدور يستلزم النهاية والحاجة
المستلزمين للامكان ولا شيء من واجب الوجود بممكن وكل من لحقته هذه الاحوال ممكن فواجب الوجود لا تلحقه هذه الاحوال وكذلك
قوله ولا يلويه شخص عن شخص اى لا يصرفه الى قوله عقاب برهان هذه الاحكام ان الصرف واللهو يستلزمان الغفلة

عن امر والقطعة لغيره بعد الغفلة عنه وكذلك حجز الهبة ومنعها اياه عن سلب شيء اخرى وشغل الغضب له عن الرحمة مستلزم
قصور القدرة وضعفها وتعلقها بمحل جسماني وذلك مستلزم للنقصان المستلزم للحاجة والامكان المنزه قدس الله عنها
عنه وكذلك توليه الرحمة عن العقاب يستلزم رقة الطبع ورحمة النفوس البشرية المستلزمة لعوارض الجسمية وجلال الله
منزه عنها وقوله ولا تجنه البطون عن الظهور يحتمل وجهين احدهما الاخفية بطون حقيقته عن العقول وخفاؤه عن العيون
من ظهوره للبصائر في صور آثاره وملكوت قدرته الثاني انه ليس شيء حتى يحجبه عن الظهور للعقول او عن الظهور
على الاشياء والاطلاع عليها ولا يقطعه الظهور عن البطون اى لا يقطعه كونه ظاهرا او عالما بالامور الظاهرة عن
ان يكون باطنا لا يطلع العقل عليه او عن علمه بباطن الامور وحقائقها وقوله قرب اى بعلمه وقدرته من الاشياء وقرب
العلة من المعلول فنأى اى بعد بحقيقته عن ادراك العقول والحواس وقوله وعلا فدنا فعلو شرفه ما القياس الى
آثاره شرف العلة على المعلول ودنوه منها قربه وقوله وظهر فبطن وبطن فعلن تأكيد لما قبله وقد سبق بيانه غير
مرة وقوله لم يذرأ الخلق باحتيال الى قوله لكلال تنزيه لايجاده لآثاره عن احتياج الحيل والآلة ووجوه الآراء في
اخراجها ثم عن الاستعانة بغيره في شيء من آثاره ثم عن مبدأ الاستعانة وهو الكلال والاعياء المستلزم ذلك
القوة المستلزمة للجسمية واذ قدم تنزيه الحق سبحانه عما لا ينبغي له ووصفه بما ينبغي له شرع في الوصية بتقواه ثم في
التنبيه على فضائلها واستعار لفظ الزمام لها باعتبار كونها قائدة للعبد الى طريق الحق مانعة له عن الجور الى طرق
الباطل كالزمام للناقة واراد بكونها قواما كونها مقيمة للعبد في سلوك سبيل الله ايضا اقامة للمصدر مقام
اسم الفاعل وقوله فتمسكوا بوثائقها اى بما يوثق منها وهو سائر انواع العبادات التي هي اجزاؤها والتمسك
بها تعودا الى لزومها والمواظبة عليها واعتصموا بحقائقها اى بالخالص منها دون المشوب بالرياء والنفاق فان
الالتجاء الى خالصها هو المخلص من عذاب الله وقوله تؤل بكم جزم تؤل لكونه جواب الامر بالتمسك والاعتصام
واكنان الدعة مواطن الراحة من الآلام الحسية والعقلية وهي غرفات الجنة ومنازلها وهي اوطان السعة
ايضا من ضيق الابدان وضنك بيوت النيران وهي معاقل الحرز المانعة من عذاب الله وهي منازل العز في جوار الله
وقوله في يوم متعلق بتؤل واليوم يوم القيمة وسائر ما عدده من صفات ذلك اليوم مما نطق به الكتاب الكريم
كقوله تعالى انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وقوله واذا العشار عطلت وقوله ونفخ في الصور فصعق من
في السموات ومن في الارض وقوله ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها الآية وقوله فما لنا
من شافعين ولا صديق حميم وقوله فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم فهذه بعض احوال القيمة المحسوسة واما
المعقولة فقال بعض السالكين ان الانسان اذا حضرته الوفاة شخص بصره عند ما انكشف له من الاطوار الاخروية
واظلمت عليه اقطار الدنيا وغاب عنها ما كان يشاهده وتعطلت عنه عشاره وناداه داعي الاجل الى الآخرة
فزهقت نفسه واجابت الداعي وبكمت لهجته وذلت شوامخ الجبال ورواسخها في نظره لعظمة الله عند مشاهدة
كبريائه فيصير لا نسبة لها في نظره الى ما شاهد من عظيم ملكوته فكانها اضمحلت وغابت وصارت في نظره كالسر

المزوق الذي لا اصل له بعد ما كان يراها عليه من العلو والعظمة وكذلك يرى ما كان معهودا منها كالغنا
الضعف المستوى عنه سلطان الله ومقهوره وقد ينقطع عن الشفيع الشافع والصديق النافع والعذر النافع
وبالله التوفيق والعصمة **ومن خطبة له عليه السلام** بعثه حين لا علم قائم ولا منار ساطع ولا منهج واضح اوصيكم
عباد الله بتقوى الله واحذركم الدنيا فانها دار شخوص ومحلة تنغيص ساكنها ظاعن وقاطنها بائن تميد باهلها
ميدان السفينة تصفقها العواصف في لجج البحار فمنهم الغرق الوبق ومنهم الناجي على بطون الامواج تحفزه الرياح
باذيالها وتحمله على اهوالها فما غرق منها فليس بمستدرك وما نجا منها فالى مهلك **اقول** الساطع المرتفع و
الوبق الهالك والعذر الناقع والارهاق الالحاق وقد ذكر الشارحين ظهور الاحوال التي كان العالم عليها
ليبانها على فضلها وفضيلة الرسول صلى الله عليه وآله وقوله حيث لا علم قائم استعار لفظ العلم والمنار للهداة
الى الله القائمين اليه وعدم قيام وسطوع لعدمهم زمان الفترة وقوله ولا منهج واضح اي لا طريق الى الله خالص عن
شوب الاباطيل حتى ثم عقب بالوصية بتقوى الله ثم بالتحذير من الدنيا وقرنها بذكر عيوبها للتنفير عنها وكونها
دار شخوص اشارة الى ضرورة الارتحال عنها بالموت ومحلة تنغيص اي تنغيص لذاتها بالالام والامراض حتى قيل
ان اللذة فيها انما هي الخلاص من الالم وقوله ساكنها ظاعن وقاطنها بائن كالتفسير لقوله دار شخوص وقوله
تميد باهلها الى قوله الى مهلك ضرب لها ولاحوال اهلها فيها مثلها بالسفينة عند عصف الريح مثل تصرفاتها
وتغيراتها بميدان السفينة وذيهم فيها بالامراض والحوادث التي هي مظنة الهلاك بالاحوال التي تلحق اهل السفينة
عند هبوب الريح العاصف حال كونها في لجج البحار ومثل انقسامهم عند بعض تلك الحوادث ونزولها بهم الى هالك
ميت بها لا يرجى له عوده ولا يستدرك لها فارط بانقسام ركاب السفينة عند عصف الريح عليها الى الغريق الهالك
والى ناج ومثل الناجي من بعض الامراض الذي تأخر موته الى مرض آخر فلاقى من اهوال الدنيا في تلك المدة ما لاقى
ثم لحقه الموت بالاخرة بالناجي من الغرق الذي تحمله الامواج وترفعه الرياح وتقاسي اهوال البحر وشدايده ثم بعد
خلاصه منه لا بد له من وقت هو اجله ومرض هو الهلاك وعلى هلاكه ثم امر بالعمل وذكر الاحوال التي يمكن فيها ومعها
العمل تنبيها على انتهاز الفرصة وتلك الاحوال صحة الالسن وامكان ذكر الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وساير التكاليف المتعلقة بها وكذلك صحة الابدان ولدونة الاعضاء ومطاوعتها للعمل قبل حبسها بالسقم والالم
وفسح المتقلب وهو محل التصرف والتقلب وكنى به عن وقت الصحة والشبيبة ونبه عند عرض الحال فذكر ارهاق الاجل
وحلول الموت تحذيرا منه وجذبا الى العمل لما بعده ثم امرهم ان يحققوا وقوله قبل نزوله اي يتذكروه ويخطروا
ببالهم انه حق وينتظروا نزوله ليكون اكون للعمل ولذلك قال صلى الله عليه وآله اكثروا من ذكر هادم اللذات وفي
نهاهم عن انتظاره ودوامه لاستلزام انتظارهم له توهمهم لبعده عنهم وذلك يوقعهم في التكاسل عن العمل والتسويف
ومن خطبة له عليه السلام ولقد علم المستحفظون من اصحاب محمد صلى الله عليه وآله اني لم ارد على الله تعالى ولا على رسوله
صلى الله عليه وآله ساعة قط ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الابطال وتتأخر الاقدام نجدة اكرمني

الله تعالى بها ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وان رأسه لعلى صدري ولقد سالت نفسه في كفي فامررتها
على وجهي ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة اعواني فضجت الدار والافنية ملاء يهبط وملاء يعرج وما
فارقت سمعي هينمة منهم يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه فمن ذا احق به مني حيا وميتا فانفذوا على بصائركم ولتصدق
نياتكم في جهاد عدوكم فوالذي لا اله الا هو اني لعلى جادة الحق وانهم لعلى مزلة الباطل اقول ما تسمعون واستغفر
الله لي ولكم **اقول** الهينمة صوت خفي يسمع ولا يفهم وحاصل الفصل التنبيه على فضيلته لغاية قبول قوله فيما يامرهم
به فذكر منها انه لم يرد على الله ولا على رسوله في وقت قط فيما اصدر من الامر منهما واستشهد على ذلك بما علم منه
المستحفظون من الصحابة وهم العلماء واهل الدين الذين استحفظوا كتاب الله ودينه اي حملوا حفظه او ودعوا
اياه قال بعض الشارحين وفيه ايماء الى ما كان يفعله بعض الصحابة من التسرع بالقول والاعتراض على الرسول
صلى الله عليه وآله في مواضع كما نقل عن عمر يوم الحديبية عند سطر كتاب الصلح انه انكر ذلك وقال لرسول الله الستنا
على الحق قال بلى اوليسوا الكاذبين قال بلى قال فكيف تعطى الدنية في ديننا فقال صلى الله عليه وآله انا اعمل بما اومر
فقال القوم من الصحابة الم يكن قد وعدنا بدخول مكة وها نحن قد صددنا عنها ثم ننصرف بعد ان اعطينا الدنية
في ديننا والله لو وجدت اعوانا لم اعط الدنية ابدا فقال له ابو بكر ويحك الزم غرزه فوالله انه لرسول الله صلى
الله عليه وآله وان الله لا يضيعه ثم قال له اقال لك انه سيدخل مكة هذا العام فقال لا فسيدخلها فلما فتح
النبي صلى الله عليه وآله مكة واخذ مفاتيح الكعبة دعاه فقال هذا الذي وعدتم به ومنها مواساته للرسول صلى الله
عليه وآله بنفسه وهو مما اختص به عليه السلام وذلك في مواطن فثبت معه يوم احد وفر الناس وروى المحدثون
ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما ارتث يوم احد ونادى الناس قتل محمد رأته كتيبة من المشركين وهو صريع بين القتلى
الا انه حي فصمدت له فقال لعلي اكفني هذه فحمل عليها فهزمها وقتل رئيسها ثم صمدت له اخرى فقال يا علي اكفني هذه
فحمل عليها وقتل رئيسها ثم صمدت له ثالثة فكذلك فكان رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك يقول قال لي
جبرئيل حينئذ يا محمد هذه المواساة فقلت وما يمنعه وهو مني وانا منه فقال جبرئيل وانا منكما وروى المحدثون
ايضا ان المسلمين سمعوا ذلك اليوم هاتفا من قبل السماء ينادي لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي فقال لل(ناس)
صلى الله عليه وآله الا تسمعون هذا صوت جبرئيل وكذلك ثبت معه يوم حنين في نفر يسير من بني هاشم بعد ان ولى
المسلمون الادبار وحامى عنه وقتل قوما من هوازن بين يديه حتى ثاب اليه الانصار وانهزمت هوازن وغنمت
اموالها واثاره يوم خيبر فقصته مشهورة وذلك قوله ولقد واسيته الى قوله الاقدام وقوله نجدة اكرمني الله بها
فالنجدة فضيلة تحت الشجاعة وقد يعبر بها عن الشجاعة ومنها حاله عندما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله من
توليه امره ومباشرة ما يختص به من الاحوال الحالة وقال الله من وضع راسه على صدره وقيل اراد بذلك انه اسند كان
علة وكئيبه وعلى ذلك يكون في صدره عند اكبابه عليه الا انه نا ... نفسه دون شداد علة بموته ثم سيلان
نفسه في كفه وامرارها على وجهه واراد بنفسه دمه فقيل ان رسول الله صلى الله عليه وآله قاء وقت موته دما يسيرا

وان عليا عليه السلام مسح بذلك الدم وجهه ولا ينافي ذلك نجاسة الدم لجواز ان يخص دم الرسول صلى الله عليه وآله كما روي
ان ابا طيبة الحجام شرب دمه صلى الله عليه وآله حين حجمه فقال اذن لا يبجع بطنك وكذلك توليه لغسله باعانة الملائكة
وكان هو الذي يغسله والفضل بن عباس يصب الماء عليه وروي انه عصب عيني الفضل حين صب الماء ونقل عنه صلى
الله عليه وآله انه قال لا يبصر عورتي احد غيرك الا عمي وروي انه ما قلب منه عضوا الا وانقلب لا يجد له ثقلا كان يجد من
يساعده عليه وما ذلك الا الملائكة وحيا وميتا منصوبان على الحال من الضمير المجرور في به واما دفنه فتنازع
الصحابة فيه فان ابا طلحة الانصاري وكان يلحد لاهل المدينة على عادتهم فقال اللهم اختر لنبيك فجاء ابو طلحة فلحد له
وتنازعوا فيمن يدخل القبر معه فقال علي عليه السلام لا ينزل معه احد غيري وغير العباس ثم اذن في نزول الفضل واسامة
ثم ضجت الانصار وسالوا ان ينزل منهم رجل فانزلوا اوس بن خولي وكان بدريا وقد يعبر بالضريح عن القبر
فيكون اعم من الشق واللحد واما ضجيج الدار والافنية باصوات الملائكة ملاء يهبط منهم وملاء يصعد بحيث لا ينقطع
هينمتهم سمعه في حال صلاتهم عليه الى ان واراه في ضريحه فقد عرفت كيفية سماع البشر لاصوات الملائكة في مقدمة
الكتاب وكذلك صلواتهم تعود الى وساطتهم في افاضة الرحمة من الله تعالى على العباد وكذلك علمت معنى الصعود
والهبوط منهم فيما سبق واعلم ان حمل الكلام على ظاهره عند الامكان اولى من التعسف في التاويل وذكره هذه
الفضيلة بهذه المقامات يجري مجرى صغرى قياس ضمير من الشكل الاول استدل به على انه لا احق منه به وتقدير
كبراه وكل من كان كذلك مع صلى الله عليه وآله فهو احق به وحينئذ يتبين انه لا احق به منه واراد انه لا احق بالقرب
والقرب منه في حياته بالاخوة والوزارة وبعد موته بالوصية والخلافة اذ لا يريد انه احق به فينبغي ان يريد
كونه احق به في المنزلة وولاية امره بعده ثم عقب ذكر فضيلته بامرهم ان يمضوا في جهاد عدوهم على بصايرهم اي يقينا
انهم على الحق وان عدوهم على الباطل واكد ذلك لعقايدهم بالقسم البار انه فيما يامرهم به على طريق الحق وانهم
على مزلة الباطل وذكر الجادة للحق جذبا اليه والمزلة للباطل تنفيرا عنه ولان الباطل لا طريق واضحة له بعلم
حقا وبرهانا كما عليه طريق الحق وباقي الكلام خاتمة الخطبة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** يعلم عجيج
الوحوش في الفلوات ومعاصي العباد في الخلوات واختلاف النينان في البحار الغامرات وتلاطم الماء
بالرياح العاصفات واشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله نجيب الله تعالى وسفير وحيه ورسول رحمته اما بعد
فاني اوصيكم بتقوى الله الذي ابتدأ خلقكم واليه يكون معادكم وبه نجاح طلبتكم واليه منتهى رغبتكم ونحوه قصد
سبيلكم واليه مرامي مفزعكم فان تقوى الله دواء داء قلوبكم وبصر عمى افئدتكم وشفاء مرض اجسادكم وصلاح
فساد صدوركم وطهور دنس انفسكم وجلاء عشا ابصاركم وامن فزع جاشكم وضياء سواد ظلمتكم فاجعلوا طاعة
الله تعالى شعارا دون دثاركم ودخيلا دون شعاركم ولطيفا بين اضلاعكم واميرا فوق اموركم ومنهلا لحين
وردكم وشفيعا لدرك طلبتكم وجنة ليوم فزعكم ومصابيح لبطون قبوركم وسكنا لطول وحشتكم ونفسا
لكرب مواطنكم فان طاعة الله تعالى حرز من متالف مكتنفة ومخاوف متوقعة واوار نيران موقدة فمن اخذ بالتقوى

عزبت عنه الشدايد بعد دنوها واحلولت له الامور بعد مرارتها وانفرجت عنه الامواج بعد تراكمها واسهلت له
الصعاب بعد انصابها وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها وتحدبت عليه الرحمة بعد نفورها وتفجرت عليه النعم بعد
نضوبها ووبلت عليه البركة بعد ارذاذها فاتقوا الله الذي نفعكم بموعظته ووعظكم برسالته وامتن عليكم
بنعمته فعبدوا انفسكم لعبادته واخرجوا اليه من حق طاعته ثم ان هذا الاسلام دين الله الذي اصطفاه لنفسه
واصطنعه على عينه واصفاه خيرة خلقه واقام دعائمه على محبته اذل الاديان بعزه ووضع الملل برفعه واهان اعداءه
بكرامته وخذل محاديه بنصره وهدم اركان الضلالة بركنه وسقى من عطش من حياضه واتاق الحياض بمواتحه ثم جعله
لا انفصام لعروته ولا فك لحلقته ولا انهدام لاساسه ولا زوال لدعائمه ولا انقلاع لشجرته ولا انقطاع لمدته ولا عفاء لشرائعه ولا جذ لفروعه ولا ضنك لطرقه
ولا وعوثة لسهولته ولا سواد لوضحه ولا عوج لانتصابه ولا عصل في عوده ولا وعث لفجه ولا انطفاء لمصابيحه ولا
مرارة لحلاوته فهو دعائم اساخ في الحق اسناخها وثبت لها اساسها وينابيع غزرت عيونها ومصابيح شبت نيرانها
ومنار اقتدى بها سفارها واعلام قصد بها فجاجها ومناهل روي بها ورادها جعل الله فيه منتهى رضوانه و
ذروة دعائمه وسنام طاعته فهو عند الله وثيق الاركان رفيع البنيان منير البرهان مضيء النيران عزيز السلطان مشرف المنار
معوز المثار فشرفوه واتبعوه وادوا اليه حقه وضعوه مواضعه ثم ان الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وآله اجمعين بالحق حين دنا من
الدنيا الانقطاع واقبل من الاخرة الاطلاع واظلمت بهجتها بعد اشراق وقامت باهلها على ساق وخشن منها مهاد
وازف منها قياد في انقطاع من مدتها واقتراب من اشراطها وتصرم من اهلها وانفصام من حلقتها وانتشار من سببها
وعفاء من اعلامها وتكشف من عوراتها وقصر من طولها جعله الله سبحانه بلاغا لرسالته وكرامة لامته وربيعا لاهل
زمانه ورفعة لاعوانه وشرفا لانصاره ثم انزل عليه الكتاب نورا لا تطفأ مصابيحه وسراجا لا يخبو توقده وبحرا لا
يدرك قعره ومنهاجا لا يضل نهجه وشعاعا لا يظلم ضوؤه وفرقانا لا يخمد برهانه وتبيانا لا تهدم اركانه وشفاء لا
تخشى اسقامه وعزا لا تهزم انصاره وحقا لا تخذل اعوانه فهو معدن الايمان وبحبوحته وينابيع العلم وبحوره ورياض
العدل وغدرانه واثافي الاسلام وبنيانه واودية الحق وغيطانه وبحر لا ينزفه المستنزفون وعيون لا ينضبها
الماتحون ومناهل لا يغيضها الواردون ومنازل لا يضل نهجها المسافرون واعلام لا يعمى عنها السائرون واكام
لا يجوز عنها القاصدون جعله الله تعالى ريا لعطش العلماء وربيعا لقلوب الفقهاء ومحاج لطرق الصلحاء ودواء ليس بعده
داء ونورا ليس معه ظلمة وحبلا وثيقا عروته ومعقلا منيعا ذروته وعزا لمن تولاه وسلما لمن دخله وهدى لمن ائتم به
وعذرا لمن انتحله وبرهانا لمن تكلم به وشاهدا لمن خاصم به وفلجا لمن حاج به وحاملا لمن حمله ومطية لمن اعمله وآية لمن
توسم وجنة لمن استلام وعلما لمن وعى وحديثا لمن روى وحكما لمن قضى **اقول** العجيج رفع الصوت والنينان جمع نون
وهو الحوت والجاش القلب والاوار حر النار والشمس عزبت غابت وانصاب اتعابها وتحدبت عطفت وحنت
والرذاذ ضعيف المطر وعبدوا ذللوا والمحاد المشاق واتاق الحياض ملاها والمواتح المستقون والوعوثة كثرة في
السهولة توجب صعوبة المشي كما في الرمل والوضح البياض والعوج بالفتح فيما له ساق ينتصب كالنخلة وبالكسر

فيما البس كذلك كالطريق والفصل لا عوجاج وساخ غامق السخ الاصل وارتفعا ويحبوحة الدار وسطها
والعيطان المواضع المطمئنة من الارض والحاج جمع محجة وهي جادة الطريق والمعقل الملجا والفلج الفوز والمتوسم
المتفرس واستلام لبس لامة الحرب وهي الدرع وصدر الفصل تنبيه على الخاطر على جزئيات الموجودات على اختلافها
وكثرتها فمنه تهيج الوحوش على ان يعلمها حين يحار اليه من جدب الارض وقلة العشب فكانها تضرع اليه ليجيبها وكذا
الانسان اولى بذلك الفزع اليه وبعلم معاصي العباد في الخلوات شغرا عنها في الخلوة التي هي مظنتها واختلاف
النينان بالبحر والذباب وقطع البحار طولا وعرضا ثم عقب بشهادة الرسالة ثم بالوصية بتقوى الله وقرنها بالجنان
من صفاته تعالى توجب الفزع اليه وهي كونه سبحانه مبدا الخلق ومنتهى معادهم الحسي والعقلي كقوله تعالى وهو خلقكم
اول مرة واليه ترجعون وقد نبهنا عليه مرارا وان به نجاح طلباتهم واليه منتهى رغباتهم ونحو قصدهم وسلوكهم فانه
منتهى غاية الكل واليه مرامى مفزعهم يقال فلان مرمى قصدي اى اليه مفزعي في المهمات ونحوه قوله تعالى واذا مسكم الضر
فاليه تجأرون ثم باعتبارات من صفات التقوى يوجب الفزع اليها فاولها كونها دواء داء قلوبكم وقد عرفت كونها
دواء الادواء الرذايل النفسانية الموبقة وبصر عمى افئدتكم اى ابصار افئدتكم من عمى الجهل ح وشفاء مرض
اجسادكم وذلك ان التقوى يستلزم قلة الاكل والشرب واستعمالها بقدر الحاجة كما قال في صفات المتقين منزورا
اكله وقد علمت ما تحدثه البطنة من الامراض البدنية ولذلك قال عليه السلام المعدة بيت الادواء وصلاح
فساد صدوركم اى من الغل والحسد والخبث والنيات الحالفة لاوامر الله فان التقوى تستلزم نفي ذلك كله واصلاح
الصدور منه لان مبادي تلك الشرور كلها محبة الدنيا وباطلها والمتقون بمعزل عن ذلك وكذلك طهور دنس
انفسكم اى من نجاسات الرذايل المهلكة وهو كقوله دواء داء قلوبكم لكن استعار كونها دواء بها لف اعتبار كونها
طهورا اذ في الاول ملاحظة كون الرذايل امراضا تؤدي الى الهلاك السرمدي وفي الثاني اعتبار كونها نجاسات
يمنع من دخول حظيرة القدس ومقعد الصدق و وجلاء غشاء ابصاركم وقد استعار لفظ الغشاء لما يعرض عن
ظلمة الجهل وساير الرذايل من عدم ادراك الحقائق ويروى غشاء بالعين المهملة وهو الظلمة المتوهمة من الجهل
التي هي حجاب الغفلة وبهذا الاعتبار في التقوى جلا لها لانها لظلمة لما يستلزمه من اعداد النفس للكمال فكونها
تغشاها والجلاء مجاز اطلاقا لاسم السبب على المسبب ز وامن فزع جاشكم او قد علمت انها الامان من عذاب
الاخرة وقد يكون بها الامان من فزع الدنيا الا ان اكبر مخاوف الدنيا الموت وما يؤدي اليه والمتقون العارفون
بمعزل عن خشية الموت بل عساه يكون محبوبا لهم لكونه وسيلة لهم الى اللقاء الخالص لمحبوبهم الاقصى واليه الاشارة
بقوله قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين دل الامر
على ان الصادق في دعوا الولاية يتمنى الموت وكذلك قوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة
من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ح وضياء سواد ظلمتكم واستعار لفظ الظلمة للجهل وقطيعه
للقلب ورشح بذكر السواد لاستلزام الظلمة السواد وهو كقوله وجلاء غشاء ابصاركم وما هي هذه القراين كلها الا

ثم اكد الوصية بطاعة الله تعالى بآداب احدها ان يجعلوها شعارهم وكنى بذلك عن ملازمتهم لها كما يلزم الشعار
الجسد ثم عن كونها في الباطن دون الظاهر لقلة فايدته وهو المشار اليه بقوله دون دثاركم الثاني اكد امرهم بابطانها
بامرهم باتخاذها دخيلا تحت الشعار لامكان ذلك فيها دون الشعار المحسوس ثم فسر ذلك فقال ولطيفا بين
اضلاعكم وكنى بلطفها عن اعتقادها وتعقلها وبكونها بين اضلاعهم عن بواطنها القلوب الثالث ان يجعلوها
اميرا واستعار لفظ الامير باعتبار اكرامهم لها وتقديمها على ساير مهماتهم الرابع ان يجعلوها منهلا لحين ورودهم
اى يوم القيمة واستعار لفظ المنهل لها ووجه المشابهة ان التقوى والطاعة لله مظنة الري من شراب الابرار يوم
القيمة كما ان موارد الابل مظنة ريها الخامس ان يجعلوها شفيعا الى الله ووسيلة لمطالبهم منه وظاهر كون
المطيع يستعد بطاعته لدرك بغيته من الله تعالى ولفظ الشفيع مستعار للوسيلة والقرينة السادس جنة ليوم فزعهم
وظاهر كون الطاعة ساترة يوم القيمة من الفزع الاكبر من عذاب الله السابع ومصابيح لبطون قبورهم وقد عرفت
كيفية اعداد الطاعة لقبول الانفس الانوار العلوية والاسرار الالهية المخلصة من ظلمة القبور والعذاب الاخروي
وفي الخبر ان العمل الصالح يضيء للصالح الظلمة واستعار لها لفظ المصابيح لاستلزامها الانارة الثامن وكذلك
سكنا لطول الوحشة في القبور تستانس به النفوس كما روي ان العمل الصالح والخلق الفاضل يراه صاحبه بعد
الموت في صورة شاب حسن الصورة والثياب طيب الريح فيسلم عليه فيقول له من انت فيقول انا خلقك الحسن وعملك
الحسن وحاصله يعود الى كون الطاعة سببا للاستيناس من وحشة الاخرة وذلك ان الوحشة انما تعرض في المكان
لمن كان غافلا عنه وغير متوقع له ولا مشتهي للانتقال اليه ومستطيبا لوطنه الاول وباهله وجاعلهم كل الانس فلما
اهل الطاعة فانهم ابدا متفكرون فيما ينتقلون اليه ومتذكرون له واثقون بانس ربهم ومشتاقون اليه فانهم
ابعاه وفرحهم دائما بلقائه ما متعاهم في الدنيا انهم لاهلها بابدانهم مجاورون فهم يهربون منها الى العزلة
فبالحرى ان لا تعرض لهم وحشة وان يكون اعمالهم سببا لعدم الوحشة التي عساها تعرض لهم ولما كان للانسان
في الدنيا لا يتصور ما بعد الموت بالحقيقة لاجرم لا بد له من وحشة ما الاثار الانوار الالهية والانس بالرفيق
الاعلى من لها التاسع وكذلك ونفسا لكرب مواطنكم اى سعة وروح لما يعرض من كرب منازل الاخرة واهوالها
العاشر كونها حرزا من متالف مكتنفة وتلك المتالف هي الرذايل الموبقة التي هي محال الهلاك والتلف وكنى
احاطتها بالنفس بحيث لا يكفيها الا طاعة الله وسلوك سبيله والمخاوف المتوقعة مخاوف الاخرة وحرزيتها الحادي
عشر كون التقوى مستلزمة لبعد الشدايد عن المتقي بعد دنوها منه وكثيرا ما يعبر بالتقوى عن الطاعة وان كانت
اخص في بعض المواضع اما في بعد شدايد الاخرة فظاهر واما في الدنيا فلان المتقين هم اسلم الناس من شرورها
لبعدهم عن مخالطتهم ومجاذباتهم لمتاع الدنيا وبغضهم لها اذ كانت محبتها والحرص عليها منشا لجميع الشرور الثاني
الثاني عشر كونها مستلزمة لحلاوة الامور بعد مرارتها اما امور الاخرة فكالتكاليف الواردة عليهم لها بالعبادات
وظاهر انها عند المتقين احلى والذ من كل شيء بعد مرارتها في ذوق من ضعف سلوكهم وثقلها عليهم وعلى غيرهم من الجاهلين

وانما المرض من امور الدنيا فكالفقر والعري والجوع وكل ذلك شعار المتقين وهو احلى في نفوسهم والذ من كل شيء
وان كان مرا في ذوقهم في مبدا السلوك وقبل وصولهم الى ثمرات التقوى الثالث عشر وانفراج الامواج عنهم بعد
تراكمها واستعار لفظ الامواج للهيئات البدنية الردية وملكات السوء التي اذا كانت وتوالت على النفس غرقتها
في بحار عذاب الله وظاهر كون لزوم التقوى سببا ينفرج باستعداد النفوس به عنها تلك الهيئات وينجي من لججها
وان كثرت الرابع عشر كون لزومها سببا التسهيل صعاب الامور على النفس بعد انصبابها وذلك ان المتقين عند ملاحظتهم
ما بينهم من تقواهم يسهل عليهم كل صعب من امور الدنيا مما يشتد على غيرهم كالفقر والمرض وكل شديد وكذلك يسهل
عليهم كل صعب من مطالب الاخرة بعد ان طاب تلك المطالب لهم قبل تصورها التام في اول التكليف الخامس عشر كونها
سببا لهطل الكرامة عليهم والكرامة تعود الى الكمالات النفسانية الباقية والالتذاذ بها ولاحظ في فائضها عليهم
مشابهتها بالغيث فاستعار لها لفظ الهطل واسنده اليها وكذلك لفظ القحوط وكنى به عن منعهم اياها قبل استعدادهم
بالتقوى لها السادس عشر كونه سببا للتعطف الرحمة الالهية بافاضة الكمالات عليهم بعد نفورها لعدم الاستعداد
لها ولفظ التحدب مستعار للارادة والاثر الرحمة وكذلك لفظ النفور لعدم اثرها في حقهم قبل ذلك السابع عشر
كونه سببا لتفجر النعم بعد نضوبها ولفظ التفجر مستعار لانتشار وجوه افاضات النعم الدنيوية والاخروية كما قال تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وكذلك لفظ النضوب لعدمها قبل الاستعداد لها ملاحظة
لشبه النعم بالماء في الاستعارتين الثامن عشر كونه سببا لوبل البركة بعد رذاذها ولفظ الوبل مستعار للفيض الكثير
من البركة بعد الاستعداد بالتقوى ولفظ الرذاذ للقليل منها قبل ذلك الاستعداد ملاحظة لشبهها بالغيث ايضا
وظاهر كون التقوى سببا لمزيد الفيض على كل من كان له بعض الكمالات كمن يستعد بالعلوم دون الزهد والعبادة
ثم يسلك بهما ثم بعد الفراغ من فضائلها والترغيب فيها من تلك الجهة اعاد الامر بها ورغب فيها باعتبارات
اخر من نعم المنعم وهي كونه تعالى نفعكم بموعظته اى حذركم بها اليم الى خشيته ورغبكم في كرامته واعطاكم بسابق
اليهم ومنه عليهم بنعمه كقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم في غير موضع من كتابه ثم امرهم بتعبيده انفسهم وتذللهم
لعبادته والخروج اليه من حقه الذي يطلبه منهم وهو طاعته ثم ذكر الاسلام وفضائله ترغيبا فيه وهو كالتفسير لطاعته
وعبادته كما قال والخروج اليه من حق طاعته الذي هو الاسلام ثم ذكر فضائله اولها كونه اصطفاه لنفسه اى طريقا
الى معرفته وقيل لقربه كونه اصطفاه على عينه وهي كلمة يقال لما يهتم به وكانه للمصلحة التي يختارها من عليه ثم
يشاهدها بعينه ولفظ العين مجاز في العلم وعلى بعيد الحال اى على علم منه بشرفه وفضيلته ووجه الحكمة فيه ونحوه
قوله ولتصنع على عيني ح واصطفاه خير خلقه اى اصطفى للبعثة به والتخصيص به محمد وآله ح واقام دعايمه على محبته ولفظ
الدعايم مستعار اما لاهل الاسلام اولاركانه ووجه المشابهة قيامهما في الوجود كقيام المدعوم بدعايمه وكلمة
على للحال والضمير في محبته للاسلام اى اقام دعايمه حال المحبة له وقيل بل يكون كما تقول طبع الله قلبي على محبته د ازال الادلة
بعزه وذلة الاديان بعود الى عدم الالتفات اليها فيكون مجازا من باب اطلاق اسم السبب على المسبب او ذلة اهلها

فيكون من باب حذف المضاف وظاهر ان عز الاسلام سبب للامرين وكذلك الحلاق لفظ العز للاسلام ح وكذلك
وضع الملل برفعه وكذلك اهان اعداءه وهم المشركون والمكذبون له من الملل السابقة واهانتهم بالقتل واخذ
الجزية والصغار لهم وكرامته اجلاله واجلال اهله وتعظيمهم في النفوس ح وخذل محادية بنصره اى بنصر اهله وفي
القراين الاربع المضادة فالعز للذل والرفع للوضع والكرامة للاهانة والنصر للخذلان ح وهدم اركان الضلالة
كنوطاء العقايد المضلة في الجاهلية اوالى اهل الضلالة وهو مستعار ووجه الاستعارة قيام الضلالة بتلك
العقايد اوباهلها كقيام ذي الاركان بها وكذلك لفظ الهدم لزوال الضلالة بقوة الاسلام واهله ح
وسقى من عطش من حياضه فاستعار لفظ السقي لافاضة علوم الدين على نفوسهم وكالها بها ولفظ العطش لما
كانوا عليه من الجهل البسيط وعدم العلم وكذلك استعار لفظ الحياض لعلماء الاسلام الذين هم وعيته وحملته
التي وذه العطاش من العلوم والحكمة الدينية يا اوانا في الحياض مع نحه واستعار لفظ المواتح اما للائمة من القرآن
الاولى الاخذين للاسلام عن الرسول صلى الله عليه وآله الذي هو الينبوع اولا لامكان العلماء سوى الائمة وبحثهم
من الدين واحكامه واستفادتهم بها ووجه الاستعارتين كونهم مخرجين للعلم والدين من مظانه كما يخرج الماتح
الماء من البئر ولفظ الحياض للمستفيدين ثم جعله لم حيث لا ينفصم من عروة ولفظ العروة مستعار لما يتمسك
الانسان به ورشح بذكر الانفصام ولما كان المتمسك به ناجيا من الهلاك الاخروي والشرور اللاحقة لاهل الملل السالفة
وكان عدم الانفصام مظنة سلامة المتمسك من الهلاك كني به عن دوام السلامة به ح ولا فك لحلقته كناية عن عدم
انقهار اهله وجماعته ح ولا انهدام لاساسه استعار لفظ الاساس للكتاب والسنة الذين هما اساس الاسلام
ولفظ الانهدام لاضمحلالهما وزوالهما ولا زوال لدعايمه استعار لفظ الدعايم لعلمائه او للكتاب والسنة وقوانينهما
واراد بعدم زوالها عدم انقراض العلماء او عدم القوانين الشرعية ح ولا انقلاع لشجرته استعار لفظ الشجرة
لاصله واركانه وهو كقوله ولا انهدام لاساسه ح ولا انقطاع لمدته اشارة الى بقائه الى يوم الدين ح ولا عفاء
لشرايعه وشرايعه قوانينه واصوله وهو كقوله لا انقلاع لشجرته ح ولا جذ لفروعه اى لا ينقطع التفريع عليه بل كل
سليم فكره اصوله وهي الكتاب والسنة استخرج منها ما لم يستخرجه غيره ك ولا ضنك لطرقه وكنى بعدم الضيق
عن عدم صعوبة قوانينه على اهل التكليف وعن لازم الضيق وهو مشقة السالكين به الى الله كما قال صلى الله عليه
وآله بعثت بالحنيفية السهلة السمحة كا ولا وعوثة لسهولته كناية عن كونه في غاية العدل بين الصعوبة وبين
السهولة المفرطة كما عليه اكثر الاديان السابقة من التيسير والتجسيم فان سلوكهما مع ذلك وصعوبتها في غاية
السهولة لكنهما طرف بعيد حصول المطالب الحقيقية والوصول الى التوحيد الخالص منهما فكانت في سهولتها
هذه الوعوثة كب ولا سواد لوضحه استعار لفظ الوضح لصفائه عن كدر الباطل الذي هو سواد الواح نفوس الكافرين
والمنافقين كج ولا عوج لانتصابه واستعار لفظ الانتصاب لاستقامته في اداية الى الله تعالى اذ هو الصراط المستقيم
في الدنيا كد وكذلك ولا عصل لعوده كه ولا وعث لفجه كو ولا انطفاء لمصابيحه عن المصابيح عن علمائه استعار

وبعدم انطفائها عن عدم خلوّ الا من منهم كرّ ولا مرارة لحلاوته وذلك ان حلاوة الاسلام العميقة في قلوب
المتقين لا يشوبها مرارة مترتبة بتكليف وعوها لما يتصوّرونه من شرف غاياتهم كم فهو دعا يراى فالاسلام
دعائم وذلك اشارة الى تعريفه بالخبر وهى كالشهادتين والعبادات الخمس كما ورد في الخبر بنى الاسلام على خمس
قوله اساخ في الحق اساخها اشارة الى كونه تعالى بناها على اسرار من الحق بحيث لا يهتدى اليها الا احاد الخلق
وهى اسرار العبادات كما قوله ينابيع غزرت عيونها اشارة الى تعريفه من قبل مادته وهى الكتاب والسنة و
استعار لهما لفظ الينابيع نظرا الى فيضان العلوم الاسلامية النقلية والعقلية عنهما كفيضان الماء عن
الينابيع ولفظ العيون لما اصله اعنى وهو علم الله تعالى ونفوس ملكته ونبيه صلى الله عليه وآله وظاهر غزارة
تلك العلوم وكثرتها قوله ومصابيح شبت نيرانها اشارة الى مادته ايضا باعتبار ان في الكتاب والسنة ادلة
احكامها وبراهينها فاستعار لها لفظ المصابيح باعتبار كونها تضيء الطريق لطالبها الى الله ورشح بذكر اضرام
نيرانها وعبر به عن غاية اضائتها قوله ومنار اقتدى بها سفارها واعلام قصد بها فجاجها اشارة الى تلك المادة
باعتبار ان فيها امارات على احكام الله الطيبة تقتدى بها المسافرون الى الله لكونها الى قصدها والقاصدون
لطرقها التى هى منصوبة عليها قوله روى بها ورادها استعار لفظ المناهل لتلك المواد ايضا باعتبار كونها
مرويين من العلم لواردها ومقتبسة منها كما روى ورادها الحياض بمائها الى حبل الله في منتهى صفواته وذلك في نحو
قوله تعالى واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا وقوله ان الدين عند الله الاسلام ولان فيه تم
وسيلة الى غاية الكمال الانسانية التى هى منتهى ما يرضاه الله ويحبه من عباده كذ [illegible] عامة الصورة وغاية
الله اى الدعائم التى جعلها عمدة له في اصلاح خلقه وهى الشرايع وقوانينها وظاهر ان الانوار التى بها الاسلام والهدى
التى به اشرف واعلى منها في سائر الشرايع فهو كالذروة لها وسنامها قوله ولفظ السنام مستعار لمجموع ما اشتمل
عليه من البيانات والهدايات ووجه المشابهة شرفها ايضا وعلوها بالنسبة الى الطاعات السابقة عليه كشرف
السنام بالنسبة الى باقى الاعضاء قوله فهو عند الله وثيق الاركان وانكار الخراوه ووثاقتها يعود الى بنائها على الاسس
الحقيقية والعلم التام لواضعها بكيفية وضعها وكمال قابليتها بحيث لا يمكن انقاضها ولا زوالها قوله رفيع البنيان
اى بما ارتقى اليه اهله من المجد والفضيلة وظاهر علو قدره وقدر اهله وتعظيمهم في النفوس على سائر الاديان و
اهلها قوله منير البرهان واراد برهانه الذى دعى الخلق اليه وهو القرآن وسائر المعجزات ولا شك في انارتها واضائتها
في اقطار العالم واهتداء اكثر الخلق بها قوله مضيء النيران واستعار لفظ النيران لانواره من العلوم والاخلاق
المضيئة على علمائه قوله مشرق عزيز السلطان واراد قوته وعزة اهله ودولته ومنعته من انحاء اليه قوله مشرق المنار
كنى به عن علوه وعلمائه واشتهار فضلهم والهداية بهم قوله معوز المثال اى يعجز الخلق اثارته وفا [illegible]
من كنوز الحكم ولا يمكنهم استقصاء ذلك ومعوز المثال اى يعجز الناس اما بالاتيان بمثله واستقصاء حكمه
وثمراته ووجوه المثال وهو ظاهر [illegible] واداء حقه وهو العمل به مع اعتقاد شرفه

وكونه موديا الى الجنة ثم وصفه بحل صفة وهى القلوب لا الالسن والشعار الظاهر وفقط ثم لما فرغ من ذلك
شرع في فضائل من بعث به لتذكرهم نعم الله بعد نعمة وقرن ذكره بذكر احوال الدنيا حين البعث ليظهر شرفها
فالكونها قد دنا انقطاعها واقبال الاخرة واطلاعها وقد بينا ذلك في قوله الا وان الدنيا قد ادبرت و
آذنت بوداع وعلى الجملة فيحتمل ان يريد قرب انقطاع الدنيا وزوالها بالكلية وحضور الاخرة والقيامة
الكبرى كما عليه ظاهر الشريعة ويحتمل ان يريد قرب انقطاع الدنيا كل امرء منهم وحضور اخرتهم بموتهم وانقراض
ولفظ الاطلاع استعارة كما سبق كونها قد اظلمت بهجتها بعد اشراق بهجتها بانوار الانبياء السابقين
وضياء الشرايع واظلامها حين بعث الرسول صلعم باندراس تلك الاثار وفساد صلاح قيامها باهلها على انه
كناية عن ظهور شدائدها واثارة الفتن بين اهلها وما كانت العرب عليه من الخبط والاختلاط في الحروب
الغارات المودية الى الفناء وخشونة المهاد منها وكنى عن عدم الاستقرار بها وطيب العيش فان ذلك قائم
ويعدل بنظام الشرايع والنواميس الالهية وارف منها قيادا اى قرب منها انقيادها للانقطاع والزوال
والانخراط في سلك النقص واقتراب علامات ذلك منها وعلامات زوالها هى علامات الساعة واشراطها
وكذلك تصرم اهلها وانفصام حلقتها وكنى بالحلقة عن نظامها واجتماع اهلها بالنواميس والشرايع ولفظ
عن فساد ذلك النظام بانتشار سببها عن فساد اسباب ذلك النظام فان اسباب النظام التصرف النافع
فيها انما هو بالنواميس الشرعية وقوانينها واستعار لفظ اعلامها للعلماء والصلحاء بها وكان عليهم العفاء
حينئذ وكذلك كنى بعوراتها عن وجوه الفساد فيها وتكشفها عن ظهورها بعد اختفاء وكذلك القصر من طولها
فان الدنيا انما يكون طولها وقلة مدتها عند صلاحها بالشرايع فان نقصها بعد انقضاء وكذلك يكون
عند فسادها وعدم النظام الشرعى ثم رجع الى تعديد فوايد بعثة الرسول صلى الله عليه وآله فان الله تعالى
جعله بلاغا لرسالته وهو كقوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وكرامة لامته لكونه داعيا لهم الى الكرامة
الباقية التامة وسببا لكمالهم كرامة وربيعا لاهل زمانه واستعار لفظ الربيع له ووجه المشابهة كونه
بهجة للمسلمين وعلمائهم وسببا لبطنتهم من العلم والحكمة كما ان الربيع سبب لبهجة الحيوان بمراعيها وبطنتهم
وسمنهم وقوله رفعة لاعوانه اى لاعوان الله وانصاره وهم المسلمون فظاهر كونه صلى الله عليه وآله سبب رفعتهم
شرفهم ثم عقب بذكر بعض الانوار التى بعث بها صلى الله عليه وآله وهو الكتاب العزيز وعدد فضائله فاكونه نورا
لا يطفى مصابيحه واراد نور العلم والاخلاق المشتمل عليها واستعار لفظ المصابيح اما لما اشتمل عليه من علوم وحكم
فاقتدى بها الناس واما العلماء وحاملى فوايده قوله كونه سراجا لا يخبو توقده واراد انه لا ينقطع هدايته لانا
نبوته وهو كما لا وللاج وبحر لا يدرك قعره ولفظ البحر مستعار له باعتبارين احدهما عمق اسراره بحيث لا يحيط
بها الافهام ولا تصل اليها اغوارها العقول كما لا يدرك الغائص قعر البحر العميق والثانى كونه معدنا للجواهر
العلوم النفيسة والفضائل كما ان البحر معدن للجواهر قوله ومنهاجا لا يضل نهجه وظاهر كونه طريقا واضحا للسالك

به الى الله وتفهم مقاصده لا يضل فصدحه قوله وشعاعا لا يظلم ضوئه اى لا يغطى الحق لوارده بظلام شبهة ولا تلبيس الباطل
ولفظ الشعاع والضوء والظلمة مستعار قوله وفرقانا لا يخمد برهانه اى فيه براهين يفرق بين الحق والباطل لا يخمد
ولفظ الخمود مستعار ملاحظة لشبه البرهان بالنار في الاضاءة فنسب اليه وصفها قوله وبنيانا لا تنهدم اركانه
واستعار لفظ البنيان لما انتظم من الكتاب ورسخ في القلوب ورشح بذكر الاركان لاستلزام البنيان لها
قوله وشفاء لا تخشى اسقامه كما قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وظاهر كونه بتدبره واسراره
شفاء للنفوس من امراض الجهل ورذائل الاخلاق وذلك شفاء لا تخاف استعقابه مرضا وذلك ان الفضائل اذا
صارت ملكات لم تزل ولم يتبدل باضدادها وان كان ايضا شفاء للابدان كما سبق قوله وعزا لا تهزم انصاره
حتى وعنى الاعتزاز لاعوانه وانصاره واعوانه هم المسلمون المعترفون به والمتحيون اليه العاملون على وفقه السالكون
به الى الله وظاهر ان اولئك الانصار والاعوان لا تهزمهم احد ولا يخذلهم الله ابدا قوله فهو معدن الايمان الذى
يستفاد به الايمان الكامل بالله ورسوله وبما جاء به وبحبوحته وظاهر كونه استفادته وتفهم مقاصده والعمل
بها واسطة في عقد الايمان قوله وينابيع العلم وبحوره واللفظان استعارة له باعتبار كونه محل فيض العلوم الغيبية
واستفادتها قوله ورياض العدل وغدرانه واللفظان مستعاران ايضا باعتبار كونه مورد ابتهاج العدل
بكليته فهو مورده الذى لا يجور عن سنن الحق الى ان يبلغ به صاحبه السالك به الى الله تعالى قوله واثافى الاسلام
وبنيانه واللفظان مستعاران له باعتبار كونه اصلا للاسلام يبتنى عليه ويقوم كما ان الاثافى للقدر والبنيان
لما يحمل عليه كذلك قوله واودية الحق وغيطانه واللفظان مستعاران له باعتبار كونه معدنا للحق ومظنته كما
ان الاودية والغيطان مظان الكلاء والماء قوله وبحر لا ينزفه المستنزفون وعيون لا ينضبها الماتحون انما كرر
استعارة البحر والعيون له باعتبار اخر وهو كونه لا ينتهى فوايده والمقاصد المستنبطة منه وكذلك ومناهل
لا يغيضها الواردون وخصص النضوب بالعيون لامكان ذلك فيها دون البحر والورود بالمناهل لكون المنهل
موردا لرى غاية ما يرد الماء منها قوله ومنازل لا يضل نهجها المسافرون اى مقامات من العلوم اذا نزلها العقول السالكة
الى الله لا تضل لاستنارتها وشدة اضائتها قوله وكذلك واعلام لا تعمى عنها السائرون كما وكذلك قوله واكام
لا يجوز عنها القاصدون استعار لفظ الاعلام والاكام للادلة والامارات فيه على طريق الله معرفته واحكامه
باعتبار كونها هادية اليه كما تهدى الاعلام والجبال على الطرق قوله جعله الله ريا لعطش العلماء استعار
لفظ الرى له باعتبار كونه دافعا لالم الجهل عن النفوس كما يدفع الماء الم العطش ولفظ العطش للجهل
البسيط والاستعداد الطالبين للعلوم واشتياقهم الى الاستفادة واطلق لفظ الرى على المروى مجازا
اطلاقا لاسم الاثر على المؤثر قوله وربيعا لقلوب الفقهاء ولفظ الربيع مستعار له باعتبار كونه مرعى لعقول
الفقهاء يستثمرون منه فنون الاحكام ويبتهجون بها كما ترتع الحيوان فيه قوله ومحاج لطرق الصلحاء فظاهر كونه
واضحا للسالكين الى الله قوله ودواء ليس بعده داء كقوله شفاء لا تخشى سقامه قوله ونورا ليس معه ظلمة اى لا

يبقى مع هدايته الى الاحكام ظلمة على البصيرة وهو كقوله وشعاعا لا يظلم نوره قوله وحبلا وثيقا عروته استعار
لفظ الحبل له والعروة لما استمسك به منه وكنى بوثاقة عروته عن كونه منجيا لمن تمسك به قوله ومعقلا منيعا ذروته استعار
لفظ المعقل باعتبار كونه ملجا من الجهل ولوازمه وهو العذاب ورشح بذكر الذروة وكنى بمنعتها عن كونه حرزا منيعا
من لجأ اليه كما قال وعزا لمن تولاه اى اتخذه وليا يلتجئ اليه معا يجاوره ولا يجا العدو وظاهر كونه سبب عزة في الدارين
قوله وسلما لمن دخله اى امنا ودخوله الخوض في تدبر مقاصده واقتباسها وبذلك الاقتباس يكون مامنا من عذاب
الله ومن الوقوع في الشبهات التى هى مهاوى الهلاك قوله وهدى لمن ائتم به وهو ظاهر قوله وعذرا لمن انتحله اى من
نسبه الى نفسه بدعوى حفظه او تفسيره ونحو ذلك معتذرا بذلك من تكليف لا يليق به او يشق عليه كان ذلك
عذرا منجيا له وهذا كما يقول لمن يقصده اننا بإذى لا ينبغى لك ان تؤذيه فانه من حملة القرآن الكريم او ممن يعلم
علومه فيكون ذلك سببا للترك اذا قوله وبرهانا لمن تكلم به وشاهدا لمن خاصم به قوله وفلجا لمن حاج به الثلثة
مستعاره واطلق لفظ الفلج عليه من جهة ما يحتج به اطلاقا لاسم الغاية على ذى الغاية اذ غاية الاحتجاج به الغوز
والشاهد والحجة اعم من البرهان قوله وحاملا لمن حمله اى يحمل يوم القيمة حامله وحفظته الان وعبر بحمله لهم عن
انجائه لهم من العذاب اطلاقا لاسم السبب على المسبب قوله ومطية لمن اعمله استعار له لفظ المطية باعتبار كونه
منجيا لهم كقوله حاملا ولفظ الاعمال لتتبع قوانينه والمواظبة عليها المنجية من العذاب كما ينجى اعمال المطية
في الطريق البعيد قوله واية لمن توسم وذلك باعتبار تدبر امثاله وقصصه فان فيها ايات وعبرا كما قال تعالى ان
في ذلك لايات للمتوسمين قوله وجنة لمن استلأم اى لمن استلبسه ولبسه كالدرع واستعار له لفظ الجنة لوقايته
من استعد بعلمه من عذاب الله وكنى باستلامه عن ذلك الاستعداد به قوله وعلما لمن وعى اى لمن حفظه وفهم مقاصده
قوله وحديثا لمن روى وذلك باعتبار ما فيه من القصص واخبار القرون الماضية فان اصدق حديث يروى منها
ما اشتمل عليه القرآن ويحتمل ان يريد بكونه حديثا كونه قولا وكلاما ليس بقديم كما قال تعالى الله الذى احسن الحديث
كتابا متشابها مثانى ويكون فائدة هذا الوصف ترغيب لمن اراد ان يتحدث بحديث حسن مما لا يفيد فلذا
فينبغى ان يعدل اليه ويشتغل بتلاوته والتحدث به قوله وحكما لمن قضى اى فيه الاحكام التى يحتاج اليها القضاة
وذوو الحكم اليه القضاء اى حاكما يرجع اليه القضاة ولا يخرجون عن حكمه وبالله التوفيق ومن خطبة له
عليه السلام كان يوصى به اصحابه تعاهدوا امر الصلوة وحافظوا عليها واستكثروا منها وتقربوا بها فانها
كانت على المؤمنين كتابا موقوتا الا تسمعون الى جواب اهل النار حين سئلوا ما سلككم في سقر قالوا لم نك
من المصلين وانها لتحت الذنوب حت الورق وتطلقها اطلاق الربق وشبهها رسول الله صلى الله عليه وآله
بالحمة تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات فما عسى ان يبقى عليه من الدرن وقد
عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زينة متاع ولا قرة عين من ولد ولا مال يقول الله سبحانه
رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكان رسول الله صلعم نصبا بالصلوة

بعد التبشير له بالجنة لقوله تعالى وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها وكان يأمر بها أهله ويصبر عليها نفسه
ثم إن الزكوة جعلت مع الصلوة قربانا لأهل الإسلام فمن أعطاها طيب النفس بها فإنها تجعل له كفارة ومن النار حجازا
ووقاية فلا يتبعنها أحد نفسه ولا يكثرن عليها لهفه فإن من أعطاها عن طيب النفس بها يرجو بها ما هو أفضل منها
فهو جاهل بالسنة مغبون الأجر ضال العمل طويل الندم ثم أداء الأمانة فقد خاب من ليس من أهلها إنها عرضت على
السموات المبنية والأرضين المدحوة والجبال ذات الطول المنصوبة فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم منها
ولو امتنع شيء بطول أو عرض أو قوة أو عز لامتنعن ولكن أشفقن من العقوبة وعقلن ما جهل من هو أضعف منهن وهو
الإنسان إنه كان ظلوما جهولا إن الله سبحانه لا يخفى عليه ما العباد مقترفون في ليلهم ونهارهم لطف به خبرا وأحاط
به علما أعضاؤكم شهوده وجوارحكم جنوده وضمائركم عيونه وخلواتكم عيانه **أقول** الرتج جمع رتجة وهي الحلقة
في الحبل والجمة بالجيم الحفيرة يجمع فيها الماء وروي بالحاء والمعنى واحد والدرن الوسخ والضب الشاعب الاحتراق
وحاصل الفصل الوصية بالمحافظة على أمور ثلثة والحث عليها أولها الصلوة فأمر بتعاهدها والمحافظة عليها
وذلك باعتقاد الإنسان لأحوال نفسه حال الصلوة ومراقبتها حذرا أن يشوبها نزغات الشيطان ورياء فيها أو التهاون
فيها ثم بالمحافظة على أوقاتها وأداء أركانها كما هي ثم بالاستكثار منها والتقرب بها إلى الله لكونها أفضل العبادة
والقرب إليه ثم أشار إلى فضيلتها ووجوبها من وجوه أحدها قوله فإنها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وهو لفظ
القرآن الكريم وموقوتا مفروضا وقيل نجما في كل وقت صلوة معينة الثاني التحذير لتاركها بالتنبيه على سؤال أهل النار
لدخول النار بقوله ألا تسمعون إلى قوله من المصلين الثالث أنها تحت الذنوب حت الورق وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس
ووجه الشبه ظاهر وكذلك ويطلقها إطلاق الربق ويطلق أعناق النفوس من أغلالها كما يطلق الربقة من عنق
الشاة الرابع تشبيه رسول الله صلى الله عليه وآله لها بالحمة يكون على باب الرجل وصورة الخبر عنه صلى الله عليه وآله أيسر
أحدكم أن على بابه حمة يغتسل منها كل يوم خمس مرات فلا يبقى عليه من درنه شيء قالوا نعم قال فإنها الصلوات الخمس
الخامس شهادة بذكر عرفان رجال من المؤمنين وهم الموصوفون في الآية بعدها السادس نصب الرسول صلى الله عليه
وآله فيها وأمر الله تعالى له بالمواظبة عليها بعد تبشيره له بالجنة وذلك في قوله وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها
وامتثاله لذلك الأمر في نفسه وأهله وروي أنه صلى الله عليه وآله قام في الصلوة حتى تورمت قدماه فقيل له في ذلك
فقال أفلا أكون عبدا شكورا وذلك من أوضح الدلائل على كثرة فوائدها وقوة فضيلتها واعلم أنه قد ورد في فضلها
أخبار كثيرة بعد تأكيد القرآن الكريم للأمر بها وقد بينا ذلك وأسرار أفضليتها إشارة مستوفاة في الفصل الذي
أوله إن أفضل ما يتوسل به المتوسلون إلى الله سبحانه الإيمان به وبرسوله الثانية مما أمر بالمحافظة عليه الزكوة وهي
قرينة الصلوة في الذكر في الكتاب العزيز وفي الفضيلة ولذلك قال جعلت مع الصلوة ثم أشار إلى سرها وهو
كونها قربانا لأهل الإسلام وسنبين ذلك وأشار بقوله فمن أعطاها إلى قوله طويل الندم إلى شرط كونها مقربة
إلى الله تعالى وبيان كون قبولها مشروطا بطيب النفس ببيان سرها وقد عرفت أيضا في ذلك الفصل وعلمت أن من أقسام

المسترلين

المسترلين من المال من اقتصر على أداء الواجب من الزكوة من غير زيادة ولا نقصان وهم العوام لجهلهم بسر البذل
وتعلقهم بالمال وميلهم إليه عن ضعف حبهم للآخرة قال تعالى إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا وطهارة الفرقة الذين
ذكرناهم بما اشتمل على المال ومحاسبتهم وقربهم من الله وبعدهم بقدر طيب أنفسهم عن بذل المال والإعراض عنه ومحبته
وهذه الفرقة أعني من اقتصر منهم على أداء الواجب فقط ينقسم إلى من أدى ذلك الواجب بطيب نفس وسماحة وإلى من أداه
مع بقاء محبته وتكدير النفس ببذله والتلهف عليه انتظارا لجزائه وباعتبار القسم الأول يخرج القسم الأول من
هذه الفرقة يكون بذل المال والزكوة قربة إلى الله تعالى وهو الذي أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله إن الزكوة
إلى قوله ووقاية وإن كان قد خصص الزكوة هنا وإنما يكون قربانا لأن الإسلام فهذا المحبوب الذي يتصور بأنه
ان جميع الكمالات الدنيوية يستفاد منه بحيث عنه ومحبته ورغبته فيما عنده ويكون كفارة ما جنته رذيلة البخل وما
يلزمه من الذنوب ويكون حجابا بين العبد وبين عذاب الله إذ علمت أن سبب العذاب في الآخرة حب الدنيا وأعظم
حب المال فإذا كان بذل المال مستلزما لزوال الحب كان بذلك الاعتبار حجابا من العذاب ووقاية منه وأما إتيانه
الزكوة على الوجه الثاني فهو المذموم والمنهي عنه بقوله ولا يكثرن عليها لهفه بعد أمره بها في قوله فلا يتبعنها
أحد نفسه ويلزم باذلها على ذلك الوجه النقايص المذكورة وهي الجهل بالسنة فإن السنة في أدائها أن يؤدي بطيب
نفس وسماحة وأن يكون مغبونا في الأجر فإن ثوابها على وجه يتوقع جزاءها الأعلى وهو القرب إلى الله ونيل
رضوانه وذلك هو الغبن وأن يحصل له جزاء غير رضوان الله فإن الحصول على كل جزاء غير رضوانه جزاء ناقص وغبن
فاحش بالنسبة إليه وأن يكون ضال العمل وهو إعطاؤه ذلك المال وبذله على غير وجهه وقصده به غير سبيل
الهدى إلى رضوان الله وأن يكون طويل الندم أي في محبة المال وفيما يرجوه من الجزاء الثالث مما أوصى بأداء الأمانة
وهي التي أشار القرآن الكريم إليها بقوله إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال الآية وقد بينا
فيما سلف أنها تعود إلى العبادة والطاعة المطلوبة من الإنسان بما هو إنسان وظاهر أن تلك العبادة لا يمكن
من غيره فإنه إنما حملها من حيث خلق مستصلحا للدارين وبيان ذلك أن مخلوقات الله تعالى إما الجمادات أو ذات حياة
وذوات الحياة إما الملائكة أو الحيوان الأرضي إما أعجم أو ناطق فالحيوان فيها وهو الإنسان هو المناسب لعمارة
الدارين والكون فيهما وهو الواسطة بين خلقين وضيع وهو الحيوان الأعجم وشريف وهو الملك وقد اجتمع
فيه قوى العالمين فهو كالحيوان في الشهوة والغضب وقوة التناسل وسائر القوى البدنية المختصة بالحيوان وهو
كالملك في القوة المجردة والعقل والعلم والعبادة وسائر الكمالات النفسانية ووجه الحكمة في ذلك أنه تعالى لما
اقتضت عنايته إيجاد هذه العبادة المخصوصة أن يجعل في الأرض خليفة لعمارتها جمع له بين القوتين فإنه لو كان
كالبهيمة خاليا عن العقل لم يتأهل لمعرفته وعبادته الخاصة ولو خلق كالملك معرى عن الشهوة والغضب وسائر القوى
البدنية لم يصلح لعمارة أرضه وخلافته فيها ولذلك قال للملائكة إني أعلم ما لا تعلمون وإذن هذه العبادة الخاصة
وهي الأمانة المشار إليها لا يصلح لها إلا الإنسان ولا يمكن من غيره وعلمت أيضا فيما سلف أن إباء السموات والأرض

والجبال عن حملها يعود إلى امتناع قبولها بلسان حال قصورها وعدم صلاحيتها لها وإشفاقها من عقوبة
الله على التقصير عن أداء حقوقها كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله أشفقن من العقوبة ولم يكن ذلك
إباء استكبار لخضوعها تحت ذل الحاجة إليه فلفظ الإشفاق مجاز في حقها ولازمه وذلك أن السلطان مثلا
إذا كلف بعض رعيته حمل أمانة تكليف تخيير فخاف ذلك المكلف العقوبة على تقصيره في أداء تلك الأمانة
فإن خوفه يستلزم تركه وامتناعه من حملها فكان الامتناع من الأمانة مسببا عن الإشفاق فأطلق الإشفاق
هنا على إباء السموات والأرض بلسان حالها مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبب وقيل إن ذلك الإباء
والإشفاق على وجه التقدير والتمثيل بلفظ الواقع لأن الواقع أبلغ من المقدر أي لو كانت هذه الأجرام عاقلة
ثم عرضت عليها وظايف الدين عرض تخيير لاستثقلت ذلك مع كبر أجسامها وشدتها ولأشفقت من حملها
إشفاقا من القصور عن أداء حقها ثم إن مخاطبة الجماد والأخبار عنها نظرا إلى قرينة الحال طريقة مشهورة
للعرب مستحسنة في تعارفهم كقولهم يا دار ما صنعت بك الأيام ونحوه بل مخاطبة بعض الجمادات لبعض بلسان
حالها كقولهم قال الحائط للوتد لم تشقني قال سل من يدقني ونحو ذلك كثير فأما قوله عليه السلام وقد
خاب من ليس من أهلها فلأن الخيبة تعود إلى الحرمان ثمرة هذه العبادة وما يستلزمه من الحصول على الكمال
إذ ليس من أهلها وذكر كون السموات مبنية والأرض مدحوة والجبال بأطوالها وعرضها وعلوها وعظمها
تنبيه للإنسان على جرأته على المعاصي وتضييع هذه الأمانة إذا هو أهل لها وحملها وتعجب منه في ذلك فكأنه يقول
إذا كانت هذه الأجرام العلوية التي لا أعظم منها قد أشفقت من حمل هذه الأمانة حين عرضت عليها فكيف حملها
من هو أضعف منها وقوله ولو امتنع شيء إلى قوله لامتنعن إشارة إلى أن امتناعهن لم يكن لعزة وعظمة لجبار وملال
من الطاعة له وأنه لو كان كذلك لكانت أولى الخلق بالعزة عن كل شيء لأعظمية أجرامها على كل المخلوقات بل إنما
ذلك عن ضعف وإشفاق من خشية الله وعقلهن ما جهل الإنسان قيل إن الله تعالى عند خطابه لها خلق فيها
فهما وعقلا وقيل إن إطلاق العقل مجاز في سببه وهو الامتناع عن قبول هذه الأمانة كلفظ الإشفاق فإنه
عقلية المكلف العقوبة على التقصير في تكليف تخيير فيه ويخاف التقصير فيه يستلزم تركه لذلك التكليف و
استعفاءه منه وإذ لم يكن لها عقل من جهة ما هي أجرام أطلق لفظ العقل على لازمه وثمرته وهو الامتناع ولا
مجاز إطلاقا لاسم السبب على المسبب كإطلاق لفظ الإرادة على ميل الحائط في قوله تعالى جدارا يريد أن
ينقض وأقول يحتمل أن يعود الضمير في أشفقن وعقلن إلى من يعقل إليها من الملائكة السموية إذ لكل جرم سماوي ملك
يدبره هو كالبدن له لإمكان ذلك فيها دون سائر الأجرام الأرضية وما جهله الإنسان هو عظمة الله وغاية
هذه الأمانة وتقصيره في أدائها ولحاقها المستلزم لعقوبته واستحقاق سخط الله وكونه جهولا أي كثير الجهل بأسرار
هذه الأمانة والغفلة عما يستلزمه فعلها وتركها عن الوعيدات الواردة على التقصير فيها وقوله إن الله لا يخفى
عليه إلى آخره تنبيه لهذا الظلوم الجهول على إحاطة علم الله تعالى بجميع أحواله وأكتنا بأنه في ليله ونهاره وأنه

لطيف

لطيف الخبر والمعرفة بها ينفذ علمه في البواطن كما يقع على الظواهر وقوله وأعضاؤكم شهوده أي شهود له عليكم
من قوله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وجوارحكم جنوده وذلك باعتبار
كونها معينة عليهم وضمائركم عيونه أي طلايعه وجواسيسه كقوله وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين و
تلك الشهادة والإعانة بلسان الحال وقد عرفت كيفية إنطاق الجوارح وشهادة النفوس على أنفسها وكون
بالخلوات عما يعمل فيها من معاصي الله مجازا وإنما خصها لأنها مظنة المعصية ويحتمل أن يريد بالخلوة مصدر
قولك خلوت خلوا أي المكان فيكون حقيقة وظاهر كونها عيانا لله أي معاينة له وكل ذلك تحذير وتنفير
عن تحريك الجوارح وتصريفها والخلوة بها فيما لا ينبغي من المعاصي وبالله العصمة والتوفيق **ومن كلام له عليه السلام**
والله ما معوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس ولكن كل غدرة فجرة وكل
فجرة كفرة ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيمة والله ما استغفل بالمكيدة ولا استغمز بالشديدة **أقول** الدهاء
استعمال العقل والرأي الجيد فيما لا يراد فعله مما لا ينبغي مع إظهار إرادة غيره ويسمى صاحبه داهيا وداهية للمبالغة
تحيلا ومكرا وحيلا وهو داخل تحت رذيلة الجربزة وهي طرف الإفراط من فضيلة الحكمة العملية ويستلزم
رذايل كثيرة كالكذب والغدر وهو الرذيلة المقابلة لفضيلة الوفاء بالعهود التي هي ملكة تحت العفة والفجور
المقابل لفضيلة العفة فقوله عليه السلام ما معوية بأدهى مني أي ليس بأقدر مني على فعل الدهاء وأكد ذلك
بالقسم البار وقوله ولكنه يغدر ويفجر إشارة إلى لوازم الدهاء التي لأجلها ترك وهو الغدر وبواسطته
الفجور فإن الوفاء لما كان نوعا تحت العفة كان الغدر الذي هو رذيلة نوعا تحت ما يقابل العفة وهو
الفجور ولذلك نفي الدهاء عن نفسه لكراهية الغدر ونفيه له عن نفسه لأن نفي اللازم يستلزم نفي الملزوم
ثم جعل الغدر أوسط في إثبات الفجور لمعوية بقياس صغير من الشكل الأول فقوله ولكنه يغدر في قوة صغرى
القياس وقوله ويفجر في قوة النتيجة فكأنه قال ولكنه يغدر فهو يفجر ونبه على الكبرى بقوله وكل غدرة فجرة
فصار الترتيب هكذا ولكنه يغدر وكل غادر فاجر فهو إذن يفجر ثم نبه على لزوم الكفر له بقياس آخر من الشكل
الأول نبه على صغراه بقوله وكل غدرة فجرة وعلى كبراه بقوله وكل فجرة كفرة وإذ ثبت في القياس الأول أنه
فاجر واستلزم قوله وكل فجرة كفرة أن كل فاجر كافر ثبت بهاتين المقدمتين أنه كافر وروي غدرة فجرة وكفرة
وهو كثير الغدر والفجور والكفر وذلك أصرح في إثبات المطلوب قال بعض الشارحين ووجه لزوم الكفر هنا
أن الغادر على وجه استباحة ذلك واستحلاله كما هو المشهور من حال عمرو بن العاص ومعوية في استباحة ما
علم تحريمه بالضرورة من دين محمد صلى الله عليه وآله وجحده وهو معنى الكفر ويحتمل أن يريد كفر نعم الله وسترها بالمعصية
معصيته كما هو المفهوم اللغوي من لفظ الكفر وإنما وحد الكفرة ليتعدد الكفر عقيب تعدد الغدر فيكون
أدعى إلى التنفير عن الغدر إذ هو في معرض التنفير عنه وقوله ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيمة لفظ الخبر
النبوي وهو تنفير عن رذيلة الغدر وقوله والله ما استغفل بالمكيدة تقرير وتأكيد لما ذكره من معرفته بوجوه

الآراء وكيفية الدهاء للداهي فان من يكون كذلك لا يلحقه غفلة عما يعمل عليه من الحيلة والمكيدة وقوله
ولا استغمز بالرأي المجهة اي لا يطلب غمزي واضعافي فاني لا اضعف عما ارمى به من الشدايد وروي بالرأي لا
استجهل بالشدايد المكايد وهذا القول صدر منه عليه السلام كالجواب لما كان يسمعه من اقوال الجاهلين بحاله
ونسبتهم له الى قلة التدبير وسوء الرأي ونسبة معوية الى استخراج وجوه المصالح والآراء الصحيحة في الحروب وغيرها
واعلم ان الجواب عن هذا الخيال يستدعي فهم حاله عليه السلام وحال معوية وغيره من حيث الجودة الرأي وعدمها
التفاوت بينهم وبينه وذلك راجع الى حرف واحد وهو انه عليه السلام كان ملازما في جميع حركاته قوانين الشريعة
مدفوعا الى اتباعها ورفض ما العادة ان يستعمل في الحروب من التدابير من الدهاء والخبث والمكر والحيلة الا
في النصوص وتخصيص عموماتها بالآراء وغير ذلك مما رخص فيه الشريعة وكان غيره يستعمل جميع ذلك سواء وافق
الشريعة او لم يوافق فكانت وجوه الحيل والتدابير عليهم اوسع وكان مجالها عليه اضيق ونقل عن ابي عثمان عمرو بن
بحر الجاحظ في هذا المعنى كلام طويل خلاصته انه قال ربما رأيت بعض من يظن بنفسه العقل والعلم انه من الخاصة
وهو من العامة يزعم ان معوية كان ابعد غورا واصح فكرا واجود مسلكا من علي عليه السلام وليس الامر كذلك وسأومي الى موضع
غلطه وذلك ان عليا عليه السلام كان لا يستعمل في حروبه الا ما يوافق الكتاب والسنة وكان معوية يستعمل ما يخالفهما
كما يستعمل ما يوافقهما ويسير في الحرب بسيرة ملك الهند اذا لاقى كسرى وكان علي يقول لاصحابه لا تبدءوهم بالقتال حتى
يبدؤكم ولا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تفتحوا بابا مغلقا هذه سيرته في ذي الكلاع وفي ابي الاعور السلمي
عمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وفي جميع الرؤساء كسيرته في الحاشية والاتباع واصحاب الحروب انما يقصدون الوجه
الذي به هلاك الخصم وينظرون وجه الفرصة سواء كان مخالفا للشريعة كالتحريق والتغريق ودس السموم والتضريب
بين الناس والكذب والقاء الكتب في العسكر او موافقا لها فمن اقتصر في التدبير على الكتاب والسنة فقد منع نفسه
الطويل العريض من التدبير وما لا يتناهى من المكايد والصدق والكذب اكثر من الصدق وحده والحلال والحرام
اكثر من الحلال وحده فعلي عليه السلام كان ملجما بلجام الورع عن جميع القول الا ما فيه لله رضى وممنوع اليدين من كل
بطش الا ما احل له الكتاب والسنة دون الدهاء والمكر والمكايد فلما رأت العوام نوادر معوية في المكايد وكثرة
معاييبه في الخديعة وما اتفق له ولم يروا مثل ذلك من علي عليه السلام ظنوا بقصور عقولهم ان ذلك من رجحان عقل معوية
ونقصان في علي عليه السلام ثم انظر بعد ذلك كله هل يعد لمعوية من الخداع اكبر من رفع المصاحف ثم انظر هل خدع بها
الا من عصى امر علي عليه السلام وخالف امره من اصحابه فان ذهبت الى انه ما اراد بعد من الاختلاف على علي فقد صدق
ولكن ليس ذلك محل النزاع ولم يختلف في غرار اصحاب علي وعجلتهم وتسرعهم وتنازعهم وانما كانت المحنة التمييز
بين معوية في الدهاء والمكر وصحة العقل والرأي فهذه خلاصة كلامه ومن تامله بعين الانصاف علم صحته وصدقه
ومن هنا يتبين لك الجواب عن كل ما نسب اليه لم يقبله في خلافته كعدم اقراره لمعوية على الولاية في اول خلافته
بعزله بعد ذلك لما يلزم في تقريره له من الظلم وكشبهة التحكيم وكتسيبه له الى الوحشة لبعض اصحابه حتى فارقوه

الى

الى معوية كاخيه عقيل وشاعره النجاشي ومصقلة بن هبيرة وكنكثه لطلحة والزبير حتى فارقاه وخرجا الى مكة وادى الحال
الى العمرة وذهب هذا الرأي اه ارتباطهما عنده وسعة لهما من البعد عنه وامثال ذلك فان الانصاف عند اعتبار حاله
في جميع ما نسب اليه يقتضي موافقته للشريعة وعدم خروجه عنها وتفصيل الاجوبة عن ذلك مما يخرج عن الغرض وبالله
التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** ايها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة اهله فان الناس قد اجتمعوا
على مائدة شبعها قصير وجوعها طويل ايها الناس انما يجمع الناس الرضا والسخط وانما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم
الله بالعذاب لما عموه بالرضا فقال سبحانه فعقروها فاصبحوا نادمين فما كان الا ان خارت ارضهم بالخسفة خوار السكة
المحماة في الارض الخوارة ايها الناس من سلك الطريق الواضح ورد الماء ومن خالف وقع في التيه **اقول** السكة
في راس خشبة الفدان تثير بها الارض وخوارها صوتها في الارض والارض الخوارة الضعيفة وحاصل الفصل ترغيب
اصحابه السالكين لطريق الهدى في البقاء ما هم عليه بذكر كون طريق الهدى ومن العادة ان يستوحش الناس من الوحدة
وقلة الرفقة في الطريق الطويل الصعب فنهى عن الاستيحاش في تلك الطريق وكنى به عما عساه يعرض لبعضهم من الوسوسة
بانهم ليسوا على حق لقلتهم وكثرة مخالفيهم لان قلة العدد في الطريق مظنة الهلاك والسلامة مع الكثرة ونحو ذلك
فنبههم على انهم في طريق الهدى وان كانوا قليلين وقوله فان الناس اجتمعوا الى قوله طويل تنبيه على علة قلة اهل الهدى
وهو اجتماع الناس على الدنيا واستعار لها لفظ المائدة ملاحظة لشبهها بها في كونها مجمع اللذات وكنى عن
قصر مدتها بقصر شبعها وعن استعقاب الانهماك فيها للعذاب الطويل في الآخرة بطول جوعها ولفظ الجوع مستعار
للحاجة الطويلة بعد الموت الى المطاعم الحقيقية الباقية من الكمالات النفسانية الفائتة بسبب الغفلة في الدنيا فلذلك
نسب الجوع اليها ويحتمل ان يكون مستعارا لما يلحقهم عليه الفزع والتأسف بعد المفارقة من اللذات الدنيوية التي لا حصول
عليها بعد الموت ابدا فيطول جوعها فيها وراعى المقابلة فالجوع بازاء الشبع والطول بازاء القصر وقوله ايها الناس الى
قوله السخط اي انما يجمع الناس في عذاب الله رضاهم بالمنكرات ومعاصي الله وان لم يباشرها اكثرهم وسخطهم لمحابه من
الاعمال ومصداق ذلك قصة ثمود في عموم العذاب لهم بفعل عاقر الناقة فانهم باسرهم ما فعلوا ذلك مع نسبة الفعل
الى جميعهم كما قال تعالى فعقروها الآية وعمتهم العقوبة لما عموه بالرضى والضمير في عموه يعود الى الرجل او الى العقر الذي
دل عليه قوله عقر اي لما عموا فعله برضاهم به والى الاشارة بقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
وظاهر ان الراضي بفعل شريك فاعله في قوته وكذلك انما يجمع الله الناس في حشرهم باجتماعهم على الرضا بمحابه والسخط
لمكارهه وقوله فما كان الا ان خارت ارضهم الى قوله الخوارة تفسير للعذاب اللاحق لهم المشار اليه بقوله فاصبحوا نادمين
فاخذهم العذاب وقد فسره القرآن الكريم ايضا في قوله فاخذتهم الرجفة فبين كيفية ذلك وشبه صوت ارضهم
في خسوفها وذهابها في الارض بصوت السكة المحماة في الارض عند الحرث بها وانما زاد هنا صفة المحماة تنبيها على قوة
تصويتها وسرعة غوصها لان المحماة يكون لها في الارض نشيش زايد على ما يقتضيه حركتها ويعينها الحمي على النفوذ فاما
قصة ثمود فالمنقول انهم خلفوا عادا في ارضهم بعد هلاكهم عنها فكثروا وعمروا اعمارا طويلة حتى كان الرجل يبني المسكن

الحديدة م

المحكم فيهدم في حياته فنحتوا البيوت في الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا عن امر الله وافسدوا في الارض
وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل
منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسالوه آية فقال اية آية تريدون فقالوا اخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم من السنة
الهتك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال نعم فخرج معهم ودعوا اربابهم وسالوها
فلم تجب فقال كبيرهم واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يسمونها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة جوفاء
وبراء فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ عليهم المواثيق بذلك ثم صلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة كما تمخض النتوج
بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما طلبوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن
رئيسهم ونفر من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤسائهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء
وكانت ترد غبا فاذا كان يوم شربها وضعت راسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تملى
اوانيهم فيشربون ويدخرون فاذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد
تشتت بطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت لهم عقرها امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت
المختار لما كانت كثيرة المواشي لما اضرت بمواشيهما فعقرها قدار الاحمر واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى
جبلا يقال له قارة فرغا ثلثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجت
الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم الثالث وهي
مسودة ثم يغشاكم العذاب فلما رأوا العلامات هموا بقتله فانجاه الله الى ارض فلسطين فلما كان اليوم الرابع
وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة وخسف شديد وزلزال فتقطعت قلوبهم فهلكوا
وبالله العصمة والتوفيق هذا آخر المجلد الثالث ويتلوه المجلد الرابع من هذا الكتاب والحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

ومن كلام له عليه السلام روي عنه انه قاله عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام كالمناجي رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم عند قبره السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك قل
يا رسول الله عن صفيتك صبري ورق عنها تجلدي الا ان لي في التاسي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعز فلقد
وسدتك في ملحودة قبرك وفاضت بين نحري وصدري نفسك انا لله وانا اليه راجعون فلقد استرجعت الوديعة واخذت
الرهينة اما حزني فسرمد واما ليلي فمسهد الى ان يختار الله لي دارك التي انت بها مقيم وستنبئك ابنتك فاحفها
السؤال واستخبرها الحال هذا ولم يطل العهد ولم يخل الذكر والسلام عليكما سلام مودع لا قال ولا سئم فان انصرف

فلا عن

فلا عن ملالة وان اقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين **اقول** مسهد مؤرق واحفها السؤال استقص عليها
فيه واما قول السيد رضي الله عنه سيدة النساء فقد جاء في الخبر انه صلى الله عليه وآله رآها تبكي عند موته فقال لها
اما ترضين ان تكوني سيدة نساء هذه الامة وروي انه قال سادات نساء العالمين اربع خديجة بنت خويلد
وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران والسلام منه عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وآله كعادة
الزائرين وذكر النازلة ههنا قلبية وضعها كالمستاذن لها في الدخول عليه ومجاورتها له في منازل الجنة ولما
سرعة لحاقها به فقد كانت ذكرها التشكي اليه من شدة فوات المصاب عليه بموته وموتها عقيبه والمنقول انها
ما عاشت بعده صلى الله عليه وآله اربعة اشهر وقيل ستة اشهر ثم اخذ في التشكي اليه كالمخاطب له من قلة صبره وقلة
تجلده وتحمله المصيبة بها وفي قوله صفيتك اشارة الى ما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله من التبجيل والمحبة والاكرام
وقوله الا ان لي الى قوله موضع تعز كالعذر والتسلية وان كانت هذه المصيبة عظيمة يقل لها الصبر ويرق لها
التجلد فان المصيبة بفراقك اعظم وكما صبرت في تلك على كونها اشد فلان اصبر على هذه اولى والتاسي الاقتداء بالصبر
في هذه المصيبة كالصبر في تلك وقوله فلقد وسدتك الى قوله نفسك كالشرح للمصيبة به صلى الله عليه وآله معللا بها
عند تلحيده وعند فيضان نفسه وروحه بين صدره ونحره وكالتذكير لنفسه بها وقوله فانا لله وانا اليه راجعون
امتثال لقوله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقوله فلقد استرجعت الوديعة
الى قوله الرهينة استعار لفظ الرهينة والوديعة لتلك النفس ووجه الاستعارة ان ارواح النفوس في هذه الابدان
تشبه الودايع والامانات في كونها يرجع اليها المهام في وجوب لما فطر عليها من المهلكات ويحتمل ان يريد ما هو المتعارف
بين الناس من كون المرأة وديعة الرجل كما يقال النساء ودايع الكرام ووجه الثانية ان كل نفس رهينة على الوفاء
بالميثاق الذي واثقها الله تعالى به والعهد الذي اخذ عليها حين الاهباط الى عالم الحس والخيال ان ترجع اليه
سالمة من تخطي عالم الامر غير متحرفة عن صراطه الموضوع على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله فان وفت بعهدها
خرجت من وثاق الرهن وضوعف لها الاجر كما قال تعالى ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما وان نكثت
وارتكبت ما نهيت عنه بقيت رهينة بعملها كما قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة والرهينة تصدق على الذكر والانثى
ولذلك صح اطلاقها على الانثى ذلك وقوله اما حزني الى قوله مقيم صورة حاله بعدها على سبيل الشكاية وكنى بالدار
عن الجنة لا تمرن من شربها وقوله وستنبئك ابنتك الى قوله الذكر رمز الشكاية الى رسول الله صلى الله عليه وآله من امته
بعده فيما كان يعتقده حقا له من الخلافة ومنعه فدك لفاطمة عليها السلام وزجرها عنها مع نوع من الاهتضام له
والغلظة جليته القول على قرب عهدهم برسول الله صلى الله عليه وآله وطراوة الذكر الذي هو القرآن الامر بمودة ذوي
القربى وقوله والسلام عليكما الى آخره صورة وداع الحبيب الناصحين لمجاري العادة وقوله وان اقم فحجته الى قوله
الصابرين تنزيه لنفسه عما عساه يعرض لبعض من يلازم القبور لشدة الجزع والاسف عن وهم ان لا عوض عن ذلك
الفائت ولا اجر على التعزي والصبر عنه وما وعد الله به الصابرين على نزول المصائب هو صلوات ورحمة في قوله

قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلام ايها الناس انما الدنيا دار مجاز والاخرة دار قرار فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا
استاركم عند من يعلم اسراركم واخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل ان تخرج منها ابدانكم ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتم
ان المرء اذا هلك قال الناس ما ترك وقالت الملائكة ما قدم لله اباؤكم فقدموا بعضا يكن لكم ولا تخلفوا كلا
فيكون عليكم اقول حاصل الفصل التنفير عن الدنيا والترغيب في الاخرة بذكر الغاية من وجودها فكون الدنيا
مجازا اي تسلك بها الى الاخرة سلوكا اختياريا كسلوك عباد الله الصالحين اليه واضطراريا كعبور الكل اليها
بالموت واراد هنا الاضطراري وهاتان القرينتان كالمقدمة لقوله فخذوا من ممركم لمقركم وقوله ولا تهتكوا الى
قوله اسراركم اي بمجاهرته بالمعصية فانه اذا كان يعلم اسراركم فهو يعلم ظواهركم اولى وقوله واخرجوا الى قوله ابدانكم امر
لهم بالزهد في الدنيا قبل الموت وكنى عنه باخراج القلوب عنها يقال اخرج فلان من كذا واخرج نفسه من كذا اذا اعرض
عنه وتبرأ منه وقوله ففيها اختبرتم اشارة الى قصد العناية الالهية منها وقد عرفت معنى الاختبار ولغيرها خلقتم اي لنيل
السعادة في الاخرة بالذات او الشقاوة لمن يخرج بالعرض وقوله ان المرء الى قوله قدم اي ما ترك من متاع الدنيا وما
قدم من الاعمال الصالحة وانما قرن ذكر الناس وما يسألون عنه بذكر الملائكة وما يسألون عنه لينبه على ترجيح
الاعمال المسعدة في الاخرة على متاع الدنيا لكون الاول مطلوب الملائكة وما يبحثون عنه ويحضون وكون الثاني
معنى الناس الغافلين وفي لفظ ما ترك وما قدم لطف تنبيه على ان متاع الدنيا مفارق متروك والاعمال الصالحة
مقدمة باقية نافعة للرائح معاده فينبغي ان تكون العناية بها دون المفارق المتروك وقوله لله اباؤكم كلمة تقولها
العرب لتعظيم المخاطب بنسبته او بنسبة ابيه فيما اكرمه انت ولله ابوك وقيل اللام للتعجب اي لله عجب منصب
ابائكم لكونه بذلك يخرج الكلام عن معنى التعجب الى الاستعظام وقوله فقدموا بعضا الى الاخرة اي فقدموا بعضا من متاع
الدنيا كالصدقات ونحوها يكون لكم ثوابها في الاخرة كقوله صلى الله عليه وآله يا ابن آدم ليس لك من دنياك الا ثلث ما
اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فابقيت ولا تخلفوها باسرها لغيركم فيكون عليكم وزرها وعملا
كيفية استلزام الصدقة والزكوة ونحوها الملكات الفاضلة والثواب الاخروي واستلزام البخل وادخار المال
للشقاوة الاخروية وانما خصص البعض بالتقديم لان حرمان الورثة لا يجوز ونهى عن تخليف الكل لان ترك الكل
والصدقة لا يجوز وروي تكن لكم قرضا وتكن عليكم كلا وهو كقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ولفظ
القرض مستعار ووجه الاستعارة ان القرض يستلزم في العادة الطلب من المقترض وشكره لمقرضه واداء المثل
ذلك تكررا وامر الله الطالب للزكوة والصدقة وشكر الله المنفقين في سبيله وجزاء المتصدقين في الاخرة باضعاف
ما بذلوه وانفس كبيرة وكيفية والكل الذي لا منفعة فيه مع وجود مضرته ولما كان حفظ المال وتخليفه بعد الموت
كذلك لاجرم كان كلا وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام كان كثيرا ما ينادي به اصحابه تجهزوا رحمكم الله فقد
نودي فيكم بالرحيل واقلوا العرجة على الدنيا وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد فان امامكم عقبة كؤودا

ومنازل

ومنازل مخوفة مهولة لا بد من الورود عليها والوقوف عندها واعلموا ان ملاحظ المنية نحوكم دانية وكانكم بمخالبها وقد
نشبت فيكم وقد دهمتكم فيها مفظعات الامور ومضلعات المحذور فقطعوا علائق الدنيا واستظهروا بزاد التقوى قال
السيد وقد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدم بخلاف هذه الرواية اقول العرجة والتعريج الاقامة على المكان و
الاحتباس به وعقبة كؤود شاقة المصعد والملاحظ جمع لحظ وهو مصدر او محل اللحظ وهو النظر بمؤخر العين والمنية
بمحددة ومفظعات الامور عظائمها وشدائدها المجاوزة حد المقدار المعتاد ومضلعات المحذور ما اثقل منها و
امال ومدار الفصل على الامر بالتجهيز من الدنيا وهو الاستعداد للسفر الى الله بما يصلح اليه المسافرون الى الحضرة من
الزاد المبلغ وهو التقوى والرحيل يحتمل انه يريد به السفر بالموت فيكون المنادي هو حوادث الايام الداعية بضرورتها
للامزجة الى الانهدام ويحتمل ان يريد به السفر الى الله بالرياضة الكاملة والمنادي بذلك هو الرسول صلى الله عليه وآله
والكتاب العزيز واولياء الله ثم امر بالاقلال بالتعريج على الدنيا اي بعدم الالتفات اليها الا على القدر الضروري
منها وهو الزهد ثم بالانقلاب منها بصالح ما بحضرتهم من الزاد اي ما يحضرهم في الدنيا ويمكنهم اعداده والاستعداد
به وهو الاعمال الصالحة والتقوى وقوله فان امامكم عقبة كؤودا استعار لفظ العقبة بوصف الكؤود للموت
ووجه الشبه شدة الملاقاة وقطع منازله في حال تألم النفوس الى اخر الموت واراد بالمنازل المخوفة المهولة
منازل الاخرة بعده من القبر وساير درجات النفوس في الشقاوة والاهوال الاخروية وظاهر انه لا بد من ورود
تلك المنازل والوقوف عندها لحين عبورها خصوصا اصحاب الملكات الردية والعلائق الدنيوية فان ذوقهم
تلك المنازل اطول وشدائدهم فيها اهول وقوله واعلموا الى قوله فيكم اخذ بعض لوازم المستعار وهو اللحظ و
دنوها وكنى بذلك عن كونها لهم بالرصد لا تنقطع عنهم ودنوه اليهم اي قريبة منهم وكذلك المخالب ونشبها
كناية عن لحوق الافات والامراض المهلكة لهم ومعنى التشبيه هاهنا تشبيه المقدر القريب وهو هو وهو تخويف لهم
لهم وتبشير بغائب المنية فيهم بوقوع ذلك في السرعة والباء في بمخالبها للالصاق والواوان في قوله وقد للحال وقوله
وقد دهمتكم الى قوله المحذور كناية عن لحوق شدائد الموت ومثقلات الظهور المحذورة وهي الذنوب وقوله فقطعوا
علائق الدنيا امر بالزهد الحقيقي فيها والتخفيف منها بترك الفضول والاستكثار من متاعها واستظهروا بزاد التقوى
اي عدوه ظهيرا لكم على مشاق السفر الى الاخرة وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام كلم به طلحة والزبير بعد
بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما والاستعانة في الامور بهما لقد نقمتما يسيرا وارجأتما كثيرا
الا تخبراني اي شيء لكما فيه حق دفعتكما عنه واي قسم استأثرت عليكما به ام اي حق رفعه الي احد من المسلمين ضعفت
عنه ام جهلته ام اخطأت بابه والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية اربة ولكنكم دعوتموني اليها
وحملتموني عليها فلما افضت الي نظرت الى كتاب الله وما وضع لنا وامرنا بالحكم به فاتبعته وما استن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم فاقتديته فلم احتج في ذلك الى رأيكما ولا رأي غيركما ولم يقع حكم جهلته فاستشيركما واخواني
من المسلمين ولو كان ذلك لم ارغب عنكما ولا عن غيركما واما ما ذكرتما من امر الاسوة فان ذلك امر لم احكم فيه

انا فيه برأيي ولا وليته هوى مني بل وجدت انا وانتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد فرغ منه فلم احتج
اليكما فيما قد فرغ الله من قسمه وامضى فيه حكمه فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتبى اخذ الله بقلوبكم وقلوبنا
الى الحق والهمنا واياكم الصبر ثم قال رحم الله رجلا رأى حقا فاعان عليه او رأى جورا فرده وكان عونا بالحق على صاحبه
اقول نقمتما اي عتبتما وارجأتما اخرتما والاربة الحاجة والعتبى الرضا والرجوع عن الاساءة واعلم ان الرجلين
كانا يؤملان الامر لانفسهما فلما صار اليه عليه السلام امالا ان يدخلهما في امره وان يرفعهما في العطاء
على غيرهما كما فضل بعض الائمة من قبله وان يشاركهما في اكثر الاراء المصلحية ويخصهما بالجاه ونظر الى احوالهما
وشرفهما لكن الرجل لما جبل عليه الكتاب العزيز والسنة النبوية وكان هو القوي على تفريع الاحكام لا جرم لم
يكن به حاجة منهما دون غيره وصاحب سر ادراكها كما علمت رجوع اكابر الصحابة والخلفاء التابعين اليه في كثير
الاحكام لاجرم لم يكن به حاجة الى الاستشارة فيما يتبع اليسير من الوقايع واشار بالقليل الذي نقماه الى ترك مشورتهما
وتسويتهما بغيرهما في العطاء فانه وان كان عندهما صعبا فهو لكونه عنده غير حق في غاية من السهولة والكثير الذي
ارجأه ما اخراه من حقه ولم يوفياه اياه وروي كثيرا بالتأنيث فقط واشار به الى ما يعود الى صلاح المسلمين من
الاراء التي ينبغي ان يحدث فيها ويحتمل ان يريد الذي ابدياه ونقماه بعضهما في انفسهما وقد دل ذلك على ان
في انفسهما اشياء كثيرة وراء ما ذكراه لم يبديا حظاها وقوله الا تخبراني الى قوله بابه استفسار عن الحق الذي نقماه وكم
واشار الى وجوه الحق وجهات المنافرة المعاداة وتحصيلات الحق الذي نقماه على تركه اما ان يكون متعلقا
بهما او بغيرهما من المسلمين والاول اما ان يكون قسما استأثرت به او غيره من الحقوق فيحكما عنه طلبا والثاني
اما ان يكون تركه متى ضعفا عنه او جهلا به او خطأ لدليل الحكم فيه والاستفهام في الاقسام كلها استفهام انكار
لها ومستند منعه وانكاره لها ظاهر فان التسوية في العطاء سنة الرسول صلى الله عليه فيجب اتباعها والاستشارة
في الحوادث ونحوها انما يجب مع عدم الحكم في الواقعة او مع جهله ولم يكن عليه السلام عادما لاحكام الوقايع ولا ذي
عليه لاجاهلا بها وكذلك لم يترك حقا لاحد من المسلمين عن ضعف منه لانه كان خليفة الوقت ولا عن جهل
بحكم ولا بدليله لانه كان اعلم الامة باحكام الله ولما كان الذي نقماه عليه تلك الحال من الاقسام المذكورة انما
هو ترك مشورتهما او التسوية في العطاء بينهما وبين غيرهما اشار الى الجواب عن الاول بقوله والله ما كانت لي
الى قوله ولا عن غيركما فقوله والله الى قوله حملتموني عليها كالمقدمة في الجواب لكاسرة من توهمهما رغبته في
الخلافة ومحبة الملك والسلطان للاستيثار عليهما ونحو ذلك فانه اذا انكسر ذلك الوهم لم يبق عليه طلب للولاية
الا نصرة الحق واقامته كما صرح هو به في غير موضع وحينئذ تندفع شبهتهما عنه وقوله فلما افضت الى قوله فاقتديته
وجه الجواب انه على صغرى القياس فيه وخلاصته اي انما احكم بالكتاب فاتبعه واقتدي بالسنة وتقدير الكبرى
وكل من فعل ذلك فلا حاجة به في الحكم الى الرأي وقوله فلم احتج الى قوله غيركما كالنتيجة وقوله ولا وقع
حكم جهلته احد الاقسام التي استفهم عنها على سبيل الانكار اولا فقد صرح بانكاره هاهنا وسعه على تقدير دعواهم

له ثم ذكر الامر الثاني مما نقماه عليه فقال واما ما ذكرتما من امر الاسوة اي تسويتي بغيركما في العطاء فاجاب عنه
بقوله فان ذلك امر الى قوله حكمه فقوله ولا وليته هوى مني اي لم احمل الحاكم في ذلك هواي وروي ولا وليته
هوى مني على ان يكون هوى مفعولا له وخلاصته انه حكم بالتسوية في القسم لم يكن عن رأي مني ولا هوى بل عن وجد
وجدته انا وانتم قد فرغ الله منه اي من القضاء به في اللوح المحفوظ وانه لم يبق للامر الثابت الذي لا يحتاج
الى ايجاد او تكميل مفروغ منه وفسر الفراغ الى الله مجاز لمناسبة ما قضاه بفعل العبد الذي فرغ من عمله وقوله
فلم احتج اليكما الى قوله حكمه اي لما وجدته كذلك لم احتج اليكما في شيء كما مع تحقق ما جاء به الرسول صلى الله عليه
وروي فلم احتج اليكما اي في الارشاد الى احكام الله بعد فراغه منها وقوله فليس لكما الى قوله عتبى لانه تسيلح في ماسبر
في الجوابين فانه لما اثبت انه لا حق لهما فيما نقماه عليه لم يكن عليه ان يعتب ثم اخذ في الدعاء لهما ولنفسه
بالحاقه قلوبهم الى الحق والهامهم الصبر عن الميول الباطلة وعلى الحق ثم دعا برحمة الله لرجل رأى حقا وعدلا
فاعان على العمل به او رأى جورا وظلما فرده واعان على صاحبه جذبا لهما الى ذلك وبالله التوفيق وقال
عليه السلام وقد سمع قوما من اصحابه يسبون اهل الشام ايام حربهم بصفين اني اكره لكم ان تكونوا سبابين ولكنكم
لو وصفتم اعمالهم وذكرتم حالهم كان اصوب في القول وابلغ في العذر وقلتم مكان سبكم اياهم اللهم احقن دماءنا
ودماءهم واصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج
به اقول لهج به اولع وحرص عليه وحاصل الفصل تأديب قومه وارشادهم الى السيرة الحسنة وجذب لهم عن تعويد
السنتهم كلام السفهاء تعويدها وتنزيهها بكلام الصالحين ونهيه كراهية للسب والنهي عنه على تحريمه ونحوه
الرسول صلى الله عليه وآله بقوله ما بعثت لعانا ولا سبابا وقوله اللهم اني بشر فاذا دعوت على انسان فاجعل
دعائي له لا عليه الى القراط التسعير وقوله لو وصفتم الى قوله في العذر اي لو عدلتم عن السباب الى وصف
اعمالهم لهم وتذكيرهم بكونهم ظالمين لكم وضالين عن السبيل ذكرا على وجه النصيحة والهداية لهم ثم قلتم مكان سبكم
اياهم هذا الدعاء لكان اصوب في القول مما ذكرتموه من رذيلة السباب ولان في تذكيرهم باحوالهم ونصحهم ايام
فائدة وهي رجاء ان يعودوا الى الحق ولان ذلك ابلغ في العذر اليهم من غيره اذ لكم ان تقولوا بعد ذلك انكم
نصحتموهم وطلبتم منهم العتبى فلم يستعتبوا وقوله وقلتم عطف على قوله وصفتم ولو مقدرة عليه وجوابها مقدر
بعد تمام الدعاء وحذفا لدلالة الاول عليهما والتقدير لو قلتم هذا الدعاء لكان اصوب وابلغ في العذر ودعاء الله
الذي علمهم عليه السلام اياه مطابق لصورة حال الحرب فاشتمل على طلب حقن الدماء اولا لان سفك الدماء هو المخوف
الخاص وعلى طلب الستر وهي اصلاح ذات البين اي ما بيننا وبينهم من الاحوال الموجبة للافتراق حتى يكون احوال
الفرقة والاتفاق ولما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولك اسقني ذا انائك اي ما في انائك من
الشراب وقيل ان البين حقيقة الفرقة اي اصلح حقيقة الفرقة بيننا وبينهم وبدلها بالالفة ثم على طلب هدايتهم
للفرقة الموجبة لاصلاحها وهي هدايتهم من ضلالتهم بمعرفة من جهل الحق له وارعوائه من غباوته وهي طرف التفريط من

الحكمة وعدوانه وهو طرف الافراط من فضيلة العدل وقد كانت الرذيلتان في اصحاب معوية فانهم لما قصروا عن طلب الحق
عن وجه الحق وغلبت عليهم الشبهة وبغوا وتعدوا ولجوا ابعدوا انهم وروى عوض الغي العمى وهو عمى البصيرة وخباؤها
وقال عليه السلام وقد راى الحسن عليه السلام يتسرع الى الحرب املكوا عني هذا الغلام لا يهدني فانني انفس
بهذين يعني الحسن والحسين عليهما السلام على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقول املكوه
واضبطوه ويهدني يكسرني ونفست بالكسر انفس بالفتح اي اظن وابخل ولما كان وجود الولد المستتبع بر مما يشد
القوة ويقوى به النفس خصوصا مثل الحسن عليه السلام كنى بقوله لا يهدني على تقدير هلاكه عن اضعافه قدر كنه والكنا
نفسه بذلك ثم نبه على علة المرى لوجوب المحافظة عليه مع اخيه عليهما السلام وهي المحافظة على نسل الرسول صلى
الله عليه وآله وسلم وقال عليه السلام لما اضطرب عليه اصحابه في امر الحكومة ايها الناس انه لم يزل امري معكم
على ما احب حتى نهكتكم الحرب وقد والله اخذت منكم وتركت وهي لعدوكم انهك لقد كنت امس اميرا فاصبحت
اليوم مأمورا وكنت امس ناهيا فاصبحت اليوم منهيا وقد احببتم البقاء وليس لي ان احملكم على ما تكرهون اقول نهكتكم
اخلقتكم فعولها على ما انتبانا من الطا... ولفظ النهك واسناده الى الحرب استعارة لاضعافها لهم ملاحظة لشبهه
بالثوب الذي اخلقه اللبس وتشبيهها بمستعمله في كونها سببا لذلك الاضعاف اي لم ازل كذلك الى تلك الغاية
وقوله وقد والله اخذت منكم وتركت كناية عن نظرها فيهم بوجوه التصرف وهو كالعذر لهم والدفع بقوله وهي
لعدوكم انهك لكي لا يتاجروا بعدها كما لهم ثم اخذ في التشكي منهم اليهم وعتابهم على عصيانهم له وحكمهم عليه
بالرجوع الى التحكيم حتى صار مأمورا لهم ومنهيا بعد كونه امرا عليهم وناهيا وذلك من معكوس الحكم ومضاد لما ينبغي
لهم وقوله وقد احببتم البقاء اي بترك القتال وهو كالتوبيخ لهم على ذلك وقوله فليس لي الخ اي ليس لي قدرة
على ذلك وان كان لي ذلك بحسب المصلحة والشرع وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام بالبصرة وقد دخل على
العلاء بن زياد الحارثي وهو من اصحابه يعوده فلما راى سعة داره قال ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا
ما انت اليها في الآخرة احوج وبلى ان شئت بلغت بها الآخرة تقري فيها الضيف وتصل فيها الرحم وتطلع منها
الحقوق مطالعها فاذا انت قد بلغت بها الآخرة فقال له العلاء يا امير المؤمنين اشكو اليك اخي عاصم بن زياد قال
وما له قال لبس العباء وتخلى من الدنيا قال علي به فلما جاء قال يا عدي نفسه لقد استهام بك الخبيث اما رحمت
اهلك وولدك اترى الله احل لك الطيبات وهو يكره ان تأخذها انت اهون على الله من ذلك قال يا امير
المؤمنين هذا انت في خشونة ملبسك وجشوبة ماكلك قال ويحك اني لست كانت ان الله تعالى فرض على ائمة
الحق ان يقدروا انفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره اقول استهام بك اي ذهب بك وهيمك وتيه
لك الهيام وهو الذهاب في التيه وجشوبة الماكل غلظه وخشونته وقيل الطعام الجشب الذي لا ادام معه
ويتبيغ يهيج وقد استفهم عن غرضه في توسعة داره استفهام توبيخ وانكار لما اثر ذلك ... في الزهد في الدنيا
والرغبة في الآخرة ثم عن كونه احوج اليها في الآخرة استفهام تثبيت وتقرير واراد انك لو كنت انفقت ما الزمته

على بنائها من المال في سبيل الله لكان اولى وكنت اليه احوج منها وفي رواية ما انت اليها في الآخرة احوج وفي
رواية باثبات الهمزة معها في قوله ما انت وقوله وبلى الى آخره هداية له الى وجوه استعمالها في مرضاة الله والتقرب
بها اليه بعد التفريط في بنائها وعد وجوه المبارّ المتعلقة بها ومطالع الحقوق وجوهها الشرعية المتعلقة
بها كالزكوة والصدقة وغيرهما وظاهر كونها سلما الى الآخرة عند اخراج تلك الحقوق منها وفيها ومقربة الى
وقوله علي به ينوب مناب فعل الامر اي جيئوا به وعدي تصغير عدو واصله عديو فحذفوا احدى الواوين وقلبوا
الثانية ياء تخفيفا وادغموا فيها ياء التصغير وانما صغره استصغارا له باعتبار ان شيطانه لم يبق له الكبيرة بل
قادها الى ... وان كان خارجا بها عن الشريعة الا انه قريب من السلامة وداخل عليها الخدعة في زي الصالحين وكان
شيطانه بذلك لا عتبار صغيرا بالنسبة الى شيطان من هو باعتبار انقياده لذلك الوسواس عدو وقيل
بل تصغيره من جهة حقارة فعله وذلك لكونه عن جهل منه وانما استعمه من هذا الطريق لكونه لم يترك الدنيا على وجه
الترك بل كان ترك شاركه هواه لعقله وكان تركه ذلك مستلزما لاهمال حقوق يجب عليه الشريعة ونبه عليه
بقوله لقد استهام بك الخبيث على ان فعله ذلك كان بمشاركة الشيطان لم يكن عن عقل محض وبقوله اما
رحمت اهلك وولدك على الحقوق اللازمة له من قبلهم وقد اهملها بفعله ذلك وبقوله اترى الله الى قوله ذلك
في مقام التوبيخ له على ذلك الترك وهو كقوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق الآية
والحاصل ان ترك الدنيا بالكلية ليس هو مطلوب الشارع من الزهد فيها والتخلي عنها لان الشارع يراعي نظام
العالم باشتراك الخلق في عمارة الدنيا وتعاونهم على المصالح ليتم بقاء النوع الانساني وترك الدنيا واهمالها
بالكلية يعدم ذلك النظام وينافيه بل الذي يامر به الشارع القصد في الدنيا واستعمال متاعها على القوانين
التي وردت بها الرسل والوقوف فيها عند الحدود المضروبة في شرايعهم دون تعديها كما اشار اليه عليه السلام
من منع هذا الرجل واما السالكون من الصوفية بعد عصر الصحابة فهم على الطريقين فمنهم من يختار التقشف و
ترك الطيبات وهجر اللذات راسا ومنهم من يؤثر الترف والذي يفعله المحققون من السالكين من التقشف فلا
ينافي الشريعة لعلمهم باسرارها وطريقهم تلك وبالى السلامة من طريق المترفين لكون الترف مجال الشيطان
وقد كان سلوك الرسول صلى الله عليه وعلى علي عليه السلام وجماعة من اكابر الصحابة اميل الى طريق التقشف لكن مع
مشاركتهم لاهل الدنيا في تدبير احوال المدن وصلاح العالم غير منقطعين عن اهلها ولا معتزلين واما اعتراض
عاصم على علي عليه السلام في مضيه له فاصله انه قاس نفسه في ترك الدنيا عليه بتقديره انك اذا نهيتني عن ذلك
فكيف انت اي فكيف بما ارى من هذه الحال وانت المقتدى به او فكيف اصنع بك مع الحال التي انت عليها ولما
ينبغي الاقتداء بك فاجابه عليه السلام بجواب فارق بين فعل الفريقين بينه وبينه وهو انه انما فعل ذلك لكونه
اماما وكل امام فرض الله عليه ان يقدر نفسه بضعفة الناس اي يسويها بهم في حالهم كيلا يهيج بالفقير
فقره فيضعف عن حمله فيكفر او يفسق وقد كانت حاله عليه السلام قبل الخلافة كذلك والجواب الحقوق هو ما

ظناه من كون هذه الطريق اسلم واما الفرق بينهما فيرجع الى ان عاصما سلك على غير علم بكيفية السلوك
مع ترك الحقوق التي يلزمه لاهله وولده فكانت حاله التي فارقها اولى به وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام
وقد ساله سائل عن احاديث البدع وعما في ايدي الناس من اختلاف الخبر فقال ان في ايدي الناس حقا وباطلا وصدقا
وكذبا وناسخا ومنسوخا وعاما وخاصا ومحكما ومتشابها وحفظا ووهما وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم على عهده حتى قام خطيبا فقال من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وانما اتاك بالحديث اربعة رجال
ليس لهم خامس رجل منافق مظهر للايمان متصنع بالاسلام لا يتأثم ولا يتحرج ان يكذب على رسول الله صلى الله عليه
وآله متعمدا فلو علم الناس انه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله ولكنهم قالوا صاحب رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم رآه وسمع منه ولقف عنه فياخذون بقوله وقد اخبرك الله عن المنافقين بما اخبرك ووصفهم بما
ثم بقوا بعده عليه السلام فتقربوا الى ائمة الضلالة والدعاة الى النار بالزور والبهتان فولوهم الاعمال وحملوهم على
رقاب الناس واكلوا بهم الدنيا وانما الناس مع الملوك والدنيا الا من عصم الله فهذا احد الاربعة ورجل سمع من رسول
الله صلى الله عليه وآله شيئا لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذبا فهو في يديه يرويه ويعمل به ويقول انا سمعته من
رسول الله صلى الله عليه وآله ولو علم المسلمون انه وهم فيه لم يقبلوه منه ولو علم هو انه كذلك لرفضه ورجل ثالث سمع من
رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا يامر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم او سمعه ينهى عن شيء ثم امر به وهو لا يعلم فحفظ المنسوخ
ولم يحفظ الناسخ فلو يعلم انه منسوخ لرفضه ولو علم المسلمون اذ سمعوه منه انه منسوخ لرفضوه وآخر رابع لم يكذب على
الله ولا على رسوله مبغض للكذب خوفا لله وتعظيما لرسول الله ولم يهم بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على ما سمعه لم
يزد فيه ولم ينقص منه فحفظ الناسخ فعمل به وحفظ المنسوخ فجنب عنه وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء موضعه
وعرف المتشابه ومحكمه وقد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام له وجهان فكلام خاص وكلام عام
فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله به ولا ما عنى به رسول الله صلى الله عليه وآله فيحمله السامع ويوجهه على غير معرفة بمعناه
وما قصد به وما خرج من اجله وليس كل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كان يساله ويستفهمه حتى ان كانوا ليحبون
ان يجيء الاعرابي او الطاري فيساله عليه السلام حتى يسمعوا وكان لا يمر بي من ذلك شيء الا سالت عنه وحفظته فهذه
وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم اقول احاديث البدع اي الاحاديث المبتدعة بعد الرسول صلى
الله عليه وآله المنقولة عنه وما يبتنى عليها من الافعال المبتدعة في الدين بدعة ايضا وتبوأ مقعده نزله واستقر
ولقف عنه تناول تبرعا ووهم بالكسر غلط وبالفتح ذهب وهمه الى شيء وهو يريد غيره وجنب عنه اخذ عنه جانبا وقوله
ان في ايدي الناس الى قوله وحفظا ووهما تعديد لانواع الكلام الواقع الى الناس نقلا عن الرسول صلى الله عليه وآله
والصدق والكذب من خواص الخبر والحق والباطل اعم منهما لصدقهما على الافعال وعلى الناسخ والمنسوخ والعام
والخاص والمتشابه وقد مضى تفسير هذه المفهومات واما الحفظ فهو ما حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما
هو والوهم ما غلط فيه فتوهم مثلا انه عام وهو خاص او انه ثابت وهو منسوخ الى غير ذلك وقوله وقد كذب على

رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده الى قوله النار فذلك الكذب عليه ما روي ان رجلا سرق رداء رسول الله صلى الله عليه
وآله وخرج الى قومه وقال هذا رداء محمد قد اعطانيه لتمكنوني من تلك المرأة فاستنكروا ذلك فبعثوا من سال الرسول
صلى الله عليه عن ذلك فقام الرجل الكاذب فشرب ماء فلدغته حية فمات وكان النبي حين سمع بتلك الحال قال لعلي
خذ السيف وانطلق فان وجدته وقد كفيت فلم ... بالنار فجاء فامر باحراقه فكان ذلك سبب الخبر المذكور واعلم
ان العلماء ذكروا في بيان انه لا بد ان يكذب عليه دليلا فقالوا قد نقل عنه صلى الله عليه وآله انه قال سيكذب علي
فان كان الخبر صدقا فلا بد ان يكذب عليه وان كان كذبا فقد كذب عليه ثم شرع في قسمة رجال الحديث وقسمهم
الى اربعة اقسام ودل على الحصر بقوله ليس لهم خامس ووجه الحصر في الاقسام الاربعة ان الناقلين للحديث عنه صلى
الله عليه وآله المتسمين بالاسلام اما منافق او لا والثاني اما ان يكون قد وهم فيه او لا والثاني اما ان لا يكون
قد عرف ما يتعلق به من شرائط الرواية او يكون فالاول وهو المنافق ينقل كما اراد سواء كان اصل الحديث كذبا
او ان له اصلا حرفه وزاد فيه ونقص بحسب هواه فهو ضال مضل تعمدا وقصدا والثاني يرويه كما فهم ووهم فهو
ضال مضل سهوا والثالث يروي ما سمع فضلاله واضلاله عرضي والرابع يؤديه كما سمعه وكما هو فهو هاد مهتد
فاشار عليه السلام الى القسم الاول بقوله رجل منافق الى قوله فهذا احد الاربعة فقوله متصنع بالاسلام اي يظهر
شعاره وقوله لا يتأثم اي لا يعترف بالاثم ولزوم العقاب عليه في الآخرة فلا يحذر منه ووجه دخول الشبهة في
قبول قوله كونه ظاهر الاسلام والصحبة للرسول صلى الله عليه وسماع قوله مع كون الناس لا يعلمون باطنه ونفاقه
وما اخبر به الله تعالى عن المنافقين كقوله ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وما وصفهم به كقوله تعالى
اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الآية ولذلك وصفهم بالكذب في مطابقة عقايدهم لالسنتهم
في الشهادة بانه رسول حق ومن كان يعتقد انه غير رسول فانه مظنة الكذب عليه وائمة الضلالة بنو امية ومعاوية
الى النار دعاة وهم الى اتباعهم فيما خالف الدين وذلك الاتباع مستلزم لدخول النار والزور والبهتان اشارة
الى ما كانوا يتقربون به الى بني امية من وضع الاخبار عن الرسول صلى الله عليه وآله في فضلهم واخذهم على ذلك الا
من اولئك الائمة وتوليتهم الاعمال والامرة على الناس وقوله وانما الناس الى قوله الا من عصم اشارة الى علة
فعل المنافقين لما فعلوا فظاهر ان حب الدنيا هو الغالب على الناس من المنافقين وغيرهم لقربهم من المحسوس
وجهلهم باحوال الآخرة وما يراد بهم من هذه الحيوة الا من هدى الله فعصمه بالجذب في طريق هدايته اليه عن محبة
الامور الباطلة وهذا اشارة الى قلة الصالحين كما قال تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وقوله
وقليل من عبادي الشكور وانما قال ثم بقوا بعده عليه السلام ثم حكى حالهم مع ائمة الضلال وان كانت الائمة
الذين اليهم لم يوجد وابعد ما تنزيلا لما لا بد منه من ذلك المعلوم له منزلة الواقع او اشارة الى من بقي منهم بعد
الرسول صلى الله عليه وآله ويتقرب الى معوية لانه اذ ذاك امام ضلالة واشار الى القسم الثاني بقوله ورجل سمع
من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئا لم يحفظه الى قوله لرفضه وذلك ان يسمع من الرسول صلى الله عليه وآله

كلاما فيتصور منه معنى غير ما يريد الرسول ثم لا يحفظ اللفظة بعينه فيرويه بعبارة هو الدال على ما تصور من المعنى فلا يكون قد حفظه ونصه على وجهه المقصود للرسول فوهم فيه ولم يتعمد كذبا او يرهم فهو في يديه يرويه ويعمل على وفق ما تصور منه ويسنده الى الرسول صلى الله عليه وآله وعلة دخول الشبهة على المسلمين فيه عدم علمهم بوهمه وعلة دخولها عليه في الرواية والعمل هو وهمه حين السماع حتى لو علم ذلك لترك روايته والعمل به واشار الى القسم الثالث بقوله ورجل ثالث الى قوله لرفضه وعلة دخول الشبهة على الراوي وعلى المسلمين واحدة وهو عدم علمهم بانه منسوخ واشار الى القسم الرابع بقوله وآخر رابع الى قوله ومحكمه فقوله وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء موضعه اي حمل العام فيما عدا صورة التخصيص وقوله ولقد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الى قوله من لم يعرفه تنبيه على صحة القسم الثالث وداخل فيه فان منهم من كان يسمع الكلام ذا الوجهين منه خاص ومنه عام ولا يعرف ان احدهما مخصص للآخر او يسمع العام دون الخاص فينقل العام بوجه على غير معرفة معناه او انه خرج على سبب خاص فهو مقصور عليه لا يتعلل سببه فيعتقده عاما او انه عام فيعتقده مقصورا على السبب ولا يعمل به فيما عدا صورة السبب فيتبعه الناسخ ذلك كما عليه من يعتقد وجوب العمل بمذهب الراوي فيما خالف ما رواه وقوله وليس كل اصحاب رسول الله الى آخره جواب سؤال مقدر كان يقال فكيف يقع الاشتباه عليهم في قوله مع كثرتهم وتواضعه لهم فلا يسألونه فاجاب بانهم ليسوا باسرهم كانوا يسألونه لاحترامهم له وتعظيمه في قلوبهم وانما كان يسأله آحادهم حتى كانوا يحبون ان يجيء الاعرابي او الطاري فيسأله حتى يسمعوا ويفتح لهم باب السؤال ونبه على انه عليه السلام كان يستقصي في سؤاله صلى الله عليه وآله عن كل ما يشتبه ويحفظ جوابه ليرجع الناس الى فضيلته والاقتباس من انواره **ومن خطبة له عليه السلام** وكان من اقتدار جبروته تعالى وبديع لطائف صنعته ان جعل من ماء البحر الزاخر المتراكم المتقاصف يبسا جامدا ثم فطر منه اطباقا ففتقها سبع سموات بعد ارتتاقها فاستمسكت بامره وقامت على حده يحملها الاخضر المثعنجر والقمقام المسخر قد ذل لامره واذعن لهيبته ووقف الجاري منه لخشيته وجبل جلاميدها ونشوز متونها واطوادها فارساها في مراسيها والزمها قراراتها فمضت رؤوسها في الهواء ورست اصولها في الماء فانهد جبالها عن سهولها واساخ قواعدها في متون اقطارها ومواضع انصابها فاشهق قلالها واطال انشازها وجعلها للارض عمادا وارزها فيها اوتادا فسكنت على حركتها من ان تميد باهلها او تسيخ بحملها او تزول عن مواضعها فسبحان من امسكها بعد موجان مياهها واجمدها بعد رطوبة اكنافها فجعلها لخلقه مهادا وبسطها لهم فراشا فوق بحر لجي راكد لا يجري وقائم لا يسري تكركره الرياح العواصف وتمخضه الغمام الذوارف ان في ذلك لعبرة لمن يخشى **اقول** المتقاصف تراد امواجه وتلاطمها وكسر بعضها بعضا والمثعنجر السائل الكثير الماء والقمقام البحر وقيل سمي بذلك لاجتماعه وجبل خلق والجلاميد الصخور واساخ ادخل وانصابها جمع نصب وهو ما انتصب منها والانشاز جمع نشز وهو العالي منها وارزها فيها اي ركزها وغرزها وروي ارزها مخففا اي اثبتها وعليه نسخة الرضي الاولى واكنافها اقطارها وتكركره ترده وتصرفه وقد اشار في هذا الفصل

له ان اصل الاجرام الارضية والسماوية ومادتها هو الماء ووصف كيفية خلقتها عنه وكيفية خلقة الارض والسماوات والجبال وقد مر بيان كل ذلك مستقصى في الخطبة الاولى وفي هذا الفصل فوائد الاولى انه لما كانت هذه الاجرام في غاية القوة والعظمة ومع ذلك ففيها من عجائب الصنع وبدايعه ما يبهر العقول ويعجزها عن كيفية شرحه لاجرم نبه انه من اقتدار جبروته وعظمته وبديع لطيف صنعته تنبيها باعتبار الاولى على انه الاعظم المطلق والثاني على لطفه وحكمته التامة وكنى باليبس الجامد عن الارض الثانية الضمير في منه للبحر وفي حده للامر وقيامها على حده كناية عن وقوفها على ما حده من المقدار والشكل والهيئة والنهايات ونحوها وعدم خروجها عن ذلك وتجاوزه ثم الضمير المنصوب في يحملها للمعنى اليبس الجامد وهو الارض وكذلك في جلاميدها وما بعده في ارساها وما بعده للجبال وفي جبالها وسهولها واقطارها للارض وفي قواعدها وقلالها وانشازها للجبال وقد عرفت كيفية ذلك الخلق فيما حكاه عليه السلام في الخطبة الاولى من قوله اثار الزبد بالريح وارتفاعه الى الجو الواسع وتكوين السموات عنه الثالثة ذل البحر لامره واذعانه لهيبته دخوله تحت ذل الامكان والحاجة الى قدرته وتصريفها له وهو من باب الاستعارة الرابعة قوله على حركتها اي حال حركتها الان على هيئة الحال وقوله تسيخ بحملها يعني من الثقل لولا الجبال وكونها اوتادا للارض لمادت وساخت باهلها واما كونها مانعة لها من الميدان فقد عرفت وجهه في الخطبة الاولى واما كونها تسيخ لولاها فلانها اذا مادت انقلبت باهلها فغاص الوجه الذي هم عليه وذلك مراده بسيخها فالمانع لها من الميدان هو المانع لها ان تسيخ او تزول عن موضعها الخامسة اشار باجمادها بعد رطوبة اكنافها الى ان اصلها من زبد الماء كما اشير اليه من قبل ويحتمل ان يشير بذلك الى ما كان مغمورا بالماء منها ثم سال الماء عنه الى مواضع اسفل منه فنشف وجف وهي مواضع كثيرة مسكونة وغير مسكونة السادسة قوله تمخضه الغمام الذوارف اشارة الى ان البحر اذا وقع فيه المطر القوي يرتج ويتمخض ويضطرب كثيرا وذلك لتحريك وقع المطر له بكثرته وقوته او لكثرة اقتران المطر بالرياح فيتموج واغلبها تحريكا له الرياح الجنوبية لانكشافها وقد شاهدنا ذلك كثيرا السابعة لما عدد المخلوقات المذكورة وتصريف القدرة الربانية لها قال ان في ذلك لعبرة لمن يخشى تنبيها على وجوه الاعتبار بها لمن يخشى الله واراد العلماء لاختصاص الخشية بهم بقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وبالله التوفيق والعصمة **ومن خطبة له عليه السلام** اللهم ايما عبد من عبادك سمع مقالتنا العادلة غير الجائرة والمصلحة في الدين والدنيا غير المفسدة فابى بعد سمعه لها الا النكوص عن نصرتك والابطاء عن اعزاز دينك فانا نستشهدك عليه يا اكبر الشاهدين شهادة ونستشهد عليه جميع من اسكنته ارضك وسماواتك ثم انت بعد المغني عن نصره والآخذ له بذنبه **اقول** النكوص الرجوع على الاعقاب وهذا الفصل من خطبة كان يستنهض بها اصحابه الى جهاد اهل الشام فلما رآهم تقاعدوا كرر عن صوته استشهد عليهم الله تعالى وملائكته وعباده على من سمع مقالته العادلة المستقيمة التي هي طريق الله القائدة للناس الى الرشاد في دينهم ودنياهم المصلحة غير المفسدة لهم ودعوته اياهم الى جهاد اعداء الدين والبغاة عليه ثم اعرض عنها وقعد عن نصرته وتباطأ عن اعزاز دينه وابى الا التأخر عنها عنده وفي ذلك الاستشهاد توبيخ لهم

الجهاد وتثبيط عن الناصر عنه وكان كاشفا لعلم الله تعالى حال المتخاذلين عن نصرة دينه وقعودهم عما امرهم به من الذب عنه فتحرك اوهامهم لذلك بالفزع الى طاعته وكذلك في وصف مقالته بالعدل والاصلاح ترغيب في سماعها وجذب اليها وفي قوله ثم انت بعد اي بعد تلك الشهادة عليه المغني لنا عن نصرته تنبيه على عظمة ملك الله وتحقير للمتقاعسين المتخاذلين عن نصرة الدين وفي ذكر الاخذ بالذنب تذكير بوعيد الله وان في ذلك التخاذل ذنب عظيم يوجب الوعيد وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله العلي عن شبه المخلوقين الغالب لمقال الواصفين الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين الباطن بجلال عزته عن فكر المتوهمين العالم بلا اكتساب ولا ازدياد ولا علم مستفاد المقدر لجميع الامور بلا روية ولا ضمير الذي لا تغشاه الظلم ولا يستضيء بالانوار ولا يرهقه ليل ولا يجري عليه نهار ليس ادراكه بالابصار ولا علمه بالاخبار **اقول** حمد الله تعالى باعتبارات اضافية وسلبية اولها العلي عن شبه المخلوقين اي في ذاته وصفاته وافعاله واقواله وقد علمت كيفية ذلك وقد اشرنا الى ذلك مرارا من غير مرة الثاني الغالب لمقال الواصفين وتلك الغلبة اشارة الى تعاليه عن احاطة الاوصاف به وقوتها وعدم القدرة على ذلك منه وقد اشرنا الى ذلك مرارا الثالث الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين باعين بصائرهم وابصارهم الرابع الباطن بجلال عزته عن فكر المتوهمين وقد مر بيان هذين الوصفين وفائدة قوله بجلال عزته تنزيه بطونه عن الفكر باعتبار جلاله وعزته عن ان يناله لا باعتبار حقارة وصغر وانما قال فكر المتوهمين لان النفس الانسانية حال التفاتها الى استلاحة الامور العلوية المجردة لا بد ان تستعين بالقوة المتخيلة بباعث الوهم في ان تصور تلك الامور بصور خيالية مناسبة لتستثبتها بها وتحفظها الخيال وقد علمت ان الوهم انما يدرك ما كان متعلقا بمحسوس او متخيل من المحسوسات فكل امر يتصوره الانسان وهو في هذا العالم سواء كان ذات الله سبحانه وصفاته او غير ذلك فلا بد ان يكون مشوبا بصورة خيالية او متعلقا بها وهو تعالى منزه بجلال عزته عن تكييف تلك الفكر له الخامس العالم في كيفية علمه عن اكتساب له بعد جهل او ازدياد منه بعد نقصان او استفادة له عن غير كما عليه علم المخلوقين السادس المقدر لجميع الامور اي الموجد لجميع الامور على وفق قضائه كلا بمقدار معلوم منزه فيه عن التفكر والضمير واراد بالضمير ما اضمر من الروية السابع الذي لا تغشاه الظلم ولا يستضيء بالانوار لتنزهه عن الجسمية ولواحقها الثامن ولا يرهقه اي يدركه ليل ولا يجري عليه نهار وذلك لتنزهه عن احاطة الزمان التاسع ليس ادراكه بالابصار لتقدس ذاته عن الحاجة الى الآلة في الادراك وغيره العاشر ولا علمه بالاخبار اي كما عليه كثير من علومنا لتقدسه عن حاسة السمع وبالله التوفيق **منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله** ارسله بالضياء وقدمه في الاصطفاء فرتق به المفاتق وساور به المغالب وذلل به الصعوبة وسهل به الحزونة حتى سرح الضلال عن يمين وشمال **اقول** المساورة المواثبة وسرح تفرق وقد اشار الى بعض فضائل النبي صلى الله عليه وآله وبعض فوائده فمن فضائله ارساله بالضياء ولفظ الضياء مستعار لانوار الاسلام الهادية في سبيل الله اليه ومنها تقديمه على سائر الانبياء في الفضل وان كان لكل منهم مصطفى وذكر من فوائده كونه رتق به المفاتق وكنى بها عن امور العالم المتفرقة وتشتت

مصالحه زمان الفترة ورتقها به كناية عن نظمها به بعد تفرقها كناية بالمستعار ومنها كونه ساور به المغالب واسند المساورة الى الله تعالى مجازا باعتبار بعثة النبي الذي بعث من امن لمواثبة من غالبه من المشركين وغيرهم ومنها كونه ذلل به الصعوبة اي صعوبة اهل الجاهلية واعداء دين الله ومنها كونه سهل به الحزونة اي حزونة طريق الله بعقايده فيها له غايته ان سرح الضلال والجهل عن يمين النفوس وشمالها وهو اشارة الى القائه ردة بطرفي التفريط والافراط من طرفي النفوس كتسريح جنبتي الحمل من ظهر الدابة وهو من لطائف الاستعارات وابلغها وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** واشهد انه عدل عدل وحكم فصل واشهد ان محمدا عبده وسيد عباده كلما نسخ الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما لم يسهم فيه عاهر ولا ضرب فيه فاجر الا وان الله قد جعل للخير اهلا وللحق دعائم وللطاعة عصما وان لكم عند كل طاعة عونا من الله يقول على الالسنة ويثبت الافئدة فيه كفاء لمكتف وشفاء لمشتف واعلموا ان عباد الله المستحفظين علمه يصونون مصونه ويفجرون عيونه يتواصلون بالولاية ويتلاقون بالمحبة ويتساقون بكاس روية ويصدرون برية لا تشوبهم الريبة ولا تسرع فيهم الغيبة على ذلك عقد خلقهم واخلاقهم فعليه يتحابون وبه يتواصلون فكانوا كتفاضل البذر ينتقى فيؤخذ منه ويلقى قد ميزه التخليص وهذبه التمحيص فليقبل امرؤ كرامة بقبولها وليحذر قارعة قبل حلولها ولينظر امرؤ في قصير ايامه وقليل مقامه في منزل حتى يستبدل به منزلا فليصنع لمتحوله ومعارف منتقله فطوبى لذي قلب سليم اطاع من يهديه وتجنب من يرديه واصاب سبيل السلامة ببصر من بصره وطاعة هاد امره وبادر الهدى قبل ان تغلق ابوابه وتقطع اسبابه فاستفتح التوبة واماط الحوبة فقد اقيم على الطريق وهدي نهج السبيل **اقول** نسخ ازال وغير والعاهر الزاني ويصدق على الذكر والانثى وكذلك الفاجر والكفاء الكفاية والمكافات والروية بالكسر الفعلة من الري وهي الهيئة التي عليها الرائي والريبة الدغل والغل والتمحيص الابتلاء والاختبار والقارعة الشديدة من شدائد الدهر ويرديه يفعل من الردى واماط ازال والحوبة الاثم والحلول لفظ العدل الى العادل مجاز اطلاقا للاسم اللازم على ملزومه والباري تعالى عادل بالنظر الى علمه وقضائه اي لا يقضي في ملكه امرا الا وهو على وفق النظام الكلي والحكمة البالغة ويدخل في ذلك جميع اقواله وافعاله فانه لا يصدر منها شيء الا وهو كذلك واما الجزئيات المعدودة شرورا وانواع جور في هذا العالم فانها اذا اعتبرت كانت شرورا نسبية ومع ذلك فهي من لوازم الخير والعدل لا بد منها اولا يمكن ان يكون العدل والخير بدونها كما لا يمكن ان يكون الانسان انسانا الا وهو ذو شهوة وغضب يلزمهما الفساد والشر الجزئي ولما كان الخير اكثر وكان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شرا كثيرا في الجود والحكمة وجب وجود تلك الشرور الجزئية لوجود ملزوماتها واشار بقوله عدل الى ايجاد العدل بالفعل وبقوله في وصف الرسول صلى الله عليه وآله سيد عباده الى قوله انا سيد ولد آدم ولا فخر وقوله كلما نسخ الله الخلق فرقتين فنسخ الخلق نسخه كل قرن وفرقه الى اخيار واشرار والقسمة تغيير المقسوم وازالته عن حال عاداه وقوله جعله في خيرهما اشارة الى ما روي عنه صلى الله عليه وآله قال المطلب ابن ابي وداعة قال رسول الله صلى الله عليه وآله انا محمد بن عبد الله بن

عبد المطلب بن هاشم قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلني
في خيرهم ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم فانا خيركم نفسا وخيركم بيتا وقوله لم يكن فيهم
عاهر ولا ضرب فيه فاجر اي لم يضرب فينا العاهر بسهم ولم يكن للمجوس في اصله شركة نبيا الصريح ككن ابن صيب ابي كان له
فيه شرك وهو اشارة الى طهارته من قبل اصليه من الزنا كما روي عنه صلى الله عليه وآله لم يزل ينقلني الله تعالى من اصلاب
الطاهرين الى ارحام الطاهرات وقال صلى الله عليه وآله لما خلق الله آدم اودع نوري في جبينه فما زال ينقلني من الآباء
الاخيار الى الامهات الطواهر حتى انتهى الى عبد المطلب وقال صلى الله عليه وآله ولدت من نكاح لا من سفاح وقوله
الا وان الله الى قوله عصما ترغيب للسامعين ان يكونوا اهل الجنة ودعائم الحق وعصم الطاعة وكذلك قوله وان
لكم الى قوله من الله تعالى حبب لهم الطاعة بذكر العون منه وكان منه العون القرآن الكريم وقوله يقول على
الالسنة ويثبت الافئدة تفصيل لوجوه العون منه تعالى وعونه من جهة القول على الالسنة وعده المطيعين
بالثواب العظيم على الطاعة ومدحه لهم وتبشيرهم بالجنة والرضوان منه على السنة الرسل فان كل ذلك معين على الطاعة
ومعين عليها واما تثبيت الافئدة فمن جهة الاستعداد لطاعة الله والاستضاءة انواره من كتابه العزيز واستكشاف
اسراره كما قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وقوله كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا وان في القرآن
الكريم من المواعظ والزواجر المخوفة ما يوجب الفرار الى الله وتثبيت القلوب على طاعته للخلاص منها وقوله وكيفا
لكم غاية في ذلك القول كناية لطالبي الاكتفاء اي من الكمالات النفسانية وشفاء لطالب الشفاء من امراض
الرذائل الموبقة بترتيبه على عباد الله الصالحين وصفاتهم ليقتفوا آثارهم ويكونوا منهم كما علمهم انهم هم الذين
استحفظهم علمه واسرار خلقه فمن صفاتهم امور احدها انهم يصونون ما وجب صونه من غير اهله ولا يضيعوا اسراره
الا الى اهله الثاني يفجرون عيونه ولفظ العيون مستعار لمعادنه وهي اذهان الانبياء والاولياء وائمة العلم
واما الاصول الطيبة وحملته الذين علموها ويكون لفظ التفجير مستعارا لافادتها وتفريعها وتفصيلها الثالث
ويتواصلون بالولاية الى نصرة بعضهم لبعض في دين الله واقامة ناموس شرعه الرابع ويتلاقون بالمحبة في الحق
اي مطلوب الشارع من شريعته حق بصيرة واكتفى واحدة للجالسين يتساقون بكاس روية واستعار لفظ الكاس
للعلم اي يستفيد بعضهم من بعض ورشح بذكر الروية وادا دونها تمام الافادة الخامس يصدرون بريا اي يصدر
كل منهم عن الآخر بفائدة وقد ملأت نفسه كمالا ولفظ الري مستعار السابع كونهم لا تشوبهم الريبة اي لا يدخل
بعضهم شك في بعض ولا تهمة نفاق او سوء باطن له من غل وحسد الثامن لا تسرع فيهم الغيبة وانما نفى عنهم
سرعة الغيبة لان فيهم من ليس بمعصوم فلم يكن نفيها عنهم بالكلية بل استبعد وقوعها منهم ويحتمل ان يريد انهم
لعلمهم بعيوبهم لا يكاد احد يشرع فيهم بغيبة التاسع كونهم على ذلك عقد الله خلقهم اي على تلك الوصف والكمال
قد خلقهم اي على تلك الوصف والكمال فقد خلقهم على وفق قضائه لهم بذلك واوجدهم فعليه اي فعلى ما عقد
خلقهم عليه من الكمال يتحابون وبه يتواصلون العاشر كونهم في ذلك كتفاضل البذر اي فكانوا في فضلهم بالنسبة

الى الناس كتفاضل البذر واشار الى وجه الشبه بقوله ينتقى فانه التمحيص والتهذيب انهم خلاصة الناس و
نقاوتهم الذين صفاهم منهم وميزهم عنهم تخليص عناية الله لهم بالطاف رحمته وهدايته الى طريقه وخلصهم ابتلاء
واختباره باوامره ونواهيه كما تميز جيد البذر بخالصه ومنقيه وقوله فليقبل امرؤ كرامة بقبولها الى آخره عود الى النصح
والموعظة واراد كرامة الله تعالى بطاعته وما يلزمها من المواهب الجليلة واراد بقبولها الحسن التام على الوجه
الذي ينبغي من مراعاة مصلحتها وبرائتها عن آثار النفاق كما قال تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وبالقارعة التي
حذر منها قبل حلولها قارعة الموت ثم امر ان يعتبر المرء قصر ايام حياته وقلة مقامه في منزل لا بد له من الاقامة
القليل فيه هذه الغاية وهي ان يستبدل به منزلا آخر اي يجعل محل عبرته مقام قلة العقيدة في الدنيا اللتي
لا اشتغاله منها الا الآخرة فان في تصوره قلة المقام في هذا المنزل للعبور الى منزل آخر عبرة تامة ويحتمل ان يكون
حق غايته من امره بالنظر وفي الاعتبار اي فلينظر في ذلك المنزل ليستبدل بغيره واذا كان كذلك فينبغي ان
يعمل لذلك المنزل المتحول اليه عمل عارف متعلقا اي لمواضع التوبة في اشتغاله بها وطوبى لقلب من الطيب فيحوا
بابها واوا للعصمة قبلها وقيل هو اسم شجرة في الجنة وقلب سليم اي لم يتدنس برذيلة الجهل المركب ولا نجاسات
الاخلاق الردية ومن يهديه اشارة الى نفسه عليه السلام وائمة الدين ومن يرديه في مهاوي الهلاك المنافقون
وائمة الضلالة واصابة سبيل السلامة وقوعه على سبيل الله عند هدى من هداه وطاعته لهاديه امره
بسلوكها ومبادرة الهدى مسارعة اليه قبل غلق ابوابه واستعار لفظ الابواب له ولائمة الدين من قبله و
رشح بذكر الغلق واراد به عدمهم او موت الطالب كذلك استعار لفظ الاسباب لهم ووجه الاستعارة كونهم
وصلة الى المراد كالحبال ورشح بذكر القطع واراد به ايضا موتهم واستفتاح التوبة استقبالها والشروع فيها
واماطة الحوبة ازالة الاثم عن لوح نفسه بتوبته وقوله فقد اقيم الى آخره استعار منه باقام اعلام الله وهم العلماء
والكتاب المنزل والسنة النبوية والهداية بها للواضح سبيله ليقتدي الناس بها ويسلكوا على بصيرة وبالله
التوفيق والعصمة ومن دعاء له وكان يدعو به كثيرا الحمد لله الذي لم يصبح بي ميتا ولا سقيما ولا مضروبا على عروقي
بسوء ولا ماخوذا باسوء عملي ولا مقطوعا دابري ولا مرتدا عن ديني ولا منكرا لربي ولا مستوحشا من ايماني ولا
ملتبسا عقلي ولا معذبا بعذاب الامم من قبلي اصبحت عبدا مملوكا ظالما لنفسي لك الحجة علي ولا حجة لي لا استطيع
ان آخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم اني اعوذ بك ان افتقر في غناك او اضل في هداك او اضام
في سلطانك او اضطهد والامر لك اللهم اجعل نفسي اول كريمة تنتزعها من كرائمي واول وديعة ترتجعها من ودائع
نعمك عندي اللهم انا نعوذ بك ان نذهب عن قولك او نفتتن عن دينك او تتابع بنا اهواؤنا دون الهدى
الذي جاء من عندك اقول الدابر بقية الرجل من ولده ونسله والدابر الظهر والالتباس الاختلاط والاضطهاد
الظلم والتتابع التهافت في الشر والقاء النفس فيه وقد حمد الله تعالى باعتبار ضروب من النعم اعترف بها وعد منها
عشرة وهي الحيوة والصحة والسلامة من آفات العروق وامراضها ومن الاخذ بالجريمة وقطع النسل ويحتمل ان يريد

بالدابر الظهر وكنى بالقطع عن الرمي بالدواهي العظيمة التي من شانها قصم الظهر وقطع القوة ثم عن الارتداد عن الدين
ثم عن جحود ربوبية الله ثم عن الاستيحاش من الايمان واشتماله والنفرة عنه ثم من اختلاط العقل ثم من العذاب
بعذاب الامم السالفة بالصواعق والخسف ونحوها وعقب ذلك الحمد بالاقرار على نفسه بصفات الخضوع والذلة
المستلزمة لاستنزال الرحمة وعد منها خمسة وهي كونه عبدا مملوكا لله تعالى ثم كونه ظالما لنفسه ثم كونه معترفا بحجة
الله عليه مقطوع الحجة في نفسه ثم كونه معترفا بعدم الاستطاعة ان ياخذ الا ما قسم الله له ويسبب له الوصول اليه
وانه لا يقدر ان يتقي من المضار الا ما وقاه الله اياه ثم لما اعترف على نفسه بهذه الاقرارات بقبول الرحمة من الله
استعاذ به من امور وهي ان يفتقر في غناه تعالى اي ان يفتقر مع انه الغني المطلق وان يضل في هداه اي مع ان له
الهدى الذي لا اضلال معه وان يظلم في سلطانه اي مع ان له السلطان القاهر وان يضطهد وله الامر العام
ثم سال ان يجعل نفسه اول كريمة ينتزعها من كرائمه واراد بكرائمه قواه النفسانية والبدنية واعضاءه وغرض
السؤال ان يمتعه بجميعها سليمة من الآفات الى حين الممات فتكون نفسه اول منتزع من كرائمه قبل ان يفقد شيء
منها ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني اي اجعلهما باقيين
صحيحين الى حين وفاتي واستعار لفظ الوديعة للنفس باعتبار انها في معرض الاسترجاع كالوديعة ثم استعاذ
من الذهاب عن قوله تعالى والافتتان عن دينه وقد روى الرضي رحمه الله تتتابع بنا بالتفاعل على ان تكون
الفتنة من النفس الامارة وروي يفتتن بالبناء للمفعول فيكون السبب في الفتنة بالغير ثم من الانخراط
في سلك الاهواء وتتابعها به في مرامي الشقاوة دون الهدى الذي جاءت به الكتب الالهية من عند الله و
بالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام خطبها بصفين اما بعد فقد جعل الله لي عليكم حقا بولاية امركم ولكم علي
من الحق مثل الذي لي عليكم والحق اوسع الاشياء في التواصف واضيقها في التناصف لا يجري لاحد الا جرى عليه
ولا يجري عليه الا جرى له ولو كان لاحد ان يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصا لله سبحانه دون خلقه لقدرته
على عباده ولعدله في كل ما جرت عليه صروف قضائه ولكنه جعل حقه على العباد ان يطيعوه وجعل جزاءهم عليه مضاعفة
الثواب تفضلا منه وتوسعا بما هو من المزيد اهله ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها لبعض الناس
على بعض فجعلها تتكافأ في وجوهها ويوجب بعضها بعضا ولا يستوجب بعضها الا ببعض واعظم ما افترض
سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي فريضة فرضها الله سبحانه لكل على
كل فجعلها نظاما لالفتهم وعزا لدينهم فليست تصلح الرعية الا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة الا باستقامة
الرعية فاذا ادت الرعية الى الوالي حقه وادى اليها حقها عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم
العدل وجرت على اذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الاعداء واذا غلبت
الرعية واليها او اجحف الوالي برعيته اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور وكثر الادغال في الدين وتركت
محاج السنن فعمل بالهوى وعطلت الاحكام وكثرت علل النفوس فلا يستوحش لعظيم حق عطل ولا لعظيم

باطل فعل فهنالك تذل الابرار وتعز الاشرار وتعظم تبعات الله عند العباد فعليكم بالتناصح في ذلك وحسن التعاون
عليه فليس احد وان اشتد على رضا الله حرصه وطال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما الله اهله من الطاعة له ولكن
من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم والتعاون على اقامة الحق بينهم وليس امرؤ وان عظمت في الحق
منزلته وتقدمت في الدين فضيلته بفوق ان يعان على ما حمله الله من حقه ولا امرؤ وان صغرته النفوس واقتحمته العيون
بدون ان يعين على ذلك او يعان عليه فاجابه عليه السلام رجل من اصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه ويذكر
سمعه وطاعته له فقال عليه السلام ان من حق من عظم جلال الله في نفسه وجل موضعه من قلبه ان يصغر عنده لعظم
ذلك كل ما سواه وان احق من كان كذلك لمن عظمت نعمة الله عليه ولطف احسانه اليه فانه لم تعظم نعمة الله على احد
الا ازداد حق الله عليه عظما وان من اسخف حالات الولاة عند صالح الناس ان يظن بهم حب الفخر ويوضع امرهم على
الكبر وقد كرهت ان يكون جال في ظنكم اني احب الاطراء واستماع الثناء ولست بحمد الله كذلك
ولو كنت احب ان يقال ذلك لتركته انحطاطا لله سبحانه عن تناول ما هو احق به من العظمة والكبرياء وربما استحلى الناس
الثناء بعد البلاء فلا تثنوا علي بجميل ثناء لاخراجي نفسي الى الله واليكم من التقية في حقوق لم افرغ من ادائها وفرائض
لا بد من امضائها فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند اهل البادرة ولا تخالطوني بالمصانعة
ولا تظنوا بي استثقالا في حق قيل لي ولا التماس اعظام لنفسي فانه من استثقل الحق ان يقال له او العدل ان يعرض عليه
كان العمل بهما عليه اثقل فلا تكفوا عن مقالة بحق او مشورة بعدل فاني لست في نفسي بفوق ان اخطئ ولا آمن ذلك من
فعلي الا ان يكفي الله من نفسي ما هو املك به مني فانما انا وانتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره يملك منا ما لا نملك من
انفسنا واخرجنا مما كنا فيه الى ما صلحنا عليه فابدلنا بعد الضلالة بالهدى واعطانا البصيرة بعد العمى اقول اذلالها
وجوهها وطرقها واجحف بهم ذهب باصلهم والادغال الافساد واقتحمته ادخلت فيه بالاحتقار والازدراء واسخف
اضعف واصغر والبادرة الحدة وغرض الفصل جمع كلمتهم واتفاقهم على اوامره واشار الى ان لكل منه ومنهم على
الآخر حقا يجب ان يخرج اليه منه فحقه هو عليهم حق الولاية لامرهم وحقهم عليه حق الرعية على الوالي وهو مثله في وجوب
مراعاته وفي استلزامه للوازمه التي سيذكرها وقوله فالحق اوسع الى قوله قضائه تقرير لوجوب حقه عليهم وكالتوبيخ لهم
على قلة الانصاف فيه ومعناه انه اذا اخذ الناس في وصف الحق وبيانه كان له في ذلك مجال واسع لسهولته على السنتهم
واذا حضر التناصف بينهم وطلب من كل منهم ضاق عليهم المجال لشدة العمل بالحق وصعوبة الانصاف لاستلزامه ترك
بعض المطالب المحبوبة لهم واطلاق السعة والضيق على الحق استعارة ملاحظة لشبهه بما يتوهم فيه من اتساع للقول
وضيقه عن العمل بالمكان الذي يتسع لشيء ويضيق عما هو اعظم منه وقوله لا يجري لاحد الا جرى عليه تقرير لحقه
عليهم وتوطين لنفوسهم عليه لا يجري عليه الا جرى له تسكين لنفوسهم بذكر المواطن ثم اعاد تقرير الحق عليهم
بحجة في صورة متصلة وهي لو كان لاحد ان يجري له الحق ولا يجري عليه لكان الله تعالى هو الاولى بخلوص ذلك له
دون خلقه ثم بين الملازمة بقوله لقدرته الى قوله صروف قضائه اي لكونه قادرا على عباده وعلى الانصاف

منهم مع كونه لا يستحق عليه شيء لهم لعدله فيهم في كل ما جرت به مقاديره التي هي صروف قضائه كان اولى بخلوص
ذلك له دونهم وبين استثناء نقيض التالي باستثناء ملزومه وهو قوله ولكنه تعالى جعل الى قوله اهله ومعناه
لكنه تعالى جعل لنفسه على عباده حقا هو طاعتهم له ليثبت لهم بذلك حقا يكون جزاء طاعتهم له فقد ثبت انه لم يخلص
ذلك لله تعالى بل كما اوجب على عباده حقا له اوجب لهم على نفسه بذلك حقا فاذن لا يجري لاحد حق الا جرى عليه وهو
نقيض المقدم وفي قوله مضاعفة الثواب الى قوله اهله تنبيه لهم على ان الحق الذي اوجبه على نفسه اعظم مما اوجب لها
مع انه ليس بحق وجب عليه بل تفضل منه عليهم مما هو اهله من مزيد النعمة ليتخلقوا باخلاق الله في اداء ما وجب عليهم
من الحق بافضل وجوهه وبما يلزم ذلك التفضل من مزيد الشكر وتلك المضاعفة كما في قوله تعالى من جاء بالحسنة فله
عشر امثالها ونحوه وقوله ثم جعل سبحانه الى قوله ببعض كالمقدمة لما يريد ان يبينه من كون حقه عليهم واجبا من قبل
الله تعالى وهو حق من حقوقه ليكون ادعى لهم الى ادائه وبين فيها ان حقوق الخلق بعضهم على بعض هي من حق الله تعالى
من حيث ان حقه على عباده هو الطاعة واداء تلك الحقوق طاعات لله كحق الوالد على ولده وبالعكس وحق الزوج
على الزوجة وحق الوالي على الرعية وبالعكس وقوله فجعلها تتكافأ في وجوهها اي جعل كل وجه من تلك الحقوق
مقابلا لمثله فحق الوالي وهو الطاعة من الرعية مقابل بمثله وهو العدل فيهم وحسن السيرة ولا يستوجب
كل من الحقين الا بالاخر ثم قال واعظم ما افترض الله من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي
لان هذين الحقين امرين كليين يوجد بهما اكثر المصالح في المعاش والمعاد واكد ذلك بقوله فريضة فرضها
الله سبحانه لكل على كل اي ذلك فريضة وقوله فجعلها نظاما لالفتهم الى قوله العباد اشارة الى لوازم حق الوالي على
الرعية وحق الرعية على الوالي اذا ادى كل اليه حقه فان الله تعالى جعل تلك الحقوق سببا لالفتهم وقد بينا
فيما سلف غير مرة ان الفتهم من اعظم مطالب الشارع وانها مطلوبة من اجتماع الخلق على الصلاة في المساجد في كل
يوم خمس مرات وفي كل اسبوع مرة في المسجد الاعظم وفي كل سنة مرتين في الاعياد والمناسك والاجتماع في طاعة
الامام العادل من موجبات الانس والالفة والمحبة في الله حتى يكون الناس كلهم كرجل واحد فيما يصلحه ويمنع
مما يفسده ويجتنب عنه ثم جعل تلك الحقوق عزا لدينهم وظاهر ان الاجتماع اذا كان سببا للالفة والمحبة كان
سببا عظيما للقوة وقهر الاعداء واعزاز الدين ثم اكد القول في ان صلاح الرعية منوط بصلاح الولاة وهو امر
تشهد به العقول وتوافقت عليه الاراء الحقة واليه اشار القائل هدى الرعية ما استقام الرئيس وقول الاخر
تهدى الامور باهل الرأي ما صلحت فان تولت فبالاشرار تنقاد وكذلك صلاح حال الولاة منوط بصلاح الرعية واستقامتهم
في طاعتهم وفساد احوالهم بعصيانهم ومخالفتهم فاذا ادى كل من الوالي والرعية الحق الى صاحبه عز الحق والدين بينهم ولم
يكن لسبيل الفتح من لوازم ذلك قيام مناهج الدين وطرقه بالاستقامة على قوانينه والعمل بها واعتدال معالمه
ومظانه بحيث لا جور فيها ه وجريان السنن على وجوهها ومسالكها بحيث لا تحريف فيها ولا تغيير وصلاح الزمان
بذلك ونسبة الصلاح اليه مجاز اذ الصلاح في الحقيقة يعود الى حال اهل الزمان وانتظام امورهم في معاشهم

ومعادهم

ومعادهم وانما يوصف بالصلاح والفساد باعتبار وقوعهما فيه وكونه من الاسباب المعدة لهما ز من لوازم
ذلك الطمع في بقاء الدولة ويأس مطامع الاعداء في فسادها وهدمها وقوله فاذا غلبت الى قوله عند العباد اشارة
الى مقابله من عصيان الرعية للامام او حيفه هو عليهم ولوازمه من المفاسد أ اختلاف الكلمة وكنى به عن اختلاف
الاراء والتفرق بسببه ب ظهور معالم الجور وعلاماته وهو ظاهر لعدم العدل بعدم اسبابه ج كثرة الادغال
في الدين وذلك لتبدد الاهواء وتفرقها عن راي الامام العادل الجامع لها واخذ كل فيما يشتهيه مما هو مفسد للدين
ونحا العدل د ترك محاج السنن وطرقها فان الامام لجوره ومن الرعية لتبدد نظام ارائها ه العمل بالهوى و
لازمه و تعطيل الاحكام الشرعية وهو لازم للعمل بالهوى ز وكثرة علل النفوس وعللها امراضها بملكات الشر
كالغل والحسد والعداوات والعجب والكبر ونحوها وقيل عللها وجوه ارتكابها المنكرات فيأتي في كل منكر بوجه
وعلة وراي فاسد ح فلا يستوحش لعظيم حق عطل وذلك للانس بتعطيله ولا لعظيم باطل فعل وذلك لاعتياده
والاتفاق عليه وكونه مقتضى الاهوية ط فهنالك تذل الابرار لذلة الحق المعطل الذي هم اهله وكان عزهم بعزه
ي وتعز الاشرار لعزة الباطل الذي هم عليه بعد ذلهم بعزة الحق يا وتعظم تبعات الله على العباد اي عقوباته المترتبة
على خروجهم عن طاعته ولما بين لوازم طاعته وعصيانه قال فعليكم بالتناصح في ذلك اي في ذلك الحق وحسن التعاون
عليه وقوله فليس احد الى قوله من الطاعة له تاكيد للامر بالمبالغة في طاعة الله اي فليس احد من الناس يبلغ حقيقة
الله ما هو اهله منها وان اشتد حرصه على ارضائه بالعمل وطال في الله اجتهاده ولكن على العباد من ذلك مبلغ جهدهم
في النصيحة والتعاون على اقامة حق الله بينهم بقدر الامكان لا بقدر ما يستحقه تعالى فان ذلك غير ممكن وقوله
وليس امرء وان عظمت الى قوله حمله الله تعالى من حقه اي انه وان بلغ المرء في درجة كانت من طاعة الله فهو محتاج الى
ان يعان عليها وليس هو بان يرفع من ان يعان على ما حمله الله منها وذلك ان تكليف الله تعالى بطاعته بحسب وسع المكلف
والوسع في بعض العبادات قد يكون مشروطا بمعونة الغير فيها فلا يستغني احد عنها وقوله ولا امرء وان صغرته
النفوس الى قوله او يعان عليه ارشاد منه انه لا ينبغي ان يزدري احد عن الاستعانة به في طاعة الله او ان يعان عليها
فانه وان احتقرته النفوس فليس بدون ان يعين على طاعة الله واداء حقه ولو بقبول الصدقات ونحوها او يعان
عليها بما يعطى كما يستدخلهم او يدفع عنهم ضررا كالجاه ولفظ الاقتحام استعارة ووجهها ان الذي تحتقره النفوس
يجترأ عليه وتقتحمه العيون حيث لا احتفال فكانها قد اقتحمته وغرض هذا الكلام الحث على استعانة بعض ببعض
وعلى الالفة والاتحاد في الدين وان لا يزدرى فقير لفقره ولا ضعيف لضعفه وان لا يستغني غني عن فقير
فلا يلتفت اليه ولا قوي عن ضعيف فيحتقره بل ان يكون الكل كنفس واحدة واما قوله لمن اكثر عليه الثناء فحاصله
التاديب على الاطراء والنهي عن المغالاة في الثناء على الانسان في وجهه بالفضائل وان كانت حقة وسر ان ذلك
يستلزم في كثير من الناس الكبر والعجب بالنفس والعمل وقوله ان من حق من عظم الى قوله احسانه اليه مقدمة في الجواب
بين فيها ان من عظمت نعمة الله عليه ولطف احسانه اليه فحقه ان يصغر عنده كل ما سواه بقياس من الشكل الاول

وتقدير صغراه ان من عظمت نعمة الله عليه ولطف احسانه اليه فهو احق الناس بتعظيم جلال الله في نفسه واجلال
موضعه من قلبه وتقدير كبراه وكل من كان احق بذلك فمن حقه ان يصغر كل ما سواه عنده ودل على الصغرى بقوله انما
لم تعظم نعمة الله على احد الا ازداد حق الله عليه عظما ودل على الكبرى بقوله لعظم ذلك اي لعظم جلال الله في قلبه
بحسب ان يصغر عنده كل شيء سواه وهذه المقدمة وان كانت عامة الا ان الاشارة الخاصة بها الى نفسه وذلك
ان اعظم نعم الله في الدنيا خلافة المسلمين وفي الاخرة ما هو عليه من الكمالات النفسانية فكان احق الناس بتعظيم
جلال الله في نفسه وكان بذلك من حقه ان يصغر كل ما سوى الله في قلبه ثم قال ومن اسخف حالات الولاة قوله
والكبر بكماله قال ومن كان من حقه ان يصغر كل ما سوى الله في قلبه فكيف يليق به ان يحب الفخر او يضع امره على الكبر
اللذين لا يليقان الا بعظمة الله او يظن به ذلك ويعامل بما يعامل به الجبابرة من الخطاب به وصرح بان المراد
نفسه في قوله وقد كرهت الى اخره وقوله ولو كنت احب ان يقال ذلك يجري مجرى تسليم الجدل اي وهب اني احب
ان يقال ذلك في باعتبار ما فيه من اللذة لكني لو كنت كذلك لتركته باعتبار اخر وهو الانحطاط والتصاغر عن
تناول ما الله احق به من العظمة والكبرياء ونبه في ذلك على ان الاطراء يستلزم التكبر والتعظيم فكان تركه له و
كراهته لكونه مستلزما لهما وقوله وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء يجري مجرى تمهيد العذر لمن يثني عليه فكانه
يقول وانت معذور في ذلك حيث رأيتني اجاهد في الله واحث الناس على ذلك ومن عادة الناس ان يستحلوا الثناء
عند ان يبلوا بلاء حسنا في جهاد او غيره من سائر الطاعات ثم اجاب عن هذا العذر في نفسه بقوله فلا تثنوا علي بجميل
ثناء الى قوله من امضائها واداء فلا تثنوا علي لاجل ما اتي منه من طاعة الله فان ذلك انما هو اخراج لنفسي الى الله من
حقوق البقية على لم افرغ بعد من ادائها وهي حقوق نعمه ومن فرائضه التي لا بد من المضي فيها وكذلك اليكم من الحقوق
التي اوجبها الله علي لكم من النصيحة في الدين والارشاد الى الطريق الاقصد والتعليم لكيفية سلوكه وفي خط الرضي
رحمه الله من التقية بالتاء والمعنى فان الذي افعله من طاعة الله انما هو اخراج لنفسي الى الله واليكم من تقية الحقوق فيما
يجب علي من الحقوق اذ كان عليه السلام انما يعبد الله غير ملتفت في شيء من عبادته واداء واجب حقه الى احد سواه
خوفا منه او رغبة اليه كانه قال لم افعل شيئا الا وهو اداء حق وجب علي واذا كان كذلك فكيف استحق ان يثنى علي لاجله
ثناء جميلا وقابل هذا التعظيم وهو من باب التواضع لله وتعليم كيفيته وكسر للنفس عن محبة الباطل والميل اليه
وقوله ولا تكلموني الى قوله بعدل له ارشاد لهم الى ما ينبغي ان يكونوا عليه من السيرة معه ونهاهم عن امور أ ان لا يكلموه
بكلام الجبابرة لما فيه من اغراء النفس ولانه عليه السلام ليس بجبار فيكون ذلك منهم وضعا للشيء في غير موضعه ب ان
لا يتحفظوا منه بما يتحفظ به عند اهل البادرة وسرعة الغضب من الملوك وغيرهم وذلك التحفظ كتكلف ترك الكلام
والحديث خجلا او خوفا منه او كترك مشاورته او اعلامه ببعض الامور او كالقيام بين يديه فان ذلك التحفظ قد
يفوت به مصالح كثيرة ولانه مما يغري النفس بحب الفخر والعجب لانه وضع للشيء في غير موضعه ج ان لا يخالطوه با
لمصانعة والنفاق لما فيهما من فساد الدين والدنيا د ان لا يظنوا به استثقالا لحق يقال له وان كان فيه مرارة واستعمل

لفظ

لفظ المرارة لشدة الحق وصعوبته فان عدله عليه السلام يستلزم قبول الحق كيف كان ه ان يظنوا به انه يلتمس الاعظام
لنفسه وذلك لمعرفته بمن هو اهله دونه وهو الله تعالى وقوله فانه من استثقل الى قوله اثقل قياس ضمير من الشكل
الثاني بين فيه انه لا يستثقل قول الحق له وعرض العدل عليه ليزول ظن من ظن ذلك به والمذكور هو صغرى
القياس وتلخيصها ان من استثقل قول الحق له وعرض العدل عليه كان العمل بالحق والعدل عليه ثقيلا بطريق
الاولى وتقدير الكبرى ولا شيء من العمل بهما بثقيل علي اما الصغرى فظاهرة لان تكلف فعل الحق اصعب على
النفس من سماع وصفه واما الكبرى فلانه عليه السلام يعمل بهما من غير تكلف ولا استثقال كما هو المعلوم من حاله
ينتج انه لا شيء من قول الحق له وعرض العدل عليه بثقيل و ان لا يكفوا عن قول بحق ومشورة بعدل لما في الكف عن
ذلك من المفسدة وقوله فاني لست الى قوله مني من قبيل التواضع الباعث لهم على الانبساط معه بقول الحق وفي قوله
الا ان يكفي الله من نفسي اي من نفسي الامارة بالسوء ما هو اقوى مني على دفعه وكفايته من شرورها وهو اسناد العصمة
الى الله تعالى وقوله فانما انا وانتم الى اخره تاديب في الانقياد لله وتذليل لعظمته وظاهر كونه تعالى يملك من
انفسنا وميولها وخواطرها اذ الكل منه وهو مبدأ فيضه والاستعداد له وقوله واخرجنا مما كنا فيه من الضلالة
في الجاهلية وعمى الجهل فيها عن ادراك الحق وسلوك سبيل الله الى ما اصلحنا عليه اي من الهدى لسبيل الله والبصيرة
لما ينبغي من مصالح الدارين وذلك ببعثة الرسول صلى الله عليه وآله وظهور نور النبوة عنه **ومن كلام له عليه السلام**
اللهم اني استعديك على قريش فانهم قد قطعوا رحمي واكفأوا انائي واجمعوا على منازعتي حقا كنت اولى به من غيري
وقالوا الا ان في الحق ان تاخذه وفي الحق ان تمنعه فاصبر مغموما او مت متاسفا فنظرت فاذا ليس لي رافد ولا
ذاب ولا مساعد الا اهل بيتي فضننت بهم عن المنية فاغضيت على القذى وجرعت ريقي على الشجا وصبرت من
كظم الغيظ على امر من العلقم وآلم للقلب من حز الشفار قال السيد رحمه الله وقد مضى هذا الكلام في اثناء خطبة
متقدمة الا اني كررته هاهنا لاختلاف الروايتين **اقول** استعديك استعينك والاسم العدوى وهي الاعانة
واكفأت الاناء كفأته قلبته والرافد المعاون والقذى ما يسقط في العين فيؤذيها والشجا ما يعترض في
الحلق عند الغم والحزن من الامر فيكون الانسان كالمغتص بلقمة ونحوها والعلقم شجر مر والشفار جمع شفرة
وهي السكين وغرض الفصل التظلم والشكوى والاستعانة بالله على قريش فيما دفعوه عنه من حق الامامة التي
هو اولى به وكنى عن ذلك بقطع الرحم وكذلك كنى بقلب انائه عن اعراضهم وتفرقهم عنه فان ذلك من لوازم قلب
الاناء كما ان من لوازم نصبه له وتعديله اقبالهم واجتماعهم عليه وقوله اجمعوا الى قوله غيري قالت الشيعة
الاشارة بالمجمعين الى قريش حين وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وذلك الغير الذي كان هو اولى منه هم
الخلفاء الثلاثة قبله وقال غيرهم بل اشارة المجمعين اليهم وقت الشورى واتفاقهم بعد الترديد الطويل على
عثمان فلا يدخل الشيخان الاولان في هذه الشكاية والقول الثاني ضعيف اذ صرح بمثل هذه الشكاية من
الائمة الثلاثة قبله في الخطبة الشقشقية كما بيناه وبالجملة مراده من هذا الكلام وامثاله بعد استقراء

اقواله وتصفح احواله لايخفى على عاقل ويشبه ان يكون صدور هذا الكلام منه حين خروج طلحة والزبير الى البصرة
ظلما عليهما فيكون المفهوم من قوله واجمعوا على منازعتي حقا كنت اولى به من غيري انكار لاجماعهم على منازعة
ذلك الحق فانه اذ كان اولى به ممن سبق من الائمة على جلالة قدرهم وتقدمهم في الاسلام فكيف بهؤلاء مع
كونهم ادون حالا منهم وهو كقوله فيا لله وللشورى متى اعترض الريب فيّ مع الاول منهم حتى صرت اقرن الى هذه
النظاير وقوله وقالوا الا ان في الحق ان تاخذه قوله متاسفا حكاية لقولهم له حال ظلمهم لانهم قالوا له ذلك
وقوله فنظرت الى آخره قد مضى تفسير مثله في الشقشقية وفي فصل بعدها بثلثة وعشرين فصلا وقوله ولم
للغلب من جر الشفار ظاهر فانه اشار الى النفوس بما يقربها من الكمالات النفسانية الشديدة بكثير من الالام
الحسية من جر السكين وغيره ومن طالع الفصلين المتقدمين علم التفاوت في الروايتين لهما وهذا الفصل
ومن هذا الكلام في ذكر السائرين الى البصرة لحربه عليه السلام فقدموا على عمالي وخزان مال المسلمين الذي في يدي وعلى
اهل مصر كلهم في طاعتي وعلى بيعتي فشتتوا كلمتهم وافسدوا على جماعتهم ووثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم
غدرا وطائفة عضوا على اسيافهم فضاربوا بها حتى لقوا الله صادقين **اقول** عضوا على اسيافهم اي لزموها
واشار بالمصر الى البصرة وبالذين قدموا على عماله الى طلحة والزبير وعايشة واتباعهم فاما حالهم مع عماله
وما فعلوا بهم وبخزان بيت المال بالبصرة فقد مر ذكره مستوفى وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام لما مر**
بطلحة وعبد الرحمن بن عتاب بن اسيد وهما قتيلان يوم الجمل لقد اصبح ابو محمد بهذا المكان غريبا اما والله
لقد كنت اكره ان تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب ادركت وتري من بني عبد مناف وافلتتني اعيار بني
جمح لقد اتلعوا اعناقهم الى امر لم يكونوا اهله فوقصوا دونه **اقول** هو عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد بن ابي
العاص بن امية شهد واقعة الجمل وقتل بها وروي ان عقابا احتملت كفه فالقيت باليمامة في ذلك اليوم
عرفت بخاتمه وكان يدعى يعسوب قريش واعيار جمع عير وهم سادات القوم واوادهم وجمح قبيلة واتلعوا مدوا
اعناقهم كالمتطلعين الى الامر ووقصوا كسرت اعناقهم وابو محمد كنية طلحة وفي الفصل اشارات فالاولى
قتله عليه السلام لمن قتل من بغاة الفرس ومن قتل من عسكره لم يكن الا لقيامه للدين ونظام العالم فان قلت ان قتل
هؤلاء على كثرتهم فساد خاص قلت انه وان كان فسادا الا انه جزئي بالنسبة الى صلاح جميع المسلمين في مصر وخير
بالنسبة الى صلاح اكثر بلاد المسلمين وفعل ما هو مصلحة جزئية من الفساد لمصلحة كلية واجب في الحكمة فهو
كقطع عضو فاسد لاصلاح باقي البدن الثانية قوله تحت بطون الكواكب كناية لطيفة عن الفلوات واراد
انني كنت اكره ان يكونوا بهذه الحالة في الفلوات بحيث لا كن ولا ظل يواريهم الثالثة لقائل ان يقول لم
قال عليه السلام ادركت وتري من بني عبد مناف والوتر الحقد يعود حقيقة الى ثبات الغضب وبقاء صورة
صورة المؤذي في الخيال ومن حيث ان ذلك الغضب يتصور المؤذي في الدين لا يكون رذيلة ولا يكون الحقد
الحق به ونصرته مكروها والرابعة ان طلحة والزبير كانا من بني عبد مناف من قبل الام دون الاب فان ابا

الزبير من بني عبد العزى بن قصي بن كلاب واما طلحة فمن بني سعد بن تيم بن مرة وكان في يد امير المؤمنين عليه السلام
من بني جمح عبد الله بن صفوان بن امية بن خلف وعبد الرحمن بن صفوان وقيل كان مروان بن الحكم احد اسرى يوم
الجمل فاستشفع بالحسن الى ابيه عليهما السلام وروي عوض اعيار اعيان بني جمح وهم السادات ايضا والتلاع
اتلاع رقابهم استعارة كونها عن تطاولهم لامر الخلافة مع كونهم ليسوا اهلا لها ووقصهم كناية عن قتلهم
دون ذلك الامر وقصورهم عنه **ومن كلام له عليه السلام** قد احيا عقله وامات نفسه حتى دق جليله ولطف
غليظه وبرق له لامع كثير البرق فابان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الابواب الى باب السلامة ودار
الاقامة وثبتت رجلاه بطمانينة بدنه في قرار الامن والراحة بما استعمل قلبه وارضى ربه **اقول** هذا الفصل
من اجل كلامه في وصف السالك المحقق الى الله وفي كيفية سلوكه المحقق وافضل اموره فاشار باحيا عقله الى
صرف همته في تحصيل الكمالات العقلية من العلوم والاخلاق واحياء عقله النظري والعملي بعد الرياضة
بالزهد والعبادة واشار باماتة نفسه الى قهر نفسه الامارة بالسوء وتطويعها بالعبادة للنفس المطمئنة بحيث
لا يكون لها تصرف على حسب طباعها الا باذن العقل واشارته فكانت في حكم الميت على الشهوات والميول
الطبيعية الذي لا تصرف له من نفسه وقوله حتى دق جليله كنى بحيث انتهت به اماتة الشهوة الى ان دق جليله
وكنى بجليله عن بدنه فانه اعظم ما يرى منه ولطف غليظه اشارة الى لطف بدنه ايضا ويحتمل ان يشير الى لطف
قواه النفسانية بتلك الرياضة وكسر الشهوة فان اعطاء القوة الشهوية مقتضى طباعها من الانهماك في
الماكل والمشارب مما يثقل البدن ويكدر الحواس ولذلك قيل البطنة تذهب الفطنة وتورث القسوة
الغليظة فاذا قصرت على حد العقل لها لطفت الحواس عن ثقل الابخرة المتولدة عن التملي بالطعام والشراب
ولطف القلب ذلك لما غلظ من جوهر النفس بالهيئات البدنية المكتسبة من متابعة النفس الامارة بالسوء
كلطف المراة بالصقال حتى يصير ذلك اللطف سببا لاتصالها بعالمها واستشراقها الانوار من الملأ الاعلى
وقوله ولمع له بارق كثير البرق فاشار باللامع الى ما يعرض للسالك عند بلوغ الارادة بالرياضة حدا ما
الخلسات الى الجناب الاعلى فتظهر له انوار الهية لذيذة شبيهة بالبرق في سرعة لمعانه واختفائه وتلك
اللوامع مسماة عند اهل الطريقة بالاوقات وكل وقت فانه محفوف بوجدين وجد اليه ما قبله ووجد عليه بعده لانه
لما ذاق تلك اللذة ثم فارقها حصل فيه حنين وانين الى ما فات منها ثم ان هذه اللوامع في مبدأ الامر يعرض له
قليلا فاذا امعن في الارتياض كثرت فاشار باللامع الى نفس ذلك النور وبكثرة برقه الى كثرة عروضه بعد
الامعان في الرياضة ويحتمل ان يكون قد استعار لفظ اللامع للعقل الفعال ولما يظهر منه للعقل الا
وكثرة برقه اشارة الى كثرة فيضان تلك الانوار الشبيهة بالبروق عنه عند الامعان في الرياضة وقوله فابان
له الطريق اي ظهر له الطريق بسبب ذلك انه الطريق الحق الى الله وهو ما هو عليه من الرياضة وسلك به السبيل
اي كان سببا لسلوكه في سبيل الله اليه وقوله وتدافعته الابواب اي ابواب الرياضة وهي ابواب الجنة اعني

تطويع النفس الامارة والزهد الحقيقي والاسباب الموصلة اليهما كالعبادات وترك الدنيا فان كل تلك
ابواب يعبر منها السالك حتى ينتهي الى باب السلامة وهو الباب الذي اذا دخل فيه السالك تيقن بالسلامة
من الانحراف عن سلوك سبيل الله بمعرفته ان تلك هي الطريق وذلك الباب هو الوقت الذي اشرنا اليه
وهو اول منازل الجنة العقلية وقوله وثبتت رجلاه الى قوله والراحة ففي قرار الامن متعلق بثبتت
وهو اشارة الى الطور الثاني للسالك بعد طور الوقت ويسمى طمانينة وذلك ان السالك ما دام في مرتبة
الوقت فانه يعرض لبدنه عند لمعان تلك البروق فيه اضطراب وقلق يحس بها جليسه لان النفس اذا فاجأها
امر عظيم اضطربت وتقلقلت فاذا كثرت تلك الغواشي الفتها فصارت بحيث لا تنزعج عنها ولا تضطرب
لورودها عليها البدن بل تسكن وتطمئن لثبوت قدم عقله في درجة اعلى من درجات الجنة التي هي قرار الامن
والراحة من عذاب الله وقوله بما استعمل الى آخره فالجار والمجرور متعلق بثبتت ايضا اي وثبتت رجلاه بسبب استعمال
قلبه ونفسه في طاعة الله وارضائه بتلك الاستعمال وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام قاله بعد تلاوته**
الهيكم التكاثر يا له مراما ما ابعده وزورا ما اغفله وخطرا ما افظعه لقد استخلوا منهم اي مدكر وتناوشوهم
من مكان بعيد افبمصارع آبائهم يفخرون ام بعديد الهلكى يتكاثرون يرتجعون منهم اجسادا خوت وحركات
سكنت ولان يكونوا عبرا احق من ان يكونوا مفتخرا ولان يهبطوا بهم جناب ذلة احجى من ان يقوموا بهم مقام
عزة لقد نظروا اليهم بابصار العشوة وضربوا بهم في غمرة جهالة ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار
الخاوية والربوع الخالية لقالت ذهبوا في الارض ضلالا وذهبتم في اعقابهم جهالا تطؤون في هامهم
تستثبتون في اجسادهم وترتعون فيما لفظوا وتسكنون فيما خربوا وانما الايام بينهم وبينكم بواك ونوائح عليكم
اولئك سلف غايتكم وفراط مناهلكم الذين كانت لهم مقاوم العز وحلبات الفخر ملوكا وسوقا سلكوا
في بطون البرزخ سبيلا سلطت الارض عليهم فيه فاكلت من لحومهم وشربت من دمائهم فاصبحوا في فجوات قبورهم
جمادا لا ينمون وضمارا لا يوجدون لا يفزعهم ورود الاهوال ولا يحزنهم تنكر الاحوال ولا يحفلون بالرواجف
ولا ياذنون للقواصف غيبا لا ينتظرون وشهودا لا يحضرون وانما كانوا جميعا فتشتتوا والافا فافترقوا
وما عن طول عهدهم ولا بعد محلهم عميت اخبارهم وصمت ديارهم ولكنهم سقوا كاسا بدلتهم بالنطق خرسا وبالسمع
صمما وبالحركات سكونا فكانهم في ارتجال الصفة صرعى سبات جيران لا يتانسون واحباء لا يتزاورون بليت
بينهم عرى التعارف وانقطعت منهم اسباب الاخاء فكلهم وحيد وهم جميع وبجانب الهجر وهم اخلاء لا يتعارفون
لليل صباحا ولا لنهار مساء اي الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمدا شاهدوا من اخطار دارهم افظع مما
خافوا ورأوا من آياتها اعظم مما قدروا فكلا الغايتين مدت لهم الى مباءة فاتت مبالغ الخوف والرجاء فلو كانوا ينطقون
بها لعيوا بصفة ما شاهدوا وما عاينوا ولئن عميت آثارهم وانقطعت اخبارهم لقد رجعت فيهم ابصار العبر
وسمعت عنهم آذان العقول وتكلموا من غير جهات النطق فقالوا كلحت الوجوه النواضر وخوت الاجساد النو

ولبسنا اهدام البلى وتكاءدنا ضيق المضجع وتوارثنا الوحشة وتهكمت علينا الربوع الصموت فانمحت محاسن اجسادنا
وتنكرت معارف صورنا وطالت في مساكن الوحشة اقامتنا ولم نجد من كرب فرجا ولا من ضيق متسعا فلو مثلتهم
بعقلك او كشف عنهم محجوب الغطاء لك وقد ارتسخت اسماعهم بالهوام فاستكت واكتحلت ابصارهم بالتراب فخسفت
وتقطعت الالسنة في افواههم بعد ذلاقتها وهمدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها وعاث في كل جارحة منهم جديد بلى
سمجها وسهل طرق الآفة اليها مستسلمات فلا ايد تدفع ولا قلوب تجزع لرأيت اشجان قلوب واقذاء عيون لهم من
كل فظاعة صفة حال لا تنتقل وغمرة لا تنجلي فكم اكلت الارض من عزيز جسد وانيق لون كان في الدنيا غذي ترف
وربيب شرف يتعلل بالسرور في ساعة حزنه ويفزع الى السلوة ان مصيبة نزلت به ضنا بغضارة عيشه وشحاحة بلهوه
ولعبه فبينا هو يضحك الى الدنيا وتضحك اليه في ظل عيش غفول اذ وطئ الدهر به حسكه ونقضت الايام قواه و
نظرت اليه الحتوف من كثب فخالطه بث لا يعرفه ونجي هم ما كان يجده وتولدت فيه فترات علل آنس ما كان بصحته ففزع
الى ما كان عوده الاطباء من تسكين الحار بالقار وتحريك البارد بالحار فلم يطفئ ببارد الا ثور حرارة ولا حرك بحار
الا هيج برودة ولا اعتدل بممازج لتلك الطبائع الا امد منها كل ذات داء حتى فتر معلله وذهل ممرضه وتعايا اهله
بصفة دائه وخرسوا عن جواب السائلين عنه وتنازعوا دونه شجي خبر يكتمونه فقائل هو لما به وممن لهم اياب عافيته ومصبر
لهم على فقده يذكرهم اسى الماضين من قبله فبينا هو كذلك على جناح من فراق الدنيا وترك الاحبة اذ عرض له عارض من
غصصه فتحيرت نوافذ فطنته ويبست رطوبة لسانه فكم من مهم من جوابه عرفه فعي عن رده ودعاء مؤلم لقلبه سمعه فتصام
عنه من كبير كان يعظمه او صغير كان يرحمه وان للموت لغمرات هي افظع من ان تستغرق بصفة او تعتدل على عقول اهل
الدنيا **اقول** المرام المطلوب والزور الزائرون والخطر الاشراف على الهلاك والفظيع الشديد الذي جاوز الحد
في شدته واستخلوا اي اتخذوا واخلية لذكر ابائهم وشانهم وقيل استخلوا اي وجدوا خاليا والتناوش التناول و
الحجى العقل والعشوة ركوب الامر على جهل به ويرتعون يتنعمون ولفظوا رموا وتركوا والفارط السابق الى
الماء المورد وحلبات الفخر جماعاته والسوقة من دون الملك الرعية والبرزخ ما بين الدنيا والاخرة من وقت الموت الى البعث
والفجوات جمع فجوة وهي المتسع من الارض والضمار الغائب الذي لا يرجى ايابه ويحفلون يبالون والرواجف الزلازل
ويأذنون يسمعون وارتجال الصفة انشاؤها والسبات النوم واصله الراحة واقطع اشد والمباءة الموضع يبوء
الانسان اليه اي يرجع وعي من الكلام اي عجز والكلوح تكشر في عبوس والاهدام جمع هدم وهو الثوب البالي وتكاءد
شق علينا وصعب وتهكمت تهدمت وارتسخت ثبتت في قرارها الهوام واستكت انسدت وذلاقة اللسان حدته وسرعة
الكلام به وهمدت سكنت وبليت وعاث افسد وسمجها قبحها والاشجان الاحزان والانيق المعجب للناظر وغضارة
العيش طيبه والكثب القرب والبث الحال الحزن والقار والقرور الماء البارد وفي الفصل فوائد الاولى اللام
في قوله يا له لام الجر للتعجب كقولهم يا للدواهي والجار والمجرور في محل النصب لانه المنادى وروي يا له مراما وزورا
وخطرا منصوبات على التمييز المعنى التعجب من بعد ذلك المرام وهو التكاثر فان الغاية المطلوبة منه لا يدركها الانسان

لان كل غاية بلغها فمن فوقها غاية اخرى فقد ادركها عجز فعصر نظرهم اليها وذلك التعجب من شدة غفلة الزوار اى الزائرين للمقابر لان الكلام خرج بسبب الاية فظاهر ان غفلة الانسان عما يزور اليه ويقدم بعد ذلك لزيادة عليه عظيم وهو محل التعجب كذلك التعجب من فظاعة الخطر والاشراف على شدايد الاخرة فان كل خطر دنياوى يستحقر في جنبه والضرع قوله استخلوا اللاحياء او فيهم للاموات وعنى بالمذكر عما خلفوه من الاثار التى هى محل العبرة وقوله اى مدكر استفهام على سبيل التعجب من ذلك المذكر فى حسن افادة للعبر لاولى الابصار وتناوشوهم من مكان بعيد اى تذكروهم ما ينتفعون به وهو المذكر من جهة الاعتبار به وتناولهم من جهة بعيدة والذى تناولوه هو افتخار كل منهم بابيه وقبيلته ومكاثرته بالماضين من قومه الذين هم بعد الموت ابعد الناس عن ما الذين كانهم ابعد الكمالات منه وكنى بالمكان البعيد عن ذلك الاعتبار فان الاموات وكالاتهم فى ابعد الاعتبارات عن الاحياء والابناء ولذلك استفهم عن ذلك استفهام انكار وتوبيخ فقال افبمصارع ابائهم يفخرون الى قوله سكت وذلك الانكار بالمفاخرة بهم فكانهم يذكرونهم لهم فى الفخر فقد رجعوهم بعد موتهم ويحتمل ان يكون ذلك مستفهما عنه منبها على سبيل الانكار له وان لم يكن بحرف الاستفهام والتقدير ايرتجعون منهم بفخرهم لهم اجسادا خوت وقوله ولان يكونوا عبرا احق ان يكونوا مفتخرا تقرير مؤكد لتوبيخهم على ترك العبرة بالمذكر الذى هو وجه النفع واخذهم بالوجه البعيد وهو الا وكشف لمعناه وكذلك قوله ولان يهبطوا بهم جناب ذلة اى الاعتبار بمصارعهم فانه يستلزم الخشوع لعزة الله والخشية منه وذلك اولى بالعقل والتدبير من ان يقوموا بهم مقام عزة بالمفاخرة والمكاثرة واضاف الابصار الى العشوة لينبها اليها اى نظروا اليها بابصار قلوب غطى عليها الجهل باحوالهم فسادوا فى تلك الاحوال بعيدا المجانة لهم وقوله ولو استنطقوا الى قوله لعالة اى لو طلبت منها النطق لقالت بلسان حالها كذا وكذا الى قوله وتسكنون فيما خربوا ويحتمل ان يكون بافى الفصل كله مقولا بلسان حال تلك الديار والضلال والنصب قوله ضلالا لاوجها لا على الحال اى هبوا فى الارض هالكين وذهبتم بعدهم جاهلين باحوالهم تطؤن رؤسهم وتستنبتون الاشجار فى اجسادهم وذلك فى المواضع التى بليت فيها الاجساد واستعار لفظ البواكى والنواح لايام الحيوة ملاحظة لشبهها فى مفارقتهم لها بالاهل التى فارقها اولادها بالموت وقوله اولئك سلف غايتكم وفراط مناهلكم السابقون لكم الى غايتكم وهى الموت وما بعده والى مناهلكم وهى تلك الموارد ايضا ومقاوم جمع مقام لان الغرض فاو ملوكا وسوقا نصب على الحال وبطون البرزخ ما غاب بطون عن علو منا ومشاهدتنا فالسبيل فيه هى مسالك القدر بهم الى غاياتهم الاخروية من سعادة او شقاوة ونسبة الاكل والشرب الى الارض مجاز بقاربه الحقيقة فى كثرة الاستعمال وانما سلب عنهم النمو والفرع من ورود اهوال الارض عليهم والحزن من تغير الاحوال بهم والحفل بزلازل الارض وسماع الرياح العاصفة والانتظار لكون ذلك من توابع الحياة وصفاتها فارقت فهذا ينافى ما نقل من عذاب القبر فانه يستلزم الفرع والحزن قلنا انما سلب عنهم الفرع والحزن من احوال الدنيا الشاهدة لنا وكذلك الحفل باحوالها وسماعها وعذاب القبر ليس من ذلك القبيل بل من احوال الاخرة واهوالها ولا يلزم من سلب الفرع الخاص سلب العام وننبه على انهم في غيبتهم

وشهودهم

وشهودهم ليس كغيبة اهل الدنيا وشهودهم اذ كان الغايب فى الدنيا من شان ان ينتظر والشاهد فيها حاضر فهم شاهدون بابدانهم مع صدق الغيبة عليهم عنا اى بانفسهم ولما امتنع ذلك العود لاجرم صدق انهم غيب لا ينتظرون وشهود لا يحضرون وقوله وما عن طول عهدهم الى قوله سكونا اى عدم علمنا باخبارهم وصممديارهم عند ندائنا ليس لاجل طول عهد بيننا وبينهم ولا من بعد محالهم ومستقرهم فان الميت حال موته وهو بعد مطروح الجسد مشاهد لنا لا يخبر باخباره ولا يسمع نداءنا دياره ولكن ذلك لاجل انهم سقوا كاس المنية فبدلتهم بالنطق خرسا وبالسمع صمما وبالحركات سكونا واسناد العمل الى الاخبار والصمم الى الديار مجاز كقولهم نهاره صايم وليله قايم وقوله فكانهم الى قوله سبات اى اذا اراد الواحد ان يشبه صفة حالهم شبههم بالصرعى من النوم ووجه الشبه عدم الحركات والسماع والنطق مع الجثة المشاهدة من المستغرق فى نومه وقرينة على انهم فى احوالهم الاخروية من نجاة وهم مع وحدتهم وتهاجرهم ليس كتلك الاحوال فى الدنيا اذ من شان الجيران فيها ان يانس بعضهم ببعض والاحبا ان يتزاوروا والوحدان لا يكون فيها واشار بالجوار الى تقاربهم بدانهم فى القبور وبالاحبة الى ما كانوا عليه من المحبة فى الدنيا وبهجرهم الى عدم تزاورهم وكذلك تخليهم الى ما كانوا عليه من المودة فى الدنيا وكونهم لا يتعارفون لليل صباحا ولا لنهار مساء لكون الليل والنهار من لواحق الحركات الدنيوية الغايبة عنهم وتساوى الليل والنهار بالنسبة اليهم وكذلك قوله اى الجديدين الا ظعنوا فيه كان عليهم سرمدا والجديدان الليل والنهار لتجدد كل منهما ابدا واستعار وصف الظعن لانتقالهم الى الدار الاخرة ويكون ذلك الجديد الذى ظعنوا فيه سرمدا عليهم ليس حقيقة لعدم عوده بعينه بل اسناد السرمدية اليه لكونه جزءا من الزمان الذى لزمه السرمدية لذاته حقيقة وقوله شاهدوا الى قوله عاينوا اشارة الى صعوبة اهوال الاخرة وعظم احوالها بالنسبة الى ما يخاف منها فى الدنيا وذلك امر عرف باخبار الشريعة الحقة وتاكد باستقراء اللذات والالام العقلية وتنبيها الى الخشية لان الخوف والرجاء الامور الاخرة انما يبعثان من اسباب ووصف تلك الامور وانما يعقل من تلك الاوصاف ما كان فيه مناسبة وتشبيه الامور المخوفة والمرجوة فى الدنيا فنحن نتصور تلك على قياس هذه فذلك سبب سهولها علينا وضعف خوفنا منها ورجائنا لها حتى لو شاهدنا الخطر تلك الدار لشاهدنا اشد مما خفنا الان وتصورناه ونقدره باوهامنا فلا جرم لما وصل السالكون شاهدوا اقطع مما خافوا ولو امكنهم النطق لعيوا بصفة ما شاهدوا منها وعجزوا عن شرحها وقوله وكلى الغايتين اى غاية المؤمنين والكافرين من سعادة وشقاوة مدت اى مد لهم اجل ينتهون فيه الى غاية ومرجع وهو الجنة او النار وذلك المرجع يفوت مبالغ خوفنا ورجائنا اى هو اعظم مما نخافه ونرجوه واسند المد الى الغاية مجازا وقوله وان عميت الى قوله النطق من فصح الكلام والعمى وابصار العبر ابصار البصاير التى يعتبر بها واذان العقول مجازية علقها باحوالهم التى من شانها ان تسمع اطلاقا لاسم السبب على المسبب وقوله وتكلمهم من غير جهات النطق اى من غير افواه والسنة لحاية لكن بالسنة احوالهم وقوله فقالوا الى قوله معتما اشارة الى ما تقرؤه السنة احوالهم وتحكيه منها فى القبور ودوى عوض خلت خوت واستعار لفظ الانهدام للتغير والتشعث والترتب العارض لجسم الميت لمشابهتها العظم

البالى ويحتمل ان يريد بها الاكفان والمضجع القبر وتوارث الوحشة اى وحشة القبر واستعار لفظ التوارث لكون تلك الوحشة كانت لابائهم قبلهم فحصلت لهم بعدهم والربوع الصموت ايضا القبور وكذلك مساكن الوحشة ومعارف صورهم ما كان معروفا منها فى الدنيا وقوله فلو مثلتهم بعقلك اى تخيلت صورهم واستحضرتها فى خيالك وكشف عنهم محجوب الغطاء لك اى ما حجب باغطية التراب والسواتر لاجسادهم عن بصرك والواو فى قوله وقد ارتسخت للحال وتقطر قلوبهم استعارة لحياتهم وحركاتها واسناد العيش الى جديد البلى مجاز وسبيل للحال للجوارح والعاسلات وسهل واللام فى قوله لرايت جواب لو واحسن بقوله لهم فى كل فظاعة صفة حال الاشتغال وغمرة لا ينجلى وصفا لحالهم فانه لا مزيد عليه فى البلاغة اللذيذة واراد بالغمرة من الفظاعة ما يغمرهم من الشدايد والغذى فعيل بمعنى مفعول وسعد يا بالترف وقوله ويفزع الى السلوة اى عن المصيبة النازلة الى المسرات والنزهات وضحكه الى الدنيا كناية عن ابتهاجه بها وما فيها من اللذات وغايته قبالها عليها لان غاية المبتهج بالشئ ان يضحك له وكذلك ضحك الدنيا مجاز فى اقبالها عليه اطلاقا لاسم السبب الغائى على سببه واصل ينابين والالف عن اشباع الفتحة والعيش والعفول الذى يكثر الغفلة فيه لطيبه واستعار لفظ الحسك للامراض ومصايب الدهر ووجه المشابهة استلزامها للاذى كاستلزام الحسك له ورشح بذكر الوطء وكذلك استعار وصف النظر لاقبال الحتوف اليه لاستعداده لها فشابهت فى ذلك الراصد للشئ المصوب اليه نظره ليقتنصه والبث والنجوى الهم الخالى التى لا يجدها الانسان عند وهم الموت من الوسواس والخيالات والهموم والاحزان التى لم تكن تعرض له وقوله فتولدت بحيث قرات على الانس ما كان بصحته والفصل انس على الحال بمعنى الزمان وكان تامة وبصحته متعلق بانس اى حال ما هو انس زمان مدة صحته وقيل ما مصدرية والتقدير انس كونه على حال بصحته وقوله فلم يطفى ببارد الا ثور حرارة الى قوله لدات داء اشارة الى لوازم العلاج عند سقوط القوة من المرض الحار والبارد المقاوم لها وليس العلاج بالبارد هو المثور للحرارة ولا بالعكس لان الدواء معين للطبيعة على مقاومة المرض فلا يكون مثورا له ولكن لما كان مع ذلك العلاج وتلك الاعانة تغلب الحرارة او البرودة وتظهر فيجب ذلك الى الدواء وكذلك قوله ولا اعتدل بممازج لتلك الطبايع الا امد منها كل ذات داء اى لا اعتدل المريض فى علاج نفسه بما يمازج تلك الطبايع من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة الا كان مادة لكل منها وليس مادة على الحقيقة ولكن لما كان يغلب معه المرض على القوة فكانه مادة له رغيب اليه وحلم وحرفيه يقال كثيرا والكلام فيها خطاب المتعارف وقوله حتى فتر معلله عاير تلك اللوازم ومعلله طبيبه وممرضه وخرس اهله عن جواب السايل اشارة الى سكوتهم عند السؤال عن حاله وذلك انهم لا يجيبون عنه ما لعدمها وتكره نفوسهم الاخبار عنه بما هو عليه من الحال لشدتها عليهم فيكون شانهم فى ذلك السكوت عن حال المشبه الحزين قوية فلذلك استعار له وقوله وتنازعوا دونه الى قوله من قبله اشارة الى ما يتجاراه اهل المريض المشرف على الموت من احواله وصوبه ما العادة جارية ان يقولوه وقوله فبينا كذلك الى حره صفة حال الاخذ فى النزع

المناداة للناس وقوله فان للموت لغمرة تلك الغمرات وكونها افظع من ان يحيط بها وصف الانسان او يستقيم بشرحها على الانسان كما عجز عليه السلام وسلم ذلك على سبيل الجملة وبالحدس والقياس الى الامراض الصعبة التى يمارسها الناس وتشتد عليهم فيعرف عند مقاساتها ومعاناة شدايدها وكان صلى الله عليه يقول فى سكرات موته اللهم اعنى على سكرات الموت وما يستعين عليها الرسول صلى الله عليه واله مع كمال اتصاله بالعالم الاعلى فلا شك فى شدته وبالله التوفيق وهو المستعان ومن كلام له عليه السلام قاله عند تلاوة قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ان الله سبحانه جعل الذكر جلاء للقلوب تسمع به بعد الوقرة وتبصر به بعد العشوة وتنقاد به بعد المعاندة وما برح لله عزت الاؤه فى البرهة بعد البرهة وفى ازمان الفترات عباد ناجاهم فى فكرهم وكلمهم فى ذات عقولهم فاستصبحوا بنور يقظة فى الاسماع والابصار والافئدة يذكرون بايام الله ويخوفون مقامه بمنزلة الادلة فى الفلوات من اخذ القصد حمدوا اليه طريقه وبشروه بالنجاة ومن اخذ يمينا وشمالا ذموا اليه الطريق وحذروه من الهلكة فكانوا كذلك مصابيح تلك الظلمات وادلة تلك الشبهات وان للذكر لاهلا اخذوه من الدنيا بدلا فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه يقطعون به ايام الحياة ويهتفون بالزواجر عن محارم الله فى اسماع الغافلين ويامرون بالقسط وياتمرون به وينهون عن المنكر ويتناهون عنه فكانما قطعوا الدنيا الى الاخرة وهم فيها فشاهدوا ما وراء ذلك فكانما اطلعوا غيوب اهل البرزخ فى طول الاقامة فيه وحققت القيمة عليهم عداتها فكشفوا غطاء ذلك لاهل الدنيا حتى كانهم يرون ما لا يرى الناس ويسمعون ما لا يسمعون فلو مثلتهم لعقلك فى مقاومهم المحمودة ومجالسهم المشهودة وقد نشروا دواوين اعمالهم وفرغوا لمحاسبة انفسهم على كل صغيرة وكبيرة امروا بها فقصروا عنها او نهوا عنها ففرطوا فيها وحملوا ثقل اوزارهم ظهورهم فضعفوا عن الاستقلال بها فنشجوا نشيجا وتجاوبوا نحيبا يعجون الى ربهم من مقام ندم واعتراف لرايت اعلام هدى ومصابيح دجى قد حفت بهم الملائكة وتنزلت عليهم السكينة وفتحت لهم ابواب السماء واعدت لهم مقاعد الكرامات فى مقعد اطلع الله عليهم فيه فرضى سعيهم وحمد مقامهم يتنسمون بدعائه روح التجاوز رهاين فاقة الى فضله واسارى ذلة لعظمته جرح طول الاسى قلوبهم وطول البكاء عيونهم لكل باب رغبة الى الله منهم يد قارعة يسالون من لا يضيق لديه المنادح ولا يخيب عليه الراغبون فحاسب نفسك لنفسك فان غيرها من الانفس لها حسيب غيرك اقول الوقرة الثقل من الوقر وهو الصمم والعشوة الفعلة من العشا وهو ظلمة العين بالليل دون النهار والبرهة المدة الطويلة من الزمان ويهتفون يصيحون والبرزخ ما بعد الموت من مكان وزمان والنشيج الصوت فى ترديد النفس عند البكاء والمنادح جمع مندح وهو المتسع فقوله ان الله سبحانه الى قوله بعد المعاندة انما يتضح بالاشارة الى الذكر وفضيلته وفايدته فالذكر هو القرآن الكريم لقوله تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه ونحوه وقيل هو اشارة الى تمجيده تعالى من تسبيح وتكبير وتهليل والشاغلية ونحو ذلك واما فضيلته من القرآن فقوله تعالى فاذكرونى اذكركم وقوله اذكروا الله ذكرا كثيرا وقوله فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله الاية وقوله فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله

الآية واما من الاخبار فقوله صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل في الفارين وقوله صلى الله عليه يقول
الله انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وقوله ما عمل ابن آدم من عمل انجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا
رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله الا ان تضرب بسيفك الى ان ينقطع ثم تضرب
حتى ينقطع ثلثا وقوله من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر من ذكر الله ونحو ذلك فاما فايدته فاعلم ان
المؤثر من الذكر والنافع منه ما كان على الدوام او في اكثر الاوقات مع حضور القلب بدونهما فهو قليل
الجدوى وبذينك الاعتبارين هو المقدم على ساير العبادات بل هو روح العبادات العملية وغاية ثمرتها
وله اول توجيبا الانس بالله ولكن يوجبه الانس بالله وذلك لان المريد في مبدا امره قد يكون متكلفا لذكر الله
ليصرف اليه قلبه ولسانه عن الوسواس فان وفق للمداومة انس به وانغرس في قلبه حب المذكور ومما ينبه على
ذلك ان احدنا يمدح بين يديه شخص ويذكر بحميد الخصال فيحبه ويعشقه بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق
بكثرة الذكر اضطر الى كثرة الذكر اخرا بحيث لا يصبر عنه فان من احب شيئا اكثر من ذكره ومن اكثر من ذكر
شيء وان كان متكلفا احبه وقد شاهدنا ذلك كثيرا كذلك اول ذكر الله متكلفا الى ان يثمر الانس والحب
لم ثم يمتنع الصبر عنه اخرا فيصير الثمرة مثمرا ولذلك قال بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين
سنة ولا يصدر التنعم الا من الانس والحب ولا يصدر الانس الا من المداومة على المكابدة حتى يصير التكلف
طبعا ثم اذا حصل الانس بالله انقطع عن غير الله وما سوى الله هو يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر اهل
ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى الا المحبوب المذكور فيتمتع به ويتلذذ بانقطاع العوايق الصارفة عنه
من اسباب الدنيا ومحبوباتها اذا عرفت ذلك فقوله جل جلاله اشارة الى فايدته ومنها استعداد النفوس بها
على الوجه الذي ذكرناه لمحبة المذكور والاعراض عما سواه واستعار لفظ الجلاء لازالة ما سوى المذكور عن
القلب بالذكر كازالة الخبث للمرآة بالصقال وتجوز بلفظ السمع في اقبالها على ما ينبغي ان تسمع من اوامر الله ونواهيه
وساير كلامه والوقرة لاعراضها عنها وكذلك بلفظ البصر لادراكها الحقايق وما ينبغي لها ولفظ العشوة
لعدم ذلك الادراك اطلاقا في المجازات الاربعة لاسم السبب على المسبب وانقيادها للحق وسلوك طريقه
بعد المعاندة تبروا الاعتراف عنه وقوله وما برح الى قوله عقولهم اشارة الى انه لم يخل المدد وازمان الفترات
فقط من عباد الله واولياء الله الهمهم معرفته وناجاهم على افكارهم وعقولهم صور الحق وكيفية الهداية اليه مكاشفة
وذلك الافاضة والالهام هو المراد بالمناجاة والتكليم منه وقوله فاستصبحوا الاول والافيدة اي استضاوا بمصابيح
نور اليقظة واليقظة في الافيدة فطانتها واستعدادها الكامل لما ينبغي لها من الكمالات العقلية ونور
تلك اليقظة في الافيدة هو ما يفاض عليها بسبب استعدادها بتلك الفطانة ويقظة الابصار والاسماع
تتبعها الابصار الامور النافعة المحصلة منها عبرة وكالاعتبار وسماع النافع من الكلام وانوار اليقظة فيهما
ما يحصل بسبب ذلك الابصار والسماع من انوار الكمالات النفسانية ثم شرع في وصف حالهم في هديهم

لسبيل الله

لسبيل الله بالتذكير بايامه وهي كناية عن شدايد النازلة بالماضين من الامم واصلها انها تقع في الايام ويحتمل ان
يكون مجازا اطلاقا لاسم المحل على الحال ومقام الله كناية عن عظمته وجلاله المستلزمة للهيبة والخوف وشبههم
بالادلة في الفلوات ووجه الشبه كونهم هادين لسبيل الله كما تهدي الادلة وكما ان الادلة وكلاء تحمد الى من اخذ
القصد في الطريق طريقه ويبشره بالنجاة من الخوف عنها يمينا وشمالا ذموا اليه طريقه وحذروه من الهلكة كذلك
الهداة الى الله من سلك سبيل العدل اليه وقصد فيها حمدوا اليه طريقه وبشروه بالنجاة من المهالك ومن انحرف
عنها يمينا وشمالا اي سلك احد طرفي الافراط والتفريط ذموا اليه مسلكه وحذروه من الهلاك الابدي
قوله فكانوا كذلك اي كما وصفناهم ومن استعاره لهم لفظ المصابيح باعتبار اضاءتهم كما لا انهم لطريق الله ولفظ
الادلة باعتبار هديهم الى الحق وتمييزهم عن شبهات الباطل وقوله وان للذكر لاهلا الى قوله في ايام الحياة فاهله
هم من ذكرنا انهم اشتغلوا به حتى احبوا المذكور ونسوا ما عداه من المحبوبات الدنيوية واوجب محبة المذكور
محبة ذكره وملازمته حتى اتخذوه بدلا من متاع الدنيا وطيباتها ولم تشغلهم عنه تجارة ولا بيع وقطعوا به ايام
حيوتهم الدنيا وقوله ويهتفون الى قوله ويتناهون عنه اشارة الى وجوه طاعتهم لله وعبادتهم لروى عن ثمرات
الذكر ومحبة المذكور لان من احب محبوبا سلك مسلكه ولم يخالف رسمه وكان له في ذلك الابتهاج واللذة
وقوله فكانما قطعوا الى قوله عاينوها تشبيه لهم في يقينهم بالله وبما جاءت به رسله وتحققهم لاحوال القيمة
ووعدها ووعيدها بعين اليقين عن قطع الدنيا الى الآخرة مع كونه فيها او بمن اطلع على ما غاب عن اهل
الدنيا من احوال اهل البرزخ وطول اقامتهم فيه فكشفوا غطاء تلك الاحوال لاهل الدنيا بالعبارات والا
شارات اللايحة حتى كانهم في وصفهم لها عن صفاء سرايرهم وصفاء جواهر نفوسهم بالرياضة التامة يرون
بابصارهم ما لا يرى الناس ويسمعون باذانهم ما لا يسمع الناس اذ يجردونه عن مشاهدات ومسموعات لا
يدركها الناس ولما كان السبب في قصور النفوس عن ادراك احوال الآخرة وهو تعلقها بهذه الابدان و
اشتغالها بتدبيرها والانغماس في الهيئات الدنيوية المكتسبة عنها وكان هؤلاء الموصوفون قوما قد غسلوا
درن تلك الهيئات عن الواح نفوسهم بمداومة ذكر الله وملازمة الرياضة التامة حتى صارت نفوسهم كمرآة مجلوة
حوذي بها شطر الحقايق الالهية فتجلت فيها وانتقشت بها لاجرم شاهدوا بعين اليقين سبيل النجاة وسبيل
الهلاك وما بينهما فسلكوا على بصيرة وهدوا الناس على يقين واخبروا عن امور شاهدوها باعين بصايرهم
وسمعوها باذان عقولهم فكانهم في وضوح ذلك لهم وظهوره ولاخبارهم عنه قد شاهدوا ما شاهده الناس
بحواسهم فشاهدوا ما لم يشاهده الناس وسمعوا ما لم يسمعوه وقوله فلو مثلتهم لعقلك اي استحضرت صورهم
واعمالهم في مقاومهم المحمودة ومجالسهم المشهودة وهي مقامات العبادة ومجالسها وذكرت من اعمالهم انفعالهم
وما ثبت فيها من افعالهم ونشرها تتبع نفوسهم بافكارها وتخيلاتها الصور تلك الاعمال ونصبها لها التنبه
لتصفح الاوراق والواو في قوله وقد قلدوا الحال محذوف وفرغوا المحاسبة انفسهم على كل صغيرة وكبيرة يستدعي بيان

وكتبه م

معنى المحاسبة ولما كان معناها يستدعي محاسبا حتى يكون النظر معه في راس المال وفي الربح والخسران ليتبين له
الزيادة والنقصان فان كان من فضل حاصل استوفاه وان كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في
المستقبل فكذلك العبد معاملة نفسه الامارة بالسوء وراس ماله الفرايض وربحه النوافل والفضايل
والخسران المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار فينبغي ان يكون للعبد في آخر ساعة يطالب بها نفسه
ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها فان كان قد ادى الفرايض على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها
وان فوتها من اصلها طالبها بالقضاء وان اداها ناقصة كلفها بالجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل
بعقابها وتعذيبها ومعاقبتها ليستوفي منها ما يتدارك به تفريطها كما يصنع التاجر بشريكه وكما انه يفتش
في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان كذلك ينبغي ان يتقي غبينة النفس
ومكرها فانها مخادعة مكارة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عما تكلم به طول نهاره وليتولى من حسابها
بنفسه ما سيتولاه غيره في محل القيمة وكذلك عن نظره وخواطره وافكاره وقيامه وقعوده واكله وشربه
وحتى عن سكونه وسكوته فاذا عرف انها ادت الحق في الجميع كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر لها الباقي فيقرره
عليها ويكتبه على صحيفة قلبه ثم ان النفس غريم يمكن ان يستوفي منه الديون اما بعضها فبالغرامة والضمان
وبعضها برد عينها وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتميز باقي
الحق الواجب عليه ثم يشتغل بعده بالمطالبة وينبغي ان يحاسب الانسان النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة
ساعة في جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقة وكان يحاسب النفس فحسب
يوما فاذا هو ابن ستين سنة فحسب ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا
ويلتى القى الملك باحد وعشرين الف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قايلا يقول يا لك ركضة الى
الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي ان تكون المحاسبة ولو رمى العبد بكل معصية حصاة في داره لامتلات داره
في مدة يسيرة من عمره ولكنه يتساهل في حفظها والملكان يحفظان عليه كما قال تعالى احصاه الله ونسوه
اذا عرفت ذلك فقوله وفرغوا المحاسبة انفسهم الى قوله ندم واعتراف اشارة الى حالهم وجدانهم عند محاسبة
انفسهم لتقصيرها والخسران في رؤوس اموالهم التي هي الطاعات ونشيجهم ونحيبهم وعجيجهم بالندم والاعتراف
بالذنب اشارة الى حالهم في تدارك ذلك الخسران بالشروع في الجبران فاول مقاماته التوبة ولوازمها الندم
ثم العمل ... وقوله لرايت الى قوله الراغبون صفات احوالهم المحمودة واللام في قوله لرايت جواب
لو في قوله فلو مثلتهم واستعار لهم لفظ الاعلام والمصابيح باعتبار كونهم ادلة الى طريق الله وهدى انوار
يستضاء بها وحفوف الملايكة بهم كناية عن احاطة عنايتهم به وذلك الكمال استعدادهم لقبول الانوار
عن الله بواسطة الملايكة الكروبية ووجوب فيضها عليهم عنهم وفي ذلك الاشارة الى كرامتهم بذلك
وقوله وتنزلت عليهم السكينة اشارة الى بلوغ استعداد نفوسهم لافاضة السكينة عليها وهي المرتبة الثالثة

من احوال

من احوال السالك بعد الطمانينة وذلك ان تكثر تلك البروق واللوامع التي كانت تغشاه حتى يصير ما كان
مخطوفا منها مالوفا وكانت تحصل لا بتبيئة السالك فيصير حصولها بتبيئته وارادته وفتح ابواب السماء لهم اشارة
الى فتح ابواب سماء الجود الالهي بافاضة الكمالات عليهم كما قال تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر ومقاعد الكرامات
مراتب الوصول اليه وتلك المقاعد التي اطلع الله تعالى عليهم فيها فرضي سعيهم بالاعمال الصالحة المبلغة اليها
وحمد مقامهم فيها وقوله يتنسمون بدعاية روح التجاوز اي يدعونه ويتوقعون نسائم تجاوزه عن ذنوبهم وان
لا يجعل بتقصيرهم فيما عساهم قصروا فيه بسبب الانقطاع فيضره وقد علمت ان سيئات هؤلاء يعود الى ترك الاولى
بهم ثم استعار لهم لفظ الرهاين لكونهم في محل الحاجة الى فضله لا معدل ولا ملجا لهم عنه كالرهاين في يد المرتهن
وكذلك لفظ الاسارى ووجه المشابهة كونهم في مقام الذلة تحت خطه كالاسير المطل لا عظمة من سن وقوله
وجرحوا الى قوله قيوتهم فذلك الجرح من لوازم اطلاعهم على خيانة انفسهم وخسرانهم في معاملتهم لها بعد محاسبتها
وقوله لكل باب الى قوله يد قارعة اشارة بقرعهم لكل باب من ابواب الرغبة الى الله الى توجيه اسرارهم وعقولهم الى
الحقيقة استشرافا لانوار الله واستسماحا لجوده وقوله سال الى قوله النادح اشارة الى سعة جوده وفضله وانه
اكرم الاكرمين لتبين انه احق مسئول باعطاء سؤله واولى مرغوب اليه باسداء مرغوب وقوله فحاسب نفسك الى
اخره اي هو لا تحاسب نفسك فان حساب غيرها من النفوس وهي التي ما لم يحاسبها صاحبها سوء لا يغيرك وهو
اسرع الحاسبين وذلك في معنى تهديد الانسان على ترك محاسبة نفسه وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام**
قوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ادحض مسئول حجة واقطع مغتر معذرة لقد ابرح جهالة بنفسه يا ايها
الانسان ما جراك على ذنبك وما غرك بربك وما انسك بهلكة نفسك اما من دائك بلول ام ليس من نومتك
يقظة اما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك فلربما ترى الضاحي لحر الشمس فتظله او ترى المبتلى بالم يمض جسده فتبكي
رحمة له فما صبرك على دائك وجلدك على مصابك وعزاك عن البكاء على نفسك وهي اعز الانفس عليك وكيف لا يوقظك
خوف بيات نقمة وقد تورطت بمعاصيه مدارج سطواته فتداو من داء الفترة في قلبك بعزيمة ومن كرى الغفلة في ناظرك
بيقظة وكن لله مطيعا وبذكره آنسا وتمثل في حال توليك عنه اقباله عليك يدعوك الى عفوه ويتغمدك بفضله وانت متول
عنه الى غيره فتعالى من قوي ما اكرمه وتواضعت من ضعيف ما اجراك على معصيته وانت في كنف ستره مقيم وفي سعة
فضله متقلب فلم يمنعك فضله ولم يهتك عنك ستره بل لم تخل من لطفه مطرف عين في نعمة يحدثها لك او سيئة يسترها
عليك او بلية يصرفها عنك فما ظنك به لو اطعته وايم الله لو ان هذه الصفة كانت في متفقين في القوة متوازيين
في القدرة لكنت اول حاكم على نفسك بذميم الاخلاق ومساوي الاعمال وحقا اقول ما الدنيا غرتك ولكن بها
اغتررت ولقد كاشفتك العظات وآذنتك على سواء ولهي بما تعدك من نزول البلاء بجسمك والنقص في قوتك اصدق
واوفى من ان تكذبك او تغرك ولرب ناصح لها عندك متهم وصادق من خبرها مكذوب ولئن تعرفتها في الديار الخاوية
والربوع الخالية لتجدنها من حسن تذكيرك وبلاغ موعظتك بمحلة الشفيق عليك والشحيح بك ولنعم دار من لم يرض

بها دارا ومحل من لم يوطنها محلا وان السعداء بالدنيا غدا هم الهاربون منها اليوم اذا رجفت الراجفة وحقت بجلائلها
القيامة ولحق بكل منسك اهله وبكل معبود عبدته وبكل مطاع اهل طاعته فلم يجز في عدله وقسطه يومئذ خرق بصر
في الهواء ولا همس قدم في الارض الا بحقه فكم حجة يوم ذاك داحضة وعلائق عذر منقطعة فتحر من امرك ما يقوم
به عذرك وتثبت به حجتك وخذ ما يبقى لك مما لا تبقى له وتيسر لسفرك وشم برق النجاة وارحل مطايا التشمير **اقول**
حجة داحضة باطلة وابرح جهالة بنفسه اي بالغ في تحصيل جهالتها واجرأه ذلك والسلول المتحير والضاحي البارز للشمس
والممض المولم والسطوة البطش والقوارع السطوة المزعجة والجمع سطوات والتجلد التقوي والتصبر والورطة الهلاك
ويتعهدك يتفقدك والكنف الحياطة والكنف الجانب وادبارك اعراضك والمنسك موضع العبادة واصله كل موضع
تتردد اليه وتقصده والتحري طلب الاحرى والاولى وشم برق النجاة اي انظر اليه فقوله دحض خبر مبتدا محذوف
والتقدير الانسان عند سؤال ربه له ما غرك بربك الكريم ادحض مسؤول حجة واشده انقطاعا في عذره ومبالغته
في تجهيل نفسه كثرة اهمالها في متابعة هواها وتركها عن الاصلاح والتصويبات الثلث ... وقوله يا ايها الانسان
الى قوله بهلكة نفسك استفهاما عن اسباب جرأته على الذنوب واسباب غرته بربه وعلته عن شدة باسه وعن سبب
انسه بهلكة نفسه بتورطها في المعاصي والهامها استفهاما على سبيل التقريع والتوبيخ ويحتمل ان يكون قوله اما
ان لك تحقيقا وكذلك الاستفهام عن بلول مرض الجهل ويقظته من نوم الغفلة ورحمته لنفسه كما يرحم غيرها الا ان
الاستفهامات الثلث الاولى يطلب فيها تصور تلك الاسباب وتم تحقيقها على سبيل تجاهل العارف وفي هذه
الثلث الاخيرة يطلب بها التصديق ثم نبهه على وجوب رحمته لنفسه كما يرحم غيرها بقوله فلربما ترى الضاحي الى قوله
له وهي قوة صغرى قياس احتج به ووجه ذلك انك قد ترحم من تراه في الشمس ظاهرا ومبتلى بالم فتبكي رحمة له وكل من
كان كذلك فاولى ان يرحم نفسه بانقاذها من بلاء مقيم فينتج انك اولى ان ترحم نفسك من غيرها وقوله فما صبرك الى قوله
الانفس عليك استفهام عن اسباب صبره وجلادته وتجلده على مصائبه التي لحقته بسبب ذلك الداء وتعزيه على البكاء
على اعز الانفس عليه استفهام توبيخ ولا يحسنها بعد ذلك للاحتجاج ظاهر ونبهه بقوله وكيف لا يوقظك الى قوله
سطواته على بعض اسباب اليقظة لمظانه من الغفلة عنها وخوف بيات نقمة ان يوقعها به ليلا كقوله تعالى
افامن اهل القرى ان يأتيهم باسنا بياتا وهم نائمون ومدارج سطواته مجاري بطشه وقهره وهي مجال المعاصي واسبابها
والتوسط فيها الحصول فيها المستلزم للهلاك الاخروي وقوله فتداو الى قوله بيقظة تنبيه على الدواء من الفترة في
القلب عن ذكر الله وهو العزيمة على طاعته والاجماع على ملازمة ذكره ومن نوم الغفلة في ظاهر القلب عن ذلك الحظ
... ينبغي ان يكون تلك العزيمة عليه مالك اليقظة له وهي طاعة الله وتحصيل الانس بذكره وقوله فتمثل
الى قوله بمصرفها عنك تنبيه على ضروب نعم الله عليه ومقابلته اياها بالكفران والمعصية لعله يتذكر او يخشى وامر ان يتمثل
في ذهنه في حال اعراضه عن دينه وانهماكه في معصيته اقبال الله عليه بضروب نعمه من دعوته الى ... على ...
الى عفوه وتعهده اياه بفضله واقامته في كنف ستره وتقلبه في سعة فضله لم يمنعه فضله ولا هتك عنه ستره

تلك النعم بالكفران والمعصية بل لم يخل من لطفه مقدار طرفة عين وذلك اللطف في نعمة يحدثها او سيئة يسترها
عليه وبلية يصرفها عنه فاحسن بهذا التمثيل فان استحضار ذهن الغافل لضروب هذه النعم في حال الاقبال على المعصية
من اقوى الجواذب الى الله عنها وانما قال وتمثل لان الحاضر في الذهن ليس هو نفس اقبال الله على العبد بل مثاله
ومثاله وبدعوه في موضع الحال وكذلك الواو في قوله وانت في الموضعين للحال وقوله فما ظنك به لو اطعته
صورة احتجاج للترغيب في الطاعة بعد التوبيخ على تركها وتلخيصه انك لو اطعته لكان تفضله عليك اكبر واتم
وظنك به اقوى بيان الملازمة ان فضله كان عليك في حال معصيتك له كثيرا كما تقدم بيانه فبطريق الاولى ان يتم
فضله عليك حال طاعتك اياه وحسن ظنك به وقوله وايم الله الى قوله للاعمال اي لو كان هذا الوصف الذي
ذكرناه من اقبال الله عليك بضروب نعمه ومقابلتك له بالاعراض عنه والاقبال على معاصيه وصف مثلين من
الناس في القوة والقدرة والمنزلة وكنت انت المسيء منهما لكان فيما ينبغي لك من الحياء الا لقدر ان تكون اول
حاكم على نفسك بتقصيرها وذميم اخلاقها ومقابح اعمالها وهو صورة احتجاج يقرر عليه فيه مساوي اعماله ويحثه
فيه بذلك الى تبديلها بمحاسنها في قياس ضمير من الشكل الاول ذكر في الكلام صغراه وتلخيصها انك اول حاكم
على نفسك بتقصيرها على تقدير ان يكون مولاك هذه النعم مثلا لك وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فاولى
بك ان تكون اول حاكم على نفسك بتقصيرها على تقدير ان يكون مولى تلك النعم خالقك ومالك رقك وقوله وحقا
اقول ما الدنيا غرتك ولكن بها اغتررت تقرير منع لما عساه ان يجيب به الناس عند سؤال الله تعالى اياهم بقوله ما غرك
بربك الكريم وهو كثير في كلامهم ان الدنيا هي الغادرة لاهلها وكذب القران الكريم اليها ذلك بقوله وغرتهم الحيوة
الدنيا وكلامه عليه السلام حق من وجهين احدهما ان الاستغرار من لواحق العقل وليست الدنيا ذات عقل والثاني
انها لم تخلق لان يستغر بها اذ كان مقصد العناية الالهية بوجود الانسان فيها تحصيل الكمالات المسعدة له فيها
ومنها فلا يجوز ان ينسب اليها الاستغرار حقيقة لكن لما كانت سببا ماديا للاغترار بها جاز ان ينسب اليها الاستغرار
مجازا وصدق قوله ايضا ولكن بها اغتررت وقوله ولقد كاشفتك العظات تقرير لمنع نسبة الاستغرار اليها بنسبة
ضده اليها وهو التحذير لما كاشفته بالمواعظ وهي مجال الانتقال من تصاريفها وعبرها ومجاهراتها وبلائها
لم على عدل منها اذ خلقت لذلك التنبيه والاعلام وعلى ذلك التصريف ولم يمكن ان يكون الا كذلك فلم يكن
تصاريفها بك جورا عليك وقوله ولهي بما تعدك الى قوله تغرك زيادة تاكيد لنصيحتها وتحذيرها منها واستعار
لفظ الوعد لاشعارها في تغيراتها بما يتوقع من مصائبها كما ان الوعد اشعار باعطاء المطلوب واستعمل الوعيد
مجاز اطلاقا لاسم احد الضدين على الآخر كتسمية السيئة جزاء وكذلك استعار لها لفظ الصدق والوفاء
لشبهها بالصادق الوفي في انه لا بد من ايقاع ما وعدت به من تصاريفها ومصائبها كما ان الصادق الوفي بوعده
لا بد له من ايقاع ما وعد به وقوله اصدق واوفى مع قوله من ان تكذبك او تغرك من باب اللف والنشر وفي المقابلة
وقوله ولرب الى قوله مكذب تقرير لبعض لوازم الغفلة عليك وهي تهمة الناصح منها وتكذيبه لصادق خبرها والطلق

الوعد في مكان

لفظ التهمة والتكذيب مجاز في عدم الالتفات الى نصيحتها بتصاريفها وما يعلم من صادق تغيراتها وعدم اعتبار
ذلك منها اطلاقا لاسم ذي الغاية على غايته اذ كانت غاية التهمة والتكذيب عدم الالتفات الى المتهم والمكذب
والاعراض عنهما وقوله ولئن تعرفتها الى قوله الشحيح بك صورة احتجاج يترغب فيه على صدقها في نصيحتها كي تنتصح ولا تتهم
وهو بقياس شرطي متصل وتقريره ولئن تعرفتها اي طلبت معرفة حالها في نصيحتها وغشها من الديار الخاوية
والربوع الخالية للامم السالفة والقرون الماضية لتعرفتها بمنزلة الشفيق عليك والشحيح بك ووجه شبهها بك
حسن تذكيرها لك وبلاغ موعظتك وعبرتك منها كما ان الناصح الشفيق عليك كذلك وبيان الملازمة حوالة
على الوجدان بعد تعرفها والاستثناء في هذه المتصلة لعين المقدم لينتج عين التالي وقوله ولنعم الى قوله محلا
مدح للدنيا باعتبار استعمالها على الوجه المقصود بالعناية الالهية وهو الاعتبار بها دون الرضا بها لذاتها
واتخاذها وطنا ودارا فاسم واسم نعم هو دار من لم يرض والمخصوص بالمدح هو الدنيا ودارا ومحلا منصوبان على
التمييز يقومان مقام اسم الجنس الذي هو اسم نعم او احدهما وههنا مسألتان احداهما ان اسم الجنس الذي هو اسم نعم
وبئس يضاف في العادة الى ما فيه الالف واللام كقولك نعم صاحب القوم وقد اضافه ههنا الى ما ليس فيه الالف
واللام وقد جاء مثله في الشعر كقوله فنعم صاحب قوم لا سلاح لهم الثانية انه جمع بين اسم الجنس والنكرة التي تبدل
منه وقد جاء مثله في قوله فنعم الزاد زاد ابيك زادا وانما اضاف دارا الى من لم يرض بها ومحلا الى من لم يوطنها
لان الدنيا انما تكون دارا محمودة باعتبار كونها دار من لم يرض بها ولم يوطنها لاستلزام عدم رضاه بها
الاشتغال بالعبرة بها واتخاذ زاد التقوى واولئك هم المتقون السعداء بها ويحتمل ان يكون دارا ومحلا منصوبين
على التمييز عن قوله لم يرض بها ولم يوطنها وقوله وان السعداء بالدنيا غدا هم الهاربون منها اليوم فوجه سعادتهم
بها استثمارهم للكمالات المسعدة في الآخرة منها ولم يحصل ذلك الا بالهرب منها اليوم وكنى بالهرب منها عن
الاعراض الحقيقي عن لذاتها والتباعد عنها والزهد فيها وظاهر ان التباعد منها بالقلوب لا ماديا الضرورة
اليه واتخاذها مع ذلك سببا الى الآخرة من سبل السعادة وسلمها كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه
وآله فيها بقوله ما انا والدنيا انما مثلي فيها كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فنزل فقعد تحت ظلها
ساعة ثم راح وتركها وذلك بقوله اذا رجفت على الوقت المذكور المدلول عليه بقوله غدا وهو يوم القيمة كقوله تعالى
يوم ترجف الراجفة قال المفسرون الراجفة هي النفخة الاولى في الصور وهي صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرعد
يصعق فيها الخلائق وتتبعها الرادفة وهي النفخة الثانية وردفت الاولى وجلائل القيمة محنها الجليلة العظيمة وقوله
ولحق بكل منسك اهله اشارة الى لحوق كل نفس يوم القيمة بمعبودها ومطاعها وما انفته واحبته من امر دنيوي
او اخروي فاقبلت عليه كما اشار اليه الرسول صلى الله عليه وآله بقوله يحشر المرء مع من احب ولو احب احدكم حجرا لحشر
معه وقوله ولم يجز الى قوله بحقه تقرير لعدل الله تعالى في ذلك اليوم والمعنى ان كل حركة ولو طرفة عين في الهواء وهمس قدم
في الارض فلها الاجزاء في عدله لا يجحفها الاجزاء عليها ولا ينقص عنها ثم اشار الى كثرة الحجج الباطلة يومئذ والاعذار

من امتثالها ... الهرب عن الشيء التباعد ...

المنقطعة توبيخا في تحصيل الكمالات البرهانية ولزوم آثار المرسلين والاولياء الابرار في سلوك سبيل الله
وانما ذكرها وفي ذلك اليوم واهواله بعد ذكر السعداء فيه وتعيين انهم هم الهاربون من الدنيا اليوم ترغيبا
الى الاقتداء بهم في ذلك الهرب لغاية تلك السعادة ثم امران يطلب الانسان من امره ولحوائجه اما ولا بد
ما يقوم به عذره في ذلك اليوم وتثبت به حجته في محفل القيمة وذلك الامر هو ما اشرنا اليه من البرهان واقتفاء
آثار المرسلين وكذلك امره ان يأخذ ما يبقى له من الكمالات المسعدة في الآخرة مما لا يبقى له وهو الدنيا ومتاعها
وقد بينا كيفية ذلك الاخذ غير مرة وان يتيسر لسفره يستعد لسفره الى الله بالرياضة بالزهد والعبادة وان
يشم برق النجاة اي يستشرف الى الله تعالى بعد الزهد الحقيقي والعبادة الكاسرة للنفس الامارة بالسوء لتشرق
لوامع الانوار الالهية وبروقها التي هي بروق النجاة وابواب السلامة كما اشار اليه فيما قبل هذا الفصل بقوله
بقوله وتدافعته الابواب الى باب السلامة وان يرحل مطايا التشمير وهو اشارة الى الجد في سلوك سبيل الله
والاجتهاد في العمل لما بعد الموت واستعار لفظ المطايا للآلات العمل ولفظ الارحال لاعمالها وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام والله لان ابيت على حسك السعدان مسهدا واجر في الاغلال مصفدا احب الي من ان
القى الله ورسوله يوم القيمة ظالما لبعض العباد وغاصبا لشيء من الحطام وكيف اظلم احدا لنفس يسرع الى البلى
قفولها ويطول في الثرى حلولها والله لقد رأيت عقيلا وقد املق حتى استماحني من بركم صاعا ورأيت صبيانه
شعث الالوان من فقرهم كانما سودت وجوههم بالعظلم وعاودني مؤكدا وكرر علي القول مرددا فاصغيت اليه
سمعي فظن اني ابيعه ديني واتبع قياده مفارقا طريقي فاحميت له حديدة ثم ادنيتها من جسمه ليعتبر بها فضج ضجيج ذي دنف
من المها وكاد ان يحترق من ميسمها فقلت له ثكلتك الثواكل يا عقيل اتئن من حديدة احماها انسانها للعبه وتجرني
الى نار سجرها جبارها لغضبه اتئن من الاذى ولا ائن من لظى واعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها
ومعجونة شنئتها كانما عجنت بريق حية او قيئها فقلت اصلة ام زكاة ام صدقة فذلك محرم علينا اهل البيت
فقال لا ذا ولا ذاك ولكنها هدية فقلت هبلتك الهبول اعن دين الله اتيتني لتخدعني امختبط انت ام ذو جنة ام تهجر
والله لو اعطيت الاقاليم السبعة بما تحت افلاكها على ان اعصي الله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلته وان دنياكم
عندي لاهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى نعوذ بالله من سبات العقل وقبح
الزلل وبه نستعين **اقول** السعدان نبت شوكه وحسك لها ثلاث شوك محددة على اي وجه وقعت من الارض
كان لها ذاك شائك قائما والمسهد الموثوق شدا بغل او قيد وغيرهما والقفول الرجوع من السفر والاملاق
الافتقار والاستماحة طلب المنح وهو العطاء والعظلم نبت وهو بالعربية النيل وقيل نبت آخر يصبغ به والدنف
شدة المرض والميسم المكواة ويجرها وقدها واحماها وشنئتها ابغضتها وهبلته الهبول ثكلته والثواكل والمختبط
مرض كالجنون وليس به والمختبط الذي يطلب معروفك من غير سبب سابق بينكما من رحم او معرفة سابقة او
سابقة معروف في ذلك عنده والجنة الجنون والهجر الهذيان وجلب الشعيرة قشرها وعرض الفصل البرهي من الظلم

وذلك ان احدهم كان يأتيه فيسأله العطا وهو عليه السلام لم يكن ليستبقي لنفسه شيئا ولا يرى ان يعطي من بيت المال احدا دون حرم فيجرمه وربما كان في غاية الحاجة فينسبه الى الظلم والتخصيص بالمال دونه فبرا بهذا الكلام مما انسبا اليه من ذلك فقوله واالله الى قوله الحطام بيان لمقدار نفرته عن الظلم وغايتها وعلى ترجيحه احتماله لاحد الامرين المذكورين على الظلم مع ما يستلزمانه من الالم والعذاب ان ما يستلزم الظلم من عذاب الله اشد خصوصا في حق من نظر بعين بصيرته تفاوت العذابين ومؤكدا لذلك ليبان بالقسم البارّ ولفظ الحطام مستعار لمتاع الدنيا باعتبار حقارته واصله ما تكسر من نبت الارض وظالما وعاصيا حالان وقوله وكيف الى قوله حلولها استفهام من وجه ظلمه لاحد استفهام انكار على من نسب اليه ذلك مع ذكر بيين بيان العاقل من الظلم وهما الرجوع الى البلى من السرعة الدنيا وطول الحلول في الثرى وقوله واالله لقد استماحني الى قوله للظلم تنبيه لنفي الظلم عنه بلوغه في الحاجة فقطع على بيت المال ومراعات العدل الى الحد الذي فعله مع اخيه عقيل على شدة فاقته وفاقة عياله وكونه ذا حق في بيت المال ومعلوم ان من لم تدعه هذه الاسباب الثلثة وهي الاخوة والفاقة والحق الموجود لدى الفاقة الى ان يدفع اليه بعض خوفا من شبهة الظلم فهو ابعد الناس ان يظلم او يجوز حول الظلم بوجه واستعار لفظ السمع لما يتوهم من استفاضة لذة العطا للاخ الفقير بما يفوت من الدين بسبب الظلم في عطيته على غير الوجه الشرعي وقياده ما يقوده به من الاستعطاف في الرحم طريقة العدل واحما الحمي له الحديدة ليتنبه بها على النار الاخروية ولذلك احتج عليه عندما نجبه من حر ها بقوله اثكلتك من حديدة الى قوله لعضبه ووجه الاحتجاج انك اذا كنت تئن من هذه فبالاولى ان يئن من تلك النار وذلك ان حر النار الظلم بطلب ما لا يستحقه لاستلزام الانين من نار الله ترك الظلم ولما ثبت تكليف وجوب ترك الظلم بذلك الطلب اعقبه بالاحتجاج لنفسه على وجوب تركه الظلم باعطائه بقوله اتئن من الاذى ولا ائن من لظى اذا كنت تئن من الاذى فبالاولى ان ائن انا من لظى وانما قال ولا ائن من لظى مع ان لظى غير حاصلة الآن تنزيلا للموقع الذي لا بد منه بسبب الظلم منزلة الواقع ليكون ابلغ في الموعظة وانما اضاف الانسان الى الحديدة لانه ارادوا انسانا خاصا هو المتولي لامر تلك الحديدة فعرفه باضافته اليها وكذلك الاضافة في جبارها وانما قال للعبة استهانة او تحقيرا لما فعل الغرض ان يكون فعل الحادو من حر النار وكذلك جعل العلة الحاملة على النار هو غضب الجبار تعظيما لشانه وقوله واعجب من ذلك الى قوله تيجرا وامجب من عقيل وحال الطارق والطارق الاتي ليلا وكني بالملفوفة في وعائها عن الهدية قيل كان شيئا من الحلواء كالفالوذج والخبيص ونحوه وشبه بقوله شنئتها على بعض الامور الدنيوية الدنيوية ونفرته عنها رغبا فيها وحجر تشبيهها بما عجن بريق الحية او قيئها هو ما تصوره في قبولها من الفساد وما قصد بها مهديها من طلب الميل اليه المستلزم للظلم والجور عن سبيل الله فان القصد الذي اشتمل عليه كالسم المهلك واما وجه كون هذا المهدي اعجب من عقيل فلاّ ن عقيلا جاء بثلث وسائل كل منها يستلزم العاطفة عليه وهي الاخوة والفاقة وكونه ذا حق في بيت المال و هذا

المهدي انما ادلى بهديته فاما قوله فقلت له الى قوله اهل البيت فانه اراد به حصر وجوه البر في العرف لانه التقرب الى الله ببذل المال لعباده اما صلة رحم او لا والثاني فاما على وجه الصدقة او الزكوة الواجبة والهدية لانه لم يكن ذا رحم عاقل قبوله لها خصوصا زمان بخلافته وذلك ان مطلوب العاقل بسره بالهدية اما حقا او باطلا والحق لا يحتاج فيه الى الهدية والباطل لا يفعله بوجه ولذلك لما قال له الطارق انها هدية دعا عليه ونسبه الى الجنون والهذيان ولما قسم على الوجوه الثلاث ابطل قسمين منها بقوله فذلك محرم علينا اهل البيت واراد الصدقة والزكوة واما صلة الرحم فلم يحتج الى ابطالها لان الطارق لم يكن ذا رحم له وقول الطارق لا هذا ولا ذاك يجري مجرى ابطال الحصر بابراز قسم رابع هو الهدية وقوله عليه السلام هبلتك الهبول الى قوله تيجر جواب لقوله ولكنها هدية فرد عليه ما فهمه من غرضه بالهدية وهو خداعه عن دينه اذا الهدية لغرض حرام صورة استغراء وخداع وذكر للخداع عن الدين شيئا الصالح الهدية عن فعله ذلك ولما كان ذلك الامر لو تم الغرض به استلزم نقصان الدين كالخداع عن الدين فاطلق عليه لفظ الخداع استعارة وقوله امختبط ام ذو جنة ام تهجر استفهام على سبيل الانكار على التوبيخ على ذلك الخداع بعد تقرير عليه ذلك الخادع لمثله عليه السلام عن دينه لا يكون الا على احد الوجوه المذكورة غالبا ولا يتصور ان يصدر منه ذلك الخداع عن روية صحيحة وقد ذكر وجوه الخروج عن الصواب مما يتعلق بالعقل واللسان وقوله واالله الى قوله ما فعلته يحتمل ان يكون ردا لوهم الطارق في انه يفعل مطلوبه الحرام بتلك الهدية وابطالا لذلك الوهم عنه والاقاليم السبعة اقسام الارض وهو دليل منه على غاية العدل وقوله وان دنياكم الى قوله تقضمها دليل على غاية الزهد منه في الدنيا كقوله في الشقشقية ولالفيتم دنياكم هذه اهون عندي من عفطة عنز وقوله ما لعلي ونعيم يفنى ولذة لا تبقى استفهام انكار لملائمته نعيم الدنيا ولذاتها الفانية والمعنى اي حال علي يا في ذلك النعيم واختياره بيضاد تلك اللذة ثم تعوذ بالله من سيات العقل وهي حجبا ذاته لتلك اللذات ولعلك النعيم وميله في مطاوعة النفس الامارة بالسوء ومن قبح الزلل وهو بعلمه الانحراف عن سبيل الله الموقع في المهاوي المهلكة واستعان به على دفع ما تعوذ به منه وبالله التوفيق والعصمة ومن دعاء له عليه السلام اللهم صن وجهي باليسار ولا تبذل جاهي بالاقتار فاسترزق طالبي رزقك واستعطف شرار خلقك وابتلى بحمد من اعطاني وافتتن بذم من منعني وانت من وراء ذلك كله ولي الاعطاء والمنع انك على كل شيء قدير اقول اليسار بالفتح الغنى والاقتار ضيق الرزق والفقر وحاصل الفصل الالتجاء الى الله في طلب الغنى وعدم الابتلاء بالفقر ولوازمه واعلم ان الغنى المطلوب لمثله عليه السلام هو ما دفع ضرورة حاجته بحسب الاقتصاد والقناعة لا المفهوم المتعارف بين ارباب الدنيا من جمع المال وادخاره والاتساع به فوق الحاجة وطلب الغنى على ذلك الوجه محمود وعلى الوجه الثاني هو المذموم والفقر هو ما احتاج الانسان معه الى سؤال الناس ويلزمه بذلك الاعتبار لوازم صادفة عن وجه الله وعبادته فاولها ابتذال الجاه ونقصان الحرمة

ولما كان الجاه والغنى كالمتلازمين لا يليق احدهما الا بالاخر جعل مبذل الجاه الفقر لانه مزيل الغنى والى وجوب لزومه اشار ابو الطيب بقوله فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده والجاه ايضا له اعتبارات فما اريد لله منه وكان شرفا به واعتزازا بدينه واريد للاستعانة به على الحق في الله وطاعته فهو الجاه المحمود الذي سال الله حفظه عليه الغناء عن الناس وهو الذي من الله تعالى به على الانبياء في قوله يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والاخرة وما اريد به الفخر والترأس في الدنيا فهو المذموم الثاني من لوازمه استرزاق الخلق الذين من شانهم ان يسالوا الرزق لا ان يطلب منهم وفي ذلك من الذل والخضوع المطلوب منه ومهانة النفس واشتغالها عن التوجه الى المعبود ما يجب ان يستعاذ بالله منه ومن دعاء زين العابدين عليه السلام تمدحت بالغنى عن خلقك وانت اهل الغنى عنهم ونسبتهم الى الفقر وهم اهل الفقر اليك فمن حاول سد خلته من عندك ورام صرف الفقر عن نفسه بك فقد طلب حاجته من مظانها واتى طلبته من وجهها ومن توجه بحاجته الى احد من خلقك او جعله سبب نجحها دونك فقد تعرض للحرمان واستحق من عندك فوت الاحسان وانما حكم عليه باستحقاق فوت الاحسان لعدم استعداده لسبحانه بالتوجه الى غيره واشتغال نفسه بذلك الغير وبتر بقول طالبي رزقك على عدم اهليتهم لان يطلب منهم الثالث استعطاف شرار خلقه وظاهر ان الحاجة قد تدعو الى ذلك والتجربة تقضي بان طلب العاطفة من الاشرار والحاجة اليهم يستلذ معه ذوو المروة طعم العلقم ويستحلي مذاق الصبر الرابع الابتلاء والافتتان بذم المانع وذلك مستلزم للصرف عن الله والتوجه الى القبلة الحقيقية والواو في قوله وانت للحال اي لا ينبغي لجاهي بالاقتار فيلحقني بسببه ما يلحقني من المكاره والمعذولات وانت من وراء ذلك كله اولى من اعطى ومنع بان تعطي وتمنع لقدرتك على كل شيء ومفهوم كونه وراء ذلك الحكم لحاطته وكونه مستند الغنى واهله المحتاج اليهم من الخلق واولى الفقر ولوازمه لقدرتك على صرفه والاغناء عن الخلق لان كونه محيطا وكونه مستندا استلزمان للوراثة فالمستند والوراء المعقول والمحسوس وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة لا تدوم احوالها ولا تسلم نزالها احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والامان منها معدوم وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتفنيهم بحمامها واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى قبلكم ممن كان اطول منكم اعمارا واعمر ديارا وابعد آثارا اصبحت اصواتهم هامدة ورياحهم راكدة واجسادهم بالية ودبارهم خالية وآثارهم عافية فاستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة والقبور اللاطئة الملحدة التي قد بني على الخراب فناؤها وشيد بالتراب بناؤها فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل محلة موحشين واهل فراغ متشاغلين لا يستانسون بالاوطان ولا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تزاور وقد طحنهم بكلكله البلى واكلتهم الجنادل والثرى وكان قد صرتم الى ما صاروا اليه وارتهنكم ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو تناهت بكم الامور وبعثرت القبور هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون

المعول م

اقول اشارة الى الدنيا المستهدفة التي جعلت هدفا نصبت للرمي وعفت الاثار امحت والنمارق جمع نمرقة وهي وسادة صغيرة والكلكل الصدر وبعثرة القبور بحث بها واخراج ما فيها وتبلوا تبتلى يقال بعثرت الرجل متاعه اذا فرقه وقلبا علاه اسفله وغرض الفصل التحذير من الدنيا ما الاشتغال بها عن الله والتنفير عنها بذكر معايبها والجذب الى استعمالها على الوجه المطلوب الذي لاجله وجدت فقوله دار مبتدأ محذوف هذه الدنيا وذكر من معايبها عدة احدها كونها مقرونة بالبلاء لا ينفك منها فكنى عن ذلك بالحفوف الذي هو الاحاطة من الجوانب لانه ابلغ الثاني كونها معروفة بالغدر واستعار لفظ الغدر لتغيرها عما يتوهم الانسان دوامها يلبسه في حقه من احوالها المعجبة كالمال والصحة والشباب فكانه في مدة بقاء تلك الاحوال عليه قد اخذ منها عهدا فكان التغير العارض لها المستلزم لزوال تلك الاحوال عنه اشبه شيء بالغدر ولما كان ذلك كثيرا صارت معروفة به ثالثها كونها لا تدوم احوالها ورابعها لا يسلم نزالها من آفاتها وخامسها اختلاف احوالها واحوال الخبر مبتدأ محذوف تقديره احوالها احوال كذلك وسادسها تصرف تاراتها وهو تغير احوالها تارة بعد اخرى وسابعها كون العيش فيها مذموما ولما كان العيش فيها كناية عن الالتذاذ بها والتنعم فيها و استلزم ذلك العاقبة المهلكة لاجرم لزمه الذم ولانه مشوب منكد بالامراض والاعراض فلا يزال مذموما في الالسنة حتى في لسان صاحبه والسريع اليه عند ما ناله بعض شوائب الكدر وثامنها عدم الامان فيها اي من بحاها وفناها وما يلزم بقربها من البلاء وكل ذلك من ضرورياتها واختلاف استعدادات القوابل فيها عن حركات الافلاك وكواكبها وكون المبادي المفارقة مفيضة على كل قابل فيها ما استعد له وتاسعها كون اهلها فيها اغراضا مستهدفة واستعار لفظ الاغراض ورشح بذكر الاستهداف وكذلك استعار لفظ الرمي لايقاع المصائب بهم ورشح بذكر السهام وعاشرها كونها معهم على سبيل من قد مضى من القرون الخالية ممن كان اطول اعمارا واعمر ديارا وابعد اثارا اي كانت اثارهم لا يقدر عليها ولا ينال لعظمها وكونها معهم على ذلك السبيل اشارة الى افنائها لهم كافنائها اولئك والحاقهم بهم وقوله اصبحت دبارهم الى قوله والثرى تفصيل لاحوال اولئك ووعيد للسامعين بلحوقها لهم اذا كان سبيل الدنيا مع الجميع واحدا وركود رياحهم كناية عن سكون احوالهم وخمول ذكرهم بعد العظمة في الصدور وقوله قد بني على الخراب فناؤها اي على خراب ما كان معمورا من الابدان والمساكن وظاهر ان القبور انشئت على ذلك وبنيت عليه والجملة في قوله فناؤها وبناؤها ومغترب مقترب بالتجنيس السواد مع المطابقة في الغريبين الاخيرين واراد ان ساكنها وان قرب محله فهو غريب عن اهله وبين ذلك بقوله موحشين ومتشاغلين لكونهم لا يستانسون بالاوطان ولا يتواصلون تواصل الجيران على ان عدم تجاورهم وتواعهم ليس كاحوال اهل الدنيا المالوف لهم ليحوجه بها وينفرهم منها ثم اشار الى عدم علة التزاور واستعار لفظ الطحن لافناء البلى لاجسادهم ورشح بلفظ الكلكل وكذلك استعار لفظ الاكل لافنائها وقوله وكان قد صرتم الى قوله المستودع فكان المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان والتقدير فكانه انكم

فقد صبروا الى مصيرهم واحوالهم ويقرب من ذلك لان مشابهة الاحوال تستلزم قرب بعضها من بعض وازمنتكم ذلك المنضى، صار لكم دارا قامة واتخذكم سكانا المقيمين به واطلق عليه لفظ المستودع باعتبار كونهم سيخرجون منه يوم القيمة وقوله فكيف بكم الى قوله القبور سوال لهم من كيفية حالهم عند تناهي امورهم واحوالهم في يوم البعث سوالا على سبيل التذكير بتلك الاحوال والتخويف بتلك الاهوال ليذكروا شدتها فيفزعوا الى العمل لها وذكر منها امرا واحدا وهو اطلاع النفوس على ما قدمت واسلفت في الدنيا من خير او شر فالرد الى المولى الحق الذي ضل مع الرجوع اليه كل ما كان يفترى من دعوى حقيقة سائر الاباطيل المعبودة وبالله التوفيق ومن دعاء له عم اللهم انك انس الانسين لاوليائك واحضرهم بالكفاية للمتوكلين عليك تشاهدهم في سرائرهم وتطلع عليهم في ضمائرهم وتعلم مبلغ بصائرهم فاسرارهم لك مكشوفة وقلوبهم اليك ملهوفة ان اوحشتهم الغربة انسهم ذكرك وان صبت عليهم المصائب لجاوا الى الاستجارة بك علما بان ازمة الامور بيدك ومصادرها عن قضائك اللهم وان فههت عن مسئلتي او عميت عن طلبتي فدلني على مصالحي وخذ بقلبي الى مراشدي فليس ذلك بنكر من هداياتك ولا ببدع من كفاياتك اللهم احملني على عفوك ولا تحملني على عدلك اقول الفهاهة العى والعمه التحير وقد مدح الله تعالى باعتبارات الاضافية والحقيقية الاول كونه انس الانسين لاوليائه وقد علمت ان اولياءه هم السالكون لطريقه عن المحبة الصادقة له والرغبة التامة فيما عنده ولما كان الانيس هو الذي يرفع الوحشة وتسكن اليه النفس عند الوحدة والغربة وكان اولياء الله في الحياة الدنيا غرباء في ابنائها متفردين عنهم في سلوك سبيل الله مولين وجوههم شطر كعبة وجوب وجوده مبتهجين بمطالعة انوار كبريائه لاجرم كان اشد الانسين لهم انسا اذ ما من عبد يعبد لغير الله ويستانس به كالولد بوالده وبالعكس الا كان لكل واحد منهما من صاحبه نفرة من وجه او استيحاش باعتبار لم يكن لهم الغربة الحقيقية الا هو اذ كانوا في الالتفات اليه منقطعين عما عداه مستوحشين من غيره الثاني كونه تعالى احضرهم بالكفاية للمتوكلين عليه اذ كان تعالى هو الغني المطلق والجواد الذي لا بخل من جهته ولا منع والعالم المطلق بحاجة المتوكلين وحسن استعدادهم فاذا استعد المتوكلون عليه بحسن توكلهم لقبول رحمته افاض على كل منهم قدر كفايته من الكمالات النفسانية والبدنية بلا تعويق ولا تاخير من غير استحقاق ومقدار كفايته او حاجة الى تحصيل المقدار الى غيره ذلك مما هو منسوب الى غيره من ملوك الدنيا فلاجرم كان اقوم من توكل عليه بكفاية المتوكلين واسرعهم احضارا لما استعد كل منهم له من الكمال الثالث كونه تعالى يشاهدهم الى قوله مكشوفة اشارة الى علمه تعالى باحوالهم الباطنة الذي هو من لوازم كونه احضر لكفاياتهم كما بيناه واطلاعه عليهم في ضمائرهم اعتبار لكمال علمه تعالى وبراءته من النقصان وكذلك علمه مبلغ بصائرهم عليه بمقادير عقولهم وتفاوت استعدادات نفوسهم لدرك الكمالات واكد بقوله فاسرارهم لك مكشوفة ما سبق من الاشارة الى احاطة علمه تعالى باحوالهم الباطنة في معرض الاقرار بكمال العبودية والخضوع له والاعتراف بانه لا يخفى عليه منهم شيء ولهف قلوبهم اليه تحسرها على الوصول اليه والحضور بين يديه وهو

امبار لكمال محبتهم له ورغبتهم فيما عنده وقوله ان اوحشتهم الغربة انسهم ذكرك اي الغربة في هذه الدار كما بيناه وهو اعتبار لحصول الاستيناس من جهتهم به والاول اعتبار لكونه تعالى انيسا لهم وقوله وان صبت الى قوله بك اعتبار لتحقق توكلهم عليه تعالى في دفع ما يكرهون من مصائب الدنيا عند توقعها بهم اذ سبق اعتبار كونه تعالى احضر من توكل عليه لكفاية المتوكلين ولجاؤهم الى الاستجارة به يعود الى توجيه وجوه نفوسهم اليه تعالى في دفع ذلك المكروه دون غيره وهو التوكل الخالص وقوله علما الى قوله قضائك فعلما مفعول له اي لاجل علمهم بان الامور كلها مربوطة باسبابها تحت تصريف قدرتك وان مصادرها وهي اسبابها القريبة منتهية الى قضائك وهو حكم علمك اذ من كانت اسبابا ومصادر لتلك المصائب كان لجاؤهم في الاستجارة بك ويحتمل ان يكون علما مصدرا سد مسد الحال وهو يستلزم كونهم في عباداتهم واحوالهم منقطعي النظر عن غيره تعالى ولفظ الازمة مستعار لاسباب الامور ووجه المشابهة كونها اسبابا لضبطها وبها يكون نظام وجودها كالازمة وكذلك لفظ اليد مجاز في القدرة وقوله اللهم الى اخره شروع في المطلوب على وجه كلي وهو طلب الدلالة على مصالحه في اي امر كان وجذب قلبه بالهداية الى مواضع رشده من العقائد والاراء الصحيحة التامة على تقدير ان يعيى عن مسئلة او يتحير في وجه مقر قصد ما وقوله فليس ذلك الى قوله كفاياتك استعطاف بما في العادة ان يستعطف به اهل العواطف والرحمة من الكلام اي ان هداياتك تحملك الى وجوه مصالحهم وكفاياتك لهم ما يحتاجون اليه امور معتاد قد جرت عادتك بها والفها منك عبادك وقوله اللهم احملني الى اخره سوال ان يحمله تعالى على عفوه عما عساه صدر عنه من ذنب ولا يحمله على عدله فيجزيه بما فعل حرمانا او عقوبة وهو من لطيف ما تعد به النفس لاستنزال الرحمة الالهية وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام لله بلاد فلان فلقد قوم الاود وداوى العمد واقام السنة وخلف الفتنة ذهب نقي الثوب قليل العيب اصاب خيرها وسبق شرها ادى الى الله طاعته واتقاه بحقه رحل وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدي فيها الضال ولا يستيقن المهتدي اقول الاود العوج والعمد المرض وهو انشداخ داخل سنام البعير من الحمل وغيره مع صحة ظاهره وقوله لله بلاد فلان لفظ يقال في معرض المدح كقولهم لله دره ولله ابوه واصله ان العرب اذا ارادوا مدح شيء وتعظيمه نسبوه الى الله تعالى بهذا اللفظ وروى لله بلاء فلان اي عمله الحسن في سبيل الله والمنقول ان المراد بفلان عمر رضي الله عنه او نحوه انما اراد بعض اصحابه في زمن رسول الله صلى الله عليه واله ممن مات قبل وقوع الفتن وانتشارها وقال ابن ابي الحديد رحمه الله ان ظاهر الاوصاف المذكورة في الكلام يدل على انه اراد رجلا ولي امر الخلافة قبله لقوله قوم الاود وداوى العمد ولم يرد عثمان لوقوع الفتنة وتشعبها بسببه ولا ابا بكر لقصر مدة خلافته وبعد عهده من الفتن فكان الاظهر انه اراد عمر وقال انه اراد ابا بكر واشبه من ان يراه لمالما ذكره في خلافة عمر وذمه اياه في خطبته المعروفة بالشقشقية كما سبقت الاشارة اليه وقد وصفه بامور احدها تقويمه للاود وهو كناية عن تقويمه لاعوجاج الخلق عن سبيل الله الى الاستقامة فيها الثاني مداواته العمد واستعار لفظ العمد للامراض النفسانية باعتبار استلزامها الاذى كالعمد ووصف المداواة لمعالجته تلك الامراض بما

الى الفتنة والمراجعة الفارعة القولية والفعلية الثالث اقامته للسنة ولازمها الرابع وتخليفه للفتنة اي موته قبلها ووجه كون ذلك مدحا له هو اعتبار عدم وقوعها بسببه او في زمنه بحسن تدبيره الخامس ذهابه نقي الثوب واستعار لفظ الثوب لعرضه ونقاه لسلامته من دنس المذام السادس قلة عيوبه السابع اصابته خيرها وسبق شرها والضمير في الموضعين يشبه ان يرجع الى المعهود مما هو فيه من الخلافة اي اصاب فيها من الخير المطلوب من العدل واقامة دين الله الذي به يكون الثواب الجزيل في الاخرة والشرف الجليل في الدنيا وسبق شرها اي مات قبل وقوع الفتنة فيها وسفك الدماء لاجلها الثامن اداؤه الى الله طاعته التاسع اتقاؤه له بحقه اي ادى حقه خوفا من عقوبته العاشر رحيله الى الاخرة تاركا للناس بعده في طرق متشعبة من الجهالات لا يهتدي فيها من ضل عن سبيل الله ولا يستيقن المهتدي في سبيل الله انه على سبيل الاختلاف طرق الضلال وكثرة الجهالات المنسوبة اليها والواو في قوله وتركهم للحال واعلم ان الشيعة قد اوردوا هاهنا سؤالا فقالوا ان هذه الممادح التي ذكرها عليه السلام في حق احد هذين الرجلين تنافي ما اجمعنا عليه من تخطئتهما واخذهما المنصب الخلافة فاما ان لا يكون هذا الكلام من كلامه عليه السلام او ان يكون اجماعنا خطا ثم اجابوا من وجهين احدهما لانسلم التنافي المذكور فانه جاز ان يكون ذلك المدح منه عليه السلام على وجه استصلاح من يعتقد صحة خلافة الشيخين واستجلاب قلوبهم بمثل هذا الكلام الثاني انه جاز ان يكون مدحه ذلك لاحدهما في معرض توبيخ عثمان بوقوع الفتنة في خلافته واضطراب الامر عليه واستيثاره ببيت مال المسلمين هو وبنو ابيه حتى كان ذلك سببا لثوران المسلمين من الامصار اليه وقتلهم له ونبه على ذلك بتخلفه وخلف الفتنة وذهب نقي الثوب قليل العيب اصاب خيرها وسبق شرها وقوله وتركهم في طرق متشعبة الى اخره فان مفهوم ذلك يستلزم ان الوالي بعد هذا الموصوف قد اتصف باضداد هذه الصفات والله اعلم ومن كلام له عليه السلام في وصف بيعته وقد تقدم مثله بالفاظ مختلفة وبسطتم يدي فكففتها ومددتموها فقبضتها ثم تداككتم علي تداك الابل الهيم على حياضها يوم وردها حتى انقطع النعل وسقط الرداء ووطئ الضعيف وبلغ من سرور الناس ببيعتهم اياي ان ابتهج بها الصغير وهدج اليها الكبير وتحامل نحوها العليل وحسرت اليها الكعاب اقول التداك الازدحام الشديد والهيم العطاش والتحامل تكلف المشي مشقة والكعاب الجارية نهد ثدياها وحسرت كشفت وجهها وحاصل الفصل الاحتجاج على من نقض العهد من اهل البغي فذكر حال الناس في بيعتهم له وكيفيتها الدالة على شدة حرصهم عليه واجماعهم عن رضى واختيار على تسليم الامر اليه وشبه ازدحامهم عليه بازدحام الابل العطاش يوم ورودها على الحياض ووجه الشبه شدة الازدحام ويمكن ان يلاحظ في وجه هذا الشبه كون ما عنده من الفضائل الجمة العلمية والعملية تشبه الماء وكون المزدحمين عليه في حاجتهم وتعطشهم الى استفادة تلك الفضائل التافعة تشبيها لهم كالعطاش من الابل حين ورودها وقوله حتى الى قوله ووطئ الضعيف كقوله في الشقشقية حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطافي وباقي الفصل ظاهر وهو في قوة صغرى قياس ضمير من الشكل الاول تقديرها

اليكم بلمتم في طلبكم لي وحرصكم على بيعتي الى هذه الغاية حتى احببتكم وبعد يرى الكبرى وكل من كان كذلك فليس له ان ينكث ويغدر وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام فان تقوى الله مفتاح سداد وذخيرة معاد وعتق من كل ملكة ونجاة من كل هلكة بها ينجح الطالب وينجو الهارب وتنال الرغائب فاعملوا والعمل يرفع والتوبة تنفع والدعاء يسمع والحال هادئة والاقلام جارية وبادروا بالاعمال عمرا ناكسا او مرضا حابسا او موتا خالسا فان الموت هادم لذاتكم ومكدر شهواتكم ومباعد طياتكم زائر غير محبوب وقرن غير مغلوب وواتر غير مطلوب قد اعلقتكم حبائله وتكنفتكم غوائله واقصدتكم معابله وعظمت فيكم سطوته وتتابعت عليكم عدوته وقلت عنكم نبوته فيوشك ان تغشاكم دواجي ظلله واحتدام علله وحنادس غمراته وغواشي سكراته واليم ارهاقه ودجو اطباقه وجشوبة مذاقه وكان قد اتاكم بغتة فاسكت نجيكم وفرق نديكم وعفى اثاركم وعطل دياركم وبعث وراثكم يقتسمون تراثكم بين حميم خاص لم ينفع وقريب محزون لم يمنع واخر شامت لم يجزع فعليكم بالجد والاجتهاد والتاهب والاستعداد والتزود في منزل الزاد ولا تغرنكم الدنيا كما غرت من كان قبلكم من الامم الماضية والقرون الخالية الذين احتلبوا درتها واصابوا غرتها وافنوا عدتها واخلقوا جدتها اصبحت مساكنهم اجداثا واموالهم ميراثا لا يعرفون من اتاهم ولا يحفلون من بكاهم ولا يجيبون من دعاهم فاحذروا الدنيا فانها غدارة خدوع معطية منوع ملبسة نزوع لا يدوم رخاؤها ولا ينقضي عناؤها ولا يركد بلاؤها اقول الخالس المختطف والكنف الاحاطة والطيات جمع طية بالكسر وهي منزل السفر والواتر الذي يوجب لغيره الوتر وهو الذحل والحقد والغوائل المصائب تاتي على غرة جمع غائلة والمعابل جمع معبل بكسر الميم وهي نصل طويل عريض والعدوة بفتح العين الحملة والنبوة البعد لم يوثر في الضريبة والظلل جمع الظلة وهو السحاب والاحتدام شدة الحر والغيظ والادهاق الاعجال ويروى الزهاق والجشوبة بالجيم غلظ الطعام والنجي القوم يتناجون والندي القوم يجتمعون في النادي وهو المجلس ولا يحفلون لا يبالون ولا بالشيء لا اعتناء به وفي الفصل مقاصد الاول التنبيه على فضيلة تقوى الله باوصاف الاول كونها مفتاح سداد ولما كان السداد هو الصواب والعدل في القول والعمل وكان ذلك هو طريق الدين والسلوك الى الله تعالى وكانت تقوى الله تعود الى خشية المستلزمة للاعراض عما سواه استعار لها لفظ المفتاح باعتبار كونها سببا للاستقامة على الصواب والقصد في صراط الله المستقيم الى ثواب المقيم الذي هو افضل المطالب كما ان المفتاح سبب للوصول الى ما يحرز من الاموال النفيسة الثاني كونها ذخيرة معاد وظاهر ان الاستعداد بخشية الله وما يستلزمه من الكمالات النفسانية من افضل الذخائر المنتفع بها في المعاد الثالث كونها عتقا من كل ملكة استعار لفظ العتق لخلاص المتقي لما قلنا من استيلاء حكم شياطينها المطيفة بها كخلاص العبد من سيده ثم جعل التقوى نفسها عتقا مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب اذ كانت التقوى سبب العتق المستعار له لفظ العتق الرابع ونجاة من كل هلكة اطلق عليها لفظ النجاة مجازا كالعتق لكونها سببا للنجاة

النفس من الهلكات الاخروية وعقوبات الآثام وربما كانت التقوى سببا للنجاة من مخاوف دنيوية كما
لحقت الخامس قوله انجح الطالب اما لثواب الله فى الآخرة فظاهر واما فى الدنيا فلما اشاهده من احوال كثير
من الناس بشعار المتقين ونسبتهم الى مطالبها ونجاح مساعيهم واقبال الدنيا عليهم السادس ونجى الهارب
اى من عذاب الله وهو ظاهر السابع ونال الرغايب وهو كقوله وانجح الطالب فى كل فى ثبتين من القرائن
الست من اول الفصل السجع المتوازى المقصد الثانى التنبيه على وجوب العمل الصالح المطلوب لله و
مبادرته باعتبارات الاول انهم فى وقت العمل وامكان رفعه الى الله دون ما بعد الموت والى وفى قوله
والعمل العمل الحال الثانى فى وقت قبول التوبة منهم والاقلاع من تبعات الآثام الثالث وقت استماع الدعا
وقبوله فان شيئا من ذلك لا ينفع بل لا يكن بعد الموت الرابع والحال هادية اى حال الانسان فى الدنيا
فان حاله حين الموت وما بعده فى غاية الاضطراب الخامس والاقلام جارية اى اقلام الحفظة وفايدة
الاعلام بالعمل فى حال الجريان الاقلام التنبيه على ان الاعمال الخيرية وامكانها حين تكتب وترفع الى
الله اى فاعملوا فى الحال المذكورة ما دامت اقلام الكرام الكاتبين جارية لتكتب اعمالكم الفصل الثالث
حثهم على المبادرة بالاعمال الخيرية باعتبارات احدها ان اعمارهم التى هى محل الاعمال فى معرض الانتكاس
والرجوع الى الحالة المنافية للتكليف وهى الهرم المستلزم لضعف العقل والبنية ونقصانهما والرجوع
الى حال الطفل فى ذلك كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه فى الخلق فينبغى ان يبادر ذلك بالاعمال الصالحة
المكتسبة قبل انتكاسه الثانى ان ابدانهم فى معرض التغير والتبديل بالسقم الذى هو مظنة العمل مرضا
وهو مظنة بطلان العمل وامتناعه فينبغى ان يبادر الصحة بالعمل قبل الحبس عنه بالمرض الثالث ان يبادروا
ما هو اعظم من ذلك وهو الموت الذى لا يؤمن واستعار لفظ الخالس له باعتبار اخذه للاعمار على غرة وغفلة
من اهلها كالمختلس للشىء من يد غيره ثم نبه على وجوب العمل للموت ولما بعده باوصافه المخوفة احدها كونه
هادم لذاتهم الدنيوية وهو ظاهر ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله اكثروا من ذكر هادم اللذات الثانى
كونه مكدر شهواتهم الثالث كونه مباعد طياتهم واستعار لفظ الطيات لمنازل السفر الى الآخرة بالموت
عن الدنيا واهلها فان الآخرة ابعد منزل عن الدنيا الرابع استعار لفظ الزاير باعتبار هجومه على الانسان
ولما كان من شان الزاير ان يكون محبوبا ميزه بكونه غير محبوب ليحصل النفرة عنه ويفزع الى العمل له الخامس
استعار له لفظ القرن بوصف كونه غير مغلوب لهم بالاستعداد له السادس استعار لفظ الواتر بوصف
كونه غير مطلوب اى من شانه ان يوتر القلوب لا يمكن ان يطلب بوتره ولا ينتصف منه ملاحظة لشبهه
بالرجل البالغ فى الشجاعة بحيث لا يغلب السابع استعار لفظ الحبايل للاسقام والامراض البدنية
التى هى فاعلة الموت ومؤدية اليه كحبائل الصايد ورشح بوصف الاعلاق الثامن وتكنفكم غوائله
اى احاطت بكم مصائبه التاسع استعار لفظ المعابل للآفات الداعية الى الموت ايضا باعتبار كونها

موذية او قاتلة كالنصال ورشح بذكر الاقصاد العاشر استعار لفظ السطوة له ملاحظة لشبهه بالسلطان
القاهر او السبع الضارى فى قوة اخذه وشدة بطشه الحادى عشر وكذلك لفظ العدوة له باعتبار كون اخذه
على غير حق له كالظالم فان قلت اذا كانت حقيقة الظلم هى الاخذ بغير حق وهذا الحد صادق فى فعل الموت
فوجب ان يكون اطلاق لفظ العدوة هنا حقيقة لا استعارة قلت لفظ الاخذ انما يصدق حقيقة على ذى
الحياة وان سلمنا صدقه على غيره لكن الاخذ بغير حق ليس هو حقيقة الظلم بل الاخذ بغير حق لمن يكون من شانه
ان يكون له حق وذلك مختص بالعقلاء فسلب الحق عنه اللفظ حقيقة هو سلب الملكة وحاله اذ اللفظ
مستعارا هو السلب المطلق الثانى عشر وكذلك لفظ النبوة لعدم تاثيره ملاحظة لشبهه بالسيف الذى
ووصفها بالقلة وراعى فى كل ثلث قراين من هذه السبع السجع المتوازى الثالث عشر استعار لفظ الظلل
والعلل الداعية الى الموت استعارة لفظ المحسوس بالمتخيل ملاحظة لشبهها بالسحاب المظل و
هابا له فى اذ كان الكلام فى معرض التخويف والسحاب المظلم اشد رهبة فى القلوب من غيره ونحوه
قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله وهو شروع فى التخويف به ولله الموت الرابع عشر وكذلك
استعار لفظ الاحتدام لعلله ملاحظة لشبهها فى هو ظلها بالرجل المستشيط غضبا فى قوة الاخذ الخامس
عشر استعار لفظ الحنادس لما يتوهمه الانسان من الظلم فى غمرات الموت وسكراته السادس عشر وكذلك
لفظ الغواشى لما يعرض عند سكرات الموت من العوارض المانعة من الادراك المغشية السابع عشر واليم
ارهاقه اى اعجاله المعلم الثامن عشر ودجو اطباقه استعار لفظ الاطباق لحالاته المتزايدة وسكرات الموت
التى يضاعفها تزداد الالات ادراكه بعدا وانقطاعا عن المدركات الدنيوية وباعتبار انقطاع الادراك
بسبب تلك الحالات وصفها بالدجو وشدة الظلمة ويحتمل ان يريد باطباقه اطباق القبور الحاصلة بسبب
التاسع عشر استعار لفظ مذاقه لوحدة باعتبار المشقة فى الادراك وباعتبار شدة ايلامه ووصفه بالجشوبة
العشرون التخويف باتيانه بغتة وكان هى المخففة من كان والاسم ضمير الشان ولما كانت المشبه هنا هو حال
الموت من جهة ما هو وكان التشبيه يستلزم المغايرة بين المشبه والمشبه به فى وصف ما هو وجه الشبه
كان المشبه هنا هو حال الموت من جهة ما هو منتظر لا بد منه والمشبه به هو باعتبار اتيانه وهو فاتر
لهم ووجه الشبه هو القرب اى قرب المنتظر الذى لا بد منه من الواقع الموجود اذ كلما هو آت قريب ثم اردف
التخويف منه بذكر لوازمه المخوفة وهى اسكات المناجين وتفريق المجتمعين وتعفية الآثار وتعطيل
الديار وبعث الوراث لاقتسام التراث واسند اليه البعث باعتبار انه سبب يلزمه انبعاث دواعى الورثة
الى اقتسام التراث لزوما عرضيا وقوله بين حميم مغلوب اى كم نفسه مع ما بعده من الافعال اى كان ترك
الى كم نفسه ففعل بكم ما فعل من اسكات المناجين وغيرهم بين صديق خاص لاحدكم لا ينفع شيئا فتر حينئذ
وقريب محزون لا ينفع حزنه ولا يقدر على المنع وآخر شامت لا يجزع عليه ثم اردف ذكر الموت ولوازمه

بالحث على العمل والجد فيه والتاهب والاستعداد لنزول الموت وما بعده والتزود اى بالتقوى فى منزل
الزاد وهو الدنيا لانها المنزل الذى لا يمكن تحصيل الزاد الى الآخرة الا فيه وبذلك انصافه اليه ثم بالنهى
عن الانخداع لغرور الدنيا كانخداع السابقين والقرون الماضين واستعار لفظ الدرة لمنافع الدنيا
وخيراتها ولفظ الاحتلاب لجمعها واقتنائها اى الذين فازوا بخيراتها وحصلوا عليها وكذلك استعار
لفظ الغرة لعدم وصول حوادثها اليهم فى مدة استمتاعهم بها فكانها غافلة عنهم لا ترميهم بشىء من المصائب
فلما وجدوا ذلك منها لما انتذوا وحصلوا اى ما صلوا الى ما افنوهم لعدتها افناؤهم لما تعدد فيها من ماكول وملبوس
وغيرهما مما يتمتع به فيفنى وكذلك اخلاقهم لجدتها كناية على استمتاعهم بما اخذوا منها من صحة ومال
وعيش حالا غاية انقضائه وانها مدة حتى كانهم لم يصيبوا منها شيئا الا الخلقة ولما وصف حالهم
فيها بما وصفا اردف ذلك بذكر غايتهم منها وهى الاحوال المذكورة بقوله اصبحت مساكنهم اجداثا الى قوله
دعاهم وخلاصة الكلام انكم لا تغتروا بالدنيا كما اغتر بها من كان قبلكم فان اولئك مع انهم كانوا
قد صادفوا غرتها وحصلوا منها على ما حصلوا من خيراتها كانت غايتهم منها ان وصلوا الى ما وصلوا من العدم
فكذلك انتم بطريق الاولى ثم اكد التحذير منها بذكر اوصافها المنفرة عنها واستعار لها لفظ الغرارة باعتبار
كونها سببا ماديا للاغترار كما سبق ولما كان الخداع هو المشورة بامر ظاهره مصلحة وباطنه مفسدة وكانت
ظهورات زينة الحيوة الدنيا للناس تشبه الراى المحمود فى الظاهر باتباعها وكانت تلك الزينة واتباعها
سببا للمغترين بها عن سبيل الله الذى هو عين المفسدة تشبه المفسدة فى باطن الراى لاجرم اشبه ظهورها بها
الخداع فاستعار لها لفظ الخدوع بذلك الاعتبار وكذلك استعار لفظ المعطية ولفظ المنوع باعتبار
كونها سببا ماديا للانتفاع بما فيها من خيراتها وسببا ماديا للمنع وكذلك لفظ الملبسة النزوع وبالغ
فى هاتين القرينتين المتقابلتين وفايدتها هاهنا التنفير عما يتوهم فيها من خير انما تعطيه وتلبسه بذكر استعقابها
لمقابلتهما من منعها ما اعطيه ونزعها ما تلبسه ولذلك اكده بقوله لا تدوم رخاؤها الى آخره والمراد
كان رخاؤها من صحة وشباب ومال وجاه ونحوها من سائر اللذات البدنية حوادث مشروطة باسباب
سابقة عليها ومعدات غير مضبوطة لكثرة حادثة وغير حادثة سريعة التغير او بطيئة لاجرم كان من شان
الرخاء التغير والانقطاع وظاهر ان انقطاع رخائها لا على الاستمرار لعدم انقضاء عنائها ومتاعبها
ونوازل بلائها واستعار لبلاء الدنيا وصف عدم الركود ملاحظة لشبهه بالريح دائمة الحركة لكونه دائما
منها فى صفة الزهاد كانوا قوما من اهل الدنيا وليسوا من اهلها فكانوا فيها كمن ليس منها عملوا
فيها بما يبصرون وبادروا فيها ما يحذرون تقلب ابدانهم بين ظهرانى اهل الآخرة ويرون اهل الدنيا يعظمون
موت اجسادهم وهم اشد اعظاما لموت قلوب احيائهم قوله ظهرانى بفتح النون والاشارة الى بعض الصحابة
الذين درجوا قبله وقوله كانوا قوما الى قوله اهلها قضيتان ظاهرهما التناقض لكن قد علمت ان

المطلقتين لا يتناقضان والخلاف بينهما يحتمل ان يكون فى الموضوع او فى الاضافة فانهم من اهل الدنيا بابدانهم ومشاركتهم
الضرورية لاهلها فى الحاجة اليها وليسوا من اهلها بقلوبهم اذ خرجوا عن ملاذها ونعيمها واستغرقوا فى محبة الله
وما اعد لاوليائه الابرار فى دار القرار فهم لما يتطلعون اليه ويشاهدون لاحوال الآخرة بعيون بصائرهم
كما قال عليه السلام فيما قبل فى صفتهم فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها
معذبون ومن كان كذلك فقصوده العقلى انما هو فى تلك الدار فكان بالحقيقة من اهلها وقوله عملوا فيها
بما يبصرون اى كان سعيهم وحركاتهم البدنية والنفسانية فى سبيل الله بصيرة ومشاهدة لاحوال تلك الطريق
وما يفضوا اليه من السعادة الباقية وعلم بما يستلزم الانحراف عنها من الشقاوة اللازمة الدائمة والى التعب
وما مصدرية ويحتمل ان يكون بمعنى الذى اى بالذى يبصرونه ويشاهدونه من تلك الاحوال فان علمهم اليقين
بما هو السبب القايد والحامل لهم فى تلك الطريق وعلى سلوكها وقوله وبادروا فيها ما يحذرون فالمبادرة الى
المعاجلة وهى مفاعلة من الطرفين والمراد انهم سابقوا ما يحذرونه من عذاب الله المتوعدين به فى الآخرة كانه
سابقهم الى نفسه وهم سابقوا الخلاص منها فسبقوا الى النجاة اذ كانوا راكبين لمطاياها ومتمسكين بعصمها
وهى اوامر الله وحدوده وقوله يتقلب الى قوله للآخرة اى يتقلب بحذف احدى التائين تخفيفا والمعنى ان ابدانهم
اهل الآخرة والعاملين لها دون اهل الدنيا وقيل يحتمل ان يريد باهل الآخرة سائر الناس لان مستقرهم ومرجعهم
دار قرارهم هى الآخرة كما قال تعالى وان الآخرة هى دار القرار والمعنى على هذا الوجه انهم مع الناس بابدانهم فقط فهى
تتقلب بينهم وارواحهم فى مقام آخر وقوله يرون الى آخره الغرض الفرق بينهم وبين اهل الدنيا اذ كان اهل الدنيا
لا يرون ان وراء ابدانهم كمالا آخر فكانوا غافلين عن احوال الآخرة من سعادة او شقاوة فكان اعظم محبوباتهم
بقاء اجسادهم وتكميلها واعظم منفور عنه لهم نقصانها وموتها اما المتقون فهم وان كانوا يرون ذلك الحال
الا انهم يرون ان افضل مما يرون وهو ان موت قلوبهم وفقدانها الحيوة بالعلم والحكمة اعظم من موت اجسادهم
وذلك لعلمهم ببقاء الحياة البدنية وانقطاعها وكدرها بعوارض الامراض وسائر المنغصات الدنيوية وبقاء الحيوة
النفسانية وشرف كمالها وصفاء لذاتها عن الاقذاء والاكدار وانما قال قلوب احيائهم ولم يقل قلوبهم لان
موت القلوب قد يكون حقيقة عن موت الاجساد وقد يكون مجازا وهو موتها لفقدان العلم ونور الحكمة مع حياة الابدان
فكان ذكر الاحياء كالقرينة المعينة لمراده منه تلك الموت مجازه والضمير فى قوله احيائهم يعود الى اهل لان موت القلوب
هو الواقع بهم حال الحيوة ابدانهم ويحتمل عوده الى قوله وهم الذى هو ضمير المتقين وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام
خطبها بذى قار وهو متوجه الى البصرة ذكرها الواقدى فى كتاب الجمل فصدع بما امر به وبلغ رسالات ربه فلم الله به الصدع
ورتق به الفتق والف به بين ذوى الارحام بعد العداوة الواغرة فى الصدور والضغاين القادحة فى القلوب اقول ذو قار
موضع قريب من البصرة وفيه كانت وقعة العرب مع الفرس قبل الاسلام والصدع الشق والواغرة ذات الوغرة وهى شدة
توقد الحر وفى صدره وغر اى عداوة وضغن وتوقد من الغيظ وعداوة واغرة شديدة والضغاين الاحقاد والاشارة

الى ومضاف الرسول صلى الله عليه وآله فالاول استعار له لفظ الصدع عما امر به من تبليغ الوحى وجه المشابهة انه
شق بما جاء به من الرسالة عصا الكفر وكلمة اهله وفرق ما اتصل من غشية الجهل على نفوس الكافرين وحجب الغفلة
التى رانت على قلوبهم كما يصدع الحجر بالمعول ونحوه الثانى ذكر تبليغه الرسالة فى معرض مدحه لكونه اتما اعظم
تبليغها وقدرها وذلك فضيلة تحت ملكة العفة الثالث كونه قد لم الله به الصدع ورتق به الفتق واستعار لفظى الصدع
والفتق لما كان بين العرب من الافتراق وتشتت الاهواء واختلاف الكلمة والعداوات والاحقاد حتى ان احدهم
كان يقتل اباه وابنه ودوى رحمه لهوى يقوده اوضغن يجده فجمع الله بمحمد صلى الله عليه وآله اشتاتهم والف بين
قلوبهم حتى جعل ذلك فى معرض امتنانه عليه بقوله والف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت
بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وكذلك استعار لفظ القادحة للضغاين لاستلزامها اثارة الغضب والفتن
والشرور كما يثير القادح النار وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** كلم به عبد الله بن زمعة وهو من شيعته
هذا المال ليس لى ولا لك وانما هو فى للمسلمين وجلب اسيافهم فان شركتهم فى حربهم كان لك مثل حظهم والا
فجناة ايديهم لا يكون لغير افواههم **اقول** هو عبد الله بن زمعة بفتح الميم ابن الاسود بن المطلب بن اسد بن عبد العزى
ابن قصى وكان من اصحاب على وشيعته والجلب المال المجلوب وروى الجا وجناة التمر ما يجنى منه وظاهر الكلام
يقتضى انه استماحه عليه السلام ما لا فاعتذر اليه وجه العذر انه لم يكن ليجمع لنفسه ما لا يجب وانما يجمع له
ما كان لبيت مال المسلمين من فيئهم وهو ما جلبته اسيافهم من مال الكفار غنيمة ونطق القرآن الكريم بقسمه
خمسين من ذكر فى قوله واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل والاقسام الاربعة الباقية للغانمين الذين باشروا القتال فعند الشافعى للفارس ثلثة اسهم وللراجل
سهم وعند ابى حنيفة للفارس سهمان وللراجل سهم وهو مذهب اهل البيت عليهم السلام ويحمل منعه عليه السلام
له من الخمس على انه طلب من مال المقاتلة او على ان الخمس كان قد قسم او على انه لم يكن من المساكين وهم اهل الفاقة
والفقر ولا ابن السبيل وهو المنقطع فى سفره واما سهم الله فاجمع المفسرون على ان ذكر الله هنا للتعظيم وانه اختلفوا
فى قسمة الخمس فمنهم من قال يقسم خمسة اقسام لان سهم الله وسهم الرسول للرسول فهو قسم واحد وهو المروى عن
ابن عباس وقتادة وجماعة من اهل التفسير ومنهم من قال يقسم اربعة اقسام ومنهم من قال ثلثة اقسام والمروى
من اهل البيت عليهم السلام انه يقسم ستة اقسام منها سهم الله وسهم رسوله للرسول عليه السلام وهما بعده مع سهم ذوى
القربى للقائم مقامه ينفقها على نفسه واهل بيته من بنى هاشم والثلثة الاسهم الباقية لليتامى والمساكين وابناء
السبيل من اهل بيت الرسول لا يشركهم فيها باقى الناس عوضا من الصدقات المحرمة عليهم والاعتماد بعد على ان سهم
الرسول عليه السلام كان يصرف بعده الى ما اهم من مصالح المسلمين من السلاح والكراع واذن لم يكن له ان
يعطيه من سهم الرسول عليه السلام وظاهر انه ليس من ولى القربى واليتامى واما سهمه من الاخماس الاربعة فلانها
كانت للمقاتلة خاصة ولم يكن هو منهم ولذلك قال له وانما هو فى للمسلمين وجلب اسيافهم فان شركتهم فى حربهم

كان لك مثل حظهم وقد نطق كلامه عليه السلام هاهنا بان الفىء والغنيمة واحد وان كان قد يخص الفىء عند بعضهم
بما اخذ من مال الكفار بغير قتال وهو قول الشافعى والمروى فى الاخبار الامامية وقوله والا اى وان لا تكون قد
شركتهم واستعار لفظ الجناة لما اكتسبوه بايديهم من ذلك المال ملاحظة لشبهه بما يقتطف من الثمر ويجتنى منها
وهو من افصح الاستعارات ويجرى مجرى المثل يضرب لمن يطلب مشاركة غيره فى ثمرة فعل فعله ذلك الغير وتعب فيه
ولما كان قوله والا اى الا على مقدم شرطية متصلة وتقديره والا تكن قد شركتهم فى حربهم فجناة ايديهم
لا تحرم على طالبها اذ كان مفهوم هذا القول دالا على عدم استحقاق غير الجانى نصيبا مما اجتناه يد الجانى فكانه قال
والا تشركهم فى حربهم فلا يكون لك نصيب فيما كسبت ايديهم والفاء جواب الشرط المقدر وبالله التوفيق **ومن كلام له
عليه السلام** الا وان اللسان بضعة من الانسان فلا يسعده القول اذا امتنع ولا يمهله النطق اذا اتسع وانا لامراء
الكلام وفينا تنشبت عروقه وعلينا تهدلت غصونه واعلموا رحمكم الله انكم فى زمان القائل فيه بالحق قليل واللسان
عن الصدق كليل واللازم للحق ذليل اهله معتكفون على العصيان مصطلحون على الادهان فتاهم عارم وشايبهم
آثم وعالمهم منافق وقارئهم مماذق لا يعظم صغيرهم كبيرهم ولا يعول غنيهم فقيرهم **اقول** ان امير المؤمنين عليه السلام
قال هذا الكلام واقتضت ذلك وهى ان امر ابن اخته جعدة بن هبيرة المخزومى يوما ان يخطب الناس فصعد
المنبر فحصر فلم يستطع الكلام فقام عليه السلام وتسنم ذروة المنبر فخطب خطبة طويلة ذكر الرضى رحمه الله منها هذا
الفصل والبضعة القطعة وتشبث تعلقت وتهدلت والعارم الشرس سيئ الاخلاق والمماذق الذى يمزج الود
ولا يخلصه وهو نوع من النفاق والضمير فى يسعده ويمهله للسان وفى امتنع واتسع للانسان والمعنى ان اللسان
لما كان آلة للانسان يتصرف بتصريفه اياه فاذا امتنع الانسان عن الكلام لشاغل او صارف لم يسعد اللسان القول
ولم يواته واذا دعاه الداعى الى الكلام وحضره واتسع الانسان له لم يمهله النطق بل يسارع اليه ويحتمل ان يعود
الضمير فى اتسع الى القول وفى اتسع له النطق اى فلا يسعد القول اللسان اذا امتنع القول عن الانسان ولم يحضره
لوهم او نحوه او وجب حصره وغيره ولم يمهله النطق اذا اتسع عليه حصره وقوله وانا لامراء الكلام استعار لفظ الامراء لنفسه
واهل بيته ملاحظة لكونهم مالكين لازمة الكلام يتصرفون فيه تصرف الامراء فى ممالكهم واستعار لفظ العروق
لمواد الكلام واصوله وملكاته المتمكنة من قلوبهم واستعار لفظ التشبث وكذلك استعار لفظ الغصون لما
امكنهم من تناوله وقوله ورشح بذكر التهدل لان من شان الغصن ذلك ثم عقب بذكر الزمان واهله ويشبه
ان يكون هذا فصلا منقطعا عما قبله وذكر اوصافا احدها قلة القائلين فيه بالحق وذلك من الشرور اللاحقة
لاهل الزمان فيه وقد علمت ما قلناه فى وصف كون الزمان سببا ما للشر والخير عند قوله ايها الناس انا
قد اصبحنا فى دهر عنود وزمن كنود الثانى كون اللسان فيه كليلا عن الصدق والسبب القريب للوصفين
الجهل والظلم على اكابره واهل الدنيا فيه الثالث ذكر اللازمين للحق فيه وهو لازم عن قلتهم وضعفهم بالنسبة
الى الباقين الرابع كون اهله معتكفين على العصيان واراد الاكثرين من الناس الخامس كونهم مصطلحين على

الادهان اى المصانعة باللسان دون الاتقان بالقلوب ويحتمل ان يريد بالادهان الغش وهو لغة قوله فتاهم عارم
ذمهم بحسب اصنافهم فشبابهم شرس الاخلاق لنشوهم على غير ادب وشايبهم آثم لجهله وغفلته عما يراد به وعالمهم
منافق لاستعماله فطنته فى طرف الشر واعراضه عن اوامر الله وطريق الاخرة وقارئهم مماذق يظهر التودد الى الناس
وليس به السابع كونهم لا يعظم صغيرهم كبيرهم وذلك لنشوهم على قلة الآداب الشرعية وعدم التفاتهم اليها الثامن
ولا يعول غنيهم فقيرهم وصفهم بالجفاوة والبخل وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** روى ابو محمد اليمانى
عن احمد بن قتيبة عن عبد الله بن يزيد عن مالك بن دحية قال كنا عند امير المؤمنين عليه السلام فقال وقد ذكر
عنده اختلاف الناس انما فرق بينهم مبادى طينهم وذلك انهم كانوا فلقة من سبخ ارض وعذبها وحزن تربة
وسهلها فهم على حسب قرب ارضهم يتقاربون وعلى قدر اختلافها يتفاوتون فتام الرواء ناقص العقل ومادّ القامة
قصير الهمة وزاكى العمل قبيح المنظر وقريب القعر بعيد السبر ومعروف الضريبة منكر الجليبة وتائه القلب متفرق اللب
وطليق اللسان حديد الجنان **اقول** دعلب واحمد وعبد الله ومالك من رجال الشيعة ومحدثيهم والفلقة القطعة
والشق من الشىء والرواء المنظر الجميل وسبر الرجل اسبره اختبرت باطنه وغوره والضريبة الخلق والطبيعة
والجليبة ما يجلبه الانسان ويتكلفه والكلام اشارة الى السبب المادى لاختلاف الناس فى الصور والاخلاق
فقوله وانما فرق بينهم الى قوله يتفاوتون فطينهم اشارة الى التربة التى اشار اليها فى الخطبة الاولى
ثم جمع سبحانه من سهل الارض وحزنها وسبخها وعذبها تربة الى قوله واصلدها حتى استمسكت والمعنى ان تفاوتهم
فى الصور والاخلاق تابع لتقارب طينهم وتقارب مباديه وهى السهل والحزن والسبخ والعذب وتفاوتهم
فيها تابع لتفاوت طينهم ومباديه المذكورة قال اهل التاويل اضافة المبادى هنا الى الطين اضافة بمعنى
اللام اى المبادى لطينهم والاشارة بطينهم الى اصولهم وهى الممتزجات المتنقلة فى اطوار الخلقة كالنطفة وما
قبلها من موادها وما بعدها من العلقة والمضغة والعظم والمزاج الانسانى القابل للنفس المدبرة قالوا
ولما كانت مبادى تلك الطين فى ظاهر كلامه عليه السلام هى السبخ والعذب والسهل والحزن كان ذلك كناية
عن الاجزاء العنصرية التى هى مبادى الممتزجات دوات الامزجة كالنبات والغذاء والنطفة وما بعدها اذ كل منها
منها لا بد فيه من اجزاء تتفاعل فيحصل بواسطتها استعداداتها وتفاعلها ذو مزاج وهو نطفة وغيرها فتلك الاجزاء
المتفاعلة المستعدة للمزاج مزاج هى مبادى تلك الامزجة والممتزجات ولما كانت السبخية والعذوبة والسهولة
والحزونة امورا تلحق الممتزجات الارضية التى هى مبادى الطين وهى لازمة لاختلاف امزجة وسائر الامزجة
المركبة عنه وكان لاختلاف استعدادات تلك الامور الممتزجة لقبول الامزجة التى هى السبب لاختلاف الامزجة
وكذلك لاختلاف الامزجة واستعداداتها لقبول الاخلاق والصور هو السبب لاختلاف الاخلاق والصور
لاجرم كان السبب لتفرق الناس فى اخلاقهم وخلقهم انما هو لاختلاف مبادى طينهم وقد علمت فيما سلف فى الخطبة
الاولى لمية تخصيصه عليه السلام بعض الاجزاء العنصرية بالتركيب عنها ويحتمل ان يشير بالسبخ والعذب والسهل

والحزن الى الاجزاء الارضية من حيث هى ذوات امزجة متفاوتة الكيفيات فالسبخ كناية عن الحار اليابس منها
والعذب كناية عن الحار الرطب والسهل كناية عن البارد الرطب والحزن كناية عن البارد اليابس قالوا وعلى
هذا يحمل قول الرسول صلى الله عليه وآله ان الله سبحانه لما اراد خلق آدم امر ان يؤخذ قبضة من كل ارض فجاء بنو آدم
على قدر طينها الاحمر والابيض والسهل والحزن والطيب والخبيث فالقبضة من كل ارض اشارة الى الاجزاء
الارضية المذكورة وكون الناس مختلفين منها الابيض والاحمر اشارة الى اختلاف خلقهم وكونهم مختلفين
بالسهولة والحزونة والطيب والخبث اشارة الى اختلاف اخلاقهم عن اختلاف تلك الاستعدادات التابعة
على كل مزاج فى اطوار خلقهم قالوا وقد بان ذلك معنى قوله فهم على حسب قرب ارضهم يتقاربون اى على حسب
قرب مبادى طينهم المذكورة وتشابهها فى استعداداتها واعدادها يتقاربون ويتشابهون فى الصور و
الاخلاق وعلى قدر اختلاف تلك المبادى وتباينها فى ذلك يتفاوتون ويتضاد اخلاقهم ويتباين خلقهم
قالوا وجب التاويل هنا لانا لو حملنا الكلام على ظاهره لاقتضى ان كلا منهم قد خلق من الطين قوله فتام
الرواء الى آخره تفصيل لهم فى تفاوتهم وذكر اقساما سبعة فيما بالاقسام التى تضاد خلقها لاخلاقها او بعض
اخلاقها البعض وهى خمسة الاول منها مستعد مزاجه لقبول صورة كاملة حسنة وعقل ناقص فهو داخل فى رذيلة
الغباوة الثانى المستعد لامتداد القامة وحسنها ايضا لكنه ناقص فى همته فهو فى رذيلة الجبن وكلاهما ايضا ثم
فيهما التضاد ظاهرهما الباطنهما ويتفاوتان فى الاستعداد الباطن الثالث المستعد لقبح صورة الظاهر وحسن
باطنه باعتدال المزاج دهنه المستلزم للاعمال الزاكية الرابع قريب القعر اى قصير بعيد السبر اى داهية بعيد اغوار
باطنه والوقوف على اسراره وهما القسم ظاهرهما بين القسمين لباطنهما ظاهرة الخامس معروف الضريبة منكر
الجليبة اى يكون له خلق معروف يتكلف ضده فيستنكر منه ويظهر عليه تكلفه كان يكون مستعدا للجبن
فيتكلف الشجاعة او بخيلا فيتكلف السخاوة فيستنكر منه ما لم يكن معروفا منه فهذه هى الاقسام الخمسة
والقسم الاول والثالث قليلان فان الاغلب على المستعد لحسن الصورة وجمالها واعتدال الخلقة ان يكون
فطنا ذكيا لدلالة تلك العوارض على استواء التركيب واعتدال المزاج والاغلب على المستعد لقبح الصورة
عكس ذلك واما القسم الثانى والرابع فهو اكثر فان الاغلب على طويل القامة نقصان العقل والبلادة
ويتبع ذلك قوة العزم وضعف الهمة وعلى القصير الفطنة والذكاء وحسن الآراء والتدابير وقد نبه بعض الحكماء
على علة ذلك فقال حين سئل ما بال القصار من الناس ادهى واحذق قال لقرب قلوبهم من ادمغتهم وسره
ان القلب لما كان مبدأ الحار الغريزى وكانت الاعراض النفسانية من الفطنة والفهم والاقدام والوقاحة
وحسن النظر وجودة الرأى والرجاء والنشاط وجولانية الاخلاق وقلة الكسل وقلة الانفعال عن الاشياء
وكل ذلك يدل على الحرارة وتوفرها واضداد هذه الامور تدل على البرودة لاجرم كان قرب القلب من
الدماغ فى القصير لكونه سببا لتوفر الحرارة فى الدماغ وجودة استعداد القوى النفسانية فيه للاعراض

المذكورة وكان بعده منه فى الطويل بسبب قلة الحرارة فيه وضعف استعداد القوى النفسانية لتلك الاعراض
واستعدادها لاضدادها وان كانت الحرارة ليست هى كمال السبب المادى والعلم بخامس كثرى وفلك
لحبة النفوس للكمالات فترى البخيل يحب ان يعد كريما فيتكلف الكرم والجبان يحب ان يعد شجاعا فيتكلف
الشجاعة وقد راعى فى هذه القراين المطابقة فالتام بازاء الناقص وماء القامة بازاء القصير والزاكى
بازاء القبيح والقريب بازاء البعيد والمعروف بازاء المنكر واما القسمان الباقيان فاحدهما تائه القلب
متفرق اللب وهم العوام فالقافة اتباع كل ناعق التائهون فى تيه الجهل المتفرقة اهواؤهم بحسب كل داع
من المطالب الدنيوية والخواطر الشيطانية والثانى طليق اللسان حديد الجنان وهو الكيس الزكى وهذان
القسمان يخالفان للاقسام الاولية مناسبة ظاهرهما لباطنهما وراعى فى كل قرينتين من هذين القسمين
التسجيع المتوازى وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام وهو يلى غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بابى انت وامى لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والانبياء واخبار السماء خصصت
حتى صرت مسليا عمن سواك وعممت حتى صار الناس فيك سواء ولولا انك امرت بالصبر ونهيت عن الجزع
لانفدنا عليك ماء الشؤون ولكان الداء مماطلا والكمد محالفا وقلا لك ولكنه ما لا يملك رده
ولا يستطاع دفعه بابى انت وامى اذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك اقول دون عوض الانبياء الانباء
وهى الاخبار والشؤون مواصل قطع الراس المشعوب بعضها مع بعض وملتقاها والعرب تقول ان
الدموع تجرى منها وقال ابن السكيت الشانان عرقان يتحدران من الراس الى الحاجبين ثم الى العينين والكمد
الحزن المكتوم والمحالف الملازم والبال القلب وقوله بابى انت وامى متعلق بمحذوف تقديره افديك
وانما قال لقد انقطع بموتك الى قوله السماء لانه صلى الله عليه خاتم الانبياء واراد باخبار السماء الوحى
قال اهل التاويل ولفظ السماء مستعار لما علا فى المعنى من سماء عالم الغيب ومقامات الملاء الاعلى
وقوله خصصت الى قوله سواء اى خصصت فى مصيبتك من حيث انها مصيبة خاصة عظيمة لا يصاب الناس
فى الحقيقة بمثلها فلذلك كانت مسلية لهم عن المصائب بمن سواك وعممتهم بمصيبتك حتى استووا فيها
واضاف الخصوص والعموم اليه وان كان للمصيبة لكونها بسببه وقوله ولولا الى قوله وقلا لك اشارة
الى العذر فى ترك البكاء الكثير ومماطلة الداء وملازمة الحزن وهو امره عليه السلام بالصبر على مواطن
المكروه والنهى عن الجزع عند نزول الشدايد وكنى عن كثرة البكاء بانفاد ماء الشؤون ومطالعة الم الحزن
بفقده واستعار لفظ المماطلة لكان الحزن والم المشابهة وممكنه لانكاد يفارق مع انه من عادته
ان يفارق فهو كالمماطل بالمفارقة والضمير فى قوله وقلا لك يعود الى انفاد ماء الشؤون الذى دل عليه
انفدنا والى الكمد المحالف ولما كان زهو الداء المماطل فى مصيبته لاثنين ويحتمل ان يعود الى الداء المماطل
والحزن الملازم توجيها للعزيز والضمير فى قوله ولكنه ما لا يملك يعود الى الموت فى قوله بموتك وتقدير

ولكن الموت الذى لاجله البكاء والحزن ما لا يملك رده ولا يستطاع دفعه فلم يكن فى البكاء والجزع فايدة وكان
الصبر اولى ثم عادله التعدية وهى كلمة معتادة للعرب فقال لمن يعز عليهم فان قلت كيف يحسن التعدية هنا
بعد الموت وهى غير ممكنة قلت انه لا يشترط فى اطلاقها فى عرفهم امكان التعدية اذ ليس الغرض منها تحقيق
التعدية بل تخييل التعدية وابهامها للاسترقاق وتخييل المقول له انه عزيز فى نفس القايل الى غاية انه يرجح
ابيه وامه بحيث يفديه بهما وظاهر انها مما يفعل فى الطبع ميلا من المقول له ثم سال ان يذكره عند ربه
وان يجعله من باله اذ هو الشافع اليه مع كونه رئيس الخلق ومقدمهم فكان اولى من سئل ذلك منه واراد
اذكرنا عنده بما نحن عليه من طاعته فهو كامير بعثه الملك الى اهل مدينة ليصلح حالهم وينظمهم فى سلك طاعة
الملك بالترهيب من وعيده والترغيب فيما عنده من الكرامة فلا بد ان يعلم طاعة المطيع وعصيان العاصى
حتى اذا كان لحضرة الملك احب عقلاؤهم واهل الطاعة منهم ان يذكر طاعتهم عند الملك بين
يديه فيتقربون الى قلب اميرهم ويسالونه ان يجعلهم من باله اى من همته يقال هذا من بال فلان اى مما
بالى به ويهتم به ويحتمل ان يريد من همات بالك فحذف المضاف وقبض صلى الله عليه وآله وسلم بعد الهجرة بعشر سنين
وكان مولده عام الفيل وبعث وهو ابن اربعين سنة ثم بقى بمكة ثلاث عشر وهاجر الى المدينة وهو ابن ثلث وخمسين
سنة وكان سنه يوم قبض ثلثا وستين سنة وفى الاثر ولد يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وقبض يوم
الاثنين ودفن ليلة الاربعاء بحجرة عايشة وفيها قبض وتولى غسله على عليه السلام والعباس بن عبد المطلب
وولده الفضل وقد اشرنا الى ذلك فى كيفية دفنه صلى الله عليه فى قوله ولقد علم المستحفظون وبالله التوفيق
ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الذى لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد ولا تراه النواظر ولا تحجبه
السواتر الدال على قدمه بحدوث خلقه وبحدوث خلقه على وجوده وباشتباههم على ان لا شبه له الذى صدق
فى ميعاده وارتفع عن ظلم عباده وقام بالقسط فى خلقه وعدل عليهم فى حكمه مستشهد بحدوث الاشياء على ازليته
وبما وسمها به من العجز على قدرته وبما اضطرها اليه من الفناء على دوامه واحد لا بعدد دائم لا بامد وقائم
لا بعمد تتلقاه الاذهان لا بمشاعرة وتشهد له المرائى لا بمحاضرة لم تحط به الاوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع
منها واليها حاكمها ليس بذى كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيما ولا بذى عظم تناهت به الغايات فعظمته
تجسيدا بل كبر شانا وعظم سلطانا واشهد ان محمدا عبده الصفى وامينه الرضى صلى الله عليه وآله وسلم ارسله
بوجوب الحجج وظهور الفلج وايضاح المنهج فبلغ الرسالة صادعا بها وحمل على المحجة دالا عليها واقام اعلام الاهتداء
ومنار الضياء وجعل امراس الاسلام متينة وعرى الايمان وثيقة اقول الشاهد الحاضر والحاسة والمرائى
جمع مراة بفتح الميم وهى المنظر يقال فلان حسن المراة العين وفى راى العين اى فى المنظر والفلج الظفر واصله
السكون فالامراس جمع مرس بفتح الراء جمع مرسة وهى الحبل وقد حمد الله تعالى باعتبارات من التنزيه الاول
كونه لا تدركه الشواهد واراد الحواس وسماها شواهد لكونها تشهد ما تدركه وتحضره وقد علمت تنزيهه

تعالى عن ادراك الحواس غير مرة الثانى ولا تحويه المشاهد وقد علمت تعاليه عن الامكنة والاحياز الثالث
ولا تراه النواظر اى نواظر الابصار وانما خصص البصر بالذكر بعد ذكر الشواهد لظهور تنزيهه تعالى عن سائر
الحواس ووقوع الشبهة وقوتها فى اذهان كثير من الخلق فى جواز ادراكه تعالى بهذه الحاسة حتى ان مذهب كثير
من العوام ان تنزيهه تعالى عن ذلك ضلال بل كفر تعالى الله عما يقول الضالون الرابع ولا تحجبه السواتر وقد
علمت ان السواتر الجسمانية انما تعرض للاجسام وعوارضها وعلمت تنزيهه تعالى عن ذلك الخامس كونه دالا
على قدمه بحدوث خلقه واعلم انه عليه السلام جعل حدوث خلقه هنا دالا على امرين احدهما قدمه تعالى والثانى
وجوده وقد سبق تقرير ذلك فى قوله عليه السلام الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبحدوث خلقه على ازليته
انه جعل هناك الدليل على الوجود هو نفس الخلق وجعله هنا هو الحدوث ولما كان مجرد الوجود للممكنات
ومطلقها يدل على وجود صانع لها فالاولى ان يدل حدوثها على قدمه وازليته واحد السادس كذلك من
تقريره قوله وباشتباههم على انه لا شبيه له فى الفصل المذكور السابع الذى صدق فى ميعاده وصدقه تعالى
يعود الى مطابقة ما نطقت به كتبه على السنة رسله الصادقين عليهم السلام للواقع فى الوجود مما وعد به
اما فى الدنيا كما وعد رسوله والمؤمنين بالنصر والاستخلاف فى الارض كقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة
تاخذونها الاية وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض واما فى الآخرة
كما وعد عباده الصالحين بما اعد لهم فى الجنة من الثواب الجزيل والخلف فى الوعد كذب وهو على الله سبحانه
محال وهو كقوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد الثامن وارتفع عن ظلم عباده وهو تنزيه له عن حال الملوك الارض
الذين من شانهم ظلم رعيتهم اذا رأوا ان ذلك اولى بهم وان فيه منفعة ولذة او فى تركه ضررا ولما كان ذلك
من توابع الامزجة وعوارض البشرية المحتاج الى تحصيل الكمال الحقيقى والوهمى وجناب الحق تعالى منزه عن ذلك
التاسع وقام بالقسط على خلقه فقيامه بالقسط وهو العدل فيهم اجراؤه لاحكامه فى مخلوقاته على وفق الحكمة
والنظام الاكمل الكلى وهو امر ظاهر وكذلك عدله عليهم فى حكمه العاشر كونه مستشهدا بحدوث الاشياء على
ازليته والاستشهاد والاستدلال وكرره هنا تاكيدا باختلاف العبارة الحادى عشر وبما وسمها به من العجز
عن عدم القدرة عما من شانه ان يقدر اذ لا يقال عجز للجماد انه عاجز وقد علمت ان كل موجود سواه فهو موسوم
وموسوم بعدم القدرة على ما يختص به قدرته تعالى من الموجودات بل بعدم القدرة على شى اصلا اذ كل
موجود فهو منته فى سلسلة الحاجة اليه وهو تعالى مبدا وجوده وساير ما يعد سببا له فانما هو واسطة معدة
كما علم حقيقته فى موضعه فاذن لا قدرة فى الحقيقة الا له وحده ووجه الاستدلال انه لو كان موسوما بالعجز
عن شى لما كان مبدا له لكنه مبدا لكل موجود فهو ثابت القدرة تاما الثانى عشر وبما اضطرها اليه من
الفناء على دوامه واضطرارها الى الفناء هو قدرته القاهرة عليها ما استعدت منها للعدم بافاضة صورة
العدم عليها حين استعداده لذلك وهى من قضاياه تعالى بذلك وهو المشار اليه بقوله تعالى ونفخ فى الصور

فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ووجه الاستدلال انه تعالى لو كان مضطرا الى الفناء
كساير الاشياء لكان جايز الفناء فكان ممكنا لكن التالى باطل فهو واجب الوجود دايم الثالث عشر كونه
تعالى واحدا لا بعدد اى انه ليس واحدا بمعنى انه مبدا كثرة تكون عادا لها ومكيالا وقد سبق بيان ذلك وبيان
اطلاق وجه الوحدة اليه وباى معنى هو غير مرة فلا معنى لاعادته الرابع عشر كونه دايما لا بامد وقد سبق ايضا بيان
ان كونه دايما بمعنى ان وجوده مساوق لوجود الزمان اذ كان تعالى هو موجد الزمان بعد مرتبته من خلقه ومساوقة
الزمان لا يقتضى الكون فى الزمان ولما كان الامد هو الغاية من الزمان ومنتهى المدة المضروبة الذى للزمان
من زمانه وثباته ثم ليس بذى زمان يعرض له الامد ثبت انه دايم لا امد له الخامس عشر كونه قايما لا بعمد اى ثابت
الوجود من غير استناد الى سبب معين يعتمد عليه فى الوجود كساير الموجودات الممكنة وذلك هو معنى كونه واجب الوجود
وقد اشرنا الى برهان ذلك فى قوله الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وكثير من قراين هذا الفصل موجود هناك
السادس عشر كونه تتلقاه الاذهان لا بمشاعرة وتلقى الاذهان له يعود الى استقبالها وقبولها لما يمكنها ان تتصور
به من صفاته السلبية والاضافية وكون ذلك لا بمشاعرة اى ليس تلقيها له تلك التصورات من طريق المشاعر وهى
الحواس ولا على وجه شعورها بما تشعر به منها بل تلقاها على وجه اعلى واشرف بتعقل صرف برئ عن علايق
المواد مجرد عن ادراك الحواس وتوابع ادراكاتها من الوضع والاين والمقدار والكون وغير ذلك السابع عشر
كونه تشهد له المرائى لا بمحاضرة اشارة الى كون المراى والنواظر طرقا للعقول الى الشهادة بوجوده تعالى لانها
اثار قدرته ولطايف صنعه وما يدرك بحس البصر منها ولوضوح العلم به تعالى وشهادة العقول بوجوده فى المدركات
بهذه الابصار كانه تعالى مشاهد مرئى فيها وان لم يكن هذه الابصار محاضرة له ولا يتعلق ادراكها به ويحتمل ان يريد
بالمرائى المرئيات التى هى محال ابصار الناظرين ومواقعها وذلك ان وجودها وما اشتملت عليه من الحكمة
شاهد بوجود الصانع سبحانه من غير حضور ومحاضرة حتى كانه عليه السلام فى صنايعهم من محاضريها ومباشريها
الثامن عشر كونه تعالى لم تحط به الاوهام لما كان تعالى غير مركب لم يمكن الاحاطة لعقل او وهم البشر والاوهام
اولى بذلك اذ كانت انما تتعلق بالمعانى الجزئية المتعلقة بالمحسوسات والمواد الجسمانية قريبة فى تنزيهه تعالى
عن احاطة الاوهام به قياس هكذا لا شى من متعلق واجب الوجود بمتعلق مادة ووضع وكل مدرك للوهم فهو متعلق
بذى مادة ووضع ينتج لا شى مما هو واجب الوجود بمدرك للاوهام اصلا فضلا ان يحيط به ويطلع على حقيقته
وقد مر ذلك مرارا التاسع عشر كونه تجلى لها وانما تجلى لها لانه لا تدركه لما كان معنى جزئيا محسوس فمعنى تجلى
لها هو ظهوره لها فى صورة وجودها ووجود ساير مدركاتها من جهة ما هو صانعها وموجدها اذ كانت الاوهام عند
اعتبارها الاحوال انفسها من وجودها وعوارض وجودها والتغيرات اللاحقة لها شاهدة لحاجتها الى موجد مقيم
ومعين ومساعدة للعقول على ذلك وان ادراكها لذلك فى انفسها على وجه جزئى مخالف لادراك العقول فكانت
شاهدة له بحسب ما اطلعت عليه متقيدة امكانها وهو متجلى لها كذلك والباء فى بها للسببية اذ وجودها هو السبب

المادی ۲۲ عليه لها ويحتمل ان تكون بمعنی ای تجلی لها فی وجودها وبرهنا للاضرابية مما امتنع منها من الاحاطة و
الاثبات لما امكن ووجب من تجليه لها العشرون وبها امتنع منها ای ما خلقت قاصرة عن ادراك المعانی الكلية من
التعلق بالجزئيات كانت بذلك مبداء لامتناعها عن ادراكها له وان كان لذلك الامتناع اسباب اخر واولاها
كونه تعالی بريا عن اعتاء التراكيب ويحتمل ان يريد بقوله بها ای انها لما خلقت علی تلك القصور وكان هو تعالی
ممتنع الادراك بالكلية اعترفت عند توجهها اليه وطلبها المعرفة بالعجز عن ادراكه وانه ممتنع عنها فبها ای باعترافها
امتنع منها الحادی والعشرون وكونه اليها حاكمها ای جعلها حكما بينها وبينه عند رجوعها من توجهها فی طلبه حيث
خلقت العقول بحيث معترفة بانه لا يليق به الاتصاف كنه معرفته ولا يخطر بالبال ولا بالروايات خاطر من تقدير
جلاله حقه وحاجتها واستحالته ونقصانها وكالة ومخلوقيتها ونحو ذلك الى غير ذلك مما لها من صفات المصنوعية
وله من صفات الصانعية موافقة للعقول فی تلك الاحكام واسناد المحاكمة اليها مجاز لمناسبة ما ذكرناه وقال
بعض الشارحين اراد بالاوهام هنا العقول وظاهر انها لا تحيط به لكونه غير مركب محدود وتجليه لها هو كشف
ما يمكن ان يصل اليه العقول من صفاته الاضافية والسلبية وقوله وبها امتنع منها ای بالعقول ونظرها علم انها
لا تدركه وقوله واليها حاكمها ای جعل العقول المدعية انها احاطت به وادركته كالخصوم له مجازا ثم حاكمها
الی العقول السليمة الصحيحة فحكمت له العقول السليمة علی المدعية لما العيث اهلا له وما ذكره هذا الفاضل محتمل
الا ان اطلاق لفظ الاوهام علی العقول انما يجاز بغير قرينة وعدوله عن الحقيقة من غير ضرورة وقال بعض
اراد به الرد علی اهل الاوهام فحذف المضاف فی عند تامل ما بيناه يلوح انه هو مراده عليه السلام او قريب منه وهذه
الالفاظ اليسيرة من لطايف اشاراته عليه السلام واطلاعه علی اسرار الحكمة الثانی والعشرون كونه تعالی ليس بذی
كبر الی قوله تجسيما الكبير يقال لعظيم الجسم والمقدار ويقال لعالی السن من الحيوان ويقال العظيم القدر فيه
ومراده نفی الكبر عنه بالمعنی الاول اذ من لوازم ذلك كون الكبير ممتدا فی الجهات الثلث طولا وعرضا وعمقا
فيحصل الكبير الجسمی وقد تقدس تعالی عن ذلك وتقدسه عن الكبر بالمعنی الثانی ظاهر وتجسيما مصدر
موضع الحال ای فكبره مجسما له او مجسمه وانما اسند الامتداد به الی النهايات لانها غايات للطبيعة بالامتداد
تقف عندها وتنتهی بها فكانت من الاسباب الغائية فلذلك اسند اليها وكذلك اسناد التكبير من لوازم الامتداد
اليها الثالث والعشرون ولا بذی عظم الی قوله تجسيدا العظيم يقال علی ما يقال عليه الكبير بالمعنی الاول والثانی
دون الثالث ومراده سلب العظيم عنه بالمعنی الاول لما مر واسناد التناهی الی الغايات ظاهر اذ كانت سببا
لوقوفه وبها ينقطع واليها يبلغ وكذلك اسناد التعظيم اليها كاسناد التكبير وانا اسند التناهی اليها مجاز
الرابع والعشرون كونه كبر شانا الخامس والعشرون كونه عظم سلطانا لما سلب الكبر والعظم عنه بالمعنيين الاولين اشار
الی ان اطلاقهما عليه بالمعنی الثالث ونصب شانا وسلطانا علی التمييز فهو الكبير شانا اذ لا شان اعلی من شانه والعظيم
سلطانا اذ لا سلطان ارفع من سلطانه وهو مبدأ شان كل ذی شان ومنتهی سلطان كل ذی سلطان لا اله الا

هو الكبير المتعال ذو الكبرياء والعظمة والجلال ثم اردف تمجيده تعالی بما هو اهله بالكلمة المتممة لكلمة الاخلاص
والشهادة التی هی مبدأ الكمال القوة العملية من النفوس البشرية بعد كمال قوتها النظرية بالشهادة الاولی
وظاهر كونه صلی الله عليه وآله مصطفی الله وامينا علی وحيه ومرتضی لذلك ثم اردف ذلك بالاشارة الی كونه رسولا
والی وجوه ما ارسل به وهو وجوب الحجج واراد بها اما المعجزات او ما هو اعم من ذلك وهو ما يكون حجة لله علی خلقه
فی تكليفهم ان يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ويدخل فی ذلك دلائل الاحكام وطرق الدين التفصيلية
وكونه ارسل بوجوبها ای وجوب قبولها علی الخلق ووجوب العمل علی وفقها وظهور الفلج وهو الظهور علی ساير
الاديان والظفر باهلها وبالعادلين بالله وبالجاحدين له وايضاح المنهج وهو طريق الله وشريعته وظاهر كونه
موضحا لها ومبينا والی ذلك الاشارة بقوله تعالی ارسله بالهدی ودين الحق ليظهره علی الدين كله فالهدی هو
ايضاح المنهج وقوله ليظهره علی الدين كله اشارة الی بعض غايات بعثته وهی المراد بظهور الفلج وروی بضم
الفاء واللام وهو بضم الفاء وسكون اللام اسم للفوز ويجوز ضم اللام للشاعر والخطيب وقوله فبلغ الرسالة
الی الحق اشارة الی اداء الامانة فيما حمل من الوحی وصدعه بالرسالة اظهارها والمجاهرة بها وقد علمت ان اصل
الصدع الشق فكانه شق بالمجاهرة فيها عصا المشركين وفرق ما اجتمع من شرهم وحمله علی المحجة وهی طريق الله
وشريعته دعوته اليها وحذيره الخلق الی سلوكها بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتی هی احسن ثم بالسيف
لمن لم تنفعه المجادلة واراد بالاعلام للاهتداء ادلته وهی المعجزات وقوانين الدين الكلية وكذلك منار الضياء
واقامته لها اظهارها والقاوها الی الخلق ولفظ المحجة والاعلام والمنار مستعارة كما سبق غير مرة وصادعا
والانصب علی الحال واستعار لفظ الامراس والعری لما يتمسك به من الدين والايمان ورشح بذكر المتانة و
الوثاقة واشار بعمله لها كذلك الی تثبيت قواعد الاسلام وغرسها فی قلوب الخلق واضحة جلية بحيث تكون عصمة
للمتمسك بها فی طلب النجاة من مخاوف الدارين وسببا لا ينقطع دون الغاية القصوی وبالله التوفيق منها فی صفة
عجيب خلق اصناف من الحيوان ولو فكروا فی عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا الی الطريق وخافوا عذاب الحريق ولكن
القلوب عليلة والابصار مدخولة الا ينظرون الی صغير ما خلق كيف احكم خلقه واتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر
وسوی له العظم والبشر انظروا الی النملة فی صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك
الفكر كيف دبت علی ارضها وصبت علی رزقها تنقل الحبة الی جحرها وتعدها فی مستقرها تجمع فی حرها لبردها
وفی ورودها لصدرها مكفول برزقها مرزوق بوفقها لا يغفلها المنان ولا يحرمها الديان ولو فی الصفا
اليابس والحجر الجامس لو فكرت فی مجاری اكلها وفی علوها وسفلها وما فی الجوف من شراسيف بطنها وما
فی الراس من عينها واذنها لقضيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا فتعالی الذی اقامها علی قوائمها
وبناها علی دعائمها لم يشركه فی فطرتها فاطر ولم يعنه فی خلقها قادر ولو ضربت فی مذاهب فكرك لتبلغ غاياته
ما دلتك الدلالة الا علی ان فاطر النملة هو فاطر النخلة لدقيق تفصيل كل شیء وغامض اختلاف كل حی وما

الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوی والضعيف فی خلقه الا سواء كذلك السماء والهواء والرياح والماء
فانظر الی الشمس والقمر والنبات والشجر والماء والحجر واختلاف هذا الليل والنهار وتفجر هذه البحار وكثرة
هذه الجبال وطول هذه القلال وتفرق هذه اللغات والالسن المختلفات فالويل لمن جحد المقدر وانكر
المدبر زعموا انهم كالنبات ما لهم زارع ولا لاختلاف صورهم صانع ولم يلجأوا الی حجة فيما ادعوا ولا تحقيق لما
اوعوا وهل يكون بناء من غير بان ولا جناية من غير جان وان شئت قلت فی الجرادة اذ خلق لها عينين حمراوين
واسرج لها حدقتين قمراوين وجعل لها السمع الخفی وفتح لها الفم السوی وجعل لها الحس القوی ونابين بهما
تقرض ومنجلين بهما تقبض يرهبها الزراع فی زرعهم ولا يستطيعون ذبها ولو اجلبوا بجمعهم حتی ترد الحرث
فی نزواتها وتقضی منه شهواتها وخلقها كله لا يكون اصبعا مستدقة فتبارك الذی يسجد له من فی السموات و
الارض طوعا وكرها ويعفر له خدا ووجها ويلقی اليه بالطاعة سلما وضعفا ويعطی القياد رهبة وخوفا فالطير
مسخرة لامره احصی عدد الريش منها والنفس وارسی قوائمها علی الندی واليبس قدر اقواتها واحصی اجناسها فهذا
غراب وهذا عقاب وهذا حمام وهذا نعام دعا كل طائر باسمه وكفل له برزقه وانشأ السحاب الثقال فاهطل
ديمها وعدد قسمها فبل الارض بعد جفوفها واخرج نبتها بعد جدوبها اقول الدخل العيب والبشرة ظاهر الجلد
والجامس الجامد والشراسيف اطراف الاضلاع المشرفة علی البطن والضرب فی الارض السير فيها والحدقة
سواد العين والقمر بياضها وضياؤها يقال حدقة قمراء مضيئة واجلبوا جمعوا والنزوات الوثبات والتعفير
التمريغ فی العفر وهو التراب وقوله ولو فكروا الی قوله مدخولة وضع حرف لو ليدل علی امتناع الشیء لامتناع غيره
لكن الاغلب عليها ان يستعمل الدلالة علی امتناع اللازم لامتناع ملزومه وذلك علی وجهين احدهما ان يكون ذلك
اللازم مساويا للملزوم اما حقيقة او وضعا والثانی ان يكون الملزوم علة لذلك ليلزم من رفع الملزوم رفع اللازم
ويمكن الاستدلال به فاما اذا لم يكونا كذلك فانه ان يدل به علی امتناع الملزوم لامتناع لازمه كما فی قوله تعالی لو
كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقد استعمله عليه السلام هنا بالوجه الثانی من الوجهين الاولين واستدل علی ان
الخلق لم يرجعوا الی طريق الله عن غيهم وجهالاتهم ولم يخافوا من وعيده بعذاب الحريق فی الاخرة لانهم لم يفكروا فيما
عظم من قدرته فی خلق مخلوقاته وعجائب مصنوعاته وما جسم من نعمته علی عباده ويحتمل ان يريد بالقدرة المقدور
مجازا اطلاقا لاسم المتعلق علی المتعلق وكان ذلك من باب الاستدلال بعدم العلة علی عدم المعلول اذ كان الفكر
فی ذلك سببا اعظميا فی الخوف لهم الی اتباع شريعته وسلوك سبيله اليها واليه الاشارة بقوله تعالی اولم يتفكروا
فی ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شیء وقوله اولم ينظروا الی السماء فوقهم كيف بنيناها الاية ونحوه
وقوله ولكن القلوب الی قوله مدخولة بيان لعدم العلة المذكورة منهم وهو الفكر واشار الی عدمها بوجود ما ينافی
وجود شرطها اذ كان كون القلوب عليلة كونها لا صحة ومعيبة بالافات ينافی صحتها وسلامتها اللذين هما شرطان فی
وجود الفكر الصحيح ومع وجود المنافی لصحة قلوبهم وسلامة ابصارهم لا يحصل الصحة التی هی شرط الفكر فلا يحصل

الفكر فلا يحصل معلوله وهو الرجوع الی الله وعلل القلوب وما يلحق ابصار البصائر من العيوب يعود الی الجهل
واغشية الهيئات البدنية والاخلاق الردية الدنية المكتسبة من جواذب الشهوات الی خسائس اللذات المغطية
لانوار البصائر الحاجبة لها عن ادراك واضح الطريق الحق وقوله الا ينظرون الی قوله البشر تنبيه لهم علی بعض
مخلوقاته تعالی فی مقدوراته التی اشار الی عظمة القدرة فيها ولحسن هذا الترتيب والتدبيج الحسن فانك علمت من
اداب الخطيب اذا اراد القول فی امر ان يذكره اولا علی سبيل الاجمال بقول كلی ليستعد السامعون بذلك لما يرد
قوله بيانا ثم يشرع فی تفصيله ولما اراد عليه السلام ان ينبه علی عظمة الله سبحانه بتفصيل بعض مخلوقاته كالنمل
والنخل والجراد ونحوه اشار اولا الی عظيم القدرة ووبخ السامعين علی اغفالهم الفكر فيها ليعلم انه يريد ان ينبه
علی تفصيل امر ثم تلاه بالتنبيه علی لطيف الصنع فی صغير الخلق وكيف احكم خلقه واتقن تركيبه علی صغره وفلق
له السمع والبصر وسوی له العظم والبشر ولم يعين له اذا استعدت بذلك لتعظيم الله القلوب وقبلت بافهامها التقوی
تلاه بذكر النملة وذلك قوله انظروا الی النملة الی قوله تعبا وهيئتها كيفيتها التی عليها صورتها وصور اعضائها
وظاهر ان الانسان يكاد لا يدركها بلحظ البصر الا ان يرجع النظر اليها بعناية ولا يكاد عند رؤيته فكره واستدراك
اوله وبادية بامعان فيه وتدقيق يعلم حقيقتها وكيفية خلقها وتشريح اعضائها بخطرة ذلك والباء فی قوله بلحظ
وبمستدرك يتعلق بينال ولا ينبغی ان يفهم من قوله ولا ينال بمستدرك الفكر ای صورتها الظاهرة التی يدركها البصر
وربما يسبق ذلك الی بعض الافهام لمكان العطف بل لما ذكرناه من شرح حقيقتها فانه ليس حظ الفكر ان يدرك
صورتها المحسوسة بالبصر بل ان يبحث عن عجايب صنعها ليستدل بذلك علی حكمة صانعها وجلالة عظمته ومحل قوله
لا تكاد تنال يحتمل ان يكون نصبا علی الحال والعامل انظروا ويحتمل ان يكون مستانفا وكيف فی محل الجر بدلا
من النملة ويحتمل ان يكون كلاما مستانفا وفيه معنی التعجب كيف صبت ای انصبت علی رزقها وحرصت عليه بهدايته
والهامه وقيل ذلك علی العكس ای صبت عليها رزقها ولفظ الصب مستعار لحركتها فی طلبه ملاحظة لشبهها
بالماء المصبوب فان قلت كيف محل دبيبها علی الارض محل التعجب والفكر مع سهولته ووجوده لساير الحيوان
قلت لم يجعل محل التعجب هو دبيبها من حيث هو دبيب فقط بل مع الاعتبارات الاخر المذكورة فانك اذا اعتبرتها
من حيث هی فی غاية اللطافة ثم اعتبرت قوائمها وحركات مفاصلها وخفضها ورفعها ونحو ذلك من التشبث
الحس لم ونسبتها الی جرمها والی اجزاء المسافة التی تقطعها بكل جزء من حركتها وكذلك انصبابها علی رزقها بهداية
تامة اليه ونقلها له الی جحرها وغير ذلك من الاعتبارات المذكورة فانك اذا اعتبرت ذلك منها وجدت للنفس
تعجبا وتفكرا فی لطف جزئيات صنعها وحكمة خالقها ومدبرها وقوله تجمع فی حرها ای فی الصيف للشتاء
وفی ورودها ای فی ايام ورودها وتمكنها من الحركة لايام صدورها ورجوعها عن الحركة للعجز فانها تعجز ايام
الشتاء عن ملاقاة البرد فتطلب بطن الارض لكون الحرارة فيه ومن العجائب التی حكاها اهل التجارب من
امثال النمل والطاعنها ما حكاه ابو عثمن عمرو بن بحر الجاحظ فی كتاب الحيوان بفصيح عبارته قال ان النملة

تدخر في الصيف للشتاء فتقدم في ايام المهلة ولا تضيع اوقات امكان الحفر وتبلغ من تفقدها وصحة تميزها
والنظر في عواقب امورها انها تخاف على الحبوب التي ادخرتها للشتاء ان تعفن وتسوس في بطن الارض فتخرجها
الى ظهرها لتنشرها وتعيدها اذا جفت وتصيبها النسيم فينفى عنها العفن والفساد قال وربما اختارت في الاكثر
ان يكون ذلك العمل ليلا ليكون اخفى لها في القمر لانها فيه ابصر فان كان مكانها نديا وخافت ان تنبت الحبة
نقرت موضع القطمير من وسطها لعلمها انها من ذلك الموضع تنبت وربما فلقت الحبة نصفين فاما ان كان
الحب من الكزبرة فانها تفلقه ارباعا لان انصاف حب الكزبرة تنبت من بين جميع الحب وهي بهذا الاعتبار مجاوزة
لفطنة جميع الحيوان قال ونقل لي بعض من اثق به انه احتفر بيت النمل فوجد الحبوب التي جمعتها كل نوع وحده قال
ووجدنا في بعضها ان بعض الحبوب فوق بعض وبينها فواصل حايلة من التبن ونحوه ثم ان لها مع لطافة
شخصها وخفة حجمها في الشم والاسترواح ما ليس لساير الحيوان وذلك انه ربما سقط من يد الانسان جرادة
او عضو منها مثلا في موضع ليس بقربه ذرة ولا عهد لذلك المنزل بها فلا يلبث ان تقبل ذرة قاصدة الى تلك
الجرادة فترومها وحملها فاذا اعجزتها بعد ان تبلى عذرا مضت الى جحرها راجعة فلا يلبث الانسان ان يجدها وقد
اقبلت وخلفها كالخيط الاسود من اخواتها حتى يتعاونوا عليها ويحملونها فاعجب من صدق شمها لما لا يشمه الانسان
الجايع ثم انظر الى بعد همتها في ذلك وجرأتها على محاولة نقل شيء في وزن جسمها مايه مرة او اضعافها وليس من
الحيوان ما يحمل اضعاف وزنه مرارا كثيرة كالنملة قال والذي يخبر على علامها لاخواتها واشعارها بمثل ما
اشرنا اليه قصة سليمان عليه السلام مع النمل حيث حكى القرآن الكريم عنها قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم
لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها فان القول الذي اليه منها وان حمل
على حقيقته فهو محمول على مجاز وهو اشعارها لاخواتها بالحال المخوفة للنمل من سليمان وجنوده قال ومن
عجيب ما يحكى عن النمل ما حكي عن بعض من يحمل الاسطرلاب انه خرج طوقا من صفر من الكبير جراره فوضعه على
الارض ليبرد فاشتمل على نملة فكانت كلما طلبت مخرجا بناسه لتخرج منها الحرارة فكان مقتضى هربها
من الجواب ان استقرت ثم ماتت فوجدها قد استقرت في موضع رجل البركار من نقطة المركز وما ذاك الا
للطف حسها وقوة وهمها ان ذلك الموضع هو ابعد الاماكن عن الخط المحيط قال ومن عجايبها الهاماتها انها لا تعرض
لحمل ولا اجرادة ولا خنفساء ولا لعوضها ما لم يكن بها خبل وعقر او قطع يدا ورجل فاذا وجدت شيئا من ذلك
وثبت عليها حتى لو ان حية بها ضربا وخدش ثم كانت من ثعابين مصر لو ثبت عليها الذر حتى ياكلها ولا تكاد
الحية تسلم من الذر اذا كانت بها ادنى عقر وكل ذلك من الالهامات التي اذا فكر اللبيب فيها كاد ان يحكم بكونها
اعلم بعواقب معاشها وتدبير احوال وجودها من كثير من الناس فان الانسان قد يهمل ذلك التدبير ولا يضبط
ويستمر فيه على قانون واحد X وقوله مكفول ومرزوق نصب على الحال وقوله رزقها وفقها اي موافق
مطابق لقوتها وعلى قدر كفايتها ويروى مكفول برزقها مرزوق بوفقها ثم ذكر بعد ذلك الى بها انها

لا انه لا يغفلها اي لا يتركها من لطفه وعنايته فانه باعتبار ما هو شان على خلقه لا يعزب في حكمته اهمالها
من دق في يقوم به في الوجود وكذلك باعتبار كونه ديانا اي مجازيا ووجه ذكر الجزاءات هنا انها حيث دخلت في
الوجود طايعة لامره وقامت فيه مسخرة لتسخيره وجب في الحكمة الالهية جزاؤها ومقابلتها بما يقوم بوجودها
فلا يكون محرومة من مادة بقائها على وفق تدبيره ولو كانت في الصفا اليابس والحجر الجامس بل يفتح لها ابواب
معاشها في كل مكان ثم نبه على مجال الحركة الفكرية في النملة فمنها مجاري اكلها ما تاكله وتلك المجاري
والامعاء ومنها علوها وسفلها وعلوها بكونها للامر بعيض سفلها وهو راسها وما يليه الى الحد المتوسط
منها وسفلها هو ما خلا ذلك من طرفها الاخر ومنها ما اشتملت عليه جوفها من شراسيف بطنها وما
يقوم مقامه فاطلق عليه اسم شراسيف بالمجاز ومنها ما في راسها من عينها واذنها وهي محل القوة السامعة
منها فان كل ذلك على غاية صغره ولطافته محل التعجب العجيب ومحل النظر اللطيف المستلزم للشهادة بحكمة
الصانع ولطف تدبيره الذي يقضي الانسان من تامله عجبا والقضاء هاهنا بمعنى الاداء اي لاديت عجبا
ويحتمل ان يكون بمعنى الموت اي لقضيت نحبك من شدة تعجبك ويكون عجبا نصب على المفعول له ثم لما نبه
على محال الفكر ووجوه الحكمة فيها اردف ذلك بتنزيه صانعها وتعظيمه تعالى وقرن ذلك التعظيم والتنزيه
بنسبته الى بعض صنعه بها وهو اقامة لها على قوايمها وبناها على دعايمها واراد بدعايمها ما يقوم به بدنها
من الامور التي يقوم مقام العظام والعصب والاوتار ونحوها ليحصل التنبيه على عظمته من لطف تلك الغوم
واعتبار ضعف تلك الدعايم مع تركب فيها من لطايف الصنعة واودعها من عجايب الحكمة من عجزان يشركه في تلك
الفطرة فاطر او يعينه على لطيف خلقها قادر فسبحانه ما اعظم شانه وابهر برهانه وقوله ولو ضربت الى قوله النخلة
اي لو سارت نفسك في طرق فكرها ومذاهب نظرها وهي الادلة واجزاؤها الادلة من المقدمات واجزايها
المستنبطة من عالم الخلق والامر لتصل الى غايات فكرك في الموجودات لم يمكن ان يدلك دليل الا على ان
خالق النملة على غاية صغرها وخالق النخلة على عظمها وطولها واحد وهو المدبر الحكيم وقوله لدقيق تفصيل
كل شيء الى قوله حيا اشارة الى اوسط الحجة على ما ادعاه من اشتراك النملة والنخلة في الاستناد الى صانع واحد
مدبر حكيم ومعنى ما ذكر ان كل شيء من الموجودات الممكنة تفصيل لطيف دقيق واختلاف شكل وهيئة ولون
ومقدار ووجوه من الحكمة دال على صانع حكيم خصصه بها دون غيره وتقرير الحجة ان وجود النملة والنخلة
اشتمل كل منهما على دقيق تفصيل الخلقة وغامض اختلاف شكل وهيئة وكل ما اشتمل على ذلك فله صانع مدبر حكيم
خصصه بذلك فينتج انهما اشتركا في الحاجة الى صانع مدبر حكيم خص كلا منهما بما يشتمل عليه وهذه الحجة
هي المسماة في عرف المتكلمين الاستدلال بامكان الصفات كما بيناه قبل في قوله الحمد لله الدال على وجوده
بخلقه وقوله وما الجليل واللطيف الى قوله سواء مؤكد لما سبق من الدعوى وكاسر لما عساه يعرض لبعض
الاوهام من استبعاد نسبة الخلقة العظيمة والخلقة اللطيفة الحقيرة كالنملة الى صانع واحد فاشار الى

كل المخلوقات وان تباينت اوصافها وتضادت صورها واشكالها فانه لا تفاوت بالنظر الى قدرته وكمالها
بين ان تفيض عنه صورة النخلة او صورة الذرة وليس بعضها بالنسبة اليه اقرب واولى من بعض ولا هو اولى
على بعضها بالنسبة من بعض والا لكان ناقصا في ذاته وكان بما هو اولى به مستفيدا كما لا يفوته بعدمه
وقد ثبت تنزيه جناب المقدس عن ذلك في مظانه من الكتب الحكمية والكلامية بل ان كان فيها تفاوت واختلاف
فمن جانب القابل واختلاف الاستعدادات المواد بالشدة والضعف والاولوية والاحدية على ما اشرنا
اليه غير مرة واللطيف كما يراد به صغير الخلقة كذلك قد يراد به دقيق الصنعة وقد يراد به الشفاف كالهواء
والاول هو مراده ولذلك جعله مقابلا للجليل وقوله كذلك السماء الى قوله والماء فالمشبه به هو الامور
المتضادة السابقة والمشبه هو السماء والهواء والرياح والماء ووجه الشبه هو حاجتها في خلقها وتركيبها
واحوالها المختلفة والمتفقة الى صانع حكيم واشار الى الامور الاولى المتضادة اولا ونبه بها الى قدرته
تعالى باعتبار كونها كليتها ومن جهة تضادها لانها ادل على كمال قدرته واشار الى الثانية وهي السماء وما
عدده معها لا باعتبار تضادها بل باعتبار ما اشتمل عليه كل منهما من الحكمة والمنفعة وكونها موادا للاجسام
المركبات والهواء اعم من الرياح لتخصيص مسمى الرياح بالحركة دون الهواء وقوله فانظر والى قوله المختلفات
امر باعتبار حال ما عدد من المخلوقات وما اختص به كل منها من الصفات والاشكال والمقادير والاضواء
والالوان والمنافع الى غير ذلك مما يدل على حاجة كل منها الى مخصص حكيم يخصصه بما هو اليق به واوفق للحاجة
اللايقة وانسب الى استعداده بعد اشتراك جميعها في الجسمية وهو امر يستغرق الحجة التي ذكرناها في كل واحد من
الامور المذكورة ولما كان حال اكثر هذه الاجسام المذكورة مفتقرا الى تقديم النظر البصري لغاية الفكر و
الاعتبار فيها امر به واما وجوه الاعتبارات فاكثر من ان تحصر فانك اذا اعتبرت حال الشمس والقمر في عظم اجرامهما
والضياء الصادر عنهما وحركاتهما وتنقلهما في منازلهما وما فيهما من التاثيرات والاعداد
لوجود المركبات العنصرية من المعدن والنبات والحيوان ثم اعتبرت ما يفصل به احدهما عن الاخر من الجري و
زمان السير وكون القمر مستفيدا للنور من الشمس وغير ذلك مما لا يعلم تفصيله الا الله سبحانه وكذلك اذا
نظرت الى النبات والشجر وجواهرها واشكالها واختلاف اجزائهما في الالوان والمقادير والثمار وما يشتمل
من المنفعة لوجود الحيوان والمضرة لبعضها الى غير ذلك مما علمته فيما سلف وكذلك الماء في كونه على غاية من
الرقة واللطافة وكون الحجر بعكس لو صمتين مع ان اكثر المياه انما تنبع من الاحجار ثم نظرت الى المنافع الموجودة
فيهما والمضار العارضة عنهما وكذلك النظر الى هذا الليل والنهار واختلافهما في هذا العالم وما فيهما
وما يشتملان عليه من المنفعة المختصة بكل منهما مما امتن الله تعالى على عباده حيث قال هو الذي جعل الشمس ضياء
والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وقال حيث لكم به الزرع والزيتون الاية وقال
قتل الانسان ما اكفره الى قوله متاعا لكم ولانعامكم الى غير ذلك من الايات وقال انزل من السماء ماء فسلكه

ينابيع في الارض وقال وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا الى قوله الفافا وكذلك اذا اعتبرت تفجر هذه
البحار وما تشتمل عليه من المنفعة كما قال تعالى مرج البحرين يلتقيان وقال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وكذلك اذا
اعتبرت كثرة الجبال وقلالها وعروضها واطوالها وما اشتملت عليه من معادن الجواهر وغيرها وكذلك تفرق
اللغات واختلاف الالسنة وجعلت ذلك التكثر والاختلاف شاهدا بوجود صانع حكيم وتقريرها كما علمت ان
تقول ان هذه الاجسام كلها مشتركة في الجسمية واختصاص كل منها بما تميز به من الصفات المتعددة ليس لجسميته
ولوازمها والا لوجب لكل منها ما وجب للاخر ضرورة اشتراكهما في علة الاختصاص فلا تميز لها هذا خلف ولا
لشيء من عوارض الجسمية لان الكلام في اختصاص كل منها بذلك العارض كالكلام في الاول ويلزم التسلسل
فبقي ان يكون لامر خارج عنها هو الفاعل الحكيم المخصوص لكل منها بحد من الحكمة والمصلحة وقد مر تقرير
هذه الحجة مرارا ثم لما نبه على وجود الصانع سبحانه اردف ذلك بالدعاء على من جحده او الاخبار عن حق الويل
له قال سيبويه الويل مشترك بين الدعاء والخبر ونقل عن عطاء بن يسار ان الويل واد في جهنم لو ارسلت فيه الجبال
لماعت من حره ورفعها بالابتداء والخبر لمن انكر والمدبر هو العالم بعواقب الامر وما يشتمل عليه من المصلحة ووجه
الفضاء والمقدر هو الموجد على وفق ذلك العلم كما سبق بيانه وتاخير الدعاء على الجاحدين بعد ايضاح الحجة
عليهم وهو الترتيب الطبيعي والاشارة بالجاحدين الى صنف من العرب انكروا الخالق والبعث وقالوا بالدهر
المفنى كما حكيناه عنهم في الخطبة الاولى وهم الذين اخبر القرآن المجيد عنهم بقوله وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا
نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وقوله زعموا الى قوله صانع اشارة الى شبهتهم وهي من باب التمثيل فالاصل فيها
هو النبات والفرع انفسهم والحكم هو ما توهموه من كونهم بلا صانع كما ان النبات بلا زارع والعلة الجامع في التمثيل
هو اختلاف الحياة والموت عليهم كما اشار اليه القرآن الكريم حكاية عنهم نموت ونحيا او نحوه من الامور المشتركة
وان كانوا لا يعقلون لفظ الجامع ولا اصطلاح هذه الامور وتحقيق اجزاء التمثيل من صناعتهم عنها بمعزل وقد
علمت ان التمثيل بعد تمام اجزائه انما يفيد ظنا يختلف بالشدة والضعف وعلمت وجوه الفساد فيه وقوله ولم يلجاوا
الى قوله جان انكار ومنع لما ادعوه وانهم لم ياتوا فيه بحجة ولا تحقيق برهان ويحتمل ان يكون قوله وهل يكون الى
قوله جان تنبيها على وجود نقيض الحكم المدعى وهو كون خلقهم وخلقة النبات شاهدة بوجود صانع لها فذلك
التنبيه بالاشارة الى وسط قياس من الشكل الاول وكبراه في صورة الاستفهام وتقرير القياس انهم صنعة ولا
ما هو صنعة بلا صانع ينتج فلا شيء منها بلا صانع وهو نقيض المدعى ولما كانت الكبرى ضرورية اقتصر على التنبيه
عليها باستبعاد وجود البناء من غير بان والجناية من غير جان لان ترجيح احد طرفي الممكن على الاخر من غير مرجح محال
بالبديهة ومتمكن في فطر الصبيان والبهايم اذ كان الحمار عند صوت الخشبة يعدو خوفا من الضرب في ذلك الا مستقر في
فطرته ان حصول صوت الخشبة بدونها محال ثم لو سلم لهم ثبوت الحكم في الاصل وهو كون النبات بلا زارع فلم كان
عدم الزارع يدل على ان النبات لا فاعل له وانما يلزم ذلك ان لو كان الفاعل انما هو الزارع وذلك من الاوهام

الظاهر مكذبها بادى تأمل اذا استعقب بالنظر اذ كان الزارع ليس له الا اعداد ما للارض والبذر واما وجود
الزرع والنبات فيستند الى مدبر حكيم متعال عن الحق والمحسوس لا تدركه الابصار ولا تكشفه الاوهام والافكار
سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله وان شئت قلت في الجرادة الى قوله مستدقة قرر حسبه انه على وجود
الصانع الحكيم جلت عظمته في وجود بعض جزئيات مخلوقاته وصغيرها وهي الجرادة اي وان شئت قلت فيها ما قلت
في النملة وضربها فيها مثلا لاستيعابها كاشتمالها على وجوه الحكمة فيها بحيث يشهد ذلك بوجود صانع حكيم لها فنبه على بعض ما فيها من
الحكمة في خلقها وهي خلق العينين الحمراوين مع كون حدقتيها قمراوين واستعار لفظ السراج للحدقتين باعتبار
الحمرة التأثير والاضاءة ثم خلق السمع الخفي اي عن اعين الناظرين وقيل اراد بالخفي اللطيف السامع بحق الاصوات
ووصفه بالخفا مجازا اطلاقا لاسم المقبول على قابله ثم فتح الفم السوي فعيل بمعنى مفعول اي المستوي والشق
المعدول بحسب المنفعة الخاصة بها ثم خلق الحس القوي واراد بحسها قوتها الوهمية وبقويتها حذقها فيما تحتاله
من وجوه معاشها وتصرفها يقال لفلان حس حاذق اذا كان ذكيا فطنا دراكا ثم خلق النابين واستعار لفظ المنجلين
ليديها ووجه المشابهة تعوجهما وخشونتهما وقرن بذكر النابين والمنجلين ذكر ما بينهما وهما القرض والقبض ومن
لطيف حكمته تعالى في الرجلين ان جعل بعضهما اللذين تقع عليهما اعتمادها وجلوسها شوكا كالمنشار ليكون لهما
معينا على النهض ووقاية لهما عند جلوسها ونهضها عن الطيران وقوله ترهبها الزراع الى قوله شهواتها اي انها
اذا توجهت بعساكرها من ابناء نوعها الى البقعة وهجمت على زروعها واشجارها اهلكته ولم يستطع احد دفعها حتى لو
ملكا من الملوك اجلب عليها بخيله ورجله ليحمى بلاده منها لم يتمكن من ذلك وفي ذلك تنبيه على عظمة الخالق سبحانه
وتعالى وتدبير حكمته اذ كان بعث اضعف خلقه على اقوى خلقه وبين الضعيف من اسباب الغلبة ما لا يستطيع دفعه منها
حتى ترد ما تريد وروده وتقضي منه شهوتها ثم تحل باختيار منه وترحل باختيار ومن عجائب الخواص المودعة في الجرادة انها
تلتمس لبيضها الموضع الصلد والصخور الملس ثقة بانها اذا ضربت فيها باذنابها انفرجت لها وهو معلوم ان ذلك ليس
بقوة اذ ليس ذنب الجرادة من القوة ان يحفر في الحجر الذي يعجز عنه المعول بحدة فيه لولا خاصية لها هناك ثم اذا اضربت
في تلك البقاع والقت بيضها وانضمت عليها تلك الاخاديد التي احدثتها وصارت لها كالافاحيص صارت حاضنة
لها ومربية وحافظة وواقية حتى اذا جاء وقت دبيب الروح خرجت من البيض صهب الى البياض ثم تصفر ثم تتلون
فيه خطوط الى السواد ثم تصير فيه خطوط سود وبيض ثم يبدو حجم جناحيه ثم يستقل فيموج بعضه في بعض وقيل ان الجراد
اذا اراد الخضرة ودونها نهر صار بعضه جسرا لبعض ليعبر اليها فمن الناس من جعل ذلك حيلة لها انما اياها ولا
قوم وقال الوابل الرجل الاول من الدبا اذا اراد الخضرة ولا يقدر عليها الا بالعبور اليها عبرها فاصارت تلك
القطعة فوق الماء طافية صارت للزحف الثاني لعدم بريد الخضرة كالارض ودعا تعل لها خواص لجزئ لا يعلمها
عالما غير بصدده وقوله وخلقها كله لا يكون اصبعا مستدقة الواو للحال اي انه تعالى خلقها على ما وصفت واودعها من
عجائب الصنع ما ذكرت بحيث يخاف منها كالزراع مع ان خلقها كله دون الاصبع المستدقة وهذه الكلمة من تمام

العجيب

العجيب من خلق الله فيها الامور الموصوفة حتى لو قدرنا انها وصفت لمن لم يرها لربما اعتقد ان لها خلقا عظيما
تستند اليه هذه الاوصاف ولم يكن عنده تعجب حتى يتبين مقدار خلقها وصغر صورتها ثم لما بين بعض مبدعاته
ومكوناته نوه بزيادة عظمته تعالى وبركته باعتبار كونه معبودا لمن في السموات ومن في الارض فله يسجد ويعنو طوعا
وكرها كل بعبادة تخصه وسجود لا يمكن من غيره مع اشتراك الكل في الدخول تحت ذل الحاجة الى كمال قدرته
وخضوع الامكان بين يدي رحمته واليه الاشارة بقوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها
وكذلك قوله ويعفر له خدا ووجها فما كان ذا وجه وخد حقيقة فلفظ التعفير صادق عليه حقيقة وما لم يكن
فلفظ السجود صادق عليه استعارة لخضوعه الخاص به ولفظ التعفير والخد والوجه ترشيحات على ان موضع السجود
في اللغة هو الخضوع وكذلك الطلاق اعطاء القياد ووصف الرهبة والخوف ونصبهما على المفعول له وقوله
فالطير مسخرة لامره كقوله تعالى والطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله وكونها مسخرة يعود الى دخولها
تحت حكم تصرف القدرة فيها قدرة وعلما والخاص تخصيصا وتعيينا واحصاء الريش منها والنفس باعتبار دخولها
تحت تصرف العلم بعلمه تعالى وارساؤها اي تثبيتها على قوائمها في الندى كطير الماء واليبس كطير البر باعتبار
دخولها تحت قدرته وخلقها كذلك وتقديره لاقواتها وما يصلح منها وملكيته باعتبار دخولها تحت قدرته
وعلمه معا اذ كان التقدير هو اثر الملك المقادير واعدادها على وفق العلم الالهي واحصاء اجناسها باعتبار
علمه تعالى وقوله فهذا غراب الى قوله نعام تفصيل لانواعها ولم يرد الجنس بالاصطلاح الخاص بل اللغوي وهو
النوع في المصطلح العلمي وداعيه كل فريقين من الاربع التجع المتوازنين وقوله دعا كل طائر باسمه فالدعا استعارة
في امر كل نوع بالدخول في الوجود وقد عرفت ان ذلك الامر يعود الى حكم القدرة الالهية العظيمة عليه بالدخول
في الوجود ووجه الاستعارة ما يشترك فيه معنى الدعا والامر من طلب دخول ماهية المطلوب بالدعا والامر في
الوجود وهو كقوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضيهن الاية ولما استعار
لفظ الدعاء رشح بذكر الاسم لان الشيء انما يدعى باسمه ويحتمل ان يريد الاسم اللغوي وهو العلامة فان لكل نوع
من الطير خاصة وسمة ليست للاخر ويكون المعنى انه تعالى اجرى عليها حكم القدرة بما لها من السمات والخواص
في العلم الالهي واللوح المحفوظ وقال بعض الشارحين اراد اسماء الاجناس وذلك ان الله تعالى كتب في اللوح
المحفوظ كل لغة تواضع عليها العباد في المستقبل وذكر الاسماء التي يتواضعون عليها وذكر لكل اسم مسماه فعند
ارادة خلقها نادى كل نوع باسمه فاجاب دعواه واسرع في اجابته واعلم انك اذا تاملت حكمة الصانع الحكيم
في خلق الطاير شاهدت عجبا فانه حين اقتضت الحكمة الالهية ان يكون طايرا في الجو خفف جسمه وادمج خلقه
فاقتصر من القوائم على اثنين ومن الاصابع على اربع ومن منفذين للزبل والبول على منفذ ثم خلقه تعالى
على جؤجؤ محدب ليسهل عليه خرق الهوا كما يجعل صدر السفينة بهذه الهيئة ليشق الماء وخلق في جناحيه وذنبه
ريشات طوال لينهض بها الى الطيران وكسي جسمه كله ريشا ليتداخله الهوا فيقله ولما كان طعامه الحب واللحم

يبلعه لقما من غير مضغ نقص من خلقه الاسنان وخلق له منقارا صلبا واعانه بفضل حرارة في جوفه يستغني بها
عن المضغ ثم خلقه تعالى يبيض بيضا ولا يلد لكيلا يثقل بكون الفراخ في جوفه عن الطيران وجعل عوض استمداد
الولد في البطن استمداده في البيضة بحرارة الحضن يشارك من الذكر والانثى في ذلك ومن العناية الالهية بدوام
نسله وبقائه ان الحمام اعطف على فراخه فلقط الحب فيغذو به فراخه بعد استقراره في حوصلته ليلين واذا
فكرت في الحوصلة وجدتها كالمخلاة المعلقة امامه فهو يعبر فيها ما اراد من الطعم بسرعة ثم ينفذ الى القانصة
على مهل وذلك ان مسالك الطعم الى القانصة ضيق لا ينفذ فيه الطعم الا قليلا قليلا فلو كان هذا الطاير
لا يلتقط حبة ثانية حتى يصير الاولى الى القانصة لطال ذلك عليه فخلق تعالى له الحوصلة لذلك ثم انظر
الى الريش الذي تراه في الطواويس والدرابيج وغيرها على استواء ومقابلة على نحو ما يخط بالاقلام وكذلك
انظر الى العمود الجامع للريشة الذي يجري مجرى الجدول الممد للريشة والمغذي لها وخلق عصبي الجوهر صلبا
متينا ليحفظ الريش ويمسكه بصلابته فسبحان الذي خلق الازواج كلها واحصى كل شيء عددا واحاط بكل شيء علما
وقوله وانشاء السحاب الى قوله اشارة الى كمال قدرته باعتبار خلقه السحاب الثقال بالماء وارسال ديمها وهي
امطارها وتعديد قسمها وهي ما يصيب كل بلد وارض منها من القسم وظاهر انه بها يحيا الارض بتلك البلدة بعد
الجفاف ثم يخرج منها النبات بعد الجدب واليه الاشارة بقوله تعالى اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز
فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** في التوحيد
قال السيد رحمه الله وتجمع هذه الخطبة من اصول العلم ما لم تجمعه خطبة ما وحده من كيفه ولا حقيقته اصاب
من مثله ولا اياه عنى من شبهه ولا صمده من اشار اليه وتوهمه كل معروف بنفسه مصنوع وكل قائم في سواه
معلول فاعل لا باضطراب آلة مقدر لا بجول فكرة غني لا باستفادة لا تصحبه الاوقات ولا ترفده الادوات سبق
الاوقات كونه والعدم وجوده والابتداء ازله بتشعيره المشاعر عرف ان لا مشعر له وبمضادته بين الامور عرف
ان لا ضد له وبمقارنته بين الاشياء عرف ان لا قرين له ضاد النور بالظلمة والوضوح بالبهمة والجمود بالبلل
والحرور بالصرد مؤلف بين متعادياتها مفرق بين متدانياتها مقرب بين متباعداتها مفارق بين متبايناتها
لا يشمل بحد ولا يحسب بعد وانما تحد الادوات انفسها وتشير الآلات الى نظائرها منعتها منذ القدمة وحمتها
قد الازلية وجنبتها لولا التكملة بها تجلى صانعها للعقول وبها امتنع عن نظر العيون لا يجري عليه السكون و
الحركة وكيف يجري عليه ما هو اجراه ويعود فيه ما هو ابداه ويحدث فيه ما هو احدثه اذا لتفاوتت ذاته ولتجزأ كنهه
ولامتنع من الازل معناه ولكان له وراء اذ وجد له امام ولالتمس التمام اذ لزمه النقصان واذا لقامت آية
المصنوع فيه ولتحول دليلا بعد ان كان مدلولا عليه وخرج بسلطان الامتناع من ان يؤثر فيه ما يؤثر في غيره
الذي لا يحول ولا يزول ولا يجوز عليه الافول لم يلد فيكون مولودا ولم يولد فيصير محدودا جل عن اتخاذ الابناء
وطهر عن ملامسة النساء لا تناله الاوهام فتقدره ولا تتوهمه الفطن فتصوره ولا تدركه الحواس فتحسه ولا

الايدي

الايدي فتمسه ولا يتغير بحال ولا يتبدل في الاحوال ولا تبليه الليالي والايام ولا يغيره الضياء والظلام ولا يوصف
بشيء من الاجزاء ولا بالجوارح والاعضاء ولا بعرض من الاعراض ولا بالغيرية والابعاض ولا يقال له حد ولا نهاية
ولا انقطاع ولا غاية ولا ان الاشياء تحويه فتقله او تهويه او ان شيئا يحمله فيميله او يعدله ليس في الاشياء
بوالج ولا عنها بخارج يخبر لا بلسان ولهوات ويسمع لا بخروق وادوات يقول ولا يلفظ ويحفظ ولا يتحفظ و
يريد ولا يضمر يحب ويرضى من غير رقة ويبغض ويغضب من غير مشقة يقول لما اراد كونه كن فيكون لا بصوت
يقرع ولا نداء يسمع وانما كلامه سبحانه فعل منه انشاه ومثله لم يكن من قبل ذلك كائنا ولو كان قديما لكان الها
ثانيا لا يقال كان بعد ان لم يكن فتجري عليه الصفات المحدثات ولا يكون بينها وبينه فصل ولا له عليها فضل
فيستوي الصانع والمصنوع ويتكافأ المبتدع والبديع خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره ولم يستعن على
خلقها باحد من خلقه وانشأ الارض فامسكها من غير اشتغال وارساها على غير قرار واقامها بغير قوائم ورفعها
بغير دعائم وحصنها من الاود والاعوجاج ومنعها من التهافت والانفراج ارسى اوتادها وضرب اسدادها
واستفاض عيونها وخد اوديتها فلم يهن ما بناه ولا ضعف ما قواه هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته وهو
الباطن لها بمعرفته وعلمه والعالي على كل شيء منها بجلاله وعزته لا يعجزه شيء منها طلبه ولا يمتنع عليه فيغلبه ولا
يفوته السريع منها فيسبقه ولا يحتاج الى ذي مال فيرزقه خضعت الاشياء له وذلت مستكينة لعظمته لا تستطيع
الهرب من سلطانه الى غيره فتمتنع من نفعه وضره ولا كفو له فيكافئه ولا نظير له فيساويه هو المفني لها بعد وجودها
حتى يصير موجودها كمفقودها وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها باعجب من انشائها واختراعها وكيف ولو اجتمع
جميع حيوانها من طيرها وبهائمها وما كان من مراحها وسائمها واصناف اسناخها واجناسها ومتبلدة اممها واكياسها
على احداث بعوضة ما قدرت على احداثها ولا عرفت كيف السبيل الى ايجادها ولتحيرت عقولها في علم ذلك و
تاهت وعجزت قواها وتناهت ورجعت خاسئة حسيرة عارفة بانها مقهورة مقرة بالعجز عن انشائها مذعنة بالضعف عن افنائها وانه
سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت
ولا مكان ولا حين ولا زمان عدمت عند ذلك الآجال والاوقات وزالت السنون والساعات فلا شيء
الا الواحد القهار الذي اليه مصير جميع الامور بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها وبغير امتناع منها كان فناؤها
ولو قدرت على الامتناع لدام بقاؤها لم يتكاءده صنع شيء منها اذ صنعه ولم يؤده منها خلق ما براه وخلقه
ولم يكونها لتشديد سلطان ولا لخوف من زوال ونقصان ولا للاستعانة بها على ند مكاثر ولا للاحتراز بها
عن ضد مثاور ولا للازدياد بها في ملكه ولا لمكاثرة شريك في شركه ولا لوحشة كانت منه فاراد ان
يستانس اليها ثم هو يفنيها بعد تكوينها لا لسأم دخل عليه في تصريفها وتدبيرها ولا لراحة واصلة اليه ولا
لثقل شيء منها عليه لا يمله طول بقائها فيدعوه الى سرعة افنائها لكنه سبحانه دبرها بلطفه وامسكها
بامره واتقنها بقدرته ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه اليها ولا استعانة بشيء منها عليها ولا

تاهت وعجزت قواها و

خلقها

من حال وحشه الى حال استيناس ولامن حال جهل وعمى الى علم والتماس لامن فقر وحاجة الى غنى وكثرة ولا من
ذل وضعة الى عز وقدرة **اقول** صمد اى قصد وترقه نعيمه والوضوح والوضح البياض والبهمة السواد والحر
هنا الحرارة والصر البرد والاقول الغيبة والولج الداخل وخلا مضى وسبق والاود الاعوجاج والتهافت
التساقط والاسداد جمع سد وقد يضم وهو كل ما حال وحجز بين شيئين وخد شق ومراحها ما يراح منها فى مرابطها
ومعاطنها وسايمها ما ارسل منها للرعى واساختها اصولها والبلدة والبلادة وهى ضد الذكاء والاكياس
ذوا الذكاء والفهم ونكاة أوه لامر شق عليه وصعب واوده اثقله والمثاور والمواثب واعلم ان مدار هذه الخطبة
على التوحيد المطلق والتنزيه المحقق وقد اشار الى توحيده ثم وتنزيهه باعتبارات من الصفات الاضافية
والسلبية فالاول قوله ما وحده من كيفه دلت هذه الكلمة بالمطابقة على سلب التوحيد له عمن وصفه
بكيفية وبالالتزام على انه لا يجوز تكييفه لمنافاة ذلك للتوحيد الواجب له ثم ولنشير الى معنى الكيفية ليتبين
انه لا يجوز وصفه بها فنقول اما رسمها فقيل انها هيئة قارة فى المحل لا يوجب اعتبار وجودها نسبة الى امر خارج
عنه ولا قسمة فى ذاته ولا نسبة واقعة فى اجزائه وبهذه القيود يفارق سائر الاعراض واقسامها اربعة
فانها اما ان تكون مختصة بالكم من جهة ما هو كم كالمثلثية والمربعية وغيرها من الاشكال المسطوحة و
كالاستقامة والانحناء للخطوط وكالفردية والزوجية للاعداد وهذا قسم اول واما ان لا تكون مختصة
به وهى اما ان تكون محسوسة كالالوان والطعوم والحرارة والبرودة وهذا ينقسم الى راسخة كصفرة الذهب
وحلاوة العسل وتسمى كيفيات انفعالية اما لانفعال الحواس عنها واما لانفعالات حصلت فى الموضوع
عنها او غير راسخة اما سريعة الزوال كحمرة الخجل وتسمى انفعالات لكثرة انفعالات موضوعاتها تشبيها
بها وهذا قسم ثانى واما ان لا تكون محسوسة وهى اما استعدادات اما لكمالات كالاستعداد
للمقاومة والدفع واما للانفعال وتسمى قوة طبيعية كالمصارعة والصلابة او لنقايص مثل الاستعداد
بسرعة للاذعان والانفعال وتسمى ضعفا ولا قوة طبيعية كالممراضية واما ان لا تكون استعدادا
لكمالات ونقايص بل تكون فى انفسها كمالات ونقايص وهى مع ذلك غير محسوسة بذواتها فما كان منها
ثابتا يسمى ملكة كالعلم والعفة والشجاعة وما كان سريع الزوال يسمى حالا كغضب الحليم ومرض المصحاح
فهذه اقسام الكيف اذا عرفت ذلك فنقول انما قلنا انه لم يوحده من وصفه بالكيفية لما بيناه فى
الخطبة الاولى من قوله عليه السلام فى وصفه سبحانه فمن وصفه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه كما سبق تقريره فينتج
ان من وصف الله سبحانه فقد ثناه وحينئذ يتبين ان من كيفه لم يوحده لان توحيده وتثنيته مما لا يجتمعان
الثانى ولا حقيقته اصاب من مثله اى جعل له مثلا وذلك ان كل ما له مثل فليس بواجب الوجوب لذاته
لان المثلية اما ان تتحقق من كل وجه فلا تعدد اذن لان التعدد يقتضى المغايرة بامر ما وذلك ينافى الا
والمثلية من كل وجه هذا خلف واما ان تتحقق من بعض الوجوه وحينئذ ما به التماثل اما الحقيقة او

جزؤها او امر خارج عنها فان كان الاول كان ما به الامتياز عرضيا للحقيقة لازما او زايلا لكن ذلك
باطل لان المقتضى لذلك العرضية اما الماهية فيلزم ان يكون مشتركا بين المثلين لان تقتضى الماهية
الواحدة لا تختلف فما به الامتياز لاحد المثلين عن الاخر حاصل للاخر هذا خلف وغيرها فتكون ذات
واجب الوجود مفتقرة فى تحصيل ما يميزها من غيرها الى غير خارجى هذا محال واما ان كان ما به التماثل و
الاتحاد جزءا من المثلين لزم كون كل منهما مركبا فكل منهما ممكن هذا خلف وبقى ان يكون التماثل بامر خارج
من حقيقتهما مع اختلاف الحقيقتين لكن ذلك باطل اما اولا فلامتناع وصف واجب الوجود بامر خارج
عن حقيقته لاستلزام اثبات الصفة له تثنيته وتركيبه على ما مر واما ثانيا فلان ذلك الامر الخارجى الشر
ان كان كمالا للذات واجب الوجود فواجب الوجود لذاته مستفيد للكمال من غيره هذا خلف وان لم يكن
كمالا كان اثباته له نقصا لان الزيادة على الكمال نقص فثبت ان كل ما له مثل فليس بواجب الوجود لذاته
فالطالب لمعرفته اذا اصاب ما له مثل فقد اصاب ما ليس بواجب الوجود لذاته فلم يصب صانع العالم و
مقصود الكلمة نفى المثل له تعالى فى مقام التوحيد اليه والنظر لطلب معرفته الثالث ولا اياه عنى من شبهه
ومعنى هذه القرينة كالتى قبلها الرابع ولا صمده من اشار اليه وتوهمه وذلك ان الاشارة اليه اما حسية او عقلية
والاولى مستلزمة للوضع والجهة والشكل والتحيز كما علم فى غير هذا الموضع وذلك على واجب الوجود محال
واما الثانية فقد علمت ان النفس الانسانية ما دامت فى عالم الغربة اذا توجهت لاقتناص امر معقول
من عالم الغيب فلا بد ان تستتبع القوة الخيالية والوهمية للاستعانة بهما على ستثبات المعنى المعقول
وضبطه فاذن يستحيل ان يشير العقل الانسانى الى شئ من المعانى الالهية الا مشاركا من الوهم والخيال
واستتباعهما وكيفية يكون عليها لكن قد علمت تنزيهه تعالى عن الكيفيات والصفات والحدود و
الهيات فكان المشير اليه والمدعى لاصابة حقيقته قاصدا فى تلك الاشارة الى ذى كيفية وحال هو واجب
الوجود فلم يكن قاصدا الواجب الوجود وقد بينا فيما سلف امتناع الاشارة اليه الخامس قوله كل معروف
بنفسه مصنوع صغرى قياس من الشكل الاول استغنى معها عن ذكر الدعوى لدلالتها عليها وهى انه تعالى ليس
معلوما بنفسه اى ليس معلوم الحقيقة بالكنه وتقدير الكبرى ولا شئ مما هو مصنوع باله العالم واجب
الوجود لذاته دايما ينتج انه لا شئ من المعلوم بنفسه بواجب الوجود واله العالم دايما وينعكس لا شئ من واجب
الوجود معلوم بنفسه او من الشكل الثانى ويكون تقدير الكبرى ولا شئ مما هو واجب الوجود بمصنوع وينتج
النتيجة المذكورة وينعكس ويحتمل ان يكون المقدمة المذكورة هى الكبرى من الشكل الثانى ولا حاجة الى
العكس المذكور ويحتمل ان يبين المطلوب المذكور بقياس استثنائى متصل وتكون المقدمة المذكورة تنبيها
على ملازمة المتصلة وبيانها وتقديرها لو كان تعالى معلوما بنفسه لكان مصنوعا لان كل معلوم بنفسه
مصنوع لكن التالى باطل فالمقدم كذلك فاما بيان ان كل معلوم بنفسه مصنوع فهو ان كل معلوم حقيقته

فانما يعلم من جهة اجزائه وكل ذى جزء فهو مركب فكل معلوم الحقيقة فهو مركب وكل مركب فمحتاج الى مركب وكل مركب مصنوع
يصنعه فاذن كل معلوم الحقيقة فهو مصنوع واما بطلان التالى فلانه تعالى لو كان مصنوعا لكان ممكنا مفتقرا
الى الغير فلا يكون واجب الوجود لذاته هذا خلف السادس وكل قائم فى سواه معلول كالمقدمة التى قبلها فى انها
يحتمل ان يكون صغرى قياس من الشكل الاول او الثانى لبيان انه تعالى ليس بقائم فى سواه اى ليس بعرض محتاج
الى محل يقومه وتقديره ان كل قائم فى سواه فهو معلول ولا شئ من القائم فى سواه بواجب الوجود وينعكس كنفسها
لا شئ من واجب الوجود بقائم فى سواه ويحتمل ان يكون كبرى القياس ولا حاجة الى عكس النتيجة ويحتمل ان يكون
ذكرها تنبيها على ملازمة قياس استثنائى اى لو كان قائما فى سواه لكان معلولا لكن التالى باطل فالمقدم كذلك
وبيان الملازمة ان القائم بغيره مفتقر الى المحل وكل مفتقر الى غيره ممكن وكل ممكن فمعلول فى وجوده وعدمه
اما بطلان التالى فلانه لو كان معلولا لما كان واجب الوجود السابع فاعل لا باضطراب آلة اما انه فاعل فلانه موجد
العالم واما انه منزه فى فاعليته عن اضطراب الآلة فلتنزهه عن الآلة التى هى من عوارض الاجسام وقد سبق بيانه
الثامن مقدر لا بجول فكرة ومعنى كونه مقدرا كونه معطيا لكل موجود المقدار الذى يختص من الكمال من الوجود
ولواحق الوجود كالاجل والرزق ونحوهما على وفق القضاء الالهى وكون ذلك لا بجول فكرة لان الفكر من لواحق النفوس
البشرية بالتربية وقد سبق تقديس تعالى عن ذلك التاسع كونه غنيا لا باستفادة وكونه غنيا يعود الى عدم حاجته
فى شئ ما الى شئ ما اذ لو حصل له شئ باستفادة من خارج كساير الاغنياء لزم كونه ناقصا بذاته مفتقرا الى ذلك المستفاد
موقوفا على حصول سببه فكان ممكنا هذا خلف وهو تنزيه له عن الغنى المشهور للناس العاشر كونه لا تصحبه الاوقات
وذلك ان الصحبة الحقيقية تستدعى المعية والمقارنة اللذين هما من لواحق الزمان الذى هو من لواحق الحركة التى هى
من لواحق الجسم المتأخر وجوده عن وجود بعض الملائكة المتأخر وجوده عن وجود الصانع الاول جلت عظمته فكانت
الزمان والوقت متأخرا عن وجوده تعالى بمراتب من الوجود فلم يصدق صحبة الاوقات لوجوده ولا كونها ظرفا له
والا لكان مفتقرا الى وجود الزمان فكان يمتنع استغناؤه عنه لكنه سابق عليه فوجب استغناؤه عنه ثم قد يحكم الوهم
بصحبة الزمان للمجردات ومعيتها لها حيث يقيسها الى الزمانيات اذ كان لا يتعقل المجردات الا كذلك الحادى عشر كونه
لا يرفده الادوات وظاهر ان المفتقر الى المعونة باداة وغيرها ممكن لذاته فلا يكون واجب الوجود ولانه تعالى
خالق الادوات فكان سابقا عليها فى تأثيره فكان غنيا عنها فيمتنع عليه الحاجة الى الاستعانة بها الثانى عشر سبق
الاوقات كونه اى وجوده وقد مر بيانه الثالث عشر والعدم وجوده اى وسبق وجوده العدم وبيانه انه تعالى
مخالف لساير الموجودات الممكنة فانها محدثة فيكون عدمها سابقا على وجودها ثم ان لم يكن كذلك فوجودها
وعدمها بالنسبة الى ذواتها على سواء كما بين فى مظانه ومظان ذواتها انها لا تستحق وجودا ولا عدما الذوات لو تركت لذاتها
عدم سابق على وجودها فعلى كل تقدير فوجودها يكون مسبوقا بعدم بخلاف الموجود الاول جلت عظمته فانه
لما كان واجب الوجود لذاته كان لما هو موجودا فكان لا حظ فى العدم له بحال فكان وجوده سابقا على العدم

المفتقر بغيره من الممكنات ولان عدم العالم قبل وجوده كان مستندا الى عدم الداعى الى ايجاده المستند الى وجوده
فكان وجوده تعالى سابقا على عدم العالم ثم بينين الرابع عشر والابتداء ازله وذلك ان الازل عبارة عن عدم
الاولية والابتداء وذلك امر يلحق واجب الوجود لما هو هو بحسب الاعتبار العقلى وهو سابق فى لحوق الابتداء
والاولية لوجوده تعالى فاستحال ان يكون له ابتداء لامتناع اجتماع النقيضين بل سبق ازله الابتداء ما كان له
ابتداء وجوده من الممكنات اذ هو مبدؤها ومصدرها الخامس عشر تشعيره المشاعر عرف ان لا مشعر له وذلك انه
تعالى لما خلق المشاعر واوجدها وهو المراد بتشعيرها امتنع ان يكون له مشعر وحاسة والا لكان وجودها
له اما من غيره وهو محال اما اولا فلانه مشعر المشاعر واما ثانيا فلانه يكون محتاجا فى كماله الى غيره فهو ناقص بذاته
هذا محال واما منه وهو ايضا محال لانها ان كانت من الكمالات الوجودية كان موجدا لها من حيث فاقدا لكماله
ناقصا بذاته هذا محال وان لم يكن كمالا كان اثباتها له نقصا لان الزيادة على الكمال نقصان فكان ايجاده لها
مستلزما للنقصان وهو محال السادس عشر وبمضادته بين الامور عرف ان لا ضد له لانه لما كان خالق الاضداد
فلو كان له ضد لكان مخالفا لنفسه ولضده وذلك محال ولانك لما علمت ان المضادة من باب المضاف
وعلمت ان المضاف ينقسم الى حقيقى وغير حقيقى فالحقيقى هو الذى لا تعقل ماهيته الا بالقياس الى غيره وغير
الحقيقى هو الذى له فى ذاته ماهية غير الاضافة تعرض لها الاضافة وكيف ما كان لا بد من وجود الغير حتى
يوجد المضاف من حيث هو مضاف فيكون وجود احد المضافين متعلقا بوجود الاخر فلو كان لواجب الوجود
ضد لكان متعلق الوجود بالغير فلم يكن واجب الوجود لذاته هذا خلف ولان الضدين هما الامران الثبوتيان
اللذان يتعاقبان على محل واحد ويمتنع اجتماعهما فيه فلو كان بينه وبين غيره مضادة لكان محتاجا الى المحل يعاقبه
ضده عليه وقد ثبت انه تعالى الغنى عن كل شئ من كل شئ السابع عشر وبمقارنته بين الاشياء عرف ان لا قرين له وبيانه
اما اولا فلانه تعالى خالق المقترنات ومبدأ المقارنة بينها فلو كان تعالى مقارنا لغيره لكان خالقا لنفسه والغير
وذلك محال لان المقارنة من باب المضاف ويمتنع ان يلحقه على ما تقدم الثامن عشر كونه ضاد النور بالظلمة اى الامور
المتضادة تأكيد القول بمضادته للاشياء فيها النور والظلمة وفى كونهما ضدين خلاف بين العلماء مبنى على كون
الظلمة امرا وجوديا او عدميا فالاولون انها امر وجودى مضاد للنور وقال بعضهم انها عبارة عن عدم الضوء عما
من شأنه ان يضئ وليت على هذا القول عدما صرفا فالجاز ان يطلق عليها انها ضد مجازا ومنها البياض والسواد
والجمود والبلل اى اليبوسة والرطوبة والحرارة والبرودة ومضادته بينها خلقها على ما هى عليه من الطبايع
المتضادة التاسع عشر كونه مؤلفا بين متعادياتها فى امزجة المركبات من العناصر الاربعة فانه جمع بينها فيها
على وجه الامتزاج حتى حصل بينها كيفية متوسطة على ما مر بيانه فى الخطبة الاولى
الثانى والعشرون كونه مفرقا بين متدانياتها اى بالموت والفساد المركبات وبطلان تركيبها ولما اشار
الى استناد كون هذه المركبات فى هذا العالم اليه اشار الى استناد فسادها اليه ايضا هو مسبب الاسباب

فقد طاوعته عليه السلام المطابقة في هذه القرائن والتأليف بازاء المعاداة والمقارنة بازاء المباينة والقرب بازاء البعد والتفريق بازاء الاتلاف الثالث والعشرون كونه تعالى لا يشمله حد والمراد اما الحد الاصطلاحي وظاهر كونه تعالى لا حد له اذ لا جزء له فلا تشمل ويحاط حقيقته بحد واما الحد اللغوي وهي النهاية التي تحيط بالجسم فيقف عندها وتنتهي هي واوقد لك لواحق الكم المتصل والمنفصل وهما من الاعراض ولا شيء من واجب الوجود سبحانه بعرض ومحل له فامتنع ان يوصف بالنهاية واما وصفه باللانهاية فعلى سبيل سلب النهاية عنه مطلقا لسلب معروضها كالمقدار مثلا لا على سبيل العدول بمعنى انه معروض النهاية واللانهاية لكن ليست لها حاصلة الرابع والعشرون كونه لا يحسب بعدد اي لا تجمعه الحساب فلا تعد فيدخل في جملة المحسوبات المعدودة وذلك ان العدد من لواحق الكم المنفصل الذي هو العدد كما هو معلوم في مظانه والكم عرض وقد ثبت انه ثم ليس بعرض ولا محل له واستحال ان يكون معدودا وقوله وانما تحد الادوات انفسها فالادوات اشارة الى الالات البدنية والقوى الجسمانية وقد ثبت انها لا يتعلق ادراكها الا بما كان جسما او جسمانيا او ما له في موضعه فمعنى قوله وانما تحد الادوات انفسها اي انما تدرك الاجسام والجسمانيات ما هو مثلها من الاجسام والجسمانيات ومثل الشيء هو هو في النوع او الجنس ويحتمل ان يدخل في ذلك العقل والفكر لانها تفكر عن الوهم والخيال حين توجهها الى المعقولات لما بيناه من حاجتها اليهما في التصوير والتمثيل فكان لا يتعلق الا بما تمثل ممكن ولا يحيط الا بما هو في صورة جسم او جسماني ولذلك قوله ويشير الاشياء الى نظائرها وقوله منعتها منذ القدمة وحمتها قد الازلية وجنبتها لولا التكملة الضماير المتصلة بالافعال الثلثة تعود الى الالات والادوات وهي مفعولات اولى والقدمة والازلية والتكملة مفعولات ثانية ومنذ وقد ولولا محلها الرفع بالفاعلية ومعنى الكلمة الاولى ان اطلاق لفظة منذ على الالات والادوات في مثل قولنا هذه الادوات وجدت منذ كذا يمنع كونها قديمة اذ كانت وضعها لابتداء الزمان فكانت لاطلاقها عليها متعينة لابتداء ولا شيء من القديم بمتعين الابتداء فينتج انه لا شيء من هذه الادوات والالات بقديم وكذلك اطلاق لفظة قد عليها يحميها ويمنعها من كونها ازلية اذ كانت قد تفيد تقريب الماضي من الحال فاطلاقها عليها كما في قولك قد وجدت هذه الالة وقت كذا يحكم بقربها من الحال وعدم ازليتها ولا شيء من الازلي بقريب من الحال فلا شيء من هذه الالات بازلي وكذلك اطلاق لفظة لولا على هذه الالات يجنبها التكملة اذ كان وضع لولا دالا على امتناع الشيء لوجود غيره فاطلاقها عليها في مثل قولك عند نظرك الى بعض الالات المستحسنة والخلقة العجيبة والاذهان المتوقدة ما احسنها واكملها لولا ان فيها كذا فيدل بها على امتناع كمالها لوجود نقصان فيها فهي بما نعتت لها من الكمال المطلق واليها اشار ان الكامل القديم الكامل في ذاته التام في صفاته حدوثها ونقصانها ليؤكد كونها غير متعلقة بقديم سبحانه وانها في ابعد بعيد عن تقديره و الاشارة اليه ان كان القديم الكامل في ذاته التام في صفاته ابعد الاشياء عن مناسبة الحدث الناقص في ذاته

فكيف

فكيف يمكن ان يدركه او يليق ان يطلع في ذلك وقال بعض الشارحين المراد بالادوات والالات اهلها وقد روى برفع القدمة والازلية والتكملة على الفاعلية والضماير المتصلة بالافعال مفعولات اولى ومنذ وقد ولولا مفعولات ثانية ويكون المعنى ان قدمه وازليته وكماله منعت الادوات والالات من اطلاق منذ وقد ولولا عليه سبحانه لدلالتها على الحدوث والابتداء المنافيين لقدمه وازليته وكماله والرواية الاولى اولى لوجودها في نسخة الرضي رضي الله عنه بخطه وقوله بها تجلى صانعها للعقول اي بوجود هذه الالات ظهر وجوده تعالى للعقول اذ كان وجودها مستلزما لوجود صانعها بالضرورة واحكامها واتقانها شاهد بعلمه وحكمته شهادة تضطر الحكم بها العقول وكذلك تخصيصها بما خصصت به من الكمالات شاهد بارادته وكمال عنايته فيكون ما شهد به وجودها من وجود صانعها اجلى واوضح من ان يقع فيه شك او يجحده جاحد ويتفاوت ذلك الظهور والتجلي بحسب تفاوت صفاء النفوس وجلائها فمنهم من يراه بعد ومنهم من يراه مع ومنهم من يراه قبل ومنهم من يراه لا شيء معه اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقوله وبها امتنع من نظر العيون اي بايجادها وخلقها بحيث تدرك بحاسة البصر علم انه تعالى يمتنع ان يكون مرئيا مثلها وبيانه ان تلك الالات انما كانت متعلقة بحس البصر باعتبار انها ذات وضع ووجهة ولون وغيره من شرايط الرؤية ولما كانت هذه الامور ممتنعة في حقه تعالى لاجرم امتنع ان يكون محلا لنظر العيون وقال بعض الشارحين في بيان ذلك انه لما كانت المشاعر والحواس التي هي الالات المشار اليها كلت عقولنا وبعقولنا استخرجنا الدليل على انه لا يصح رؤيته فاذن بخلق هذه الادوات والالات لنا عرفناه عقلا وعرفناه انه يستحيل ان يعرف بغير العقل الخامس والعشرون كونه تعالى منزها ان يجري عليه السكون والحركة وقد اشار عليه السلام الى بيان امتناعهما عليه من وجه احدهما قوله وكيف يجري عليه ما هو اجراه وهو استفهام على سبيل الاستنكار لجريان ما اجراه عليه وعوده ما ابداه وانشاء اليه وحدوث ما احدثه فيه وبيان بطلان ذلك ان الحركة والسكون من اثاره سبحانه في الاجسام وكل ما كان من اثاره يستحيل ان يجري عليه فيكون من صفاته اما المقدمة الاولى فظاهرة واما الثانية فلان المؤثر واجب التقدم بالوجود على الاثر من صفاته اما المقدمة الاولى فظاهرة و اما الثانية فلان المؤثر في تلك الاثار اما ان يكون معتبرا في صفات الكمال فيلزم ان يكون تعالى باعتبار ما هو موجد له ومؤثر فيه ناقصا بذاته مستكملا بذلك الاثر والنقص عليه تعالى محال الثاني لو كان كذلك لزم التغير في ذاته تعالى ولحوق الامكان له ودل على ذلك بقوله اذن لتفاوتت ذاته اي تغيرت بطريان الحركة عليها تارة والسكون اخرى لان الحركة والسكون من الحوادث المتغيرة فيكون بسبب قبوله لها فيهما محلا للحوادث المتغيرات فكان متغيرا لكن التغير مستلزم للامكان فالواجب لذاته ممكن لذاته هذا خلف الثالث لو كان كذلك للزم حقيقته التجزية والتركيب لكن التالي باطل فالمقدم كذلك اما الملازمة فلان الحركة والسكون من عوارض الجسم الخاصة به فلو اتصف تعالى بهما لكان جسما وكل جسم فهو مركب قابل للتجزية واما بطلان

التالي فلان كل مركب مفتقر الى اجزائه وممكن فالواجب ممكن هذا خلف الرابع انه لو كان كذلك للزم ان يبطل من الازل معناه اما على طريق المتكلمين فظاهر لان الحركة والسكون من خواص الاجسام الحادثة فكان الموصوف بهما حادثا فلو كان تعالى موصوفا بهما لبطل من الازل معناه ولم يكن ازليا واما على راي الحكماء فلانه تعالى لكونه واجب الوجود لذاته يستحق الازلية لا لغاية بل لازليته علته وتمامها انه لا حاجة له في علته على امر ما في مؤثريتها الى حدوث الممكن ولم يكن له من ذاته الا كونه لا يستحق لذاته وجودا ولا عدما وهو معنى الحدوث الذاتي عندهم فعلى هذا لو كان تعالى قابلا للحركة والسكون لكان جسما ممكنا لذاته فكان مستحقا للحدوث الذاتي بذاته فلم يكن مستحقا للازلية بذاته فيبطل من الازلية معناه وهو استحقاقه للازلية بذاته لكن التالي باطل فالمقدم الخامس انه لو كان كذلك للزم ان يكون له وراء اذ كل امام لانهما اضافيان لا ينفك احدهما عن الاخرى لكن ذلك محال لان كل ذي وجهين فهو منقسم وكل منقسم فهو ممكن على ما مر السادس لو كان كذلك لالتمس التمام اذ لزمه النقصان وبيان الملازمة ان جريان الحركة عليه مستلزم لتوجهه بها الى غاية اما جلب منفعة او دفع مضرة او من لوازم حركات العقلاء ذلك وعلى التقديرين فهما كال بالطلب له لنقصان لا ذم لذاته لكن النقصان بالذات والاستكمال بالغير مستلزم للامكان فالواجب ممكن هذا خلف السابع لو كان كذلك لقامت اية المصنوع فيه وبيان الملازمة انه حينئذ يكون قادرا على الحركة والسكون ومقدرته عليهما ليست من خلقه والا لافتقر ايجادها الى قدرة اخرى سابقة عليها ولزم التسلسل وكان قادرا قبل ان كان قادرا وهما محالان فهي اذن من غيره فهو اذن مفتقر في كماله الى غيره فهو مصنوع وفيه ايات الصنع وعلامات التاثير فليس هو بواجب الوجود هذا خلف الثامن لو كان كذلك لتحول دليلا بعد ان كان مدلولا عليه وذلك ان يكون مصنوعا على ما مر وكل مصنوع فيستدل به على صانعه كما هو المشهور في الاستدلال بوجود العالم وحدوثه على وجود صانعه ولانه يكون جسما فيكون مصنوعا فكان دليلا على الصانع لكنه هو الصانع الاول للكل وهو المدلول عليه فاستحال ان يكون دليلا من جهة اثار الصنع فيه فاستحال ان يكون قابلا للحركة والسكون فاستحال ان يجريا عليه فانظر الى هذه النفس الملكية له عليه السلام كيف يفيض منها هذه الاسرار الالهية فيضا من غير تقدم مزاولة الصنايع العقلية وممارسة البحث في هذه الدقائق الالهية واما قوله وخرج بسلطان الامتناع الى قوله غيره فقد يسبق الى الوهم عطفه على الادلة المذكورة وظاهر انه ليس كذلك بل هو عطف على قوله امتنع اي بها امتنع عن نظر العيون وخرج بسلطان ذلك الامتناع الى ان يكون مثلها في كونها مرئية للعيون ومحلا للنظر اليها عن ان يؤثر فيه ما يؤثر في غيره من المرئيات وهي الاجسام والجسمانيات وظاهر انه تعالى لما امتنع عن نظر العيون لم يكن جسما ولا قائما به فخرج بسلطان ذلك الامتناع عن ان يؤثر فيه ما يؤثر في غيره من الاجسام والجسمانيات وعن قبول ذلك وقال بعض الشارحين انه عطف على قوله تجلى اي بها تجلى للعقول وخرج بسلطان الامتناع كونه مثلها اي بكونه واجب الوجود ممتنع

العدم

العدم عن ان يكون ممكنا فيقبل الاثر عنه كما يقبل الممكنات السادس والعشرون كونه تعالى لا يحول اي لا ينتقل ويتغير من حال الى حال لما علمت من استلزام التغير للامكان الممتنع عليه السابع والعشرون الثامن والعشرون وكذلك لا يجوز عليه الافول والغيبة بعد الظهور لما يستلزم من التغير ايضا التاسع والعشرون كونه لم يلد فيكون مولودا ولم يولد فيكون محدودا فالجملة الاولى تشتمل على دعوى والاشارة الى البرهان وهو في صورة قياس استثنائي تقديره لو كان له ولد لكان مولودا وحينئذ تكون الجملة الثانية وهي قوله ولم يولد في قوة استثناء نقيض التالي وقوله فيكون محدودا اعلم انه يحتمل ان يريد بقوله مولودا في قوة قياس استثنائي على بطلان التالي وظاهر تقديره لانه لو كان مولودا لكان محدودا واعلم انه يحتمل ان يريد بقوله مولودا ما هو المتعارف فيكون قد سلك في ذلك مسلك المعتاد الظاهر في بادي النظر بحسب الاستقراء ان كل ما له ولد فانه يكون مولودا وان لم يجب ذلك في العقل وقد علمت ان الاستقراء انما يستعمل في الخطابة ويحتج به فيها فيكون مقنعا اذ كانت غايتها الاقناع ويحتمل ان يريد به ما هو اعم من المفهوم المتعارف اعني التولد عن اخر مثله من نوعه فان ذلك غير واجب كما في اصول انواع الحيوان الحادثة وحينئذ يكون بيان الملازمة الاولى على الاحتمال الاول ظاهر واما على تقدير الثاني فنقول في بيانها ان مفهوم الولد هو الذي يتولد وينفصل عن اخر مثله من نوعه لكن اشخاص النوع الواحد لا يتعين في الوجود ويتشخص الا بواسطة المادة وعلائقها على ما علم ذلك في مظانه من الحكمة وكل ما كان ماديا وله علاقة بالمادة كان متولدا عن غيره وهو مادته وصورته وسبب وجوده وتركيبه واما بيان الملازمة الثانية في برهان بطلان التالي فلانه لما لزم من كونه ذا ولد ان يكون مثلا لغيره ثبت انه متولد من مادة وصورة ومركب عنهما وعن جزئين باحدهما يشارك ابناء نوعه وينفصل بالاخر فهو اذن مستند الى حدوده وهي اجزاؤه التي يقف عندها وينتهي التحليل اليها فثبت انه تعالى لو كان مولودا لكان محدودا ولانه لو كان مولودا لكان محاطا ومحدودا بالمحل الذي ولد منه لكن كل محدود على الاعتبارين مركب ممكن هذا خلف فاذن ليس هو بمحدود فليس هو بمولود فليس هو بذي ولد وان شئت ان تجعل المقدمتين في قوة قياس حملي مركب من شرطيتين متصلتين والشركة بينهما في جزء تام وتقديره لو كان تعالى ذا ولد لكان مولودا ولو كان مولودا لكان محدودا والنتيجة لو كان تعالى ذا ولد لكان محدودا ثم ينتج من استثناء نقيض تالي هذه النتيجة عين المطلوب وبيان الملازمتين ونقيض تالي النتيجة ما سبق الثلاثون كونه جل عن اتخاذ الابناء اي علا وتقدس عن ذلك وهو تاكيد لما سبق وبيانه انه يستلزم لحوق مرتبته مراتب الاجسام التي هي في معرض الزوال وقبول التغير والاضمحلال الحادي والثلثون كونه طهر عن ملامسة النساء وذلك لان الملامسة من الجسمية والتركيب الذي تنزه قدسه عنه وطهارته تعود الى تقدسه عن المواد وعلائقها من الملامسة والمباشرة وغيرها الثاني والثلثون كونه لا تناله الاوهام فتقدره اي لو نالته الاوهام لقدرته لكن التالي باطل فالمقدم كذلك بيان الملازمة انك علمت ان الوهم انما يدرك المعاني

المتعلقة بالمادة ولا يترفع ادراكه عن المعاني المتعلقة بالمحسوسات وشانه فيما يدركه ان يستعمل المتخيلة
في تقديره بمقدار مخصوص وكيفية معينة وهيئة مخصوصة ويحكم بانها مبلغه ونهايته فلو ادركته الاوهام لقدرته
بمقدار معين وفي محل معين فاما بطلان التالي فلان المقدر محدود ومركب ومحتاج الى المادة والمتعلق
بالغير وقد سبق بيان امتناع الثالث والثلثون ولا يتوهمه الفطن فتصوره وفطن العقول سرعة حركتها
في تحصيل الوسط في المطالب وانما قال لا يتوهمه الفطن لان القوة العقلية عند توجهها في تحصيل المطالب
العقلية المجردة لا بد لها من استتباع الوهم والمخيلة والاستعانة بهما في استثباتها بالتشبيه والتصوير
بصورة تحفظها الخيال على ما علمت ذلك في موضعه ولذلك ما كانت رؤيتها جبرئيل في صورة دحية الكلبي
وكذلك المعاني المدركة للنفوس حالة النوم من الحوادث فانها لا تتمكن من استثباتها عند اقتناصها من عالم
التجريد وبقائها الى حال اليقظة الا في صور خيالية مشاهدة كما علمت ذلك في صدر الكتاب فظهر ان
معنى قوله لا يتوهمه الفطن فتصوره اي لو ادركته لكان ذلك بمشاركة الوهم فكان يلزم ان تصوره بصورة
خيالية لكنه تعالى منزه عن الصورة فكان منزها عن ادراكها الرابع والثلثون لا تدركه الحواس فتحسه واما
لو ادركته الحواس لصدق عليه انها تحسه ولزم كونه محسوسا وبيان ذلك ان الادراك وان كان اعم من الاحساس
لكن باضافته الى الحواس صار مساويا وملازما له فان قلت انه لا معنى للاحساس الا ادراك الحواس فيكون
كانه قال لا تحسه الحواس فتحسه وذلك غير مفيد قلت ليس مقصوده انه يلزم من معنى الادراك معنى الاحساس
بل مراده ان الذي يصدق عليه انه ادراك الحواس هو المسمى بالاحساس فيكون التقدير ان الحواس لو ادركته
لصدق انها احسته اي لصدق هذا الاسم ولزم من صدقه عليها ان يصدق عليه كونه محسوسا واما الزم
ذلك لكون الاحساس اشهر وابين في الاستحالة عليه تعالى من الادراك المجمل كالاوسط في نفي ادراكها
عنه لشغبه واما بيان انه تعالى ليس بمحسوس فلانه ليس بجسم ولا جسماني وكل محسوس فاما جسم او جسماني
فينتج انه تعالى ليس بمحسوس الخامس والثلثون كونه تعالى لا تلمسه الايدي فتمسه اي لو صدق عليه انها تلمسه
لصدق انها تمسه وهو ظاهر اذ كان المس اعم من اللمس وكلاهما ممتنعان عليه لاستلزامهما الجسمية الممتنعة
عليه تعالى السادس والثلثون كونه لا يتغير بحال اي ابدا والبتة وعلى وجه من الوجوه السابع والثلثون
ولا يتبدل في الاحوال اي ينتقل من حال الى حال وقد سبق بيان ذلك الثامن والثلثون كونه لا تبليه الليالي
والايام اما اولا فلانه تعالى ليس بزماني يدخل تحت تصريف الزمان وحكمه واما ثانيا فلان البلى لحوق الابلاء
بتغيره وقد علمت امتناع التغير عليه واما ثالثا فلان البلى من الامور المادية وكل ذي مادة فهو مركب
على ما مر التاسع والثلثون كونه لا يغيره الضيا والظلام وذلك لامتناع التغير عليه الاربعون كونه لا
يوصف بشيء من الاجزاء لان كل ذي جزء مفتقر الى جزئه الذي هو غيره فكان مفتقرا الى غيره فكان ممكنا
في ذاته هذا خلف والحادي والاربعون ولا بالجوارح والاعضاء لما يلزم من الجسمية والتركيب والتجزية

الثاني والاربعون ولا بعرض من الاعراض اقول الاعراض تحصر في تسعة اجناس كما هو معلوم في منطقه
وذلك ان كل الموجودات سوى الله تعالى مقسوم بعشرة اقسام واحدها جوهر والتسعة الباقية اعراض
وبطلان تقسيم هكذا كل ما عداه سبحانه فوجوده زايد على ماهيته بالبراهين القاطعة فماهيته اما ان يكون
بحيث اذا وجدت كان وجودها لا في موضوع وهو المعنى بالجوهر او يكون وجودها في موضوع وهو المعنى بالعرض ونعني
بالموضوع المحل الذي لا يتقوم بما يحل فيه بل يتحقق حقيقته كما كانت قبل حلوله كالجسم الذي يحله السواد ثم العرض ينقسم
الى اقسامه التسعة وهي الكم والكيف والمضاف والاين ومتى والوضع والملك وان يفعل وان ينفعل ويسمى هذه
الاقسام مع القسم العاشر وهو الجوهر المقولات العشر والاجناس العالية ولنرسم كل واحد منها لنظهر انه تعالى
منزه عن الوصف بشيء منها فنقول اما الجوهر فقد عرفت رسمه واما الكم فرسم بانه العرض الذي يقبل لذاته المساواة
واللامساواة والتجزي ويقبل الجوهر بسببه هذه الصفات واما الكيف فقد عرفته وعرفت اقسامه واما الاضافة
فهي حالة للجوهر تعرض بسبب كون غيره في مقابلته ولا يعقل وجودها الا بالقياس الى ذلك الغير كالابوة والبنوة
وقد عرفتها وعرفت ايضا اقسامها من قبل واما الاين فهي حالة وهيئة تعرض للجسم بسبب نسبته الى المكان وكونه
فيه وليس مجرد النسبة اليه واما متى فهي حالة تعرض للشيء بسبب نسبته الى زمانه وكونه فيه او في طرفه واما
الوضع فهي هيئة تعرض للجسم بسبب نسبة اجزائه بعضها الى بعض نسبة تختلف الاجزاء لاجلها بالقياس الى سائر الجهات
كالقيام والقعود واما الملك فقد عرف بانه نسبة الى ملاصق ينتقل بانتقال ما هو منسوب اليه كالتسلح والتقمص
واما ان يفعل فهو كون الشيء بحيث يؤثر في غيره ما دام مؤثرا فيه كالتقطيع حالة التاثير واما ان ينفعل وهو كون
الشيء متاثرا كالتقطع اذا عرفت ذلك فنقول اما البرهان الجلي على امتناع اتصافه تعالى بهذه الاعراض واستحالة
كونه موضوعا لها فما سبق بيانه عليه السلام بقوله فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه وكذلك ما بيناه
من استلزام وصفه بشيء حصول التغير في ذاته وامتناع التغير عليه واما التفصيلي فاما امتناع وصفه بالكم فلانه لو صدق
عليه الكم لصدق عليه قبول المساواة والمفارقة والتجزي وكل قابل التجزي كان متكثرا وقابلا للكثرة وقد ثبت
انه تعالى واحد من كل وجه فيمتنع عليه الكم واما امتناع وصفه بالكيف فقد علمته في اول الخطبة وكذلك امتناع
وصفه بالمضاف واما وصفه بالاين فلانه يستلزم ان يكون متحيزا محويا لكن كونه كذلك محال فكونه في المكان
محال واما وصفه بمتى فقد عرفت انه تعالى ليس بزماني فاستحال ان يوصف بالنسبة الى زمان يكون له واما
وصفه بالوضع فلان الوضع من خواص المتحيزات فان الجسم المتناهي يحيط به سطح لا محالة او سطوح ينتهي عندها
فتكتنفه حدا وحدود ونهايات ويكون له شكل وهيئة لكنه تعالى ليس بمتحيز فاستحال ان يكون ذا وضع واما
الملك فلانه ايضا من خواص الاجسام المحاط بها اذ ما ليس بجسم لا يحاط به شيء ينتقل بانتقاله وقد تنزه تعالى
عن الجسمية وان يحيط به شيء واما ان يفعل فلان الفعل لا يصدق عليه الا بطريق الابداع ومحض الاختراع والابداع
هو ان يكون الشيء وجوده من غيره متعلقا به فقط دون توسط الا بطريق الابداع ومحض الاختراع والابداع

مادة او آلة او زمان والفعل اعم من الابداع اذ المفهوم من الفعل هو ان يوجد بسبب وجوده شيء آخر سوى
كان ذلك بسبب حركة من الفاعل او آلة او مادة او زمان او قصد اختياري فيقال للنجار انه فاعل وللشرط
فعل ويقال لا يتوسط بشيء من ذلك بل بطبع وتولد كالشمس فانها فاعلة للنور والنور فعلها والفعل ايضا
ينقسم الى ما يكون بقصد واختيار والى ما لا يكون كذلك بل يصدر عنه لانه ذات يفيض عنها ذلك الشيء ثم
ان كان قابلا بفيضان الشيء عنه سميت تلك الافاضة جودا والفاعل بذلك الاعتبار جوادا وان لم يكن قابلا
به سميت تلك الافاضة تابعا وتولدا كفيضان النور عن الشمس فالفاعل اما ان يفعل بالقصد والغرض
او بالجود المحض او بالطبع المحض والباري تعالى لا يجوز ان يفعل لغرض لان الغرض والقصد ان كان اولى
لذاته كانت ذاته مستكملة بتلك الاولوية ناقصة بعدمها هذا محال وان لم يكن اولى به كان ترجيحا من غير
مرجح ثم لا يجوز ان يكون اولى بالنظر الى تلك الاولوية وعدمها اذ كانا بالنسبة اليه على سواء فلا ترجيح
او لا على سواء فيعود حديث النقصان والكمال فكان تعالى منزها عن الفعل بهذا الوجه بل انما يصدر منه على
وجه الابداع بجوده المحض وفي هذه المسئلة بحث طويل ليس هذا موضعه واما وصفه بانه ينفعل فلان الانفعال
يستلزم التغير في ذات المستلزم للامكان وقد تنزه قدسه عنه الثالث والاربعون ولا بالغيرية والابعاض
اي ليس له ابعاض يغاير بعضها بعضا لان ذلك مستلزم للتجزية والتركيب الممتنعين عليه ولامتناع اللازم يستلزم
امتناع الملزوم الرابع والاربعون ولا يقال له حد ولا نهاية لان الحدود والنهايات من عوارض الاجسام فان
الاوضاع ولواحقها على ما سبق الخامس والاربعون وكذلك ولا انقطاع ولا غاية اي لا انقطاع لوجوده
ولا غاية له وذلك لان الانقطاع عند الغايات من لواحق الامور الزمانية المحدثة الكائنة الفاسدة وقد
بينا امتناع كونه تعالى زمانيا وكونه ماديا ولانه تعالى واجب الوجود فيستحيل ان يلحقه العدم او ينتهي وجوده
وينقطع عند غاية السادس والاربعون ولان الاشياء تحويه فيقله او يهويه دوي ما بعد الفاء منصوبا وعليه نسخة
الرضي رحمه الله وذلك باضمار ان عقيبها في جواب النفي وروي مرفوعا على العطف والمعنى انه ليس بذي مكان تحويه
فيرفعه بارتفاعه ويخفضه بانخفاضه لما ان ذلك من لواحق الجسمية وكذلك او ان شيئا يحمله فيميله او يعدله
السابع والاربعون ليس في الاشياء بوالج ولا عنها بخارج لان الدخول والخروج من لواحق الاجسام ايضا فما ليس
بجسم ولا جسماني فيهما مسلوبان عنه سلبا مطلقا لا السلب المقابل للملكة الثامن والاربعون كونه يخبر
بلا لسان ولهوات لان اللسان واللهوات من لواحق الاجسام الحيوانية المنزه قدسه عنها والسلب مطلقا
كالذي قبله والاخبار هو النوع الاكثر من الكلام ولذلك خصه هنا بالذكر وزعم الاشعرية ان الخبر
هو اصل الكلام كله واليه يرجع انواعه كالامر والنهي والاستفهام والتمني والترجي وغيرها ثم اختلف المتكلمون
في حقيقة الكلام فاتفقت المعتزلة على انه المركب من الحرف والصوت وجمهور الاشعرية على ان وراء الكلام
اللساني معنى قائم بالنفس يعبر عنه بالكلام النفساني ولفظ الكلام حقيقة فيه وفي اللساني مجاز ومنهم من جعله

حقيقة في اللسان مجاز في النفساني ومنهم من جعله مشتركا فيهما فكون الله تعالى متكلما يعود الى خلقه الكلام
في جسم الشيء عند المعتزلة وعند الاشعرية انه معنى قائم بذاته وهذه الاصوات والحروف المسموعة دلالات
عليه وسيقرر عليه السلام معنى كلامه تعالى التاسع والاربعون يسمع بلا خروق وادوات اي ليس سمعه باداة
هي الاذنان والصماخات كما يسمع الانسان لتنزهه تعالى عن الالات الجسمانية وقد كان هذا البرهان
كافيا في منع اطلاق السميع عليه تعالى لكن لما ورد الاذن الشرعي باطلاقه عليه لم يمكن حمله على ظاهره وحقيقته
وجب صرفه الى مجازه وهو العلم بالمسموعات اطلاقا لاسم السبب على المسبب اذ كان السمع من اسباب العلم
فاذن كونه تعالى سميعا يعود الى علمه بالمسموعات الخمسون يقول ولا يلفظ والاطلاق لفظ القول عليه كاطلاق
الكلام فاما التلفظ فلما كان عبارة عن اخراج الحرف من آلة النطق وهي اللسان والشفة لا جرم لم يصدق في
حقه لعدم الآلة هنالك وكان الشارع لم ياذن في اطلاقه عليه تعالى الا ان دلالته على الآلة المذكورة اقوى
من الكلام والقول الحادي والخمسون كونه يحفظ ولا يتحفظ وحفظه يعود الى علمه بالاشياء ولما كان المعروف
من العادة ان الحفظ يكون بسبب التحفظ وكان ذلك في حقه تعالى محالا لاستلزامه الالات الجسمانية لا جرم احترز
عنه وقال بعض الشارحين انما يريد بالحفظ انه يحفظ عباده ويحرسهم ولا يتحفظ منهم اي لا يحتاج الى احتراس
منهم وهذا بعيد الارادة هاهنا الثاني والخمسون يريد ولا يضمر فارادته تعالى يعود الى اعتبار كونه تعالى عالما
بما في الفعل من الحكمة والمصلحة التي هي مبدا فعله ولا فرق في حقه تعالى بين الارادة والداعي ولما كان المفهوم
من الارادة انها ميل القلب نحو ما يتصور كونه نافعا ولذيذا وذلك الميل من المضمرات المسكنة في القلب لا جرم
كان اطلاق الارادة في حقه يستلزم تصور الاضمار ولما تنزه سبحانه عن الاضمار لا جرم احترز عنه في اطلاق الارادة
عليه تعالى فكان ذلك الاحتراز كالقرينة الصارفة للفظ عن حقيقته الى مجازه وهو الاعتبار المذكور الثالث
والخمسون كونه يحب ويرضى من غير رقة فالمحبة منه تعالى ارادة هي مبدا فعل ما فالمحبة للعبد ارادة لثوابه وتكميله
وما هو خير له واما من العبد فهي ارادة تقوى وتضعف بحسب تصور المنفعة واللذة واعتقاد كمالها ونقصانها
ومحبته لله هي ارادة طاعته واما الرضا فقريب من المحبة ويشبه ان يكون اعم منها لان كل محب راض عما احبه
ولا ينعكس فرضاه تعالى عن العبد يعود الى علمه تعالى بموافقته لامره وطاعته له والمفهوم منه في حق العبد هو سكون
نفسه بالنسبة الى موافقته وملايمته عند تصور كونه موافقا وملايما ولما كان الرضا والمحبة من الانسان لغيره
يستلزم الرقة القلبية والانفعال النفساني عن تصور المعنى الذي لاجله حصلت المحبة والميل اليه والداعي
الى الرضا عنه وكان الباري سبحانه منزها عن الرقة والانفعال لتنزهه عن قابلها لا جرم احترز بقوله من غير
رقة الرابع والخمسون ويبغض ويغضب من غير مشقة فالبغض منه تعالى للعبد يضاد محبته له ويعود الى كراهته
لثوابه وكراهته يعود الى علمه بعدم استحقاقه للثواب وانه لا مصلحة في ثوابه ويلزمها ارادة اهانته وتعذيبه واما
البغض من العبد هو كراهته للغير وميل نفسه عند تصوره كونه مضرا او مولما ويلزم ذلك النفرة الطبيعية منه

الى القوة الغضبية عليه وارادة اهانته واما الغضب فيعود من الله تعالى الى علمه بمخالفة اوامره وعدم طاعته له والمفهوم منه في حق العبد ثوران النفس وحركة قوتها الغضبية عن تصور المؤذي والضار لارادة مقاومته ودفعه ولما كان البغض والغضب يستلزمان ثوران دم القلب وكان ادنى النفس يستلزم مشقة وكلفة لاجرم احترزنا في اطلاق لفظ البغض والغضب عليه فقال من غير مشقة واعلم ان اطلاق لفظ المحبة والرضا على ما ذكرناه من الاعتبارات في حقه مجاز اذ كانت حقيقة الرضا هي سكون النفس الانسانية والمحبة ميلها الى النافع فاطلاقهما على لعلم اطلاق لاسم اللازم على الملزوم وكذلك اطلاق لفظي البغض والغضب في حقه تعالى على علمه المخصوص الخامس والخمسون بقول لما اراد كونه كن فيكون فارادته لكونه هو علمه بما في وجوده من الحكمة وقوله كن اشارة الى الحكم قدرته الازلية عليه بالايجاد ووجوب الصدور عن تمام مؤثريته وقوله فيكون اشارة الى وجوده ودل على اللزوم وعدم التاخر والتراخي بالفاء المقتضية للتعقيب بلا مهلة السادس والخمسون لا بصوت يقرع اي ليس بذي حاسة للسمع فيقرعها الصوت وذلك ان الصوت كيفية تحدث في الهواء عن قلع او قرع وقرعه لما يصل اليه من الصماخ او جسم لم هو وقمعه عليه بشدة وعنف وذلك حال يعرض للاجسام فلو كان له تعالى آلة سمع لكان جسما لكن التالي باطل فالمقدم كذلك السابع والخمسون ولا بنداء يسمع اي لما بين في القرينة الاولى انه لا سمع له بقوع بصوت بين في الثانية انه لا يخرج منه الصوت لان النداء صوت مخصوص والصوت مستلزم المصوت هو جسم لما مر من استلزام الصوت القرع او القلع المستلزمين الجسمية وقوله واعتا كلامه تعالى الى قوله كاينا فاعلم ان هذا الكلام مما اشتغل المعتزلة منه كون كلامه تعالى محدثا وفيه تصريح بعين ما ذهبوا اليه فمعنى قوله فعل منه انشاه اي اوجده في لسان النبي صلى الله فاما قوله ومثله فاراد صورته في لسان النبي وسوى مثاله في ذهنه وقال بعض الشارحين مثله لجبرئيل في اللوح المحفوظ حتى يلقنه محمدا وسائر الرسل صلى الله عليه وآله ودل بقوله لم يكن من قبل ذلك كاينا على حدوث سبوق الوجود بالعدم واشار بقوله ولو كان الى قوله ثانيا الى برهان حدوثه وهو قياس استثنائي وتقريره لو كان كلامه تعالى قديما لكان كلامه الها ثانيا له لكن التالي باطل فالمقدم كذلك فلبيان الملازمة فلانه لو كان قديما لكان اما واجب الوجود واما ممكن الوجود والتالي باطل لانه لو كان ممكنا مع انه موجود في الازل لكان وجوده مفتقرا الى مؤثر فذلك المؤثر ان كان غيره فانه فهو محال لوجهين احدهما انه يلزم افتقاره تعالى في تحصيل صفته الى غيره وهو محال الثاني انه يلزم ان يكون في الازل مع الله غيره يكون مستندا اليه في حصول تلك الصفة فيكون الها ثانيا بل هو اولى بالالهية هذا محال وان كان المؤثر في كلامه ذاته فهو محال ايضا لان المؤثر واجب التقدم بالوجود على الاثر فالكلام اما ان يكون من صفات الكمال او لا يكون فان كان الاول فتاثيره فيه ان كان وكل كمال له حاصلا له بالفعل فقد كان وصف الكلام حاصلا له قبل ان كان حاصلا هذا خلف فان كان تاثيره في حال ما هو خال عن صفة الكلام فقد كان خاليا عن

صفة كمال له فكان ناقصا بذاته هذا محال واما ان لم يكن الكلام من صفات كماله كان اثباته له في الازل اثباتا لصفة زايدة على كماله والزيادة على الكمال نقصان فثبت انه لو كان قديما لكان واجب الوجود لذاته فكان الها ثانيا واما بطلان التالي فلما بينا من كونه تعالى واحدا فثبت بهذا الدليل الواضح انه لا يجوز ان يكون كلامه قديما الثامن والخمسون لا يقال له قوله لم يكن اشارة الى انه ليس بمحدث لان كون الشيء بعد ان لم يكن هو معنى حدوثه وقوله يجري عليه الصفات المحدثات فالفاء في جواب النفي لمقتضى الشرط اي لو صدق عليه حدث لصدقت الصفات المحدثة والا لكانت صفاته قديمة فكان الموصوف بها قديما هذا خلف والتقدير لكن لحوق الصفات المحدثة باطل فكونه محدثا باطل واشار الى بطلان التالي بقوله ولا يكون بينها وبينه فصل الى قوله والبديع والتقدير انه لو لحقه الصفات المحدثات وجرت عليه على تقدير كونه محدثا لكانت ذاته مساوية لها في الحدوث المستلزم للامكان المستلزم للحاجة الى الصانع فلم يكن بينها وبينه فصل في ذلك ولا له عليها فضل لاشتراكها معها في الحاجة وقوله فيستوي الى قوله البديع اشارة الى ما يلزم من تلك المساواة من المحال اذ كان استواء الصانع ومصنوعه ظاهر الفساد واصل البديع من الفعل ما لم يسبق فاعله الى مثله وسمي الفعل الحسن بديعا لمشابهته ما لم يسبق اليه في كونه محل التعجب منه والمبدع هو فاعل البديع والمصدر الابداع وقد عرفت معناه فيما قبل وفي نسخة الرضي رضي الله عنه البديع بفتح الدال وهو البديع بالمعنى الذي ذكرناه ويكون مراده بالبديع الصانع وهو فعيل بمعنى فاعل كقوله تعالى بديع السموات والارض واذا ثبت انه لا يجري عليه الامور المحدثة ولو لحوق الحدوث من سبق العدم والتغير والامكان والحاجة الى المؤثر وغير ذلك ويلزم المحال المذكور اولا والنسخة الاولى بخط الرضي رحمه الله التاسع والخمسون كونه تعالى خلق الخلائق الى غيره قوله وقد سبق بيانه في الخطبة الاولى وهو تنزيه له عن صفات الصانعين من البشر فان صنايعهم بحذو حذو امثلة سبقت من غيرهم اوحصلت في اذهانهم الستون كونه لم يستعن على خلق ما خلق باحد من خلقه والا لكان ناقصا بذاته مفتقرا الى ما كان هو مفتقرا اليه وهو محال الحادي والستون كونه انشا الارض فامسكها اي اوجدها فقامت في حيزها باذنه وقدرته ولما كان شان من يمسك شيئا ويحفظه من ساير الفاعلين لا يخلو من كلفة ومشقة في حفظه واشتغال بحفظه عن غيره من الافعال نزه حفظه تعالى لها عما يلزم حفظه غيره لما يحفظ من تلك الكلفة والاشتغال بحفظها الثاني والستون كونه ارساها اي اثبتها في حيزها على غير قرار اعتمد عليه فامسكها وكذلك دعمها بغير دعائم بل بحسب قدرته وارادته الثالث والستون حصنها من الاود والاعوجاج اي من الميل الى احد جوانب العالم عن المركز الحقيقي وذلك مما بحث في موضعه من الحكمة الرابع والستون كونه منعها عن التهافت والانفراج اي جعلها كرة واحدة ثابتة في حيزها ومنعها ان يتساقط قطعا او ينفرج بعضها عن بعض الخامس والستون كونه ارسى اوتادها اي اثبتها فيها واوتادها جبالها وقد بينا في الخطبة الاولى معنى كونها اوتادها السادس والستون كونه ضرب اسدادها واراد باسدادها

ما احاط بها من الجبال او التي تحجز بين بقاعها وبلادها السابع والستون كونه استفاض عيونها واستفاض انهارها كما قال تعالى وفجرنا الارض عيونا وقد سبقت الاشارة الى ذلك الثامن والستون خد اودية اي شقها وبين جبالها وتلالها وقوله فلم يهن ما بناه ولا ضعف ما قواه بعد تعديده اعدد من الاثار العظيمة اشارة الى كمال هذه المخلوقات وقربها ليبين عظمة الله سبحانه بالقياس اليها التاسع والستون كونه هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته واشار بقوله هو الا هويته التي هي محض الوجود الحق الواجب ولما لم يكن تعريف تلك الهوية الا بالاعتبارات الخارجة عنها اشار الى تعريفها بكونه ظاهرا عليها اي غالبا قاهرا لها ولما كان الظهور يحتمل الظهور الحسي لاجرم قيده بسلطانه وعظمته اذ كان ظهوره عليها ليس ظهورا مكانيا حسيا بل بحكم ملكه واستيلاء قدرته وعظمة سلطانه السبعون قوله وهو الباطن لها اي العالم في بواطنها بعلمه ولما كان البطون يحتمل البطون الحسي قيده بعلمه تنزيها له عن سوء الافهام واحكام الاوهام والضمائر في قوله عليها ولها يعود الى الارض وما فيها مما بناه وسواه الحادي والسبعون كونه عاليا على كل شيء اي من الارض وساير مخلوقاته بجلاله وعزته جلاله وعزته بالنسبة اليها هو اعتبار كونه منزها عن كل ما لها من الصفات المحدثة والكمالات المستفادة من الغير المستلزمة للنقصان الذاتي ولما كانت هذه الاعتبارات التي تنزه عنها في حضيض النقصان كان هو باعتبار تنزهه عنها في اوج الكمال الاعلى فكان عاليا عليها بذلك الاعتبار ولانه تعالى خالقها وموجدها فعلوه عليها بجلال سلطانه وعزته عن خضوع الحاجة وذلتها الثاني والسبعون كونه لا يعجزه شيء منها طلبه الى قوله فيغلبه وذلك لكونه تعالى واجب الوجود تام العلم والقدرة لا نقصان فيه باعتبار وكون كل ما عداه مفتقرا في وجوده وجميع احوال وجوده اليه فلاجرم لم يتصور ان يعجزه شيء طلبه او يمتنع عليه شيء بقوة فيغلبه او يفوته سريع بحركة فيسبقه لما يستلزمه ذلك العجز من الحاجة والامكان الممتنعين عليه الثالث والسبعون وكذلك كونه لا يحتاج الى ذي المال فيرزقه لما تستلزمه الحاجة من الامكان وكل ذلك نفي لاحوال البشر عنه الرابع والسبعون قوله خضعت له الاشياء الى قوله لعظمته خضوعها وذلها يعود الى دخولها في ذل الامكان تحت سلطانه وانقيادها في اسر الحاجة الى كمال قدرته وبذلك الاعتبار لم يستطع الهرب من سلطانه للزوم الحاجة لذواتها الى مستنادها كما لا تنها الى الجود منه فهو النافع لها بافاضة كما لاتها والضار لها بمنع ذلك فان قلت ان النفع لا يهرب منه ولا يمتنع فكيف ذكره هنا قلت المراد منه سلب قدرتها عليها على تقدير ما شاء منه وهذا كما تقول لمن عجز عنك انه فلان لا يقدر لي على نفع ولا ضر ولان النفع جاز ان يمتنع منه لانفة واستغناء بالغير ولا شيء من الموجودات يمتنع من سلطانه ونفعه باستغناء عنه وانفة ونحوها الخامس والسبعون كونه لا كفو له يكافيه اي ليس له مثل فيما يليه ويفعل بازاء فعله وقد علمت تنزيهه تعالى عن المثل وكذلك لا نظير له فيساويه السادس والسبعون هو المفني لها الى قوله كمفقودها عرفت

هويته باعتبار كونه معدما للاشياء بعد وجودها وقد ورد في القرآن الكريم اشارات الى ذلك كقوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب كما بدانا اول خلق نعيده ومعلوم ان الاعادة انما تكون بعد العدم وقوله اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت وامثالها وقد اجمعت الانبياء على ذلك وعلم بالضرورة من دين محمد صلى الله عليه انه سيكون وهو الذي عليه جمهور المتكلمين والخلاف في جواز خراب العالم مع الحكماء فانهم اتفقوا على ان الاجرام العلوية والعقول والنفوس الفلكية وكذلك هيولى العالم العنصري واجرام العناصر وما ثبت قدمه امتنع عدمه لا لذاته بل لدوام علة وجوده وما عدا ذلك فهو حادث وليس كل مما يعاد بالاتفاق بل الخلاف في المعاد الانساني البدني فانكره بعضهم والاسلاميون منهم قالوا الشرع يعقل للحكم بوجوده ولا وجوده مجال بل انما يعلم بالسمع هذا مع اتفاقهم على القول بامتناع اعادة المعدوم فيكون على ما ذهب اليه ابو الحسين البصري من المعتزلة وهو قوله ان الاجزاء تتشذب وتتفرق بحيث يخرج عن حد الانتفاع بها ولا تدخل في العدم الصرف لكن في ذلك نظر لان بدن زيد مثلا ليس عبارة عن تلك الاجزاء المتشذبة والمتفرقة فقط فان القول بذلك مكابرة للعقل بل عنها مع ساير الاعراض والتاليفات المخصوصة والاوضاع فاذا تشذب البدن وتفرق فلا بد ان يعدم تلك الاعراض بعينها وحينئذ يلزم فناء البدن من حيث هو ذلك البدن فعند الاعادة ان اعيد بعينه وجب اعادة تلك الاعراض بعينها فلزمت اعادة المعدوم وان لم يعد بعينه عاد غيره فيكون الثواب والعقاب على غيره وذلك مكذب للقرآن الكريم في قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى اللهم الا ان يقال ان الانسان المثاب والمعاقب انما هو النفس الناطقة وهذا البدن كالآلة فاذا عدم لم يلزم عوده بعينه بل جاز عود مثله لكن هذا انما يستقيم على مذهب الحكماء القائلين بالنفس الناطقة واما على راي ابي الحسين البصري فلا ومذهب اكثر المحققين من علماء الاسلام يؤل الى هذا القول وقوله وليس فناء الدنيا الى قوله اختراعها دفع لما يعرض لبعض الاوهام من التعجب بفناء هذا العالم بعد ابتداعه وخلقه بالتنبيه على حال انشائه واختراعه اي ليس عودة ما خلق الى العدم بقدرته بعد الوجود باعجب من صيرورته الى الوجود بعد العدم عنها اذ كانت كلها ممكنة قابلة للوجود والعدم لذواتها بل صيرورتها الى الوجود المشتمل على اعاجيب خلقه واسرار الحكمة التي لا يهتدى لها ولا يقدر على شيء منها اعجب واغرب من عدمها الذي لا كلفة فيه وقوله ولو اجتمع الى قوله افنائها تاكيد لنفي كون عدمها بعد وجودها اعجب من ايجادها بالتنبيه على عظم مخلوقاته تعالى ومكوناته وما اشتملت عليه من اسرار الحكمة المنسوبة الى قدرته والمعنى وكيف يكون عدمها اعجب في ايجاد اضعف حيوان واصغره مما خلق كالبعوضة من العجايب الغرايب لا عجازنا ما يعجز عن تكوينه واحداثه قدرة كل من تنسب اليه القدرة وتقصر معرفة الطريق الى ايجادها الباب الالباء وتحير في كيفية خلقتها حكمة الحكماء وتقف دون علم ذلك وتناهي عقول العقلاء وترجع خاسئة حسيرة مقهورة معترفة بالعجز عن الاطلاع على كنه صنعه في انشائها مقرة بالضعف

فان انكر البعض من القول بامتناع اعادة المعدوم

عن فنائها فان قلت كيف تقرا لمعقول بالضعف عن فناء البعوضة مع امكان ذلك وسهولته قلت
ان العبد اذا نظر الى نفسه بالنسبة الى قدرة الصانع الاول جلت عظمته وجد نفسه عاجزة عن كل
شيء الا باذن الحق فانه ليس له الا الاعداد لحدوث ما يجب اليه من الاثار فاما نفس ايجاد وجود الاثر
فمن واهب العقل عز سلطانه فالعبد العاقل لما قلناه يعترف بالضعف عن ايجاد البعوضة واعدامها
وما هو اليسر من ذلك عند مقايسة نفسه الى موجده وواهبه كما لم كما عرفت ذلك في موضعه وايضا فان
الله سبحانه كما خلق للعبد قدرة على الفعل والترك والايجاد والاعدام بغيره كذلك خلق للبعوضة قدرة
على الامتناع والهرب من ضربه بالطيران وغيره بل ان تؤذيه ولا يتمكن من دفعها عن نفسه فكيف يسهل
العاقل افنائها من غير معونة صانعها له عليه وقوله وانه سبحانه يعود الى قوله الامور اشارة الى كونه
تعالى باقيا ابدا فيبقى بعد فناء الاشياء وحده لا شيء معه منها كما كان قبل وجوده كذلك بريا عن لحوق
الوقت والمكان والحيز والزمان وقوله يعود فيه استعارة بعيدة من حالة سبقت الى حالة لحقت وهما
يعودان الى ما يعتبره ادهانا له من حالة تقدمه على وجودها وحالة تاخره عنها بعد عدمها وهما اعتباران
ذهنيان يلحقانه بالقياس الى مخلوقاته وقوله عدمت عند ذلك الى قوله الساعات ظاهر لان كل ذلك
اجزاء للزمان الذي هو من لواحق الحركة التي هي من لواحق الجسم فيلزم من عدم الاجسام عدم عوارضها
وقوله فلا شيء الى قوله الامور اي لا شيء يبقى بعد فناء العالم الا هو وذكر الواحد لبقائه كذلك و
القهار باعتبار كونه قاهرا لها بالعدم والفناء وكونه اليه مصير جميع الامور فهو مصيرها اليه اخذه
لها بعد هيئة لوجودها وقوله بلا قدرة الى قوله فناؤها اشارة الى انه لا قدرة لشيء منها على ايجاد نفسه
و لا على الامتناع من لحوق الفناء له وقوله ولو قدرت الى قوله بقاؤها استدلال بقياس شرطي متصل
على عدم قدرة شيء منها على الامتناع من الفناء وانما خص الحكم بها بالاستدلال دون الاول لكون الاول
ضروريا وبيان الملازمة ان الفناء ضروري لكل موجود فامكان الامتناع منه مستلزم للداعي الى الاول
المستلزم للامتناع منه المستلزم للبقاء واما بطلان التالي فلما ثبت انه تعالى يفنيها فلزم ان لا يكون لها
قدرة على الامتناع وقوله لم تتكاءده الى قوله خلقه ظاهر لان المشقة في الفعل وتثقله انما يعرض لذي
القدرة الضعيفة من الحيوان لنقصانها وقدرته تعالى بريئة عن عوارض النقصان لاستلزامه الامكان
والحاجة الى الغير وقوله ولم يكونها الى لمراد اشارة الى تعديد وجوه الاغراض المتعارفة للفاعلين في
ايجاد ما يوجدونه واعدام ما يعدمونه ونفي تلك الاغراض عن فعله في ايجاده ما اوجد واعدامه ما اعدمه من
الاشياء اما الاغراض المتعلقة بالايجاد فهو اما جلب منفعة كتشديد السلطان وجمع الاموال و
الثياب وتكثير الجند والعدة والانداد في الملك لاجل الحصول والعلاج ومكاثرة الشريك في الملك
كما يكاثر الانسان غيره ممن يشاركه في الاموال والاولاد او دفع مضرة كالتخوف من العدم والزوال

تخلقها

تخلقها لتحصنها من ذلك او خوف لحصة يطلوبها النقصان تخلقها ليستكمل بها او خوف الضعف من مثل
يكاثره تخلقها ليستعين بها او خوف مندبها ومرقا وجدها لتجزل منه وبدفع مضرته او لوحشة كانت له
قبل ايجادها فاوجدها ليدفع ضررا استيحاشه بالانس بها وكذلك الاغراض المتعلقة بعدمها اما لدفع
المضرة كرفع السام اللاحق له من تصريفها وتدبيرها والتثقل في شيء منها عليه والملال من طول بقائها فيدعوه
ذلك الى افنائها او جلب المنفعة كالراحة الواصلة اليه فان جلب المنفعة ودفع المضرة من لواحق الامكان
الذي تنزه قدسه عنه وقوله لكنه سبحانه الى قوله لقدرته فدبرها بلطفه اشارة الى ايجادها على وجه
الحكمة والنظام الاتم الاكمل الذي ليس في الامكان ان يكون حملها على اتم منه ولا الطف ولما كان
لها بامر فيامها في الوجود بحكم سلطانه واتقانها بعقدته احكامها على وفق منفعتها وان كان عن قدرته
تعالى وفق علمه بوجوه الحكمة كل ذلك بمحض الجود من غير غرض من الاغراض المذكورة تعود اليه وقوله ثم
يعيدها بعد الفناء تصريح باعادة الاشياء بعد فنائها وفناؤها اما عدمها كما هو مذهب من جوز اعادة
المعدوم او تشذبها وتفرقها وخروجها عن حد الانتفاع بها كما هو مذهب ابي الحسين البصري من المعتزلة
وقوله من غير حاجة الى آخره ذكر وجوه الاغراض الصالحة في الاعادة والاشارة الى نفيها عنه تعالى كما
ايضا كالحاجة اليها والاستعانة ببعضها على بعض او لانصراف من حال وحشة الى حال استيناس او انصرف
من حال الجهل وعمى فيه الى حال العلم والتماس وكذلك من فقر وحاجة الى غنى وكثرة ومن ذل وضعة الى عز
وقدرة وقد عرفت ان كل هذه الاغراض من باب دفع المضرة المتنزه قدسه تعالى عنها وقد بينا فيما سلف
البرهان الاجمالي على تنزيهه تعالى عن افعاله من الاغراض بل ايجاده بما يوجد محض الجود الالهي الذي لا بخل فيه
ولا منع من جهته فهو الجواد المطلق والملك المطلق الذي يعيد ما يبقى لا لغرض ويوجد ما يوجد لا لفائدة
تعود اليه ولا غرض وهو مذهب جمهور اهل السنة والفلاسفة والخلاف فيه مع المعتزلة فان قلت ظاهر
كلامه عليه السلام مشعر بان الدنيا كما تفنى تعاد والذي وردت به الشريعة وفيه الخلاف بين جمهور المتكلمين
والحكماء هو اعادة الابدان البشرية قلت الضمير في قوله يعيدها سواء كان راجعا الى الدنيا او الى الامور
في قوله مصير جميع الامور فانه يحتمل كما يرجع الى الكل جاز ان يرجع الى البعض وهي الابدان البشرية قال بعضهم
ان للمتاولين في هذا الكلام تاويلا عقليا وان جزموا بكون مراده عليه السلام هو ما ذكرناه من الظاهر
فانهم قالوا يحتمل ان يشار بقوله وانه يعود سبحانه الى قوله الامور الى حال العارف اذا وصل الى الوصول التام
حتى غاب عن نفسه فلحظ جناب الحق سبحانه بعد حذف كل قيد دنياوي ولحوق عن درجة الاعتبار فانه حينئذ
كما يفنى هو عن كل شيء كذلك يفنى عنه كل شيء حتى نفسه فلا يبقى بعد فنائها عنه الا وجه الله ذو الجلال والاكرام
فكما كانت الاشياء عند اعتباره واهمالها غير مستحقة للوجود والوحدة كذلك يكون عند حذفها عن درجة الاعتبار
وملاحظة جلال الواحد القهار ليس الا هو وقوله ثم يعيدها بعد الفناء فذلك عودها الى اعتبار اذهان

العارفين لها عند عوجهم من الجناب المقدس الى الجنبة السافلة واشتغالهم بمصالح ابدانهم والكل منسوب
الى تصريف قدرته تعالى بحسب استعداد الاذهان لقبولها وحذفها وقد علمت من بيانه لهذه الخطبة صدق
كلام السيد الرضي رضي الله عنه في مدحها حيث قال ويجمع هذه الخطبة من اصول العلم ما لا يجمعه خطبة غيرها فانها
بالغة في علم التوحيد كاملة في علم التنزيه والتقديس لجلال الواحد الحق جلت عظمته وبالله التوفيق والعصمة
ومن خطبة له عليه السلام يختص بذكر الملاحم الا بابي وامي هم من عدة اسماؤهم في السماء معروفة وفي الارض مجهولة
الا فتوقعوا ما يكون من ادبار اموركم وانقطاع وصلكم واستعمال صغاركم ذاك حيث يكون ضربة السيف على
المؤمن اهون من الدرهم من حله ذاك حيث يكون المعطى اعظم اجرا من المعطي ذاك حيث يسكرون من غير شراب
بل من النعمة والنعيم ويحلفون من غير اضطرار ويكذبون من غير احراج ذلكم اذا عضكم البلاء كما يعض القتب غارب
البعير ما اطول هذا العناء وابعد هذا الرجاء ايها الناس القوا هذه الازمة التي تحمل ظهورها الاثقال
من ايديكم ولا تصدعوا على سلطانكم فتذموا غب فعالكم ولا تقتحموا ما استقبلتم من فور نار الفتنة واميطوا
عن سننها وخلوا قصد السبيل لها فقد لعمري يهلك في لهبها المؤمن ويسلم فيها غير المسلم انما مثلي بينكم كمثل
السراج في الظلمة يستضيء به من ولجها فاسمعوا ايها الناس وعوا واحضروا اذان قلوبكم تفهموا اقول الحجب
الجاه وضيق عليه وتصدعوا تفرقوا وغب كل شيء عاقبته وفور النار لهبها وشدة حرها واماطه عن كذا وماطه
وتنحيت عنه والسنن القصد والاقتحام الدخول في الشيء بشدة فقوله بابي وامي في تقدير الباء والجار والمجرور
في تقدير خبر المبتدا وهو قوله هم وقد سبقت الاشارة الى مثل في قوله مخاطبا للرسول عليه السلام عند تولية
غسله والضمير اشارة الى اولياء الله فيما يستقبل من الزمان بالنسبة الى زمانه عليه السلام وقالت الشيعة
انه اراد الائمة من ولده عليهم السلام وقوله اسماؤهم في السماء معروفة اشارة الى علو درجتهم في الملا الاعلى و
اثبات اسمائهم وصفاتهم الفاضلة في ديوان الصديقين وفي الارض مجهولون بين اهل الدنيا الذين يرون انه
ليس وراءها كمال ومن سيما الصالحين مجرى العادة التقشف والاعراض عن الدنيا وذلك يستلزم قلة نظر
اهلها ومكاثرتهم وهو مستلزم لجهلهم بهم وعدم معرفتهم لهم ثم شرع في التنبيه على الاحوال الردية المستقبلة
المضادة لمصالح العالم التي تجمعها سوء التدبير وتفرق الكلمة وهي ادبار ما اقبل من امورهم وانقطاع ما اتصل
من وصلهم واسبابهم والوصل جمع وصلة وهي الانتظامات الحاصلة لاسبابهم في المعاش والمعاد بوجود الرسول
صلى الله عليه وتدبيره ثم استعمال صغارهم وامارة لهم فانه من جملة اسباب الفساد ومن اسباب صلاح العالم استعمال
اهل الشرف واكابر الناس على الاعمال ومن كلامه عليه السلام في ذلك قوله لما لك الاشتر في عهده اليه ثم تخير
الى العمال وتوخ منهم اهل التجربة والحياء من اهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة فانهم اكرم
اخلاقا واصح اعراضا واقل في المطامع اشرافا وابلغ في عواقب الامور نظرا وصغار الناس مظنة اضداد الامور
المذكورة وبسببها يكون خراب العالم وفساد نظامه ثم اشار الى اوقاتها وعلاماتها وفوتها فيها حيث يكون

ضربة

ضربة السيف على المؤمن اهون واقل عنده مشقة من المشقة الحاصلة له في اكتساب درهم حلال وذلك لان
المكاسب حينئذ يكون قد اختلطت وغلب الحرام الحلال فيها فاراد بقوله من الدرهم اي من كسب الدرهم فحذف
المضاف ومنها حيث يكون المعطى اعظم اجرا من المعطي وذلك لان اكثر من يعطي حينئذ ويتصدق يكون ماله
مشوبا بالحرام فيقل اجره ولان اكثرهم يعطي ويقصد باعطائه الرياء والسمعة او لهوى نفسه او لخطرة من خطرات
وسواسه من غير خلوص به سبحانه في ذلك واما المعطى فقد يكون فقيرا مستحقا للزكوة فاضلا لا يلزمه
ان يبحث عن اصل ما يعطاه فاذا اخذه ليسد خلته كان في ذلك اعظم اجرا من معطيه ولان المعطي قد يكون
اكثر ما ينفق من ماله في غير طاعة الله في الوجوه المحظورة فاذا اخذ الفقير منه على وجه الصدقة فوت على المعطي
صرف ماله في تلك الوجوه فكان للفقير بذلك المنة عليه اذ كان سببا في منعه عن صرفه ما لا ينبغي فكان
اعظم اجرا منه ومنها حيث يسكرون من غير شراب فاستعار وصف السكر لهم باعتبار غفلتهم عما ينبغي لهم
اللازمة عن تصابيهم واستغراقهم في اللذات الحاضرة كما يلزم السكر الغفلة عن المصالح وقرينة الاستعارة
قوله من غير شراب بل من النعمة فان السكر حقيقة انما يكون عن الشراب ومنها حيث يحلفون من غير اضطرار
الى اليمين بل لغفلة عن عظمة الله سبحانه حتى يتوصلوا باليمين الى احقر المطالب ومنها حيث يكذبون من غير احراج
اي من غير ان يلجئكم الى الكذب ضرورة بل يصير الكذب ملكة ومنها اذا عضكم واستعار لفظ العض لايلام
البلاء الذي ينزل بهم ويبتليهم وشبهه بعض القتب لغارب البعير ووجه المشابهة هو شدة الايلام وهذا الشبه هو وجه
استعارة العض للبلاء وقوله ما اطول هذا العناء وابعد هذا الرجاء كلام منقطع عما قبله كما هو عادة الرضي رضي
الله عنه في التقاط الفصول والحاق بعضها ببعض ووجدت هذا الفصل بخطه في حاشية نسخة الاصل وظاهر
يقتضي انه ذكر فيما كان متصلا بالكلام مما نال شيعته من البؤس والقنوط ومشقة انتظار الفرج وان قوله ما
اطول الى قوله الرجاء كلام شيعته فعلى هذا يكون المعنى انهم يصابون بالبلاء حتى يقولوا ما اطول التعب الذي نحن
فيه وما ابعد نجاتنا من الخلاص منه بقيام القائم المنتظر ويحتمل ان يكون الكلام متصلا ويكون قوله ما اطول
هذا العناء كلاما مستانفا في معنى التوبيخ لهم على اعراضهم عنه واقبالهم على الدنيا واتعابهم انفسهم في طلبها
وتنفيرهم عنها بذكر طول العناء في طلبهم وبعد الرجاء لما يرجونه اي ما اطول هذا العناء اللاحق لكم في طلب
الدنيا وما ابعد هذا الرجاء الذي يرجونه منها وظاهر ان متاعب الدنيا لطالبها اطول المتاعب وطالبها
لعلها ابعد المطالب كما قال عليه السلام من فيل من ساعاها فاتته وكما قال الرسول صلى الله عليه من جعل
الدنيا اكبر همه فرق الله عليه همه وجعل فقره بين عينيه ولم يات منها الا ما كتب له وهذا الكلام يقتضي ان
المتجرد لطلب الدنيا لا بد له ملاحظة الفقر مستحضرا له فهو حامل له على التعب في تحصيلها والكدح لها ويحتمل
ان يريد بالعناء المشار اليه عناؤه في جذبهم الى الله ودعوته لهم الى الاخرة في اكثر اوقاته لا يرجعون الى دعوته
ولا يتفقون على كلمته وظاهر انه عناء طويل وتعب عظيم وبالرجاء المشار اليه رجاؤه لصلاحهم واستبعاده

وخلق

ثم اتحيّر بهم واستعار لفظ الازمّة للآراء الفاسدة المتبعة وللاهواء القايدة لهم الى المآثم ووجه المشابهة
كونها قايدة لهم كما يقود الازمّة الجمال ولفظ الالقاء للاعراض عن تلك الآراء الباطلة وترك العمل
بها ولفظ الظهور لانفسهم ولفظ الاثقال للمعقول من اثقال الذنوب ووجه المشابهة الاولى كونها
حاملة لاثقال الخطايا والاوزار كما يحمل الظهور الاثقال المحسوسة كما قال تعالى وهم يحملون اوزارهم
على ظهورهم وقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ووجه الاستعارة الثانية ان الملكات الردية
الحاصلة من اقتراف المآثم تثقل النفوس عن النهوض الى حظاير القدس ومنازل الابرار كما تثقل الاثقال
المحسوسة الظهور الحاملة لها ولما استعار لفظ الالقاء والازمّة اللذين من شانهما ان يكونا باليد
وفي اليد رشّح بذكر الايدي فقال من ايديكم والحاصل امرهم بترك الآراء الفاسدة ونهاهم عنها
ونبّه على وجوب تركها بانهم اذا لزموها وعملوا على وفقها قادتهم الى حمل اثقال الخطايا ثم اردف ذلك
بالنهي عن التفرق عنه بعد تقديم النهي عن اتباع الآراء الفاسدة المستلزمة للهلاك تنبيها على ان امامهم في
الصدع عنه من تلك الآراء غير المحمودة وهو قوله فتذمّوا غبّ فعالكم شعبه عن التفرق عنه بذكر ما يلزمه من
العاقبة المذمومة وهي غلبة العدو عليهم واستيلاؤه على احوالهم وتغيرهم عن عزهم ذلا ورخائهم ونعيمهم
بؤسا ونقمة والفاء هي التي في جواب النهي اي ان تصدعتم عن سلطانكم ذممتم غب فعالكم ثم اردف النهي
عن التفرق عنه بالنهي عن اقتحام ما استقبلوا من الفتنة المنتظرة تنبيها على ان التفرق عنه سبب للدخول في
نار الفتنة وشعار عن عاقبته بكونها اقتحاما لنار الفتنة وتسرعا الى دخولها ولفظ النار مستعار لاحوال
الفتنة من الحروب والقتل والظلم ووجه المشابهة كونها مستلزمة للاذى كالنار ووصف الاقتحام لحالهم بعد
والتفرق عنه وجه الاستعارة اسراع تفرقهم عنه الى الوقوع في الفتنة كاسراع المقتحم ورشح استعارة النار
بالفورة الفتنة في الشعر ثم امرهم بالنهي عن قصدها وطريقها وتخلية قصد السبيل لها اي خلوها القصد
سبيلها ولا يتعرضوا لها ونفخوها فيكونوا حطبا لنارها ثم اقسم انه يهلك فيها المؤمن ويسلم فيها
غير المسلم وذلك ظاهر الصدق وهو من كراماته عليه السلام والخبار عما سيكون فان الدائرة في دولة بني امية كانت
على من لزم دينه واشتغل بعبادة ربه دون من وافقهم على باطلهم واجاب دعوتهم وتقرب الى قلوبهم بالكذب
على رسول الله صلى الله عليه وآله وظلم العباد كما يقف عليه من اخبارهم في قتل كثير من اولياء الله وذرية رسوله
وصحابته رضي الله عنهم وتقريبهم المنافقين وتوليتهم الاعمال واعلم انه ليس مراده انه يهلك فيها كل مؤمن ولا
يسلم فيها الا غير مسلم بل القضيتان مهملتان والغرض منهما ان اكثر من يهلك فيها المؤمنون واكثر من يسلم
فيها المنافقون ومن ليس له قوة في الاسلام ولفظ اللهب ترشيح لاستعارة لفظ النار ثم مثل نفسه بينهم
بالسراج في الظلمة واشار الى وجه مشابهته للسراج بقوله فيستضيء به من ولجها وتقريره ان الطالبين
الهداية منه عليه السلام والمتبعين يستضيئون بنور علومه وهدايته الى الطريق الارشد كما يهتدي الناس

في الظلمة

في الظلمة بالسراج وهذا التمثيل يستلزم تشبيه احوالهم بالظلمة وتشبيههم بالمغمورين فيها لولا وجوده
بينهم وقد علمت في المقدمات حقيقة التمثيل ثم لما قرر فضيلته في التمثيل المذكور اردف بامرهم بسماع
قوله وان يحضروا قلوبهم ليفهموا ما يلقيه اليهم من الحكمة والموعظة الحسنة كما هو المعلوم من حال الخطيب
واستعار لفظ الآذان للقلوب ووجه الاستعارة ان الآذان لما كانت مدركة للاقوال اشبهتها
القلوب المدركة لاقواله وطلب احضارها اذ كان هو المنتفع به دون احضار الآذان المحسوسة وظاهر
ان احضار العقول وتوجيهها الى الفكرة في المسموع مستلزم لحصول الفهم وبالله التوفيق والعصمة **ومن خطبة**
له عليه السلام اوصيكم ايها الناس بتقوى الله وكثرة حمده على آلائه اليكم ونعمائه عليكم وبلائه لديكم فكم خصكم
بنعمة وتدارككم برحمة اعورتم له فستركم وتعرضتم لاخذه فامهلكم واوصيكم بذكر الموت واقلال الغفلة
عنه وكيف غفلتكم عما ليس يغفلكم وطمعكم فيمن ليس يمهلكم فكفى واعظا بموتى عاينتموهم حملوا الى قبورهم
غير راكبين وانزلوا فيها غير نازلين كانهم لم يكونوا للدنيا عمارا وكان الآخرة لم تزل لهم دارا اوحشوا ما
كانوا يوطنون واوطنوا ما كانوا يوحشون واشتغلوا بما فارقوا واضاعوا ما اليه انتقلوا لا عن قبيح
يستطيعون انتقالا ولا في حسن يستطيعون ازديادا انسوا بالدنيا فغرتهم ووثقوا بها فصرعتهم فسابقوا
رحمكم الله الى منازلكم التي امرتم ان تعمروها والتي رغبتم فيها ودعيتم اليها واستتموا نعم الله عليكم بالصبر
على طاعته والمجانبة لمعصيته فان غدا من اليوم قريب ما اسرع الساعات في اليوم واسرع الايام في الشهر و
اسرع الشهور في السنين واسرع السنين في العمر **اقول** اعورتم اي بدت عوراتكم والعورة السوءة وكل ما
يستحيى منه والفصل يشتمل على الوصية بامور اولها تقوى الله تعالى فانها العمدة الكبرى فيما يوصى به ثم بكثرة
حمده تعالى على آلائه اليهم ونعمائه عليهم وبلائه لديهم وقد علمت معنى بلائه وانه يكون بالخير والشر كما قال تعالى
ونبلوكم بالشر والخير فتنة ثم اردف ذلك بتقريره تخصيصهم بنعمه تعالى عليهم وتداركه لهم برحمته والرحمة
كما يراد بها صفة الله تعالى كذلك يراد بها آثاره الحسنة الخيرية كما هو مراده هنا في حق عباده واتى بلفظ كم
للتكثير ثم اردف بذكر صنوف الرحمة والنعمة فمنها ستره عليهم حيث مجاهرتهم له بالمعصية التي ينبغي ان
يستحيوا منها ومواقعتهم لها بمرأى منه ومسمع ومنها امهالهم وزيادتهم النعمة وترك معاجلتهم بالعقوبة حيث
تعرضوا لاخذه بارتكاب مناهيه ومخالفة اوامره الثاني مما اوصاهم به ذكر الموت واقلال الغفلة عنه وذلك
لما يستلزمه ذكره من الانزجار عن المعاصي وذكر المعاد الى الله سبحانه ووعده ووعيده والرغبة عن الدنيا وتنغيص
لذاتها كما قال الرسول صلى الله عليه وآله اكثروا من ذكر هادم اللذات وانما استلزم ذكره ذلك لكونه مما
يساعد العقل فيه الوهم على صورته ووقوعه مع مساعدته على ما فيه من المشقة الشاقة ثم استفهم عن غفلتهم
عنه وطمعهم فيه مع كونه لا يغفلهم ولا يمهلهم استفهام توبيخ على ذلك ولاجل ما فيه من شدة الاعتبار قال فكفى
بموتى عاينتموهم الى قوله فصرعتهم وفي هذا القول زيادة موعظة على ذكر الموت وهي شرح لحال من عاينوه

من الموتى وذكر منها احوالا احدها كيفية حملهم الى قبورهم غير راكبين مع كونهم في صورة ركوب منقولين على الاكتاف
انزالهم الى القبور على غير عادة النزول المتعارف المقصود وكانهم في تلك الحال مع طول مدتهم في الدنيا
وعمارتهم لها وركونهم اليها لم يكونوا لها عمارا وكان الآخرة لم تزل لهم دارا ووجه التشبيه الاول انقطاعهم
عنها بالكلية وعدم حزمهم فيها فاشبهوا بذلك من لم يكن فيها ووجه الثاني كون الآخرة هي مستقرهم
الدائم الثابت الذي لا معدل عنه فاشبهت في ذلك المنزل العتيق لم يزل لهم دارا الثالث ايحاشهم
ما كانوا يوطنون من منازل الدنيا ومساكنها الرابع ايطانهم ما كانوا يوحشون من القبور التي
هي اول منازل الآخرة الخامس اشتغالهم بما فارقوا وذلك ان النفوس الراكنة الى الدنيا العاشقة
لها المقبلة على الاشتغال بلذاتها تمكن في جواهرها ذلك العشق لها وتصير محبتها ملكة وخلقا فيحصل
لها بعد المفارقة لما احبته من العذاب به والشقاء لاشتياقها النزاع اليه وعدم التمكن من الحصول عليه
اعظم شغل واقوى شاغل واصعب بلاء بل بلاء تذهل فيه كل مرضعة عما ارضعت وتضع فيه كل ذات حمل
حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد السادس اضاعتهم ما اليه انتقلوا
وهي دار الآخرة ومعنى اضاعتهم لها تركهم للاسباب الموصلة الى ثوابها والمبعدة من عقابها السابعة
كونهم لا يستطيعون الانتقال عما حصلوا عليه من الافعال القبيحة التي لزمتهم العقاب واكسبت نفوسهم
ملكات السوء وذلك ظاهر اذ الانتقال عن ذلك لا يمكن الا في دار العمل وهي الدنيا الثامنة وكذلك
لا في حسن يستطيعون ازديادا اي من الاعمال الحسنة الموجبة للملكات الخيرية والثواب الدائم كما قال
تعالى حكاية عنهم قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا الآية التاسعة انهم انسوا بالدنيا حتى
غرتهم العاشرة كونهم وثقوا بها حتى صرعتهم والسبب في الاغترار بها وغرورها لهم حصول لذاتها الحسية
مع قربهم من المحسوس وهو مستلزم للانس بها المستلزم للغرور بها والغفلة عما ورائها وهو مستلزم للوثوق
بها وهو مستلزم لصرعهم في مهاوي الهلاك حيث لا يقال عثرة ولا ينفع ندامة واعلم ان ذكر الموت وان
كان يستلزم الاتعاظ والانزجار الا ان شرح الاحوال التي تعرض للانسان في موته ابلغ في ذلك لما ان
كل حال منها منفور عنها طبعا وان كان انما حصل النفرة عنها لكونها حالة تعرض للميت والنفرة عن الموت
والمكروه مكروه ومولم ومنفور عنه طبعا الثالث مما امرهم به على طريق الوصية ان يسابقوا الى منازلهم
التي امروا ان يعمروها والتي رغبوا اليها ودعوا اليها وهي منازل الجنة ومراتب الابرار فيها وعمارتها بالاعمال الصالحة
الموافقة لمقتضى النواميس الالهية وتحصيل الكمالات النفسانية عنها والمعنى ليسابق بعضكم بعضا الى
منازلكم ومراتب درجاتكم من الجنة وعمارتها بتحصيل الكمالات النفسانية وموافقة الشرايع الالهية
واليه الاشارة بقوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين
والترغيب فيها كقوله تعالى وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون ونحوه الرابع مما امرهم

بالصبر

بالصبر على طاعة الله وعلى مجانبة المعصية ورغب بكونه سببا لتتميم نعم الله عليهم ولما كان استلزامه لها كان
له وكانت ثمرة الصبر حلاوة قدمها ليحلو الصبر بذكرها وقوله فان غدا من اليوم قريب تخويف من الساعة
وقربها ولم يرد بغد ولا اليوم حقيقتهما بل اراد بغد القيمة وباليوم مدة الحياة كقوله فيما سبق الا وان
اليوم المضمار وغدا السباق وهو يجري مجرى المثل كقوله غدا ما غدا ما اقرب اليوم من غد وقوله ما اسرع
الساعات في اليوم الى آخره بيان لقرب الغد الذي كنى به عن القيمة من اليوم فان الساعات بسرعة الانتقال
والانقضاء وسرعتهما مستلزم لسرعة مجيء اليوم وانقضائه وسرعتهما مستلزم لسرعة مجيء الايام وانقضائها
وسرعتهما كذلك لسرعة مجيء الشهر وانقضائه المستلزمين لسرعة مجيء السنة وانقضائها المستلزمين لسرعة
انقضاء العمر العاملين فيه لكن انقضاؤه بالقيمة فاذن الساعات مستلزمة لسرعة انقضاء العمر وقرب
غد من يومه واتى في الكل بلفظ التعجب تاكيدا لبيان تلك السرعة وهو كلام شريف بالغ في الفصاحة
والموعظة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** فمن الايمان ما يكون ثابتا مستقرا في القلوب ومنه
ما يكون عواري بين القلوب والصدور الى اجل معلوم فاذا كانت لكم براءة من احد فقفوه حتى يحضره الموت
فعند ذلك يقع حد البراءة والهجرة قائمة على حدها الاول ما كان لله في اهل الارض حاجة من مستسر
الامة ومعلنها لا يقع اسم الهجرة على احد الا بمعرفة الحجة في الارض فمن عرفها واقر بها فهو مهاجر ولا يقع
اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة فسمعتها اذنه ووعاها قلبه ان امرنا صعب مستصعب لا يحمله الا عبد
امتحن الله قلبه للايمان ولا يعي حديثنا الا صدور امينة واحلام رزينة ايها الناس سلوني قبل ان
تفقدوني فلانا بطرق السماء اعلم مني بطرق الارض قبل ان تشغر برجلها فتنة تطأ في خطامها وتذهب
باحلام قومها **اقول** العواري بالتشديد جمع عارية قيل كانها منسوبة الى العار اذ في طلبها عار والبراءة
التبري وشغرت البلدة اذا خلت عن مدبرها وفي الفصل مسائل الاولى قوله فمن الايمان الى قوله الى اجل
معلوم قسمة للايمان الى قسمين ووجه الحصر فيهما ان الايمان لما كان عبارة عن التصديق بوجود الصانع
سبحانه وما له من صفات الكمال ونعوت الجلال والاعتراف بصدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما
جاء به فتلك الاعتقادات ان بلغت حد الملكات في النفوس فهي الايمان الثابت المستقر في القلب
ان لم يبلغ حد الملكة بل كانت بعد حالات في معرض التغير والانتقال فهي العواري المتزلزلة واستعار
لها لفظ العواري باعتبار كونها في معرض الزوال كما ان العواري في معرض الاسترجاع والرد وكنى
بكونها بين القلوب والصدور عن كونها غير مستقرة في القلوب ولا متمكنة من جواهر النفوس وقال
بعض الشارحين اراد ان من الايمان ما يكون على سبيل الاخلاص ومنه ما يكون على سبيل النفاق وقوله
الى اجل معلوم ترشيح لاستعارة العواري اذ كانت من شانها ان تستعار الى وقت معلوم ثم قد كان
ما كان بمعرض الزوال والتغير من الايمان وهذه القسمة لهذين القسمين هي الموجودة في نسخة

الرضي خطبه وفي نسخ كثيرة الشارحين ونسخ كثيرة معتبرة وبنقل الشارح عبد الحميد بن ابي الحديد رحمه الله في النسخة
التي شرح الكتاب عليها انها ثلثة اقسام هكذا فمن الايمان ما يكون ثابتا مستقرا في القلوب ومنه ما يكون عواري
في القلوب ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور الى اجل معلوم ثم قال في بيانها ما هذه خلاصته ان
الايمان اما ان يكون ثابتا مستقرا في القلوب بالبرهان وهو الايمان الحقيقي او ليس ثابتا بالبرهان بل
بالدليل الجدلي كايمان كثير ممن لم يحقق العلوم العقلية ويعتقد ما يعتقده من اقيسة جدلية لا تبلغ درجة
البرهان وقد سماه عليه السلام عواري في القلوب اي انه وان كان في القلب الذي هو محل الايمان الحقيقي الا
ان حكمه حكم العارية في البيت فانها بعرضية الخروج منه واما ان لا يكون مستندا الى برهان ولا الى قياس
جدلي بل على سبيل التقليد وحسن الظن بالاسلاف وبامام يحسن الظن به وقد جعله عليه السلام عواري بين
القلوب والصدور لانه دون الثاني فلم يجعله حالا في القلب لكونه اضعف مما قبله واقرب الى الزوال ثم قال
قوله الى اجل معلوم الى القسمين الاخرين لان من يثبت ايمانه بالقياس الجدلي قد يبلغ الى درجة البرهان اذا انعم
النظر ورتب المقدمات اليقينية ترتيبا منتجا وقد تضعف معلوماته في نظره فيحط الى درجة المقلد فيكون
ايمان كل منهما الى اجل معلوم لكونه في معرض الزوال واقول ان صحت هذه الرواية فالمعنى يعود الى ما قلناه
من التفسير فان العلم بما يستلزمه البرهان وغيره من الايمان ان بلغ الى حد الملكة فهو الثابت المستقر والا
فهو العارية والذي بازاء القسم الثاني تكرار وقع من قلم الناسخ سهوا والله اعلم الثانية قوله فاذا كانت لكم
براءة الى قوله حد البراءة معلوم معناه اي انكم اذا اردتم التبري من احد من اهل الكبائر فقفوا اي اجعلوه موقوفا
الى حال الموت وتسارعوا الى البراءة منه قبل الموت فان اشد الكبائر واعظمها الكفر ويجوز من الكافر
ان يسلم فاذا بلغ منتهى الحياة وجدها ولم يقلع عن كبيرته فذلك الحد هو حد البراءة الذي يجوز ان يوقعوها
معه اذ ليس بعد الموت حالة ترجى وتنتظر قال بعض الشارحين والبراءة التي اشار عليه السلام اليها هي البراءة
المطلقة لا كل براءة اذ يجوز لنا ان نتبرأ من الفاسق وصاحب الكبيرة في حياته براءة مشروطة اي ما دام مصرا
على كبيرته الثالثة قوله والهجرة قائمة على حدها الاول لما كانت حقيقة الهجرة ترك منزل الى منزل اخر لم
يكن تخصيصها عرفا بهجرة الرسول صلى الله عليه وآله ومن معه وهاجر اليه من مكة الى المدينة مخرجا لها عن
حقيقتها وحدها اللغوي اذ كان ايضا كل من ترك منزله الى منزل اخر مهاجرا اذا عرفت ذلك فنقول ان مراده
عليه السلام من بقاء الهجرة على حدها بقاء صدقها على من هاجر اليه والى الائمة من اهل بيته في طلب دين الله وتعرف
كيفية السلوك لصراط المستقيم كصدقها على من هاجر الى الرسول صلى الله عليه وآله وفي معناها ترك الباطل
الى الحق وبيان هذا الحكم بالمنقول والمعقول اما المنقول فمن وجهين احدهما قوله تعالى ومن يهاجر في سبيل
الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة فعمم من فارق وطنه وعشيرته في طلب دين الله وطاعته مهاجرا وقد
علمت في اصول الفقه ان من للعموم فوجب ان يكون كل من سافر لطلب دين الله من معادنه مهاجرا الثاني قوله

الرسول صلى الله عليه المهاجر من هاجر ما حرم الله عليه ظاهر ان من هاجر معصية الائمة الى طاعتهم والاقتداء بهم
فقد هاجر ما حرم الله عليه فكان اسم الهجرة صادقا عليه واما المعقول فلان المفارق لوطنه الى الرسول صلى
الله عليه مهاجر فوجب ان يكون المفارق لوطنه الى من يقوم مقامه من ذريته الطاهرين مهاجرا لصدق حد الهجرة
في الموضعين ولان المقصود من الهجرة ليس الا اقتباس الدين وتعرف كيفية سبيل الله وهذا المقصود حاصل
من يقوم مقام الرسول صلى الله عليه وآله من الائمة الطاهرين بحيث لا فرق الا النبوة والامامة ولا مدخل
لاحدهما في الوصفين في تخصيص مسمى الهجرة بمن قصد الرسول صلى الله عليه دون من قصد الائمة فوجب
عموم صدقه على من قصدهم فان قلت هذا معارض بقوله صلى الله عليه لا هجرة بعد الفتح حتى شفع عمه العباس
في نعيم بن مسعود الاشجعي ان يستثناه فاستثناه قلت يحمل ذلك على انه لا هجرة من مكة بعد فتحها الى المدينة
توفيقا بين الدليلين وسلب الخاص لا يستلزم سلب العام واعلم ان فائدة هذا القول الدعوة الى الدين
واقتباسه منه ومن اهل بيته عليهم السلام بذكر الهجرة والتنبيه بها وبما تستلزمه من الفضيلة على ان التارك
لاهله ووطنه اليهم طلبا للدين منهم يلحق بالمهاجرين الاولين في مراتبهم وثوابهم الرابعة قوله ما كان لله في
الارض الى قوله ومعلنها قال قطب الدين الراوندي رحمه الله ما هاهنا نافية اي لم يكن لله في اهل الارض
ممن اسر دينه او اعلنه واظهره حاجة ومن هاهنا لبيان الجنس وانكر الشارح عبد الحميد بن ابي الحديد كونها
نافية وقال يلزم منه كون الكلام منقطعا بين كلامين متواصلين وجعلها هو بمعنى المدة اي الهجرة قائمة على
حدها ما دام الله في اهل الارض ممن اسر دينه او اعلنه حاجة اي ما دامت العبادة مطلوبة لله تعالى من اهل الارض
بالتكليف وهو كقولك في الدعاء اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي ويكون لفظ الحاجة مستعارا في حقه تعالى
باعتبار طلبه للعبادة بالاوامر وغيرها كطلب ذي الحاجة لها واقول انه غير بعيد ان يكون نافية مع اتصال
الكلام بما قبله ووجهه انه لما رغب الناس في طلب الدين والعبادة فكانه اراد ان يرفع حكم الوهم بما عساه يحكم به
عند تكرار طلب الله للدين والعبادة من حاجة تعالى اليها من خلقه في تكرر طلبها منهم بتواتر الرسل والاوامر
ويصير معنى الكلام ان الهجرة باقية على حدها الاول في صدقها على المسافرين لطلب الدين فينبغي للناس ان
يهاجروا في طلبه الى ائمة الحق وليس ذلك لان الله تعالى الى اهل الارض ممن اسر دينه او اظهره حاجة فانه تعالى
الغني المطلق الذي لا حاجة به الى شيء الخامسة قوله لا يقع اسم الهجرة الى قوله فليس اشارة بالحجة في الارض الى امام
الوقت لانه حجة الله في ارضه على عباده يوم القيمة وشاهده عليهم وهذا الكلام يفسر لوازم اسم الهجرة وبيان
يصدق عليه فشرط صدقها على الانسان بمعرفة الامام وقته وذلك لان الامام هو الحافظ للدين ومعدنه الذي يجب
اخذه عنه فيكون قصده لذلك مشروطا بمعرفته فاذن اطلاق اسم الهجرة عليه مشروط بمعرفة امام الوقت فلذلك
قال لا يقع اسم الهجرة على احد الا بعد معرفة الحجة في الارض وقوله فمن عرفها واقر بها فهو مهاجر يحتمل ان يريد ان
شرط اطلاق اسم المهاجرة ويحتمل ان يريد انه بمجرد معرفة الامام والاقرار بوجوب اتباعه والاخذ عنه وان كان

بالاخبار عنه دون المشاهدة كاف في اطلاق اسم الهجرة على من عرفه كذلك دون السفر اليه كما كونه اطلاقه على من
ما حرم الله بمقتضى قول الرسول صلى الله عليه المهاجر من ترك ما حرم الله وقوله ولا يصدق اسم الاستضعاف على
من بلغته الحجة اي اخبار الحجة فحذف المضاف ويحتمل ان يريد بالحجة نفس الاخبار التي ينقل عن الامام ويجب العمل
بها قال قطب الدين الراوندي يمكن ان يشير بهذا الكلام الى احد شيئين احدهما قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة
ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك
مأويهم جهنم فيكون مراده عليه السلام على هذا انه يصدق اسم الاستضعاف على من عرف الامام وبلغته احكامه
ووعاها قلبه وان بقي في وطنه ولم يتجشم السفر الى الامام كما صدق على هؤلاء المذكورين في الاية والثانية قوله
تعالى بعد ذلك الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك
عسى الله ان يعفو عنهم فيكون مراده على هذا ان من عرف الامام وسمع مقالته ووعاها قلبه لا يصدق عليه
الاستضعاف كما صدق على هؤلاء اذ كان المفروض على الموجودين في عصر الرسول صلى الله عليه المهاجرة بالابدان
دون من بعدهم بل يقتنع منه بمعرفته والعمل بقوله بدون المهاجرة اليه بالبدن واقول يحتمل ان يريد بقوله ذلك
انه لا عذر لمن بلغته دعوة الحجة فسمعها في تأخره عن النهوض والمهاجرة اليه مع قدرته على ذلك ولا يصدق عليه
اسم الاستضعاف كما يصدق على المستضعفين من الرجال والنساء والولدان حتى يكون ذلك عذرا له بل يكون
في تأخره ملوما مستحقا للعقاب كالذين قالوا انا كنا مستضعفين في الارض ويكون مخصوصا بالقادرين
على النهوض كما قلناه دون العاجزين فان اسم الاستضعاف صادق عليهم وهذا الاحتمال انما يكون جاريا الا
من هذا الكلام على تقدير ان يكون اطلاق اسم المهاجر على الانسان في الكلام المتقدم مشروطا بمعرفة الامام
بالمشاهدة والسفر اليه اذ لو جاز ان يطلق عليه المهاجرة مع عدم السفر الى الامام لما كان ملوما في تأخره عنه
السادسة قوله ان امرنا صعب مستصعب فامرهم شأنهم وما هم عليه من الكمال الخارج عن كمالات من عداهم من
الامثال والاطوار التي يختص بها عقولهم وراء معقول غيرهم فيكون لهم من ذلك القدرة على ما لا يقدر عليه
غيرهم والادراكات الغيبية بالنسبة الى غيرهم والاخبار عنه كالوقائع التي حكاها عليه السلام ثم وقعت على وفق
قوله وكالاحكام والقضايا التي اختص بها ونقلت عنه فان هذا الشأن صعب في نفسه لا يقدر عليه الا الانبياء والاوصياء
الانبياء ومستصعب الفهم على الخلق محجور عن احتمال ما يلقى منه من الاشارات والاخبارات عما سيكون والقدرة
على ما يخرج عن وسع مثلهم ولا يحتمله ويقبله الا نفس عبد امتحنها الله للايمان كقوله تعالى اولئك الذين امتحن الله
قلوبهم للتقوى اي عودها بالامتحان والابتلاء بالتكاليف العقلية والنقلية لحصول الايمان الكامل التقوى
بالله ورسوله وكيفية سلوك سبيله وتملك بالكمالات العلمية والفضائل الخلقية حتى عرفت مبادي
كمالاتهم ومقاديرها وكيفية صدور مثل هذه الغرائب عنها فلا يستنكر ما يأتون به من قول وفعل ويتلقاه
بالتكذيب كما كان جماعة من اصحابه عليه السلام يفعلون ذلك معه فيما كان يخبر به عن الفتن حتى فهم ذلك

منهم فقال يقولون يكذب قاتلهم الله تعالى فعلى من اكذب اعلى الله وانا اول من امن به وعلى رسوله وانا اول
من صدقه كما حكيناه ذلك فيما سبق بل يحمل كل ما يأتون به على وجهه ويتفرع الى مباديه ويفرح بوصول ما يرد
عليها من اسرارهم الالهية فاولئك وامثالهم هم اصحاب الصدور الامنة التي يلقى ما يلقى اليها من تلك
الاسرار ويصونها عن الاذاعة الى من لا ينتفع بها وليس باهل لها فيهما مونة عليها واولو الاحلام الرزينة
التي لا يستفزها سماع تلك الغرائب ومشاهدتها منهم فيحملهم ذلك على اذاعتها واستنكارها بل يحملها على
الصواب ما وجدت لها محملا فاذا عجزت عن معرفتها تثبتت فيها وامنت بها على سبيل الاجمال وفوضت علم
كنهها الى الله سبحانه واراد قلوب صدور واعية واصحاب صدور امينة واصحاب احلام رزينة فحذف المضاف
ويحتمل ان يكون قد اطلق اسم الصدور والاحلام مجازا عن اهلها اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق
ونقل عنه عليه السلام مثل هذا الكلام في غير هذا الموضع من جملة خطبة له ان قريشا طلبت السعادة
فشقيت وطلبت النجاة فهلكت وطلبت الهدى فضلت الم يسمعوا ويحهم قوله تعالى الذين امنوا واتبعتهم
ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم فاين المعدل والمنزع من ذرية الرسول الذين شيد الله بنيانهم فوق
البنيان واعلى رؤسهم فوق رؤسهم واختارهم عليهم الا ان الذرية افنان انا شجرتها ودوحة انا ساقها
واني من احمد بمنزلة الضوء من الضوء كنا اظلالا تحت العرش قبل خلق البشر وقبل خلق الطينة التي كان
منها البشر اشباحا عالية لا اجساما نامية ان امرنا صعب مستصعب لا يعرف كنهه الا ملك مقرب او نبي
مرسل او عبد امتحن الله قلبه للايمان فاذا انكشف لكم سر او وضح لكم امر فاقبلوه والا فاسكتوا تسلموا
وردوا علمها الى الله فانكم في اوسع ما بين السماء والارض وفي قوله واني من احمد بمنزلة الضوء من الضوء وقوله
كنا اظلالا الى قوله نامية اشارة لطيفة اما الاول فاشار الى ان الكمالات التي حصلت لنفسه القدسية
بواسطة كمالات نفس النبي صلى الله عليه وآله اشبه الاشياء به صدور الضوء عن الضوء كشعلة مصباح اقتبست
من شعلة مصباح اكبر واعلى ومن العادة في عرف المجردين واولياء الله وكتبهم تمثيل النفوس الشريفة
والعلوم بالانوار والاضواء لمكان المشابهة بينهما في حصول الهداية عنها مع لطفها وصفائها واما
الثاني فيحتمل ان يكون قد اشار بكونهم اظلالا تحت العرش قبل خلق البشر اشباحا بلا اجسام الى وجودهم في
العلم الكلي فانه قد يعبر عنه في بعض المواضع بالعرش واستعار لفظ الاظلال لهم باعتبار كونهم مرجعا
للخلق وملجأ كالاظلال وقد سبقت الاشارة الى ذلك ويقرب منه بيان اوضح في الخطبة الاولى السادسة
ايها الناس وقال سلوني قبل ان تفقدوني الى قوله الارض ولجمع الناس على انه لم يقل احد من الصحابة
واهل العلم سلوني غيره عليه السلام ذكر ذلك ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب واراد بطرق السماء طرق
الهداية الى معرفة منازل سكان السماوات من الملأ الاعلى ومراتبهم من حضرة الربوبية ومقامات انبياء
وطبقاتهم من حظائر القدس واشعاث نفسه القدسية عنهم باحوال الفلك ومدبراتها والامور الغيبية

مما يتعلق بالفتن والوقايع المستقبلة اذ كان له عليه السلام الاتصال التام بتلك المبادي فبالحرى ان يكون علمه بما هناك اتم واكمل من علمه بطرق الارض الى منازلها وقد سبق مثله كقوله سلوني قبل ان تفقدوني فوالله لا تسئلوني عن فتنة تضل مائة وتهدي مائة الا انبأتكم بناعقها وقائدها وقد حمله قوم على امر آخر وقالوا اراد بطرق السماء الاحكام الشرعية والفتاوى الفقهية اي انا اعلم بها من الامور الدنيوية فعبر عن تلك بطرق السماء لكونها احكاما الهية وعبر عن هذه بطرق الارض لانها من الارضية وعن ما نقل عن الامام الوبري انه قال اراد ان علمه بالدين اوفر من علمه بالدنيا وقوله قبل ان تشغر برجلها فتنة الى آخره اراد فتنة بني امية واحكامهم العادلة عن العدل وما يلحق الناس في دولتهم من البلاء وكنى بشغر رجلها عن خلو تلك الفتنة عن مدبر يدبرها ويحفظ الامور وينتظم الدين حين وقوع الجور وقوله تطأ في خطامها استعارة لوصف الناقة التي ارسل خطامها وخلت عن القايد في طريقها فهي تخبط في خطامها وتعثر فيه وتطأ من لقيت من الناس على غير نظام من حالها وهذا هو وجه الاستعارة اذ كانت هذه الفتنة تقع في الناس على غير قانون شرعي ولا طريق مرضي ولا قايد ينظم امور الخلق فيها وقوله وتذهب باحلام قومها قال بعض الشارحين اي تحير امر خلائق زمانها وتذهلهم بشدتها حتى لا يثبتون فيها بل تطيش البابهم فلا يهتدون الى طريق التخلص عنها ووجه السلامة فيها ويحتمل ان يريد بذلك انها تستخف اهل زمانها فيا فوقنا اليها سراعا ويحبون الناعق بها والداعي اليها رغبة ورهبة فلا يتأبون في ذلك ولا يتفحصون عن كونها فتنة لغفلتهم عن وجه الحق فيها وشدة وقوعها على الناس وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام الحمد شكرا لانعامه واستعينه على وظايف حقوقه عزيز الجند عظيم المجد واشهد ان محمدا عبده ورسوله دعا الى طاعته وقاهر اعداءه جهادا عن دينه لا يثنيه عن ذلك اجتماع على تكذيبه والتماس لاطفاء نوره فاعتصموا بتقوى الله فان لها حبلا وثيقا عروته ومعقلا منيعا ذروته وبادروا الموت وغمراته وامهدوا له قبل حلوله واعدوا له قبل نزوله فان الغاية القيمة وكفى بذلك واعظا لمن عقل ومعتبرا لمن جهل وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون من ضيق الارماس وشدة الابلاس وهول المطلع وروعات الفزع واختلاف الاضلاع واستكاك الاسماع وظلمة اللحد وخيفة الوعد وغم الضريح وردم الصفيح فالله الله عباد الله فان الدنيا ماضية بكم على سنن وانتم والساعة في قرن وكانها قد جاءت باشراطها وازفت بافراطها ووقفت بكم على صراطها وكانها قد اشرفت بزلازلها واناخت بكلاكلها وانصرفت الدنيا باهلها واخرجتهم من حضنها فكانت كيوم مضى وشهر انقضى وصار جديدها رثا وسمينها غثا في موقف ضنك المقام وامور مشتبهة عظام ونار شديد كلبها عال لجبها ساطع لهبها متغيظ زفيرها متأجج سعيرها بعيد خمودها ذاك وقودها مخوف وعيدها عم قرارها مظلمة اقطارها حامية قدورها فظيعة امورها وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا قد امنوا العذاب وانقطع العتاب وزحزحوا عن النار واطمأنت بهم الدار ورضوا المثوى والقرار الذين

كانت

كانت اعمالهم في الدنيا زاكية واعينهم باكية وكان ليلهم في دنياهم نهارا تخشعا واستغفارا وكان نهارهم ليلا توحشا وانقطاعا فجعل الله لهم الجنة مآبا والجزاء ثوابا وكانوا احق بها واهلها في ملك دايم ونعيم قايم فارعوا عباد الله ما برعايته يفوز فائزكم وباضاعته يخسر مبطلكم وبادروا آجالكم باعمالكم فانكم مرتهنون بما اسلفتم ومدينون بما قدمتم وكان قد نزل بكم المخوف فلا رجعة تنالون ولا عثرة تقالون استعملنا الله واياكم بطاعته وطاعة رسوله وعفا عنا وعنكم بفضل رحمته الزموا الارض واصبروا على البلاء ولا تحركوا بايديكم وسيوفكم وهوى السنتكم ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم فانه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله واهل بيته مات شهيدا ووقع اجره على الله واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله وقامت النية مقام اصلاته بسيفه فان لكل شيء مدة واجلا اقول الوظيفة ما يقدر للانسان في كل يوم من طعام او رزق او عمل ونحوه يصرفه والمعقل الملجأ وذروته اعلاه ومهدا له اي اتخذ له مهادا وهو الفراش والارماس جمع رمس وهو القبر والابلاس الانكسار والحزن والمطلع الاطلاع من اشراف الى سفل وهوله خوفه وقوله والروعة الفزعة واستكاك الاسماع صممها والصفيح الحجارة العراض وردمها سد القبر بها والسنن الطريقة والقرن الحبل يقرن به البعيران واشراطها علاماتها وازفت دنت وافراطها مقدماتها ومنه افراط الصبح اوائل تباشيره والرث الخلق والغث الهزيل والضنك الضيق والكلب الشر واللجب الصوت والساطع المرتفع وسعيرها لهبها وتأججه اشتداد حره ووقودها بضم الواو وهو الحدث وذكاه مقصورا اشتعاله وفظاعة الامر شدته ومجاوزته للمقدار والزمر الجماعات واحدتها زمرة وزحزحوا ابعدوا واطمأنت سكنت والمثوى المقام والمآب المرجع ومدينون مجزيون واصلاته بسيفه تجريده به واعلم انه عليه السلام انشأ حمد الله على نعمائه ونصب شكرا على المصدر عن قوله احمد من غير لفظه اذ المراد بحمده هنا الشكر بقرينة ذكر الانعام ثم اردفه بطلب المعونة على ما وظف عليه من حقوقه واجباتها ونوافلها كالصلوات والعبادات التي ارتضاها منهم شكرا لنعمائه واذا اعتبرت كانت نعماء يستحق الشكر لما يستلزم المواظبة عليها من السعادة الحقيقية الباقية كما سبق بيانه وقوله عزيز الجند نصب على الحال والاضافة غير محضة والعامل استعينه وكذلك قوله عظيم المجد اي استعينه على اداء حقوقه حال ما هو بهذين الاعتبارين فانه باعتبار ما هو عزيز الجند عظيم المجد يكون مالك الملك وقادرا على ما يشاء فكان مبدأ للاستعانة به على اداء وظايف حقوقه ثم اردفه بشهادة الرسالة للنبي صلى الله عليه وآله وذكر احواله التي كانت مبادي لظهور الدين الحق ليقتدي السامعون به صلى الله عليه وآله في تلك الاحوال وهي دعوته الى الدين ومقاهرته لاعدائه وهم الكفار على اصنافهم ونصب جهادا على انه مصدر سد مسد الحال ونصب المصادر عن قوله قاهر من غير لفظه اذ في قاهر معنى جاهد وعن دينه متعلق بجهادا اعمالا للاقرب ويحتمل التعلق بقاهر وقوله لا يثنيه اي لا يصرفه عن دعوته ومقاهرته لاعدائه اجتماع الخلق على تكذيبه والتماسهم لاطفاء نوره ولفظ النور مستعار لما جاء به

من الكمالات الهادية الى سبيل الله ثم لما نبههم على تلك الاحوال التي هي مبادي قهرها تقوى الله تعالى امرهم بالاعتصام بها اي فاعتصموا بتقوى الله كما اعتصم نبيكم بها في اظهار دينه ومواظبته على ذلك ولا تخافوا من عدو مع كثرتكم كما لم يخف هو مع وحدته فان للتقوى حبلا وثيقا عروته من تمسك به واعتصم لم يضره عدو ومعقلا منيعا ذروته من لجأ اليه لم يصل اليه سوء ولفظ الحبل والمعقل مستعاران للتقوى وقد سبق بيان هذه الاستعارات ثم اكد ذلك الامر بمبادرة الموت وغمراته ومعنى مبادرته مسابقته الى الاستعداد بالاعمال الصالحة كانهم يسابقون الموت وغمراته وما يلحقهم من العقاب فيه وفيما بعده الى الاستعداد بالاعمال الصالحة فيحصلوا بها ملكات صالحة يكون مهادا له قبل حلوله بهم كيلا يكدحهم كدحا ويجعلونها عدة لانفسهم قبل نزوله عليهم ليلقوه بها كيلا يؤثر في نفوسهم كثير اثر كانه يسابقهم الى انفسهم ليقتطعهم من ذلك الاستعداد فيكون سببا لوقوع العذاب بهم وقوله فان الغاية القيمة تحذير بذكر الغاية وتذكير باهوالها الموعودة اي فان غايتكم القيمة لا بد لكم منها ولما كانت تلك الغاية القيمة هي لازمة الموت كما قال عليه السلام من مات فقد قامت قيامته كان امره بالاستعداد للموت امرا بالاستعداد لها ولذلك اتى بعد الامر بالاستعداد له بقوله فان الغاية على وجوب ذلك الاستعداد تصغيرا لذكر صغراه وتقدير الكبرى وكل من كانت غايته القيمة فواجب ان يستعد لها وقوله وكفى بذلك اي بذكر الموت وغمراته والقيمة واهوالها وخصص من عقل لكونه المقصود بالخطاب الشرعي ومعتبرا اي محلا للاعتبار والعلم وظاهر كون الموت ونزوله بهذه البنية التامة التي احكم بنيانها ووضعت بالوضع العجيب والترتيب اللطيف وهدمها واعظا بليغا بزجر النفوس عن متابعة هواها ومعتبرا يقف منه على ان وراء هذا الوجود وجودا اعلى واشرف منه لما عطلت هذه البنية المحكمة المتقنة ولكان ذلك مبعدا لحكمتها واتقانها منافيا في الحكمة كما ان الانسان اذا بنى دارا واحكمها وزينها بزينة الالوان العجيبة فلما تمت وحصلت غايتها عاد اليها فهدمها فانه يعد في العرف سفيها عابثا اما لو كان غرضه من ذلك الوصول الى غاية يحصل بوجودها وتماما تستغني عنها صار هدمها فكذلك هذه البنية لما كانت الغرض منها استكمال النفوس البشرية بالكمالات التي يستفاد من جهتها وهي العلوم ومكارم الاخلاق ثم الانتقال منها الى عالمها صار لذلك خرابها وفسادها بعد حصول ذلك الغرض منها وقوله وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون عطف على قوله قبل نزوله وقوله من ضيق الارماس الى قوله الصفيح تفصيل لما يعلمونه من احوال الموت واهواله وظاهر ان للقبور وحشة ما بالقياس الى مواطن الدنيا وان للنفوس عند مفارقتها عما شديدا وحزنا قويا على ما فارقته ومما الامر من الاهوال التي كانت غافلة عنها وان لما اشرفت عليه من اهوال الآخرة هولا وفزعا تطير منه الالباب وفي المرفوع واعوذ بك من هول المطلع وانما حسن لفظ روعات الى الفزع وان كان الروع هو الفزع باعتبار تعددها وهي من حيث هي احاد مجموع افراد ماهية الفزع فجازت اضافتها

اليه

اليه واختلاف الاضلاع كناية عن ضغطة القبر اذ يحصل بسببها تداخل الاضلاع واختلافها واستكاك الاسماع ذهابها بشدة الاصوات الهايلة ويحتمل ان يريد به ذهابها بالموت وانما قال خيفة الوعد لان الوعد قد يستعمل في الشر والخير عند ذكرهما قال ولا تعدا في الخير والشر مقبل فاذا اسقطوا ذكرهما قالوا في الخير العدة والوعد وفي الشر الايعاد والوعيد وههنا وان سقط ذكرهما الا ان قوله خيفة يدل على وجود الشر فكان كالقرينة وغم الضريح الغم الحاصل والوحشة المتوهمة فيه اذ كان للنفوس من الهيئات المتوهمة كونها مقصورة مضيقا عليها بعد فسح المنازل الدنيوية وساير ما ذكره عليه السلام من الاهوال وانما عدد هذه الاهوال لكون الكلام في معرض الوعظ والتخويف وكون هذه الامور مخوفة منفورا عنها طبعا ثم اكد ذلك التخويف بالتحذير من الله وعلل ذلك التحذير بكون الدنيا ماضية على سنن اي على طريقة واحدة لا يختلف حكمها كما كان من شانها ان اهلكت القرون الماضية وفعلت بهم وبآثارهم ما فعلت وصيرتهم الى الاحوال التي عددناها فكذلك فعلها بكم وقوله وانتم والساعة في قرن كناية عن قربها القريب منهم حتى كانهم معها في قرن واحد وقوله وكانها قد جاءت باشراطها تشبيه لها في سرعة مجيئها بالتي جاءت وحضرت واكد ذلك التشبيه بقد المفيدة لتحقيق المجيء وعلاماتها كظهور الدجال ودابة الارض وظهور المهدي وعيسى عليهما السلام الى غير ذلك وكذلك قوله وازفت بافراطها ووقفت بكم على صراطها الى قوله وسمينها غثا اي وتحقق وقوفها بكم على صراطها وهو الصراط المعهود فيها وكانها اي اشبهت فيما يتوقع منها من هذه الاحوال في حقكم حالها في ايقاعها بكم وتحقيقها فيكم واستعار لفظ الكلاكل لاهوالها الثقيلة ووصفا الاناخة لمجيئها بتلك الاهوال عليهم ملاحظا في ذلك تشبيهها بالناقة وانما حسن تعديدا لكلاكل لها باعتبار تعدد اهوالها الثقيلة النازلة بهم ولما كانت الافعال من قوله واناخت الى قوله وصار سمينها غثا معطوفا بعضها على بعض دخلت في حكم التشبيه اي وكان الدنيا قد انصرفت باهلها وكانكم قد اخرجتم من حضنها الى آخر الافعال والمشبه الاول هو الدنيا باعتبار حالها الحاضرة والمشبه به انصرافها باهلها وزوالهم ووجه الشبه سرعة المضي وكانها من سرعة احوالها الحاضرة كالتي وقع انصرافها وكذلك كل الوجه في باقي التشبيهات واستعار لفظ الحضن لها ملاحظة لتشبيهها بالام التي تحضن ولدها فينتزع من حضنها والسمين والغث يحتمل ان يريد بهما الحقيقة ويحتمل ان يكون عن ما كثر من لذاتها وخيراتها وتغير ذلك بالموت وزواله وقوله في موقف يتعلق بصار والموقف هو موقف القيمة وظاهر ان كل جديد للدنيا يومئذ رث وكل سمين كان بها غث وضيق الموقف اما لكثرة الخلق يومئذ وازدحامهم ولصعوبة الوقوف به وطوله مع ما يتوقع الظالمون لانفسهم من انزال المكروه بهم والامور المشتبهة العظام اهوال الآخرة واشتباهها كونها ملبسة متحيرة في وجه الخلاص منها والاعتبار بحكم بكونها عظيمة وظاهر كون النار شديدة الشر وقد نطق القرآن الكريم باكثر ما وصفها

عليه السلام به هاهنا من علو اصواتها وسطوع لهبها وتغيظ زفيرها كقوله تعالى اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ وقوله سمعوا لها تغيظا وزفيرا ولفظ التغيظ مستعار للنار باعتبار حركتها بشدة وعنف كالغضبان او باعتبار استلزام حركتها للاذى والشر وقوله عم قرارها اشتد العمى لقرارها مجاز باعتبار انه لا يهتدى فيه لظلمته او لان عمقها لا يوقف عليه لبعده ولما اشار بلفظ الحي ثم بذكر العذر وعظم فظاعة تلك الامور وشدتها وكل تلك الامور عددها في معرض التخويف لكونها تخوف تنفير لما يلزم عنه من ترك التقوى واتباع الهوى ثم ساق الاخر اقتباسا وشفع بعدها احوال المتقين في الاخرة اللازمة عن تقويهم وهي امنهم من العذاب وانقطاع العقاب عنهم وابعادهم عن النار بهم واطمينان الدار التي هي الجنة بهم ورضاهم بما مثوى وقرارا ترغيبا في التقوى بذكر لوازمها ثم اردف ذلك بصفات المتقين بما هم عليه لا يعرفها فقال هم الذين كانت اعمالهم في الدنيا زاكية اى طاهرة عن الريا والشرك الخفي واعينهم باكية اى من خشية الله وخوف عقابه وحرمانه وكان ليلهم في الدنيا نهارا اى جعلوا الليل نهارا في كونه محل حركاتهم في عبادة ربهم وتخشعهم له واستغفارهم اياه فاشبه النهار الذي هو محل حركات الخلق فلذلك استعار لفظ النهار لليل وكذلك استعار لفظ الليل للنهار ووجه الاستعارة كون النهار محلا لتوحشهم من الخلق وانقطاعهم عنه واعتزالهم اياهم كالليل الذي هو محل انقطاع الناس بعضهم عن بعض وافتراقهم وفي نسخة الرضي رحمه الله خطه كان للتشبيه ورفع نهارا في القرينة الاولى ورفع ليل في الثانية ووجه التشبيه هو ما ذكرناه وكانه يقول فلما استعدوا بتلك الصفات للحصول على الفضائل والكمالات واستوجبوا رضى الله تعالى عنهم جعل الله لهم الجنة مرجعا ومآبا وما اعد فيها من جزاء النعيم ثوابا وكانوا احق بها واهلها وهو اقتباس وقوله في ذلك الى قوله فايم مقيم تفسير للجزاء ثم اكد الامر بالتقوى بعبارتها في عبارة لخص ما فيها على بعض لوازمها وذلك ان فوزنا الفائزين انما يكون بالتقوى ولزوم الاعمال الصالحات والمبطلون هم الذين لا حق معهم فهم الخارجون عن التقوى الحقة وانما يلحقهم الخسران بالخروج عنها وقوله بادروا آجالكم باعمالكم كقوله بادروا الموت اى و سابقوا آجالكم بالاعمال الصالحات الى الاستعداد بها قبل ان يسبقكم الى انفسكم فيقطعكم عن الاستعداد بتحصيل الازواد ليوم المعاد ونبههم بقوله فانكم الى قوله قدمتم على ان ذنبهم يذنوبهم التالفة والجزاء عليها في القيمة ليبادروا الى فكاكها بالاعمال الصالحة والسالفة من الجزاء عليها ولفظ الرهن مستعار للنفوس لانها في باعتبار تقيدها بالسيئة واطلاقها بالحسنة كتقيد الرهن المتعارف بما عليه من المال وافتكاكه باداؤه واطلاق لفظ الجزاء على العقاب مجاز اطلاقا لاسم احد الضدين على الاخر وقوله وكان قد نزل بي المخففة من كان للتشبيه واسمها ضمير الشان والمقصود تشبيه حالهم وشانهم الحاضر بحال نزول المخوف هو الموت بهم وتحققه في حقهم الذي يلزمه ويترتب عليه عدم تمنيهم للرجعة واقالتهم للعثرة ثم عقب بالدعاء لنفسه ولهم باستعمال الله اياهم طاعته وطاعة رسوله وذلك الاستعمال بتوفيقهم لاسباب الطاعة اعدادهم لها وافاضة صورة الطاعة على قوام

العقلية والبدنية وجوارحهم التي بسببها تكون السعادة القصوى ثم دعا بان يقرن ذلك الاستعمال من العفو عن جرائمهم واما نسبتها الى فضل رحمته لكونه مبداء للعفو والمسامحة من جهة ما هو رحيم وذلك من الاعتبارات التي تعدد بها العقول الضعيفة ويحملها من صفات كما له كما سبق بيانه في الخطبة الاولى ثم عقب وعظهم وتحذيرهم والدعاء لهم بلزوم ان يلزموا الارض ويصبروا على ما يلحقهم من بلاء اعدائهم ومخالفيهم في العقيدة كالخوارج والبغاة على الامام بعده من ولده والخطاب خاص بمن يكون بعده بدلالة سياق الكلام ولزوم الارض كناية عن الصبر في مواطنهم وقعودهم عن النهوض لجهاد الظالمين في زمن عدم قيام الامام الحق بعده عليه السلام وقوله ولا تحركوا بايديكم وسيوفكم وهوى السنتكم نهي عن الجهاد من غير امر احد من الائمة من ولده بعده وذلك عند عدم قيام من يقوم منهم بطلب الامر فانه لا يجوز لهم اجراء هذه الحركات لا بالاشارة من امام الوقت وهوى السنتهم ميلها الى السب والشتم تنفيرا لهوى النفوس والباء في بايديكم زائدة ويحتمل ان يكون مفعول لا تحركوا محذوفا تقديره شيئا ولا تحركوا بهوى السنتكم ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم من ذلك الجهاد وقوله فانه من مات منكم الى قوله بسيفه بيان لحكمهم في زمان عدم قيام الامام الحق بعده لطلب الامر وتبشير لهم على ثمرة الصبر وهو ان من مات منهم على معرفة حق ربه وحق رسوله واهل بيته والاعتراف بكونهم ائمة الحق والاقتداء بهم لحق بدرجة الشهداء ووقع اجره على الله بذلك واستحق الثواب منه على ما اتى به من الاعمال والصبر عن المكاره من الاعداء وقامت نيته انه من انصار الامام لو قام لطلب الامر وانه معينه مقام تجريده لسيفه معه في استحقاق الاجر وقوله فان لكل شيء مدة واجلا تنبيه على ان لكل من دولة الباطلة ودولة الحق العادلة مدة تنقضي بانقضائها واجل تنتهي به فاذا حضرت مدة دولة عدو فليس ذلك وقت قيامكم في دفعها فلا تستعجلوا به هذا هو المبادر الى الفهم من هذا الكلام والخطبة من فصيح خطبه عليه السلام وقد اخذ ابن نباتة الخطيب كثيرا من الفاظها في خطبه كقوله شديد كلبها عال لجبها ساطع لهبها متغيظ زفيرها متاجج سعيرها الى قوله فظيعة امورها وكقوله هول المطلع وروعات الفزع الى قوله وردم الصفيح فانه اخذ الالفاظ وبعض بها كلامه وبالله التوفيق والعصمة ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الفاشي حمده والغالب جنده والمتعالي جده احمده على نعمه التوام والائه العظام الذي عظم حلمه فعفا وعدل في كل ما قضى وعلم ما يمضي وما مضى مبتدع الخلائق بعلمه ومنشئهم بحكمه بلا اقتداء ولا تعليم ولا احتذاء لمثال صانع حكيم ولا اصابة خطاء ولا حضرة ملاء واشهد ان محمدا صلى الله عليه عبده ورسوله ابتعثه والناس يضربون في غمرة ويموجون في حيرة وقد قادتهم ازمة الحين واستغلقت على افئدتهم اقفال الرين عباد الله اوصيكم بتقوى الله فانها حق الله عليكم والموجبة على الله حقكم وان تستعينوا عليها بالله وتستعينوا بها على الله فان التقوى في اليوم الحرز والجنة وفي غد الطريق الى الجنة مسلكها واضح وسالكها رابح ومستودعها حافظ لم تبرح عارضة نفسها على الامم الماضين والغابرين لحاجتهم اليها غدا اذا اعاد الله ما ابدى واخذ ما اعطى وسال عما اسدى فما اقل من قبلها وحملها حق حملها اولئك الاقلون عددا وهم اهل صفة الله سبحانه اذ يقول وقليل من عبادي الشكور فاهطعوا باسماعكم اليها والظوا

بجدكم عليها واعتاضوها من كل سلف خلفا ومن كل مخالف موافقا ايقظوا بها نومكم واقطعوا بها يومكم واشعروا قلوبكم وارحضوا بها ذنوبكم وداووا بها الاسقام وبادروا بها الحمام واعتبروا بمن اضاعها ولا يعتبرن بكم من اطاعها الا فصونوها وتصونوا بها وكونوا عن الدنيا نزاها والى الاخرة ولاها ولا تضعوا من رفعته التقوى ولا ترفعوا من رفعته الدنيا ولا تشيموا بارقها ولا تسمعوا ناطقها ولا تجيبوا ناعقها ولا تستضيؤوا باشراقها ولا تفتنوا باعلاقها فان برقها خالب ونطقها كاذب واموالها محروبة واعلاقها مسلوبة الا وهي المتصدية العنون والجامحة الحرون والمائنة الخؤون والجحود الكنود والعنود الصدود والحيود الميود حالها انتقال ووطئها زلزال وعزها ذل وجدها هزل وعلوها سفل دار حرب وسلب ونهب وعطب اهلها على ساق وسياق ولحاق وفراق قد تحيرت مذاهبها واعجزت مهاربها وخابت مطالبها فاسلمتهم المعاقل ولفظتهم المنازل واعيتهم المحاول فمن ناج معقور ولحم مجزور وشلو مذبوح ودم مسفوح وعاض على يديه وصافق بكفيه ومرتفق بخديه وزار على رأيه وراجع عن عزمه وقد ادبرت الحيلة واقبلت الغيلة ولات حين مناص هيهات هيهات قد فات ما فات وذهب ما ذهب ومضت الدنيا لحال بالها فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين اقول الفاشي الذائع والمنتشر والجد هاهنا العظمة ومنه حديث انس كان احدنا اذا قرا البقرة وآل عمران جد فينا اى عظم والتوام جمع توأم وحقيقته الولد يقارنه ولد آخر في بطن واحد قال الخليل اصله ووأم على وزن فوعل فابدلوا من احدى الواوين تاء كما قالوا تولج من ولج والالاء النعم واحدها الا بالفتح وقد يكسر كحرف الجر والضرب السير والغمرة ما يغمر العقل من الجهل والغمرة الشدة ايضا والحين بالفتح الهلاك والرين الطبع وغلبة الذنوب حتى تغطي عن البصيرة والغابر الباقي والماضي ايضا واهطع اسرع معروف وهطع اسرع واكظ على كذا واظب عليه والمواكظة المداومة وروى الظوا اى الزموا ولزم الشيء بمعنى المداومة عليه والشعار ما يلي الجسد تحت الدثار وهو لعلاء ايضا والرحض الغسل والنزه جمع نزيه وهو المتباعد عما يوجب الذم والولاه جمع واله وهو المتحير من شدة الوجد وشيم النظر الى البرق انتظار سحائبه والناعق الصايح واعلاقها نفايسها جمع علق وهو الشيء النفيس وبرق خالب لا مطر معه ومال محروب ماخوذ كليته والمتصدية المتعرضة والعنون كثيرة العنن وهو الاعتراض والعنون ايضا الدابة المتقدمة في السير والجموح الدابة التي تغلب الفارس فلا يملكها والحرون الذي اذا اشتد به السوق وقف والماينة الكاذبة والكنود الكفور للنعمة والعنود المائلة عن الطريق وعن الحق والصدود المعرضة والحيود ايضا المائلة والميود المتمايلة والحرب بفتح الحاء سلب المال والسلب ما يسلب من درع ونحوه في الحرب والعطب الهلاك والساق الشدة والسياق مصدر ساق فرسه سوقا وسياقا والمعاقل الحصون وما يلجأ اليه ولفظتهم القتهم والمحاول جمع محاولة وهي الحيلة ومعقور مجروح والجزور المقطوع والشلو العضو من اللحم بعد الذبح وشلو الانسان اعضاؤه المتفرقة في البلى ومسفوح مسفوك والغيلة الاخذ على غرة والمناص مصدر قولك ناص ينوص اى فر وراغ ولات حرف سلب قال الاخفش شبهوها بليس واضمروا فيها اسم الفاعل قال ولا يكون لات الا

مع حين وقد يحذف حين كما حذفت في قول مازن بن مالك حنت ولات هنت اى ولات حين حنين وهو بريد وقال في قراءة من قرا ولات حين مناص برفع حين واضمر الخبر وقال ابو عبيدة هي لا والتاء انما زيدت في حين وان كتبت مفردة كما قال ابو وجزة العاطفون تحين ما من عاطف وقال المؤرج زيدت التاء في لات كما زيدت في ثمت وربت والبال الحال في الشان والامر والبال ايضا القلب وقد حمد الله سبحانه باعتبارات لا ينبغي الا له احدها الفاشي حمده اى في جميع خلقه ومخلوقاته اذ كان شيء منها لا يخلوا من نعمة له واظهرها وجوده فلا يخلوا من حمده بلسان الحال او المقال وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون الثاني الغالب جنده وجند الله ملائكته واعوان دينه من اهل الارض كقوله تعالى ولله جنود السموات والارض وقوله وايده بجنود لم تروها وظاهر كونه غالبا لقوله تعالى وان جندنا لهم الغالبون وقوله فان حزب الله هم الغالبون وفي هذه القرينة جذب للسامعين الى نصرة الله ليكونوا من جنده وتثبيت لهم على ذلك الثالث المتعالي جده اى علاؤه وعظمته كقوله تعالى وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وهذه القرينة تناسب ما قبلها لما في تلك من ايهام الحاجة الى الجند والنصرة وفي الثانية تعاليه وعظمته عن كل حال يحكم بها في حقه الراقع لذلك الايهام ثم عقب بذكر سبب الحمد وهو نعمه التوام والائه العظام ومعنى كونها تواما ترادفها على العبد وتواترها فانه ما من وقت يمر عليه الا وهذه انواع من نعم الله تعالى لا تكاد تحصى بجوده الرابع من الاعتبارات الذي عظم حلمه فعفا والحلم في الانسان فضيلة تحت الشجاعة يعسر معها انفعال النفس عن الواردات المكروهة المؤذية له واما في حق الله تعالى فيعود الى اعتبار عدم انفعاله عن مخالفة عبيده لاوامره ونواهيه وكونه لا يستفزه عند مشاهدة المنكرات منهم غضب ولا يحمله على الانتقام منهم مع قدرته التامة على كل مقدور غيظ ولا طيش والفرق بينه تعالى وبين العبد في هذا الوصف انه سلب الانفعال عنه سلب مطلق وسلبه عن العبد سلب عما من شانه ان يكون له ذلك الشيء وكان عدم الانفعال عنه تعالى ابلغ واتم من عدمه عن العبد وبذلك الاعتبار كان اعظم ولما كان الحلم يستلزم العفو عن الجرائم والصفح عنها سمى بها له تعالى للعبد وعدم مؤاخذته بجرايمه عفوا فلذلك اردف وصفه بعظمة الحلم بذكر العفو وعطفه بالفاء لاستعقاب الملزوم لازمه بلا مهلة الخامس وعدل في كل ما قضى ولما كان العدل عبارة عن التوسط في الافعال والاقوال بين طرفي التفريط والافراط وكان كل ما قضاه تعالى وحكم علمه به من وجود او عدم وقوعا جاريا على وفق الحكمة والنظام الاكمل كما بين ذلك في مظانه من العلم الالهي لا جرم لم يمكن ان يقع في الوجود شيء من انواع ما منسوبا الى احد طرفي التفريط والافراط بل كان على حاق الوسط منهما وهو العدل وقيل قضى بمعنى امر كقوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وهو داخل فيما قلناه فان ما امر بايجاده او نهى عنه داخل فيما حكم عليهم بوقوعه او عدمه وقوعا السادس وعلم ما يمضي وما مضى اشارة الى احاطة علمه بكل الامور مستقبلها وماضيها وكليها وجزئيها وقد اشرنا الى ذلك فيما قبل السابع مبتدع الخلائق بعلمه ظاهر كلامه عليه السلام ناطق بان العلم سبب لما ابتدع من خلقه ولا شك ان السبب له تقدم على المسبب من جهة ما هو سبب وهذا هو مذهب جمهور الحكماء

والخلاف فيمنع المتكلمين او قالوا ان العلم تابع للمعلوم والتابع يمتنع ان يكون سببا فالبناء على رايهم اذن للاكثر
وعلى الراى الاول للتشبيب ونحن اذا حققنا العقول وقلنا انه لا صفة له تعالى زائدة على ذاته كانت ذاته وعلمه
وقدرته وارادته شيئا واحدا وانما تختلف بحسب اعتبارات عقلية تعقلها عقولنا الضعيفة بالقياس الى المخلوقات
كما سبق بيانه في الخطبة الاولى لم يبق تفاوت في ان يسند المخلوقات الى ذاته او الى علمه او الى قدرته او غيرها
واما بيان ان العلم تابع للمعلوم حتى يمتنع سببا له او متبوعا حتى لا يمتنع ذلك فيما حقق في مظانه والمسئلة محل
الخبط فيما بينهم ويحتمل ان يريد بالابداع احكام الاشيا واتقانها بحيث يكون محل التعجب يقال هذا فعل
بديع ومنظر بديع اى معجب حسن وظاهر ان ذلك منسوب الى العلم ولذلك يستدل باحكام الفعل واتقانه على علم
فاعله التام ومنشئهم بحكمه اى بحكمته وهو قريب من الذى قبله ويحتمل ان يريد بحكم قدرته على الموجودات بالوجود
وهو ظاهر وقوله بلا اقتدا ولا تعليم اى لم يكن ابداعه وانشاؤه الخلق على وجه اقتدائه بغيره ممن سبقه الى ذلك ولا
على وجه التعلم منه والاقتدا اعم من التعلم وقوله ولا اصابة خطأ اى لم يكن انشاؤه الخلق اولا اتفاقا على سبيل
الاضطراب والخطأ من غير علم منه ثم علم بعد ذلك فاستدرك فعله واحكمه فاصاب وجه المصلحة فيه والاصابة
بمعنى للام لما ان الاصابة من لواحق ذلك الخطأ ومثل هذا اعترض المتكلمون على انفسهم حيث استدلوا على كونه
عالما بكل معلوم فقالوا انه تعالى علم بعض الاشيا الا من طريق اصابة الامر من حس ولا نظر واستدلال فوجب ان يعلم
سايرها كذلك لانه لا تخصيص ثم سالوا انفسهم فقالوا لم زعمتم ذلك ولم لا يجوز ان يكون قد فعل افعالا مضطربة
ثم ادركها فعلم كيفية صنعها بطريق كونه مدركا لها فاحكمها بعد اختلالها واضطرابها ثم اجابوا عن ذلك
بانه لابد ان يكون قبل ذلك عالما بمفرداتها من غير طريق فوجب ان يعلمها باسرها كذلك لعدم التخصيص وهذا
الجواب فاسد لان مفرداتها ان لم تكن من فعله كالاجزاء التى لا تتجزى على راى المثبتين فليس كلامنا في علمه
بها بل فيما كان في فعله ولا يلزم من العلم بمفردات الفعل العلم بالفعل وان كانت من فعله فقولكم لابد ان يكون عالما
بمفرداتها قبل فعلها مصادرة على المطلوب والجواب الحق انه لو علمها بعد ان لم يعلمها لكان علمه بها حادثا
في ذاته فكان محلا للحوادث وهو محال لما سبق وقوله ولا حضرة ملأ اى ولم يكن خلقه لما خلق بحضرة جماعة من العقلاء
حيث يشير كل منهم عليه براى ويعينه بعقل في كيفية خلقه حتى يكون اقرب الى الصواب لان كل جماعة فرضت هى من
خلقه فلا بد ان تصدر عنه الامور لا بحضرة احد ولان ذلك يستلزم حاجته الى المعين والظهير والحاجة تستلزم
الامكان المنزه قدسه عنه واليه الاشارة بقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم
وما كنت متخذ المضلين عضدا وكل ذلك تنزيه لفعله عن كيفيات افعال عباده ثم اردف ذلك باقتصاص
احوال الخلق حال ابتعاث الله رسوله صلى الله عليه واله وفي قوله والناس يضربون في غمرة
في جهالة وهو كناية عن تصرفاتهم على جهل منهم بما ينبغي لهم من وجوه التصرف ويحتمل ان يريد ويسيرون في شدة
وذلك ان العرب كانت حينئذ في شدايد من ضيق المعاش والنهب والغارات وسفك الدماء كما قال عليه السلام

فيما قيل ان الله بعث محمدا صلى الله عليه واله نذيرا للعالمين واهينا على التنزيل وانتم معشر العرب على شر دين وفي
شر دار الفصل وكذلك قوله وتموجون في حيرة كناية عن ترددهم في حيرة الضلال والجهل او في حيرة من الشدايد
المذكورة وقوله قد قادتهم ازمة الحين اى قد تداعوا للموت والفناء من كثرة الغارات وشدة ضيق المعاش
وظلم بعضهم لبعض لان الناس اذا لم يكن بينهم نظام عدلى ولم يجر في امورهم قانون شرعى اسرع فيهم ظلم بعضهم
لبعض واستلزم ذلك فناءهم ولما استعار لفظ الازمة رشح بذكر القود وقوله واستغلقت على قلوبهم اقفال الرين ارا
دين الجهل وتغطيته لقلوبهم عن انوار الله تعالى والاستضاءة باضواء الشريعة واستعار لفظ الاقفال لغواشي
الجهل والهيئات الرديئة المكتسبة من الاقبال على الدنيا ووجه المشابهة ان تلك ما نعة للقلب حاجبة له عن
قبول الحق والاهتداء كما تمنع الاقفال ما يغلق عليه من التصرف ورشح بذكر الاستغلاق وانما اتى بلفظ
الاستفعال لان ذلك الرين كان اخذا في الزيادة ومتنقلا من حال الى حال فكان فيه معنى الطلب للتمام
ثم عقب بالوصية بتقوى الله على مجرى عادته لانها راس كل مطلوب ورغب فيها بكونها حق الله عليهم اى الامر المطلق
له المستحق عليهم وبكونها موجبة على الله حقهم وهو جزاء طاعتهم له الذى اوجبه على نفسه ولهم عن كل لذة الجنة
بالخيرات بحسب استعدادهم له بالتقوى ثم اشار الى ما ينبغي المتصدى الى التقوى وهو ان يستعين على فعل
مقبلها بالله والانقطاع اليه ان يعينه عليها ويوفقه لها فان الانقطاع له معونة والالتفات اليه
مادة كل مطلوب ثم الى فايدتها وهي الاستعانة بها على الله تعالى فلما كان المطلوب منها الوصول الى الله جل
عزه والنظر الى وجهه الكريم والسلامة من غضبه ونقاش حسابه اذ هو تعالى الحاكم الاول كانت التقوى لعلل
ما يستعد به لحصول تلك المطالب وكان التعبير من التعان بها على فرج شدايده تعالى في الاخرة فانه لا خلاص
منها الا بها ثم عقب ذكرها ببيان ما تستلزمه من الامور المرغوب فيها منها كونها في اليوم اى في مدة الحياة
حرزا وجنة اى من المكاره الدنيوية لقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
ومن يتوكل على الله فهو حسبه وفي غد اى في يوم القيمة الطريق الى الجنة وهو ظاهر ومنها كون سلكها واضحا
وظاهر ان الشارع صلى الله عليه واله اوضح طرق التقوى وكشف سبلها حتى لا يجهلها الا الجاهل ومنها كون سالكها
رابحا واستعار لفظ الربح لما يحصل عليه المتقي من ثمرات التقوى في الدنيا والاخرة ووجه الاستعارة انه يحركاته
وبقواه التى هى به راس مالها يستفيد الثواب كما يستفيد التاجر مكاسبه ومنها كون مستودعها حافظا والمستودع
بالفتح قابل الوديعة وبكسرها فاعلها والمراد على الرواية بالفتح كون متقبلها حافظا لنفسه بها من عذاب
الله او يكون حافظ بمعنى محفوظ وعلى الثانية فالمستودع لها انما الله سبحانه اذ هى الامانة التى عرضها على السموات
والارض فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان وظاهر كونه تعالى حافظا على العبد المستودع له لا
فيها من تفريط وتقصير او امانة ومحافظة عليها واما الملائكة التى هى وسايط بين الله تعالى وبين خلقه
وظاهر كونهم حفظة كما قال تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون

ما تفعلون وقوله لم تبرح عارضة نفسها الى قوله الغابرين كلام لطيف واستعار وصف كونها عارضة نفسها
للترويج والاستمتاع ووجه الاستعارة كونها مهيأة لان تقبل وتصدد لان يستمتع بها كالمراة الصالحة التى تعرض
نفسها للترويج والاستمتاع بها ثم علل كونها لم تبرح كذلك بحاجة الخلق اليها غدا اى يوم القيمة ترغيبا فيها
بكونها محتاجا اليها ويحتمل ان يدخل ذلك في وجه الشبه وقوله اذا اعاد الى قوله اسدى كالقرينة المخرجة لفقد
من حقيقته الى مجازه وهو يوم القيمة ويتبين له بانه الوقت الذى يعيد الله فيه ما كان ابداه من الخلق ويأخذ
فيه ما كان اعطاهم من الوجود الدنيوي ولو لحقه ويقول لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وفي الحديث
ان الله تعالى يجمع كل ما كان في الدنيا من الذهب والفضة فيجعله امثال الجبال ثم يقول هذا فتنة بني آدم
ثم يسوقه الى جهنم فيجعله مكاوي لجباه المجرمين ويسألهم فيه عما اسدى اليهم فيه من نعمه ويسال عمن اخرجها
ولم ينفقها في وجوهها المطلوبة لله ويسال عمن انفقها في غير وجهها فيقول اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
واستمتعتم بها ويجازى الاولين بادخارها كما قال والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم الاية ويجازى الاخرين بصرفها في غير وجهها كما قال فاليوم تجزون
ما كنتم تعملون وقوله فما اقل من قبلها تعجب من قلة من قبل التقوى منهم وحملها حق حملها اى اخذها بجميع
شرايطها واستعد بها ليودى امانة الله فيها اذ هى الامانة المعروضة ثم حكم بكون من قبلها وحملها كذلك اقل
الناس عددا وانهم اهل صفة الله اى الذين وصفهم الله تعالى بقوله وقليل من عبادى الشكور ثم امرهم فيها
باوامر احدها ان يهطعوا باسماعهم اليها اى يسرعوا الاسماع وصفها وشرحها اليهم فيلحقوا ويعملوا على بصيرة الثانى
ان يواكظوا عليها اى يلازموا عليها ويلازموها باجتهاد منهم ودوى ولينقطعوا باسماعكم اليها اى انقطعوا
عن علايق الدنيا واستصحبوا اسماعكم لسماع وصفها مكان احد الروايتين تصحيفا للاخرى لان النون والقاف
العاف اذا تقاربا اشبها الها في الكتابة الثالث ان يعتاضوها خلفا عن كل مجبوب الدنيا سلف لهم
ونعم الخلف مما سلف اذ كانت المطالب الحاصلة بها انفس المطالب وهى السعادة الابدية وخلفا مصدر
سد مسد الحال الرابع ان يخالفوا من كل مخالف لهم موافقا والمراد ان كل من كان موافقا لك في حال الغفلة
فامر من الامور فينبغي ان يكون على طريق الحق والتقوى في ذلك الامر ولا يميل ميل تحالف فان التقوى
نعم العوض من خالفك ونحوه ما قال فلاطن الحكيم سقراط حبيبنا والحق حبيبنا واذا اختلفا كان الحق احب
الينا الخامس ان يوقظوا بها نومهم قال بعض الشارحين اراد يوقظوا بها نوامكم فاقام المصدر مقام اسم
الفاعل مجازا لما فيه من التضاد في العربية قلت ويحتمل ان يريد بقوله يقظوا اى اطردوا بتقوى الله
وعبادته نومكم في ليلكم ولحيوه بها فاستعمل لفظ الايقاظ لافادة ذلك المعنى اذ كان الامر بايقاع احد
الضدين في محل يستلزم الامر بنفي الضد الاخر عن ذلك المحل مجازا من باب اطلاق اسم الملزوم على لازمه
ولما فيه من التضاد ويحتمل ان يريد بالنوم نوم الغفلة والجهل وبايقاظ النائمين منهم بها تنبيههم بها

عن مراقد الطبيعة واعدادهم باجزاء العبادة ووظايفها لحصول الكمالات العلمية والعملية وعلى سبيل الاستعارة
ووجهها ظاهر مما سبق السادس وان يقطعوا بها يومهم اى يقطعوا بالاشتغال بها نهارهم السابع ان يشعروها
قلوبهم اى يجعلوها شعارا لقلوبهم ويلبسوها اياها كما يلبس الشعار ولفظ الشعار مستعار لها ووجه
الاستعارة كون التقوى الحقيقية ملازمة النفس ومتصلة بالقلب كما يتصل الشعار بالجسد ويحتمل ان يريد
اجعلوها الازمة لقلوبكم لتميزن بها عن قلوب الظالمين ويحتمل ان يريد اشعروها قلوبكم اى اعلموها بها واجعلوها
شاعرة بتفاصيلها ولوازمها الثامن ان يرحضوا بها ذنوبهم اى يغسلوها بالاشتغال بالتقوى ولفظ الرحض
مستعار باعتبار كون التقوى ماحية لدرن الذنوب والهيئات البدنية عن الواح النفوس كما يمحو الغسل
درن الثوب والتاسع ان يداووا بها الاسقام اى اسقام الذنوب وامراض القلوب كالجهل والشك
والنفاق والريا والحسد والكبر والبخل وجميع رذايل الاخلاق التى هى في الحقيقة الاسقام المهلكة ولما كانت
التقوى على جميع الاعمال الجميلة والملكات الفاضلة كانت دواء لهذه الاسقام وشفاء لا يعقبه داء العاشر
وان يبادروا بها الحمام اى يسارعوه ويسابقوه بها وقد سبق بيانه في الخطبة السابعة الحادى عشر ان يعتبروا
بمن اضاعها اى ينظروا الى الامم السابقة قبلهم ممن اضاع التقوى ويتفكروا في حاله كيف اضاعها لامر لم يحق
له وفاته ما طلب ولم يدرك ما فيه رغب ثم حصل بعد الهلاك على سوء المنقلب فيحصلوا من ذلك عبرة لانفسهم
فيحملوها على التقوى خوفا مما نزل بمن اضاعها من الخيبة والحرمان والرجوع الى دار الهوان الثانى عشر ان لا
يجعلوا انفسهم عبرة لمن اطاعها اى انقاد للتقوى ودخل فيها او اطاع موجبها فحذف المضاف والمراد نهيهم ان
يحلوا في زمرة من اضاعها فيكونوا عبرة لمن اطاعها فهى عن لازم الاضاعة وهو اعتبار غيرهم بهم وصورة
ذلك النهى وان كانت متعلقة بغيرهم الا انه كناية عن نهيهم عما يستلزم عبرة الغير بهم وهو اضاعة التقوى
لان النهى عن اللازم يستلزم النهى عن الملزوم وهذا كما تقول لمن تنصحه لا يضحك الناس منك اى لا تفعل
ما يستلزم ذلك ويوجبه منهم الثالث عشر ان يصونوها وصيانتها شدة التحفظ فيها من خلطها برياء او سمعة
ومزجها بشيء من الرذايل والمعاصى الرابع عشر ان يتصونوا بها ان يتحفظوا بها عن الذنوب والرذايل اى عن
محارم الله عليهم وكرهه ما يوجب لهم الذم اجلا والعقاب اجلا وهو امر بالتقوى ايضا الخامس عشر
ان يكونوا الى الاخرة ولاها اى متحيرين من شدة الشوق اليها وذلك مستلزم للامر بالتقوى والانقطاع
الى الاعمال الصالحة لانها هى السبب في الحنين الى الاخرة والرغبة التامة فيما عند الله السابع عشر ان لا يضعوا
من رفعته التقوى ووضعه ما يقول كوضع والاستهزاء به او يفعل كضربه او فعل ما يستلزم اهانته او ترك
قول او ترك فعل يستلزم ذلك ولما كان كل ذلك منافيا للتقوى ودخل في ابواب الرذايل لا جرم نهى
عن لازمه وهو وضع من رفعته التقوى لاستلزام رفع اللازم رفع الملزوم الثامن عشر ان لا يرفعوا من
رفعته الدنيا واراد من كان رفعته ووجاهته عند الخلق بسبب الدنيا واقتنا شيء منها والتقدير من

وثمرة القيام بوثبة الاستعداد بها للحوق
العلا بالعلية الاخرة السادس عشر ان يكونوا
عن الدنيا نزاهاها

رفضه اهل الدنيا فحذف المضاف او اسند الرفع الى الدنيا مجازا لان الرافع والمعظم لديهم الناس ولما
كان من رفضه الدنيا عادلا عن التقوى كان الميل اليه واحترامه ومحبته يستلزم المحبة للدنيا والميل
اليها وكان منهيا عنه وكان الاعراض عنه وعدم توقيره زهدا فى الدنيا واهلها وهو من جملة التقوى
فكان مامورا به التاسع عشر نهى عن شيم بارقها استعار لفظ البارق لما يلوح للناس من الدنيا من مطامعها
ومطالبها ووصف الشيم لتوقع تلك المطالب وانتظارها والتطلع اليها على سبيل الكناية عن كونها كالسحابة
التى يلوح بارقها فيتوقع منها المطر العشرون وعن سماع ناطقها وكنى بناطقها عن مادحها وما كشف من
زينتها من قول او فعل وزينة او متاع وبسماعه عن الاصغاء والميل اليه وتصديق مقاله وتصويبه
فانها هى التى ينبغى ان تقتنى ويفخر ويعتنى بها لا غير ذلك فان كل ذلك سبب للبعد عن التقوى وطريق
الاخرة الطارق فى الهلاك الحادى والعشرون وعن اجابة ناعقها عن الداعى اليها والجاذب مما ذكرناه وبالاجابة
عن موافقته ومتابعته الثانى والعشرون والاستضاءة باشراقها واستعار لفظ الاشراق لوجوه المصالح
الداعية اليها او لاراء الهادية الى طرق تحصيلها وكيفية السعى فيها ووصف الاستضاءة للاهتداء بتلك
الاراء فى طلبها ووجه المشابهة ان تلك الاراء يهتدى بها فى تحصيلها كما يهتدى بالاشراق المحسوس وضوء القمر
وقرينة المعنى من القرينتين قبلها ويحتمل ان يريد باشراقها ما يبتهج به من زينتها والوانها وبالاستضاءة
ذلك الابتهاج والالتذاذ على سبيل الاستعارة ووجه مشاركة زينتها للضياء فى كونه سببا ممتعا للارواح
واسطالها الثالث والعشرون ومن الفتنة باعلاقها ما يعد فيها نفيسا من تحفها ومتاعها وهو مستلزم
للنهى لهم عن محبة الدنيا والانهماك فى لذاتها لان ذلك هو الفاتن لهم والمضل عن سبيل الله وهو سبب
بلائهم ومحنتهم واليه الاشارة بقوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة قال المفسرون بلاء ومحنة وشغل
عن الاخرة والانسان بسبب المال والولد يقع فى العظائم ويتناول الحرام الا من عصمه الله وعن ابى بريدة قال
كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخطبنا يوما فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان احمران يمشيان
ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله عز وجل انما اموالكم
واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما ثم اردف ذلك
بتعداد معايب واوصاف لها منفرة عنها معللا بها ما سبق من نواهيه عنها فقوله فان برقها خالب تعليل
لنهيه عن شيم بارقها واستعار وصف الخالب لما لاح من مطامعها ووجه المشابهة كون مطامعها وامالها
غير مدركة وان ادرك بعضها ففى معرض الزوال كان لم يحصل فاشبهت البرق الذى لا ماء فيه وان حصل ضعيف
غير منتفع به فلذلك لا ينبغى ان يشام بارقها وقوله ونطقها كاذب تعليل لنهيه عن سماع نطقها اى النطق
الحاصل فى معناها فى مدحها فانها مما ينبغى ان يطلب ويدخر ووصف نفسها ولذاتها بلسان حالها الذى
تغر به الاوهام الفاسدة وكونه كذبا كناية عن عدم مطابقة ذلك الوصف بحالها فى نفس الامر وقوله

واموالها

واموالها محروبة كالتعليل لنهيه عن الاستضاءة باشراقها اى لا ينبغى ان يستعمل الاراء الحسنة والحيل فى
تحصيل اموالها او لا ينبغى ان تحب زينتها واموالها ويبتهج بها فانها ماخوذة وقوله واعلاقها مسلوبة تعليل
لنهيه عن الافتتان باعلاقها ويحتمل ان تكون هذه القرينة مع التى قبلها تعليلا للنهى عن الفتنة بالاعلاق
ثم اردف تلك الاوصاف بالتنبيه على اوصاف اخرى ونقايص لها استعارية منفرا بها عنها احدها انها
المتصدية العنون قال بعض الشارحين هو استعارة لوصف المراة الفاجرة التى من شانها التعرض للرجال
لتخدعهم عن انفسهم ويحتمل ان يكون استعارة لوصف الفرس والناقة التى تمشى فى الطريق معترضة خابطا
وقوله العنون استعارة لوصف الدابة المتقدمة فى السير كنى بها عن لحوق الدنيا بالغاية تكون كذلك
ووجه المشابهة فى الوصف الاول ان الدنيا فى تغيراتها واحوالها وحركاتها غير منضبطة ولا جارية مع
الانسان على حال واحد فاشبهت الناقة التى تعترض فى طريقها وتمشى على غير استقامة ووجهه
فى الثانى ان مدة الحياة الدنيا فى غاية الاسراع وشدة السير باهلها الى الاخرة فاشبهت السريعة
من الدواب المتقدمة فى سيرها الثانى الجامحة الحرون استعار وصف الجماح لها باعتبار كونها لا تملك
لاهلها ولا انقياد لهم كما لا ينقاد الحرون لراكبها وكذلك وصف الحرون باعتبار عدم انقيادها الا
وعدم قدرتهم على تصريفها الى حيث ما يكونون اليها الثالث المائنة الخؤون فاستعار وصف الكاذب
لها باعتبار عدم مطابقة اغترارها للناس بزينتها ومتاعها وتوهمهم من ذلك بقاءها ونفعها لما عليه الامر
فى نفسه اذ كان عن قليل ينكشف كذبها فيما غرتهم به وكذبا وظنهم فيها وكذلك وصف الخؤون باعتبار
عدم وفائها لمن غرته وخدعته عن نفسه بزينتها فكانها لذلك اعطته عهدا ثم خانته فيه وانها الرفاهية
عنه ولم تف بعهده الرابع الجحود الكنود واستعار لها هذين الوصفين ملاحظة لشبهها بالمراة التى
تكفر نعمة زوجها وشكر صنيعه ويكون من شانها الغدر وذلك ان الدنيا من شانها ان تعز من عنى
بها وسعى لها واجتهد فى عمارتها واظهار زينتها ويكون سبب هلاكه ثم تنتقل عنه الى غيره الخامس العنود
الصدود فاستعار وصف العنود لها باعتبار عدولها عن حال استقامتها على الاحوال المطلوبة
للناس واعراضها عن سنن قصودهم منها كالناقة التى تنحرف عن المرعى المعتاد للابل وترعى جانبا وكذلك
الصدود باعتبار كثرة اعراضها عن طالبها ورغب فيها السادس الحيود الميود فاستعار وصف الحيود لها
واما وصف الميود فباعتبار ترددها فى ميلها بالدنيه لاعيض اشخاص الناس من حال الى حال تارة لهم وتارة
عليهم ويحتمل ان لا يكون قد اعتبر قيد التردد بل اراد مطلق الحركة استعارة لكثرة تغيرها واشتغالها التى
حالها اشتغال الحيوان عن حالها بانها اشتغال اى من شخص الى آخر ومن حال الى حال وظاهر انها كذلك قال
بعض الشارحين يجوز ان يريد بالميود وحيلها الاشتغال والتغير ويحتمل ان يعنى بالحال الحاضر من الزمان
وهو الان ويكون مراده ان الذى يحكم عليه العقلاء بالحضور منها ليس بحاضر بل هو سيال متغير لا ثبوت له

فى الحقيقة كما لا ثبوت للماضى والمستقبل الثامن ووطاتها زلزال استعار لفظ الوطاة لاصابتها بعض اهلها بشدة
ووجه الاستعارة استلزام اصابتها بذلك اهانة من اصابته والثقل عليه كما يستلزم وطاة الثقيل من الحيوان
ذلك واستعار لفظ الزلزال لاضطراب احوال من تصيبه بمكروه كاضطراب الارض بالزلزال التاسع
وعزها ذل اى العز الحاصل منها لاهلها بسبب كثرة قيناتها كعزة ملوكها ومتعتهم ذل فى الاخرة واطلق
عليه لفظ الذل اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه او تسمية الشى باسم ما يؤول اليه اذ كان العز بالدنيا
واحوالها مستلزما للانحراف عن الدين والتقوى الحقة وذلك مستلزم للذل الاكبر عند لقاء الله واليه
الاشارة بقوله تعالى حكاية عن المنافقين لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ونقل المفسرون ان القائل لذلك عبدالله بن ابى وان الاعز يعنى نفسه
والاذل يعنى رسول الله صلى الله عليه وآله فرد الله تعالى عليه بقوله فلله العزة ولرسوله الاية العاشر وجدها
هزل استعار لفظ الجد وهو القيام فى الامر بعناية واجتهاد لاقبالها على بعض اهلها بخيراتها كالصديق
المعتنى بحال صديقه ولادبارها عن بعضهم واصابتها له بمكروهها كالعدو القاصد لهلاك عدوه واستعار
لجدها لفظ الهزل الذى هو ضده ووجه الاستعارة كونها عند اقبالها على الانسان كالمعتنية بحاله وعند
اعراضها عنه ورميه بالمصايب كالقاصدة لذلك ثم تسرع انتقالها من تلك الحال الى ضدها فهى فى ذلك
كالهازلة اللاعب ويحتمل ان يريد بجد اهلها هزلا اى عنايتهم بها واجتهادهم فى تحصيلها يشبه الهزل واللعب فى
سرعة تغيره والانتقال عنه وزواله فاستعار له لفظه الحادى عشر وعلوها سفل اى العلو الحاصل بسببها
او علو اهلها على تقدير حذف المضاف واخبر عنه بانه سفل لاستلزام التسفل واعظم الامر الرتبة فى الاخرة بين
اهلها وهو كقوله وعزها ذل الثانى عشر كونها دار حرب كقوله اموالها محروبة واراد كونها مظنة ان تسلب وتسلب
عن اهلها بالموت وغيره واستعار لفظ السلب لما فيها من القينات ووجه المشابهة كون ما فيها يسلب عن اهلها
فى كل زمان وتصير لمن بعدهم كدار الحرب وكذلك ونهب وعطب الثالث عشر كون اهلها على ساق اى على
شدة وهو ظاهر اذ كل ما عدد من اوصافها من الحرب والسلب والعطب شدائد على اهلها وقال قطب الدين
الراوندى اراد بكونها على ساق ان بعضهم يتبع بعضا الى الاخرة فاشبه ذلك قولهم ولدت فلانة ثلثة بنين
على ساق اى ليس بينهم انثى وانكره ابن ابى الحديد وكنى بالساق عن الامر الشديد قال بعض الشارحين ويحتمل
ان يكون مصدر قولك ساق سياقا اى انهم سايقون الى الاخرة ولحاق بفتح اللام اى لحوق بعضهم بعضا فى
الوجود والعدم وفراق بعضهم بعضا وهو كقولهم للدنيا مولود يولد ومفقود يفقد ويحتمل ان يريد
باللحاق لحاق الاحياء للموتى فى العدم الرابع عشر كونها قد تحيرت مذاهبها اى طرقها المحسوسة ولا الاعتقادات
بل الطرق العقلية فى تحصيل خيرها ودفع شرها واسند الحيرة الى المذاهب مجازا اقامة للعلة القابلة مقام
العلة الفاعلة اذ الاصل حيرة اهلها فى مذاهبها الخامس عشر واعجزت مهاربها اى واعجزت من طلبها المحذوف

المفعول

المفعول لان الغرض ذكر الاعجاز ومهاربها مواضع الهرب من شرورها السادس عشر وخابت مطالبها استعار
وصف الخيبة للمطالب ووجه المشابهة عدم حصولها بعد ظهورها للاوهام وتعلق الامال بها فاشبهت من
وعد بحصول شى لم يف به ثم عقب بذكر لوازم خيبة مطالبها وهى اسلام المعاقل لهم واستعار لها لفظ الاسلام
باعتبار كونها لا تحفظهم من الرزايا ولا تعصمهم من سهام المنايا فاشبهت فى ذلك من اسلم الملتجى اليه وخلى عنه
لعدوه ولكون ذلك لازما عطفه بالفاء وكذلك لفظ المنازل لهم استعار باعتبار رجوعهم منها بالموت فهى
كاللافظة الملقية لهم ثم قسمهم باعتبار الحوف شرها لاحيائهم واموالهم الى اصناف احدها ناج معقور واراد
الباقين فيها وكنى بالمعقور عمن رمته بالمصايب فيها المشبهة للعقور الثانى ولحم مجزور واراد منهم من صار لها
مجزورا الثالث وشلو مذبوح واراد شلو مذبوح اى قد صار بعد الذبح اشلاء متفرقة ويحتمل ان يكون
مذبوح صفة للشلو واراد بالذبح مطلق الشق كما هو فى اصل اللغة الرابع ودم مسفوح اى وذو دم مسفوح
الخامس وعاض على يديه وهو كناية عن ندم الظالمين بعد الموت على التفريط والتقصير اذ كان من شان النادم
ذلك السادس وصافق بكفيه اى ضارب احداهما على الاخرى ندما السابع وكذلك مرتفق بخديه اى جاعل مرفقيه
تحت خديه فعل النادم الثامن وكذلك وزار على رايه اى الذى قضى له السعى فى جمع الدنيا والالتفات اليها
بكليته حتى لزم من ذلك اعراضه عن الاخرة فخاف به حتى ما كسب فاذا انكشف له بعد الموت لزوم العقاب وطرح
لرسلاسل الهيات البدنية واغلالها فى عنقه علم ان كل ذلك ثمرة ذلك الراى الفاسد فازرا عليه وعابه
وانكره التاسع وراجع عن عزمه اى ما كان عزم عليه من عمارة الدنيا والسعى فى تحصيلها وبالموت تحلل تلك العزوم
ويرجع عنها وقوله وقد ادبرت الحيلة الواو للحال من الضمير فى راجع اى راجع عن عزمه حال ما قد ادبرت حيلته وهذه
الحال مقدرة لمثلها من الضماير المرفوعة فى عاض وصافق ومرتفق وزار وقوله واقبلت الغيلة اى اخذتهم الى
جهنم واهلاكهم فيها على غرة منهم بذلك الاخذ وقال بعض الشارحين يحتمل بالغيلة الشر بمعنى الغائلة وقوله
ولات حين مناص موضع الحال والعامل اقبلت اى واقبل الهلاك والشر حال ما ليس لهم وقت فرار ولا ملجا
عنه كقوله تعالى كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص اى فاتهم واستغاثوا حال ما ليس الوقت
وقت تخلص ومفر وقوله هيهات هيهات اى بعد الخلاص والفرار وانى به وكرر للتاكيد وهو فى مقابلة قول
الكفار المنكرين لاحوال المعاد هيهات هيهات لما توعدون وكالجزاء له بعد الموت وقوله قد فات ما فات
الى قوله ذهب اى فات ما كنتم فيه من احوال الدنيا التى تمنون الرجعة اليها فلا رجوع لها ونحوه قوله تعالى قال
رب ارجعون لعلى اعمل صالحا الاية وقوله ومضت عنهم الدنيا لحال بالها كلمة يخبر بها عن مضى ويومر بالمضى
اى ومضت عنهم الدنيا لحال بالها ونحوه قوله عليه السلام حتى اذا مضى الاول لسبيله وقوله امض لشانك اللام
للغرض فكانه استعار لها لفظ البال بمعنى القلب ملاحظة لشبهها بمن يمضى لغرض نفسه وما يهواه قلبه
ويحتمل ان يريد بالبال الحال ايضا وجواز الاضافة لاختلاف اللفظين وقال بعض الشارحين اراد بحال

بالها ما كانت عليه من زخارفها وسهولتها على اهلها وقوله واقبلت الاخرة اى بشدتها وصعوبتها ثم ختم
بالاية اقتباسا والمعنى انهم لما ركنوا الى الدنيا فعلت بهم ما فعلت وحصلوا على ما حصلوا عليه من الندامة
وولت عنهم بشاشتها فما بكت عليهم السماء والارض قال بعض المفسرين اراد اهل السماء وهم الملائكة واهل
الارض فحذف المضاف وهو كناية عن كونهم لا يستحقون ان ياسف عليهم ولا ان يبكون وقيل اراد المبالغة فى تحقير
شانهم لان العرب كانت تقول فى تعظيم الفقيد بموته بكت السماء والارض فنفى عنهم ذلك واراد ليسوا ممن
يقال فيهم مثل هذا القول وعن ابن عباس رضى الله عنه لما قيل له اتبكى السماء والارض على احد فقال نعم يبكيه
مصلاه فى الارض ومصعد عمله فى السماء فيكون نفى البكاء عنهم كناية عن انه لم يكن لهم فى الارض موضع عمل
صالح حتى يكون له مصعد فى السماء فلم تبك عليهم ونحوه عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما من مسلم
الا وله بابان باب يصعد فيه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه فذلك قوله عز وجل فما
بكت عليهم السماء والارض واعلم ان اطلاق لفظ البكاء على السماء والارض مجاز فى فقدهما لما ينبغى ان يكون
فيهما من مساجد المؤمنين ومصاعد اعمالهم فناسب فى ذلك من فقد شيئا يعجبه فبكى له فاطلق عليه اطلاقا
للملزوم على لازمه وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ومن الناس يسمى هذه الخطبة القاصعة وهى تتضمن
ذم ابليس على استكباره وتركه السجود لآدم عليه السلام وانه اول من اظهر العصبية وتبع الحمية وتحذير الناس
من سلوك طريقته وفيها فصول **الفصل الاول** فى صدر الخطبة قوله الحمد لله الذى لبس العز والكبرياء
واختارهما لنفسه دون خلقه وجعلهما حمى وحرما على غيره واصطفاهما لجلاله وجعل اللعنة على من نازعه فيهما
من عباده ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين فقال سبحانه وهو العالم
بمضمرات القلوب ومحجوبات الغيوب انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين
فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس اعترضته الحمية فافتخر على آدم بخلقه وتعصب عليه لاصله فعدو الله امام
المتعصبين وسلف المستكبرين الذى وضع اساس العصبية ونازع الله رداء الجبرية وادرع لباس التعزز وخلع
قناع التذلل الا ترون كيف صغره الله بتكبره ووضعه بترفعه فجعله فى الدنيا مدحورا واعد له فى الآخرة سعيرا
ولو اراد سبحانه ان يخلق آدم من نور يخطف الابصار ضياؤه ويبهر العقول رواؤه وطيب ياخذ الانفاس عرفه لفعل
ولو فعل لظلت له الاعناق خاضعة ولخفت البلوى فيه على الملائكة ولكن الله سبحانه يبتلى خلقه ببعض ما
يجهلون اصله تمييزا بالاختبار لهم ونفيا للاستكبار عنهم وابعادا للخيلاء منهم **اقول** نقل فى سبب هذه الخطبة
ان اهل الكوفة كانوا فى آخر خلافته عليه السلام قد فسدوا وكانوا قبائل متعددة فكان الرجل يخرج من منازل
قبيلته فيمر بمنازل قبيلة اخرى فيقع به ادنى مكروه فيعتزى الى قبيلته وينادى باسمها مثلا يا للنخع او يا لكندة
نداء عاليا يقصد به الفتنة واثارة الشر فيتالب عليه فتيان القبيلة التى قد مر بها وينادون يا لتميم يا آل
ربيعة فيضربونه فيمضى الى قبيلته ويستصرخ بها وتسل بينهم السيوف وتثور الفتنة ولا يكون لها اصل فى الحقيقة

ولا سبب

ولا سبب يعرف وكثر ذلك منهم فخرج عليه السلام على ناقته فخطبهم هذه الخطبة اذا عرفت ذلك فنقول القصع
ابتلاع الماء والجرة وقصعت الرجل قصعا صغرته وحقرته وقصعت هامته اذا ضربتها ببسط كفك وقصع الله
شبابه اذا بقى قميئا فهو مقصوع لا يزداد واصل هذه الكلمة للتصغير والتحقير والجبروت الكبر والادراع
لبسه كالدرع والدحر الطرد وخطف بالكسر يخطف اخذ البصر بسرعة استلابا ويبهر العقول اى يغلب نوره ورواؤها
وتمحق فيه والرواء المنظر الحسن والعرف الرائحة الطيبة والخيلاء الكبر والاحباط الابطال والجهد بفتح
الجيم الاجتهاد والهوادة الصلح وقد ذكر الشارحون فى تسمية هذه الخطبة القاصعة وجوها احدها وهو الاقرب
انه عليه السلام كان يخطبها على ناقته وهى تقصع بجرتها فجاز ان يقال ان هذه الحال لما نقلت عنه واسناد
هذه الخطبة نسبة خطبة الى الناقة القاصعة فقيل خطبة الناقة القاصعة ثم كثر استعمالها فجعلت
من صفات الخطبة نفس الخطبة اولان الخطبة عرفت بهذه الصفة لملازمة قصع الناقة لانشائها والعرب
تسمى الشئ باسم لازمه الثانى انما سميت بذلك لان المواعظ والزواجر فيها متتابعة فاشبهت جرات الناقة
وتتابعها الثالث سميت بذلك لانها هاشمة كاسرة لابليس ومصغرة له ومحقرة لكل جبار وهو وجه حسن
ايضا الرابع ولانها تسكن نخوة المتكبرين وكبرهم فاشبهت الماء الذى يسكن العطش فيكون من قولهم قصع
الماء عطشه اذا سكنه واذهبه واعلم ان مدار هذه الخطبة على النهى عن الكبر والتوبيخ عليه وعلى ما يلزمه من الحمية
والعصبية لغير الله ثم ليكون الناس على ضد ذلك من التواضع والرفق وقد علمت فى المقدمات ان من شان
الخطيب ان يورد فى صدر الخطبة ما ينبه على المطلوب الذى يورده بقول كلى ليتنبه السامعون لما يريد ايراده اجمالا
فلذلك صدر عليه السلام الخطبة بنسبة العز والكبرياء والعظمة الى من هو اولى وهو الله تعالى واشار الى
ان ذلك خاصة له وحرام على غيره وذكر ابليس وقصته مع آدم عليه السلام فى معرض الذم بتكبره عليه ليترتب على
ذكره وذمه بتلك الرذيلة النهى والتحذير عن ارتكابها وليحصل التنفير عنها اذ كان بذلك ملعونا مطرودا
على السنة الانبياء باسرهم واذ كان مدار الخطبة على ذم الكبر والنهى عنه فلنشر الى حقيقته فى الانسان اولا
ثم الى ما يلزمه من الآفات ثم الى المقامات الواردة فيه فنقول اما حقيقته فهى هيئة نفسانية تنشأ عن تصور
الانسان نفسه اكمل من غيره واعلى رتبة وتلك الهيئة تعود الى ما يحصل للنفس عن ذلك التصور من النفخ و
الهزة والتعزز والتعظم والركون الى ما تصوره من كمالها وشرفها على الغير ولذلك قال رسول الله صلى
صلى الله عليه وآله اعوذ بك من نفخة الكبر وهى رذيلة تحت الفجور تقابل فضيلة التواضع وما يلزم عن ذلك التصور
اعنى تصور الانسان لفضيلته على الغير ان قطع النظر فيه عن قياسه على متكبر عليه وعن اضافته الى الله تعالى
باعتبار انه منه ولم يكن خائفا من فوت تلك الفضيلة بل كان ساكنا اليها مطمئنا فذلك هو العجب فاذن العجب
هيئة تلزم عن تصور الكمال فى النفس واستعظامه عن المنعم به والركون اليه والفرح به مع الغفلة عن قياس النفس
الى الغير بكونها افضل منه وبهذا القيد الاخير ينفصل عن الكبر اذ كان لا بد فى الكبر من ان يرى الانسان نفسه

مرتبة وللغير مرتبة ثم يرى مرتبته فوق مرتبة غيره واما آفاته فهى ثمراته وما يلزم عنه من الاعمال والتروك
فان هذا الخلق يوجب اعمالا اذا ظهرت على الجوارح فقد تسمى كبرا فمنها باطنة كتحقير الغير وازدرائه واعتقاد انه
ليس اهلا للمجالسة والمواكلة والانفة عن ذلك واعتقاد انه يصلح ان يكون ماثلا بين يديه قائما
بل قد يعتقد من هو اشد كبرا ان ذلك لا يصلح للمثول بين يديه وكحسده والحقد عليه كنظر العالم المتكبر الى
الجاهل العامى بعين الاستخفاف والاستجهال واما الظاهرة فكالتقدم عليه فى الطرق والارتفاع عليه فى
المجالس وكالابعاد عن مجالسته ومواكلته والعنف به فى النصح والغضب عند رد قوله والغلظة على المتعلمين
واذلالهم واستخدامهم والغيبة والتطاول بالقول واما التروك فكترك التواضع والاستنكاف عن مجالسة
من دونه ومعاشرته وعدم الرفق بذوى الحاجات ونحو ذلك مما لا يحصى من الرذائل واما المقامات الواردة
فيه فهى كثيرة فى القرآن الكريم والسنة النبوية كقوله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقوله
واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقول الرسول صلى الله عليه وآله يقول الله عز وجل الكبرياء ردائى والعظمة ازارى
فمن نازعنى واحدا منهما القيته فى جهنم وقوله عليه السلام لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر وانما
صار حجابا عن الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق المؤمنين التى هى ابواب الجنة فالكبر والعجب يغلق تلك
الابواب كلها لانه لا يقدر على ان يحب للمؤمن ما يحب لنفسه وفيه شئ من العزة ولا يتمكن من ترك هذه
الرذائل وفعل اضدادها من الفضائل كالتواضع وكظم الغيظ وقبول النصح والرفق فى القول وغيرها
وفيه شئ من العزة والكبر وما من خلق ذميم الا وصاحب العزة والكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق
فاضل الا وهو عاجز عنه خوفا ان يفوته عزه فلذلك لم يدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة من كبر وبعض الاخلاق
الذميمة مستلزم للبعض وشر انواع الكبر ما منع العلم واستعماله وقبول الحق والانقياد له اذا عرفت ذلك فنقول
انه عليه السلام حمد الله تعالى باعتبارات احدها لبسه للعز والكبرياء ولما علمت ان الكبرياء لابد فيه من امرين
احدهما العلم بكمال الذات والثانى اعتبار الشرف والعلو على الغير فكان هذان الاعتباران صادقين
عليه تعالى اتم من صدقهما على كل موجود لاجرم كان بالكبرياء والعظمة احق من كل موجود اما الاول فلانه
لما كان كمال الذات عبارة عن الوجود وكماله فكان وجوده تعالى اتم الوجودات بحيث لم يفته من كماله
شئ بل كل ما ينبغى له فهو حاصل بالفعل لاجرم صدق عليه هذا الاعتبار اتم صدق واما الثانى فلان وجوده
تعالى هو الوجود الذى يصدر عنه وجود كل موجود عداه وهو تعالى عالم بجميع المعلومات كليها وجزئيها فهو
اذن عالم بكماله وشرفه على عبيده واستعار لفظ اللبس باعتبار احاطة كماله بكل اعتبار له كما يحيط القميص
والرداء بجسد لابسه الثانى كونه تعالى اختارهما لنفسه دون خلقه ومعنى اختياره هنا تفرده باستحقاقهما لذاته
فان المستحق للعز والكبرياء بالذات ليس الا هو ودل على ذلك المنقول والمعقول اما المنقول فقوله تعالى
عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال والالف واللام هنا يفيد حصر الكبرياء والعلو فيه واما المعقول

فلانه

فلانه تعالى لما استحق ذلك الاعتبار لذاته لا بامر خارج والا لكان مفتقرا الى الغير ثم ذم المتكبرين و
توعدهم فى كتابه العزيز وعلى لسان نبيه عليه السلام حيث قال حكاية عنه الكبرياء ردائى الخبر علمنا انه قد خصنا
الاختصاص بهما دون خلقه الثالث وجعلهما حمى وحرما على غيره استعار لفظ الحمى والحرم باعتبار حمايته
لهما وتحريمهما على غير خلقه كما يحمى الملك المرعى والحرم الرابع واصطفاهما لجلاله اى لعظمته وعلوه عن
شبه مخلوقاته استحق الانفراد بهذين الوصفين فتفرد بهما وهو معنى اصطفائه لهما الخامس جعل اللعنة
على من نازعه فيهما من عباده اشارة الى نحو قوله فى الخبر المذكور فمن نازعنى فيهما القيته فى جهنم ولا شك
ان الملقى فى جهنم بعيد مطرود عن الخير والرحمة ولفظ المنازعة فى الخبر مجاز فى محاذاة المتكبرين لله ومجاذبتهم
له ومخالفتهم لامره فى الاتصاف بالكبر فكانهم يجاذبونه ما اختص به ومن لوازم المجاذبة المنازعة
القولية فاطلقت هنا اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه السادس اختباره بذلك ملائكته المقربين
الى قوله ساجدين اى ابتلائهم بالتكبر وعدمه وقد علمت معنى ابتلائه واختباره تعالى لخلقه فيما سبق وزدنا
بيانا فنقول لما كانت حقيقة الاختبار طلب الخبر بالشئ ومعرفته لمن لا يكون عارفا به وكان هو تعالى
عالما بمضمرات القلوب وخفيات الغيوب فيميز المطيعين من عبيده من العصاة لم يكن اطلاق هذا اللفظ
فى حقه حقيقة بل على وجه الاستعارة باعتبار انه لما كان ثوابه وعقابه للخلق موقوفين على تكليفهم بما
كلفهم به فان اطاعوه فيما امرهم اثابهم وان عصوه عاقبهم اشبه ذلك اختبار الانسان لعبيده وتمييزه لمن اطاعه
منهم ممن عصاه واطلق عليه لفظه وقوله ليميز المتواضعين منهم من المتكبرين ترشيح لاستعارة الاختبار
لان التمييز من لوازمه وعوارضه ويحتمل ان يريد ليميز المطيعين من العصاة باعطاء الثواب لهم دونهم
فلا يكون التمييز بمعنى العلم بل الانفصال الخارجى لكل من المطيعين والعصاة بما يستحقه من ثواب وعقاب
وقوله وهو العالم الى قوله الغيوب قرينة مخرجة للاختبار عن حقيقته وهى جملة معترضة بين القول
والمقول للملائكة وهو قوله تعالى انى خالق الى آخره والخبر هو قوله فقعوا له ساجدين وقال بعض
الشارحين انما اختبرهم مع علمه بضمائرهم لان اختباره تعالى ليس ليعلم غيره من خلقه طاعة من يطيع
عصيان من يعصى قال وقوله تعالى لنعلم اى الحزبين وقوله لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه
اى لنعلم انت وغيرك كما انه عالم به من بعد وقد شرحنا قصة الملائكة وابليس وآدم فى الخطبة الاولى
بقدر الوسع فلا حاجة الى التطويل بالاعادة غير ان ههنا الفاظا يحتاج الى الايضاح فافتخار ابليس
وتعصبه وتكبره على آدم فى قوله خلقتنى من نار وخلقته من طين وقوله أأسجد لمن خلقت طينا أسجد لبشر خلقته
من صلصال من حمإ مسنون فكان تعصبه عليه واستكباره نظرا الى اصليهما وكونه امام المتعصبين باعتبار
كونه المنشأ لرذيلة العصبية فى غير الحق والمقتدى به فيها واما العصبية فى الحق فهى محمودة كما جاء فى
الخبر العصبية فى الله تورث الجنة والعصبية فى الشيطان تورث النار وكذلك كونه سلفا للمتكبرين

بالعلم

باعتبار تقدمه للمتكبرين

بالاستكبار على آدم والسالف هو المتقدم وقوله ووضع أساس العصبية إذ كانت عصبيته لأصله كالأساس
الذي يبنى عليه الخلق سائر العصبيات ويقتدى به فيها وقوله ونازع الله رداء الجبرية أي تجبره وتكبره وقد عرفت
وجه الاستعارة في المنازعة والرداء وكذلك قوله وادرع لباس التعزز فلما استعار لفظ الادراع لإبليس من
جهة اشتماله وتلبسه بالتعزز رشح بذكر اللباس وكذلك قوله وخلع قناع التذلل استعار لفظ الخلع
ورشح بذكر القناع وقوله ألا ترون إلى قوله ثم صغره تنبيه على كيفية تصغير الله إياه ووصفه له بسبب تكبره
وتعظمه وذلك التصغير والوضع هو جعله في الدنيا مدحورا وبعد لإخراجه من الجنة بقوله تعالى لأملأن جهنم
منك وممن تبعك منهم أجمعين وقوله ولو أراد الله إلى قوله على الملائكة في صورة قياس استثنائي مركب من
متصلتين صغراهما قوله ولو شاء الله إلى قوله لفعل وكبراهما قوله ولو فعل إلى آخره وتالي الكبرى مركب من
جملتين عطفت إحداهما على الأخرى ومعنى الصغرى أنه تعالى لو أراد قبل خلق آدم أن يخلقه من نور يخطف ضياؤه
يخطف الأبصار ويبهر العقول حسنه وطيب يأخذ الأنفاس رائحته ولم يخلقه من طين ظلماني كثيف لفعل
لأن ذلك أمر ممكن مقدور له ويحتمل أن يريد بخلقه من النور خلقه روحانيا مجردا عن علائق المواد المظلمة
وقد توصف المجردات بالنور فيقال أنوار الله وأنوار جلاله وأنوار حضرته وقد أضاءنا بنور علمه ويوصف
بالرائحة أيضا فيقال فلان لم يشم رائحة العلم وبالطعم فيقال فلان لم يذق حلاوة العلم وكل ذلك استعارة
لفظ المحسوس للمعقول تقريبا للأفهام ومعنى الكبرى أنه لو فعل ذلك وخلقه كذلك لظلت أعناق الملائكة
لإبليس خاضعة له وذلك لشرف جوهره على الطين وفضل خلقته على ما خلق منه ولم يكن ممن يفسد في الأرض
ويسفك الدماء حتى يقولوا للملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ولا من طين منتن حتى يفخر
عليه إبليس بأصله ويقول أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين أأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون
ولخفت البلوى فيه على الملائكة وبيان الملازمة من وجهين أحدهما أشرف جوهره فإنه ليس العادة أن يستنكف
الشريف من الخضوع لمن هو دونه في أصله ويشق عليه التكليف بذلك في حقه فأما إذا كان أصله مناسبا
لأصله ومقارنا في الشرف فلا شك أن تكليفه بخدمته يكون عليه سهل وأخف والثاني أنهم ما كانوا
عالمين بالسر الذي خلق له آدم وهو كونه صالحا للخلافة من الله سبحانه في عمارة الأرض وإصلاح أبنائه بوعده ووعيده
للكمالات وغير ذلك مما لا يعلمونه كما قال لهم في جواب قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها إني أعلم ما لا تعلمون
وكما علم آدم الأسماء وأمره بعرضها عليهم فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا
إلا ما علمتنا وظاهر أن تكليف النفس بما يطلع على سره ويعلم وجه الحكمة فيه أسهل عليها من تكليفها بما تجهله
فلو خلقه تعالى من نور مناسب لخلقتهم لعلموا أنه وعرفوا سر خلقته فلم يشق عليهم التكليف بالسجود له وفي
هذا الوجه قوله ولكن الله سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله وفي هذا الاستثناء تنبيه على عدم إرادة
خلق آدم من نور وذلك العدم هو نقيض مقدم متصلة القياس المذكور اللازم عن استثناء نقيض تاليها

وتقدير النتيجة أنه لو أراد خلقه من نور لظلت الأعناق له خاضعة وخفت البلوى على الملائكة لكن الأمر
كذلك فأستلزم أنه لم يرد خلقه من نور فكان معنى قوله ولكن الله يبتلي خلقه أنه لم يرد خلقه من نور بل
أراد أن يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله وهو تكليفهم بالسجود لآدم مع جهلهم بأصل ذلك التكليف و
الغرض منه وجهلهم بآدم وسر خلقته الذي هو أصل لذلك التكليف ونصب قوله تمييزا ونفيا وابعادا
على المفعول له أي ليميز بذلك التكليف وبما يلزم من الذل والانقياد والخضوع المطيع والعاصي ولينفي
رذيلة التكبر والخيلاء عنهم وبالله التوفيق **الفصل الثاني** في أمر السامعين بالاعتبار بحال
إبليس وما لزمه من اللعنة وبطلان أعماله الصالحة في المدة المتطاولة بسبب التكبر والعصبية
الفاسدة والتحذير من سلوك طريقه واقتفاء أثره في الكبر ولوازمه من الرذائل التي عددناها و
ذلك قوله فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهيد وقد كان عبد الله
ستة آلاف سنة لا يدرى أمن سني الدنيا أم من سني الآخرة عن كبر ساعة واحدة فمن بعد إبليس يسلم
على الله بمثل معصيته كلا ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشرا بأمر أخرج به منها ملكا إن حكمه في أهل السماء
وأهل الأرض لواحد وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة في إباحة حمى حرمه الله على العالمين فاحذروا
عدو الله أن يعديكم بدائه وأن يستفزكم بخيله ورجله فلعمري لقد فوق لكم سهم الوعيد وأغرق لكم
بالنزع الشديد ورماكم من مكان قريب فقال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين
قذفا بغيب بعيد ورجما بظن مصيب صدقه به أبناء الحمية وإخوان العصبية وفرسان الكبر والجاهلية
حتى إذا انقادت له الجامحة منكم واستحكمت الطماعية منه فيكم فنجمت الحال من السر الخفي إلى الأمر الجلي
استفحل سلطانه عليكم ودلف بجنوده نحوكم فأقحموكم ولجات الذل وأحلوكم ورطات القتل وأوطأوكم
إثخان الجراحة طعنا في عيونكم وحزا في حلوقكم ودقا لمناخركم وقصدا لمقاتلكم وسوقا بخزائم القهر
إلى النار المعدة لكم فأصبح أعظم في دينكم حرجا وأورى في دنياكم قدحا من الذين أصبحتم لهم مناصبين
وعليهم متألبين فاجعلوا عليه حدكم وله جدكم فلعمر الله لقد فخر على أصلكم ووقع في حسبكم ودفع في
نسبكم وأجلب بخيله عليكم وقصد برجله سبيلكم يقتنصونكم بكل مكان ويضربون منكم كل بنان
لا تمتنعون بحيلة ولا تدفعون بعزيمة في حومة ذل وحلقة ضيق وعرصة موت وجولة بلاء فأطفئوا
ما كمن في قلوبكم من نيران العصبية وأحقاد الجاهلية وإنما تلك الحمية تكون في المسلم من خطرات
الشيطان ونخواته ونزغاته ونفثاته واعتمدوا وضع التذلل على رؤوسكم وإلقاء التعزز تحت أقدامكم
وخلع التكبر من أعناقكم واتخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدوكم إبليس وجنوده فإن له من كل
أمة جنودا وأعوانا ورجلا وفرسانا ولا تكونوا كالمتكبر على ابن أمه من غير ما فضل جعله الله فيه سوى ما ألحقت العظمة بنفسه من عداوة الحسد وقدحت الحمية في قلبه من نار الغضب ونفخ الشيطان في
أنفه من ريح الكبر الذي أعقبه الله به الندامة وألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة ألا وقد أمعنتم في البغي

وأفسدتم في الأرض مصارحة لله بالمناصبة ومبارزة للمؤمنين بالمحاربة
فالله الله في كبر الحمية وفخر الجاهلية فإنه ملاقح الشنآن ومنافخ الشيطان التي خدع بها الأمم الماضية
والقرون الخالية حتى أعنقوا في حنادس جهالته ومهاوي ضلالته ذللا عن سياقه سلسا في قياده أمرا تشابهت
القلوب فيه وتتابعت القرون عليه وكبرا تضايقت الصدور به ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين
تكبروا عن حسبهم وترفعوا فوق نسبهم وألقوا الهجينة على ربهم وجاحدوا الله ما صنع بهم مكابرة لقضائه ومغالبة
لآلائه فإنهم قواعد أساس العصبية ودعائم أركان الفتنة وسيوف اعتزاء الجاهلية فاتقوا الله ولا تكونوا
لنعمه عليكم أضدادا ولا لفضله عندكم حسادا ولا تطيعوا الأدعياء الذين شربتم بصفوكم كدرهم وخلطتم
بصحتكم مرضهم وأدخلتم في حقكم باطلهم وهم أساس الفسوق وأحلاس العقوق اتخذهم إبليس مطايا ضلال
وجندا بهم يصول على الناس وتراجمة ينطق على ألسنتهم استراقا لعقولكم ودخولا في عيونكم ونفثا في أسماعكم
فجعلكم مرمى نبله وموطئ قدمه ومأخذ يده **اللغة** الإحباط الإبطال والجهد بفتح الجيم الاجتهاد والهوادة
الصلح واستفزه استخفه وأزعجه وفوق السهم جعل له فوقا وهو موضع الوتر منه ونزع في القوس نزعا مدها
والإغراق في المد استيفاؤه واستيعابه والقذف الرمي والطماعية الطمع ونجمت ظهرت ودلف مشى رويدا
واقحموكم أدخلوكم قهرا والولجات جمع ولجة بفتح الجيم وهي الموضع كالكهف ونحوه يستتر به المارة من المطر وغيره
والورطات جمع ورطة وهي الأرض المطمئنة لا طريق فيها والورطة الهلاك أيضا والخزائم جمع خزامة بكسر الخاء
وهي حلقة من شعر في أنف البعير يشد فيها الزمام وأورى أفعل من الوري وهو قدح النار والمناصبة المعاداة
والمغالبة في الحرب لأن كلا قد نصب نفسه وسنانه للآخر والتألب الاجتماع وحسب الرجل ما يعده من مفاخر آبائه
وأجلب عليه جمع وأصل الجلبة الأصوات في الحرب والغارة وحومة الشيء معظمه وما استدار منه على كثرة وكذا
الحلقة للقوم وعرصة موت أي معرض له ولصيده والجولة كالحلقة والنخوة الكبر والنزغ الإفساد والنفث
كالنفخ وهو أقل من التفل والمسلحة قوم ذو سلاح يحفظون الثغور والمراقب وقد يطلق على تلك الأماكن
أنفسها والإمعان في الشيء التباعد فيه والإبعاد والمصارحة المكاشفة والمجاهرة والملاقح الفحول الواحد
ملقح بفتح الميم ويحتمل أن يكون مصدرا والشنآن بفتح النون وسكونها البغضاء وأعنق الجمل في السير
عنقه وخطوه والحنادس جمع حندس بكسر الحاء وهو الليل شديد الظلمة والذلل جمع ذليل وهو ضد الصعب فعيل بمعنى
مفعول والسلس جمع سلس وهي سهلة القياد والهجينة الفعل القبيح فعيلة بمعنى مفعول والاعتزاء الانتماء
والانتساب إلى أب وقبيلة والأدعياء جمع دعي وهو الذي يدعي لغير أبيه ويدعيه غيره والحلس ما يلزم الشيء
وأصله من حلس البعير وهو كساء رقيق يجعل تحت برذعته وقايه لظهره والعقوق مشاقة الوالد وذي الرحم
المعنى فقوله فاعتبروا أمر للسامعين باعتبار حال إبليس في الكبر بعد شرح حاله في طاعة الله وطول مدة
عبادته له وما لزمه بسبب كبر ساعة واحدة من إحباط عمله ولعنه والبعد عن رحمة الله لينبهوا للتخلي عن هذه

الرذيلة ووجه الاعتبار أن يقال إذا كان حال من تكبر من الملائكة بعد عبادة ستة آلاف سنة كذلك فكيف
بالمتكبرين من البشر على قصر مدة عبادتهم وكونهم بشرا فبطريق الأولى أن يكونوا كذلك وجهده الجهيد أي جهاده
الذي جهد وشق عليه وقوله وكان قد عبد الله إلى قوله الآخرة فيشبه أن يكون قد أشار بسني الآخرة إلى السنين
الموهومة عن مثل اليوم المشار إليه بقوله تعالى وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون وقوله في يوم كان
مقداره خمسين ألف سنة وتقديره أن الأيام في الآخرة لا يمكن حملها على حقايقها لأن اليوم المعهود عبارة
عن زمان طلوع الشمس إلى غيبها وبعد خراب العالم على ما نطقت به الشريعة لا يبقى ذلك الزمان وعلى رأي من
أثبت بقاء الفلك تكون القيامة عبارة عن مفارقة النفوس لأبدانها أو عن أحوال تعرض لها بعد المفارقة
والمجردات المفارقات لا يكون لأحوالها زمان ولا مكان حتى يجري فيه يوم وسنة فتعين حمل اليوم على مجازه
وهو الزمان المقدر بحسب الوهم القياس لأحوال الآخرة إلى أحوال الدنيا وإنما أقامه لما بالقوة مقام
ما بالفعل وكذلك السنة وهذه الأزمنة هي التي أشار إلى مثلها المتكلمون بقولهم إن تقدم الباري تعالى
على وجود العالم بتقدير أزمنة لا نهاية لها إذا عرفت ذلك فاعلم أن قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف
سنة وفي موضع كان مقداره ألف سنة إشارة إلى تفاوت تلك الأزمنة الموهومة بحسب أهوال أحوال أهل الآخرة
وضعفها وطولها وقصرها وسرعة حساب بعضهم وخفة ظهره وثقل أوزار قوم آخرين وطول حسابهم كما روي
ابن عباس في قوله كان مقداره خمسين ألف سنة قال هو يوم القيامة جعله الله على الكافرين خمسين ألف سنة و
أراد أن أهل الموقف لشدة أهوالهم يستطيلون بقاءهم فيها وشدتها عليهم حتى يكون في قوة ذلك المقدار وعن
أبي سعيد الخدري قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم
فقال والذي نفسي بيده إنه ليخف على المؤمنين حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا وهذا
يدل على أنه يوم موهوم وإلا لما تفاوت في الطول والقصر إلى هذه الغاية إذا ثبت هذا فقول يحتمل أن يكون
مراده أن عبادة إبليس مع الملائكة الذين نقلنا في الخبر في الخطبة الأولى بأنهم أهبطوا إلى الأرض وطردوا الجن
إلى البحار ورؤوس الجبال وعبدوا الله في الأرض زمانا كانت عبادة روحانية لا تستدعي زمانا موجودا بل أزمنة
موهومة تشبه الزمان وأن إبليس عبد الله في تقديره أزمنة مثلها ستة آلاف سنة خلق آدم ويحتمل أن يقال
إنها كانت جسمانية في زمان من أزمنة الدنيا ولكن يكون في كميته كمقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا
فأما قوله لا يدرى ففي نسخة السيد الرضي بالبناء للفاعل وفي غيرها من النسخ بالبناء للمفعول والرواية
الأولى تسلم أنه عليه السلام ممن لا يدري تلك السنين أمن السني والثانية يحتمل فيها كونه ممن يدري ذلك
وبالجملة فلما كانت عبادة إبليس قبل آدم يحتمل أن تكون روحانية وأن تكون جسمانية ويحتمل أن تكون
بحسب ذلك في زمان موهوم أو موجود وعلى تقدير أن يكون موجودا يحتمل أن يكون ستة آلاف سنة من
السنين المعهودة المتعارفة لنا ويحتمل أن يكون من سني كانت قبل ذلك مصطلحا على تقدير كل منها بألف سنة

او بخمسين الف سنة من سني الاخرة لم يكن الجزم بواحد من هذه الاحتمالات فلذلك قال لاندري قال
بعض الشارحين وبعضهم من تقديره عليه السلام تلك المدة بسبعة الاف سنة لاندري من اي السنين هي انه
جمع فيه مضامين رسول الله صلى الله عليه وسلم مجملا لم يفسره لراو سمعه وعلم تفصيله لكنه لم يفصله للناس بل ابهم
القول في تعيينه لعلمه ان تعيين سني الاخرة مما يستعظمونه ولا تحتمله اذهانهم فان عامه اذا كانت ستة الاف
سنة وكل يوم منها خمسين الف سنة من سني الدنيا كان مبلغ ذلك ما يخرج من ضرب ستة الاف في
ثلثمائة وستين مضروبة في خمسين الف وهو مائة وثمانية الف الف الف بتكرير لفظ الالف ثلث مرات
وعلى تقدير ان يكون مقدار كل يوم الف سنة يكون مبلغها ما يخرج من ضرب ستة الاف في ثلثمائة وستين
الفا وهو الفا الف الف سنة بتكرير الالف ثلث مرات وتثنية الاول ومائتا الف الف ملفوظين وستين
الف الف ملفوظين ايضا وذلك مما لا تحتمله اذهان السامعين فلذلك ابهم القول فيه وقوله فمن ذا الذي
قوله معصيته استفهام انكار لوجود من يسلم من لعنة الله وعقوبته ممن يكون فيه رذيلة الكبر وقوله يسلم على
الله في معنى يرجع اليه سالما من طرده ولعنته وعذابه يقول سلم على هذا الشيء اذا رجع اليك سالما ولم يلحقه
تلف والباء في قوله بمثل معصيته للاستصحاب اي فمن يرجع الى الله سالما من عذابه ومستصحبا مثل معصية ابليس
اي تكبره مثل تكبره ومخالفة امر ربه وقوله كلا ردع لما اشار يدفع بذلك السلامة التي استنكر وقوعها باستفهامه
وقرر ذلك الرد بقوله ما كان الله الى قوله ملكا والباء في قوله بامر للاستصحاب ايضا اي ما كان الله ليدخل اي
بشرا مستصحبا الامر اخرج به منها ملكا وذلك الامر هو رذيلة الكبر التي يستصحبها الانسان بعد الموت ملكة
وخلقا في جوهر نفسه والقضية سالبة تقرر قطعا اي لا يدخل الجنة بشر بوصف الكبر ما دام لم يزل ذلك الوصف
فان كان ذلك الوصف يدوم كما في حق الكافر لم يدخل الجنة ابدا وان كان لا يدوم جاز ان يدخل بعد زواله
الجنة فاذن لا مسكة للوعيدية القائلين بتخليد الفاسق من اهل القبلة في هذا الكلام واما حبوط الاعمال
فنقول انما كان بسبب الكفر كما قال تعالى الا ابليس استكبر وكان من الكافرين فان قلت الكلام يقتضي ان حباط
عمله ولخراجه من الجنة كان بسبب تكبره لا بسبب كفره قلت الاصل هو الكبر الا ان تكبره كان تكبرا على الله
واباء لطاعته واستصغارا لما امر به حيث قال ااسجد لبشر خلقته من صلصال ااسجد لمن خلقت طينا وذلك معاداة
لله وكفر به مصارحة وكان ذلك مستلزما لكفره ولا شك ان الكفر يستلزم احباط العمل واللعن والخروج
من الجنة وقوله ان حكمه في اهل السماء الى قوله لواحد اي ان قضاءه بالخير او الشر على من يستعد لاحدهما من
استعد من اهل السماء واهل الارض لخير او شر فحكمه فيهما ان يفيض على المستعد له وذلك حكم لا يختلف اعتبارا
من جهته تعالى وقوله وليس بين الله الى قوله العالمين اي ليس بينه وبين احد من خلقه صلح فيخصصه بالمسامحة
حكم حرمه على سائر خلقه فيختلف بذلك حكمه فيهم لان الصلح من عوارض الحاجة والخوف المحالين عليه تعالى
وقال بعض الشارحين كل ما جاء من الاحباط في القرآن والاثر محمول على ان ذلك العمل المحبط قد اخل

مقدارهم

فاعلم

فاعله ببعض شرائطه اللازمة او لم يوقعه على الوجه المامور به المرضي وفعله لا على بصيرة ويقين بل على ظن وتخمين
وبالجملة بحيث يقع لا على وجه يستحق به ثوابا لا انه استحق به شيئا ثم احبطه فان ذلك مما قام البرهان على
استحالته ثم حذرهم من ابليس باعتبار كونه عدو الله بعد امرهم باعتبار حاله وما لزمه من الشقاوة بسبب
له ان يعديهم بدائه الداء وهو الكبر الذي بسببه لزمته تلك الشقاوة ومعنى عدو الله مجانبته لاوامره
ومجاوزته لطاعته الى معصيته وهو مستعار ولفظ الداء ايضا مستعار للكبر بقرب من الحقيقة فان ادواء
النفوس اشد من ادواء الابدان ومحل ان يعديكم نصب على البدل من عدو ونقل عن القطب الراوندي انه
ان مفعول ثان عن احذروه وهو سهو اذ هذا الفعل لا يتعدى الى مفعولين وقوله بخيله ورجله كناية عن اعوانه
من الضالين المضلين الذين يستفزون الناس بالوسوسة والدعوة الى طرق الضلال وقوله فلعمري الى
قوله الشديد استعار لفظ السهم لوساوسه ورشح بذكر الوعيد المحكي عنه بقوله تعالى لازينن لهم في
الارض ولاغوينهم اجمعين ووجه الاستعارة كونه يرمي بتلك الوساوس وجوه نفوسهم فيكون سببا
لهلاكها في الاخرة كما يكون السهم سببا للقتل ورشح بذكر التفويق والنزع والاغراق والرمي واما مكان
القريب فكما نطق به الخبر النبوي قوله ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وقوله لولا ان الشياطين يحومون
على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السماوات وقرب من كان كذلك ظاهر والكلام في قوله فلعمري الخ معترض
الاغراء بعداوته والتشمير عنه وقوله قال رب بما اغويتني اقتباس للاية وهو من جملة الاعتراض وفي الباء
وما يتعلق به وجوه احدها قال ابو عبيد معناها القسم فان قلت كيف نسب الاغواء اليه تعالى وكيف يصح الاقسام
معناه قلت على الاول لما كان تعالى خالقا لاسباب الغواية فيه كالقدرة والعلم وغيرها كانت له تعالى يد
في ايجاد الغواية وان كانت بعيدة فلذلك صح اسناد فعلها اليه تعالى وعلى الثاني انه يجوز ان يكون ما بمعنى
الذي والعائد من الصلة محذوف وتقديره بالذي اغويتني به لازينن لهم وذلك هو الامر بالسجود لادم فكان
بسببه استكبر وعصى فغوى والقسم جائز بامره تعالى وتكليفه ومن جعل ما مصدرية فله ان يقول ان ابليس
اطلق على الامر والتكليف الذي حصل له بسببهما الغواية لفظ الاغواء مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب
ثم اقسم به باعتبار ما هو امر وتكليف لا باعتبار ما هو غواية والثاني قال غيره هي للسببية اي بكوني غاويا لاذ
كما يقول بطاعته ليدخلن الجنة وبمعصيته ليدخلن النار ومفعول لازينن محذوف اي لازينن لهم الباطل
حتى يقعوا فيه الثالث قال بعضهم يجوز ان يكون الباء للسببية ويقدر قسم محذوف والمعنى بسبب ما كلفتني
فاستلزم غوايتي اقسم لازينن لهم وقوله قذفا بغيب بعيد كقوله تعالى ويقذفون بالغيب هاهنا بمعنى الظن
وفيه نظر لان المطلق من مكان بعيد وهو مصدر محذوف فعله او سد مسد الحال قال المفسرون والغيب هنا
بمعنى الظن وفيه نظر لان اطلاق لفظ الغيب على الظن مجاز والعدول من الحقيقة انما يكون بعد تعذر حمل
اللفظ عليها ولا تعذر هاهنا في ذلك لان مفهوم الغيب هو ما غاب عن الخلق فلم يعلموه فكان القذف بكل

ما لا يعلم والحكم به قذفا بالغيب وحكاية كان ابليس لا يعلم ما حكم بانه يفعله في الخلق من التزيين والاغواء
وهو بعيد عن علمه ثم حكم به كان حاكما بما هو غائب عن علمه وغائب عنه وهو معنى قذفه بالغيب البعيد وفي نسخة
الرضي رضي الله عنه بظن مصيب وفي اكثر النسخ غير مصيب وهو المناسب لقوله بغيب بعيد لان ما بعد الظن
بعيد قلما يصيب ظنه فان قلت فلم قال غير مصيب مع ان ابليس صدق ظنه في اغواء الناس مع قوله ما ظن كما قال
تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الاية قلت الجواب عنه من وجوه احدها انه يريد بالظن المصيب العلم
لانه هو المصيب الحق فكانه قال الظن ليس بعلم الثاني قال بعض الشارحين انما كان غير مصيب لانه ظن ان الغواية
يكون منه فقال لاغوينهم وهذا ظن فاسد لان اغواءهم كان منهم اختيارا لانهم اختاروا العمى على الهدى فغووا
عن طريق الله وصدقه ابناء الحمية له في ذلك بعوده الى وقوع الغواية منهم ووقوع ظنه لانه لما ظن انه يغويهم فقد
ظن ان الغواية تقع منهم وقد وقعت في الغواية ولخطائه في نسبتها اليه الثالث ان الكلام لما كان في معرض
ذم ابليس واغراء الخلق بعداوته ووقف عليه السلام في الاية على قوله اجمعين فيكون المعنى ان ابليس ظن انه يغوي
جميع الخلق واما استثناؤه لعباد الله المخلصين فلذلك ليس عن ظنه بل تصديقا لقوله تعالى ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان ومعلوم ان ذلك الظن فاسد وغير مصيب اذ كان انما قد ظن اغواء البعض الرابع قال
بعض الشارحين يحتمل ان يكون اراد بالاغواء الذي ظن انه يفعله بالخلق هو اغواء الشرك وفي الاخلاص في قوله
الا عبادك منهم المخلصين المعصومين من المعاصي فيكون الناس اذن في ظنه اما معصوم او مشرك وهذا ظن غير مصيب
اذ وجد من ليس بمشرك ولا معصوم وقوله صدقه ابناء الحمية فالحمية لازم من لوازم الكبر لانها ماخوذة من
قولك حميت اذا غضبت وكانت حقيقتها تعود الى الغضب من تصور المؤذي مع التوقع على فاعله واعتقاد الشرف
عليه واستعار لفظ الابناء لاصحاب هذه الرذيلة واهل الكبر من الناس ووجه الاستعارة ملازمتهم لها كالملازمة
الوالدية حتى صاروا كانهم خلقوا منها وهي اصل لهم وتصديقهم له بذلك الظن هو ارتكابهم للرذائل والمعاصي
اتباعا له وغوايتهم بها عن سبيل الله قال بعض الشارحين والباء في قوله به بمعنى في او صدق فيه مصدر في
موضع الجر صفة للظن وقوله واخوان العصبية يحتمل ان يريد اخوانها فيكون قد جعل لها اخوانا على سبيل الاستعارة
وهم ملازموها كما جعل للحمية ابناء ويحتمل ان يريد الاخوان فيها اي الذين عقدوا الاخوة بينهم على العصبية والتناصر
فيها وكذلك فرسان الكبر والجاهلية يحتمل انه قد يكون استعار لفظ الفرسان لمرتكبي الكبر والافعال الجاهلية
ووجه الاستعارة ظاهر ويحتمل ان يريد فرسان الجاهلية الموصوفين بالكبر وقوله حتى الى قوله الجلي غاية من قوله
فوق واغرق ورماكم واستعار وصف الجامحة للنفوس التي كانت عاصية لابليس ابية عن الانقياد له وقوله
فنجمت الحال اي ظهرت الحال التي كانت يريدها منكم ويبطنها فيكم وهي الغواية والضلال من السر الخفي الى الامر
الجلي اي من القوة فيكم الى الفعل وقوله استحكم جواب الشرط واستعار لفظ الاستحكام لشدة سطوته وسلطانه
اشارة الى كمال قدرته على تطويع النفوس وقهرها وجنوده كناية عن اهل الفساد في الارض كما علمته فيما سبق وقد

بهم دخولهم بالفساد على الناس وتزيينه لهم رذائل الاخلاق واغواؤه اياهم ومن لوازم ذلك التحاسد والتباغض
والتقاطع والتدابر وتفرق الكلمة ومن لوازم تفرق الكلمة ان تقحمهم العدو ولجات الذل وحلهم ورطات
القتل وتوطئهم اثخان الجراحة ويحتمل ان يريد بسلطانه الذي استحل عليهم سلطان عدوهم ومن خالفهم
كمعوية وغيره وقوتهم عليهم بعد تفرق كلمتهم وقلة طاعتهم له عليه السلام واضافة ذلك السلطان وجنوده
الى الشيطان ظاهر لان سلطان الحق وجنوده يقال له سلطان الله وجنود الله وسلطان الباطل يقال له
سلطان الشيطان وجنود الشيطان واولياؤه واعوانه وظاهر انهم عند تفرق كلمتهم قد استحل عليهم سلطان
ابليس ودلف بجنوده اليهم وهم مخالفوه عليه السلام وانتصب اثخان الجراحة على انه مفعول ثان لاوطاوكم ولفظ
الوجاب والورطات مستعاران للاحوال التي هي مظان الذل والقتل كالاماكن التي يفرون اليها من عدوهم
ذلا والمواطن التي قتلوا فيها اولطاعتهم والاستسلام لهم والقائهم واخلائهم اياها الجاؤهم الى تلك الاحوال
والاماكن ولذلك استعار وصف ايطائهم اثخان الجراحة ملاحظة لشبهه وقوعها بهم للوطء في استلزامه للاذى
وكنى بذلك المستعار عن ايقاعهم في جراحات الجراح واثخان مصدر قولك اثخن في الجراح اذا اكثر فيه وبالغ حتى
فشا فكانه ثخن وقوله طعنا الى قوله لمقاتلكم حمل الطعن للعيون والحز للحلوق والدق للمناخر والقصد
للمقاتل لانها محالها المتعارفة عند ارادة الاذلال والاهانة والاهلاك لان الطعن وان كان قد يقع
في سائر البدن الا انه ابلغ في العيون والحش وكذلك في باقيها قال بعض الشارحين انتصب طعنا وحزا
ودقا وقصدا وسوقا على المصادر عن افعالها المقدرة ومن روى لاثخان الجراحة بوجود اللام فيحتمل ان يجعل
طعنا مفعولا ثانيا لاوطاوكم ويكون اللام في الاثخان لام الغرض اي اوطاوكم طعنا وحزا ودقا لتحقق الجراح
فيكم قال ويكون قصدا وسوقا خالصين للمصدرية لبعدهما عن المفعول به والاظهر هو الوجه الاول اعني كون كل
منهما مصدرا لفعله ولما كان الفاعل بهم هذه الافعال كلها هو ابليس وجنوده فان كان المراد بجنوده الساعين
بين الناس بالوسوسة والفساد في الارض فمعنى فعلهم بهم هذه الافعال كونهم اسبابا معدة لهم بالوسوسة
المستلزمة لتفريق الكلمة ومخالفة الامام لوقوع هذه الافعال بهم من اعدائهم ومحاربيهم ثم يتبع فعل العدو
بهم ان يسوقهم الى النار بخزائم القهر ولفظ الخزائم مستعار لما تمكن في جواهر نفوسهم من الرذائل الموبقة و
ملكات السوء التي لا محيص لهم عن النار بسببها لمشابهتها الخزائم التي يقاد بها الابل في كونها لا تخلص لها
مما يقاد اليه بسببها ولفظ السوق ترشيح للاستعارة وان كان المراد بجنوده هم المخالفون له عليه السلام والمحاربون
لاصحابه ففعلهم بهم تلك الافعال ظاهر واما السائق لهم الى النار فيحتمل ان يكون هؤلاء وذلك باذلالهم
لهم وادخالهم في باطلهم عن قهر وذلة ولا شك ان الدخول في باطلهم سبب جاذب الى النار ولفظ الخزائم
مستعار اذن لما تمكن من باطلهم وخبث النفوس واما لالزامهم بالباطل وحملهم على ارتكاب المنكر
ويحتمل ان يكون السائق لهم هو ابليس وجنوده من اهل الوسوسة ثم رجع الى افراده بالفعل نظرا الى قوله

ودلف بجنوده فقال بعده فاصبح اعظم في دينكم جرحا فاستعار لفظ الجرح للفساد والمفعول الحاصل بسبب
ابليس في دينهم ووجه المشابهة كون الجرح فسادا في العضو ايضا وكذلك استعار لفظ القدح لوساوس ابليس
الساريه لوجود الاحن والتباغض والتحاسد بينهم الموجب لتفريق كلمتهم الساري لتشتت سلطانهم وفساد
نظامهم وما هم عليه من الابهة واستقامة المعاش في الدنيا ووجه المشابهة افساد ذلك الوساوس لاحوال
معاشهم كافساد قدح النار لما يقدح فيه وجعله في جرح دينهم وافساد دنياهم اشد من اعدائهم الذين هم
مناصبون لهم والحكم ظاهر الصدق اذ كانت فتنة ابليس لهم في دينهم ودنياهم اصلا لكل فتنة تلحقهم من اعدائهم
باعتبار انها سبب تفرقهم كما سبق ثم امرهم ان يجعلوا عليه حدهم اي بأسهم وسطوتهم لان حد الرجل بأسه وسطوته
او منعهم ودفعهم وان يجعلوا له جدهم اي يجتهدوا في الخلاص من فتنته بمقاومته وقهره وقوله فلعمر الله الى قوله بلاء
عود الى الاغراء بعداوته بذكر اسباب العداوة المنفرة وهي كونه فخر على اصلهم وذلك قوله تعالى حكاية عنه انا خير
منه خلقتني من نار وخلقته من طين ووقع في حسبهم ودفع في نسبهم وذلك قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال
من حما مسنون فبين بذكر اصلهم وهو الصلصال والحماء المسنون المنتن ونسبهم منه انه ساقط عن درجة الا
به وخيله ورجله كناية عن جنوده من اهل الباطل واجلابه بخيله عليهم جمعه لجنوده على محاربتهم او على الوسوسة
لهم والاضلال وقصده لسبيلهم اي السبيل الحق الذي هم سالكوه طلبا لاضلالهم كقوله تعالى حكاية عنه لاقعدن لهم
صراطك المستقيم وهو كناية عن جذبه لهم الى طرف الباطل عند توجههم الى طرف الحق وسبيل الدين واقتناصهم
لهم بكل مكان كقوله ثم لآتينهم من بين ايديهم الاية وهو كناية عن اخذه بوسوسته لهم من كل وجه واغوائه لهم
عن كل سبيل حق وضربهم منهم كل بنان كناية ايضا عن كونه هو وجنوده اسبابا معدة لقتلهم وقطعهم بايدي
اعدائهم وعلى احتمال ان يريد بجنوده محاربيه عليه السلام من اهل الضلال يعني قصدهم لسبيلهم ابتلاؤهم
بالفتن والقتل ومنعهم لهم بذلك عن اقامة حدود الله والاستقامة على سبيله واقتناصهم لهم بكل مكان
وضربهم منهم كل بنان كناية عن استقصائهم وقتلهم واذاهم ولفظ الاقتناص مستعار وظاهر انهم لا يمتنعون
من افعال المعدا استحكام طمعه فيهم واستحالة سلطانه عليهم بحيلة ولا يدفعون عن انفسهم بعزيمة اي بجد وجهاد
وصرامة في امرها سبق منهم من التخاذل والانفعال عنه والحومة والحلقة والعرصة والجولة الفاظ كنى بها عن
الدنيا اذ كانت محل ذلهم والضيق عليهم وعرصة موتهم ومظنة بلائهم والاضافات الاربع بمعنى اللام ثم عاد
الى امرهم بتطهير قلوبهم من رذيلة العصبية واحقاد الجاهلية واستعار لفظ النيران لما يثور من حرارة الغضب
عند العصبية وقد علمت ان مبدأ تلك الحرارة الغلب ورشح بذكر الاطفاء ولما كان تسمى تلك النيران حمية
كما سبق فلذلك فسرها بها فقال وانما تلك الحمية ويعنى من الحمية انها جزء المبتدأ وقوله تكون خبر بعد
خبر ويحتمل ان تكون صفة لتلك والخبر تكون وظاهر ان الحمية والعصبية الباطلة من خطرات الشيطان
التي يخطرها للنفوس ونخواته التي يحدثها فيها محبة الغلبة والاستعلاء والترفع والترأس على الخلق ومن

وفخر

نزغاته التي يفسد بها بين الناس ونفثاته التي يلقيها الى اذهانهم لغرض الافساد والاضلال واراد بانها
لا الشيطان الشغير عنها ثم اردفها بالامر بالتذلل واراد به التواضع وامرهم ان يعتمدوا وضع على رؤسهم
وهو كناية عن اعزازهم والقائه لكونه فضيلة وان يلقوا التعزز تحت اقدامهم وهو كناية عن اطراحهم وعدم
العناية به لكونه رذيلة وان يخلعوا التكبر من اعناقهم واستعار لفظ الخلع لطرح التكبر ونسبه الى الاعناق
ملاحظة لشبهه بما يلبس من قميص او طوق فامرهم بخلعه اذ ليسوا اهلا له وليس مما ينبغي لهم وان يلزموا التواضع
واستعار له لفظ المسلحة ووجه المشابهة انه لما كان المتواضعون بسبب تواضعهم وتخلقهم به حافظين لدينهم
وانفسهم من دخول ابليس وجنوده عليهم برذيلة الكبر وما يلزمها من سائر الرذائل المعدودة المهلكة اشبه
تواضعهم المسلحة التي هي محل الحفظ بها من غارات العدو ولما علمت ما يلزم الكبر من الرذائل فلا يخفى عليك
ما يلزم التواضع من اضدادها ونقائضها وقوله فان له من كل امة الى قوله فرسانا بيان لجنوده واشارة الى
ان له من هذه الامة جنودا واعوانا ورجلا وفرسانا اتضعوا لصحبته واستشعروا شعاره وهو الكبر فينبغي
ان يجتنبوهم ويطرحوا شعارهم وقوله ولا تكونوا في ذلك كالمتكبر على ابن امه الى قوله من غير ما فضل جعله الله فيه
اراد بذلك المتكبر قابيل حين قتل اخاه هابيل عن كبر وحسد وهو نهي عن الكبر ايضا من بعضهم على بعض والى
قصة قابيل وهابيل اشار القرآن الكريم بقوله واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا الى قوله جزاء الظالمين
والمنقول في السبب انه كانت تلد في كل بطن اثنين ذكرا وانثى فولدت في اول بطن قابيل واخته ثم
مكثت سنين ثم ولدت هابيل واخته فلما ادركوا امر الله آدم ان ينكح اخت هابيل قابيل وينكح هابيل اخت قابيل
فرضي هابيل بذلك ولم يرض قابيل لان اخته كانت احسنهما فقال لهما آدم قربا قربانا فايكما تقبل قربانه زوجتها
منه وقيل بل قال آدم لهابيل وقابيل ان ربي عهد الي انه يكون من ذريتي من يقرب القربان فقربا قربانا
حتى تقر عيني اذا تقبل قربانكما وكان قابيل صاحب زرع وهابيل صاحب ضرع فقرب قابيل بارداء قمح عنده
وتقرب هابيل باجود جمل عنده ووضعا قربانهما على الجبل فدعا آدم فنزلت نار بيضاء من السماء فرفعت قربان
هابيل دون قابيل لان نيته لم تكن خالصة في قربانه وقيل لانه تقرب باخس ما عنده وقيل لانه كان مصرا
على كبيرة لا يقبل الله معها طاعة وذلك قوله تعالى نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل
من الآخر فحسده قابيل وكان اكبر منه سنا فقال لاقتلنك قال هابيل انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت
الي يدك الاية الى قوله فاصبح من الخاسرين اي لاخيه في الدنيا والجنة في الآخرة وروي انه بقي زمانا يحمله
على ظهره لا يدري ما ذا يصنع به حتى بعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه وروي انه كان
غرابان قتل احدهما الآخر وحفر له ودفنه فقال قابيل يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب الآية
اذا عرفت ذلك فنقول قال الثعلبي انما اضافه الى الام دون الاب لان الولد في الحقيقة من الام اي اولى
بالفعل فان النطفة في الحقيقة ليست ولدا بالجزء المادي له ونسبة الولد اليه في الحكم دون الحقيقة وقيل

لان قابيل بقتله هابيل كانه قطع نسبه عن ابيه كما قال تعالى لولد نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح
وقيل لان شفقة الاخ من الام اكثر من شفقة الاخ من الاب لزيادة شفقة الام والاول اليق وقد اشار
بهذه الاضافة الجهة مساواته له في كونهما من محل واحد ليتبين قبح تكبره عليه لتنبيه السامعون للنهي عن التكبر
على غيره من ابناء نوعه واكد ذلك بقوله من غير ما فضل جعله الله فيه وقوله سوى ما الحقت العظمة الى قوله
ريح الكبر اشارة الى جهات تكبره عليه واسبابه وهي العداوة عن حسد وجعل تلك العداوة مسببة عن العظمة
وهو ظاهر كما علمت فان المتعظم معتقد لكمال نفسه وانه اولى بكل كمال يليق به من غيره وانه لا ينبغي لغيره ان يحظى
ان يشاركه فيه لحد وذلك يستلزم حسده للغير على ما يعتقده كما لا يصل اليه كاعتقاد قابيل انه اولى با
لاخت الحسناء من اخيه لكونه اكبر سنا منه الى غير ذلك من الاسباب وعن ذلك الحسد تكون الحمية وثوران نار
الغضب والعصبية ولفظ النار مستعار كما سبق ولفظ القدح ترشيح وكذلك لفظ الريح مستعار لتلك
الوساوس والخطرات التي ينفثها ابليس في روع المتكبر من كونه اولى واحق بذلك الكمال ونحوه وكذلك
لفظ النفخ لالقاء تلك الخطرات ونفثها وقوله الذي اعقبه اي الندامة المشار اليها كما ذكرناه وقوله والزمه
آثام القاتلين الى يوم القيمة اشارة الى مقتضى قوله تعالى من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا
بغير نفس فكانما قتل الناس جميعا اي يكون عقابه في الغلظ والشدة والتأبيد كعقاب قاتل الناس
جميعا كما قال تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا الاية وكذلك مقتضى قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة وقابيل هو اول من سن القتل فلاجرم لزمه
آثام القاتلين الى يوم القيمة وكذلك قوله صلى الله عليه وآله ما من نفس تقتل ظلما الا كان على ابن آدم الاول
كفل منها ذلك بانه اول من سن القتل ثم شرع في تنبيههم على امثالهم وتحذيرهم في البغي في الارض واعلامهم
بذلك من انفسهم والخطاب يشبه ان يكون للبغاة من اصحاب معوية وهم الذين كاشفوا الله تعالى بمجادة
اوليائه ومعاداة دينه وبارزوا المؤمنين المحاربة ومصارحة ومبارزة مصدر انسب على الحال ثم كرر التحذير
من الله تعالى في الكبر واضافه الى الحمية ليتميز من الكبر المحمود وكذلك اضافة الفخر الى الجاهلية فان من التكبر
والفخر ما هو محمود كتكبر الفقراء على اهل الدنيا وفخرهم كما ورد في الخبر ما احسن تواضع الاغنياء
للفقراء واحسن منه تكبر الفقراء على الاغنياء ثم اخذ في ذكر ما يعرض من الاوصاف وهو كونه ملاقح الشنآن
وهو البغض والعداوة ولفظ الملاقح مستعار من الفحول للكبر والفخر ووجه المشابهة كونهما مظنة وجود
البغضاء بين الناس وسببه كما ان الفحول سبب الالقاح واما على تقدير كونه مصدرا فاستعارة لاثمار الفخر
للبغضاء للمشابهة المذكورة ثم انه اجتزأ بذلك المصدر عن التخريج حيث جمله حتى انه قال فان الفخر
لقح الشنآن والقح الشنآن نفسه ليس هو الفخر بل من ثمراته ولوازمه فكان اطلاقا لاسم السبب على المسبب
وهو في الدرجة الثانية وانما ذكره بلفظ الجمع نظرا الى تكثر معنى الفخر في موارده وهي اذهان المتكبرين ونافخ

الشيطان

الشيطان جمع منفخ مصدر نفخ وظاهر ان افرادها هيئة الفخر المنتشرة في الادمغة نفخات ونفثات من ابليس
ويقال في العرف للمتكبر والمترفع عن قدره في نفخ الشيطان في انفه ووصف تلك المنافخ بانها اللاتي
خدع بها الامم الماضية والقرون الخالية وصورة الخداع ههنا كونهم اراهم الباطل في صورة الحق كتزيينه الكبر وتحسينه للوازمه وتخييل ان ذلك هو الاصلح والانفع مع انه في نفس الامر ليس كذلك حتى كان
ذلك سببا لارتكابهم في ظلمات الجهالات ومهاوي الضلالات واستعار وصف الاعناق لما يتوهم
من شدة دخولهم في ظلمات الجهالات وقوة سيرهم فيها وكذلك لفظ الحنادس مستعار لما يتخيل من ظلمة
الجهل ولفظ المهاوي مستعار لما يتخيل من كون الضلالة وطرقها محال للهوي عن افق الكمال ومدارج
السعادة واضاف الجهالة والضلالة اليه اضافة للمسبب الى السبب وسلس جمع سلس وهما سهلا الانقياد
وانتصابهما على الحال من الضمير في اعتقوه اي اسرعوا سهلي الانقياد لسوقه وقوله امرا منصوب بفعل
مضمر تقديره فاعتمدوا امرا تشابهت قلوبهم فيه وتتابعت القرون الماضية منهم على اعتماده وهو الفخر
ونفخ الشيطان والاعناق في جهالته وضلالته وكبرا عطف عليه وكنى بتضايق الصدور به عن كثرته وعظمه
ثم عقب بالتحذير من طاعة ساداتهم وكبرائهم تذكيرا بما نبه عليه القرآن الكريم بذم المطيعين لساداتهم
وكبرائهم على طاعتهم فيما حرم الله عليهم وخروجهم بذلك عن سبيل الله وذلك قوله تعالى حكاية لما يقولونه
يوم القيمة قالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم
لعنا كبيرا وندم التابعين على متابعة متبوعهم في قوله حكاية عنهم تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم
برب العالمين وقوله الذين تكبروا عن حسبهم وترفعوا فوق نسبهم فحسبهم نسبهم اشارة الى الطين والصلصال
من الحماء المسنون والماء المهين الذي هو اصلهم ولما كان من شأنه ان لا فخر فيه ولا تكبر لمن هو اصل له ثم تكبروا
فقد تكبروا عن ذلك الاصل وترفعوا عليه وتركوا ما ينبغي لهم من النظر اليه المتواضع بحسبه واليه اشار
القايل ما بال من اوله نطفة وجيفة آخره يفخر يصبح لا يملك تقديم ما يرجوا ولا تأخير ما يحذر وقوله
والقوا الهجينة على ربهم اي نسبوا ما في الانسان من القبائح بزعمهم الى ربهم كما قال بعض الشارحين كان
يقول احدهم في الافتخار على غيره انا عربي وانت عجمي فان ذلك عيب وازراء الخالق الله فهو عيب على الله و
نسبة للقبيح اليه وهم في ذلك مقتفون لاثر ابليس حيث قال لم اسجد لبشر خلقته من صلصال اذ كان ذلك
عيبا للخالق الله ونسبة للفعل القبيح اليه وقوله وجاحدوا الله ما صنع بهم ووجه المجاحدة هنا انهم لما غفلوا
عن الله تعالى وجهلوا حقه لم يشكروا على نعمائه وصنعه بهم ولما كان الشكر يعود الى الاعتراف بالنعمة كان
الجحد والانكار منهم عبارة عن عدم ذلك الاعتراف لغفلتهم وايضا فان الشكر كما يكون بالاعتراف بالنعم
كذلك يكون بالاتيان بما يوافق ذلك الاعتراف ويدل عليه من الاقوال والافعال الصالحة المطلوبة
للمنعم والموافقة لاوامره ونواهيه ويسمى ذلك شكرا ايضا فكان الاصرار على تركهما وعدم الاتيان بهما

جحد النعمة الله وذلك هو مجاحدتهم لله فاما مجاحدة الله لهم فيعود الى ما يحتمل من انكاره عليهم جحدهم وتقريره
عليهم صنعه بهم وتذكيره نعمته في حقهم وما مصدرية ويحتمل ان تكون بمعنى الذي والعايد من الصلة محذوف
اي ما صنعه بهم وقوله مكابرة لقضائه اي مقابلة لحكمه عليهم بوجوب شكره ولزوم طاعته برده ذلك الحكم
وانكاره وعدم الانقياد له وحقيقة المكابرة يعود الى المقابلة بالقول في الامر والمنازعة فيه على وجه الغلبة
والتكبر من الطرفين وهي هنا ترشيح لاستعارة المجاحدة وكذلك المغالبة لالايه والنصب فيهما على
المفعول له والمغالبة هنا يشبه الغاية من المجاحدة وليست غاية على الحقيقة وبيان ذلك انه لما كان من لوازم
المجاحدة وكفران النعمة زوالها وانقطاعها كانوا بفعلهم لتلك المجاحدة وذلك الكفران كالمغالبين
للنعم والقاصدين لزوالها وعدمها اذ كان زوالها لازما لفعلهم وقوله فانهم الى قوله الجاهلية تنبيه
على ما يلزم رؤساءهم من الرذايل المنفرة واستعار لفظ الاساس للكبر اذ كان مبدا للعصبية واصلها
ولفظ القواعد لهم باعتبار قيام الكبر منهم وثباته فيهم كما يقوم الاساس بقواعده وهي الصخور العظيمة
ونحوها وكذلك استعار لفظ الاركان لاجزاء الفتنة وابعاضها ولفظ الدعايم لهم باعتبار قيام الفتن
بهم واعتمادها عليهم كما يعتمد اركان البيت وجوانبه بدعايمه واستعار لفظ السيوف لهم باعتبار صرامة
عزومهم ومضيهم عند الاعتزاء فيما يعترى للكفر بغير السيوف وصرامتها في مضاربها قال بعض الشارحين و
يحتمل ان يريد واصحاب سيوف اعتزاء الجاهلية وذلك عند قولهم يا ال فلان كما تقتل بسبب الخطبة والا
منهي عنه لكونه مبدا للفتن وروى ان ابى بن كعب سمع رجلا يقول يا ال فلان فقال اعضض بهن فاعضض
بهن ابيك فقيل له يا ابا المنذر ما كنت فحاشا فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من تعزى بعزاء
الجاهلية فاعضوه بهن ابيه ولا تكنوا والعزاء الاسم من الاعتزاء ثم عاد الى الامر بتقوى الله فقوله ولا تكونوا
لنعمه اضدادا نهي لهم عن ارتكاب ما يزيل نعمة الله عنهم وتاددها فلا يجامعها من كفرانها ومقابلتها باتيان
المعاصي التي تستلزم تبديل النعمة نقمة وكذلك قوله ولا لفضله عندكم حسادا استعار لفظ الحساد
هنا باعتبار كفرهم للنعم المزيل لها كما ان الحسد باعتبار حسدهم المزيل لها وقوله ولا تطيعوا الادعياء
قال بعض الشارحين مراده بالادعياء الذين ينتسبون الى الاسلام ظاهرا وهم منافقون قلت ويحتمل
ان يريد بهم حقيقة الادعياء وهم الذين ينتسبون الى غير ابائهم ممن لا دين له وقد نشا من في قبيلة التي
اليها ثم وصفهم فقال الذين شربتم بصفوكم كدرهم فاستعار لفظ الصفو وهو خالص الشراب اما
لخالص دينهم وايمانهم او لخالص نياتهم وصافيها ولفظ الكدر للنفاق وساير الرذايل النفسانية
التي تخالط ايمان المرء كالحسد ونحوه فتكدره وتكدر بسبب ذلك ما اصفا من نياته بسبب ثوران الفتن
عنها ورشح بذكر الشرب والمعنى انكم مزجتم بايمانكم نفاقهم فشربتموه به كما يمزج بالماء الشراب فيشربه
به ولايتم ذلك الغرض لانبيائهم عليه السلام والنهي هنا للنصيحة وكذلك قوله وخلطتم بصحتكم مرضهم

انما قال شربتم بصفوكم كدرهم ولم يقل [...] كدرهم صفوكم لان الغرض ان يقرع عليهم [...] الكدر بالقصد الاول

واراد بمرضهم نفاقهم وكبرهم وساير الرذايل النفسانية فيهم وبالصحة سلامة نفوس المؤمنين بايمانهم عن شوب
تلك الرذايل وهم يخلطون ايمانهم بها وكذلك قوله وادخلتم في حقكم باطلهم واراد بالحق الايمان والجد
العمل الصالح او ما يستحقونه من الملك والخلافة في الارض وبباطل اولئك الكذب والنفاق واللعب
وساير الرذايل وما لا يستحق لهم من امر الدنيا وذلك الخلط والادخال بسبب عنادهم عن حقهم وعنادهم
من نصرته عليه السلام وعدم اجتماعهم على ما ينبغي لهم من طاعته ثم عاد الى وصف اولئك الكبرا باوصاف
الاول استعار لهم لفظ الاساس باعتبار كونهم اصلا للفسوق يقوم بهم كما يقوم البناء بالاساس الثاني
لفظ الاحلاس باعتبار ملازمتهم للعقوق وقطع الرحم كملازمة حلس البعير ظهره وروى اساس بكون السين
بوزن احلاس وهو جمع اس كحمل واحمال وهو الاس الثالث كون ابليس اتخذهم مطايا ضلال فاستعار
لفظ المطايا باعتبار كونهم اسبابا موصلة للضلال لمن تبعهم واعتمدوا لهم نيابة عن ابليس وكانوا
في ذلك المطايا التي يركبها الناس ويقودها بهم في طرق الضلال الرابع كونهم جندا بهم يصول على الناس
وذلك باعتبار كونهم جاذبين للخلق الى طريقته داعين لهم الى الهلاك الا بد من جهته الخامس كونهم تراجمة
ينطق على السنتهم ولفظ التراجمة مستعار لهم باعتبار نطقهم بما يريد ابليس من الوساوس للناس فاشبهوا
التراجمة له ثم اشار الى كيفيات اتخاذهم مطايا وجندا وتراجمة فمنها استراق لعقول الناس بالاقوال
الكاذبة والافعال الباطلة والعادات المضلة جذبا الى محبة الدنيا وباطلها والقاء لهم اليها
عما لاجله خلقوا اليه دعوا ومنها دخول في عيونهم بزينة الحياة الدنيا ايضا وكل ما يجذب اليها من
جهة حس البصر ومنها النفث في اسماعهم والقاء الوساوس بالاقوال الواصفة للدنيا وباطلها والنفر
عن الاخرة وساير ما يجذب عن الافق الاعلى من الجواذب السمعية وانتصب استراقا ودخولا ونفثا على
المصدر لكل عن فعله اي يسترق عقولكم استراقا وكذلك الاخران وقوله جعلكم مرمى نبله اي غرضا
واستعار لفظ النبل لجزئيات وساوسه المردية لكل من اصابته الى عمى وهلاك كما يردي النبل من يصيب
به ولفظ المرمى باعتبار كونهم مقصدا لوساوسه كالهدف وكذلك استعار لهم لفظ الموطئ باعتبار
كونهم مظنة اذلاله واهانته ورشح بذكر القدم اذ الموطئ يستدعي موطوءا به هو القدم وكذلك استعار
لفظ المأخذ باعتبار كونهم مقتنصين في حبايل وساوسه ورشح بذكر اليد اذ من شان المأخوذ ان يكون
اخذه باليد **الفصل الثالث** في امرهم بالاعتبار بحال الماضين وما اصاب الامم المستكبرين منهم من باس
الله وصولاته وعقوباته ومصارعهم وبحال الانبياء عليهم السلام في التواضع لمن ارسلوا اليه من المتكبرين
وحال اختيار الله تعالى خلقه بالحجارة ووضعها بيتا لعبادته اختبارا للمتواضعين له وتمييزا لهم من المستكبرين عن
عبادته الى غير ذلك وذلك قوله فاعتبروا بما اصاب الامم المستكبرين من قبلكم من باس الله وصولاته
ووقايعه ومثلاته واتعظوا بمثاوي خدودهم ومصارع جنوبهم واستعيذوا بالله من لواقح الكبر كما تستعيذ

من طوارق الدهر فلو رخص الله في الكبر لاحد من عباده لرخص فيه لخاصة انبيائه ورسله ولكنه سبحانه كره اليهم
التكابر ورضي لهم التواضع فالصقوا بالارض خدودهم وعفروا في التراب وجوههم وخفضوا اجنحتهم
للمؤمنين وكانوا اقواما مستضعفين قد اختبرهم الله بالمخمصة وابتلاهم بالمجهدة وامتحنهم بالمخاوف ومحصهم
بالمكاره فلا تعتبروا الرضا والسخط بالمال والولد جهلا بمواقع الفتنة والاختبار في موضع الغنى والاقتار
فقد قال سبحانه وتعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون فان الله
سبحانه وتعالى يختبر عباده المستكبرين في انفسهم باوليائه المستضعفين في اعينهم ولقد دخل موسى بن عمران
ومعه اخوه هارون على فرعون وعليهما مدارع الصوف وبايديهما العصي فشرطا له ان اسلم بقاء ملكه
ودوام عزه فقال الا تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العز وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر
والذل فهلا القي عليهما اساورة من ذهب اعظاما للذهب وجمعه واحتقارا للصوف ولبسه ولو اراد الله
سبحانه لانبيائه حيث بعثهم ان يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن العقيان ومغارس الجنان وان يحشر
معهم طير السماء ووحوش الارضين لفعل ولو فعل لسقط البلاء وبطل الجزاء واضمحل الانباء ولما وجب
للقابلين اجور المبتلين ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين ولا لزمت الاسماء معانيها ولكن الله سبحانه
جعل رسله اولي قوة في عزائمهم وضعفة فيما ترى الاعين من حالاتهم مع قناعة تملا القلوب والعيون غنى
وخصاصة تملا الابصار والاسماع اذى ولو كانت الانبياء عليهم السلام اهل قوة لا ترام وعزة لا تضام
وملك تمد نحوه اعناق الرجال وتشد اليه عقد الرحال لكان ذلك اهون على الخلق في الاعتبار وابعد لهم
من الاستكبار ولامنوا عن رهبة قاهرة لهم او رغبة مايلة بهم وكانت النيات مشتركة والحسنات مقتسمة
ولكن الله سبحانه اراد ان يكون الاتباع لرسله والتصديق بكتبه والخشوع لوجهه والاستكانة لامره والاستسلام
لطاعته امورا له خاصة لا تشوبها من غيرها شائبة وكلما كانت البلوى والاختبار اعظم كانت المثوبة
والجزاء اجزل الا ترون ان الله سبحانه اختبر الاولين من لدن آدم عليه السلام الى الاخرين من هذا العالم
باحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قياما ثم وضعه باوعر بقاع
الارض حجرا واقل نتائق الدنيا مدرا واضيق بطون الاودية قطرا بين جبال خشنة ورمال دمثة وعيون
وشلة وقرى منقطعة لا يزكو بها خف ولا حافر ولا ظلف ثم امر آدم وولده ان يثنوا اعطافهم نحوه
فصار مثابة لمنتجع اسفارهم وغاية لملقى رحالهم تهوي اليه ثمار الافئدة من مفاوز قفار سحيقة ومهاوي
فجاج عميقة وجزائر بحار منقطعة حتى يهزوا مناكبهم ذللا يهللون لله حوله ويرملون على اقدامهم شعثا غبرا له
قد نبذوا السرابيل وراء ظهورهم وشوهوا باعفاء الشعور محاسن خلقهم ابتلاء عظيما وامتحانا شديدا
واختبارا مبينا وتمحيصا بليغا جعله الله سببا لرحمته ووصلة الى جنته ولو اراد الله سبحانه ان يضع بيته
الحرام ومشاعره العظام بين جنات وانهار وسهل وقرار جم الاشجار داني الثمار ملتف البنى متصل القرى بين

برة سمراء وروضة خضراء وارياف محدقة وعراص مغدقة وزروع ناضرة وطرق عامرة لكان قد صغر قدر الجزاء على
حسب ضعف البلاء ولو كانت الاساس المحمول عليها والاحجار المرفوع بها بين زمردة خضراء وياقوتة حمراء ونور
وضياء لخفف ذلك مصارعة الشك في الصدور ولوضع مجاهدة ابليس عن القلوب ولنفى معتلج الريب
من الناس ولكن الله سبحانه يختبر عباده بانواع الشدائد ويتعبدهم بالوان المجاهد ويبتليهم بضروب المكاره
اخراجا للتكبر من قلوبهم واسكانا للتذلل في نفوسهم وليجعل ذلك ابوابا فتحا الى فضله واسبابا ذللا
لعفوه فالله الله في عاجل البغي وآجل وخامة الظلم وسوء عاقبة الكبر فانها مصيدة ابليس العظمى ومكيدته
الكبرى التي تساور قلوب الرجال مساورة السموم القاتلة فما تكدي ابدا ولا تشوي احدا لا عالما لعلمه
ولا مقلا في طمره وعن ذلك ما حرس الله عباده المؤمنين بالصلوات والزكوات ومجاهدة الصيام في الايام
المفروضات تسكينا لاطرافهم وتخشيعا لابصارهم وتذليلا لنفوسهم وتخفيضا لقلوبهم واذهابا للخيلاء
عنهم لما في ذلك من تعفير عتاق الوجوه بالتراب تواضعا والتصاق كرائم الجوارح بالارض تصاغرا ولحوق
البطون بالمتون من الصيام تذللا مع ما في الزكاة من صرف ثمرات الارض وغير ذلك الى اهل المسكنة
والفقر انظروا الى ما في هذه الافعال من قمع نواجم الفخر وقدع طوالع الكبر **اقول** المثلات العقوبات
والمثاوي جمع مثوى وهو المقام والتكابر التعاظم والتعفير الصاق الخدود بالعفر وهو التراب والمخمصة
المجاعة والمجهدة المشقة والاقتار الفقر والاساورة جمع اسورة جمع سوار ويجوز ان يكون جمع اساور وقال
ابو عمرو بن العلاء هو جمع اسوار وهو السوار والذهبان جمع ذهب كخرب لذكر الحبارى وخربان والعقيان
خالص الذهب واضمحل فني والانباء الاخبار والخصاصة الجوع والشوب الخلط والوعر بالتسكين الصعب
والنتائق جمع نتيقة فعيلة بمعنى مفعولة والنتق الجذب وسميت المدن والاماكن المشهورة والمرتفعة
نتائق لارتفاع بنائها وشهرتها وعلوها من غيرها من الارض كانها جذبت ورفعت والقطر الجانب و
الدمثة اللينة والوشلة قليلة الماء والمثابة المرجع والمنتجع اسم المفعول من الانتجاع وهو طلب الكلا
والماء والمفاوز الفلوات الواسعة والقفار جمع قفر وهي المفازة التي لا نبت فيها ولا ماء وسحيقة بعيدة
والفجاج جمع فج وهي الطريق الواسع بين الجبلين ويهللون يرفعون اصواتهم بالتلبية والاهلال رفع الصوت
والرمل بالتحريك الهرولة والاشعث اغبر الراس متغير الحال والنبذ الالقاء والسرابيل القمصان و
التشويه تقبيح الخلقة والتمحيص الابتلاء والاختبار واصله التخليص والتمييز والمشاعر مواضع المناسك
والقرار المستقر من الارض والجم الكثير والبنى جمع بنية بالضم والارياف جمع ريف بالكسر وهي الارض ذات
الزرع والخصب والمحدقة المحيطة والمغدقة كثيرة الماء والخصب والمعتلج اسم المفعول من الاعتلاج وهو
التغالب والاضطراب يقال اعتلجت الامواج اي تلاطمت واضطربت وفتحا فعل بمعنى مفعول اي مفتوحة
موسعة وكذلك ذللا مسهلة ووخامة الظلم وباؤه وسوء عاقبته والمصيدة بكسر الميم الشبكة وما يصاد به

والمساورة المواثبة واكدى الحافر اذا بلغ في حفره الموضع صلب لا يمكنه حفره واكدت المطالب اذا صعبت
في وجه طالبها فعجز عنها واشوت الضربة تشوى اذا لم تصب المقتل يقال اشواه يشويه اذا رماه فلم يصب
مقتله والطمر الثوب الخلق وعاب جمع عيبة وهي كرايم الوجوه وحسانها والقمء الدقة والنواجم الطوال جمع
ناجمة والقلوع الكثف واعلم انه عليه السلام امرهم باوامر ليعدها الامر بالاعتبار بما اصاب المتكبرين من
سوابق الامم من عقوبات الله ووجه الاعتبار ان يتفكر العاقل في حال اولئك ويرى ما اصابهم انما هو
بسبب استعدادهم له بالاستكبار عن طاعة الله والترفع على عباده كما اشار اليه تعالى قال الذين استكبروا
للذين استضعفوا لمن امن منهم الى قوله فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في ديارهم جاثمين ونحوه في القرآن
كثير فينتقل ذهنه منهم الى نفسه ويقيس حال استكباره على استكبارهم فيما يلزمه من امثال العقوبات التي
نزلت بهم الثاني ان يتعظوا بمثاوي خدودهم ومصارع جنوبهم اي يلحظوا مقاماتهم من التراب وحال
انصراعهم في القبور ليحصل لهم بذلك الانزجار عن الكبر اذ كانت عاقبته وغايته ذلك الهوان والذل في
تلك المثاوي والمصارع الثالث ان يستعيذوا بالله من لواقح الكبر واستعارة اللواقح لما يلزم الكبر من
اسبابه واراد استعاذة كبيرة خاصة كاستعاذتكم من طوارق الدهر وافاته وقوله فلو رخص الله الى قوله الى
اسد لالة على تحريم الكبر مطلقا وانه لا رخصة فيه لاحد من خلق الله بقياس شرطي متصل وجه الملازمة
فيه ان الانبياء خواص الله واحباؤه واهل طاعته فلو كان فيه رخصة لم يجعلها الا لهم وتقدير الاستثناء
فيه لنقيض التالي لكنه لم يرخص فيه لهم فينتج انه لم يرخص فيه لاحد من عباده لكنه حذف هنا استثناء نقيض
واستثنى بعض لوازمه وهو تكريهه التكابر اليهم وذلك بوعيده المتكبرين على الكبر ثم رضي التواضع لهم
وذلك بامرهم به كما قال تعالى واخفض جناحك للمؤمنين ونحوه وقوله فالصقوا الى قوله مستضعفين اشارة
الى امتثالهم لما امرهم به من التواضع وموافقتهم له فيما رضيه لهم فالصاقهم خدودهم بالارض وتعفير وجوههم
اشارة الى معاملتهم له في عبادته مع انفسهم وخفض اجنحتهم للمؤمنين وكونهم اقواما مستضعفين اشارة
الى امتثالهم ومعاملتهم له في خلقه ولفظ الاجنحة مستعار من الطاير لبدن الانسان وجانبه باعتبار انه هو
محل البطش والنفرة وخفض الجناح كناية عن لين الجانب وقال ابن عباس في قوله تعالى واخفض جناحك
للمؤمنين اي ارفق بهم ولا تغلظ عليهم قال والعرب تقول للرجل اذا كان ساكنا وقورا انه خافض الجناح وقوله
قد اختبرهم الى قوله بالمكاره اشارة الى انه اعدهم بانواع الشقاوة الدنيوية من الجوع والمشاق والمخاوف
والمكاره والتنفير بها عن الدنيا للاقبال عليه تعالى ومحبة ما عنده من الثواب الجزيل وقد علمت معنى ابتلائه
تعالى لعباده واختباره لهم غير مرة وقوله فلا تعتبروا الرضا والسخط بالمال والولد الى قوله الا قارا اي
لا تعتبروا رضاه تعالى عن عباده باعطائه لهم المال والولد وسخطه عليهم بمنعه لهم ذلك وكان جواب عن
مقدر كانه قايل قال فاذا كان هؤلاء اخوانه واهل طاعته ورضاه فلم امتحنهم بالشدايد وابتلاهم

بالمخاوف

بالمخاوف والمكاره ولم يعطهم الاموال والاولاد كما قال فرعون لموسى عليه السلام فلولا القي عليه اساورة من
من ذهب وكما قالت كفار قريش او يلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها فاجاب عليه السلام بان ذلك لوم
الجهل بمواقع الفتنة والاختبار في مواضع الغنى والاقتار اي ان الاختبار كما يكون بالفقر والمشاق والمكاره
كذلك يكون بالمال والولد وليس المال والولد من الخيرات التي تعجل في الدنيا لمن يعطى اياهما كما يزعمون و
واستشهد على ذلك بقوله تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون اي يحسبون
انا نعجل في تقديم ثواب اعمالهم لرضانا عنهم حتى بسطنا لهم الرزق واكثرنا لهم اولادهم بل لا يعلمون ان ذلك
استدراج لهم من الله ومحنة وابتلاء وجهلا نصب على المفعول له وقوله فان الله سبحانه يختبر عباده المتكبرين الى
قوله في اعينهم كلام منقطع يستدعي ابتداء يكون معللا به وقد فصل الرضي بينه وبين ما قبله بفصل لكنه
بيان لنوع اخر من ابتلاء الله تعالى عباده المتكبرين في انفسهم واختبارهم باوليائه المستضعفين وهم الانبياء
في اعينهم اي في اعين المتكبرين فهو في معنى ما قبله وفيه تنبيه على بعض اسراره تعالى في خلقه لساير انبيائه
واوليائه مستضعفين وهو ان يبتلي بهم المتكبرين من عباده في ارضه كما سيشير عليه السلام من الحكمة في خلقهم
كذلك ثم ضرب مثال ذلك الابتلاء في موسى وهارون عليهما السلام حين دخلا على فرعون يدعوانه الى الله تعالى
وذلك قوله ولقد دخل الى قوله ولبسه وروى الطبري في تاريخه ان موسى وهرون قدما مصر حين بعثهما الله الى فرعون
فمكثا سنتين يغدوان على بابه ويروحان يلتمسان الاذن عليه ولا يعلم بهما ولا يجتري احد ان يخبره بشانهما وكانا
يقولان في الباب انا رسول رب العالمين الى فرعون حتى دخل عليه بطال له يلاعبه ويضحكه فقال ايها الملك
ان بالباب رجلا يقول قولا عجيبا ويزعم ان له الها غيرك فقال ادخلوه فدخل وبيده عصاه ومعه اخوه هرون فقال
انا رسول رب العالمين وذكر تمام الخبر وصحيح قصتهما ومحاورتهما مستوفى في القرآن الكريم كسورة الشعراء و
القصص وغيرهما والذي ذكره عليه السلام منها واضح بين وقال كعب كان موسى عليه السلام من رجال شنوءة وكان
ادم طوالا وكان اخوه هارون اطول منه واكثر لحما واشد بياضا واغلظ الواحا واسن من موسى بثلث سنين و
كانت في جبهة هارون شامة وفي طرف انف موسى شامة وعلى طرف لسانه شامة ولم يعرف احد قبله ولا بعده
كذلك قال وهي العقدة التي ذكرها الله تعالى قال وفرعون موسى هو فرعون يوسف عليه السلام عمر اكثر من
اربعمائة سنة واسمه الوليد بن مصعب وانكر غيره ذلك وقالوا هو غيره وقبض هرون قبل موسى وهو ابن مائة وسبع عشرة
سنة وبقي موسى بعده ثلث سنين ومات في ستة تيه مات فاما شرطهما له بقاء ملكه باسلامه فلما علمت من كون
النواميس الشرعية والتمسك بها والعمل بقوانينها ناظمة لحال النوع الانساني وسببا لصلاح معاشهم و
معادهم وبانتظام شمل مصلحتهم باستعمال تلك القوانين يكون بقاؤهم وثبات دولهم وملكهم ودوام عزهم فاما
لشرطهما له دوام العز والملك باسلامه وتعجبه منهما في ذلك فسببه اعتقاده الجهل ان مبدأ التمكن من ذلك الشرط
والقدرة على الوفاء به هو الغنى وجمع المال فلذلك احتقرهما من حيث كانا بزي الفقر والذل ولبس الصوف

عليهما اثار الغنى والمال وهو التحلي باساورة الذهب وكان اعظام الذهب ولبسه الذي هو شعار الغنى واحتقار
الصوف ولبسه مما هو شعار الفقر سببا حاملا على ذلك الاستنكار والتعجب وقوله ولو اراد الله سبحانه بانبيائه
الى قوله معاينتها قياس اقتراني من الشكل الاول من متصلتين احداهما قوله ولو اراد الله الى قوله لفعل والثانية
قوله ولو فعل لسقط الى اخره والنتيجة انه لو اراد الله بانبيائه ذلك لزمت المحالات المذكورة بيان الملازمة
في الصغرى ان الامور المعدودة وهي فتح كنوز الذهب ومعادنه ومغارس الجنان وحشر الطير والوحش امور
ممكنة في انفسها والله سبحانه قادر على جميع الممكنات وعالم بها فلو حصل مع قدرته عليها ارادة وقوعها عن قدرته
كان مجموعهما مستلزما لوقوعها عنها واما الكبرى فانه جعل مقدمها وهو فعله لتلك الامور ملزوما لامور
احدها انه كان يسقط البلاء اي ذلك البلاء المشار اليه وهو بلاء المتكبرين بالمستضعفين من اولياء الله وهو
ظاهر اذ لا مستضعف يبتلون به اذن وذلك ان الانبياء عليهم السلام كانوا ينقطعون الى الدنيا حينئذ عن جناب
الله فينقطع عنهم الوحي كما سيشير اليه عليه السلام وحينئذ ينقطع الابتلاء بهم وبما انزل من التكليف وكذلك
يسقط بلاء الانبياء بالفقر والصبر على اذى المستكبرين من المكذبين لهم بالضرب والقتل الثاني وكان يبطل
الجزاء اي جزاء العبادات والطاعات اما لسقوط البلاء بها او لان الطاعات اذن تكون عن رغبة او رهبة
فيسقط الجزاء الاخروي عليها وكذلك يبطل جزاء الانبياء الذي كانوا يستحقونه بسبب فقرهم وصبرهم عليه
الثالث وكان يضمحل الانباء اي الاخبار الواردة من قبل الله تعالى على السنة رسله والوحي اليهم وذلك
انك علمت ان الدنيا والاخرة ضرتان بقدر ما تقرب من احداهما تبعد من الاخرى فلو ان الانبياء عليهم السلام
انكانوا اكمل الخلق نفوسا واقواهم استعدادا لقبول الكمالات النفسانية كما اشرنا اليه الا انهم محتاجون
ايضا الى الرياضة التامة بالاعراض عن الدنيا وطيباتها وهو الزهد الحقيقي والى تطويع نفوسهم الامارة
بالسوء لنفوسهم المطمئنة بالعبادة التامة كما هو المشهور من احوالهم صلى الله عليهم فان رسول الله صلى الله عليه
وآله كان يربط على بطنه الحجر من الجوع ويسميه المشبع لانه كان لا يقعد على شيء يأكله وكان يرقع ثوبه لانه لا يجد
قدرته على ثوب يلبسه وكان يركب الحمار العاري ويردف خلفه لا يعجزه عن فرس يركبه وغلام يمشي معه وكيف
وقد تولى وبيده هذه القطعة العظيمة من المعمورة بل ذلك وامثاله مما سيحكيه عنه في اخر هذه الخطبة زهادة
في الدنيا واعراضا عن متاعها وزينتها لانه صلى الله عليه وجد من الكمالات العقلية والموعودة ما هو اشرف
اعلى من هذه الكمالات الحسية الفانية وعلم ان الوصول الى تلك الكمالات لا يتم ولا يتحقق الا بالاعراض عن
هذه فرفض ما هو اخس لتحصيل ما هو اشرف وكذلك قام صلى الله عليه في العبادة حتى تورمت قدماه فقيل له
يا رسول الله اليس قد بشرك الله بالجنة فلم تفعل ذلك قال افلا اكون عبدا شكورا وذلك لعلمه ان الاستعداد
بالشكر يفيد كمالا اعلى وازيد مما اوتي واذا كان حال اشرف الانبياء واكملهم كذلك فما ظنك بسايرهم وحينئذ
نعلم ان تركهم للدنيا وعدم التفاتهم بها شرط في بلوغهم درجات الوحي والرسالة وتلقي اخبار السماء فانهم لو خلقوا

منغمسين

منغمسين في الدنيا ومحبة عليهم ابوابها فاشتغلوا بطيباتها لانقطعوا اليها عن حضرة جلال الله ولحصل
بسبب ذلك عنهم الانباء او انقطع عنهم الوحي ولانحطوا عن مراتب الرسالة وقال بعض الشارحين اراد
باضمحلال الانباء سقوط الوعد والوعيد والاخبار عن احوال الجنة والنار واحوال القيمة وهو لازم من
لوازم سقوط النبوة فيكون راجعا الى ما قلناه الرابع ولكان لا يجب للقابلين اجور المبتلين اي لقابلي
كلام الانبياء لانه اذا سقط البلاء عنهم لم يكن لهم اجر المبتلين وكذلك لا يجب لقابلي النبوة منهم اجور
المبتلين بالتكذيب والاذى الخامس وكان لا يستحق المؤمنون ثواب المحسنين بمجاهدة الشيطان فيها
وتطهيرها من الرذائل وتحليتها بالفضائل وذلك لان ايمانهم يكون عن رغبة او رهبة كما علمت لا عن
حقيقة واخلاص فيها السادس ولا لزمت الاسماء معانيها روي بنصب الاسماء على ان تكون هي المفعول و
معانيها الفاعل والمعنى انه لم تكن المعاني لازمة للاسماء فيمن سمي بها مثلا من سمي مؤمنا لا يكون معنى
الايمان الحق لازما لاسمه فيه اذ كان ايمانه بلسانه فقط عن رغبة او رهبة وكذلك من سمي مسلما او زاهدا
بل من سمي نبيا او رسولا لا يكون في الحقيقة كذلك لانقطاع النبوة والرسالة عنه وفي نسخة الرضي رحمه
الله برفع الاسماء والمراد انها كانت تنفك عنها فتصدق الاسماء بدون مسمياتها وهو كالاول وبيان
هذه اللوازم ظاهر كبرى القياس والنتيجة اذن متصلة مقدمها قوله لو اراد الله الى قوله الارضين وتاليها قوله لسقط البلاء
الى قوله معانيها وحاصل النتيجة انه كان يلزم من ارادته تعالى بانبيائه تلك الامور وقوع جميع هذه المفاسد
ثم يوجه البيان الى استثناء نقيض تالي هذه النتيجة لاستثناء نقيض مقدمها وهو ان هذه المفاسد لم توجد
وليست مما ينبغي ان توجد فلذلك لم يرد بهم تلك الامور وقوله ولكن الله سبحانه جعل رسله الى قوله الاذى كالاستثناء
لنقيض مقدم النتيجة المذكورة ذكره بعد بيانه اذ كان الله تعالى لما لم يرد بعث انبيائه على ذلك الوجه اراد
بعثهم على هذا الوجه وهو ان جعلهم اصحاب قوة في عزايمهم واجماع على انفاذ ما امروا به وتبليغ رسالات ربهم
ولذلك سموا اولوا العزم لمضاء عزايمهم وقوتهم في دين الله بالقتال والمجاهدة والصبر على الاذى وجعلهم
مع ذلك ضعفة فيما ترى الاعين من حالاتهم من المسكنة والذل والفقر والقناعة والصبر على العري والجوع
واستغاثة ووصف الملأ للقناعة باعتبار استلزامها لقوة عزايمهم وقلة حاجتهم الى شيء من متاع الدنيا بحيث
لا تميل نفوسهم ولا عيونهم الى شيء من زينتها وطيباتها فكانها قد امتلأت فلا تتسع لشيء من ذلك فيطلبه
وكذلك الخصاصة باعتبار استلزامها لقوة الاذى في اسماعهم وابصارهم واسماعهم بحيث لا يتسع لغيره
كل ذلك طلب لكمال الاستعداد ولما علمت ان البطنة تذهب الفطنة وتورث القسوة وتزيل الرقة وتجلب
رذائل كثيرة لا دواء لها الا بالخصاصة والقناعة فضيلة تحت العفة وقوله ولو كانت الانبياء اهل قوة
متصلة اخرى وهي كبرى قياس من الشكل الاول ايضا من متصلتين مقدم الصغرى منهما هو مقدم كبرى
القياس الاول وهو قوله ولو فعل ونبه على تاليها بمقدم هذه الكبرى وتقدير الكلام ولانه تعالى

لو اراد الى قوله في

فلذ

اذ الجوع المفرط مستلزم للاذى في ... القوتين ... الارواح ... وضعفهما فكان الاذى في ...

لو فضل بانبيائه ما ذكرناه لكانوا اهل قوة لا ترام وعزة لا تضام وملك تمد نحوه الاعناق ولو كانوا كذلك
لكان في كونهم كذلك مفاسد اخرى فينتج انه لو فضل بانبيائه ما ذكرناه للزمت مفاسد اخرى احدها ان يكون
ذلك اي ما حصلوا عليه من العز والملك اهون على الخلق ما سهل من حيث ان اعتبارهم لما يدعونهم اليه سهل
واجابتهم له دعوتهم اسرع اذ كانت الملوك في اعتبار الخلق اهلا لان يطاعوا فلا تصعب عليهم اجابتهم كما تصعب
اجابة الفقراء على من يدعونه من المتكبرين الثاني وابعد لهم من الاستكبار وهو ظاهر لان الملوك ابعد من ان
يتكبر عليهم الناس ويانفوا من طاعتهم وحينئذ لم يكن للخلق ثواب من ترك رذيلة الكبر عن مجاهدة نفسه
في ترك تلك الرذيلة الثالث ولامنوا عن رهبة قاهرة لهم اي على الايمان او رغبة مايلة بهم اليه فلم تكن نياتهم
في ايمانهم ولا حسناتهم خالصة لله بل هي مشتركة ومقتسمة بعضها له وبعضها للرغبة وبعضها للرهبة وحينئذ
لا يكون لهم ثواب من جاهد ابليس وقهره وقمع نوازع وسوسته الجاذبة عن سبيل الله فاستعد بذلك للخيرات
الباقية وقوله وملك تمد نحوه اعناق الرجال وتشد اليه عقد الرحال كنايتان عن قوته وعظمته لان الملك
اذا كان عظيما قويا امالته الهمم وتوجهت نحوه وامتدت اعناق الرجال اليه بالرجاء وشدت عقد الرحال اليه
وقوله ولكن الله سبحانه الى قوله شائبة كالمقدمة الصغرى في بيان ان القسم الاخير من التالي ليس مما ينبغي ان يكون
ويراد لله تعالى كانه قال لو جعل الله تعالى لانبيائه اهل الملك والعز لكان ايمان الخلق بهم اما لرغبة او رهبة
فكانت النيات والايمان والعبادة منهم مشتركة غير خالصة لله وذلك مفسدة ليس مما ينبغي ان تكون ولا
يراد لله تعالى لانه تعالى انما اراد ان يكون ايمانهم بالرسل واتباعهم لهم وتصديقهم بهم والحاق امر كتبه وامر ابه
من الخشوع لوجهه والاستكانة لامره والاستسلام لطاعته امورا له خاصة ولا تشوبها من غيرها شائبة رغبة
او رهبة وتقدير الكبرى وكلما اراد الله اخلاصه له فليس مما ينبغي ان يكون مشتركا وبين غيره ولا مشوبا شائبة
غيره فينتج ان ايمانهم باقسامه ليس مما ينبغي ان يكون مشتركا او مشوبا بشائبة رغبة او رهبة وقوله وكلما كانت
البلوى الى قوله الجزل يحتمل ان يكون تتمة البيان ان ذلك يستلزم كون الاعتبار معه اهون على الخلق وان
يكونوا معه ابعد عن الاستكبار وان يؤمنوا عن رغبة او رهبة وهذه الامور ليس مما ينبغي ان تكون وانما قلنا
ذلك لان نقايضها وهي مشقة الاعتبار على الخلق وقربهم من الاستكبار وخلوص ايمانهم لله مما ينبغي ان يكون
وبيان ذلك ان مع هذه الامور يكون البلوى والاختبار عليهم اعظم وذلك هو صغرى القياس ثم نقول وكلما
كانت البلوى والاختبار لهم اعظم كانت المثوبة والجزاء على الايمان والطاعة موافقة لتلك البلوى اجزل
فينتج ان مع مشقة الاعتبار والقرب من الاستكبار واخلاص الايمان تكون المثوبة لهم والجزاء على الايمان
والطاعة اجزل ويحتمل ان تكون من تمام البيان الاول كانه قال ولكنه تعالى اراد ان تكون هذه الامور
خالصة له لا يشوبها شائبة وذلك الاخلاص وان كانت فيه مشقة وكانت البلوى فيه عظيمة الا انه
كلما كانت البلوى اعظم كان الثواب فيها اجزل ثم اردف ذلك بالتنبيه على صدق هذه المقدمة بالمثال و

كبرى قياس من بيان الاجزاء الثلثة التالى وهو قوله لكان ذلك اهون الى ليس مما ينبغي ان يكون ع

وذلك قوله الا ترون الى قوله ووصلة الى جنته واراد بالاحجار التي بنى بها البيت الحرام وقوله جعله للناس
قياما اي يقيما لاحوالهم في الاخرة يقال فلان قيام اهله وقوام بيته اذ كانت به استقامة احوالهم وكون مكة
اقل بقاع الارض مدرا لان الحجرية اغلب عليها واعتباره بالرمال اللينة في معرض الذم لانها ايضا مما لا تزكو
بها الدواب لان ذوات الحافر تتوسع فيها وتتعب في المشي بها قال الشارحون واراد بالخف والحافر والظلف
دوابها وهي الجمال والخيل والبقر والغنم مجازا اطلاقا لاسم الجزء على الكل وعلى تقدير ارادة المضاف فاقام
المضاف اليه مقامه واراد بكونها لا تزكوا اي لا تسمن وتزيد للجدب وخشونة الارض والضمير في به راجع
الى ما دل عليه او عرض الموصوف فانه اراد به بواد او بقاع الارض حجرا كما قال اني اسكنت من ذريتي بواد
غير ذي زرع عند بيتك المحرم وقوله ثم امر ادم وولده ان يثنوا اعطافهم نحوه فدوه لكلامه عليه السلام على ان
البيت الحرام كان منذ ادم عليه السلام والتواريخ شاهدة بذلك وقال الطبري روي عن ابن عباس ان الله تعالى
اوحى الى ادم لما اهبطه الى الارض ان لي حرما حيال عرشي فانطلق فابن لي بيتا فيه ثم طف به كما رايت ملائكتي
تحف بعرشي فهنالك استجيب دعاءك ودعاء من يحف به من ذريتك فقال ادم اني لست اقوى على بنائه ولا اهتدي
اليه فبعث الله تعالى ملكا فانطلق به نحو مكة فكان ادم كلما راى روضة ومكانا يعجبه سال الملك ان ينزل
به هناك ليبني فيه فيقول له الملك ليس هاهنا حتى اقدمه مكة فبنى البيت من خمسة جبال طور سينا وطور زيتون
ولبنان والجودي وبنى قواعده من حراء فلما فرغ من بنائه خرج به الملك الى عرفات واراه المناسك كلها
التي يفعلها الناس اليوم ثم قدم مكة وطاف بالبيت اسبوعا ثم رجع الى الارض الهند وقيل انه حج على رجليه
الى الكعبة اربعين حجة وروي عن وهب بن منبه ان ادم دعا ربه فقال يا رب اما لارضك هذه عامر يسبحك فيها
ويقدسك غيري فقال له تعالى اني ساجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدي ويقدسني وساجعل فيها بيوتا ترفع
لذكري يسبحني فيها خلقي ويذكر فيها اسمي وساجعل من تلك البيوت بيتا اختصه بكرامتي واوثره باسمي فاسميه بيتي
وعليه وضعت جلالتي وخصصته بعظمتي وانا مع ذلك في كل شيء اجعل ذلك البيت حرما امنا يحرم بحرمته من حوله
وما حوله ومن تحته ومن فوقه فمن حرمه بحرمتي استوجب كرامتي ومن اخاف اهله فقد اباح حرمتي واستحق سخطي
واجعله بيتا مباركا ياتيه بنوك شعثا غبرا على كل ضامر من كل فج عميق يرجون بالتلبية رجيجا ويعجون بالتكبير
عجيجا من اعتمده لا يريد غيره ووفد الي وزارني واستضاف بي اسعفته بحاجته وحق على الكريم ان يكرم وفده
واضيافه تعمره يا ادم ما دمت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبيا من ولدك امة بعد امة وقرنا بعد قرن ثم امر
ادم ان ياتي البيت الحرام فيطوف به كما كان يرى الملائكة تطوف حول العرش وبقي اساسه بعد طوفان نوح فبواه
الله لابراهيم فبناه ولنرجع الى المتن فنقول انه كني بثني اعطافهم نحوه عن التفاتهم اليه وقصدهم له وقوله فصار
مثابة لمنتجع اسفارهم اي مرجعا لما ينتجع من اسفارهم اي يطلب منه المنجعة والخصب كما قال تعالى واذ جعلنا البيت
مثابة للناس وامنا كقوله تعالى ليشهدوا منافع لهم وذلك انه مجمع الخلق وبه يقام الموسم ايام الحج فيكون منه

وضع كلمتي

التجارات والارباح كما اشرنا اليه في الخطبة الاولى وكذلك كونه غاية الملقى رحالهم اي مقصدا يقصد وقوله
تهوي اليه ثمار الافئدة اي تميل وتسقط وهوى الافئدة ميولها ومحبتها الا انه لما كان الذي يميل الى الشيء
ويحبه كانه يسقط اليه ولا يملك نفسه استعير لفظ الهوى للحركة الى المحبوب والسعي اليه واما ثمار الافئدة
فقال بعض الشارحين ثمرة الفواد سويداء القلب لذلك يقال للولد ثمرة الفواد واقول يحتمل ان يكون لفظ
الثمار مستعارا للخلق باعتبار ان كلا منهم محبوب لاهله واهاليه فهو كالثمرة الحاصلة لافئدتهم من حيث هو
محبوب لهم كان افئدتهم ومحبتهم له قد اثمرته من حيث انها افادت تربيته والعناية به حتى استوى انسانا كاملا
ويحتمل ان يريد بثمار الافئدة الاشياء المحبوبة من كل شيء كما قال تعالى يجبى اليه ثمرات كل شيء ووجه اضافتها الى الافئدة
انها لما كانت محبوبة مطلوبة للافئدة التي عن محبتها تحصل كما تحصل الثمرة عن اصلها اضيفت اليها والاضافة
يكون فيها ادنى سبب ونحوه قوله تعالى واجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات ولما استعار
لفظ الهوى رشح بذكر المهاوي اذ من شان الهوي ان يكون له موضع وعميقة صفة للفجاج كما قال تعالى ياتين
من كل فج عميق ووصفها بالعمق له باعتبار طوله والانحدار فيه من اعالي البلاد الى مكة ووصف الجزاير بالانقطاع
لان البحر يقطعها عن ساير الارض والبحار ويحيط بها وحتى غاية من قوله تهوي بمعنى اللام وكنى بهز مناكبهم
عن حركاتهم في الطواف بالبيت اذ كان ذلك من شان المتحرك بسرعة وذللا جمع ذلول والنصب على الحال
من الضمير في تهزوا وقال بعضهم يحتمل ان يكون من مناكبهم وكذلك موضع يهللون النصب على الحال وكذلك
شعثا وغبرا من الضمير في يرملون وكنى بنبذهم للسرابيل وراء ظهورهم عن طرحها وعدم لبسها وتشويههم
باعفاء الشعور محاسن خلقهم لان حلق شعر المحرم او شعره والتنظف منه حرام عليه في العمرة وظاهر ان اعفاء
الشعور يستلزم تقبيح الخلقة وتشويهها وتغيير ما هو معتاد من تحسينها بحلقه وازالته وقوله ابتلاء وامتحانا
واختبارا وتمحيصا منصوبات على المفعول له والعامل فيه قوله امر الله ادم ويحتمل ان يكون على المصدر كل من
فعله وعدد هذه الالفاظ وان كانت مترادفة على معنى واحد تاكيدا وتقريرا لكون الله تعالى شدد عليهم
في البلوى بذلك ليكون استعدادهم بتلك التقوى العظيمة للثواب اتم واشد فيكون الجزاء لهم افضل و
اجزل فلذلك قال جعله سببا لرحمته ووصلة الى جنته اي سببا معدا لافاضة رحمته المستلزم الوصول الى
جنته وقد تاكد بهذا المثال صدق قوله وكلما كانت البلوى والاختبار اعظم كان الثواب اجزل لانه
سبحانه لما تعبد عباده بامر الحج ومناسكه التي تستلزم شقاء الابدان واحتمال المشاق الكثيرة المتعبة في الاسفار
من المسافات البعيدة وترك مفاخر الدنيا عنده ونزع التكبر حتى كانه لم يوضع الا لخلع التكبر من الاعناق
مع ما في جزئيات مناسكه ومباشرته من المشاق المتكلفة ومع كونه كما ذكر احجارا لا تضر ولا تنفع ولا تسمع
ولا تبصر لاجرم كان الاستعداد به لقبول اثار الله وافاضة رحمته اتم من اكثر وجوه الاستعدادات لساير
العبادات فكان الثواب عليه والرحمة النازلة بسببه اتم واجزل وقوله ولو اراد الله الى قوله ضعف البلاء صغرى

قياس ضمير استثنائي حذف استثناؤه وهي نتيجة قياس اخر من متصلتين تقدير صغراهما انه لو اراد ان يضع بيته
الحرام بين هذه المواضع الحسنة البهجة لفعل وتقدير الكبرى ولو فعل لكان يجب منه تصغير قدر الجزاء على قدر
ضعف البلاء وتقدير استثناء هذه المتصلة لكنه لا يجب منه ذلك ولا يجوز لان مراد العناية الالهية مضاعفة
الثواب وبلوغ كل نفس غاية كمالها وذلك لا يتم الا بكمال الاستعداد بالشدايد والمشاق فلذلك لم يرد ان
يجعل بيته الحرام في تلك المواضع لاستلزامها ضعف البلا وكنى بدنو الثمار عن سهولة تناولها وحضورها
وبالتفاف البنى عن تقارب بعضه من بعض والبرة واحدة البر وقد يقام مقام اسم الجنس فيقال هذه
برة حسنة ولا يراد بها الحبة الواحدة واعتبار السمرة لها لان وصفها بعد الخضرة السمرة وقوله ولو كانت
الاساس الى قوله من الناس في تقدير قياس ضمير اخر استثنائي كالذي قبله وتلخيصه انه تعالى لو جعل الاساس الحامل
عليها بيته الحرام من هذه الاحجار المنيرة المضيئة الحسنة لخفف ذلك مسارعة الشك في الصدور وريب اوساك
الخلق في صدق الانبياء وعدم صدقهم وشكهم في ان البيت بيت الله او ليس فانه على تقدير كون الانبياء عليهم السلام
بالحال المشهورة من الفقر والذل وكون البيت الحرام من هذه الاحجار المعتادة يقوى الشك في كونهم رسلا
من عند الله وفي كون البيت بيتا له وعلى تقدير كونهم في الملك والعز وكون البيت من الاحجار النفيسة المذكورة
ينتفي ذلك الشك ان يكون ملكهم ونفاسة تلك الاحجار من الامور الجاذبة اليهم والداعية الى محبتهم والمسارعة
الى تصديقهم والحكم بكون البيت بيتا لله لمناسبته في كماله ما ينسبه الانبياء الى الله سبحانه من الوصف بكل
كمال طرفي النقيض ولكون الخلق اميل الى المحسوس واستعار لفظ الصارعة للتنازع بين الشك في
صدق الانبياء والشك في كذبهم وان كلا منهما يترجح على الاخر وكذلك كان وضع مجاهدة ابليس عن القلوب
لان الايمان بكونه بيتا لله ينبغي حينئذ والقصد اليه لا يكون عن مجاهدة ابليس في تصديق الانبياء في ذلك و
وجوب عبادة الله بل لعزة البيت وحسن بنائه وميل النفوس الى شريف جواهره لكن هذه الامور وهي مصارعة
الشك ومجاهدة ابليس ومعتلج الريب لا تخفف ولا تنفي لكونها مرادة من الحكمة الالهية لاعداد النفوس
بها لتدرك الكمالات الباقية والسعادات الدايمة فلذلك لم يجعل تعالى بنيان بيته من تلك الاحجار
النفيسة وقوله ولكن الله يختبر عباده الى قوله المكاره استثناء لعلة النقايض المذكورة فيقوم مقام
استثناء مصارعة الشك ومجاهدة ابليس من جملة انواع الشدايد والوان المجاهد والمشاق واختبارهم
بها علة لوجودها وقوله اخراجا للتكبر الى قوله لعفوه اشارة الى كونها اسبابا غائية من العناية الالهية
لاعداد النفوس لاخراج الكبر منها وافاضة ضده وهو التذلل والتواضع عليها والى كونها اسبابا معدة لفضله
وعفوه واستعار لفظ الابواب لها باعتبار الدخول منها الى رضوان الله وثوابه ولفظ الذلل لكون الدخول
منها الى ذلك سهلا للمستعدين لها ثم عاد الى التحذير من الله تعالى في البغي والظلم وعاقبته وحاصل الكلام
انه جعل عاجل البغي واجل الهلاك الحاصل عنه وسوء عاقبة الكبر محلا للحذر من الله تعالى وذلك باعتبار

ومعيد تعالى عند التلبس بالبغي والنظر في تلك الحال الى ما يستلزمه من الهلاك في الآخرة وما يستلزمه الكبر من
سوء العاقبة والصريع قوله فانها قال السيد فضل الله الراوندي رحمه الله يعود الى الجملة من البغي والظلم
والكبر وان لم يجر لها ذكر وقال غيره الضمير للكبر وانما انث باعتبار جعله مصيدة للكبر باعتبار الابليس
الداخل فيه من حزب ابليس في قبضته كالشبكة وحبايل الصايد ووصفها بالعظم باعتبار قوته وكثرة
ما يلزمه من الرذايل ولذلك استعار له لفظ المكيدة الكبرى باعتبار ما هو سبب قوي في جذب الخلق
الى الباطل وضلالهم عن طريق الله كالحيلة والخدعة واستعار وصف المساورة له باعتبار مواثبته النفوس
ومغالبته لها في الكبر وذلك انه تارة يلقي اليها عين الكبر وتزيينه فيفعل عنه ويقبل الكون ذلك
هي الوثبة من جانبه وتارة تقوى النفس عليه فترد وسوسته بقهره وتلك هي الوثبة من قبلها ثم شبه
مساورته للقلوب بالكبر بمساورة السموم القاتلة للطبيعة البدنية وكنى عن وجه الشبه بقوله فما
يكدي ابدا ولا يشوي احدا اي ان مساورته بالكبر لا يكاد يبطلها ما يقاومها من العقول ويمنع تاثيرها في
النفوس كما لا يكاد يفيها وهم مواثبة السموم القاتلة شيء من طبايع الحيوان ولا يكاد يخطي المقاتل كما لا
يخطي السموم وحركاتها في الابدان مقاتلها ويحتمل ان يكون وجه الشبه كون مساورته غالبة قوية كمساورة
السموم للابدان ويكون قوله لا يكدي ابدا ولا يشوي احدا استعارتين لوصف السم الذي لا يكاد يقف دون
المقاتل ولا يخطيها لتلك المساورة باعتبار انها لا تخطي من القلوب بها لم الكبر والبغي وساير ما يلزم
من الوساوس المهلكة وقوله لا عالما لعلمه ولا مقلا في طمره اي ان هذه الرذيلة تؤثر في نفس العالم مع
علمه والفقير في فقره فلا يردها العالم بعلمه انها رذيلة ولا المقل المقتصر في طمره لكنها فانها حالة في قلبه
وفقره الكبر وقوله وعن ذلك ما حرس الله الى قوله تذللا تنبيه على الامور التي حرس الله تعالى بها عباده
من هذه الرذيلة وجعلها اسبابا للتحرز من نزغات الشيطان بها اشار الى ثلثة منها وهي الصلوات والزكوات
ومجاهدة الصيام في الايام المفروض صومها اما الصلوات فلكونها باجزائها واوضاعها منافية للكبر
اذ كان مدارها على تضرع وخضوع وركوع وكل واحد من هذه الاجزاء بكيفياته وهياته موضوع على التذلل
والتواضع والاستسلام لعزة الله وعظمته وتصور كماله وتذكر وعده ووعيده واحوال الموقف بين يديه
وكل ذلك ينافي التكبر والتعظم والى ذلك اشار بقوله تسكينا لاطرافهم وتخشيعا لابصارهم الى قوله تصاغرا
ونصب تسكينا وتصغرا وتخشيعا وتذليلا وتخفيضا واذهابا على المفعول له والعامل ما دل عليه قوله حرس
من معنى والصاق فاما الزكوات فوجه منفعتها في دفع هذه الرذيلة امران احدهما انها شكر النعمة المالية
كما ان العبادات البدنية شكر للنعمة البدنية وظاهر ان شكر النعمة مناف للتكبر على المنعم والاستنكاف
عن عبادته الثاني ان من وجبت عليه الزكوة يتصور قدرة موجبها وسلطانه وقهره على اخراجها فيفعل عن
ويتغير حتما وامره مع تصوره لغاية المطلق وذلك مناف لتكبره واستنكافه عن عبادته واما المجاهدة

وخشوع

الصيام

الصيام فلما فيها من المشقة الشاقة ومكابدة الجوع والعطش في الايام الصيفية كما كنى عنه عليه السلام بقوله
والصاق البطون بالمتون من الصيام والانسان في كل تلك الاحوال متصور لجلال الله وعظمته وانه انما
يفعل ذلك امتثالا لواجب امره وخضوعا تحت عز سلطانه وذلك مناف للكبر والترفع وقد علمت ما في
الصوم من كسر النفس الامارة بالسوء كما قال صلى الله عليه ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه
بالجوع وذلك ان وسيلة الشيطان هي الشهوات ومبادئ الشهوات وقوتها منها الاكل والشرب فتضيق
مجاريه يتقهر وينكسر هواجم وسوسته بالرذايل عن العبد وتسكن حركات الاطراف التي مبدأها تلك الوساوس
وتخشع الابصار وتذل النفوس وتخفض القلوب وقوله مع ما في الزكوة الى قوله الفقر اشارة الى سر لحز
من اسرار الزكوة وهو ظاهر وقد ذكرنا اسرارها مستقصاة في الفصل الذي قبل ان افضل ما توسل به المتوسلون
الى الحق امرا باعتبار ما في هذه الافعال الى التي تقع في الصلوة والزكوة والصيام من تعفير عتايق الوجوه والصاق
كرايم الجوارح وهي الايدي والارجل ولحوق البطون بالمتون الى غير ذلك من الافعال المستلزمة للتواضع والتذلل
تاكيدا لما قرره اولا من كون هذه العبادات حارسة لعباد الله عن رذيلة الكبر وبالله التوفيق **الفصل الرابع**
في توبيخهم على العصبية من غير سبب يعرفها وحجة يقبلها عقل وامرهم بالتعصب لمحامد الاخلاق ومكارمها
وتحذيرهم من العقوبات النازلة بمن قبلهم من الامم والنظر في عاقبة امرهم وغير ذلك من الامور الواعظة
وذلك قوله ولقد نظرت فما وجدت احدا من العالمين يتعصب لشيء من الاشياء الا عن علة تحتمل تمويه الجهلاء
او حجة تليط بعقول السفهاء غيركم فانكم تتعصبون لامر ما يعرف له سبب ولا علة اما ابليس فتعصب على ادم
عليه السلام لاصله وطعن عليه في خلقته فقال انا ناري وانت طيني واما الاغنياء من مترفة الامم فتعصبوا لاثار
مواقع النعم فقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فان كان ولا بد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم
الاخلاق ومحامد الافعال ومحاسن الامور التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء من بيوتات العرب ويعاسيب
القبايل بالاخلاق الرغيبة والاحلام العظيمة والاخطار الجليلة والاثار المحمودة فتعصبوا لخلال الحمد
من الحفظ للجوار والوفاء بالذمام والطاعة للبر والمعصية للكبر والاخذ بالفضل والكف عن البغي والاعظام
للقتل والانصاف للخلق والكظم للغيظ واجتناب الفساد في الارض واحذروا ان تكونوا ما نزل
بالامم قبلكم من المثلات بسوء الافعال وذميم الاعمال فتذكروا في الخير والشر احوالهم واحذروا ان تكونوا
امثالهم فاذا تفكرتم في تفاوت حالهم فالزموا كل امر لزمت العزة به حالهم وزاحت الاعداء له عنهم ومدت
العافية فيه بهم وانقادت النعمة له معهم ووصلت الكرامة عليه حبلهم من الاجتناب للفرقة واللزوم للالفة
والتحاض عليها والتواصي بها واجتنبوا كل امر كسر فقرتهم واوهن منتهم من تضاغن القلوب وتشاحن الصدور
وتدابر النفوس وتخاذل الايدي وتدبروا احوال الماضين من المؤمنين قبلكم كيف كانوا في حال التمحيص
والبلاء الم يكونوا اثقل الخلايق اعباء واجهد العباد بلاء واضيق اهل الدنيا حالا اتخذتهم الفراعنة عبيدا

فساموهم سوء العذاب وجرعوهم جرع المرار فلم تبرح بهم الحال في ذل الهلكة وقهر الغلبة لا يجدون حيلة
في امتناع ولا سبيلا الى دفاع حتى اذا راى الله سبحانه جد الصبر منهم على الاذى في محبته والاحتمال للمكروه من خوفه
جعل لهم من مضايق البلاء فرجا وابدلهم العز مكان الذل والامن مكان الخوف فصاروا ملوكا حكاما وائمة
اعلاما وبلغت الكرامة من الله لهم ما لم تذهب الامال اليه بهم فانظروا كيف كانوا حيث كانت الاملاء مجتمعة
والاهواء مؤتلفة والقلوب معتدلة والايدي مترادفة والسيوف متناصرة والبصاير نافذة والعزايم
واحدة الم يكونوا اربابا في اقطار الارضين وملوكا على رقاب العالمين فانظروا الى ما صاروا اليه في اخر امورهم
حين وقعت الفرقة وتشتتت الالفة واختلفت الكلمة والافئدة وتشعبوا مختلفين وتفرقوا متحاربين
قد خلع الله عنهم لباس كرامته وسلبهم غضارة نعمته وبقي قصص اخبارهم فيكم عبرا للمعتبرين منكم فاعتبروا
بحال ولد اسماعيل وبني اسحاق وبني اسرائيل عليهم السلام فما اشد اعتدال الاحوال واقرب اشتباه الامثال
تاملوا امرهم في حال تشتتهم وتفرقهم ليالي كانت الاكاسرة والقياصرة اربابا لهم يحتازونهم عن ريف
الافاق وبحر العراق وخضرة الدنيا الى منابت الشيح ومهافي الريح ونكد المعاش فتركوهم عالة مساكين
اخوان دبر ووبر اذل الامم دارا واجدبهم قرارا لا ياوون الى جناح دعوة يعتصمون بها ولا الى ظل الفة
يعتمدون على عزها فالاحوال مضطربة والايدي مختلفة والكثرة متفرقة في بلاء ازل واطباق جهل من بنات
موؤدة واصنام معبودة وارحام مقطوعة وغارات مشنونة فانظروا الى مواقع نعم الله سبحانه عليهم حين
بعث اليهم رسولا فعقد بملته طاعتهم وجمع على دعوته الفتهم كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها واسالت
لهم جداول نعيمها والتفت الملة بهم في عوايد بركتها فاصبحوا في نعمتها غرقين وفي خضرة عيشها فكهين قد
تربعت بهم الامور في ظل سلطان قاهر واوتهم الحال الى كنف عز غالب وتعطفت الامور عليهم في ذرى ملك
ثابت فهم حكام على العالمين وملوك في اطراف الارضين يملكون الامور على من كان يملكها عليهم ويمضون
الاحكام فيمن كان يمضيها فيهم لا تغمز لهم قناة ولا تقرع لهم صفاة الا وانكم قد نفضتم ايديكم من حبل
الطاعة وثلمتم حصن الله المضروب عليكم باحكام الجاهلية وان الله سبحانه قد امتن على جماعة هذه الامة
فيما عقد بينهم من حبل هذه الالفة التي ينتقلون في ظلها وياوون الى كنفها بنعمة لا يعرف احد من المخلوقين
لها قيمة لانها ارجح من كل ثمن واجل من كل خطر واعلموا انكم صرتم بعد الهجرة اعرابا وبعد الموالاة احزابا ما
تتعلقون من الاسلام الا باسمه ولا تعرفون من الايمان الا رسمه تقولون النار ولا العار كانكم تريدون ان
تكفئوا الاسلام على وجهه انتهاكا لحريمه ونقضا لميثاقه الذي وضعه الله لكم حرما في ارضه وامنا بين خلقه
وانكم ان لجاتم الى غيره حاربكم اهل الكفر ثم لا جبرئيل ولا ميكائيل ولا مهاجرون ولا انصار ينصرونكم
الا المقارعة بالسيف حتى يحكم الله بينكم وان عندكم الامثال من باس الله تعالى وقوارعه وايامه ووقايعه
فلا تستبطئوا وعيده جهلا باخذه وتهاونا ببطشه وياسا من باسه فان الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي

بين ايديكم

بين ايديكم الا لتركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلعن السفهاء لركوب المعاصي والحكماء لترك التناهي الا
وقد قطعتم قيد الاسلام وعطلتم حدوده وامتم احكامه **اقول** التمويه التلبيس تليط تلتصق وتختلط والسفه
خفة العقل والمجداء جمع ماجد وهو كريم الاباء شريفهم والنجداء جمع نجيد وهو ذو النجدة وهي فضيلة تحت الشجاعة
ويعاسيب القبايل ساداتها ورؤساؤها والتحاض التحاث والفقرة الواحدة من خرزات الظهر وروى
فقرهم جمع فقرة والمنة القوة والتضاغن التحاقد والتشاحن التعادي والتدابر التقاطع والتخاذل عدم
التناصر والعباء الحمل واجهد اشق وسمته كلفه او لته اياه والمرار بضم الميم شجر مر اذا اكلت منه الابل قلصت
عنه مشافرها والترادف التعاضد والتعاون وغضارة النعمة طيبها والاحتياز الاقتطاع عن الشيء والاخذ منه
والريف الارض ذات الزرع والخصب ومهافي الريح جمع مهفاة وهي محل هفو الريح اي حركتها وهبوبها ونكد المعاش
قلته وشدته والعالة جمع عايل وهو الفقير والعيلة وهي الفقر والوبر للجلد وفي بعض النسخ ودبر ووبر والدبر الجرح
في ظهر البعير والازل الضيق والموؤدة البنت يدفن في التراب حية وشن الغارة فرقها من كل جانب والفكه
طيب النفس المسرور والفكه الاشر البطر وتربعت اقامت واصله الاقامة في الربيع ويحتمل ان يريد تمكنت
كالمتربع بجلسته المخصوصة لكونها ذات تمكن والذرى جمع ذروة وهي اعلى الجبل وعطف عليه وتعطف اذا
اشفق عليه والتفت اليه بالحنان والخطر المنزلة والقدر والاعراب سكان البادية وكفاء الاناء قلبه لوجهه
وانتهاك الحرمة اخذها بما لا يحل والمقارعة المضاربة فقوله ولقد نظرت الى قوله بمعذبين في معرض التوبيخ
لهم على تعصبهم الباطل الذي تؤدي الفتن مع انه ليس لامر يعرف وجه المنفعة والمصلحة الحاملة عليه ولفظه
لا يقتضي حصر وجدانه لمن يتعصب لشيء وجدانه لم يتعصب الا عن علة تحتمل تشبه الامر على اهل الجهل بحيث يطرحها
حججا للتعصب او من حجة تلتصق بعقول السفهاء فيقبلها وهذا هو مقتضى العقل اذ كان الترجيح من غير مرجح محال
في بداية العقول وتقدير الكلام فما وجدت احدا يتعصب لا وجدته يتعصب عن علة وقوله غيركم استثناء من معنى
الاثبات في الجملة المفيدة للحصر كانه قال وجدت كل احد يتعصب عن علة الا انتم وقوله يتعصبون لامر ما يعرف
له سبب ولا علة اي بسبب يحتمل التمويه على الجهلاء وعلة تلتصق بعقول السفهاء ولم يرد نفي مطلق السبب في
تعصبهم وثوران الفتنة بينهم هو الافتراء الذي كان بينهم وكان يقع منها لهم كما ذكرنا في سبب الخطبة لكنه ترك
الوصف هنا لتقدمه ثم اخذ في تفصيل وجوه العصبية واسبابها فبدا بذكر مبدا العصبية لابليس عصبية لاصله اعتقاده
لطف جوهره وشرفه اذ النار اشرف من الطين مع جهله بسر البشرية ووضع ادم على هذه الخلقة وخلقته هيئته التي
وضع عليها خلقه فلذلك فضل نفسه قياسا للفرع على الاصل في الشرف والخسة فقال انا ناري وانت طيني ولذلك
قيل ان اول من قاس ابليس ثم بعصبية الاغنياء والجهال من مترفة الامم لكونهم تلامذة ابليس في العصبية واشار
الى علة تعصبهم وهي اثار مواقع النعم ومواقعها هي الاموال والاولاد وساير ما ينتفع به كما قال تعالى حكاية عنهم
نحن اكثر اموالا واولادا واثار تلك المواقع هي الغنى والترفه بها والنعم والالتذاذ وكان تعصبهم لذلك وفخرهم

وسبب

به ويجب ان نعلم ان الاموال والاولاد انفسها ليست نعمة مطلقا لان النعمة من الامور الاضافية اما لتعلقها
بالنسبة الى منعم ومنعم عليه وليس المال مطلقا كذلك ولا الولد باعتبار ذاته بل انما يطلق عليهما لفظ النعمة
باعتبار انتفاع الانسان بهما حتى لو كانا سببا للهلاك او اذاء لم يكونا بذلك الاعتبار الا نقمة عليه وفتنة ولذلك
جعلهما مواقع النعم اى محال قابلة لكونهما نعما ويحتمل ان يريد بالنعم الاموال والاولاد ومنافعهما وتوابعهما فانه
كثيرا ما يريد بمعظم المصدر واثارهما من الغنى والترفه كما قدمناه ثم لما وبخهم على التعصبات الباطلة نبههم على ما
العصبية وما ينبغى ان يكون لذوى مكارم الاخلاق ومحامد الافعال ومحاسن الامور التى تفاضلت فيها اهل المجد
والشرف والنجدة من بيوتات العرب وسادات القبائل والباء فى قوله بالاخلاق متعلقة بتفاضلت فان المذكورين
تفاضلوا فى محاسن الامور بالاخلاق الرغيبة اى المرغوب فيها وقد علمت فيما سبق اصول الاخلاق الفاضلة
وما تحتها من انواعها والحلم ملكة تحت الشجاعة وهى الاناة والرزانة عند الغضب وموجباته الفاضلة بالاخطار
الجليلة مراعات المراتب المحمودة ومنازل الشرف بالمحافظة على تلك الاخلاق المحمودة وملازمتها وكذلك الفعال
بالاثار المحمودة يعود الى ملازمة الافعال الجميلة الموافقة للاخلاق النفسانية كفعل البذل عن السخاء وكفعل الحرب
مثلا مراعاة للعدل والوفاء ثم امرهم بعد التنبيه على تلك المكارم بالعصبية لها فقال فتعصبوا لخلال الحمد
واشار الى تفصيلها فمنها حفظ الجوار وهى فضيلة تتشعب عن فضيلتين لان تحفظه يكون بالكف عن اذاه وذلك
تحت العدل ويكون بالاحسان اليه ومصادقته ومساعدته ومواساته وتلك امور تحت العفة ومنها الوفاء بالذمام
وهو تحت العفة ومنها الطاعة للبر والاولى ان يريد بالبر هنا ما اراده القرآن الكريم بقوله ليس البر ان تولوا
وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله الى قوله واولئك هم المتقون ولكن البر من اتقى فان المراد
فى هاتين الآيتين بالبر كمال الايمان والتقوى والاعمال الجميلة ومعنى طاعة البر التلبس بهذه الافعال عملا
واعتقاد وجوبها ويحتمل ان يريد والطاعة للامر بالبر فحذف الامر للعلم به وقد يطلق البر ويراد به العفة بذلك
الاعتبار بطلب المجهود ويحتمل ان يريد بها هنا ما يقابل العقوق وهو الشفقة على ذوى الرحم والاحسان الى الوالدين
وهو داخل تحت العفة ومنها المعصية للكبر والمراد معصية الكبر مجانبته مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب
معصية الامر بالكبر وهو كناية عن التواضع وهو فضيلة تحت العفة والمعصية هنا فى مقابلة الطاعة ومنها الاخذ
بالفضل واراد استكمال الفضيلة ولزومها ويحتمل ان يريد بالفضل التفضل على الغير والاحسان اليه والاخذ
فيكون امرا بالاحسان والجود وهو فضيلة تحت العفة ومنها الكف عن البغى ويعود الى فضيلة العدل ومنها اعظام
القتل وهو كناية عن ترك ما يستلزمه من رذيلة الظلم ثم للوعيد عليه فى الاخرة ويعود الى فضيلة العدل ايضا و
كذلك الانصاف للخلق هو لزوم العدل فى معاملاتهم ومنها كظم الغيظ وهو فضيلة تحت فضيلة الشجاعة
ومنها اجتناب الفساد فى الارض وهو من لوازم فضيلة العدل ثم لما امر بلزوم مكارم الاخلاق والاعمال الجميلة
اردفه بالتحذير عن الكون على ضده تلك من رذائلها ودنائتها وذلك التحذير بتذكير السامعين حال الامم الماضين

وما حل

ما اصابهم من عقوبات الله بسبب سوء افعالهم وذميم اعمالهم وتحذيرهم ان يرتكبوا تلك الرذائل فيصيبهم ما اصاب
اولئك من باس الله وامرهم ان يتذكروا حالهم فى الخير والشر حين كانوا فى طاعة انبيائهم والالفة الجامعة بينهم
وحالهم فى الشر التى انقلبوا اليها عن تلك الحال حين خالفوا واضاعوا الاعمال وخالفوا وذميم الافعال وحذرهم
ان يكونوا امثالهم اى فى ذلك الانقلاب واستبدال الشر بالخير وان يلزموا ما عند تفكرهم فى تفاوت حالهم
كل امر لزمت العزة به حالهم وازاحت الاعداء عنهم ومدت العافية به عليهم والباء للاستصحاب اى مدت مستصحبة
لهم وفى نسخة الرضى رحمه الله ومدت بالفتح على البناء للفاعل كقولك مد الماء اى جرى وسال وكذلك انقادت
النعم له لذلك معهم اى بسببه اذ كان سببا معدا لافاضة النعم عليهم ووصلت الكرامة عليه حبلهم واستعار لفظ
الوصل لاجتماعهم عن كرامة الله لهم حال كونهم على تلك الامور ورشح بذكر الحبل وقوله من الاجتناب الى قوله والتواصى
بها وظاهر ان لزوم الالفة سبب للامور التى عددها وقوله واجتنبوا الى قوله وتفاوتوا لا ايدى اى واجتنبوا
كل امر استبدلوا به تلك الامور التى اوجبت لهم العزة والكرامة وكان سببا لكسر فقرتهم ووهن قوتهم وهو الضغائن
والتشاحن والتقاطع والتخاذل لانها امور تضاد الالفة وتنافيها فكانت مضادة لما يستلزمه الالفة ولازما
التخاذل المطلق واضافته الى الايدى كناية لان الاغلب ان يكون التناصر بالايدى وهؤلاء الذين امرهم باعتبار
حالهم لا يريد بهم امة معينة بل الحال العام فى كل امة سبقت فان كل امة توافقت ايديهم وتعاونوا وتناصروا كان
ذلك سبب العزة حالهم ودفع الاعداء عنهم وكل قوم افترقوا وتقاطعوا استلزم ذلك ذلهم وقهر الاعداء لهم وقوله
وتدبروا احوال الماضين من المؤمنين الى قوله اليسر بهم امرهم باعتبار هذه الاحوال فيمن هو اخص وهم المؤمنون
من الماضين فى ازمان الانبياء السابقين فانهم حيث كانوا مع كل نبى فى مبدا امرهم فى حال التمحيص والاختبار
لتلوهم بالبلاء اثقل اهل الارض اعباء قد اتخذتهم الفراعنة عبيدا يسومونهم سوء العذاب وهؤلاء كيوسف
مع فرعون زمانه وكموسى وهرون ومن امن معهما من بنى اسرائيل فى مبدا امرهم فانهم كانوا فى حال التمحيص والبلاء بالصفات
التى ذكرها عليه السلام قد اتخذتهم الفراعنة عبيدا يسومونهم سوء العذاب وجرعوهم المرار فلم يزالوا كذلك
مقهورين حتى اذا راى استعدادهم بالصبر على ذلك لافاضة رحمته عليهم افاضها عليهم وجعل لهم من مضايق البلاء
فرجا فابدلهم بالعز مكان الذل والامن مكان الخوف كما امتن عليهم تعالى فى كتابه حيث قال واذ نجيناكم من آل
فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم واذ فرقنا بكم
البحر الاية وقبل ذلك ما كان المؤمنون مع نوح وابراهيم عليهما السلام وغيرهما واما كونهم ملوكا وحكاما وايمة
اعلاما وبلوغهم الكرامة من الله لهم ما لم تذهب الامال اليه فان موسى وهرون عليهما السلام بعد هلاك فرعون
ملكا مصر واستقر لهما الملك والدين وكطالوت وداود بعد مجاهدتهما لجالوت وقتله وذلك ان طالوت
لما جاوز النهر هو ومن معه لقتال جالوت وكان لهم داود عليه السلام فرماه من مقلاعه بحجر فقتله وانكسر اصحابه
وكان الملك والغلبة لطالوت واصحابه وكان الملك بعده لداود عليه السلام كما قال تعالى واتاه الله الملك

والحكمة وكذلك لم يزل الملك والنبوة فى سليمان وولده واولادهم الى الاعرج من ولده فطمعت الملوك فى بيت
المقدس لضعفه وزمنه وانه لم يكن نبيا فصار اليه ملك الجزيرة وكان تسكن بيته سنجار وكان بخت نصر كاتبه
فارسل الله تعالى عليه ريحا فاهلكت جيشه وافلت هو وكاتبه فقتله ابنه فغضب بخت نصر فاغتره وقتله
وملك بعده وكان ذلك اول ملك بخت نصر وقوله فانظروا حيث كانوا الى قوله المعتبرين منكم امرهم باعتبار
حالهم فى الفتهم واجتماعهم واشارة الى ان المستلزم لتلك الخيرات كلها انما كان هو الالفة والاجتماع وباعتبار
ما صاروا اليه فى اخر امورهم حين وقعت الفرقة بينهم وتشتت الفتهم واختلفت كلمتهم وافئدتهم فخلع الله عنهم
لباس كرامته وسلبهم غضارة نعمته وبين قصص اخبارهم عبرة للمعتبرين وهو اشارة الى ان المستلزم لتلك الشرور
هو ما حصلوا عليه من تفرق الكلمة وذلك صادق على كل قرن قرن وامة امة امنوا ولحقهم الجاهدون من الفراعنة
والجبابرة فصبروا فانتصروا على اعدائهم واراد باعتدال القلوب استقامتها على الحق وقوله والسيوف
متناصرة قال بعضهم اراد اهل السيوف فحذف المضاف ويحتمل ان يكون قد استعار وصف التناصر لها باعتبار
كونها اسبابا يقوى بعضها بعضا فصارت كالجماعة التى ينصر بعضها بعضا ونفوذ البصائر خرقها حجب الشبهات
عن الحق واصلة اليه واتحاد العزائم اتفاق الارادات الجازمة على طلب الحق ومقبلين ومتحاربين منصوبا
على الحال وكذلك موضع قوله قد خلع وكذلك عبرا وقوله فاعتبروا بحال ولد اسمعيل وبنى اسحق واسرائيل
الى قوله صفاه امرهم باعتبار الحضر ولد اسمعيل اشارة الى العرب من قحطان والمعد ومن بنى اسحاق و
اسرائيل الى قوله صفا امرهم بانه اولاد روم بن عيص بن اسحاق وبنو اسرائيل وهو يعقوب بن اسحاق فاما
حال تشتتهم وتفرقهم واستيلاء الاكاسرة والقياصرة عليهم وفعلهم بهم ما ذكر فتفرق كلمة العرب قبل ظهور
محمد صلى الله عليه وآله ظاهر معلوم لكل من طالع كتب السير وبسبب ذلك كانت الاكاسرة اربابا لهم يختارونهم
ويبعدونهم من ريف الافاق وبحر العراق وخضرة الدنيا الى البادية واما حال بنى اسحق واسرائيل فى ذلك
فنحو ما جرى لاولاد روم بن عيص من اختلاف النسطورية واليعقوبية والملكانية حتى كان ذلك سببا
لضعفهم واستيلاء القياصرة عليهم فى الروم وعلى بنى اسرائيل فى الشام وازعاج بخت نصر لهم عن بيت
المقدس حتى غزاهم المرة الثانية كما اشار اليه القرآن الكريم بقوله فاذا جاء وعد الاخرة ليسوؤا وجوهكم
وليدخلوا المسجد الاية وقد كان غزاهم مرة اولى حين احدثوا وغيروا فرغبوا الى الله تعالى وتابوا فرده
عنهم وهى المرة الاولى التى حكى الله تعالى عنها بقوله فاذا جاء وعد اوليهما الاية ثم احدثوا بعد ذلك فبعث
الله اليهم ارميا فقام فيهم بوحى الله فضربوه وقيدوه وسجنوه فغضب الله عليهم فبعث اليهم عند ذلك بخت
نصر فقتل منهم وصلب واحرق وجدع وباع ذراريهم ونساءهم وصارت منهم طايفة الى مصر والتجأوا الى
ملكها فصار اليه بخت نصر فاسره واسر بنى اسرائيل والذين فروا منهم ارتحلوا الحدود المدينة كيهود خيبر
وبنى قريظة والنضير ووادى قرى قينقاع اذا عرفت ذلك فنقول انه عليه السلام امر باعتبار حالهم وتامل

امرهم فى حال تشتتهم وتفرقهم قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وفعل الاعداء بهم ما كانوا يفعلون كيف فرج
الله عنهم من تلك الشدايد وظهور محمد صلى الله عليه وآله لهم نبيا واعلم ان غايته عليه السلام من امره باعتبار
حال المؤمنين من الامم الماضية قبلهم الاقتداء بهم فى الصبر على المكاره ولزوم الالفة والاجتماع مع ذلك و
انتظار الفرج به وقوله فما اشد اعتدال الاحوال الى اشباهها واراد ان احوالكم والبشر والمساواة لاحوالهم
وكذلك ما اقرب اشباه الاحوال اى ان احوالكم شديدة المماثلة لاحوالهم لانكم امثالهم وهو اشارة الى جهة
علة الاعتبار فانهم اذا كانوا امثالهم واعتدلت احوالهم وتشابهت امورهم وجب اعتبار حالهم بحالهم ولذلك
اتى بالفاء للتعليل وقوله تاملوا امرهم فى حال تشتتهم الى اخر الكلام اشارة الى حال شدتهم وبخايهم لتنتقل اذهان
السامعين الى اثبات تلك الحال لانفسهم فالماضون اصل ذلك الاعتبار والسامعون فرعه وحكم الاصل لوازمه
الخيرية والشرية وعلة ذلك الحكم كونهم امثالهم وقوله ليالى كانت الاكاسرة والقياصرة اربابا لهم اى مالكون
لامورهم يحتازونهم اى كانت القياصرة يحتازون بنى اسرائيل وبنى اسحاق والاكاسرة يحتازون بنى اسمعيل
ويمنعونهم من اعمال العراق فصار الجميع مطرودا الجميع عن خضرة الافاق وجنان الشام وبحر العراق واراد دجلة
والفرات وقوله الى منابت الشيح ومهافى الريح كنايتان عن البرية وظاهر انها محل نكد العيش وضيقه كما وبخهم
عليه السلام بوصف معاشهم فى الفصول السابقة ويختص الاكاسرة وهو جمع كسرى بملوك الروم وهو جمع على
الفرس والقياصرة بملوك
غير قياس كنى بالدبر والوبر عن الجمال وفيما ليالى فقرهم وضيق معاشهم لان رعى الجمال واستعمال الوبر واكله
بالدم من لوازم الفقر وضيق الحال وعلى الرواية الثانية فالذل كناية عن الفقر ايضا وظاهر انهم اذل الامم
دارا لان اهل البادية ليسوا اصحاب حصون وقلاع يعتصمون بها وان كان لبعضهم حصون فغناء محيهم عن شانهم
فيما يجرى بينهم من الغارات وليس لك ثم ما يدفع عدوا ذا قوة او يحتمل حصارا وقوله واجدبهم قرارا اى مستقرا
اذ كانت البادية لا تقاس الى المدن فى الخصب واستعار لفظ الجناح لما ينهض به دعوتهم ويقوى اذا دعوا
وكنى بذلك عن كونهم لا ياوون الى ما من يجيب دعوتهم فيعتصمون به وكذلك استعار لفظ الظل لما يستلزمه
الالفة من التعاون والتعاضد والتناصر ووجه المشابهة هو ما يلزم هذه الامور من الراحة والسلامة من حر
نار العدو والحرب كما يستلزمه الظل من الراحة من حر الشمس وقوله فالاحوال مضطربة شرح لحالهم يومئذ وكونهم
على غير نظام وكنى باختلاف ايديهم عن عدم اتفاقهم على التناصر وبتفرق كلمتهم عن عدم الفتهم واجتماعهم على
مصالحهم واضافة بلاء الى الازل بمعنى من وكذلك اضافة اطباق وقد علمت ان الجهل صفات ودركات متراكم
بعضها فوق بعض اولها عدم العلم بالحق وفوقها الاعتقاد لغيره وفوقها اعتقاد شبهة يقوى ذلك ويعضده
مع تجويز نقيضه وفوقها اعتقاد تلك الشبهة جزما وفى نسخة الرضى رحمه الله واطباق بكسر الهمزة على انه مصدر
والمعنى وجهل مطبق عليهم وقوله من بنات مثيل للوازم ذلك الجهل وذكر منها اربعة انواع احدها واد البنات
واشار اليه القرآن الكريم واذا الموؤدة سئلت باى ذنب قتلت قيل كان ذلك فى بنى تميم وقيس واسد

وهذيل وبكر بن وايل قالوا والسبب في ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك
على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاجدبوا سبع سنين حتى اكلوا الوبر بالدم كانوا يسمونه العلهز ومنها واد
البنات لاملاقهم وفقرهم ويؤيد ذلك قوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وقال قوم بل كان وادهم
للبنات انفة وذلك ان تميما منعت النعمان الاتاوة سنة من السنين فوجه اليهم اخاه الريان بن المنذر وجل من
معه من بكر بن وايل واستاق النعم وسبى الذراري فوفدت بنو تميم الى النعمان فاستعطفوه فرق لهم واعاد
عليهم السبي وقال كل امراة اختارت اباها ردت اليه ان اختارت صاحبها تركت عليه فكلهن اخترن اباهن
الا ابنة قيس بن عاصم فانها اختارت من سباها فنذر قيس بن عاصم التميمي انه لا يولد له بنت الا وادها ففعل
ذلك ثم اقتدى به كثير من بني تميم الثاني عبادة الاصنام وقد كان لكل قبيلة صنم يعبدونه وكان لهذيل سواع
ولبني كلب ود ولمذحج يغوث وكان بدومة الجندل ولذي الكلاع نسر ولهمدان يعوق ولثقيف اللات
والعزى ولقريش وبني كنانة ولاوس والخزرج مناة وكان هبل على الكعبة واساف ونائلة كانا على الصفا و
المروة ومن نوادر جهلهم المشهورة ان بني حنيفة اتخذوا في الجاهلية صنما من حيس فعبدوه دهرا طويلا ثم اصابتهم
مجاعة فاكلوه فقال بعضهم في ذلك اكلت حنيفة ربها زمن التقحم والمجاعة لم يحذروا من ربهم سوء
العواقب والتباعة الثالث قطع ارحامهم وقد كان احدهم يقتل اباه واخاه عند الحمية لادنى سبب كما هو معلوم
من حالهم الرابع شن الغارات والحروب كيوم ذي قار وكايام حرب بكر وتغلب ابني وايل وكحرب داحس والغبراء
الى غير ذلك من الايام المشهورة ومقاماتهم في الحروب والغارات اكثر من ان تحصى وكل ذلك من لوازم الجهل وثمرات
فانظروا الى مواقع نعم الله عليهم لمن باعتبار حالهم عند مقدم محمد صلى الله عليه وآله وبعثه فيهم بعد تلك الاحوال
الشر والضيق في عقد وجمع واجماع الى الله تعالى لشهادة القرآن الكريم بجنة الالفة بينهم اليه في قوله لو انفقت
ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم ومعنى عقد طاعتهم بلا جمعها على الاسلام
ونظمها بعد التفرق اذ كانت طاعاتهم في الجاهلية موافقة لاهوائهم المختلفة بحسب اختلافها واستعار لفظ
الجناح لما اسبغ عليهم رحمة الله من النعمة وعمهم به من الكرامة ورشح بذكر النشر وكنى به عن عمومهم بها و
كذلك استعار لفظ الجداول وهي الانهار لانواع نعيمها وسيول الخيرات التي جرت عليهم من تلك الآيات
والبدينة ملاحظة لشبه تلك الطرق والاسباب بالجداول في جريان الماء بها ورشح بذكر الاسالة وقوله
والتفت الملة بهم في عوايد بركتها اي اجتمعت بهم ولفتهم في منافعها التي حصلت ببركتها لفقال التفت بفلان
في موضع كذا اي لقيته وقيل قوله في موضع عوايد نصب على الحال اي حال كونها كذلك ولفظ الالتفاف
كناية عن ورود الدين عليهم وتلبسهم به وكذلك استعار لفظ الغرق في شمول نعمة الدين لهم وعموم نعمة الاسلام
اياهم حتى كانهم لاستيلائها عليهم كالغرقى فاستلزم ذلك ملاحظة تشبيهها بالبحر الزاخر وكنى بخضرة عيشها
عن سعة المعاش بسبب الملك وطيبه واراد بالسلطان هنا اما الحجة والبرهان او الاقتدار والغلبة والدولة

هبل

جياعهم

لاحظ تشبيهها بتقدم

واستعار

واستعار لفظ الذل لما يستلزمه ذلك السلطان من التمهيد اي وتمكنت بهم الامور والاسباب التي اعدتهم
لنعمة الله في ذلك الظل وكذلك قوله واوتهم الحال اي الجأتهم وضمتهم الحال التي كانوا عليها الى عز غالب
وهو عز الاسلام ودولته ملاحظة لشبهه بالعالي الجبل المنيع في علوه ومنعته وكذلك استعار لفظ العطف
لاقبال السعادات الدنيوية والاخروية عليهم بالاسلام وهي التي عني بالامور ولاحظ في ذلك مشابهة
ذلك الاقبال بعطف ذي الرحمة والشفقة على غيره وقوله فهم حكام الى قوله عيشها فيهم ظاهر وكنى بكونهم
لا تغمز قناتهم عن قوتهم وعدم انقهارهم للغير وكذلك بكونهم لا تقرع لهم صفاة ويجريان مجرى المثل
ثم عتب بتوبيخهم على قلة طاعتهم واستعار لفظ الحبل لما انتظم بينهم من طاعتهم لله ورسوله وكنى بوصف
نقض الايدي عن خروجهم من الطاعة وشدة اطراحهم لها تكثيرا من افعالهم وكذلك استعار لفظ الحصن للاسلام
ووجه المشابهة كونه حافظا لهم من اعدائهم الظاهرة والباطنة كالحصن المضروب على اهله ورشح بذكر الثلم
وكذلك استعار لفظ الثلم لكسرهم الاسلام باحكامهم الجاهلية ومخالفتهم لكثير من احكامه ونفر عن تلك
المخالفة بما يستلزمه من ذلك الثلم وقوله وان الله سبحانه قد امتن الى قوله كل خطر ترغيب في لزوم حبل الالفة
والتمسك به والنعمة التي امتن الله تعالى بها في عقد حبل الالفة التي لا يعرف احد لها قيمة هي الالفة نفسها
باعتبار ما استلزمته من المنافع العظيمة ودفع المضار وعلل عدم معرفة الخلق لقيمتها بكونها اربح من كل ثمن
واجل من كل خطر وهي صغرى قياس ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك لم يعرف احد قيمته وصدق الصغرى ظاهر اذ
كانت تلك الالفة والاجتماع على الدين سببا عظيما في استعدادهم لسعادة الدنيا والآخرة وقوله واعلموا الى
قوله بين خلقه توبيخ لهم باشتغالهم عن الاحوال والاقوال الاسلامية الى الاحوال الجاهلية الى خصوصهم بعد
كونكم مهاجرين اعرابا ولما كانت الاعراب انقص رتبة من المهاجرين واهل المدن لجفائهم وقسوتهم وبعدهم
عن الفضايل النفسانية وتعلمها وعن سماع الفاظ الرسول صلى الله عليه وآله ومجالسته واقتباس الآداب من اهل الفضل
كما قال تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا الآية لاجرم وبخهم بمصيرهم كذلك وليس كل الاعراب بالصفة
المذكورة لقوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر الآية وكونهم بعد الموالاة احزابا والاحزاب
الفرق التي تجتمع لمحاربة الرسل واوصيائهم ويجمعها الفتنة وظاهر ان هؤلاء كذلك لانقسامهم وتقسيمهم
الى ناكثين ومارقين وقاسطين ومنافقين ومحاربتهم له حتى ليس لهم ادنى جامع في الاسلام يتعلقون
الاسم الاسلام ولا يعرفون من الايمان الا رسمه واثره وشعاره الظاهر بالشهادتين وحضور الصلاة دون
الشرايط المعتبرة وما ينبغي له وقولهم النار ولا العار كلمة يقولها اهل الكبر والانفة من الاحتمال الاذى
والضيم لانفسهم او لغيرهم في الاستنهاض لاهل الحمية والنار والعار منصوبان بفعلين مضمرين تقديرهما
ادخلوا النار ولا تحتملوا العار ثم شبههم في حالهم وقولهم ذلك بمن يقصد ان يقلب الاسلام على وجهه وكنى
بذلك عن افساده كما مر بالاستعارة ملاحظة لشبهه بالاناء يقلب فيخرج ما فيه عن الانتفاع به ووجه التشبيه

المذكوران افعالهم المذكورة كافعال من يقصد ذلك من اعداء الاسلام لارادة افساده وقوله انتهاكا و
نقضا منصوبان على المفعول له والعامل قوله يكفئوا ويصلحان غايتين عيب كل فعل نسبه اليهم بعض مما
ذكرهما هاهنا وميثاقه ما اخذ عليهم فيه واسلموا عليه من جزئياته وهي الايمان الصادق بالله ورسوله و
ما جاء به من القوانين الشرعية ثم وصف ذلك الميثاق بكونه الله تعالى قد وضعه لهم حرما في ارضه يمنعهم من كل
عدو وامنا بين خلقه لمن دخله واراد محل امن فحذف المضاف وتجوز بلفظ الامن في المأمن اطلاقا لاسم
الحال على المحل وقوله وانكم الى قوله بجنكم تحذير من الاعتماد على غير الاسلام والالتجاء اليه من نجاشي و
حمية او كثرة في قبيلة مع الخروج عن طاعة سلطان الاسلام والتفرق فيه فان ذلك يستلزم قطع الكفار لهم
وعدم نصرة الملائكة والمهاجرين والانصار حينئذ لهم لان تلك النصرة كانت مخصوصة بوجود الرسول
صلى الله عليه وآله والاجتماع على طاعته وقد تنالت بفقده او لانها مشروطة بالاجتماع على الدين والالفة فيه
والذب عنه فاذا التجأ الى غيره وحاربهم الكفار لم يكن لهم ناصر من الملائكة لعدم اجتماعهم على الدين ولا
من المهاجرين والانصار لفقدهم وهذا اللازم محذوف ينبغي ان يعتقد شرف الملزوم وهو الالتجاء الى غير
الاسلام يجب ان يكون كذلك والضمير المضاف اليه في حرمه وميثاقه وجزيه يعود الى الاسلام وقال بعض
الشارحين الضمير في غيره يعود الى الله والاول اليق بسياق الكلام والنصب في جبرئيل وميكائيل على انهما
اسمان للاملاك خطأ فيهما التنكير ولذلك فيهما بعد لا بالنكرتين وسيعض وتكون هو جزئها مفر التشكير
عيب ما يكون منهما وقوله الا المقارعة بالسيف استثناء منقطع وحكم الله الذي جعله غاية للمقارعة هو
افاضة الصورة النصر على احد الفريقين والانتهاء على الآخر وقوله وان عندكم الامثال الى قوله ووقايعه
تذكير لهم بما سيرى الله لهم من الامثال للقرون الماضية وما اصابهم من بأس الله وقوارعه وهي الدواهي
العظام والايام وهي كناية عن الايام التي وقع بهم فيها عقوباته وبأسه حين استعدوا لذلك بمعصيته
وتهديد لهم بذلك ان ينالهم امره وقوله فلا تستبطئوا الى قوله باسه تهديد لهم ايضا وتوعد بقرب
العقوبة على المعصية واطلاق لفظ الاستبطاء هنا مجاز لان الاستبطاء للشيء استبعاد لوقوعه مع استطابة
وتوقع المستلزم لطلبه وطلب تحقيق الوعيد ليس من مقاصد العقلاء حتى يهون عنه لكن لما كان الآثم
اذا آثم بالمعصية قد يستبعد تحقيق الوعيد ويقدم عليها فيكون ذلك مما يقوي معه داعيه وشهوته لفعلها
كان لذلك الاستبعاد سببية بوجه للمعصية ولما كان لذلك الاستبطاء جزءا من الاستبطاء اطلق عليه
اطلاقا لاسم الجزء على الكل فيكون النهي والتوبيخ عليه بليغ ولان الذي يقدم على المعصية مع
علمه بما يستلزمه من الاعداد لنزول العذاب يناسب في الحقيقة من يستبطئ العقوبة ويطلق تعجيلها بفعلها
وكانوا بمعصيتهم كالمستبطئين للوعيد فاطلق في حقهم لفظ الاستبطاء ونهاهم عنه وينصب جهلا
وتهاونا وياسا على المفعول له لصلوح الثلاثة علة لغاية الاستبطاء الوعيد بمعنى استبعاده لان جهل

بجميعه

بجميعه لعذاب الله تعالى بالموت واهوال الموت وانبا الآخرة مما يستبعد معه وقوع تلك الامور في حقه كما هي وكذلك تهاونه
بغفلته واملائه ولعدم علمه بما في ذلك نحو البسط من الاستدراج مما يحمله على استبعاد وعيده وتعزيره بالمعصية وكذلك
باسه بسبب ذلك الجهل وذلك البسط مما يحمله على ذلك الاستبعاد ايضا وقوله وان الله الى قوله الشاهي شبه لهم على
ان لعنة الله للقرون الماضي بين ايديهم قبل الاسلام كان لا تناهيهم بالترك لهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مخاطر
فيه وكانت لعنة سفهائهم وناقصي عقولهم لركوبهم المعاصي المنكرة واما الحكماء منهم ولذوي العقول فلعدم تركهم
وتناهيهم عما يشاهدونه من ذلك المنكر وذلك اللعن في قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود
وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ونبههم بقوله الا وقد قطعتم قيد
الاسلام الى قوله احكامه على انهم من اتصف بتلك الملزوم اعني ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وركوب المعاصي
فلزمهم الدخول في زمرة من لعنه الله بذلك الترك وغاية هذا التنبيه الجذب عن ركوب المعاصي الى الانتهاء والنهي
عنها واستعار لفظ قيد الاسلام للالفة والاجتماع عليه وعلى امتثال اوامر الله فيه باعتبار كون ذلك حافظا
للاسلام عليهم ومانعا لهم من التشرد والذهاب كما يمنع الجمل قيده من التشرد والتشتت وحدود الله احكامه التي حدها
للناس ومنعهم من تجاوزها وتعطيلهم لها باطراحها وتجاوزها وكذلك اماتة احكامه وعدم العمل بها ووصف الاماتة
مستعار لتركها واهمالها لاعتبار انهم لم يوجبوا بذلك الاهمال عن انتفاعهم بها كما ان الميت الشيء يخرجه عن حد الانتفاع
وبالله التوفيق الفصل الخامس في اقتصاصه لحاله في تكليفه وموافقته لاوامر الله بلا اشارة لحسن سبيله وشرحا لمع
رسول الله صلى الله عليه وآله والتنبيه على موضعه منه وكيفية تربيته له من اول عمره والاشارة الى قوته في دين الله وذلك
قوله الا وقد امرني الله بقتال اهل البغي والنكث والفساد في الارض فاما الناكثون فقد قاتلت واما القاسطون
فقد جاهدت واما المارقة فقد دوخت واما شيطان الردهة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة قلبه ورجة
صدره وبقي بقية من اهل البغي ولئن اذن الله في الكرة عليهم لاديلن منهم الا ما يتشذر في اطراف الارض انا وضعت
بكلكل العرب وكسرت نواجم ربيعة ومضر وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة
وضعني في حجره وانا ولد يضمني الى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة
في قول ولا خطلة في فعل ولقد قرن الله تعالى به صلى الله عليه وآله من لدن ان كان فطيما اعظم ملك من ملائكته
يسلك به سبيل المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه يرفع لي كل يوم
علما من اخلاقه ويامرني بالاقتداء به ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فاراه ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ
في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة عليها السلام وانا ثالثهما ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة
ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة فقال هذا الشيطان
قد ايس من عبادته انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي ولكنك وزير وانك لعلى خير ولقد كنت معه صلى الله
عليه لما اتاه الملأ من قريش فقالوا يا محمد انك قد ادعيت عظيما لم يدعه اباؤك ولا احد من بيتك ونحن نسألك امرا

ان اجبتنا اليه واريتناه علمنا انك نبي ورسول وان لم تفعل علمنا انك ساحر كذاب فقال صلى الله عليه وآله وما تسألون
قالوا تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك فقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله على كل شيء
قدير فان فعل الله بكم ذلك اتؤمنون وتشهدون بالحق قالوا نعم قال فاني سأريكم ما تطلبون واني لاعلم انكم
لا تفيئون الى خير وان فيكم من يطرح في القليب ومن يحزب الاحزاب ثم قال عليه السلام يا ايتها الشجرة ان كنت تؤمنين
بالله واليوم الآخر وتعلمين اني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي باذن الله فوالذي بعثه بالحق لانقلعت
بعروقها وجاءت ولها دوي شديد وقصف كقصف اجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله مرفرفة
والقت بغصنها الاعلى على رسول الله صلى الله عليه وآله وببعض اغصانها على منكبي وكنت عن يمين رسول الله صلى الله
عليه فلما نظر القوم الى ذلك قالوا علوا واستكبارا فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها فامرها بذلك فاقبل
اليه نصفها كاعجب اقبال واشده دويا وكادت تلتف برسول الله صلى الله عليه فقالوا كفرا وعتوا فمر هذا النصف
فليرجع الى نصفه كما كان فامره عليه السلام فرجع فقلت انا لا اله الا الله واني اول مؤمن بك يا رسول الله واول من آمن
بان الشجرة فعلت ما فعلت بامر الله تعالى تصديقا بنبوتك واجلالا لكلمتك فقال القوم كلهم بل ساحر كذاب عجيب
السحر خفيف فيه وهل يصدقك في امرك الا مثل هذا يعنوني واني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم سيماهم سيما
الصديقين وكلامهم كلام الابرار عمار الليل ومنار النهار متمسكون بحبل الله القرآن يحيون سنن الله وسنن رسوله
عليه السلام لا يستكبرون ولا يعلون ولا يغلون ولا يفسدون قلوبهم في الجنان واجسادهم في العمل اقول النكث
نقض العهد والقسوط الجور ودحت القوم عليهم وقهرتهم والردهة نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء والصعقة
الغشية من صيحة ونحوها والوجبة واحدة الوجيب وهو اضطراب القلب والرجة واحدة الرج وهي الحركة والزلزلة
والكرة الرجعة ولا ديل منهم اي لا قهرتهم واكون ذا الدولة منهم وغلبة عليهم والبشق الذرق والكلكل الصدر
والنواجم جمع ناجم وهو الطالع والخارج ويكنفوني فراشه اي يحفظني فيه وتحوطني وعرف راحة والحظيرة التي
والفتيحة من قولنا وفعل والفطيم المفطوم وحرانا المدوا الكرح لمكة يذكر ويؤنث ويصرف ولا يصرف والرنة
صوت يصدر عند حصول المكاره كالحزن ونحوه والقليب البئر قبل ان تطوى يذكر ويؤنث وقال ابو عبيدة
هي البئر القديمة العادية والدوي صوت خفيف الريح والنحل والقصف صوت جناح الطير واصطفافه في الهواء
والسماء مقصورا وممدودا العلامة والاثر في الشيء يعرف به والمنار الاعلام وغل من الغنيمة يغل بالضم اذا خان
فيه قال ابو عبيدة يقال منه يغل بالضم ومن الحقد يغل بالكسر ومن الخيانة المطلقة اغل يغل واعلم انه عليه السلام
نبه في هذا الفصل على ان قتاله لهذه الفرق كان بامر الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك الامر اما من
القرآن الكريم من قوله تعالى فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله او من النبي بامر
خاص وهو من اوامر الله ايضا وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه انه قال ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين
والمارقين فكان الناكثون اصحاب الجمل لنكثهم بيعته عليه السلام وكان القاسطون اهل الشام والمارقون

الخوارج بالنهروان والفرق الثلث يصدق عليهم انهم اهل البغي وقاسطون لخروجهم عن سواء العدل الى طرف
الظلم والجور وتخصيص كل فرقة منهم باسميت بعرف شرعي فاما وصف الخوارج بالمارقين فمستنده قول الرسول
صلى الله عليه وآله لذي الثدية يخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقد ذكرناه قبل
والضئضئ الاصل وهذا الخبر من اعلام نبوته صلى الله عليه وآله وقوله عليه السلام واما القاسطون فقد جاهدت
اما المارقة فقد دوخت على ان هذه الخطبة في اواخر خلافته بعد وقائع صفين والنهروان واما شيطان الردهة
والاشارة المراد به ذو الثدية من الخوارج لما ورد في الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله ذكره فقال شيطان الردهة
يحتذه رجل من بجيلة فاما كونه شيطانا فباعتبار كونه ضالا مضلا واما نسبته الى الردهة فيشبه ان يكون
لما روي انه حين طلبه عليه السلام في القتلى وجده في حفرة دالية فيها نحو من الماء فنسبه رسول الله صلى الله عليه وآله
اليها لما كان يعلم من كيفية حاله في مقتله وروي عن يزيد بن رويم قال قال لي علي عليه السلام في ذلك اليوم
نقتل اليوم اربعة آلاف من الخوارج احدهم ذو الثدية فلما طحن القوم ورام استخراج ذي الثدية فاتعبه امرني ان اقطع
اربعة آلاف قصبة وركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله ثم امرني ان اضع على كل رجل منهم قصبة فلم ازل كذلك
وهو راكب خلفي والناس حوله حتى بقيت في يدي واحدة فنظرت اليه فاذا ربد وجهه وهو يقول والله ما كذبت
ولا كذبت فاذا خرير الماء في حفرة عند موضع دالية فقال لي فتش هذه ففتشته فاذا قتيل قد صار في الماء واذا
رجله في يدي فجذبتها وقلت هذه رجل انسان فنزل عن البغلة مسرعا فجذب الرجل الاخرى فجررناه فاذا هو المخدج
فكبر عليه السلام ثم سجد وكبر الناس باجمعهم واما الصعقة التي اشار اليها فهي ما اصاب ذا الثدية من الغشي والموت
حين ضربه عليه السلام حتى انه فسر ذلك بما حكاه من سماعه لرجة صدره ووجيب قلبه وقال بعضهم المراد بالصعقة
هنا الصاعقة وهي صيحة العذاب وذلك انه روي ان عليا عليه السلام لما قابل القوم صاح في القوم فكان
ذو الثدية ممن هرب من صيحته حتى وجد قتيلا في الحفرة المذكورة وقال بعضهم يحتمل ان يشير بالشيطان الى ابليس
المتعارف كما اشرنا اليه في الخطبة الاولى وهو القوة الوهمية فاستعار لفظ الردهة وهي النقرة في الجبل للبطن
الاوسط من الدماغ الذي هو محل هذه القوة لمكان المشابهة وقد يعبر بالجبل عن الدماغ في عرف المجردين
القوى حينئذ وبالجن الشياطين تارة وبالملكة الاخرى لما كانت الانبياء والاولياء عليهم السلام وقد يشاهدون
الامور المجردة والمعاني المعقولة كالملائكة والجن والشياطين في صور محسوسة باستعانة من القوة الحساسة
كما علمت في المقدمات وكما سنشير اليه عن قريب احتمل ان يقال انه عليه السلام رأى الشيطان المذكور بصورة
محسوسة ذات صدر وقلب وانه عليه السلام لما كان في مقام العصمة وملكة النصر على الشيطان وقهره وقمعه
سمع من الجناب الالهي صيحة العذاب ارسلت على الشيطان فسمعها وجيب قلبه ورجة صدره كما سمعت رنته
فيما يحكيه فيما في الكلام والله اعلم واما البقية من اهل البغي فهو معاوية ومن بقي من جند الشام حيث وقعت
الحرب بينهم وبينه بكيدة التحكيم وحكم عليه السلام بانه ان اذن الله سبحانه في الرجوع اليهم ليغلبنهم ولتكونن

الدائرة عليهم ثقة بعموم توعده تعالى في قوله ومن بغي عليه لينصرنه الله وقوله تعالى يا ايها الناس انما بغيكم
على انفسكم وقوله ان تنصروا الله ينصركم والشذ الرمكنى باذن الله عن توفيقه اسباب العود اليهم واتمامها
من العلة في الاجل وغيرها واستعمل ماهنا بمعنى من اطلاقا لاسم العام على الخاص او تكون بمعنى الذي
وقوله انا وضعت بكلكل العرب الى آخره تنبيه على فضيلته في الشجاعة والنجدة لغاية ان يخاف اعداؤه وتقوى
به قلوب اوليائه لا على سبيل الفخر المجرد فان ذلك رذيلة وقد نهى الخطبة على النهي عنها واستعار لفظ الكلكل
للجماعة من اكابر العرب الذين قتلهم في صدر الاسلام وفرق جمعهم ووجه المشابهة كونهم محل قوة العرب ومقدمتهم
كما ان الصدر من الحيوان كذلك ومن روى كلاكل بلفظ الجمع فهو ايضا استعارة لساداتهم واشرافهم ممن قاتلهم
وقتلهم ووجه الاستعارة ما ذكرناه ويحتمل ان يكون مجازا من باب اطلاق اسم الجزء على الكل والباء في قوله بكلكل
زايدة والمراد بوضعهم اذلالهم واهانتهم يقال وضعه فاتضع اذا غض منه وحط منزلته ويحتمل ان تكون للالصاق
اي فعلت بهم الوضع والاهانة وكذلك استعار لفظ القرون لاكابر ربيعة ومضر ممن قتلهم وقتلهم ووجه
الاستعارة كون كل واحد منهم لقبيلته كالقرن يطعن فيها فيصول به ويمنع من عدوها كذي القرن من الحيوان
بقرنه واراد بالنواجم من علا منهم وظهر امره ورشح بذكر الكسر وكنى به عن قتلهم وقتله للاكابر من مضر معلوم
بدو الاسلام فاما القرون من ربيعة فاشارة الى قتله منهم في وقايع الجمل وصفين بنفسه وجيشه كما يقف على
اسمائهم من يقف على تلك الوقايع وقوله وقد علمتم موضعي الى آخره شرح لتربية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم له
من اول عمره واعداده بتلك التربية للكمالات النفسانية من العلوم والاخلاق الفاضلة وعد احواله التي هي
وجوه تلك الاستعدادات واسبابها احدها القرابة القريبة واشار بها الى النسبة القريبة منه فكان عليه السلام ابن عمه
دنيا وابواهما اخوان لاب وام دون غيرهما من بني عبد المطلب الا الزبير الثانية منزلته الخصيصة به واشار بها
الى ما شرحه من فعله به صلى الله عليه وهو وضعه له في حجره وليدا وسائر ما ذكره وسبب ذلك ما روي عن مجاهد قال
كان من نعمة الله على علي عليه السلام ما صنع الله له واراد به من الخيرات ان قريشا اصابتهم ازمة شديدة وكان ابو طالب
ذا عيال كثيرة فقال رسول الله صلى الله عليه لعمه العباس وكان ايسر بني هاشم يا عباس ان اخاك ابا طالب كثير
العيال وقد ترى ما اصاب الناس من هذه الازمة فانطلق بنا نخفف عنه من عياله فاخذ واحدا من بنيه
وتأخذ واحدا فنكفيهم عنه فانطلقا اليه وقالا له فقال ان تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما فاخذ رسول
الله صلى الله عليه عليا عليه السلام واخذ العباس جعفرا فكفلاهما وقد كان ابو طالب كفل رسول الله صلى الله عليه
دون غيره من اعمامه ورباه في حجره ثم حماه من المشركين في مبدأ امره ونصره عند ظهور دعوته وذلك مما يؤكد
اختصاص منزلة علي عليه السلام عنده ومن تمام الخصيصة به ما كان بينهما من المصاهرة التي افضت الى النسل
الاطهر دون غيره من الاصهار وفي معنى قوله فكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه ما رواه الحسن بن زيد بن علي بن الحسين
عليهم السلام قال سمعت زيدا ابي يقول كان رسول الله صلى الله عليه وآله يمضغ اللحمة والتمرة حتى تلين ويجعلها

في فم علي عليه السلام وهو صغير في حجره الثالثة انه لم يجد له كذبة في قول ولا خطلة في فعل وذلك لما استعد
به من تربيته صلى الله عليه وسائر متممات الرياضة واعراضها لاستيلاء قوته العاقلة على قوتي شهوته وغضبه
وقهر نفسه الامارة التي هي مبدأ خطاء الاقوال وخطل الافعال حتى حصلت له عن ذلك ملكة في ترك
الرذايل واجتناب المآثم والمعاصي فصار له ذلك خلقا وطبعا واذا حقق معنى العصمة في حقه عليه السلام
وفي حق من ادعيت له العصمة من اولاده يعود الى هذه الملكة فليس لاستنكارها في حقهم عليهم السلام معنى
واشار بالملك الذي قرنه الله به الى جبرئيل وهو العقل الفعال في عرف قوم واقترانه به اشارة الى تولية تربيته
نفسه القدسية بافاضة العلوم ومكارم الاخلاق وساير الطرق الموصلة الى الله سبحانه من حين صغره صلى
الله عليه بحسب حسن استعداد مزاجه وقوة عقله الطفولي ثم اشار في ذكر معرض احواله الى تربية الملك له
صلى الله عليه وآله ليعلم انه حصل لعلي بتبعيته له على تلك المكارم ومما روي في حال دمع الملك وعصمته
ما روي عن الباقر محمد بن علي عليهما السلام انه قال وكل الله بمحمد صلى الله عليه ملكا عظيما منذ فصل عن الرضاع يرشده
الى الخيرات ومكارم الاخلاق ويصده عن الشر ومساوي الاخلاق وهو الذي كان يناديه السلام عليك يا محمد
يا رسول الله وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد فيظن ان ذلك من الحجر والارض فيتأمل فلا يرى شيئا وروي
انه صلى الله عليه قال اذكروا انا ابن سبع سنين وقد بني ابن جدعان دارا بمكة فجئت مع الغلمان ناخذ التراب
والمدر في حجورنا فننقله فملأت حجري ترابا فانكشفت عورتي فسمعت نداء من فوق رأسي يا محمد ارخ ازارك فجعلت
ارفع رأسي فلا ارى شيئا الا اني اسمع الصوت فتماسكت ولم ارخه فكأن انسانا ضربني على ظهري فخررت لوجهي
فانحل ازاري فسترني وسقط التراب الى الارض فقمت الى دار عمي ابي طالب ولم اعد الرابعة اشار الى اتباعه
وملازمته اياه بقوله ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه ووجه الشبه في اتباعه كونه لا ينفك عنه كالفصيل
لا امه الخامسة اشار الى ثمرة ذلك الاتباع بقوله يرفع لي في كل يوم علما من اخلاقه ويأمرني بالاقتداء به استعار
لفظ العلم الكل من اخلاقه باعتبار كونه هاديا الى سبيل الله كما يهدي العلم السادسة انه كان يجاور معه في كل
سنة بحراء فيراه دون غيره وروي في الصحاح انه كان صلى الله عليه يجاور بحراء في كل سنة شهرا وكان يطعم في ذلك
الشهر من جاءه من المساكين فاذا قضى جواره انصرف الى مكة وطاف بها سبعا قبل ان يدخل بيته حتى جاءت السنة
التي اكرمه الله فيها بالرسالة فجاور في حراء في شهر رمضان ومعه اهله خديجة وعلي وخادم وروى الطبري وغيره
ان رسول الله صلى الله عليه وآله قبل مبعثه اذا كان حضرة الصلاة يخرج الى شعاب مكة ويخرج معه علي عليه السلام
مستخفين عن ابي طالب ومن ساير اعمامه وقومه يصليان الصلوات فاذا امسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله
ثم ان ابا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه يا ابن اخي ما هذا الذي اراك تدين
به فقال يا عم هذا دين الله ودين ملائكته ورسله ودين ابينا ابراهيم بعثني الله رسولا الى العباد وانت يا عم
احق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى واحق من اجابني اليه واعانني عليه فقال ابو طالب يا ابن اخي اني

لا استطيع ان افارق ديني ودين ابائي وما كانوا عليه ولكن والله لا يخلص اليك شيء تكرهه ما بقيت وروي
انه قال لعلي يا بني ما هذا الذي انت عليه فقال يا ابت اني امنت بالله ورسوله وصدقته فيما جاء به وصليت
لله معه قال فقال له اما انه لا يدعو الا الى خير فالزمه الرابعة اشارته الى كونه اول من اسلم من الذكور بقوله
لم يجمع بيت واحد الى قوله وانا ثالثهما وقد مضى منه عليه السلام مثل قوله اني لا اكذب على الله وانا اول من
امن به وقوله فلا تتبرؤوا مني فاني ولدت على الفطرة وسبقت الى الاسلام والهجرة وروى الطبري في تاريخه
عن عباد بن عبد الله قال سمعت عليا عليه السلام يقول انا عبد الله واخو رسول الله وانا الصديق الاكبر لا يقولها بعدي
الا كاذب مفتري صليت قبل الناس بسبع سنين وفي رواية انا الصديق الاكبر والفاروق الاول اسلمت
قبل اسلام ابي بكر وصليت قبل صلاته بسبع سنين وروى ذلك ايضا من وجوه احدها عن ابن مسعود قال اول ما قدمت
الى مكة فانتهيت الى العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ عطار جالس الى زمزم ونحن عنده اذ اقبل رجل من باب
الصفا عليه ثوبان ابيضان عليه وفرة جعدة الى انصاف اذنيه اشم اقنى ادعج العينين كث اللحية براق الثنايا
ابيض تعلوه حمرة وعلى يمينه غلام مراهق او محتلم حسن الوجه تقفوهم امرأة قد سترت محاسنها فقصدوا نحو الحجر
فاستلم الرجل ثم الغلام ثم المرأة ثم طافوا بالبيت ثم استقبلوا الحجر وقام الغلام الى جانب الرجل والمرأة
خلفهما فاتوا باركان الصلوة مستوفاة فلما راينا ما لا نعرفه بمكة قلنا للعباس انا لا نعرف هذا الدين فيكم
فقال اجل والله فسالناه من هؤلاء فعرفنا اياهم ثم قال والله ما على وجه الارض احد يدين بهذا الدين الا
هؤلاء الثلثة وروى مثله عن عفيف بن قيس الثاني روى عن معقل بن يسار قال كنت عند النبي صلى الله عليه
واله فقال لي هل لك ان نعود فاطمة فقلت نعم يا رسول الله فقمنا فدخلنا عليها فقال لها صلى الله عليه واله
كيف تجدينك قالت والله لقد طال سقمي واشتد حزني وقال لي النساء زوجك ابوك فقيرا لا مال له فقال لها
اما ترضين اني زوجتك اقدمهم سلما واكثرهم علما وافضلهم حلما قالت بلى رضيت يا رسول الله وروى هذا الخبر
عن ابي ايوب الانصاري وعن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام والسدي وابن عباس وجابر بن عبد الله الانصاري
واسماء بنت عميس وام ايمن الثالث روى عن ابي رافع قال اتيت اباذر بالربذة اودعه فقال لي ستكون فتنة
فاتقوا الله وعليكم بالشيخ علي بن ابي طالب فاتبعوه فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول له
انت اول من امن بي واول من يصافحني يوم القيمة وانت الصديق الاكبر وانت الفاروق الذي تفرق بين الحق و
الباطل وانت يعسوب المؤمنين الرابع عن ابي ايوب الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه واله قال لقد صلت
الملائكة علي وعلى علي سبع سنين وذلك انه لم يصل معي رجل فيها غيره واعلم انه ربما اعترض بعض الجهال فقال
ان اسلامه عليه السلام لم يكن معتبرا لكونه كان دون البلوغ والجواب من وجوه احدها لا نسلم انه كان دون البلوغ
ومستند هذا المنع وجوه احدها رواية شداد بن اوس قال سالت خباب بن الارت عن سن علي يوم اسلم
فقال اسلم وهو ابن خمس عشرة سنة وهو يومئذ بالغ مستحكم البلوغ الثاني ما رواه ابو قتادة عن الحسن ان

اول من اسلم علي بن ابي طالب وهو ابن خمس عشرة سنة الثالث عن حذيفة بن اليمان قال كنا نعبد الحجارة ونشرب
الخمر وعلي من ابناء اربع عشرة سنة يصلي مع رسول الله ليلا ونهارا وقريش يومئذ تسافهه ما يعرفه غير علي
الثاني ان المبادر الى الفهم من اطلاق لفظ المسلم والكافر انما هو البالغ دون الصبي والمبادرة الى الذهن
دليل الحقيقة فالواجب اذن ان يرجع الى اطلاق اسم اسلم علي فان ذلك يشهد بكونه كان بالغا عاقلا لما يفعله
خصوصا في البلاد الحارة مثل مكة فان العادة في المزاج الصحيح فيها ان يبلغ صاحبه فيما دون خمس عشرة سنة
وربما احتلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة الثالث وهو الحاسم لمادة الاشكال انه عليه السلام اما ان يكون اسلم
وهو بالغ او لم يكن فان كان الاول فقد حصل الغرض وان لم يكن فلا معنى للكفر حينئذ اذ كان عليه السلام
مولودا على الفطرة فمعنى الاسلام في حقه اذن دخوله في طاعة الله ورسوله والاستسلام لاوامرهما فلم يزل
الاسلام الفطري والايمان الخالص الوارد على نفس قدسية لم تتدنس بادناس الجاهلية وعبادة الاصنام
والاعتقادات الباطلة المضادة للحق التي صارت ملكات في نفس من اسلم بعد علو السن فكان ايمانه
بالله ورسوله واردا على نفس صاف لوحها عن كدر الباطل فهي منتقشة بالحق تقيسه به وكانت غاية اسلام غيره
ان يمحوا على طول الرياضة من نفوسهم الاثار الباطلة وملكات السوء فاين احدهما من الاخر الثامنة كونه
عليه السلام يرى نور الوحي والرسالة ويشم ريح النبوة ويسمع رنة الشيطان وهذه اعلى مراتب الاولياء
واستعار لفظ النور لما يشاهده بعين بصيرته الباقية من اسرار الوحي والرسالة وعلوم التنزيل ودقائق
التاويل واشراقها على لوح نفسه القدسية ووجه الاستعارة كون هذه العلوم والاسرار هادية في سبيل
الله اليه من ظلمات الجهل كما يهدي النور في الطرق المحسوسة ورشح تلك الاستعارة بذكر الرؤية لان النور
حظ البصر وكذلك استعار لفظ الريح لما ادركه من مقام النبوة واسرارها ورشح بذكر الشم لان الريح حظ
القوة الشامة واما سماعه لرنة الشيطان فقد علمت كيفية سماع الانسان لصوت الملك والشيطان وكيفية
تاثيره لصوته وان ذلك باستعانة من النفس بالقوة المتخيلة في تلخيص المعاني المعقولة وحطها الى لوح الخيال
مشاهدة للحس المشترك مسموعة وقد اشارت هذه الاشارة انه عليه السلام استعد لسماع صوت الشيطان
في حزنه حين ايس من اتباع الخلق له وانقيادهم لامره وهو معنى عبادته اذ اصل العبادة الخضوع وكيفية ذلك
ان نفسه القدسية لحظت معنى الشيطان مقرونا بمعنى الياس والحزن وكسته المتخيلة صورة حزين صارخ و
حطته الى لوح الخيال فصار مسموعا له ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه واله حين سالته عن تلك الرنة انك تسمع
ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي فانه شهد له في ذلك بالوصول الى مقام سماع الوحي وكلام الملك و
صوت الشيطان وسائر ما يراه صلى الله عليه وسلم مما قويت عليه نفسه القدسية الا كونه نبيا فان معنى
النبوة لا يتحقق للانسان الا بالشرط الذي اشرنا اليه في المقدمات وفرقنا بين النبي وغيره من سائر النفوس
الكاملة وهو كون الانسان مخاطبا من السماء باصلاح امر ابناء نوعه في معاشهم ومعادهم وذلك [illegible]

علي واكمل من كل مقام يبلغه انسان بقوته وروي عن الصادق عليه السلام انه قال كان علي عليه السلام يرى
مع النبي صلى الله عليه قبل الرسالة الضوء ويسمع الصوت وقال له الرسول صلى الله عليه لولا اني خاتم الانبياء
لكنت شريكا في النبوة فان لا تكن نبيا فانك وصي نبي ووارثه بل انت سيد الاوصياء وامام الاتقياء
لما نفى عنه مقام النبوة جبره بمقام الوزارة اشارة الى انه الصالح لتدبير احوال الخلق في معاشهم ومعادهم
من وزارته صلى الله عليه واله وعضده المعين له على ذلك ثم شهد له انه على خير واشار به الى ما هو عليه من الطريقة
المحمودة واستقامة السيرة في خدمته وتربيته وذلك خير كثير وفي مسند احمد بن حنبل عن علي عليه السلام
قال كنت مع رسول الله صبيحة الليلة التي اسري به فيها وهو بالحجر يصلي فلما قضى صلاته وقضيت صلاتي سمعت
رنة شديدة فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة قال الا تعلم هذه رنة الشيطان علم اني اسري بي الليلة الى السماء
فايس من ان يعبد في هذه الارض واما حديث الوزارة فروي انه لما نزل قوله وانذر عشيرتك الاقربين دعاني
رسول الله صلى الله عليه وامرني ان اصنع صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملا له عسا من لبن ففعلت
ما امرني به ثم امرني بجمع بني عبد المطلب فجمعتهم يومئذ وهم اربعون رجلا فيهم اعمامه ابو طالب وحمزة والعباس
وابو لهب فلما اجتمعوا دعا بالطعام الذي صنعته فوضعته ثم تناول مضغة من لحم فشققها باسنانه ثم القاها
في نواحي الصحفة وقال كلوا باسم الله فاكلوا حتى ما بهم الى شيء من حاجة والذي نفس محمد بيده ان كان الرجل
الواحد منهم لياكل ما قدمته لجميعهم ثم قال اسق القوم يا علي فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعا
وايم الله ان كان الرجل الواحد ليشرب مثله ثم قال لهم يا بني عبد المطلب اني والله ما اعلم شابا في العرب جاء
قومه بافضل مما جئتكم به اني قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة وقد امرني الله ان ادعوكم اليه فايكم يوازرني على هذا الامر ان
يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاحجم القوم عنها جميعا فقلت انا واني لاحدثهم سنا وارمصهم عينا واعظمهم
بطنا واحمشهم ساقا انا يا رسول الله صلى الله عليه اكون وزيرك عليه فاعاد القول فامسكوا واعدت ما قلت
فاخذ برقبتي ثم قال لهم هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون
لابي طالب قد امرك ان تسمع لابنك وتطيع التاسعة كونه معه حين اتاه الملا من قريش وسالوه ما سالوا من
دعوة الشجرة وتصديقه عليه السلام له في ذلك وايمانه به وقد علمت فيما سلف ان نفوس الانبياء عليهم
السلام لها التصرف في هيولى عالم الكون والفساد فيستعد عن نفوسهم لقبول الامور الخارقة للعادات
الخارجة عن وسع غيرهم من ابناء نوعهم وصورة الحال في سؤالهم وكيفية دعوته صلى الله عليه واله للشجرة و
اتيانها وتكذيبهم بذلك وتصديقه عليه السلام له مستوفى في كلامه وذلك من قوله ولقد كنت الى قوله
يغزوني فاما حكمه صلى الله عليه بانهم لا يفيؤون الى خير وان منهم من يطرح في القليب ومنهم من يحزب الاحزاب
فمن غيب الله الذي اطلعه عليه ارتضاه له وفعلهم عجب قوته الحدسية القدسية والقليب هو قليب بدر
ومن طرح فيه كعتبة وشيبة ابني ربيعة وامية بن عبد شمس وابي جهل والوليد بن المغيرة وغيرهم طرحوا فيه بعد

انقضاء الحرب وكان ذلك الخبر من اعلام نبوته صلى الله عليه ومن يحزب الاحزاب هو ابو سفيان وعمرو بن ود
وصفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو وغيرهم واما حديث الشجرة فمشهور مستفاض رواه المحدثون
في كتبهم وذكره المتكلمون في معجزاته صلى الله عليه واله ومنهم من روى ذلك مختصرا انه دعا شجرة فاقبلت تخد الارض
خدا ونقله البيهقي في كتاب دلائل النبوة واما نداؤه عليه السلام للشجرة وقوله لها ان كنت تؤمنين بالله الى قوله
باذن الله فقد علمت ان الخطاب مخصوص في عرف العقلاء لمن يعقل لكنه صلى الله عليه لما وجد نفسه القدسية تمد
اعداد الشجرة لما يروم منها وعلم انها قابلة لذلك الاستعداد بذلك القبول لامر الله بما اراده منها خاطبها خطاب من
يعقل استعارة ملاحظة لشبهها بمن يعقل في اجابته نداءه وايتانه وفائدة ذلك الخطاب ان يكون وجوده
منها عقيب خطابه اغرب وفي نفوس الحاضرين ابلغ واعجب فاذا كان وقوع تلك الحال بها غريبا كان كونها
على تلك الحال من خطابه ودعائها اغرب لزيادة ايهام كونها سمعت ذلك النداء وعقلت ذلك الخطاب مع انها
ليس من شانها ذلك والعجب في نفوس السامعين ولذلك تخرج هذا عن كونه سفها وعبثا وقال الامام الوبري
ره ونحو ذلك قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي واعلم ان ذلك على راي الاشعرية امر ظاهر لان
البنية المخصوصة ليست شرطا في حصول الحيوة وما يكون مشروطا بها من السمع والفهم فلذلك جاز ان يكون
الله تعالى خلق في الشجرة علما وسمعا قبلت بهما خطابه عليه السلام وقال الامام الوبري الخطاب في الاصل لله تعالى
فكانه قال اللهم ان كانت هذه الشجرة من اثارك الشاهدة بوجودك واني مرسل فاجعل ما سالت منها شاهدا
على صدقي في دعواي ولما كانت الشجرة محل ما سال من الله خاطبها لذلك فعلى هذا يكون مجازا من باب اقامة السبب
مقام المسبب قال ويحتمل ان يكون الخطاب في الاصل للملائكة الموكلين بالشجرة قوله واني لمن قوم الى قوله لائم
كناية عن بلوغه في طاعة الله الغاية المطلوبة منه فانه عليه السلام لم يقف دون غاية منها حتى يلام عن النقص
فيها وقوله سيماهم سيما الصديقين الى اخر الصفات فالقوم هم المنعوتون الذي سال همام عن صفتهم والصفات
المذكورة بعض صفاتهم وقد سبقت مشروحة مستوفاة في خطبته مفردة وذكر منها هاهنا عشرا احدها انها
علامات الصديقين وهم الملازمون للصدق في اقوالهم وافعالهم طاعة الله تعالى وقد عرفت علاماتهم
في خطبة همام الثانية وكذلك كلامهم كلام الابرار من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والذكر الدائم لمعبودهم
الحق الثالثة كونهم عمار الليل وكنى بعمارتهم له عن قيامهم فيه بالعبادة وروي ان احدهم كان اذا كسل عن العمل
علق نفسه بحبل حتى يصبح عقوبة لها الرابعة استعار لهم لفظ المنار لهم بالنهار باعتبار كونهم يهدون الخلق
الى طريق الله كالمنار على الطريق المحسوس وكذلك لفظ الحبل للقران باعتبار كونه سببا للتعلق به
والتدبر الى الترقي من ماء الحياة الباقية كالعلوم والاخلاق الفاضلة كالحبل الذي هو سبب للارتفاع
والاستقاء من الماء او باعتبار كونه عصمة لمن تمسك به صاعدا من دركات الجهل الى افضل درجات العقل كالحبل
يصعد به من السفل الى العلو ولفظ القران مجرور بعطفه على الجنان الخامسة وكذلك استعار وصفا

التين لهم باعتبار اقامتها والقيام بها. العمل بها الثامنة عدم الاستكثار والعلو منهم ولما كان الاستكثار في الا[لسان]
رذيلة كان عدمه فضيلة التاسعة عدم الغلول وهو فضيلة لكون الغلول مستلزما الرذايل كالشره والخيانة
والحرص والدناءة وغيرها وكان عدمه كمالا العاشرة كونهم لا يفسدون ولما كان كل فساد مستلزما رذيلة
او رذايل كالزنا المستلزم لرذيلة الفجور وكالقتل المستلزم لرذيلة الظلم وكذلك سايرها كان عدمه كمالا
الحادية عشرة كون قلوبهم في الجنان وذلك انك علمت ان اعلى غرفات الجنان ودرجاتها هو المعارف الالهية والقعود
في مقاعد الصدق عند المليك المقتدر وذلك من مقامات العارفين واولياء الله الصديقين العاشرة كون
ابدانهم في العمل قالوا وفي قوله وابدانهم يحتمل ان تكون للحال اي انهم قلوبهم في الجنان حال ما يكون ابدانهم
مستغرقة الحركات والسكنات في الاعمال الصالحات اولئك الذين صدقوا واولئك هم المفلحون وبالله
التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** قاله لعبد الله بن العباس وقد جاءه برسالة من عند عثمان وهو محصور
يسأله الخروج الى ماله بينبع ليقل هتف الناس باسمه للخلافة بعد ان كان سأله مثل ذلك من قبل فقال عليه السلام
يا ابن عباس ما يريد عثمان الا ان يجعلني جملا ناضحا بالغرب اقبل وادبر بعث الي ان اخرج ثم بعث الي ان اقدم ثم هو الان يبعث الي
ان اخرج والله لقد دفعت عنه حتى خشيت ان اكون آثما **اقول** ينبع قرية صغيرة من اعمال المدينة وهتف الناس صياحهم
ودعاؤهم باسمه والناضح الجمل الذي يستقى عليه والغرب الدلو العظيمة وسبب هذه الرسالة ان القوم الذين حصروه كانوا
يكثرون نداءه والصياح به وقد نقموا عليه احداثا من تفريق بيت المال على غير مستحقه ووضعه في غير مواضعه
وساير الاحداث التي ذكرنا انها نسبت اليه واستعار لفظ الجمل الناضح ورشح بذكر الغرب واشار الى وجه
المشابهة بقوله اقبل وادبر وقوله بعث الى قوله اخرج شرح لكيفية تصريفه له في حال الحصر ومضايقة الناس له وبعثه
له الى ينبع امر كما اشرنا اليه من قبل وقد كان قصده بتلك الرسالة من بين ساير الصحابة لاحد امرين احدهما
اعتقاده انه كان اشرف الجماعة والناس له اطوع وان قلوب الجماعة معه حينئذ والثاني انه كان يعتقد انه له
شركة مع الناقمين في قتله وكانت بينهما هنات فكان بعثه له من بين الجماعة متعينا لانهم ان رجعوا او سكنوا
فذاك الغرض وان لم يرجعوا حصلت بعض المقاصد ايضا وهو تأكد ما نسبه اليه من المشاركة في امره وبقاء ذلك
حجة عليه لمن بعده ممن يطلب بدمه حتى كان بسبب هذا الغرض الثاني ما كان من امر وقايع البصرة وصفين
وغيرهما وقوله والله الى قوله آثما يحتمل وجوها احدها قال بعض الشارحين انه بالغ في الذب عنه حتى خشيت كثرة
اعدائه ان اكون آثما في الذب عنه لاجتهادي في ذلك والثاني يحتمل ان يريد اني خشيت الاثم في تغريري بنفسي
لان دفع الجمع العظيم في هذا الامر العظيم مظنة الخوف على النفس فيكون الاقدام عليه مظنة الاثم الثالث
يحتمل انه يريد انه خشي الاثم من الافراط في حقهم كان يضرب احدهم بسوطه ويغلظ له في القول والشتم وبالله
التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** اقتص فيه ما كان منه بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله ثم لحاقه به فجعلت اتبع مآخذ
رسول الله صلى الله عليه فاطأ ذكره حتى انتهيت الى العرج في كلام طويل قال السيد الرضي رضي الله عنه قوله فاطأ ذكره

من الكلام

من الكلام الذي رمى الى غاية الايجاز والفصاحة واراد اني كنت اغطي خبره عليه السلام من بدء خروجي الى ان انتهيت
الى هذا الموضع فكنى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة **اقول** هذا الفصل من كلام يحكي فيه عليه السلام ما كان جرى
من حاله في خروجه من مكة الى المدينة بعد ان هاجر اليها رسول الله صلى الله عليه وذلك انه صلى الله عليه وآله لما عزم
على الهجرة اعلم عليا عليه السلام بعزمه وامره ان يبيت على فراشه خدعة للمشركين الذين كانوا عزموا على قتله في
تلك الليلة وايهاما لهم انه لم يبرح فلا يطلبوه حتى يبعد مسافته عنهم وان يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عنه الودايع
التي كانت عنده للناس فان جماعة من اهل مكة استودعوه ودايع لما رأوا من امانته وكانوا قد اجمعوا على ان يضربوه
باسيافهم من ايدي جماعة من بطون مختلفة ليضيع دمه بين بطون قريش فلا يطلبه بنو عبد مناف وكان ممن اجمع
على ذلك النضر بن الحرث من بني عبد الدار وابو البختري بن هشام وحكيم بن حزام وزمعة بن الاسود بن عبد المطلب
والثلثة من بني اسد بن عبد العزى وابو جهل بن هشام واخوه الحرث وخالد بن الوليد بن المغيرة والثلثة من بني
مخزوم ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وعمرو بن العاص والثلثة من بني سهم وامية بن خلف واخوه ابي من بني جمح فنما هذا
الخبر من الليل الى عتبة بن ربيعة فلقي قوما منهم ونهاهم عن ذلك وقال ان بني عبد مناف لا تسكت عن دمه ولكن
صفدوه في الحديد واحبسوه في دار من دوركم وتربصوا به ان يصيبه من الموت ما اصاب امثاله من الشعراء وكان عتبة
ابن ربيعة سيد بني عبد شمس فاحجم ابو جهل واصحابه تلك الليلة عن قتله احجاما ثم تسوروا عليه وهم يظنونه في الدار
فرأوا انسانا مسجى بالبرد الحضرمي فلم يشكوا انه هو فكانوا يهمون بقتله ثم يحجمون لما يريد الله من سلامة علي عليه
السلام ثم قال بعضهم لبعض ارموه بالحجارة فرموه فجعل علي يتضور منها ويتأوه تأوها خفيا ولا يعلمهم بحاله
خوفا على رسول الله صلى الله عليه ان يطلب فيدرك فلم يزالوا كذلك حتى الصباح فوجدوه عليا ثم تخلف عنه عليه السلام
بمكة ثلث ليال فقضى ما امره به ثم لحق به فجاء الى المدينة راجلا قد تورمت قدماه وتصادف رسول الله صلى الله عليه
نازلا بقبا على كلثوم بن الهدم فنزل معه في منزله ثم خرج معه من قبا حتى نزلا بالمدينة على ابي ايوب الانصاري
فقوله عليه السلام فجعلت اتبع مآخذ رسول الله الى الجهة والطريق التي اخذ فيها وصار حتى انتهيت الى الموضع المعروف
بالعرج وقوله فاطأ ذكره استعار وصف الوطي لوقوع ذهنه على ذكره صلى الله عليه حين من الناس في تلك الطريق
كوقوع القدم على الارض ووجه المشابهة ان الخبر عنه صلى الله عليه وذكره طريق لحركات ذهنه عقلا الى معرفة حاله
صلى الله عليه كما ان المحسوس طريق لحركات قدمه الى الوصول اليه وقيل اراد بذكره ما ذكره لي ووصفه من حال
الطريق والاول اشبه الى الفهم وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** فاعملوا وانتم في نفس البقاء والصحف
منشورة والتوبة مبسوطة والمدبر يدعى والمسيء يرجى قبل ان يخمد العمل وينقطع المهل وينقضي المدة ويسد باب
التوبة وتصعد الملائكة فاخذ امرؤ من نفسه لنفسه واخذ من حي لميت ومن فان لباق ومن ذاهب لدائم
امرؤ خاف الله وهو معمر الى اجله ومنظور الى عمله امرؤ الجم نفسه بلجامها وزمها بزمامها فامسكها بلجامها عن معاصي
الله وقادها بزمامها الى طاعة الله تعالى **اقول** يقال فلان في نفس من امره اي في سعة والفصل في غاية الفصاحة

وقد امرهم بالعمل حال ما هم في مهلة على الاحوال التي اشار اليها احدها كونهم في نفس البقاء وسعته فان الموت
مستلزم لانقطاع العمل وعدم امكانه الثاني كون الصحف منشورة اي صحف الاعمال فانها انما تطوى بانقطاع
الاعمال بالموت وقد عرفت وجه الاشارة الى الصحف ونشرها الثالث كون التوبة مبسوطة واستعار لفظ البسط
ملاحظة لشبهها بالبساط في كونها ممدودة القبول غير ممنوع منها في مدة العمر بسطا لمن اراده كالبساط وانما
تطوى بالموت كما قال تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا
الذين يموتون وهم كفار الرابع حال كون المدبر يدعى اي حال كون المدبر عن طاعة الله المعرض عنها يدعى اليها من
الانبياء والرسل والنواميس الشرعية وذلك منقطع بالموت الخامس حال كون المسيء يرجى اي يرجى صلاحه وعوده
وذلك حال البقاء في الدنيا ولما ذكر هذه الاحوال للترغيب في العمل عليها والتذكير بكونها احوالا لا يمكن معها
اردفها باحوال يمتنع معها العمل تنفيرا عنها وهي خمود العمل واستعار لفظ الخمود لوقوفه ملاحظة لشبهه بالماء
في جموده عن الجريان وكذلك انقطاع المهل وانقضاء المدة اي مدة البقاء وسد ابواب التوبة ولفظ الابواب مستعار
لطرقها الاعتبارية التي يرجع منها الى الله تعالى وكذلك صعود الملائكة اي الكرام الكاتبين فان الملائكة الموكلين
بضبط اعمال كل شخص يصعدون الى السماء بعد بطلان الاعمال وقوله فاخذ امرؤ من نفسه امر في صورة الخبر
فليأخذ المرء من نفسه اي بعض نفسه بالاجتهاد والنصب في العبادة فانهما يهزلان البدن ويأخذان من النفس
لذاتها وشهواتها البدنية ويجوز ان يريد بالنفس هنا الشخص والاخذ منه ظاهر وقوله لنفسه اي ليكون
ذلك كمالا لنفسه وذخرا لها في معادها وقوله فاخذ من حي لميت الى امرؤ امر ايضا في صورة الخبر فقال الاخذ هو قوله
امرؤ والحي والميت هو المرء نفسه اي فليأخذ امرؤ من نفسه باعتبار ما هو حي لنفسه باعتبار ما يصير اليه من حال الموت
وقوله ومن فان لباق اي فليأخذ من الامر الفاني وهي حياته ومتاعها للامر الباقي وهي النعيم الباقي الابدي
في الاخرة ومعنى ذلك الاخذ ان الانسان يكتسب من الدنيا ومتاعها الفاني كمالا باقيا يوصل الى نعيم دايم
وذلك بالصدقات والزكوات والانفاق في وجوه البر والقربات وكذلك قوله ومن ذاهب لدائم ثم اخذ في
وصف ذلك المرء كانه تفسير فقال امرؤ خاف الله في حال ما هو مؤخر الى اجله ومنظور الى عمله وبينه بغاية اجله وكون
عمله منظورا اليه اي منظور لله ومرجى له نحو بغاية من هجوم الاجل وجديرا لصالح الاعمال تذكيرا لاطلاع الله عليه
وعلمه بها وقوله امرؤ الجم نفسه بدل من امرؤ الاول واستعار لفظ اللجام للزهد الحقيقي والعفة ووجه المشابهة
كونهما مانعين للنفس الامارة من جماحها في سبيل هواها ومعاصي الله كما يمنع اللجام الدابة عن الجماح ورشح بذكر الالجام
وكونه عن ردع النفس الى الزهد واشار بذلك الوجه من المشابهة بقوله فامسكها بلجامها عن معاصي الله وكذلك
استعار لفظ الزمام للعبادة باعتبار ما هي قايدة للنفس الامارة بالسوء الى موافقة النفس المطمئنة في طاعة الله
كما يقاد الناقة بزمامها او علمت ان العبادة انما وضعت لتطويع النفس الامارة للعقل وانقيادها تحت امره وبحيث
خلفه عند توجهه في المعارج القدسية الى حضرة الجلال والاكرام والى ذلك الوجه من المشابهة اشار بقوله وقادها

وعلمها

بزمامها ورشح بذكر الزم والقود وكنى بهما عن ايقاع العبادة وتطويع النفس لها وبالله التوفيق **ومن خطبة له**
عليه السلام في شأن الحكمين وذم اهل الشام جفاة طغام عبيد اقزام جمعوا من كل اوب وتلقطوا من كل شوب ممن
ينبغي ان يفقه ويؤدب ويعلم ويدرب ويولى عليه ويؤخذ على يديه ليسوا من المهاجرين والانصار ولا الذين
تبوؤا الدار والايمان الا وان القوم اختاروا لانفسهم اقرب القوم مما يحبون وانتم اخترتم لانفسكم اقرب القوم مما
تكرهون وانما عهدكم بعبد الله بن قيس بالامس يقول انها فتنة فقطعوا اوتاركم وشيموا سيوفكم فان كان
صادقا فقد اخطأ بمسيره غير مستكره وان كان كاذبا فقد لزمته التهمة فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد
الله بن العباس وخذوا مهل الايام وحوطوا قواصي الاسلام الا ترون الى بلادكم تغزى والى صفاتكم ترمى **اقول**
جفاة جمع جاف وهو غليظ الطبع قاسي القلب والطغام الاوغاد من الناس اراذلهم والاقزام جمع قزم بفتح الزاي وهو
الرذال الدقيق من الناس يطلق على الجمع والذكر والانثى وتلقطوا جاؤوا من كل اوب اي من كل ناحية والشوب
الخلط ويدرب يعود العادات الجميلة ويجرب في الامور وتبوؤا الدار نزلوها وشيم السيف غمده وصدر الفصل
بذكر مذام اهل الشام تنفيرا عنهم ووصفهم بكونهم عبيدا اما لانهم عبيد الدنيا واهلها او لان منهم عبيدا واللفظ
يحتمل قصد البعض والمرفوعات الاربعة الاولى اخبار لمبتدأ محذوف اي هم جفاة ومحل قوله جمعوا الرفع صفة
لاقزام ويحتمل ان يكون خبرا خامسا وكذلك قوله ممن ينبغي وقوله ليسوا وقوله يولى عليه ويؤخذ على يديه كناية
عن كونهم سفهاء لا يصلحون لان يلوا امرا ويفوض اليهم بل ينبغي ان يحجر عليهم ويمنعون من التصرف لغباوتهم
وسفههم وذكر كونهم ليسوا من المهاجرين والانصار في معرض الذم لهم لكون ذلك نقصانا لهم من تلك الجهة
بالنسبة الى المهاجرين والانصار في معرض الفخر وكذلك نفى كونهم ليسوا من الذين تبوؤا الدار واراد بالدار
مدينة الرسول عليه السلام والذين تبوؤها هم الانصار من اهلها الذين اسلموا قبل هجرة الرسول اليهم بسنتين
وابتنوا بها المساجد واليهم اشار تعالى في كتابه العزيز واثنى عليهم فقال والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم
يحبون من هاجر اليهم الاية الى قوله فاولئك هم المفلحون وفي نسخة الرضي رحمه الله تبوؤا الدار فقط وفي ساير النسخ
والايمان ووصف الايمان بكونه متبوأ لهم مستعار ملاحظة لشبهه بالمنزل باعتبار انهم ثبتوا عليه واطمأنت قلوبهم
به ويحتمل ان يكون نصب الايمان هنا كما في قوله ورأيت زوجك في الوغا متقلدا سيفا ورمحا اي لازموا الايمان
كما اراد القايل ومعتقلا رمحا وقوله الا وان القوم الى قوله تكرهون والقوم هم اهل الشام والذي اختاروا
لانفسهم وكان اقرب القوم مما يحبون هو عمرو بن العاص فانهم اختاروه للحكومة وعينوا عليه من قبلهم وكونه
اقرب القوم مما يحبون لكثرة خداعه ودهائه وميله الى معاوية وعطاياه والذي يحبونه مما هو اقرب اليه هو الظهور
على اهل العراق وصيرورة الامر الى معوية والذي اختاره اهل العراق للحكومة هو ابو موسى الاشعري وكان اقرب
القوم مما يكرهون من صرف الامر عنهم وكونه اقرب الى ذلك اما لغفلته وبلاهته او لانه كان منحرفا عن علي عليه السلام
وذلك انه كان في زمن الرسول صلى الله عليه وآله واليا من قبله على زبيد من اعمال اليمن ثم ولاه عمر البصرة لما عزل

على الواحد

الغيرة عنها فلما غزا رحش سكن بالكوفة فلما كره اهلها سعيد بن العاص ودفعوه عنها ولّوا اباموسى وكتبوا الى عثمان
يسالونه ان يوليه فاقره على الكوفة فلما قتل عثمان غزله على عليه السلام فلم يزل واجدا لذلك عليه حتى كان منه
ماكان فى الكوفة وقوله واعا هدكم بعبدالله الى اخره احتجاج عليهم فى اختيارهم لعبدالله بن قيس وهو ابوموسى الاشعرى
للحكومة وصورة الاحتجاج ان اباموسى كان يقول لكم يا اهل الكوفة عند مسيرى الى اهل الجمل انها فتنة من الفتن
التى وعدنا بها وامرنا باعتزالها فقطعوا اوتار قسيكم واغمدوا سيوفكم فلا يخلوا اما ان يكون صادقا فى ذلك
او كاذبا فان كان صادقا فالرفه الخطا بسيره معاعين مستكره الى فتنة امرنا بالاعتزال عنها وحضوره صفوف اهل
العراق وتكثير سوادهم وان كان كاذبا فقد لزمته التهمة وصار فاسقا بكذبه وعلى التقديرين لا ينبغى ان يعتمد
عليه فى هذا الامر الجليل واقول ومما يناسب هذا الاحتجاج ما روى عن سويد بن غفلة قال كنت مع ابى موسى
على شاطى الفرات فى خلافة عثمان فروى لى خبرا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ان بنى اسرائيل اختلفوا
فلم يزل الاختلاف بينهم حتى بعثوا حكمين ضالين ضلا واضلا من اتبعهما ولا ينفك امر امتى يختلف حتى يبعثوا
حكمين يضلان ويضلان من اتبعهما فقلت له احذر يا اباموسى ان تكون احدهما قال فخلع قميصه وقال ابرء الى الله
من ذلك كما ابرء من قميصى هذا فنقول لا يخلوا اما ان يكون صادقا فى ذلك الخبر او كاذبا فان كان صادقا فقد اخطا
فى دخوله فى الحكومة وشهد على نفسه بالضلال والاضلال وان كان كاذبا فقد لزمته التهمة فلا ينبغى ان يعتمد عليه
فى هذا الامر وقوله فادفعوا فى صدر عمرو بن العاص بعبدالله بن عباس كناية عن جعله مقابلا له فى الحكومة دافعا
له عما يريد ولما قدح فى ابى موسى اشار الى عدم صلاحيته لهذا الامر كان رايه ان يبعث الحكم من جهته عبدالله بن عباس
فابى قومه عليه وروى بعبارة اخرى انه قال لهم لما الحوا فى بعث ابى موسى وتعيينه حكما ان معوية لم يكن ليختار لهذا
الامر احدا هو اوثق برايه ونظره من عمرو بن العاص وانه لا يصلح للقرشى الا مثله فعليكم بعبدالله بن عباس فارموه به فان عمرا
لا يعقد عقدة الا حلها ولا يبرم امرا الا نقضه ولا ينقض امرا الا ابرمه فقال الاشعث ومن معه لا والله لا والله
لا يحكم فيها مضريان ابدا حتى يقوم الساعة ولكن يكون رجل من مضر ورجل من اليمن فقال عليه السلام انى اخاف
ان يخدع يمانيكم وان عمرو بن العاص ليس من الله فى شئ فقال الاشعث والله لئن يحكما ببعض ما نكره واحدهما من اليمن
احب الينا ان يكون ما نحب وهما مضريان فقال عليه السلام قد ابيتم الا اباموسى فاصنعوا ما شئتم اللهم انى ابرء
اليك من صنيعهم وقوله فخذوا مهل الايام امرهم باغتنام مهل الايام عنهم وفسحها عما ينبغى ان يعملوا فيها ويدبروا
فى حوالهم على وفق الاراء الصالحة وكذلك امرهم بحياطة قواصى الاسلام وهى اطراف العراق والحجاز والجزيرة وما
كان فى يده عليه السلام من البلاد ثم استشار طباعهم وحثهم على ذلك بينهم على ان بلادهم تغزى وصفاتهم ترمى
وكنى بصفاتهم عن حوزتهم التى استقروا عليها من بلاد الاسلام واصل الصفا الحجر الاسود الاملس لا ينفذ فيها
السهم بل يكسر وتوقعه فاشبهتها الحوزة فى صفتها فيقال لا ترمى صفاتهم ولا تقرع صفاتهم وكنى بذلك عن منعتهم
وقوتهم فلذلك كنى عن رمى صفاتهم بالطمع فيهم وقصد العدو لبلادهم ورميها بالكتايب وبالله التوفيق

ومن خطبة

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها آل محمد عليهم السلام هم عيش العلم وموت الجهل يخبركم حلمهم عن علمهم وصمتهم عن
حكم منطقهم لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه هم دعايم الاسلام يخبركم حلمهم عن علمهم وصمتهم عن حكم منطقهم لا يخالفون الحق
فيه هم دعايم الاسلام وولايج الاعتصام بهم عاد الحق فى نصابه وانزاح الباطل عن مقامه وانقطع لسانه عن منبته
عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية وان رواة العلم كثير ورعاته قليل اقول الولايج جمع
وليجة فعيلة بمعنى مفعولة وهى الموضع يعتصم بدخوله والنصاب الاصل فذكر لهم اوصافا احدها انهم عيش العلم
اى حياته وقد جعل له حياة ملاحظة لشبهه بالحى فى وجوده والانتفاع به ثم اطلق عليهم لفظ الحياة مجازا اطلاقا
لاسم السبب على المسبب الثانى وكذلك كونهم موت الجهل جعل للجهل موتا استعارة باعتبار عدمه بهم واطلق عليهم
لفظه مجازا ايضا كالذى قبله الثالث كونهم يخبر حلمهم عن علمهم لعلمهم بمواقع الحلم وفى ذلك اشارة الى تلازم خلقى
الحلم والعلم فيهم فهم لا يعلمون الا عن علم بمواقع الحلم الرابع كونهم يخبر صمتهم عن حكم منطقهم اذا تكلموا لان من علم مواقع
السكوت وما ينبغى ان يسكت عنه وذلك يستلزم حكمة نفوسهم فى منطقهم اذا تكلموا لان من علم مواقع السكوت وما
يسكت ان ينبغى عنه علم مواقع النطق وما ينبغى ان يسكت عنه ولو لم يعلم لجاز ان يتكلم بما لا ينبغى فى ذلك هو موضع
السكوت فلا يكون عالما بموضع السكوت وقد فرض كذلك هذا خلف الرابع كونهم لا يخالفون الحق اى يعلمهم
به ويطرقه ودونهم له فلا يتجاوزونه الى رذيلة الافراط ولا يقعون دونه فى مقام رذيلة التفريط الخامس وكذلك لا
يختلفون فيه لعلمهم بحقيقته السادس كونهم دعايم الاسلام واستعار لهم لفظ الدعايم باعتبار حفظهم له بعلمهم
وحراسته وقيامه فى الوجود بهم كما يحفظ البيت بالدعايم ويقوم بها السابع استعار لهم لفظ الولايج باعتبار كونهم
مرجعا للخلق يعتصمون بعلمهم وهدايتهم واتباعهم من الجهل ولواحقه وعذاب الله فى الآخرة كما يعتصم بالوليجة من مخاوفها
الثامن كونهم بهم عاد الحق الى نصابه اى بولايته عليهم السلام وخلافته عاد الحق الى اهله وانزاح الباطل عن مقامه
وهو اشارة الى ان الاحكام كانت قبله فى ايام عثمن لا رضى الله عنه جارية على غير قانون شرعى لما نقل عنه من الاحداث
واستيلاء بنى امية فى زمانه على بيت مال المسلمين واكلهم له بغير حق كما سبق شرحه فعاد بولايته عليه السلام كل حق الى
اهله وهو اصله ومستقره والحق اذا كان فى غير اهله فهو الباطل ومقامه غير اهله وبولايته عليه السلام انزاح الباطل
عن مقامه وانقطع لسانه اى اللسان الناصر للباطل والناطق به واستعار وصف الانقطاع له باعتبار سكوته
ملاحظة لشبهه بالمنقطع فى عدم القول وذكر بقوله من منبته تاكيدا لذلك الانقطاع التاسع كونهم عقلوا الدين
عقل رعاية ووعاية لا عقل سماع ورواية وذلك انك علمت ان للادراك ثلث مراتب ادناها تصور الشئ بحسب اسمه
اعلاها تصور الشئ بحسب حقيقته وكنهه واوسطها تعقله بحسب صفاته ولوازمه الخاصة به وبجامع بعض لوازمه
فكان عقلهم للدين وعلمهم به على كل المراتب وهو معنى الوعاية ورعايتهم له بدراسته وتذكره والاحتياط
عليه وليس علما به من جهة اسمه وسماع الفاظه فقط وقوله فان رواة العلم كثير اه لمرة اى ليس كل من روى العلم
وحمله كان عالما به وراعيا له فان ذلك اخص من العالم به والعام لا يستلزم الخاص ونبه بذلك على قلة مثلهم

فى رعاية العلم واستجماع الفضايل وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام يحث فيه اصحابه على الجهاد والله مستاديكم
شكره ومورثكم امره وممهلكم فى مضمار محدود لتتنازعوا سبقه فشدوا عقدا المآزر واطووا فضول الخواصر لا
تجتمع عزيمة ووليمة ما انقض النوم لعزايم اليوم وامحى الظلم لتذاكير الهمم اقول المضمار المدة تضمر فيها الخيل قيل
انها اربعون يوما وقد سبق بيانه والتنازع التجاذب فى الخصومة والمآزر جمع ميزر والفضل فى غاية من الفضايل
والجزاء له والحث على الاستعداد ليوم المعاد فقوله والله مستاديكم شكره على نعمه وذلك فى اوامر القرآن
كثير كقوله تعالى واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون واشكروا لى ولا تكفرون ومورثكم امره اى سلطانه فى الارض
الذى كان فيمن سلف من اهل طاعته من الامم السابقة كقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم الاية وقوله واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم الاية وقوله
وممهلكم الى قوله سبقه استعار لفظ المضمار لمدة الحياة الدنيا ووجه المشابهة ان الناس يستعدون فى مدة حياتهم
بالرياضات والمجاهدات فى سبيل الله وتحصيل الكمالات النفسانية لغاية السبق الى حضرة جلال الله كما
تضمر الخيل لغاية السبق واشار الى علة ذلك الامهال وهى تنازع السبق اليه تعالى واراد به ما يعرض للسالكين
فى حال اعدادهم لانفسهم بالرياضات وجدهم وتشميرهم فى طاعة الله من منافسة بعضهم لبعض فى التقدم بالفضايل
وسبقه بذلك وكل مرض امرى منهم ان يكون هو الاكمل لتفوز بقصب السبق الى الحضرة قدسه تعالى والمنافسة فى
الفضايل والغبطة بها محمودة لادائها بالغابط الى كماله وذلك هو اقصى مطلوب الشارع من امته وعلل ان
يريد بالسبق ما يسبق اليه من الفضيلة او الجنة كما سبقت الاشارة الى مثل ذلك ولفظ التنازع ترشيح لاستعارة
المضمار والمسابقة لان من شان ذلك التنازع على السبق والمجاذبة على الفوز بالسبقة وخلاصة المعنى انه تعالى
امهلكم فى الدنيا للاستعداد فيها وتجاذب السبق اليه وقوله فشدوا عقد المآزر كناية عن الامر بالتشمير والجهاد
فى طاعة الله والاستعداد بها بعد ان بين ان ذلك الغاية من الامهال فى الدنيا اذ كان من شان من يهتم بالامر
وتحرك فيه ان يشد عقدة ميزره كيلا يشغله عما هو بصدده وقوله واطووا فضول الخواصر كناية عن الامر
بترك ما يفضل من متاع الدنيا على قدر الحاجة من ماكول فكل الوان الطعوم والملابس وساير قينات الدنيا
واصله ان الخواصر والبطون لها حال ان تتسع لما فوق قدر الحاجة من الماكول فذلك القدر والمتسع لما فوق الحاجة
هو فضول الخواصر وكنى بطيها اذ كان من لوازم ذلك الطى ترك تلك الفضول وقوله لا تجتمع عزيمة ووليمة اراد
بالعزيمة على اقتناء الفضايل واكتسابها والعزيمة هى الارادة الجازمة للامر بعد اختياره وكنى بالوليمة وهى طعام
العرس ونحوه عن خفض العيش والدعة لاستلزام الوليمة ذلك والمعنى ان العزيمة على تحصيل المطالب الشريفة
وكرايم الامور ينافى الدعة وخفض العيش ولا تحصيل مع الهوينا لما يستلزمه تحصيل تلك المطالب والعزم عليها
من المشاق واتعاب النفس وكد البدن بالرياضات والمجاهدات المنافية للدعة والراحة ويقرب منه قوله
تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ثم اكد ذلك بقوله ما انقض النوم لعزايم اليوم واصله ان الانسان

بعزم

يعزم فى النهار على المسير بالليل لتقريب المنزل فاذا جاء الليل نام الى الصباح فانتقض بذلك عزمه فضرب مثلا لمن
يعزم على تحصيل الامور الكبار والسعى فيها ثم يلحقه الاناة والدعة ومراده انكم مع هذه الدعة وحب الراحة من الهم
والجهاد لا يتم لكم ما تريدونه وتعزمون عليه من تحصيل السعادة فى الدنيا والآخرة وكذلك قوله وامحى الظلم لتذاكير
الهمم واصله ان الرجل يبعثه همته فى مطالبه على المسير بالليل فاذا جن الظلام ادركه الكسل وغلب حب النوم
من تذكار مطالبه وصرفه عنها فكان الظلام سببا لما يمحو ذلك التذكار من لوح الذكر فضرب به مثلا لمن يدعوه
الداعى الى امر ويهتم به ثم يعرض له امر فينصرف به عنه وهو كالذى قبله وبالله التوفيق تمت وهذا آخر
الخطب والاوامر ويتلوه المختار من الكتب والرسايل الجامع انشاء الله تعالى بعونه وعصمته وتوفيقه وهدايته
باب المختار من كتب امير المؤمنين عليه السلام ورسايله الى اعدائه وامراء بلاده ويدخل فى ذلك ما اختير من
عهوده الى عماله ووصاياه لاهله واصحابه ومن كتاب له عليه السلام الى اهل الكوفة عند مسيره من المدينة الى
البصرة من عبدالله على امير المؤمنين الى اهل الكوفة جبهة الانصار وسنام العرب اما بعد فانى اخبركم عن
امر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه ان الناس طعنوا عليه فكنت رجلا من المهاجرين اكثر استعتابه واقل
عتابه وكان طلحة والزبير اهون سيرهما فيه الوجيف وارفق حدائهما العنيف وكان من عايشة فيه فلتة
غضب فاتيح له قوم فقتلوه وبايعنى الناس غير مستكرهين ولا مجبرين بل طايعين مخيرين واعلموا ان دار الهجرة
قد قلعت باهلها وقلعوا بها وجاشت جيش المرجل وقامت الفتنة على القطب فاسرعوا الى اميركم وبادروا
جهاد عدوكم ان شاء الله اقول كتب هذا الكتاب حين نزل بماء العذيب متوجها الى البصرة وبعثه مع الحسن
وعمار بن ياسر رحمه الله وعيانه رؤيته والوجيف ضرب من السير فيه سرعة واضطراب والعنف ضد الرفق و
الفلتة البغتة من غير تروّ واتيح قدر وقلع المنزل باهله اذا نبا بهم فلم يصلح لاستيطانهم وقلعوا به اذا لم يستقروا
فيه ولم يثبتوا وجاشت القدر غلت والمرجل القدر من نحاس واعلم انه صدر الفصل بمدحهم جذبا لهم الى نصرته
له ومن نصره على اهل البصرة واستعار لهم لفظ الجبهة باعتبار انهم بالنسبة الى الانصار كالجبهة بالنسبة الى
الوجه فى العزة والشرف والعلو وكذلك استعار لفظ السنام باعتبار علوهم وشرفهم فى العرب بالاسلام
والقوة فى الدين كشرف السنام وعلوه فى الجمل وقال القطب الراوندى المراد بجبهة الانصار جماعتهم
وسنام العرب عندهم ومن رتفع منهم حقيقة فى الموضعين والمعنى قريب مما قلناه الا ان اللفظين ليسا
حقيقة لان من علامات الحقيقة السبق الى الفهم ولا واحد من المعنيين المذكورين يسبق من هذين اللفظين
الى الفهم ثم شرع بذكر الشبهة التى جعلها اصحاب الجمل واهل الشام ومن اراد الفساد فى الارض حجة له حتى كانت
مبدأ الكل فتنة نشات فى الاسلام وهى شبهة قتل عثمان مع الجواب عنها وهو قوله اما بعد الى قوله عيانا
وامر عثمان شانه وحاله التى جرت له وقوله حتى يكون سمعه كعيانه كناية عن تمام ايضاح ذلك الامر لمن لم يشهد
من اهل الكوفة وقوله ان الناس طعنوا عليه اشارة الى مبدا قتله وهو طعن الناس عليه بالاحداث التى نقموا

نه يقال الطعن فيه بالقول وطعن عليه اذا ذكره عيبا وقد ذكرنا تلك المطاعن وهذا القول كالمقدمة للجواب
عن نسبته الى قتله وكذلك قوله فكنت رجلا الى قوله عتابه كصغرى قياس ضمير من الشكل الاول يبين فيه انه
ابرا الناس من دم عثمان ومعنى قوله اكثر استعتابه اى اكثر طلب العتبى منه والرجوع الى ما يرضى القوم منه
واقل عتابه اى ذكر ما اجده منه قال الخليل العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة وانما كان يقل عتابه
لانه عليه السلام كان يخاطبه فيما هو اهم من ذلك وهو ارضاؤه للقوم واستعتابه لهم ليدفعوا عنه ويطفئوا
نار الفتنة اولا ثم حوله جماعة كمروان وغيره فكان عليه السلام اذا عاتبه وصفا ما بينهما كدر تلك الجماعة
وقيل اراد انى كنت اكثر طلب رضاه واقل لائمته وتقدير كبرى القياس وكل من كان من المهاجرين بالصفة
المذكورة معه فهو ابرأ الناس من دمه واقواهم عذرا في البعد عن قتله وقوله وكان طلحة والزبير الى قوله عنف
كصغرى قياس ضمير ايضا من الاولى لزم فيه القوم التابعين الى حربه وهم طلحة والزبير وعائشة غير مانسبوه
اليه من الدخول في دم عثمان وكنى بقوله اهون سيرهما فيه الوجيف الى قوله العنيف عن قوة سعيهما في قتله وشدة
تلبسهما بذلك وقد ذكرنا طرفا من حال طلحة معه وجمعه للناس في داره ومنعه من دفنه وروى ان عثمان قال
وهو محصور ويلي على ابن الحضرمية يعني طلحة اعطيته كذا وكذا بهارا ذهبا وهو يروم دمي ويحرض على اللهم
لا تمتعه به ولقه عواقب بغيه وروى انه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحة الى دار
بعض الانصار واصعدهم الى سطحها وتسوروا منها عليه وروى ان مروان قال يوم الجمل والله لا اترك ثاري
من طلحة وانا اراه ولأقتلنه بعثمان ثم رماه بسهم فقتله واما الزبير فروى انه كان يقول اقتلوه فقد بدل دينكم
فقالوا له ان ابنك يحامي عنه بالباب فقال والله ما اكره ان يقتل عثمان ولو بدئ بابني وحالهما في التحريض مشهور
واما عائشة فروى انها كانت تقول اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا واما الغضب الذي وقع منها فلتة فجعل
فالسبب الظاهر هو اختصاصه بمال المسلمين قرابته وبني ابيه هو السبب العام في قيام الناس عليه ونفرتهم
عنه وساير الاحداث مقويات لذلك وروى انه صعد المنبر يوما وقد غص المسجد باهله فدلت بعضا من وراء
ستر فيها نعلان وقميص وقالت هذان نعلا رسول الله صلى الله عليه وآله وقميصه لم يبل وقد بدلت دينه
وغيرت سنته واغلظت له في القول واغلظ لها وكان ذلك اقوى منها من شد ما حرض الناس على قتله والجملة
فحالها ولاء الثلاثة في التحريض على قتله كان اشهر من ان يحتاج الى ذكره وتقدير كبرى القياس وكل من كان كذلك
كان اولى بالدخول في دمه وانسب الى التحريض عليه وقوله فاتيح له قوم فقتلوه وبعضهم متى نسبه لاجتماع الناس
على قتله الى التقدير الالهى لينصرف اذهان السامعين بهذه النسبة الصادقة عن نسبة ذلك اليه عليه السلام
وافاد لطيفة ان نسبه عليه السلام انما هي الفعل المفعول ولم يقل اتاح الله له لو اتاح الشيطان له في
بذلك الفرعيات وقوله وبايعني الى قوله مخيرين صغرى قياس ضمير بين فيه خروج اصحاب الجمل من طاعته
ودخولهم في رذيلة الغدر ونكث العهد المستلزمة لدخولهم في عموم قوله تعالى والذين ينقضون عهد الله

من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض الاية وقوله فمن نكث فانما ينكث
على نفسه الاية وتقدير الكبرى وكل من بايعه الناس طايعين مخيرين فلا يجوز لهم ان ينكثوا بيعته ويحاربوه للامرين
المذكورين وفي نسخة الرضي رحمه الله مستكرهين بكسر الراء بمعنى كارهين يقال استكرهت الشى اى كرهته وقوله
واعلموا الى قوله المرجل اعلام لاهل الكوفة باضطراب حال المدينة واهلها حين علموا بمسير القوم الى البصرة
للفتنة وغرضه من ذلك الاعلام ان يهتموا همة لحوانهم المؤمنين وقيل يحتمل ان يريد بدار الهجرة دار الاسلام وبلاده
وكنى بقلعها باهلها وقلعهم بها عن اضطراب امورهم بها وعدم استقرار قلوبهم من ثوران هذه الفتنة واستعار
لفظ الجيش ملاحظة لشبهها بالقدر في حال غليانها فان اضطراب الناس وحركاتهم من هذه الفتنة يشبه ذلك
وكذلك نبههم بذكر الفتنة والحرب وقيامها على قطبها ليستعدوا لها وينفروا اليها ولذلك اردفه بالامر
بسرعة المسير الى اميرهم يعني نفسه وان يبادروا جهاد عدوهم وذكر لفظ القطب وقيامها عليه تشبيها على الشر
وعلمت ان وجه استعارة الرحى للحرب هو مشابهتها في دورانها على من تدور عليه كما يشمل دوران الرحى على الحب
وتطحنه وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام بعد فتح البصرة وجزاكم الله من اهل مصر عن بيت نبيكم
احسن ما يجزي العاملين بطاعته والشاكرين لنعمته فقد سمعتم واطعتم ودعيتم فاجبتم اقول يشبه ان يكون
المخاطب لاهل الكوفة من ها هنا البيان الحبس من الضمير المنصوب في جزاكم وقد دعا الله لهم ان يجزيهم بنظر
اهل بيت نبيه احسن الجزاء وشكرهم لنعمته من جهة علمهم بطاعته وقوله فقد سمعتم الى امر الله واطعتموه ودعيتم
الى نصرة دينه فاجبتم داعيه واعلم حذف المفعولات هنا لان الغرض ذكر الافعال دون نسبتها الى المفعول بها
او للعلم بها ومن كتاب له عليه السلام لشريح بن الحرث قاضيه روى ان شريح بن الحرث قاضي امير المؤمنين عليه السلام اشترى
على عهده دارا بثمانين دينارا فبلغه عليه السلام ذلك فاستدعى شريحا وقال له بلغني انك ابتعت دارا بثمانين
دينارا وكتبت كتابا واشهدت فيه شهودا فقال شريح قد كان ذلك يا امير المؤمنين قال فنظر اليه عليه السلام
نظر مغضب ثم قال له يا شريح اما انه سياتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسالك عن بينتك حتى يخرجك منها
شاخصا ويسلمك الى قبرك خالصا فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك او نقدت الثمن من غير
حلالك فاذا انت قد خسرت دار الدنيا ودار الاخرة اما انك لو كنت اتيتني عند شرائك ما اشتريت لكتبت لك
كتابا على هذه النسخة فلم ترغب في شراء هذه الدار بدرهم فما فوقه والنسخة هذا ما اشترى عبد ذليل من
قد ازعج للرحيل اشترى منه دارا من دار الغرور من جانب الفانين وخطة الهالكين ويجمع هذه الدار حدود
اربعة الحد الاول ينتهي الى دواعي الافات والحد الثاني ينتهي الى دواعي المصيبات والحد الثالث ينتهي الى
الهوى المردى والحد الرابع ينتهي الى الشيطان المغوي وفيه يشرع باب هذه الدار اشترى هذا المغتر بالامل
من هذا المزعج بالاجل هذه الدار بالخروج من عز القناعة والدخول في ذل الطلب والضراعة فما ادرك
هذا المشتري فيما اشترى من درك فعلى مبلبل اجسام الملوك وسالب نفوس الجبابرة ومزيل ملك الفراعنة

مثل كسرى وقيصر وتبع وحمير ومن جمع المال على المال فاكثر ومن بنى وشيد وزخرف ونجد وادخر واعتقد ونظر بزعمه
للولد اشخاصهم جميعا الى موقف العرض والحساب وموضع الثواب والعقاب اذا وقع الامر بفصل القضاء وخسر هنالك
المبطلون شهد على ذلك العقل اذا خرج من اسر الهوى وسلم من علايق الدنيا اقول هو شريح بن الحرث الكندي
استقضاه عمر على الكوفة ولم يزل بها بعد ذلك قاضيا خمسا وسبعين سنة لم يتعطل فيها الا سنتين وقيل اربع سنين
استعفى الحجاج فيهما من القضاء في فتنة ابن الزبير واعفاه والبينة الحجة وتخص من البلاء رحل عنها والخطة الارض
يحيطها الرجل ويعلمها بخط ليبنيها دارا ومنه خطط الكوفة والبصرة والمردي المهلك والضراعة مصدر قولك
ضرع ضراعة اى ذل وخضع والدرك التبعة واصل البلبلة الاضطراب والاختلاط وافساد الشي بحيث يخرج عن حد
الانتفاع به وكسرى لقب ملك الفرس كاسم الحبش لكل ملك منهم وكذلك قيصر لملك الروم وتبع لملوك اليمن
وحمير ابو قبيلة من اليمن وهو حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وشيد رفع البناء وزخرف زين البناء بالزخرف
ونجد زين ارضه والتنجيد التزيين بالفرش والبسط ونحوها واعتقد المال والضيعة اقتناهما وغرضه الفصل التنفير
عن متاع الدنيا والتحذير عن الركون الى قنيتها وبدا فيه بتوبيخه باستثبات الامر منه بقوله بلغني الى قوله شهودا وكان
في قول شريح قد كان ذلك تاملته ثم اخذ في تنفيره عن محبة هذه الدار واقتنائها بتذكيره الموت ووعده باتيانه
وانه يخرجه منها ويخصه فيسلمه الى قبره خالصا مجردا من تلك الدار وعن كل قنية اقتناها من الدنيا ثم خوفه من
دخيلة فيها وان يكون فيه شائبة حرام وارتشاء على الاحكام مما يستلزمه ذلك من خسران الدنيا بالموت وخسران
الاخرة وشبهها باعتبار ما يلزمه من الاثام باكل الحرام واتبعه واشتريته بمعنى وروى ان تحصه فان قلت فكيف
قال فما فوقه ومعلوم انه اذا لم يرغب فيها بدرهم فبالاولى ان لا يرغب فيها بما فوقه قلت لما كان الدرهم هنا اقل
ما يحسن ان يملك به في العلم وكان الغرض انك لو اتيتني عند شرائك هذه الدار لما شريتها بشيء اصلا لم يحسن
تذكر وراء الدرهم الا ما فوقه ونحوه قول المتنبي ومن جسدي لم يترك السقم شعرة فما فوقها الا وفيها له فعل
وكان قياسه ان يقول فما دونها وفي النسخة نكتتان احدهما حسن المشتري بصفة العبودية والذلة ذكر الماعساه
يعرض لنفسه من العجب والفخر بشراء هذه الدار الثاني اطلق لفظ الميت على من سيموت بمعنى التابع مجازا اطلاقا
لما بالفعل على ما بالقوة وتنزيلا للمقتضي منزلة الواقع لغرض التحذير من الموت وازعاجه للرحيل الى الاخرة اما
ترشيح للاستعارة واشارة الى ايقاظه وتنبيهه بالاعراض والامراض وكل ما ذكره من العيب الثالث كني بدار
الغرور عن الدنيا باعتبار غرور الخلق بها وغفلتهم بما فيها عما وراءها وقوله من جانب الفانين اخص من دار الغرور
وكذلك خطة الهالكين اخص من جانب الفانين على ما جرت العادة به في كتب البيع من الابتداء بالاعم والانتهاء
في تخصيص المبيع الى امور معينة وان لم يكن هنا غرض في ذكر التخصيص في ذكر الفانين والهالكين الا التذكير بحالهم
وان هذه الدار من جانب كانوا يسكنونه وخطة كانت لهم الرابع اشار الى حدودها الاربعة وجعلها كنايات
عما يلزمها من الامور المنفرة عنها وتنتهي اليه منها فجعل الحد الاول ينتهي الى دواعي الافات واشار بها الى ان تلك

الدار لما كانت يلزمها الات لا بد منها وملامات كالمرأة والخادم والعاير وما يلزم اولئك ويكون بسببهم
من الاولاد والاتباع والقنيات وساير فضول الدنيا التي يعيد بعضها الحاجة الى بعض حتى يكون اغنى الناس فيها
اكثرهم حاجة وفقرا فكان كل واحد من هذه الامور هي دواعي الافات التي تعود اليها وتستلزمها وهي ما تنتهي
اليه الدار وتستلزمه وانما جعلها حدا اولا لانها اول اللوازم التي يحتاج اليها الدار وتعود اليها والحد الثاني
ما تنتهي اليه ويلزمها من دواعي المصيبات واشار بها الى الامور الاولى التي يحتاج الدار اليها وتستلزمها لكن
باعتبار كونها مستلزمة لما يعرض لها من الافات لما يجب بسبب ذلك من المصيبات فان كل واحد منها لما كان
في معرض الافة كالمقتني له في معرض نزول المصيبة به وكان داعيا له وقايدا اليها ولا يستلزمه دواعي الافات
لدواعي المصيبات اردفها بها وجعلها حدا ثانيا منها ويحتمل ان يكون نسبتها في الموضعين دواعي باعتبار
شهوة انها تدعو الى فعلها وايجادها وذلك الايجاد يلزمه الافات والمصيبات والحد الثالث ما ينتهي
اليه ويلزمها الهوى المردي واشار به اذ كان اقتناء الدار في الدنيا مستلزما لمحبتها ومحبة كالاتها ومتابعة
الميول الشهوية بغير هدى من الله وهو المراد بالهوى وظاهر كونه مرديا في حضيض جهنم ومهلكا فيها وجعل
الهوى هو الحد الثالث لكون تلك الدار وكمالاتها وما تدعو اليه كلها امور استلزمه للهوى والميول
الطبيعية المهلكة التي لا تنا ليتاكد بعضها بالبعض ويدعو بعضها الى البعض والحد الرابع ما ينتهي به الى
الشيطان المغوي وانما جعله هو الحد الاخير لانه الحد الابعد الذي تنتهي اليه تلك الحدود والدواعي وهو
بعد الحد الثالث اذ كان الشيطان من جهة الغواية سببا للميل النفس الى الدنيا وليعثها على متابعة هواها
واغوائه يعود الى القائه الى النفس ان الاصلح لها كذا وكذا مما هو جاذب عن سبيل الله واشار بقوله وفيه
يشرع باب هذه الدار الى كونه مبدا باعتبار ايثار الدواعي الباعثة له المستلزمة للدخول في شرائها واقتنائها
واقتنائها استلزمه ويدعو اليه والدخول في متاع الدنيا وباطلها فالشيطان كالحد وما صدر عنه والنفخ
بسببه من الدخول في امر الدار وشرائها كالباب فانظر الى ما اشتمل عليه هذا الترتيب في كلامه عليه السلام
من الحكمة التي بها يتميز عن كلام من سواه وهو في غاية التنفير عن الدنيا وسد ابواب طلبها والجذب الى الله
تعالى والارشاد الى لزوم الزهد الحقيقي الخامس وصف المشتري بالمغتر بالامل باعتبارات تطرق الى امله
الدنيا هو الذي استلزم غفلته عن الاخرة وما خلق لاجله وكان ذلك الاغترار سببا لشرائه لتلك الدار
وجعل الثمن هو الخروج عن عز القناعة والدخول في ذل الطلب والضراعة باعتبار استلزام شرائه لذلك كما
يستلزم الثمن ووجه استلزامه له اذ كانت تلك الدار كانت بالقياس الى حال شريح فضلة زايدة على قدر الحاجة
وكل فضل في قناء الانسان زيادة على قدر ضرورته فهو خروج به عن حد القناعة اذ القناعة هي الرضا والاكتفاء
على مقدار الحاجة من المال وما يحتاج اليه وعلمت ان القناعة مستلزمة لقلة الاحتياج الى الخلق والغنى عنهم
وبحسب الغنى عنهم واقليه الحاجة يكون عز القناعة والخارج عن القناعة خارج عن عزها وداخل في ذل الطلب

في معرض الافات كالامراض والموت كانت تلك الامور ٤

والضراعة للخالق لانه باعتبار ما هو خارج عن القناعة يكون كثير الحاجة الى الخالق وباعتبار ذلك يكون داخلا
في الذل والضراعة اليهم وغاية ذلك التنفير عن قنية فضول الدنيا بما يستلزمه من ذل الحاجة الى الخلق
الخامسة علوق الدرك والتبعة اللازمة في هذا البيع بملك الموت قطعا لامل الدرك وتذكيرا بالموت لما
العمل له والاقتصار على قدر الحاجة من متاع الدنيا وكونه مبلبل اجسام الملوك وسالب نفوس الجبابرة و
مزيل ملك الفراعنة تنبيه لنفوسهم في تخصيص مثل هؤلاء الملوك باخذ الموت لهم في معرض تعليق الدرك
عليه لهذا المشترى على وجوب تقضى الامل بمثل هذه الدار ونحوه من الامال المتعلقة بمطالب المنقطعة
بالموت فانه اذا كان قد قطع امال مثل هؤلاء ولم يدركوا معه شيئا فبالاولى امثالنا السابع قوله
ونظر بعين للولد اى نظر في جمع المال لولده وراه مصلحة لمن بعده وزعم الباء للتسبيب اذ كان نظر وجود
الراى لاصلح سببا له الثامنة ذكر اشخاصهم ومنتهاه وهو موقف العرض والحساب وموضع الثواب والعقاب
ترهيبا من تلك الامور والمقامات وترغيبا في العمل للاخرة والامن من شرها التاسعة قوله اذا وقع الامر
بفصل القضاء اى اذا وقع امر الله في محفل القيمة بفصل القضاء وقطع الحكم بين اهل الحق والباطل منهم وربح
المحقون وخسر هنالك المبطلون وهذا الختام مقتبس من القران الكريم العاشرة قوله في الشهادة على ذلك
العقل اذا خرج في غاية الشرف وذلك ان الشاهد بما ذكره في هذا الكتاب من اوصاف التابعين وحدود البيع
ومن يلحقه دركه وغير ذلك مما عدده ليس الا صرف العقل المبرا عن خطر الوسواس المطلق من اسر الهوى التام
من عتبة الدنيا وما يتعلق بسببها اذ كان بتجرده عن هذه العلائق صافيا من كدر الباطل فيرى الحق كما هو ويحكم
به فاما اذا كان اسيرا في يد الهوى مقهورا تحت سلطان النفس الامارة لم يكن نظره الى الحق بعين صحيحة بل
تحت ظلمات الباطل انوارها فلذلك لم تشهد بمحض الحق اذ لم تره من حيث هو حق خالص بل تشهد بالباطل
في صورة الحق تصوره كشهادته بالمصلحة في اقتناء الدنيا لنظر العاقبة الولد او خوف الفقر ونحوه مما يباح لاجله
الطلب في ظاهر الشرع ولو نظر الى الحق بعين الصدق لعلم ان الجمع للولد ليس كليتها لان رزق الولد على الله
وان الجمع لخوف الفقر تعجيل فقر واشتغال عن الواجب عليه بعزم وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام الى بعض
امراء جيشه فان عادوا الى ظل الطاعة فذاك الذي نحب وان توافت الامور بالقوم الى الشقاق والعصيان
فانهد بمن اطاعك الى من عصاك واستغن بمن انقاد معك عمن تقاعس عنك فان المتكاره مغيبه خير من مشهده
وقعوده اغنى من نهوضه اقول روى ان امير المؤمنين الذي كتب اليه هو عثمان بن حنيف عامله على البصرة وذلك
حين انتهت اصحاب الجمل اليها وعزموا على الحرب فكتب عثمان اليه عليه السلام يخبره بحالهم فكتب عليه السلام اليه
كتابا فيه الفصل المذكور وقوله انهد اى انهض والتقاعس التاخر والقعود واستعار لفظ الظل لما تستلزم
الطاعة من السلامة والراحة عن حرارة الحرب ومتاعبها التي هي ثمرات الشقاق كما يستلزم الظل الراحة
من حر الشمس وقوله وان توافت بهم الامور اى تتابعت بهم المقادير واسباب الشقاق والعصيان اليهما واعلم

انه لما

انه لما كان مقصوده عليه السلام ليس الا اجتماع الخلق على طاعة الله ليسلك بهم سبل الحق كما هو مقصود الشارع
صلى الله عليه وآله نبه على ذلك بقوله فان عادوا الى قوله نحب وقوله تعود الى المصدر الذي دل عليه عادوا او
يفهم من قوله فذاك الذي نحب حسن محبوبية عوده اى لا نحب الا ذلك ولذلك امره بمحاربة العصاة والاستغناء
بمن اطاع عليهم على تقدير مشاقتهم وعصيانهم وعلل تعيين النهوض بالمطيعين دون المتكارهين وبالمنقادين
دون المتقاعسين بان المتكاره في ذلك مغيبه خير من مشهده وقعوده اغنى من نهوضه وذلك لما يقع بسببه
من تخاذل الناس عنده وربما كذلك واقتدائهم به حتى ربما لا يكتفى بعده بمنعه بل يذكر المفاسد في الحرب
وما يستلزمه من هلاك المسلمين وكون ذلك منه وعلوه كما وقع بسببه كثير من الصحابة والتابعين عن وقائع
الجمل وصفين والنهروان فيكون في حضوره عدم المنفعة ومفسدة هي تخاذل الناس بسببه بخلاف مغيبه
اذ ليس فيه الا عدم الانتفاع به وروى خير من شهوده وكلاهما مصدر وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام
الى الاشعث بن قيس وهو عامله على اذربيجان وان عملك ليس لك بطعمة ولكنه في عنقك امانة وانت مسترعى
لمن فوقك ليس لك ان تفتات في رعية ولا تخاطر الا بوثيقة وفي يديك مال من مال الله عز وجل وانت من
خزانه حتى تسلمه الي ولعلي ان لا اكون شر ولاتك لك والسلام اقول روى عن الشعبي ان عليا عليه السلام لما قدم
الكوفة وكان الاشعث بن قيس على ثغر اذربيجان مع زياد بن مرحب الهمداني وصورة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله علي امير المؤمنين الى الاشعث بن قيس اما بعد فلولا هنات كن منك كنت المقدم في هذا الامر قبل الناس
ولعل اخر امرك يحمد اوله وبعضه بعضا ان اتقيت الله انه قد كان من بيعة الناس اياي ما قد بلغك وكان
طلحة والزبير اول من بايعني ثم نقضا بيعتي عن غير حدث واخرجا عائشة فسارا بها الى البصرة فصرت اليهم
في المهاجرين والانصار فالتقينا فدعوتهم الى ان يرجعوا الى ما خرجوا منه فابوا فابلغت في الدعاء واحسنت في
البقية واعلم ان عملك الى اخر الفصل وكتب عبيد الله بن ابي رافع في شعبان سنة ست وثلثين [illegible] من جملة
رعاياه الطعمة الماكلة والرعية المرعية فعيلة بمعنى مفعولة وافتات تفتات بالهمزة اذا استبد بالامر
المخاطرة التقدم في الامور العظام والاشراف فيها على الهلاك والوثيقة ما يوثق به في الدين ونحوه وقوله وان
عملك الى قوله بوثيقة اشارة الى قياس ضمير من الشكل الاول بين فيه انه ليس له ان يستبد في رعيته بامر من الامور
دون من استرعاه ولا ان يخاطر في شيء من امور ولا بشيء من مال وغيره الا بوثيقة ممن ائتمنه على البلاد واسترعاه
للعباد ودل على الصغرى بقوله وان عملك الى قوله لمن فوقك وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فليس له ان
يستبد بامر دون من ائتمنه واسترعاه ولا يخاطر الا بوثيقة تخلصه وثقته بها ثم بين ذلك بعض ما لا يجوز له
الاستبداد به والمخاطرة فيه وهو مال الله البلاد ونبه على وجوب حفظه بامرين احدهما انه مال الله الذي
على عباده المؤمنين والثاني انه خازنه عليه الغاية ان يحمله اليه ومن شان الخازن الحفظ وعدم التصرف فيما
يخزنه الا باذن وامر وثيق يبلغه به وقد كان الاشعث مخوفا من علي عليه السلام حين ولي الامر وجاز ما

انه لا يبقى العمل في يده لهنات سبقت منه في الدين وفي حضرة عليه السلام وقد اشرنا الى بعضها فيما سبق قوله وما يدريك
ما على حالي لمن اراده عليه السلام تسكينه فقال ولعلي لا اكون شر ولاتك لك اى شر من ولي عليك ولا بلغ
المرجى ليقيمه بين طوري الخوف والرجا وانما يكون شر ولاته عليه لو خالف الدين والاشعث يعلم ذلك منه فكان
ذلك جاذبا له الى لزوم الدين وروى انه لما اتاه كتاب علي عليه السلام دعا باصحابه وقال لهم ان علي بن
ابي طالب قد اوحشني وهو اخذي بمال اذربيجان على كل حال وانا لاحق بمعوية فقال له اصحابه الموت خير لك
من ذلك تدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذنبا لاهل الشام فاستحيا من ذلك وبلغ قوله اهل الكوفة فكتب
اليه عليه السلام كتابا يوبخه فيه ويامره بالقدوم عليه وبعث به حجر بن عدي الكندي فلامه حجر
على ذلك وناشده الله وقال له اتدع قومك واهل مصرك وامير المؤمنين وتلحق باهل الشام ولم يزل به حتى اقدمه
الى الكوفة فعرض علي عليه السلام اثقاله فوجد فيها مائة الف درهم وروى اربعمائة الف فاخذها وكان
ذلك بالنخيلة فاستشفع الاشعث بالحسن والحسين عليهما السلام وبعبد الله بن جعفر فاطلق له منها ثلثين
الفا فقال لا يكفيني فقال لست بزايدك درهما واحدا وايم الله لو تركتها لكان خيرا لك وما اظنها تحل
لك ولو تيقنت ذلك لما بلغتها عندي فقال الاشعث خذ من خدعك ما اعطاك ومن كتاب له عليه السلام الى معوية
انه بايعني القوم الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغايب
ان يرد وانما الشورى للمهاجرين والانصار فان اجتمعوا على رجل وسموه اماما كان ذلك لله رضا فان خرج
من امرهم خارج بطعن او بدعة ردوه الى ما خرج منه فان ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله
ما تولى ولعمري يا معوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني ابرا الناس من دم عثمان ولتعلمن اني كنت
في عزلة عنه الا ان تتجنى فتجن ما بدا لك والسلام اقول هذا الفصل من كتاب كتبه الى معوية مع جرير بن عبد الله
البجلي حين نزعه من همدان وصدره اما بعد فان بيعتي يا معوية لزمتك وانت بالشام لانه بايعني القوم ثم
يتلو قوله وولاه الله ما تولى تمام الاية ويتصل بها وان طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي وكان
نقضهما كردهما فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون فادخل يا معوية فيما دخل فيه
المسلمون فان احب الامور الي فيك العافية الا ان تتعرض للبلاء فان تعرضت له قاتلتك واستعنت بالله
عليك وقد اكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم الي احملك واياهم على كتاب الله
واما تلك التي تريدها فانها خدعة الصبي عن اللبن ثم يتصل به قوله ولعمري الى قوله ما بدا لك ثم يتصل به
واعلم انك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى وقد ارسلت اليك والى من
قبلك جرير بن عبد الله وهو من اهل الايمان والهجرة فبايع ولا قوة الا بالله العزلة الاسم من الاعتزال و
التجني ادعاء عليك ذنب لم تفعله فقوله اما بعد الى قوله الشام صورة الدعوى وقوله لانه بايعني الى قوله
عليه صورة صغرى قياس ضمير من الشكل الاول ينتج ملزومه لتلك الدعوى لغاية صدقها بصدق ملزومها

وتقدير

وتقدير الكبرى وكل من بايعه هؤلاء القوم فليس لمن شهد بيعتهم ان يختار غير من بايعوه ولا للغايب عنها ان يردها
ينتج انه ليس لاحد ممن حضر او غاب ان يرد بيعتهم له وذلك يستلزم كونها لازمة لمن حضر او غاب وهذه النتيجة
هي قوله فلم يكن الى قوله يرد وقوله وانما الى قوله تقرير لكبرى القياس وحصر للشورى والاجماع في المهاجرين و
الانصار لانهم اهل الحل والعقد من امة محمد صلى الله عليه فاذا اتفقت كلمتهم على حكم من الاحكام كاجماعهم على
بيعته وتسميته اماما كان ذلك اجماعا حقا هو رضى لله اى مرضيا له وسبيل المؤمنين الذي يجب اتباعه فان خالف
امرهم وخرج عنه بطعن فيهم او فيمن اجمعوا عليه كخلاف معوية وطعنه فيه عليه السلام بقتل عثمان ونحوه او بدعة
كخلاف اصحاب الجمل وبدعتهم في نكث بيعته ردوه الى ما خرج عنه فان ابا قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين
حتى يرجع اليه وولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا ثم اقسم انه على تقدير نظره بعقله دون هواه
يجده ابرا الناس من دم عثمان وانه كان حين قتل في عزلة عنه والملازمة واضحة فان القتل اما بفعل او بقول
ولم ينقل عن علي عليه السلام في امر عثمان الا انه لم يعنه وانعزل عنه بعد ان دافع عنه بيده ولسانه فلم
يكن الدفع وقوله الا ان تتجنى الى اخره استثناء منقطع اى الا ان تدعى علي ذنبا لم افعله فادع ما بدا لك اى ما ظهر
في خيالك من الذنوب والجنايات فان ذلك باب مفتوح لكل احد ومحل ما النصب بالمفعولية وانما احتج عليهم
بالاجماع والاختيار هنا على حسب اعتقاد القوم انه المعتبر في نصب الامام اذ لم يكن عندهم انه منصوص عليه والادلة على
ذلك لم يسلم له وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام اليه ايضا اما بعد فقد اتتني منك موعظة موصلة ورسالة
محبرة نمقتها بضلالك وامضيتها بسوء رايك كتاب امرئ ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده قد دعاه الهوى فاجابه
وقاده الضلال فاتبعه فهجر لاغطا وضل خابطا ومن هذا الكتاب لانها بيعة واحدة لا يثنى فيها النظر ولا يستانف
فيها الخيار الخارج منها طاعن والمروي فيها مداهن اقول هذا جواب كتاب كتبه اليه معوية صورته من معوية
ابن ابي سفيان الى علي بن ابي طالب اما بعد فلو كنت على ما كان عليه ابو بكر وعمر اذن ما قاتلتك ولا استحللت
ذلك ولكنه انما افسد عليك بيعتي خطيئتك في عثمان بن عفان وانما كان اهل الحجاز الحكام على الناس حين
كان الحق فيهم فلما تركوه صار اهل الشام الحكام على اهل الحجاز وغيرهم من الناس ولعمري ما حجتك على اهل الشام
كحجتك على اهل البصرة ولا حجتك علي كحجتك على طلحة والزبير لان اهل البصرة قد كانوا بايعوك ولم يبايعك اهل
الشام وان طلحة والزبير بايعاك ولم ابايعك واما فضلك في الاسلام وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه
واله وموضعك من بني هاشم فلست ادفعه والسلام فكتب عليه السلام جوابه من عبد الله علي امير المؤمنين الى معوية
ابن صخر اما بعد فانه اتاني كتابك كتاب امرئ الى قوله خابطا ثم يتصل به ان قال زعمت انما افسد علي بيعتك
خطيئتي في عثمان ولعمري ما كنت الا رجلا من المهاجرين اوردت كما اوردوا واصدرت كما اصدروا وما كان الله ليجمعهم على
ضلال ولا ليضربهم بالعمى وما زعمت ان اهل الشام الحكام على اهل الحجاز فهات رجلين من قريش الشام يقبلان في
الشورى او تحل لهما الخلافة فان زعمت ذلك كذبك المهاجرون والانصار والا فانا اتيك بهما من قريش الحجاز

مايبرت بين اهل الشام واهل البصرة وبينك وبين طلحة والزبير فلعمري ما الامر في ذلك الا واحد ثم يتصل به قوله
لانها بيعة عامة الى الجرة ثم يتصل به واما فضلي في الاسلام وقرابتي من الرسول وشرفي في بني هاشم فلو استطعت دفعه
لفعلت والسلم واما قوله اما بعد فقد اتتني الى قوله بسوء رايك فهو صدر كتاب آخر اجابه به معوية عن كتاب كتبه
اليه بعد الكتاب الذي ذكرناه وذلك انه لما وصل اليه هذا الكتاب من علي عليه السلام كتب اليه كتابا يعظه
فيه وصورته اما بعد فاتق الله يا علي ودع الحسد فانه طالما لم ينتفع به اهله ولا تفسد سابقة قديمك بشرة من حديثك
فان الاعمال بخواتيمها ولا تلحدن بباطل في حق من لا حق لك في حقه فانك ان تفعل ذلك لا تضل الا نفسك ولا
تمحق الا عملك ولعمري ان ما مضى لك من السوابق الحسنة لحقيقة ان تردك وتردعك عما قد اجترات عليه من سفك
الدماء واجلاء اهل الحق عن الحل والحرام فاقرا سورة الفلق وتعوذ بالله من شر ما خلق ومن شر نفسك الحاسد
اذا حسد قفل الله بقلبك واخذ بناصيتك وعجل توفيقك فاني اسعد الناس بذلك والسلام فكتب اليه علي عليه السلام
اما بعد فقد اتتني منك موعظة الى قوله سوء رايك ثم يتصل به وكتاب ليس ببعيد الشبه منك حملك على الوثوب على ما
ليس لك فيه حق ولولا علمي بك وما قد سبق من رسول الله صلى الله عليه وآله فيك مما لا مرد له دون انفاذه لوعظتك
لكن عظتي لا تنفع من حقت عليه كلمة العذاب ولم يخف العقاب ولا يرجو لله وقارا ولم يخف له حذارا فشانك وما
انت عليه من الضلالة والحيرة والجهالة تجد الله في ذلك بالمرصاد من دنياك المنقطعة وتمنيك الاباطيل وقد علمت
ما قال النبي عليه السلام فيك وفي امك وابيك والسلام ومما ينبه على ان هذا الفصل المذكور ليس من الكتاب
الاول ان الاول لم يكن فيه ذكر موعظة حتى يذكرها عليه السلام في جوابه الا ان السيد رحمه الله اسقط ما قبله الى هذا الكتاب
كما هو عادته في عدم مراعاة ذلك وامثاله ولنرجع الى المقصود فنقول المحبرة المزينة والتنميق التزيين بالكتابة
وهجر يهجر هجرا اذا هذى وافحش في منطقه واللغط الصوت والجلبة واصل الخبط الحركة على غير نظام ومنه خبط
عشواء للناقة التي ضعف بصرها والمروق المنكر والمداهنة المصانعة واظهار الرضى بالامر مع اضمار خلافه والفصل
من باب لما قرات واراد بكونها موصلة اي ملتقطة من كلام الناس ملفقة وقد نبه بالكتابة ونسبة تخبطها
الى ضلالة لان موعظته وتكلفه اياها مثله عليه السلام عن اعتقاد سلامته على طرف الحق وان عليا مخطئ كما زعم و
ظاهر ان ذلك الاعتقاد ضلال عن سبيل الله وجب ان تكلف تلك الموعظة اولا ثم لما كان جاهلا بسبك الكلام
ووضعه مواضعه وجاءت موصلة ممزقة بسبب ذلك الجهل ظهر عليها اثر الكلفة في التنميق فاستدل به على ضلاله
واستعار لفظ البصر للعقل باعتبار ان له نورا يدرك به صور المعقولات كما يدرك البصر بنوره صور المحسوسات ثم سلب
عنه البصر الذي يهديه في سبيل الله اذ كان عقله قد قصر عن ادراك حقائق الدين ومقاصده ووجوه المصالح الكلية
المطلق به الشارع فلم يكن له بصر هدية في تلك الامور ولا له قايد من امام حق وولي صالح يرشده الى سبيل الله
فلا جرم كان مجيبا الهوى اذ دعاه ومنقادا للضلالة اذ قاده الجائرة المخطية لوجه المصلحة المطلقة به تعالى فاتبعها
واستلزم ذلك ان يهجر فيقول ما لا ينبغي من القول لاغطا ويجليا وان يضل من سبيل الله خابطا في الليل

تبتي مصارع الهوان في دين الله ولاغطا وخابطا الان وقوله لانها فالضمير قبل الذكر لانه ضمير البيعة كقوله
تعالى فانها لا تعمى الابصار ويحتمل ان يرجع الى ما علم من حالها في قوله فلعمري ما الامر في ذلك الا واحد لان شان
اهل البصرة وشان اهل الشام وشان طلحة والزبير في بيعتي الا واحدا والمعنى انها كما لزمت اولئك فقد لزمتكم
ايضا ثم اشار الى الحجة في ذلك بقياس ضمير من الشكل الاول صغراه وهي كونها بيعة واحدة باتفاق المهاجرين
والانصار الذين هم اهل الحل والعقد من امة محمد عليه السلام وتقدير كبراه وكل بيعة وقعت كذلك فلا يثنى
فيها نظر ولا يستانف فيها خيار وبيان الكبرى ما سبق من حال الايمة الثلثة قبله عليه السلام اذ لم يكن لاحد ان
يستثنى في بيعتهم نظرا ولا يستانف خيارا بعد ان عقدها المهاجرون والانصار لاحدهم ثم اشار الى حكم من لم
يدخل في بيعته وهم قسمان لان من لم يدخل فيها اما ان يخرج عنها او يقف فيها فحكم الخارج ان يكون طاعنا في
صحتها وانعقادها فيجب ان يجاهد ويقاتل حتى يرجع اليها الى سبيل المومنين كما سبق وحكم الواقف فيها والمتروي
في صحتها انه مداهن وهو نوع من النفاق ومستلزم للشك في سبيل الله والمومنين ووجوبا شاعر وبالله التوفيق
ومن كتاب له عليه السلام الى جرير بن عبد الله البجلي لما ارسله الى معوية اما بعد فاذا اتاك كتابي فاحمل معوية على
الفصل وخذه بالامر الجزم ثم خيره بين حرب مجلية او سلم مخزية فان اختار الحرب فانبذ اليه وان اختار السلم فخذ بيعته والسلام
اقول روي ان جريرا اقام عند معوية حين ارسله عليه السلام اليه حتى اتهمه الناس فقال علي قد وقت لجرير وقتا لا يقيم
بعده الا غادرا او عاصيا وابطا حتى ايس منه فكتب اليه بعد ذلك هذا الكتاب فلما انتهى اليه الى معوية فاقراه
اياه وقال يا معوية انه لا يطبع على قلب الا بذنب ولا يشرح الا بتوبة ولا اظن قلبك الا مطبوعا اراك قد وقفت
بين الحق والباطل كانك تنتظر شيئا في يد غيرك فقال معوية القاك بالفصل في اول مجلس ان شاء الله ثم اخذ
في بيعة اهل الشام فلما انتظم امره لقي جريرا وقال له الحق بصاحبك واعلمه بالحرب فقدم جرير الى علي عليه السلام
البجلي منسوب الى بجيلة قبيلة والمجلية من الاجلاء وهو الاخراج عن الوطن قهرا والمخزية المهينة والمذلة وروي مجزية
بالجيم اي كافية والحرب والسلم مؤنثان لكونهما في معنى المحاربة والمسالمة والنبذ الالقاء والرمي وحاصل الامر
حمل معوية على فصل الامر وقطعه وجزم الحال بعد تخييره في احد امرين اما حرب يكون معها الجلاء واما سلم يكون
معها ذليلا مهانا مقهورا وخص ذكر الاجلاء والاهانة على التقديرين تخويفا وتهديدا واستعار بانه عليه السلام في
الامرين ظاهر فانه غالب قاهر لعله بذلك او يخشى ثم امره على تقدير اختياره الحرب ان يرميه بالاعلام بها وان
الوعيد اليه بايقاعها من قبله عليه السلام ويجهر له بذلك من غير مداهنة ومداراة كقوله تعالى واما تخافن
من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء وعلى تقدير اختياره السلم بالخذ بيعته ومن كتاب له عليه السلام واراد قومنا
قتل نبينا واجتياح اصلنا وهموا بنا الهموم وفعلوا بنا الافاعيل ومنعونا العذب واحلسونا الخوف واضطرونا
الى جبل وعر واوقدوا لنا نار الحرب فعزم الله لنا على الذب عن حوزته والرمي من وراء حرمته مومننا يبغي بذلك
الاجر وكافرنا يحامي عن الاصل ومن اسلم من قريش خلو مما نحن فيه بحلف يمنعه او عشيرة تقوم دونه فهو من

القتل بمكان امن وكان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا احمر الباس واحجم الناس قدم اهل بيته فوقى بهم اصحابه
حر السيوف والاسنة فقتل عبيدة بن الحرث يوم بدر وقتل حمزة يوم احد وقتل جعفر يوم موتة واراد من لو شئت
ذكرت اسمه مثل الذي ارادوا من الشهادة ولكن اجالهم عجلت ومنيته اخرت فيا عجبا للدهر اذ صرت يقرن
بي من لم يسع بقدمي ولم يكن له كسابقتي التي لا يدلي احد بمثلها الا ان يدعي مدع ما لا اعرفه ولا اظن الله يعرفه
والحمد لله على كل حال واما ما سالت من دفع قتلة عثمان اليك فاني نظرت في هذا الامر فلم اره يسعني دفعهم
اليك ولا الى غيرك ولعمري لئن لم تنزع عن غيك وشقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك لا يكلفونك
طلبهم في بر ولا بحر ولا جبل ولا سهل الا انه طلب يسوءك وجدانه وزور لا يسرك لقيانه والسلام لاهله
اقول هذا الفصل ملتقط من كتاب كتبه الى معوية جواب كتاب اليه وصورة كتاب معوية من معوية بن ابي
سفيان الى علي بن ابي طالب سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فان الله اصطفى محمدا
بعلمه وجعله الامين على وحيه والرسول الى خلقه واجتبى له من المسلمين اعوانا ايده بهم فكانوا في منازلهم عنده
على قدر فضائلهم في الاسلام فكان افضلهم في الاسلام وانصحهم لله ولرسوله الخليفة من بعده وخليفة الخليفة
من بعد خليفته والثالث الخليفة عثمان المظلوم فكلهم حسدت وعلى كلهم بغيت عرفنا ذلك في نظرك الشزر
وقولك الهجر وفي تنفسك الصعداء وابطائك عن الخلفاء وفي كل ذلك تقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى تبايع
وانت كاره ثم لم تكن لاحد منهم باحسد منك لابن عمك عثمان وكان احقهم ان لا تفعل ذلك به في قرابته وصهره
فقطعت رحمه وقبحت محاسنه والبت عليه الناس وبطنت وظهرت حتى ضربت اليه اباط الابل وقيدت اليه الخيل
العتاق وحمل عليه السلاح في حرم رسول الله صلى الله عليه وآله فقتل معك في المحلة وانت تسمع في داره الهايعة
لا تردع عن نفسك فيه بقول ولا فعل واقسم قسما صادقا لو قمت فيما كان من امره مقاما واحدا تنهنه الناس
عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس احدا ولمحا ذلك عندهم ما كانوا يعرفونك به من المجانبة لعثمان والبغي عليه
واخرى انت بها عند انصار عثمان ظنين ايواؤك قتلة عثمان فهم عضدك وانصارك ويدك وبطانتك وقد
ذكر لي انك تنتصل من دمه فان كنت صادقا فامكنا من قتلة عثمان لنقتلهم به ونحن من اسرع الناس اليك و
الا فانه ليس لك ولاصحابك الا السيف والذي لا اله غيره لنطلبن قتلة عثمان في الجبال
والرمال والبر والبحر حتى يقتلهم الله او لتلحقن ارواحنا بالله والسلام ثم دفع الكتاب الى ابي مسلم الخولاني
فقدم به الكوفة فكتب عليه السلام جوابه من عبد الله علي امير المومنين الى معوية بن ابي سفيان اما بعد فان اخا خولان
قدم علي بكتاب منك تذكر فيه محمدا صلى الله عليه وآله وما انعم الله عليه به من الهدى والوحي فالحمد لله الذي صدقه الوعد وتمم له النصر
ومكن له في البلاد واظهره على اهل العداوة والشنان من قومه الذين وثبوا به وشنفوا له واظهروا له التكذيب
وبارزوه بالعداوة وظاهروا على اخراجه وعلى اخراج اصحابه والبوا عليه العرب وجامعوهم على حربه وجهدوا عليه
وعلى اصحابه كل الجهد وقلبوا له الامور حتى ظهر امر الله وهم كارهون وكان اشد الناس عليه اسرته والادنى

فالادنى من قومه الا من عصم الله منهم يا ابن هند فلقد خبا لنا الدهر منك عجبا ولقد قدمت فلقت اذ
طفقت تخبرنا عن بلاء الله تبارك وتعالى في نبيه محمد صلى الله عليه وآله فينا فكنت في ذلك كجالب التمر الى هجر او كداعي
مسدده الى النضال وذكرت ان الله اجتبى له من المسلمين اعوانا ايده بهم فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم
في الاسلام فكان افضلهم في الاسلام كما زعمت وانصحهم لله ولرسوله الخليفة الصديق وخليفة الخليفة الفاروق
ولعمري ان مكانهما في الاسلام لعظيم وان المصاب بهما لجرح في الاسلام شديد يرحمهما الله وجزاهما باحسن
ما عملا غير انك ذكرت امرا ان تم اعتزلك كله وان نقص لم يلحقك ثلمه وما انت والصديق فالصديق من صدق
بحقنا وابطل باطل عدونا وما انت والفاروق فالفاروق من فرق بيننا وبين اعدائنا وذكرت ان عثمان كان
في الفضل ثالثا فان يك عثمان محسنا فسيلقى ربا غفورا لا يتعاظمه ذنب يغفره ولعمري اني لارجو اذا اعطى
الله الناس على قدر فضائلهم في الاسلام ونصيحتهم لله ولرسوله ان يكون نصيبنا في ذلك الا وفر ان محمدا صلى
الله عليه لما دعا الى الايمان بالله والتوحيد كنا اهل البيت اول من امن به وصدق ما جاء به فلبثنا احوالا
مجرمة وما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا ثم يتصل به قوله فاراد قومنا الى قوله نار الحرب ثم يتصل
به ان قال وكتبوا علينا بينهم كتابا لا يواكلونا ولا يشاربونا ولا يناكحونا ولا يبايعونا ولا نامن فيهم
حتى ندفع اليهم النبي صلى الله عليه وآله فيقتلونه ويمثلوا به فلم نكن نامن فيهم الا من موسم الى موسم ثم يتصل
به قوله فعزم الله الى قوله بمكان امن ثم يتصل به ان قال فكان ذلك ما شاء الله ان يكون ثم امر الله رسوله
صلى الله عليه وآله بالهجرة ثم امره بعد ذلك بقتال المشركين ثم يتصل به قوله فكان صلى الله عليه اذا احمر الباس الى
قوله اخرت ويتصل به ان قال والله ولي الاحسان اليهم والامتنان عليهم بما قد اسلفوا من الصالحات فما
سمعت باحد هو انصح لله في طاعة رسوله ولا اطوع لرسول الله صلى الله عليه في طاعة ربه ولا اصبر على الاذى و
الضراء وحين الباس ومواطن المكروه مع النبي صلى الله عليه من هولاء النفر الذين سميت لك وفي المهاجرين خير
كثير نعرفه جزاهم الله باحسن اعمالهم ثم قال والتمييز بين المهاجرين الاولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم
هيهات لقد حن قدح ليس منها وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها الا تربع ايها الانسان على ظلعك وتعرف
قصور ذرعك وتتاخر حيث اخرك القدر فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر وانك لذهاب في
التيه رواغ عن القصد الا ترى غير مخبر لك لكن بنعمة الله احدث ثم يتصل به اول الكلام المذكور في كتابه الى
معوية وهو من محاسن الكتب الى قوله عليه توكلت ثم يتصل به قوله من ذلك الكتاب وذكرت انه ليس لي ولاصحابي
الا السيف ثم يتصل به قوله ولعمري الى اخره وهذا خبط عجيب من السيد رحمه الله مع وجود كتبه عليه السلام في كثير
من التواريخ ولنرجع الى الشرح فنقول الاجتياح الاستيصال والهموم القصود والحلس كساء رقيق يجعل
تحت قتب البعير والوعر الصعب المرتقى والحوزة الناحية وحوزة الملك بيضته والحلف العهد بين قوم والا
محام الناخر عن الامر والحجيل بالمدينة ومهموزه بالضم اسم الارض بادي في البلقاء دون دمشق والادنى با

التقرب به ونزع عن الامر انتهى عنه والغىّ الضلال والشقاق الخلاف والزور الزايرون واعلم انه عليه السلام
اجاب عن كل فصل من كلام معوية بفصل وهذا الفصل يشتمل على ذكر بلائه وبلاء من تقرب اليه من بنى هاشم و
فضلهم فى الاسلام والكفر فى جواب تفصيل معوية لغيره عليه حيث قال فى صدر كتابه فى ذكر محمد صلى الله عليه
وآله وليجبا له من المسلمين اعوانا ايده بهم الى قوله والثالث الخليفة المظلوم عثمان عليه اللعنة وصدر هذا
الفصل من قوله ولعمرى انى لارجوا وفيه الى قوله الا وقرابتنا انه افضل الجماعة لان التنصيص لا وفرض التمام
اذا كان على قدر الفضيلة كان مثلها للافضلية وقوله ان محمدا الى قوله ونبيه لم نرك شرح لفضيلته
وفضيلة اهل بيته وتقرير لما اشار اليه من دعوى الافضلية وهو يجرى مجرى صغرى قياس ضمير من الشكل
الاول وتقديرها ان هذه الحال المشروحة من كوننا اول من امن بالله وصدق ما جاء به وعبده وصبر على الاذى
ومجاهدة اعدائه مع رسوله صلى الله عليه الصبر المشروح الى الغاية المذكورة وقد سبقت منا الاشارة الى انه
عليه السلام اول من عبد الله تعالى مع الرسول صلى الله عليه هو وخديجة ومن لحق بهم من المسلمين وانهم بقوا
على ذلك عدة سنين يتعبدون بشعاب مكة وغيرها سرا وكانت المشركون يبالغون فى اذاهم وقيل ان المشركين
بعد ظهور النبى صلى الله عليه وآله بالنبوة لم ينكر عليه قريش حتى سب الهتهم فانكروا عليه وبالغوا فى اذاه
واغروا به صبيانهم فرموه بالحجارة حتى ادموا عقبه وبالغوا فى اذى المسلمين فامرهم رسول الله صلى الله عليه
بالخروج الى الحبشة فخرج فى الهجرة اليها احد عشر رجلا منهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن
مسعود وخرجت قريش فى طلبهم ففاتوهم فخرجوا فى طلبهم الى النجاشى فلم يمكنهم منهم ولم تزل قريش يبالغون فى
اذى الرسول صلى الله عليه ويعملون الحيلة فى هلاكه وروى احمد فى مسنده عن ابن عباس قال ان الملأ من قريش
اجتمعوا فى الحجر فتعاهدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى لو قد راينا محمدا قمنا اليه قيام رجل
واحد فلا نفارقه حتى نقتله قال فاقبلت فاطمة عليها السلام حتى دخلت على النبى صلى الله عليه وآله فاخبرته بقولهم
وقالت له لو قد راوك لقتلوك وليس منهم رجل الا وقد عرف نصيبه فقال يا بنية ارينى وضوءا فتوضأ ثم
دخل عليهم المسجد فلما راوه غضوا ابصارهم ثم قالوا ها هو ذا ثم لم يقم اليه منهم احد فاقبل صلى الله عليه حتى قام
على رؤسهم فاخذ قبضة من تراب فحصبهم بها وقال شاهت الوجوه فما اصاب رجلا منهم شىء منه الا قتل يوم بدر
كافرا فذلك معنى قوله فاراد قومنا اهلاك نبينا واجتياح اصلنا الى قوله نار الحرب وقوله وهموا بنا الهموم
اى ارادوا بنا الارادات والافاعيل ارادات ايقاع الشرور بهم والافعال القبيحة وقيل اراد بالهموم الاحزان
اى هموا ان يفعلوا بنا ما يوجب الاحزان وقوله ومنعونا العذب اى طيب العيش واستعار لفظ الاحلاس
لالزامهم الخوف واشعارهم اياه ملاحظة لمشابهته بالحلس فى لزومه لهم وكذلك استعار لفظ النار للحرب
ملاحظة لشبهها بالنار فى الاذى والتلف لما يقع فيها ورشح بذكر الايقاد فاما قوله واضطرونا الى جبل وعر
وقوله وكتبوا علينا بينهم كتابا وروى انه لما اسلم حمزة وعمر وحمى النجاشى من عنده من المسلمين وفشا امر الاسلام

عن رسول الله صلى الله عليه وفشا الاسلام فى القبايل واجتهد المشركون فى اطفاء نور الله فاجتمعت قريش وايتمرت
بينهم ان يكتبوا كتابا يتعاهدون فيه على ان لا ينكحوا الى بنى هاشم وبنى المطلب ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا
ولا يبتاعوا منهم فكتبوا بذلك وثيقة وتوافقوا عليها وعلقوها فى جوف الكعبة توكيدا لذلك الامر على انفسهم
فلما فعلوا ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطلب الى ابى طالب فدخلوا معه فى شعبه وخرج من بنى هاشم ابو لهب
وظاهر المشركين وقطعوا عنهم الميرة والمارة وحصروهم فى ذلك الشعب اول سنة سبع من النبوة فكانوا
لا يخرجون الا من موسم الى موسم حتى بلغهم الجهد وسمع صوت صبيانهم من وراء الشعب من شدة الجوع فمن قريش
من سره ذلك ومنهم من ساءه فاقاموا على ذلك ثلاث سنين حتى اوحى الله الى رسوله صلى الله عليه ان الارضة قد
اكلت صحيفتهم ومحت منها ما كان فيها ظلم وجور وبقى منها ما كان ذكرا لله فاخبر بذلك عمه ابو طالب فامر ابو طالب
قريشا فعلمها بذلك فجاء اليهم فقال ان ابن اخى اخبرنى بكذا وكذا فان كان صادقا فانزعوا عن سوء رايكم
وان كان كاذبا دفعته اليكم فقتلتموه او استحييتموه فقالوا قد انصفتنا فارسلوا الى الصحيفة فوجدوها
كما اخبر صلى الله عليه فسقط فى ايديهم وعرفوا انهم بالظلم والقطيعة فذلك معنى قوله واضطرونا الى الجبل الوعر
الى الحرب وقوله فعزم الله لنا اى اراد لنا الارادة الجازمة منه واختار لنا ان نذب عن حوزة الاسلام ونحمى حرمه
ان ينتهك وكنى عن جانبها بالرمى من ورائها وقوله مؤمننا الى قوله عن الاصل فكنا باجمعنا نذب عن دين الله ونحمى رسوله
فكان المؤمن منا يريد بذلك الاجر من الله ومن كان حينئذ على كفره كالعباس وحمزة وابى طالب على قول فانهم
كانوا يمنعون عن رسول الله صلى الله عليه مراعات لاصلهم وقوله ومن اسلم من قريش الى قوله قالوا وفى قوله ومن
الحال اى كنا على تلك الحال من الذب عن دين الله حال ما كان من اسلم من قريش عدا بنى هاشم وبنى عبد المطلب
خالين مما نحن فيه من البلاء آمنين من الخوف والقتل فمنهم من كان له حلف وعهد من المشركين يمنعه ومنهم من كان
له عشيرة تحفظه وبذلك يظهر فضله عليه السلام وفضيلة بنى المطلب وبلاؤهم فى حفظ رسول الله صلى الله عليه
ثم لما امر الله بقتال المشركين كان تقدم اهل بيته فوقى بهم اصحابه حر السيوف واسنة الرماح وكنى باحمرار البأس
عن شدة الحرب فان البأس فيها يستلزم ظهور حمرة الدماء وان كان استعمال هذا اللفظ لم يبق تلك الملاحظة فى
الكناية ومنه موت احمر كناية عن شدته وذلك فى الحرب ايضا وما يستلزم ظهور الدماء وبوادر من حيث يحاولها
واما عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب فقتله عتبة بن ربيعة وذلك انه لما التقى المسلمون والمشركون ببدر برز عتبة بن
ربيعة واخوه شيبة وابنه الوليد وطلبوا المبارزة فخرج اليهم رهط من الانصار فقالوا ردوا علينا اكفاءنا من المهاجرين فقال
رسول الله صلى الله عليه وآله قم يا حمزة قم يا عبيدة قم يا على فبادر عبيدة وهو اسن القوم عتبة بن ربيعة وبادر حمزة شيبة
وبادر على الوليد فقتل على وحمزة قرنيهما واختلف عبيدة وعتبة بضربتين فكلاهما اثبت صاحبه وكر حمزة وعلى
على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة فجاءا به الى رسول الله صلى الله عليه وقد قطعت رجله ومخها يسيل فقال يا رسول الله
الست شهيدا قال بلى فقال ابو عبيدة لو كان ابو طالب حيا لعلم انا احق بما قال منه حيث يقول ونسلمه حتى نصرع حوله

ونذهل عن ابنائنا والحلايل واما حمزة بن عبد المطلب فقتله وحشى فى وقعة احد بعد وقعة بدر فى سنة ثلث من
الهجرة وكان سببها ان المنهزمين من حضر بدرا من المشركين الى مكة وجدوا العير التى قدم فيها ابو سفيان موقوفة فى دار
الندوة فمشى اشراف قريش ومشى الى ابى سفيان فقالوا نحن طيبوا الانفس بان تجهز بربح هذه العير الى محمد فقال ابو سفيان
انا اول من اجاب الى ذلك ومعى بنو عبد مناف فباعوها وكانت الف بعير وكان المال خمسين الف دينار فسلم الى اهل
العير رؤس اموالهم وعزلت الارباح وبعثوا الرسل الى العرب يستنفرونهم فاجتمعوا فى ثلثة الاف فيهم سبع مائة
دارع ومائتا فرس وثلثة الاف بعير وبات بجماعتها رسول الله صلى الله عليه ورأى فى نومه كانه درع فى حصينه
وكان سيفه ذو الفقار قد انقصم وكان بقرا تذبح وكانه مردف كبشا وقال اما الدرع فالمدينة والبقر فقتل بعض
اصحابه وانقصام سيفه مصيبة فى نفسه والكبش كبش الكتيبة يقتله الله فكان المصيبة ان رماه عتبة بن ابى وقاص
بحجر فدق رباعيته وهشم انفه وكلم وجهه وقيل الذى فعل ذلك عمرو بن قمية وكان ذلك اليوم صعبا على المسلمين
وروى ان هندا قامت فى ذلك اليوم فى نسوة معها تمثل بقتلى المسلمين وتجدع الاذان والانوف حتى اتخذت منها
قلائد ونقرت عن كبد حمزة ولاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها ومن ثم سمى معوية ابن آكلة الاكباد واما جعفر
بن ابى طالب فقتل فى وقعة مؤتة وكانت هذه الوقعة فى جمادى الاولى سنة ثمان من الهجرة وكان من سببها ان رسول
الله صلى الله عليه بعث الحرث بن عمير الازدى الى ملك بصرى فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فقتله
ولم يقتل لرسول رسول قبل ذلك فشق عليه صلى الله عليه ذلك فندب المسلمين وعسكر فى ثلثة الاف وقال امير كم زيد بن
حارثة فان قتل فجعفر بن ابى طالب فان قتل فعبد الله بن رواحة فان قتل فليرتض المسلمون منهم رجلا يجعلوه اميرهم ان يأتوا
مقتل الحرث بن عمير ويدعوا من هناك الى الاسلام فان اجابوا والا قاتلوهم فسمع العدو بهم فجمع لهم
شرحبيل اكثر من مائة الف فمضوا الى مؤتة فوافاهم المشركون فاخذ اللواء زيد فقاتل حتى قتل ثم اخذه جعفر فقاتل
حتى قطعت يداه وقيل ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين فوجد فى احد نصفيه احد وثمانون جرحا وسماه رسول الله
صلى الله عليه الجناحين يطير بهما فى الجنة لقطع يديه يومئذ وقوله واراد من لو شئت ذكرت اسمه الى قوله لحين اشارة
الى نفسه اذ كان لكل امرء اجل موقوف به فاذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ولما اشار الى
افضليته واهل بيته ارادفه بالتعجب من الدهر حيث انتهج اعداءه وفعله الى ان صار بحيث يقرن به فى الذكر وامر
من ليس له مثل سابقته فى الفضيلة التى لا يعرف احدا الى الله مثلها وقوله الا ان يدعى مدع ما لا اعرفه اراد
معوية وبما لا يعرفه ما عساه يدعيه من الفضيلة فى الدين والسابقة فى الاسلام وقوله ولا اظن الله يعرفه نفى ظن
معرفة الله لذلك المدعى لانه لما نفى ان يكون لذلك المدعى فضيلة يعرفها نفى ايضا عن نفسه ظن معرفة الله لها وهى
اشارة الى انه لا وجود لتلك الفضيلة وما لا وجود له امتنع ان يعرف الله تعالى وجوده ولما اشار الى افضليته وعدم
الفضيلة المنافرة حمد الله فحمد الله على كل حال والاستثناء هنا منقطع لان الدعوى ليست من جنس السابقة
واما جوابه لسؤال قتلة عثمان فحاصله يعود الى انه عليه السلام فكر فى امرهم فراى انه لا يسعه تسليمهم الى

لا معوية ولا الى غيره لذلك من وجوه احدها ان تسليم الحق الى ذى الحق عند المنافرة انما يكون بعد تعيين المدعى له
وثبوت الحق عليه وانما يكون ذلك بعد مرافعة الخصمين الى الحاكم واقامة البينتين بالدعوى او الاعتراف من المدعى
عليه ومعلوم ان معوية ومن طلب بدم عثمان لم يفعل شيئا من ذلك ولذلك قال عليه السلام لمعوية فى موضع
آخر واما طلبك الى قتلة عثمان فادخل فيما ادخل الناس فيه ثم حاكم القوم الى احملك واياهم على الحق الثانى ان القوم الذين
رضوا بقتله او شركوا فى ذلك كانوا على حد من الكثرة وفيهم المهاجرون والانصار كما روى ان ابا هريرة وابا الدرداء
اتيا معوية فقالا له علام تقاتل عليا وهو احق بالامر منك لفضله وسابقته فقال لست اقاتله لانى افضل منه
ولكن ليدفع الى قتلة عثمان فخرجا من عنده واتيا عليا فقالا له ان معوية يزعم ان قتلة عثمان عندك وفى عسكرك
فادفعهم اليه فان قاتلك بعدها علمنا انه ظالم لك فقال على انى لم احضر قتل عثمان يوم قتل ولكن هل تعرفان من
قتله فقالا بلغنا ان محمد بن ابى بكر وعمارا والاشتر وعدى بن حاتم وعمرو بن الحمق وفلانا وفلانا ممن دخل عليه
فقال على فامضيا اليهم فخذوهم فاقبلا الى هؤلاء النفر وقالا لهم انتم من قتلة عثمان وقد امر امير المؤمنين باخذكم
قال فوقعت الصيحة فى العسكر بهذا الخبر فوثب من عسكر على اكثر من عشرة الاف رجل فى ايديهم السيوف وهم يقولون
كلنا قتله فبهت ابو هريرة وابو الدرداء فرجعا الى معوية وهما يقولان لا يتم هذا الامر ابدا واخبراه بالخبر فاذا كان
القاتلون والمتعصبون لهم بهذه الكثرة فكيف يمكنه عليه السلام تسليمهم وتمكين احد منهم الثالث انه كان فى جملة
الصحابة المشهود لهم بالجنة من يرى ان عثمان كان يستحق القتل باحداثه كما روى ان نصر بن مزاحم ان عمارا فى بعض ايام
صفين قام فى اصحابه وقال امضوا معى عباد الله الى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم انما قتله الصالحون المنكرون
للعدوان الامرون بالاحسان فقال هؤلاء الذين لا يبالون لو سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين لم قتلتموه
فقلنا لاحداثه فقالوا ما احدث شيئا وذلك لانه كان امكنهم من الدنيا فهم ياكلونها ويرعونها ولا يبالون لو انهدت
عليهم الجبال واذا اعترف مثل هذا الرجل على جلالته بالمشاركة فى قتله وعلل ذلك باحداثه احتمل ان يقال انه
عليه السلام فكر فى هذا الامر فراى ان هذا الجمع العظيم من المهاجرين والانصار والتابعين لا يجوز ان يقتلوا
برجل واحد احدث احداثا نقموها عليه جلة المسلمين وقد استعتب مرارا فلم يرجع فادى ذلك الى قتله ولم يسعه تسليمهم
الى من يطلب بدمه لما يستلزمه ذلك من ضعف الدين ووهنه فراقم عليه السلام مهوداً الرابع طلب عن القوم انه لم
يحج من ضلاله الطريق الحق من طرق الباطل ويترك خلافه ليكونوا هم الطالبين له ويجعل يطلبونك النصب مفعولا
ثانيا لتعرفهم بمعنى تعلم وباقى الكلام من تمام التهديد ومراده بالزور المصعد وبذلك قد صيرهم فى لقيانه ويحمل ان
يريد الزايرين وافرد الضمير نظرا الى افراد اللفظ وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام الى معوية** وكيف انت صانع
اذا انكشفت عنك جلابيب ما انت فيه من دنيا قد تبهجت بزينتها وخدعت بلذتها دعتك فاجبتها وقادتك فاتبعتها
وامرتك فاطعتها وانه يوشك ان يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجن فاقعس عن هذا الامر وخذ اهبة الحساب
وشمر لما قد نزل بك ولا تمكن الغواة من سمعك والا تفعل اعلمك ما اغفلت من نفسك فانك مترف قد اخذ الشيطان

منك ماخذه وبلغ فيك امله وجرى منك مجرى الروح والدم ومتى كنتم يا معوية ساسة الرعية وولاة الامر بغير قدم سابق ولا شرف باسق ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء واحذرك ان تكون متماديا في غرة الامنية مختلف العلانية والسريرة وقد دعوت الى الحرب فدع الناس جانبا واخرج الي واعف الفريقين من القتال لتعلم اينا المرين على قلبه والمغطى على بصره فانا ابو حسن قاتل جدك وخالك واخيك شدخا يوم بدر وذلك السيف معي وبذلك القلب القى عدوي ما استبدلت دينا ولا استحدثت نبيا واني لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين ودخلتم فيه مكرهين وزعمت انك جئت ثائرا بدم عثمان ولقد علمت حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك ان كنت طالبا فكاني قد رايتك تضج من الحرب اذا عضتك ضجيج الجمال بالاثقال وكاني بجماعتك تدعوني جزعا من الضرب المتتابع والقضاء الواقع ومصارع بعد مصارع الى كتاب الله وهي كافرة جاحدة او مبايعة حائدة **اقول** اول هذا الكتاب من عبد الله علي امير المؤمنين الى معوية بن ابي سفيان سلام على من اتبع الهدى فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فانك رايت من الدنيا ما اصاب العباد الصالحون فيها منها ومن نفس الدنيا ثبات الاخرة تجد بينهما بونا بعيدا واعلم انك يا معوية انك قد ادعيت امرا لست من اهله لا في القدم ولا في البقية ولا في الولاية ولست تقول فيه بامر بين يعرف ذلك فيه اثره ولا لك عليه شاهد من كتاب الله ولا عهد تعهده من رسول الله صلى الله عليه وآله ثم يتصل بقوله فكيف انت صانع والجلباب المحفة وتحت عنفت وتزينت وبوشك بالكوير وقيفه على دنياك اطلع عليه المجون الترش ورذي منح وقعس اي تاخر والاهبة العدة وهو ما يهيا للامر ويستعد به وشمر توبه رفعه والاغفال الاهمال والترك والمترف الذي اطغته النعمة والباسق العالي والتمادي في الامر تطويل المدة فيه والغرة الغفلة والامنية ما يتمنى والرين الغلبة والتغطية والرين على قلبه من غلبت عليه الذنوب وغطت عين بصيرته الملكات الردية والشدخ كسر الشيء الاجوف والثائر الطالب بالدم والضجيج الصياح والحائدة العادلة وقد استفهم عن كيفية صنعه عند مفارقة نفسه لبدنه استفهام تنبيه له على غفلته عما وراه من احوال الاخرة وتذكيرا بها واستعار لفظ الجلابيب للذات التي له في الدنيا بباطلها وزينتها ووجه الاستعارة كون تلك اللذات ومتعلقاتها احوالا ساترة بينه وبين ادراك ما وراه من احوال الاخرة مانعة له من ذلك كما يستر الجلباب ما وراه ورشح الاستعارة بذكر الكشف ولفظ ما كل جثه بقوله من دنيا مع ساير صفاتها وهي بهجتها وزينتها واسند اليها التبهج مجازا اذ الجاعل لها ذات بهجة ليس نفسها بل الله تعالى وفي قوله وخدعت مجازا في الافراد والتركيب اما الافراد فلان حقيقة الخدعة ان يكون من انسان لغيره فاستعملها هاهنا في كون الدنيا بسبب ما فيها من اللذات موهمة لكونها مقصودة بالذات وانها كمال حقيقي مع انها ليست كذلك وذلك يشبه الخدعة واما في التركيب فلان كونها موهمة لذلك ليس من فعلها بل من سبب اخرى تنتهي الى الله سبحانه وكذلك التجوز في قوله دعتك وقادتك وامرتك فان الدعا والقود والامر هاهنا حقايق معلومة لكن لما كانت تصورات كمالها اسبابا جاذبة لها اشبهت تلك التصورات الدعا في كونها جاذبا الى الداعي فاطلق عليها لفظ الدعا وكذلك اطلق على تلك التصورات لفظ القود والامر باعتبار

وشيعها باهل بن اسحق مهما رسنون بن اب العفيف (marginal note, partly legible)

كونها اسبابا مستلزمة لاتباعها كما ان الامر والقود يوجبان الاتباع واما في التركيب فلان تلك التصورات التي اطلقنا عليها لفظ الدعا والقود والامر مجازا ليس فاعلها وموجبها هو الدنيا بل واهب العلم فلما كانت اجلة الدنيا واتباعها وطاعتها معاصي تخرج الانسان بها عن حد ود الله ذكرها في معرض التوبيخ وقوله وانه يوشك تذكير بقرب اطلاعه على ما يخاف من احوال الاخرة والوصول اليه اللازم عن لزوم المعاصي وهو في معرض التحذير له والتنفير عن اصراره على معصية الله بادعائه ما ليس له اي يقرب ان يطلعك مطلع على ما لابد لك منه مما تخاف من الموت وما يستلزمه مما يليك من لحوق العذاب وظاهر ان تلك امور غفلت عنها العصاة في الدنيا ما داموا في حجب الابدان فاذا انزعت عنهم تلك الحجب اطلعوا على ما قدموا من خير او شر وما اعد لهم بحسبه لذلك من سعادة او شقاوة كما اشار اليه سبحانه بقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية وقد مرت الاشارة الى ذلك غير مرة وذلك المطلع والموقف هو الله سبحانه ويحتمل ان يريد به نفسه عليه السلام على سبيل التوعد له والتهديد بالقتل المستلزم لذلك الاطلاع اتكالا على غيره وظاهر ان تلك الامور التي يقف عليها لا ينجيه منها منج ثم اردف ذلك التوبيخ والتهديد بالعرض لما منهما وهو امره بالتاخر عن امر الخلافة ثم اردف ذلك بما يستلزم التخويف والتهديد فامره باخذ الاهبة للحساب والاستعداد له بعدته وهي طاعة الله وتقواه ومجانبة معاصيه بالتشمر لما قد نزل به وكنى بالتشمر عن الاستعداد ايضا وما نزل به اما الموت او القتل وما بعده تنزيلا لما لابد من وقوعه في مظنته الواقع منزلة الواقع ويحتمل ان يريد به الحرب التي يريد ان يوقعها به ثم نهاه عن تمكين الغواة من سمعه وكنى به عن اصغائه اليهم فيما يشيرون به عليه من الاراء المستلزمة للبقاء على المعصية اذ من شان الغاوي الاغواء والغواة كعمرو بن العاص ومروان ومن كان يعتضد به في الراي وقوله والا تفعل اي ان لم تفعل ما امرتك به اعلمك ما اغفلت من نفسك ومفعول تركت محذوف اي تركته وقوله من نفسك بيان لعوائك الضمير في تغفل واغفال النفس تركا لعملها بما يخلصها من اهوال الحرب وعقاب الاخرة وهو ملازمة طاعة الله واقتناء الفضائل النفسانية ويفهم من ذلك الاعلام الذي توعده به الاعلام بالفعل فان مصائبه بالحرب والقتال يستلزم اعلامه ما اغفل من نفسه من طاعة الله المستلزمة للراحة وقوله فانك الى قوله الدم وصفه بما يستلزم اعلامه بالقول ما اغفل من نفسه فالترف مستلزم لتجاوز الحد الذي ينبغي ويترك وذلك الحد فضيلة العفة وكون الشيطان اخذ منه ماخذه وبلغ فيه امله وجرى منه مجرى الروح والدم في العرب يستلزم وصفه بكل الرذايل المستلزمة لترك اضدادها من الفضائل ثم اخذ في استفهامه عن وقت كون بني امية ساسة الرعية وولاة امر الامة استفهاما على سبيل الانكار لذلك والتقريع بالخمول والقصور عن رتبة الملوك والولاة والقدم السابق كناية عن التقدم في الامور والاهلية لذلك وبتر بقوله بغير قدم سابق على ان سابقة الشرف والتقدم في الامور شرط لتلك الاهلية في المتعارف وهو في قوة صغرى ضمير من الشكل الاول تقديرها وانتم بغير قدم سابق وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فليس باهل لسياسة الرعية وولاة امر الامة ينتج انكم لستم اهلا

لذلك وهو عين ما انكره بقيته وظاهر انهم لم يكن فيهم من اهل الشرف اهل لذلك ثم استعاذ من لزوم ما سبق في القضا الالهي من الشقا تنبيها على ان معوية في معرض ذلك وبصدده لما هو عليه من المعصية وتبعيد له عنها ثم حذره من امرين احدهما تماديه في غفلة الاطماع والاماني الدنيوية والثاني في كونه مختلف العلانية والسريرة وكنى بذلك عن النفاق ووجه التحذير ما يستلزمانه من لزوم الشقاوة في الاخرة وقد كان معوية دعاه الى الحرب واجابه بجواب مسكت وهو قوله فدع الناس الى قوله ورثة عثمان وانتصب جانبا على الظرف ولما جعل مبادرته له سببا للعلم بانه مغطى على قلبه وبصره بصيرته بحجب الدنيا وجلابيب حياتها كما ان من لوازم العلم باحوال الاخرة وفضلها على الدنيا الثبات والمبادرة في طلبها وان ادى الى القتل حتى يتمنى كون محبة القتل من لوازم ذلك العلم ايضا وقد كان عليه السلام يعلم من حال الرائي انه لا يثبت له وهو منه مجنبة للبقاء في الدنيا فلذلك دعاه الى المبارزة ليعلم بانقدامه عليه وفراره منه انه ليس طالبا للحق وطريق الاخرة في قتاله وان حجب الشهوات الدنيوية قد غطت عين بصيرته عن احوال الاخرة وطلبها فكان فراره منه مستلزما العدم علمه بالاخرة المستلزم للرين على قلبه وعلامة الرين عليه وفي ذلك تهديد وتخويف وكذلك في اعتزائه له وافتخاره وتذكيره بكونه قاتل من قتل من اهله شدخا يوم بدر في معرض التخويف والتحذير له ان يصيبه ما اصابهم ان اصر على المعصية وجده المقتول هو جده لامه عتبة بن ربيعة فانه كان ابا هند وخاله الوليد بن عتبة واخوه هو حنظلة بن ابي سفيان قتلهم جميعا عليه السلام يوم بدر وكذلك تذكيره ببقاء ذلك السيف والقلب معه يلقى بهما عدوه وبكونه لم يستبدل دينا ولا نبيا وانه على المنهاج الذي تركوه طائعين ودخلوه مكرهين وهو طريق الاسلام الواضح كل ذلك في معرض التخويف والتحذير والتوبيخ بالنفاق ثم اشار الى الشبهة التي كانت سببا لثوران الفتن العظيمة واشتغاب امر الدين وهي شبهة الطلب بدم عثمان التي كانت عمدته في عصيانه وخلافه واشار الى الجواب عنها بوجهين احدهما انه عليه السلام ليس من قتلة عثمان فلا مطالبة عليه وانما تتوجه المطالبة على قاتليه وهو يعلمهم الثاني المنع بقوله ان كنت طالبا بدم عثمان ثم عقب بتخويفه بالحرب بما تستلزمه من الشدائد الغائية المذكورة وهاهنا ثلث تشبيهات احدها المدلول عليه بقوله فكاني قد رايتك والمشبه هاهنا نفسه عليه السلام في حال كلامه هذا والمشبه به هو ايضا نفسه لكن من حيث هي رائية لتحققه وتحقيق ذلك ان نفسه لكمالها واطلاعها على الامور التي سيكون كانها مشاهدة لها ووجه التشبيه بينها بالقياس الى حاليها جلاء المعلوم وظهوره له في الحالين الثاني قوله تضج ضجيج الجمال بالاثقال ووجه الشبه شدة تبرمه وعجزه من ثقلها كشدة تبرم الجمل بالحمل وضجيجه كناية عن تبرمه واستعار لفظ العض لفعلها ملاحظة لشبهها بالسبع العقور ووجه المشابهة استلزامها للاثقال للالم كاستلزام العض له الثالث قوله وكاني بجماعتك والمشبه هنا ايضا نفسه والمشبه به ما دلت عليه بالالصاق فكانه قال كاني متصل وملتصق بجماعتك حاضر معهم ومحل يدعوني النصب على الحال والعامل ما في ذلك من معنى الفعل اي اشبه نفسي بالحاضر حال دعائهم له وجزعا مفعول له ويجوز بلفظ القضا

في المقتضي من الامور التي توجد عن القضا الالهي اطلاقا لاسم السبب على المسبب وقوله مصارع بعد مصارع والمصرع هنا مصدر اي صرعا من مصارع تلحق بعضهم بعد بعض وتلحقهم بعد مصارع ابائهم السابقة وقد كان الاطلاع عليه السلام على دعائهم له الى كتاب الله قبل وقوعه من ايات الباهرة والواو في قوله وهي للحال والعامل فيه يدعوني والكافرة الجاحدة للحق من جماعته اشارة الى المنافقين منهم وقد كان فيهم جماعة كذلك والمبايعة الحائدة الذين بايعوه وعدلوا عن بيعته الى معوية **ومن وصية له عليه السلام وصى بها جيشا بعثه الى العدو** فاذا نزلتم بعدو او نزل بكم فليكن معسكركم في قبل الاشراف او سفاح الجبال او اثناء الانهار كيما يكون لكم ردا ودونكم مردا ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد او اثنين واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال ومناكب الهضاب لئلا ياتيكم العدو من مكان مخافة او امن واعلموا ان مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلايعهم واياكم والتفرق فاذا نزلتم فانزلوا جميعا واذا ارتحلتم فارتحلوا جميعا واذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفة ولا تذوقوا النوم الا غرارا او مضمضة **اقول** هذا الفصل ملتقط من كتاب كتبه عليه السلام الى زياد بن النضر الحارثي حين سرحه على مقدمته الى الشام من النخيلة لما اراد الخروج من الكوفة اليها وكان قد بعث معه شريح بن هاني فاختلفا فكتب كل منهما اليه يشكوا من صاحبه فكتب عليه السلام اليهما اما بعد فاني وليت زياد بن النضر مقدمتي وامرته عليها وشريح على طائفة منها امير فان جمعكما باس فزياد على الناس وان افترقتما فكل واحد منكما امير على الطائفة التي وليته عليها واعلما ان مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلايعهم فاذا انتما خرجتما من بلادكما ودنوتما من بلاد عدوكما فلا تسأما من توجيه الطلايع ومن نفض الشعاب والشجر والخمر في كل جانب كيلا يغتركما عدو ويكون لهم كمين ولا تسيرن الكتائب الا من لدن الصباح الى المساء الا على تعبية فان دهمكم داهم او غشيكم مكروه كنتم قد تقدمتم في التعبية ثم يتصل بقوله فاذا نزلتم الى قوله او امن ثم يتصل بقوله واياكم والتفرق فاذا نزلتم فانزلوا جميعا واذا ارتحلتم فارتحلوا جميعا واذا غشيكم الليل فنزلتم فحفوا عسكركم بالرماح والترسة ورماتكم تكون من ترسكم ورماحكم وما اقمتم فكذلك فافعلوا كيلا يصاب لكم غفلة ولا يلفى لكم غرة فما من قوم يحفون عسكرهم برماحهم وترستهم من ليل او نهار الا كانهم في حصون واحرسا عسكركما بانفسكما واياكما ان تذوقا نوما حتى تصبحا الا غرارا او مضمضة ثم ليكن ذلك شانكما الى ان تنتهيا الى عدوكما وليكن عندي كل يوم خبركما ورسول من قبلكما فاني ولا شيء الا ما شاء الله حثيث السير في اثاركما عليكما في حربكما بالتؤدة واياكما والعجلة الا ان تمكنكما فرصة بعد الاعذار والحجة واياكما ان تقاتلا حتى اقدم عليكما الا ان تبديا او ياتيكما امري ان شاء الله ولنرجع الى الشرح فنقول العين الجاسوس وطليعة الجيش الذي يبعث ليطلع على العدو ونفض الشعاب استقراؤها والخمر ما واراك من شجر وجبل ونحوهما والكمين الواحد او الجمع يستخفون في الحرب حيلة للايقاع بالعدو والكتيبة وتعبيته جمعه واعداده والدهم العدد الكثير والمعسكر بفتح الكاف موضع العسكر والاشراف جمع شرف بفتح الراء وهو المكان العالي وقبلها بضمتين وضمة وسكون هو قدامها وسفح الجبل اسفله

وايكم (marginal note)

فاذا رحلتم فارحلوا جميعا (marginal note)

الجيش (marginal note)

حيث يسفح فيه الماء وأثناء الأنهار جمع ثني وهو منعطفها والردء العون في المقاتلة والرقباء الحفظة على صياصي
الجبال وهي أعاليها وأطرافها والمضاب جمع هضبة وهي الجبل المنبسط على وجه الأرض وكفة بالكسر أي شيء
والغرار النوم القليل والمضمضة حركة النعاس في العين وهو كناية عن قلة النوم أيضا والترس جمع ترس واعلم
أن صدر الكتاب ظاهر الآن فيه نكتة وهي أنه كرر لفظ الأعقاب للنهي عن تسيير الكتائب وهما يفيدان الحصر
أما الأولى فتفيد حصر السير في الوقت المشار إليه وأما الثانية فتفيد حصره في حال التعبئة وفي هذا الكتاب
من تعليم كيفية الحرب ثم أبين كلية عظيمة النفع يستلزم استعمالها الظفر بالعدو وتفصح عن تكذيب من ادعى
أنه لا علم له بالحرب كما حكاه عليه السلام عن قريش فيما مضى وفي هذا الفصل جملة منها أحدها أن يجعلوا
معسكرهم عند منازلة العدو قدام الأماكن العالية وسفاح الجبال وأثناء الأنهار وكشف عن العلة في
ذلك ووجه المصلحة فيه بقوله كما يكون ردءا لكم أي تكون هذه الأماكن حافظة لكم من ورائكم مانعة من العدو
أن يأتيكم من تلك الجهة وبذلك كانت معينة الثاني أن يكون مقاتلتهم من وجه واحد أو اثنين ثم يكونوا قريبين
حيث يحفظ بعضهم ظهر بعض ويسرع إلى نصرته لتعاونهم على الجميع وأما المقاتلة من وجوه كثيرة فيستلزم التفرق
والضعف الثالث أن يجعلوا لهم حفظة في الأماكن العالية وعلته ذكرها وهو أن لا يأتيهم العدو من مكان مخافة
منه أو يأمنون على غرة وغفلة من الاستعداد له الرابع أن يعلموا أن مقدمة القوم عيون لهم وعيون المقدمة طلائعهم
فلا يهملوا التأهب عند رؤية المقدمة والطليعة وإن قل عددهم لأن رؤيتهم مما تشعر بهجوم العدو وفيه الخامس
التحذير من التفرق ومن لوازمه الأمر بالاجتماع حالتي النزول والارتحال وسره ظاهر السادس أن يجعلوا الرماح
سترة عليهم وأن لا يستغرقوا في النوم كما يفعله الغار المطمئن وسرهما الحراسة والتحفظ من هجوم العدو
على الغرة وحال النوم ومن وصية له عليه السلام لمعقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له
اتق الله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه ولا تقاتلن إلا من قاتلك وسر البردين وغور بالناس
ورفه في السير ولا تسر أول الليل فإن الله تعالى جعله سكنا وقدره مقاما لا ظعنا فأرح فيه بدنك وروح ظهرك
فإذا وقفت حين ينبطح السحر أو حين ينفجر الفجر فسر على بركة الله فإذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطا ولا
تدن من القوم دنو من يريد أن ينشب الحرب ولا تباعد عنهم تباعد من يهاب البأس حتى يأتيك أمري ولا
يحملنكم شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم أقول روي أنه عليه السلام بعثه من المدائن في ثلاثة آلاف
وقال له امض على الموصل حتى توافيني بالرقة ثم قال له اتق الله الفصل فخرج حتى أتى الحديثة وهي إذ ذاك منزل
الناس إنما بنى الموصل بعد ذلك محمد بن مروان ثم مضوا حتى لقوه عليه السلام بالرقة والبردان الغداة
والعشي وكذلك الأبردان والتغوير القيلولة وغور أي نزل في الغائرة وهي القائلة نصف النهار والترفيه
الإراحة والسكن ما يسكن فيه والظعن الارتحال والانبطاح الاتساع والانبساط والنشب التشبث
بالشيء والتعلق به والشنآن البغض والعداوة ولما كان معقل بن قيس متوجها للسفر إلى الله تعالى في جهاد عدوه

أمره بتقوى الله الذي هو جزء في الطريق إليه وفي قوله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه فوائد
أحدها جذبه إلى التقوى بالتخويف من لقاء الله الثانية تسهيل الجهاد عليه فإنه لما كان معتقدا أن الجهاد
طاعة مقربة إلى الله تعالى أشعره بوجوب لقائه ليستعد بتلك الطاعة التي هو بصددها لما يضطر إليه من لقائه
الثالثة أنه أمره بتقوى الله خوفا من ضرورة لقائه تعالى ليكون أسرع إلى ما يأمره به وينهاه عنه من الأمور المذكورة
في وصيته فمنها أن لا يقاتل إلا من قاتله فإن قتال غير المقاتل ظلم ومنها أن يسير طرفي النهار لبردهما ويغور
في وسطه لما تستلزمه القائلة من شدة الحر والمتاعب فيه وأمره بالترفه في السير ليلحق الضعيف القوي ولا
يطول التعب على الناس لحاجتهم إلى فضل القوة واستجمامها وأن لا يسير أول الليل لأن الله جعله سكنا
ومقاما يستراح فيه من المتاعب ويسكن إليه بعد التعب منها ولم يجعله محل الظعن وأمره أن يريح فيه بدنه
ويروح ظهره أي خيله وإطلاق لفظ الظهر عليه مجازا إطلاقا لاسم المظروف على الظرف وأن يجعل سيره
بعد وقوفه في ليله حين ينبطح السحر وحين ينفجر الفجر لأنهما مظنة القلوب إلى الإخلاص له في تلك الحال و
بعد الأماني وخلوص الاتصال له لما يستلزمه الإخلاص من الهيئات السعيدة وبفعل الإقدام وانضاء الأبدان
للمكاره تلك السفر وما يستلزمه من المتاعب بما هو لوجهه وغاية الوصول إلى مرضاته وأشار إلى علة قتالهم
في معرض الشكاية إلى الله تعالى وهي تضمينهم بما كان مستقرا في صدورهم في حياة الرسول صلعم من العداوة
والبغضاء وجيش أضغانهم السابقة مما فعل بهم ببدر وأحد وحنين وغيرها من المواطن فلفظ المراجل مستعار ووجه
المشابهة غليان دماء قلوبهم من الأحقاد كغليان المراجل ولفظ الجيش ترشيح ولما كانت غيبة النبي صلى الله عليه
وفقده هو السبب الذي استلزم تصريح الشنآن وظهور الأضغان وكثرة العدو وتفرق الأهواء لا جرم شكا
إلى الله من فقده وما يستلزمه من هذه الشرور ثم سأل أن يحكم بينه وبينهم بالحق اقتباسا من القرآن الكريم
لما أن إيقاع الحكم بالحق بينهم يستلزم نصره عليهم وظفره بهم إذ كان هو المحق في جهاده وبالله التوفيق ومن كلام له
يقول لأصحابه عند الحرب لا تشتدن عليكم فرة بعدها كرة ولا جولة بعدها حملة وأعطوا السيوف حقوقها
ووطئوا للجنوب مصارعها واذمروا أنفسكم على الطعن الدعسي والضرب الطلحفي وأميتوا الأصوات فإنه أطرد
للفشل والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر فلما وجدوا عليه أعوانا أظهروه
أقول الفرة المرة من الفرار والكرة الفعلة من الكر وهو الرجوع على العدو والجولة الدورة والمصارع مواضع
الصرع للقتلى واذمروا أي حضوا والدعسي منسوب إلى الدعس وهو الأثر والطلحفي الشديد والياء للمبالغة
والنسمة الخلق وقوله لا تشتدن عليكم إلى قوله حملة أي إذا تم في فراركم مصلحة كخدعة العدو كما يجذب له
بذلك حيث يمكن منه ويقع الفرصة فكروا عليه حينئذ فلا تشتدن عليكم الفرة ووجه الشدة هنا أن الفرار
بين العرب صعب شديد لما يستلزمه من العار والشر وأشار إلى وجه تسهيله عليهم بأنه إذا كان بعده كرة فلا بأس
به لما فيه من المصلحة ويحتمل أن يريد أنكم إذا اتفق لكم أن فررتم فرة فعقبتموها بكرة فلا تشتدن عليكم تلك

الفرة فتفشلوا وتجبنوا فإن تلك الكرة كالماحية لها وفيه تنبيه على الأمر بالكرة على تقدير الفرة وكذلك قوله
ولا جولة بعدها حملة ويحتمل أن يريد ولا تشتدن عليكم فرة من عدو وكر بعدها كرة منه عليكم فإن تلك
الكرة لما كانت عقيب الفرة لم تكن إلا عن قلوب مدخولة ونيات غير صحيحة وإنما قدم الفرة في هذا الاحتمال لأن
مقصوده تحقير تلك الكرة بذكر الفرة وكان ذكرها أهم فلذلك قدمت وكذلك قوله ولا جولة بعدها حملة
ثم أمرهم بأوامر أحدها أن يعطوا السيوف حقوقها وهي كناية عن الأمر بفعل ما ينبغي أن يفعل ولفظ العطاء
مستعار لما اتصل إليه السيوف من الأفعال التي ينبغي أن تفعل بها الثاني أن يوطئوا للجنوب مصارعها أي يعدوا
مصارع جنوبهم أوطانا لها وهو كناية عن الأمر بالعزم الجازم على القتل في سبيل الله والإقدام على أهوال الحرب
إذ كان اتخاذ المصارع أوطانا للجنوب مستلزما لذلك العزم والإقدام وروي وعطفوا بالياء الثالث أن يحثوا
أنفسهم على الطعن الذي يظهر أثره والضرب الشديد أي يحملوها على ذلك ويبعثوها بالدواعي الصادقة التي
هي فيها رضى من تذكر ما وعد الله عباده الصالحين الرابع أن يميتوا الأصوات أي لا يكثروا الصياح فإنه من علامات
الفشل فهو ما يكون علامة للثبات إلا في الجبن وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ثم أقسم بما يعتاده من القسم
البار أن القوم لم يسلموا بقلوبهم حين أظهروا الإسلام في زمن رسول الله صلى الله عليه بألسنتهم ولكنهم استسلموا
خوفا من القتل وأسروا الكفر فلما وجدوا عليه أعوانا أظهروه وهو إشارة إلى المنافقين من بني أمية كعمرو بن
العاص ومروان ومعوية وأمثالهم وروي مثل هذا الكلام لعمار بن ياسر وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام إلى
معوية جوابا عن كتاب منه إليه وأما طلبك إلي الشام فإني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس وأما قولك إن
الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشات أنفس بقيت ألا من أكله الحق فإلى النار وأما استواؤنا في الحرب والرجال
فلست بأمضى على الشك مني على اليقين وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة وأما
قولك إنا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب
ولا المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللصيق ولا المحق كالمبطل ولا المؤمن كالمدغل ولبئس الخلف خلف يتبع
سلفا هوى في نار جهنم وفي أيدينا بعد فضل النبوة التي أذللنا بها العزيز ونعشنا بها الذليل ولما أدخل الله
العرب في دينه أفواجا وأسلمت له هذه الأمة طوعا وكرها كنتم ممن دخل في الدين إما رغبة وإما رهبة على حين
فاز أهل السبق بسبقهم وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم فلا تجعلن للشيطان فيك نصيبا ولا على نفسك سبيلا
والسلام أقول روي أن معوية استشار عمرو بن العاص في أن يكتب إلى علي كتابا يسأله فيه الشام فضحك عمرو
وقال أين أنت يا معوية من خدعة علي قال ألسنا بني عبد مناف قال بلى ولكن لهم النبوة دونك وإن شئت أن
تكتب فاكتب فكتب معوية إليه مع رجل من السكاسك يقال له عبد الله بن عقبة أما بعد فإني أظنك لو علمت أن
الحرب يبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا لم يجنها بعض على بعض وإنا وإن كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها
ما نندم به على ما مضى ونصلح به ما بقي وقد كنت سألتك الشام على أن لا يلزمني لك طاعة ولا بيعة وأبيت

ذلك علي فأعطاني الله ما منعت وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس فإنك لا ترجو من البقاء إلا ما أرجو
ولا أخاف من القتل إلا ما تخاف وقد والله رقت الأجناد وذهبت الرجال وأكلت الحرب العرب إلا حشاشات
نفس بقيت وإنا في الحرب والرجال سواء ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل إلا فضل لا يستذل به
عزيز ولا يسترق به حر والسلام فلما قرأ علي عليه السلام كتابه تعجب منه ومن كتابه ثم دعا عبيد الله بن أبي رافع كاتبه
وقال له اكتب إليه أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر أنك لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت
لم يجنها بعض على بعض وإنا وإياك في غاية لم نبلغها بعد وأما طلبك إلي الشام الفصل الحشاشة بقية الروح
والطليق الأسير الذي أطلق من أسره وخلي سبيله والصريح الرجل الخالص النسب واللصيق الدعي الملصق
بغير أبيه والمدغل الذي اشتمل باطنه على فساد كنفاق ونحوه وسلف الرجل آباؤه المتقدمون وخلفه من يجيء
بعده ونعشنا رفعنا والفوج الجماعة وقد أجاب عليه السلام عن أمور أربعة تضمنها كتاب معوية أحدها أنه
استعطفه إلى البقية واستدرجه لوضع الحرب بقوله إنك لو علمت إلى قوله ما بقي وفيه إشعار بالجزع من عض الحرب
والخوف من دوامها فأجاب عليه السلام بقوله وإنا وإياك في غاية لم نبلغها بعد وفيه منه التهديد ببقاء الحرب
إلى الغاية منها وهي الظفر به وهلاكه وهو مستلزم لتخويفه والتهويل عليه ومنع ما طلب من التقية ووضع الحرب
الثاني أنه سأل إقراره على الشام مع نوع من التبجح الموهم لعدم الانفعال والضراعة وذلك في قوله وقد كنت
سألتك الشام إلى قوله أمس وقوله فإنك لا ترجو إلى قوله ما تخاف إشارة إلى كونهما سواء في رجاء البقاء و
الخوف من القتل ومقصوده ذلك أن يوهم أنه لا انفعال له عن تلك الحرب أيضا وقوله وأنا أدعوك إلى ما دعوتك
إليه أمس أي من طلب إقراره على الشام وذلك أنه عليه السلام حين بويع بالخلافة كان معوية سأل إقراره على
إمرة الشام ونقل عن ابن عباس أنه قال له عليه السلام وله شهرا واعزله دهرا فإنه بعد أن يبايعك لا يقدر على أن
يعدل في إمرته ولا بد أن يجور فتعزله بذلك فقال عليه السلام كلا وما كنت متخذ المضلين عضدا وروي أن
المغيرة بن شعبة قال له عليه السلام إن لك حق الطاعة والنصيحة أقرر معوية على عمله والعمال على أعمالهم
حتى إذا أتتك طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت أو تركت فقال عليه السلام حتى أنظر فخرج من عنده ثم عاد إليه من الغد
فقال له إني أشرت عليك أمس برأي وإن الرأي أن تعاجلهم بالنزع فيعلم السامع من غيره ويستقبل أمرك ثم
خرج من عنده فجاء ابن عباس فأخبره بما أشار إليه المغيرة من الرأيين أما أمس فقد نصحك وأما اليوم فقد
غشك وقد كان الرأي الدنيوي الخالص في حفظ الملك ذلك لكنه عليه السلام لما لم يكن ليتساهل في
شيء من أمر الدين أصلا وإن قل وإن كان إقرار معوية وأمثاله على الأعمال يستلزم العدول في كثير من أمرهم
عن سبيل الله لا جرم لم ير إقراره على العمل ومنعه ما سأل ولما كان منعه أولا إنما كان منعا خالصا لله عن
مشاركة الهوى والميول الطبيعية لم يكن سؤاله ثانيا واستعطافه إياه مغيرا لرأيه الجازم خصوصا وقد أخذت
تلك الحروب الشديدة من العرب ما أخذت وقتل من المهاجرين والأنصار وسائر العرب من قتل بل الجانب

بعين ما الحاجة او لامن الرد والمنع فى قوله فلم اكن لاعطيك اليوم ما منعتك امس اذ العلة فى المنع قائمة فى
كل حين وزمان وهى المحافظة على دين الله الثالث حفظ الرجال والتبقية على الاجناد لحفظ الاسلام وهو
امر واجب فلا جرم استعظمه واشد رجا الى التبقية عليهم للتنبيه على ذلك بقوله وقد والله الى قوله بقيت
الجابه عليه السلام بقوله الا ومن اكله الحق فالى النار وهو كبرى قياس حذفت صغراه للعلم بها وتقديرها الا ولئك
الاجناد الذين قتلناهم انما قتلهم الحق لبغيهم وتقدير هذه الكبرى وكل من قتله الحق فمصيره الى النار فينتج
ان مصير من قتل من هؤلاء الى النار ثم هذه النتيجة تنبيه على الجواب وهى قوة صغرى قياس ضمير تقدير كبراه
وكل من كان من اهل النار فلا يجوز التبقية عليه ولا الاسف لفقده الرابع قوله اوهم بقوله وانا فى الحرب
سواء على انه ممن لا ينفعل عن هذه الحروب وان اشتدت وان الضعف والهلاك انجرى على العسكرين وفيه
نوع تخويف وتهويل فاجابه عليه السلام بقوله فلست بامضى الى قوله الاخرة ووجه كون هذا اول جوابا انه يقول
انك فى طلبك لما انت طالب له على شك من استحقاقه وانا على يقين فى ذلك وكل من كان فى شك من امره
فليس بامضى فى حربه وقياسه عليه ممن هو على ثقة فى امره ينتج انك لست بامضى فى امرك على الشك منى على اليقين فى
امرى ويفهم من ذلك انه يقول بل انا امضى فى امرى واولى بالغلبة لكونى على بصيرة ويقين وحينئذ تكذب
المساواة بينهما لكون المتيقن ارجح فى فعله من الشاك ووجه كون الثانى جوابا انه يقول ان اهل الشام لطلبهم
بقاءهم الدنيا واهل العراق يطلبون بقاءهم الاخرة وليس اهل الشام باحرص على مطلوبهم من الدنيا من
اهل العراق على مطلوبهم من الاخرة ويفهم من ذلك انه يقول بل اهل العراق احرص على الاخرة من اهل الشام
على الدنيا لشرف الاخرة ويقينهم حصولها وانقطاع الدنيا وشك اهل الدنيا فى حصولها كما قال تعالى
فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وحينئذ تكذب المساواة فى الحرب للرجال لشرف اهل
الاخرة على اهل الدنيا ولكون الاحرص اولى بالغلبة والقهر الخامس انه بقوله ونحن بنو عبد مناف الخ
على مساواته له فى الشرف والفضيلة وهو فى قوة صغرى قياس ضمير من الاول وتقدير كبراه وكل قوم كانوا من
بيت واحد فلا فضل لبعضهم على بعض ولا فخر فاجابه عليه السلام بالفرق بينهما بعد ان سلم له الاشتراك بينهما
فى كونهما من بنى عبد مناف وذكر الفرق من وجوه خمسة بعضها بالامور الخارجية او لا من كمالاته وفضايله
ورذايل خصمه ستة تعالى منها الاول بالاول شرفه من جهة الاباء المتفرعين على عبد مناف وذلك ان
سلسلة ابائه عليه السلام ابو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وسلسلة اباء معوية ابو سفيان بن حرب
ابن امية بن عبد مناف وظاهر ان كل واحد من اولئك الثلثة اشرف ممن هو فى درجته من اباء معوية وقد ذكرنا
طرفا من فضلهم على غيرهم الثانى شرفه من جهة هجرته مع الرسول صلى الله عليه وخسة خصمه من جهة كونه طليقا
وابن طليق وهذه فضيلة وان كانت خارجية الا انها تستلزم فضيلة نفسانية وهى الاسلام والنية الصادقة
الحقة وكذلك ما ذكر من رذيلة خصمه بعينه عرضية الا ان هذه الفضيلة والرذيلة اقرب من الاعتبارين

الاولين لكونهما حقيقيين بالاباء وحسيين بالابناء دون هاتين الثالث وكذلك شرفه من جهة صراحة النسب
وخسة خصمه من جهة كونه دعيا وهذان الاعتباران اقرب مما قبلهما لكونهما اعتبارين لازمين بهما دون الاولين
الرابع شرفه من جهة كونه محقا فيما يقوله ويعتقده ورذيلة خصمه من جهة كونه مبطلا وهذان الاعتباران اقرب لكونهما
من الكمالات والرذايل الذاتية دون ما قبلها الخامس شرفه من جهة كونه مؤمنا والمؤمن الحق هو المستكمل للكمالات
الدينية النفسانية وخسة خصمه من جهة كونه مدغلا اى خبيث الباطن مشتملا على النفاق والرذايل الموبقة
وظاهر ان هذين الاعتبارين اقرب الكمالات والرذايل الى العبد وانما بدء بذكر الكمالات والرذايل الخارجية
لكونها اشهر عند الخصم واظهر له وللخلق من الامور الداخلية ثم لما ذكر الرذايل المتعلقة بخصمه اشار الى كونه
فى افعاله ورذايله خلفا لسلف هوى فى نار جهنم ثم رتب ذمه على ذلك وقوله ولبئس الخلف الى قوله جهنم فى قوة كبرى
قياس استغنى بمفهومها عن صغراه وتقديرها فانت خلف تتبع سلفا وكل خلف يتبع فى افعاله ورذايله سلفا هوى
فى نار جهنم وكل من كان كذلك فبئس به السادس ان معوية لما ادعى ما يعلمه من المساواة فى الفضيلة قوله
وليس لبعض على بعض فضل واستثنى من ذلك فقال الا فضل لا يستذل به عزيز ولا يسترق به حر اشار عليه السلام
الى كبرى لهم هى كالجواب لذلك وهو قوله وفى ايدينا بعد فضل النبوة الى قوله الذليل وظاهر ان هذا الفضل
الذى حصل فى هذا البطن من هاشم هو سبب اذلالهم الاعزاء وانعاشهم وتقويتهم الاذلاء واسترقاقهم الاحرار و
ذلك فضل عريت عنه بنو امية وغيرهم فاذن قوله وليس لبعضنا على بعض فضل الا فضل لا يستذل به عزيز الى اخره قول
باطل ثم اردف هذه الفضيلة بذكر رذيلة الخصم بالنسبة الى فضيلة شملت كثيرا من العرب تلك هى دخولهم فى الاسلام
لا لله بل اما رغبة او رهبة على حين فاز اهل السبق بسبقهم الى الله وحصل المهاجرون والانصار على ما حصلوا عليه
من الفضايل المتعددة ثم لما ظهر هذه الفرق من فضايله ورذايل خصمه نهاه عن امرين احدهما ان لا يجعل للشيطان فى نفسه
نصيبا وهو كناية عن النهى عن اتباعه للهوى الثانى ان لا يجعل له عليه سبيلا وهو كناية عن النهى من تمكينه منه
وفتح باب الوسوسة عليه وهذا النهى يفهم منه انه قد جعل للشيطان فى نفسه نصيبا وله عليه سبيلا وان ذلك
النهى معرض التوبيخ له على ذلك وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام الى عبد الله بن عباس وهو عامله على البصرة واعلم
ان البصرة مهبط ابليس ومغرس الفتن فحادث اهلها بالاحسان اليهم واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم وقد بلغنى
تنمرك لبنى تميم وغلظتك عليهم وان بنى تميم لم يغب لهم نجم الا طلع لهم اخر وانهم لم يسبقوا بوغم فى جاهلية ولا اسلام
وان لهم بنا رحما ماسة وقرابة خاصة نحن ماجورون على صلتها وماذورون على قطيعتها فاربع ابا العباس رحمك الله
فيما جرى على يدك ولسانك من خير وشر فانا شريكان فى ذلك فكن عند صالح ظنى بك ولا يفيلن رايى فيك والسلام
اقول روى ان ابن عباس كان قد اضر ببنى تميم حين ولى البصرة من قبل على عليه السلام للذى عرفهم به من العداوة يوم
الجمل لانهم كانوا من شيعة طلحة والزبير وعايشة فحمل عليهم ابن عباس فاقصاهم وتنكر عليهم وعيرهم بالجمل حتى
كان يسميهم شيعة الجمل وانصار عسكر وهو اسم جمل عايشة وحزب الشيطان فاشتد ذلك على نفر من شيعة على عليه السلام

من بنى تميم منهم حارثة بن قدامة وغيره فكتب بذلك حارثة الى على عليه السلام يشكو اليه ابن عباس فكتب عليه السلام
الى ابن عباس اما بعد فان خير الناس عند الله غدا اعلمهم بطاعته فيما عليه وله واقواهم بالحق وان كان مرا الا وانه
بالحق قامت السموات والارض فيما بين العباد فلتكن سريرتك فعلا وليكن حكمك واحدا وطريقتك مستقيمة واعلم
ان البصرة مهبط ابليس الفصل والتنمر تنكر الاخلاق وتغيرها والوغم الحقد والماسة القريبة وماذورون اى نحنى
بها الوزر وهو الاثم واربع اى توقف وتثبت وفال الراى يفيل اى ضعف واخطا واعلم انه عليه السلام كنى بكون
البصرة مهبط ابليس عن كونها مبداء للاراء الباطلة والاهواء الفاسدة الصادرة عن ابليس النفس المستلزمة لاثارة الفتن
وكثرتها لان مهبط ابليس ومستقره محل لذلك واراد مهبطه من الجنة واستعار لفظ المغرس للبصرة باعتبار
علاقتها فيها الفتن الكثيرة كما ان مغرس الشجر من الارض محل النشو والنما كما قال بعضهم وفى قوله مهبط ابليس نوع
لطف فان الوهم الذى هو ابليس النفس لما قلنا انه تعبير يكنى عن تعبيرها العقلى العلى فيما يابى وتحكمه فقد هبط
من عالم الكمال وموافقة العقل وتلقى الاوامر العالية التى هى ابواب الجنة الى الجنة السافلة وشاركه الشهوة والغضب
فى حكمه باستجادة الاراء الفاسدة ولما خالط القضاء الالهى بما جرى من اهل البصرة من نكث بيعته عليه السلام ومخالفته
وكانوا ممن عزلوا عقولهم عن الاراء المصلحية راسا وهبط ابليس وجنوده بارضهم فاروهم الاراء الباطلة فى صور الحق
فطغوا بهم فكان منهم ما كان ونزل بهم ما نزل من سوء القضاء ودرك الشقاء فكانت بلدتهم لذلك مهبط ابليس و
مغرس الفتن الناشية عن وسوسته وارائه الفاسدة ثم امره ان يحادثهم بالاحسان اليهم اى يعدهم بذلك وان يحل
عقد الخوف عن قلوبهم واستعار لفظ العقدة لما الزمهم من المخافة بالغلظة عليهم وكثرة الاذى لهم ووجه المشابهة
كون ذلك الخوف ملازما لهم معقودا بقلوبهم كالعقدة بالحبل ونحوه ورشح بلفظ الحل وكنى به عن ازالة الخوف عنهم
وغرض هذه الاوامر ان لا تنفر قلوبهم منه وتثور اضغانهم فيها ودوا الخروج عن طاعته واثارة الفتنة ثم اعلمه بما
ربما نكاره عليه بما بلغه من تنمره لهم واردف ذلك بذكر احوالهم تجب مراقبتهم وحفظ قلوبهم لاجلها احدها انه لم يغب
لهم سيد الا قام لهم اخر مقامه واستعار له لفظ النجم ووجه المشابهة كون سيد الجماعة وكبيرهم قدوة يهتدون به
يقتدون باراية فى الطرق المصلحية ورشح بذكر المغيب والطلوع الثانى انهم لم يسبقوا ويحتمل وجهين احدهما انه لم
يسبقهم احد الى الترات والاحقاد حيث كانوا فى جاهلية واسلام لشرف نفوسهم وقلة احتمالهم للاذى وذلك ان
المهين الحقير فى نفسه لا يكاد يغضب ويحقد مما يفعل به من الاذى وان غضب فى الحال الا انه لا يدوم ذلك الغضب
ولا يصير حقدا الثانى يحتمل ان يريد انهم لم يسبقوا باثارة حقد من عدو وذلك لقوتهم وعدتهم فى دفع المضاف
الثالث ان لهم ببنى هاشم قرابة ونسبة الى حوة قيل تلك القرابة لاتصالهم عند الياس بن مضر لان هاشم بن عبد
مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة
ابن الياس بن مضر وتميم بن مر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر وزاد ترغيبا فى مواصلتهم ومداراتهم بكون صلة
مستلزمة للوزر وقال ماذورون والاصل موزورون فقلب ليجانس قوله ماجورون وفى الحديث ارجعن مازورات

غير ماجورات ثم اردف ذكر تلك الاحوال التى تقتضى الرفق بهم بالامر بالتوقف والتثبت فيما يجرى على يده ولسانه
من فعل وقول وهو خير او شر لان التثبت فى الامور اولى باصابة وجه المصلحة واراد بالشر ما يجرى على يده من
عقوبة فعلية او قولية وقوله فانا شريكان فى ذلك كالتعليل لحسن امره له بالتثبت فى ذلك لانه لما كان واليا
من قبله فكل حسنة وسيئة يحدثها فى ولايته فله عليه السلام شركة فى احداثها اذ هو السبب البعيد لها والقريب و
ابو العباس كنية عبد الله بن العباس والعرب تدعوا من تكرمه بالكنى قال الكميت حين اناديه لاكرمه ولما كان عليه السلام
قد استصلحه للولاية وراه اهلا لها امره ان يلازم ظنه الصالح فيه ولا يكشف عن ضعف ذلك الراى وعدم مطابقته
فيه بسوء سيرته وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام الى بعض عماله اما بعد فان دهاقين اهل بلدك شكوا منك
قسوة وغلظة واحتقارا وجفوة ونظرت فلم ارهم اهلا لان يدنوا لشركهم ولا ان يقصوا ويجفوا لعهدهم فالبس
لهم جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشدة وداول لهم بين القسوة والرافة وامزج لهم بين التقريب والادناء و
الابعاد والاقصاء اقول الدهقان معرب يحمل الصرف ان كانت نونه اصلية والا فلا ينصرف للوصف والالف
والنون الزايدتين والقسوة غلظ القلب وشدته والاقصاء الابعاد والجفا ضد البر والجلباب الملحفة والمداولة
تغليب كل واحد من القسوة والرافة على الاخر والاخذ بكل منهما مرة من الادالة وهى الادارة والمنقول ان هؤلاء
الدهاقين كانوا مجوسا ولما شكوا اليه غلظة عامله فكر فى امورهم فلم يرهم اهلا للادناء الخالص لكونهم مشركين
ولا اقصائهم لكونهم معاهدين فان ادناءهم واكرامهم خالصا هضم ونقيصة فى الدين واقصاءهم بالكلية ينافى
معاهدتهم فامره بالعدل فيهم ومعاملتهم باللين المشوب ببعض الشدة كل فى موضعه وكذلك استعمال
القسوة مرة والرافة اخرى والمزج بين التقريب والابعاد لما فى طرف اللين والرافة والتقريب من استقرار قلوبهم
فى اعمالهم ودواعيهم التى بها صلاح المعاش وما فى مزجها بالشدة والقسوة والابعاد من كسر عاداتهم ودفع
شرورهم واهاناتهم المطلوبة فى الدين واستلزم ذلك نهيه عن استعمال الشدة والقسوة والابعاد فى حقهم دايما
واللين والرافة والادناء خالصا واستعار لفظ الجلباب لما امره بالاتصاف به وهو تلك الهيئة المتوسطة من
اللين المشوب بالشدة بين اللين الخالص والشدة الصرفة ورشح بذكر اللبس وبالله التوفيق ومن كتاب له
عليه السلام الى زياد بن ابيه وهو خليفة عامله عبد الله بن العباس رضى الله عنه على البصرة وعبد الله عامل له يومئذ
عليها وعلى كور الاهواز وفارس وكرمان وانى اقسم بالله قسما صادقا لئن بلغنى انك خنت من فئ المسلمين شيئا
صغيرا او كبيرا لاشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر ضئيل الامر والسلام اقول زياد هذا
هو زياد بن سمية ام ابى بكرة دعى ابى سفيان قد قيل فى ولادة من غير صحيح بنوة وروى ان اول من دعاه ابن
ابيه عايشة حين سئلت لمن يدعى وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة ثم كتب لابى موسى ثم كتب لابن عامر ثم كتب لابن
عباس وكان مع على عليه السلام فولاه فارس فكتب اليه معوية يتهدده فكتب اليه اتتوعدنى وبينى وبينك
ابن ابى طالب اما والله لئن وصلت الى لتجدنى احمر ضرابا بالسيف ثم ادعاه معوية اخا له وولاه بعد على عليه السلام

السعرة واعمالها وجمع له سعيد المغيرة بن شعبة العراقين وكان اول من جمعا له والشدة للحملة والوفر المال الكثير
وحاصل الفصل تحذيره زياد من خيانة ما يليه من مال المسلمين ووعيده انه وجد منه بالعقوبة عليها
وكونها بالشدة ووصف شدة تلك الشدة باستلزامها امورا ثلثة هيها سلب لكمالات الدنيوية والاخروية
احدها نقصان ماله وقلته والثانى نقصان جاهه وكونه ثقيل الظهر بثقل الامر وهما سالبان للكمال الدنيوى
الثالث ثقل ظهره بالاوزار والتبعات وهو دال على سلب كمال الاخروى فان قلت كيف يريد ثقل الظهر بالاوزار
وليس ذلك بسبب شدته عليه السلام وانما الاوزار من اكتساب نفسه قلت ان مجموع هذه الامور الثلثة
وهى سلب ماله وجاهه مع ثقل ظهره بالاوزار حالة يجب عليها وهى حالة تخوف منكره وهو حق فيها ولا شك
ان تلك الحالة من فعله وان لم يكن بعض اجزائها من فعله او نقول الثلثة احوال متعددة والحال لا يلزم ان
تكون من فعل ذى الحال ويحتمل ان يكون ثقل الظهر كناية عن الضعف وعدم النهوض بما يحتاج اليه ويهمه
اى يدعك ضعيف الحركة فى الامور والله اعلم ومن كتاب له عليه السلام اليه ايضا فدع الاسراف مقتصدا واذكر فى
اليوم غدا وامسك من المال بقدر ضرورتك وقدم الفضل ليوم حاجتك اترجوا ان يعطيك الله اجر المتواضعين
وانت عنده من المتكبرين وتطمع وانت متمرغ فى النعيم تمنعه الضعيف والارملة ان يوجب لك ثواب المتصدقين
وانما المرء مجزى بما اسلف وقادم على ما قدم اقول امره النمعك والتقلب قدامره فى هذا الفصل باوامر احدها
ترك الاسراف وهو رذيلة الافراط من فضيلة الاقتصاد المتوسط بينه وبين الاجحاف بالنفس ولا اسراف بها
وهو طرف التفريط من هذه الفضيلة والامر بترك الاسراف مستلزم للامر بهذه الفضيلة لان الامر بالشى على حال
امر بتلك الحال ايضا الثانى ان يذكر فى اليوم غدا اى يذكر فى حاضر او ما يستقبلها من يوم القيمة فان فى
ذلك زجرا للنفس وكسرا اعن الاسراف فى الدنيا والاشتغال بها الثالث ان يمسك من المال بقدر ضرورته
وهو تفسير للاقتصاد فى تناول الدنيا وحفظها الرابع ان يقدم الفضل منها ليوم حاجته وهو يوم القيمة وما
بعد الموت وفيه استدراج للانفاق المال فى سبيل الله فان كل عاقل يعلم انه سالف لا يحتاج اليه من فضول
المال وتقديم لما يحتاج اليه وقت حاجته من اكبر المصالح المهمة ثم استفهم على سبيل الانكار عن رجائه ان يؤتيه
الله ثواب المتواضعين حال ما هو يكون عنده من المتكبرين تنبيها منه على ان ثواب كل فضيلة انما ينال بالاكتساب
والتخلق بها لا بالكون على ضدها فمن الواجبات التخلق بفضيلة التواضع لينال ثوابها ولن يحصل التخلق
بها الا بعد الانحطاط عن درجات المتكبرين فهو اذن من الواجبات وكذلك استفهم عن طمعه فى ثواب المتصدقين
حال اقتنائه المال وتمرغه ومنعه الضعيف والارملة استفهام منكر لذلك الطمع على تلك الحال فان ثواب
كل حسنة بقدرها ومن لوازمها وجزاء كل حسنة بحسبها ومن لوازمها ونبه على ذلك بقوله وانما المرء مجزى بما
اسلف الى اخره وفى قوله قادم على ما قدمه من محاسن الكلام وفيه الاستقاق وبالله التوفيق ومن كتاب له الى عبد الله
بن عباس رحمه الله وكان عبد الله يقول ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله كانتفاعى بهذا الكلام اما بعد فان هذا

المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما نلت من اخرتك وليكن
اسفك على ما فاتك منها وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحا وما فاتك منها فلا تاس عليه جزعا وليكن همك
فيما بعد الموت اقول الدرك اللحوق والاسى والاسف الحزن وحاصل الفصل النهى عن شدة الفرح بما يحصل
من المطالب الدنيوية وشدة الاسف على ما يفوت منها وبيان ما ينبغى للانسان ان يسر بحصوله ويأسف لفقده
مما لا ينبغى له فاشار الى الاول بقوله فان المرء الى قوله ليدركه وهو جزءها فى معنى النهى ولفظ ما فى الموضعين
مهمل يراد بها المطالب الدنيوية ونبه بقوله ما لم يكن ليفوته على ان ما يحصل من مطالب الدنيا امر واجب فى
القضاء الالهى وصوله الى من يحصل له فهو كالحاصل فلا ينبغى ان يشتد فرحه عند حصوله وبقوله ما لم يكن
ليدركه على ان ما يفوت منها فهو امر واجب فوته فالاسف عليه مما لا يجدى نفعا بل هو مرض عاجل ثم خصص الخطاب
على سبيل الوصية والموعظة وفصل له ما ينبغى ان يسر ويأسف عليه مما لا ينبغى ان يسر به فهو ما نال من اخرته
وما ينبغى ان يأسف عليه فهو ما فاته منها واما ما ينبغى ان لا يفرح به مما ناله من دنياه لما عرفت من وجوه
فنائها وكون القرب منها مستلزما للبعد عن الاخرة وما ينبغى ان لا يأسف عليه مما لم ينله منها الكون البعد
مستلزما للقرب من الاخرة فان قلت كيف قال ما نلت من اخرتك ومعلوم انه لا ينال شى من الاخرة الا بعد
الموت قلت يحتمل وجهين احدهما لا نسلم ان مطالب الاخرة لا يحصل الا بعد الموت فان الكمالات النفسانية
من العلوم والاخلاق الفاضلة والفرح بها من الكمالات الاخروية وان كان الانسان فى الدنيا الثانى
يحتمل ان يريد فليكن سرورك بما نلت من اسباب اخرتك فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وكذلك
بين له ما ينبغى ان يكون همه ومنتهى عزمه وقصده متعلقا به وهو ما بعد الموت من احوال الاخرة من سعادة دائمة
يسعى فى تحصيلها او شقاوة لازمة يعمل للخلاص منها وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام قاله قبل موته على سبيل الوصية لما ضربه
ابن ملجم لعنه الله وصيتى لكم ان لا تشركوا بالله شيئا ومحمد صلى الله عليه فلا تضيعوا سنته اقيموا هذين
العمودين وخلاكم ذم انا بالامس صاحبكم واليوم عبرة لكم وغدا مفارقكم ان ابق فانا ولى دمى وان
افن فالفناء ميعادى وان اعف فالعفو لى قربة وهو لكم حسنة فاعفوا الا تحبون ان يغفر الله لكم
فان شئتم فاقتلوا قاتلى وان شئتم ان تعفوا فالعفو لكم حسنة فاعفوا لكنه ذكر فى هذه الوصية امرين ثم
عقبهما بذكر حكمها مقربين واقتبس فى معرض الندب الى العفو ترغيبا فيه ثم اقسم انه ما اتاه من هجوم الموت امر
وارد كرهه ولا طالع انكره وصدقه فى ذلك ظاهر فانه عليه السلام كان سيد الاولياء بعد سيد الانبياء
ومن خواص اولياء الله شدة محبة الله والشوق البالغ الى ما اعد لاوليائه فى جنات عدن ومن كان كذلك
كيف يكره وارد الموت الذى هو باب وصوله الى الغاية واشرف مطالبه التى قطع وقته فى السعى لها وهى المطالب
الباقية وكيف يكره وهو دائم الترصد والاشتغال والذكر لما تثبت نفسه فى هجوم الموت عليه
ووصوله بسببه الى ما اعد له من الخيرات الباقية بالقارب الذى ورد الماء ووجه الشبه استقرابه

لتلك الخيرات ووثوقه بها واستشهاد الدنيا بها افات الدنيا وشدائد الموت كما يستسهل القارب عند ورود
الماء ما كان يجده من شدة العطش وتعب الطريق وفيه ايماء الى انه يستقر تلك الخيرات بالماء وكذلك شبه
نفسه بالطالب الواجد لما يطلبه ووجه الشبه كونه فرحا بما ظفر به من مطالبه الاخروية كما يطيب نفس
الطالب للشى اذا وجده وظاهر ان طيبة النفس وبهجتها بما تصيبه من مطالبها مما يتفاوت المطالب فى
العزة والنفاسة ولما كانت المطالب الاخروية اهم المطالب واعظمها قدرا واعزها جوهرا وجب ان يكون
بجد نفسه بها وقره عينه بما اصاب منها اتم كل بهجة بمطلوب ثم اقتبس الاية فى سياق اشعاره بوجدان مطلوبه
منبها على ان مطلوبه فى الدنيا لم يكن الا ما عند الله الذى هو خير للاولياء الابرار من كل مطلوب يطلب
وبالله التوفيق ومن وصية له بما يعمل فى امواله كتبها بعد منصرفه من صفين هذا ما امر به على امير المؤمنين فى
امواله ابتغاء وجه الله ليولجنى به الجنة ويعطينى الامنة منها وانه يقوم بذلك الحسن بن على ياكل منه بالمعروف
وينفق منه فى المعروف فان حدث بحسن حدث وحسين حى قام بالامر بعده واصدره مصدره وان لابنى فاطمة
من صدقة على مثل الذى لبنى على وانى انما جعلت القيام بذلك الى ابنى فاطمة ابتغاء وجه الله وقربة الى رسول الله
صلى الله عليه واله وتكريما لحرمته وتشريفا لوصلته ويشترط على الذى يجعله اليه ان يترك المال على اصوله و
ينفق من ثمره حيث امر به وهدى له وان لا يبيع من اولاد نخل هذه القرى ودية حتى يشكل ارضها غراسا ومن
كان من امائى اللاتى اطوف عليهن لها ولد او هى حامل فتمسك على ولدها وهى من حظه فان مات ولدها
وهى حية فهى عتيقة قد افرج عنها الرق وحررها العتق قال السيد قوله عليه السلام فى هذه الوصية فلا يبيع من
نخلها ودية فان الودية الفسيلة وجمعها ودى وقوله عليه السلام حتى يشكل ارضها غراسا فهو من افصح
الكلام والمراد به ان الارض يكثر فيها غراس النخل حتى يراه الناظر على غير الصفة التى عرفها بها فيشكل
عليه امرها ويحسبها غيرها اقول روى هذه الوصية بروايات مختلفة بالزيادة والنقصان وقد حذف
السيد منها فصولا ولنوردها برواية يغلب على الظن صدقها عن عبد الرحمن بن الحجاج قال بعث الى بهذه
الوصية ابو ابراهيم عليه السلام هذا ما اوصى به وقضى فى ماله عبد الله على ابتغاء وجه الله ليولجنى به الجنة و
يصرفنى به عن النار يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ان ما كان لى بينبع من مال يعرف لى فيها وما حولها صدقة
ورقيقها غير ابى رباح وابى نيزر وجبير عتقا ليس لاحد عليهم سبيل فهم موالى يعملون فى المال خمس حجج وفيه
نفقتهم ورزقهم ورزق اهاليهم ومع ذلك ما كان لى بوادى القرى كله مال بنى فاطمة ورقيقها صدقة وما
كان لى ببرقة واهلها صدقة غير ان رقيقها لهم مثل ما كتبت لهم من اموالى هذه صدقة ولا يبيع ولا يوهب ولا يورث
ولكنها شفيعة فى كل نفقة ابتغى بها وجه الله فى سبيل الله ووجهه وذوى الرحم من بنى هاشم وبنى المطلب والقريب و
البعيد وانه يقوم بذلك الحسن بن على ياكل منه بالمعروف وينفقه حيث يريه الله فى كل محلل لا حرج عليه فيه
وان اراد ان يبيع نصيبا من المال فيقضى به الدين فليفعل ان شاء لا حرج عليه فيه وان شاء جعله من الملك

وان ولد على اموالهم الى الحسن بن على وان كانت دار الحسن غير دار الصدقة فبدا له ان يبيعها فليبعها ان شاء
لا حرج عليه فان باع فانه يقسمها ثلثة اثلاث فيجعل ثلثا فى سبيل الله ويجعل ثلثا فى بنى هاشم وبنى المطلب
ويجعل الثلث فى ال ابى طالب وانه يضعهم حيث يريه الله ثم يتصل بقوله وان حدث بحسن حدث وحسين حى فانه
الى حسين بن على وان حسينا يعمل فيه مثل الذى امرت به حسنا له مثل الذى كتب للحسن وعليه مثل الذى على الحسن
ثم يتصل لقوله وان الذى لبنى فاطمة الى قوله وتشريفا لوصلته ثم يقول وان حدث بحسن وحسين حدث فان
الاخر منهما ان ينظر فى بنى على فان وجد فيهم من يرضى بهديه واسلامه وامانته فانه يجعله اليه ان شاء وان لم
ير فيهم بعض الذى يريد فانه يجعله فى بنى ابى فاطمة ويجعله الى من يرضى بهديه واسلامه وامانته منهم وانه
شرط على الذى جعله اليه ان يترك المال على اصوله وينفق من ثمره حيث امره الله من سبيل الله ووجوهه وذوى
الرحم من بنى هاشم وبنى المطلب القريب والبعيد وان لا يبيع من اولاد نخل هذه القرى الى اخره ثم يقول ليس
لاحد عليها سبيل هذا ما قضى على فى امواله هذه يوم قدم مسكن ابتغاء وجه الله والدار الاخرة لا يباع منه
شى ولا يوهب ولا يورث والله المستعان على كل حال ولا يحل لامرء مسلم يؤمن بالله واليوم الاخر ان يغير شيئا
مما اوصيت به فى مال ولا يخالف فيه امرى من قريب ولا بعيد وشهد بهذا ابو سمر بن ابرهة وصعصعة
بن صوحان وسعيد بن القيس وهياج بن الهياج وكتب على بن ابى طالب بيده لعشر خلون من جمادى الاولى
سنه سبع وثلثين بولجنى يدخلنى والامنة الامن وحررها جعلها حرة واكثر هذه الوصية واضح عن الشرح
غير ان فيها نكتا الاولى جواز الوصية والوقف على هذا الوجه وتعليم الناس كيفية ذلك الثانية قوله
ياكل منه بالمعروف اى على وجه الاقتصاد الذى يحل له من غير اسراف وتبذير ولا بخل وتقتير وينفق منه فى
المعروف اى فى وجوه البر المتعارفة غير المنكرة فى الدين الثالثة قوله فان حدث بحسن حدث كناية عن
الموت والامر يحتمل ان يريد به امره عليه السلام على امره به وقيامه بتنفيذه واجرائه فى مواردها ويحتمل ان يريد
به جنس الامور التى امر بالتصرف فيها وبها الرابعة هاهنا عود الى الحسن وتقديره واصدر الحسين الامر كاصدار
الحسن له وفى فى المال كتصرفه والمصدر بمعنى الاصدار كقوله والله انبتكم نباتا اى انباتا ويحتمل ان يكون
المصدر محل الاصدار اى واصدره فى محل اصداره الثانى ويحتمل ان يعود الى الامر الذى وصى به عليه السلام
ويكون المعنى وضع كل شى موضعه الخامسة قوله ان يترك المال على اصوله كناية عن عدم اخراجه ببيع او شبهه
او نوع من وجوه التمليكات السادسة قوله وان لا يبيع من اولاد نخل هذه القرى ودية حتى يشكل ارضها
غراسا ربما يموت فيها ما يحتاج الى الخلاف فينبغى ان لا يباع من فسيلها شى حتى تكمل غراسا وتنبت حيث
لا يحتاج الى شى الثانى ان النخلة قبل ان يشكل ارضها تكون بعد غير مستحكمة الجذع ولا اشتدة فلو قلع
فسيلها من تحتها ضعفت جدا حتى لا تكاد تنجب فاما اذا قويت واشتدت لم يكن عليها بقلع فسيلها كثير
مضرة وذلك حين يشكل ارضها وتتكامل غراسها وتلتبس على الناظر حسب ما فسره السيد رحمه الله

كن بالطواف على ما يرعن نكاحهن وكن يومئذ سبع عشرة منهن امهات اولاد احيا معهن اولادهن ومنهن حبالى ومنهن من لا ولد لها فقضى فيهن ان حدث بي حادث الموت ان من كانت منهن ليس لها ولد ولا حبلى فهي عتيق لوجه الله لا سبيل لاحد عليها ومن كان منهن لها ولد او هي حبلى فتمسك على ولدها وهي من حظه اي من تركته ويجب ثمنها من حصته وتعتق عليه فان مات ولدها وهي حية فهي عتيق لا سبيل لاحد عليها وقضاؤه عليه السلام بكون ام الولد محسوبة من حظ ولدها وتعتق من مات ولدها منها بعد موته بناء على مذهبه عليه السلام في بقاء ام الولد على الرق بعد موت سيدها المستولد ويصح بيعها وهو مذهب الامامية وقول قديم للشافعي وفي الجديد انها تعتق بموت سيدها المستولد ولا يجوز بيعها وعليه اتفاق الجمهور حتى لو بيعت وقضى قاض بصحة بيعها فالمختار من مذهب الشافعي انه ينقض قضاؤه وبالله التوفيق

ومن وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وانما ذكرنا منها جملا هاهنا ليعلم بها انه عليه السلام كان يقيم عماد الحق ويشرع امثلة العدل في صغير الامور وكبيرها ودقيقها وجليلها انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له ولا تروعن مسلما ولا تجتازن عليه كارها ولا تاخذن منه اكثر من حق الله في ماله فاذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير ان تخالط ابياتهم ثم امض اليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ولا تخدج بالتحية لهم ثم تقول عباد الله ارسلني اليكم ولي الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في اموالكم فهل لله في اموالكم من حق فتؤدوه الى وليه فان قال قائل لا فلا تراجعه وان انعم لك منعم فانطلق معه من غير ان تخيفه او توعده او تعسفه او ترهقه فخذ ما اعطاك من ذهب او فضة فان كانت له ماشية او ابل فلا تدخلها الا باذنه فان اكثرها له فاذا اتيتها فلا تدخلها دخول متسلط عليه ولا عنيف به ولا تنفرن بهيمة ولا تفزعنها ولا تسوءن صاحبها فيها واصدع المال صدعين ثم خيره فاذا اختار فلا تعرضن لما اختاره ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره فاذا اختار فلا تعرضن لما اختاره فلا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله تعالى في ماله فاقبض حق الله منه فان استقالك فاقله ثم اخلطهما ثم اصنع مثل الذي صنعت اولا حتى تاخذ حق الله في ماله ولا تاخذن عودا ولا هرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات عوار ولا تامنن عليها الا من تثق بدينه رافقا بمال المسلمين حتى يوصله الى وليهم فيقسمه بينهم ولا توكل بها الا ناصحا شفيقا وامينا حفيظا غير معنف ولا مجحف ولا ملغب ولا متعب ثم احدر الينا ما اجتمع عندك نصيره حيث امر الله به فاذا اخذها امينك فاوعز اليه ان لا يحول بين ناقة وفصيلها ولا يمصر لبنها فيضر ذلك بولدها ولا يجهدنها ركوبا وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها وليرفه على اللاغب وليستأن بالنقب والظالع وليوردها ما تمر به من الغدر ولا يعدل بها عن نبت الارض الى جواد الطرق وليروحها في الساعات وليمهلها عند النطاف والاعشاب حتى تاتينا باذن الله بدنا منقيات غير متعبات ولا مجهودات لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله

فان ذلك اعظم لاجرك واقرب لرشدك

اقول روعه افزعه ولا تخدج بالتحية اي لا تنقصها وروي تخدج بالحاء من الحدج بالحجارة اي الرمي بها والبكر اول ما يولد وانعم اي قال نعم والعسف الاخذ بشدة وعلى غير وجه والارهاق تكليف العسر والماشية الغنم والبقر والعنيف الذي لا رفق له وصدعت المال صدعين قسمته قسمين والعود المسن من الابل وهو الذي جاوز في السن البازل والهرمة العالية السن والمكسورة التي انكسرت احدى قوائمها والمهلوسة التي ذهب الهلاس وهو السل والعوار بالفتح العيب وقد يضم والمجحف الذي يسوق المال سوقا عنيفا يذهب بلحمه والملغب المتعب المعوب لاعيا واوعزت اليه بكذا اي امرته به وحال بين الشيئين حجز والمصر حلب كل ما في الضرع من اللبن والمصر حلب بقايا اللبن فيه والترفيه الاراحة واستان اي ارفق والنقب البعير الذي رقت اخفافه والغدر جمع غدير الماء والنطاف المياه القليلة والاعشاب جمع عشب وهو الكلأ والبدن السمان الواحد بادن والمنقيات السمان من نقي وهو مخ العظم وشحم العين والنقي كل عظم ذي مخ وهذه الوصية مشتملة على تعليم عامله على جباية الصدقات قوانين الاخذ في عدل من اهلها ومدارها امره له على الشفقة عليهم والرفق بهم واعلم ان الرفق بالرعية وان كان من اهم المطالب للشارع صلى الله عليه وآله لاستلزامه تالف قلوبهم واجتماعها عليه وعلى ما جاء به من الحق الا انه هاهنا اهم والحاجة اليه اشد وذلك ان الغرض هاهنا اخذ بعض ما هو اعز المطالب عند الناس من ايديهم وهو المال ومشاركتهم فيه فكانوا بهم هنا اقرب الى النفار مما يدعون اليه من سائر التكاليف وهم الى المداراة والرفق اشد حاجة فلذلك اكد عليه السلام وصية العامل بالرفق بهم والمساهلة معهم حفظا للقلوب وفي الوصية مواضع الاول امره بالانطلاق معتمدا على تقوى الله غير مشرك في تقواه غيره ولا موجبا نية في انطلاقه لله سواه لان حركته هذه حركة دينية من جملة العبادات فيجب توجيهها الى الله بالاخلاص الثاني ان لا يفزع مسلما كما عادة الولاة الظالمين وان لا يجتازن عليه كارها اي لا يجتاز شيئا من بلاده ومواشيه وهو كاره لاجتيازه وروي ولا تحتازن بالحاء اي ولا يمرن على ارض انسان ومواشيه وهو كاره لمروره عليها وبها وانتصب كارها على الحال من الضمير المجرور الثالث امره اذا نزل بقبيلة ان ينزل بمائهم لان من عادة العرب ان تكون مياههم بارزة عن بيوتهم وان لا يخالط بيوتهم لما في ذلك من المشقة عليهم والتكلف له الرابع قوله ثم امض اليهم الى قوله ولا تسوءن صاحبها فيها تاديب له بما ينبغي ان يفعله في حقهم مما يستلزم المصلحة وتعليم الاسباب الشفقة عليهم من الافعال كالسكينة والوقار والقيام فيهم من الاقوال كالسلام واداء الرسالة واحوال الاقوال كاتمام التحية والرفق في القول ومن النزول كان لا يخيف المسلم ولا يتوعده ولا يعسفه ولا يرهقه عسرا ولا يدخل بلدتنا من غير اذنه ولا يدخلها دخول متسلط ولا جبار ولا عنيف وان لا ينفر بهيمة ولا يفزعها ولا يسوء صاحبها فيها بضرب ونحوه لما في ذلك كله من اذى صاحبها وتنفير قلبه المضاد للمطلوب للشارع الخامس انه علل نهيه عن دخولها بغير اذن صاحبها فان اكثرها له والكلام في قوة صغرى قياس ضمير من الشكل الاول يستلزم حسن هذا النهي وتقدير كبراه وكل من كان اكثر المال له فهو اولى بالتصرف والحكم والمال فيلزم ان لا يتصرف فيه غيره

فيه ودخولها الا باذنه السادس قوله واصدع المال الى قوله في ماله تعليم لكيفية استخراج الصدقة التي في الابل والماشية وهو ان يفرق اولا الماشية عند اختلاط الكل فرقتين ثم يخيره فان اختار قسما فلا يعترض فيه ليس له ان يستانف فيه نظرا آخر وكذلك يقسم الصدع الباقي بنصفين ولا يزال يفعل كذلك حتى ينتهي احد القسمة الى مقدار الواجب من حق الله تعالى في ذلك المال او هو قريب بقليل فيؤخذ منه مقدار الواجب او دونه بيسير فيتم ويجعل لرب المال اختيار احد الصدعين والا فلو ان استقاله من احدهما لقسمة تشكيك الغلبة وخيره من تقسيم ماله السابع نهاه ان ياخذ في مال الله ما كان باحد الصفات المذكورة كالعود والهرمة والمكسورة والمهلوسة والمعيبة بكيا ونحوه مما فاته لحق الله تعالى ويجعل المال مضارا فرقهم الاصناف الثمانية الذين عددهم الله تعالى في كتابه الكريم من الفقراء والمساكين وغيرهم وقال قطب الدين الراوندي رحمه الله الظاهر من كلامه عليه السلام انه كان يامر باخراج كل واحد من هذه الاصناف المعيبة من المال قبل ان يصدع بصدعين الثامن نهاه ان يامن عليها ويوكل بحفظها وسوقها الا من يثق بدينه واما نته وانقا من نفسه بحفظه حتى يسلمه الى وليهم يعني عليه السلام ويكون ناصحا اي لله ولرسوله شفيقا اي على ما يقوم عليه امينا حفيظا عليه غير ضعيف ولا مجحف ولا متعب له ونحو ذلك من الامور اللازمة في حفظ الواجب من حق الله تعالى التاسع امره ان يحمل اليه ما يجتمع معه ولا يؤخره لان احدهما الحاجة الحاضرة في مصارفها الثاني الخوف من تلفه باحد اسباب التلف قبل الانتفاع به العاشر انتقاله الى الوصية بالبهائم وهو ان يامر امينه عند تسليم المال ان لا يحول بين ناقة وفصيلها ولا يحلب جميع لبنها لان الامرين مضران بالولد ولا يجهدنها ركوبا ويخصها به دون صواحباتها لان ذلك مما يضر بها وان يعدل بينها في ذلك مما يقلل مضرة الركوب وهو ايضا من الشفقة الطبيعية وكذلك الترفيه على اللاغب والتاني بالناقب والظالع وكذلك ان يوردها مما يمر به من الماء والكلأ وان يروحها في ساعات الرواح للغاية التي ذكرها وهو ان ياتي بها الى السمن والراحة وانما قال لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه وان كان ذلك امرا معلوما من حاله عليه السلام لانه مما بالغ في الوصية بها وتوقى ما يسبق الى بعض الاوهام الفاسدة ان ذلك لغرض يختص به عن الكتاب والسنة ثم رغبه في ذلك بكونه اعظم لاجره عند الله واقرب لرشده لطريق الله وهو ظاهر اما انه اعظم لاجره فلكونه اكثر مشقة واكثر الثواب تابع لاكثر المشقة واما انه اقرب لرشده فلما ذكر في ذلك على التروع والتدابير بهداه الذي لم يكن عارفا به وبالله التوفيق

ومن عهد له عليه السلام الى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة امره بتقوى الله في سرائر اموره وخفيات اعماله حيث لا شهيد غيره ولا وكيل دونه وامره ان لا يعمل بشيء من طاعة الله فيما ظهر فيخالف الى غيره فيما اسر ومن لم يختلف سره وعلانيته وفعله ومقالته فقد ادى الامانة واخلص العبادة وامره ان لا يجبههم ولا يعضههم ولا يرغب عنهم تفضلا بالامارة عليهم فانهم الاخوان في الدين والاعوان على استخراج الحقوق وان لك في هذه الصدقة نصيبا مفروضا وحقا معلوما وشركاء اهل مسكنة وضعفاء ذوي فاقة وانا موفوك حقك فوفهم حقوقهم والا تفعل فانك من اكثر الناس خصوما يوم القيمة وبؤسا لمن خصمه عند الله الفقراء و

المساكين

المساكين والسائلون والمدفوعون والغارم وابن السبيل ومن استهان بالامانة ورتع في الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه عنها فقد احل بنفسه في الدنيا وهو في الآخرة اذل واخزى وان اعظم الخيانة خيانة الامة وافظع الغش غش الائمة والسلام اقول يجبهه يلقاه بالمكروه واذا استقبله به وعضهه رماه بالبهتان والكذب والفاقة والبؤس الشدة والفظع الشدة وقد امره عليه السلام باوامر بعضها يتعلق باداء حق الله تعالى وبعضها يتعلق باحوال الرعية والشفقة عليهم بنظام حالهم وتدبير امورهم فالذي يتعلق بحق الله تعالى امره ان يتقيه فيما يسر من اموره ويخفى من اعماله وهي التقوى الحقة المنتفع بها وقوله حيث اشارة الى موضع اسرار العمل واخفاء الامور وقوله لا شهيد غيره ولا وكيل دونه في معرض الوعد له والتخويف باطلاعه تعالى على سرائر العباد وخفيات اعمالهم وتوليه لها دون غيره وتنبيه بكونه هو الشهيد دون غيره على عظمته مع الرد لما عسى ان يحكم به الوهم مطلقا من ان السرائر والامور الخفية لا يطلع عليها غير من هي له الثاني ان يوافق في طاعته لله تعالى بين ما اظهر منها وما ابطنه ويخلص اعماله الظاهرة من الرياء والسمعة وذلك قوله وامره ان لا يعمل الى قوله فيما اسر وما في قوله فيما بمعنى الذي ويحتمل ان يكون مصدرية وفيما ظهر اي للناس من طاعة الله وقوله ومن لم يختلف الى قوله العبادة ترغيب له فيما امره به من عدم اختلاف السريرة والعلانية والفعل والقول بكون ذلك مستلزما للاخلاص بعبادة الله ولاداء الامانة التي كلفها عباده على السنة رسله وانبيائه وظاهر كون ذلك مستلزما للثواب من الله والامن من سخطه واما ما يتعلق باحوال الرعية والشفقة عليهم فمنه ما يتعلق بحال ارباب الاموال التي تستحق عليهم الصدقة ومنه ما يتعلق بارباب الصدقة المستحقين لها اما الاول فان لا يلقاهم بمكروه ولا يرميهم ببهتان وكذب وان لا ينقبض عنهم ويترفع عليهم تفضلا لنفسه بالامارة وان تفضيلا على المفعول له وقوله فانهم الاخوان الى قوله الحقوق اشارة الى احتجاج بقياس ضمير من الشكل الاول يستلزم حسن الانتهاء عما امره بالانتهاء عنه ووجوبه والمذكور في قوة صغرى وتقدير الكبرى وكل من كان اخا في الدين وعونا على استخراج الحقوق فيجب ان لا يفعل في حقه شيء مما امرت بالانتهاء عنه واما انهم الاعوان على استخراج الحقوق فلان الحقوق المطلوبة منهم انما تحصل بواسطتهم وحصولها منهم انما يتم بالشفقة عليهم وان لا يفعل معهم شيء مما نهى عنه عليه السلام فان كل تلك الامور مما ينفر طباعهم ويشتت نظام شملهم ومنه يكون قلة مال الصدقة والمشقة عليهم ويحتمل ان يدخل في هؤلاء الجند ايضا واما ما يتعلق بالمستحقين للصدقة فان يوفيهم حقوقهم منها واشار الى الحجة على وجوب ذلك عليه بقوله وان لك الى قوله وانا موفوك حقك وهو في قوة صغرى ضمير من الشكل الاول تقدير كبراه وكل من كان له نصيب مفروض وحق معلوم في شيء وله شركاء فيه بصفة الفقر والمسكنة وهو مستوف لحقه منه فواجب عليه ان يوفي شركاءه حقوقهم اما الصغرى فظاهرة واما الكبرى فاشار الى بيانها بقياس آخر من الشكل الاول مركب من متصلتين فاشار الى الصغرى بقوله والا الى قوله يوم القيمة ونبه على الكبرى بقوله وبؤسا الى قوله وابن السبيل وهي في قوتها اذ الاصناف المذكورة

من يستحق الصدقة هم الخصوم وهم اكثر الناس وكان الاوسط متحدا وصار يعقد بالقياس الاتى فهم حقهم فالك
من خصومه اكثر الناس اى الفقراء والمساكين وساير الاصناف يوم القيمة وكل من كان خصومه اكثر الناس وهم
الاصناف المذكورة عند الله وهو يوم القيمة فبؤسا له عند الله يوم القيمة وينتج متصلا موكبا من مقدم الصغرى
وتالى الكبرى وهى الاتى فهم فبؤسا لك وهو فى معرض التهديد والتشنيع له عن ظلمهم والاستبعاد عليهم شيئ من
الصدقة وشركا عطف على قوله حقا معلوما واهل المسكنة صفة له وبؤسا نصب على المصدر واما الاصناف
المستحقين للصدقات فهم الثمانية المعدودة فى القرآن الكريم بقوله انما الصدقات للفقراء الى قوله وابن
السبيل فاما الفقير فقال ابن عباس وجماعة من المفسرين انه المتعفف الذى لا يسال والمسكين هو الذى يسال
وعن الاصمعى ان الفقير هو الذى له ما ياكل والمسكين هو الذى لا شئ له واما العاملون عليها فهم السعاة
فى جباية الصدقات ويعطيهم الامام منها بقدر اجور امثالهم واما المؤلفة قلوبهم فكانوا قوما من اشراف العرب
يتالفهم رسول الله صلى الله عليه وآله فى مبداء الاسلام ويعطيهم سهما من الزكوة ليدفعوا عنه قومهم ويعينوه على
العدو كالعباس بن مرداس وعيينة بن حصن وغيرهما ثم استغنى الناس المسلمون عن ذلك عند قوتهم واما فى
الرقاب اى فى فداء الرقاب فقال ابن عباس يريد المكاتبين وكانوا يعطون سهما ليعتقوا به واما الغارمون
فهم الذين لزمتهم الديون فى غير معصية ولا اسراف واما فى سبيل الله فهو الغزاة والمرابطون واما ابن
السبيل فهو المنقطع به فى السفر ويعطى من الصدقة وان كان غنيا فى بلده وقد ذكر عليه السلام هاهنا فى معرض
ايجاب الشفقة والرحمة خمسة وهم الفقراء والمساكين ويدخل فيهم السائلون ثم المدفوعون والمعتبر ان يريد
بهم العاملين عليها وسماهم مدفوعين باعتبار انهم يدفعون بجباية الصدقات اولانهم اذا اتوا الى من لا
زكوة عليه فالوه هل عليه زكوة ام لا دفعهم عن نفسه وذكرهم هنا بهذا الوصف لكونه وصف ذل ولغيا
وكونه عليه السلام فى معرض الامر بالشفقة عليهم قال بعض الشارحين اراد بهم الفقراء السائلين لكونهم يدفعون
عند السؤال ثم الغارم وابن السبيل وانما ذكرها ولاء الخمسة او الاربعة لكونهم اضعف حالا من الباقين
وقوله ومن استهان الى قوله والخزى يشبه ان يكون كبرى قياس ضمير احتج به فى معرض الوعيد والتخويف من
الخيانة على لزوم الذل والخزى فى الدارين على تقدير ان لا يوفيهم حقوقهم وتقديره القياس لا يوفيهم حقوقهم
يكن مستهينا بالامانة راتعا فى الخيانة غير منزه نفسه ودينه عنها وكل من كان كذلك فقد احل بنفسه
فى الدنيا الذل وهو فى الاخرة اذل واخزى وروى اخل بنفسه اى اباحها والذل على هاتين الروايتين مبتدأ
خبره فى الدنيا والخيانة اعم من الغش وهى رذيلة التفريط من فضيلة الامانة والغش رذيلة تقابل فضيلة
النصيحة وهما داخلتان تحت رذيلة الفجور وقوله وان اعظم الخيانة الى آخره تنبيه على عظم الخيانة هاهنا اذ
كانت خيانة كلية عامة الضرر لاكثر المسلمين ومستلزمة لغش الامام الذى هو افضل الناس واولاهم بالنصيحة
فاذا كان مطلق الخيانة ولو فى حق اقل الخلق واحقر الاشياء منهيا عنها ويستحق العقاب والخزى عليها فما

الاولى

لاولى مثل هذه الخيانة العظيمة وكل ذلك فى معرض الوعيد والتنفير عن الخيانة والاستهانة بالامانة وبالله
التوفيق **ومن عهد له الى محمد بن ابى بكر** لما قلده مصر فاخفض لهم جناحك والن لهم جانبك وابسط
لهم وجهك وآس بينهم فى اللحظة والنظرة حتى لا يطمع العظماء فى حيفك لهم ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم
فان الله يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من اعمالكم والكبيرة والظاهرة والمستورة فان يعذب فانتم اظلم
وان يعف فهو اكرم واعلموا عباد الله ان المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة فشاركوا اهل الدنيا
فى دنياهم ولم يشاركهم اهل الدنيا فى آخرتهم سكنوا الدنيا بافضل ما سكنت واكلوها بافضل ما اكلت
فحظوا من الدنيا بما حظى به المترفون واخذوا منها ما اخذه الجبابرة المتكبرون ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ
والمتجر المربح اصابوا لذة زهد الدنيا فى دنياهم وتيقنوا انهم جيران الله غدا فى آخرتهم لا ترد لهم دعوة ولا
ينقص لهم نصيب من لذة فاحذروا عباد الله الموت وقربه واعدوا له عدته فانه ياتى بامر عظيم وخطب جليل بخير
لا يكون معه شر ابدا وشر لا يكون معه خير ابدا فمن اقرب الى الجنة من عاملها ومن اقرب الى النار من عاملها
وانتم طرداء الموت ان اقمتم له اخذكم وان فررتم منه ادرككم وهو الزم لكم من ظلكم الموت معقود بنواصيكم
والدنيا تطوى من خلفكم فاحذروا نارا قعرها بعيد وحرها شديد وعذابها جديد دار ليس فيها رحمة ولا
تسمع فيها دعوة ولا تفرج فيها كربة وان استطعتم ان يشتد خوفكم من الله وان يحسن ظنكم به فاجمعوا بينهما فان
العبد انما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه وان احسن الناس ظنا بالله اشدهم خوفا لله
واعلم يا محمد بن ابى بكر انى قد وليتك اعظم اجنادى فى نفسى اهل مصر وانت محقوق ان تخالف على نفسك وان
تنافح عن دينك ولو لم يكن لك الا ساعة من الدهر ولا تسخط الله برضا احد من خلقه فان فى الله خلفا من غيره
وليس من الله خلف فى غيره صل الصلوة لوقتها المؤقت لها ولا تعجل وقتها لفراغ ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال
واعلم ان كل شئ من عملك تبع لصلاتك **اقول** قلده الامر جعله فى عنقه كالقلادة واللفظ مستعار وحظى
من كذا اى صار له منه حظوة وهى المنزلة والحظ الوافر والجبار البالغ فى التكبر والطرداء جمع طريد وهو ما
يطرد من صيد والخلف العوض وهذا الفصل من العهد ملتقط من كلام طويل ومداره على امور الاول
وصيته محمد رضى الله عنه بمكارم الاخلاق فى حق رعيته وذكر اوامر احدها امره بخفض الجناح قيل واصله ان
الطاير يمد جناحيه ويخفضهما لجمع فراخه تحتهما اظهارا للشفقة عليهم فاستعمل كناية عن التواضع الكاين
عن الرحمة والشفقة كما قال تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقد بينا ان التواضع ملكة تحت
فضيلة العفة الثانى امره بالانة جانبه كناية عن الرفق بهم فى الاقوال والافعال وعدم الغلظة عليهم و
المسامحة فى حقهم فى كل الاحوال وهو قريب من التواضع ومن لوازمه الثالث امره ان يبسط لهم وجهه وهو كناية
عن لقائهم بالبشاشة والطلاقة من غير تقطيب وعبوس وهو من لوازم التواضع ايضا الرابع ان يواسى
بينهم فى النظرة واللحظة وهى اخص من النظرة وهو كناية عن الاستقصاء فى العدل بينهم فى جليل الامور

وحقيرها قليلها وكثيرها وقوله حتى لا يطمع الى قوله عليهم بيان وجه الحكمة فى امره بالمساواة بينهم فى اللحظة
والنظرة على حقارتهما فان قلت فلم خصص العظماء بالطمع فى الحيف والضعفاء باليأس من العدل قلت
لان العادة ان الولاة والامراء انما يخصصون بالنظرة والاقبال بالبشاشة الاغنياء والعظماء دون
الضعفاء وذلك التخصيص مستلزم لطمعهم ان يحاف لهم والاعراض عن الضعفاء مستلزم لليأس من العدل فى
حقهم والضمير فى قوله عليهم يرجع الى العظماء الثانى الوعيد للعباد بسؤال الله لهم عن صغير اعمالهم وكبيرها
وظاهرها ومستورها والاعلام بانهم مظنة عذابه لبدائهم بمعصيته والبادى اظلم قال الراوندى المراد
بالظلم الظالم قلت ويحتمل ان يكون قد سمى ما يجازيهم به من العدل ظلما مجازا لمشابهته الظلم فى الكمية و
الصورة كما سمى فى القصاص اعتداء فى قوله فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ثم نسبه اليه فعلهم فصدق
انه افعل التفضيل باعتبار كونهم بادين بالمعصية وكذلك الاعلام بانه تعالى مظنة الكرم بالعفو عنهم الثالث
اعلامهم بما ينبغى لهم من استعمال الدنيا والتنبيه على كيفية استعمالها الواجب بوصف حال المتقين فيها
ليقتدوا بحالهم وهى ما اخبر عنه بقوله ذهبوا بعاجل الدنيا الى قوله ولا ينقص لهم نصيب من لذة وخلاصة
حالهم المذكورة انهم اكثر فايدة من اهل الدنيا اذ حصلوا من اللذة فى دنياهم على افضل ما حصل لاهلها
من لذاتهم بها مع زيادة الفوز الاكبر فى الآخرة بما وعد فيها المتقون واعلم ان الذى يشير اليه من عاجل
الدنيا فى حق المتقين الذين شاركوا اهلها فيها وحظوا به منها مما حظى به المترفون واخذه الجبابرة المتكبرون
وهو ما حصلوا عليه من لذات الدنيا المباحة لهم بقدر ضرورتهم وحاجتهم كما روى عنه فى حقهم بلفظ آخر
شاركوا اهل الدنيا فى دنياهم ولم يشاركهم اهل الدنيا فى آخرتهم اباحهم الله فى الدنيا ما كفاهم وبه اغناهم
قال الله عز اسمه قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق الآية سكنوا من الدنيا بافضل
ما سكنت واكلوها بافضل ما اكلت شاركوا اهل الدنيا فى دنياهم فاكلوا معهم من طيبات ما ياكلون و
شربوا من طيبات ما يشربون ولبسوا من افضل ما يلبسون وتزوجوا من افضل ما يتزوجون وركبوا من افضل
ما يركبون اصابوا لذة الدنيا مع اهل الدنيا وهم فيها جيران الله يتمنون عليه فيعطيهم ما يتمنون لا يرد لهم
دعوة ولا ينقص لهم نصيبا من لذة فاما وجه كونهم اكلوها على افضل ما اكلت وسكنوها بافضل ما سكنت
فلانهم استعملوها على الوجه الذى ينبغى لهم وقد امروا باستعمالها عليه وظاهر ان ذلك الوجه افضل الوجوه
واما انهم شاركوا اهل الدنيا فى طيباتها فظاهر بل نقول ان لذتهم بما استعملوا منها اتم واكمل وذلك ان كل
ما استعملوه منها من ماكول ومشروب ومنكوح ومركوب انما كان عند الحاجة والضرورة اليه وقد علمت ان
الحاجة الى الملك كلما كانت اشد واقوى كانت اللذة به عند حصوله اتم واعلى وذلك من الامور الوجدانية
فثبت اذن انهم حصلوا منها بما حظى به المترفون واخذوا منها ما اخذه الجبابرة المتكبرون مع ما فضلوا به
من الحصول على آجل الآخرة الذى لم يشاركهم اهل الدنيا فيه كقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا

نؤته

نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب واما الزاد المبلغ لهم الى ساحل العزة وحضرة الجلال فهو التقوى
الذى اتصفوا به كما قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى وقد علمت معنى كونه زادا غير مرة واستعار للتقوى
والطاعة لفظ المتجر باعتبار كون الغاية المقصودة منها استفادة ثواب الله المشبه للثمن ورشح بذكر الربح
اى المكسب للربح وذلك باعتبار زيادة فضل ثواب الله فى الآخرة على ما بذله العبد من نفسه من العمل وقوله
اصابوا لذة زهد الدنيا فى الدنيا اشارة الى بعض ما وعدوا به من اللذات فى الدنيا وهو لذة الزهد اذ كان
لهم بطرح الدنيا عن اعناق نفوسهم ووصولهم بسببه الى ما وصلوا اليه من الكمال لانه الغاية ابتهاجات
عظيمة اجل واعلى مما يعده المترفون والمتكبرون لذة وخيرا وهم الذين يحق لهم ان يتكبروا على المتكبرين
اذ كان الكمال الذى به تكبر المتكبرون امرا خياليا ضعيفا بالقياس الى الكمال الحق الذى حصل عليه
هؤلاء وقوله وتيقنوا انهم جيران الله غدا الى يوم القيمة وهو اشارة الى جهة فرحهم بجوار الله والتذاذهم
به المضاف الى ما اصابوه من لذة زهد الدنيا وتلك الجهة هى ما حصلوا عليه من اليقين بالله والوصول
التام اليه بعد مفارقة الابدان وذلك معنى جواره وقوله لا ترد لهم دعوة اشارة الى بعض فضايلهم التى
انفردوا بها ايضا المتفرعة على كمال نفوسهم وكرامتهم عند الله اللازمة عن لزوم طاعته وهو كونهم مجابى
الدعوة مع ما شاركوا غيرهم فيه من تمام اللذة فى الدنيا وانفردوا به من تمامها فى الآخرة الرابع تحذيرهم
من الموت وقربه وتنبيههم على غايته من ذلك ليحذروه وهو ان يعدوا العدة التى يليق بها ولا يكون كثير ضرره
وقد علمت انها التقوى والعمل الصالح واكد الامر باعداد عدته بالتنبيه على عظيم ما ياتى به من الامر والخطب
الجليل وما اشار الى ان ذلك الامر قد يكون خيرا خالصا دايما وقد يكون شرا خالصا دايما لتشتد الرغبة وتقوى
فى كمال العدة المستلزمة لتحصيل ذلك الخير الذى ياتى به الموت هو الجنة وذلك الشر هو النار وان المقرب
الى كل منهما والمستلزم للحصول عليه هو العمل له بقوله فمن اقرب الى قوله عاملها ثم نبه بقوله وانتم الى قوله
خلفكم على ان هذا الامر المستعقب لاحدى هاتين الغايتين العظيمتين وهو الموت لابد من لقائه
ليتاكد الامر عليهم بالاستعداد له واستعار لهم لفظ الطرداء ملاحظة لشبههم بما يطرد من صيد ونحوه ولشبهه
بالفارس المجد فى الطلب الذى لابد من ادراكه الطريدة وظاهر انه الزم لكل امرئ من ظله اذ كان ظل المرء
قد ينفك عنه حيث لا ضوء والموت امر لازم لا ينفك منه وقوله والموت معقود بنواصيكم كناية عن لزومه وكونه
لابد منه اقتضاء اى مشدود ومربوط بنواصيكم وذلك الربط اشارة الى حكم القضاء الالهى به وكونه
ضروريا للحيوان وانما خص الناصية لانها اعز ما فى الانسان واشرف والاخذ بها املك له واقدر على ضبطه
ونحوه قوله تعالى فيؤخذ بالنواصى والاقدام واستعار لفظ الطى لتقضى احوال الدنيا وايامها التى يقطعها
الانسان وقتا فوقتا ملاحظة لشبه احوالها بما يطوى من بساط ونحوه وظاهر ان ذلك الطى من خلفهم
خلفا خياليا بالنسبة الى ما يستقبلونه من احوالها بوجوه همهم ثم لما كرر ذكر الموت واكده لزومه طى الدنيا

رجع الى التحذير من غاية وهي النار ووصفها باوصاف اليشتد الحذر منها وهو بعد قعرها وما ينبه عليه ما روى
ان النبي صلى الله عليه سمع هدة فقال للاصحاب هذا حجر القى من شفير جهنم فهو يهوى فيها منذ سبعين خريفا والان
حين وصل الى قعرها وكان ذلك اشارة منه الى منافق مات في ذلك الوقت وعمره سبعون سنة وقد اشرنا الى
ذلك من قبل وشدة حرها كقوله تعالى قل نار جهنم اشد حرا وجدة عذابها كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وكونها ليست بدار رحمة ولا يسمع لها دعوة لقوله تعالى ربنا اخرجنا منها الاية
الى قوله ولا تكلمون وكونها لا تفرج فيها كربة كقوله تعالى في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون و
قوله ونادوا يا مالك الى قوله ماكثون الخامس قوله وان استطعتم الى قوله بينهما امرهم بالجمع من شدة الخوف من
الله وحسن الظن به وهما بابان عظيمان من ابواب الجنة كما علمته فيما سلف ثم اشار الى انهما متلازمان بقوله فان
العبد الى قوله خوفا لله اى بقدر حسن الظن العبد بربه يكون خوفه وملازمة لمقدار خوفه منه وان زيادته مع زيادته
ونقصانه مع نقصانه واعلم انه عليه السلام لم يجعل احدهما علة للآخر بل هما معلولا علة واحدة متساويان وهي معرفة
الله ثم لما كانت معرفة الله تعالى مقولة بحسب الشدة والضعف كان حسن الظن به ورجاؤه وشدة الخوف منه
ايضا مما يشتد ويضعف بحسب قوة المعرفة وضعفها الا ان كل واحد منهما يستند الى صنف من المعرفة واعتبار
خاص يكون هو مبداء القريب اما في حسن الظن والرجا فان يلحظ العبد من دبره ويعتبر جميع اسباب نعم على خلقه
حتى اذا علم لطايفها في حقهم مما هو ضروري لهم كالات الغذاء وما لهم اليه حاجة كالاظفار وما هو زينة كتقويس
الحاجبين واختلاف الوان العينين وبالجملة ما ليس بضروري علم ان العناية الالهية اذا لم تقصر عن عادة
في امثال هذه الدقايق حتى لم يرض لعباده ان يفوتهم المزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقتهم الى
الهلاك الابدي بل اذا اراد اعتبارا في هذا الباب علم تعالى لما هيا لاكثر الخلق اسباب السعادة في الدنيا
حتى كان الغالب على اكثرهم الخير والسلامة سنة الله التي قد خلت في عباده علم ان الغالب امر الاخرة ذلك ايضا
لان مدبر الدنيا والاخرة واحد وهو اللطيف بعباده وهو الغفور الرحيم وحينئذ تكون هذه الملاحظات
والاعتبارات مستلزمة لحسن الظن وباعثة على الرجاء النظر في حكمة الشريعة وسببها وفي مصالح الدنيا
ووجه الرحمة على العباد بها وبالجملة ان يعتبر صفات الرحمة واللطف واما في الخوف فاقوى اسبابه ان يعرف
الله تعالى وصفات جلاله وعظمته وتعاليه وسطوته واستغنائه وانه لو اهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه
مانع وكذلك ساير اعتبارات الصفات التي تقتضي العنف وايقاع المكاره كالسخط والغضب ولذلك قال
تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال صلى الله عليه انا اخوفكم لله وبحسب اشتداد المعرفة بتلك الاعتبارات
يكون حال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض اثر ذلك على البدن فيحصل النحول والصفار والغشية والبكاء
والرعدة وعلى الجوارح فتكفها عن المعاصي وتقيدها بالطاعات استدراكا لما فرط منه في الصفات فينقمع
قمع الشهوات وتكدر اللذات والاحتراق في القلب بالخوف فيحصل له ذبول وذلة وتمنعها فمعها كثير من الرذائل

كالكبر

كالكبر والحسد والحقد والبخل وغيرها ثم ان الجمع بينهما يستلزم كثيرا من الفضايل وذلك ان معرفة الله تعالى
واليقين به اذا حصل هيج الخوف من عقابه والرجاء لثوابه بالضرورة ومما يفيد ان الصبر اذ حفت الجنة بالمكاره فلا
صبر على تحملها الا بقوة الرجاء وحفت النار بالشهوات فلا صبر على قمعها الا بقوة الخوف ولذلك قال علي
عليه السلام من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ثم تؤدي مقام الصبر
الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله ودوام الفكر فيه وهي مؤدية الى كمال المعرفة المؤدي الى الانس المؤدي الى
المحبة المستلزمة لمقام الرضا والتوكل اذ من ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته ولما
ثبت انهما معلولا علة واحدة ثبت انهما متلازمان وليسا بمتضادين وان ظن ذلك في ظاهر الامر بل ربما
غلب احدهما على الاخر بحسب غلبة اسبابه فيشتغل القلب به ويغفل عن الاخر فيظن انه يباينه وينافيه
ولذلك اكد عليه السلام هنا بان المقتضي للشك في استطاعتهم الجمع بينهما ثم نبهه على ان سايره البقرة لتنبيه
اعظم اجناده لتقسي على التذكير بتلك النعمة ما يريد ان يوصيه به السادس نبهه على ما ينبغي له وهو اولى
وذلك ان يخالف على نفسه الامارة فيما تامر به من السوء والفحشاء وصاير ما نهى الله الاعما يحكم به العقل والشرع
من طاعته وان ينافح عن دينه ويجاهد شياطين الانس والجن عنه ولو لم يكن له من الدهر الا ساعة فينبغي ان
لا يشغلها الا بالمجاهدة عن دينه وان لا يسخط الله برضا احد من خلقه اى لمتابعة احد من خلق الله فيما يسخط
الله وقوله فان في الله الى قوله في غيره احتجاج على وجوب مراعاة رضاه تعالى دون غيره بقياس ضمير من الاول
المذكور في قوة صغرى وتقديرها الكبرى وكلما كان في الله خلف عن غيره وليس في غيره خلف منه فالولي اتباع
رضاه وان لا يسخط برضا غيره ثم امره ان يصلي الصلاة لوقتها الموقت لها اى المعين واللام للتخصيص و
التمليك وان لا يقدمها على وقتها لشغله عنها بغيرها فانها اتم من كل شغل واولى ثم اعلمه ان كل شيء من
الاعمال الصالحة تبع للصلوة والمراد ان الانسان اذا حافظ على صلاته واتى بوظايفها في اوقاتها
يوشك ان يكون على غيرها اولى بالمحافظة واذا تساهل فيها فهو في غيرها اكثر تساهلا وذلك انها عمود
الدين وافضل العبادات كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وقد سئل عن افضل الاعمال فقال الصلاة
لاول وقتها وقال صلى الله عليه اول ما يحاسب به العبد الصلاة فمن تمت صلاته سهل عليه غيرها من العبادات
ومن نقصت صلاته فانه يحاسب عليها وعلى غيرها واعلم انه ذكر امر الصلاة في هذا العهد بكلام طويل
نبه السيد رحمه الله وفيه بيان حال الصلاة ولواحقها واقله ان قال وانظر الى صلاتك كيف هي فانك
اما لقومك ان تممها او تخففها فليس من امام يصلي بقوم يكون في صلاتهم نقصان الا كان عليه لا ينقص
من صلاتهم شيء وان تممها وان يحفظ فيها يكن لك مثل اجورهم ولا ينقص ذلك من اجورهم شيئا وانظر الى
الوضوء فانه من تمام الصلوة تمضمض واستنشق ثلثا واغسل وجهك ثم يدك اليمنى ثم اليسرى ثم امسح راسك
ورجليك فاني رايت رسول الله صلى الله عليه يصنع ذلك واعلم ان الوضوء نصف الايمان ثم ارتقب وقت

لفراغه لتلك الوقت ولا تؤخرها عن وقتها

الصلوة فصلها لوقتها ولا تعجل بها قبله لفراغ ولا تؤخرها عنه لشغل فان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وآله
عن اوقات الصلوة فقال صلى الله عليه اتاني جبرئيل فاراني وقت صلوة الظهر حين زالت الشمس وكانت على حاجب
الايمن ثم اراني وقت العصر وكان ظل كل شيء مثله ثم صلى المغرب حين غربت الشمس ثم صلى العشاء الاخيرة
حين غاب الشفق ثم صلى العشاء الاخرة حين غاب الشفق ثم صلى الصبح فاغلس بها والنجوم مشتبكة فصل
لهذه الاوقات والزم السنة المعروفة والطريق الواضح ثم انظر ركوعك وسجودك فان رسول الله صلى الله
عليه كان اتم الناس صلاة واخفهم عملا فيها واعلم ان كل شيء من عملك تبع لصلاتك فمن ضيع الصلاة فانه
لغيرها اضيع اسال الله الذي يرى ولا يرى وهو بالمنظر الاعلى ان يجعلنا واياك ممن يحب ان يرضى حتى يعيننا و
اياك على شكره وذكره وحسن عبادته واداء حقه وعلى كل شيء اختار لنا في ديننا ودنيانا واخرتنا ومن هذا
العهد ايضا فانه لا سواء امام الهدى وامام الردى وولي النبي وعدو النبي ولقد قال لي رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم اني لا اخاف على امتي مؤمنا ولا مشركا اما المؤمن فيمنعه الله بايمانه واما المشرك فيقمعه
الله بشركه ولكني اخاف عليكم كل منافق الجنان عالم اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون اقول هذا الفصل
متصل بقوله واخرنا من فصل الصلاة واوله وانتم يا اهل مصر فليصدق قولكم فعلكم وسركم علانيتكم ولا
تخالف السنتكم قلوبكم انه لا يستوي الى قوله تنكرون ثم يتصل به يا محمد بن ابي بكر اعلم ان افضل الفقه الورع
في دين الله والعمل بطاعته واني اوصيك بتقوى الله في سر امرك وعلانيتك وعلى اي حال كنت عليه الدنيا
دار بلاء ودار فناء والاخرة دار الجزاء ودار البقاء فاعمل لما يبقى واعدل عما يفنى ولا تنس نصيبك من الدنيا اني و
صيك بسبع هي جوامع الاسلام اخش الله عز وجل في الناس ولا تخش الناس في الله وخير العمل ما صدقه العمل ولا تقض
في امر واحد بقضائين مختلفين فيختلف امرك وتزوغ عن الحق واحب لعامة رعيتك ما تحب لنفسك واهل
بيتك واكره لهم ما تكره لنفسك واهل بيتك فان ذلك اوجب للحجة واصلح للرعية وخض الغمرات الى الحق ولا
تخف في الله لومة لائم وانصح المرء اذا استشارك واجعل نفسك اسوة لقريب المسلمين وبعيدهم جعل الله مودتنا
في الدين وحلانا واياكم حلية المتقين وابقى لكم طاعتكم حتى يجعلنا بها اخوانا على سرر متقابلين احسنوا
اهل مصر مؤازرة اميركم واثبتوا على طاعتكم تردوا حوض نبيكم صلى الله عليه اعاننا الله واياكم على ما يرضيه
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته روالعجز والاذلال واعلم انه لما امرهم بترك النفاق وموافقة الفعل
الجميل استدرجهم الى ذلك وجذبهم اليه بالعرف بينه وبين غيره ممن لا يعتبر فاشار بامام الهدى وولي النبي
الى نفسه وبامام الردى وبعدو النبي الى معوية واسند الخبر المشهور الى النبي صلى الله عليه وآله واراد بمنافق
الجنان عالم اللسان معوية واصحابه كل ذلك ليفيئوا الى طاعته عليه السلام ويفزعوا عن خصمه واما سر الخبر
فظاهر ان المؤمن لايمانه لا يخاف منه على المسلمين واما المشرك فان الله يقمعه ويذله بشركه مادام متشركا
متظاهرا بالشرك لظهور الاسلام وغلبة المسلمين واتفاقهم على مجانبته ومعاداته وعدم الاصغاء الى

مايقول

مايقول وانما يخاف عليهم المنافق الذي من شانه اسرار الكفر واظهار الاسلام وتعلم احكامه ومخالطة اهله فهو
يقول بلسانه ما يقولون ويفعل ما ينكرون ووجه المخافة منه ان مخالطته لاهل الاسلام مع اظهاره لم يكونوا ينبوا
لاصغائهم اليه ويحاسبهم له والاعتداد بما يوعدهم من صداقة وصدق وعلمه اللساني وقدرته على الشبه المضلة
وتمشيتها بالاقوال الحق وقد تكون سببا لانفعال كثير من عوام المسلمين وفتنتهم عن الدين وقوله ان افضل الفقه
الورع فالورع هو لزوم الاعمال الجميلة وهو ملكة تحت فضيلة العفة فظاهر انها اجل الفضايل التي تحت العفة فتكون
افضل من كل منها وقوله واخش الله في الناس اى خف منه فيما تفعله بهم من شر تعصيه به وقوله ولا تخش الناس في
الله اى لا تخف احدا منهم ولا تراقبه فيما تفعله من طاعة الله فتعدل عن طاعته لخوف منهم وبالله التوفيق د ب
ومن كتاب له عليه السلام الى معوية جوابا وهو من محاسن الكتب اما بعد فقد اتاني كتابك تذكر اصطفاء الله تعالى محمدا
صلى الله عليه وآله وسلم لدينه وتاييده اياه بمن ايده من اصحابه فلقد خبا لنا الدهر منك عجبا اذ طفقت تخبرنا
ببلاء الله عندنا ونعمته علينا في نبينا فكنت في ذلك كناقل التمر الى هجر او داعي مسدده الى النضال وزعمت ان
افضل الناس فلان وفلان فذكرت امرا ان تم اعتزلك كله وان نقص لم يلحقك ثلمه وما انت والفاضل
والمفضول والسائس والمسوس وما للطلقاء وابناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الاولين وترتيب درجاتهم
وتعريف طبقاتهم هيهات لقد حن قدح ليس منها وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها الا تربع ايها الانسان
على ظلعك وتعرف قصور ذرعك وتتاخر حيث اخرك القدر فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر
وانك لذهاب في التيه رواغ عن القصد الا ترى غير مخبر لك لكن بنعمة الله احدث ان قوما استشهدوا في سبيل
الله من المهاجرين ولكل فضل حتى اذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء وخصه رسول الله صلى الله عليه بسبعين
تكبيرة عند صلاته عليه اولا ترى ان قوما قطعت ايديهم في سبيل الله ولكل فضل حتى اذا فعل بواحدنا كما فعل بواحدهم
قيل الطيار في الجنة وذو الجناحين ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضايل جمة تعرفها
قلوب المؤمنين ولا تمجها اذان السامعين فدع عنك من مالت به الرمية فانا صنايع ربنا والناس بعد صنايع
لنا لم يمنعنا قديم عزنا وعادي طولنا على قومك ان خلطناكم بانفسنا فنكحنا وانكحنا فعل الاكفاء ولستم هناك
وانى يكون ذلك كذلك ومنا النبي ومنكم المكذب ومنا اسد الله ومنكم اسد الاحلاف ومنا سيدا شباب اهل
الجنة ومنكم صبية النار ومنا خير نساء العالمين ومنكم حمالة الحطب في كثير مما لنا وعليكم فاسلامنا ما قد سمع وجاهليتكم
لا تدفع وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا وهو قوله سبحانه واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقوله تعالى
ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين فنحن مرة اولى بالقرابة وتارة
اولى بالطاعة ولما احتج المهاجرون على الانصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلجوا عليهم فان يكن
الفلج به فالحق لنا دونكم وان يكن بغيره فالانصار على دعواهم وزعمت اني لكل الخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت فان
يكن ذلك كذلك فليست الجناية عليك فيكون العذر اليك وتلك شكاة ظاهر عنك عارها وقلت اني كنت اقاد كما

يعاد الجمل المخشوش حتى ابايع ولعمر الله لقد اردت ان تذم فمدحت وان تفضح فافتضحت وما على المسلم من غضاضة في ان
يكون مظلوما ما لم يكن شاكا في دينه ولا مرتابا بيقينه وهذه حجتي الى غيرك قصدها ولكني اطلقت لك منها بقدر
ما سنح من ذكرها ثم ذكرت ما كان من امري وامر عثمان فلك ان تجاب عن هذه لرحمك منه فايّنا كان اعدى له واهدى
الى مقاتله امن بذل له نصرته فاستقعده واستكفه ام من استنصره فتراخى عنه وبث المنون اليه حتى اتى قدره عليه
كلا والله لقد علم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا وما كنت لاعتذر
من اني كنت انقم عليه احداثا فان كان الذنب اليه ارشادي وهدايتي له فرب ملوم لا ذنب له وقد يستفيد الظنة
المتنصح وما اردت الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب وذكرت انه ليس
لي ولاصحابي عندك الا السيف فلقد اضحكت بعد استعبار متى الفيت بنو عبد المطلب عن الاعداء ناكلين وبالسيف
مخوفين فلبث قليلا يلحق الهيجا حمل فسيطلبك من تطلب ويقرب منك ما تستبعد وانا مرقل نحوك في جحفل من
المهاجرين والانصار والتابعين باحسان شديد زحامهم ساطع قتامهم متسربلين سرابيل الموت احب اللقاء اليهم
لقاء ربهم قد صحبتهم ذرية بدرية وسيوف هاشمية قد عرفت مواقع نصالها في اخيك وخالك وجدك واهلك وما هي
من الظالمين ببعيد اقول هذا الكتاب ملتقط من كتاب ذكر السيد منه فصلا سابقا وهو قوله فاراد قومنا
اهلاك نبينا وقد ذكرنا كتاب معوية الذي هذا الكتاب جوابه وذكرنا الكتاب باسره هناك وان كان فيه خلاف
الفاظ يسيرة بين الروايات وخبأت الشيء سترته وطفقت مثل جعل وهجر مدينة من بلاد البحرين والنضال
المراماة والمسدد الذي يقوم غيره لامر ويهديه اليه اعتزلك تباعدت عنك والثلم الكسر والطليق من اطلق
بعد الاسر والربع الوقوف والظلع العوج والذرع بسط اليد والتيه الضلال والحيرة اللفاء والرواغ كثير الميل
عن القصد والجم الكثير ونح الماء من غير القاء والرمية الصيد يرمى والصنيعة الحسنة والعلج العنوة والشكاة
والشكية والشكاية ظاهرة والظاهر الزايل والمخشوش الذي جعل في انفه خشاش وهو خشبة تدخل في انف البعير
ليقاد بها والغضاضة الذلة والمنقصة وسنح اعترض واعدى اشد عدوا والمعوقين المثبطين والظنة التهمة
والمتنصح المبالغ في النصيحة والاستعبار البكاء والفيت وجدت والنكول التأخر جبنا والارقال ضرب من السير
السريع والجحفل الجيش العظيم والساطع المرتفع والقتام الغبار والسرابيل القمصان والنصال السيوف وقد
اجاب عليه السلام عن كل فصل من كتاب معوية بفصل والكتاب افصح ما اختاره السيد رحمه الله من الكتب وفيه نكت
الاولى انه استعار لفظ الخبيء لما ستره الدهر وجود معوية من العجب فقال انطقت الى قوله النضال ووجه العجب
هنا انه اخبر اهل بيت النبي عن حال النبي وما انعم الله عليه من اصطفائه له وتأييده باصحابه مع علمهم البالغ بحاله
وكونهم اولى بالاخبار عنها وضرب له في ذلك مثلين احدهما قوله كناقل التمر الى هجر واصل هذا المثل ان رجلا
قدم من هجر الى البصرة بمال اشترى به شيئا للربح فلم يجد فيها اكسد من التمر فاشترى بماله تمرا وحمله الى هجر وادخره
في البيوت ينتظر به السعر فلم يزدد الا رخصا حتى فسد جميعه وتلف ماله فضرب مثلا لمن يحمل الشيء الى معدنه لينتفع به

ووجه

ووجه مطابقة المثل هنا ان معوية حمل الخبر الى معدنه الذي هو اولى به منه كحامل التمر الى معدنه وهجر
معروفة بكثرة التمر حتى انه ربما يبلغ خمسين جلة بدينار ووزن الجلة مائة رطل فذلك خمسة الف رطل والرجيع
مثل ذلك في بلاد لحزى وهجر اسم قد يذكر لقصد الموضع ولذلك صرفها شاعرهم حيث يقول وخطها الخط
ارقالا وقال قلى اوال لا اناد ما واهجر قرى هجر الثاني انه شبهه بداعي مسدده الى النضال ووجه التشبيه
هنا ايضا انه حمل الخبر الى من هو اولى به منه كما يدعو الانسان مسدده واستاده في الرمي الى المرامات ومسدده
اولى بان يدعوه الى ذلك الثالثة ان معوية لما اقتص حال الصحابة وذكر الافضل منهم معرضا بافضليتهم عليه
لعدم مشاركتهم له في الفضل اجابه بان ذلك التفضيل والترتيب اما ان تم او لا فان تم فهو معزل عنك اذ
ليس لك نصيب ولا شرك في درجاتهم ومراتبهم وسابقتهم في الاسلام فيكون اذن خوضك فيه خوضا فيما
لا يعنيك وان نقص فليس عليك من نقصانه عار ولا يلحقك منه وهن فخوضك فيه ايضا فضول وقوله وما
انت وما للطلقاء استفهام على سبيل الاستحقار والانكار عليه ان يخوض على صغر شانه وحقارته في هذه الامور
الكبار والمنقول ان ابا سفيان كان من الطلقاء وكذلك معوية فهو طليق وابن طليق وقوله هيهات
استبعاد لاهليته لمثل هذا الحكم وترتيب طبقات المهاجرين في الفضل ثم ضرب له في حكمه ذلك مثلين آخرين
احدهما قوله لقد حن قدح ليس منها واصله ان احد قداح الميسر اذا كان ليس من جوهر باقي القداح ثم اجاله
المفيض خرج له صوت يخالف اصواتها فيعرف بانه ليس من جملتها فضرب مثلا لمن يمدح قوما ويطريهم ويفخر بهم
مع انه ليس منهم وتمثل به عمر حين قال الوليد بن عقبة بن ابي معيط اقتل من دون قريش فقال عمر حن قدح ليس
منها الثاني قوله وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها يضرب لمن يحكم على قوم وفيهم وهو من اراذلهم وليس للحكم
باهل بل هم اولى منه اذ شان الاشراف ان يكونوا حكاما ومراده ان معوية ليس من القوم الذين حكم بتفضيل بعضهم
على بعض في شيء وليس اهلا للحكم فيهم الثالثة قوله الا تربع ايها الانسان على ظلعك استفهام على سبيل التنبيه
له على قصوره عن درجة السابقين والتقريع له على ادعائه لها اي ترفق بنفسك ولا تكلفها عنه وتقف بها
عن مجاراة اهل الفضل حال ظلعك واستعار لفظ الظلع لقصوره ووجه المشابهة قصوره عن لحوق درجة
السابقين في الفضل كقصور الظالع عن شأو الظليع وكذلك قوله وتعرف قصور ذرعك وقصور ذرعه
كناية عن قصور قوته وعجزه عن تناول تلك المرتبة وحيث امره بالعدد اشارة الامر تنبيه له انه الاحرى المقدم
بها ان تكون تاركة عن مراتب السابقين وتقدمه بالتاخر فيها والوقوف عندها تقريعا وتوبيخا وقوله فما
عليك الى قوله الظافر في قوة احتجاج على وجوب تأخره بحيث هذه المرتبة بقياس من الشكل الاول والمذكور
في قوة صغراه وتقديرها فغلب المغلوب في هذا الامر الكبير ليس عليك منه شيء وتقدير الكبرى وكل من كان
كذلك فيجب تأخره عنه واطراحه اياه والا لكان سعيه بدخوله فيما لا يعنيه الرابعة قوله وانك لذهاب في التيه
اي كثير الذهاب والتوغل في الضلال عن معرفة الحق كثير العدول عن العدل والصراط المستقيم في حقنا وعن

الفرق بيننا وبينكم ومعرفة فضايلنا ورذايلكم ثم نبهه على وجه الفرق بينهم وبين من عداهم من المهاجرين والانصار
بذكر افضلية بيته التي انفردوا بها دونهم في الحياة وبعد الممات بعد ان قرر ان لكل من الصحابة فضلا ليثبت الافضلية
لبيته بالقياس اليهم وذلك قوله الا ترى الى قوله الجناحين ثم ذلك في الشهادة وتشهيده الذي اشار
عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه واشار الى وجه افضليته بالنسبة الى ساير الشهداء من وجهين احدهما وهو
تسمية الرسول صلى الله عليه سيد الشهداء والثاني قوله وهو ان رسول الله صلى الله عليه وآله خصه بسبعين تكبيرة
عند صلوته عليه فاربع عشرة صلاة وذلك انه كان كلما كبر عليه خمسا حضرت جماعة اخرى من الملائكة فصلى بهم عليه
ايضا وذلك من خصايص حمزة رضي الله عنه وشرف بني هاشم في حياتهم وموتهم ومنه افضليتهم فيما فعل ببعضهم
من التمثيل به كما فعل باخيه جعفر بن ابي طالب من قطع يديه فسماه رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك الاعتبار ذا
الجناحين والطيار في الجنة ومن المنقول عن علي عليه السلام من الشعر فيه والفخر الى معوية وجعفر الذي يضحي و
يمسي يطير مع الملائكة ابن امي وقد ذكرنا مقتلهما وتمثيلهما من قبل ثم اشار الى انه فضايل جمة تعرفها فيه
قلوب المؤمنين ولا تمجها اذانهم واعاد ذلك تعديدها وذكرها في معرض الفخر بها لنهي الله سبحانه عن تزكية النفس
والذاكر يعني نفسه وانما نكره ولم يأت بالالف واللام ولم ينسبه الى نفسه لان في ذلك تصريح التزكية لنفسه وكنايته
لنفسه واستعار لفظ المج لكراهية النفس لبعض ما تكره سماعه واعراضها عنه فانها تنفر كالقاذف له من الاذن
كما يقذف الماج الماء وقوله فدع عنك من مالت به الرمية اي فدع عنك اصحاب الاغراض والمقاصد الفاسدة ولا
تلتفت الى ما يقولون في حقنا كعمرو بن العاص ويحتمل ان تكون الاشارة اليه بعينه على طريقة قولهم اياك اعني واسمعي
يا جارة واستعار لفظ الرمية وكنى بها عن الامور التي تقصدها النفوس وترميها بقصودها ونسب الميل اليها
لانها هي الجاذبة للانسان والمايلة الحاملة له على الفعل وقوله فانا صنايع ربنا الى قوله لنا تنبيه من وجه آخر
على افضليتهم من جهة اختصاص الله سبحانه اياهم بالنعمة الجزيلة وهي نعمة الرسالة وما يلزمها من الشرف و
الفضل حتى كان الناس عيالا لهم فيها اذ كانت تلك النعمة ولوازمها انما وصلت الى الناس بواسطتهم ومنهم
واكرم بها فضيلة وشرفا على ساير الخلق وهذا التنبيه في قوة صغرى من الشكل الاول في معرض الافتخار والاحتجاج
على انه لا ينبغي لاحد ان يعارضهم في شرفهم ويفاخرهم ويباريهم في فضيلة وتقدير الكبرى وكل من كان بصفة
انه صنيعة ربه بلا واسطة والناس بعد صنايع له وبواسطته فلا ينبغي لاحد من الناس ان يعارضه في فضل ويجاريه
في شرف ويجوز بلفظ الصنايع في الموضعين اطلاقا للاسم المفعول على القابل والحال على المحل ثم كثر ذلك الى ان
يقال فلان صنيعة فلان اذا اختصه لموضع نعمته كقوله تعالى واصطنعتك لنفسي وقوله منا النبي الى قوله هنالك تنبيه
في معرض الافتخار ايضا وعادي منسوب الى عاد قوم هود والنسبة اليه كناية عن القدم ووجه الاستشهاد هو انهم لم يشغل
على فضلهم عليهم من خلطهم اياهم بانفسهم في مناكحتهم وفعل الاكفاء منصوب على المصدر عن فعل منه وقوله هناك
كناية عن مرتبة الكفاءة في النكاح اي ولستم اهلا لتلك المرتبة والواو في ولستم للحال والعامل خلطناكم ثم اشار

الى ما

الى بيان ما ادعاه من نفي كونهم اهلا لمخالطتهم بالمقابلة بين حال بني هاشم وبني امية ليظهر من تلك المقابلة
رذيلة كل واحد ممن ذكره من بني هاشم ويظهر فضايل الافراد ورذايلهم فيتبين نسبة البيتين في الشرف والخسة
(في الهامش: امية بازاء كل واحد ممن ذكره من بني هاشم)
فذكر النبي عليه السلام وقابله بالمكذب له من بني امية وهو ابو جهل بن هشام واليه الاشارة بقوله وذرني
والمكذبين الاية قيل نزلت في المطعمين ببدر وكانوا عشرة وهم ابو جهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس
ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري ابن هشام والنضر بن الحرث والحرث بن عامر وابي بن خلف وزمعة بن
الاسود فذكر النبي صلى الله عليه وآله بفضيلته وهي النبوة وذكر ابا جهل برذيلته وهي تكذيبه ثم اسد الله وهو
حمزة بن عبد المطلب وسماه رسول الله صلى الله عليه بذلك لشجاعته وذبه عن دين الله وقابله باسد الاحلاف
وهو اسد بن عبد العزى والاحلاف هم عبد مناف وزهرة واسد وتيم والحرث بن فهر سموا الاحلاف لان بني قصي
ارادوا ان ينتزعوا بعض ما كان بايدي بني عبد الدار من اللواء والندوة والحجابة والرفادة وهي كل شيء كان
فرضه قصي على قريش لطعام الحاج في كل سنة ولم يكن لهم الا السقاية فتحالفوا على حربهم واعدوا للقتال ثم
رجعوا عن ذلك ناكصين واقروا ما كان بايديهم ثم سيدا شباب اهل الجنة وهما الحسن والحسين عليهما السلام
وقابلهما بصبية النار وقيل هم صبية عقبة بن ابي معيط حيث قال له لك ولهم النار وقيل هم ولد مروان بن الحكم
الذين صاروا اهل النار عند البلوغ وكانوا صبية حين اخبر عليه السلام بذلك ثم خير نساء العالمين واراد
فاطمة عليها السلام وقابلها منهم بحمالة الحطب وهي ام جميل بنت حرب عمة معوية كانت تحمل حزم الشوك فتنثرها
بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه ليعقره وعن قتادة انها كانت تمشي بالنميمة بين الناس فتلقي بينهم العداوة
وتهيج نارها كما توقد النار بالحطب فاستعير لفظ الحطب لتلك النميمة للمشابهة المذكورة ومنه قولهم فلان يحطب
على فلان اذا كان يغري به وقوله في كثير الى قوله وعليكم وهذا الذي ذكرناه من فضايلنا ورذايلكم قليل في كثير
مما لنا من الفضايل وعليكم من الرذايل وانما قال عليكم لان الامور بخيراتها وما تستلزمه وثمرة الرذايل على
الشخص مضرتها وتبعاتها وقوله فاسلامنا الى قوله يدفع اشارة الى ان شرف بيته على غيره لا يختص في الاسلام
فقط فان شرف بني هاشم في الجاهلية ايضا مشهود ومكارم اخلاقهم لا يدفعها دافع وقد نبهنا على ذلك
في المقدمات وكما نقل عن جعفر بن ابي طالب لما اسلم قال له النبي صلى الله عليه ان الله شكر لك ثلاث خصال في
الجاهلية فما هي قال يا رسول الله صلى الله عليه ما زنيت قط لاني قلت في نفسي ان ما لا يرضاه العاقل لنفسه لا ينبغي
ان يرضاه لغيره تكرما ولا كذبت كذبة قط تأثما ولا شربت الخمر قط لانها لا تذهب العقول وقوله وكتاب الله
يجمع لنا ما شذ عنا اي يوجب لنا بصريح حكمه ويجمع لنا ما شذ عنا من هذا الامر وسلبناه وهو شروع في الاحتجاج
على اولويته من غيره بهذا الامر من الخلفاء ومن يطمع في الخلافة وبين ذلك من وجوه احدها قوله تعالى واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وجه الاستدلال انه عليه السلام من اخص اولي الارحام بالرسول عليه السلام
وكل من كان كذلك فهو اولى به وبالقيام مقامه مع كمال استعداده لذلك اما الصغرى فظاهرة واما الكبرى

فللآية الثانية وهي قوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه الاية وجه الاستدلال انه عليه السلام كان
اقرب الخلق الى اتباع رسول الله صلى الله عليه واولى من آمن به وصدقه وافضل من اخذ عنه الحكمة وفصل الخطاب
كما بيناه وكل من كان كذلك فهو اولى بخلافته والقيام مقامه فيما جاء به الاية فظهر ان انه عليه السلام اولى برسول
الله صلى الله عليه وبمنصبه تارة من جهة قرابته وتارة من جهة طاعته واتباعه الثالث قوله ولما احتج الى قوله دعواهم
وهو الزام لهم وصورته ان الانصار لما طلبوا الامامة لانفسهم وقالوا للمهاجرين منا امير ومنكم امير احتج المهاجرون
عليهم برسول الله صلى الله عليه وانهم من شجرته التي اشار الى كون الائمة منها بما روي عنه من قوله الائمة من قريش فسلموا
لهم ذلك وغلبوا عليهم فلا يخلو ذلك الغلب اما ان يكون لكونهم اقرب اليه صلى الله عليه من الانصار او لغير ذلك
فان كان الاول فاهل بيته اولى بذلك الحق لانهم اقرب اليه صلى الله عليه ممن عداهم وهم ثمرة تلك الشجرة وغايتها
وان كان بغيره فحجة الانصار قائمة ودعواهم للامامة باقية اذ لم يكن ما روي من الخبر وافقا لقولهم الا من جهة كونهم
من قريش الموجب لقربهم وبعد الانصار عنه وقد فرض ان جهة الاقربية غير معتبرة هاهنا السادس جواب ادعاء بحسد
من حسده عليه السلام لسائر الخلفاء وبغيه عليهم وتقرير الجواب انه لا يخلو اما ان تكون هذه الدعوى صادقة او كاذبة
فان كانت صادقة فكان الجناية ليست بجناية عليك حتى يكون عذري عنها اليك بل في ذلك فضول منك وخوض فيما لا يعنيك
واكد ذلك بالمثل والبيت لابي ذويب واوله وعيرها الواشون اني احبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها ويضرب
لمن ينكر امرا ليس منه في شيء ولا يلزمه من انكاره السابع جواب ادعاء تخلفه وعصيانه من منصبه وهو قوده الى بيعة
الخلفاء قبله كما يقاد الجمل المخشوش قهرا او كرها واذلالا وهو وجه التشبيه فقلب عليه السلام تلك الكلمة وبين ان
ذلك ليس مما يلحق مدحا ولا فضيحة بل على مدعيها واشار الى كونها مدحا وليست ذما بقوله وما على المسلم الى قوله يقينه
ووجه ذلك انه عليه السلام لما كان ثابتا على اليقين التام في علومه مبرأ عن الريب والشبهة في دينه فكان ذلك هو الكمال
الحق والفضل المبين الذي لا نقصان معه لم يكن عليه غضاضة في ظلم صيد له ولم يلحقه بذلك نقصان ولا ذم بل كان
انفراده بالثبات على الدين لما اقر مع الاجماع على ظلمه وضيلة غضته فيكون ذكرها مستلزما للمدح وتعظيمه وكذلك
ليس في ذكرها فضيحة عليه اذ الفضيحة هي اظهار عيب الانسان ونقصه وحيث لا عيب فلا فضيحة واما انها فضيحة للمعوية
فلظهور نقصانه في عدم الفرق بين ما يمدح به ويذم وقوله وهذه حجتي الى قوله ذكرها اي ان حجتي هذه على كوني مظلوما
فاحذى لبعض غيرك لست المقصود بها اذ لست في هذا الامر في شيء فتحاج فيه بل القصد بها غيرك واراد
الذين ظلموا وانما ذكرت لك فيها بقدر ما دعا الحاجة اليه وسمح لي ان اذكره في جوابك الثامن جوابه عما ادعاه
عليه في امر عثمان وتاليبه وخذلانه وذلك قوله فلك ان نقابك عن هذه لرحمك منه مع انكاره عليه ما سبق من الكلام
فان فيه ارشادا عظيما لوضع الكلام مواضعه وتنبيه على انه لا يجوز ان يخوض الانسان فيما لا يعنيه وقرب رحمه منه
لكونه من بني امية وحاصل جوابه له انه عكس عليه ادعاه وبين انه هو الذي كان عدوه وخاذله فانه عليه السلام
كان ناصره ومعرضا نفسه للدفع عنه فاستفهم عن ايهما كان اعدى عليه واهدى لمقاتله اي لوجوه قتله ومن نصر

من الاراء والحيل استفهام توبيخ له واراد بقوله من بذل نصرته له الى قوله فاستقعده واستكفه نفسه عليه السلام
وذلك ان عثمان كان متهما له عليه السلام بالدخول في امره فلما اشتد عليه الحصار بعث اليه يعرض عليه نصرته
فقال لا احتاج الى نصرتك لكن اقعد عني وكف شرك وذكر نفسه بصفة بذل النصرة ليظهر خروجه مما نسب اليه
من دمه وهو في قوة صغرى قياس ضميرتقديرها اني بذلت له نصرتي وتقدير كبراه وكل من بذل العزم نصرته فليس
من شانه ان يتهم بخذلانه ويشير الى المشار كته في دمه بقوله ام من استنصره فتراخى عنه وبث المنون اليه حتى اتاه قدره
بعث حال حصاره الى الشام مستصرخا بمعوية فلم يزل يعده ويتراخى عنه لطمعه في الامر الى ان قتل وذكر القدر ونسبة
القتل اليه هاهنا مناسب لتبرئة من دمه والكلام ايضا في قوة صغرى قياس ضمير احتج به على ان معوية هو الساعي
في قتله وتقديرها انك ممن استنصره واستعان به فتوقف وقعد عنه وبث المنون اليه وعرف عنه وتبطأ عن نصرته
واشار الى ذلك بقوله لقد علم الله الاية بعد ان رد دعواه عن نفسه بقوله كلا اي كلا لم اكن انا اعدى عليه واهدى
لمقاتله منك وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فهو اولى بالنسبة الى دمه والسعي في قتله والاية نزلت
في جماعة من المنافقين كانوا يثبطون اصحاب رسول الله صلى الله عليه التاسع قوله وما كنت اعتذر اشارة الى ما
عساه كان سببا للتوهم كثير من الجهال انه دخل في دمه وهو انكاره عليه ما كان نقمه الناس عليه من احداثه التي اشرنا
اليها قبل وبيان ان ذلك ليس مما يعتذر عنه لان ذلك كان ارشادا له وهداية فان يكن ذلك هو الذي توهمه
ذنبا اليه فلا مني عليه فرب ملوم لا ذنب له وانا ذلك الملوم اذ لم يكن ما فعلته ذنبا وقد يستفيد الظنة المتنصح
وانا ذلك المتنصح اذ لم يكن قصدي الا اصلاح ذات البين بقدر الاستطاعة وقوله فرب ملوم لا ذنب له مثل
لاكثم بن صيفي ويضرب لمن قد ظهر للناس منه امر انكروه عليه وهم لا يعرفون حجته وعذره فيه وكذلك قوله وقد
يستفيد الظنة المتنصح يضرب مثلا لمن يبالغ في النصيحة حتى يتهم انه غاش وصدر البيت وكم سقت في آثاركم من
نصيحة وقد يستفيد الظنة المتنصح العاشر جوابه عن وعيده له بالحرب التي كنى بالسيف عنها فقوله ولقد اضحكت بعد
استعبار كناية عن ان وعيده لمثله عليه السلام من ابلغ الاسباب المسلزمة لابلغ عجيب اذ كان الضحك بعد البكاء
انما يكون التعجب البالغ عرفا وهو كالمثل في معرض الاستهزاء به وقيل معناه لقد اضحكت من سمع منك هذا تعجبا بعد
بكائه على الدين لتصرفك فيه وقوله متى الفيت الى آخره استفهام له عن وقت وجدانه لبني عبد المطلب بصفة النكول
عن الحرب والخوف من السيف استفهام انكار لوقت وجدانهم كذلك في معرض التنزيه لهم عن الجبن والفشل وقوله
فلبث قليلا يلحق الهيجا حمل مثل يضرب للوعيد بالحرب واصله ان حمل ابن بدر رجل من قشير اغير على ابل له في الجاهلية
والغزو فاستنقذها وقال لبث قليلا يلحق الهيجا حمل ما احسن الموت اذا الموت نزل وقيل اصله ان مالك
ابن زهير توعد حمل بن بدر فقال حمل لبث قليلا يلحق الهيجا حمل البيت فارسل مثلا ثم اتى وقتل مالكا فظفر
اخوه قيس بن زهير به وباخيه حذيفة فقتلهما وقال شفيت النفس من حمل ابن بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني
وقوله فسيطلبك الى آخره شروع في المقابلة بالوعيد بالسير الشديد اليه في الجيش العظيم ووصفه باوصاف تزلزل

اركان العدو من شدة الزحام وسطوع القتام الى آخره وشدتها ومتسربلين نصب على الحال وسرابيل مفعول
به لمتسربلين وسرابيل الموت كناية اما عن الدروع والعدة التي يلقون بها الموت ويخوضون في غمراته واما
عن ملابسهم من الثياب والهيئات والاحوال التي وطنوا انفسهم على القتل فيها فهي كالاكفان لهم وانما
كان احب اللقاء اليهم لقاء ربهم لكمال يقينهم بما هم عليه من الحق وثقتهم بالوعد الالهي الصادق والذرية
البدرية التي صحبتهم اشارة الى اولاد من كان من المسلمين مع النبي عليه السلام يوم بدر وقد ذكرنا ان اخاه
المقتول حنظلة ابن ابي سفيان وخاله الوليد بن عتبة وجده عتبة بن ربيعة اذ هو ابو هند ام معوية وكنى
بالظالمين في الاية عن معوية واصحابه وجميع ما ذكره من اوصاف الجحفل وما يصحبه من الذرية البدرية
والسيوف الهاشمية والتذكير بمواقعها ممن وقعت به من اهله ووعيده ان يصيبه منها ما اصابهم من ابلغ
ما يعتمد به الخطيب للانفعال والخوف وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام الى اهل البصرة وقد كان
من انتشار حبلكم وشقاقكم ما لم تغبوا عنه فعفوت عن مجرمكم ورفعت السيف عن مدبركم وقبلت من
مقبلكم فان خطت بكم الامور المردية وسفه الاراء الجائرة الى منابذتي وخلافي فها انا ذا قد قربت جيادي
ورحلت ركابي فلئن الجاتموني الى المسير اليكم لاوقعن بكم وقعة لا يكون يوم الجمل اليها الا كلعقة لاعق مع
اني عارف لذي الطاعة منكم فضله ولذي النصيحة حقه غير متجاوز متهما الى بري ولا ناكثا الى وفي اقول خبت
عن الشيء وغبيته اذا لم تفطن له والمردية المهلكة والجائرة المنحرفة عن الصواب والمنابذة المخالفة والمراماة
بالعهد والبيعة وقد بدا في هذا الفصل بوضع ذنوبهم وتقريرها عليهم ليحسن عقيبها العفو والمواخذة و
استعار لفظ الحبل لبيعتهم اياه ولفظ الانتشار لنكثهم ووجه الاستعارة الاولى كون البيعة سببا جامعا
لها ونا لما لامورهم ومتمسكا يوصل الى رضاء الله كالحبل الناظم لما يربط به ووجه الثانية ظاهر وبقوله
ما لم تغبوا عنه على علمهم بما فعلوه وتعهدهم لفعله ليتاكد عليهم الحجة ثم لما قرر ذنوبهم اردفها بذكر امور
قابلها بها كرما وهي العفو عن مجرمهم ورفع السيف عن ادبر منهم وقبول من اقبل اليه منهم والرضا عنه ثم
اردف ذلك بوعيدهم بكونه مستعدا لقتالهم وايقاعه بهم وقعة يستصغر معها وقعة الجمل ان لو عادوا الى
الفتنة ثانيا واستعار لفظ الخطوط لسوق الامور المهلكة وسفه ارائهم الجائرة بهم الى منابذته ومحاربته
ثانيا ووجه المشابهة تاديتها بهم الى خلافه كتادي القدم بصاحبها الى غاية وتقدير الشرط فان عدتم
الى خلافي فها انا مستعد لكم وكنى بتقريب جياده وترحيل ركابه عن كونه مستعدا للكرة عليهم ورحلتها
شدوده الرحال على ظهورها ويكفي ذلك في وعيدهم على خلافه لان مجرد خلافهم عليه لا يستلزم وجوب
ايقاع الوقعة بهم لاحتمال ان يرجعوا ويتوبوا بوعيده او يعلمهم سياسته على الاستعداد لحربهم والايقاع بهم
فلذلك جعل الشرط في وعيده بالايقاع بهم ان يلجئوه الى المسير ومحاربتهم وذلك بان يعلم ان الامر لا
يستقيم الا بالايقاع بهم فيجعله ضروريا حفظ الدين على ذلك وقوله في وصف تلك الوقعة لا يكون يوم

الجمل الى قوله لاعق كناية عن غاية شدة ايقاعه بهم ووجه تشبيه وقعة الجمل بالنسبة اليها باللعقة هو
الحقارة والصغر ثم لما توعدهم بما يخشى من الوعيد ادرفه بما يرجى منه من ذكر اعترافه بفضل ذي الطاعة وبحق
ذي النصيحة منهم وانه غير متجاوز متهما منهم بعقوبة الى بري ولا ناكثا العهد له الى وفي به لئلا تشتد عليهم
وطاته فيئسوا من رحمته فيشتد نفارهم منه ويكون ذلك داعية فسادهم وبالله التوفيق ومن كتاب له
عليه السلام الى معوية فاتق الله فيما لديك وانظر في حقه عليك وارجع الى معرفة ما لا تعذر بجهالته فان للطاعة
اعلاما واضحة وسبلا نيرة ومحجة نهجة وغاية مطلبة يردها الاكياس ويخالفها الانكاس من نكب عنها
جار عن الحق وخبط في التيه وغير الله نعمته واحل به نقمته فنفسك نفسك فقد بين الله لك سبيلك وحيث تناهت
بك امورك فقد اجريت الى غاية خسر ومحلة كفر وان نفسك قد اولجتك شرا واقحمتك غيا واوردتك المهالك
واوعرت عليك المسالك اقول هذا الكتاب اما بعد فقد بلغني كتابك تذكر مشاغبتي وتستقبح مواازرتي
وتزعمني متجبرا وعن حق الله مقصرا فسبحان الله كيف تستجيز الغيبة وتستحسن العضيهة اني لم اشاغب الا
في امر بمعروف او نهي عن منكر ولم اتجبر الا على باغ او ملحد او منافق ولم اخذ في ذلك الا بقول الله ورسوله
ولو كانوا اباءهم او ابناءهم واما التقصير في حق الله فمعاذ الله حبل مثاوه من عطل الحقوق المؤكدة وركن الى
الاهواء المبتدعة واخلد الى الضلالة المحيرة ومن العجب ان تصف يا معوية الاحسان وتخالف البرهان وتنكث
الوثائق التي هي لله عز وجل طلبة وعلى عباده حجة مع نبذ الاسلام وتضييع الاحكام وطمس الاعلام والجري
في الهوى والتهوس في الردى ثم يتصل بقوله فاتق الله الفصل المذكور ومن هذا الكتاب ايضا وان للناس
جماعة يد الله عليها وغضب الله على من خالفها فنفسك نفسك قبل حلول رمسك فانك الى الله راجع والى حشره مهطع
وسيبهضك كربه ويحل بك غمه في يوم لا يغني النادم ندمه ولا يقبل من المعتذر عذره يوم لا يغني مولى عن مولى
شيئا ولا هم ينصرون اقول والعضيهة الافك والبهتان والطمس امحاء الاثر والمحجة الجادة وسطها
والطلبة ما يطلب وفي لاوامر مطلوبة جدا منهم والاكياس العقلاء والانكاس جمع نكس وهو الدني من
الرجال ونكب عدل والخبط المشي على غير استقامة والحسران والاقحام الدخول في الامر بشدة
والوعر الشديد والمهطع المسرع وينهضه الامر يثقله والفصل موعظة فاشار عليه السلام عليه بتقوى الله
فيما لديه من مال المسلمين وفيهم وان ينظر في حقه عليهم واثار نعمته فيقابله بالشكر والطاعة وان يرجع
معرفة ما لا عذر له في ان يجهله من وجوب طاعة الله واستعار لفظ الاعلام لما يدل على الطريق الى الله
من الكتاب والسنة القولية والفعلية ومن جملتها ائمة الحق والهدى من الخلق وصولهم الى حضرة قدس
الله طاهرين مجردين عن الهيئات البدنية الرديئة المستجمعين للكمالات الانسانية النفسانية واعلم
ان الطاعة اسم لقصد تلك الاعلام وسلوك تلك المحجة طلبا لسلوك الغاية والضمير في قوله يردها و
يخالفها وعنها راجع الى المحجة والاعلام الواضحة عليها وظاهر ان العقلاء هم الذين يختارون ورود

فانهم اصل تلك الاعلام وحاملوها وهو الحق السبيل النيرة والمحجة النهجة الطريق الى الله المدلول عليها باعلامها المذكورة والغاية المطلوبة

تلك الجهة وقصد اعلامها وان اولياء الهم يحا الفوت الى غيرها فيعدلون عن صراط الله الحق ويخبطون في تيه الجهل ويغير الله بذلك نعمته عليهم ويبدلهم بها نقمته في دار الجزاء ثم اشار عليه بما اشار عليه لرسيل السلامة وما فيلزم بحا الفضا من تغيير نعمة الله وحلول نقمته امره ان يحفظ نفسه بسلوك تلك السبل عما يلزم بحا الفنها واما لعدولها عنها من الامور المذكورة ثم اعلمه بان الله بين له سبيله واراد سبيل طاعته المامور بسلوكها وهو في قوة صغرى قياس صغير من الشكل الاول اوجب عليه سلوك تلك السبل وتقدير الكبرى وكل من بين الله له سبيله التي اوجب عليه سلوكها فقد وجب عليه حفظ نفسه بسلوكها وقوله وحيث تناهت بك امورك فحسبك ما تناهت بك اليه ثم فسر ذلك الحيث لذلك امر بالوقوف عنده وهو غاية الحشر اى الغاية المستلزمة الحشر والتي هي منزل من منازل الكفر ولجزء انه قد لحيرى اليها منزل كفر لان الغايات الشريرة المنهي عن قصدها من منازل الكفار ومقاماتهم فمن سلك اليها فقد قصد او بلغها الحشر اما فقد لحق بمنازل الكفر ومحالهم وقوله وان نفسك قد اولجتك شرا اى ادخلتك في شر الدنيا والاخرة واراد نفسه الامارة بالسوء بما سولت له من معصية الله ومخالفة امام الحق ويروى قد اوحلتك اى القتك في الوحل وهو مستعار لما وقع فيه من المعصية والاختلاط عن الجهل واقحمتك غيا اى ادخلتك في الغي والضلال عنفا واوردتك المهالك اى الموارد المهلكة من الشبهات والمعاصي واوعرت عليك المسالك اى مسالك الهدى وطرق الخير لان النفس الامارة بالسوء اذا اوردت الانسان سبل الضلالة وسهلت عليه سلوكها بوسوستها وتحسينها للغايات الباطلة الزمه بسبب ذلك البعد عن طرق الهدى ومسالك الخير واستصعاب سلوكها وبالله التوفيق والعصمة وبه الحول والقوة والعون والتسديد ثم المجلد الرابع من كتاب مصباح السالكين لنهج البلاغة بعون الله وحسن توفيقه ويتلوه في المجلد الخامس ان شاء الله

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

ومن وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليهما السلام كتبها بحاضرين عند انصرافه من صفين روى جعفر بن بابويه القمي رحمه الله ان هذه الوصية كتبها عليه السلام الى ابنه محمد بن الحنفية رضي الله عنه وهي من افصح الكلام وابلغه واشمله لدقائق الحكمة ولطائفها واكمل عبارة عذب بها الى سبيل الله وحاضرين اسم موضع بالشام ومنها فصول الاول قوله من الوالد الفان المقر للزمان المدبر العمر المستسلم للدهر الذام للدنيا الساكن مساكن الموتى الظاعن عنها غدا الى المولود المومل ما لا يدرك السالك سبيل

من قد هلك غرض الاسقام ورهينة الايام ورمية المصايب وعبد الدنيا وتاجر الغرور وغريم المنايا واسير الموت وحليف الهموم وقرين الاحزان ونصب الافات وصريع الشهوات وخليفة الاموات اقول الرهينة ما يرهن والرمية الهدف والتنا لنقل الاسم من الوصفية الى الاسمية الصرفة والحليف المحالف والنصب الشي المنصوب وهذا الفصل كالعنوان للوصية وقد ذكر لنفسه اوصافا سبعة ولولده اربعة عشر في معرض الوعظ والتنفير عن الدنيا والركون اليها وضاعف الاوصاف لولده لانه المقصود بالوصية والموعظة فالاول من الفان واللفظ هنا مجاز تسمية له باسم غايته ووقف على المنقوص بحذف الياء لمراعاة القرينة الثاني وقد علمت جوازه الثاني المقر للزمان اى بالغلبة والقهر المعترف بالعجز في يده تطريقا انه كانه قد خصمه فاباس يقرا لا اقرار له الثالث المدبر العمر وذلك انه كان عليه السلام قد اشرف على الستين الرابع المستسلم للدهر وهو ابلغ من المقر للزمان الخامس الذام للدنيا ولم يزل عليه السلام ذامها ومنفرا بذكر معايبها السادس الساكن مساكن الموتى وهو تنفير عن الركون الى الدنيا والمقام بها بذكر كونها مساكن الموتى اذ من كان في مساكنهم يوشك ان يلحقه ما نزل بهم ويقرب في التنفير من قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم الاية السابع الظاعن عنها غدا وهو تذكير بالمفارقة وغدا كناية عن وقتها ولفظ الظاعن مستعار له واما اوصاف المولود فالاول المومل ما لا يدرك وفيه تنفير عن طول الامل اذ كان ينسي الاخرة وجعل وجه التنفير تاميله ما لا يدرك وظاهر ان الانسان ما دام في هذه الدار موجه امله نحو مطالبها كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه واله يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان الحرص والامل وذلك لا ينقضي امد دون بلوغها الثاني السالك سبيل من قد هلك وسبيلهم سفرهم في الدنيا الى الاخرة وقطعهم لمنازل الاعمار ولذا فها الى من هلك تذكير بالموت الثالث غرض الاسقام واستعار لفظ الغرض له باعتبار كونه مرميا بسهام الامراض كالغرض الرابع رهينة الايام واستعار له لفظ الرهينة باعتبار ان وجوده مربوط بالاوقات وداخل في حكمها كما يحبط المرتهن بيد مرتهنه الخامس رمية المصايب وهو كقوله وغرض الاسقام السادس عبد الدنيا ولفظ العبد مستعار باعتبار طالب الدنيا مقتاد بطبعه اليها وعامل لها كما ينقاد العبد لسيده ويعمل له السابع وتاجر الغرور اى تجارته هاهنا غرور وغفلة عن المكاسب الحقيقية الباقية ولفظ التاجر مستعار له باعتبار بذله الرواعماله في شر الدنيا على وهم انها هي المطالب الحقيقية المربحة الثامن وغريم المنايا ولفظ الغريم مستعار له باعتبار طالب الموت له كما يتقاضى بالرحيل كما يتقاضى الغريم التاسع استعار له لفظ الاسير باعتبار انقياده للموت وعدم تمكنه من الخلاص العاشر وحليف الهموم الحادي عشر وقرين الاحزان واستعار لفظ الحليف والقرين له باعتبار عدم انفكاكه عن الهموم والاحزان كما لا ينفك الحليف والقرين عن خليفه وقرينه الثاني عشر ونصب الافات كقوله ورمية المصايب الثالث عشر وصريع الشهوات ولفظ الصريع مستعار له باعتبار كونه مغلوبا الشهوة ومقهورا لها كالقتيل

الرابع عشر وخليفة الاموات وفيه تنفير عن الدنيا بتذكير الموت لان خليفة الاموات في معرض اللحاق بهم ونحوه قول بعض الحكماء ان امرأ ليس بينه وبين آدم الا اب ميت لمعرق في النسب الى الموت الفصل الثاني قوله اما بعد فان فيما تبينت من ادبار الدنيا عني وجموح الدهر علي واقبال الاخرة الي ما يزعني عن ذكر من سواي والاهتمام بما ورائي غير اني حيث تفرد بي دون هموم الناس هم نفسي فصدفني رايي وصرفني عن هواي وصرح لي محض امري فافضى بي الى جد لا يكون فيه لعب وصدق لا يشوبه كذب ووجدتك بعضي بل وجدتك كلي حتى كان شيئا لو اصابك اصابني وكان الموت لو اتاك اتاني فعناني من امرك ما يعنيني من امر نفسي فكتبت اليك كتابي هذا مستظهرا به ان انا بقيت لك او فنيت اقول جمح الفرس اذا غلب صاحبه فلم يملكه ويزعني يمنعني والمحض الخالص وافضى اى انتهى والشوب المزج والخلط وقابل بلفظين الاقبال والادبار والاخرة والدنيا وقد اشرنا الى معنى ادبار الدنيا واقبال الاخرة في قوله الا وان الدنيا قد ادبرت واستعار لفظ الجموح للدهر باعتبار عدم تمكنه من ضبطه في تغيراته وتصرفها ثم الخارج عن اختياره كالجموح من الخيل وما الاولى بمعنى الذي ويحتمل ان تكون مصدرية وعلى المعنى الاول يكون للتبيين وعلى الثاني لابتداء الغاية وما الثانية بمعنى الذي ومحلها الرفع بالابتداء وفيما تبينت خبره ومستظهرا حال ومدار الفصل على اعلامه اياه انه في معرض الرحيل عنه وان ذلك الوقت هو وقت الاهتمام بحال نفسه وبحال من هو منزلة نفسه وانه شديد الاهتمام بحاله ليكون ذلك ادعى لقبول وصيته وهو كالتوطية والتمهيد لها ثم اعلم ان فيما تبين له عليه السلام من الامور المذكورة قرب رحيله الى الله وذلك هو الذي يزعه ويمنعه عن ذكر ما سواه والاهتمام بما وراءه من المصالح المتعلقة بصلاح الخلق ونظام العالم اذ كان ذلك هو وقت التضييق على الانسان فيما هو اهم عليه من الاستكمال بالفضائل والاستعداد للقاء الله دون ما سبق من اوقات الشبيبة واستقبال العمر لاتساعها لصلاح حال الغير والاشتغال بالامور المباحة وانه حيث تبين له ذلك وتفرد به هم نفسه دون غيرها وصدقه رايه بكشفه له من امر نفسه ووجوب العمل لها فيما يهمها وصرفه عن هواه فيما يخرج عنها اذ كان لجود الاراء واصدقها في الامر عند شدة الاهتمام به وصرح له خالص امره وما ينبغي له وانتهى به الى جد وصدق خالصين من شائبة اللعب والكذب ووجد عليه السلام بعضه وهو كناية عن شدة اتصاله به وقربه منه ومحبته له كما قال وانما اولادنا بيننا اكبادنا تمشي على الارض بل وجده كله اى عبارة عن كله اذ كان هو الخليفة له والقائم مقامه ووارث علمه وفضائله ودل على شدة قربه منه انه بمنزلة نفسه بذكر الغايتين في قوله حتى الى قوله اتاني ووجه التشبيه بين ما يصيب ولده وبين ذلك الشيء وان لم يصبه عليه السلام شدة تالمه به والم ان ذلك الوجدان وان كان له طبعا كما يحصل للوالد في امر ولده لكنه مما لزم التفطن له في هذا العهود بتذكير انقطاع الدنيا لما في طبعه من محبة بقاء الذكر الجميل والحرص على دوام الخير والاثار الصالحة في العالم ولذلك جعله لازما للتفرد بهم نفسه وصدق رايه

في الصحة وروي محض مرفوعا على الفاعلية ومنصوبا باسقاط حرف الجر والتقدير عن محض امري ثم نبه على انه من لوازم وجدانه لما وجده من امره ان عناه واهمه منه ما يهمه من امر نفسه فكتب اليه هذه الوصية ليكون له ظهرا ومستندا يرجع الى العمل بها في حالتي بقائه له وفنائه عنه اذ كان ما اشتملت عليه هذه الوصية من الحكم والاداب ومكارم الاخلاق وتعريف سلوك سبيل الله مما امر به نفسه في مدة عمره واقتفاء لاثار الرسول صلى الله عليه واله واقتداء به فافضت عنايته به الى ما بحثه على العمل بها وبالله التوفيق الفصل الثالث قوله فاني اوصيك بتقوى الله اى بني ولزوم امره وعمارة قلبك بذكره والاعتصام بحبله واي سبب اوثق من سبب بينك وبين الله ان انت اخذت به احي قلبك بالموعظة وامته بالزهادة وقوه باليقين ونوره بالحكمة وذلله بذكر الموت وقرره بالفناء وبصره فجائع الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والايام واعرض عليه اخبار الماضين وذكره بما اصاب من كان قبلك من الاولين وسر في ديارهم واثارهم فانظر ما فعلوا وعما انتقلوا واين حلوا ونزلوا فانك تجدهم انتقلوا عن الاحبة وحلوا دار الغربة وكانك عن قليل قد صرت كاحدهم فاصلح مثواك ولا تبع اخرتك بدنياك ودع القول فيما لا تعرف والخطاب فيما لم تكلف وامسك عن طريق اذا خفت ضلالته فان الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الاهوال وامر بالمعروف تكن من اهله وانكر المنكر بيدك ولسانك وباين من فعله بجهدك وجاهد في الله حق جهاده ولا تاخذك في الله لومة لائم وخض الغمرات الى الحق حيث كان وتفقه في الدين وعود نفسك الصبر على المكروه ونعم الخلق التصبر والجئ نفسك في الامور كلها الى الهك فانك تلجئها الى كهف حريز ومانع عزيز واخلص في المسالة لربك فان بيده العطاء والحرمان واكثر الاستخارة وتفهم وصيتي ولا تذهبن عنها صفحا فان خير القول ما نفع واعلم انه لا خير في علم لا ينفع ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه اقول الغمرات الشدايد والمثوى محل الثواء والاقامة وهذا حين افتتح ما يريد ان يوصي به واشتمل هذا الفصل من ذلك على امور احدها تقوى الله وقد علمت حقيقتها فيما سلف ويشبه ان يكون المراد بها هنا الخوف منه تعالى الثاني لزوم امره وهو من لوازم تقواه الثالث عمارة قلبه بذكره واستعار لفظ العمارة لتكميل قلبه بذكر الله واكثاره منه لانه روح العبادات وكمال النفس كما ان العمارة كمال الدار وعمدة ذلك لزوم ذكره لقوله تعالى واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون الرابع الاعتصام بحبله واستعار لفظ الحبل لما يوصل اليه من دينه فيكون التمسك به سببا للنجاة كالحبل واراد بالاعتصام الاتباع والتمسك به من عذاب الله ثم استفهم عن سبب اوثق منه استفهام انكار وتعجب من وثاقته ويدخل في لزوم امره قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا الخامس امره ان يحيي قلبه بالموعظة واستعار وصف الاحياء له باعتبار تكميله لنفسه بالعلم والاعتبار الحاصل عن الموعظة كما يكمل المرء بالحياة السادس ان يميته بالزهادة واستعار وصف الاماتة لقطع القلب عن متاع الدنيا واعراضه عن طيباتها فهو كالميت له وقابل بين قوله احي قلبك وبين قوله امته السابع ان يقويه باليقين اى من ضعف الجهل للصعود الى افق عليين والنهوض الى مقام الابرار لما كان اليقين درجة اشتداد وقوة في العلم ناسب ان يجعله مقوية للقلب الثامن ان ينوره بالحكمة واستعار

لفظ التنوير بالحكمة للحملة لها باعتبار ان ذلك سبب هدايته لسبيل الله فى ظلمات الجهل كحامل النار وعلى
الحكمة واقاويلها التاسع ان يذلله بذكر الموت وذلك لان كثرة اخطاره بالبال يسلم الخوف ويسكن القلب
جامحه فى ميدان التهوك ويذلل من عزة الكبر وعزة العجب وحمية الغضب العاشر ان يقرره بالفناء اى يحمله على الاقرار
به ويديم ذكره له ليتاكد عنده به الحادى عشر ان يبصره فجائع الدنيا اى يحمله على النظر بعين البصيرة والاعتبار لحال الدنيا
والثانى عشر ان يحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالى والايام ولفظ الصولة مستعار له ملاحظة لشبهه
بالسبع فى اخذه وما يكون بسببه من الاذى الثالث عشر ان يعرض عليه اخبار الماضين ويذكره ما اصابهم لينظر ما
فعلوا وعما اشتغلوا من الاثار العظيمة والملك الجسيم ويحصل من ذلك عبرة وفى سائر الدعا لهم ويتعرف لحاقه بهم
وصيرورته كاحدهم فيما صاروا اليه ووجه التشبيه قرب حاله من حال احدهم والى الاشارة بقوله تعالى اولم يسيروا
فى الارض فينظروا الاية الرابع عشر ان يصلح مثواه وهو دار الاخرة بلزوم الاعمال الصالحة ولا يبيع اخرته وما وعد فيها
من الخيرات الباقية بما وجد فى دنياه من اللذات الوهمية الفانية ولفظ البيع مستعار الخامس عشر ان يترك القول
فيما لا يعرف فان القول بغير علم يستلزم رذيلتى الكذب والجهل ولحوق الذم ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله لبعض
اصحابه كيف بك اذا بقيت فى قوم من الناس مرجت عهودهم واماناتهم وصاروا هكذا وشبك بين اصابعه قال فقلت
مرنى يا رسول الله فقال خذ ما تعرف ودع ما لا تعرف وعليك بخويصة نفسك وكذلك قوله والخطاب فيما لا تكلف كقوله
صلى الله عليه وآله من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه السادس عشر ان يمسك عن طريق اذا خاف ضلالته والمراد التوقف
عند الشبهات وعدم الشروع الى سلوك طريق يشك فى تاديته الى المقصود فان توقفه وتثبته عند طلب الحق الى ان
يتضح له طريقه خير له من التعسف وركوب ما يخاف الضلال به من الطرق السابع عشر ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر
فعلا وقولا ويباين من فعله بقدر امكانه وهو من فروض الكفاية وعليهما مدار نظام العالم ولذلك كان القرآن
الكريم والسنة النبوية مشحونين بهما واستدرجه الى ذلك بقوله تكن من اهله لانهم اولياء الله الابرار المرغوب فى الكون
منهم الثامن عشر ان يجاهد فى الله حق جهاده اضاف الحق الى جهاده اضافة الصفة الى الموصوف لانه
الصفة من باب الاهم التاسع عشر ان لا ياخذه فى الله لومة لائم وهو كناية عن نهيه عن التقصير فى طاعة الله اذ كان
من لوازم المقصر استحقاق لوم اللائمين العشرون ان يخوض الغمرات الى الحق حيث كان ولفظ الخوض مستعار لمعاناة
الشدائد والدخول فيها لطلب الحق الحادى والعشرون ان يتفقه فى الدين ويتعلم الاحكام الشرعية ومباديها
الثانى والعشرون ان يعود نفسه الصبر على المكروه وقد علمت ان احتمال المكروه فضيلة تحت الشجاعة وهو من
مكارم الاخلاق الثالث والعشرون ان يلجئ نفسه فى اموره كلها الى الله تعالى وهو امر بالتوكل على الله والانابة
اليه فى كل مرغوب او مرهوب وقد علمت حقيقة التوكل وما يستلزمه واستدرجه الى ذلك بقوله فانك تلجئها الى
كهف حريز ومانع عزيز واستعار لفظ الكهف لنفسه باعتبار ان من توكل عليه كفاه ومنعه مما يخاف كما يمنع الكهف
من يلجأ اليه الرابع والعشرون ان يخلص فى دعائه ومسألته لربه اذ كان ذلك من شرائط الاجابة واستدرجه الى الاخلاص

بقوله

بقوله فان بيده العطاء والحرمان ليشتد الانجذاب اليه والاعراض عن غيره والعبارات الثلث فنعم وقوله فان ذلك
وقوله فان بيده جواب للاوامر الثلثة الخامس والعشرون ان يكثر الاستخارة اى الطلب الى الله تعالى ان يختار له
فيما ياتى ويذر السادس والعشرون ان يتفهم وصيته ولا يعرض عنها وكنى عن الاعراض وترك العمل بها بالذهاب
صفحا وانتصب صفحا على الحال ولا تذهبن معرضا استدرجه للاقناع بها بقوله فان خير القول ما نفع والتقدير فان
وصيتى نافعة وما نفع فهو خير القول ثم نبهه بقوله واعلم الى قوله تعلمه على ان من العلوم ما لا خير فيه لا يستوفى
الى معرفته فيصده ذلك عن سلوك سبيل الله والعلم المؤدى اليه ومثل ذلك العلوم التى نهت الشريعة عن تعلمها كالسحر
والكهانة والنجوم والنيرنجات ونحوها مما لا يكون سبيلا الى المقاصد الحقيقية الثابتة وتقدير الكلام واعلم ان
كل علم لا يحق تعلمه اى لا يثبت فى الشريعة تعلمه وجوبا ولا ندبا فهو علم لا ينتفع به فى طريق الاخرة فلا خير فيه لان
الخير الحقيقى هو المنفعة الباقية عند الله فما لا منفعة فيه لا خير فيه ولذلك استعاذ الرسول صلى الله عليه وآله منه فقال
واعوذ بك من علم لا ينفع فينتج ان كل علم لا يحق تعلمه فلا خير فيه وبالله التوفيق **الفصل الرابع** قوله اى بنى انى لما
رايتنى قد بلغت سنا ورايتنى ازداد وهنا بادرت بوصيتى اليك خصالا منها ان يعجل بى اجلى دون ان افضى اليك بما فى نفسى وان انقص فى
رايى كما نقصت فى جسمى او يسبقنى اليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا فتكون كالصعب النفور وانما قلب الحدث
كالارض الخالية ما القى فيها من شى قبلته فبادرتك بالادب قبل ان يقسو قلبك ويشتغل لبك لتستقبل بجد رايك
من الامر ما قد كفاك اهل التجارب بغيته وتجربته فتكون قد كفيت مؤنة الطلب وعوفيت من علاج التجربة فاتاك
من ذلك ما قد كنا ناتيه واستبان لك ما ربما اظلم علينا منه اى بنى انى وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلى فقد نظرت
فى اعمالهم وفكرت فى اخبارهم وسرت فى اثارهم حتى عدت كاحدهم بل كانى بما انتهى الى من امورهم قد عمرت مع اولهم
الى اخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل امر نخيله وتوخيت لك جميله وصرفت
عنك مجهوله ورايت حيث عنانى من امرك ما يعنى الوالد الشفيق واجمعت عليه من ادبك ان يكون ذلك وانت
مقبل العمر ومقتبل الدهر ذو نية سليمة ونفس صافية وان ابتدئك بتعليم كتاب الله عز وجل وتاويله وشرائع الاسلام واحكامه
وحلاله وحرامه لا اجاوز ذلك بك الى غيره ثم اشفقت ان يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من اهوائهم وارائهم
مثل الذى التبس عليهم فكان احكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له احب الى من اسلامك الى امر لا آمن عليك
فيه الهلكة ورجوت ان يوفقك الله تعالى لرشدك وان يهديك لقصدك فعهدت اليك وصيتى هذه واعلم
يا بنى ان احب ما انت آخذ به الى من وصيتى تقوى الله والاقتصار على ما فرضه الله عليك والاخذ بما مضى عليه
الاولون من آبائك والصالحون من اهل بيتك فانهم لم يدعوا ان نظروا لانفسهم كما انت ناظر وفكروا كما
انت مفكر ثم ردهم آخر ذلك الى الاخذ بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا فان ابت نفسك ان تقبل ذلك دون
ان تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم لا بتورط الشبهات وعلو الخصومات وابدأ قبل نظرك فى ذلك
بالاستعانة عليه بالهك والرغبة اليه فى توفيقك وترك كل شائبة اولجتك فى شبهة او اسلمتك الى ضلالة

فاذا ايقنت ان قد صفا قلبك فخشع وتم رايك فاجتمع وكان همك فى ذلك هما واحدا فانظر فيما فسرت لك
وان انت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك وفراغ نظرك وفكرك فاعلم انك انما تخبط العشواء وتتورط الظلماء
وليس طالب الدين من خبط او خلط والامساك عن ذلك امثل فتفهم يا بنى وصيتى واعلم ان مالك الموت هو مالك
الحياة وان الخالق هو المميت وان المفنى هو المعيد وان المبتلى هو المعافى وان الدنيا لم تكن لتستقر الا على
ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء والجزاء فى المعاد وما شاء مما لا تعلم فان اشكل عليك شى من ذلك
فاحمله على جهالتك به فانك اول ما خلقت جاهلا ثم علمت وما اكثر ما تجهل من الامر ويتحير فيه رايك ويضل
فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك فاعتصم بالذى خلقك ورزقك وسواك وليكن له تعبدك واليه رغبتك ومنه
شفقتك واعلم يا بنى ان احدا لم ينبئ عن الله سبحانه كما انبا عنه نبينا صلى الله عليه وآله فارض به رائدا والى النجاة
قائدا فانى لم آلك نصيحة وانك لن تبلغ فى النظر لنفسك وان اجتهدت مبلغ نظرى لك **اقول** الوهن الضعف
والمبادرة المسارعة والمسابقة وافضى وصل والبغية الطلبة والتوخى القصد واجمعت صممت العزم وتمثل
الا كما خليت بينه وامثل اقرب الى الخير وفى هذا الفصل مقاصد الاول انه اشار الى بعض العلل الحاملة له على
هذه الوصية وهى كونه قد بلغ سنا عاليا واخذا ذا يادا فى الضعف وذلك انه كان قد جاوز الستين فلزم من
ذلك خوفه لاحد الخصال المذكورة فبادرها وسابقها اليه وخصالا مفعول له وعد من تلك الخصال ثلثا
الاولى ان يعجل به اجله الى الاخرة قبل ان يوصل اليه ما فى نفسه من الحكمة الثانية ان ينقص رايه وذلك
ان القوى النفسانية تضعف عند علو السن لضعف الارواح الحاملة لها فينقص بسبب ذلك التصرف فى العقل
وتحصيله للاراء الصالحة الثالثة ان يسبقه اليه بعض غلبات الهوى فان الصبى اذا لم يوخذ بالاداب فى حداثته
ولم يمرن على مطاوعة العقل وموافقته كان بصدد ان يميل به القوى الحيوانية الى مشتهياتها ويجذبه
قياد هواه الى الاشتغال بها فيفتنه ويصرفه عن الوجهة الحقيقية وما ينبغى له فيكون حينئذ كالصعب النفور
من الابل ووجه التشبيه انه يعسر حمله على الحق وجذبه اليه كما يعسر قود الجمل الصعب النفور ورتب
على وجوب المبادرة اليه بالادب وزرعه فى قلبه ليتيسر حمله على الحق وجذبه اليه كما يعسر قود الجمل الصعب
عقيب التنفير قوله وانما قلب الحدث الى قوله قبلته واشار الى وجه التشبيه بقوله ما القى فيها من شى قبلته
وذلك ان قلب الحدث لما كان خاليا من الانتقاش بالعقائد وغيرها مع كونه قابلا لما يلقى اليه من خير او
شر فينتقش به اشبه الارض الخالية من النبات والزرع القابلة لما يلقى فيها من البذر وتقدير الكبرى وكل
قلب كان كذلك فيجب ان يسبق اليه بذر الاداب وغرس الحكمة ولذلك بادره بالادب قبل ان يقسو قلبه
عن الانقياد للحق والاشتغال بالامور الباطلة ثم اشار الى علة اخرى من العلل الغائية لمبادرته بالادب
وهى ان يستقبل بجد رايه وقوة فكره ما قد كفاه اهل التجارب بغيته من العلوم وهو فى غنية من علاج التجربة
ومعاناتها فاتاه من ذلك العلم التجربى ما كان اهل التجربة ياتونه ويطلبونه واستبان له ما ربما اظلم

عليهم

عليهم منه وفرق بين من ياتيه العلم صفوا ويلقى اليه بينا واضحا قد كفى فيه مؤنة الاكتساب وبين من سعى
اليه وشقى فى تحصيله وخاض اليه غمرات الشكوك وظلمات الشبهات وكل ذلك من الامور المقنعة له فى قبول
الوصية والعمل بما اشتملت عليه من الحكم والاداب لان اهل التجارب اذا كانوا قد تعبوا فى تحصيله مع ما
فيه من المشقة فلان يجده هو بغير كلفة اولى المقصود الثانى اشار الى فضيلة نفسه واشتماله
بالعلوم ثم الى كونه فى غاية العناية والشفقة عليه والى ما اداه اصلح فى تعليمه اياه من العلوم الى غير ذلك وكل ذلك
من الجميع استدراج لقبول قوله كما علمت من غرض الخطيب فى ذكر فضيلته وما يستدرج به للانفعال عما يريد
ان يقنع به من الاراء وغيرها فنبه على فضيلته بقوله اى بنى الى قوله مجهوله وقوله وان لم اكن فى قوة جواب
اعتراض مقدر كان قائلا قال له فكيف حصلت العلوم عن تجارب الامور مع حاجة التجربة الى عمر طويل
يشاهد فيه الانسان تغيرات الامور وتقلبات الدهور فقال انى وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلى وشاهدت
احوالهم لكنى نظرت فى اعمالهم وفكرت فى اخبارهم الماثورة وسرت فى اثارهم سيرا محسوسا ومعقولا حتى صرت
كاحدهم فى عيان امورهم وقوله فعرفت عطف على قوله فسرت وقوله ذلك اشارة الى ما انتهى اليه من امورهم
وكنى بالصفو عن الخير وبالكدر عن الشر اى فعرفت خير امورهم من شرها ونفعها من ضرها واستخلصت لك
من كل امر جليله وهو خيره وما ينفع منه عند الله من العلوم والعبر النوافع وروى نخيله اى خالصه وقصدت
لك جميله اى الامر الحسن منه دون قبيحه وصرفت عنك مجهوله اى ما اشتبه عليك امره والتبس الحق فيه وقوله
ورايت حيث عنانى الى اخره اشارة الى كمال عنايته وشفقته عليه ووجه اختياره له ما هو الاولى به من العلوم
واجمعت عطف على يعنى وان يكون فى محل النصب على انه مفعول اول لرايت ويكون هنا تامة والواو فى قوله
وانت للحال وان ابتدئك عطف على ان يكون والمفعول الثانى لرايت محذوف تقديره انفع واصلح وتقدير
الكلام ورايت حيث عنانى من امرك ما يعنى الوالد الشفيق من امر ولده من النظر فى مصالحه والاهتمام باحواله
وما صممت عزمى عليه من تاديبك ان يكون ذلك التاديب حال اقبال عمرك وحال كونك ذا نية سليمة من الامراض
النفسانية والاخلاق الذميمة وكونك ذا نفس صافية من كدر الباطل وان ابتدئك بتعليم كتاب الله و
تاويله وما يشتمل عليه من شرائع الاسلام اى قوانينه واحكامه وحلاله وحرامه واقتصر بك على ذلك كما اقتصر
عليه كثير من السلف وقوله ثم اشفقت عطف على رايت ان اقتصر بك على ذلك ولا اجاوزك الى غيره من
العلوم العقلية ثم خفت ان يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من اهوائهم وارائهم مثل ما التبس عليهم اى
الالتباس مثل الالتباس عليهم فكان احكام ذلك اى ما اختلف الناس فيه على ما كرهت من تنبيهك له احب الى
من اسلامك الى امر لا آمن عليك فيه الهلكة فى الدين وذلك الامر هو ما اختلف الناس فيه من المسائل العقلية
الالهية التى يكثر التباس الحق فيها بالباطل ويكشفها الشبهات المغلطة التى هى مظنة الخطر والانحراف
بها عن سبيل الحق الى سبيل الهلاك واحكام ذلك الامر بيان وجه البرهان فيه وكيفية الخلاص من شبه

الباطل ومزاجه قوله ورجوت ان يوفقك عطف على اشفقت والضمير المجرور في به يعود الى ما اختلف الناس فيه
المقصود الثالث الاشارة الى بيان ما هو الاحب اليه ان ياخذ به من وصيته والارشاد الى كيفية اخذه وما
ينبغي ان يبدا قبل الشروع من الاستعانة بالله والرغبة اليه في التوفيق الى غير ذلك من الاداب التي تهيء
الاستعداد للبحث والتعلم فمن الاحب اليه تقوى الله الذي هو الزاد المبلغ اليه ثم الاقتصار على ما افترض
الله عليه من النظر في ظواهر الادلة دون التوغل في الفكر وخوض الشبهات مما لم يكلف به اخذا بما مضى
عليه الصالحون من اهل بيته كحمزة وجعفر والعباس وعبيدة بن الحرث وغيرهم من بني هاشم وقوله فانهم الى
قوله لم يكلفوا ترغيب له في الاخذ بما اخذهم وتنفير له عن التوغل والتعمق بغير ضرورة ما ذكر وتقدير الكبرى
وكل من كان كذلك فينبغي الاقتداء به في الاخذ بما عرف والامساك عما لم يكلف وقوله فان ابيت الى آخره
بيان للكيفية التي ينبغي ان يكون عليها طالب العلوم العقلية والتدقيق فيها ان ابت نفسه الاقتصار
على ما افترضه الله عليه اي فليكن طلبك لما انت طالب له من ذلك على وجوه احدها التفهم الحاصل للتعلم
للحق والطلب له لا على وجه تعلم الشبهات والتورط فيها والمشاغبة بها فان ذلك مما يصد عن تعلم الحق ويمنع
من قبوله الثاني ان يبدا قبل نظره في ذلك المطلب بالاستعانة بالله والرغبة اليه في توفيقه لاصابة طريق
الحق والوصول اليه الثالث ان يترك كل شائبة اولجته في شبهة كالعادات في نصرة المذاهب الباطلة بسبب
اتباع الهوى والآراء التي يطلب بها الرياسات فان النفس اذا كانت فيها شائبة محبة لا مرجح لها لم يسلك بها
طريق الحق بل كانت الى الاغراق في طرق الضلال والشبه المناسبة للمطالب الباطلة اوفق الثالث
فينبغي للسالك ان يدفع عن نفسه كل شبهة تعود الى ضلالة ولفظ الاسلام مستعار لاهماله وعدم حدبه
عما يتورط فيه من الامور المضلة ثم قال فاذا ايقنت الى آخره اي فاذا اعددت نفسك للطلب والنظر بما ذكر
لك وتحققت ان قد صفا قلبك من كل شائبة شاغلة في النظر فخشع من خشية الله ان يواخذك بتركه وتم رايك
وعزمك عليه فاجمع شعرك حتى لا يبقى لك الى تركه التفات وكان همك فيه هما واحدا لا ينقسم الى غيره فانظر
حينئذ فيما فسرت لك ونبهتك عليه من المسائل العلمية الالهية كما سياتي وان انت لم يجتمع لك ما تحب
من نفسك وفراغ نظرها وفكرها عن الشواغل المنافية للعلم وطلبه ونظرك فاعلم انك في خوضك وطلبك
انما تخبط خبط العشواء وتتورط الظلماء وكل من كان كذلك فليس لهل الطلب الدين من اصوله
وحذف المضاف الى العشواء واقام المضاف اليه مقامه واستعار وصف الخبط له باعتبار انه طالب للعلم
من غير استكمال شرايط الطلب وعلى غير طريق المطلوب كالناقة العشواء وكذلك لفظ الظلماء للشبه
باعتبار ان الذهن لا يهتدي فيها لطلب الحق كالماشي في الظلماء المقصود الرابع امره بتفهم وصيته وتنبيهه
على جملة من صفات الله وافعاله التي قد يتوهم التضاد والتنافي في اسنادها الى واحد واشار الى انها
ليست بمتضادة وان مبداها واحد فاما الصفات فهو ان القادر على الموت ومن له ان يميت هو القادر

على الحيوة وله ان يحيي باعتبار ان اسباب الموت والحياة ينتهي اليه وكذلك الخالق هو المميت فان فاعل الخلق
وهو مقدر الموت الذي ينتهي اليه اسبابهما والى هذين الاعتبارين الاشارة بقوله تعالى ويميت ربكم ورب
آبائكم الاولين يحيي ويميت باعتبار انه الفاعل الاول لهما وباعتبار انه الرب المطلق هو المالك الاول لهما
وكذلك المغني هو المعيد والمبتلي هو المعافي باعتبار انه تنتهي اسباب الغناء والاعادة والابتلاء والمعافاة
اليه وقد علمت ان كل هذه الامور اعتبارات عقلية يلحق معقولية الواجب سبحانه بالقياس الى مخلوقاته
وآثاره كما استقصيناه في الخطبة الاولى واما الافعال فهو انه تعالى لما خلق الدنيا لم يمكن خلقها
واستقرار وجودها الا على ما خلقها الله عليه من افاضة ما يعد نعمة في حق بعض العبيد ومن مال او
ونحوهما والابتلاء بما يعد بلاء من الفقر والمرض ونحوهما وان كانت النعماء ايضا ابتلاء كما قال تعالى
ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ثم لزوم الجزاء في المعاد لنفوس المبتلين والمنعم عليهم بحسب
طاعتهم ومعصيتهم في النعمة والابتلاء وكذلك خلقه لها على ما شاء مما لا يعلم وجه الحكمة فيه واعلم انه
قد ثبت في اصول الحكمة ان المقصود من العناية الالهية بالذات هو الخير واما الشرور الواقعة في
الوجود فكائنة بالعرض من حيث انه لا يمكن نزع الخير وتجريده عنها ولما كان الخير اغلب في الوجود
وكانت الشرور امورا لازمة اقلية لم يمكن ترك الخير الكثير لاجلها لان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل
شر كثير في الجود والحكمة الالهية وذلك معنى قوله عليه السلام وان الدنيا لم يكن ليستقر الا على ما جعلها
الله عليه مما عددناه مما يعلم كونه خيرا او شرا او لا يعلم حاله اي لم يمكن خلقها الا على ما فيها من خير مراد
بالذات وشر مراد بالعرض ولزوم الجزاء على السيئة وعقاب النفوس في المعاد عليها من الشرور اللازمة لما
حصلت عليه من الهيئات البدنية والملكات الردية في الدنيا كما يعلم ذلك في موضعه وقوله فان اشكل الى
آخره اي فان اشكل عليك شيء من اسرار القدر وخفي عليك وجه الحكمة فيه فلا تتوهم خلوه عن حكمة بل احمله
على جهالتك به فانك اول ما خلقت جاهلا ثم علمت كما قال تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون
شيئا الآية ونصب اول على الظرف وجاهلا على الحال وروى اول بالرفع على الابتداء وجاهل بالرفع خبر له
ثم نبهه على اكثرية ما يسبق جهله به من الامور ثم يوجد له فيما بعد ليحمل ما لم يدرك وجه الحكمة فيه من ذلك القبيل
ثم امره بالاعتصام بالله والالتجاء اليه في اموره وان يجعل له تعبده واليه رغبته ومنه شفقته لانه تعالى احق
موجود بذلك واولاها بالامور المذكورة المقصود الخامس الاشارة الى فضيلة الرسول صلى الله عليه وآله
على سائر الانبياء لزيادته عليهم في ايضاح الخبر عن الله تعالى وبيان المطالب الحقيقية التي اشتمل عليها الكتاب
العزيز من اسرار التوحيد والقضاء والقدر وامر المعاد فان احدا من الانبياء السابقين عليهم السلام
لم يفصح عن هذه الامور كما فصله ولذلك كانت هداية هذه الامة بما جاء به صلى الله عليه وآله اتم واكمل
من هداية سائر الامم السابقة بما جاءت به انبياؤها وكانت عيون بصائرهم ابسط انوارا واكثر

وغاية ذكره فضيلته صلى الله عليه وآله هنا ان يرضى به وبرشده لانه على طريق النجاة في الآخرة واستعار لفظ الرايد
باعتبار انه وقد لحق بما في الآخرة من الثواب المقيم والسعادة الباقية وبشر به امته كما يبشر الرايد اهله بوجود
الكلاء والماء بعد ارتياده ثم اردف ذلك ببيان انه لم يزل ناصحا له وانه لم يبلغ نظره لنفسه وان اجتهد في
ذلك مبلغ نظره له ليأكد الاقناع برأيه ومشورته عليه فيما يراه له ونصيحة نصب على التمييز الفصل الخامس
قوله واعلم يا بني انه لو كان لربك شريك لاتتك رسله ولرايت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت افعاله وصفاته
ولكنه اله واحد كما وصف نفسه لا يضاده في ملكه احد ولا يزال ابدا ولم يزل اول قبل الاشياء بلا اولية
وآخر بعد الاشياء بلا نهاية عظم عن ان تثبت ربوبيته باحاطة قلب وبصر فاذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي
لمثلك ان يفعله في صغر خطره وقلة مقدرته وكثرة عجزه وعظيم حاجته الى ربه في طلب طاعته والرهبة من عقوبته
والشفقة من سخطه فانه لم يامرك الا بحسن ولم ينهك الا عن قبيح اقول اشار في هذا الفصل الى الحجة على وحدة
الصانع سبحانه وعلى جملة من صفاته ثم الى ما ينبغي ان يفعله من ملاحظة عظمته تعالى من الصفات المذكورة فالذي
هنا ابحاث الاول الحجة على وحدة الصانع وهي شرطية متصلة مقدمها قوله لو كان لربك شريك وتاليها
لاتتك رسله الى قوله ولعرفت افعاله وصفاته ويستنتج منها استثناء نقيض التالي لينتج نقيض المقدم
بيان الملازمة انه لو كان له شريك لكان شريكه الها مستجمعا لجميع شرائط الالهية والا لم يصلح للشركة لكن
من لوازم الالهية امور احدها الحكمة في وجوب بعثة الرسل الى الخلق ووصولهم اليه لما علمت من برهان
وجوب البعثة في موضعه الثاني لزوم ان يكون آثار ملكه وسلطانه وصفات افعاله ظاهرة مشاهدة الثالث
ان يعرف افعاله وصفات ذاته لكن هذه اللوازم كلها باطلة اما الاول فلانه لم ياتنا رسول ذو معجزة يدل
على الثاني ويخبرنا عنه واما الثاني فهو ان آثار الملك والسلطان وعظمة الملك واحكامه انما يدل على
حكيم قادر فاما على التعدد فلا واما الثالث فلان مجرد الافعال التي نشاهدها انما يدل على فاعل فاما
على التعدد فلا وكذلك صفات الالهية المكتسبة بواسطة الافعال من العلم والقدرة والارادة وغيرها
انما يدل على صانع موصوف بها فاما على صانعين او اكثر كذلك فلا فاذن القول بان لربنا شريكا قول باطل
لا برهان عليه كما قال تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به الآية وقوله اله واحد كما وصف نفسه من لوازم
النتيجة لانه اذا بطل القول بثان له ثبت انه اله واحد كما وصف نفسه من لوازم النتيجة لانه اذا بطل
القول بثان له ثبت انه اله واحد كما وصف هو نفسه بقوله قل هو الله احد القهار وانه لا يضاده في ملكه
احد يضاده في افعاله وينازعه في ملكه كما هو عادة الملوك واعلم ان هذه الحجة اقناعية كما هو عادة الخطيب
من الخطابة وليست برهانية لانه ان اريد في الشرطية ان وجود الثاني يستلزم وجود آثار وافعال وصفات
تخصه ويعلم اختصاصه بها فالملازمة ممنوعة لان الالهين سواء كانا متفقي الحقيقة او مختلفي الحقيقة لا يلزم
ان يختلف افعالهما ولوازمهما بالنوع ويتخصص كل منهما بلازم خاص وفعل خاص لا يوجد للآخر بل جاز ان

يشتركا في اللوازم والآثار وان اريد ان وجوده يستلزم ان يعرف آثار وافعال ولوازم لا يختص بل جاز اتيانها
بها الاله الآخر فهذا مسلم لكن لا يمكن الاستدلال ببطلان التالي هنا وهو ظاهر لانا نرى آثار ملكه و
افعال ولوازم وصفات لا تدل على احدية فاعلها والموصوف بها ولا على اثنينيته وانما يدل على مطلق فاعل
وملزوم ما فلا يمكن ابطالها ورفعها ولان رفعها يستلزم رفع وجود الاله المطلق لاستلزام عدم اللازم
عدم الملزوم لا رفع التالي خاصة الثاني كونه تعالى لا يزال ابدا وانه لم يزل وهو اشارة الى دوام وجوده و
ثباته ازلا وابدا وبرهانه انه تعالى واجب الوجود لذاته وكل واجب الوجود لذاته فهو دائم الوجود ثابته ازلا و
ابدا اما الصغرى فقد مر برهانها واما الكبرى فلانه لو جاز عليه الزوال والعدم لما كان واجب الوجود لذاته
وفساد التالي يستلزم فساد المقدم فاذن هو دائم الوجود ازلا وابدا الثالث كونه اولا قبل الاشياء بلا
اولية لوجوده وكونه آخرا بعد الاشياء بلا نهاية لوجوده اما الاول فلانه لو كان لوجوده اولية لكان مسبوقا
بالعدم فكان محدثا فكان ممكنا هذا خلف واما الثاني فلانه لو كانت آخريته منقطعة بنهاية لكان ملحوقا
بالعدم فلم يكن واجب الوجود لذاته الرابع كونه اعظم ان تثبت ربوبيته باحاطة قلب وبصر اي هو اعظم ان يطلع
احد بقلبه او بصره على كمال صفات ربوبيته والاعتبارات المعتبرة فيها وعجز التنبيه على ذلك انك علمت ان صفة
الربوبية وسائر صفات الالهية باعتبار الخارج نفس حقيقته تعالى وباعتبار العقل امور يعتبرها المعقولية ذاته
بالقياس الى مخلوقاته وآثاره وعلى التقديرين فهو اعظم ان يثبت ربوبيته باحاطة قلب وبصر اما في الخارج فلان
صفة ربوبيته هي نفس ذاته فكانت احاطة العلم بها موقوفة على احاطته بكنه ذاته وقد علمت انها بريئة عن وجوه
التركيب فيمتنع الاحاطة بها لغيرها واما في العقل فلان اعتبار صفة الربوبية واحاطة العقول بها موقوفة على
الاحاطة بجميع اعتبارات صفات الكمال ونعوت الجلال اذ اعتبار ربوبيته المطلقة مستلزم لاعتبار الهيته المطلقة
المستلزم لاعتبار جميع ما له من صفات الالهية وقد علمت ان تلك الاعتبارات غير متناهية فهي اعظم ان يحيط
عقل بشري فضلا ان يتعلق بها ادراك بصري الخامس اعلم انه لما نبهه على عظمة الله سبحانه وكمال ذاته في الآلاء
المذكورة امره ان يفعل كما ينبغي ان يفعله من هو مثله في النقصان بالنسبة الى عظمة الله سبحانه فيطيعه
ويعبده بكمال عبادته وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وعدد له وجوه النقصان ليعتبر حاله في كل منها بالقياس الى
كمال ذاته تعالى في صغر منزلته بالنسبة الى عظمته تعالى وقلة مقدرته وكثرة عجزه بالنسبة الى كمال قدرته وكذلك
عظم حاجته الى ربه في كل حال من طلب توفيقه واعداده لطاعته والرهبة من عقوبته والاشفاق من سخطه كل ذلك
بالنسبة الى العناية المطلقة في كل شيء عن كل شيء وقوله فانه الى قوله قبيح تنبيه له على وجوب طاعته تعالى في كل
ما امر به ونهى عنه وجذب له الى فعل كل مامور به بكونه حسنا والى الانتهاء عن كل منهي بكونه قبيحا وقد علمت ان الغاية
من بعثة الرسل ووضع الشرائع والسنن هي نظام احوال الخلق في معاشهم ومعادهم فلا بد اذن في كل امر ونهي من سر
وحكمة توجب حسن المامور به وقبح المنهي عنه ولهذا الكلام ونحوه تعلقت المعتزلة في مسألة الحسن والقبح العقليين

التوفيق **الفصل السادس** ما يجلية قد ابنائك عن الدنيا وحالها وزوالها واشغالها وانبائك عن الاخرة وما
اعد لاهلها فيها وضربت لك فيها الامثال لتعتبر بها وتحذو عليها انما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفر نبا بهم منزل
جديب فاموا منزلا خصيبا وجنابا مريعا فاحتملوا وعثاء الطريق وفراق الصديق وخشونة السفر وجشوبة
المطعم ليأتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم فليس يجدون لشيء من ذلك الما ولا يرون نفقة مغرما ولا شيء احب
اليهم مما قربهم من منزلهم وادناهم من محلهم ومثل من اغتر بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب فنبا بهم الى منزل جديب
فليس شيء اكره اليهم ولا افظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه الى ما يهجمون عليه ويصيرون اليه يا بني اجعل نفسك
ميزانا فيما بينك وبين غيرك فاحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب ان تظلم و
احسن كما تحب ان يحسن اليك واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك
ولا تقل ما لا تعلم وان قل ما تعلم ولا تقل ما لا تحب ان يقال لك واعلم ان الاعجاب ضد الصواب وآفة الالباب
فاسع في كدحك ولا تكن خازنا لغيرك واذا انت هديت لقصدك فكن اخشع ما تكون لربك **اقول** يجوز بمعنى
وقد السفر المسافرون وامّوا قصدوا والجناب الفناء والمنزل المريع ذو الكلاء والخصب ووعثاء السفر
مشقته وجشوبة المطعم غلظه وهجم وقع بغتة والكدح الكسب وفي الفصل مطلوبان احدهما التنبيه على حالي
الدنيا والاخرة وذكره بما اخبره عنهما من صيرورة زوال الدنيا واشغالها وبقاء الاخرة وما اعد لاهلها فيها
من السعادة الباقية التي اشتمل على تعديد انواعها الكتاب العزيز والسنة الكريمة وضرب لطالبيهما مثلين
ليكون ممن اعرض عن الدنيا واقبل على الاخرة فالمثل الاول مثل من خبر الدنيا وعرف زوالها واشغالها والآخرة
الاخرة وبقائها وما اعد فيها لاهلها ومثلهم بقوم مسافرين قد امّوا منزلا الاخرة الى منزل خصيب ومطابقة
هذا المثل ان النفوس البشرية لما كانت من عالم المجردات وكانت الحكمة في هبوطها الى هذا العالم ومقارنتها
لهذه الهياكل الجسمانية الكثيفة في دار الغربة ومحل الوحشة من عالمها هو ان يحصل بواسطتها الكمالات العقلية
التي انما تتمكن لها بواسطتها تدريج الاستكمال بها الى عالمها الاعلى طاهرة عن علائق هذه الهياكل وهيئاتها الردية
كما اخذ عليها في العهد القديم كانت كل نفس حفظت عهد ربها وبقيت على صراط المستقيم هي في المدة المضروبة
لها ناظرة بعين الاعتبار الى ان الدنيا كالمنزل الجديب خالية عن المطاعم الحقيقية والمشارب العذبة الهنية فهو
لذلك غير صالح للاستيطان والاقامة وان عالم الاخرة كالمنزل الخصيب والجناب المريع من وصل اليه مستقيما
على اوامر الله ونواهيه فاز بالمقاصد السنية واللذات الباقية فكانت بدا في طريق السفر في منازل الطريق الى الله والا
للوصول الى حضرة الشريفة محتملة لمشقة ذلك السفر من معاناة الجوع والظماء ومقاساة السهر قصدا الى
الدار ومنزل القرار لا تجد من ذلك الما ولا تعد ما انفقت من المال والعمر مغرما ولا شيء احب اليها من وسائل
تقربها الى ذلك المنزل الذي امته والجناب الذي قصدته فاشبهت في ذلك من وصل الى منزل جديب علم ان امامه
منزلا خصيبا فاقتضى بالسفر الى نحو وعثاء السفر وشقته اليه ليحصل على الراحة الكبرى واما المثل الثاني

فهو مثل اهل الدنيا الذين قادتهم نفوسهم الامارة بالسوء اليها فغفلوا فيها عما وراءها ونسوا عهد ربهم واعرضوا
عما ذكروا به من آياته وشبههم بقوم كانوا في منزل خصيب فنبا بهم الى منزل جديب فالمنزل الخصيب في هذا المثل هو الدنيا
لا تصافها بسعادة اهلها ونعيمهم والمنزل الجديب هو الاخرة اذ لم يكونوا قد استعدوا للادراك السعادة فيها ووجه
تشبيههم بالقوم هو ما ذكره من انه ليس شيء اكره اليهم الى الاخرة اي ليس شيء اكره اليهم ولا افظع عندهم من مفارقة ما هم فيه
من الدنيا الى ما يهجمون عليه بغتة من الاهوال ويصيرون اليه من مقاساة السلاسل والاغلال كما انه ليس شيء اكره
الى القوم من مفارقة منزل خصيب كانوا فيه الى منزل جديب يهجمون عليه والى هذين المثلين اشارة الرسول صلى الله
عليه وآله الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر المطلوب الثاني الوصية باصلاح معاملته مع الخلق فاشار عليه ان يجعل
نفسه ميزانا بينه وبين غيره ووجه استعارة لفظ الميزان انه يكون ذا عدل نفسه وبين الناس كالميزان ثم شرح وجوه
العدل والتسوية التي امره ان يكون ميزانا باعتبارها فمنها امور ثبوتية ومنها امور سلبية فالاول ان يحب لغيره
ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها وفي الحديث المرفوع لا يكمل ايمان عبد حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره
لنفسه وسر الحديث ان ذلك من كمال فضيلة العدالة التي هي من كمال الايمان الثاني ان لا يظلم فيسلم من رذيلتي الظلم
والانظلام الثالث ان يحسن الى الغير كما يحب ان يحسن اليه والاحسان فضيلة تحت العفة الرابع ان يستقبح من نفسه
ما يستقبح من غيره فينزجر عن جميع مساويه وهو من لوازم المروة ولذلك قال الاحنف اذ سئل عن المروة هي ان تستقبح
من غيرك الخامس ان يرضى من الناس بما يرضاه لهم من نفسه اي كل ما رضي ان يفعل بهم من خير او شر ان فعله فينبغي
ان يرضى بمثله منهم وفيه تنبيه على انه لا يجوز ان يفعل الشر لعدم لازمه وهو الرضا منهم به السادس ان لا يقول ما لا
يعلم وان قل ما يعلم وانما قال وان قل ما يعلم لان قصور قلة العلم قد يكون داعية لبعض الناس الى ان يقول بغير
علم لئلا ينسب الى الجهل فيضل ويضل كما قال تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير
الآية السابع ان لا يقول لاحد ما لا يحب ان يقال له كالمواجهة بالعيوب والالقاب المكروهة وكل كلام موذ الثامن
نبهه على وجوب ترك الاعجاب بانه ضد الصواب لما كان الصواب هو سلوك طريق الله باستجماع مكارم الاخلاق و
كان الاعجاب من رذائل الاخلاق كان مضادا للصواب مضادة الرذيلة للفضيلة وبانه آفة للعقول اذ هو من اكبر
امراض العقل واقوى المهلكات كما اشار اليه الرسول صلى الله عليه وآله ثلاث مهلكات الى ان قال واعجاب المرء
بنفسه التاسع ان يسعى في كدحه اي فيما ينبغي له من كسب الطاعات وقيل اراد بالكدح ما اكتسبه من المال وما ينبغي
انفاقه في سبيل الله العاشر ان يكون عند هداية الله اياه لرشده اخشع ما يكون لربه وذلك ان الهداية للرشد
هي العلم بالطريق الى الله تعالى في جميع ما عدد من مكارم الاخلاق والعلم بالطريق المؤدية اليه حين سلوكها يستلزم
ملاحظة جلال المقصود وعظمته وهناك يكون الخشوع الحق والخشية التامة لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ٥
الفصل السابع قوله واعلم ان امامك طريقا ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة وانه لا غنى لك فيه عن حسن الارتياد
وقدر بلاغك من الزاد مع خفة الظهر فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك واذا وجدت

من اهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيمة فيوافيك به غدا حيث تحتاج اليه فاغتنمه وحمله اياه واكثر من تزويده
وانت قادر عليه فلعلك تطلبه فلا تجده واغتنم من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه في يوم عسرتك واعلم
ان امامك عقبة كؤدا المخف فيها احسن حالا من المثقل والمبطئ عليها اقبح امرا من المسرع وان مهبطك بها لا محالة على جنة
او نار فارتد لنفسك قبل نزولك ووطئ المنزل قبل حلولك فليس بعد الموت مستعتب ولا الى الدنيا منصرف واعلم
ان الذي بيده خزائن السموات والارض قد اذن لك في الدعاء وتكفل لك بالاجابة وامرك ان تسأله ليعطيك و
تسترحمه ليرحمك ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك ولم يمنعك ان اسات من التوبة ولم يعيرك بالانابة ولم يعاجلك
بالنقمة ولم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة ولم يشدد عليك في قبول الانابة ولم يناقشك بالجريمة ولم يؤيسك من
الرحمة بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة وحسب سيئتك واحدة وحسب حسنتك عشرا وفتح لك باب المتاب وباب
الاستعتاب فاذا ناديته سمع نداك واذا ناجيته علم نجواك فافضيت اليه بحاجتك وابثثته ذات نفسك وشكوت
اليه همومك واستكشفته كروبك واستعنته على امورك وسالته من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطائه غيره من
زيادة الاعمار وصحة الابدان وسعة الارزاق ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما اذن لك فيه من مسألته فمتى شئت
استفتحت ابواب نعمته واستمطرت شآبيب رحمته ولا يقنطك ابطاء اجابته فان العطية على قدر النية وربما اخرت
عنك الاجابة ليكون ذلك اعظم لاجر السائل واجزل لعطاء الآمل وربما سالت الشيء فلا تؤتاه واوتيت خيرا
منه عاجلا واجلا او صرف عنك لما هو خير لك فلرب امر قد طلبته فيه هلاك دينك لو اوتيته فلتكن مسألتك
فيما يبقى لك جماله وينفى عنك وباله فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له **اقول** الارتياد الطلب والحمولة الطاقة
ما يتسع له قدرتك والوبال الهلاك وكؤد شاقة المصعد والنزوع عن الذنب الخروج منه والافضاء الوصول
والبث النشر والكشف والشآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر والقنوط الياس والاستعتاب طلب العتبى
وهي الرجوع الى الرضا وفي الفصل مطالب احدها الوصية بالسعي في تحصيل الكمالات النفسانية الباقية والنهي عن
طرح الرذائل المنقصة فنبهه على الاول بان امامه في سفره الى الله طريقا طويلا شديدا وظاهر ان الطريق التي
يكون كذلك لا بد لسالكه من حسن طلب القصد فيها الى مطلوبه ومن قدر مبلغ له من الزاد واستعار لفظ
الطريق لما يسير فيه الانسان من احوال الدنيا ويعبر بها الى الاخرة واشار بطولها وشدتها الى عسر النجاة فيها
والسلامة من خطرها اذ كان ذلك انما يكون بلزوم القصد والثبات على سنن العدل والاستقامة على حاق
الوسط من مكارم الاخلاق اذ علمت ان لكل من القوة التميزية والشهوية والغضبية حد يجب وقوف الانسان
عنده وهو العدل وعلمت ان ادنى الحدود واسعها اذ هو محفوف بطرفي تفريط وافراط قل ما يسلم الانسان
من الوقوع في احدهما وهما الطرفان الجهنميان فحري ان يكون طريقا ذا مسافة يحصل للانسان منها الى غايته الا
بعد بعيد ولا يحصل منها على خير الا بجهد جهيد واستعار لفظ الزاد للتقوى والكمالات التي هي بلاغ الانسان
في تلك الطريق الى الله تعالى وبها يكون النجاة فيها والخلاص من مهالكها ونبهه على الثاني بقوله مع خفة

الظهر الى قوله وبالا عليك واستعار لفظ الخفة لتقليل اكتساب الآثام وحملها على النفس ولفظ الحمل
لاكتسابها ووجه الاستعارة الاولى ان مقلل الآثام سريع القطع لتلك الطريق وقريب الى النجاة فيها من مخاوفها
كما قال عليه السلام تخففوا تلحقوا وكما اشار اليه الرسول صلى الله عليه وآله نجا المخففون ووجه الثانية ان مكتسب
الآثام يثقل بها ويبطئ عن لحوق المخفين ويهلك بها في طريقه وكثرة ثقله تابعة لكثرة اكتسابه كما يكون
حال المثقل في الطريق البعيدة ولفظ الظهر ترشيح المطلوب الثالث التنبيه على وجوب انفاق المال في وجوه
الصدقة والبر لمن يحتاج اليه من اهل الفاقة وذلك قوله واذا وجدت الى قوله عسرتك وجذبه واعده لذلك
بامرين احدهما كون ذلك زادا يحمله ذو الفاقة الى يوم القيمة ويلقاه به هناك في موضع الحاجة اليه واستعار
لفظ الزاد هنا لما يحصل من فضيلة السخاء والكرم بالانفاق ووجه الاستعارة كونه سببا للسلامة المخلص من
الهلاك في طريق الاخرة ووسيلة الى السعادة الباقية كالزاد المخلص للمسافر في طريقه والمبلغ له الى مطلوبه
واستعار للمتصدق عليه وصف الحامل لذلك الزاد باعتبار انه سبب لحصول الفضيلة بتلك الصدقة ووصول
ثوابها الى المتصدق يوم القيمة ووجدانه لتلك الفضيلة وظهورها في صحيفة اعمال المتصدق في يوم القيمة هو
المشار اليه بالموافاة بها غدا ثم امره ان يغتنم ذا الفاقة عند وجدانه وان يحمله ذلك الزاد ويكثر من تزويده
وتحميله للزاد حال ما هو قادر على تحصيله وجذبه الى اغتنامه والمسارعة الى الصدقة بقوله فلعلك تطلبه
فلا تجده لان الوسيلة الى امر عظيم اذا كانت في معرض ان تطلب فلا توجد ثم وجدت في وقت فمن الواجب
ان يغتنم تحصيلها ولا يهمل الثاني كون الصدقة على ذي الفاقة قرضا للمتصدق في حال غناه بالمال يقضى
له يوم عسرته وفقره واستعار وصف المستقرض هنا لله باعتبار انه هو المجازي بالثواب من نفق ماله في طاعته
واليه الاشارة بقوله تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وبه يكون القرض في حال
الغناء والقضاء في حال العسرة ليكون القضاء افضل فيرغب في القرض لغاية الربح المطلوب الرابع التنبيه
على شدة طريق الآخرة وعلى وجوب الاستعداد لها بالخفة من حمل الآثام والسرعة فيها قبل انقضاء الايام
واستعار لفظ العقبة لما فيها من الصعود والارتقاء في درجات الكمال بالفضائل عن مهابط الرذائل و
وصفها بشدة الصعود باعتبار ما في ذلك الارتقاء من التعسر وكثرة الموانع وجذبه الى الاستعداد بامور ثلثة
احدها كون المخف فيها احسن حالا من المثقل وهو ظاهر كما قدمناه الثاني كون المبطئ فيها اقبح حالا من
المسرع وهو ايضا ظاهر اذ كان المبطئ فيها واقفا في احد طرفي الافراط والتفريط مشغولا بما يلهيه ملتفتا
عما يعنيه حتى اذا تصرم اجله بقي في مهاوي الهلاك اسيرا وعلى ما فاته من سرعة السير حسيرا الثالث ذكر الغايتين
منها وهي الجنة والنار وانه لا بد من تأديتها وهبوطها بسالكها على احديهما وهو ظاهر ايضا فان خوض الانسان
في احوال الدنيا والتصرف فيها الى غاية انقطاعها ووصوله الى الآخرة اما ان يكون على وجه القصد ولزوم سمت
القبلة الحقيقية وتجنب طرفي الافراط والتفريط وبذلك يكون هجومه بتلك الطريق وهبوطها بسالكها

على الجنة واما ان يكون على وجه الاعراض عن ذلك القصد والتعريج عنه الى ما فى تلك الطريق من مناهل له
وابواب محارم وبذلك يكون هبوطها ابا الكها على النار ونسبة الهبوط اليها مجاز باعتبار تاديتها الى
احدى الغايتين كالهابط بالشئ ليوصله الى قراره ثم امره ان يرتاد لنفسه ويطلب ما يكون سببا لنجاته فيها ومن
خاله قبل نزول احد المنزلين اللذين هما غايتاهما ليكون هبوطها به على الجنة وان يوطى المنزل الذى يريد كناه
بالاستعداد وروى يوطى بالنون اى يتخذ وطنا المطلوب الخامس التنبيه على الدعاء والترغيب فيه
وسره دوام ملاحظة جلال الله والانقطاع اليه اذ هو مبدا كل محبوب ومعطى كل مطلوب ورغب فى ذلك بامور
احدها ان بيده تعالى خزائن السموات والارض وهو قوة صغرى صغرى تقدير كبراه وكل من كان كذلك كان احق
بالرغبة اليه من كل احد الثانى انه تعالى اذن فى الدعاء وتكفل بالاجابة فقال ادعونى استجب لكم وتقدير الكبرى
كما الاول الثالث انه امر الخلق ان يسألوه ليعطيهم فى قوله تعالى واسئلوا الله من فضله وكذلك ان يطلبوا
منه الرحمة ليرحمهم وذلك ان افاضة الرزق والرحمة وكل فضل منه وانما يوجد بعد الاستعداد له بالاخلاص
فى الطلب والاسترحام وصغرى كما علم فى مظانه وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فهو احق ان يسأل ويسترحم
الرابع انه لم يجعل بينه وبين الراغب اليه حاجبا ولا بوابا لتقدسه سبحانه عن الجسمية والجهة وصفات المحدث
بل تجليه لكل شئ لكل من فتح عين بصيرته ووجهها الى مطالعة كبريائه وعظمته وتقدير الكبرى وكل من كان
كذلك فهو اولى من ان يسئل ويسترحم الخامس انه لم يلجئه الى من يشفع اليه لان التشفيع انما يضطر اليه عند
تعذر المطلوب من جهة المرغوب اليه اما لبخله او لجهله وباستحقاق الطالب البارى تعالى لا بخل
فيه ولا منع من جهته وانما يتوقف فيضه على استعداد الطالب له ولم يجعل سبحانه للراغبين اليه من وسائط
الشفعاء اذ مكنهم من الاستعداد لنيل مطلوباتهم منه وهيا لهم اسبابها وفتح لهم ابواب رحمته فان عرضت
لهم حاجة الى تشفيع فليس ذلك عن ضرورة والحاجة منه اليه ذلك السادس انه لم يعيرك ان اساءة من التوبة بل امر
بها ووعد عليها فقال يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم و
يدخلكم الجنة وقال بعد ان عدد الكبائر وتوعد عليها الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات الاية السابع انه لم يعاجله بالنقمة مع اطلاعه عليه حين معصيته ولم يفضحه فى مقام الذى
تعرض فيه للفضيحة بل امهله على ظلمه واسبل عليه ستر كرمه وحلمه الثامن انه لم يشدد عليه فى قبول الانابة
والرجوع اليه كما شدد عليه ... هو الغنى المطلق التاسع انه لم يؤيسه من الرحمة حيث قال يا عبادى لا كما يفعل الملوك
فى حق من اساء والطلب لا فاذ لو ... فيجرح مهنة ودينه فيستقضى حسابه بل يمهل عليه ذلك وقبل
توبته متى تاب الا انتقاما لا مضرة عليه بنا ... ولا نفع يصل اليه من اناب تعالى اذ هو الغنى المطلق التاسع
انه لم يؤيسه من الرحمة حيث قال يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية العاشر انه
جعل نزوعه عن ذنبه حسنة حيث قال بعد ذكر التوبة فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات و

سيئه

سيئه واحدة وحسنته عشرا حيث قال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها
الحادى عشر كونه فتح له باب المتاب حيث قال غافر الذنب وقابل التوب وهو الذى يقبل التوبة عن عباده
ويعفو عن السيئات وباب الاستعتاب حيث امره وارشده الى طلب الرضا عنه بعد توبته الثانى عشر كونه
اذا ناداه سمع نداءه لقوله تعالى انى قريب اجيب الدعاء واذا ناجاه علم نجواه لقوله تعالى يعلم السر واخفى فاوصل
حاجته اليه شاء سرا وان شاء جهرا وطلب منه اعانته على اموره ونشر له ما كان فى نفسه من همومه وسائر الكشف
كروبه وهو حسب له من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطائه غيره من زيادة الاعمار وصحة الابدان وسعة الارزاق
الثالث عشر انه جعل فى يديه مفاتح خزائنه بما اذن له من مسئلته واستعار لفظ المفاتيح للادعية باعتبار
انها اسباب لتحصيل النعمة وكالرحمة متى شاء استفتح بها ابواب خزائنها وكذلك استعار لفظ الابواب
لاسباب جزئيات النعم الواصلة الى العبد وخزائن نعمه هى خزائن السموات والارض اذ الكل منه وبيده ويحتمل
ان يشير بها الى المعقول من اسمائه جوده وما يجوز فقدره من الخيرات الممكنة واستعار وصف الاستمطار لطلب
نعم الله تعالى ملاحظة لشبهها بالمطر فى كونهما سببين للحياة وصلاح الحال فى الدنيا ويشبه طالبها بالمستمطر
ورشح بذكر التاليب وتقدير الكبرى فى كل واحد من هذه الضمائر وكل من كان كذلك فهو احق بان يرغب اليه
ويتوجه الطلب بجوده واعلم انه لما رغبه فى الدعاء بهذه الجواذب نبهه على ان الاجابة فى الدعاء قد تبطئ وتتاخر
عدد ما يصلح اسباب التاخرها ليحفظها عند تاخرها فلا يقنط منها احدها ان العطية على قدر النية اى ان الاجابة
موقوفة على الاستعداد باخلاص النية فاذا تاخرت الاجابة فلعل تاخرها لان النية لم تكن خالصة الثانى
انها ربما اخرت لعلم الله تعالى ان تاخيرها من اسباب استعداد السائل والموهل استعداد اعطاء ما هو
اعلى واشرف مما سأل فيعطاه عند كمال استعداده لانه على قدر اهل العزم تأتى العزائم وبقدر الكد يكتسب
المعالى الثالث ان المطلوب قد لا يكون فيه مصلحة للعبد لاشتماله على مفسدة فى دينه لو اعطى اياه كالغنى
والجاه مثلا وسائر المطالب الدنيوية الخالصة فلا يجيب الله سؤاله فيه بل يعطيه خيرا منه اما فى عاجل دنيا
او فى اخرته ويصرف ذلك الامر عنه لما هو مصلحة له وختم ذلك بتعريفه مواضع مسألة الله وما ينبغى له
جماله ويبقى عنه وبال من التوفيق لاسباب السعادة الباقية وجميل الاحدوثة فى الاعقاب دون المال

العفصل الثامن قوله واعلم انك انما خلقت للاخرة لا للدنيا وللفناء لا للبقاء وللموت لا للحياة وانك
فى منزل قلعة ودار بلغة وطريق الى الاخرة وانك طريد الموت الذى لا ينجو منه هاربه ولا بد انه مدركه فكن
منه على حذر ان يدركك وانت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك فيها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك
فاذا انت قد اهلكت نفسك يا بنى اكثر من ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه وتفضى بعد الموت اليه حتى ياتيك
وقد اخذت منه حذرك وشددت له ازرك ولا ياتيك بغتة فيبهرك واياك ان تغتر بما ترى من اخلاد
اهل الدنيا اليها وتكالبهم عليها فقد نباك الله عنها ونعت لك نفسها وتكشفت لك عن مساويها فانما

ان يسأله اياه وهو ابقى له

اهلها كلاب عاوية وسباع ضارية يهر بعضها بعضا وياكل عزيزها ذليلها ويقهر كبيرها صغيرها نعم معقلة واخرى
مهملة قد اضلت عقولها وركبت مجهولها سروح عاهة بواد وعث ليس لها راع يقيمها ولا مسيم يسيمها سلكت
بهم الدنيا طريق العمى واخذت بابصارهم عن منار الهدى فتاهوا فى حيرتها وغرقوا فى نعمتها واتخذوها ربا
فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما وراءها رويدا يسفر الظلام كان قد وردت الاظعان يوشك من اسرع
ان يلحق اقول منزل قلعة لا يصلح للاستيطان والبلغة ما يتبلغ به من العيش والازواد القوة ويمد عليه
وانتبه واصل الهمة تابع النفس عن التعب والخلد الى كذا استند اليه التكالب التواثب والمساوى العيوب
والضراوة تعود الصيد والجرأة عليه المعقلة المقيدة بالعقال والمجهول والجهل المفازة التى لا اعلام فيها
والوادى الوعث لا يثبت به خف ولا حافر لكثرة سهولته والمسيم الراعى وتنبيه فى هذا الفصل على امور احدها
ان العلة الغائية من خلقه ووجوده هى الاخرة دون الدنيا والموت والفناء دون الحياة والبقاء وهذه
الامور علل عرضية من وجود الانسان لكونها من ضرورات وجوده واما العلة الحقيقية الاولى فهى من
وجوده فهى استكماله ووصوله الى حضرة ربه طاهرا عن علائق الدنيا وذكره بهذه الغايات التى يجزم بالوصول
اليها ليعمل لها ولما بعد الموت ويقلل الغرة على الدنيا وعمارتها ولا يركن الى البقاء فيها لكونها الموت اعرض
ذايلة الثانى نبهه بكون الدنيا منزل قلعة على انها منزل لعبور لم يخلق للاستيطان والاقامة وبكونها
دار بلغة على انها انما خلقت ليتخذ منها الانسان بلاغا للوصول الى الاخرة وزادا لكونها طريقا اليها الثالث
نبهه على انه طريد الموت واستعار له لفظ الطريد ملاحظة لشبهه بالصيد يطرده السبع ونحوه ووصفه
بكونه لا ينجو منه هارب ولا بد انه مدركه تحذيرا منه وحثا له على الاستعداد له بطاعة المقاومة لاهواله
وشدائده ولذلك قال فكن منه على حذر الى قوله نفسك اى يلقاك على الحال السيئة تحدث نفسك
بالتوبة الى ان يدركك ويحول عطف على يدركك والفاء للمفاجأة الرابع امره بالاكثار من ذكر الموت وما يهجم
عليه فان ذلك يستلزم العبرة والازدجار والاخذ فى الاهبة والاستعداد له ولما بعده ولذلك قال
حتى ياتيك وقد اخذت منه حذرك وشددت له قوتك اى بالكمالات التى استعد بها ولا ياتيك بغتة
فيبهرك وقوله ولا ياتيك عطف على قوله حتى ياتيك والواو فى قوله وقد للحال وكذلك يبهرك حال ويبهرك
منصوب باضمار ان بعد الفاء فى جواب النفى الخامس نهاه ان يغتر باستناد اهل الدنيا اليها وتواثبهم
عليها ونبهه على انه لا ينبغى له ذلك الاغترار بقياسات ضميرة فقوله فقد نباك الله الى قوله عنها وهو صغرى
القياس الاول كقوله تعالى وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو فى مواضع كثيرة من كتابه العزيز وقوله انما مثل
الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء الاية وامثاله وقوله ونعت لك نفسها صغرى القياس الثانى وروى
ونعيت وروى نعت بمعنى ان الله وصفها له ومعنى نعتها نفسها وصفها بلسان حالها نفسها وبيان انها
محل الهموم والغموم والاعراض والامراض ودار كل بلاء ومنزل كل فتنة وقوله انما اهلها الى قوله صغرى

القياس

القياس الثالث وتقدير الكبرى فى القياس الاول وكل من اخبر الله تعالى عنه بذلك فلا ينبغى ان يغتر به
وتقديرها فى الثانى وكل من وصف نفسه كذلك فلا ينبغى ان يغتر به وتقديرها فى الثالث وكل من
كان كذلك فلا ينبغى ان يغتر بفعله واعلم انه اشار فى هذين المثلين الى قسمة اهل الدنيا الا الا بعنبر
اعتبار قوام الغضبية والشهوية واتباعهم لها اى فمنهم من اتبع قوة الغضبية واعطاها مقتضاها ومنهم
من اتبع قوة الشهوية واسترسل فى قيادها وغفل عما خلق لاجله وضرب المثل للاولين بالكلاب العاوية
العادية والسباع الضارية واشار بها الى وجه مطابقة المثل بقوله يهر الى قوله صغيرها ووصف الهرير
لتنازعهم عليها وكذلك لفظ الاكل لغلبة بعضهم على بعض وضرب للاخرين مثل النعم باعتبار غفلتهم
عما يراد بهم كالبهائم ثم قسم هؤلاء الى قسمين معقلة ومهملة واستعار لفظ المعقلة للذين تمسكوا بظواهر
الشريعة فهم كالنعم التى عقلها راعيها واشار بالمهملة الى الذين استرسلوا فى اتباع شهواتهم وخرجوا
عن طاعة امامهم ولم يتقيدوا باوامره فهم كالبهائم المرسلة واشار الى وجه المشابهة بقوله التى اضلت عقولها
الى اخره ويحتمل ان يريد بعقولها عقلها جمع عقال فاشبع الضمة وقلبها واوا متابعة لقوله مجهولها ويحتمل
ان يريد به جمع عقل وهو الملجاء اى انها ضيعت من تلجا اليه وهو امامها ووجه مطابقة هذا المثل ان هؤلاء
فى عدم انتفاعهم بعقولهم وركوبهم لاهوائهم الفاسدة وشروعهم فى شبهات تيه الدنيوية مكتسبين للرذائل
والعاهات النفسانية ليس لهم امام يقيمهم على طاعة الله فى طرق الهدى الى مكارم الاخلاق فقد اشبهوا النعم
المهملة التى اضلت عقلها وركبت المفازة فهى سروح مترددة متحيرة بواد وعث ليس لها راع يرعاها ويقيمها
الى المراعى وروى سروح عاهة اى فهى ذات رحمة عن افة قد حرجت بها عن الانتفاع والراوية الاولى اقرب الى
الصواب واراد بطرق العمى طرق الجهل ومسالك الباطل التى لا يهتدى فيها الى الشئ كما لا يهتدى الاعمى للطريق
ونسب السلوك بهم اليها باعتبار انها سبب لغرورهم وغفلتهم عما وراءهم وكذلك اخذها بابصارهم
اى بابصار عقولهم عن منار الهدى وهى ايات الله ومنازل الطريق اليه واشار بتيههم فى حيرتها الى ضلالهم
عن طرق الحق واستعار لفظ الغرق باعتبار استيلاء نعيمها على عقولهم وتملكه لها كما يستولى الماء على الغريق
واتخاذهم لها ربا باعتبار خدمتهم لها فلعبت بهم اذ كانوا عبيدا لها اذ اشتغلوا بها عين منتفعين وضيعوا
ما الاولى بهم فعله ونسوا ما وراءها مما خلقوا لاجله العفصل التاسع قوله واعلم يا بنى ان من كانت مطيته
الليل والنهار فانه يسار به وان كان واقفا ويقطع المسافة وان كان مقيما وادعا واعلم يقينا انك لن تبلغ
املك ولن تعدو اجلك وانك فى سبيل من كان قبلك فخفض فى الطلب واجمل فى المكتسب فانه رب طلب
قد جر الى حرب وليس كل طالب بمرزوق ولا كل مجمل بمحروم واكرم نفسك عن كل دنية وان ساقتك الى الرغائب
فانك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا وما خير خير لا يوجد الا
بشر ويسر لا ينال الا بعسر واياك ان توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة وان استطعت

ولعبوا بها

لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فاقعل فانك مدرك قسمك واخذ سهمك فان اليسير من الله سبحانه اكرم واعظم من الكثير من خلقه وان كان كل منه وتلافيك ما فرط من صمتك ايسر من ادراكك ما فات من منطقك وحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء وحفظ ما في يديك احب الى من طلب ما في يد غيرك ومرارة اليأس خير من الطلب الى الناس والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور والمرء احفظ لسره ورب ساع فيما يضره من اكثر اهجر ومن تفكر ابصر قارن اهل الخير تكن منهم وباين اهل الشر تبن عنهم بئس الطعام الحرام وظلم الضعيف افحش الظلم اذا كان الرفق خرقا كان الخرق رفقا ربما كان الدواء داء والداء دواء وربما نصح غير الناصح وغش المستنصح واياك والاتكال على المنى فانها بضائع النوكى والعقل حفظ التجارب وخير ما جربت ما وعظك بادر الفرصة قبل ان تكون غصة ليس كل طالب يصيب ولا كل غائب يؤوب ومن الفساد اضاعة الزاد ومفسدة المعاد ولكل امر عاقبة سوف يأتيك ما قدر لك التاجر مخاطر ورب يسير انمى من كثير لا خير في معين مهين ولا في صديق ظنين ساهل الدهر ما ذل لك قعوده ولا تخاطر بشيء رجاء اكثر منه واياك ان تجمح بك مطية اللجاج احمل نفسك من اخيك عند صرمه على الصلة وعند صدوده على اللطف والمقاربة وعند جموده على البذل وعند تباعده على الدنو وعند شدته على اللين وعند جرمه على العذر حتى كانك له عبد وكانه ذو نعمة عليك واياك ان تضع ذلك في غير موضعه او ان تفعله بغير اهله لا تتخذن عدو صديقك صديقا فتعادي صديقك وامحض اخاك النصيحة حسنة كانت او قبيحة وتجرع الغيظ فاني لم ار جرعة احلى منها عاقبة ولا الذ مغبة ولن لمن غالظك فانه يوشك ان يلين لك وخذ على عدوك بالفضل فانه احد الظفرين وان اردت قطيعة اخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع اليها ان بدا له ذلك يوما ما ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه ولا تضيعن حق اخيك اتكالا على ما بينك وبينه فانه ليس لك باخ من اضعت حقه ولا يكن اهلك اشقى الخلق بك ولا ترغبن فيمن زهد فيك ولا يكونن اخوك اقوى على قطيعتك منك على صلته ولا تكونن على الاساءة اقوى منك على الاحسان ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فانه يسعى في مضرته ونفعك وليس جزاء من سرك ان تسوءه **اقول** تعدوه تجاوزه والتخفيض التسهيل على النفس والحرب سلب المال والاجمال في الطلب التسهيل فيه حتى يكون جميلا واوجف اسرعت والمناهل المشارب والحرفة الضيق في الرزق والحرمان والمجر الرجل اذا افحش في منطقه والرفق اللين وضده الخرق والنوكى الحمقى جمع انوك والغصة وقت الامكان والظنين المتهم والصرم القطع ومحضت النصيحة اخلصتها والمغبة العاقبة وقد اشتمل هذا الفصل على لطايف من الحكمة العملية ومكارم الاخلاق التي بها ينتظم امر المعاش والمعاد وصدره بالتنبيه على ضرورة الموت ليبني عليه ما يريد ان يوصيه به من مفردات الحكم وذلك التنبيه بامرين احدهما ان الانسان في مدة عمره سائر الى الاخرة وان ذلك السفر ليس على مطايا محسوسة ولا في طرق محسوسة بل المطية فيه الليل والنهار واستعار لفظ المطية لهما باعتبار انهما اجزاء اعتبارية للزمان يعقب بعضها بعضا وينقضي بانقضائها الزمان فينتقل الشخص بها في منازل مدته المضروبة المقدرة له حتى الى ان ينقضي مدة

ويتم سفره الى الاخرة كما ينتقل في منازل طريقه المحسوسة الى ان يتم سفره فيها وكذلك لفظ المسافة مستعار لمدته المضروبة ولذلك كان سير الزمان به سيرا اعتباريا وان كان واقفا وقوف المتعارف ويقطع مسافة راكبا تلك المطايا وان كان وادعا فاذا قرره الحسنى الثاني امره ان يعلم يقينا انه لن يبلغ امله وذلك ان الانسان ابدا في توجيه امله في المطالب كلما حصل مطلوب منها او فقد وجد امله فيه وجهه الى مطلوب آخر وان اختلف المطالب فالامل ابدا متوجه الى مطلوب ما ليس مدركا في الحال والاحالة في ذلك على الوجدان فاذن ليس كل مدرك وكذلك لا يمكن ان يتجاوز الانسان اجله المضروب له والا ما كان اجلا له وهذان الامران في قوة صغرى قياس من الشكل الاول وتقدير كبرى الاول وكل من يسري بركذلك فيوشك ان ينقطع مدته ويصل الى الاخرة وتقدير كبرى الثاني وكل من لا يبلغ امله ولا يجاوز اجله وهو سالك الطريق من كان قبله فيوشك ان يلحق بهم ولما نبهه على ضرورة مفارقة الدنيا والوصول الى الاخرة رتب على ذلك الوصية بالحكم المذكورة وذكر منها جملة الاولى ان يخفض في طلب الدنيا ولا يحرص عليها بل يجمل طلبه لها بقدر حاجته اليها الثاني ان يتعقل فيما يكتسبه منها وذلك ان يضع كل شيء منه موضعه فيمسك منه قدر ضرورته وينفق فاضله في وجوه البر ومصارف القربة ويحتمل ان يريد بالمكتسب الاكتساب فاطلق اسم المفعول على المصدر مجازا ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله ان روح القدس نفث في روعي انه لن يموت نفس حتى يستكمل رزقها فاجملوا في الطلب وقوله فانه رب طلب الى قوله محروم تنبيه عن الوقوع في الطلب بامور ثلثة احدها انه قد يجر الى الحرب وذلك كما شوهد في وقتنا ان تاجرا كان راس ماله سبعة عشر دينارا فاتجر بها الى الصين حتى بلغت سبعة عشر الفا فعزم حينئذ على ترك السفر والاكتفاء بما رزقه الله فسولت له نفسه الامارة بالسوء العود وحببت اليه الزيادة فعاود السفر فلم يلبث ان خرجت عليه السراق في البحر فاخذوا جميع ما كان معه فرجع وقد حرب ماله وذلك من ثمرة الحرص المذموم وهو في تقدير صغرى ضمير وتقدير كبراه وكل ما جر الى الحرب فلا ينبغي ان يحرص عليه الثاني قوله وليس كل طالب بمرزوق وهو تمثيل ينبه فيه على ان الطلب علة الحرمان في بعض الطالبين حتى يقيس نفسه عليه فلا يحرص في الطلب الثالث قوله ولا كل مجمل بمحروم تنبيه على تمثيل آخر كذلك نبه فيه على ان الاجمال علة للرزق في بعض الناس ليقيس نفسه عليه فيجمل في الطلب الرابع ان يكرم نفسه عن كل دنية وان ساقته وصولها الى ما يرغب فيه ويتمنى عليه وذلك كان يكذب مثلا او يعود لحمل الى الملك ونحوه والاكرام لها عن ذلك يستلزم فضائل كالسخاء والمروة وكبر الهمة اذ كل واحد من رذيلة البخل والنذالة وصغر الهمة يستلزم مقارفة الدنايا فاكرام النفس عنها يستلزم الاسر والحصول على فضائلها وتنزهه عن مقارفة الدنية بقوله فانك الى قوله عوضا اي ان ما تبذله من نفسك من الفضيلة وتعدل عنه الى الرذيلة لا يعتاض عنه عند الله وعند اهل الفضائل عن خلعة شيء وان جل ولا يكون لك منه عوض وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما لا يحصل له عوض يقابله ويساويه فلا ينبغي ان يبذل في مقارفة الدنايا الخامس ان لا تعبد غيره اي لا تجعل لغيره عليه فضل احسان بسائر اياه فليسترقه به ويستعبد

بذلك على نفسه خدمته والاشتغال بشكره عن الله وقوله وقد جعلك الله حرا تنفير عن ان يجعل نفسه عبدا لغيره وكذلك قوله وما خير خير الى قوله الا بعسر استفهام في معنى الاستنكار اي لا خير حيث لا يوجد الا بشر وبذل الا بعسر وكنى بذلك الخير واليسر عما يطلب في مقارفة الدنايا والا بعسر الانسان بسببه عبدا لغيره كالمال ونحوه والشر والعسر المقارن له كبذل ماء الوجه في السؤال والذلة وغيرهما من الدنايا وهو ايضا في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما لا خير فيه فلا ينبغي ان يطلب ويتعبد للغير من اجله السادس حذره من الطمع واستعار لفظ المطايا للقوى الامارة بالسوء كالوهمية والخيالية والشهوية والغضبية ووجه المشابهة كونها حاملة لنفسه العاقلة وموصلة لها الى الشبهات وما يطمع فيه من متاع الدنيا كالمطايا الموصلة لراكبها الى اغراضه وكذلك وصفها بالوجيف لسرعة انقيادها معها الى المطامع الردية وقوله فتوردك مناهل الهلكة فاستعار لفظ المناهل لموارد الهلاك في الآخرة كنار جهنم وطبقاتها ووجه المشابهة كونها موارد وشرابا لاهل النار المهلكة كما قال تعالى فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم والفاء بك في جواب النهي اللازم للتحذير المذكور وهو في قوة متصلة هي صغرى ضمير تقديرها فانك ان اوجفت بك مطايا الطمع اوردتك مناهل الهلكة وتقدير الكبرى وكل مطية كذلك فيجب ردعها السابع نهاه ان يجعل بينه وبين الله واسطة في وصول نعمته اليه ان استطاع ذلك وهو نهي عن مسألة الغير والتعرض لسؤاله بل ينتظر قسمه من رزق الله المفروض له من غير سؤال ذي نعمة يكون فيه بذل ماء الوجه والذلة والمنة ان اعطى وبذله والحرمان والذلة ان حرم ورغبه في ذلك بضميرين احدهما قوله فانك مدرك قسمك واخذ سهمك اي من رزق الله وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فلا ينبغي ان يجعل بينه وبين الله واسطة في رزقه الثاني قوله وان اليسير الى قوله خلقه اي ما حصل من جهته يجد حصوله منها وهي الجهة التي امر الله بطلب الرزق منها وان كان يسيرا اكرم عنده واشرف من الكثير من غير تلك الجهة كسؤال الغير والتعرض له وتقدير الكبرى وكل ما كان اعظم فينبغي ان يكون هو المطلوب وقوله وان كان الرزق من الخلق ايضا من الله الا انه ينبغي ان يجعل الرغبة اليه ابتداء دون غيره اذ هو مبدأ الكل وغاية به يجمع لهذه الثامن قوله وتلافيك الى قوله منطقك تنبيه على وجوب ترجيح الصمت وتغليبه على كثرة الكلام بضمير هذه صغراه وتقديرها ان الفارط من الصمت وان استلزم الخطاء كالسكوت عما ينبغي ان يقال من الحكمة او ما يترتب عليه بعض المصالح الا انه يمكن استدراكه غالبا بما ينبغي من القول واما فارط القول فان الخطاء فيه قد لا يمكن استدراكه وان امكن فعلى خاير من العسر فلذلك كان تلافي فارط الصمت بالقول اسهل من تدارك فارط القول ولعموم الخطاء في القول اكثر الناس في ذم الاكثار ومدح الصمت والمنطق هنا يحتمل ان يريد به المصدر فيكون من بيان الجنس او محل النطق فيكون لابتداء الغاية وتقدير كبرى الضمير وكل ما كان ايسر فهو اولى بك فينتج ان تلافي فارط الصمت اولى بك وذلك يستلزم رجحان الصمت التاسع نبهه على حفظ ما في يده من المال الحفظ الذي ينبغي وهو الواسطة بين التبذير والبخل والكلام في قوة صغرى ضمير ايضا وتقدير كبراه وكل ما كان احب الى من طلبك ما في يدي غيرك فهو اولى بك العاشر نبهه على فضيلة قطع الطمع واليأس عما في ايدي الناس بضمير ايضا صغراه قوله ومرارة اليأس الى قوله الناس وتقدير كبراه

وكل ما كان خيرا فهو اولى ان يلزم ويكرم النفس به واطلق لفظ المرارة على الالم الذي تجده النفس بسبب اليأس من المطالب اطلاقا لاسم السبب على المسبب وكونه خيرا لما يستلزمه من كرم النفس عن ذل السؤال ورذيلة المهانة واليه اشار الشاعر بقوله وان كان طعم اليأس مرا فانه الذ واحلى من سؤال الاراذل الحادي عشر نبهه على وجوب الصبر في ضيق الرزق والحرمان اذا كان مع فضيلة العفة وان لزومها اولى من طلب الغنى المستلزم للفجور بضمير ايضا صغراه ما ذكر وتقدير كبراه وكل ما كان خيرا من الغنى واتا كان كذلك لاستلزام تلك الحرفة الفضيلة واستلزام ذلك الغنى الرذيلة وقد علمت ان العفة فضيلة القوة الشهوية وانها بين رذيلة تفريط يسمى جمود الشهوة وافراط يسمى فجورا الثاني عشر نبهه على انه لا يجوز افشاء سره بتمثيل اصله المرء والفرع هو والحكم كونه احفظ السر والعلة كونه اكثر عناية بنفسه من غيره الثالث عشر نبهه بطريق التمثيل ايضا على التحرز في السعي والتثبت في ارتياد المصالح بقوله رب ساع فيما يضره فالاصل هو الساعي والفرع هو المخاطب والعلة هي السعي والحكم هو الضرر الرابع عشر نبه على وجوب ترك الاكثار في القول بتمثيل ايضا اصله المكثر وفرعه المخاطب وعلته الاكثار وحكمه الهجر والغرض ان يعتبر نفسه في لحوقها بالمكثرين في لزوم الهجر لهم فيترك الاكثار لما يلزمه من الهجر ولحوق الذم به الخامس عشر نبه على فضيلة التفكر في الامور بقوله من تفكر ابصر اي ادرك ببصيرته حقائق الامور وعواقبها السادس عشر امره بمقارنة اهل الخير بضمير دل على صغراه بقوله تكن منهم وتقديرها ان مقارنتهم يستلزم الكون منهم وتقدير الكبرى وكل ما استلزم الكون منهم فواجب ان يفعل السابع عشر وكذلك امره بمباينة اهل الشر ومفارقته لما يستلزم المباينة لهم من عدم العداد في جملتهم في الدنيا والاخرة ووجه الحجة كالذي قبله الثامن عشر نبهه على قبح اكل الحرام لغاية اجتنابه بقوله بضمير صغراه ما ذكر واما كان قبح الظلم لكون الضعيف في محل الرحمة فظلمه لا يصدر الا عن قلب قاس ونفس بعيدة من الرقة والرحمة والعدل ولانه غير مقابل من الضعيف ابدا فعزه مما ينفر فكان ابعد عن العدل وتقدير كبراه وكل ما كان افحش الظلم كان اولى بالترك والاجتناب التاسع عشر نبهه على ان الخرق في بعض المواضع كالرفق في كونه محصلا للمصلحة غالبا ومحصلا للغرض كان استعمال الخرق في ذلك الموضع كاستعمال الرفق في استلزامه المصلحة وحصول الغرض غالبا فكان اولى من الرفق في ذلك الموضع ولفظا الخرق الاول والرفق الثاني مستعاران للرفق الاول والخرق الثاني لما ذكرناه من المشابهة والى هذا المعنى اشار ابو الطيب ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى الحادي والعشرون نبهه على ان بعض ما فيه مصلحة ظاهره قد يشتمل على مفسدة بقوله ربما كان الدواء داء وعلى ان بعض ما هو مفسدة في الظاهر قد يستلزم مصلحة بقوله والداء دواء ولفظا الدواء مستعاران للمصلحة ولفظا الداء للمفسدة ووجه الاستعارتين ان المصلحة من شانها نظام حال الانسان ومن شان المفسدة فساده كالدواء والداء والى هذا المعنى اشار المتنبي ربما صحت الاجساد بالعلل الثاني والعشرون نبه على انه لا ينبغي ان يعرض عن مشورة احد عليه بامر هو مظنة مصلحة وان كان من شانه غير ناصح له بل ينظر في رايه ومشورته

وبما كان نصيحة وكذلك لا ينبغي ان يركن الى قول من يعتقده ناصحا مطلقا اذ من الجائز ان يغشه الثالث والعشرون
نهاه عن الاتكال على المنى وتفرع عنها بضمير صغراه قوله انها بضايع النوكى واستعار لفظ البضايع لها باعتبار
ان الاحمق يحصل منها على لذة خيالية من الامور المتمناة بها فرعها كما يحصل عن البضاعة الربح واضافها الى
النوكى لعدم الغاية في المنى كعدم الربح عن بضايع النوكى الرابع والعشرون رسم العقل بانه حفظ التجارب وفي
الاشارة الى العقل العملي وهو القوة التي للنفس بحسب حاجتها الى تدبير بدنها الموضع لتصرفاتها وتكميله
وهي التي بها يستنبط الآراء المصلحية مما يجب ان يفعل من الامور اذ كان الشروع في العمل الاختياري المختص
بالانسان انما يتاتى بادراك ما ينبغي ان يعمل في كل باب وهو ادراك راي كلي وجزئي يستنبط من مقدمات
بعضها جزئية محسوسة وبعضها كلية اولية او تجربية او ذايعة او ظنية يحكم بها العقل النظري من غير ان
يختص بجزئي دون غيره والعقل العملي يستعين بالنظري في ذلك ثم ينتقل منه باستعمال مقدمات جزئية
الى ان ينتقل الى الراي الجزئي الحاصل فيعمل بحسبه ويحصل بعمله مقاصده في معاشه ومعاده وبادته لهذا
العقل انظر لادة المتعارف ولاشك في معرض الامر بتحصيل مكارم الاخلاق التي كمالها هذه القوة وحفظ التجارب
اشارة الى ضبط هذه العلوم المنتزعة عن مشاهدات متكررة لامور جزئية متكررة فيفيد حكما كليا ككون
السقمونيا مثلا من شانها الاسهال وعرف العقل بذلك لكونه من خواصه وكالاثر الخامس والعشرون نبهه
على انه ينبغي ان يقتبس من التجارب علما وعظا اي من شانه ان يفيد موعظة واعتبارا كالنظر في حال من تكرر
ظلمه فاسرعت عقوبة الله اليه وتكرر كذبه فادركه المقت بضمير صغراه ما ذكر وتقدير برهانها وعظك فهو خير التجارب
وتقدير الكبرى وخير التجارب اولى بك بنتجها وعظك من التجارب اولى بك ونحوه قول افلاطون اذا لم يعظك
التجربة لم تجرب بل انت ساذج كما كنت السادس والعشرون امره بانتهاز الفرصة فيما ينبغي ان يفعل ونفره عن
تركها بما يستلزم من الاسف المغص واطلق اسم الغصة على الفرصة مجازا تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه السابع
والعشرون نبهه على ما ينبغي من ترك الاسف على ما يفوت من المطالب بضمير صغراه ما في قوة هذا السلب من الايجاب
وتقديره بعض الطالبين لا يصيب مطلوبه وتقدير الكبرى وكل من لا يصيب مطلوبه فلا ينبغي ان يأسف
على فواته ليفيد السامع نفسه انه من ذلك البعض فلا يأسف على فايت وكذلك قوله ولا كل غايب يؤوب الثامن
والعشرون نبهه على لزوم التقوى بضمير تقدير صغراه اضاعة الزاد ومفسدة المعاد من الفساد وتقدير الكبرى
وكل ما كان من الفساد وجب تركه ولفظ الزاد مستعار للتقوى كما سبق التاسع والعشرون نبهه على وجوب النظر
في عواقب الامور واختيار احسنها بضمير ذكر ما هو في قوة صغراه وتقديرها كل امر له عاقبة اما فرح او مضارة و
تقدير كبراه وكل ما له عاقبة كذلك فينبغي ان يلحظ ليفعل ما يوصل اليها او يجتنب الثلثون نبهه على وجوب ترك
الحرص وكذا التعنت في طلب المال ونحوه بضمير ذكر صغراه وتقدير كبراه وكل ما سوف ياتيك فينبغي ان لا تحرص
في طلبه الحادي والثلثون نبهه على وجوب الاحراز في المعاملات كالبيع والشراء ونحوه بضمير صغراه ما ذكره

ووجه كون التاجر مخاطرا انه لما كان محبا للمال ومتوجها الى اكتسابه كان حال البيع في مظنة ان يحيف فياخذ زايدا
ويعطي ناقصا مع ان تكليفه لزوم العدل والاستقامة على سواء الصراط فلاجرم كان على خطر من وقوعه في طرف
التفريط والتقصير عن سواء السبيل وتقدير الكبرى والمخاطر يجب ان يحترز في فعله المخاطر فيه الثاني والثلثون
لما نبهه على وجوب الاحتراز في التجارة والتحفظ من الظلم وكان ذلك الظلم انما هو لغرض كثرة المال نبه في هذه
الكلمة على ان من المال اليسير ما هو انمى من الكثير ليقتصر عليه واراد اليسير الحلال فانه انمى للعاقل من الكثير
الحرام في الاخرة لاستلزامه زيادة الثواب وهي في قوة صغرى ضمير تقديره اليسير من الحلال انمى من الكثير الحرام
وتقدير الكبرى وكل ما كان انمى من الكثير الحرام فيجب ان يقتصر عليه الثالث والثلثون نبهه على ترك الاستعانة
في المهمات بالمهين من الناس بضمير تقدير صغراه المعين المهين لا خير في الاستعانة به وتقدير الكبرى و
كل من كان كذلك فالاولى اجتناب الاستعانة به والخير المنفي عنه هو النافع في الاستعانة به ومعلوم انه
منتف عنه لما ان مهانته تضاد النهوض في مهمات الامور وعلياتها ولان ذلك يستلزم قهره وضعفه عن
المقاومة ونحوه قولهم اذا تكفيت بغير كاف وجدته للهم اضعافا الرابع والثلثون نبهه على مجانبة الصديق
المتهم بضمير تقدير صغراه كالتي قبلها واراد انه لا خير في الصديق اذا كان من جهة الباطن مظنة الشر الخامس
والثلثون امره ان يصبر على ما يقتضيه الدهر ولا يتسخط من ذلك وان كان دون رضاه اذ كان ذلك هو
الممكن في الطبيعة وما بمعنى المدة واستعار لفظ القعود للزمان الذي يتيسر فيه دره وتسهل فيه بعض مهماته
ووجه المشابهة ان ذلك الزمان يمكنه من بعض مهماته وحوائجه وطلب ما لا يمكن فيه وما لم يرد بحصوله
من المطالب ربما يستلزم تعبه ولتتباع ما كان ممكنا فيه كما ان القعود من شانه ان يمكن من ظهره واقتعاده
وهو بمعرض ان ينفر براكبه اذا استزاده وشد عليه ولفظ الذلل مستعار لسكون الزمان وامكان المطلوب
فيه واراد بمساهلته الجريان معه بقدر مقتضاه من دون تشدد وتسخط عليه اذ ذلك يستلزم تعب النفس
من غير فايدة والى مثله اشار القايل اذا الدهر اعطاك العنان فسر به رويدا ولا تعنف فيصبح ما اشتد السادس
والثلثون نهاه ان يخاطر بما يملكه رجاء اكثر منه اذ كان في مظنة ان لا يعود فيوشك ان يضيع الاصل
ويحمل ذلك على كون الانسان يلقي ما في يده للغرض المذكور مع شكه في سلامته اما مع ظن السلامة فلا خطر
ونحوه قولهم من طلب الفضل حرم الاصل السابع والثلثون حذره من اللجاج في طلب الامر عند تعذره ونفره
عنه بان استعار له لفظ المطية الجموح ووجه المشابهة كونه يؤدي بصاحبه الى غاية ليست بمحمودة كالجموح من
المطايا الثامن والثلثون امره ان يلزم نفسه ويحملها في حق صديقه الحق على ان يقابله ويعادله برذايله
فضايل كالقطيعة بالصلة وساير ما ذكر ليعود الى الفيء وتدوم المودة وحذره ان يصنع ذلك في غير موضعه
او يفعله بغير اهله من اللئام لان ذلك وضع الشيء في غير موضعه وهو خروج عن العقل وقد علمت ان الامور
المذكورة من لوازم الصداقة الحقة والى نحوه اشار الشاعر بقوله وان الذي بيني وبين بني ابي وبين ابن عمي

لمختلف جدا فان اكلوا لحمي وفرت لحومهم وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا وان زجروا طيرا بنحس تمر بي زجرت
لهم طيرا تمر بهم سعدا ولا احمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا التاسع والثلثون نهاه
ان يتخذ عدو صديقه صديقا ونبهه على قبح ذلك بضمير استثنائي تقديره فانك ان فعلت ذلك عاديت صديقك
ويستدل فيه بقبح اللازم على قبح ملزومه اي لكن معاداة الصديق قبيح فملزومها قبيح منهي عنه فاتخاذ عدوه صديقا
كذلك ووجه الملازمة ان مصادقة عدو الصديق يستلزم نفرة الصديق عمن يصادق عدوه لان مصادقة
عدوه توهمه مشاركة العدو وموافقته في جميع احواله ومن جملة احواله عداوته فهي اذن توهمه الموافقة على
عداوته فيوجب له النفرة والمجانبة واليه اشار القايل تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ان الراي عنك
لعازب الاربعون ان يخلص نصيحته لاخيه في جميع احواله سواء كانت النصيحة حسنة او قبيحة اي مستقبحة في نظر
المنصوح ضارة له في العاجل باعتبار استحيائه وانفعاله من المواجهة بها ونحوه قوله تعالى وان تصبهم سيئة
بما قدمت ايديهم فقد سماها بالنسبة اليهم سيئة الحادي والاربعون امره بفضيلة كظم الغيظ وقد يسمى بانها
الامساك عن المبادرة الى امضاء وطر الغضب فيمن يجني عليه جناية يصل مكروهها اليه وقد يرادفه الحلم والكرم
والصفح والتثبت والعفو والتجاوز والاحتمال وربما فرق بعضهم بين هذه المفهومات واستعار وصف
التجرع للتصبر على مضض الالم الموجود منه ملاحظة لما تشربه مرزواه من ترتبه على فضيلته بضمير صغراه قوله
فاني لم ار الى قوله مغبة واستعار لفظ الحلاوة لما يستلزم من العاقبة الحسنة ووجه المشابهة ما يستلزم
من اللذة والضمير في قوله منها يعود الى ما دل عليه قوله تجرع من المصدر وتقدير الكبرى وكل ما لا يرى من
المتجرع احلى منه فينبغي ان يتجرع وعن زين العابدين عليه السلام وصيته لابنه الباقر يا بني عليك بتجرع الغيظ
من الرجال فان اباك لا يسره بنصيبه من تجرع الغيظ من الرجال حمر النعم الثاني والاربعون امره ان يلين لمن
غالظه وخاشنه ونبهه على حسن ذلك بضمير صغراه قوله فانه يوشك ان يلين لك اي بسبب لينك له حال
غلظته وتقدير كبراه وكل من قارب ان يلين لك بسبب لينك له فالاولى بك تلين له ونحوه قولهم اذا عز
اخوك فهن واصله قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم الثالث والاربعون
امره ان ياخذ على عدوه بالفضل من عوائده ونبهه على حسنه باستلزامه لاحد الظفرين فان الظفر احدهما الظفر
بالقوة والغلبة وهو الاظهر والثاني الظفر بالافضال عليه بحيث يسترقه به ويدخل في الطاعة بسببه وقوله
فانه احد الظفرين صغرى ضمير وتقدير الكبرى وكل ما صدق عليه احد الظفرين فينبغي ان يفعل الرابع و
الاربعون امره ان اراد مقاطعة اخيه ان يبقي له من نفسه بقية من صداقته ولا يفارقه مفارقة كلية ونبهه على
ذلك بضمير اشار الى صغراه بقوله يرجع اليها اي فانه يرجع اليها لو بدا له الرجوع وتقدير الكبرى وكل ما يرجع
به فواجب ان يبقيه له ونحوه قولهم احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك
هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما وقولهم اذا هويت فلا تكن غاليا واذا تركت فلا تكن قاليا الخامس

والاربعون

ان يصدق ظن الظان به خيرا اذا ظنه وذلك التصديق
بفعل ما ظنه فيه من الخير كان يظن به الجود فيفعل
عليه السادس والاربعون نهاه ان يبذل اهله شرا
ونفره بضمير تقدير صغراه فان اهلك حينئذ يكونون
اشقى الخلق بك وذلك للاذية وقربهم منهم وتقدير كبراه
وكل من كان كذلك فهو مذموم السابع والاربعون
ان لا يضيع حق اخيه اعتمادا على ما بينهما من الاخوة
ونبهه على ذلك بضمير صغراه قوله فانه الى قوله حقه
ان من اضعت حقه لا يبدان بعادتك لتضييعك حقه
فلا يكون اخا لك وتقدير كبراه وكل اخ يعاديك لتضييع
حقه فلا ينبغي ان تضيع حقه لتسلم لك مودته واخوته
ونحوه قولهم اضاعة الحقوق داعية العقوق الثامن والاربعون

والاربعون نهاه عن الرغبة فيمن زهد فيه واراد بمن زهد فيه من ليس للصحبة موضعا ولا للمودة اهلا ولبيس اخ لك
والالف نقضا قبله وما يعد من الامور صلة من قطعه ومباعدة من ظلمه والدنو ممن باعدك والاحسان الى من
اساء اليه واشار الى وجوب ذلك بالتنفير عن نقيضه بضمير صغراه شرطية منفصلة تقديرها فانك لا تفعل ذلك
لكن اخوك اقوى على فعل الاساءة منك على فعل الاحسان وبيان الملازمة ان الاساءة والشر لهما صوارف كثيرة
تصرف عنه والاحسان وفعل الخير له بواعث كثيرة تبعث عليه فاذا لم تفعل الاحسان مع كثرة البواعث عليه
واساء اخوك مع كثرة صوارفه عن الاساءة كان هو اقوى على الاساءة منك على الاحسان وتقدير كبراه وكل من
كان كذلك فهو عاجز مذموم الخمسون نهاه عن استعظام ظلم الظالمين في حقه وهونه عنه بضمير صغراه قوله فانه
يسعى في مضرته ونفعك اي كبيرة ظلمه يستلزم مضرته في الاخرة بما توعد الله به الظالمين ونفعك بما وعد الله به
الصابرين على بلائهم وتقدير الكبرى وكل من سعى في مضرته ونفعك فلا ينبغي ان يكبر عليك صنيعه في حقك
الحادي والخمسون نبهه على وجوب مقابلة الاحسان بمثله دون الكفران بقوله ليس جزاء من سرك ان تسوءه وهو في
قوة صغرى ضمير تقديرها من سرك فليس جزاؤه ان تسوءه وتقدير كبراه وكل من لم يكن جزاؤه ذلك فينبغي ان لا تسوءه
وقيل ان هذه الكلمة من تمام التي قبلها والتقدير لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فقابله بما يسره فانه يسعى في مضرته
ونفعك وكل من كان كذلك فليس جزاؤه ان تقابله بالاساءة **الفصل العاشر** قوله واعلم يا بني ان الرزق رزقان
رزق تطلبه ورزق يطلبك فان انت لم تاته اتاك ما اقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى انما لك من دنياك
ما اصلحت به مثواك وان كنت جازعا على ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل اليك استدل على ما لم يكن بما
قد كان فان الامور اشباه ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة الا اذا بالغت في ايلامه فان العاقل يتعظ بالادب والبهايم
لا تتعظ الا بالضرب اطرح عنك واردات الهموم بعزايم الصبر وحسن اليقين من ترك القصد جار الصاحب مناسب
والصديق من صدق غيبه والهوى شريك العمى رب بعيد اقرب من قريب وقريب ابعد من بعيد والغريب من لم يكن له
حبيب من تعدى الحق ضاق مذهبه ومن اقتصر على قدره كان ابقى له واوثق سبب اخذت به سبب بينك وبين الله
تعالى ومن لم يبالك فهو عدوك قد يكون الياس ادراكا اذا كان الطمع هلاكا ليس كل عورة تظهر ولا كل فرصة
تصاب ربما اخطا البصير قصده واصاب الاعمى رشده اخر الشر فانك اذا شئت تعجلته وقطيعة الجاهل تعدل صلة
العاقل من امن الزمان خانه ومن اعظمه اهانه ليس كل من رمى اصاب اذا تغير السلطان تغير الزمان سل عن الرفيق
قبل الطريق وعن الجار قبل الدار اياك ان تذكر من الكلام مضحكا وان حكيت ذلك عن غيرك واياك ومشاورة
النساء فان رايهن الى افن وعزمهن الى وهن واكفف عليهن من ابصارهن بحجابك اياهن فان شدة الحجاب ابقى عليهن
وان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل ولا تملك المراة من امرها ما جاوز نفسها فان المراة ريحانة وليست بقهرمانة
ولا تعد بكرامتها نفسها ولا تطمعها في ان تشفع لغيرها واياك والتغاير في غير موضع غيرة فان ذلك يدعو الصحيحة الى السقم
والبريئة الى الريب واجعل لكل انسان من خدمك عملا تاخذه به فانه احرى ان لا يتواكلوا في خدمتك واكرم عشيرتك

فانهم جناحك الذي به تطير ويدك التي بها تصول استودع الله دينك ودنياك واسأله خير القضاء لك في العاجلة
والآجلة في الدنيا والآخرة انشاء الله وبيننا **الثوى** المثوى للطعام ونقلت يخلص وعرايز الصبر الجرمث به مشروانتشر
والعورة هنا الاسم من اعور الصيد اذا امكنك من نفسه واعور الفارس اذا بدا منه موضع خلل للضرب والافق الضيق
والعهر ما نه فارسي معرب وفي الفصل تنبيهات على لطايف من الحكمة ومكارم الاخلاق مما لا يخفى انه قسم مطلق الرزق
الى قسمين مطلوب وطالب واراد بالرزق المطلوب ما لم يجر به القضاء الالهي كونه رزقا له وبالطالب ما علم الله انه رزقه
وانه لابد من وصوله اليه وذلك بيان لحكم القسمين للعلم بانجاز او التقدير فاما الذي تطلبه فلانه لم يكن
القضاء الالهي لم يجر به وكلما لا تدركه فينبغي ان لا تحرص على طلب ما الذي يطلبك فانه لا محالة ياتيك وان لم تاته وهي
صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان ياتيك لا محالة فينبغي ان لا تحرص في طلبه الثانية نبه على فضيلة عزة النفس عند
الحاجة وعلى مواصلة الاخوان في الغنى من قبح ضديهما وهما الخضوع في الحاجة والجفاء في الغنى فيجمل للتنفير عنهما
اذ كانا رذيلتين وهي في قوة ضمير تقديرها ان الذلة في الحاجة وجفاء الاخوان في الغنى قبيحان جدا وتقدير كبراه وكلما
كان كذلك وجب اجتنابه الثالثة نبه على بذل المال في وجوه البر والقربات لغاية اصلاح آخرته بقوله انما لك الى
قوله مثواك واراد بالرمن دنياه ما يبلك نفعه دائما ولذلك حصره بانما لانه القدر المنتفع به على الحقيقة والذي هو
ثمرته لاستلزامه لتحصيل الملكات الفاضلة المستلزمة للثواب الدائم والنعيم المقيم في الآخرة وهو صغرى ضمير
تقديرها ما اصلحت به مثواك من دنياك هو الذي يبقى لك منها وتقدير الكبرى وكل ما هو الباقي لك منها فينبغي ان
تخصه بعنايتك ويحتمل ان يكون هذه الكلمة تنبيها على ما قبلها من المواصلة في الغنى داخلة في اصلاح المثوى بالمال
المنبه عليه هنا الرابعة نبه على ترك الاسف والجزع على ما يخرج من يده من المال بقياس استثنائي وذلك قوله فان جزعت
الى قوله اليك وبيان الملازمة ان الذي خرج من يده كالذي لم يصل اليه انه ليس برزق له وليس مما قضى الله له به
تقدير الاستثناء لكن الجزع هناك قبيح وغير متحقق فينبغي ان لا يحصل الجزع هنا الخامسة امره ان يستدل بقياس
ما لم يكن اي يحدث من امور الدنيا واحوالها وتغيراتها على ما كان وحدث فيها وذلك ان ييئس نفسه وما رغب فيه
من متاع الدنيا على ما سبق من اهلها ومتاعها فيجد مثله فيحكم عليه بحكمه وهو التغير والزوال فيسلو بذلك الى
الرغبة عن الدنيا ومتاعها ونبه على امكان ذلك بضمير صغراه قوله فان الامور اشباه وتقدير الكبرى وكلما هو متشابه
فيمكن قياس بعضه على البعض وكان يقال اذا اردت ان تنظر الدنيا بعدك فانظر ما بعد غيرك السادسة حذره
ان يكون ممن لا ينفعه النصيحة فيما نصح به من الراي الا اذا بالغ النصيحة والتوبيخ في الايلام واذا مور وي ابلغ النا
المخاطب في الايلام بالقول وغيره وضرب له العاقل مثلا لاتعاظه بالادب وتذكيره بالنصيحة ليعتبر نفسه عليه
فيتعظ بالادب والبهايم مثلا لعدم اتعاظها وتذكيرها الا بالضرب ليعتبر نفسه بالقياس اليها ويقدر فعله عنها
بالعقل فيجب ان ينزه نفسه عن لزومها فلا يحتاج الى ايلام بقول او فعل وكان يقال اللئيم كالعبد والعبد كالبهيمة
عبيها ضربها السابعة ان يطرح عن نفسه ما يرد عليها من الهموم والغموم ومصائب الدنيا بالصبر الجازم الثابت

عن حسن

بالتعجب م

من حسن اليقين بالله تعالى وباسرار حكمته وقضائه وقدره وذلك ان يعلم يقينا ان كل امر صدر عن الله وابتلي به عباده من
ضيق رزق او سعته وكل امر مرهوب او مرغوب فهو في الحكمة والمصلحة بالذات وما عرض في ذلك مما يعد شرا فامر عرضي
لا يمكن نزع الخير المقصود منه فان ذلك اذا كان متيقنا استعدت النفس بعلم الصبر ومقاومة الهوى في الغم والجزع وعنى
والغرض من الكلمة الامر بالصبر وهي في قوة صغرى ضمير تقديرها ان عزايم الصبر وحسن اليقين بالله يستلزمان طرح واردات
الهموم وحذفها من النفس وتقدير الكبرى وكلما استلزم ذلك فينبغي ان يستعد به ويستكمل به نفسك الثامنة نبه
على لزوم القصد والعدل في افعاله وافعال بضمير ذكر صغراه وتقدير كبراه ومن جار هلك التاسعة نبه على حفظ الصاحب
الحق والرغبة فيه بضمير ذكر صغراه واستعار له لفظ النسيب باعتبار مودته وحسن معاشرته كالنسيب وتقدير كبراه وكلما
ينبغي ان يحمى عليه ويصطنع عنده العاشرة عرف الصديق الحق بعلامة ليعرف بها فيصادق واراد بصدقه في غيبه
صدقه في ضميره وما غاب من باطنه عن غيره الحادية عشر نبه على مجانبة الهوى والميول الطبيعية بضمير صغراه قوله الهوى
شريك العمى ووجه كونه شريكا له استلزامه للضلال وترك القصد كالعمى وتقدير الكبرى وكل ما هو شريك العمى فينبغي
ان يجتنب ونحوه قولهم حبك الشيء يعمي ويصم الثانية عشر نبه على ان في البعداء من هو اقرب وانفع من النسيب وفي
الاقرباء من هو ابعد من البعيد وهو مشهور والى المعنى الثاني اشار القرآن الكريم بقوله تعالى ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم فاحذروهم الثالثة عشر نبه على ان الحقيق باسم الغريب هو من لم يكن له حبيب اي محب يحبه واليه اشار القائل
اسرع المرء والداء وفيما بينهما الحياة تطيب فاذا وليا عن المرء يوما فهو في الناس حيث غريب وذلك باعتبار
الوالدين له الرابعة عشر نبه على لزوم الحق بالمرء نفسه وهو تقدير وعادوته الباطل من ضيق المذهب وما
المسالك وذلك ان طريق الحق واضح مامور باتباعه وقد نصبت عليه اعلام الهداية واما طريق الباطل فهي ضيقة وعرة
على سالكها لما فيها من التحير والخبط وعدم الهداية الى المصلحة والمنفعة مع كونها ممنوعا عن طريق الحق من جاد
اليها عنه لحذوا عليه مذهبه وضيقوا عليه مسلكه حتى يعود الى طريق الحق وهو صغرى ضمير تقدير كبراه كما في قوله من
ترك القصد جار الخامسة عشر نبه على وجوب الاقتصار على قدره وهو مقداره ومحله في خلق الله واقتصاره عليه
مبني على معرفته وهو ان يعلم الفطرة التي فطر الانسان عليها من الضعف والجود والنقص فيعلم انه كذلك فيمنع
نفسه حينئذ من الترفع على ابناء نوعه والاستطالة على احد منهم بفضل قوة او اعجاب بيته جسمانية او نفسانية
ويقتصر على ما دون ذلك من التواضع ولين الجانب والاعتراف بما جبل عليه من العجز والنقص وهو في قوة صغرى
ضمير تقديرها من اقتصر على قدره كان اقتصاره ابقى له وذلك ان المتطاول الى قدر غيره والمتجاوز لقدره في
مظنة ان يهلك لقصد الناس اياه بالمكاره والنكير وقيل من جهل قدره قتل نفسه والاقتصار على القدر يستلزم
عدم هذه الامور فكان ابقى على صاحبه واسلم وتقدير الكبرى وكل من كان اقتصاره على قدره ما ابقى له فواجب
ان يقتصر عليه السادسة عشر نبه على لزوم سبب بينه وبين الله تعالى وهو كل ما قرب اليه من علم وقول وعمل
ولفظ السبب مستعار لذلك باعتبار ايصاله الى الله والقرب منه كالحبل الذي يتوصل به الى المقصود وقد

انه اوثق الاسباب لثباته دائما ونجاة المتمسك به في الدنيا والآخرة والكلمة صغرى ضمير تقديرها السبب بينك
وبين الله تعالى هو اوثق الاسباب المأخوذ بها وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك فينبغي ان يتمسك به ونحو
قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها السابعة عشر نبه على
مجانبة من لا يبالي به بضمير ذكر صغراه وتقديرها من لا يبالك وقت حاجتك اليه وقدرته على نفعك فهو عدوك
ولفظ العدو مستعار له باعتبار ان عدم المبالاة من لوازم العدو وتقدير الكبرى وكل عدو فينبغي مجانبته
الثامنة عشر نبه على ان الياس من بعض مطالب الدنيا قد يكون سببا للسلامة من الهلاك وادراك النجاة
منه وذلك عندما يكون الطمع في ذلك المطلوب في نيل ذلك ونحوه التاسعة عشر نبه بقوله ليس كل عورة الى قوله
رشده على ان الامور الممكنة والغرض ما يعقل الطالب البصير عن وجه طلبه فلا يصيبه ويهتدي له وينظر
به الاعمى واستعار لفظ البصير للعاقل الذكي والاعمى للجاهل الغبي وغرض الكلمة التسلية عن الاسف و
الجزع على ما يفوت من المطالب بعد امكانها العشرون نبه بتاخير الشر وعدم الاستعجال فيه ونبه عليه بضمير ذكر
صغراه ومعناها انك قادر على تعجيله اي وقت شئت وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك فينبغي ان لا يعجل
فيه اذ لا يفوتك ونحوه من الحكمة قولهم ابدا بالحسنة قبل السيئة فلست بمستطيع الحسنة في كل وقت وانت على
الاساءة متى شئت قادر الحادية والعشرون نبه على وجوب قطيعة الجاهل بضمير ذكر صغراه وتقدير كبراه وكل
ما يعدل صلة العاقل فينبغي ان يرغب فيها ويفعلها وانما كانت تعدلها باعتبار استلزامها للمنفعة ومنفعة
قطيعة الجاهل بالقياس الى ما في صحبته من المضرة الثانية والعشرون نبه على وجوب الحذر من الزمان ودوام ملاحظة
تغيراته والاستعداد لحوادثه قبل نزولها بالاعمال الصالحة واستعار له لفظ الخيانة باعتبار تغيره عند العقلاء
عنه والامن فيه او لركون اليه فهو في ذلك كالصديق الخاين والكلمة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما خان الزمان
فينبغي ان يكون منه على حذر وفي الحكمة من امن الزمان ضيعه ونحوها الثالثة والعشرون نبه بقوله من عظمه
اهانه على وجوب ترك اعظامه ولم يرد الزمان المجرد بل من حيث هو مشتمل على خيرات الدنيا ولذاتها ومعظم طيب
العيش الصحة والشباب والامن ونحوها وبذلك الاعتبار يكرم ويستعظم فيقال في العرف زمان طيب و
زمان عظيم واما استلزام ذلك لاهانة من يستعظمه لان اعظامه له يستلزم استنامته اليه واشتغاله بما فيه
من الملذات الدنيوية فيغفل بسبب محبتها عن الاستعداد لما وراءه ثم ان الزمان يكر عليه بمقتضى طباعه فيفرق
بينه وبين ما كان يعتز به من مال وجاه او رجال فيصبح حقيرا بعد ان كان خطيرا وصغيرا بعد ان كان كبيرا و
ذليلا بعد ان كان كثيرا والكلمة في قوة صغرى ضمير وتقدير كبراه وكل من اهانه الزمان فينبغي له ان يستهين به ولا
يعظمه الرابع والعشرون قوله ليس كل من رمى اصاب وقد سبق مثله في قوله ليس كل طالب يصيب وغرضه التنبيه
على ما ينبغي من ترك الاسف على ما يفوت من المطالب والتسلي عن الخطاء في طلبه وتوبيخ العيب وتبكيته بانه ليس
باهل لذلك المطلوب فان له لزوم الحزن والى نحوه اشار ابو الطيب ما كل من طلب المعالي نافذا فيها ولا كل الرجال

فحولا

سبب الهلاك كالطمع م

فحولا الخامس والعشرون نبه على ان تغير السلطان في رايه ونيته وفعله في رعيته من العدل الى الجور يستلزم تغير
الزمان عليهم اذ تغيره من الاعداد للجور وروي ان كسرى انوشروان جمع عمال السواد وبيده درة يقلبها فقال
اي شيء اضر بارتفاع الاعمال وادعى لمحقه ومن اجابني بما في نفسي جعلت هذه الدرة في فيه فقال كل منهم قولا من
احتباس المطر والجراد واختلاف الهواء فقال لوزيره قل انت فاني اظن عقلك يعادل عقول الرعية ويزيد عليها
فقال انما يضر بارتفاعها تغير راي السلطان في رعيته واضمار الحيف لهم والجور عليهم فقال لله ابوك لهذا
العقل اهلك الملوك لما اهلوك له ودفع اليه الدرة فجعلها في فيه السادس والعشرون امره بالسؤال عند
ارادته لسلوك طريق عن الرفيق فيها لغاية ان يجتنبه ان كان شريرا ويرافقه ان كان خيرا فان الرفيق اما رفيق
او حريق وكذلك عن الجار عند ارادته لسكنى الدار للغاية المذكورة وروي هذا الكلام مرفوعا السابع
والعشرون حذره ان يذكر من الكلام ما كان مضحكا سواء كان عن نفسه او عن غيره لما يستلزم ذلك من الهوان
وقلة الهيبة في النفوس الثامن والعشرون وصاه في النساء بامور احدها الحذر من مشاورتهن ونبه
على وجوب الحذر بضمير صغراه قوله فان رايهن الى افن وعزمهن الى وهن وذلك لنقصان عقولهن وتقدير الكبرى وكل من
كان كذلك فينبغي ان يحذر من استشارته لما ان ضعف الراي مظنة الخطا وعدم اصابة وجه المصلحة فيما ابتنا
فيه الثاني ان يكفف عليهن من ابصارهن بحجابه اياهن وهو من افصح الكنايات عن الحجب ومن زايدة ويحتمل ان
يكون للتبعيض ونبه على وجوب حجبهن بضمير صغراه قوله فان شدة الحجاب ابقى عليهن اي ادعى للستر والعفة من الخروج
والتبرج ودوام لحفظهن وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك وجب فعله الثالث نبه على انه لا يجوز ان يرخص
في ادخال من لا يوثق به عليهن وهو اعم من الرجال والنساء والكلام في قوة صغرى ضمير دل به على ذلك المنع
وتقديرها ان ادخال من لا يوثق به عليهن ليس باسوء من خروجهن في المفسدة او اشد وتقدير الكبرى وكلما
كان كذلك فلا يجوز الرخصة فيه وانما كان اشد في بعض الصور لان دخول من لا يوثق به عليهن يمكن الخلوة
بهن والحديث معهن فيما يراد من الفساد الرابع امره ان يحسم اسباب المعرفة بينهن وبين غيره لكون معرفتهن لغيره
مظنة المفسدة وقرينة الحال يخرج عنه اولي الاربة كالوالد والمحرم وانما شرط في ذلك الاستطاعة لانه قد
لا يمكن الانسان دفع معرفتهن لغيره مطلقا الخامس نهاه ان يملك المراة من امرها ما خرج عن حد نفسها من
ماكول وملبوس ونحوه وما جاوز ذلك كالشفاعات ونبه على عدم صلوحها لذلك بضمير صغراه قوله فان
المراة ريحانة باعتبار كونها محلا للذة والاستمتاع بها ولعل تخصيص الريحانة بالاستعارة لان شان العرب
استعمال الطيب كثيرا وكنى بكونها غير قهرمانة عن كونها لم تخلق لتكون حاكمة متسلطة بل من شانها
ان تكون محكوما عليها وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا ينبغي ان يجاوز به امر نفسه ويمكن من التصرف
في امر غيره السادس وكذلك نهيه ان يجاوز بكرامتها نفسها اي لا يكرمها بكرامة يتعدى صلاح نفسها وهو كقوله
ولا يملك المراة الى آخره السابع وكذلك نهيه ان يطمعها في الشفاعة لغيرها لان ذلك تجاوز نفعها لحد نفسها

العدل الى الاعداد م

وليست بقهرمانة واستعار لها لفظ الريحانة م

وقد نبه على انها ليست باهل لذلك لما هي عليه من نقصان الغريزة وضعف الراي الناشي من نهاه عن التغاير في غير
موضع الغيرة ونبه على ما في ذلك من المفسدة بضمير صغراه قوله فان ذلك الى قوله السقم وكنى بالصحيحة عن البريئة
من الخيانة والفساد وبالسقم عنها وانما كان كذلك لان المرأة حين براءتها من الفساد يستقبح ذلك وينكره
كره المواجهة ويستشعر خوف الفضيحة والعقاب فاذا انضاف الى ذلك مع براءتها فيه عظم عليها في اول الامر
فاذا تكرر ذلك من الرجل هان عليها امره وصار لومه لها في قوة الاغراء لها بذلك وقد علمت ما في الطباع
الحيوانية من الحرص على الامر الممنوع منه فكانت الغيرة في غير موضعها والائمة بسبب تخيل الفاسد على
ما لم يفعل امرا داعيا له قوله وتقديرا الكبرى وكل ما كان كذلك لم يجز فعله التاسع والعشرون امره ان
يجعل لكل انسان من خدمه شغلا يخصه ويأخذه بفعله ويؤاخذه على تركه وذلك من الحكمة المنزلية ونبه
على سر ذلك بضمير صغراه قوله فانه احرى الى قوله خدمتك وذلك انهم اذا اشتركوا في التكليف بفعل واحد
فيقوم به كل واحد منهم فالغالب عليهم ان يكل كل واحد منهم فعله الى الاخر فيتسلل بذلك ان لا يفعل قال كسرى
انوشروان لولده شيرويه وانظر الى كتابك فمن كان منهم ذا ضياع فقد احسن عمارتها فوله الخراج ومن كان
منهم ذا عبيد فوله الجند ومن كان منهم ذا سراري فقد احسن القيام عليهن فوله النفقات والقهرمة وهكذا
فاصنع في خدم دارك ولا تجعل امرك فوضى بين خدمك فيفسد عليك ملكك الثلثون امره باكرام عشيرته
ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فانهم الى قوله تصول واستعار لهم لفظ الجناح باعتبار كونهم مبدأ نهوضه
وقوته على الحركة الى المطالب كجناح الطائر ورشح بذكر الطيران وكذلك لفظ اليد باعتبار كونهم محل صولته
على العدو وتقديرا الكبرى وكل من كان كذلك وجب عليك اكرامه ثم ختم الوصية بوداعه واستيداع
الله دينه ودنياه وسؤال خير القضاء له في عاجلته وآجلته ودار دنياه واخرته حسب ارادته تعالى ومشيته
ولفظ الاستيداع مجاز في طلب الحفظ من الله لما استودعه اياه وبالله التوفيق والعصمة ومن كتاب له عم
الى معوية واردت جيلا من الناس كثيرا خدعتهم بغيك والقيتهم في موج بحرك تغشاهم الظلمات وتتلاطم بهم
الشبهات فجاروا عن وجهتهم ونكصوا على اعقابهم وتولوا على ادبارهم وعولوا على احسابهم الا من فاء من
اهل البصائر فانهم فارقوك بعد معرفتك وهربوا الى الله من موازرتك اذ حملتهم على الصعب وعدلت
بهم عن القصد فاتق الله يا معوية في نفسك وجاذب الشيطان قيادك فان الدنيا منقطعة عنك والاخرة
قريبة منك والسلام اقول اول هذا الكتاب من عبد الله امير المؤمنين الى معوية بن ابي سفيان اما بعد
فان الدنيا دار تجارة ربحها الاخرة فالسعيد من كانت بضاعته فيها الاعمال الصالحة ومن رأى الدنيا
بعينها وقدرها بقدرها واني لاعظك مع علمي بسابق العلم فيك مما لا مرد له دون نفاذه ولكن الله
تعالى اخذ على العلماء ان يؤدوا الامانة وان ينصحوا الغوي والرشيد فاتق الله ولا تكن ممن لا يرجو الله
وقارا ومن حقت عليه كلمة العذاب فان الله بالمرصاد وان دنياك ستدبر عنك وستعود حسرة عليك

فانتبه من الغي والضلال على كبر سنك وفناء عمرك فان حالك اليوم كحال الثوب المهيل الذي لا يصلح من جانب
الا فسد من اخر ثم يتصل به وقد اردت الفصل والمهيل المتداعي في التمزق ومنه رمل مهيل اي ينهال ويسيل وارديت
اهلكت والجيل الصنف وروي جيلا وهو الخلق وجاروا عدلوا والوجهة القصد والنكوص الرجوع وعول على كذا
اعتمد عليه وفاء رجع والموازرة المعاونة وفي الكتاب مقاصد الاول موعظته وتذكيره بحال الدنيا وكونها دار
تجارة والغاية من التجارة فيها اما ربح الاخرة بصلاح البضاعة وهي الاعمال واما خسران الاخرة بفسادها الثاني
نبهه على ان يرى الدنيا بعينها اي يعرفها ويراها بحقيقتها او يراها بالعين التي بها تعرف وهي عين البصيرة ويعلم
ما هي عليه من التغير والزوال وانها خلقت لغيرها فيقدرها بمقدارها ويجعلها في نظره لما خلقت له الثالث
نبهه على ان لله تعالى علما لا بد من نفاذه فيه فان ما علم الله تعالى وقوعه واقع وعظه امتثالا لامر الله ووفاء بعهده
على العلماء ان يؤدوا امانته ويبلغوا الحكام الى خلقه وان ينصحوا ضالهم ورشيدهم الرابع امره بتقوى الله ونهاه
ان يكون ممن لا يرجو الله وقارا اي لا يخاف لله عظمة فيعبده ويطيعه والوقار الاسم من التوقير وهو التعظيم وقيل
الرجاء هنا بمعنى الخوف فيكون مجازا اطلاقا لاسم احد الضدين على الاخر وان يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب
وقوله فان الله بالمرصاد تنبيه له على اطلاعه عليه وعلمه بما يفعل ليرتدع عن معصيته الخامس نبهه على ادبار الدنيا
وعودها حسرة عليه يوم القيمة عند فقدها مع محبته لها وعدم شكره والاخرة بعدم النجاة وفناء زاده اليها السادس
امره بالانتباه من رقدة الجهل والضلال على حال كبر سنه وفناء عمره فان تلك الحال اولى الاحوال بالانتباه منها ونبهه
على انه غير قابل للاصلاح في تلك السن بعد استحكام جهله وتمكن الهيئات البدنية من جوهر نفسه ونهكها له فهو
كالثوب الخلق لا يمكن اصلاحه بالخياطة بل كلما خيط من جانب تمزق من اخر السابع لجره في معرض التوبيخ على ما فعل
باهل الشام من خدعته لهم والقائهم في موج بحره ولما كان ضلاله عن دين الله وجهله بما ينبغي هو سبب خدعته لهم نسبها
اليه واستعار لفظ البحر لاحواله واراءه في طلب الدنيا والاعراض عن طريق الله باعتبار كثرتها وبعد غايتها ولفظ
الموج للشبه التي القاها اليهم وغرقهم بها فيما يريد من الاغراض الباطلة وشابهها الموج في تلعبها باذهانهم وحصر
احوالهم بينها ظاهرة وكذلك استعار لفظ الظلمات لما حجب بصائرهم عن ادراك الحق من تلك الشبهات
ولفظ الغشيان لطريانها على قلوبهم وحجبها لها ومحل يغشاهم نصب على الحال وكذلك لفظ التلاطم لتلعب تلك
الشبهات بعقولهم وقوله فجاروا عطف على القيتهم واراد انهم عدلوا عن الحق بسبب ما القاه اليهم من الشبه واعتمدوا في
قتالهم على احسابهم حمية الجاهلية في العصبية عن اصولهم ومفاخرهم دون مراعاة الدين والذب عنه الا من رجع الى الحق من
اهل العقول فانهم عرفوك وما انت عليه من الضلال فارقوك وهربوا الى الله من موازرتك فيما تريد من هدم الدين
حين حملتهم عن الامور الصعبة المشبهة وعدلت بهم عن قصد الحق وقد كان استغوى العرب بشبهة قتل عثمان والطلب بدمه
فلما عرفوا ضلاله والمتمسكون بالدين منهم ان ذلك خدعة منه لارادة الملك فارقوه واعتزلوه وقوله على اعقابهم
ادبارهم ترشيح لاستعارة لفظي النكوص والتولي من المحسوسين للمعقولين والاستثناء هنا من الجيل الذين خدعهم

ولفظ الصعب مستعار لما حملهم عليه من الامور المستصعبة في الدين باعتبار ان ركوبهم لها يستلزم وقوعهم
في مهاوي الهلاك كما يستلزم ركوب الجمل الصعب لغور العدول به وتنكبه عن الطريق وتقحم المهالك وكذلك
لفظ القصد مستعار للطريق المعقول الى الحق من الطريق المحسوس ثم ذكره عليه السلام بتقوى الله وان يجاذب الشيطان قياده
واستعار لفظ المجاذبة للممانعة المعقولة ولفظ القياد لما يقوده به من الاراء الباطلة وكواذب الامال ومما نعته
الشيطان لذلك القياد تكذيب النفس الامارة فيما يوسوس به من تلك الاراء وقوله فان الدنيا الى الاخرة تنبيه
له على وجوب قطع الامال الدنيوية لانقطاع الدنيا والعمل للاخرة بقربها وهو في قوة صغرى ضميرين تقدير كبرى الاول وكل
ما كان منقطعا زائلا وجب ان يقطع الامل فيه لانقطاعه ويجاذب الشيطان في عوده اليه وتقدير كبرى الثاني وكل
ما كان قريبا فينبغي ان يستعد لوصوله بالعمل له وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام الى قثم بن العباس وهو عامله
على مكة اما بعد فان عيني بالمغرب كتب الي يعلمني انه وجه الى الموسم اناس من اهل الشام العمي القلوب الصم الاسماع الكمه
الابصار الذين يلبسون الحق بالباطل ويطيعون المخلوق في معصية الخالق ويحتلبون الدنيا درها بالدين ويشترون
عاجلها باجل الابرار المتقين ولن يفوز بالخير الا عامله ولا يجزى جزاء الشر الا فاعله فاقم على ما في يديك قيام الحازم الصليب
والناصح اللبيب التابع لسلطانه المطيع لامامه واياك وما يعتذر منه ولا تكن عند النعماء بطرا ولا عند البأساء فشلا
اقول هو قثم بن العباس بن عبد المطلب لم يزل واليا لعلي عم على مكة حتى قتل عليه السلام واستشهد بسمرقند في زمن معوية وسبب
هذا الكتاب ان معوية كان قد بعث الى مكة في موسم الحج واجتماع العرب بها دعاة يدعون الى طاعته ويثبطون العرب عن
نصرة علي عم ويلقون اليهم انه اما قاتل عثمان او خاذل له وعلى التقديرين فلا يصلح للامامة ويخبرون بمحاسن معوية
بزعمهم واخلاقه وسيرته في العطاء فكتب عليه السلام هذا الكتاب الى عامله بمكة ينبهه على ذلك ليعتمد فيه ما ينبغي
السياسة وقيل ان الذين بعثهم بعض السرايا التي كان يبعثها ليغير على اعمال علي عليه السلام والعين الجاسوس والموسم
مجمع الحاج والاكمه الاعمى خلقة والبطر شدة المرح وكثرة النشاط والبأساء الشدة بني على فعلاء لا افعل له لانه
اسم غير صفة والفشل الجبن والضعف وحاصل الكتاب اعلامه اولا بما كتب اليه عينه بالمغرب بما اراده اهل الشام لانها
من البلاد المغربية وقد كان عم جواسيس عنده بما يتجدد من الامور عند معوية ولمعوية عنده كذلك كما جرت عادة
الملوك بمثله ثم وصف اهل الشام باوصاف سبعة رذيلة ليلزم العبد عن الله لغرض التنفير عنهم احدها شمول الغفلة لهم من
كل وجه عما خلقوا لاجله واستعار لقلوبهم لفظ العمى باعتبار عدم انتفاعهم من جهة الاسماع بالمواعظ والتذكير ومن
جهة الابصار بتحصيل العبرة بها من اثار الله سبحانه كما لا ينتفع بذلك فاقدوا هاتين الالتين الثاني كونهم يلبسون
الحق بالباطل اي يخلطونه ويموهونه فيه والمراد انهم يعلمون انه على الحق وان معوية على الباطل ثم يكتمون ذلك ويغطونه
بشبهة قتل عثمان والطلب بدمه الى غير ذلك من باطلهم وروي يلتمسون الحق بالباطل اذ كانوا يطلبون حقا بعمل
الباطل الثالث كونهم يطيعون المخلوق اي معوية في معصية الخالق الرابع كونهم يحتلبون الدنيا درها بالدين و
استعار لفظ الدر لمتاع الدنيا وطيباتها ولفظ الاحتلاب لاستخراج متاعها بوجوه الطلب من مظانه ملاحظا

لشبهها باللبن في الدر وقوله بالدين منصوب به لا من الدنيا وانما كان ذلك بالدين لان اظهارهم لشعارهم وتمسكهم بظواهره
لغرض تحصيل الدنيا ولخدم ما لا يستحقونه منها فان محاربتهم له عليه السلام انما كانت كما زعموا للاخذ بثار الخليفة
عثمان وانكار المنكر على قاتليه وخاذليه ولذلك تمكنوا من تألف قلوب العرب واكثر جهال المسلمين على حربه
واخذ البلاد الخامس شراؤهم عاجل الدنيا باجل الابرار وهو ثواب الاخرة ولفظ الشراء مستعار لاستبدالهم
ذلك العاجل ولما كان ذلك في شعار الاسلام هو الخسران المبين ذكره في معرض ذمهم ثم ذكر في مقام الوعد و
الوعيد لهم اختصاص الفوز بالخير بمن عمل الخير ترغيبا فيه والمجازاة بالشر فاعله تنفيرا عنه ثم ختم بامره ونهيه
اما امره فان يقيم على ما في يديه من العمل مقام من هو اهل ذلك وهو الحازم المثبت في امره الصليب في طاعة
الله الناصح اللبيب له ولاوليائه التابع لسلطانه المطيع لامامه واما تحذيره فمما يعتذر منه وهو كل امر عد
في الشرع معصية وتقصيرا عن اداء حق ويروى الكلمات بمرفوعة من البطر في النعمة والفشل والضعف عند
البأساء والشدة لكون ذلك معدا لزوال النعمة والبطر رذيلة تستلزم رذيلتي الكبر والعجب وتقابل فضيلة التواضع
والفشل رذيلة التفريط من فضيلة الشجاعة وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام الى محمد بن ابي بكر لما
بلغه توجده من عزله بالاشتر عن مصر ثم توفي الاشتر في توجهه الى مصر قبل وصوله اليها وقد بلغني موجدتك
من تسريح الاشتر الى عملك واني لم افعل ذلك استبطاء لك في الجهد ولا ازديادا لك في الجد ولو نزعت ما تحت
يدك من سلطانك لوليتك ما هو ايسر عليك مؤنة واعجب اليك ولاية ان الرجل الذي كنت وليته امر مصر
كان رجلا لنا ناصحا وعلى عدونا شديدا ناقما فرحمه الله فلقد استكمل ايامه ولاقى حمامه ونحن عنه راضون اولاه
الله رضوانه وضاعف الثواب له فاصحر لعدوك وامض على بصيرتك وشمر لحرب من حاربك وادع الى سبيل ربك و
اكثر الاستعانة بالله يكفك ما اهمك ويعنك على ما نزل بك والسلام اقول السبب ان محمد بن ابي بكر كان يضعف
عن لقاء العدو ولم يكن في اصحاب علي عم اقوى بأسا في الحرب من الاشتر رحمه الله وكان معوية بعد وقائع صفين
قد تجرد للاغارة على اطراف بلاد المسلمين وقد كانت مصر جعلت طعمة لعمرو بن العاص وعلم عليه السلام انها لا
تحفظ الا بالاشتر فكتب له العهد الذي يأتي ذكره ووجهه اليها فبلغه ان محمدا تألم من ذلك ثم ان الاشتر مات
قبل وصوله اليها فكتب عليه السلام الى محمد هذا الكتاب وهو يؤذن باقراره على عمله واسترضائه وتعريفه
وجه عذره في تولية الاشتر لعمله وانه لم يكن ذلك لموجدة عليه لا تقصير منه والموجدة ما يجده الانسان من الغضب
والتألم عنده والتسريح الارسال واصحر له اي اخرج له الى الصحراء والبصيرة هنا الحجة والهدى في الدين وحاصل الفصل
امور الاول قوله فقد بلغني الى قوله عملك كالاعتراف له بما يشبه الاساءة في حقه ليرتب عليه ما يشبه الاعتذار
اليه الثاني قوله واني لم افعل ذلك الى قوله ناقما فيما بينه العذر فنفى عنه التقصير والاستبطاء في الجهاد وغيره
مما عساه يتوهم سببا لعزله ثم وعده على تقدير تمام عزله بولاية امر هو اسهل عليه كلفة واحب اليه ولا يثقل
لقلبه عن مصر بالترغيب فيما هو خير منها ثم اشار الى وجه بعثة الاشتر في معرض ذلك الثناء عليه بما اجتمع من الخصال

لحبية المذكورة وهى كونه لامامه ناصحا وعلى عدوه شديدا نافما اى منكرا ومغيرا وعمد وان كان له الامر الاول
الامة فى الثانى ضعيف الثالث قوله رحمه الله الى قوله الثواب له اعلام بانه مات وهو عنه راض لئلا يظن به
شماتة الرابع قوله فاصحر الى عدوه امر له بالاستعداد للعدو وامره بالاصحار له استعارة بالقوة دون الاستتار فى
المدينة المشعر بالضعف وان يمضى فى محاربته على بصيرته فى الحق واستبصاره فيه وكنى وصف المشمر عن الاستعداد
للحرب وان يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى احسن وان يكثر الاستعانة بالله
فان الرغبة اليه والاستعانة به معدة لافاضة النصر وكفاية ما اهم من امر العدو ومعونته على ما نزل به من الشدائد
وبالله التوفيق والعصمة ومن كتاب له عليه السلام الى عبد الله بن عباس رحمه الله بعد مقتل محمد بن ابى بكر بمصر
اما بعد فان مصر قد افتتحت ومحمد بن ابى بكر قد استشهد فعند الله نحتسبه ولدا ناصحا وعاملا كادحا وسيفا قاطعا
وركنا دافعا وقد كنت حثثت الناس على لحاقه وامرتهم بغياثه قبل الوقعة ودعوتهم سرا وجهرا وعودا وبدءا فمنهم
الآتى كارها ومنهم المعتل كاذبا ومنهم القاعد خاذلا اسال الله ان يجعل لى منهم فرجا عاجلا فوالله لولا طمعى عند لقاى
عدوى فى الشهادة وتوطينى نفسى على المنية لاحببت ان لا ابقى مع هؤلاء يوما واحدا ولا التقى بهم ابدا اقول احتسبت
كذا عند الله اى طلبت به الحسبة بكسر الحاء وهى الاجر والشهادة القتل فى سبيل الله واستشهد كانه استحضر الى الله وبدأ
الكتاب على امور احدها اعلامه بفتح مصر وقتل محمد بن ابى بكر ليشاركه فى الالم بهذه المصيبة ومدحه فى معرض التفجع
عليه والتوجع له وولدا وعاملا وسيفا وركنا احوال وتمييز ولفظ الولد مجاز باعتبار تربيته فى حجره كالولد وذلك انه كان
ربيبه وامه اسماء بنت عميس الخثعمية كانت تحت جعفر بن ابى طالب وهاجرت معه الى الحبشة ولما قتل جعفر تزوجها ابو بكر
فولدت له محمدا هذا فلما توفى عنها تزوجها على عليه السلام فولدت له يحيى بن على عليه السلام ولم يعقب يحيى
واستعار له لفظ السيف باعتبار كونه يقمع به العدو ويصال به عليه ورشح بذكر القاطع وكذلك لفظ الركن باعتبار
كونه يستند اليه فى الحوادث فيدفع به ورشح بقوله دافعا الثالث اعلامه بحاله مع الناس فى معرض التشكى منهم انه
حثهم على لحاقه واغاثته فلم يسمعوا قوله واشار الى عذر تقصير كل منهم وقد كان حالهم مع حال رسول الله صلى الله
عليه وآله مع قومه فالآتون كارهين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون والمعتلون كذبا كالذين قالوا لو استطعنا
لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون ومن تأمل حالهما وسيرهما الى ان قبضا تحقق وجه الشبه
بينهما فى اكثر الاحوال وهذه القسمة لهم بحسب ما وجدهم الرابع سؤاله الله تعالى ان يجعل له منهم الفرج وهو فى معرض التشكى
منهم ايضا الخامس الاشارة الى وجه عذره فى المقام بينهم على هذه الحال وهو طلبه للشهادة وتوطينه نفسه على الموت عند
لقاء العدو ولولا ذلك لفارقهم وبالله التوفيق والعصمة ومن كتاب له عليه السلام فى ذكر جيش انفذه الى بعض الاعداء
وهو جواب كتاب كتبه اليه اخوه عقيل بن ابى طالب فسرحت اليه جيشا كثيفا من المسلمين فلما بلغه ذلك شمر هاربا ونكص
نادما فلحقوه ببعض الطريق وقد طفلت الشمس للاياب فاقتتلوا شيئا كلا ولا فما كان الا كموقف ساعة حتى نجا جريضا
بعد ما اخذ منه بالمخنق ولم يبق معه غير الرمق فلايا بلاى ما نجا فدع عنك قريشا وتركاضهم فى الضلال وتجوالهم

الشقاق وجماحهم فى التيه فانهم قد اجمعوا على حربى كاجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله قبلى فجزت
قريشا عنى الجوازى فقد قطعوا رحمى وسلبونى سلطان ابن امى واما ما سالت عنه من رايك فى القتال فان
رايى قتال المحلين حتى القى الله لا يزيدنى كثرة الناس حولى عزة ولا تفرقهم عنى وحشة ولا تحسبن ابن ابيك
وان اسلمه الناس متضرعا متخشعا ولا مقرا للضيم واهنا ولا سلس الزمام للقائد ولا وطئ الظهر للراكب
المقتعد ولكنه كما قال اخو بنى سليم فان تسألينى كيف انت فاننى صبور على ريب الزمان صليب يعز على ان ترى
بى كآبة فيشمت عاد او يساء حبيب اقول طفلت الشمس بالتشديد اذا مالت للمغيب وآبت لغيب فى غابت و
الجريض المغموم المهموم الذى يبتلع ريقه على هم وحزن بالجهد ويكاد يموت لذلك والمخنق بالتشديد
هو من العنق موضع الخنق بكسر النون والرمق بقية النفس واللاى الشدة والعسر والاجماع تصميم العزم والجوازى
جمع جازية وهى النفوس تجزى بالسيئة والمحلين من نقض البيعة يقال لمن نقض عهده وبيعته محل ولمن حفظه
محرم والمقتعد الراكب لاقتعاده ظهر البعير وحاصل الفصل امور احدها قوله فسرحت الى قوله ما نجا حكاية
حال عدوه وقد اغار على بعض عماله فانفذ اليه جيشا من المسلمين فهرب حين علم توجههم نحوه ثم لحقوه فقاتلوه
قليلا ثم افلت منهم على شدة وعسر من الخلاص والفاظه عليه السلام افصح العبارات عما ذكره وهاربا ونادما
وجريضا احوال وقوله كلا ولا تشبيه بالقليل السريع والفناء وذلك لان لفظتان قصيرتان سريعتا الانقضاء
قليلان فى المسموع من المتخاطبين فشبه بهما ما كان من محاربة العدو والجيش الذى نفذه ونحوه قول ابن
هانى المغربى واسرع فى العين من لحظة واقصر فى السمع من لا ولا وموقف مصدر اى فما كان ذلك القتال
الا كموقف ساعة وروى لاوذا ولايا مصدر والعامل محذوف وما مصدرية فى موضع الفاعل والتقدير
فلأى لايا نجاؤه اى عسر وابطاء وقوله بلاى كاى لايا مقرونا بلاى الثانى قوله فدع عنك الى قوله ابن امى
كالجواب لكلامه ذكر فيه قريشا ومن انضم منهم الى معوية فامره عليه السلام بالاضراب عن ذكرهم على سبيل
الغضب منهم والواو فى قوله وتركاضهم يشبه ان يكون بمعنى مع ويحتمل ان يكون عاطفة واستعار لهم لفظ
التركاض باعتبار خبط اذهانهم فى الضلال عن سبيل الله وخوضهم فى الباطل ويسرع فيه من غير توقف كذلك
لفظ الجماح باعتبار كثرة خلافهم للحق وحركاتهم فى تيه الجهل والخروج عن طريق العدل كالفرس الجموح ويجول
وقوله فانهم الى قوله صلى الله عليه وآله فى قوة صغرى ضمير نبه بها على انه لا خير فيهم وانه يجب الاعراض عنهم
وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فينبغى تركه والاعراض عنه اذ لا خير فيه واما حقية الصغرى فظاهرة
لان قريشا اجمعوا على حربه منذ بويع بغضا له وحسدا وحقدا عليه واتفقوا على شقاقه كما كانت حالهم فى
بدو الاسلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله لم يتغير فى الحال الان فى شىء من ذلك وقوله فجزت قريشا عنى الجوازى
عليهم بان يجازوا بمثل فعلهم من قطيعة الرحم وسلبه سلطان الاسلام والخلافة التى هو اولى بها وهو يجرى
مجرى المثل وقوله فقد قطعوا رحمى كالتعليل لحسن الدعاء عليهم وهو فى قوة صغرى ضمير ايضا وتقدير كبراه

وكل من فعل ذلك فهو حقيق بالدعاء عليه واراد بابن امه رسول الله صلى الله عليه وآله لانهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن
عمران بن عايذ بن مخزوم ام عبد الله وابى طالب ولم يقل ابن ابى لان غير ابى طالب من الاعمام شركه فى عبد
المطلب وقيل لان امه فاطمة بنت اسد كانت ربت رسول الله صلى الله عليه وآله حين كفله ابو طالب يتيما فهى كالام
له فاطلق عليه البنوة لها مجازا الثالث قوله واما ما سالت عنه الى آخره فهو تقرير لسواله والجواب عنه وقد نبه
على فضيلته من وجوه الاول قوته فى الدين على من احل ذمة الله ونقض عهدا من عهوده الثانى شجاعته التى لا يزيد
معها كثرة الناس حوله عزة ولا تفرقهم عنه وحشة ولا يوجد معها بالصفات المذكورة من الجبن والعجز و
الانقياد للعدو ولكنه معها كالقايل والشعر منسوب الى العباس بن مرداس السلمى وهى فى قوة تمثيل اصله القائل
وفرعه هو عليه السلام وعلته ما ذكر من الاوصاف وحكمه كونه مما يجب الحذر من صولته وبالله التوفيق ومن
كتاب له عليه السلام الى معوية فسبحان الله ما اشد لزومك للاهواء المبتدعة والحيرة المتبعة مع تضييع الحقائق
واطراح الوثائق التى هى لله طلبة وعلى عباده حجة فاما اكثارك الحجاج فى عثمان وقتلته فانك انما نصرت
حيث كان النصر لك وخذلته حيث كان النصر له اقول اول هذا الكتاب اما بعد فان الدنيا حلوة خضرة ذات
زينة وبهجة لم يصب اليها احد الا شغلته بزينتها عما هو انفع له منها وبالآخرة امرنا وعليها حثثنا فدع يا معوية
ما يفنى واعمل لما يبقى واحذر الموت الذى اليه مصيرك والحساب الذى اليه عاقبتك واعلم ان الله اذا اراد بعبد
خيرا حال بينه وبين ما يكره ووفقه لطاعته واذا اراد بعبد شرا اغراه بالدنيا وانساه الآخرة وبسط له امله و
عاقه عما فيه صلاحه وقد وصلنى كتابك فوجدتك ترمى غير غرضك وتنشد غير ضالتك وتخبط فى عماية وتتيه
فى ضلالة وتعتصم بغير حجة وتلوذ باضعف شبهة فاما سؤالك الى المتاركة والاقرار لك على الشام فلو كنت فاعلا
لذلك اليوم لفعلته امس واما قولك ان عمر ولاكها فقد عزل عمر من كان ولاه صاحبه وعزل عثمان من كان ولاه
ولم ينصب للناس امام الا ليرى من صلاح الامة ما قد كان ظهر لمن كان قبله او خفى عنهم عيبه والامر يحدث بعده
الامر ولكل وال راى واجتهاد ثم يتصل بقوله فسبحان الله الفصل الى آخره والفصل يشتمل على امرين احدهما التعجب من
شدة لزومه للاهواء التى يبتدعها او تحيره فيها عن قصد الحق وذلك انه كان فى كل وقت يوقع شبهة ويبتدع رايا
يغوى به اصحابه ويقرر فى اذهانهم بذلك ان عليا عليه السلام لا يصلح للامامة فتارة يقول انه قتل عثمان وتارة يقول
انه خذله وتارة انه قتل الصحابة وفرق كلمة الجماعة وتارة يصرف عنه بالعطاء ويفرق مال المسلمين على غير الوجه
الشرعى وتارة يعترف بكونه اهلا للامامة ويطلب اليه الاقرار على الشام الى غير ذلك مما يبتدعه فى الدين من
الاباطيل ويتبع الحيرة فيها مع تضييع لحقايق الامور التى ينبغى ان يعتقدها من كونه عليه السلام الاحق بهذا الامر
واطراحه لوثايق الله وعهوده المطلوبة المرضية له وهى على عباده حجة يوم القيمة كما قال تعالى واذ اخذ ربك الآية
الثانى جوابه عن خطابه فى امر عثمان وحكمه بنصرته وتبكيته بخذلانه اياه وقوله فانك الى آخره فى قوة صغرى ضمير
بيانها ان معوية لما استصرخه عثمان تثاقل عنه وهو فى ذلك يعده حتى اذا اشتد به الحصار بعث اليه يزيد بن اسد

القسرى وقال له اذا اتيت ذا خشب فاقم بها ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغايب فانى انا الشاهد وانت
الغايب قال فاقام بذى خشب حتى قتل عثمان فاستقدمه حينئذ معوية فعاد الى الشام بالجيش الذى كان معه وكان
ذلك لانه انما بعث لنصرته انما كان على سبيل التعذير والتقاعد عنه ليقتل فيدعو هو الى نفسه فكان النصر فى
الحقيقة لمعوية اذ كان فعله ذلك سببا لقتله واختياره وهو على مطلوبه من هذا الامر وكان خذلانه له حيث كان
محتاجا الى النصر وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فليس له ان يحتج بنصرته ويجب عليه الخجل منه وبالله التوفيق
ومن كتاب له عليه السلام الى اهل مصر لما ولى عليهم الاشتر رحمه الله من عبد الله امير المؤمنين الى القوم الذين
غضبوا لله تعالى حين عصى فى ارضه وذهب بحقه فضرب الجور سرادقه على البر والفاجر والمقيم والظاعن فلا معروف
يستراح اليه ولا منكر يتناهى عنه اما بعد فقد بعثت اليكم عبدا من عباد الله لا ينام ايام الخوف ولا ينكل عن الاعداء
ساعات الروع اشد على الكفار من حريق النار وهو مالك بن الحارث اخو مذحج فاسمعوا له واطيعوا امره فيما
طابق الحق فانه سيف من سيوف الله لا كليل الظبة ولا نابى الضريبة فان امركم ان تنفروا فانفروا وان
امركم ان تقيموا فاقيموا فانه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم الا عن امرى وقد آثرتكم به على نفسى لنصيحته
لكم وشدة شكيمته على عدوكم اقول السرادق البيت من القطن والنكول الرجوع والظبة بالتخفيف حد
السيف ونبا السيف اذا لم يقطع والاحجام التاخر وفلان شديد الشكيمة اذا كان ابيا قوى النفس و
اصل الشكيمة الحديدة المعترضة فى فم الفرس وفى الكتاب مقاصد الاول قوله من عبد الله الى قوله يتناهى عنه
صورة عنوانه ووصف اهل مصر بالغضب لله استجلابا لطباعهم واشارة الى انكارهم للاحداث التى نسبت الى
عثمان ومسيرهم لذلك الى المدينة غضبا لحدود الله ان تعطل فان قلت فيلزم ان يكون عليه السلام راضيا
بقتل عثمان او مادحا قاتله على المسير بقتله قلت لا يلزم ذلك لجواز ان يكون مسيرهم انما كان للتنكير عليه
دون عرض قتله فمدحهم على ذلك التنكير لانه حسن واما قاتلوه فالذين تسوروا عليه الدار وكانوا قوما
قليلين ولعله لم يكن فيهم من اهل مصر الا الشاذ وليس فى كلامه عليه السلام ما يقتضى مدح اولئك
باعتبار كونهم قتلوه واستعار لفظ السرادق من الجور البر والفاجر والمقيم والمسافر كالسرادق الحاوى لاهله
وقابل بين المعروف والمنكر ولم يرد نفى المنكر بل نفى صفة التناهى عنه الثانى قوله اما بعد الى قوله اخو
مذحج صدر الكتاب اعلمهم فيه ببعث الاشتر اليهم ووصفه باوصاف تستلزم رغبتهم فيه وكنى بكونه لا ينام ايام
الخوف عن علو همته وتعلقها بتدبير الحرب والاستعداد للقاء العدو وبكونه لا ينكل عن الاعداء
عن شجاعته وشدة باسه واكد ذلك بوصف كونه اشد على الفجار من حريق النار وهو وصف صادق مع المبالغة
فيه اذ كان لقاؤه للفجار يستلزم غلبة ظنونهم بالهلاك معه وعدم السلامة ولا كذلك وجود الحريق لطمعهم
فى الفرار من النار واطفائها ثم ذكره تعديدا واصفا الحسنة وهو ابلغ لان الغرض الاهم وصفه لا ذكره
فقط ومذحج بفتح الميم كمسجد ابو قبيلة من اليمن وهو مذحج بن حابر بن مالك بن نهلان بن سبا والنخع قبيلة

من هذه القبيلة والاشتر تحقق الثالث امرهم بالمقصود وهو السمع له والطاعة لامره لا مطلقا بل فيما يطابق
الحق ويوافقه من الاوامر واشار الى حسن امتثال امره بصيغة صغراه قوله فانه سيف الى قوله الضريبة واستعار له
لفظ السيف باعتبار كونه يصال به على العدو فيهلكه كالسيف ورشح بذكر الظبة وكنى بكونه غير كليلها وغير نابى
الضريبة عن كونه ماضيا في الحوادث غير واقف فيها ولا راجع عنها والاضافة الى الضريبة لاضافة اسم الفاعل
الى المفعول اى ولا ناب عن الضريبة وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فيجب ان يقدم ويمتثل امره فيما يشير
من الحرب وغيرها الرابع امرهم ان يكون نفارهم الى الحرب واحجامهم عنها على وفق امره ونبه على ذلك بصيغة صغراه
قوله فانه الى قوله امرى وكنى بذلك عن كونه لا يامر في الحرب وغيرها بامر الا وهو في موضعه لان اوامره عليه السلام
كانت كذلك ثم كان على وفقها فاوامره ايضا كذلك ولم يرد عليه السلام ان كل ما يامر به مالك في الامور
الكلية والجزئية فانه من امره عليه السلام بالتعيين والتفصيل بل اراد انه قد علمه بقواعد كلية للسياسات
وتدابير المدن والحروب واعده لذلك بحيث يجتهد فيها ويستخرج جزئياتها الخامس اعلمهم انه قد اثرهم به على
نفسه مع حاجته اليه في الراى والتدبير في معرض الامتنان عليهم بذلك ليشكروه واشار الى علة ايثاره لهم
وهى كونه ناصحا لهم قوى النفس شديد الوطاة على عدوهم وكنى بشدة الشكيمة عن ذلك فاما مصلحته عليه
السلام في ذلك الايثار فهو استغناؤه الامر باصلاح حالهم وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام**
الى عمرو بن العاص فانك قد جعلت دينك تبعا لدنيا امرئ ظاهر غيه مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم
بخلطته فاتبعت اثره وطلبت فضله اتباع الكلب للضرغام يلوذ الى مخالبه وينتظر ما يلقى اليه من فضل فريسته
فاذهبت دنياك وآخرتك ولو بالحق اخذت ادركت ما طلبت فان يمكن الله منك ومن ابن ابى سفيان اجزكما بما
قدمتما وان تعجزا وتبقيا فما امامكما شر لكما **اقول** قد ذكر هذا الكتاب برواية تزيد على هذه واوله من عبد
الله على امير المؤمنين الى الابتر ابن الابتر عمرو بن العاص شانئ محمد وآل محمد في الجاهلية والاسلام سلام على
من اتبع الهدى اما بعد فانك تركت مروتك لامرئ فاسق مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه
الحليم بخلطته فصار قلبك لقلبه تبعا كما وافق شن طبقه فسلبك دينك وامانتك ودنياك وآخرتك
وكان علم الله بالغا فيك فصرت كالذئب يتبع الضرغام اذا ما الليل دجى [illegible] وكيف تنجو من القدر
ولو بالحق طلبت ادركت ما رجوت وقد يرشد من كان الحق قائده فان يمكن الله منك ومن ابن آكلة الاكباد
الحقتكما بمن قتله الله من ظلمة قريش على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وان تعجزا او تبقيا بعدى فالله حسبكما
وكفى بانتقامه انتقاما وبعقابه عقابا ومدار الكتاب على توبيخ عمرو بمتابعته لمعوية في باطله وتسفيه
ما هو عليه ووعيدهما على ذلك ومعنى جعل دينه تبعا لدنيا معوية انه يصرفه في مرضاته تبعا لتصور
حصوله عليه من دنياه كما اشرنا اليه قبل من بيعه دينه في المظاهرة على حربه عليه السلام بطعمة مصر ثم ذم معوية
باوصاف اربعة لغاية التنفير عنه احدها كونه ظاهرا غيه وضلال معوية عن طريق الله اوضح من ان يوضح الثانى

كونه مهتوكا ستره ومن المشهور عنه انه كان ملكا لستر دين الله عنه فانه كان كثير الخلاعة والهزل صاحب
مجلس لهو ومتاع وشرب وسماع وقد كان يستتر بذلك في زمان عمر خوفا منه الا انه كان يلبس الحرير والديباج
ويشرب في آنية الذهب والفضة فاما في ايام عثمان فكان شديد التهتك واما قارب الوفاء [illegible] على
عليه السلام بحاجته الى استغواء الناس بظاهر الدين الثالث يشين الكريم بمجلسه وذلك ان الكريم هو الذى
يضبط نفسه وينزهها عما يشين العرض من الرذائل وقد كان مجلس معوية مشحونا ببنى امية ورذائلهم ومجالسة
الكريم لهم يستلزم نسبته اليهم وكاقرانهم وذلك شين لعرضه ومقبح لذكره الرابع كونه يسفه الحليم بخلطته
وذلك انه كان دابه هو وبنى امية شتم بنى هاشم وقذفهم والتعرض بذكر الاسلام والطعن عليه ان اظهروا الا
اليه وذلك مما يستفز الحليم ويسفه رايه في الثبات عند مخالطتهم وسماعه منهم وكنى باتباعه لاثره عن متابعته
له فيما يفعله واشار بقوله وطلبت فضله الى غرض اتباعه وشبه اتباعه له باتباع الكلب الاسد تحقيرا له وتشنيعا
ونبه على وجه الشبه بقوله يلوذ الى قوله فريسته واراد ان اتباعه له على وجه الذلة والحقارة ودناءة الهمة
للطمع فيما يعطيه من فضل ماله وانتظار ذلك منه كاتباع الكلب للاسد وفى مثل هذا التشبيه بالغ لعمرو في
التنفير لو كان له كرم ثم نبهه على لازم اتباعه له بقوله فاذهبت دنياك وآخرتك واراد بدنياه ما كان يعيش
به من الرزق والعطاء الحلال على وجه يلتذ به في طيب نفس وامن من الحروب التى لقيها بصفين والاهوال التى
باشرها في موافقته لمعوية وتلك هى الدنيا الهنية اذ الدنيا انما يراد للذة بها والاستمتاع وذلك مما لم يحصل
عليه عمرو واما ذهاب آخرته فظاهر وقوله ولو اخذت الى قوله طلبت تحبيب له الى لزوم الحق وترغيب فيه بذكر
لازمه وهو ادراك ما طلب من دنيا وآخرة وظاهر انه لو لزم الحق لوصلت اليه دنيا كاملة وآخرة بالمعالى كاملة وقوله
قوله فان يمكن الله الى آخره وعيد بعذاب واقع على تقدير كل واحد من النقيضين وذلك العذاب اما بواسطته
في الدنيا بتقدير تمكين الله منهما وهو الجزاء لهما بما قدماه من معصية الله ولما من الله في الآخرة على تقدير ان
يعجزاه ويبقيا بعده وهو عذاب النار ونبه عليه بقوله فما امامكما شر لكما لقوله تعالى ولعذاب الآخرة اشد
وابقى واستعار لفظ الامام للآخرة باعتبار استقبال النفوس لها وتوجهها نحوها وبالله التوفيق **ومن
كتاب له عليه السلام** الى بعض عماله اما بعد فانى كنت اشركتك في امانتى وجعلتك شعارى وبطانتى ولم يكن
في اهلى رجل اوثق منك في نفسى لمواساتى وموازرتى واداء الامانة الى فلما رايت الزمان على ابن عمك
قد كلب والعدو قد حرب وامانة الناس قد خزيت وهذه الامة قد فنكت وشغرت قلبت لابن عمك ظهر
المجن ففارقته مع المفارقين وخذلته مع الخاذلين وخنته مع الخائنين فلا ابن عمك آسيت ولا الامانة
اديت وكانك لم تكن الله تريد بجهادك وكانك لم تكن على بينة من ربك وكانك انما كنت تكيد هذه
الامة عن دنياهم وتنوى غرتهم عن فيئهم فلما امكنتك الشدة في خيانة الامة اسرعت الكرة وعاجلت الوثبة
واختطفت ما قدرت عليه من اموالهم المصونة لاراملهم وايتامهم اختطاف الذئب الازل دامية المعزى الكسيرة

فحملته الى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متاثم من اخذه كانك لا ابا لغيرك حدرت الى اهلك تراثك من ابيك وامك
فسبحان الله اما تؤمن بالمعاد او ما تخاف من نقاش الحساب ايها المعدود كان عندنا من ذوى الالباب كيف
تسيغ شرابا وانت تعلم انك تاكل حراما وتشرب حراما وتبتاع الاماء وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين والمؤمنين
والمجاهدين الذين افاء الله عليهم هذه الاموال واحرز بهم هذه البلاد فاتق الله واردد الى هؤلاء القوم اموالهم
فانك ان لم تفعل ثم امكننى الله منك لاعذرن الى الله فيك ولاضربنك بسيفى الذى ما ضربت به احدا الا دخل
النار والله لو ان الحسن والحسين فعلا مثل الذى فعلت ما كانت لهما عندى هوادة ولا ظفرا منى بارادة حتى
آخذ الحق منهما وازيح الباطل عن مظلمتهما واقسم بالله رب العالمين ما يسرنى ان ما اخذته من اموالهم حلال لى
اتركه ميراثا لمن بعدى فضح رويدا فكانك قد بلغت المدى ودفنت تحت الثرى وعرضت عليك اعمالك بالمحل
الذى ينادى الظالم فيه بالحسرة ويتمنى المضيع الرجعة ولات حين مناص **اقول** المشهور ان هذا الكتاب الى عبد الله
ابن عباس حين كان واليا له على البصرة والفاظ الكتاب تنبه على ذلك كقوله قلبت لابن عمك ظهر المجن وقوله
فلا ابن عمك آسيت وكذلك ما روى ان ابن عباس كتب اليه جوابا عن هذا الكتاب اما بعد فقد اتانى كتابك تعظم
فيه ما اصبت من بيت مال البصرة ولعمرى ان حقى في بيت المال لاكثر مما اخذت والسلام فكتب عليه السلام جواب
ذلك اما بعد فان من العجب ان تزين لك نفسك ان لك في بيت المال من الحق اكثر مما لرجل من المسلمين فقد افلحت
ان كان تمنيك الباطل وادعاؤك ما لا يكون ينجيك من المآثم ويحل لك المحارم لانت المهتدى السعيد اذن وقد بلغنى
انك اتخذت مكة وطنا وضربت بها عطنا تشترى بها مولدات مكة والمدينة والطائف تختارهن على عينك وتعطى
فيهن مال غيرك فارجع هداك الله الى رشدك وتب الى الله ربك واخرج الى المسلمين من اموالهم فعما قليل تفارق
من الفت وتترك ما جمعت وتغيب في صدع من الارض غير موسد ولا ممهد قد فارقت الاحباب وسكنت التراب وواجهت الحساب
غنيا عما خلفت فقيرا الى ما قدمت والسلام وانكر قوم ذلك وقالوا ان عبد الله بن عباس لم يفارق عليا عليه السلام
قط ولا يجوز ان يقول في حقه ما قال وقال القطب الراوندى رحمه الله يكون المكتوب اليه هو عبيد الله بن عباس
لا عبد الله قال وحمله على ذلك اشبه وهو به اليق واعلم ان هذين القولين لا مستند لهما اما الاول فهو مجرد استبعاد
ان يفعل ابن عباس ما نسب اليه ومعلوم ان ابن عباس لم يكن معصوما وعلى عليه السلام لم يكن ليراقب في الحق احدا
ولو كان اعز اولاده كما تمثل بالحسن والحسين عليهما السلام في ذلك فكيف بابن عمه بل يجب ان يكون الغلظة على
الاقرباء في هذا الامر اشد ثم ان غلظته عليه وعتابه له لا يوجب مفارقته اياه لانه عليه السلام كان اذا فعل احد
من اصحابه ما يستحق به المؤاخذة اخذه به سواء كان عزيزا او ذليلا قريبا منه او بعيدا فاذا استوفى حق الله منه او تاب
اليه فما فعل عاد في حقه الى ما كان عليه كما قال العزيز عندى ذليل حتى آخذ الحق منه والذليل عندى عزيز حتى آخذ
الحق له فلا يلزم اذن من غلظته على ابن عباس مقابلته اياه بما يكره مفارقته له وشقاقه على ما بينهما من المحبة
الوكيدة والقرابة واما القول الثانى فان عبيد الله كان عاملا له عليه السلام باليمن ولم ينقل عنه مثل ذلك

ولنرجع الى المتن فنقول الشعار ما يلى الجسد من الثياب وبطانة الرجل خاصته وكلب الزمان اشتد وحرب
العدو اشتد غضبه والفتك القتل على غرة وشغرت تفرقت والمجن الترس والازل الخفيف الوركين و[illegible]
المصاحرة والمطاعنة وضح رويدا كلمة يقال لمن يؤمر بالتؤدة واصله الرجل يطعم ابله ضحى ويسيرها مسرعا الى الماء فلا
يشبعها فيقال له ضح رويدا والمناص المهرب والخلاص والموضع الهرب والتخلص وفى الكتاب مقاصد الاول انه ذكر ما
اليه في معرض الامتنان عليه من وجوه الاول اشراكه اياه في امانته التى ائتمنه الله عليها وهى ولاية امر الرعية والقيام
باصلاح امورهم في معاشهم ومعادهم الثانى جعله من خاصته وملازميه واستعار له بذلك الاعتبار لفظ الشعار
لمباشرته وملازمته للجسد الثالث كونه اوثق اهله في نفسه واديانهم له لمواساته وموازرته واداء الامانة اليه
المقصود الثانى انه بعد تذكيره باحسانه اليه ذكر مقابلته لذلك بالاساءة اليه من مفارقته اياه وخذلانه وخيانته
لما تحت يده من الامانة وصدر ونبه شدة الزمان عليه وقيام العدو في وجهه وتفرق كلمة الامة عن الحق ليبين
انه قابل احسانه اليه بالكفران ليحسن ذمه على ذلك وتوبيخه وتعنيفه وتوبيخه واراد مفارقته له في الطريقة ولزوم
حد الامانة وقوله قلبت لابن عمك ظهر المجن يضرب مثلا لمن يكون مع اخيه فيتغير عليه ويصير خصما له واصله ان
الرجل اذا كان سلما لاخيه يكون بطن ترسه اليه فاذا فارقه وصار حربا له قلب له ظهر ترسه ليدفع به عن نفسه
ما يلقاه من شره فجعل ذلك كناية عن العداوة بعد الصداقة وضربه مثلا لمن فعل ذلك الثالث اخذه في
تعنيفه وتوبيخه وحكاية حاله في خيانته في معرض التوبيخ فذلك قوله فلا ابن عمك الى قوله هذه البلاد وشبهه
بمن لم يرد الله بجهاده بل الدنيا وبمن لم يكن على بينة من ربه بل هو جاهل به وبوعده ووعيده ووجه الشبه
لطالبى غير الله والجاهلين به في طلب غيره والاعراض عنه وكذلك شبهه بمن لم يكن له غرض من عبادته الا خدع
المسلمين عن دنياهم واشار الى وجه الشبه فلما امكنتك الشدة الى قوله الكسيرة اى فكما ان غرض الذى يكيد غيره
عن شئ ان يترصد الفرصة في اخذه وينتهزها اذا وجدها فكذلك انت اسرعت بالوثوب على الخيانة وشبه
اختطافه لما اخذه من المال باختطاف الذئب الازل دامية المعزى الكسيرة ووجه الشبه سرعة الاخذ له وخص
في ذلك الذئب الازل لان خفة الوركين تعين على سرعة الوثبة والاختطاف ودامية المعزى الكسيرة
لانها امكن للاختطاف لعدم الممانعة ثم اخذ في معرض التوبيخ انه حمله الى وطنه بمكة وكنى بكونه رحيب الصدر
اما عن سروره وفرحه او عن كثرة ما حمل منه لان من العادة اذا اراد الانسان حمل شئ في صدره وباعه وحوى
منه ما امكنه حمله ونصب رحيب غير على الحال واضافة رحيب بتقدير الانفصال ثم شبهه في معرض التوبيخ
والتقريع في حمله بمن حمل تراثه الى اهله من والديه واستفهم على سبيل التعجب من حاله والانكار عليه عن امرين
احدهما عن ايمانه بالمعاد وخوفه من مناقشة الله في الحساب تذكيرا له وتنبيها على انه كان معدودا في نظره من
ذوى العقول وادخله في حيز كان شبيها له على انه لم يبق عنده كذلك الثانى عن كيفية اساغته للشراب والطعام
مع علمه ان ما ياكله ويشربه وينكح به من هذا المال حرام لكونه مال المسلمين اليتامى منهم والمساكين افاءه الله

عليهم ليجزيه بعباده وبلاده استفهام انكار وتقريع بذكر معصية الله المقصود الرابع امره بعد التوبيخ الطويل بتقوى
الله ورد اموال المسلمين عليهم وتوعده ان لم يفعل ثم امكن الله منه ان يعذر الى الله فيه اى يبلغ اليه بالعقوبة ومثل
وذكر الضرب بالسيف الموصوف بالصفة المذكورة اغلظ فى الوعيد وابلغ فى الزجر المقصود الخامس اقسم ان ولديه على
قربهما منه وكرامتهما عليه لو فعلا كفعله من الخيانة لم يراعهما فى ذلك حتى ياخذ الحق منهما ويزيح الباطل عن ظلمهما
اى محل ظلمهما من مال او غيره ومراده ان يخبره بطريق الاولى فى عدم المراقبة له ثم اقسم القسم البار انه ما يسره ان
يكون ما اخذه ابن عباس من اموال المسلمين حلالا له ليخلفه ميراثا لمن بعده لما علمت ان جمع المال وادخاره سبب
للعذاب الاخروى كما قال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الاية وغرض الاول كالعذر له فى شدة انكاره عليه
والثانى تحقير ما اخذه وبيان انه لو كان اخذه على وجه حلال فلا يصلح للقنية فكيف به وهو حرام وذلك ليتركه
ويرجع عنه الى اهله السادس امره بالامهال على سبيل التهديد بقرب الوصول الى الغاية التى هى الموت والدفن
وعرض اعماله عليه بالمحل الذى ينادى فيه الظالم بالحسرة ويتمنى فيه مضيعو امر الله والعمل الصالح الرجعة الى الدنيا
حين لا تخلص لهم مما هم فيه وذلك المحل هو عرصة القيمة وذكر النداء بالحسرة حين لا رجعة ليؤكد التخويف والتهديد
بتعداد الامور المنفرة واما قوله ولات حين مناص شبهوا لات بليس واضمروا فيها اسم الفاعل ولا يستعمل لات
الا مع حين وقد جاءت حين مرفوعة بانها اسم لات وقيل ان التاء زائدة كهى فى ثمت وربت وقد مر ذلك من قبل
ومن كتاب له عليه السلام الى عمر بن ابى سلمة المخزومى وكان عامله على البحرين فعزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقى
مكانه اما بعد فانى قد وليت النعمان بن عجلان الزرقى على البحرين ونزعت يدك بلا ذم لك ولا تثريب عليك فلقد
احسنت الولاية وأديت الامانة فاقبل غير ظنين ولا ملوم ولا متهم ولا ماثوم فقد اردت المسير الى ظلمة اهل
الشام واحببت ان تشهد معى فانك ممن استظهر به على جهاد العدو واقامة عمود الدين ان شاء الله **اقول** عمر هذا
هو ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وامه ام سلمة وابوه ابو سلمة بن عبد الاسد بن هلال بن عمر بن مخزوم واما النعمان
بن عجلان فمن سادات الانصار من بنى زريق والتثريب التعنيف واستقصاء اللوم والظنين المتهم واستظهر
به اتخذه ظهيرا ومدار الكتاب على اعلام عمر بن ابى سلمة بانفاذ النعمان عوضا منه ثم اعلامه بان ذلك لم يكن
عن ذنب صدر منه يستحق به الذم والعزل وانه شاكر له بكونه احسن ولاية وادى امانة ثم اعلامه بغرضه من عزله
واستدعائه وهو الاستظهار به على عدوه كل ذلك ليطيب قلبه ويفارق الولاية عن طيب نفس وينبهه على وجه
رغبته فى حضوره معه بقوله فانك الى اخره وهو فى قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من استظهر به على العدو واقامة
عمود الدين فاولى ان ارغب فى حضوره وان تشهد معى ولفظ العمود مستعار للاصول التى يحفظها ويقيمها
يقوم كالعمود للبيت وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى مصقلة بن هبيرة الشيبانى وهو عامله
على اردشير خره بلغنى عنك امر ان كنت فعلته فقد اسخطت الهك واغضبت امامك انك تقسم فى المسلمين
الذين حازته رماحهم وخيولهم واريقت عليه دماؤهم فيمن اعتامك من اعراب قومك فوالذى فلق الحبة وبرء

لئن كان ذلك حقا لتجدن بك على هوانا ولتخفن عندى ميزانا فلا تستهن بحق ربك ولا تصلح دنياك بمحق دينك
فتكون من الاخسرين اعمالا الا وان حق من قبلك وقبلنا من المسلمين فى قسمة هذا الفىء سواء يردون عندى
عليه ويصدرون عنه والسلام **اقول** اعتامك اختارك من بين الناس وقد اعلمه بما بلغه من الامر الصادر
عنه اجمالا ليتنبه له واشعر انه امر يكرهه بما لمح به وهو سخط الهه وغضب امامه وبته بقوله ان كنت فعلته
على عدم تحققه لذلك ثم بين له ذلك وهو عطاؤه مال المسلمين لمن اختاره من اعراب قومه ووصف ذلك
الفىء بكونه حيازة رماحهم وخيولهم وعليه اريقت دماؤهم ليتاكد فى النفوس ويتبين وجه استحقاقهم له وقبح
ذلك لياكد قبح قسمته فى غيرهم ثم اقسم قسمه المعتاد فى معرض الوعيد ان كان ذلك منه حقا ان يلحقه به هوان
وحقارة عنده ويخف وزنه فى اعتباره وكنى به عن صغر منزلته وميزانا نصب على التمييز ثم نهاه عن استهانة بحق
ربه وعن اصلاح دنياه بفساد دينه منبها على عظمة الله ووجوب المحافظة على طاعته ونبهه على ما يلزم من
ذلك من دخوله فى زمرة الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
ثم نبهه على قبح ما فعل من تخصيص قومه بذلك المال بقوله الا وان الى قوله سواء وهو فى قوة صغرى ضمير و
قوله يردون اليه ويصدرون عنه تاكيد لتساويهم فى الاستحقاق وانهم كالشريعة المشتركة وتقدير كبراه
وكل حق سواء بين المسلمين فلا يجوز تخصيص بعضهم به وقد ذكرنا حال مصقلة من قبل وبالله التوفيق
ومن كتاب له ع الى زياد بن ابيه وقد بلغه ان معوية كتب اليه يريد خديعته باستلحاقه وقد عرفت
ان معوية كتب اليك يستزل لبك ويستفل غربك فاحذره فانما هو الشيطان ياتى المرء من بين يديه ومن خلفه
وعن يمينه وعن شماله ليقتحم غفلته ويستلب غرته وقد كان من ابى سفين فى زمن عمر بن الخطاب فلتة من
حديث النفس ونزغة من نزغات الشيطان لا يثبت بها نسب ولا يستحق بها ارث والمتعلق بها كالواغل
المدفع والنوط المذبذب قال السيد فلما قرا زياد الكتاب قال شهد بها ورب الكعبة ولم تزل فى نفسه حتى
ادعاه معوية قوله عليه السلام كالواغل المدفع الواغل هو الذى يهجم على الشرب ليشرب معهم وليس منهم فلا
يزال مدفعا محاجزا والنوط المذبذب هو ما يناط برحل الراكب من قعب او قدح وما اشبه ذلك فهو
ابدا يتقلقل اذا حث ظهره واستعجل سيره **اقول** زياد هذا هو دعى ابى سفين ويقال زياد بن عبيد فمن الناس
من يقول عبيد بن فلان الثقفى والاكثرون على ان عبيدا كان عبدا وانه بقى الى ايام زياد فابتاعه واعتقه واما ادعاء
ابى سفيان له فروى انه تكلم يوما بحضرة عمر فاعجب الحاضرين كلامه فقال عمرو بن العاص لله لو كان ابوه قرشيا
لساق العرب بعصاه فقال ابو سفيان اما والله انه لقرشى ولو عرفته لعرفت انه من خير اهلك فقال ومن ابوه فقال
انا والله وضعته فى رحم امه فقال فهلا تستلحقه قال اخاف هذا العير الجالس ان يخرق على اهابى يعنى عمر
ولما ولى على عليه السلام الخلافة ولى زيادا فارس فضبطها ضبطا صالحا وحماها فكتب اليه معوية يخدعه باستلحاقه
لاخاه من امير المؤمنين معوية بن ابى سفيان اما بعد فان المرء ربما طرحه الهوى فى مطارح العطب لك الم

المضروب به المثل قاطع الرحم وواصل العدو وحملك سوء ظنك بى وبغضك لى على ان عققت قرابتى وقطعت رحمى
وبت نسبى وحرمتى كانك لست اخى وليس صخر بن حرب اباك وابى وشتان بينى وبينك اطلب بدم ابن ابى العاص وانت
تقاتلنى ولكن ادركك عرق الرخاوة من قبل النساء فكنت كتاركة بيضها بالعراء وملحفة بيض اخرى جناحا وقد
رايت ان اعطف عليك ولا اواخذك بسوء سعيك وان اصل رحمك وابتغى الثواب فى امرك واعلم ابا المغيرة انك لو خضت
البحر فى طاعة القوم فتضرب بالسيف حتى ينقطع متنه لما ازددت منهم الا بعدا فان بنى عبد شمس ابغض الى بنى هاشم
من الشفرة الى الثور الصريع وقد اوثق للذبح فارجع رحمك الله الى اصلك واتصل بقومك ولا تكن كالموصول
يطير بريش غيره فقد اصبحت ضال النسب ولعمرى ما فعل ذلك بك الا اللجاج فدعه عنك فقد اصبحت على بينة
من امرك ووضوح من حجتك فان احببت جانبى ووثقت بى فامرة بامرة وان كرهت جانبى ولم تثق بقولى ففعل
جميل لا على ولا لى والسلام وحمل الكتاب مع المغيرة بن شعبة اليه وكان ذلك سبب فساده على الحسن بعد على
عليهما السلام وانضمامه الى معوية ولما بلغ عليا عليه السلام ذلك كتب اليه اما بعد فانى وليتك ما وليتك
وانا اراك لذلك اهلا وقد عرفت ان معوية الى اخر الكتاب ولنرجع الى المتن فنقول غرب السيف حده والاستفلال
طلب الفل وهو ثلم الحد ومدار الكتاب على اعلامه بما علمه من كتاب معوية اليه ثم تنبيهه على مقصوده من ذلك الكتاب
وهو ان يستزل عقله ويستغفله عما هو عليه من الراى الصحيح فى نصرة الحق وولاية له عليه السلام ويكسر حدته
فى ذلك وان الاستعارة لفظ الغرب لعقله ورايه ولفظ الاستفلال لطلب صرفه عن ذلك الراى الصالح ملاحظة
لشبهه بالسيف ثم حذره عنه بقوله فانما هو الشيطان اعتبارا بوسوسته وصده عن الحق على وجه التشبيه بقوله ياتى
الانسان من كل جهة كما ياتى الشيطان وخص الجهات الاربع لانها الجهات التى يعتاد الاتيان منها وقال بعض
المفسرين من بين ايديهم يطمعهم فى العفو ويغريهم بالعصيان ومن خلفهم يذكرهم مخلفيهم ويحسن لهم جمع المال
وتركه لهم وعن ايمانهم يحسن لهم الرياسة والثناء وعن شمائلهم اللهو واللذات وعن شقيق قال ما من صباح
الا ويقعد لى الشيطان على اربعة مراصد من بين يدى فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فاقرا وانى لغفار لمن تاب
وامن وعمل صالحا ثم اهتدى واما من خلفى فيخوفنى الضيعة على من خلفى فاقرا وما من دابة فى الارض الا على الله
رزقها واما من قبل يمينى فياتينى من جهة الثناء فاقرا والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالى فياتينى من قبل الشهوات
فاقرا وحيل بينهم وبين ما يشتهون ثم نبهه على وجه فساد حيلة معوية وذلك ان معوية انما اراد استغفاله باستلحاقه
اياه اخا فنبهه عليه السلام على ان ذلك الاستلحاق انما تم بحجة استلحاق ابى سفين له ابنا ولم يصح ذلك الادعاء
واما كان قوله انا كذا وكذا فلتة من حديث النفس وفى نسخة من غير تثبت ولا روية واقرار بالزنا فى قوله انا وضعته
فى رحم امه وذلك نزغة من نزغات الشيطان القاها على لسانه فلا يثبت بها نسب ولا يستحق بها ارث لقوله صلى
الله عليه وآله الولد للفراش وللعاهر الحجر ثم شبه المتعلق فى نسبه بهذه الفلتة والنزغة بالواغل المدفع ووجه الشبه
كونه لا يزال مدفعا وبالنوط المذبذب ووجه الشبه اضطرابه وعدم لحوقه بنسب معين واستقراره كما يضطرب

النوط ولا يستقر وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى عثمان بن حنيف الانصارى وكان عامله على البصرة
وقد بلغه انه دعى الى وليمة قوم من اهلها فمضى اليها اما بعد يا ابن حنيف فقد بلغنى ان رجلا من فتية اهل البصرة
دعاك الى مادبة فاسرعت اليها تستطاب لك الالوان وتنقل اليك الجفان وما ظننت انك تجيب الى طعام قوم عائلهم
مجفو وغنيهم مدعو فانظر الى ما تقضمه من هذا المقضم فما اشتبه عليك علمه فالفظه وما ايقنت بطيب وجوهه
فنل منه الا وان لكل ماموم اماما يقتدى به ويستضىء بنور علمه الا وان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه
بقرصيه الا وانكم لا تقدرون على ذلك ولكن اعينونى بورع واجتهاد وعفة وسداد فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا
ولا ادخرت من غنائمها وفرا ولا اعددت لبالى ثوبى طمرا بلى كانت فى ايدينا فدك من كل ما اظلته السماء
فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس اخرين ونعم الحكم الله وما اصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها
فى غد جدث تنقطع فى ظلمته اثارها وتغيب اخبارها وحفرة لو زيد فى فسحتها واوسعت يدا حافرها لاضغطها الحجر
والمدر وسد فرجها التراب المتراكم وانما هى نفسى اروضها بالتقوى لتاتى امنة يوم الخوف الاكبر وتثبت على جوانب
المزلق ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ولكن هيهات
ان يغلبنى هواى ويقودنى جشعى الى تخير الاطعمة ولعل بالحجاز او اليمامة من لا طمع له فى القرص ولا عهد له بالشبع او ابيت
مبطانا وحولى بطون غرثى واكباد حرى او اكون كما قال القائل وحسبك داء ان تبيت ببطنة وحولك اكباد تحن
الى القد ااقنع من نفسى بان يقال امير المؤمنين ولا اشاركهم فى مكاره الدهر او اكون اسوة لهم فى جشوبة العيش فما
خلقت ليشغلنى اكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها او المرسلة شغلها تقممها تكترش من اعلافها وتلهو
عما يراد بها او اترك سدى او اهمل عابثا او اجر حبل الضلالة او اعتسف طريق المتاهة وكانى بقائلكم يقول اذا كان
هذا قوت ابن ابى طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الاقران ومنازلة الشجعان الا وان الشجرة البرية اصلب عودا
والروايع الخضرة ارق جلودا والنابتات العذية اقوى وقودا وابطا خمودا وانا من رسول الله صلى الله عليه وآله كالضوء
من الضوء والذراع من العضد والله لو تظاهرت العرب على قتالى لما وليت عنها ولو امكنت الفرص من رقابها لسارعت
اليها وساجهد فى ان اطهر الارض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد اليك
عنى يا دنيا فحبلك على غاربك قد انسللت من مخالبك وافلت من حبائلك واجتنبت الذهاب فى مداحضك
اين القوم الذين غررتهم بمداعبك اين الامم الذين فتنتهم بزخارفك ها هم رهائن القبور ومضامين اللحود والله لو
كنت شخصا مرئيا وقالبا حسيا لاقمت عليك حدود الله فى عباد غررتهم بالامانى وامم القيتهم فى المهاوى وملوك اسلمتهم
الى التلف واوردتهم موارد البلاء اذ لا ورد ولا صدر هيهات من وطئ دحضك زلق ومن ركب لججك غرق ومن ازور
عن حبالك وفق والسالم منك لا يبالى ان ضاق به مناخه والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه اعزبى عنى فوالله لا اذل لك
فتستذلينى ولا اسلس لك فتقودينى وايم الله يمينا استثنى فيها بمشية الله تعالى لاروضن نفسى رياضة تهش معها
الى القرص اذا قدرت عليه مطعوما وتقنع بالملح مادوما ولادعن مقلتى كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها

ايتلى السايمة من رعيها فتبرك وتشبع الربيضة من عشبها فتربض ويأكل علي من زاده فيهجع قرت اذن عينه اذا اقتدى بعد
السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسايمة المرعية طوبى لنفس ادت الى ربها فرضها وعركت بجنبها بؤسها وهجرت في
الليل غمضها حتى اذا غلب الكرى عليها افترشت ارضها وتوسدت كفها في معشر اسهر عيونهم خوف معادهم وتجافت عن
مضاجعهم جنوبهم وهمهمت بذكر ربهم شفاههم وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم **اقول** المادبة بالضم الطعام يدعى
اليه والعايل الفقير والقضم الاكل باذنى الفم وطمر الثوب الخلق والوفر المال الكثير والمغرة المرة وفدك اسم قرية
كانت لرسول الله ص والجدث القبر واضغطها ضيقها والفج الحنطة والقباح جمع نسيجة يعني منسوجة والجشع اشد
الحرص على الطعام والمبطان عظيم البطن لكثرة الاكل وغرثى جايعة والبطنة الكظة وهي الامتلاء من الطعام
والتقمم تتبع القمامة وهي الكناسة وتكترش تملأ كرشها والسدى المهمل والرابع الاشجار التي في مواضع نبتها
والعذية التي لا يسقيها الا المطر والمركوس المردود مقلوبا كالمنكوس والمداحض المزالق وازور انحرف جانبا
واغربي ابعدي يقال اغرب الرجل بالفتح اذا ابعد وسلس الرجل يسلس بكسر اللام في المستقبل سهل قياده والرياضة
التأديب والتعويد والربيضة الجماعة الرابضة من الغنم وتجافت اي نبت وارتفعت والهمهمة الصوت الخفي وفي الكتاب
مقاصد الاول اشار الى ما يريد عتابه عليه وهو اجابته الى المادبة مسرعا يستطاب له الالوان وتنقل اليه الجفان
واعلمه انه بلغه ذلك مغريا له بحسن توبيخه عليه ذلك في قوله اما بعد الى قوله الجفان الثاني اشار على وجه المعاتبة
الى تخطئته في ذلك بقوله وما ظننت انك تجيب الى كذا اي كان ظني فيك من الورع انك تنزه نفسك عن الاجابة
الى طعام قوم لا يلتفتون الى فقرائهم ويقصرون الدعوة والكرامة على اغنيائهم وامرائهم ووجه الخطاء في اجابة
داعي هؤلاء ان تخصيصهم الاغنياء دون الفقراء بالكرامة والدعوة دليل واضح على انهم انما يريدون بذلك الذكر
والسمعة والرياء دون وجه الله تعالى ومن كان كذلك فاجابته موافقة له على ذلك ورضى بفعله وذلك خطاء كبير
خصوصا من امراء الدين المتمكنين من انكار المنكرات الثالث امره ان يحترز فيما يقضمه ان يقع فيه من ذلك النظر
الى ما يقضمه من الطعام فما وجد فيه شبهة حرام ولم يتحقق حاله فليتركه وما تيقن حله وطيب جهاته فليأكل اي
عن الشبهة فيما لم يعلم وكنى عنه بالمقضم تحقيرا له وتقليلا او ينبههم منه بحسب التأديب الاول ان التنزه عن هذا الباب
افضل له من تناوله الرابع نبهه بعد ذلك بقوله الا وان الى قوله على ان له اماما يجب ان يقتدى به وهو تمثيل
في قوة قياس كامل حذفت صغراه فاصل التمثيل مطلق الامام والماموم وعلته كونهما اماما وماموما وفرعه هو
عليه السلام وعامله وحكمه وجوب الاقتداء وتقدير القياس انك ماموم لامام وكل ماموم لامام فيجب عليه ان
يقتدى بامامه ينتج انه يجب عليك ان تقتدي بامامك وتستضئ بنور علمه الخامس اردف ذلك بالتنبيه على ما
يجب ان تقتدي به فيه من حاله في دنياه وهو اكتفاؤه من ملبوسها بما يستر بدنه من طمريه ومن مطعومها بما يسد
فورة جوعه من قرصيه غير ملتفت فيما لبسه الى زينة فان طمريه كانا صفيقي عامة ومن بقيته قد استحيا من راقعها
ولا مكترث فيما طعمه بلذة وطيب فان قرصيه كانا من شعير غير منخول واحد بالغداة وواحد بالعشي السادس

بنزاهة

نبه اصحابه على ان رياضته تلك لا يستطاع لهم فانها قوة مشروطة باستعداد لو يصلوا اليه ثم امرهم اذ كانت الحال
كذلك ان يقصروا في معونته على انفسهم ورياضتها بالورع واراد هاهنا الكف عن المحارم ثم بالاجتهاد في الطاعة
ويحتمل ان يريد بالورع لزوم الاعمال الجميلة ثم الاجتهاد فيها السابع نبه بالقسم البار على زهده تعريضا ببعض
الاذهان الفاسدة في حقه عليه السلام ان زهده في الدنيا مشوب برياء وسمعة وان وراءه محبتها وجمعها وادخارها
خصوصا وهو امام الوقت وخليفة الارض فعدد انواع ما افاء الله على المسلمين منها ثم اقسم انه لو يأخذ منه الا
قوته وشبهه في القلة والحقارة بقوت الاتان الدبرة وخصها الان ضعفها بالدبر وشغلها بالمه يقلل قوتها
ثم بالغ في وصف حقارة دنياهم عنده فاجراها في نظره واعتباره اهون من عفصة مرة وظاهر ان من كان كذلك
كيف يتصور محبته للدنيا وعلله الثامن انه لما قال فيما اقسم عليه من الغنى ولا حزت من ارضها شبرا استثنى
من ذلك فدك بقوله بلى قد كانت لنا فدك من كل ما اظلته السماء وذكرها في معرض حكاية حاله وحال القوم
معه على سبيل التشكي والتظلم من اخذها منهم الى الله سبحانه ولتسليم الامر له والرضا بكونه حكما واعلم ان
فدك كانت خاصة لرسول الله صلى الله عليه وآله وذلك انه لما فرغ من امر خيبر قذف الله في قلوب اهل فدك الرعب
فبعثوا اليه صلى الله عليه وآله فصالحوه على النصف فقبل ذلك منهم فكانت له خاصة اذ لم يوجف عليها بخيل
ولا ركاب وروى انه صالحهم على كلها ثم المشهور بين الشيعة والمتفق عليه عندهم ان رسول الله صلى الله عليه و
آله اعطاها فاطمة عليها السلام ورووا ذلك من طرق مختلفة منها عن ابي سعيد الخدري قال لما نزلت وآت
ذا القربى حقه اعطى رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فدك فلما تولى ابوبكر الخلافة عزم على
اخذها منها فارسلت اليه تطالبه بميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله وتقول انه اعطاني في حياته واستشهدت
على ذلك عليا عليه السلام وام ايمن فشهدا لها بها فاجابها عن الميراث بخبر رواه هو نحن معاشر الانبياء
لا نورث فما تركناه فهو صدقة وعن دعوى فدك انها لم تكن للنبي صلى الله عليه وآله وانما كانت مالا للمسلمين
في يده يحمل به الرجال وينفقه في سبيل الله وانا اليه كما كان رسول الله فلما بلغها ذلك لاثت خمارها واقبلت
في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ في ذيولها حتى دخلت عليه وهو في حشد من المهاجرين والانصار فضربت
بينها وبينهم ملاءة ثم انت انة اجهش لها القوم بالبكاء ثم امهلت طويلا حتى سكنوا من فورتهم ثم قالت
ابتدئ بحمد من هو اولى بالحمد والطول والمجد الحمد لله على ما انعم وله الشكر بما الهم ثم خطبت خطبة طويلة
قالت في آخرها فاتقوا الله حق تقاته واطيعوه فيما امركم فانما يخشى الله من عباده العلماء واحمدوا الله الذي
بعظمته ونوره يبتغي من في السموات ومن في الارض اليه الوسيلة ونحن وسيلته في خلقه ونحن خاصته و
محل قدسه ونحن حجته في غيبه ونحن ورثة انبيائه ثم قالت انا فاطمة بنت محمد اقول عودا على بدء وما اقول
ذلك سرفا ولا شططا فاسمعوا باسماع واعية وقلوب راعية ثم قالت لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز
عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تعزوه تجدوه ابي دون آبائكم واخا ابن عمي دون

رجالكم ثم قالت ثم انتم تزعمون ان لا ارث لي افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون
ايها معشر المسلمة ابتز ارث ابيه ابى الله ان ترث يا ابن ابي قحافة اباك ولا ارث ابي لقد جئت شيئا فريا فدونكها
مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيمة وعند الساعة يخسر المبطلون
ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم قال ثم التفتت الى قبر ابيها فتمثلت
بقول هند بنت اثاثة   قد كان بعدك انباء وهنبثة   لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب   ابدت رجال
لنا نجوى صدورهم   لما قضيت وحالت دونك الكتب   تجهمتنا رجال واستخفنا   اذ غبت عنا فنحن اليوم
نغتصب   قال فلم ير الناس اكثر باك وباكية منهم يومئذ ثم عدلت الى مسجد الانصار وقالت يا معشر الا
واعضاد الملة وحضنة الاسلام ما هذه الفترة عن نصرتي والونية عن معونتي والغميزة في حقي والسنة عن
ظلامتي اما قال رسول الله صلى الله عليه وآله المرء يحفظ في ولده سرعان ما احدثتم وعجلان ما اتيتم الان مات
رسول الله صلى الله عليه وآله امتم دينه ها ان موته لعمري خطب جليل استوسع وهيه واستنهر فتقه وفقد راتقه
واظلمت الارض له وخشعت الجبال واكدت الامال اضيع بعده الحريم وهتكت الحرمة واذيلت المصونة وتلك
نازلة اعلن بها كتاب الله قبل موته وانبأكم بها قبل وفاته فقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان
مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ايها بني
قيلة اهتضم تراث ابيه وانتم بمرأى ومسمع تبلغكم الدعوة وتشملكم الصوت وفيكم العدة والعدد ولكم
الدار والجنن وانتم نخبة الله التي انتخب وخيرته التي اختار باديتم العرب وبادهتم الامور وكافحتم البهم
حتى دارت بكم رحى الاسلام ودر حلبه وخبت نيران الحرب وسكنت فورة الشرك وهدأت دعوة الهرج واستوثق
نظام الدين افتأخرتم بعد الاقدام ونكصتم بعد الشدة وجبنتم بعد الشجاعة عن قوم نكثوا ايمانهم من بعد
ايمانهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون الا وقد ارى ان قد اخلدتم الى الخفض
وركنتم الى الدعة وجحدتم الدين ووسعتم الذي سوغتم وان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله غني
حميد الا وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم وخور القناة وضعف اليقين فدونكموها فاحتقبوها
مدبرة الظهر ناقبة الخف باقية العار موسومة الشنار موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فبعين
الله ما تعملون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون ثم رجعت الى بيتها واقسمت ان لا تكلم ابابكر ولتدعون
الله عليه ولم تزل كذلك حتى حضرتها الوفاة فاوصت ان لا يصلي عليها فصلى عليها العباس ودفنت ليلا
وروى انه لما سمع كلامها حمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال يا خيرة النساء وابنة خير الاباء والله ما
عدوت راي رسول الله صلى الله عليه وآله ولا عملت الا بامره وان الرائد لا يكذب اهله قد قلت فابلغت و
اغلظت فاهجرت فغفر الله لنا ولك اما بعد فقد دفعت آلة رسول الله صلى الله عليه وآله وبغلته وحذاءه
الى علي عليه السلام واما ما سوى ذلك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول انا معاشر الانبياء لا نورث

ذهبا ولا فضة ولا ارضا ولا عقارا ولا دارا ولكنا نورث الايمان والحكمة والعلم والسنة وقد عملت بما امرني
ونصحت فقالت ان رسول الله صلى الله عليه وآله قد وهبها لي قال فمن يشهد بذلك فجاء علي بن ابي طالب وام ايمن
فشهدا لها بذلك فجاء عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف فشهدا ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقسمها فقال
ابوبكر صدقت يا ابنة رسول الله وصدق علي وصدقت ام ايمن وصدق عمر وصدق عبد الرحمن وذلك ان لك ما
لابيك كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذ من فدك قوتكم ويقسم الباقي ويحمل منه في سبيل الله ولك علي
ان اصنع بها كما كان يصنع فرضيت بذلك واخذت العهد عليه به وكان يأخذ غلتها فيدفع اليهم منها ما يكفيهم
ثم فعلت الخلفاء بعده كذلك الى ان ولي معوية فاقطع مروان ثلثها بعد الحسن عليه السلام ثم خلصت له في
خلافته وتداولها اولاده الى ان انتهت الى عمر بن عبد العزيز فردها في خلافته على اولاد فاطمة عليها السلام
قالت الشيعة فكانت اول ظلامة ردها وقالت السنة بل استخلصها في ملكه ثم وهبها لهم ثم اخذت منهم
بعده الى ان انقضت دولة بني امية فردها عليهم ابو العباس السفاح ثم قبضها المنصور فردها ابنه المهدي ثم
قبضها ولداه موسى وهرون فلم تزل في ايدي بني عباس الى زمن المامون فردها اليهم وبقيت الى عهد المتوكل فاقطعها
عبد الله بن عمر البازيار وروى انه كان فيها احدى عشرة نخلة غرسها رسول الله صلى الله عليه وآله بيده فكانت بنو
فاطمة يهدون ثمرها الى الحاج فيصلونهم عن ذلك بمال جليل فبعث البازيار رجلا فصرمها وعاد الى البصرة ففلج
وفي هذه القصة خبط كثير بين الشيعة ومخالفيهم ولكل من الفريقين كلام طويل ولنرجع الى المتن فنقول اشار
بالنفوس التي شحت بها الى ابي بكر وعمر واتباعهما وبالنفوس التي سخت بها الى وجوه بني هاشم ومن مال اليهم التاسع
استفهم عما يصنع بفدك وغيرها من القينات الدنيوية استفهام انكار لوجه حاجته اليها وتسلية لنفسه عنها وجذبا
له عن الدنيا الى الاعمال الصالحة بذكر غاية النفوس منها ومصيرها الى الجدث ولوازم تلك الغاية من انقطاع
الاثار وغيبة الاخبار فيها وساير ما عدده من صفات الجدث وانما عدد هذه الامور لانها اوهام تقرعها وتفزع
القلوب لذكرها فتفزع الى الله تعالى وتجذب الى الاعمال الصالحة التي بها الخلاص من اهوال الموت وما بعده و
في قوله والنفس مظان العاشر انه نبه على ان فدك وغيرها من قنيات الدنيا لا حاجة اليها انما له حصر حاجته وغايته
لنفسه وهي رياضتها بالتقوى والضمير كهو في قوله فيما سبق وانما هي لكونه والتقدير وانما همي وحاجتي ان اروض
نفسي بالتقوى واعلم ان رياضة النفس تعود الى نهيها عن هواها وامرها بطاعة مولاها وهي ماخوذة من رياضة
البهيمة وهي منعها عن الاقدام على حركات غير صالحة لصاحبها ولا موافقة لمراده وتمرينها على ما يوافق مراده من
الحركات والقوة الحيوانية التي هي مبدأ الادراكات والافاعيل الحيوانية في الانسان اذا لم يكن لها طاعة القوة
العاقلة ملكة كانت بمنزلة بهيمة لم ترض فهي تتبع الشهوة تارة والغضب اخرى وغالب احوالها ان يخرج في حركاتها
عن العدل الى احد طرفي الافراط والتفريط بحسب الدواعي المختلفة المتخيلة والمتوهمة وتستخدم القوة العاقلة
في تحصيل مراداتها فتكون هي امارة والعاقلة مؤتمرة لها اما اذا راضتها القوة العاقلة ومنعتها عن التخيلات

والتوهمات والاحساسات والافاعيل المثيرة للشهوة والغضب ومرتبها على ما تقتضيه العقل العملي واديبها على
بحيث يأتمر بامرها وينتهي بنهيها كانت العملية سلطنة لا تنفعل فقط لاختلاف المبادي وكانت باقي القوى مؤتمرة
مسالمة لها اذا عرفت ذلك فنقول لما كان الغرض الاقصى من الرياضة انما هو نيل الكمال الحقيقي وكان ذلك موقوفا
على الاستعداد له وكان حصول ذلك الاستعداد موقوفا على زوال الموانع الخارجية والداخلية كان للرياضة
اغراض ثلثة احدها حذف كل محبوب ومرغوب عدا الحق الاول سبحانه عن درجة الاعتبار وسمي الايثار وهي الموانع
الخارجية والثاني تطويع النفس الامارة للنفس المطمئنة لينجذب التخيل والتوهم عن الجانب السفلي الى العلوي
ويتبعهما ساير القوى فيزول الدواعي الحيوانية المذكورة وهي الموانع الداخلية الثالث بعث السر وتوجيهه
الى الجهة العالية لتلقي السوانح الالهية وتهيئته لقبولها ويعين على الغرض الاول الزهد الحقيقي وهي الاعراض
عن متاع الدنيا وطيباتها بالقلب وعلى الثاني العبادة المشفوعة بالفكر في ملكوت السموات والارض وما خلق
الله من شيء وعظمة الخالق سبحانه والاعمال الصالحة المنوية لوجهه خالصا وعبر عليه السلام بالتقوى التي وضعها
نفسه عن هذه الامور المنبته والاسباب المعدة ونبه على غرض الاقصى من الرياضة وهو الكمال الحقيقي بالذي به
بذكر بعض لوازمه وهي ان يأتي نفسه آمنة من الفزع يوم الخوف الاكبر وهو يوم القيمة واثبت على جوانب المزالق وهو
الصراط المستقيم فلا تميل بها الدواعي المختلفة الى ابواب جهنم ومهاوي الهلاك واستعار لفظ المزالق لما منه
زلل اقدام العقول في الطريق الى الله وجذبها الميول الشهوية والغضبية عنها الى الرذايل الموبقة العاشر نبه على
زهده في الدنيا واقتصاره منها على الطمرين والقرصين وترك ما سوى ذلك ليس عن عجزه عن تحصيل طيبات مطعومها
وملبوساتها وانه لو شاء لاهتدى الى تحصيل تلك الطيبات ولباب القمح ومصفى العسل ولان الحريرة والعسل من اشهر
الطيبات بمكة والحجاز وانما ترك مع القدرة عليه رياضة لنفسه واعدادا لها لتحصيل الكمالات الباقية واستثنى هنا
نقيض الملزوم وهو عدم غلبة هواه لعقله وعدم قوده جشعه الى تخير الاطعمة ونبه عن ذلك العدم بقوله هيهات فانما
ما استبعد وقوعه من نفسه وانكره فقد نفاه عنها وحكم بعدمه واما ان ذلك العدم هو نقيض الملزوم بعينه فلان
الملزوم هنا هو المشير لتحري الطيبات وغلبة الهوى للعقل على مقتضى رايه في تركها والتنزه عنها وقود الشهوة له الى
الموافقة على استعمالها والمستثنى هنا هو عدم ذلك بعينه واما جواز استثناء نقيض المقدم فلان مشيته تلك شرط
منا ولحين الطيبات والاهتداء اليها وكان عدمه مستلزما لعدم مشروطه واكثر استعمال لو في لغة العرب على هذا
الملزوم علة للازم او شرطا مساويا له ويستثنى نقيض الملزوم والواو في قوله ولعل الحال الى هيهات ان يغلبني هوى الى
تخير الاطعمة حال ما يصل ان يكون بالحجاز واليمامة من هو بصفة كذا وقوله او ابيت عطف على يقود في داخل فيما استبعده
من نفسه والواو في قوله وحولي للحال والعامل ابيت وكذلك قوله او ان اكون عطف على ابيت وهذه الاربع من
لوازم نتيجة القياس الاستثنائي فان عدم ارادة تحري الطيبات لما استلزم هنا عدم تناولها واستمتاعه بها
استلزم ذلك ان لا يبيت مبطانا وحوله اكباد جايعة وان لا يلحقه عار بذلك والبيت تمثيل عرضه الشعر عن

العار اللازم عن الاستمتاع بالطيبات مع وجود ذوي الحاجة الى يسير الطعام ونبه على حسن هذه اللوازم بما
فادون نقايضها من الاحوال المذكورة والبيت لحاتم بن عبد الله الطائي من قطعة اولها ايا ابنة عبد الله وابنة
مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس النهد اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له اكيلا فاني لست آكله وحدي قصيا
بعيدا او قريبا فانني اخاف مذمات الاحاديث من بعدي كفى بك عارا ان تبيت ببطنة وحولك اكباد تحن
الى القد واني لعبد الضيف ما دام نازلا وما في الا هذه شيمة العبد ويروى حسبك داء والحلو تحلية اسم
الداء باعتبار انه رذيلة تغير اعتنه ويروى قوله اوابيت وقوله او اكون مرفوعين والوجه فيه ان لا يكون حرف عطف
بل تكون الهمزة للاستفهام والواو بعدها متحركة كالفاء في قوله افاصفيكم ربكم بالبنين ويكون استفهام انكار
لبياته مبطانا ولكونه كما قال القايل وكذلك الاستفهام في قوله اقنع من نفسي في معرض الانكار لرضا نفسه
بان يدعى امير المؤمنين ولا يشاركهم في مكاره الدهر وخشونة المطعم والواو في قوله ولا للحال واو اكون عطف
على اشاركهم في حكم النفي الحادي عشر نبه على بعض العلل الحاملة له على ترك الطيبات والزهد في الدنيا وهو كونه
لم يخلق ليشغله اكل الطيبات عما اراده منه وذلك في قوله فما خلقت الى قوله المتاهة ونفر عن الاشتغال باكل
الطيبات بذكر ما يلزم المشتغل بذلك من مشابهة البهيمة واشار الى وجه الشبه بقوله همها علفها الى قوله يراد
بها وذلك ان المشتغل بها ان كان غنيا اشبه البهيمة المعلوفة في همامه بما يعتلفه من طعامه الحاضر وان كان
فقيرا كان اهتمامه بما يكسبه ويقمه من حطام الدنيا ثم يعتلفه ويملأ كرشه مع غفلته عما اريد منه كالسايمة التي
همها الاكتراش تقممه من الكناسات مع غفلتها عما يؤول اليه حالها ويراد بها من ذبح واستخدام واستعار لفظ
الحبل وجره وكنى بذلك عن الاهمال والارسال كالرسل البهيمة الثاني عشر اشار الى بعض ما عساه يعرض للاذهان
الضعيفة من الشبهة وهي اعتقاد ضعفه عن قتال الاقران بسبب ذلك القوت النزر وذلك بقوله وكاني الى
قوله الشجعان ثم نبه على الجواب عن ذلك من جهة اوجه الاول التمثيل بالشجرة البرية وقياس نفسه عليها في القوة
فالاصل هو الشجرة البرية والفرع هو عليه السلام والمشترك الجامع بينهما هو قلة الغذاء وخشونة المطعم كقلة
غذاء الشجرة البرية وخشونتها والحكم عن ذلك هو صلابة اعضائه وقوته كصلابة عود الشجرة البرية وقوتها
ذلك دافع للشبهة المذكورة الثاني تمثيل خصومه واقرانه والمشترك الجامع بينهما هو الخضرة والنضارة الحاصلة
عن الترفه ولين المطعم والحكم اللازم عن ذلك هو رقة الجلود ولينها والضعف عن المقاومة وقلة الصبر على
المنازلة والميل الى الدعة والرفاهية والغرض ان يعلم كون اقرانه اضعف منه فيندفع الشبهة الثالث تمثيل
بالنابتات العذية وهو كتمثيله بالشجرة البرية والحكم هنا هو كونها اورى على سعير نار الحرب واصبر على وقدها وابطأ
فورانها وخمودا كالنابتات العذية في النار الرابع تمثيل نفسه من رسول الله صلى الله عليه وآله بالصنو من الصنو
واصل هذا التمثيل هو الصنو من الصنو وفرعه نسبة نفسه من رسول الله صلى الله عليه وآله وعلته الجامعة هي كون
علومه وكمالاته النفسانية المشرقة مستفادة ومقتبسة من مصباح علم النبوة وكالانها كالمعلول من العلة

كما في الروايع الخضرة وهي الاصل في هذا التمثيل والفرع هو خصومه واقرانه

والمصباح من الشعلة الخامس تمثيله منه صلى الله عليه وآله بالذراع من العضد والاصل فيه الذراع مع نسبته الى
العضد والفرع هو عليه السلام منسوبا الى رسول الله صلى الله عليه وآله والعلة الجامعة هي قربه منه وقوته وكونه
ظهيرا له ووسيلة الى حصول مقصوده من تمام الدين وكماله وكون الرسول صلى الله عليه وآله اصلا في ذلك كقرب
الذراع من العضد وكون العضد اصلا له وكون الذراع وسيلة الى التصرف والبطش بالعضد والحكم في هذين
التمثيلين واحد وهو كونه عليه السلام لا يضعف عن قتال الاقران ومنازلة الشجعان ووجه لزوم هذا الحكم عن
المشترك الاول انه لما كانت علومه اليقينية وبصيرته في الدين تناسب بصيرة رسول الله صلى الله عليه وآله كان
ذلك اعظم امر يشجعه ويقويه على قتال الاقران حمية للدين وكذلك عن المشترك الثاني ثم لما اثبت ذلك الحكم
ونفى عنه الضعف المتوهم فيه اكد ذلك بالقسم البار انه لو تظاهرت العرب على قتاله لما ولى عنها ولو امكنت الفرصة
من رقابها لسارع اليها اي حين القتال واستحقاقهم للقتل بعداوتهم للدين وفتح العفو عنهم ملاحظة لسنة
رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك في مبدأ الاسلام فانه لم يكن ليضع العفو الا في موضعه وروي انه قتل في يوم
واحد الف انسان صبرا في مقام واحد لما راى في ذلك في مصلحة الدين الثالث عشر وعد ان يجتهد في تطهير الارض
من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس واراد معاوية وانما قال شخصا وجسما ترجيحا لجانب البدن على النفس
باعتبار عنايته بكمال بدنه دون كمال نفسه فكانه جسم وشخص فقط واشار بكونه معكوسا الى التفاته عن الجنبة
العالية وانتكاسه عن تلقي الكمالات الروحانية الى الجنبة السافلة وارتكاسه في الدنيا وانغماسه وجهه على
الى تحصيلها لذاتها والاعتناء بجمعها فان غرض العناية الالهية من خلق الانسان ان يترقى في مدارج الكمال
بسبب حفظ فطرته الاصلية عن التدنس برذايل الاخلاق فاذا اجتذبته دواعي النفس الامارة الى الدنيا وعززته
بحيث لا يلتفت اليها لم يزل يحط في دركات محبتها وحب ذلك يكون انتكاسه عن مراتب الكمال وارتكاسه في
الرذايل ومهاوي الضلال وتقيده فيها بالسلاسل والاغلال وقوله حتى يخرج المدرة من بين حب الحصيد استعار
لفظ المدرة لمعاوية وحب الحصيد للمؤمنين ووجه المشابهة انه يخلص المؤمنين من وجود معاوية بينهم ليزكوا ايمانهم
ويستقيم دينهم اذ كان وجوده فيهم سببا لفساد عقايدهم وهلاك دينهم كما يفعل اهل البيادر من تصفية
الغلال واخراج ما يشوبها ويفسدها من المدر وغيره وقال الشارح عبد الحميد بن ابي الحديد كما ان الزراع يجتهد
في اخراج المدر والحجر والشوك ونحوه من بين الزرع كيلا يفسد منابته فيفسد ثمرته وفيه نظر لانه لا معنى لاخراج
الطين من الزرع ولان لفظ حب الحصيد لا يفهم منه ذلك الرابع عشر تمثيل الدنيا بصورة من يعقل وخاطبها
بخطاب العقلاء ليكون ذلك اوقع في النفوس لغرابته ثم امرها بالتنحي والبعد عنه كالمطلقة وحبلك على غاربك
كناية عن الطلاق تمثيل واصله ان الناقة اذا اريد اهمالها للرعي وضع حبلها على غاربها فضرب مثلا لكل
من اهمل والمطلق من الحكم ثم جعلها ذات مخالب استعارة بالكناية عن كونها كالاسد في جذبها للانسان بما
فيها من الشهوات والقنيات الى الهلاك الابدي كما يجر الاسد فريسته وكذلك جعلها ذات حبايل وكونها

ومنكوسا ح

كحبائل

الوصف المستعار من كونها تصيد قلوب الرجال بشهواتها الوهمية في حبايل الصايد واستعار لفظ مداحضها
لشهواتها وملذاتها ايضا باعتبار كونها مزالق اقدام العقول عن طريق الله ومصايدها وعبر بجميع ذلك عن زهده
فيها وابعادها عن نفسه ثم اخذ في سؤالها عن القوم الذين غرتهم بمداعبها والامم الذين فتنتهم بزخارفها سؤالا
على سبيل التوبيخ لها والذم على فعالها وذلك بهم في معرض التنفير عنها وهو من قبيل تجاهل العارف واستعار
لها لفظ المداعب جمع مدعبة بمعنى دعابة ووجه المشابهة انها عند وصفا لذاتها المختلفة واعتزازهم بها ثم كرها
عليهم بعد ذلك بالامر الجد يشبه من يمزح مع غيره ويبسط معه بالاقوال والافعال اللينة ليغتر بها ثم يأتيه
بعد ذلك بالامر الجد فيؤذيه او يهلكه واضاف الغرور اليها لكونها سببا ماديا لذلك وفي نسخة الرضي رحمه
غرتهم باثبات الياء ووجه انها حدثت من اشباع الكسرة الخامس عشر اشار الى غايتهم التي صاروا اليها وهي
كونهم رهاين القبور ومضامين اللحود ونبه في ذلك على ان غرورهم وفتنتهم بما لم يخلصهم من هذه الغاية كل ذلك
لغرض التنفير عنها والتنبيه واستعار لفظ الرهاين لهم باعتبار كونهم موثقين في القبور باعمالهم كالرهن
يحتمل ان يكون حقيقة ويكون رهينة بمعنى راهنة وهي الاشخاص المقيمة بقبورها السادس عشر اقسم انها لو كانت
شخصا مرئيا وقالبا حسيا لاقام عليها حدود الله في عباد غرتهم بالاماني واوردتهم موارد البلاء حيث لا ورد ولا
صدر اي ان تلك الموارد ليس من شانها ان يكون اليها ورود وعنها صدر ثم لما كان في هذا الخطاب كالمعلم
لها انه قد اطلع على خداعها وغرورها قال كالموبخ لها من نفسه هيهات اي بعد اغتراري بك وركوني اليك ثم
نبه على بعض العلل الحاملة على البعد عنها والمنفرة عن قربها وهي ما يلزم وطي دحضها من الزلق وركوب لججها
من الغرق والازورار عن حبايلها من التوفيق للسلامة وما يلزم السالم منها من عدم مبالاته بضيق مناخه وكل
مناخ اناخ به من فقر وسجن ومرض وبلاء بعد السلامة منها فهو فسيح رحب بالقياس الى ما يستلزمه التغني في شهواتها
والجري في ميادين شهواتها من العذاب الاليم في الاخرة وهي عنده في العظم وعدم الالتفات اليها كيوم حان
انسلاخه والفاظ المداحض واللجج والحبايل مستعار لشهواتها فالاول باعتبار كون شهواتها مظنة ان تغر
الانسان عند استعمالها الاستكثار منها او تجاوز القدر المعتدل الى الحرام فتزل قدم نفسه عن صراط الله
فيقع في مهاوي الهلاك والمأثم والثاني باعتبار ان مطالبها والامال فيها غير متناهية فمن لوازم المشتغل بها
والمنهمك في الدنيا ان يغرق نفسه في بحر لا ساحل له منها فينقطع عن قبول رحمة الله الى الهلاك الابدي كالملقي نفسه
في بحر لجي الثالث باعتبار ان الانسان اذا اغتر بها وحصل في حبالة شبهاتها عاقته عن النهوض والتخلص الى جناب
الله ومنعته ان يطير بجناحي قوته العقلية في حضرة قدس الله ومنازل اولياء الله الابرار كما تعوق حبايل الصايد
الطاير ولفظ الوطي والركوب والزلق والغرق ترشيح ثم كرر الامر لها بالبعد عنه واقسم انه لا يذل لها فتذله
ولا يسلس لها قياده فتقوده وفيه تنبيه على انها لا تذل فيها الا من اذل نفسه وعبدها لها ولا يملك الا قياد من
اسلس لها قياده وهو ظاهر اذ الانسان ما دام قامعا القوة الحيوانية مصرفا لها بزمام عقله فانه من المحال

ان يذلوا الدنيا ويستعبدوا اهلها ومهما اتبع شهوته فيما تميل اليه فلها منه لراشد اذلال وتستعبده اوثق استعبادا
كما قال عليه السلام عبد الشهوة اذل من عبد الرق واستعار وصف السلاس للانقياد والتسهيل في متابعة النفس لها
النفس الامارة وعدم التشدد في ضبطها بالاستعمال العقل عن متابعتها السابع عشر اقسم ليروضن نفسا صمم
عزمه عليه وهو بصدده من رياضة نفسه ووصف تلك الرياضة في قوتها باستلزام امرين احدهما كون نفسه
تهش معها الى القرص وترضى به اذا قدرت عليه مطعوما وتقنع بالملح مادوما وذلك رياضة القوة الشهوية ولما
كانت اكبر عدو للنفس واكثر الفساد يلحق بسببها خصها بالذكر وقوة العزم ويحتمل ان يريد رياضة جميع القوى وانما
وصفها بكون النفس تهش معها الى القرص لان ضبط الشهوة اعظم من ضبط سائر القوى واصعب وكانت الاشارة
الى ضبطها الى الحد المذكور ابلغ في وصف الرياضة بالشدة واستثنى مشيئة الله ادبا لقوله تعالى ولا تقولن لشيء
اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وتنبيها على استناد جميع الامور في سلسلة الحاجة الى الله تعالى الثاني كونه يدع
مقلته في تلك الرياضة كعين ماء نضب ماؤها ووجه الشبه انه يفنى دموعها ويستفرغها بالبكاء شوقا الى الملأ
الاعلى وما اعد لاولياء الله من السعادة الابدية وخوفا من حرمانها ومن كان في مقام الغربة ومحل الوحشة كيف
لا يشتاق الى وطنه الاصلي ومقام انسه الاولى ومطعومها ومادومها ومستفرغة لحوالها اخذ في تمثيل نفسه بالسائمة
والربيضة على تقدير ان يرضى بمثل حالها وغايتها من الدنيا في معرض الانكار لذلك الرضا من نفسه والاصل
في ذلك التمثيل البهيمة والفرع هو عليه السلام والمشترك الجامع هو الرعي والشبع هو البروك والنوم والراحة ولما
كان الاصل للقياس عليه غاية من الخسة بالقياس الى الانسان الكامل استلزم ذلك التشبيه تنزيه النفس عما يستلزم
التشبيه من الصفات وقوله قرت اذن عينه اخبار في معرض الانكار والاستهزاء باللذة كقوله تعالى ذق انك انت العزيز
الكريم الثامن عشر نبه على ان النفس اذا كانت بالصفات المذكورة فلها الحقائق وطوبى وجمع في تلك الصفات اكثر
مكارم الاخلاق فالاولى القيام بواجب طاعة الله وما افترضه عليها قوله وعركت بجنبها بؤسها كناية عن الصبر على
المصائب فعك العرك فلان بجنبه الاذى اذا اغضى عنه يوذيه وصبر على فعله ويلازم ذلك عدة فضائل كالحلم والكرم
والعفو والصفح والتجاوز وكظم الغيظ واحتمال المكروه والعفة ونحوها الثالث تهجر بالليل غمضها وهو كناية
عن احياء ليلها بالعبادة وبها واشتغالها بذكره حتى اذا غلب النوم عليها افترشت ارضها وتوسدت كفها اي لم يكن
لها كلفة في تهيئة فراش وطيب ووسادة بل كانت بريئة عن كل كلفة عرية عن كل قنية منزهة عن كل ترفه وقوله في معشر
يصلح تعلقه بكل من افعال النفس المذكورة اي فعلت هذه الافعال في جملة معشر من شأنهم كذا وعد لهم صفات
اربع احدها كونهم اسهر عيونهم خوف معادهم الثاني وتجافت جنوبهم عن مضاجعهم وهو كناية عن اشتغالهم ليلا
بعبادة ربهم كقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع الثالث وهمهمت بذكر ربهم شفاههم كقوله تعالى يدعون ربهم
خوفا وطمعا الرابع وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم وهو لازم عن الثلاثة الاولى وثمرة لها واستعار لفظ التقشع
لامحاء ذنوبهم ووجه المشابهة ان الذنوب والهيئات البدنية في تسويدها الالواح النفوس وتغطيتها وحجبها

لها من قبول انوار الله يشبه السحاب المتراكم الحاجب لوجه الارض عن قبول نور الشمس والاستعداد بها للنبات
ونحوه فاستعار لزوالها وانمحائها من الواح النفوس لفظ التقشع كل ذلك للترغيب في طاعة الله والجذب الى
الدخول في زمرة اوليائه وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى بعض عماله اما بعد فانك ممن استظهر به
على اقامة الدين واقمع به نخوة الاثيم واسد به لهاة الثغر المخوف فاستعن بالله على ما اهمك واخلط الشدة بضغث
من اللين وارفق ما كان الرفق ارفق واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك الا الشدة واخفض للرعية جناحك و
الن لهم جانبك وآس بينهم في اللحظة والنظرة والاشارة والتحية حتى لا يطمع العظماء في حيفك ولا ييأس
الضعفاء من عدلك **اقول** النخوة الكبر والاثيم الآثم والضغث النصيب من الشيء يخلط بغيره واصله القبضة من
الحشيش المختلط من رطبه ويابسه واعتزم بكذا اي لزمه ولجّ فيه وقد استماله اولا بامور ثلاثة اعلمه بها من نفسه
واعده لقبول اوامره وهي كونه ممن يستظهر به على اقامة الدين ويقمع به نخوة الاثيم ويسد به الثغر المخوف واستعار لفظ
اللهاة لما عساه ينفتح من مفاسد الثغر ويحتاج الى سده بالعسكر والسلاح ملاحظة لشبهه بالاسد الفاغر فاه للافتراس
ثم اردف ذلك بما امره به من مكارم الاخلاق اولها ان يستعين بالله على ما اهمه من اموره فان الفزع اليه والاستعانة
به افضل ما اعان على حصول المهمات الثاني ان يمزج الشدة بنصيب من اللين ويضع كلا موضعه فيرفق ويلين ما
كان الرفق اولى واحرى وقوله ويأخذ بالشدة حين لا يغني الا الشدة الثالث ان يخفض جناحه لرعيته وهو كناية
عن التواضع الرابع ان يبسط لهم وجهه وهو كناية عن لقائهم بالبشاشة والبشر وترك العبوس والتقطيب الخامس
ان يلين لهم جانبه وهو كناية عن المساهلة معهم وعدم التشدد عليهم السادس ان يواسي بينهم في اللحظة والنظرة
والاشارة واللحظة اخص من النظرة وهو امر بفضيلة العدل بين الرعية لئلا يطمع عظيمهم في حيفه على الضعيف
فيتسلط عليه ولا ييأس الضعيف من عدله على القوي فيضعف نفسه وينكل عما هو بصدده من الاعمال المصلحية
وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** وصية للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله اوصيكما بتقوى
الله وان لا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما وقولا بالحق واعملا للاجر وكونا للظالم خصما
وللمظلوم عونا اوصيكما وجميع ولدي واهلي ومن بلغه كتابي هذا بتقوى الله ونظم امركم وصلاح ذات بينكم فاني
سمعت جدكما رسول الله صلى الله عليه وآله يقول صلاح ذات البين افضل من عامة الصلاة والصيام الله الله في الايتام
فلا تغبوا افواههم ولا يضيعوا بحضرتكم والله الله في جيرانكم فانهم وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا انه سيورثهم
والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم والله الله في الصلاة فانها عمود دينكم والله الله في بيت ربكم لا تخلوه
ما بقيتم فانه ان ترك لم تناظروا والله الله في الجهاد باموالكم وانفسكم والسنتكم في سبيل الله وعليكم بالتواصل
والتباذل واياكم والتدابر والتقاطع لا تتركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم اشراركم ثم تدعون
فلا يستجاب لكم ثم قال عليه السلام يا بني عبد المطلب لا الفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضا تقولون قتل
امير المؤمنين الا لا يقتلن بي الا قاتلي انظروا اذا انا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا يمثل بالرجل

فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور **اقول** غبت كذا اوتيته غبا واغباب
افواههم ان يطعموهم يوما ويتركوهم يوما والمناظرة المحافظة والمراقبة والتدابر التقاطع والتعادي والمثلة التنكيل
وقد وصاهما بامور اولها تقوى الله التي هي راس كل خير الثاني الزهد في الدنيا وان لا يريداها وان ارادتهما
اي اقبلت عليهما بانفسها فيها خيرا واستعار لفظ البغية لها باعتبار سهولتها عليهما من توافق اسباب خيرها لهما
فهي بذلك الاعتبار كالطالبة لهما الثالث ان لا يأسفا على ما قبض وغيب عنهما من خيراتها وهو من لوازم الزهد
الحقيقي فيها الرابع ان لا يقولا الا الحق وهو ما ينبغي قوله من اوامر الله ونواهيه وان يعملا لاجر الآخرة اي يكون اقوالهما
واعمالهما مقصورة على هذين الخامس ان يكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا وذلك من لوازم قول الحق والعمل
اذ من كان على حاق العدل ولا بد ان يجانب الظلم المنحرف الى طرف الجور ويخاصم ليرده الى فضيلة العدل ويكون
عونا للمظلوم ثم عاد مؤكدا لوصيتهما مع جميع ولده واهله ومن بلغه كتابه من عباد الله بتقوى الله مكررا لها
ومردفا بامور اخرى احدها اصلاح ذات البين وذات كناية عن الحالة الموجبة للبين والافتراق وقيل هي
الحالة بين الرجلين والقبيلتين او الرجل واهله امر باصلاح ما بينهما من فساد وقيل يحتمل ان يريد بالبين هنا
الوصل وبالذات النفس اي اصلحوا انفس وصلكم من فساد يقع فيه وقيل ان ذات هنا مقحمة زائدة ونحوه قوله تعالى
فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وصلاح ذات البين من لوازم الالفة والمحبة في الله وهي فضيلة تحت العفة ورغب
في ذلك بما رواه سماعا عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله صلاح ذات البين افضل من عامة الصلاة والصيام
ووجه الافضلية هنا انك علمت فيما سلف ان اهم المطالب للشارع صلى الله عليه وآله جمع الخلق واتفاقهم على سلوك سبيل
الله وانتظامهم في سلك دينه ولن يتم ذلك مع تنازعهم وتنافر طباعهم ووقوع الفتنة بينهم فكان صلاح ذات
البين مما لا يتم اهم مطالب الشارع الا به وهذا المعنى غير موجود في الصلاة والصيام لامكان المطلوب المذكور
بدونهما فتحققت افضليته من هذه الجهة والخبر في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه كلما كان كذلك فهو اولى ان يفعل
الثاني حذرهم من الله تعالى في الايتام ونهى عن اجاعتهم وكنى عنها باغباب افواههم اذ هو مستلزم جوعهم ثم عن ضياعهم
واستلزم ذلك النهي امرهما ببرهم والاحسان اليهم وهو فضيلة تحت العفة الثالث الوصية في الجيران والتحذير
من الله فيهم ونبه على حفظ قلوبهم واكرامهم بوصية الرسول صلى الله عليه وآله في حقهم وجعلهم نفس الوصية تاكيدا
للمحافظة عليهم كالمحافظة على وصية رسول الله والمجاز من باب اطلاق اسم المتعلق على المتعلق وقوله ما
زال الى قوله سيورثهم تفسير للوصية المذكورة وهي ايضا في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من وصى النبي في
حقه كذلك فهو ليس ان يحفظ الرابع الوصية بما اشتمل عليه القرآن الكريم من القوانين والقواعد والتحذير من
الله سبحانه في تركه والنهي عن ان يسبقهم بذلك غيرهم المستلزم للامر بالمسارعة والسبق اليه الخامس الوصية
بامر الصلاة والتحذير من الله في امرها ونبه على فضيلتها بضمير صغراه قوله فانها عمود الدين وهو عين ما روي
من الحديث قبل وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فهو ليس ان يقام الدين باقامته السادس الوصية ببيت

ربهم والنهي عن ترك زيارته مدة العمر وقد نبه على فضيلة الحج التي توجب ملازمته وهو ما يستلزمه تركه من
عدم مناظرة الله تعالى اياه وترك محافظته عليهم ومراقبته لان من لا يحفظ الله في بيته ويرا فيه كذا ذلك في الاجتماع الى بيت
الله والمحافظة عليه غربانه واعتصام به يوجب مراقبة الخلق المعتصمين به وانفعال القلوب عنهم ومن كثرتهم
ومناظرتهم السابع الوصية بالجهاد في سبيل الله بالمال والنفس واللسان والتحذير من الله في تركه وهو مما
علمت فضيلته الثامن الوصية بالتواصل والتباذل اي يبذل كل منهم النصرة لصاحبه في سبيل الله التاسع التحذير
من التقاطع والتدابر ونبه ظاهر العاشر النهي عن ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر المستلزم للامر بهما
ونفر عن ذلك الترك بما يستلزمه بعده من تولي الاشرار عليهم وعدم استجابة دعاء الداعين منهم ووجه استلزامه
لذلك ان ترك الاجتماع على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يستلزم تواني المنكر وقلة المعروف من طباع الاشرار
وبعيد لاستيلائها وغلبتها وولاية اهلها وذلك يستلزم كثرة الشر والاشرار وقلة الصالحين وضعف همهم
من استنزال رحمة الله بدعائهم فيدعون فلا يستجاب لهم ثم عقب ذلك بوصية اهل بيته من بني عبد المطلب
بما يخصه من امر دمه والوصية بامور لحوها نهاهم عن اثارة الفتنة بسبب قتله فقال لا الفينكم تخوضون دماء
المسلمين خوضا وكنى به عن كثرة القتل وقوله يقولون قتل امير المؤمنين حكاية ما جرت به العادة ان يقوله طالب
الثار حين هياج اظهار العذر والسبب الحامل له على اثارة الفتنة الثاني نهاهم ان يقتلوا الا قاتله اذ ذلك
هو مقتضى العدل الثالث بينهم بقوله انظروا الى قوله هذه على انه لا يجوز قتله بمجرد ضربته ان لو حصل الموت
بسبب غيرها الا ان يعلم ان موته كان بسببها الرابع امرهم ان يضربوه ضربة بضربة وذلك مقتضى عدله عليه السلام
ايضا الخامس نهى عن المثلة به معللا بما رواه سماعا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك لما في المثلة تعدي
الواجب وشفاء القلب وشفاء الغيظ وكل ذلك رذائل يجب الانتهاء عنها وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه
وكل ما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عنه فيجب ان لا يفعل وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام**
الى معوية وان البغي والزور يوتغان المرء في دينه ودنياه ويبديان خلله عند من يعيبه وقد علمت انك غير مدرك
ما قضي فواته وقد رام اقوام امرا بغير الحق فتأولوا على الله فاكذبهم فاحذر يوما يغتبط فيه من احمد عاقبة عمله ويندم
من امكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه وقد دعوتنا الى حكم القرآن ولست من اهله ولسنا اياك اجبنا ولكنا اجبنا
القرآن **اقول** هذا الفصل من كتاب له اليه بعد التحكيم وفيه تشكيك معوية بما حكم به الحكمان وتخيله ان يكون عند
اجابته الى التحكيم والوتغ بالتحريك الهلاك واوتغ فلان دينه بالاثم اهلكه وافسده وفي نسخة الرضي يذيعان
اي يظهران والغبطة السرور والغبطة تمني مثل حال الغير فصدر الفصل بذكر الظلم والكذب والتعبير
عنهما بما يلزمهما من اهلاك دين المرء ودنياه ويبديان خلله وعيبه لمن يعيبه اما دينه فلكونهما رذيلتين مضادتين
للعدل والعفة ومجانبتين للايمان والدين واما في دنياه فلان اعظم مطالب الدنيا للعقلاء الذكر الجميل
وانما يحصل بلزوم مكارم الاخلاق دون رذائلها واراد بما قضي فوته ما جعله معوية شبهة له في محاربته

في مراعاة جانبه اراد بحفظه اقصد لمراقبته
ويحتمل ان يريد بالمناظرة الامهال

وهو الطلب بدم عثمان وهو في قوة صغرى ضمير احتج به على وجوب ترك المسافة وتقدير كبراه وكل من كان كذلك
تعين عليه ان يترك ذلك الطلب ثم اعلمه حال من طلب امرا باطلا وتاول على الله في ذلك والاشارة الى اصحاب
الجمل حيث كانوا طالبين للامر والملك فتاولوا على الله اي على سلطان الله وهي الخلافة الحقة فجعلوا الخروج
وبغيهم عليها تاويلا وهو الطلب بدم عثمان ونحوه من الشبه الباطلة فاكذبهم الله بنصره عليهم ورده مقتضى شبههم
والاكذاب كما يكون بالقول كذلك يكون بالفعل وقال القطب الراوندي ره معناه وقد طلب قوم امر
هذه الامة فتاولوا القرآن كقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فسموا من نصبوه من
الامراء اولي الامر متحكمين على الله فاكذبهم الله بكونهم ظالمين بغاة ولا يكون الوالي من قبل الله كذلك ثم
حذره يوم القيمة مبتهجا الرجل من سرور الذين حمدوا عاقبة اعمالهم بما حصلوا عليه من السعادة الباقية
او اغتباط غيرهم لهم وتمني مثل مراتبهم وندم من امكن الشيطان من قياده فصرفه كيف شاء ولم يجاذبه واستعار
لفظ التمكين من القياد لمطاوعة النفس الامارة وغرض التحذير ان لا يكون لمن يسوء من طالبي هذا الامر
بالتاويل على الله وقوله دعوتنا الى آخره صورة سؤال له والجواب عنه وكونه ليس من اهله اذ لم يكن صالحا
للامامة كما سبق بيانه مرارا وحيث لم يكن اهلا لان يجاب الى الرضى بالتحكيم اعلمه بذلك وانا اجبنا القرآن
الى حكمه وذلك في قوله تعالى في حق الزوجين وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله الآية فجعل عليه السلام
هذا اصلا وقاس عليه بطريق الاولى حال الامة عند وقوع الشقاق بينهم وبعين ذلك احتج ابن عباس ره
على الخوارج حيث انكروا التحكيم فقالوا كيف يجوز لعلي عليه السلام ان يحكم في دين الله الرجال فقال لهم ان
ذلك ليس بامر علي وانما هو بامر من الله تعالى في كتابه اذ يقول في حق الزوجين وان خفتم الآية افترون ان امر الله
بذلك في حق الرجل وامرأته مراعاة لمصلحتهما ولا يامر بذلك في حق الامة رعاية لمصلحتهم فرجع كثير منهم الى قوله
وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى بعض امرائه اما بعد فان الدنيا مشغلة عن غيرها ولم يصب صاحبها
منها شيئا الا فتحت له حرصا عليها ولهجا بها ولن يستغني صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه منها ومن وراء ذلك فراق
ما جمع ونقض ما ابرم ولو اعتبرت بما مضى حفظت ما بقي والسلام **اقول** اللهج الحرص الشديد وصدر الكتاب بالتنبيه
على معايب الدنيا ليقل الرغبة فيها وذكر منها امورا الاول كونها مشغلة عن غيرها اي عن الآخرة وهو ظاهر
الثاني كونها لم يصب صاحبها منها شيئا الا كان ذلك معدا للحرص عليها واللهج بها واليه الاشارة بقوله
صلى الله عليه وآله لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب الثالث كونها
لا يستغني صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه منها وذلك من لوازم العيب الثاني فان حصول بعضها اذا كان
معدا للفقر اليها لم يستغن طالبها ابدا منها ثم اردف ذلك بذكر امور للتنفير عنها ايضا احدها استعقابها
لفراق ما جمع منها الثاني نقضها ما احكم من امورها ثم نبه على وجوب الاعتبار بما مضى من العمر ومن احوال
الدنيا والقرون الماضية لغاية حفظ ما بقي من العمر ان يضيع في الباطل وحفظ ما بقي من السعادة

الاخروية

الاخروية بالسعي في تحصيلها وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى امرائه على الجيوش من عبد الله علي ابن ابي طالب امير
المؤمنين الى اصحاب المسالح اما بعد فان حقا على الوالي ان لا يغيره على رعيته فضل ناله ولا طول خص به وان يزيده
ما قسم الله له من نعمه دنوا من عباده وعطفا على اخوانه الا وان لكم عندي ان لا احتجز دونكم سرا الا في حرب ولا اطوي
دونكم امرا الا في حكم ولا اؤخر لكم حقا عن محله ولا اقف به دون مقطعه وان تكونوا عندي في الحق سواء فاذا
فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة وان لا تنكصوا عن دعوة ولا تفرطوا في صلاح وان تخوضوا
الغمرات الى الحق فان انتم لم تستقيموا لي على ذلك لم يكن احد اهون علي ممن اعوج منكم ثم اعظم له العقوبة ولا
يجد عندي فيها رخصة فخذوا هذا من امرائكم واعطوهم من انفسكم ما يصلح الله به امركم والسلام **اقول** احتجز
امتنع والنكوص الرجوع على الاعقاب والغمرة الشدة واعلم انه قدم ههنا ما يجب على الوالي المطلق لرعيته بوجه
كلي كما هو عادة الخطيب ثم ثنى ببيان ما يجب عليه لهم تفصيلا لذلك الكلي ثم ما يجب عليهم له ثم امرهم بلزوم
ما اوجبه عليهم اما الاول فقوله اما بعد الى قوله اخوانه واشار فيه الى امرين احدهما ان لا يغيره عنهم ما اختص
به من الفضل والطول لان تغيره عنهم خروج عن شرائط الولاية الثاني ان يزيده تلك النعمة من الله دنوا
من عباده عطفا على اخوانه لان ذلك من تمام شكر النعمة واما الثاني فاشترط على نفسه لهم خمسة امور احدها
ان لا يحتجز دونهم سرا في الامور المصلحية الا في الحرب ويحتمل ترك مشورتهم هناك لامرين احدهما ان اكثرهم ربما
لا يختار الحرب فلو توقف على المشورة فيه لما استقام امره بها ولذلك كان عليه السلام كثيرا ما يحملهم على الجهاد
ويتضجر من تثاقلهم عنه وهم له كارهون كما سبق الثاني ان يكتم ذلك خوف انتشاره الى العدو فيكون سبب
استعداده وتأهبه للحرب ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا اراد سفرا للحرب ورى بغيره كما روي انه
لما نوى غزاة بدر كتب للسرية كتابا وامرهم ان يخرجوا من المدينة الى صوب مكة يومين او ثلثة ثم ينظروا في الكتاب
ويعملوا بما فيه فلما ساروا المدة نظروا فيه فاذا هو يامرهم فيه بالخروج الى نخلة محمود وان يفعلوا كذا وكذا
ففعلوا وخرج النبي صلى الله عليه وآله خلفهم الى بدر وكان الظفر لهم ولو اعلمهم عليه السلام حين امرهم بالخروج
انه يسير الى قريش لانتشر ذلك الى قريش وكان استعدادهم لهم اقوى وجاز ان يكون ذلك ايضا مانعا لبعض
الصحابة عن النهوض خوفا من اهل مكة وشوكتهم الثاني انه لا يطوي دونهم امرا الا في حكم استعار لفظ الطي
لكتمان الامر اي لا يخفي عنكم امرا الا ان يكون حكما من احكام الله فاني امضيه دونكم من غير مراقبة ومشاورة
فيه كالحدود وغيرها الثالث ان لا يؤخر لهم حقا عن محله كالعطاء وسائر الحقوق اللازمة له ولا يقف به دون
مقطعه كالاحكام المتعلقة بالمتخاصمين المحتاجة الى الفصل الرابع ان يسوي بينهم في الحق والاولان تقتضي
فضيلة الحكمة والثالث والرابع مقتضى فضيلة العدل واما الامر الثالث مما يستحقه عليهم فبدا بوجوب
حق الله تعالى وله اذ كان حكم قضائه بنصبه لهم اماما وفضله بهم ما ذكره من تمام نعمته عليهم ثم ثنى بما يجب
له وذكر امورا احدها بذل طاعته اذ لا حجة لهم عليه يكون سبب العصيان الثاني ان لا ينكصوا عن دعوته

اذا دعاهم وهو من تمام الطاعة الثالث ان لا يقفوا في حيز التفريط في مصلحة رآها او يدعو لهم الرابع ان
يخوضوا الغمرات ويركبوا الشدائد في نصرة الحق وطلبه ثم اردف ذلك بالوعيد لهم ان لم يستقيموا له على ما
وجب له عليهم مما عدده وتوعد بامرين احدهما هوان المعوج منهم عن طاعته عليه وسقوط منزلته والثاني اعظام
العقوبة له وعدم الرخصة فيها عنده ولما بين لهم ما وجب عليهم امرهم ان ياخذوا ذلك البيان والنصح منه
ومن سائر امراء العدل ويعطوهم من انفسهم ما يصلح الله به امورهم من الطاعة وفعل ما امروا به وبالله التوفيق
ومن كتاب له عليه السلام الى عماله على الخراج من عبد الله علي امير المؤمنين الى اصحاب الخراج اما بعد فان من
لم يحذر ما هو صائر اليه لم يقدم لنفسه ما يحرزها واعلموا ان ما كلفتم يسير وان ثوابه كثير ولو لم يكن
فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه فانصفوا
الناس من انفسكم واصبروا لحوائجهم فانكم خزان الرعية ووكلاء الامة وسفراء الائمة ولا تحشموا احدا عن
حاجته ولا تحبسوه عن طلبته ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعتملون عليها ولا عبدا
ولا تضربن احدا سوطا لمكان درهم ولا تمسن مال احد من الناس مصل ولا معاهد الا ان تجدوا فرسا او
سلاحا يعدى به على اهل الاسلام فانه لا ينبغي للمسلم ان يدع ذلك في ايدي اعداء الاسلام فيكون شوكة عليه
ولا تدخروا انفسكم نصيحة ولا الجند حسن سيرة ولا الرعية معونة ولا دين الله قوة وابلوا في سبيل الله ما استوجب
عليكم فان الله سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم ان نشكره بجهدنا وان ننصره بما بلغت قوتنا ولا قوة
الا بالله **اقول** السفير الرسول وحشمته واحشمته بمعنى اي اغضبته واخجلته والشوكة الحدة والبلية معروفا
اي اعطيته وصدر الكتاب بمقدمة كلية وهو ان من لم يحذر ما يصير اليه من العواقب المخوفة لم يقدم لنفسه
استعدادا يحرزها فيها فان الانسان انما يستعد للامر المرغوب والمرهوب اذا رغب فيه او خافه وهي في
معرض التوبيخ على ترك الحذر لغرض تقديم طاعة وما يستعد به الانسان مما يحرز نفسه من عذاب الله ثم
اعلمهم بكون التكليف لهم يسيرا تسهيلا له وكون ثوابه كثيرا ترغيبا فيه وهو في قوة صغرى ضمير رغبهم به في
القيام بالامور المكلف بها وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك وجب القيام به والاجتهاد فيه ثم اردفه بالتنبيه
على وجوب ترك البغي والظلم بما يلزم فعله من العقاب الاليم وتركه من الثواب العظيم الذي لا عذر في ترك
طلبه لو لم يكن في فعله عقاب والمعنى انه لو لم يكن فيه عقاب يخاف فترك لاجله لكان في تركه ثواب يجب
لاجله فكيف وفي فعله العقاب الاليم فبالاولى ان يجب تركه وهو من افصح الكلام والغرض التحذير من
الوقوع في رذيلة الظلم ثم اردف ذلك باوامر ونواهي فمن الاوامر امران احدهما انصاف الرعية من انفسهم
وسوطها الثاني ان يصبروا لحوائجهم لينتظم امر مصلحتهم وعلل ذلك بكونهم خزان الرعية ووكلاءهم على
بيت مالهم وسفراء ائمتهم اليهم وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فعليه النصفة في
حقهم والصبر لحوائجهم ومن النواهي ستة احدها ان لا يغضبوا احدا ولا يحبسوه فيستحيي عن حاجته

الثاني

الثاني لا يمنعوا احدا عن حاجته ويحجبوا دونه الثالث ان يحوجوا احدا في طلب الخراج الى بيع ما يضطر اليه من
كسوة او دابة ينتفع بها في عمل ولا عبدا الخامس ان لا ياخذوا من مال احد من اهل القبلة او المعاهدين من اهل
الكتاب شيئا الا ان يكون فرسا او سلاحا يعدى به على المسلمين والاسلام فانه يجب اخذه من ايدي اعدائهم لئلا
يكون شوكة عليهم وعونا السادس ان لا يدخروا انفسهم اي من انفسهم نصيحة بل ينصح بعضهم لبعض ولا
عن الجند حسن سيرة ولا عن الرعية معونة ولا عن دين الله قوة ثم امرهم ان يبلوا في سبيله ويعطوا ما استوجب
عليهم من شكر نعمه وطاعته ثم علل وجوب ذلك بقوله فان الله الى آخره وهو في قوة صغرى ضمير والمعنى انه تعالى
جعل شكره بجهدنا ونصرته بما بلغت قوتنا صنيعة عندنا اذ كان شكره ونصرته من اعظم نعمه علينا كما سبق
وقيل اراد لان نشكره وتقدير الكبرى وكل من اصطنع عندنا وجب علينا شكره وبالله التوفيق **ومن كتاب
له عليه السلام** كتبه الى امراء البلاد في معنى الصلوة اما بعد فصلوا بالناس الظهر حتى تفيء الشمس مثل مربض العنز
وصلوا بهم العصر والشمس بيضاء حية في عضو من النهار حين يسار فيها فرسخان وصلوا بهم المغرب حين يفطر
الصائم ويدفع الحاج وصلوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق الى ثلث الليل وصلوا بهم الغداة والرجل يعرف
وجه صاحبه وصلوا بهم صلوة اضعفهم ولا تكونوا فتانين **اقول** بين في هذا الكتاب وقت الصلوات
المفروضة فالاول وقت الظهر وحده بوقت فيء الشمس اي رجوعها وميلها الى المغرب ثم بينه بتقديره بربض
العنز وهو اول وقت الظهر وذلك مما يختلف باختلاف البلاد الثاني وقت العصر وقدره ببقاء الشمس
بيضاء لم تصفر للمغيب وحية واستعار لفظ الحياة لظهورها على الارض لمكان المشابهة وفي عضو من النهار
واراد القسم والقطعة منه ثم قدر ذلك العضو بمقدار ان يسار فيه فرسخان السير المعتاد الثالث وقت
المغرب وعرفه بامرين احدهما حين يفطر الصائم وذلك عند سقوط القرص والثاني حين يدفع الحجاج ويفيضون
من عرفات ولشهرة هاتين العلامتين وتعارفهما مع المخاطبين عرفه بهما الرابع وقت العشاء الآخرة و
عرفه بتواري الشفق وذلك من ناحية المغرب وحد آخره بثلث الليل وانما حد آخر هذا الوقت دون اوقات
سائر الفرائض لان الفرائض تبين آخر كل وقت منها ببيان اول وقت الاخرى ولا كذلك آخر وقت العشاء
الآخرة لانفصاله بالليل الخالي عن الفرائض واما آخر وقت الصبح فحده بطلوع الشمس بين ظاهر الخامس
صلوة الغداة وحده بحين يعرف الرجل وجه صاحبه وذلك حين طلوع الفجر الثاني وهو الحمرة المعترضة
من ناحية المشرق والعلامة التي ذكرها اوضح لسائر الناس ثم وصاهم بفعل وترك اما الفعل فان
يصلوا بالناس صلوة اضعفهم وهو ان لا يطيلوا في القراءة في الفرائض كقراءة البقرة والسور الطوال
فان ذلك لا يستطيع القيام به كل الناس فيؤدي ذلك الى المشقة وعجز بعضهم عن اداء الفريضة في الجماعة
وهو ضرر ومشقة في الدين واما الترك فان لا يكونوا فتانين باطالة الصلوة ووجه الفتنة هنا انهم يكونون
صارفين للناس عن الاتفاق والتساعد على صلوة الجماعة باطالتها المستلزمة لتخلف العاجزين والضعفاء

والله اعلم ومن عهد له عليه السلام كتبه للاشتر النخعي ره على مصر واعمالها حين اضطرب امر اميرها محمد بن ابي بكر
وهو اطول عهد كتبه واجمعه للمحاسن اقول هو مالك بن الحرث الاشتر النخعي من اليمن وكان من اكابر اصحابه
عليه ذوي النجدة والشجاعة الذين غلبهم عدته في الحروب وروي ان الطرماح لما دخل على معوية قال له قل
لابن ابي طالب اني جمعت من العساكر بعدد حب جاورس الكوفة وها انا قاصده فقال له الطرماح ان لعلي
ديكا اشتر يلتقط جميع ذلك فانكسر معوية من قوله وفي العهد فصول **الفصل الاول** قوله بسم الله الرحمن
الرحيم هذا ما امر به عبد الله امير المؤمنين مالك بن الحرث الاشتر في عهده اليه حين ولاه مصر جبوة خراجها
وجهاد عدوها واستصلاح اهلها وعمارة بلادها امره بتقوى الله وايثار طاعته واتباع ما امر به
في كتابه من فرايضه وسننه التي لا يسعد احد الا باتباعها ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها وان ينصر الله
سبحانه بيده وقلبه ولسانه فانه جل اسمه تكفل بنصر من نصره واعزاز من اعزه وامره ان يكسر من نفسه عند
الشهوات ويزعها عند الجمحات فان النفس امارة بالسوء الا ما رحم الله اقول يزعها يكفها وصدر
هذا العهد بذكر امور هي غرض الولاية وبها يكون نظام الامر فمنها ما يعود الى منفعة الوالي وهو جبوة الخراج
ومنها ما يعود الى الرعية وهي جهاد عدوهم واستصلاحهم بالسياسة وحسن الرعي ومنها ما يعود اليهما وهو
وهو عمارة البلاد ولواحقها ثم امره باوامر خمسة يعود الى اصلاح نفسه اولا احدها تقوى الله وخشيته
وقد سبق بيان كونها اصلا لكل فضيلة الثاني اتباع اوامره في كتابه من فرايضه وسننه ورغب في ذلك
بقوله لا يسعد الى قوله اضاعتها وتكرر بيان ذلك الثالث ان ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه في جهاد
العدو وانكار المنكرات ورغب في ذلك بقوله وقد تكفل الى قوله اعزه كقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم
ويثبت اقدامكم الرابع ان يكسر من نفسه عند الشهوات وهو امر بفضيلة العفة الخامس ان يكفها ويقاومها
عند الجمحات وهو امر بفضيلة الصبر عن اتباع الهوى وهو فضيلة تحت العفة وحذر من النفس بقوله فان
النفس الى اخره وهو من قوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء الاية وما بمعنى من وهي نصب على الاستثناء
اي لا نفس رحمها الله **الفصل الثاني** في اوامره ووصاياه بالاعمال الصالحة المتعلقة باحوال الولاية
وتدبير الملك والمعيشة وذلك قوله ثم اعلم يا مالك اني قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك
من عدل وجور وان الناس ينظرون في امورك في مثل ما كنت تنظر فيه من امور الولاة قبلك ويقولون
فيك ما كنت تقول فيهم وانما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عباده فليكن احب الذخاير
اليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك فان الشح بالنفس الانصاف منها
فيما احبت وكرهت واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا
تغتنم اكلهم فانهم صنفان اما اخ لك في الدين واما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل
ويؤتى على ايديهم في العمد والخطاء فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب ان يعطيك الله من عفوه

وصفحه فانك فوقهم ووالي الامر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفاك امرهم وابتلاك بهم ولا
تنصبن نفسك لحرب الله فانه لا يدي لك بنقمته ولا غنى لك عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفو ولا
تبجحن بعقوبة ولا تسرعن الى بادرة وجدت عنها مندوحة ولا تقولن اني مؤمر امر فاطاع فان ذلك ادغال
في القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير واذا احدث لك ما انت فيه من سلطانك ابهة او مخيلة فانظر
الى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فان ذلك يطامن اليك من طماحك
ويكف عنك من غربك ويفيء اليك بما عزب عنك من عقلك اياك ومساماة الله في عظمته والتشبه
به في جبروته فان الله يذل كل جبار ويهين كل مختال انصف الله وانصف الناس من نفسك ومن خاصة
اهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك فانك الا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون
عباده ومن خاصمه الله ادحض حجته وكان لله حربا حتى ينزع ويتوب وليس شيء ادعى الى تغيير نعمة الله و
تعجيل نقمته من اقامة على ظلم فان الله يسمع دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد وليكن احب
الامور اليك اوسطها في الحق واعمها في العدل واجمعها لرضا الرعية فان سخط العامة يجحف
برضا الخاصة وان سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة وليس احد من الرعية اثقل على الوالي مؤنة في
الرخاء واقل له معونة في البلاء واكره للانصاف واسأل بالالحاف واقل شكرا عند الاعطاء وابطأ
عذرا عند المنع واضعف صبرا عند ملمات الدهر من اهل الخاصة وانما عمود الدين وجماع المسلمين و
العدة للاعداء العامة من الامة فليكن صغوك لهم وميلك معهم وليكن ابعد رعيتك منك واشنأهم
عندك اطلبهم لمعايب الناس فان في الناس عيوبا الوالي احق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها
فانما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك
ما تحب ستره من رعيتك اطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنهم سبب كل وتر وتغاب عن كل ما لا
يصح لك ولا تعجلن الى تصديق ساع فان الساعي غاش وان تشبه بالناصحين ولا تدخلن في مشورتك
بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جبانا يضعفك عن الامور ولا حريصا يزين لك الشره بالجور
فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله شر وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيرا
ومن شركهم في الاثام فلا يكونن لك بطانة فانهم اعوان الاثمة واخوان الظلمة وانت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل
ارائهم ونفاذهم وليس عليه مثل اصارهم واوزارهم ممن لم يعاون ظالما على ظلمه ولا اثما على اثمه اولئك
اخف عليك مؤنة واحسن لك معونة واحنى عليك عطفا واقل لغيرك الفا فاتخذ اولئك خاصة
لخلواتك وحفلاتك ثم ليكن اثرهم عندك اقولهم بمر الحق واقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله
لاوليائه واقعا ذلك من هواك حيث وقع والصق باهل الورع والصدق ثم رضهم على ان لا يطروك ولا
يبجحوك بباطل لم تفعله فان كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدني من العزة ولا يكونن المحسن والمسيء عندك

بمنزلة سواء فان في ذلك تزهيدا لاهل الاحسان في الاحسان وتدريبا لاهل الاساءة على الاساءة والزم
كلا منهم ما الزم نفسه واعلم انه ليس شيء بادعى الى حسن ظن وال برعيته من احسانه اليهم وتخفيفه المؤنات
عليهم وترك استكراهه اياهم على ما ليس له قبلهم فليكن منك في ذلك امر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك
فان حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا وان احق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده وان احق من ساء ظنك به
لمن ساء بلاؤك عنده ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الامة واجتمعت عليها الالفة وصلحت عليها
الرعية ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الاجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها
واكثر مدارسة العلماء ومنافثة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه امر بلادك واقامة ما استقام به الناس
قبلك اقول البادرة الحدة للغضب الجري عليه والصفح الاعراض عن الذنب والبجح بسكون الجيم الفرح
والسرور والبادرة الحدة والمندوحة السعة والادغال ادخال الفساد في الاصل والنهك الضعف
والابهة والمخيلة الكبر ويطامن يسكن وطماح النفس جماحها وطمح البصر ارتفع وغرب الفرس حدته
واول جريه والمساماة مفاعلة من السمو والجبروت الكبر العظيم وادحض حجته ابطلها وينزع يرجع
ويتوب والالحاف شدة السؤال وملمات الدهر ما يلم من خطوبه وجماع المسلمين جمعهم والصغو الميل
واشنأهم ابغضهم والوتر الحقد والتغابي التجاهل والتغافل والبطانة الرجل خاصته والاصار الاثام
وحفلاتك اي مجالسك في المحافل والمجامع والاطراء المدح البالغ والزهو الكبر والتدريب التعويد
والمنافثة المحادثة واعلم ان مدار هذا الفصل لما كان على امره بالعمل الصالح في البلاد والعباد نبهه
اولا على بعض العلل الغائية من ذلك وهو الذكر الجميل في العقبى والكون من الصالحين بقوله
بقوله اني قد وجهتك الى قوله يقول فيهم وهو في قوة صغرى ضمير تقديرها انك موجه الى بلدة حالها كذا
وكذا وحال الناس فيك كذا وكذا وتقدير الكبرى وكل من وجه الى بلدة كذلك وكان الناس ناظرين
من امره مثل ما كان ينظر قبله من امر الولاة ويقولون فيه مثل ما كان يقول فيهم فيجب عليه ان يكون
احب الامور اليه العمل الصالح ليحصل منه الذكر الجميل بين الناس الدال على كونه المذكور عند الله من
الصالحين ونبه على تلك الدلالة بقوله وانما يستدل الله على الصالحين بما يجري الله لهم على السن
عباده وفي نسبة اجراء القول الى الله ترغيب عظيم في تحصيل الذكر الجميل ثم اعقب ذلك بامره ان يجعل
العمل الصالح احب الذخاير اليه واستعار لفظ الذخيرة باعتبار ان تحصله في الدنيا لغاية الانتفاع
به في العقبى كالذخيرة ولما امره بالعمل الصالح اجمالا شرع في تفصيله وذكر انواعا احدها ان يملك
هواه في شهوته وغضبه فلا يتبعهما ويشح بنفسه عما لا يحل لها من المحرمات وقوله فان الشح الى قوله كرهت
تفسير لذلك الشح بما يلازمه وهو الانصاف والوقوف على حد العدل في المحبوب فلا يقوده شهوته
الى حد الافراط فيقع في رذيلة الفجور وفي دفع المكروه فلا يقوده غضبه الى طرف الافراط من فضيلة

العدل فيقع في رذيلة الظلم والتهور وظاهر ان ذلك شح بالنفس وبخل بها عن القائها في مهاوي الهلاك الثاني
ان يشعر قلبه الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم وهي فضائل تحت ملكة العفة اي اجعل هذه الفضائل شعارا
لقلبك ولفظا الشعار والسبع مستعاران واشار الى وجه استعارة السبع بقوله تغتنم اكلهم الثالث ان يعفو و
يصفح عنهم وهو فضيلة تحت الشجاعة وقوله فانهم الى قوله في الخلق بيان لسببين من اسباب الرحمة لهم واللطف
بهم وقوله يفرط منهم الزلل الى قوله الخطاء تفسير للثلث وهي السبب الثاني والكلام في قوة صغرى ضمير حسن العفو
والصفح واراد بالعلل التي تعرض لهم الامور الشاغلة الصارفة لهم عما ينبغي من اجراء اوامر الوالي على وجهها وقوله
ويؤتى على ايديهم كناية عن كونهم غير معصومين بل هم ممن يؤتون من قبل العمد والخطاء ويأتي على ايديهم اوامر
الولاة والمواخذات فيما يقع منهم من عمد وخطاء وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فينبغي ان يرحم ويشمل بالمحبة
واللطف به ويقابل خطاياه بالعفو والصفح وفي امره باعطاء العفو مثل الذي يحب ان يعطيه الله من عفوه ثم ترغيب
في العفو واقوى جاذب اليه وكذلك قوله فانك فوقهم الى قوله وابتلاك بهم تخويف من الله في معرض الامر
بالعفو واللطف وهو صغرى ضمير ايضا وكذلك الرابع نهاه ان ينصب نفسه لحرب الله وكنى بحربه عن المغالطة على عباده
وظلمهم ومبارزته تعالى فيهم بالمعصية وقوله فانه لا يدي لك الى قوله ورحمته صغرى ضمير ينبه به على انه لا يجوز ظلم
عباد الله ومحاربته وكنى بعدم اليدين عن عدم القدرة تمثيلا لمن يهذا الامر اذا كان مما لا يطاق وحذف النون
من يدين للمضارعته المضاف وقيل لكثرة الاستعمال وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا يجوز ان ينتصب
لحرب الله بظلم عباده الخامس نهاه عن الندم على العفو والبجح بعقوبة الغير والتسرع الى الغضب الذي يجد
مندوحة فان ذلك كله من لوازم اعطاء القوة الغضبية قيادها وقد علمت انها شيطان تعود الى النار السادس
نهاه ان يامر بما لا ينبغي الامر به وعما لا ينبغي ونهى عن ما عساه يعرض في النفس من وجوب طاعة الخلق لامره
وان عليهم ان يسمعوا وعليه ان يامر فان ذلك فساد في القلب والدين واشار الى ذلك الفساد بقوله فانه ادغال
الى قوله الغير وهو من وجوه ثلثة احدها انه ادغال في القلب وصرف له عن دين الله وهو معنى فساده الثاني
ان ذلك منهكة للدين واضعاف له الثالث انه تقريب من الغير لكون الظلم من اقوى الاسباب المعدة باجتماع
همم الخلق على زواله واليه الاشارة بقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم والكلام في قوة ثلث
صغريات لثلثة ضماير وتقدير الكبريات فيها وكل ما كان كذلك فلا يجوز ارتكابه السابع ارشده الى دواء
الابهة والكبر الذي عساه يعرض له في سلطانه وولايته وذلك ان ينظر الى عظمة الله تعالى فوقه وقدرته
على ما لا يملكه من نفسه ولا يستطيعه جلبا لها او دفعا عنها فان ذلك يسكن داء الكبر الذي يحدث لطيشه
ويكسر حدة غضبه ويرده اليه ما تفرق من قوته الغضبية من عقله معزب عنه جماحها وهذه ايضا صغريات ثلث لثلثة
ضماير نبه فيها على وجوب فعل ما ارشده اليه من الدواء وتقدير الكبريات فيه وكلما كان كذلك فيجب عليك
فعله الثامن حذره من التعظيم والتجبر وتفرع عن ذلك بكونهما مساماة لله وتشبها به وبان المتكبر يستلزم ان يذل

الله ساحبه ويهينه وتقديرا الاحتجاج فانك ان عثرت واختلك يد النافة ويهينك وهو في قوة صغرى صغير
ايضا وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فيجب ان يحذر من الله بترك التجبر التاسع امره بانصاف الله وانصاف
الناس من نفسه واهل هواه من رعيته فانصاف الله العمل بما امره والانتهاء عن زواجره مقابلا لما انعم
وانصاف الناس العدل فيهم والخروج اليهم من حقوقهم اللازمة لنفسه ولاهل خاصته واحتج على وجوب ذلك
الانصاف بقياس مفصول صغرى الاول قوله فانك ان لا تفعل تظلم اى تظلم عباد الله وكبراه ومن ظلم
عباد الله كان الله خصمه دون عباده وتقدير نتيجته فانك ان لا تفعل كان الله خصمك دون عباده وهى صغرى
لقياس اخر كبراه قوله ومن خاصمه الله الى قوله ويتوب وتقدير نتيجته فانك ان لا تفعل ادحض الله حجتك عند
مخاصمته وكنت له الى ان تنزع وتتوب من ظلمك وقوله وليس شىء الى قوله على ظلم شبه على لازم اخر لعدم
الانصاف والاقامة على الظلم وهى كونه ادعى الى تغيير نعم الله وتعجيل نقمته من كل شىء وقوله فان الله
قوله بالمرصاد بيان للرفع اللازم المذكور وذلك ان الله سبحانه اذا كان يسمع دعوة المظلوم ويطلع على
فعل الظالم فانه يسرع الى تغيير نعمته اذا استعد لذلك العاشر امره ان يكون احب الامور اليه اقربها
الى الحق الوسط من طرفى الافراط والتفريط وهو الحق واعمها للعدل واجمعها لرضا الرعية فان العدل
قد يوقع عليه وجه لا يعم العامة بل يتبع فيه رضاء الخاصة ونبه على لزوم العدل العام للرعية وحفظ قلوب
العامة وطلب رضاهم بوجهين احدهما ان سخط العامة لكثرتهم لا يقاوم رضاء الخاصة لقلتهم بل يجحف
به ولا ينتفع برضاهم عند سخط العامة وذلك يؤدى الى وهن الدين وضعفه اما سخط الخاصة فانه مغتفر
ومستور عند رضاء العامة فكان رضاهم اولى الثانى انه وصف الخاصة بصفات مذمومة تستلزم قلة
الاهتمام بهم بالنسبة الى العامة بصفات محمودة توجب العناية بهم اما صفات الخاصة فاحدها كونهم
اثقل مؤنة على الوالى فى الرخاء لتكلفه لهم ما لا يتكلفه لغيرهم الثانى كونهم اقل معونة له فى البلاء لحبهم
الدنيا وعزة جانبهم الثالث وكونهم اكره للانصاف لزيادة اطماعهم فى الدنيا على العامة الرابع وكونهم
اسال بالالحاف لانهم عند الحاجة الى السؤال اشد جرأة على الوالى واطمع فى الاجابة الخامس كونهم
اقل شكرا عند الاعطاء لاعتقادهم زيادة فضلهم على العامة وانهم احق بما يعطونه واعتقادهم حاجة الوالى
اليهم وتخوفه منهم السادس كونهم ابطأ عذرا للوالى عن منعهم اى انهم اقل الناس عذرا له اذا اعتذر اليهم فى منع
لاعتقادهم فضيلة انفسهم وكونهم ولجى قضاء الحقوق السابع كونهم اضعف صبرا عند ملمات الدهر لتعودهم
الترفه وحرصهم على ما فى ايديهم من الدنيا واما صفات العامة فاحدها كونهم عمود الدين واستعار لهم لفظ
العمود باعتبار قيام الدين بهم كقيام البيت بعموده الثانى كونهم جماع المسلمين لكونهم الاغلب الاكثر و
السواد الاعظم الثالث كونهم العدة للاعداء لكثرتهم ايضا ولانهم كانوا اهل الحرب فى ذلك الزمان و
هذه الصفات للفريقين يستلزم وجوب حفظ قلوب العامة وتقديمه على حفظ قلوب الخاصة ولذا

لمن ان يكون صغوه وميله الى العامة الحادى عشر امره بان يكون ابعد رعيته منه وابغضهم اليه اطلبهم لمعايب الناس
ونبه على وجوب ذلك بقوله فان فى الناس الى قوله سترها واذا كان الوالى احق من سترها الزمه ان لا يكشف
ما غاب عنه منها وذلك بمنع اهل الغيبة وابعادهم وان يلزم ما يجب عليه وهو تطهير الخلق مما ظهر له من عيوبهم
دون ما غاب عنه واكد ذلك بالامر بستر العورة من العيوب بقدر الاستطاعة فان كل عيب عورة ونبه على الغرض
فى ذلك بما يستلزم من اعداده لستر الله منه ما يحب ان يستر هو على غيره من الذنوب والعيوب الثانى عشر امره
بنزع الحقد وعقد ما عقده فى قلبه منه لكونه من الرذائل الموبقة وان يقطع اسباب من قول السعاية واهل
النميمة الثالث عشر ان يتغافل عن كل امر لا يتضح له ولا يقوم به برهان ونهاه ان يعجل الى تصديق من سعى به
ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فان الساعى الى قوله الناصحين ووجه غشه كونه يبث الاحقاد والضغاين بين
الناس ويذيع الفاحشة والفساد فى الارض وتقدير كبراه وكل من كان غاشا وجب ان لا يلتفت اليه الرابع عشر
نهاه ان يدخل فى مشورته ثلثة البخيل والجبان والحريص ونبه على وجه المفسدة فى استشارة كل واحد من الثلثة
بضمير صغرى الاول قوله يعدل بك الى قوله الفقر وذلك ان البخيل لا يشير الا بما يراه مصلحة عنده وهو البخل وما
يستلزم من التخويف بالفقر وهو معدل بالمستشير عن الفضل وصغرى الثانى قوله يضعفك عن الامور لان الجبان لا
يشير الا بوجوب حفظ النفس والتخويف من العدو وهو المصلحة التى يراها وكل ذلك مضعف عن الحرب ومقاومة العدو
وصغرى الثالث قوله يزين لك الشره بالجور وذلك ان المصلحة عنده جمع المال وحفظه وهو يستلزم الجور عن فضيلة
العدل والقصد وتقدير الكبرى فى الثلثة وكل من كان كذلك فلا يجوز استشارته ثم نفر عن الثلثة بضمير اخر نبه
بصغراه على مبادئها انها الثلث وهى البخل والجبن والحرص ليعرف فيجتنب وتنفر عن اهلها فذكر انها غرايز اى اخلاق
متفرقة تحصل للنفس عن اصل واحد ينتهى اليه وهو سوء الظن بالله وبيان ذلك ان مبدأ سوء الظن بالله عدم معرفته تعالى
فالجاهل به لا يعرفه من جهة ما هو جواد فياض بالخيرات لمن استعد لطاعته فيسوء ظنه به وبانه لا يخلف عليه عوض ما يبذله
فيمنعه ذلك مع ملاحظة الفقر عن البذل ويلزمه رذيلة البخل وكذا الجبان جاهل به من جهة لطفه بعباده وعنايته
بوجودهم وعين عالم البشر وتدبيره فيسوء ظنه بانه لا يحفظه من التلف ويتصور الهلاك فيمنعه ذلك عن الاقدام فى
الحرب ونحوها فيلزمه رذيلة الجبن وكذلك الحريص يجهله تعالى من الوجهين المذكورين فيسوء ظنه به ويعتقد انه
اذا لم يحرص لم يحرص وكذا النفس فكانت هذه الاخلاق الثلثة المذمومة راجعة الى ما ذكره الخامس عشر انه كان
من الاعمال الصالحة اختيار الوزراء والاعوان نبهه على من لا ينبغى استصلاحه لذلك ليجتنبه ومن ينبغى له ليرغب
فيه فمن لا ينبغى هو من كان للاشرار من الولاة قبله وزيرا ومشاركا لهم فى الاثام ونهاه عن اتخاذه بطانة وخاصة
له ونفره عنهم بضمير صغراه قوله فانهم الى قوله الخلف وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فلا تتخذه بطانة وقوله ممن له
مثل ارائهم بيان لمن هو خير الخلف من الاشرار وهم الذين ينبغى ان يتخذهم بطانة لوجه خيريتهم بالنسبة الى الاشرار
وهو ان يكون لهم مثل ارائهم ونفاذهم فى الامور وليس عليهم مثل اصارهم ولم يعاونوا ظالما على ظلمه ثم رغبه فى اتخاذ

هؤلاء اعوانا بضمير صغراه قوله اولئك اخف الى قوله الفا اما انهم اخف مؤنة فلان لهم وازعا من انفسهم عما لا ينبغى
لهم من مال او حال فلا يحتاج فى رضاهم مما ينبغى له من يكلفه بخلاف الاشرار الطامعين فيما لا ينبغى ويجب
فيهم الى الحق ومجانبتهم للاشرار كانوا احسن معونة واثبت عندنا قلوبا واشد حنوا عليه وعطفا واقل لغيره الفا و
تقدير كبراه وكل من كان كذلك فينبغى ان يتخذ عونا ووزيرا لذلك قال فاتخذ اولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك
ثم ميز من ينبغى ان يكون اقرب هؤلاء اليه واولاهم فى الاعتماد عليه باوصاف احدها ان يكون اقولهم بمر الحق
له الثانى ان يكون اقلهم مساعدة له فيما يكون منه ويقع من الامور التى يكرهها الله لاوليائه وانتصب قوله واقعا
على الحال اى فى حال وقوع ذلك القول منه والنصيحة وقلة المساعدة حيث وقع من هواك سوى كان فى هوى عظيم
ابيه او حيث وقع هواك اى سواء كان ما تهواه عظيما او ليس ويحتمل ان يريد واقعا ذلك الناصح من هواك ومحبتك
حيث وقع اى بحيث يكون له من هواك موقعا ثم امره فى اعتبارهم واختيارهم باوامر احدها ان يلازم اهل الورع منهم
والاعمال الجميلة واهل الصدق وهما فضيلتان تحت العفة الثانى ان يروضهم ويؤدبهم بالنهى عن الاطراء له او يزدهو
له سرورا بقول باطل ينسبونه فيه الى فعل ما لم يفعله فيدخلونه فى ذم قوله مقه ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ونفر
من كثرة الاطراء بضمير صغراه قوله فان كثرة الاطراء الى قوله الغرة واستلزام الاطراء للرذيلتين المذكورتين ظاهر
وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك فيجب اجتنابه الثانى نهاه ان يكون المحسن والمسىء عنده بمنزلة سواء ونفر عن ذلك
ببيان وجه المفسدة فى ضمير صغراه قوله فان ذلك الى قوله الاساءة وسره ان اكثر فعل الاحسان انما يكون طلبا للجزاء
بشكر خصوصا من الولاة وطلب الزيادة الرتبة على الغير وزيادة الذكر الجميل مع انواع من الكلفة فى ذلك فاذا
راى المحسن مساواة منزلته لمنزلة المسىء كان ذلك صارفا له عن الاحسان وداعيا الى الراحة من تكلفه وكذلك
اكثر التاركين للاساءة انما يتركون خوفا من الولاة واشفاقا من نقصان الرتبة عن النظراء فاذا راى المسىء
مرتبته مع مرتبة المحسنين كان التقصير به اولى وتقدير الكبرى وكل ما كان فيه تزهيد للاحسان وتدريب على الاساءة
فينبغى ان يجتنب ثم اكد ذلك بامره ان يلزم كلا من اهل الاحسان والاساءة بما الزم به نفسه من الاستعداد بالاحسان
والاساءة لها فيلزم المحسن منزلة الاحسان ويلزم المسىء منزلة الاساءة السادس عشر نبهه على الاحسان الى رعيته
وتخفيف المؤنات منهم وترك استكراههم على ما ليس له قبلهم بما يستلزم ذلك من حسن ظنه بهم المستلزم لقطع النصب
عنه من قبلهم والاستراحة اليهم وذلك ان الوالى اذا احسن الى رعيته قويت رغبتهم فيه واقبلوا بطباعهم على محبته
وطاعته وذلك يستلزم حسن ظنه بهم وان لا يحتاج معهم الى الكلفة فى جمع اهوائهم والاحتراس من شرورهم واكد ذلك
بقوله وان احق من يحسن ظنك به الى قوله عنده السابع عشر نهاه ان ينقض سنة صالحة عمل بها السلف الصالح من
صدور هذه الامة واجتمعت بها الالفة وصلاح الرعية وذلك مفسدة ظاهرة فى الدين الثامن عشر نهاه ان يحدث
سنة يضر بشىء من ماضى السنن واشار الى وجه الفساد فيها بضمير صغراه قوله فيكون الى قوله سنها يعود الى السنن التى
دخل عليها الضرر فيكون الاجر لمن سن السنة الماضية التى اضر بها سنتك الحادثة والوزر عليك بما نقضت

منها وتقدير كبراه فكل ما كان كذلك فينبغى ان يجتنب وينفر عنه التاسع عشر امره ان يكثر مدارسة العلماء اى بالاحكام
الشرعية وقوانين الدين ومنافثة الحكماء اى العارفين بالله واسراره فى عباده وبلاده العاملين بالقوانين الحكمية
العملية التجربية والاعتبارية وتتضح انواع الاختبارية بحيث العواعد والقوانين التى يصلح عليها امر بلاده ويقام
ما استقام به الناس قبله منها وبالله التوفيق **الفصل الثالث** فى التنبيه على طبقات الناس الذين
ينتظم بهم امر المدينة ووضع كل على حدة وطبقة التى تقتضى الحكمة النبوية وضعه فيها والاشارة الى تعلق كل طبقة
بالاخرى بحيث لا اصلاح لبعضهم الا بالبعض وبذلك يكون قوام المدينة ثم الاشارة الى من يستصلح من كل صنف
وطبقة يكون اهلا لذلك المرتبة والوصية فى كل ما يليق وذلك قوله واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا
ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل ومنها عمال الا
والرفق ومنها اهل الجزية من اهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار واهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من
ذوى الحاجة والمسكنة وكل قد سمى الله سهمه ووضع على حده فريضة فى كتابه او سنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله عهدا
منه عندنا محفوظا فالجنود باذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الامن وليس تقوم الرعية الا بهم
ثم لا قوام للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج يقوون به فى جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما اصلحهم ويكون
من وراء حاجتهم ثم لا قوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون به من
المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الامور وعوامها ولا قوام لهم جميعا الا بالتجار وذوى
الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمون من اسواقهم ويكفونهم من الترفق بايديهم مما لا يبلغه رفق
غيرهم ثم الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفى الله لكل سعة ولكل على الوالى
حق بقدر ما يصلحه قوله من جنودك انصحهم فى نفسك لله ولرسوله ولامامك انقاهم جيبا وافضلهم حلما ممن يبطئ
عن الغضب ويستريح الى العذر ويرؤف بالضعفاء وينبو عن الاقوياء وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف ثم
الصق بذوى الاحساب واهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة واهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة
فانهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد من امورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما ولا يتفاقمن فى نفسك
شىء قويتهم به ولا تحقرن لطفا تعاهدتهم به وان قل فانه داعية لهم الى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولا
تدع تفقد لطيف امورهم اتكالا على جسيمها فان لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به وللجسيم موقعا لا يستغنون
عنه وليكن اثر رؤوس جندك عندك من واساهم فى معاونته وافضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم
من خلوف اهليهم حتى يكون همهم هما واحدا فى جهاد العدو فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ولا تصح نصيحتهم
الا بحيطتهم على ولاة امورهم وقلة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم فافسح فى امالهم وواصل
من حسن الثناء عليهم وتعديد ما ابلى ذوو البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن فعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل ان شاء
الله ثم اعرف لكل امرئ منهم ما ابلى ولا تضمن بلاء امرئ الى غيره ولا تقصرن به دون غاية بلائه ولا يدعونك شرف

امرئ الى ان تعظم من بلائه ما كان صغيرا ولا ضعة امرئ الى ان تستصغر من بلائه ما كان عظيما واردد الى الله
ورسوله ما يضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الامور فقد قال الله سبحانه لقوم احب ارشادهم يا ايها
الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول
فالراد الى الله الاخذ بمحكم كتابه والراد الى الرسول الاخذ بسنته الجامعة غير المفرقة ثم اختر للحكم بين
الناس افضل رعيتك فى نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى فى الزلة ولا يحصر من الفئ
الى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفى بادنى فهم دون اقصاه واوقفهم عند الشبهات واخذهم بالحجج
واقلهم تبرما بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشف الامور واصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه اطراء ولا يستميله
اغراء اولئك قليل ثم اكثر تعاهد قضائه وافسح له فى البذل ما يزيح علته وتقل معه حاجته الى الناس واعطه
من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليامن بذلك اغتيال الرجال له عندك وانظر فى ذلك نظرا
بليغا فان هذا الدين قد كان اسيرا فى ايدى الاشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا ثم انظر فى امور
عمالك فاستعملهم اختبارا ولا تولهم محاباة واثرة فانهما جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم اهل التجربة
والحياء من اهل البيوتات الصالحة والقدم فى الاسلام المتقدمة فانهم اكرم اخلاقا واصح اعراضا واقل فى
المطامع اشرافا وابلغ فى عواقب الامور نظرا ثم اسبغ عليهم الارزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح انفسهم وغنى
لهم عن تناول ما تحت ايديهم وحجة عليهم ان خالفوا امرك او ثلموا امانتك ثم تفقد اعمالهم [illegible]
وابعث من اهل الصدق والوفاء عليهم فان تعاهدك فى السر لامورهم حدوة لهم على استعمال الامانة والرفق
بالرعية وتحفظ من الاعوان فان احد منهم بسط يده الى خيانة اجتمعت بها عليه عندك اخبار عيونك اكتفيت
بذلك شاهدا فبسطت عليه العقوبة فى بدنه واخذته بما اصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته
بالخيانة وقلدته عار التهمة وتفقد امر الخراج بما يصلح اهله فان فى صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ولا
صلاح لمن سواهم الا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج واهله وليكن نظرك فى عمارة الارض ابلغ من
نظرك فى استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد واهلك
العباد ولم يستقم امره الا قليلا فان شكوا ثقلا او علة او انقطاع شرب او بالة او احالة ارض اغتمرها غرق
او اجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو ان يصلح به امرهم ولا يثقلن عليك شىء خففت به المؤنة عنهم فانه ذخر يعودون
به عليك فى عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم
معتمدا فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من اجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم فى رفقك بهم
فربما حدث من الامور ما اذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة انفسهم به فان العمران محتمل ما حملته وانما
يؤتى خراب الارض من اعواز اهلها وانما يعوز اهلها لاشراف انفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء و
قلة انتفاعهم بالعبر ثم انظر فى حال كتابك فول على امورك خيرهم واخصص رسائلك التى تدخل فيها مكايدك

واسرارك باجمعهم لوجوه صالح الاخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترى بها عليك فى خلاف لك بحضرة
ملأ ولا تقصر به الغفلة عن ايراد مكاتبات عمالك عليك واصدار جواباتها على الصواب عنك وفيما ياخذ
لك ويعطى منك ولا يضعف عقدا اعتقده لك ولا يعجز عن اطلاق ما عقد عليك ولا يجهل مبلغ قدر نفسه
فى الامور فان الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره اجهل ثم لا يكن اختيارك اياهم على فراستك واستنامتك
وحسن الظن منك فان الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم ليس وراء ذلك من
النصيحة والامانة شىء ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لاحسنهم كان فى العامة اثرا واعرفهم
بالامانة وجها فان ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت امره فاجعل لراس كل امر من امورك راسا منهم
لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها ومهما كان فى كتابك من عيب فتغابيت عنه الزمته ثم استوص
بالتجار وذوى الصناعات واوص بهم خيرا المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فانهم مواد المنافع واسباب
المرافق وجلابها من المباعد والمطارح فى برك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها
ولا يجترئون عليها فانهم سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته وتفقد امورهم بحضرتك وفى حواشى بلادك
واعلم مع ذلك ان فى كثير منهم ضيقا فاحشا وشحا قبيحا واحتكارا للمنافع وتحكما فى البياعات وذلك باب
مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه وليكن البيع
سمحا بموازين عدل واسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكل
به وعاقب فى غير اسراف ثم الله الله فى الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين و
اهل البؤسى والزمنى فان فى هذه الطبقة قانعا ومعترا فاحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل
لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافى الاسلام فى كل بلد فان للاقصى منهم مثل الذى للادنى و
كل قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر فانك لا تعذر بتضييع التافه لاحكامك الكثير المهم فلا تشخص
همك عنهم ولا تصعر خدك لهم وتفقد امور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرغ
لاولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع فليرفع اليك امورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله سبحانه يوم
تلقاه فان هؤلاء من بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم وكل فاعذر الى الله فى تادية حقه اليه وتعهد
اهل اليتم وذوى الرقة فى السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه وذلك على الولاة ثقيل والحق كله
ثقيل وقد يخففه الله على اقوام طلبوا العاقبة فصبروا انفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم اقول
المعاقد جمع معقد مصدرا والمرافق المنافع وتفاقم الامر عظم والخلوف المتخلفون جمع خلف بالفتح و
الحيطة الشفقة ويضلعك يثقلك والمحك اللجاج والحصر العى والعجز والتبرم التضجر والازدهاء افتعال
من الزهو وهو الكبر والاطراء كثرة المدح والاغتيال الاخذ على غرة والمحاباة المعاطاة والمقاربة فيها
والاثرة الاستبداد والجماع الجمع والتوخى التقصد والحدوة الحث والتبرك التصيب من المكان والبالة

من الماء يبل الارض واحالة الارض تغيرت عما كانت عليه من الاستواء فلم ينجب زرعها ولا اثمر نخلها
والاجمام الاراحة ومعتمدا قاصدا والاعواز الفقر واستنام الى كذا سكن اليه والمترفق طالب الرفق من
التجارة والمطارح جمع مطرح وهى الارض البعيدة والبائقة الداهية والغائلة الشر والاحتكار حبس المنافع
عن الناس عند الحاجة اليها والبؤسى الشدة والقانع السائل والمعتر الذى يتعرض للعطاء من غير سؤال
والصوافى جمع صافية وهى ارض الغنيمة والتافه الحقير واشخصه همه رفعه وتصعير الخد امالته كبرا وتحقيرا
وتدبيرا واعذر فى الامر صار ذا عذر فيه واعلم ان فى الفصل ابحاثا الاول انه قسم اهل المدينة الى سبع طبقات
وحكم بانه لا يصلح بعضها الا ببعض على ما بينه وقوله من اهل الذمة ومسلمة الناس تفصيل للاهل الاول
فاهل الذمة تفسير لاهل الجزية ومسلمة الناس تفسير لاهل الخراج ويجوز ان يكون تفسيرا لاهل الجزية
والخراج لان للامام ان يقبل ارض الخراج من سائر المسلمين واهل الذمة واراد بالسهم الذى سماه الله
لكل منهم الاستحقاق لكل من ذوى الاستحقاق فى كتابه انما الصدقات للفقراء والمساكين وعمال
الخراج والصدقة وفصله فى سنة نبيه صلى الله عليه وآله وحده الذى وضع الله عليه عهدا منه عند اهل بيت
نبيه هو مرتبته ومنزلته من اهل المدينة الذين لا يقومون الا بهم فان للجندى منزلة وحدا محدودا لا يجوز له
تعديه وفريضته وقوفه عنده والعمل بما يليق بتلك المرتبة وكذلك الكتاب والعمال والقضاة وغيرهم
فان لكل منهم حدا يقف عنده وفريضة يلزمها عليها عهد من الله محفوظ عند نبيه واهل بيته عليهم السلام
اشتملت عليها الشريعة البحث الثانى انه نبه بقوله فالجنود باذن الله الى قوله ومعونتهم على ان الكل من الاصناف
المذكورة تعلق بالاخر بحيث لا يقوم الا به والحاجة اليه ضرورية ومجموعهم يقوم صورة المدينة فبدأ
بالجنود لانهم الاصل وذكر وجه الحاجة اليهم فى اربعة اوصاف احدها كونهم حصون الرعية واستعار لهم
لفظ الحصون باعتبار حفظهم للرعية وحياطتهم لهم كالحصن الثانى انهم زين الولاة فان الوالى بلا جند
كاحد الرعية لا يبالى به ولا يطاع له امر والمفسدة فيه ظاهرة الثالث كونهم عز الدين واطلق لفظ العز
عليهم اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه اذ كان العز للدين لازما لوجودهم الرابع استعار لفظ الامن
لهم باعتبار لزوم الامن لوجود الجند فى الطرق ونحوها والكلام فى قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما
كان كذلك فليس يقوم الرعية الا به وقوله وليس يقوم الرعية الا بهم نتيجة القياس المذكور وقال
باذن الله لينبه على انه اراد جنود الحق الذين هم مقتضى الحكمة لا مطلق الجنود الثانى اهل الخراج ومن يؤخذ
منهم ما اشار الى وجه استلزام الحاجة الى الجند للحاجة اليهم بقوله ثم لا قوام للجنود الى قوله حاجتهم فقوله
لا قوام الى قوله الخراج دعوى وقوله الذين يقوون الى قوله حاجتهم فى قوة صغرى ضمير نبه به عليها
وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فلا قوام للجند الا به فينتج لا قوام للجند الا بما يخرج الله لهم من الخراج
ولما كان الخراج انما يحصل من جماعة من الرعية ولا يقوم للجند الا بهم الثالث القضاة والعمال والكتاب

وجمهم لان وجه الحاجة اليهم واحد واشار اليه بقوله لما يحكمون به الى قوله وعوامها فانهم لما كان الوالى والرعية على ما
يعمهم من الامور ويخص كلا منهم وعلى ايديهم تكون احكام العقود وجمع المنافع وهو فى قوة صغرى ضمير تقدير كبراه
وكل من كان كذلك فحاجة الجند والرعية اليه ضرورية الرابع التجار وذوو الصناعات واومى انه لا قوام للاصناف
السابقة الا بهم ونبه على ذلك بقوله فيما يجتمعون عليه من مرافقهم فان كل ما يفعله التجار من جلب الامتعة وبيعها
وشرائها ويقيمونه من الاسواق بذلك وما يفعله الصناع من المنفعة بايديهم مما لا يحصل من غيرهم الاستنفاع به فهى
مرافق ومنافع للرعية فى مقام حاجتهم وضرورتهم وهو فى قوة صغرى ضمير كبراه ما سبق الخامس الطبقة السفلى من
اهل الحاجة والمسكنة ونبه على وجه الحاجة اليهم بقوله الذين يحق رفدهم ومعونتهم وبيان ذلك ان رفد هؤلاء و
معونتهم يستلزم اجتماع هممهم وتوفرها عليهم لرافدهم ومعينهم وبهم تنزل الرحمة وتستدر البركة من الله على اهل
المدينة ويدرك الثواب الاخروى فكانت الحاجة اليهم داعية لذلك ولما اشار الى وجه الحاجة الى جميعهم قال وفى
الله لكل سعة اى فى جود الله وعنايته لينبه على الله فى تدبير امورهم اذ هو رب العناية الاولى وقال ولكل على
الوالى حق بقدر ما يصلحه ليعلم ان مراعاة كل منهم واجبة عليه فيشتمل عليها وبالله التوفيق البحث الثالث امره
باستصلاح كل صنف باوصاف يجب ان يكون عليها وشبه فى مقامه فالصنف الاول الجند واشار الى تعيين من
يصلح لهذه المرتبة باوصاف ولمن ولاه فيهم باوامر ونواهى اما الاوصاف فاحدها من كان انصح فى نفسه لله ولرسوله
ولامامه جيبا اى اكثرهم امانة فى العمل باوامر الله ورسوله وامامه وناصح الجيب كناية عن الامين الثانى افضلهم حلما
ثم وصف ذلك الافضل فقال ممن يبطئ عن الغضب ويستريح الى العذر فيقبله اذا وجده ويرأف بالضعفاء فلا يغلظ
عليهم وينبو على الاقوياء اى يعلو عليهم ويجتنب الميل اليهم على من دونهم ممن لا يثيره العنف اى لا يكون له عنف فيثيره
كقوله ولا ارى الضب بها ينجحر وقيل لا يهيجه العنف ولا يزعجه اذا فعل ولا يقعد به الضعف عن اقامة حدود الله واخذ
الحقوق من الظالمين اى لا يكون له ضعف فيقعده عن ذلك الثالث من كان من اهل الاحساب والبيوتات الصالحة
والسوابق الحسنة من الاحوال والافعال والاقوال الخيرة الرابع من يكون من اهل النجدة والشجاعة الخامس من يكون
من اهل السخاء والسماحة واما الاوامر فاحدها ان يولى من الجند من كان بهذه الصفات الثانى ان يلصق بذكر
منهم اى يلزمهم فى هذه المرتبة ورغب فيهم بقوله فانهم الى قوله العرف ووصفهم بكونهم جماعا من الكرم وشعبا من
المعروف اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه اذ كان الجمع من الكرم وهو الفضائل المذكورة لازما لهم والامانة والسخاء
والسماحة فضائل تحت العفة والحلم والنجدة فضيلتان تحت الشجاعة ويحتمل ان يكون الضمير فى قوله فانهم عائدا الى
الفضائل المذكورة كقوله تعالى فانهم عدو لى يشير الى الاصنام الثالث ان يتفقد من امورهم ومصالحهم ما
يتفقده الوالدان وهو كناية عن نهاية الشفقة عليهم الرابع نهاه ان يعظم فى نفسه شىء يقويهم به من مال او نفع
فيدعوه الى التقاصر فى حقهم الخامس ان لا يحقر لطفا يتعاهدهم به فيحمله احتقاره على تركه واحتج لاولوية فعله وان
قل بقوله فانه داعية الى قوله الظن بك وتقديره كبرى هذا الضمير وكلما كان كذلك فالاولى بك فعله السادس

بهاه ان يدع تفقد الصغير من امورهم اعتمادا على تفقد عظيمها ما احتج الاولوية فعلله بقوله فان اليسير الى قوله موقعا لا
يستغنون عنه والمعنى ظاهر فان موضع اليسير المنتفع به يستغنى فيه عن الجسيم وتقدير كبرى هذا الضمير وكلما كان امر
موضعا ينتفع به فالاولى فعله في موضعه لينتفع به السابع امره ان يكون اثر رؤس جنده عنده من كان بالصفات المذكورة
وهو الذي يواسى من تحت يده من الجند فيما يحصل له من المعونة ويفضل عليهم مما في يده بما يسعهم ويسع من وراءهم
من ضعفاء اهليهم وخلوفهم حتى يكون بذلك همهم واحدا فيكونوا امثال رجل واحد في جهاد العدو ثم رغبه في العطف
عليهم بما يستلزم من عطف قلوبهم عليه وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان مستلزما العطف قلوبهم فعله
واجب ومصلحة وايضا لما كانت محبتهم من اهم المطالب بين انها لا تتم الا بامور ثلثة احدها حيطتهم وحفظهم
ولاة امورهم الثاني قلة استثقال دولهم الثالث ترك استبطاء انقطاع مدة دولهم وذلك في قوة صغرى ضمير
تقدير كبراه وما لا يتم اهم المطالب الا به كان من اهم المطالب الثامن امره ان يفسح لهم في امالهم اى يحمل لهم من نفسه
طمعا يفسح به اما لهم فيه لان ذلك مما لا يتم الامور الثلثة الا به ولذلك رتب هذا الامر عليها بالفاء التاسع امره
ان يواصل من حسن الثناء عليهم وتعديد ما ابلى ذوو البلاء منهم واحتج لوجوب ذلك بقوله فان كثرة الذكر الى قوله
ان شاء الله وهو ظاهر والقضية في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك كان واجبا العاشر امره ان يعرف
لكل امرئ ما ابلى ويضيف اليه لانه يهز الشجاع ويشجع الجبان الحادي عشر نهاه ان يضم بلاء امرئ الى غيره الثاني عشر
وان يقصر به دون غاية بلائه فيذكر بعضه او يحقره الثالث عشر وان يدعوه شرف امرئ الى ان يعظم صغير بلائه
او صغر امرئ ان يستصغر كثير بلائه فان كل ذلك داعية الكسل والقعود عن الجهاد الرابع عشر امره ان يرد الى الله و
رسوله ما يضلعه من الخطوب ويشتبه عليه من الامور محتجا بالاية ثم فسر الرد الى الله بالاخذ بمحكم كتابه والرد الى
الرسول بالاخذ بسنته ووصف السنة بكونها جامعة لانه دل بها على وجوب الالفة واجماع الخلق على طاعة الله
وسلوك سبيله الصنف الثاني قضاة العدل وعينهم له باوصاف وامره فيهم باوامر اما التعيين فاوجب ان يكون
افضل رعيته في نفسه وميز ذلك الافضل بصفات احدها ان يكون ممن لا يضيق به الامور فيحار فيها حين يورد عليه
الثاني وممن لا يمحكه الخصوم اى يغلبه على الحق باللجاج وقيل ذلك كناية عن كونه ممن يرضيه الخصوم فلا
ونعلل باول قوله الثالث ان لا يتمادى في زلته اذا زل فان الرجوع الى الحق خير من التمادي في الضلال الرابع ان
لا يحصر من الرجوع الى الحق اذا عرفه كما يفعله قضاة السوء حفظا للجاه وخوفا من شماتة الغلط الخامس ان لا
يشرف نفسه على طمع فان الطمع في الناس داعية الحاجة اليهم والميل عن الحق السادس ان لا يكتفي بادنى فهم
دون اقصاه لان ذلك مظنة الغلط السابع ان يكون اوقف الناس عند الشبهات لانها مظنة الوقوع في
المأثم الثامن واخذهم بالحجج التاسع واقلهم تبرما بمراجعة الخصم لما يستلزمه البرم من تضييع الحقوق العاشر
وكذلك واصبرهم على تكشف الامور الحادي عشر واصرمهم عند اتضاح الحق فان في التأخر افاتة الثاني عشر
وممن لا يحدث له كثرة المدح كبرا الثالث عشر وممن لا يستميله الى غير الحق اغراء له بحكم بعلة من يجمع فيه

هذه الصفات شيئا على ان فيها ما هو اولى دون ان يكون شرطا في القضاء واما الاوامر فاحدها ان يختار من
كان بالصفات المذكورة الثاني ان يكثر تعاهد قضائه ليقطع طمعه في الانحراف عن الحق لو خطر بباله الثالث
ان يفسح له في البذل ما يزيح علته وهو كناية عما يكفيه ويقل معه حاجته الى الناس فلا يميل اليهم وما يحتمل ان
يكون بدلا من البذل وان يكون مفعولا لفعل محذوف دل عليه البذل كانه قال فيبذل له ما يزيح علته وان
يكون مفعولا ليفسح اى يوسع له ما يكفيه من المال ويحتمل ان يكون في معنى مصدر يفسح اى يفسح له فسحا يزيح
علته الرابع ان يعطيه من المنزلة عنده ما لا يطمع فيه معها غيره من خاصته ليامن بذلك اغتيال الاعداء
وتقدير كبرى هذا الضمير وكل ما كان كذلك فواجب بذله للقاضي الخامس ان ينظر في اختيار من كان بهذه
الصفات وفيما امره به نظرا بالغا ليعمل بالقضاء وعلل ذلك بقوله فان هذا الدين الى قوله الدنيا واستعار
لفظ الاسير باعتبار تصريفهم له كالاسير والكلام صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فيجب النظر
في اختيار من يعمل بالحق ويخرجه من اسر الاشرار وبالله التوفيق الصنف الثالث العمال وميزهم ايضا بصفات
وامره فيهم باوامر مصلحية اما الاوصاف فاحدها ان يكون العامل من اهل التجربة للاعمال والولايات
ليعمل على علم بقواعدها وبدا بذلك لانه الاصل الاكبر للعمل الثاني ان يكون من اهل الحياء فلا ينتهى
في الانفعال الى حد الاستحياء وهو طرف التفريط فيضيع به الحقوق والمصالح ولا يتجاوزه الى حد الوقاحة وهو
طرف الافراط وما يلزمه من الجفاوة ونفرة القلوب عنه الثالث ان يكون من اهل البيوتات الصالحة
والقدم السابقة في الاسلام وهي كناية عن البيوت المتقدمة في الدين والخير ولهم في ذلك اصل معروف
اشار الى وجه الحكمة في تولية من كان بهذه الصفات الثلث بقوله فانهم الى قوله نظرا وذلك ان الحياء
وصلاح البيوت والتقدم في الاسلام يفيدهم كرم الاخلاق ومحافظة على الاعراض من المطامع وقلة
الاشراف والتطلع الى المطامع الدنية والتجربة يفيدهم بلاغة النظر في عواقب الامور والكلام في قوة
صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فهو اولى ان يقصد بالتولية والعمل واما الاوامر فاولها
ان ينظر في امورهم فيستعملهم بعد التجربة والاختبار ولا يوليهم محاباة واثرة كان يعطونه شيئا على ان
يوليهم ويستأثر بذلك دون مشاورة فيه فانهما اى المحاباة والاثرة كما هو مصرح به في بعض النسخ
عوض الضمير جماع من شعب الجور والخيانة اما الجور فلخروج بهما عن واجب العدل المأمور به شرعا واما
الخيانة فلان التحري في اختيارهم من الدين وهو امانة في يد الناصب لهم فكان نصبهم من دون ذلك
بمجرد المحاباة والاثرة خروجا عن الامانة ونوعا من الخيانة وثانيها ان يقصد بالعمل من كان بالصفات
المذكورة للعلل المذكورة الثالث ان يسبغ عليهم الارزاق وبين المصلحة في ذلك من ثلثة اوجه احدها
ان عمومهم بالارزاق يكون قوة لهم على استصلاح انفسهم الذي لابد منه الثاني انه غنى لهم عن تناول
ما تحت ايديهم من مال المسلمين الثالث انه يكون حجة عليهم ان خالفوا امره او ثلموا امانته واستعار

لفظ الثلم للخيانة والوجوه الثلثة صغريات ضماير تقدير كبرياتها وكلما كان كذلك كان فعله مصلحة
واجبة الرابع ان يتفقد اعمالهم ويبعث العيون والجواسيس من اهل الصدق والوفاء عليهم واشار الى
وجه المصلحة في ذلك بقوله فان تعاهدك الى قوله بالرعية فان تعهده لامورهم مع علمهم بذلك حضه
يحثهم على اداء الامانة فيها ولوازمها من الاعمال وعلى الرفق بالرعية والمذكور صغرى ضمير تقدير كبراه و
كلما كان كذلك فيجب فعله الخامس ان يتحفظ من خيانة الاعوان من العمال وارشده بقوله فان احد منهم
بسط الى قوله التهمة الى ما ينبغي من ادابهم واقامة سنة الله فيهم واستعار لفظ التقليد لتقليدهم
التهمة اليه ملاحظة لشبهها بما يقلد به من الشعار المحسوس واللفظ في غاية الفصاحة وهذه العقوبة
مقدرة بحسب العرف وراى الامام او من ارتضاه الصنف الرابع اهل الخراج وامره فيهم باوامر احدها
ان يتفقد امر خراجهم ويفعل فيه ما يصلح اهله مما سيشرحه ثم اشار الى وجه المصلحة فيه بقوله فان في صلاحه
فان صلاحه الى قوله الا بهم ونبه بقوله لا صلاح لمن سواهم الا بهم على حصر صلاح الغير فيهم تاكيدا وتقدير
الكبرى وكل من كان لا صلاح للناس الا به فيجب مراعاة اموره وتفقد احواله ثم بين الصغرى بقوله لان
الناس كلهم عيال على الخراج واهله وهو ظاهر في ذلك الوقت الثاني ان يكون نظره في عمارة الارض ابلغ
من نظره في طلب الخراج واستجلابه ونبه على وجه الحكمة فيه بقوله لان ذلك اى الخراج لا يدرك الا بالعمارة
وهو في قوة صغرى ضمير ثم بينها بقوله ومن طلب الى قوله قليلا وهو اشارة الى ما يلزمه من نقيض المدعى من
مفاسد ثلث احدها اخراب البلاد لعدم العمارة والثاني اهلاك العباد لتكليفهم ما لا يسعهم و
الثالث عدم استقامة امر الطالب للخراج والوالي على اهله وهو لازم عن الاولين وتقدير الكبرى
وكلما لا يدرك الا بالعمارة وجب ان يكون النظر فيها ابلغ من النظر فيه فينتج ان النظر في العمارة يجب
ان يكون ابلغ من النظر في الخراج الثالث امره ان يخفف عنهم من خراجهم ما يرجو ان يصلح به امرهم على تقدير
ان يشكو من حالهم ما عساه يلحقهم من ثقل خراج او علة سماوية او انقطاع شرب كان لهم
من الماء او تغير ارض وفسادها بسبب غرق او عطش ثم نهاه ان يستثقل بما يخفف عنهم به المؤنة واشار
الى وجه الحكمة فيه بقوله فانه ذخر الى قوله العدل فيهم ومعناه ظاهر ومعتمدا نصب على الحال والعامل خففت
وفضل نصب بالمفعول عن معتمدا ونولوا والثقة عطف على المفعول المذكور ونبه على وجه المصلحة في اعتماد
فضل قوتهم باراحتهم والثقة منهم بما عودهم من عدله بقوله فربما حدث الى قوله انفسهم به وتقدير الكلام
خفف عنهم معتمدا فضل قوتهم وان ذلك يستلزم احتمالهم لما عساه يحدث من الامور فيحملونه اذا عولت
عليهم فيه بطيب نفس وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فواجب ان يخفف عنهم
ويعتمد فضل قوتهم وفي قوله فان العمران محتمل ما حملته بيان الصغرى لان التخفيف عنهم يستلزم عمران
ارضهم وهو يستلزم احتمالهم لما يرد عليهم من حوادث الامور ثم نبه بقوله وانما يؤتى خراب الارض

الى قوله اهلها على سبب الخراب وعلله وانما يعوزون الى قوله العبر على ذلك السبب وهو مركب من ثلثة اجزاء احدها
تشرف نفوس الولاة على الجمع والثاني سوء ظن احدهم انه لا يبقى في العمل والثالث عدم انتفاعهم بالعبر والمثلات
النازلة بهم وظاهر ان هذه الامور اذا اجتمعت في الوالي استلزمت جمع المال واستقصاءه على الرعية
واستلزم ذلك اعوازهم وفقرهم فاستلزم ذلك خراب ارضهم وتعطيل عماراتها الصنف الخامس الكتاب
وامره فيهم باوامر احدها ان يولي امره خيرهم وتفسير الخير هنا هو من كان نقيا فيما يراد منه من صالح
العمل الثاني ان يخص رسائله واسراره ومكايده باجمعهم لصالح الاخلاق وقد علمت اصولها عفة وهي
العلم بوجوه الاراء المصلحية والتهدي الى وضع كل شيء موضعه ثم العفة والشجاعة والعدل ام تمام ما تحت
الاربعة من الفضائل الخلقية ثم فسر بعض الفضائل التي عساها ان يخفى وذكر منها خمسا احدها
عدم البطر وهي فضيلة تلزم الشكر وهو فضيلة تحت العفة ونفر عن صاحب البطر بقوله فيجترئ الى قوله
ملأ وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من يجتري عليك كذلك فغير صالح لولاية اسرارك الثانية
الفطنة والذكاء فيما هو بصدده من الامور المذكورة وكنى عن ذلك بقوله ممن لا يقصر به الغفلة الى قوله
منك والذكاء فضيلة تحت الحكمة الثالثة ان لا يكون ممن يضعف عقدا يعتقده لك من الامور بل يحكمه
محكما الرابعة ان لا يعجز عن اطلاق ما عقده عليك خصومك من الامور بالحيلة والخديعة وهذان لازمان
لاصالة الراي وهي فضيلة تحت الحكمة الخامسة ان لا يجهل مبلغ قدر نفسه في الامور فيرفعها الى فوق
محلها ومرتبتها وهي فضيلة تحت الحكمة الخلقية ايضا ونبه على اجتناب الجاهل بذلك بقوله فان الجاهل
الى قوله اجهل وهي صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فيجب اجتنابه الثالث نهاه ان يكون اختياره
للعمال تفرسا منه وسكونا وحسن ظن بامرهم واشار الى وجه المفسدة في ذلك بقوله فان الرجال الى قوله
شيء والمعنى ان الرجال قد يتصنعون بحسن الخدمة ويتعرضون لان يتفرس فيهم الولاة فيعرفونهم بذلك
مع انه ليس وراء ذلك التصنع من النصيحة والامانة شيء وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك
فينبغي ان لا يعتمد على اختياره بحسب الفراسة الرابع لما نهى ان يوقع اختيارهم كذلك امره ان يختبرهم بما ولوا
لمن كان قبله من الصالحين ارشادا الى وجه الاختيار ويعمد الى من كان بالصفات المذكورة وهو ان
يكون احسن اثرا في العامة واعرفهم بوجه الامانة في الدين ورغبة في ذلك بضمير صغراه قوله فان ذلك
الى قوله امره وتقدير كبراه وكلما كان كذلك وجب فعله الخامس امره ان يجعل لراس كل امر من اموره
راسا من الكتاب الموصوفين بكونهم بحيث لا يكبر عليه كبيرها فيقهره ولا يكثر عليه كثيرها
من ضبطه ويقصر دونه السادس نهاه ان يتغافل عما يكون في كتابه من عيب ونبه على ذلك بقوله و
مهما الى قوله الزمته وهو صغرى ضمير تقديرها فان كل ما يتغافل عنه من ذلك ملزم به وتقدير كبراه
وكل ما الزم به فلا يجوز ان يتغافل عنه الصنف السادس التجار وذوو الصناعات وامره فيهم باوامر

اولها ان يستوصي بهم خيرا الثاني ان يوصي بهم كذلك باصنافهم المقيم منهم والمضطرب في تجارة برفقه البر والبحر
المرتفق بيده وهم اهل الصنايع واشار الى وجه الحكمة في الوصية بهم والعناية بحالهم من وجهين احدهما انهم
وذلك قوله فانهم الى قوله عليها والضمير في قوله مواضعها وعليها يعود الى المنافع وحيث اي ومن مكان لا
يجتمع الناس لمواضع تلك المنافع منه ولا يجترئون عليها فيه وذلك بحيث كالبحار والجبال ونحوها الثاني
انه لا مضرة فيهم وذلك قوله فانهم الى قوله غائلته وتقدير كبرى الضميرين وكل من كان كذلك فيجب الاستيصاء
به والوصية بالخير في حقه الثالث ان يتفقد امورهم بحضرته وفي حواشي بلاده ساعيا فيما يعرض لهم من المظالم
والموانع ليزيلها عنهم الرابع ان يعلمه ما فيهم من المعايب لتعد كونه وهي الضيق الفاحش والشح والفيوضات الفاحشة
ثم الاحتكار للمنافع التي يعم نفعها وهي الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسمن والملح ثم التحكم في البياعات
وهو عبارة عن البيع على حكمه بالهوى المطلق من غير تقييد بشريعة او عرف فان ذلك عدول عن العدل الى
رذيلة الجور ثم نبه على وجه المفسدة اللازمة لتلك المعايب بقوله وذلك الى قوله الولاة اما انه مضرة
فظاهر واما انه عيب على الولاة فلان قانون العدل بايديهم فاذا اهملوا ترك رد هؤلاء عن طرف الجور
توجه اللائمة نحوهم والعيب عليهم وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فيجب انكاره ودفعه الخامس
لما بين له وجه المفسدة في تلك المعايب امره بمنع الاحتكار واحتج بمنع الرسول صلى الله عليه وآله له السادس ان
يكون البيع سهلا سمحا وان يكون بموازين عدل واسعار لا تجحف بالبايع فيذهب باصل بيعه ولا بالمشتري
فيذهب راس ماله السابع امره بايقاع النكال على من احتكر بعد نهيه عن ذلك وان يعاقبه من غير اسراف
الصنف السابع الطبقة السفلى وميزهم باوصاف وامر فيهم باوامر ونواهي اما تمييزهم فالعاجزون عن
الحيلة والاكتساب والمساكين والمحتاجون واهل البؤسى والزمنى وهؤلاء كلهم وان دخل بعضهم في بعض
الا انه عددهم بحسب تعدد صفاتهم لمزيد العناية بهم كيلا يتغافل عن احدهم وتناولهم واما الاوامر
فاحدها ان يحفظ من الله فيهم واشار الى وجه الحكمة في ذلك التحذير بقوله فان فيهم قانعا ومعترا وهو صغرى
ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فيجب ان يحفظ الله فيه ويحفظ له ما استحفظ من حقه فيه الثاني ان
يجعل لهم قسما من بيت ماله وقسما من غلات صوافي الاسلام في كل بلد واشار في بيت المال اليه واراد الذي يليه ونبه
على ذلك بقوله فان للاقصى الى قوله حقه وتقدير كبرى هذا الضمير وكل من كان كذلك وجب ان يحسن
الرعاية في حقه بادائه اليه الثالث نهاه ان يشغله عنهم بطر ونهره عن الاشتغال عنهم بقوله فانك لا تعذر
الى قوله المهم واراد بالتافه القليل من امورهم واحوالهم وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من لا يعذر بذلك
فلا يجوز له الشغل عنه الرابع نهاه ان يشخص همه عنهم اي يرفعه حتى لا يتنا ولهم الخامس نهاه ان يصعر خده
لهم وهو كناية عن التكبر عليهم السادس امره ان يتفقد امور من لا يمكنه الوصول اليه منهم لحقارته وحقارته
في عيون الجند وان يفرغ لهؤلاء ثقته من اهل الخشية والتواضع ومصيبة لهم ليرفع اليه امورهم السابع

الاعوانهم

الرعيّة

ان يعمل فيهم بالاعذار الى الله سبحانه يوم يلقاه اي يعمل في حقهم ما امره الله به بحيث يعتذر اليه او يكون ذا عذر
عنده اذا ساله عن فعله بهم ونبه على وجه الحكمة في مزيد العناية بهم بقوله فان هؤلاء الى قوله غيرهم الثامن
اكد الامر بالاعذار الى الله في تادية حق كل واحد من المذكورين اليه التاسع امره ان يتعهد الايتام وذوي الرقة
في السن اي الذين بلغوا في الشيخوخة الى ان رقت جلودهم وضعفت حالهم عن النهوض فلا حيلة لهم وممن لا ينصب
نفسه للمسألة حياء وتكرما ونبه وفقره ثم اشار الى ثقل التكليف بمجموع الاوامر السابقة بقوله وذلك على
الولاة ثقيل وبقوله والحق كله ثقيل ووطنها النفس على ذلك ثم رغب فيه بقوله وقد يخففه الله الى قوله لهم
فنبه بتخفيفه الى الله ليرغب اليه فيه وحثه على فعله واستشهد بذكر صفات الصالحين وهم الذين طلبوا
العافية من بلاء الله في الاخرة فاستسهلوا ما صعب من التكاليف الدنيوية بالقياس اليه ووثقوا بصدق
موعود الله لهم في دار القرار وبالله التوفيق الفصل الرابع في اوامر ونواهي مصلحية وآداب خلقية
وسياسية بعضها عامة وبعضها خاصة يتعلق بعماله وبخاصته وبطانته وبنفسه واحوال عباداته الى غير ذلك
وهو قوله واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله
الذي خلقك وتقعد عنهم جندك واعوانك من احراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن لن تقدس امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع ثم احتمل الخرق
منهم والعي ونح عنك الضيق والانف يبسط الله عليك بذلك اكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته واعط
ما اعطيت هنيا وامنع في اجمال واعذار ثم امور من امورك لا بد لك من مباشرتها منها اجابة عمالك بما يعيا عنه
كتابك ومنها اصدار حاجات الناس عند ورودها عليك مما يحرج به صدور اعوانك وامض لكل يوم عمله فان لكل
يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله افضل تلك المواقيت واجزل تلك الاقسام وان كانت كلها لله
اذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية وليكن في خاصة ما تخلص لله به دينك اقامة فرائضه التي هي له خاصة فاعط
الله من بدنك في ليلك ونهارك ووف ما تقربت به الى الله من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص بالغا من بدنك
ما بلغ فاذا قمت في صلواتك للناس فلا تكونن منفرا ولا مضيعا فان في الناس من به العلة وله الحاجة وقد سالت
رسول الله صلى الله عليه وآله حين وجهني الى اليمن كيف اصلي بهم فقال صل بهم كصلاة اضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما واما
بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالامور والاحتجاب
منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل
وانما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الامور وليست على الحق سمات يعرف بها ضروب الصدق من الكذب
وانما انت احد رجلين اما امرؤ سخت نفسه بالبذل في الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه او فعل كريم تسديه
او مبتلى بالمنع فما اسرع كف الناس عن مسألتك اذا يئسوا من بذلك مع ان اكثر حاجات الناس اليك مما لا مؤنة
فيه عليك من شكاة مظلمة او طلب انصاف في معاملة ثم ان للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلة

انصاف فاحسم مؤنة اولئك بقطع اسباب تلك الاحوال ولا تقطعن لاحد من حاشيتك وحامتك قطيعة ولا
يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب او عمل مشترك يحملون مؤنته على غيرهم فيكون مهنا ذلك
لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والاخرة والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابرا محتسبا واقعا
ذلك من قرابتك وخواصك حيث وقع وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فان مغبة ذلك محمودة وان ظنت الرعية بك
حيفا فاصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم باصحارك فان في ذلك اعذارا تبلغ فيه حاجتك من تقويمهم على الحق
ولا تدفعن صلحا دعاك اليه عدوك لله فيه رضا فان في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وامنا لبلادك ولكن الحذر كل الحذر
من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن وان عقدت بينك وبين
عدوك عقدة او البسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالامانة واجعل نفسك جنة دون ما اعطيت
فانه ليس من فرائض الله سبحانه شيء الناس اشد عليه اجتماعا مع تفرق اهوائهم وتشتت ارائهم من تعظيم الوفاء بالعهود
وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن
بعهدك ولا تختلن عدوك فانه لا يجترئ على الله الا جاهل شقي وقد جعل الله عهده وذمته امنا افضاه بين العباد
برحمته وحريما يسكنون الى منعته ويستفيضون الى جواره فلا ادغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ولا تعقد عقدا تجوز
فيه العلل ولا تعولن على لحن قول بعد التاكيد والتوثقة ولا يدعونك ضيق امر لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه
بغير الحق فان صبرك على ضيق امر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وان تحيط بك فيه من الله طلبة لا
تستقيل فيها دنياك ولا اخرتك اياك والدماء وسفكها بغير حلها فانه ليس شيء ادعى لنقمة ولا اعظم لتبعة ولا
احرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من
الدماء يوم القيامة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك
عند الله ولا عندي في قتل العمد لان فيه قود البدن وان ابتليت بخطأ وافرط عليك سوطك او يدك بعقوبة فان
في الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن ان تؤدي الى اولياء المقتول حقهم واياك والاعجاب
بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء فان ذلك من اوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من احسان
المحسنين واياك والمن على رعيتك باحسانك او التزيد فيما كان من فعلك او ان تعدهم فتتبع موعدك بخلفك
فان المن يبطل الاحسان والتزيد يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله وعند الناس قال الله سبحانه
كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون اياك والعجلة بالامور قبل اوانها او التساقط فيها عند امكانها
او اللجاجة فيها اذا تنكرت او الوهن عنها اذا استوضحت فضع كل امر موضعه واوقع كل عمل موقعه واياك والاستئثار
بما الناس فيه اسوة والتغابي عما تعنى به مما قد وضح للعيون فانه ماخوذ منك لغيرك وعما قليل تنكشف عنك
اغطية الامور وينتصف منك للمظلوم املك حمية انفك وسورة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس
من كل ذلك بكف البادرة وتاخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى

بحكم

يكثر همومك بذكر المعاد الى ربك والواجب عليك ان تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة او سنة
فاضلة او اثر عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله او فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها
وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت اليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك لكيلا تكون
لك علة عند تسرع نفسك الى هواها اقول الشرط قوم يعلمون انفسهم بعلامات الخدمة يعرفون بها والخرق
ضد الرفق والانف الانفة وهي خصلة تلازم الكبر والاكناف الجوانب والاسداء الاعطاء والحامة القرابة
والعقدة الضيعة والعقدة ايضا المكان الكثير الشجر والنخل واعتقد الضيعة اقتناها والمغبة العاقبة واصحر
اي اظهر والدعة الراحة واستوبلوا الامر استثقلوه والوبال الوخم يقال استوبلت البلد استوخمته فلم يوافق
ساكنها وخاس بالعهد نقضه والختل الخداع وافضاه بسطه واستفاض المال سال والادغال الافساد والدغل
الفساد والمدالسة مفاعلة من التدليس في البيع وغيره كالمخادعة ولحن القول كالتورية والتعريض من الكلام
والوكزة الضربة والدفعة وقيل هي جمع اليد على الذقن والفرصة النوبة والممكن من الامر وسورة الرجل حدته
وحدة باسه وغرب اللسان حدته والبادرة سرعة السطوة والعقوبة اما الامور التي تم مصلحتها فاحدها ان يجعل
لذوي الحاجات نصيبا من نفسه يفرغ لهم فيه بدنه عن كل شاغل ويجلس لهم مجلسا عاما في الاسبوع او دونه
او فوقه بحسب ما يكون الثاني ان يتواضع فيه لله ورغبه في التواضع بنسبته الى الله باعتبار انه خالقه الذي من شانه
ان يكون له التواضع الثالث ان يقعد عنهم جنده واعوانه وابان وجه المصلحة في ذلك بقوله حتى يكلمك متكلمهم
غير متعتع واشار الى علة وجوبه بقوله فاني سمعت الى قوله القوي ووجه الدليل من هذا الخبر انه دال بالمطابقة
على وعيد الامة التي لا ينتصف فيها من قوي بعدم طهارتها المستلزم لعذابها في الاخرى وبالالتزام على وجوب
ان يكون فيها ذلك ثم لما كانت الامور المامور بها مما لا يتم ذلك الواجب الا بها كانت باسرها واجبة الرابع
امور تلزمه مباشرتها وان عمت مصلحتها وامور مبتدا حذف خبره اي وهناك امور وعد منها اجابة عماله بما
يرى المصلحة في الجواب به مما يعجز الكتاب عن كثير من ذلك ومنها اصدار حوائج الناس التي يضيق بها صدور
اعوانه عند ورودها عليه ولا ينبغي له ان يكلها اليهم فان غاية فضائلهم لها اذا قضيت ان يكون على غير الوجه
المرضي الخامس ان يمضي لكل يوم عمله ونبه على ذلك بقوله فان لكل يوم ما فيه وهو صغرى ضمير تقدير كبراه و
اذا كان لكل يوم ما فيه وجب ان يقضي فيه ما له السادس ان يجعل لنفسه في معاملة الله افضل تلك المواقيت
اي الاوقات المفروضة للافعال واجزل اقسام الافعال الموقتة فافضلها ابعدها عن الشواغل الدنيوية
واقربها الى الخلوة بالله سبحانه ونبه بقوله وان كانت الى قوله الرعية على ان اصلح الاعمال اخلصها لله السابع
ان يكون في خاصة ما يخلص لله في دينه اقامة فرايضه فخصها بمزيد عناية منه ورعاية الثامن ان يعطي الله من
بدنه في ليله ونهاره اي طاعة وعبادة فحذف المفعول الثاني للعلم به والقرينة كون الليل والنهار محلين
للافعال والقرينة ذكر البدن التاسع ان يوفي ما تقرب به الى الله من ذلك كاملا وغير مثلوم وبالغا

الحوال وما نصب على المصدرية بقوله بالغا من بذلك ما بلغ من القوة على الطاعة العاشر من الاداب المراجعة
الى حال الامامة بالناس في الصلوة ان يكون متوسطا في صلوته بين المطول المنفر للناس بتطويله وبين المقصر
المضيع لاركان الصلوة وفضيلتها واحتج لنفي التثقيل والتطويل بالمعقول والمنقول اما المعقول فضمير صغراه
قوله فان في الناس الى قوله الحاجة وتقدير كبراه وكل من كان فيه من ذلك كذلك فيجب ان يرفق به ويخفف عنه
واما المنقول فما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله من الجبن ووجه التشبيه بصلوة الاضعف تخفيف الصلوة
بعد حفظ اركانها وواجباتها الحادي عشر من الاداب المصلحة لتدبير المدينة النهي عن طول الاحتجاب عن
الرعية ورغب في الانتهاء عنه من وجوه احدها انه نوع من انواع الضيق على الرعية اذ كانت مشاهدتهم للوالي
تفرج عنهم ما يكرهونه من الامور المهمة لهم الثاني انه قلة علم بالامور اي يلزم ذلك فاطلق اسم اللازم على الملزوم
واكد ذلك بقوله والاحتجاب عنهم يقطع منهم اي من الولاة علم ما احتجبوا دونه من امور الرعية ثم اشار الى ما يلزم
عدم علمهم من المفاسد وهو يصغر كبير الامور عندهم كان يظلم بعض حاشية الامير فتصغر الاعوان جريمته عنده
فيصغره وكذلك يعظم صغيرها لو وقع من ضعيف صغير ذنب في حق كبير وكذلك يقبح عندهم الحسن ويحسن القبيح و
يشاب الحق بالباطل ويلبس به وذلك قوله فيصغر الى قوله بالباطل ثم رتب على وجه لزوم قطع العلم بالامور بطول
الاحتجاب بقوله وانما الوالي بشر الى قوله الصدق والكذب والتقدير انه بشر والبشر من خاصته انه لا يعرف
ذلك الا بعلامة وليس على الحق علامات يعرف بها ضروب صدق القول من كذبه الثالث انه رغب في الانتهاء
عنه بضمير صغراه شرطية منفصلة وهي قوله وانما انت الى قوله بذلك وتلخيصه انك اما ان تكون مطبوعا على
السخاء بالبذل في الحق او مبتلى بالمنع منه وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا يجوز له الاحتجاب بيان
الكبرى اما ان كان سخيا يبذل الحق فلانه عند الطلب منه اما ان يعطي حقا يجب عليه او يفعل فعل الكرما وذلك
لا يجوز الاحتجاب منه واما ان كان مبتلى بالمنع فان يسرعون الكف عن مسألته اذا ايسوا من بذله وحينئذ لا معنى للاحتجاب
عنهم الرابع قوله مع ان اكثر الى قوله معاملة وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان اكثر حاجات الناس اليه ما لا
مؤنة عليه فيه من الامور المذكورة فلا معنى لاحتجابه عنهم الثاني عشر من الامور المصلحة المتعلقة بخاصته وبطانته
مؤنتهم عن الرعية فقوله بقطع اسباب المؤنة ارشاد الى سبب قطعها واشار الى وجه ذلك بذكر ما فيهم من الاستيثار
على الرعية بالمنافع والتطاول عليهم بالاذى وقلة الانصاف وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان
كذلك فيجب قطع مؤنته عنهم والاحوال التي امر بقطع اسبابها هي وجوه المؤنة المذكورة من الاستيثار والتطاول
وقلة الانصاف وقوله ولا تقطعن الى قوله شركة تفصيل لوجوه قطع الاسباب المذكورة فان اقطاع احدهم
قطيعه وطمعه في اقتناء ضيعة تضر بمن يليها من الناس في شرب او عمل مشترك يحمل مؤنته على الناس كعمارة ونحوها
هي اسباب الاحوال المذكورة من وجوه المؤنة وقطع تلك الاحوال بقطع اسبابها ثم نفره عن اسباب المؤنة على
الناس بما يلزم تلك الاسباب من المنفعة في حقه وهي كون مهناه لك لهم دونه وعيبه عليه في الدنيا والاخرة

وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان مهناه للغير وعيبه عليك فلا يجوز فعله الثالث عشر ان
يلزم الحق من يلزمه الحق من القريب والبعيد ويكون في ذلك لا لزامه صابرا محتسبا طاعة لله في ذلك فاديه من الحق
محتسبا اي مدخلا في حسابه ما يتقرب به الى الله تعالى ويعده خالصا لوجهه واقعا ذلك الالزام من قرابته
وخواصه حيث انفق ووقع بمقتضى الشريعة والواو في قوله وكن للحال ووقعا ايضا حال والعامل قوله
والزمه الرابع عشر ان يبتغي عاقبة ذلك الالزام بما يثقل عليه من فعله بخاصته كانه يستعيض بفعله ما يكره
في العاقبة من عيب الدنيا وعذاب الاخرة ورغب في ذلك بقوله فان مغبة ذلك محمودة وهي
تلك العاقبة وما يلزمها من السعادة الباقية وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كانت مغبته محمودة
وجبت الرغبة في فعله الخامس عشر امره على تقدير ان تظن الرعية فيه حيفا ان يظهر لهم عذره فيما ظنوا
فيه الحيف ويعدل عنه ظنونهم باظهاره ورغب في ذلك بضمير صغراه قوله فان الى قوله الحق اي فان في
الاظهار عذرك لهم ان تصيروا عذرا تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق لمعرفتهم ان فعلك حق لا حيف فيه
وتقدير كبراه وكل ما كان صلحا يرضى الله ونبه على وجوه المصلحة فيه بضمير صغراه قوله فان في الصلح الى
قوله لبلادك وهي ثلث مصالح ظاهرة اللزوم لصلح العدو وتقدير كبراه وكلما كان فيه هذه المصالح
ظاهرة اللزوم فواجب قبوله السابع عشر بالغ في تحذيره من العدو بعد صلحه وامره ان ياخذ بالحزم ويتهم في الصلح
حسن ظنه الذي عساه ينشأ عن صلحه ونبه على وجوب ذلك الحذر بضمير صغراه قوله فان العدو ربما قارب
ليتغفل اي قارب عدوه بصلحه ليطلب غفلته فيظفر به وله عليه السلام في ذلك شواهد التجربة وحذف
المعقولين للعلم بهما وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فواجب ان يحذر منه الثامن عشر امره على تقدير
ان يعقد بينه وبين عدوه عهدا ان يحوطه بالوفاء ويرعى ذمته بالامانة ويجعل نفسه جنة دون ما اعطى
منهما اي يحفظ ذلك بنفسه ولو ادى الى ضررها واستعار لفظ اللبس لادخاله في امان الذمة ملاحظة
لشبهها بالقميص ونحوه وكذلك لفظ الجنة لنفسه ملاحظة لشبهها في الحفظ بالترس ونحوه ورغب في
ذلك بوجهين اشتمل عليهما قوله فانه الى قوله الغدر احدهما ان الناس اشد اجتماعا على ذلك من غيره
من فرايض الله الواجبة عليهم مع تفرق اهوائهم وتشتت ارائهم الثاني ان المشركين لزموا ذلك فيما بينهم
واستثقلوا الغدر لما فيه من سوء العاقبة والمذكوران صغرا ضمير تقدير الكبرى فيهما وكلما كان
كذلك فيجب لزومه والمحافظة عليه ثم اكد ذلك بالنهي عن الغدر في العهد ونقض الذمة وخداع العدو
بمعاهدته ثم الغدر به ونفر عن ذلك بوجهين احدهما قوله فانه الى قوله الاشقى وهو صغرى ضمير تلخيصها
فان المجترى على الله شقي وتقدير كبراه وناقض العهد والمدغل فيه مجترئ على الله ينتج من الرابع فالشقي
هو ناقض والمدغل فيه ويجوز ان يكون تقدير الصغرى فان ذلك جرأة على الله يستلزم الشقاوة وتقدير
الكبرى وكلما كان كذلك وجب اجتنابه لينتج من الاول المطلوب الثاني قوله وقد جعل الله الى قوله جواره

وامنا اي مامنا واستعار لفظ الحريم للعهد ورشح بذكر السكون الى منعته والاستفاضة الى جواره ونبه
بذلك على وجه الاستعارة وهو الاطمينان اليه والامن من الفتنة بسببه فاشبه الحريم المانع والكلام
صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فلا يجوز نقضه والادغال التاسع عشر نهاه ان يعقد عقدا
يجوز فيه العلل اي الاحداث المفسدة له وهو كناية عن امره بالحكام ما يعقده من الامور العشرون نهاه ان
يعتمد على لحن القول في الايمان والعهود بعد ان يؤكدها ويتوثق من غيره فيها او يتوثق غيره منه فيها
ومثال لحن القول ما ادعاه طلحة والزبير من التورية والتأويل في بيعتهما له عليه السلام اي لا تعتمد على
ذلك من نفسك ولا تلتفت اليه من غيرك لو ادعاه الحادي والعشرون نهاه ان يدعوه ضيق امر لزمه
فيه عهد الله الى ان يطلب انفساخه بغير حق ورغب في الصبر عليه بقوله فان صبرك الى قوله لك وهي
صغرى ضمير واراد بتبعته ما يتبعه من العقوبة وبالطلبة ما يطالب به يوم القيامة من لزوم العهد ولعله
به كناية عن لزومها له ووصف الطلبة بقوله لا يستقيل في الاخرة الا الامور الخيرية من احاطت به طلبة من
الله فلا خير له في الاخرة يستقبله وروي تستقيل بالياء اي لا يكون لك من تلك الطلبة والتبعة اقالة
في الدنيا ولا في الاخرة الثاني والعشرون حذره من الدخول في الدماء وسفكها بغير حق وهو كناية
عن القتل ونفره عنه بوجهين احدهما قوله فانه الى قوله حقها وهي صغرى ضمير تقديرها فان سفك الدماء
بغير حق ادعى الاشياء لحلول نقمة الله واعظمها في لحوق التبعة منه واولاها بزوال النعمة وانقطاع مدة
الدولة لزوال العمر وظاهر انها اقوى المعدات للامور الثلثة لما يستلزمه من مطالبة خصم البخيل ودعائهم
على القاتل واستنزال غضب الله عليه لكون القتل اعظم المصائب المنفور عنها وتقدير الكبرى
وكلما كان كذلك فيجب ان يحذر فعله الثاني قوله والله سبحانه الى قوله القيمة ونبه بابتداء الله تعالى بالحكم
بين العباد في القتل على انه اعظم عنده تعالى من ساير الكباير وهي صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما ابتدا
الله بالحكم فيه فيجب التحري فيه واجتناب ما يكره منه الثالث والعشرون نهاه ان يقوي سلطانه ودولته
بسفك الدم الحرام ونفره عنه بقوله فان ذلك الى قوله وينقله وهي صغرى ضمير بيانها ما سبق فان سفك
الدم الحرام لما استلزم الامور الثلثة المذكورة كان ذلك مضعفا للسلطان ومزيلا له وتقدير الكبرى
وكلما كان كذلك وجب اجتنابه الرابع والعشرون نهاه عن قتل العمد حراما ونفر عنه بامرين احدهما انه
لا عذر فيه عند الله ولا عنده والثاني ان فيه قود البدن وهما صغرا ضمير تقدير الكبرى فيهما وكلما
كان كذلك وجب اجتنابه الخامس والعشرون نهاه ان يرتكب رذيلة الكبر عند ان يبتلى بقتل خطا او
افراط سوط او يده عليه بعقوبة فياخذه عزة الملك والكبر على اولياء المقتول فلا يؤدي اليهم حقهم ونبه
بقوله فان الى قوله مقتله على ان الضرب باليد والسوط وكذا فقد يكون فيه القتل وهو مظنة له السادس
والعشرون حذره الاعجاب بنفسه والثقة بما يعجبه منها وحب الاطراء والاخيرات سببان له ومادة

الاعجاب ومادة له ونفر عن الثلثة بقوله فان ذلك الى قوله المحسن وفي نفسه متعلق باوثق وقوله ليمحق
احسان المحسن يحتمل وجهين احدهما انه لما كان الاعجاب من المهلكات لم يتمكن معه احسان المحسن فلو تمكن
الشيطان من الفرصة وهو الاعجاب للانسان وارتكبه محق بذلك ما يكون له من الاحسان الثاني ان
المعجب بنفسه لا يرى لاحد عنده احسانا فيكون اعجابه ماحقا لاحسان من احسن اليه ولما كان مبدا الاعجاب
هو الشيطان كان الماحق لاحسان المحسن ايضا هو الشيطان فلذلك نسبه اليه والكلام في قوة صغرى ضمير
تقدير كبراه وكلما كان اوثق فرص الشيطان في نفسه وجب الاحتراز عنه السابع والعشرون حذره
رذائل ثلث احدها المن على الرعية باحسانه اليهم الثانية التزيد فيما فعله في حقهم وهو ان ينسب الى نفسه
من الاحسان اليهم ازيد مما فعل الثالثة ان يخلف موعوده لهم ثم نفر عن المن بقوله فان المن يبطل الاحسان
وذلك اشارة الى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وعن التزيد بقوله
فان التزيد يذهب بنور الحق واراد بالحق هنا الاحسان اليهم او الصدق في ذكره في موضع يحتاج اليه فان
في ذلك نورا عقليا ترتاح له النفوس وتلتذ به ولما كان التزيد نوعا من الكذب وهو رذيلة عظيمة
لا جرم كان مما يذهب بنور ذلك الحق ويطفيه فلا يكون له وقع في نفوس الخلق ونفر عن الخلف بقوله
يوجب المقت عند الله والاية والثلثة صغريات ضماير تقدير كبرياتها وكلما كان كذلك وجب اجتنابه
الثامن والعشرون حذره من ايقاع الامور على احد طرفي التفريط والافراط فطرف الافراط في الطلب
التعجيل بها قبل اوانها او اللجاجة فيها عند تنكرها وتغير وجوه ماخذها وعدم اتضاحها وتسهلها
وطرف التفريط التساقط فيها والقعود عنها اذا امكنت وهو يقابل التعجيل فيها او الضعف عنها اذا
استوضحت وهو يقابل اللجاجة فيها عند تنكرها واستلزم النهي عن هذين الطرفين الامر بايقاعها
على نقطة العدل وهي الحد الاوسط من الطرفين وموضعها اللائق بها فلذلك قال فضع كل امر موضعه
واوقع كل عمل موقعه التاسع والعشرون حذره من الاستيثار بما يجب تساوي الناس فيه كالذي
يستحسن من مال المسلمين ونحوه الثلثون وعن التغافل عما يجب العلم والعناية به من حقوق الناس
الماخوذة ظلما مما قد وضح للعيون اهمالك له ونفر عن ذلك بقوله انه الى قوله المظلوم واراد بما يتساوى
من حقوق الناس ويتغافل عنها ونحوها في قوله عما قليل الى وارادة بالقليل مدة الحيوة الدنيا واشار بغطاء
الامور الى الهيئات البدنية الحاجبة لحقائق الامور من ان يدركها بصر بصيرته وقد علمت ان كشف
تلك الاغطية عنه بطرح بدنه وحينئذ يشاهد ما اعد له من خير او شر كما قال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا الاية الحادي والثلثون امره ان يملك حمية انفه اي انفته مما يقع من الامور المكروهة
وسورة حده وحدة لسانه وملك هذه الامور انما يكون بالاحتراس عن تعدي قوة الغضبية ووقوفه في
فعلها على حاق الوسط بحيث لا يعبر فيها الى حد الافراط فيقع في رذيلة التهور ويلزم في تلك الرذيلة

الظلم الثاني والثلثون امره بالاحتراس من تلك الامور وارشده الى السبب وهو كف البادرة وتاخير السطوة
الى حين سكون الغضب ليحصل له بذلك الاختيار في الفعل والترك الذي عساه مصلحة واشار الى وجه احكام
تلك الاسباب بقوله ولن يحكم ذلك الى قوله عليك وذلك ان كثرة الهم بذكر المعاد والفكر في امور الاخرة صارف
للرغبة في الامور الدنيوية التي هي المشاجرات وثوران الغضب الثالث والثلثون اوجب عليه امرين فيهما
جماع ما اوصاه به في هذا العهد احدهما ان يتذكر ما مضى لمن تقدمه من الحكومات العادلة للولاة
قبله او من الاثار المنقولة عن نبيه صلى الله عليه وآله او من فرائض الله ليقتدي بما شاهده من عمله عليه السلام
فيها الثاني ان يجتهد لنفسه في اتباع ما عهد اليه في عهده هذا او استوثق به من الحجة لنفسه عليه وهي
الموعظة والتذكير باوامر الله لكيلا يكون له عليه حجة بها عند تسرع نفسه الى هواها كما قال تعالى لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل ومن هذا العهد وهو آخره وانا اسأل الله سبحانه بسعة رحمته وعظيم قدرته
على اعطاء كل رغبة ان يوفقني واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن الثناء
في العباد وجميل الاثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة وانا اليه
راغبون والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسليما كثيرا **اقول** ختم هذا العهد بسؤال الله ان يوفقهما
لما فيه رضاه واقسم عليه في اجابة سؤاله برحمته التي وسعت كل شيء وبقدرته العظيمة على اعطاء كل رغبة وظاهر كونهما
مبدأين لاجابة السائلين ثم فصل ما سأله مما فيه رضا الله وهي امور احدها الاقامة على العذر الواضح الى الله والى
خلقه فان قلت العذر انما يكون عن ذنب فمن اقام على طاعة الله كيف يكون فعله عذرا قلت قيل يجوز ان يكون العذر
اسما من الاعذار الى الله وهو المبالغة في الاتيان باوامره فكانه قال من الاقامة على المبالغة اليه في اداء اوامره الثاني
حسن الثناء في العباد وجميل الاثر وهو ما يؤثر من الافعال الحميدة في البلاد وذلك مما سأله الانبياء كابراهيم عم
واجعل لي لسان صدق في الاخرين قيل هو الذكر الجميل في الناس الثالث ان يتم نعمته عليهما الرابع تضعيف كرامته
لهما الخامس الخاتمة بالسعادة وما يوصل اليها من الشهادة ونبه بقوله انا اليه راغبون على صدق نيته
في سؤاله ثم ختم بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله والصلوة عليه وآله **ومن كتاب له عليه السلام الى طلحة**
والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعي وذكر هذا الكتاب ابو جعفر الاسكافي في كتاب المقامات اما بعد فقد علمتما وان
كتمتما اني لم ارد الناس حتى ارادوني ولم ابايعهم حتى بايعوني وانكما ممن ارادني وبايعني وان العامة لم تبايعني لسلطان
غاصب ولا لعرض حاضر فان كنتما بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا الى الله من قريب وان كنتما بايعتماني كارهين فقد
جعلتما لي عليكما السبيل باظهاركما الطاعة واسراركما المعصية ولعمري ما كنتما باحق المهاجرين بالتقية والكتمان وان
دفعكما هذا الامر من قبل ان تدخلا فيه كان اوسع عليكما من خروجكما منه بعد اقراركما به وقد زعمتما اني قتلت عثمان
فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من اهل المدينة ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل فارجعا ايها الشيخان عن رايكما
فان الان اعظم امركما العار من قبل ان يجتمع العار والنار **اقول** خزاعة حي من الازد وقيل الاسكافي منسوب الى

اسكاف رستاق كبير كان بين النهروان والبصرة وكتاب المقامات الذي صنفه الشيخ المذكور في مناقب امير المؤمنين عم
وقد احتج عليهما في نكث بيعته بحجتين احديهما قوله اما بعد الى قوله حاضر وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من
علمتما من حاله ذلك فليس لكما ان تنكثا بيعته وتخرجا عليه وقوله وان كتمتما اشارة الى انهما بعد نكث بيعته كتما
ارادتهما لبيعته وارادة كثير من الناس وزعما انه انما حملهما عليها كرها الحجة الثانية قوله فان كنتما الى قوله اقراركما
به وهي شرطي منفصل تقديرها انه لا يخلو ان تكونا بايعتماني طائعين او كارهين والاول هو المطلوب ويلزمكما
ارتكاب المعصية والرجوع الى الله بالتوبة الى الله من قريب قبل استحكام المعصية في نفسيكما والثاني باطل من ثلثة
اوجه احدها انه يلزمكما النفاق حيث اظهرتما الطاعة واضمرتما المعصية فجعلتما لي بذلك السبيل عليكما في القول
والفعل الثاني انكما ما كنتما بالتقية مني والكتمان لعسى انكما احق من المهاجرين وذلك لانهما كانا اقوى الجماعة
واعظمهم شانا فكان غيرهما من المهاجرين اولى منهما بالتقية عند البيعة ونكثهما بعد ذلك الثالث ان دفعهما
لبيعته قبل الدخول فيها اوسع لعذرهما من خروجهما منها بعد اقرارهما وهذه الاقوال الثلثة صغريات ضمير تقدير الكبرى
في الاول وكل من اظهر لي الطاعة واضمر المعصية فقد جعلتما لي عليكما السبيل بجرمه عليكما فعله وليس لكما ان تدعياه وفي الثاني وكل من لا يكون احق
من المهاجرين بدعواه فليس له ان يتقي اذا لم يدعوه وفي الثالث وكلما كان اوسع لعذرهما فليس لهما العدول عنه
الى ما هو اضيق وقوله وقد زعمتما اني قتلت عثمان اشارة الى شبهتهما المشهورة في خروجهما عليه وقوله فبيني الى قوله
احتمل جوابها اي يحكم بيني وبينكم من تخلف عن نصرتي ونصرتكما من اهل المدينة ثم يلزم كل منا من اللائمة والعقوبة بقدر
ما احتمل من الاثم والبغي ثم بعد ان اقام الحجة عليهما امرهما بالرجوع عن رايهما الفاسد في خلافهما ونبه على ما يحسن
في الرجوع عن ذلك بقوله فان الان الى آخره وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه والعار اسهل من اجتماع العار والنار
في الاخرة واراد بالعار بالعذر والان ظرف انتصب باعظم الذي هو اسم ان ويجوز ان يكون هو اسمها واعظم
مبتدأ خبره العار والجملة خبر ان والعائد الى اسمها محذوف تقديره فان الان اعظم امركما فيه العار **ومن كتاب له**
عليه السلام الى معوية اما بعد فان الله سبحانه جعل الدنيا لما بعدها وابتلى فيها اهلها ليعلم ايهم احسن عملا ولسنا
للدنيا خلقنا ولا بالسعي فيها امرنا وانما وضعنا فيها لنبتلى بها وقد ابتلاني الله بك وابتلاك بي فجعل احدنا حجة على
الاخر فعدوت على طلب الدنيا بتاويل القرآن وطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني وعصيته انت واهل الشام
بي والب عالمكم جاهلكم وقائمكم قاعدكم فاتق الله في نفسك ونازع الشيطان قيادك واصرف الى الاخرة وجهك
فهي طريقنا وطريقك واحذر ان يصيبك الله منه بعاجل قارعة تمس الاصل وتقطع الدابر فاني اولي لك بالله
الية غير فاجرة لئن جمعتني واياك جوامع الاقدار لا ازال بباحتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين **اقول**
عصيه علقه به والتاليب التحريص والقارعة الداهية والدابر المتاخر من النسل والالية اليمين وقوله اما بعد الى
قوله لنبتلى بها اشارة الى الغرض من الدنيا وغايتها ليتنبه لذلك ويعمل له واراد بالسعي فيها الذي لم نؤمر به السعي
لها دون غيره مما يكون للضرورة فان ذلك مامور به في قوله تعالى فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وقوله وقد

ابتلاني الى قوله الاخر تنبيه لبعض اغراضها وقد علمت كيفية ابتلائه بمخالفته ومقاتلته وجه ابتلائه عليه السلام بمعوية
عصيانه ومحاربته اياه حتى لو قصر في مقاومته ولم يقم في وجهه كان ملوما وكان معوية حجة الله عليه وجه ابتلاء معوية
به عليه السلام دعوته له الى الحق وتحذيره اياه من عواقب المعصية حتى اذا لم يجب داعي الله لحقه الذم والعقاب وكان
عليه السلام هو حجة الله عليه وذلك معنى قوله فجعل احدنا حجة على الاخر وقوله فعدوت الى قوله قاعدكم اشارة
الى بعض وجوه ابتلائه عليه السلام به ومعنى ذلك انه انما طلب بحربه عليه السلام الدنيا وجعل السبيل الى ذلك تاويل
القرآن كقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى وغيره من الايات الدالة على وجوب القصاص
فاولها بادخال نفسه فيها وطلب القصاص لعثمان وانما كان دخوله في ذلك بالتاويل لان الخطاب خاص بمن
قتل وقتل منه ومعوية بمعزل عن ذلك اذ لم يكن من اولياء دم عثمان فضلا عن الامر بالعموم ليدخل فيها والذي لم تجن
يده ولسانه عليه السلام هو ما نسبوه اليه عليه السلام والب بعضهم بعضا عليه فيه وهو قتل عثمان واراد بالب
عالمكم جاهلكم به وقائمكم في حربي قاعدكم عنه ثم لما نبههم على غاية الدنيا وجعل الله سبحانه كلا منهما حجة على
الاخر ليعلم ايهم احسن عملا رجع الى موعظته وتحذيره فامره بتقوى الله في نفسه ان يهلكها بعصيانه ومخالفته امره
وان ينازع الشيطان قياده واستعار لفظ القياد لميوله الطبيعية ووجه الاستعارة كونها زمام الانسان بعصيانه
ومخالفته امره وان ينازع الشيطان قياده واستعار لفظها الى المعصية اذ اسلمها بيد الشيطان وانهمك بها في
اللذات الموبقة ومنازعته للشيطان مقاومته لنفسه الامارة عن طرف الافراط الى حاق الوسط في الشهوة
والغضب وان يصرف الى الاخرة وجهه اي يولي وجهه شطر الاخرة مطالعا لما اعد فيها من نعيم وسعادة
وشقاوة بعين بصيرته ليعمل لها وقوله فهي طريقنا وطريقك صغرى ضمير نبه به على وجوب صرف وجهه الى الاخرة
وتقدير كبراه وكلما طريق الانسان فاولى ان يصرف اليها وجهه وجعلها طريقا مجازا عن غاية الطريق اطلاقا
لاسم ذي الغاية عليها ثم حذره من الله ان يصيبه بداهية تصيب اصله وتقطع نسله واراد بهما انواع من
يتوصل اليه ويحربه اياه ولذلك اقسم على تقدير ان يجمعهما جوامع الاقدار ان لا يزال بباحته مقيما حتى يحكم
الله بينهما وفي ذلك غليظ الوعيد بعذاب شديد **ومن كتاب له عليه السلام** وصى به شريح بن هاني لما
جعله على مقدمته الى الشام اتق الله في كل صباح ومساء وخف على نفسك الدنيا الغرور ولا تأمنها على حال
واعلم انك ان لم تردع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروه سمت بك الاهواء الى كثير من الضرر فكن لنفسك
مانعا رادعا ولنزوتك عند الحفيظة واقما قامعا **اقول** قد ذكرنا طرفا من حال انفاذه لشريح بن هاني
مع زياد بن النضر على مقدمته بالشام في اثني عشر الفا والنزوة الوثبة والحفيظة الغضب والواقم الذي
يرد الشيء اقبح الرد يقال وقمه اي رده بعنف وقهر والوقم القهر والاذلال وكذلك القمع وقد امره بتقوى الله
دائما ولما كانت يستلزم الاعمال الجميلة اردفه ذلك بتفصيلها وهي ان يحذر على نفسه الدنيا ونسب الغرور
اليها لانها سبب مادي له وان لا يامنها على حال لما يستلزم ذلك من الغفلة عن الاخرة ثم اعلمه انه ان لم يردع

نفسه الامارة بالسوء عن الانهماك في كثير من شهياتها التي يخاف مكروهها في العاقبة ويقف بها عند
حدود الله ويسلك بها صراطه المستقيم لم يزل يسمو به هواها وميولها حتى يورده موارد الهلكة ثم اكد وصيته
بمنعها وقهرها عند نزواتها ووثباتها في الغضب وقد عرفت ان اهمالها مبدأ كل شر يلحق في الدنيا والاخرة
ومن كتاب له عليه السلام الى اهل الكوفة عند مسيره من المدينة الى البصرة اما بعد فاني خرجت عن حيي هذا
اما ظالما واما مظلوما واما باغيا واما مبغيا عليه واني اذكر الله من بلغه كتابي هذا لما نفر الي فان كنت محسنا
اعانني وان كنت مسيئا استعتبني **اقول** غرض الكتاب اعلام اهل الكوفة بخروجه من المدينة لقتال اهل
البصرة واستنفارهم اليه وقد مر مثل ذلك وحيه قبله وقوله اما ظالما الى قوله عليه من باب تجاهل العارف
ولان القضية لم تكن بعد ظهرت لاهل الكوفة ومنهم من لم يعرف اهل هو مظلوم او غيره ولذلك ذكرهم الله
لينفروا اليه فيحكموا بينه وبين خصومه فيعينوه او يطلبوا منه العتبى وهي الرجوع واذكر يتعدى الى مفعولين الاول
هو المذكور وثان هو المذكر به وهو الله تعالى وقد قدمه لكونه هو المقصود من التذكير ولما مشددة بمعنى الا
ومخففة هي ما زائدة دخل عليها لام التاكيد اي لينفرن الي وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام**
الى اهل الامصار يقتص فيه ما جرى بينه وبين اهل الصفين فكان بدء امرنا انا التقينا والقوم من اهل
الشام والظاهر ان ربنا واحد ونبينا واحد ودعوتنا في الاسلام واحدة لا نستزيدهم في الايمان بالله
والتصديق لرسوله صلى الله عليه وآله ولا يستزيدوننا والامر واحد الا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن
منه براء فقلنا تعالوا نداو ما لا يدرك اليوم باطفاء النائرة وتسكين العامة حتى يشتد الامر ويستجمع فنقوى
على وضع الحق مواضعه فقالوا بل نداويه بالمكابرة فابوا حتى جنحت الحرب وركدت ووقدت نيرانها وحمست فلما
ضرستنا واياهم ووضعت مخالبها فينا وفيهم اجابوا عند ذلك الى الذي دعوناهم اليه فاجبناهم الى ما دعوا
وسارعناهم الى ما طلبوا حتى استبانت عليهم الحجة وانقطعت منهم المعذرة فمن تم على ذلك منهم فهو الذي
انقذه الله من الهلكة ومن لج وتمادى فهو الراكس الذي ران الله على قلبه وصارت دائرة السوء على راسه
اقول وبدء الامر اوله ويروى بدي فعيل بمعنى مبتدأ والنائرة العداوة وجنحت مالت وركدت ثبتت
وحمست اشتدت ويروى بالشين المعجمة اي التهبت غضبا واشتدت وضرستنا عضتنا والتمادي في الشيء الاقامة عليه و
طلب الغاية فيه والركس رد الشيء مقلوبا واركسهم اي ردهم الى عقوبة كفرهم والرين التغطية والدائرة
المهزمة اي الهزيمة عليهم الدائرة ويؤكد شمولها بالاضافة الى السوء والفصل من حكاية حاله مع اهل الشام وحاله
والقوم عطف على الضمير في التقينا وفي قوله والظاهر ايماء الى تهمته لهم بعقيدة ذلك كما صرح به هو وعمار في صفين
فانه كان يقول والله ما اسلموا ولكن استسلموا واسروا الكفر فلما وجدوا عليه اعوانا اظهروه والوا على الحق
وقوله لا نستزيدهم اي لا نطلب منهم زيادة في الايمان لتمامه منهم في الظاهر وقد بين في حكاية الحال الاتحاد
الذي بينهم في الامور المذكورة التي لا يجوز الاختلاف معها ليظهر الحجة واستثنى من ذلك ما وقع الاختلاف

فيه وهى الشبهة بدم عثمان والجواب عنها اجمالا ثم حكى وجه الراى الاصلح فى نظام امر الاسلام وسلامة اهله
وشوره عليهم وابآءهم عن قبوله الى الغاية المذكورة والباء فى قوله باطفاء النائرة متعلق بقوله نداو وما لا
يدرك اى ما لا يمكن تلافيه بعد وقوع الحرب ويستدرك من القتل وهلاك المسلمين وقوله فقالوا بل نداويه
بالمكابرة حكاية قولهم بلسان حالهم حين دعاهم الى نظام امر الدين بالرجوع عما هم عليه فكابروه واصروا على
الحرب ويجوز باسم الجنوح اطلاقا فالاسم المضاف على المضاف اليه واستعار لفظ النيران للحركات فى الحرب
فاستلزامها الاذى والهلاك ورشح بذكر الوقود وكذلك لفظ الحرس الضرس ووضع الغالب ثم حكى اجابتهم
ورجوعهم الى رايه الذى راه لهم وذلك انهم صبيحة ليلة الهرير حين حملوا المصاحف على الارماح كانوا يقولون كما
عليه السلام معاشر المسلمين نحن اخوانكم فى الدين الله الله فى البنات والنساء كما حكيناه اولا وذلك حين
ما كان يذكرهم به عليه السلام من حفظ دماء المسلمين من حفظ وذريتهم واما اجابته لهم الى ما دعوا فاجابة الى
تحكيم كتاب الله حين دعوا اليه وظهور الحجة عليهم برجوعهم الى عين ما كان يدعوهم اليه من حقن الدماء وفى ذلك
انقطاع عذرهم فى المطالبة بدم عثمان اذ كان سكوتهم عن دم صحابى لا حق لهم فيه اسهل من سفك دماء سبعين
الفا من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان وقوله فمن تم على ذلك اى على الرضا بالصلح وتحكيم كتاب
الله وهم اكثر اهل الشام واكثر اصحابه عليه السلام والذين لجوا فى التمادى فهم الخوارج الذين لجوا فى الحرب
واعتزلوه عليه السلام بسبب التحكيم كانت قلوبهم فى اغشية من الشبهات الباطلة حتى صارت دائرة السوء
على رؤسهم فقتلوا الا اقلهم ومن كتاب له عليه السلام الى الاسود بن قطبة صاحب جند حلوان اما بعد
فان الوالى اذا اختلف هواه منعه ذلك كثيرا من العدل فليكن امر الناس عندك فى الحق سواء فانه ليس فى
الجور عوض من العدل فاجتنب ما تنكر امثاله وابتذل نفسك فيما افترض الله عليك راجيا ثوابه ومتخوفا عقابه
واعلم ان الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها قط ساعة الا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيمة وانه لن يغنيك عن الحق
شىء ابدا ومن الحق عليك حفظ نفسك والاحتساب على الرعية بجهدك فان الذى يصل اليك من ذلك افضل
من الذى يصل بك والسلام اقول فى الفصل لطايف احدها انه نبه على وجوب ترك تنويع الاهوية والامور
عن اتباع مختلفها بما يستلزمه من المفسدة وهى الامتناع عن كثير من العدل ووجه الاستلزام ظاهر لان
اتباع الاهوية المختلفة يوجب الانحراف عن حاق الوسط فى المطالب لما نبه على مفسدة الجور امر ببسط
والتسوية بين الخلق فى الحق ثم نبه على فضيلته بصغرى ضمير قوله فانه الى قوله وتقديرها فان العدل ليس
الجور عوض عنه وتقدير الكبرى وكل ما لم يكن فى الجور عوض عنه فيجب لزومه واتباعه الثانية لما كان اتباع
مختلف الاهوية ما ينكر مثله عنده وفعله فى حقه او حق من يلزمه امره كالاذى للاخوة مثلا امر باجتنابه فان ما لا
يقع منه فى حق غيره ما يكره وقوع مثله فى حقه والعبارة وافية بهذا المعنى والغرض الشريف الثالثة امره
بعد ذلك ان يبتذل نفسه فيما افترض الله عليه التى رجاء الثواب وخوف من عقابه لكونهما داعى العمل الراجح

نبه على ان الدنيا دار ابتلاء بالعمل كما قال تعالى الذى خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا ولما كان
العمل الصالح فيها سببا للاستعداد للسعادة الباقية لا جرم كان الفراغ من العمل فيها تركا لسبب سعادة
لا يحصل يوم القيمة الا به فكان من لوازمه فرغته منه فى الدنيا الحسرة على ثمرته يوم القيمة الخامسة نبه على ان
الى عمل الحق انه لا يغنيه عنه شىء غيره لان كل ما عدا الحق باطل والباطل سبب للعقوبة فى الاخرة فلا يغنيه شىء
السادسة نبه على ان من الحقوق الواجبة عليه حفظ نفسه اى من زلة القدم عن الصراط المستقيم والوقوع
فى سواء الجحيم ثم الاحتساب على رعيته بجهده وطاقته والاخذ على ايديهم فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
وقدم حفظ النفس لانه الاهم ونبه على وجوب الامرين بقوله فان الذى الى اخره واراد ان الذى يصل الى
نفسك من الكمالات والثواب اللازم عنها فى الاخرة بسبب لزومك للامرين المذكورين افضل مما يصل
بعد ذلك من احسانك الى الخلق من النفع ودفع الضرر والله الموفق ومن كتاب له عليه السلام الى العمال
الذين يطأ عملهم الجيش من عبد الله على امير المؤمنين الى من مر به الجيش من جباة الخراج وعمال البلاد اما بعد
فانى قد سيرت جنودا هى مارة بكم ان شاء الله وقد اوصيتهم بما يجب لله عليهم من كف الاذى وصرف الشذى
وانا ابرأ اليكم والى ذمتكم من معرة الجيش الا من جوعة المضطر لا يجد عنها مذهبا الى شبعه فنكلوا من تناول
منهم ظلما عن ظلمهم وكفوا ايدى سفهائكم عن مضادتهم والتعرض لهم فيما استثنيناه منهم وانا بين اظهر الجيش
فارفعوا الى مظالمكم وما عراكم مما يغلبكم من امرهم ولا تطيقون دفعه الا بالله وبى فانى اغيره بمعونة الله ان شاء
الله اقول الشذى الاذى ومعرة الجيش المضرة الواصلة منه وعره معره اى ساءه ونكل تنكيلا بالضم جبن
ونكلوا خوفوا وجبنوا وعراه الامر غشيه وحاصل الكتاب اعلام من على طريق الجيش من الجباة وعمال البلاد
بمسيره عليهم ليتنبهوا ولا يعتذروا ثم وصيته الجيش بما ينبغى لهم ويجب لله عليهم من كف الاذى عمن
يمرون به ليعرفوا عموم عدله وليتادبوا باداب ثم اعلامهم انه برىء اليهم والى ذمتهم التى اخذها منهم من اساءة
الجيش فانه ليس بامر من ذلك الا معرة جوعة المضطر التى لا يجد عنها الى شبعه مذهبا وتقديره الكلام فانى
ابرأ اليكم من معرة الجيش الا من معرة جوعة المضطر منهم فاقام المضاف اليه مقام المضاف واطلق مجازا
اطلاقا لاسم السبب على المسبب ثم امرهم ان يخوفوا ويجبنوا من تناول من الجيش شيئا عن ظلمه ويدفعوه
الدفع الممكن لهم لئلا يكون بسطوتهم خراب الاعمال ثم ان يكفوا ايدى سفهائهم عن مضادتهم والتعرض
لهم فيما استثناه من المعرة الضرورية لئلا يثور بذلك الفتنة بينهم وبين الجيش ثم اعلمهم انه بين اظهر
الجيش كناية عن كونه مرجع امرهم ليرفعوا اليه مظالمهم وما غشيهم من امر يغلب عليهم من الجيش لا يطيقون
دفعه الا بالله وبه فيغيره بمعونة الله ومشيته ومن كتاب له عليه السلام الى كميل بن زياد النخعى وهو عامله
على هيت ينكر عليه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالبا للغارة اما بعد فان تضييع المرء ما ولى وتكلفه
ما كفى لعجز حاضر ورأى متبر وان تعاطيك الغارة على اهل قرقيسيا وتعطيلك مسالحك التى وليناك

ليس بها من يمنعها ولا يرد الجيش عنها لرأى شعاع فقد صرت جسرا لمن اراد الغارة من اعدائك على اوليائك
غير شديد المنكب ولا مهيب الجانب ولا ساد ثغرة ولا كاسر شوكة ولا مغن عن اهل مصره ولا مجز عن اميره والسلام
اقول المتبر الهالك والفاسد والشعاع المتفرق وقوله اما بعد الى قوله متبر صدر الكتاب اعلم ان فيه اجمالا
كما جرت عادة الخطيب ما يريد بيان ما يوبخه عليه من تعاطيه امرا مع اهماله ما هو اهم منه ثم ذكر غرضه من الكتاب
مفصلا بقوله وان تعاطيك الى قوله شعاع ثم نفره عن ذلك الرأى بما فيه من المفاسد والرذائل احدها
كونه جسرا واستعار لفظ الجسر له باعتبار عبور العدو وطيله الى غرضه ورد جسرا وهو ايضا مجاز باعتبار ما
من العسكر الذى يسعى العدو فهو كالجاسر عليه اللازمة الثانى كونه غير شديد المنكب وكنى بذلك
عن ضعفه وكذلك كونه غير مهيب الجانب الثالث كونه غير ساد ثغره الرابع ولا كاسر شوكة عدوه الخامس
ولا مغن عن اهل مصره فى دفع عدوهم السادس ولا مجز عن اميره فيما يريده منه ومن كتاب له عليه السلام
الى اهل مصر مع مالك الاشتر رحمه الله لما ولاه امارتها اما بعد فان الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وآله
نذيرا للعالمين ومهيمنا على المرسلين فلما مضى صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون الامر من بعده فوالله ما كان يلقى فى
روعى ولا يخطر على بالى ان العرب تزعج هذا الامر من بعده عن اهل بيته ولا انهم منحوه عنى من بعده فما راعنى
الا انثيال الناس على فلان يبايعونه فامسكت يدى حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون
الى محق دين محمد صلى الله عليه وآله فخشيت ان لم انصر الاسلام واهله ان ارى فيه ثلما او هدما تكون المصيبة به على
اعظم من فوت ولايتكم التى انما هى متاع ايام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب او كما يتقشع السحاب فنهضت
فى تلك الاحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه ومن هذا الكتاب انى والله لو لقيتهم واحدا
وهم طلاع الارض كلها ما باليت ولا استوحشت وانى من ضلالهم الذى هم فيه والهدى الذى انا عليه لعلى بصيرة
من نفسى ويقين من ربى وانى الى لقاء الله لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر راج ولكننى آسى ان يلى امر هذه الامة سفهاؤها
وفجارها فيتخذوا مال الله دولا وعباده خولا والصالحين حربا والفاسقين حزبا فان منهم الذى شرب فيكم
الحرام وجلد حدا فى الاسلام وان منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الاسلام الرضائخ فلولا ذلك ما اكثرت
تأليبكم وتأنيبكم وجمعكم وتحريضكم ولتركتكم اذا ابيتم وونيتم الا ترون الى اطرافكم قد انتقصت والى امصاركم
قد افتتحت والى ممالككم تزوى والى بلادكم تغزى انفروا رحمكم الله الى قتال عدوكم ولا تثاقلوا الى الارض
فتقروا بالخسف وتبوؤا بالذل ويكون نصيبكم الاخس ان اخا الحرب الارق ومن نام لم ينم عنه والسلام
اقول المهيمن الشاهد والروع القلب والانثيال الانصباب وزاح ذهب وزهق اى اضمحل وتنهنه
انسع وطلاع الارض ملاؤها وآسى احزن والدولة فى المال بالضم ان يكون مرة لهذا ومرة لذاك والخول
العبيد والرضخ الرشوة واصله الرمى والتاليب التحريض والتانيب اللوم والونى والفتور وتزوى تقبض وتبوؤا
ترجعوا والخسف النقيصة وصدره باقتصاص حال النبى صلى الله عليه وآله باعتبار كونه نذيرا للعالمين بعقابه

اليم وشاهدا على المرسلين بكونهم مبعوثين ومصدقا لهم فى ذلك ثم اقتصاص حال المسلمين بعده فى تنازع
امر الخلافة ومقصده من ذلك الى شرح حاله معهم فى معرض الشكاية من انتزاع امر الخلافة عنه مع كونه احق بها
وانصبابهم على بيعة فلان وهو كناية عن ابى بكر وامساك يده عن القيام فى ذلك والطلب للامر الى غاية ارتداد
الناس زمن ابى بكر عن الاسلام وطمعهم فى محق الدين ثم شرح حاله من الخوف على الاسلام واهله ان ينثلم
او ينهدم فيكون المصيبة عليه فى هدم اصل الدين اعظم من فوت الولاية القصيرة الامد التى غايتها اصلاح
فروع الدين ومتممات وشبهها بالهابين زوال السراب وتقشع السحاب ووجود السحاب قد مر ذكر الارتداد
لغرض بيان فضيلته فى الاسلام ولذلك عقبه باقتصاص حال نهوضه فى تلك الاحداث التى وقعت من
العرب الى غاية زهوق الباطل واستقرار الدين وانتشاره ثم اقسم انه لو لقيهم وحده وهم ملاء الارض
لم يكترث بهم ولم يستوحش منهم لامرين احدهما علمه اليقين بانهم على الضلالة وانه على الهدى الثانى شيامه
الى لقاء ربه واشتياقه ورجاؤه لثوابه وهما عزمان يجريان مجرى صغريين تقدير كبراهما وكل من كان كذلك فلا يبالى بهم
ولا يستوحش منهم وقوله لكنى يجرى مجرى جواب سؤال مقدر كانه قيل فاذا كنت تعلم انك واياهم على
الحالين المذكورين فلم عزت من قتلهم فكانه قال انى لا اخرت من لقائهم وحربهم ولكن لحزنى ان تلى امة
محمد سفهاؤها وفجارها الى قوله حزبا وعنى بالسفهاء بنى امية واشياعهم ثم نبه على انهم مظنة ان يفعلوا
ذلك لو ولوا هذا الامر بقوله فان منهم الى قوله الرضائخ فالذى شرب منهم فى المسلمين الحرام اشارة
الى المغيرة بن شعبة لما شرب الخمر فى عهد عمر حين كان واليا من قبله على الكوفة فصلى بالناس سكران و
زاد فى الركعات وقاء الخمر فشهدوا وجلد الحد وكذلك عتبة بن ابى سفيان جلده فى الخمر خالد بن عبد الله
بالطائف والذى لم يسلم حتى رضخت له الرضائخ قيل هو ابو سفيان وابنه معوية وذلك انهما كانا من
المؤلفة قلوبهم الذين يستمالون الى الدين وجهاد عدوه بالعطاء وقيل هو عمرو بن العاص ولم يشتهر
عنه مثل ذلك الا ما حكاه عليه السلام عنه من اشتراطه على معوية طعمة مصر فى مساعدته بصفين كما مر ذكره
ثم نبههم على ان ما ذكره من الاسى هو السبب التام لتوبيخهم وتحريضهم على الجهاد ولولا ذلك لتركهم اذا ابوا
وضعفوا ثم نبههم على فضل عدوهم بهم وافتتاح امصارهم وغزوهم ليتفطنوا بذلك حمية طباعهم ولذلك امرهم
بعده بالنفور الى قتال عدوهم ونهاهم عن التثاقل فى ذلك ونفرهم عنه بما يلزمه من الاقرار بالخسف
والرجوع الى الذل وخسة النصيب ثم نبههم على من يكون اخا الحرب وهو الارق وكنى به عن كثرة الهمة اذ كان
من لوازمه قلة النوم ونفرهم عن ضعف الهمة والتوانى فى الجهاد بما يلزم ذلك من طمع العدو فيهم بكونه
عنه والرقدة عن مقاومته ومن كتاب له عليه السلام الى ابى موسى الاشعرى وهو عامله على الكوفة وقد
بلغه تثبيطه الناس عن الخروج اليه لحرب اصحاب الجمل من عبد الله امير المؤمنين الى عبد الله بن قيس اما
بعد فقد بلغنى عنك قول هو لك وعليك فاذا قدم رسولى عليك فارفع ذيلك واشدد مئزرك و

فاخرج من حجرك واندب من معك وان حققت فانفذ وان تفشلت فابعد وايم الله لتؤتين من حيث انت ولا تترك حتى يخلط زبدك بخاثرك وذائبك بجامدك وحتى تعجل عن قعدتك وتحذر من امامك كحذرك من خلفك وما هى بالهوينا التى ترجو ولكنها الداهية الكبرى يركب جملها ويذل صعبها ويسهل جبلها فاعقل عقلك واملك امرك وخذ نصيبك وحظك فان كرهت فتنح الى غير رحب ولا فى نجاة فبالحرى لتكفين وانت نائم حتى لا يقال اين فلان والله انه لحق مع محق وما ابالى ما صنع الملحدون **اقول** روى عن ابى موسى انه كان حين سير على الى البصرة واستنفاره لاهل الكوفة الى نصرته يثبط الناس عنه ويقول انها فتنة فلا يجوز القيام فيها ويروى عن النبى ص اخبارا تتضمن وجوب القعود عن الفتنة والاعتزال فيها فكتب اليه مع ابنه الحسن عليه السلام هذا الكتاب والقول الذى بلغه عنه هو نهى الناس وتثبيطهم عن النهوض اليه وذلك قول هو له ولما ظاهر الدين ونهيه عن الخوض فى الفتن وهو عليه من وجوه الاول انه كان مميزا انه لم يقصد بذلك الا قعود الناس عنه وذمه منه ذلك وهو خذلان للدين فى الحقيقة وهو عائد عليه بمضرة العقوبة منه عليه السلام ومن الله فى الاخرة الثانى انه لما كان عليه السلام على الحق فى حربه كان تثبيط ابى موسى عنه جهلا بحاله وما يجب من نصرته والقول بالجهل عائد على القائل بالمضرة الثالث انه فى ذلك القول مناقض لغرضه لانه نهى عن الدخول مع الناس ومشاركتهم فى الفتنة وروى خبرا يقتضى انه يجب القعود عنهم ح مع انه كان اميرا بها فهو على الولاية وذلك مناقض فكان عليه السلام امره عند قدوم رسوله عليه وامره على سبيل الوعيد والتهديد احدهما ان يرفع ذيله ويشد مئزره وهما كنايتان عن الاستعداد للقيام بواجب امره والمسارعة الى ذلك الثانى ان يخرج من حجره واراد خروجه من الكوفة واستعار له لفظ الحجر ملاحظا لشبهه بالثعلب ونحوه الثالث ان يندب اى يبعث من معه من العسكر ويدعوهم الى الخروج وقوله فان حققت اى عرفت حقيقة امرى وانى على الحق فانفذ اى فامض فيما امرتك به وان تفشلت اى جبنت وضعفت عن هذا الامر ومعرفته فابعد عنه ثم توعده على تقدير قعوده واقسم ليأتينه بالمكان الذى هو به من لا يتركه حتى يخلط زبده بخاثره وذائبه بجامده وهما مثلان كنى بهما عن خلط احواله الصافية بالتكدير وكثرته بذلته وسروره بغمه وسهولة امره بصعوبته وحتى يعجل عن قعدته وهيئة قعوده واراد غاية الاعجال وحتى يكون حذره من امامه كحذره من خلفه وهو كناية عن غاية الخوف واعتاجيل الحذر من الخلف اصلا فى التشبيه لكون الانسان من ورائه اشد خوفا وقيل اراد حتى يخاف من الدنيا كما يخاف من الاخرة وقوله وما هى بالهوينا اى وما القصة المعهودة لك بالهينة السهلة التى ترجوان تكون فيها على الخيار ك ولكنها الداهية الكبرى من دواهى الدهر ومصائبه وقوله يركب جملها اى يركب فيها ويذل صعبها اى يسهل الامور الصعاب فيها وهو كناية عن شدتها وصعوبتها ثم اردف وعيده وتهديده بنصيحته وامره باوامر احدها ان يعقل عقله وعقله حبسه على المصدر وهو امر له ان يراجع عقله ويعتبر هذه الحال العظيمة دون هواه

وقيل هو مفعول به اى اضبط عقلك واحبسه على معرفة الحق من الباطل ولا تفرقه فيما لا ينبغى الثانى ان يملك امره اى شأنه وطريقه وتصرفها على قانون العدل والحق دون الباطل الثالث ان ياخذ نصيبه وحظه من طاعته والقيام بامره فى نصرته والذب عن دين الله وقيل اراد خذ ما قسم لك من الحظ ولا تتجاوز الى ما ليس لك ثم اردف ذلك بامره بالتنحى عن الولاية على تقدير كراهته لما ذكر وعدم امتثاله لما امر وقوله فبالحرى لتكفين اى فما اجدران يكفى هذه المؤنة وانت نائم عن طاعة الله حتى لا يفتقد ولا يسأل عنك لعدم المبالاة بك ثم اقسم انه لحق اى الامر المعهود الذى فعله من حربه بالبصرة مع محق اى طالب محق لما يدعيه هو وانه لا يكترث بما صنع الملحدون فى دين الله من مخالفته لمعرفته انه على الحق دونهم **ومن كتاب له عليه السلام** الى معوية جوابا عن كتاب منه اما بعد فانا كنا نحن وانتم على ما ذكرت من الالفة والجماعة ففرق بيننا وبينكم امس انا امنا وكفرتم واليوم انا استقمنا وفتنتم وما اسلم مسلمكم الا كرها وبعد ان كان انف الاسلام كله لرسول الله صلى الله عليه وآله حربا وذكرت انى قتلت طلحة والزبير وشردت بعايشة ونزلت بين المصرين وذلك امر غبت عنه فلا عليك ولا العذر فيه اليك وذكرت انك زائرى فى المهاجرين والانصار وقد انقطعت الهجرة يوم اسر ابوك فان كان فيك عجل فاسترفه فانى ان ازرك فذلك جدير ان يكون الله انما بعثنى للنقمة منك وان تزرنى فكما قال اخو بنى اسد مستقبلين رياح الصيف تضربهم بحاصب بين اغوار وجلمود وعندى السيف الذى اعضضته بجدك وخالك واخيك فى مقام واحد فانك والله ما علمت الاغلف القلب المقارب العقل والاولى ان يقال لك انك رقيت سلما اطلعك مطلع سوء عليك لا لك لانك نشدت غير ضالتك ورعيت غير سائمتك وطلبت امرا لست من اهله ولا فى معدنه فما ابعد قولك من فعلك وقريب ما اشبهت من اعمام واخوال حملتهم الشقاوة وتمنى الباطل على الجحود بمحمد صلى الله عليه وآله فصرعوا مصارعهم حيث علمت لم يدفعوا عظيما ولم يمنعوا حريما بوقع سيوف ما خلا منها الوغى ولم تماشها الهوينا وقد اكثرت فى قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم الى احملك واياهم على كتاب الله واما تلك التى تريد فانها خدعة الصبى عن اللبن فى اول الفصال والسلام على اهله **اقول** انف الاسلام اوله واوائله لفظ مستعار وتشريد الابعاد والاغوار جمع غور وهى المواضع المنخفضة من الارض واعضضت السيف فلانا اى جعلته يعضه وهو من القلب لان المضروب هو الذى يعض بالسيف اى لا يكاد يسيغه ويروى بالصاد المهملة اى جعلته عاضا لهم والرهنة بهم والمقارب بالكسر الذى ليس بالتام وقد كان معوية كتب اليه عليه السلام يذكره ما كانوا عليه قديما من الالفة والجماعة وينسب اليه بعد ذلك قتل طلحة والزبير والتشريد بعايشة ويتوعده بالحرب ويطلب منه قتلة عثمان فاجابه عن كل من ذلك بجواب اما الاول فسلم له دعواه من القدر المشترك بينهم وهو الالفة والجماعة قبل الاسلام ولكنه ذكر الفارق وهو من وجوه احدها انه عليه السلام فى اول الاسلام امن فى جملة من اهل بيته ومعوية واهل بيته ح كانوا كفارا الثانى

انه عليه السلام واهل بيته فى اخر الامر لم يزالوا مستقيمين على الدين ومعوية واهل بيته مفتونون بجاهليتهم الثالث ان من اسلم من اهل بيته ع اسلم طوعا ومن اسلم من اهل معوية لم يسلم الا كرها بعد ان اشتد وصار للرسول صلى الله عليه وآله حربا فهو من اشراف العرب واستعار لفظ انف الاسلام لهم باعتبار كونهم اعزاء اهله وممن اسلم كرها ابو سفيان وذلك انه لما اتى رسول الله صلى الله عليه وآله الى مكة فى غزوة الفتح انه ليلا فنزل بالبطحا وما حولها فخرج العباس بن عبد المطلب على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله يدور حول مكة فطلب من يبعثه الى قريش ليخرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله ويعتذروا اليه فلقى ابا سفيان فقال له اركب ردفى لنمضى الى رسول الله صلى الله عليه وآله وناخذ الامان لك منه فلما دخلا على رسول الله عرض عليه الاسلام فابى فقال عمر ايذن لى يا رسول الله لاضرب عنقه وكان العباس يحامى عنه للقرابة فقال يا رسول الله انه يسلم غدا فلما اصبح العباس دخل به على رسول الله ص فعرض عليه الاسلام فابى فقال له العباس ويحك يا ابا سفيان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وان لم يكن ذلك فى قلبك فانه يامر الان بقتلك ان لم تفعل فتشهد الشهادتين على كره لخوف القتل وقد رأى اكثر من عشرة الاف رجل حول رسول الله صلى الله عليه وآله وقد تحزبوا معه واجتمعوا اليه فذلك معنى قوله اما بعد الى قوله حربا الثانى ما ادعاه عليه من قتل طلحة والزبير وتشريد عايشة والنزول بين المصرين البصرة والكوفة فاجاب عنه بقوله وذلك الى قوله اليك وهو فى قوة صغرى تقدير كبراه وكل من غاب عن امر ولم يكن فيه مدخل فليس تكليفه عليه ولا العذر من التقصير والتفريط فيه اليه الثالث ما توعده به من زيارته فى المهاجرين والانصار فاجابه بوجهين احدهما انه اوهم فى كلامه انه من المهاجرين فاكذبه بقوله وقد انقطعت الهجرة يوم اسر ابوك اى حين الفتح وذلك ان معوية واباه وجماعة من اهله انما اظهروا الاسلام بعد الفتح وقد قال صلى الله عليه وآله لا هجرة بعد الفتح فلا يصدق عليه اذن اسم المهاجرين وسمى عليه السلام اخذ العباس لابى سفيان الى رسول الله ص عين تحتاره وعرضه على القتل اسرا وروى يوم اسر اخوك وقد كان اسر اخوه عمرو بن ابى سفيان يوم بدر فعلى هذه الرواية يكون الكلام فى معرض التذكرة له بان من شانه وشان اهله ان يوسروا ولا يسلموا فكيف يدعون مع ذلك الهجرة فان الهجرة بهذا الاعتبار منقطعة عنهم ولا يكون يوم اسره طرفا لانقطاع الهجرة لان الهجرة انقطعت بعد الفتح الثانى مقابلة وعيده بوعيد مثله وهو قوله فان كان الى قوله مقام واحد واراد ان كنت مستعجلا فى مسيرك الى فاطلب لرفاهية على نفسك فى ذلك فانك انما تستعجل الى ما يضرك ونبه على ذلك بقوله فانى الى قوله واحد فى قوة صغرى ضمير وجه التمثيل بالبيت انه شبه استقبال معوية فى جمعه له باستقبالهم رياح الصيف وشبه نفسه برياح الصيف وجعل وجه المشابهة كونه يضرب وجوههم فى الحرب بالسيوف والرماح كما تضرب رياح الصيف وجوه مستقبليها بالحصبا وقد بينا انه عليه السلام قتل جد معوية وهو عتبة وخاله الوليد بن عتبة

واخاه حنظلة بن ابى سفيان وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فمن الواجب ان يحذر منه ولا يتوعد بحرب وقتال وقوله وانك والله الى قوله الهوينا توبيخ مشوب بتهديد وما فى قوله ما علمت موصولة واستعار لفظ الاغلف لقلبه ووجه الاستعارة انه محجوب بالهيات البدنية واغشية الباطل عن قبول الحق وفهمه فكانه فى غلاف منها ووصف المقاربة فى عقله لاختياره الباطل ثم اعلمه على سبيل التوبيخ بما الاولى ان يقال فى حاله واستعار لفظ السلم للاحوال التى ركبها والمنزلة التى طلبها ورشح بذكر الارتقاء والاطلاع والمطلع مصدر الاطلاع ويجوز ان يكون اسم الموضع واحتج لصحة قوله بقوله لانك الى قوله معدنه واستعار الضالة والسائمة لمرتبته التى ينبغى له ان يطلبها ويقف عندها وما هو غيرها هو امر الخلافة وليس من اهلها ورشح بذكر النشد والرعى ثم تعجب من بعد ما بين قوله وفعله وذلك انه يدعى فى قوله فى الظاهر على طلب قتلة عثمان وانكار المنكر كما ادعاه ومدار فعله وحركاته على التغلب فى الملك والبغى على الامام العادل وشتان ما هما ثم حكم بقرب شبهه باعمامه واخواله وما مصدرية والمصدر مبتدأ خبره قريب فمن اهل الشقاوة من جهة عمومته عتبة وحاله الخطب ومن جهة خؤولته الوليد بن عتبة وانما انكر الاعمام والاخوال لانه لم يكن له اعمام واخوال كثيرون والجمع المنكر جاز ان يعبر عن الواحد والاثنين للمبالغة مجازا فى معرض الشناعة ولاكد لك الجمع المعرف واشار الى وجه الشبه بقوله حملتهم الى قوله الهوينا وموضع قوله حملتهم الجر صفة لاخوال واراد الشقاوة المكتوبة عليهم فى الدنيا والاخرة التى استعد لها بجحود محمد صلى الله عليه وآله وتمنى الباطل هو ما كانوا يتمنونه ويبذلون انفسهم ولواهم فيه من قهر الرسول صلى الله عليه وآله واطفاء نور النبوة واقامة امر الشرك وقوله بوقع متعلق بقوله فصرعوا وما خلا صفة لسيوف ولفظ المماشاة مستعار والمراد ان تلك السيوف لم يلحق ضربها ووقعها هون ولا سهولة ولم يجر معها وروى لم يماسها بالسين المهملة من المماسة اى لم يجامعها شئ من ذلك الرابع طلبه لقتلة عثمان والجواب بقوله فادخل الى اخره واراد فيما دخل فيه الناس من الطاعة والبيعة ووجه الجواب ظاهر لانه لا بد للمتحاكمين من حاكم وهو يومئذ الحاكم الحق فليس لمعوية ان يطلب منه اذن قوما منهم المهاجرون والانصار ليسلمهم اليه حتى يقتلهم من غير محاكمة بل يجب ان يدخل فى طاعته ويجرى عليه احكامه ثم يحاكم القوم اليه فاما الرواية على قوله واما تلك التى تريد اى الخدعة عن الشام لغرض اقراره على امارتها ووجه مشابهتها بخدعة الصبى ضعفها وظهور كونها خدعة لكل احد وانما قال السلام لاهله لان معوية لم يكن فى نظره من اهله وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** ايضا اليه اما بعد فقد آن لك ان تنتفع باللمح الباصر من عيان الامور فلقد سلكت مدارج اسلافك بادعائك الاباطيل واقتحامك غرور المين والاكاذيب وبانتحالك ما قد علا عنك وابتزازك لما اختزن دونك فرارا من الحق وجحودا لما هو الزم لك من لحمك ودمك مما قد وعاه سمعك وملئ به صدرك فماذا بعد الحق الا الضلال وبعد البيان الا اللبس فاحذر الشبهة واشتمالها على لبستها فان الفتنة طالما اغدفت جلابيبها واعشت الابصار ظلمتها وقد اتانى منك كتاب ذو افانين من القول ضعفت قواها عن السلم واساطير لم يحكها فيك علم ولا حلم اصبحت

منها كالخايض فى الدهاس والخابط فى الديماس وترقيت الى مرقبة بعيدة المرام نازحة الاعلام يقصر دونها الانوق
ويحاذى بها العيوق وحاشى لله ان تلى بعدى للمسلمين صدرا او وردا او اجرى على احد منهم لك عقدا او عهدا
فمن الان فتدارك نفسك وانظر لها فانك ان فرطت حتى ينهد عليك عباد الله ارتجت عليك الامور ومنعت امرا
هو منك اليوم مقبول اقول المدارج المسالك والمدارج جمع مدرجة والاقتحام الدخول فى الشئ بسرعة من غير
روية وانتحل الكلام ادعاه لنفسه وليس له والابتزاز الاستلاب واغدقت المراة جلبابها ارسلته على وجهها و
التفنين التخليط والتوبيخ والسلام الصلح والاساطير الاباطيل جمع اسطورة بالضم واسطارة بالكسر والدهاس
المكان السهل اللين دون الرمل والديماس المكان شديد الظلمة كالسرب ونحوه والمرقبة موضع مشرف يرتفع عليه
الراصد والانوق الرخمة والعيوق نجم معروف وينهد ينهض وارتجت اغلقت والكتاب جواب ايضا قوله اما بعد الى قوله
الامور يشهد له على وجوب الاتعاظ والانزجار عن دعوى ما ليس له والمراد انه قد حضر وقت اشتغالك من عيان الامور
ومشاهدتها بالمحك الناصر ولفظ اللمح مستعار لدرك الامور النافعة بخفته وسرعة ودوى عيون الامور اى انفسها
وحقايقها التى هى موارد اللمح والاعتبار ووصفه بالناصر مبالغة فى الابصار كقولهم ليل اليل وقوله فقد سلكت
الى قوله اللبس اشارة حاجة الى الشبه المذكور وهو سلوكه طريق اسلافه بالامور الاربعة المذكورة فادعاوه
بالطيل ادعاوه ما ليس له بحق حتى من دم عثمان وطلحة والزبير وغير ذلك واقتحامه لغرور الاكاذيب دخوله فى امثال
من سوء عاقبتها واكاذيبه فى دعاويه ظاهرة وما قد ادعاه هو امر الخلافة وما انتزاه دونه فابتزه هو مال المسلمين
وبلادهم التى يغلب عليها وارادته انتزازها الاستحقاق من الله وقوله وجحودا مصدران سدا مسد الحال وما هو
الزم له من لحمه ودمه مما قد وعاه سمعه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وامتلأ به صدره علما فى مواطن كغدير خم ونحوه
وهو وجوب طاعته وانما كان الزم له من لحمه ودمه لانهما دايما فى التغير والتبدل ووجوب طاعته امر لا
لا يجوز تغيره وتبدله ويجوز بلفظ الصدد فى القلب اطلاقا لاسم المتعلق واشار بالاية الى ان الحق الذى علمته
لى ليس وراءه لمن تعداه الا الضلال والهلاك لان الحق حد من تجاوزه وقع فى احد طرفى الافراط والتفريط
وكذلك ليس بعد البيان الذى تبين لك فى امرى الا اللبس ثم حذره الشبهة واشتمالها على لبسها والشبهة
كشبهة دم عثمان ولفظ اللبسة مستعار للداخلين فيها ملاحظة لشبهها بالقميص ونحوه وعلل تحذيره اياه
وهو فردونها بقوله فان الفتنة الى قوله ظلمتها وهو صغرى ضمير واستعار لفظ الجلابيب لامورها المغطية
اهلها عن الحق كما لا يبصر المراة عند ارسال الجلباب على وجهها وكذلك استعار لفظ الظلمة باعتبار التباس
الامور فيها وعدم التهدى الى الحق كالظلمة التى لا يهتدى فيها ورشح بذكر الاغداق والاغشاء ثم شرع فى
احوال كتابه فذمه ولما كان مداره على اللفظ والمعنى اشار الى ذم اللفظ بانه ذو افانين من القول الى انه
اقوال ملفقة لا يناسب بعضها بعضا وقوله ضعفت قواها عن السلم اى ليس لها قوة ان يوجب صلحا واشار الى
ذم المعنى بانه اباطيل غير محكمة النسج لا من جهة العلم اذ لا علم له ولا من جهة الحلم لان الكتاب كان فيه خشونة

ونبوة وذلك بيان فى الحلم وبيانا فى غرضه من الصلح ولفظ الحوك مستعار لسبك الكلام وقوله اصبحت منها صفة لاساطير
ووجه شبهه بالخايض والخابط ضلاله وعدم هدايته الى وجه الحق كما لا يهتدى خايض الدهاس وخابط الديماس
فيهما ثم شرع فى جوابه وكان مقصوده فى كتابه ان ينص عليه بالخلافة بعده ليبايعه فوبخه على طلبه امرا ليس من
اهله بقوله وترقيت الى قوله العيوق ولفظ المرقبة مستعار لامر الخلافة ورشح بلفظ الترقى والاوصاف الاربعة
بعدها لانها من شان المرقبة التامة وانما خص الانوق لانها تقصد الاماكن العالية الصعبة من رؤس الجبال
فيبنى وكارها هناك ثم صرفه عن المطلوب بتنزيه الله سبحانه ان يلى من بعده للمسلمين خروجا او دخولا فى امر من امورهم
او ان يجرى على احد منهم له عقدا او عهدا والعقد كالنكاح والبيوع والاجارة والعهد كالبيعة والامان واليمين
والذمة اى لا يمكنه من ذلك ولما ايسه من المطلوب امره بتدارك نفسه بالنظر لها فيما هو مصلحتها من طاعته وتوعده
على تقصيره فى ذلك بما يلزم تقصيره من نهوض عباد الله اليه وانغلاق الامور عليه ومنعه العذر الذى هو منه الان
مقبول وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام الى عبد الله بن عباس رحمه الله وقد مضى هذا الكتاب فيما تقدم
بخلاف هذه الرواية اما بعد فان العبد يفرح بالشئ الذى لم يكن ليفوته ويحزن على الشئ الذى لم يكن ليصيبه
فلا يكن افضل ما نلت فى نفسك من دنياك بلوغ لذة او شفاء غيظ ولكن اطفاء باطل واحياء حق وليكن سرورك
بما قدمت واسفك على ما خلفت وهمك فيما بعد الموت اقول قد سبق شرح الكلمات يسيرة فيه منها التنبيه
على لزوم فضيلتى العفة والحلم بالنهى عن ان يجعل بلوغ لذته من دنياه او شفاء غيظه اللذين هما طرفا الافراط
والتفريط من الفضيلتين المذكورتين افضل ما نال منها فى نفسه ثم نبهه على ما ينبغى ان يكون افضل فى نفسه من
دنياه وهو اطفاء الباطل واحياء الحق واطفاء الباطل يشبه على وجه استعمال قوتى الشهوة وهو ان يكون الغرض
من فعلها دفع الضرورة وبقدر الحاجة ومنها انه امره فى الرواية الاولى ان يكون فرحه بما نال من آخرته وامره هنا
ان يكون سروره بما قدمه لنفسه من زاد التقوى وهو امر بعدته الاخرة وامره فى الرواية الاولى ان يكون اسفه
على ما فاته من آخرته وامره هنا ان يكون اسفه على ما خلفه اى تركه من العمل لها وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام
الى قثم بن العباس وهو عامله على مكة اما بعد فاقم للناس الحج وذكرهم بايام الله واجلس لهم العصرين فافت
المستفتى وعلم الجاهل وذاكر العالم ولا يكن لك الى الناس سفير الا لسانك ولا حاجب الا وجهك ولا تحجبن
ذا حاجة عن لقائك بها فانها ان ذيدت عن ابوابك فى اول وردها لم تحمد فيما بعد على قضائها وانظر الى ما اجتمع
عندك من مال الله فاصرفه الى من قبلك من ذوى العيال والمجاعة مصيبا به مواضع الفاقة والخلات وما فضل
عن ذلك فاحمله الينا لنقسمه فيمن قبلنا ومر اهل مكة ان لا ياخذوا من ساكن اجرا فان الله سبحانه يقول سواء
العاكف فيه والباد فالعاكف المقيم به والبادى الذى يحج اليه من غير اهله وفقنا الله واياكم لمحابه والسلام
اقول ذيدت ردت والخلة الحاجة وفيه مقاصد احدها امره باقامة الحج للناس واقامة القيام باعماله و
تعليم الجاهلين كيفيته وجمعهم عليه الثانى ان يذكرهم بايام الله اى عقوباته التى وقعت بمن سلف من [illegible]

لها كى يحذروا ابطاء من امثالها وعبر عنها بالايام مجازا اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق الثالث ان يجلس
لهم العصرين اى الغداة والعشى لكونهما اطيب الاوقات بالمجاز واشار الى اعظم فوايد جلوسه الوقتين وهى
فايدة العلم وحصر وجوه حاجة اهلها اليها وامره بسد تلك الوجوه بيان الحصر ان الناس اما غير عالم او عالم
وغير عالم اما مقلد او متعلم طالب العلم اما هو وغيره فهذه اقسام اربعة فوجه حاجة القسم الاول وهو الجاهل
المقلد ان يستفتى فامره ان يفتيه ووجه حاجة الثانى وهو المتعلم الجاهل ان يتعلم فامره ان يعلمه ووجه حاجة
هو مع الرابع وهو العالم ان يتذاكر فامره بالمذاكرة له الرابع نهاه ان يجعل له الى الناس سفيرا غير لسانه الا
ولا حاجبا الا وجهه لان ذلك مظنة الكبر والجهل باحوال الناس التى يجب على الوالى الاحاطة بها بقدر الامكان
والا الحصر فيما بعدها خبر كان الخامس نهاه ان يحجب احدا عن لقائه بحاجته مؤكدا لما سبق ورغبه فى ملاقاة
ذى الحاجة بضمير صغراه قوله فانها الى قوله قضائها اى لم تحمد فيما بعد وان قضيتها له وتقدير الكبرى وكل
امر كان كذلك فلا ينبغى ان يحجب صاحبه عن لقائك به ويذاد عن ابوابك فى اول ورده السادس امره ان يعتبر
مال بيت المسلمين ويصرفه فى مصارفه مستوعبا بذلك الاحوج فالاحوج ويحمل الباقى اليه ومصيبا حال
واضاف مواضع الفاقة والخلات لتغاير اللفظين السابع امره بنهى اهل مكة عن اخذ الاجرة ممن يسكن بيوتهم واحتج
لذلك بالاية وفسرها وهى صغرى ضمير وتقدير كبراه وكلما قال الله فيه ذلك لم يجز فيه الغنية ثم ختم بالدعاء
لنفسه وله ان يوفقهما لمحابه وبالله التوفيق لذلك ومن كتاب له عليه السلام الى سلمان الفارسى رحمه الله
قبل ايام خلافته اما بعد فان مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها فاعرض عما يعجبك فيها لقلة ما
يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت به من فراقها وكن آنس ما تكون بها احذر ما تكون منها فان صاحبها
كلما اطمان فيها الى سرور اشخصته عنه الى محذور اقول اشخصته اذهبته ومدار الفصل على الموعظة وذم
الدنيا وضرب لها مثلا وذكر من وجوه الشبه من جانب المثل به امرين احدهما لين المس ويماثله من جانب الدنيا
رفاهية العيش ولذاته والثانى قتل سمها ويماثله من الدنيا هلاك المنهمكين فى لذاتها يوم القيمة ثم امره
فى معاملتها باوامر احدها ان يعرض عما يعجبه منها وعلل وجوب اعراضه بقوله لقلة ما يصحبك منها وهى
صغرى ضمير تقديرها ما يصحبك منها قليل وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فينبغى ان يعرض عنه الثانى ان
يضع عنه هموم طلبها وعلل وجوب ذلك بضمير صغراه قوله لما ايقنت من فراقها اى لانك متيقن لفراقها
وتقدير كبراه وكلما تيقنت فراقه فواجب ان تضع همك عن طلبه الثالث ان يكون آنس ما يكون بها احذر ما
يكون منها وما مصدرية وآنس نصب على الحال واحذر خبر كان اى فى حال كونك آنس بها كن احذر ما تكون
منها والغرض ان يحذر جهده ولا يانس بها وعلل وجوب الحذر منها بقوله فان صاحبها الى آخره وهو صغرى ضمير
تقديرها فانها كلما اطمان صاحبها فيها الى آخره وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فيجب ان يحذر صاحبه
منه ولا يانس اليه بشئ فالدنيا يجب ان يحذر صاحبها منها ومن كتاب له عليه السلام الى الحرث الهمدانى

وتمسك بحبل القرآن واستنصحه واحل حلاله وحرم حرامه وصدق بما سلف من الحق واعتبر بما مضى من الدنيا ما بقى
منها فان بعضها يشبه بعضا وآخرها لاحق باولها وكلها حايل مفارق وعظم اسم الله ان تذكره الا على حق و
اكثر ذكر الموت وما بعد الموت ولا تتمن الموت الا بشرط وثيق واحذر كل عمل يعمل به فى السر ويستحيى منه فى العلانية
واحذر كل عمل اذا سئل عنه صاحبه انكره او اعتذر منه ولا تجعل عرضك غرضا لنبال القول ولا تحدث الناس
بكل ما سمعت فكفى بذلك كذبا ولا ترد على الناس كل ما حدثوك به فكفى بذلك جهلا واكظم الغيظ واحلم
عند الغضب وتجاوز عند القدرة واصفح مع الدولة تكن لك العاقبة واستصلح كل نعمة انعمها الله عليك
ولا تضيعن نعمة من نعم الله عندك ولير عليك اثر ما انعم الله به عليك واعلم ان افضل المؤمنين افضلهم تقدمة
من نفسه وماله وانك ما تقدم من خير يبق لك ذخره وما تؤخره يكن لغيرك خيره واحذر صحابة من يفيل رأيه
وينكر عمله فان الصاحب معتبر بصاحبه واسكن الامصار العظام فانها جماع المسلمين واحذر منازل الغفلة والجفاء
وقلة الاعوان على طاعة الله واقصر رأيك على ما يعنيك واياك ومقاعد الاسواق فانها محاضر الشيطان
ومعاريض الفتن واكثر ان تنظر الى من فضلت عليه فان ذلك من ابواب الشكر ولا تسافر فى يوم جمعة
حتى تشهد الصلوة الا فاصلا فى سبيل الله او فى امر تعذر به واطع الله فى جمل امورك فان طاعة الله فاضلة
على ما سواها وخادع نفسك فى العبادة وارفق بها ولا تقهرها وخذ عفوها ونشاطها الا ما كان مكتوبا
عليك من الفريضة فانه لا بد من قضائها وتعاهدها عند محلها واياك ان ينزل بك الموت وانت آبق من
ربك فى طلب الدنيا واياك ومصاحبة الفساق فان الشر بالشر ملحق ووقر الله واحبب احباءه واحذر الغضب
فانه جند عظيم من جنود ابليس اقول هذا الفصل من كتاب طويل اليه وقد امره فيه باوامر وزجره بزواجر
مدارها على تعليم مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب احدها ان يتمسك بحبل القرآن ولفظ الحبل مستعار
كما سبق واراد لزوم العمل به الثانى ان يستنصحه اى يتخذه ناصحا له بحيث يقبل امره ومشورته لانه يهدى الى الحق
والى صراط مستقيم الثالث ان يحل حلاله ويحرم حرامه وذلك ان يعتقد ما فيه من الحلال والحرام حلالا وحراما
ويقف عند اعتقاده ويعمل بمقتضاه الرابع ان يصدق بما سلف من الحق مما حكاه القرآن الكريم من احوال
القرون الماضية واحوال الانبياء مع اممهم ليصح منه الاعتبار الخامس ان يعتبر ما مضى من الدنيا بما بقى فيها
بان يجعل ما مضى اصلا وما بقى فرعا ويجد العلة المشتركة بينهما من العلة وهو كونهما مظنة التغير والزوال
فيحكم فى الفرع بحكم الاصل من وجوب الزوال وقد نبه على المشترك بقوله فان بعضها يشبه بعضا وعلى
ما يلزم ذلك فى الفرع بقوله وآخرها لاحق باولها وكلها حايل اى زايل مفارق السادس ان يعظم اسم الله
ويكبره ان يذكره على غير الحق السابع ان يكثر ذكر الموت وما بعده فان فى ذكرهما اعظم واعظ و
زاجر عن الدنيا الثامن نهاه ان يتمنى الموت الا بشرط وثيق من نفسه يطمئن اليه فى طاعة الله وولايته
فان تمنيه بدون ذلك سفه وحمق التاسع امره ان يحذر كل عمل يرضاه لنفسه ويكره للمسلمين وهو فى معنى

بينهم عن الاستيثار عليهم بالخيرات وهو كقوله ع للناس ما ترتضيه لنفسك واكره لهم ما تكرهه لها العاشر
يحذر ما يعمله في السر ويستحيى منه في العلانية والاشارة الى معاصي الله ومقارفة الدنايا من المباحات
وكذلك كل عمل من شانه ان ينكره اذا سئل عنه ويعتذر منه الحادى عشر ان يحفظ عرضه ونهاه ان يجعله
غرضا واستعار لفظ الغرض والنبال لما يرمى به من القول وقد سبق وجه الاستعارة الثاني عشر ان
يحدث الناس بكل ما سمع على وجه ان يقول كان كذا وكذا دون ان يقول سمعت فلانا يقول كذا فان بينهما
فرقا ولذلك قال وكفى بذلك كذبا لاحتمال ان يكون ما سمع في نفس الامر كذبا فيكون قد كذب في
قوله كان كذا وقوله سمعت كذا لا يكون كذبا الا على وجه آخر الثالث عشر ان لا يرد كل ما يحدث به الناس
ويقابله بالتكذيب والانكار لاحتمال ان يكون حقا فيحصل من انكاره جهل بحق وقوله فكفى في الموضعين
صغرى ضمير تقدير كبرى الاول وكلما كفى به كذبا فينبغي ان لا يحدث به وتقدير كبرى الثاني وكلما كفى به
جهلا وجب ان لا يرد الرابع عشر امره بكظم الغيظ والحلم والتجاوز والصفح وهي فضايل تحت ملكة الشجاعة
وشرطها بوجود الغضب والقدرة والدولة ليسمى حلما وتجاوزا وصفحا والا لم يصدق عليها الاسم وقوله
تكن لك العاقبة اى العاقبة الحسنة من ذلك وهي صغرى ضمير تقديرها فان فاعل هذه الخصال يكون له
العاقبة منها وتقدير الكبرى وكلما كانت له العاقبة الحسنة منها فيجب ان يفعلها الخامس عشر ان يستصلح
كل نعمة الله تعالى عليه اى يبقيها ومنه الشكر السادس عشر ان لا يضيع من نعم الله نعمة اى بالقصور عن
الشكر والغفلة عنه السابع عشر ان يظهر اثر نعمة الله تعالى عليه بحيث لا يراها الناس و[illegible] آثارها
عليه باظهارها على نفسه وذويه وصرف فاضلها الى اهل الاستحقاق واعلم بدليل وجوب ذلك
من وجهين احدهما قوله ان افضل المؤمنين افضلهم تقدمة اى صدقة يقدمها من نفسه باقواله وافعاله
واموالهم ومن اهله كذلك وهو جذب له ان يجعل نفسه من افضل المؤمنين بالصدقة الثاني قوله وانك
الى قوله خيره اى ما تقدمه وتؤخره من المال وتخلفه وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما اذا قدمته كان
لك ذخرا واذا اخرته كان لغيرك خيره فواجب عليك تقديمه الثامن عشر ان يحذر صحابة من يفيل رايه
اى يضعف وينكر عمله لسوءه وعلل ذلك الحذر بقوله فان الى قوله بصاحبه اى فانك تقاس به وتنسب
فعلك الى فعله ولان الطبع مع الصحبة اطوع للفعل منه للقول فلو صحبه لشابه فعله فعله التاسع عشر
ان يسكن الامصار العظام والغرض الجمعية على دين الله كقوله صلى الله عليه وآله عليكم بالسواد الاعظم
ولذلك علل بكونها جماع المسلمين اى مجمعهم واطلق اسم المصدر على المكان مجازا وهو صغرى ضمير تقدير
كبراه وكلما كان كذلك فينبغي ان يختص بالسكنى العشرون ان يحذر منازل الغفلة والجفاء لاهل
طاعة الله الحادى والعشرون ان يقصر رايه على ما يعنيه فان فيه شغلا عما لا يعنيه فيتجاوزه اليه
الثاني والعشرون ان يحذر مقاعد الاسواق واشار الى وجه المفسدة بقوله فانها الى قوله الفتن

ومعنى

ومعنى كونها محاضر الشيطان كونها مجمع الشهوات ومحل الخصومات التي مبدأها الشيطان ومعاريض جمع معرض
وهو محل عروض الفتن والكلام صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فلا يجوز القعود فيه الثالث و
العشرون ان يكثر نظره الى من هو دونه ممن فضل عليه في النعمة وعلل ذلك بقوله فان الى قوله الشكر ووجه
كونه بابا للشكر انه يكون سببا للدخول اليه منه وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان من ابواب الشكر
فواجب ملازمته الرابع والعشرون ان لا يسافر في يوم الجمعة الا ان يكون في جهاد او عذر واضح وسره ان صلوة
الجمعة عظيمة في الدين وهو محل التاهب لها والعبادة فوضعه للسفر وضع للشيء في غير موضعه الخامس و
العشرون ان يطيع الله في جميع اموره ورغب فيها بضمير صغراه قوله فان الى قوله سواها وتقدير كبراه وكلما
فضل ما سواه فالاولى لزومه وايثاره على ما سواه السادس والعشرون ان يخادع نفسه في العبادة فانه
لما كان شان النفس اتباع الهوى وموافقة الطبيعة فبالحري ان تخادع عن ما الفته الا عن ما تارة بان يذكر
الوعد وتارة الوعيد وتارة بالاستشهاد بمن هو دونها ممن شمر في عبادة الله وتارة باللوم لها على التفريط
في جنب الله فاذا سلك بها فينبغي ان يكون بالرفق من غير قهرها على العبادة لكون ذلك داعية الملال
والانقطاع كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا
تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى بل ياخذ منها عفوها ونشاطها في
العبادة الا الفريضة فانه لا يجوز المساهلة فيها السابع والعشرون حذره ان ينزل به الموت حال ما هو
آبق من ربه واستعار له لفظ الآبق باعتبار خروجه عن امره ونهيه عن طلب الدنيا الثامن والعشرون ان يحذر
صحبة الفاسق ونفره عن ذلك بضمير صغراه قوله فان الشر بالشر ملحق اى فانه يصيرك شرا كشره لان القرين
بالمقارن يقتدى وتقدير كبراه وكل ما صيرك شرا كذلك فلا يجوز فعله التاسع والعشرون ان يجمع بين
توقير الله وتعظيمه وبين محبة احبائه واوليائه وهما اصلان متلازمان الثلثون ان يحذر الغضب ونفره عنه
بقوله فانه الى الخ ومعنى كونه جندا له لانه من اعظم ما يدخل به على الانسان فيملكه ويصيره تحت يده كالملك
الداخل بالجند العظيم على المدينة وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فواجب ان يحذر منه
وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام الى سهل بن حنيف الانصاري وهو عامله على المدينة في معنى
قوم من اهلها لحقوا بمعوية اما بعد فقد بلغني ان رجالا ممن قبلك يتسللون الى معوية فلا تاسف على
ما يفوتك من عددهم ويذهب عنك من مددهم فكفى لهم غيا ولك منهم شافيا فرارهم من الهدى والحق وايضاعهم
الى العمى والجهل وانما هم اهل الدنيا مقبلون عليها ومهطعون اليها فقد عرفوا العدل وراوه وسمعوه ووعوه
وعلموا ان الناس عندنا في الحق اسوة فهربوا الى الاثرة فبعدا لهم وسحقا انهم والله لم ينفروا من جور ولم
يلحقوا بعدل وانا لنطمع في هذا الامر ان يذلل الله لنا صعبه ويسهل لنا حزنه ان شاء الله والسلام اقول
التسلل الذهاب واحدا بعد واحد والايضاع الاسراع وكذلك الاهطاع والاثرة الاستبداد فقوله

اما بعد الى قوله معوية اعلام له بحالهم وقوله فلا تاسف الى قوله مددهم تسلية له عما فات من عددهم ومددهم وقوله
فكفى الى قوله والجهل استدراج له عن الاسف على فرارهم بذكر معايبهم في ضميرين صغرى الاول منهما قوله فكفى الى قوله والجهل
وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فلا يجوز الاسف عليه وفرارهم فاعل كفى وغيا وشافيا مميز وصغرى الثاني قوله و
انما هم اهل الدنيا اى لما كان شانهم ذلك وعرفوا العدل عندنا وعلموا تساوى الناس عندنا في الحق هربوا الى الايثار
والاستبداد عند معوية وتقدير كبراه وكل من كان بهذه الحال فلا يجوز الاسف عليه ولذلك دعا عليهم بالبعد و
السحق وهما مصدران وصفا للدعاء ثم اقسم انهم لم يفروا من جور ولم يلحقوا بعدل عند معوية ليبين حصر الاحوال
التي هربوا لاجلها ثم وعده بما يطمع منه من الله تعالى من تذليل ما صعب من امر الخلافة لهم وتسهيل حزنه بمشية سبحانه
ومن كتاب له عليه السلام الى المنذر بن الجارود العبدي وقد كان استعمله على بعض النواحي فخان الامانة اما بعد
فان صلاح ابيك غرني منك فظننت انك تتبع هديه وتسلك سبيله فاذا انت فيما رقي الى عنك لا تدع لهواك انقيادا
ولا تبقي لاخرتك عتادا تعمر دنياك بخراب آخرتك وتصل عشيرتك بقطيعة دينك ولئن كان ما بلغني عنك حقا لجمل
اهلك وشسع نعلك خير منك ومن كان بصفتك فليس باهل ان يسد به ثغر او ينفذ به امر او يعلى له قدر او يشرك
في امانة او يؤمن على خيانة فاقبل الى حين يصل اليك كتابي هذا ان شاء الله والمنذر بن الجارود هذا هو الذي قال فيه
امير المؤمنين عليه السلام انه لنظار في عطفيه مختال في برديه تفال في شراكيه يعني انه ينفض التراب عن شراكيه اذا
اصابهما الغبار اقول العتاد العدة والشسع سير بين الاصبعين في النعل العربي ومدار الفصل على توبيخه بسبب
خيانته فذكر سبب غروره وهو قياسه في الصلاح على ابيه الجارود العبدي في انه يتبع ما كان عليه من الهدى ثم ذكر
ما رقي اليه عنه من الفارق من اربعة اوجه احدها انقياده لهواه في كل ما يقوده اليه الثاني اعراضه عما يعتد به لاخرته
من صالح الاعمال الثالث كونه يعمر دنياه بما يستلزم خراب آخرته من تناول الحرام الرابع كونه يصل عشيرته بما يقطع
دينه من ذلك وراعى السجع في قرينتين ثم اخذ في توبيخه والحكم [illegible] ذلك بتفضيل
جمل اهله وشسع نعله عليه وجمل الاهل مما يتمثل به في الهوان واصله فيما قيل ان الجمل يكون لاهل العيلة فيصير ارثا
لهم يسوقه كل منهم ويصرفه في حاجته فهو ذليل حقير بينهم ثم حكم في معرض توبيخه على من كان بصفته انه لا يصلح
لولاية عمل يراد له الوالي وراعى في القراين الاربع السجع المتوازى فالغرض بازاء الامر والجباية بازاء الامانة
واما قال او يشرك في امانة لان الخلفاء امناء الله في بلاده فمن ولوه من قبلهم فقد اشركوه في امانتهم وقوله
او يؤمن على خيانة اى حال الخيانة لان كلمة على تفيد الحال ثم بعد توبيخه استقدمه عليه لعزله والذي حكاه
السيد رحمه الله من وصف امير المؤمنين له فكناية عن تكبره والتفال الذي ينفخ الغبار عنه والحكاية مناسبة
للكتاب لاشتمالها على الذم وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام الى عبد الله بن العباس رحمه الله اما بعد
فانك لست بسابق اجلك ولا مرزوق ما ليس لك واعلم بان الدهر يومان يوم لك ويوم عليك وان الدنيا
دار دول فما كان منها لك اتاك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك اقول الفصل موعظة وفيه

فيها

فيها على فوايد احديها انه لا يسبق احد اجله ولما كان الاجل هو الوقت الذي علم الله ان زيدا يموت فيه لم يمكن ان يموت زيد دونه
لان ذلك يستلزم انقلاب علم الله جهلا وانه محال الثانية ولا مرزوق ما ليس له اى ما علم الله انه ليس رزقا له فمحال
ان يرزق اياه لما بيناه الثالثة اعلمه ان الدهر يومان يوم له وهو اليوم الذي له فيه المنافع كاللذة وكالا[illegible]
ويوم عليه وهو ما يكون عليه فيه المضرة كالالام وما يستلزمه وذلك معنى كون الدنيا دار دول كما قال تعالى وتلك
الايام نداولها بين الناس الرابعة اعلمه ان ما كان له من خير الدنيا اتاه على ضعفه وان كان امرا كبيرا لعلمه
سبحانه بانه يصل اليه وكذلك ما كان عليه من شرها لم يمكن من دفعه وان كان قويا وذكر الضعف والقوة
ليعلم استناد الامور والارزاق الى مدبر حكيم هو مفيضها ومبدأ اسبابها وناظم وجودها ومقسمها لا انها ...
كل منهما ما استعد له من خير او شر فقد يحصل الضعف للحيوان ويرزق رزقا واسعا ويكون ضعفه من الاسباب
المعدة لسعة رزقه وبالعكس فقد يحصل له القوة فتكون من اسباب الحرمان والله من ورائهم محيط وهو الرزاق
ذو القوة المتين ومن كتاب له عليه السلام الى معوية اما بعد فاني على التردد في جوابك والاستماع
الى كتابك لموهن رايي ومخطئ فراستي وانك اذ تحاولني الامور وتراجعني السطور كالمستثقل النائم تكذبه
احلامه والمتحير القائم يبهظه مقامه لا يدرى اله ما ياتي ام عليه ولست به غير انه بك شبيه واقسم بالله انه لولا بعض الاستبقاء
لوصلت اليك قوارع تقرع العظم وتهلس اللحم واعلم ان الشيطان قد ثبطك عن ان تراجع احسن امورك وتاذن
لمقال نصيحتك اقول موهن مضعف ويبهظه يثقله والقوارع الشدايد وتهلس اللحم تذهب به وتسحقه وتقرب
منه الهش وثبطه عن كذا شغله ومدار الفصل على [illegible] وتوبيخه فقوله اما بعد الى قوله فراستي اى مضعف رايي
ومخطئ فيك لعلمه بطول ان مكاتبتك وجوابك لا فايدة فيه ثم شبهه في محاولته امر الشام وما يجده عنده
من تحصيل امر الخلافة فيه بعده ومراجعة السطور اى الكتب في ذلك بالمستثقل في النوم الغريق فيه واشبه
السطور [illegible] واشار الى وجه الشبه بقوله تكذبه احلامه واراد ان تخيلاته واماينه في وصول
هذا الامر اليه تخيلات كاذبة صادرة عن جهل غالب كالاحلام الكاذبة للمستغرق في نومه اذا استيقظ لم
يجد منها شيئا وكذلك شبهه بالمتحير القائم واشار الى وجهه بقوله يبهظه الى قوله عليه وبيانه ان معوية يجد
في هذا الامر متحيرا في تحصيله متهورا في طلبه مع جهله بما في سعيه هل هو خير او شر كالقائم المتحير في الامر
يتعب بطول مقامه ولا يعرف غايته من قيامه ثم لم يرض له بذلك التشبيه بل نادى بالنقص في عقله ونومه
في مرض طبعه وجبلته وقال ولست به اى ولست بهذا شبيها فيكون هو اصلا لك في الشبه غير انه بك شبيه
اى انك اصل له في ذلك الشبه ثم اقسم لولا بعض الاستبقاء اى للامور المصلحية لوصلت اليه منه قوارع واراد
شدايد الحرب وكنى عن شدتها بكونها تقرع العظم وتهلس اللحم ثم اعلمه في معرض توبيخه ان الشيطان قد ثبطه
عن مراجعة احسن اموره وهو الدخول في طاعته وترك الفتنة وان ياذن ان يصغى لمقال النصيحة وهو جذب
له اليهما وجنبه تركهما الى تثبيط الشيطان وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام بين اليمن وربيعة

نقل من خط هشام بن الكلبي هذا ما اجتمع عليه اهل اليمن حاضرها وباديها وربيعة حاضرها وباديها انهم على
كتاب الله يدعون اليه ويامرون به ويجيبون من دعا اليه وامر به لا يشترون به ثمنا ولا يرضون به بدلا وانهم
يد واحدة على من خالف ذلك وتركه انصار بعضهم لبعض دعوتهم واحدة لا ينقضون عهدهم لمعتبة عاتب ولا
لغضب غاضب ولا لاستذلال قوم قوما ولا لمسبة قوم قوما على ذلك شاهدهم وغائبهم وحليمهم وجاهلهم
ثم ان عليهم بذلك عهد الله وميثاقه ان عهد الله كان مسئولا وكتب علي بن ابي طالب **اقول** الحلف العهد
وفيه نكت الاولى قوله هذا مبتداء وما موصولة وهي صفة المبتدا وخبره انهم ويجوز ان يكون هذا مبتدأ خبره
ما اجتمع عليه ويكون قوله انهم تفسيرا لهذا كانه قال ما الذي اجتمعوا عليه فقيل على انهم على كتاب الله اي انهم
اجتمعوا على ذلك وخبر انهم هو على كتاب الله ويدعون حال والعامل متعلق الجار وحاضرها وباديها من اهل
اليمن وكذلك من ربيعة الثانية كونهم لا يشترون به ثمنا كناية عن لزومهم له والعمل به الثالث قوله وانهم
يد واحدة اي يدا ونونا على من خالفه فاطلق اسم اليد على التعاون مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب
وانصار خبر ثان لان وبعضهم فاعله ويجوز ان يكون بعضهم مبتدأ خبره انصار الرابعة قوله ولا لاستذلال
قوم قوما اي لا اذلالهم لهم وفي دفاتر كتب علي بن ابي طالب وهي المشهورة عنده وجهها انه جعل هذه الكلمة
علما بمنزلة لفظ واحدة لا يتغير اعرابها **ومن كتاب له عليه السلام** الى معوية من المدينة في اول ما بويع له بالخلافة
وذكره الواقدي في كتاب الجمل من عبد الله علي امير المؤمنين الى معوية بن ابي سفيان اما بعد فقد علمت اعذاري
فيكم واعراضي عنكم حتى كان ما لا بد منه ولا دفع له والحديث طويل والكلام كثير وقد ادبر ما ادبر واقبل ما
اقبل فبايع من قبلك واقبل الي في وفد من اصحابك **اقول** الوفد الواردون على الملك واعذارا ولا اعذار
فيهم له اي اظهار عذره وذلك باجتهاده في نصيحة عثمان اولا ونصره بني امية بالقرب عنه ثانيا واعراضه
عنهم بعد اياسه من قبول عثمان لنصيحته وعجزه عن نصرته والدفع عنه حتى كان ما لا بد منه ولا دفع له من قتله
ثم قال والحديث طويل والكلام كثير اي في امره ومن قتله وقوله وقد ادبر الى قوله اقبل يحتمل ان يكون اخبارا
بان بعض الناس ادبر عنه كطلحة والزبير ومن تابعهما وبعضهم اقبل عليه ويحتمل ان يكون انشاء اي قد دخل
في الادبار من ادبر عني ودخل في الاقبال من اقبل علي ثم امره ان يبايع له من قبله من الجماعة ويقبل اليه ويحتمل
ان يكون الضمير في قوله فيكم وعنكم خطابا بالمعوية وسائر المسلمين على سبيل العتب والشكوى اي فقد علمتم اني
اعذرت فيكم حيث لم اعاجل مسيئكم بالعقوبة واعرضت عنكم حتى كان ما كان من خروج طلحة والزبير ومن
تابعهم مما لا بد من وقوعه منهم ولا دفع له والحديث في شانهم طويل والكلام في شبهتهم كثير وقد ادبر من ادبر
اي هولاء الخارجون واقبل من اقبل وتمام الكلام ظاهر والله اعلم **ومن كتاب له عليه السلام** لعبد الله بن العباس
عند استخلافه اياه على البصرة سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك واياك والغضب فانه طيرة من الشيطان
واعلم ان ما قربك من الله يباعدك من النار وما باعدك من الله يقربك من النار **اقول** الطيرة فعلة من الطير

ويستعمل في الخفة وما لا ثبات له وروى طيرة من التطير وهو التشأم وقد امره بفضايل من الاخلاق احدها
ان يسع الناس بوجهه وكنى بذلك عن البشر والطلاقة وبمجلسه وهو كناية عن التواضع وبحكمه وكنى به
عن العدل لان الحكم العدل يسع كل احد والجور يضيق لاحتماله الكل الثاني حذره من الغضب وهو امر بفضيلة
الثبات والحلم ونفره بقوله فانه طيرة من الشيطان اي خفة يتشأم من الشيطان او انه مما يتشأم الناس بها
ويكرهه ونسبه الى الشيطان لنفرة عنه واذا الغضب المذموم وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك
فواجب ان يحذر ثم دعته فيما يقربه من الله بما يستلزمه من كونه مباعدا له من النار ونفره عما يبعده من الله بما يستلزمه
من كونه مقربا له الى النار وهما صغرا ضميرين تقدير كبرى الاول منهما وكل ما باعدك من النار فواجب اخذه وتقدير
كبرى الثاني وكل ما يقربك من النار فواجب ان يحذره وبالله التوفيق **ومن وصية له عليه السلام** لعبد الله بن
العباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج لا تخاصمهم بالقران فان القران حمال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن
حاجهم بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محيصا **اقول** المحيص العدل وقد نهاه ان يحاجهم بالقران ونبه على ذلك
بضمير صغراه قوله فان القران الى قوله ويقولون اي ان الايات التي يمكنه الاحتجاج بها غير ناصة في المطلوب بل لها
ظاهر وتاويلات محتملة يمكنهم ان يتعلقوا بها عند المجادلة وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فلا يتم الغرض
به في مخاصمتهم ثم امره ان يحاجهم بالسنة ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فانهم لا يجدون عنها معدلا لكونها نصا
في المطلوب كقوله صلى الله عليه واله حربك يا علي حربي ونحوه وتقدير الكبرى وكل ما لم يجدوا عنه معدلا فالاولى
محاجتهم به وقد اشرنا من قبل الى محاجة ابن عباس لهم **ومن كتاب له عليه السلام** اجاب به ابا موسى الاشعري عن
كتاب كتبه اليه من المكان الذي اقعدوا فيه للحكومة وذكر هذا الكتاب سعيد بن يحيى الاموي في كتاب المغازي
فان الناس قد تغير كثير منهم عن كثير من حظهم فمالوا مع الدنيا ونطقوا بالهوى واني نزلت من هذا الامر منزلا
معجبا اجتمع به اقوام اعجبتهم انفسهم فانا اداوي منهم قرحا اخاف ان يعود علقا وليس رجل فاعلم احرص على
جماعة محمد صلى الله عليه واله والفتها مني ابتغي بذلك حسن الثواب وكرم الماب وساقي بالذي وايت على نفسي و
ان تغيرت عن صالح ما فارقتني عليه فان الشقي من حرم نفع ما اوتي من العقل والتجربة فاني لاعبد ان يقول قايل
بباطل وان افسد امرا قد اصلحه الله فدع ما لا تعرف فان شرار الناس طائرون اليك باقاويل السوء **اقول**
العلق الدم الغليظ وايت وعدت واعبد استنكف واغضب وقوله فان الناس الى قوله حظهم اي الحظ الذي ينبغي
لهم من الدين والهدى وقوله فمالوا الى قوله الهوى بيان لانواع تغيرهم وقوله واني نزلت من هذا الامر اي امر الحكومة
منزلا معجبا وهو الحال التي تنتهي اليها مطامع الصحابة وصارت محل التعجب منها وكيف صار يحكم مالهم في قبول الحكومة
والرضى بالصلح وغيره وقوله اجتمع به اقوام صفة منزل اي ان هذا المنزل الذي اتانيه من هذا الامر قد اجتمع معي و
شاركوني في رايي فيه اقوام اعجبتهم انفسهم واراؤهم فافسدوا على الامر فانا اداوي منهم قرحا واستعار لفظ القرح
لما افسد من حاله باجماعهم على التحكيم ولفظ المداواة لاجتهاده في اصلاحهم ورده اياهم وكذلك استعار لفظ

العلق لما يخاف من عود امرهم من حالة الى ما هو اشد منها ثم اخبره انه ليس رجل احرص منه على الفة جماعة محمد صلى الله عليه واله الغرض المذكور
وقوله فاعلم اعتراض حسن بين ليس وخبرها ورجل يفيد العموم وان كان مفردا نكرة لكونه في سياق النفي على ما بين
في اصول الفقه ثم اخبره انه سيفي بما وعد على نفسه من شرط الصلح على ما وقع عليه وتوعده بلزوم الشقاوة ان تغير عن
صالح ما فارقه عليه من وجوب الحكم بكتاب الله وعدم اتباع الهوى ثم الاعتبار بعبارة الاشارة وفسر الشقي بمن
حرم نفع ما اوتي من العقل والتجربة مشيرا بذلك الى انه ان خدع او تغير بامر اخر فقد حرم نفع عقله وسابقة تجربته
فلزمته الشقاوة ثم نبهه على انه يانف من قول الباطل وان يفسد امرا اصلحه الله به وهو امر الدين لتجربه مع عصبيه
بلزوم الحق والصدق وحفظ حال الله في حفظ ما كد ذلك بقوله فدع ما لا تعرف اي من الحكم في هذه القضية بما
وقوله فان شرار الناس الى اخره اراد عمرو بن العاص ونحوه مما كان يسرع بالقالة اليه من الوشاة ومن البشر الكاذبة
التي هي اقاويل السوء **ومن كتاب له عليه السلام** لما استخلف الى امراء الاجناد اما بعد فانما اهلك من كان
قبلكم انهم منعوا الناس الحق فاشتروه واخذوهم بالباطل فاقتدوه **اقول** نفرهم عن منع الحق اهله وعن اخذهم
الناس بالباطل بذكر ان ذلك هو سبب هلاك من كان قبلهم من امثالهم وقوله فاشتروه اي فباعوه وتعوضوا
عنه بالباطل لما منعوا منه كقوله تعالى وشروه بثمن بخس وكذلك قوله واخذوهم بالباطل اي حملوا نصرتهم
معهم بالباطل فاقتدوه وبالله التوفيق تم باب الكتب والوصايا والعهود والحمد لله حق حمده **باب المختار
من حكم امير المؤمنين عليه السلام ومواعظه ويدخل في ذلك المختار من اجوبة مسائله والكلام القصير الخارج
في عن سائر اغراضه قال عليه السلام** كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب **اقول**
ابن اللبون ولد الناقة اذا استكمل سنتين ودخل في الثالثة لان امه على الاغلب قد وضعت ولدا غيره فهي ذات
لبن وقد امر صاحبه في زمن الفتنة ان يتشبه بابن اللبون واشار الى وجه الشبه بقوله لا ظهر الى اخره واراد انه يكون
في زمانها خامل الذكر ضعيفا غير مستكثر من المال كيلا يصلح لمعاونة الظالمين بنفسه ولا بماله ولا ينتفع به
في الفتنة كابن اللبون لا ينتفع بظهره ولا بلبنه وظهر مبتدأ خبره محذوف تقديره له ويركب عطف على الجملة وروي
منصوبا باضمار ان في جواب النفي وكذا قوله فيحلب **وقال عليه السلام** احدى وعشرين كلمة من الاداب والحث على
مكارم الاخلاق احدها قوله ازرى بنفسه من استشعر الطمع وهو تنفير عن الطمع المضاد لفضيلة القناعة بذكر ما
يستلزمه من التهاون بالنفس والازراء بها وذلك ان الطمع فيما في ايدي الناس يستلزم الحاجة اليهم والخضوع لهم و
يستلزم الهوان عليهم وسقوط المنزلة واستعار وصف الاستشعار لملازمة الطمع ومباشرته للقلب كالشعار
للجسد الثاني قوله ورضي بالذل من كشف ضره وهو ايضا تنفير للانسان عن حكاية فقره وضره للناس بذكر ما يلزم
ذلك من حصول فضيلة المذلة والرضى به الثالثة وهانت عليه نفسه من امر عليها لسانه وهو تنفير للانسان عن
الاكثار في القول من غير تدبر ومراجعة لعقله فيما يلزمه وذلك من هو ان نفسه عليه لما في الدنيا فلان زيادة القول
قد يكون سببا للهلاك واليه اشار القائل احفظ لسانك ايها الانسان لا يلدغنك انه ثعبان كم في المقابر

من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الاقران واما في الاخرة فلقوله صلى الله عليه واله وهل يكب الناس على مناخرهم في
النار الا حصايد السنتهم ولا هوان للنفس للانسان عليه اعظم من هلاكها واستعار وصف الامير لتسليط اللسان
على ما يؤدي النفس من غير مراجعتها فكانها صارت محكومة له الرابعة قوله والبخل عار وذلك لانه رذيلة التفريط من فضيلة
الكرم ويفقد محمد الانسان على الكرم يكون ذمه وتعييره برذيلة البخل الخامسة والجبن منقصة لانه رذيلة التفريط
من فضيلة الشجاعة التي هي اصل من الكمالات النفسانية كان الجبن رذيلة ومنقصة السادسة والفقر يخرس الفطن
عن حجته وذلك لكونه مذلة وله في النفس ثقل عظيم بالقبض والفتور والانفعال عن الغير وسبب كل ذلك تصور
العجز وتوهم القصور بسبب عدم المال عن مقاومة الخصوم فيحصل الخوف من الكلام والعي به وان كان صاحبه فطنا
واستعار لذلك وصف الخرس ملاحظة لشبهه السابعة والمقل غريب في بلدته اي الفقير واستعار له لفظ الغريب
باعتبار عدم التفات الناس اليه وقلة الاعوان والاخوان له لاقلاله فهو كالغريب الذي لا يعرف الثامنة والعجز افة
العجز لفظ مهمل يحتمل العجز البدني وهو عدم القدرة على التصرفات البدنية عما من شانه ان يقدر ويحتمل العجز النفساني
وهو عدم القدرة على مقاومة الهوى ودفعه والاول افة بدنية ونقصان فيه والثاني افة في العقل وقاهر فيه التاسعة
والصبر شجاعة الصبر فضيلة تحت العفة ترسم بانها مقاومة الهوى لئلا ينقاد النفس الى قبايح اللذات وهو جهاد مع
النفس الامارة يستلزم فضيلة الشجاعة فلذلك حمل اللازم على ملزومه العاشرة والزهد ثروة وهو فضيلة تحت العفة
ورسم بانه اعراض النفس عن متاع الدنيا وطيباتها ولما كانت الثروة في العرف عبارة عن الغنى بالمال وكثرته استعار
لفظها للزهد لمشابهته اياها في استلزامهما للغنى وعدم الحاجة الحادية عشر والورع جنة وحقيقة الورع لزوم الاعمال
الجميلة فلذلك استعار له لفظ الجنة لمشابهتها في الوقاية من عذاب الله في الاخرة ومن اكثر المصايب الدنيوية كما
يجن بالترس ونحوه من السلاح الثانية عشر ونعم القرين الرضا وقد علمت ان الرضا بقضاء الله وما نزل به القدر باب عظيم
من ابواب الجنة وغاية من الملكات الفاضلة وظاهر انه نعم القرين في الدنيا والاخرة الثالثة عشر والعلم وراثة
كريمة وهو فضيلة النفس العاقلة وهو اشرف الكمالات التي تقتنى وحيث ذلك كان وراثة كريمة من العلماء بل
كان اكرم موروث ومكتسب واراد الوراثة اللغوية كقوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من ال يعقوب اي العلم
والحكمة الرابعة عشر والاداب حلل مجددة واراد الاداب الشرعية ومكارم الاخلاق واستعار لها لفظ الحلل المجددة
باعتبار تزين الانسان بها وتجددها وحسنها وتهذيب نفسه على استمرار الزمان بلزومها واستخراج محاسنها
كالحلل التي لا تزال تجدد على لابسها الخامسة عشر والفكر مراة صافية الفكر قد يراد به القوة المفكرة وقد يراد به
حركة هذه القوة مطلقا اي حركة كانت وقد يراد به معنى اخص وعلى هنا القوة نفسها واستعار لها لفظ المراة باعتبار
انها اذا وجهت نحو تحصيل المطالب التصورية والتصديقية ادركتها وتمثلت بها كما يتمثل في المراة صور ما يحاذيها
السادسة عشر وصدر العاقل صندوق سره استعار للصدر لفظ صندوق السر باعتبار حفظه له كما يحفظ الصندوق
ما فيه وفيه المعنى امر للانسان بكتمان سره وترغيب في ذلك بذكر العاقل فكانه قال العاقل من جعل صدره صندوق

سن وحفظ السابعة عشر البشاشة حبالة المودة واستعار لها لفظ الحبالة باعتبار اقتناص الانسان بها الناس
واستمالتهم الى صداقته ومحبته كحبالة الصايد التي يقتنص بها الطير الثامنة عشر الاحتمال قبر العيوب اراد احتمال
المكروه والاذى من الاخوان وساير الناس وهو فضيلة عظيمة تحت الشجاعة واستعار لفظ قبر العيوب باعتبار
ستره لمعايب صاحبه عند الناس كما يستر القبر ما فيه من جيفة الميت قال السيد رحمه الله وروى انه عليه السلام
قال في العبارة عن هذا المعنى ايضا المسالمة خباء العيوب قال الجوهري الخباء واحد الاخبية بيت من وبر او صوف
ولا يكون من شعر ويكون على عمودين او ثلثه وما فوق ذلك فهو بيت والمسالمة فضيلة تحت العفة استعار لها
لفظ الخباء باعتبار انها فضيلة تستجلب المحبة وتستلزم سكوت الناس عن المعايب وسترها كالخباء وتبيين استلزامها
لستر العيوب باستلزام نقيضها وهو المخاصمة وعدم المسالمة لثوران الطباع على ذكر المعايب وابرازها لغرض
الاهانة والتبكيت التاسعة عشر ومن رضي عن نفسه كثر الساخط عليه وذلك لوجهين احدهما ان الراضي عن نفسه
معتقد لكمالها على غيرها وناظر الى غيره بعين النقصان غير موف للناس حقوقهم فيكثر بذلك الساخط عليه
منهم الثاني انه لاعتقاده كمال نفسه يرفعها فوق قدرها والناس يرونه بقدره فيكثر المستنقص له والساخط عليه
العشرون والصدقة دواء منجح استعار لفظ الدواء النافع للصدقة لمشابهتها الدواء اما في الدنيا فلقوله
صلى الله عليه وآله داووا مرضاكم بالصدقة وسر ذلك انها تستجلب الهمم وتطابق القلوب على محبة المتصدق والرغبة
الى الله سبحانه في دفع المكاره عنه لبقائه فهي اذن سبب للشفاء كالدواء واما في الآخرة فلانها سبب لدفع
المكاره الاخروية كما سبق بيانه الحادية والعشرون واعمال العباد في عاجلهم نصب اعينهم في آجلهم اي ظاهرة قائمة في اعينهم
وسر ذلك ما علمته من كون النفوس ما دامت في الدنيا فهي مشغولة بهيئات الخير والشر لكنها في غشية من الهيئات
البدنية ومحجوبة عن ادراك الامور كما هي فاذا زالت تلك الاغشية بالمفارقة انكشفت لها الامور فادركت ما
عملت من خير وما اكتسبت من شر كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وكما قال يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية وقال عليه السلام اعجبوا لهذا الانسان ينظر بشحم ويتكلم بلحم ويسمع
بعظم ويتنفس من خرم نبه على لطف خلق الانسان ببعض اسرار حكمة الله فيه وغايته من ذلك الاستدلال على حكمة
صانعه وسبحه وذكر اربعة من محال النظر والاعتبار وهي آلة البصر والكلام والسمع والتنفس وخصها بالذكر لكونها
مع ضعفها سر وتاثير في وجود الانسان على شرفه وعلو نسبته في المخلوقات ولانها لا يكون ذلك محل التعجب
اعتبارا لطف الصانع الحكيم واراد بالشحم الذي ينظر به الرطوبة المسماة في عرف الاطباء بالبيضية او الرطوبة الجليدية
فان العين مركبة من سبع طبقات وثلث رطوبات كل منها يختص في عرفهم باسم وعنى باللحم اللسان فانه لحم
ابيض رخو تلتف به عروق صغار كثيرة فيها دم ولذلك يتبين احمر وتحته عروق وشريانات واعصاب كثيرة وتحته
فوهتان يسيل منهما اللعاب يتشعبان الى لحم غددي رخو موضوع في اصله يسمى مولد اللعاب وبهما يبتل
تبقى للسان وما حوله النداوة الطبيعية واراد بالعظم الذي يسمع به العظم المسمى الحجري وهو عظم صلب ضيق

يجري الاذن كثير التعاريج والعطفات يركد الهواء الى ان يلقى العصبة النابتة من الدماغ التي هي مجرى الروح
الحامل للقوة السامعة واراد بالخرم ثقب الانف وفي هذه وامثالها من بدن الانسان وساير الحيوان عبرة
لمن اعتبر وكمال شهادة بوجود الصانع الحكيم لها ومن نظر في تشريح بدن الانسان حضرته شواهد من الحكمة
الالهية يحار فيها لبه ويدهش فيها عقله وقرأ الصادق عليه السلام قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا ثم
قال وكيف لا يكون ضعيفا وهو ينظر بشحم ويسمع بعظم وينطق بلحم وقد ادمج القرائن الاربع السجع المتوازي
وقال عليه السلام اذا اقبلت الدنيا على قوم اعارتهم محاسن غيرهم واذا ادبرت عنهم سلبتهم محاسن انفسهم يريد
ان الدنيا اذا اقبلت بجاهها ومالها على قوم بحسب توافق اسباب السعادة الدنيوية لهم استلزم اقبال الناس
عليهم وتقربهم اليهم بكل ممكن لميلهم الى الدنيا ومحبتهم لها وحسنوا في اعينهم فاستعاروا لهم الاوصاف الجميلة
التي كانت في غيرهم وان لم يكونوا في نفس الامر كذلك حتى يصفوا بالعلم الجاهل وبالكرم المبذر وبالشجاعة
المتهور وبالظرف ولطف الاخلاق الماجن وربما كان اقبال الدنيا عليهم ايضا سببا لاستعدادهم لتحصيل
الكمالات النفسانية والملكات الفاضلة التي كانت محاسن لغيرهم قبلهم وان كانوا قبل ذلك غير اهل
لشئ منها ويحتمل ان يريد بالمحاسن محاسن الدنيا من مركوب وملبوس وابهة وحسن آلة وتصرف وذلك
ظاهر وكونها عارية باعتبار عدم دوامه وكذا اذا ادبرت عنهم بحسب توافق اسباب الشقاوة فيهم قبحوا في اعين
الناس حتى يكون احدهم ذا فضيلة في نفسه فيجحدها الناس ويصفونه بضدها فان زهد في الدنيا نسبوه
الى الرياء والسمعة وان حسنت اخلاقه نسبوه الى الخداع والمجون وان شجع نسبوه الى التهور والجنون وهو
معنى سلبها المحاسن انفسهم وربما استعد ذو الفضيلة منهم بذلك لتركها واهمالها والتخلق بضدها حتى تسلب
عنه الفضيلة بالكلية وقال عليه السلام خالطوا الناس مخالطة ان متم بكوا عليكم وان عشتم حنوا
اليكم نبه بذلك على حسن المعاشرة للناس ومعاملتهم بمكارم الاخلاق وكنى عن ذلك بقوله ان متم الى
آخره اي من لوازم حسن المعاشرة المخالطة الحنين اليه في حيوته وافتقاده والبكاء عليه بعد وفاته والجملة
الشرطية في موضع نصب صفة المخالطة وقال عليه السلام اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو
شكرا للقدرة اي ملازم الشكر عليها وذلك ان القدرة على العدو نعمة من الله تعالى يجب شكرها والاعتراف
لله والخضوع له ولها يلزمها الرقة وفتور الغضب ويتبع ذلك العفو فاقام مقام الشكر للملازمة بينهما ولما كان شكر
لبيان كان العفو لازما وقال عليه السلام اعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر
به منهم الاخوان جمع كريب وحربان واراد الاصدقاء الصادقين وفي الكلمة حث على مكارم الاخلاق لان
الاخوان لا يكتسبون الا بها واما جعل العاجز عن تحصيلهم اعجز الناس لان ذلك لا يحتاج الى تعب قوة بدنية
ولا اعمال فكرة عقلية وانما يفتقر الى كرم الاخلاق وحسن المعاشرة والملاقاة بالبشر والطلاقة وهي
امور طبيعية في اكثر الناس ومن اهون الاشياء عليهم فكان العاجز عنها اعجز الناس مما هو مقدور وطم

واما جعل من ظفر به منهم ثم ضيعه اعجز لان المكتسب لا بد له من كلفة ما في اكتسابهم واما الظافر فهو غني عما
الى ذلك القدر من الكلفة فكان سبب حفظ الاخوان اسهل من سبب تحصيلهم فكان المضيع لحفظهم اعجز
من العاجز عن اكتسابهم لعجزه عن حفظ الامر الاسهل فان قلت فقد قال ان المضيع لهم اعجز من اعجز الناس فكيف
يكون اعجز الناس اعجز الناس هف قلت لفظ الناس لفظ مطلق وانما يلزم الخلف ان لو كان للعموم وقال
عليه السلام اذا وصلت اليكم اطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر نبه على وجوب الشكر على النعم من
دوامها ونفر عن قلته بما يستلزمه من كونه سببا لما يستقل منها واستعار لفظ التنفير ملاحظة لشبهها
بالطير المتصل اذا سقط اوله اتصل به آخره وفيه ايماء الى ان دوام الشكر مستلزم لدوامها وكثرتها كقوله تعالى
لئن شكرتم لازيدنكم وقال عليه السلام من ضيعه الاقرب اتيح له الابعد اي قدر واراد ان الله سبحانه
جعل لكل شئ سببا يجب معه وجوده ولما كانت منافع الانسان وضروراته في الاغلب يقوم بها من كان اقرب
اليه من اهله وعشيرته ولم يجب في الحكمة ان لا يكون له نفع الا من جهتهم لاجرم انهم اذا ضيعوه واهملوه لا بد له
ان يقدر الله له من يقوم بمصالحه ومعاونته ممن هو ابعد عنه وقال عليه السلام ما كل مفتون يعاتب الفتنة قد
تكون في الدين وقد تكون في الدنيا وقد تكون فيهما وعلى التقديرات فقد تلحق الانسان بسبب منه
من جهل بسيط او مركب وقد تلحقه باسباب قدرية خارجية معلومة وغير معلومة والذي يعاتب على فتنته
من هؤلاء من كانت اسباب فتنته منه وبعضها كوقوع الفتنة لمصلحة القابل ونحو هذا اذا حملنا اللفظ
على ظاهره ويحتمل ان يريد ليس كل مفتون ينفع معه العتاب وقال عليه السلام تذل الامور للمقادير حتى
يكون الحتف في التدبير استعار ذل الامور لمطاوعتها للقدر وجريانها على وفق القضاء ولما كان الانسان
جاهلا باسرار القدر جاز ان يكون من غايات مطاوعة الامور للقدر كون ما يعتقده الانسان الجاهل
مصلحة ويفعله بتدبير المنفعة سبب الحتف وهلاكه وفيه ايماء الى وجوب اسناد الامور الى الله وعدم التوكل
على التدبير والانقطاع اليه وسئل عليه السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود فقال انما
قال عليه السلام ذلك والدين قل فاما الآن وقد اتسع نطاقه وضرب بجرانه فامرؤ وما اختار النطاق
شقة طويلة عريضة تجر على الارض اذا لبست وجران البعير صدره وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في اول
الاسلام يامر اهل الشيب من المسلمين بتغيير شيبهم ويندبهم اليه وكان ينفرهم عن تركه بكونه تشبها باليهود لان
اليهود لم يكونوا يفعلون ذلك فكانوا يخضبون بالسواد وقيل بالحناء والغرض ان ينظر اليهم الكفار بعين
القوة والشبيبة فينفعلون عنهم ولا يطمعون فيهم فسئل عليه السلام عن ذلك في زمن خلافته فجعله من المباح
دون المندوب واشار الى ان تلك الشريعة انما كانت حيث كان المسلمون قليلين فاما الآن وقد كثروا وضعف
الكفار فهو مباح وكنى عن ذلك بقوله فامرؤ وما اختار واستعار لفظ النطاق لعظمه مما اشتمل ولفظ
الضرب بالجران لثباته واستقراره ملاحظة لشبهه بالبعير البارك وقوله فامرؤ مبتدأ وما اختار عطف

عليه وما مصدرية وخبر المبتداء محذوف تقديره مقرونان كقولهم كل امرئ وضيعته وبالله التوفيق وقال
عليه السلام في الذين اعتزلوا القتال معه خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل منهم عبد الله بن عمر وجماعة من القراء
وغيرهم كابي موسى الاشعري والاحنف بن قيس في حرب صفين ويشبه ان يكون هذا اشارة الى توسطهم
في الضلال ويجري مجرى العذر لهم فكانه قال انهم وان خذلوا الحق معنا لم ينصروا الباطل مع خصومنا
وقال عليه السلام من جرى في عنان امله عثر باجله وهو تنفير عن تطويل الامل بذكر قطعه بالاجل واستعار
لفظ العنان له ملاحظة لشبهه بالفرس ولفظ الجري للاندفاع في الامل والعمل بحسب تطويله ولفظ
العثار للامتناع عن ذلك الجري بعارض الاجل وقواطعه كعثار العادي بما يعرض له من حجر ونحوه وقال
عليه السلام اقيلوا ذوي المروات عثراتهم فما يعثر منهم عاثر الا ويد الله بيده يرفعه رغب في اقالة ذوي المروات
عثراتهم التي يتفق وقوعها نادرا اكيدهم لما يلحقهم الندم عليه ونحوه بذكر كون يد الله بايديهم يرفعهم واستعار
لفظ العثرات لما يقع منهم خطأ ومن غير تثبت ولفظ اليد لعناية الله وقدرته وكنى عن تعلقها به وتداركه
لها بكونه بيده يرفعه وذلك ان المروة فضيلة عظيمة تستجلب همم الخلق وقلوبهم ومساعدتهم بحسب
ذلك يكون استعداد العاثر من ذوي المروات لعناية الله وقيامه من عثرته وقال عليه السلام قرنت الهيبة بالخيبة
والحياء بالحرمان والفرصة تمر مر السحاب فانتهزوا فرص الخير اراد بالهيبة الخوف من المقابل وظاهر ان ذلك يستلزم
عدم قضاء الحاجة منه والظفر بالمطلوب لعدم الانبساط في القول معه وهو معنى اقترانها بالخيبة وكذلك
الحياء بالحرمان لاستلزام الحياء ترك الطلب والتعرض له وهو تنفير عن الهيبة والحياء المذمومين ثم امر بانتهاز
فرص الخير اي المبادرة الى فعله عند حضور وقت امكانه ورغب في ذلك بتصغير حالها بقوله الفرصة تمر مر السحاب
اي انها سريعة الزوال وتعذر الكرى وكلما كان كذلك فليسارع بادراك الحرص بقيتم وقت امكانه وقال عليه السلام
لنا حق فان اعطيناه والا ركبنا اعجاز الابل وان طال السرى قال السيد وهذا من لطيف الكلام وفصيحه
ومعناه انا ان لم نعط حقنا كنا اذلاء وذلك ان الرديف يركب عجز البعير كالعبد والاسير ومن يجري مجراهما
وقال الازهري في تهذيب اللغة قال القتيبي اعجاز الابل مآخيرها جمع عجز وهو مركب شاق قال ومعناه
ان منعنا حقنا ركبنا مركب المشقة وصبرنا عليه وان طال ولم نضجر منه مخلين بحقنا ثم قال الازهري لم يرد
علي عليه السلام ركوب المشقة ولكنه ضرب اعجاز الابل مثلا لتاخره عن غيره في حقه من الامامة وتقدم
غيره عليه فاراد انا ان منعنا حقنا منها واخرنا عن ذلك صبرنا على الاثرة فيها وان طالت الايام والسرى سير
الليل واقول الذي ذكروا الثلثة احتمالات حسنة وهي متقاربة لان ركوب الاعجاز مظنة الذلة والمشقة
وتاخر المنزلة ويحتمل ان يكون كلها مرادة له ولم يفرق الازهري بين المثل والكناية فان ركوب الاعجاز
كناية عن الامور المذكورة ولذلك طول السرى كناية عن طول المشقة لانه مظنتها وملزومها ويحتمل ان
يكون كناية بالمثل وقال عليه السلام من ابطأ به عمله لم يسرع به حسبه اي من لم يكن له عمل صالح حسن فلم

بسبب ذلك عن معالي الرتب الدنيوية والاخروية لم يسرع به حسبه وشرف نسبته اليها ان كان ذا حسب وكنى بتبطؤ
عمله عن عدم وصوله الى الخير لعدم ما يوصله اليه من زكاء العمل وجعل الاسراع في مقابلة البطؤ وقال عليه السلم
من كفارات الذنوب العظام اغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب الملهوف المظلوم يستغيث والتنفيس
التفريج عنه من الغم الذي ياخذ بنفسه وجعلهما من كفارات الذنوب العظام لكونهما فضيلة عظيمة تستلزم
فضائل كالرحمة والعدل والسخاء والمروة وغيرها وظاهر ان حصول هذه الملكات في النفس مما يستلزم
ستر الذنوب ومحوها ومنافاة ملكات السوء التي يعبر عنها بالسيئات والذنوب كما سبقت الاشارة اليه
وقال عليه السلم يا ابن ادم اذا رايت ربك سبحانه يتابع عليك نعمه وانت تعصيه فاحذره نفر الانسان
عن معصية الله حال متابعة نعمه عليه بتحذيره منه وذلك انه لما كان دوام شكرها يعد للمزيد منها كان كفرانها
ومقابلتها بالمعصية المستلزم لعدم الشكر مستلزم لعدم الاستعداد للمزيد ومعدا للنقصان وتوقع النقمة
كما قال تعالى ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وهو محل الحذر منه والواو في قوله وانت للحال وقال عليه السلم
ما اضمر احدكم شيئا الا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه الفلتات ما يقع من غير تروّ وصفحة الوجه بشرته
ولما كان الانسان انما يضمر في نفسه امرا مهما عنده من عداوة او بغض ومحبة الى غير ذلك وكان الوجود الخارجي
عبارة عن الوجود النفساني ومظهرا له لم يتمكن المرء ان يحفظ ما اضمره بالكلية لان مراعاة ذلك الحفظ انما
يكون للعقل بحسب ما يراه من المصلحة والعقل قد يشتغل بالتصرف في مهم آخر فيغفل عن ضبط ما اضمره
فيفلت الخيال به من امر العقل فلتة فلتات القول عن غير تروّ وكذلك لما كانت التصورات والامور
النفسانية مبادي للاثار الظاهرة كصفرة الوجل وحمرة الخجل لم يمكن بعض الامور المضمرة عن ظهور ما يعرف
به من الاثار في صفحات الوجه والعين وشاهد ذلك التجربة وقال عليه السلم امش بدائك ما مشى بك وفي
دوائه ماشي بدائك ما دام المرض لا يمنعك ويعجزك فلا تشتغل به ولا تعالجه بل كن في صورة الاصحاء
وقيل في امثاله الا امر به من كتمان المرض كما قال الرسول ص من كنوز البر كتمان الصدقة والمرض والمصيبة
وربما كانت فائدة ذلك كونه نوع تجلد على المرض والتجلد معاونة للطبيعة وتقويتها على المرض ومن المرض ما يحلل
بالحركات البدنية واستعار للمرض وصف الماشي باعتبار انه لا يلزمه الارض والفراش فهو كالحامل له و
الماشي به وقال عليه السلم افضل الزهد اخفاء الزهد الزهد منه ظاهر ومنه خفي وهو الزهد الحقيقي
المشعر به كما قال صلى الله عليه واله ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم فلذلك
كان افضل والمراد الزهد الخفي فاضاف الصفة الى الموصوف وقدمها لانها اهم ولان الزهد الظاهر
يكاد لا ينفك عن رياء وسمعة فكان مفضولا وقال عليه السلم اذا كنت في ادبار والموت في اقبال فما
اسرع الملتقى وهو جذب باقبال الموت ولغاية الى الاستعداد له ولما بعده بالاعمال الصالحة والادبار
والاقبال المراد اعتباريان لان الانسان باعتبار اجزاء عمره وفناؤها في ادبار وبحسب ذلك يكون اقبال

فتا في اقباله اليه وبحسبهما يكون سرعة التقائهما والملتقى مصدر وقال عليه السلم الحذر الحذر فوالله
لقد ستر حتى كانه قد غفر حذر من سخط الله بسبب معصيته لطول امهاله وستره الى الغاية المذكورة وقوله
فوالله الى آخره صغرى ضمير تقديرها كبراه وكل من ستر على عبده الى الغاية المذكورة فواجب ان يحذر غضبه ويجتنب
معصيته ويرجع الى طاعته الى هي الغاية من عنايته بستره وقال عليه السلام وسئل عن الايمان فقال الايمان على
اربع دعائم على الصبر وعلى اليقين والعدل والجهاد فالصبر منها على اربع شعب على الشوق والشفق و
الزهد والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار اجتنب المحرمات ومن زهد
في الدنيا استهان بالمصيبات ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات واليقين منها على اربع شعب على تبصرة
الفطنة وتاول الحكمة وموعظة العبرة وسنة الاولين فمن تبصر في الفطنة تبينت له الحكمة عرف العبرة فكانما
كان في الاولين والعدل منها على اربع شعب على غائص الفهم وغور العلم وزهرة الحكم ورساخة الحلم فمن
فهم علم غور العلم ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم ومن حلم لم يفرط في الامور وعاش في الدنيا حميدا
والجهاد منها على اربع شعب على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في المواطن وشنان الفاسقين
فمن امر بالمعروف شد ظهور المؤمنين ومن نهى عن المنكر ارغم انوف المنافقين ومن صدق في المواطن قضى
ما عليه ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وارضاه يوم القيمة والكفر على اربع دعائم على التعمق
والتنازع والزيغ والشقاق فمن تعمق لم ينب الى الحق ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق ومن زاغ ساءت
عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة وسكر سكر الضلالة ومن شاق وعرت عليه طرقه واعضل عليه امره وضاق
مخرجه والشك على اربع شعب على التماري والهول والتردد والاستسلام فمن جعل المراء ديدنا لم يصبح ليله ومن
هاله ما بين يديه نكص على عقبيه ومن تردد في الريب وطئته سنابك الشياطين ومن استسلم لهلكة الدنيا
والاخرة هلك فيهما قال السيد وبعد هذا كلام طويل تركنا ذكره خوفا الاطالة والخروج عن الغرض المقصود
في هذا الكتاب اقول الدعائم العمد البيت والشعبة الغصن والتبصرة التعرف والتاويل التفسير والزهرة
النور والشنان البغض والتعمق التعسف في معنى الكلام واعضل اشتد والتماري المماراة والهول الفزع
والديدن العادة والسنابك جمع سنبك وهو طرف حافر الفرس واعلم ان هذا الفصل من لطائف الحكمة
ومداره على شرح قواعد الايمان والاشارة الى فروع تلك القواعد ثم الى ثمرات تلك الفروع ولما كان الكفر
مضادا للايمان والشك مقابلا له مقابلة العدم للملكة اشار الى دعائم الكفر وشعب الشك ليتبين
بهما الايمان اذ بضدها تتبين الاشياء اما الايمان فاعلم انه عليه السلام اراد الايمان الكامل وذلك
لان اصل وله كمالات بها يتم اصله فاصله هو التصديق بوجود الصانع تعالى وما له من صفات الكمال ونعوت
الجلال وبما نزلت به كتبه وبلغته رسله كما لاته المتممة هي الاقوال المطابقة ومكارم الاخلاق والعبادات
ثم ان هذا الاصل ومتمماته هو كمال النفس الانساني لانها ذات قوتين علمية وعملية وكمالها بكمال هاتين

القوتين فاصل الايمان هو كمال القوة العملية منها ومتمماته وهي مكارم الاخلاق والعبادات هي كمال
القوة العملية اذا عرفت هذا فنقول لما كانت اصول الفضائل الخلقية التي هي كمال الايمان اربعا هي الحكمة
والعفة والشجاعة والعدل اشار اليها واستعار لها لفظ الدعائم باعتبار ان الايمان الكامل لا يقوم
في الوجود الا بها كدعائم البيت فعبر عن الحكمة باليقين والحكمة منها علمية وهي استكمال القوة النظرية
بتصور الامور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية بقدر الطاقة البشرية ولا شك ان الحكمة حتى
يصير هذا الكمال حاصلا لها باليقين البرهاني ومنها عملية وهي استكمال النفس بملكة العلم بوجوه الفضائل
النفسانية الخلقية وكيفية اكتسابها ووجوه الرذائل النفسانية وكيفية الاحتراز عنها واجتنابها وظاهر
ان العلم الذي صار ملكة هو اليقين وعبر عن العفة بالصبر والعفة هي الامساك عن الشره في فنون الشهوات
المحسوسة وعدم الانقياد للشهوة وقهرها وتصريفها بحسب الراي الصحيح ومقتضى الحكمة المذكورة وانما
عبر عنها بالصبر لانها الاهم من لوازمه اذ الصبر انه ضبط النفس وقهرها عن الانقياد لقبائح اللذات وقيل هو ضبط
النفس عن ان يقهرها الم مكروه ينزل بها ويلزم في العقل احتماله ويغلبها حب مشتهى يتوق الانسان اليه ويلزمه
في حكم العقل اجتنابه حتى لا يتناوله على غير وجهه وظاهر ان ذلك يلازم العفة وكذلك عبر عن الشجاعة
بالجهاد لاستلزامها اياها اطلاقا لاسم الملزوم على اللازم والشجاعة هي ملكة الاقدام الواجب على الامور التي
يحتاج الانسان ان يعرض نفسه لاحتمال المكروه والالام الواصلة اليه منها واما العدل فهو ملكة فاضلة
تنشأ عن الفضائل الثلث المشهورة وتلزمها وقد علمت فيما سلف ان كل واحدة من هذه الفضائل محفوفة
برذيلتين هما طرفا الافراط والتفريط منها ومقابلة برذيلة هي ضدها واما شعب هذه الدعائم فاعلم انه
جعل لكل دعامة اربع شعب من الفضائل يتشعب منها ويتفرع عليها فهي كالفروع لها والاغصان اما شعب الصبر
الذي هو عبارة عن ملكة العفة فاحدها الشوق الى الجنة ومحبة الخيرات الباقية الثاني الشفق وهو الخوف
من النار وما يؤدي اليها الثالث الزهد في الدنيا وهو الاعراض بالقلب عن متاعها وطيباتها الرابع
ترقب الموت وهذه الاربع فضائل منبعثة عن ملكة العفة لان كلا منها يستلزمها واما شعب اليقين فاحدها
تبصرة الفطنة واعمالها والفطنة هي سرعة هجوم النفس على حقائق ما توردها الحواس عليها الثاني تاول الحكمة
وهو تفسيرها واكتساب الحقائق ببراهينها واستخراج وجوه الفضائل ومكارم الاخلاق من مظانها ككلام
يؤثر او عبرة تعتبر الثالث موعظة العبرة وهو ان يحصل من اعتبار العبر على اتعاظ وانزجار الرابع ان يلحظ
سنة الاولين حتى يصير كانه فيهم وهذه الاربع هي فضائل تحت الحكمة كالفروع لها وبعضها كالفرع للبعض
واما شعب العدل فاحدها غائص الفهم اي الفهم الغائص فاضاف الصفة الى الموصوف وقدمها للاهتمام
بها ورسم هذه الفضيلة انها قوة ادراك المعنى المشار اليه بلفظ او كناية او اشارة ونحوها الثاني غور
العلم واقصاه وهو العلم بالشيء كما هو بحقيقته وكنهه الثالث نور الحكم اي كون الاحكام الصادرة

عنه نيرة واضحة لا لبس فيها ولا شبهة الرابع ملكة الحلم وعبر عنها بالرسوخ لان شان الملكة ذلك والحلم هو
الامساك عن المبادرة الى قضاء وطر الغضب فيمن يجني عليه جناية يصل مكروهها اليه واعلم ان فضيلتي
جودة الفهم وغور العلم وان كانتا داخلتين تحت الحكمة وكذلك فضيلة الحلم داخلة تحت ملكة الشجاعة
الا ان العدل لما كان فضيلة موجودة في الاصول الثلثة كانت في الحقيقة هي وفروعها شعبا للعدل
بيانه ان الفضائل كلها ملكات متوسطة بين طرفي افراط وتفريط وتوسطها ذلك هو معنى كونها عدلا
فهي باسرها شعب له وجزئيات تحته واما شعب الشجاعة المعبر عنها بالجهاد فاحدها الامر بالمعروف الثاني
النهي عن المنكر والثالث الصدق في المواطن المكروهة ووجود الشجاعة في هذه الشعب الثلث ظاهر
والرابع شنان الفاسقين وظاهر ان بغضهم مستلزم لعداوتهم في الله وثوران القوة الغضبية في سبيل
جهادهم وهو مستلزم للشجاعة واما ثمرات هذه الفضائل فاشار اليها للترغيب في ثمراتها فثمرات شعب
العفة هي اربع احدها ثمرة الشوق الى الجنة وهو السلو عن الشهوات وظاهر كونه ثمرة له اذ الشائق الى
ما لم يبق الى ما وعد المتقون لم يكن له التفات عن الشهوات الحاضرة مع توفر الدواعي اليها فلم يسل عنها
الثانية ثمرة الخوف من النار وهو اجتناب من المحرمات الثالث ثمرة الزهد وهي الاستهانة بالمصيبات
لان غالبها وعامها انما يلحق بسبب فقد محبوب من الامور الدنيوية فمن اعرض عنها بقلبه كانت المصيبة بها
هينة عنده الرابعة ثمرة ترقب الموت وهي المسارعة في الخيرات والعمل له ولما بعده واما ثمرات اليقين
فان بعض شعبه ثمرة لبعض فان تبين الحكمة وتعلمها ثمرات لاعمال الفطنة والفكرة ومعرفة العبر ومواقع
الاعتبار بالماضين والاستدلال بذلك على صانع حكيم ثمرة لتبين وجوه الحكمة وكيفية الاعتبار واما
ثمرات العدل فبعضها كذلك ايضا وذلك ان جودة الفهم وغوصه مستلزم للوقوف على غور العلم وغامضه
والوقوف على غامض العلم مستلزم للوقوف على شرائع الحكم العادل والصدور عنها بين الخلق من القضاء
الحق واما ثمرة الحلم فعدم وقوع الحليم في طرف التفريط والتقصير عن هذه الفضيلة وهو رذيلة الجبن وان
يعيش في الناس محمودا بفضيلته واما ثمرات الجهاد فاحدها ثمرة الامر بالمعروف وهو شد ظهور المؤمنين
ومعاونتهم على اقامة الفضيلة الثانية ثمرة النهي عن المنكر وهي ارغام انوف المنافقين واذلالهم
بالقهر عن ارتكاب المنكرات واظهار الرذيلة الثالثة ثمرة الصدق في المواطن المكروهة وهي قضاء
الواجب من امر الله في دفع اعدائه والذب عن الحريم والرابعة ثمرة بغض الفاسقين والغضب لله وهي
غضب الله لمن ابغضهم وارضاؤه يوم القيمة في دار كرامته واما الكفر فرسمه انه جحد الصانع او انكار احد
رسله عليهم او ما علم مجيئهم به بالضرورة وله اصل هو ما ذكرناه وكمالات ومتممات هي الرذائل الاربع
التي جعلها دعائم له وهي الرذائل من الاصول الاربعة للفضائل الخلقية فاحدها التعمق وهو الغلو
في طلب الحق والتعسف فيه بالجهل والخروج الى حد الافراط وهو رذيلة الجور من فضيلة العدل وبعينه

الجهل بمطان طلب الحق ونفر عن هذه الرذيلة بذكر ثمرتها وهو عدم الانابة الى الحق والرجوع اليه لكون تلك الرذيلة صارت ملكة الثانية الشارع وهو رذيلة الافراط من فضيلة العلم ويسمى جربزة وبعضه الجهل المركب ولذلك نفر عنه بما يلزمه عند كثرته وصيرورته ملكة من دوام العمى عن الحق الثالثة الزيغ ويشبه ان يكون رذيلة الافراط من فضيلة العفة وهو الميل عن حاق الوسط منها الى رذيلة الفجور وبعضه الجهل ولذلك يلزمه قبح الحسنة وحسن السيئة وسكر الضلالة واستعار لفظ السكر لغفلة الجهل باعتبار ما يلزمهما من سوء التصرف وعدم وضع الاشياء مواضعها ويحتمل ان يكون اشارة الى رذيلة التفريط من فضيلة الحكمة المسماة غباوة الرابعة الشقاق وهو رذيلة الافراط من فضيلة الشجاعة التي هو ... مستلزم له ويلزمها توعر المسالك على صاحبها وضيق مخرجه من الامور لان سبيله هو لزوم المسالك وان المداخل والمخارج في الامور هو مسالمة الناس والتجاوز عما يقع منهم والحلم عنهم واحتمال مكروههم واما الشك فعبارة عن التردد في اعتقاد احد طرفي النقيض ويقابل اليقين كما سبق وذكر له اربع شعب احدها التماري وظاهر ان سبيل المراء الشك ونفر عن اتخاذه ملكة وعادة بكونه لا يصبح له وذلك كناية عن عدم وضوح الحق له من ظلمة ليل الشك والجهل الثاني الهول لان الشك في الامور يستلزم عدم العلم بما فيها من صلاح او فساد وذلك يستلزم الفزع منها والخوف من الاقدام عليها ومن ثمرتها النكوص والرجوع على الاعقاب الثالث التردد في الشك اي الانتقال من حالة الى حالة ومن شك في امر الى شك في آخر من غير تقدم بشيء وذلك دأب من تعود التشكك في الامور ونفر عن ذلك بما يلزمه مما حكى عنه من وطء سنابك الشياطين وهو ملك الوهم والخيال لارض قلبه حتى يكون سلطان العقل بمعزل عن الحكم بما من شأنه الجزم به الرابعة الاستسلام لهلكة الدنيا والآخرة ولزومه عن الشك لان الشاك في الامور الدنيوية والاخروية المعقولة متى عامل لشيء منها وله اهتمام باسبابها وبحسب ذلك يكون استسلامه لما يرد منها عليه ولزوم هلاكه فيهما لاستسلامه ظاهر وبالله التوفيق **وقال عليه السلام** فاعل الخير خير منه وفاعل الشر شر منه وانما كان كذلك لان العلة اقوى من معلولها فكان اقوى في خيريته وشريته وتاثيرهما مما صدر عنه من خير وشر **وقال عليه السلام** كن سمحا ولا تكن مبذرا وكن مقدرا ولا تكن مقترا وهو امر بفضيلة السماحة والكرم ونهي عن الكون على طرفي الافراط والتفريط منها فطرف الافراط هو التبذير وطرف التفريط هو التقتير **وقال عليه السلام** اشرف الغنى ترك المنى جمع منية بمعنى التمني ولما كان ذلك رذيلة تلزمها رذائل كالشره والحرص ونحوهما واقلها انها اشتغال بما لا فائدة فيه رغب في تركها بان فسره اشرف الغنى حتى جعله هو هو وظاهر ان ترك المنى يستلزم القناعة واستلزامها للغنى النفساني وعدم الحاجة ظاهر **وقال عليه السلام** من اسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون لما كان من شأن الطبع النفرة عن الاذى وبغض المؤذي وعداوته كان من شأنه في غالب الخلق تقبيح ذكره بما يمكن من قول صادق او كاذب وحمل

لغرض ان يوافقهم السامعون على ذمه واذاه **وقال عليه السلام** من اطال الامل اساء العمل لما كان طول الامل في الدنيا مستلزما للاقبال عليها والانهماك في العمل لها والغفلة عن الآخرة كان ذلك عملا سيئا بالنسبة الى الآخرة **وقال عليه السلام** وقد لقيه عند مسيره الى الشام دهاقين الانبار فترجلوا له واشتدوا بين يديه ما هذا الذي صنعتموه فقالوا خلق منا نعظم به امراءنا فقال والله ما ينتفع بهذا امراؤكم وانكم لتشقون به على انفسكم وتشقون به في آخرتكم وما اخسر المشقة وراءها العقاب واربح الدعة معها الامان من النار اشتدوا اعدوا بين يديه وحاصله تنفيرهم عما اعتدوه معه بتصغيره قوله واشار الى قوله لاخرتكم وبه على الكبرى بقوله وما اخسر المشقة وراءها العقاب في تقديرها وكلما كان شقة على النفس ويتبعها العقاب في الآخرة فهو اشد الخسارة وجذبهم الى ترك ذلك التكلف فانه دعة وراحة مع الامان من النار وكلما كان كذلك فهو اعظم الارباح وانما يلزمهم الشقاء بذلك في الآخرة لكونه تعظيما لغير الله بما لا ينبغي الا لله **وقال عليه السلام** لابنه الحسن عليه السلام يا بني احفظ عني اربعا واربعا لا يضرك ما عملت معهن ان اغنى الغنى العقل واكبر الفقر الحمق واوحش الوحشة العجب واكرم الحسب حسن الخلق يا بني اياك ومصادقة الاحمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك واياك ومصادقة البخيل فانه يقعد عنك احوج ما تكون اليه واياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه واياك ومصادقة الكذاب فانه كالسراب يقرب اليك البعيد ويبعد عنك القريب انما قال اربعا واربعا لان الاربع الاول من باب واحد وهو اكتساب الفضائل الخلقية النفسانية والاربع الثانية من باب المعاملة مع الخلق وقيل لان الاولى من باب الاثبات والثانية من باب النفي اما الاربع الاولى فالعقل واراد المرتبة الثانية من مراتب العقل النظري المسمى عقلا بالملكة وهو ان يحصل للنفس من العلوم البديهية والحسية والتجربية قوة ان يتوصل بها الى العلوم النظرية وغاية ذلك ان يحصل على ما بعد هذه المرتبة من مراتب العقل ورغب فيه بكونه اغنى الغنى وذلك انه يحصل الدنيا والآخرة فهو اعظم اسباب الغنى وفيه الغنى الثانية الحمق وهو رذيلة الغباوة وطرف التفريط من العقل المذكور ونفر عنه بكونه اكبر الفقر لانه سبب للفقر من الكمالات خصوصا النفسانية التي هي الغنى التام فكان اكبر فقر الثالثة العجب وهو رذيلة الكبر ونضاد التواضع ونفر عنها بكونها اوحش الوحشة وظاهر كونها اقوى اسباب الوحشة ونفر الانيس لان تواضع المتواضع لما استلزم انس الخلق به وشدة ميلهم اليه كان ضده مستلزما لنفرتهم وتوحشهم التام منه الرابعة حسن الخلق ورغب فيه بكونه اكرم الحسب لكونه اشرف الكمالات الباقية وهذه المنافرات والمرغبات صغريات ضماير واما الاربع الثانية فالاولى الحذر من مصادقة الاحمق ونفر عنه بما يلزم حمقه من وضع المضرة موضع المنفعة عند ارادتها العلم العرفي بينهما الثانية الحذر من مصادقة البخيل ونفر عنه بما يستلزم بخله من قعوده عن صاحبه عند الحاجة واحوج حال عن الضمير في عنك الثالثة الحذر من مصادقة

الفاجر والفجور رذيلة الافراط من فضيلة العفة ونفر عنه بما يلزم فجوره من قلة وفائه وبيعه بالتافه وهو القليل من المال الرابعة الحذر من مصادقة الكذاب ونفر عنه بتشبيهه بالسراب واشار الى وجه الشبه بقوله يقرب الى آخره وبيانه ان الكذاب يوهم حقيقة ما يقول فيسهل الامور العسرة البعيدة ويجعلها قريبة التناول ويبعد الامور السهلة القريبة ويجعلها بعيدة التناول بحسب اغراضه وكذبه مع انه ليس كذلك في نفس الامر كالسراب الذي يظن ماء وليس به والتنفيرات الاربع المقرونة بقوله فانه صغريات ضماير تقدير كبرياتها وكلما كان كذلك فيجب ان يحذر صحبته ويجتنب مصادقته وبالله التوفيق **وقال عليه السلام** لا قربة للنوافل اذا اضرت بالفرائض والاضرار بالفرائض تنقيص بعض اركانها او شرائطها وقد يفعل الانسان ذلك لتعبه من الاشتغال بالنافلة او لما يريد ان يتقبل منها ولا قربة فيما يستلزم ترك الواجب لاستلزامه المعصية والعقاب ومنافاتهما للقربة **وقال عليه السلام** لسان العاقل وراء قلبه وقلب الاحمق وراء لسانه قال السيد رحمه الله وهذا من المعاني العجيبة الشريفة والمراد به ان العاقل لا يطلق لسانه الا بعد مشاورة الروية ومؤامرة الفكرة والاحمق تسبق حذفات لسانه وفلتات كلامه مراجعة فكره ومماخضة رأيه فكان لسان العاقل تابع لقلبه وكان قلب الاحمق تابع للسانه وروي عنه عليه السلام هذا الكلام بلفظ آخر وهو قلب الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه ومعناهما واحد استعار لفظ الوراء في الوصفين لما يعقل من تاخر لفظ العاقل عن رويته ومن تاخر روية الاحمق وفكره فيما يقول عن نوادر مقالة من غير مراجعة لعقله والمعنى ما اشار اليه السيد رحمه الله وعلى الرواية الاخرى فالمراد ان ما يتصوره الاحمق هو في فيه اي يبرز على لسانه من غير فكر واما نطق العاقل فمخزون في قلبه لا يخرج الا عن رويته صادقة ولفظ القلب في الاول مجاز فيما يبرز من تصوراته في الفاظه ولفظ اللسان مجاز في الفاظه الذهنية **وقال عليه السلام** لبعض اصحابه في علة اعتلها جعل الله ما كان من شكواك حطا لسيئاتك فان المرض لا اجر فيه ولكنه يحط السيئات ويحتها حت الاوراق وانما الاجر في القول باللسان والعمل بالايدي والاقدام وان الله سبحانه يدخل بصدق النية والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنة قال السيد رحمه الله واقول صدق صلى الله عليه وآله ان المرض لا اجر فيه لانه من قبيل ما يستحق عليه العوض لان العوض يستحق على ما كان في مقابلة فعل الله تعالى بالعبد من الآلام والامراض وما يجري مجرى ذلك والاجر والثواب يستحقان على ما كان في مقابلة فعل العبد فبينهما فرق قد بينه عليه السلام كما يقتضيه علمه الثاقب ورأيه الصائب واقول دعا عليه السلام لصاحبه بما هو ممكن وهو حط السيئات بسبب المرض ولم يدع له بالاجر عليه معللا ذلك بقوله فان المرض لا اجر فيه والسر فيه ان الاجر والثواب انما يستحق بالافعال المعدة له كما اشار اليه بقوله وانما الاجر في القول الى قوله الاقدام وكنى بالاقدام عن القيام بالعبادة وكذلك ما يكون كالفعل من عدميات الملكات كالصوم ونحوه على ما نبه قبل فاما

المرض فليس هو بفعل للعبد ولا عدم فعل من شأنه ان يفعله فاما حطه للسيئات فباعتبار امرين احدهما ان المريض تنكسر شهوته وغضبه اللذين هما مبدأ للذنوب والمعاصي ومادتها والثاني ان من شأن المرض ان يرجع الانسان فيه الى ربه بالتوبة والندم على المعصية والعزم على ترك مثلها كما قال تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما الآية فما كان من السيئات حالات غير متمكنة من جوهر النفس فانه يسرع زوالها منها وما صار ملكة فربما يزول على طول المرض ودوام الانابة الى الله تعالى واستعار لزوالها لفظ الحت وشبهه في قوة الزوال والمفارقة بحت الاوراق لقربه منه بقوله وان الله الى آخره على ان العبد اذا العذب الشعر في مرضه بصدق نيته مع صلاح سريرته وقد يكون ذلك معدا لافاضة الاجر والثواب عليه ودخوله الجنة ويدخل ذلك في اعدام الملكات المقربة ترغيبه العزيز الى الله وكلام السيد رحمه الله مقتضى مذهب المعتزلة **وقال عليه السلام** في ذكر خباب بن الارت يرحم الله خبابا فلقد اسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله خباب بالخاء المعجمة والباء المشددة كان من المهاجرين ومن اصحابه عليه السلام ومات بعد انصرافه من صفين بالكوفة وهو اول من قبره عليه السلام وقد مدحه او صاف الصالحين احدها اسلامه عن رغبة وهو الاسلام المشفوع بالثاني مهاجرته الى رسول الله صلى الله عليه وآله طائعا وهي الهجرة التامة عن رغبة في الله ورسوله الثالث كونه عاش مجاهدا امام رسول الله صلى الله عليه وآله فلكفار واما في وقته عليه السلام فللبغاة والخوارج والناكثين وقوله طوبى الى آخره في معرض مدح خباب يشعر بانه حيث كان كذلك وطوبى فعلى من الطيب قيل في التفسير هي شجرة في الجنة رغب بها في ذكر المعاد والحساب المستلزمين للعمل لهما الفضيلة القناعة والرضا عن الله في قضائه وقدره والقناعة فضيلة تحت العفة والرضا فضيلة تحت العدل **وقال عليه السلام** لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على ان يبغضني ما ابغضني ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على ان يحبني ما احبني وذلك انه قضي فانقضى على لسان النبي الامي عليه السلام انه قال لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق الخيشوم اصل الانف والجمات جمع جمة وهو مجتمع الماء من الارض ولما كان الايمان الحق يوجب الاعتقاد وصدق المحبة في الله فلا يجتمع بين المؤمنين لاجرم لم يجتمع معها البغض ولما كان النفاق منافيا للايمان كان منافيا لما يلزمه من المحبة في الله فلا يجتمع معه ولو بذل له جل مال المنافق واستعار لفظ الجمات لجامع اموال الدنيا ملاحظة لمشابهة المعقول ثم قد يحصل بسبب ذلك محبة عرضية فانه بعنايه ما دونها من بذل المال ونحوه وليس الكلام في ذلك على ما قضي فانقضى اي قدر على لسان النبي صلى الله عليه وآله **وقال عليه السلام** سيئة تسوؤك خير من حسنة تعجبك اراد بالسيئة التي تسوؤه كذنب يصدر عنه فيندم عليه ويحزن لفعله وبالحسنة التي تعجبه كصلاة او صدقة يحصل بها العجب فلما ان تلك السيئة خير عند الله من هذه الحسنة فلان الندم العاقب للسيئة ماح لها والحسنة المستعقبة للعجب مع احباطها به يكون لها اثر هو سيئة ورذيلة تسود لوح النفس فكانت السيئة اهون فكانت خيرا عند الله **وقال عليه السلام** قدر الرجل على قدر همته وصدقه على قدر مروته وشجاعته على قدر انفته وعفته على قدر

عزيز اشار الى امور اربعة وجعلها مبادى لامور اربعة احدها الهمة وجعلها مبدا القدر للرجل وقدره هو مقداره
فى اعتبار الناس من رفعة رتبته وتجليل او خسة واحتقار وهو من لوازم علو همته او دناءتها فعلو الهمة هو ان لا تقتصر
على بلوغ غاية من الامور التى يراد بها فضيلة وشرفا حتى يسمو الى ما ورائها مما هو اعظم قدرا واجل خطرا ويلزم ذلك تبجيل
وتعظيم ومدح وصغرها ان يقتصر على محقرات الامور وخسايسها ويقصر عن علياتها ويجب ذلك يكون صغر خطره
وقلة قدره الثانية جعل مبدا الصدق المروة والمروة فضيلة يتعاطى معها الانسان الافعال الجميلة واجتناب ما يعود
اليه بالنقص وان كان مباحا فلذلك يلزمه الصدق فى مقاله وبقدر قوة هذه الفضيلة وضعفها يكون قوة لازمها
وضعفها الثالثة جعل الانفة مبدا للشجاعة والانفة حمية الانف وثوران الغضب لما يتخيل من مكروه يعرض
له واستنكافا من وقوعه وظاهر كونه مبدا للشجاعة والاقدام على الامور وعنها يكون قوة الاقدام وضعفه
الرابعة جعل الغيرة مبدا للعفة والغيرة نفرة طبيعية يكون من الانسان عن تخيل مشاركة الغير فى امر محبوب له ويعتقد
لوجوب حفظه وبحسب شدة ذلك الاعتقاد عن مشاركة الغير والتخيل وضعفهما وتصور وقوع مثل ذلك الفعل
فى نفسه او حرمه مثلا يكون امتناعه عن مشاركة الغير وقوته عن اتباع الشهوة فى مشاركة الناس فى الامور المحبوبة
لهم كزوجة ونحوها وهو معنى العفة **وقال عليه السلام** الظفر بالحزم والحزم باجالة الراى والراى بتحصين
الاسرار الحزم ان يقدم العمل للحوادث الواقعة فى باب الامكان قبل وقوعها بما هو اقرب الى السلامة وابعد
من الغرور واجالة الراى اعماله وتحصين الاسرار كتمانها وحفظها واشار الى المبدا القريب للظفر وهو الحزم
والى البعيد منها وهو كتمان السر والى الوسط منها وهو اجالة الراى فاما سببية كتمان السر للراى الصحيح فلان
اظهار السر فيما يرى من الراى فى الحرب وغيرها يستلزم ظهور العدو على ذلك والعمل فيما يعارضه ويفسد ذلك
من فاسد الراى واما سببية اجالة الراى فى اخذ المصلحة للحزم فلانه لولاه لجاز ان يكون العمل المتقدم فى
الحوادث المستقبلة غير موافق فلا يحصل الحزم واما ان الحزم سبب للظفر فظاهر **وقال عليه السلام** احذروا
صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع اراد بالكريم شريف النفس ذا الهمة العلية وجوعه كناية عن شدة حاجته
وذلك مستلزم لثوران حميته وغضبه عند عدم التفات الناس اليه وحمل نفسه على المبالغة فى طلب امر كبير
يصول عليهم به ويتسلط بواسطته على قهرهم ومكافاتهم كما لو لاير عليهم ونحوها فلذلك وجب الحذر منه
الاحتراز من صولته بالالتفات اليه فى حاجته او وقت ضرورته بما يدفعها وشبع اللئيم كناية عن غناه وعدم
حاجته وذلك يستلزم استمراره على مقتضى طباعه من اللوم وشبعه موكدا لذلك فاما جوعه فربما كان سببا للغير
الاخلاق وتجويبها العرض واستمراره بالشبع من اللئام على مقتضى طباعه من اللوم مستلزم لاذى من كان تحت يده
ومن يحتاج اليه من الناس فمن الواجب اذن ان يحذر صولته ويحسم اسباب شبعه عند التمكن من ذلك **وقال**
عليه السلام قلوب الرجال وحشية فمن تالفها اقبلت عليه جعل عليه السلام لوحشيتها اصلية وذلك باعتبار كون الالف
مكتسبة والوحشة عدما لا الف عما من شانه التالف والمعنى ظاهر **وقال عليه السلام** عيبك مستور ما اسعدك

جدك

جدك سعادة الجد عبارة عن حسن البخت وتوافق اسباب المصلحة فى حق الانسان ومن مصالحه ستر العيوب والرذايل
ويجب دوام ذلك بدوام سترها **وقال عليه السلام** اولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة لما كانت فضيلة
العفو انما تطلق فى العرف على من قدر على العقوبة ولم يعاقب وكان العفو والقدرة مقولين بالاشد والاضعف
لا جرم كانت اولوية العفو تابعة لاولوية القدرة واشديتها اى من كان اشد قدرة على العقوبة وعدمها كان اولى
بان يسمى عفوا **وقال عليه السلام** السخاء ما كان ابتداء فاما ما كان عن مسئلة فحياء وتذمم التذمم الاستنكاف
والسخاء عبارة عن ملكة بذل المال لمن يستحقه بقدر ما ينبغى ابتداء عن طيب نفس وحسن المواساة لذوى الحاجة
منه وبهذا الرسم تبين ان ما كان من البذل عن مسئلة فخارج عن رسم السخاء وذكر له سببين احدهما الحياء من
السايل او من الناس فيتكلف البذل لذلك الثانى الاستنكاف مما يصدر من السايل من الحاح او سبة بالبخل
ونحوه **وقال عم** اربع كلمات احدها لا غنى كالعقل ولما سبق انه الغنى الاكبر يكون لا غنى مثله الثانية
ولا فقر كالجهل وذلك لما مر ان اكبر الفقر الحمق والمراد بالجهل هنا ما يقابل العقل بالملكة وهو الحمق وما يلازمه
الثالثة ولا ميراث كالادب الادب هو التحلى بمكارم الاخلاق وهو افضل من كل موروث من مال وقنية واراد
للعقوبة ولا ظهير كالمشاورة لما كانت المشاورة تنتج فى غالب الاحوال الراى الصحيح فيما يراد من الامور والراى الصحيح
انفع فى التدبير من القوة وكثرة العدد كما قال ابو الطيب   الراى قبل شجاعة الشجعان   البيت لا جرم لم يكن
للمشاورة التى هى مظنته ما يساويها فى المعونة على المقصد من الامور التى يستظهر بها ويستعان **وقال ع**
الصبر صبران صبر على ما تكره وصبر عما تحب التعدد فى الصبر هنا تعدد وصفى لان حقيقته فى الموضعين واحدة على ما عرفت
حقيقته **وقال عم** الغنى فى الغربة وطن والفقر فى الوطن غربة استعار لفظ الوطن للغنى فى الغربة باعتبار انه يسكن اليه
ويونس فلا يرى اثر الغربة على الانسان معه واستعار لفظ الغربة للفقر فى الوطن باعتبار ضيق الخلق معه وتعسر
الامور فيها **وقال عليه السلام** القناعة مال لا ينفد القناعة ضبط قوة النفس عن الاشتغال بما يخرج عن
مقدار الكفاية وسد الحاجة من المعاش والاقوات وعدم ما يشاهد من ذلك عند الغير واستعار لها لفظ
يوصف عدم النفاد باعتبار دوام الغنى معها كالمال الموصوف **وقال عليه السلام** المال مادة الشهوات اى
منه يكون استمدادها وزيادتها والمادة هى الزيادة وفى الكلمة تنفير عن الاستكثار من المال لما يلزمه من امداد
الشهوة وتقويتها على معصية العقل **وقال عليه السلام** من حذرك كمن بشرك اراد من حذرك من الامر كمن
بشرك بالنجاة منه ووجه الشبه ظاهر وهو ترغيب فى الاقبال على المحذر واستماع تحذيره لغرض النجاة بتشبيهه بالمبشر
وقال عم اللسان سبع ان خلى عنه عقر استعار لفظ السبع للسان باعتبار انه ان ترك عن ضبط العقل
لمنطقه فانه يهلك صاحبه كالسبع اذا لم يحفظ **وقال عليه السلام** المرأة عقرب حلوة اللبسة اللبسة
للعقرب لسعها واستعار للمرأة لفظ العقرب بالوصف المذكور باعتبار ان من شانها الاذى لكن اذاها مشوب
بما فيها من اللذة بها فلا تخشى به وهو كاذى الجرب المشوب بلذة فى زيادة حكه **وقال عليه السلام** الشفيع

جناح الطالب استعار لفظ الجناح باعتبار كونه وسيلة الى مطلوبه كجناح الطاير **وقال عليه السلام** اهل
الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام ووجه الشبه قوله يسار بهم وهم نيام وذلك ان الدنيا لاهلها طريق هم فيها سايرون
الى الاخرة حال ما هم فى غفلة عن غاياتهم والعمل لها حتى يوافوها فاشبهوا الركب الذين يسيرون وهم نيام حتى يوافوا
منزلهم **وقال عليه السلام** فقد الاحبة غربة استعار لفظ الغربة لفقد الاحبة باعتبار ما يلزمهما من الوحشة وعدم
الانس **وقال عليه السلام** فوت الحاجة اهون من طلبها الى غير اهلها فغير اهلها هم اللئام ومحدثوا النعمة وسافلوا
الاصول وانما كانت اهون لان فوتها يستلزم غما واحدا واما طلبها الى غير اهلها فانها لا تحصل غالبا فيستلزم
غم فوتها ثم ثقل الاستنكاف والندم من رفعها اليهم ثم غم ذل الحاجة الى اللئام ولهذا عظم كما قال الموت
احلى من سؤال اللئام ثم غم ردهم لها وهى غموم اربعة وكذلك ان قضيت كان فيها غم ثقل الاستنكاف ثم ذل
الحاجة اليهم فكان فوتها اهون على كل حال وهذه الكلمة تجذب الى فضيلتى القناعة وعلو الهمة **وقال عم**
لا تستحى من اعطاء القليل فان الحرمان اقل منه اى احقر فى الاعتبار وذلك ان الحرمان هو عدم العطاء
عما من شانه ان يعطى وليس ذلك العدد من باب الكم ليلحقه القلة والكثرة ونفر عن الحياء من اعطاء القليل بحقير
صغره قوله فان الحرمان اقل منه وتقدير كبراه وكلما كان الحرمان اقل فينبغى ان يستحيى منه بل من الحرمان الذى هو
اقل منه **وقال عليه السلام** العفاف زينة الفقر العفاف العفة وقد علمت انها فضيلة القوة الشهوية والغير
اذا ضبط شهوته بزمام عقله عن ميولها الطبيعية كانت نفسه بفضيلة العفة وذات فقره بفضيلة فى اعين الغير
واذا اهملها واسلس قيادها تقحمت به فى موارد القبح وقادته الى الهلع والحرص والحسد والمنى والكدية وحصل بينها
فى اقبح صورة **وقال عليه السلام** اذا لم يكن ما تريد فلا تبل كيف كنت اى اذا فاتك مرادك من الامر فلا تبال باى
حال كنت عليه ذلك الامر ومفهوم هذه الكلمة النهى عن الاهتمام والاسف على ما لم يقع من الامور المطلوبة
وذلك ان الاسف على فوات المراد يستلزم غما والما وهو مضرة عاجلة لا يثمر فايدة فارتكابه سفه **وقال ع**
لا يرى الجاهل الا مفرطا او مفرطا الجهل اما بسيط وهو طرف التفريط من فضيلة ويسمى غباوة واما مركب وهو
طرف الافراط منها وذلك ان الجاهل جهلا مركبا قد بالغ فى طلب الحق وحصل من اجتهاده على شبهة غطت عين
بصيرته عن ادراكه مع جزمه بانها برهان اصاب به الحق وقد يسمى هذا الطرف جربزة فكان ابدا على احد الوجهين وهو
جهله يكون حاله فى اقواله وافعاله على احد طرفى الافراط والتفريط **وقال عليه السلام** اذا تم العقل نقص
الكلام تمام العقل يستلزم كمال قوته على ضبط القوى البدنية وتصريفها بمقتضى الاراء المحمودة الصالحة
ووزن ما يبرز الى الوجود الخارجى منها من الاقوال والافعال بميزان الاعتبار وفى ذلك من الكلفة والشرايط
ما يستلزم نقصان الكلام بخلاف ما لا يوزن ولا يعتبر من الاقوال **وقال عليه السلام** الدهر يخلق الابدان
ويجدد الامال ويقرب المنية ويباعد الامنية من ظفر به نصب ومن فاته تعب اخلاقه للابدان اعداده لضعفها
وفسادها ببرودة وما يلحق اجزاءه وفصوله من الحر والبرد والمتاعب المنسوبة اليه وتجديده للامال بسبب الغرور

الحاصل بالبقاء والصحة فيه واكثر ما يعرض ذلك للمشايخ فان طول اعمارهم وتجاربهم لما يعرض فيه من الحاجة
والفقر يغريهم بالحرص على الجمع ومد الامل فيه لتحصيل الدنيا وتقريبه المنية بسبب اخلاقه للابدان وتبعيده للامنية
بسبب تقريبه المنية ومن ظفر به اى بمواتاته واعداده لما يراد فيه من متاع الدنيا نصب بها وشقى بضبطها وحفظها
ومن فاته ذلك منه تعب فى تحصيلها وشقى بعدمها وراعى عليه السلام فى القرينتين الاوليين السجع المتوازن
وفى المتوسطين السجع المطرف وفى الاخيرتين السجع المتوازى **وقال عليه السلام** من نصب نفسه للناس
اماما فعليه ان يبدا بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تاديبه بسيرته قبل تاديبه بلسانه ومعلم نفسه ومؤدبها
احق بالاجلال من مؤدب الناس ومعلمهم اشار الى اداب ائمة العلم ومكارم الاخلاق فالاول اوجب على الامام
البداءة بتعليم نفسه اى رياضتها بما يعلم من الاداب ليكون افعاله واقواله موافقة لعلمه وذلك لان الناس
اقرب الى الاقتداء بما يشاهد من الافعال والاحوال منهم بالاقوال فقط خصوصا مع مشاهدتهم لمخالفتها
بالافعال فان ذلك يكون سببا لسوء الاعتقاد فى الاقوال المخالفة للعقل وللجراة على مخالفتها وان اشتهر بينها
وان كان ظاهر الصدق والى مثل ذلك اشار القايل   لا تنه عن خلق وتاتى مثله   عار عليك اذا فعلت عظيم
الثانى ارشده الى البداءة فى التعليم بالسيرة وحميدة الافعال لما بينا ان الطباع لمشاهدة الافعال اطوع و
اسرع انفعالا منها للاقوال ثم يطابقها بعد ذلك بالاقوال ثم رغب فى تاديب النفس بكون مؤدب نفسه
احق بالتعظيم والاجلال من مؤدب غيره وذلك لكمال مؤدب نفسه بالفضيلة وكون تاديب الغير فرعا على
تاديب النفس والاصل اشرف واحق بالتعظيم من الفرع وهو فى قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان با
لاجلال وجب عليه ان يبدا بالاجلال كان احق بالتعظيم من غيره **وقال عليه السلام** نفس المرء خطاه الى
اجله استعار للنفس لفظ الخطا باعتبار انه على التعاقب والتقضى فهو مقرب من الغاية التى هى الاجل كالخطا
المتعاقبة الموصلة للانسان الى غايته من طريقه **وقال عليه السلام** وكل معدود منقض وكل متوقع آت و
الكلمتان من المشهورات الخطابية فى معرض الموعظة والاولى اشارة الى انفاس العباد وحركاتهم والثانية
تخويف مما يتوقع من الموت وتوابعه **وقال عليه السلام** ان الامور اذا اشتبهت اعتبر اخرها باولها اى اذا
التبست فى مباديها معرفة وجه تحصيلها او تغير الدخول فيها قيس على ذلك اخرها واستدل على انه كذلك فى
فيجب التوقف عنها وعدم التعسف فيها ذلك اخرها ومن خبر ضرار بن ضمرة الضبابى عند دخوله على معوية ومسئلته
له عن امير المؤمنين عليه السلام قال فاشهد لقد رايته فى بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله وهو قايم فى
محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين ويقول يا دنيا يا دنيا اليك عنى ابى تعرضت ام الى تشوقت
لا حان حينك هيهات غرى غيرى لا حاجة لى فيك قد طلقتك ثلثا لا رجعة فيها فعيشك قصير وخطرك يسير
واملك حقير آه من قلة الزاد وطول الطريق وبعد السفر وعظيم المورد **اقول** كان هذا الرجل من اصحابه عليه
السلام فدخل على معوية بعد موته فقال صف لى عليا فقال اوتعفينى عن ذلك قال والله لتفعلن فتكلم

بهنا الفضل فبكى معوية حتى اخضلت لحيته والضباب بطن من فهر بن مالك بن النضر بن كنانة والسدول جمع
سدل وهو ما اسبل على الهودج والتململ التقلقل من الالم والطم والسليم الملسوع والوله اشد الحزن وقد نطق
عليه السلام الى الدنيا بصورة امراة تزينت وتعرضت لوصوله اليها مع كونها مكروهة اليه فخاطبها بهذا الخطاب
واليك من اسماء الافعال اى تنحى وعنى متعلق بما فيه من معنى الفعل واستفهام عن تعرضها به وتشوقها اليه
استفهام استنكار لذلك منها واستحقار لها واستبعاد لموافقته اياها على ما تريد ولاحان حينك اى لاقرب
وقتك اى وقت اغوائك وغرورك لى وقوله هيهات اى بعد ما تطلبين منى ثم امرها بغرور غيره وهو
كناية عن انه لاطمع لها فى ذلك منه لا انه اراد منها غرور غيره وهذا كمن يقول لمن يخدعه وقد اطلع على ذلك منه
اخدع غيرى اى ان خداعك لا يدخل على ثم خاطبها خطاب الزوجة المكروهة منافرا لها فاخبرها بعدم حاجته اليها ثم
انشاء طلاقها ثلثا لتحصل البينونة بها موكدا لذلك بقوله لا رجعة فيها وهو كناية عن غاية كراهيتها واكد طلاقها
لسيله عليه السلام الى ضرتها التى هى مظنة الحسنى ليها ثم اشار الى المعايب التى لاجلها كرهها وطلقها وهى
قصر العيش اى مدة الحيوة فيها ويسير الخطر اى قلة قدرها ومحلها فى نظره ثم حقارة ما يومل منها ثم تاوه
من امور احدها قلة الزاد فى السفر الى الله تعالى وقد علمت ان الزاد التقوى والاعمال الصالحة وهكذا شان العارف
فى استحقار اعماله الثانى طول الطريق الى الله ولا شبهة ان الاعتبار الطول مما لا يتناهى الثالث بعد السفر
وذلك لبعد غايته وعدم تناهيها الرابع عظم المورد واول منازله الموت ثم البرزخ ثم موقف القيمة الكبرى
والله المستعان وروى وخشونة المضجع وهو القبر **ومن كلام له عليه السلام** للشامى لما سئل اكان مسيرك
الى الشام بقضاء من الله وقدر بعد كلام طويل هذا مختاره ويحك لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حاتما
ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد ان الله سبحانه امر عباده تخييرا ونهاهم
تحذيرا وكلف يسيرا ولم يكلف عسيرا واعطى على القليل كثيرا ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها ولم يرسل الانبياء
لعبا ولم ينزل الكتب للعباد عبثا ولا خلق السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل
للذين كفروا من النار **اقول** روى ان السائل لما قال له عليه السلام اخبرنا عن مسيرنا الى الشام اكان بقضاء
الله وقدره قال عليه السلام والذى فلق الحبة وبرى النسمة ما وطئنا موطئا ولا هبطنا واديا الا بقضاء وقدر
فقال السائل عند الله احتسب عنائى ما ارى لى من الاجر شيئا فقال له ايها الشيخ لقد عظم الله اجركم فى مسيركم
وانتم سائرون وفى منصرفكم وانتم منصرفون ولم تكونوا فى شىء من حالاتكم مكرهين ولا اليه مضطرين فقال الشيخ
وكيف والقضاء والقدر ساقانا فقال ويحك لعل الفصل الا ان بعد قوله والوعيد قوله والامر والنهى ولم
تات لائمة من الله لمذنب ولا محمدة لمحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وجنود الشيطان وشهود الزور واهل
العمى عن الصواب وهم قدرية هذه الامة ومجوسها ان الله تعالى والحكم ثم قرا قوله وقضى ربك الا تعبدوا
الا اياه فنهض الشيخ مسرورا وهو يقول انت الامام الذى نرجو بطاعته يوم النشور من الرحمن رضوانا اوضحت

من ديننا ما كان ملتبسا جزاك ربك عنا فيه احسانا والويح كلمة ترحم والحاتم الواجب وتقرير سؤال السائل ان
كان مسيرنا بقضاء من الله وبقدره لم يكن لنا فى تعبنا ثواب وذلك ان القضاء قد يراد به فى اللغة الخلق وما خلقه
الله تعالى فى العبد فلا اختيار له فيه وما لا اختيار له فلا ثواب له فيما فعله وقوله ويحك الى قوله الوعيد بيان
لمنشاء وهمه وهو ما لعله ظنه من تفسير القضاء والقدر بمعنى العلم الملزم والايجاد الواجب على وفقه وقوله
ان الله سبحانه امر تخييرا اشارة الى تفسير القضاء بالامر كما صرح به فى جواب السائل عن معناه مستشهدا فى تفسيره
بالامر والحكم بقوله تعالى وقضى ربك الاية ومعلوم ان امر الله ونهيه لاينافى اختيار العبد فى فعله وهذا الجواب
اقناعى بحسب فهم السائل وربما فسر القضاء بانه عبارة عن ابداع الاول تعالى لجميع صور الموجودات الكلية و
الجزئية التى لانهاية لها من حيث هى معقولة فى العالم العقلى ثم لما كان ايجاد ما يتعلق منها بالمادة فى مادة
واخراج ما فيها من قبول تلك الصور من القوة الى الفعل لايمكن الا على سبيل التعاقب لامتناع قبول المادة
للصور الكثيرة دفعة قدره تعالى بلطيف حكمته وجود الزمان المديد لتخرج فيه تلك الصورة من القوة الى الفعل
واحدا بعد واحد كما قال تعالى وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم واعلم انه على هذا
التفسير يمكن تقرير الجواب عن السؤال المذكور ايضا وذلك ان القضاء بالمعنى المذكور لاينافى اختيار العبد
وحسن تكليفه وثوابه وعقابه لان معنى الاختيار هو علم العبد بان له قوة صالحة للفعل والترك الممكنين
مهيئة لهما اذا انضم اليها الميل الى الفعل المسمى ارادة فعل او النفرة المسمى كراهة ترك وذلك امر لاينافى
علم الله تعالى بما يقع او لا يقع من الطرفين وان حصل عنه وجوب فهو خارج عرضى ثم ان التكليف لم يرد على
حسب ما فى علم الله تعالى بل لمبدا آن احدهما فاعلى وهو حكمته تعالى اعنى ايجاده الموجودات على احكم
وجه واتقنه وسوق ما هو ناقص منها من مبدا الى كمالها شوقا ملايما لها والثانى قابلى وهو كون العبد
بالصفة المذكورة من الاختيار ولذلك ذكر من لوازم الاختيار والتكليف المقصود من الحكمة الغاية
امورا عشرة احدها امره لعباده تخييرا وتخيرا مصدر سد مسد الحال الثانى نهيهم تحذيرا وتحذيرا مفعول له
الثالث تكليفهم اليسير ليسهل عليهم العمل فيرغبوا فيه الرابع عدم تكليفهم العسير لغرض ان يكونوا اعمال
الاختيار فلا يحرجون بالعسير الى تكليف ما لا يطاق كما اشار اليه تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
الخامس عطاؤه على القليل كثيرا فى العمل وذلك من لوازم اختيارهم ايضا السادس انه لم يعص حال
كونه مغلوبا عنهم اذ هو القاهر فوق عباده بل لانه خلى بينهم وبين افعالهم وهياهم لها وذلك من لوازم
اختيارهم السابع انه لم يطع مكرها اى لم يكن طاعة مطيعهم له عن اكراه منه تعالى عليها وذلك من لوازم
اختيارهم الثامن ولم يرسل الانبياء لعبا بل ليكونوا مبشرين ومنذرين لمن اطاع بالجنة ولمن عصى بالنار
وذلك من لوازم اختيارهم الثامن ولم يرسل الانبياء التاسع ولم ينزل الكتب للعباد عبثا بل ليعرفوا
منه وجوه تكليفهم واحكام افعالهم التى امروا ان يكونوا عليها ويأتوا حدود الله التى امرهم بالوقوف عندها

وكل ذلك من لوازم اختيارهم العاشر ولا خلق السموات والارض وما بينهما باطلا بل على وجوه من الحكمة
منها ان يحصل لعباده بما وهب لهم من الفكرة فى اياتها الاعتبار فيتنبهوا من ذلك للطيف حكمته ويستدلوا
على كمال عظمته كما قال تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب
الايات وبغرض اعتقاد غير ذلك بانه ظن الذين كفروا والاية اقتباس **وقال عليه السلام** خذ الحكمة انى كانت
فان الحكمة تكون فى صدر المنافق فتتلجلج فى صدره حتى تخرج فتسكن الى صواحبها فى صدر المومن امر بتعلم
الحكمة اين وجدت ولو من المنافقين ورغب من عساه ينفر من اخذها من بعض المواضع ان ياخذها من كل
موضع وجدها بضمير صغراه قوله فان الحكمة الى آخره وكنى بتلجلجها واختلاجها على الروايتين عن اضطرابها
وعدم ثباتها فى صدر المنافق وكونه ليس مظنة لها فهى غير مستقرة فيه الى ان تخرج الى مظنتها وهى صدر المومن
فتسكن الى صواحبها من الحكم فيه وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فيجب على المومن اخذها من مظنته واخراجها
من غير مظنته **وقال عليه السلام** فى مثل ذلك الحكمة ضالة المومن فخذ الحكمة ولو من اهل النفاق استعار
لفظ الضالة للحكمة بالنسبة الى المومن باعتبار انها مطلوبة الذى يبحث عنه وينشده كما ينشد الضالة
صاحبها **وقال عليه السلام** قيمة كل امرء ما يحسنه غرض هذه الكلمة الترغيب فى اعلى ما يكتسب من الكمالات
النفسانية والصناعات ونحوها وقيمة المرء مقداره فى اعتبار المعتبرين ومحله فى نفوسهم من استحقاق تعظيم
وتبجيل او احتقار واستنقاص وظاهر ان ذلك تابع لما يحسنه المرء ويكتسبه من الكمالات المذكورة فاعلاهم
قيمة وارفعهم منزلة فى نفوس الناس اعظمهم كمالا وانقصهم درجة اخسهم فيما هو عليه من حرفة او صناعة
وذلك بحسب اعتبار عقول الناس لكمالات ولوازمها **وقال عليه السلام** اوصيكم بخمس لو ضربتم
اليها اباط الابل لكانت لذلك اهلا لا يرجون احد منكم الا ربه ولا يخافن الا ذنبه ولا يستحيين احد اذا
سئل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم ولا يستحيين احد اذا لم يعلم الشىء ان يتعلمه وعليكم بالصبر فان الصبر من
الايمان كالراس من الجسد لا خير فى جسد لا راس معه ولا فى ايمان لا صبر معه كنى بضرب اباط الابل عن الرحلة
فى طلبها وذلك ان الراكب للجمل يضرب ابطيه بكعبيه فاحد الخمس الرجاء لله دون غيره وذلك ان المعظم محو
هو عقاب الله ولما كان انما يلحق العبد بواسطة ذنبه فبالاولى ان يجعل الخوف منه الثالثة عدم استحياء
من لا يعلم الشىء من قول لا اعلم فان الاستحياء من ذلك القول يستلزم القول بغير علم وهو ضلال وقد
يستلزم اضلال الغير وتجهيله وفيه هلاك الاخرة قال صلى الله عليه وآله من افتى بغير علم لعنته ملائكة السماء
والارض وقد يكون سببا للهلاك الدنيوى ايضا الرابعة عدم استحياء من لا يعلم الشىء من تعلمه لما فى استحياء
الجاهل عن التعلم من بقائه على جهله ونقصانه وهلاك اخرته الخامسة فضيلة الصبر وامر باقتنائها لان كل
الفضائل لا تخلو عنها واقل ذلك الصبر على كتسابها ثم على البقاء عليها وعن الخروج عنها ولذلك شبهها
من الايمان بالراس من الجسد ووجه الشبه ان الصبر لما كان موجودا فى كل الفضائل التى مجموعها هو الايمان

فلا يقوم الايمان الا به اشبه الراس من الجسد فى عدم قيامه بدونه ثم اكد التشبيه والمناسبة بينهما بقوله لا خير فى
جسد الى آخره وقوله فان الصبر صغرى ضمير رغب به فيه وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فواجب اقتناؤه ولزومه
وقال عليه السلام لرجل افرط فى الثناء عليه وكان له متهما انا دون ما تقول وما فوق فى نفسك فقوله انا دون
ما تقول جواب افراطه فى المدح وقوله وفوق ما فى نفسك جواب لما فى نفسه مما يتهمه به من عدم اعتقاد فضيلته
وقال عليه السلام بقية السيف ابقى عددا واكثر ولدا اى ذلك الا للعناية الالهية ببقاء النوع وحفظه
واقامته وما خلاف من قتل ممن بقى والله اعلم **وقال عليه السلام** من ترك قول لا ادرى اصيب مقاتله
ترك هذا القول كناية عن القول واصابة المقاتل كناية عن الهلاك الحاصل بسبب القول بالجهل لما فيه
من الضلال والاضلال وربما يكون بسببه هلاك الدنيا والاخرة **وقال عليه السلام** راى الشيخ احب الى من
جلد الغلام وروى من مشهد الغلام وجلده قوته وقد مران الراى مقدم على القوة والشجاعة لا اصالة منفعته
وانما خص الراى بالشيخ والجلد بالغلام لان كلا منهما مظنة ما خصه به فان الشيخوخة مظنة الراى الصحيح
لكثرة تجارب الشيخ وممارسته للامور والغلام مظنة القوة والجلد وعلى الرواية الاخرى فشهده حضوره
والمعنى ظاهر **وقال عليه السلام** عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار القنوط الياس من الرحمة ولما كان الاستغفار
باخلاص مبدأ للرحمة بشهادة القرآن الكريم كما سياتى كان القنوط معه محل التعجب وحكى عنه ابو جعفر محمد بن
على الباقر عليهم السلام انه صلى الله عليه وآله قال كان فى الارض امانان من عذاب الله ثم رفع احدهما فدونكم
الاخر فتمسكوا به اما الامان الذى رفع فهو رسول الله صلى الله عليه وآله واما الامان الباقى فالاستغفار
قال الله جل ذكره وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال السيد وهذا من محاسن
الاستخراج ولطائف الاستنباط كون وجود الرسول صلى الله عليه وآله بين الامة ورجوعها الى الله فى رحمة منه
وكون الاستغفار باخلاص معدين لنزول رحمة الله ورفع عذابه مما يشهد به البحث العقلى وقد اكد ذلك بهذا
الشاهد السمعى كما استخرجه عليه السلام **وقال عليه السلام** ثلث كلمات احدها من اصلح ما بينه وبين الله اصلح
الله ما بينه وبين الناس الثانية ومن اصلح امر آخرته اصلح الله له امر دنياه الثالثة ومن كان له فى نفسه واعظ
كان عليه من الله حافظ فاصلاح ما بينه وبين الله بتقواه المستلزم لرضاه ولما كان من تقواه اصلاح قوتى
الشهوة والغضب اللذين هما مبدأ الفساد بين الناس ولزوم العدل فيهما كان من لوازم ذلك الاصلاح
اصلاح ما بينه وبين الناس وكذلك من لوازم اصلاح امر الاخرة عدم مجاذبة الناس دنياهم والكف عن الشره
فيما بايديهم منها وذلك مع مسالمتهم ومعاملتهم بمكارم الاخلاق التى هى من اصلاح امر الاخرة مستلزم لانعطافهم
وميلهم الى من كان كذلك واقبالهم عليه بالنفع والمعونة وكف الاذى وبسبب ذلك يكون صلاح دنياه ولان
الدنيا المطلوبة لمن اصلح امر آخرته سهلة وهى مقدار حاجته على الاقتصاد وذلك امر قد تكفلت العناية الالهية
بتهيئة واصلاحه مدة الحيوة الدنيا واما الثالثة فلان واعظ النفس باعث على تقوى الله ولزوم العدل

في فوت الشهوة والغضب اللذين هما مبدأ الشر المستلزم للهلاك في الدارين وذلك مستلزم لحفظ الله فيهما
وقال ع الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يؤمنهم من
مكر الله كنى بقوله كل الفقيه عن تمامه اي الفقيه الكامل في فقهه وذلك ان من فقه وضع الكتاب العزيز
علم ان غرضه الاول جذب الناس الى الله في سبيل مخصوصة بوجوه من الترغيب وآي الوعد والوعيد والبشارة
والنذارة وغيرها فمن ضرورته اذن ان لا يقنط الناس من رحمة الله بآيات وعيده ونذارته ولا يؤيسهم من
روحه لما يلزم اليأس من لزوم العصاة بالمعصية واتباع الهوى الحاصل الذي لا يرجى من تائب المعاصي
ثمرة في الآخرة ولذلك قال تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وان لا يؤمنهم من مكر الله
بالجزم بآيات وعده وبشارته لما يستلزم السكون الى ذلك والاعتماد عليه من الانهماك والمعاصي واتباع
الهوى ولذلك قال تعالى افأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون بل يكون تابعا في وعظه
وجذبه الى الله مقاصد سنته ووضع شريعته وقال عليه السلام اوضع العلم ما وقف على اللسان وارفعه
ما ظهر على الجوارح والاركان كنى بالاول عن العلم الذي لا عمل معه وظهوره وقف على اللسان فقط وهو
انقص درجات العلم واراد بالثاني العلم المقرون بالعمل فان الاعمال الصالحة لما كانت من ثمرات العلم
بالله وما هو اهله كان العلم فيها ظاهرا على جوارح العبد واركانه ظهور العلة في معلولها وذلك هو العلم
المشفع في الآخرة وقال عليه السلام ان هذه القلوب تمل كما تمل الابدان فابتغوا لها طرائف الحكمة النفوس
قد يقع لها انصراف عن العلم الواحد وملال للنظر فيه بسبب مشابهة بعض اجزائه لبعض فاذا اطلعت النفس
على بعضه فاتت ما لم تطلع منه على ما علمت ولم يكن للباقي عندها من الغرابة ما تلتذ به وتدوم على النظر فيه
ولما كان ذلك الملال والانصراف غير محمود لها امر بطلب طرائف الحكمة لها واراد لطائفها وغرائبها المعجبة
للنفس اللذيذة لها لتكون ابدا في اكتساب الحكمة بنشاط والتذاذ في اشتغالها من بعض غرائبها الى بعض
واراد بالحكمة الحكمة العملية واقسامها او اعم منها وقال عليه السلام لا يقولن احدكم اللهم اني اعوذ بك من
الفتنة لانه ليس احد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن فان الله
سبحانه يقول واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ومعنى ذلك انه سبحانه يختبرهم بالاموال والاولاد
ليتبين الساخط لرزقه والراضي بقسمه وان كان سبحانه اعلم بهم من انفسهم ولكن لتظهر الافعال التي
بها يستحق الثواب والعقاب لان بعضهم يحب الذكور ويكره الاناث وبعضهم يحب تثمير المال ويكره انثلام الحال
قال السيد رحمه الله وهذا من غريب ما سمع منه عليه السلام من التفسير حاصل الكلام ان الفتنة اعم من الفتنة
المستعاذ منها لصدقها على المال والبنين باعتبار ابتلاء الله تعالى عباده واختباره لهم بهما وهما غير
مستعاذ منهما اذا راعى العبد فيهما امر الله ولزم طاعته واما الفتنة المستعاذ منها فهي التي يستلزم الوقوع

فيها الضلال

فيها الضلال عن سبيل الله كالخروج في المال عن واجب العدل وصرفه في مواد الشهوات واتباع الهوى وسئل
عليه السلام عن الخير ما هو فقال عليه السلام ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك و
ان يعظم حلمك وان تباهي الناس بعبادة ربك فان احسنت حمدت الله وان اسأت استغفرت الله ولا خير
في الدنيا الا لرجلين رجل اذنب ذنوبا فهو يتداركها بالتوبة ورجل يسارع في الخيرات ولا يقل عمل مع التقوى
وكيف يقل ما يتقبل اقول الخير في العرف العامي هو كثرة المال والقينات الدنيوية وفي عرف السالكين
الى الله هو السعادة الاخروية وما يكون وسيلة اليها من الكمالات النفسانية وربما فسره قوم بما هو اعم
من ذلك وقد نفى عليه السلام ان يكون الاول خيرا وذلك لفنائه ومفارقته وما عساه ان يلحق بسببه
من الشر في الآخرة وفسره بالثاني وعد فيه كمال القوى الانسانية فكثرة العلم كمال القوى النظرية للنفس
العاقلة وعظم الحلم من كمال القوة العملية وهو فضيلة القوة الغضبية ومباهاة الناس بعبادة ربه اي
المفاخرة بها بالكثرة والاخلاص وحمد الله على توفيقه للحسنة واستغفاره للسيئة وذلك من فضائل
القوة الشهوية وكمال القوة العملية ثم حصر خير الدنيا في امرين وذلك ان الانسان اما ان يشتغل بجواذب السيئات
واعدامها وتدارك فارط ذنوبه فيفقد نفسه بذلك لاكتساب الحسنات او يشتغل بايجاد الحسنات
فيها ولا واسطة من الخير المكتسب وهذين الامرين ثم حكم بعدم قلة العمل المقرون بتقوى الله منبها بذلك
على ان تدارك الذنوب بمحوها والمسارعة في الخيرات مستلزم للتقوى وانما كان غير قليل لانه مقبول عند
الله والمقبول عنده مستلزم للثواب العظيم وذلك ترغيب في الامرين المذكورين وقال ع ان اولى
الناس بالانبياء عليهم السلام اعلمهم بما جاؤوا به ثم تلا عليه السلام قوله ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا
النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ثم قال عليه السلام ان ولي محمد من اطاع الله وان بعدت لحمته وان عدو
محمد من عصى الله وان قربت قرابته ولما كان الغرض من الانبياء عليهم السلام جذب الخلق الى الله بطاعته فكل
من كان ابلغ في الطاعة كان اشد موافقة لهم واقرب الى قلوبهم واقوى نسبة اليهم ولما لم يكن طاعتهم
الا بالعلم بما جاؤوا به كان اعلم الناس بذلك اقربهم اليهم واولاهم بهم وبرهان ذلك الآية المذكورة وذكرها
الانبياء ليعلم سائره الاجمالي ثم خصص الذكر بمحمد صلى الله عليه وآله كما هو عادة الخطيب والمراد بالولي هنا الاولى
واشار الى ان طاعة الله علة للاولوية بمحمد صلى الله عليه وآله ومعصيته علة لعداوته وان بعدت قرابة المطيع
وقربت قرابة العاصي ليعلم ان الطاعة والمعصية علتان مستقلتان للاولوية بمحمد والعداوة له فيحصل الرغبة
في الطاعة والنفرة عن المعصية وقال عليه السلام وقد سمع رجلا من الحرورية يتهجد ويقرأ فقال نوم على يقين
خير من صلوة في شك والحرورية فرقة من الخوارج نسبوا الى حروراء وهي قرية بالنهروان وان كان اول اجتماعهم بها
والتهجد السهر في العبادة وانما كان كذلك لان نوم العالم على يقين منه بما ينبغي بتقيه وعلمه بما ينبغي له وعبادة
الجاهل على شك فيما ينبغي بتقيه من اصول العبادة مما لا ينبغي لما فيه من اتعاب البدن من غير فائدة فكان الاول

اولى وخيرا من الثاني واراد ما هم عليه من الشك في امامة امام الوقت الذي هو مبدأ تعليم العبادات وكيفيتها واعلم
به ركن من اركان الدين فان الشك فيه يستلزم عدم الاستفادة منه الشك في كثير مما يحتاج اليه فيه كعلم التوحيد
واسرار العبادات وكيفية السلوك الى الله تعالى بطاعته وقال ع اعقلوا الخبر اذا سمعتموه عقل رعاية
لا عقل رواية فان رواة العلم كثير ورعاته قليل عقل الرعاية ضبطه بالفهم ورعاية العلم وعقل الرواية ضبط
رواة العلم كثير ورعاته قليل عقل الرعاية ضبطه بالفهم ورعاية العلم وعقل الرواية ضبط الفاظها وسماعها دون
تفهم المعنى ورغب في ذلك بتحقير صغراه قوله فان رواة العلم الى آخره وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فينبغي ان يعقل
عقل رعاية لتكثر رعاته وسمع رجلا يقول انا لله وانا اليه راجعون فقال ان قولنا انا لله اقرار على انفسنا بالملك
وقولنا وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلك والكلمة تتضمن ظاهر ومدحه قوم في وجهه فقال عليه السلام
اللهم انك اعلم بي من نفسي وانا اعلم بنفسي منهم اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون واغفر لنا ما لا يعلمون هذا كسر لنفسه
في مقابلة المدح الموجب للعجب ثم سأل الله ان يعلي درجته في الخير فوق ما يظنونه فيه وان يغفر له ما لا يعلمون من عيبه
فان قلت انه معصوم فكيف يصدر عنه عيب يطلب مغفرته قلت قد بينا فيما سلف ان مثله عليه السلام وما
يسمى ذنبا في حقه انما هو من باب ترك الاولى وليس هو من الذنوب المتعارفة التي عصم عنها وقال ع لا يستقيم
قضاء الحوائج الا بثلاث باستصغارها لتعظم واستكتامها لتظهر وتعجيلها لتهنأ اشترط في استقامة قضاء الحوائج
اي كون قضائها على ما ينبغي من العدل ثلث شرائط احدها استصغار قاضي الحاجة لها ليعرف بالسماحة وكبر النفس
فيعظم عطاؤه وشهرته الثانية ان يكتمها فان طباع الناس ادعى الى اظهار ما استكتم واكثر عناية بتعرفه الثالث
ان يعجلها لتهنأ اي لتكون هنيئة يقال هنئ الطعام يهنأ وذلك لان الابطاء بقضاء الحاجة ينغصها على طالبها
فتكون لذتها مشوبة بتكدير بطوئها وقال عليه السلام يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه الا الماحل ولا
يظرف فيه الا الفاجر ولا يضعف فيه الا المنصف يعدون الصدقة فيه غرما وصلة الرحم منا والعبادة استطالة على
الناس فعند ذلك يكون السلطان بمشورة الاماء وامارة الصبيان وتدبير الخصيان واقول الماحل الساعي بالنميمة
الى السلطان واصل المحل الكيد والمكر وروي الماجن وهو المتكلم بما يشتهي من الباطل والهزل والاستهزاء والغرض
الدين يريد ان ذلك الزمان لسوء اهله وبعدهم من الدين وقوانين الشريعة يجعل فيه الرذائل مكان الفضائل ويعمل
ما لا ينبغي مكان ما ينبغي فيقرب الملوك السعاة اليهم بالباطل مكان اصحاب الفضائل ومن ينبغي تقريبه ويعد
الفاجر وهو صاحب رذيلة الافراط في قوته الشهوية صاحب فضيلة الظرف في حركاته ضعيفا عاجزا ويحتمل ان
يريد بقوله يضعف اي يستضعف عقله لتركه الظلم كأنه تارك حق ينبغي له اخذه ويعدون الصدقة التي ينبغي اداؤها عينه
طلبا للثواب غرما كاداء الدين في التثقل وكذلك يعدون صلة الرحم منا ويعدون بطال الفضيلة المذكورة لقوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ويستطيل بالعبادة على الناس ويترفع بها دونهم كالمان عليهم
بذلك ثم جعل من علامات ذلك الزمان كون السلطان والملك يدبر بمشورة الاماء وامارة الصبيان وتدبير

الخصيان

الخصيان وهي علامات زماننا هذا وقبله بمدة وروي عليه السلام وعليه ازار خلق مرقوع فقيل له في ذلك فقال
يخشع له القلب وتذل النفس ويقتدي به المؤمنون ذكر في لبس ذلك الخلق ثلاثة مقاصد وخشوع القلب
خضوع النفس العاقلة وانكسارها عن الغفلة وذل النفس انكسار النفس الامارة بالسوء عنه واقتداء المؤمنين
بذلك للمقصدين الاولين وقال عليه السلام ان الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان وسبيلان مختلفان
فمن احب الدنيا وتولاها ابغض الآخرة وعاداها وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماش بينهما كلما قرب من واحد
بعد عن الآخر وهما بعد ضرتان استعار لفظ العدو لهما باعتبار ما بينهما من البعد لطالبهما وظاهر كونهما
سبيلين مختلفين ومن لوازم ما بينهما من العداوة والاختلاف كون المحب لاحدهما مبغضا للآخر ثم
شبههما بالمشرق والمغرب ووجه الشبه تباينهما واختلاف جهتيهما وشبه الطالب لهما بالماشي بينهما ووجه
الشبه قوله كلما قرب الى الآخر فان الطالب للدنيا بقدر توجهه في طلبها يكون غفلته على الآخرة وانقطاعه
عنها وكلما امعن في تحصيلها ازداد غفلة وبعدا عن الآخرة وبالعكس كالماشي الى احدى جهتي المشرق والمغرب
ثم شبههما بعد ذلك بالضرتين ووجه الشبه ايضا ان القرب من احدهما يستلزم البعد عن الاخرى كالزوج ذي
الضرتين وعن نوف البكالي قال رأيت امير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة وقد خرج من فراشه فنظر الى
النجوم فقال يا نوف اراقد انت ام رامق فقلت بل رامق يا امير المؤمنين قال يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا
الراغبين في الآخرة اولئك قوم اتخذوا الارض بساطا وترابها فراشا وماءها طيبا والقرآن شعارا والدعاء
دثارا ثم قرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح يا نوف ان داود عليه السلام قام في مثل هذه الساعة من الليل
فقال انها ساعة لا يدعو فيها عبد الا استجيب له الا ان يكون عشارا او شرطيا او صاحب عرطبة وهو الطنبور
او صاحب كوبة وهو الطبل وقد قيل ان العرطبة الطبل والكوبة الطنبور اقول البكالي بكسر الباء منسوب الى بكالة
قرية من اليمن والرامق اللاحظ والعريف نقيب الشرطة وكان خروجه عليه السلام في ذلك الوقت لما نقله عن
داود عليه السلام ولانه محل الفراغ للاعتبار والفكر في خلق السموات وزينتها ثم عرف الزاهدين في الدنيا بستة
اوصاف لغرض الاقتداء بهم احدها اتخاذهم الارض بساطا الثاني وترابها فراشا الثالث وماءها طيبا
وذلك من لوازم زهدهم في متاعها وتركها عن طيب نفس بذلك الرابع اتخاذهم للقرآن شعارا الخامس و
الدعاء دثارا واستعار لفظ الشعار للقرآن باعتبار ملازمتهم لدرسه وتفهم مقاصده كالشعار الملازم
للجسد ولفظ الدثار للدعاء باعتبار احتراسهم به من عذاب الله والشدائد النازلة بهم كالاحتراس بالدثار
عن البرد ونحوه السادس قرضهم للدنيا اي قطعها عنهم بايسرها يدفع ضرورتهم منها كما فعله المسيح عليه السلام
من هذه الاوصاف وكان قيامه عليه السلام في النصف الاخير من الليل وانما كان مظنة الاجابة لخلو النفس
فيه عن الاشتغال بشواغل النهار المحسوسة وتوفرها بعد النوم على الالتفات الى حضرة الملأ الاعلى واستعدادها
لقبول السوانح الالهية وانما استثنى المذكورين لملازمتهم المعصية التي تحجب نفوسهم عن قبول رحمة الله

وقال عليه السلام ان الله افترض عليكم فرايض فلا تضيعوها وحد لكم حدودا فلا تعتدوها ونهاكم عن اشياء
فلا تنتهكوها وسكت لكم عن اشياء ولم يدعها نسيانا فلا تتكلفوها فرايض الله واجبات دينه وحدوده نهايات
ما اباحه من نعمته ورخص فيه والاشياء المنهي عنها ما خارج حدوده من المحرمات والرذايل وما سكت عنه هو تكليف
دقايق علم لا نفع له في الاخرة فانه لم يسكت عنه نسيانا انه تقدست عن ذلك بل لعدم فايدة الاخروية واستلزام
الاشتغال به ترك الاشتغال بعلم نافع فيلزم المضرة وقال عليه السلام لا يترك الناس شيا من امر دينهم لاصلاح
دنياهم الا فتح الله عليهم ما هو اضر منه لما كانت مطالب الناس في الدنيا اذا فتح باب لطلبها غير متناهية
لكون كل مطلوب بحصوله معدا لطلب الزيادة فيه والاستكثار منه وتحصيل شرايطه ولوازمه وكان بعد الانسان
عن الله بقدر قربه من الدنيا وبعد امله فيها كان كل من استصلح امر الدنيا لا بها دنيا معد الفتح باب من ابواب
طلبها له اصلاحها وهو اضر من الاول لكونه اشد ابعادا منها واشد ابعادا عن الله تعم وقال عليه السلام رب عالم
قتله جهله وعلمه من العلوم العقلية مثلا من جهل شرايع الاسلام فافتى بغير علم او تعدى حدا او ارتكب منهيا فكان
ذلك سبب هلاكه في الدنيا والاخرة او كعلم ما لا نفع فيه في الاخرة استلزم ترك علم مهم فيها فكان سبب هلاكه
هناك مع عدم انتفاعه وخلاصه بما علم وقال عليه السلام لقد علق بنياط هذا الانسان بضعة من اعجب ما فيه
وهو القلب وله مواد من الحكمة واضداد من خلافها فان سنح له الرجاء اذله الطمع وان هاج به الطمع اهلكه
الحرص وان ملكه اليأس قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان اسعده الرضى
نسي التحفظ وان ناله الخوف شغله الحذر وان اتسع له الامن استلبته الغرة وان اصابته مصيبة فضحه الجزع وان
افاد مالا اطغاه الغنى وان عضته الفاقة شغله البلاء وان جهده الجوع قعد به الضعف وان افرط به الشبع كظته
البطنة فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد اقول النياط عرق علق به القلب وغاله اخذه على غرة واراد
بالمواد من الحكمة الفضايل الخلقية فلها باسرها من الحكمة وهي العلم بما ينبغي ان يفعل وهو الاصلح في كل باب وهي
مواد كمال القلب واشار باضدادها المخالفة لها الى الرذايل المضادة للفضايل وهي التي اطراف التفريط و
الافراط منها فالاولى الطمع وهي رذيلة الافراط من الرجاء ونفر عنها بما يلزمها من الذلة للمطموع فيه وبما
يلزم من اشتداد الطمع من الحرص المهلك في الدارين الثانية الياس وهو رذيلة التفريط من الرجاء ونفر عنها
بما يلزمها من شدة الاسف القاتل الثالثة رذيلة الافراط من الغضب وهي اشتداد الغيظ المستوطيا و
الوسط من الغضب فضيلة الشجاعة وكظم الغيظ الرابعة ترك التحفظ ونسيانه وهو رذيلة الافراط من رضا
الانسان بما يحصل عليه من دنياه الخامسة رذيلة الافراط من عروض الخوف وهي الاشتغال بالحذر عما ينبغي عند
عروضه والذي ينبغي فيه الاخذ بالحزم وترك الافراط في الخوف والعمل للامر المخوف السادسة رذيلة التفريط
في عروض ضده وهو الامن وهي استلاب الغرة لعقل الامن حتى لا يفكر في مصلحته وحفظ ما هو عليه من الامن
السابعة رذيلة التفريط من فضيلة الصبر على المصيبة وهي الجزع ونفر عنه بما يلزمه من الافتضاح به الثامنة

رذيلة الافراط من حصول المال وهو الطغيان بكثرته والغنى به والطغو تجاوز الحد التاسعة رذيلة التفريط
من الصبر على الجوع وذكر لازمها وهو قعود الضعف به عما ينبغي ونفر به عنها العاشرة عشر رذيلة افراط الشبع
من فضيلة العفة وما يلزم تلك الرذيلة من جهد البطنة ونفر عنها بما يلازمها ثم ختم ذلك بالتعبير
من طرفي الافراط والتفريط فيها اجمالا بما يلزم التفريط من مضرة القلب بعدم الفضيلة ويلزم الافراط
فيها من فساده بخروجه عنها وبالله العصمة وقال عليه السلام نحن النمرقة الوسطى بها يلحق التالي واليها يرجع
الغالي النمرقة الوسادة الصغيرة واستعار لفظها له ولاهل بيته بصفة الوسطى باعتبار كونهم ائمة الحق
ومستند الخلق في تدبير معاشهم ومعادهم على وجه العدل المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط ومن حق
الامام الحق المتوسط في الامور ان يلحق به التالي اي المفرط المقصر وان يرجع اليه الغالي اي المفرط المتجاوز لحد
العدل وقال عليه السلام لا يقيم امر الله الا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع المصانعة المصالحة
برشوة ونحوها والمضارعة مفاعلة من الضرع وهو الذل اذ كان كل منهما يضرع للآخر وظاهر ان مصانعة
الغير يستلزم طلب رضاه وذلك يمنع من اقامة حدود الله وامره في حقه وكذلك المضارعة واتباع المطامع
من الغير فانهما يستلزمان ترك مواجهته بما يشق عليه من اوامر الله وحدوده وقال عليه السلام وقد توفي
سهل بن حنيف الانصاري بالكوفة عند مرجعه معه من صفين وكان من احب الناس اليه لو احبني جبل لتهافت قال
السيد ومعنى ذلك ان المحنة تغلظ عليه فتسرع المصايب اليه ولا يفعل ذلك الا بالاتقياء الابرار والمصطفين
الاخيار وهذا مثل قوله عليه السلام من احبنا اهل البيت فليستعد للفقر جلبابا وقد يؤول ذلك على معنى
اخر ليس هذا موضع ذكره اقول تهافت سقط قطعة قطعة وذلك مبالغة في كثرة ما يلحقه ويجيبه من المحن
والابتلاء وقوله من احبنا فليستعد للفقر جلبابا اي يهيئ له ذلك والجلباب مستعار لتوطين النفس على الفقر
والصبر عليه ووجه الاستعارة كونهما ساترين للمستعد بهما من عوارض الفقر وظهوره في سوء الخلق وضيق
الصدر والتبرم الذي ربما يؤدي الى الكفر كما يستر الملحفة ولما كانت محبتهم عليهم السلام بصدق تستلزم متابعتهم
والاقتداء بهم والاستشعار بشعارهم ومن شعارهم الفقر ورفض الدنيا والصبر على ذلك وجب ان يكون كل
محب لهم مستشعرا للفقر ومستعدا له جلبابا من توطين النفس عليه والصبر وقد ذكر ابن قتيبة هذا المعنى بعبارة اخرى
فقال من احبنا فليقتصر على التقلل من الدنيا والتقنع فيها قال وشبه الصبر على الفقر بالجلباب لانه يستر
الفقر كما يستر الجلباب البدن قال ويشهد بصحة هذا التاويل ما روي انه عليه السلام راى قوما على بابه فقال
يا قنبر من هؤلاء فقال شيعتك يا امير المؤمنين فقال ما لي لا ارى فيهم سيما الشيعة قال وما سيما الشيعة
قال خمص البطون من الطوى يبس الشفاه من الظماء عمش العيون من البكاء وقال ابو عبيدة لم يرد الفقر في
الدنيا لانه يرى فيمن يحبهم مثل ما في ساير الناس من الغنى وانما اراد الفقر يوم القيمة واخرج الكلام مخرج الوعظ
والنصيحة والحث على الطاعات فكانه اراد من احبنا فليعد لفقره يوم القيمة ما يجبره من الثواب والتقرب الى الله

تعالى والزلفة عنده قال السيد المرتضى رحمه الله والوجهان جميعا حسنان وان كان قول ابن قتيبة احسن فذلك معنى قول
السيد الرضي منه وقد يؤول ذلك على معنى اخر وذكر القطب الراوندي احتمالا ركيكا لا يصلح محلا لهذا الكلام فلا نطول
بذكره وقال عليه السلام سبع عشرة كلمة احدها لا مال اعود من العقل اي اعود بالنفع على صاحبه واستعار لفظ
المال للعقل باعتبار انه غنى النفس وهو راس مالها الذي به يكتسب الارباح الباقية والكمالات المسعدة كالمال
الذي به الكمال الظاهر ولما كان بين المالين من التفاوت في الشرف ما علمت لا جرم لم يكن مال اعود منه بالنفع الثانية
ولا وحدة اوحش من العجب وجعل الوحدة من جنس العجب باعتبار ما يستلزمانه من الوحشة الموحشة وقد سبق بيان
استلزام العجب لها الثالثة ولا عقل كالتدبير اراد بالعقل تصرف العقل العملي واطلق عليه اسمه مجازا اطلاقا لاسم
السبب على المسبب وظاهر ان جملة تصرفاته التدبير واستخراج الآراء المصلحية في الامور ولما كان المقصود منه التدبير
لا جرم لم يكن له تصرف يشبهه فلا عقل مثله الرابعة ولا كرم كالتقوى والمفهوم من الكرم بذل ما ينبغي بذله ولما كانت
تقوى الله عبارة عن خشيته وكان من لوازمها الزهد في الدنيا والاعراض عن متاعها كان ذلك في الحقيقة بذلا
لجميعها واذا كان بذل بعض قيناتها يسمى كرما فبذلها باسرها ممن ينبغي له ذلك اولى ان يكون كرما لا يشبهه كرم كما
قال عليه السلام فيما سبق في وصفها ودانيها لحاجة توجب جعلها لها الخامسة ولا قرين كحسن الخلق وقد عرفت الاخلاق
الحسنة وظاهر انه ليس فيما يعد قرينا اشرف منها لان غاية ساير القرناء ان يستفاد من صحبتهم حسن الخلق فكون الخلق
الحسن بنفسه الذي هو الغاية قرينا اشرف من قرين الغاية الذي عساه لا يحصل منه فلا قرين اذن يشبهه السادسة
ولا ميراث كالادب وقد مر بيانه عن قريب السابعة ولا قايد كالتوفيق اي الى المطالب ولما كان التوفيق عبارة
عن توافق الاسباب للشيء وشرايطه حتى يكون مجموعها مستلزما لحصوله لا جرم لم يكن للمرء قايد الى مطالبه كالتوفيق
في سرعة وصوله اليه الثامنة ولا تجارة كالعمل الصالح استعار لفظ التجارة له باعتبار كونه مستلزما للخير كالتجارة
المستلزمة للربح ولما كان شرف التجارة بشرف ثمرتها وربحها فكلما كان الربح اشرف كانت التجارة اشرف ولما كان
ربح هذه التجارة الثواب الدائم الاخروي الذي لا اعظم منه لم يكن لتجارة العمل الصالح ما يشبهها من التجارات
التاسعة ولا ربح كالثواب وهو ظاهر العاشرة ولا ورع كالوقوف عند الشبهة وقد يفسر الورع بانه الوقوف عن
المناهي والمحرمات ولما كان الوقوف عما اشتبه من الامور في حله وحرمته ابلغ اصناف الورع واكثرها تحرزا به
لم يكن فيها ما يشبهه الحادية عشرة ولا زهد كالزهد في الحرام هو المامور به والواجب دون غيره من اصناف الزهد
كان افضل لفضيلة الواجب على المندوب الثانية عشرة ولا علم كالتفكر اي كالعلم الحاصل عن التفكر وذلك بالقياس
الى ما يدعى علما من حفظ المنقولات كالاحاديث والسير ونحوها والى العلوم الحاصلة عن الحواس ولان العلم الفكري كلي
وهو اشرف وحكم الشارع والخطيب الكثير عاد اداء التفكر فيما ينبغي من خلق السموات والارض وما خلق الله من شيء
وتحصيل العبرة منه واطلق اسم التفكر على العلم الحاصل عنه اطلاقا لاسم السبب على المسبب ويحتمل ان يريد العلم بكيفية
التفكر والقوانين التي تعصم مراعاتها الفكر من الضلال الثالثة عشرة ولا عبادة كاداء الفرايض لكونها اولى وعيد و

الواجب اشرف من غيره الرابعة عشرة ولا ايمان كالحياء والصبر اي لا ايمان كايمان كمل بالحياء والصبر وذلك لشرف هاتين
الفضيلتين كما سبق واطلقهما على الايمان مجازا اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه الخامسة عشرة
ولا حسب كالتواضع لما كان الحسب ما يعد من الماثر والفضايل كان التواضع اشرف ما يعد بالقياس
الى كثير منها الا لما يستلزم من المودات وكما سبق اشرف الكمالات ولا شرف كشرفه بيانه السادسة عشرة
ولا شرف كالعلم اي كشرف العلم فاطلق اسم الملزوم على اللازم مجازا وظاهر ان العلم اشرف الكمالات
فلا شرف كشرفه السابعة عشرة ولا مظاهرة اوثق من مشاورة اي اقوى وقد مر بيانه في قوله لا ظهير
كالمشورة واعلم ان الحكم في كثير من هذه الكلمات اكثري وغرضه الترغيب في العقل والتدبير و
التقوى وحسن الخلق والادب والتوفيق بالرغبة الى الله فيه والعمل الصالح والثواب والوقوف
عند الشبهة والزهد في الحرام والفكر والمحافظة على الفرايض واقتناء الحياء والصبر والتواضع
والعلم والمشورة في الامور وقال عليه السلام اذا استولى الصلاح على الزمان واهله ثم اساء رجل
الظن برجل لم تظهر منه خزية فقد ظلم واذا استولى الفساد على الزمان واهله ثم احسن رجل الظن
برجل فقد غرر قد مر ان الزمان من جملة الاسباب المعدة لتوافق اسباب صلاح الخلق في معاشهم ومعادهم
فيسمى زمان الصلاح والخير وكذلك هو من جملة الاسباب المعدة لعدم ذلك فيقال فسد الزمان وزمان
فاسد والاول هو الزمان الذي استولى الصلاح عليه وعلى اهله ويجب ذلك يكون مظنة فعل
الخير وان يحسن الظن باهله فمن اساء الظن برجل منهم لم يظهر منه ما يجري به عقلا الناس من فعل
رذيلة فقد وضع اساءة ظنه في غير موضعها وهو خروج عن العدل وظلم والثاني اي الزمان الثاني
هو الزمان الذي استولى الفساد عليه وعلى اهله ويجب ذلك يكون مظنة فعل الشر وسوء الظن باهله
فمن احسن الظن في احدهم فقد غرر اي اوقع نفسه في الغرة بروا الغفلة عن حاله وقيل له يا امير المؤمنين
كيف تجدك فقال كيف يكون حال من يفنى ببقائه ويسقم بصحته ويؤتى من مامنه اجاب بصورة حاله
على طريق الموعظة والتشكي ولما كان البقاء عبارة عن استمرار زمان الوجود وكان استمرار الزمان
وتعاقب اجزائه سببا للاجل كان لبقائه سببية في فنائه وكذلك لما كان من غايات صحة السقم كان
لصحته سببية في سقمه واما كونه يؤتى من مامنه فيشبه ان يكون المامن هنا مصدرا والمراد ان الداخل
على المرء ونزول ما يكره به من الموت واهوال الاخرة هو امنه في الدنيا وسكونه اليها وغفلته عما ورائها
مما لا بد منه ويحتمل ان يكون المامن محل الامن وهو الدنيا ومعنى كونه يؤتى من مامنه اي ان ما يدخل
عليه من الادواء التي فيها هلاكه والمصايب التي تلحقه هو من احوال الدنيا التي هي مامنه وعوارضها
التي يعرض له من مامنه حال امنه فيه بحيث لا يمكنه الاحتراز منه وقال عليه السلام كم من مستدرج با
لاحسان اليه ومغرور بالستر عليه ومفتون بحسن القول فيه وما ابتلى الله احدا بمثل الاملاء له

الاستدراج المأخوذ على غرة والاملاء الامهال وتأخير المدة وقد ذكر عليه السلام من الامور التى ابتلى
الله بها عباده اربعة احدها الاحسان الى العبد بضروب النعم الثانى ستر المعصية عليه الثالث حسن
القول فيه وثناء الخلق عليه الرابع تأخير مدته وامهاله ولما كانت غاية الابتلاء بهذه الامور التى
كلها نعم فى الحقيقة اما شكرها او كفرها كما قال نعم ليبلونى أأشكر ام اكفر الاية وكان الشكر هو الغاية
الخيرية المطلوبة بالذات نبه المبتلى بالنعمة الاولى على وجوب شكرها بانه كثيرا ما يستدرج بها فينبغى
ان لا يغفل عنها ونبه المبتلى بالثانية على انها كثيرا ما يكون سببا للغرة بالله والامن من مكره فينهمك فى
المعاصى ونبه الثالث بكون نعمة قد يكون سببا للفتنة وصرفه عن شكر الله وارتكاب رذيلة العجب
بنفسه ونبه الرابع بكون نعمة اعظم ما يبتلى به من النعم وقال عليه السلام هلك فى رجلان محب غال و
مبغض قال لما كانت محبة اولياء الله فضيلة نفسانية كان طرفى التفريط والتقصير فيها الى غاية منها
بالبغض وطرف الافراط الى غاية الغلو فيها وزيادة ينبغى منها رذيلتين يستلزمان هلاك صاحبهما فى
الاخرة اما رذيلة التفريط فلان بغض اولياء الله فقد عادى الله وكان من الهالكين واما رذيلة
الغلو والافراط فلان الغلاة لخروجهم عن حد البشرية الى سماء الالهية وهو صريح الكفر المستلزم للهلاك
وقال عليه السلام اضاعة الفرصة غصة اى ان تضيع الامر وقت امكانه من نفسه يستلزم الاسف والحزن على تفويته
وهو تنفير عن تضييع الفرصة بما يلزمها وقال عليه السلام مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها والسم الناقع
فى جوفها يهوى اليها الغر الجاهل ويحذرها ذو اللب العاقل مثل الدنيا بالحية ووجه التمثيل قوله
لين مسها الى اخره وذلك ان الدنيا لذيذ التناول سهلة فى عين الناظر اليها مع ان فيما يشتهيه منها
ويتناوله الشقاوة الاخروية والعذاب الاليم فيهوى اليها الجاهل بما فيها من سوء العاقبة ويحذرها
العاقل العارف بها كما ان الحية لين مسها حسن منظرها يحبها الجاهل سواء امن وهما وقصد ويهوى
اليها الغر بما فيها من سم ويحذرها من يعرفه وسئل عن قريش فقال عليه السلام اما بنو مخزوم فريحانة
قريش يحب حديث رجالهم والنكاح فى نسائهم واما بنو عبد شمس فابعدها رأيا وامنعها لما وراء ظهورها
واما نحن فابذل لما فى ايدينا واسمح عند الموت بنفوسنا وهم اكثر وامكر وانكر ونحن افصح وانصح واصبح
بنو مخزوم بطن من قريش وهو مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ومنهم ابو جهل بن هشام
ابن المغيرة وآل المغيرة وكان لمخزوم ريح طيبة كالخزامى ولونا كلونه والولد يشبه الوالد غالبا ولذلك
كانت هذه البطن تسمى بريحانة قريش وكانت المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم تسمى بذلك وقيل لانه
كان فى رجالهم كيس لذلك يحب الحديث اليهم وفى نسائهم لطف وتصنع وتحبب الى الرجال ولذلك
يحب نكاحهم واما بنو عبد شمس بن عبد مناف فمنهم ربيعة وابناه شيبة وعتبة والاعياص وحرب بن
امية وابنه ابو سفيان واسيد بن عتاب ومروان بن الحكم ووصف هذا البطن ببعد الرأى وهو كناية

من جودته يقال فلان بعيد الرأى اذا كان يرى المصلحة من بعيد لقوة رأيه ثم بكونها امنع لما وراء ظهورها
وهو كناية عن الحمية ثم وصف بيته وهم بنو هاشم بكونهم ابذل لما فى ايديهم اى اسخى ثم بكونهم اسمح عند الموت
بنفوسهم اى اشجع ثم وصفهم بفضيلة خارجية ورذيلتين ووصف بنى هاشم بثلث فضايل بدنيتين و
نفسانية والفضيلة فيهم هى كثرة العدد والرذيلتان كونهم امكر اى اكثر حيلة وخداعا وكونهم انكر
اى احسن وجوها واجمل وهما فضيلتان تتعلق بالبدن ويحتمل ان يريد بالاصبح كونهم الفى للناس بالطلاقة
والبشر ومبدأ ذلك فضيلة نفسانية ثم كونهم انصح والنصيحة لمن ينبغى نصيحته فضيلة نفسانية تحت العفة
وقال عليه السلام شتان بين عملين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤنته ويبقى اجره شتان اى
افترق بينهما والاول العمل للدنيا وتبعته هو ما يتبعه من الشقاوة الاخروية والثانى عمل الاخرة وظاهر
بينهما فرقا عظيما وتبع جنازة فسمع رجلا يضحك فقال عليه السلام كان الموت فيها على غيرنا كتب وكان
الحق فيها على غيرنا وجب وكان الذى نشيع من الاموات سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم اجداثهم ونأكل
تراثهم كانا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة ورمينا بكل جائحة طوبى لمن ذل فى نفسه وطاب كسبه
وصلحت سريرته وحسنت خليقته وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم ينسب
الى بدعة قال السيد ومن الناس من ينسب هذا الكلام الى النبى صلى الله عليه وآله الاجداث القبور والجائحة الداهية
المستاصلة وغرض الفصل التنفير عن وضع الضحك فى غير موضعه والتذكير بامر الاخرة وذكر تشبيهات ثلثة
احدها تشبيه الموت بالمكتوب على غير الانسان والثانى تشبيه الحق الواجب عليه بما وجب على غيره دونه
والثالث تشبيه ما يشاهده من الاموات بالمسافرين الذين يقدمون عن قريب ووجه الشبه فى الثلثة
قلة اهتمام الناس بالموت والتفاتهم الى اداء واجب حق الله عليهم وعدم اعتبارهم بمن يموت وقوله نبوئهم
الى قوله جائحة من تمام وجه التشبيه فان الفاعل مثل هذا الفعل بالاموات كانه لقساوة قلبه وعدم تفكره
لم يكتب عليه ما كتب عليهم من الموت وقوله طوبى الى اخره ترغيب فى اقتناء الفضايل المذكورة بان لها طوبى
وهى فى الحقيقة الحالة الشريفة التى لاولياء الله فى الاخرة من طيب الحال واللذة الباقية وذكر ثمان
فضايل احديها ذلة النفس لله عن ملاحظة حاجتها وفقرها اليه ونظرها الى معادها الثانية طيب الكسب
بالحلال من وجوهه التى ينبغى الثالثة صلاح السريرة لله واخلاص الباطن من فساد النيات فى المعاملات مع
الخلق الرابعة حسن الخلق واقتناء فضايله الخامسة انفاق الفاضل عن الحاجة من المال فيما ينبغى من وجوه
القربات الى الله وهى فضيلة السخاء السادسة امساك الفضل من الكلام واذخاره مما لا ينبغى وهو
السكوت فى موضعه السابعة عزل الشر عن الناس وهو العدل او لازمه الثامنة لزوم سنة الله ورسوله
وعدم الخروج عنها الى ما يبتدع فى الدين ولا ينبغى وقال عليه السلام غيرة الرجل ايمان وغيرة المرأة كفر اما
الاول فلان غيرة الرجل تستلزم سخطه لما سخط الله من اشتراك رجلين فى امرأة وسخط ما سخط الله موافق

لرضاه ومؤيد لنهيه وذلك ايمان واما الثانى فلان المرأة تقوم بغيرتها فى تحريم ما احل الله وهو اشتراك
مرأتين فما زاد فى رجل واحد وتقابله بالرد والانكار وتحريم ما احل الله وسخط ما رضيه ورد عليه وهو لا محالة
كفر وقال عليه السلام لانسبن الاسلام نسبة لم ينسبها احد قبلى الاسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين
هو التصديق والتصديق هو الاقرار والاقرار هو الاداء والاداء هو العمل الصالح هذا قياس مفصول مركب
من قياسات طويت نتايجها وينتج القياس الاول ان الاسلام هو اليقين والثانى انه التصديق والثالث
انه الاقرار والرابع انه الاداء والخامس انه العمل اما المقدمة الاولى فلان الاسلام هو الدخول فى الطاعة
ويلزمه التسليم لله وعدم النزاع فى ذلك وصدق اللازم على ملزومه ظاهر واما الثانية فلان التسليم للحق انما
يكون عن تيقن استحقاق المطاع للتسليم له فكان اليقين بذلك من لوازم التسليم لله فصدق عليه صدق اللازم
على ملزومه واما الثالثة فلان اليقين باستحقاقه للطاعة والتسليم مستلزم للتصديق بما جاء به على لسان رسوله
صلى الله عليه وآله من وجوب طاعته فصدق على اليقين بانه تصديق له واما الرابعة فلان التصديق لله فى وجوب
طاعته اقرار بصدق الله واما الخامسة فلان الاقرار والاعتراف بوجوب امر يستلزم اداء المقر المعترف بما اقر
فكان اقراره اداء لازما واما السادسة وهو ان الاداء هو العمل فلان اداء ما اعترف به لله من الطاعة هو نفس العمل
هذا الترتيب الى نتاج ان الاسلام هو العمل لله بمقتضى اوامره وهو تفسير بخاصة من خواصه كما سبق بيانه وقال
عليه السلام عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذى منه هرب ويفوته الغنى الذى اياه طلب فيعيش فى الدنيا عيش الفقراء
ويحاسب فى الاخرة حساب الاغنياء وعجبت للمتكبر الذى كان بالامس نطفة ويكون غدا جيفة وعجبت لمن شك فى الله
وهو يرى خلق الله وعجبت لمن نسى الموت وهو يرى الموتى وعجبت لمن انكر النشأة
الاخرى وهو يرى النشأة الاولى وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء تعجب من اربعة هم محل التعجب و
الغرض التنفير عن رذايلهم الاول البخيل وجعل محل التعجب منه ثلثة امور احدها انه انما بخل خوف الفقر وانه
لو انفق المال لتغير وعدم استغنائه فى الحال صورة فقر حاضر فكان بذلك مستعجلا للفقر الذى هرب منه
الى البخل الثانى انه طالب للغنى بجمعه وبخله ابدا سبب لفقره الحاضر فى غناه والمفوت له ما يقصده
سبب الغنى هو المفوت للغنى الثالث انه يعيش فى الدنيا عيش الفقراء لعدم استغنائه بماله ويحاسب فى الاخرة
حساب الاغنياء لمشاركته اياهم فى جمع المال ومحبته اللذين هما سببا الحساب فكان منهم بهذا الاعتبار
الثانى المتكبر وغايته وهو كونه جيفة فى غاية القذارة فجمعه بين هذين الامرين وبين التكبر من العجب
العجيب الثالث الشاك فى الله وهو يرى خلقه وذلك جمع بين الشك فى وجوده وبين رؤية ظاهر لوجود
مخلوقاته وعجايب مصنوعاته وهو محل العجب الرابع الناسى للموت مع رؤيته لمن يموت وظاهر ان نسيان الموت
مع رؤيته دايما محل التعجب الخامس منكر النشأة الاخرى واعادة الابدان بعد عدمها وظاهر ان انكاره لذلك
مع اعترافه بالنشأة الاولى وهى الوجود الاول للخلق من العدم الصرف محل العجب لان الاخرى اهون
كما قال تعالى وهو اهون عليه السادس عامر الدنيا مع كونها فانية زايلة مع تركه لعمارة الاخرة الباقية التى

ما فيها محل التعجب وغرض التعجب من هؤلاء والاشارة الى وجوهه تنفير الخلق عن الامور المذكورة وقال عليه السلام
من قصر فى العمل ابتلى بالهم ولا حاجة لله فيمن ليس لله فى نفسه ومالد نصيب المقصر فى العمل لله يكون غالبا
اخا الدنيا مشغوفا على الدنيا مفرطا فى طلبها وجمعها وبقدر الشوق عليها يكون شدة الهم فى جمعها وتحصيلها
اولا ثم فى ضبطها والخوف على فواتها ثانيا وفى المشهور خذ من الدنيا ما شئت وخذ من الهم ضعفه فنفر
عن التقصير فى الاعمال البدنية والمالية بقوله ولا حاجة لله الى اخره وكنى بعدم حاجته فيه عن اعراضه عنه
وعدم التفاته اليه بعين الرحمة لعدم استعداده لذلك وقال عليه السلام توقوا البرد فى اوله وتلقوه فى
اخره فانه يفعل فى الابدان كفعله فى الاشجار اوله يحرق واخره يورق امر بتوقيه فى اوله وهو اول الخريف
لان الصيف والخريف يشتركان فى اليبس فاذا ورد البرد ورد على ابدان استعدت بحرارة الصيف ويبسه
للتحلل وتفتح المسام والجفاف فاشتد انفعال البدن عنه واسرع تأثيره فى قهر الحرارة الغريزية فيقوى
بذلك فى البدن قوتا البرد واليبس اللتان هما طبيعة الموت فيكون بذلك يبس الاشجار واحتراق الاوراق
وانتثارها وضمور الابدان وضعفها واما امره بالتلقى فى اخره وهو اخر الشتاء واول زمان الربيع فلان
الشتاء والربيع يشتركان فى الرطوبة ويفترقان بان الشتاء بارد والربيع حار فالمتاخر اذا امتزج بحرارة
الربيع وانكسرت سورته بها لم يكن لشعبه ذلك نكاية فى الابدان فتقوى لذلك الحرارة الغريزية فيها وانعشت
فكان من اعتدالها بالبرد مع الرطوبة استعداد المزاج وهو طبيعة الحيوة وكان نشر النمو وقوة الابدان وبروز
الاوراق والثمار وقوله فانه الى اخره صغرى ضمير نبه به على توقيه وتلقيه وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك
فانه يجب توقيه وتلقيه اخره وقوله اوله يحرق واخره يورق فهو وجه التشبيه وقال عليه السلام عظم الخالق
عندك يصغر المخلوق فى عينك هذا امر وجده العارفون بالله فان من عرف عظمة الله وجلاله ولحظ جميع
المخلوقات بالقياس اليه حتى علم ما لها من ذواتها وهو الامكان والحاجة وعدم استحقاق الوجود الا منه
تعالى علم انها فى جنب عظمته عدم ولا احقر من العدم وشدة صغر المخلوق فى اعتبار العارف بحسب درجة
فى عرفانه وقيل لبعض العارفين فلان زاهد فقال فيماذا قيل فى الدنيا فقال الدنيا لا تزن عند الله
جناح بعوضة فكيف يعتبر الزهد فيها والزهد انما يكون فى شىء والدنيا عندى لا شىء وقال عليه السلام وقد
رجع من صفين فاشرف على القبور بظاهر الكوفة يا اهل الديار الموحشة والمحال المقفرة والقبور المظلمة
يا اهل الغربة يا اهل الوحدة يا اهل الوحشة انتم لنا فرط سابق ونحن لكم تبع لاحق اما الدور فقد
سكنت واما الازواج فقد نكحت واما الاموال فقد قسمت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم التفت
عليه السلام الى اصحابه فقال اما لو اذن لهم فى الكلام لاخبروكم ان خير الزاد التقوى الفرط الذى يتقدم
الواردة فيهيئ لهم الارسان والدلاء وخاطبهم عليه السلام خطاب من يسمع اقامة لحالهم المعهودة مقام الخطاب
الموجوده والديار الموحشة والمحال المقفرة القبور وغرض الفصل ترقيق القلوب القاسية وتنبيه

النفوس الغافلة عن غاية الدنيا ومتاعها لغاية العمل فيها كما ينبغي ولما كان الحق هو ان خير الزاد التقوى
كما نطق به القرآن الكريم وكان ذلك امرا شاهده المتقون في جزائهم ثوابهم والفجار في حرمانهم بعدمه
لاجرم لو اذن لهم في الجواب واعطوا القدرة لكان جوابهم ما عرفوا من الحق وقال عليه السلام وقد سمع رجلا يذم
الدنيا ايها الذام للدنيا المغتر بغرورها المنخدع باباطيلها متى غرتك ابمصارع آبائك من البلى ام بمضاجع
امهاتك تحت الثرى كم عللت بكفيك وكم مرضت بيديك تبغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء غداة لا
يغني عنهم دواؤك ولا ينفعه بكاؤك لم ينفع احدهم اشفاقك ولم تسعف فيه بطلبتك ولم تدفع عنه بقوتك
وقد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم
عنها ودار غنى لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها مسجد احباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط وحي الله و
متجر اولياء الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت
نفسها واهلها فمثلت لهم ببلائها البلاء وشوقتهم بسرورها الى السرور وراحت بعافية وابتكرت بفجيعة
ترهيبا وترغيبا وتخويفا وتحذيرا فذمها رجال غداة الندامة وحمدها آخرون يوم القيمة ذكرتهم الدنيا فذكروا
وصدقتهم فصدقوا ووعظتهم فاتعظوا اقول الجرم المدعى جرمية واستهوتك طلبت هواك اليها وهواك
فيها ومثلت صورت وقوله ايها الذام الى قوله غرتك توبيخ له على الاغترار بها وذمها مع ذلك وكذب دعواه
انها ذات الجرمية عليه باستهوائها عن وقت استهوائها له استفهام منكر لذلك وموبخ عليه ثم اكد ذلك
باستفهام ان ذلك الغرور لمنها باي شيء كان من مصارع الآباء ام مضاجع الامهات وذلك على وجه الاستهزاء
منه والتنبيه له على ما يوجب النفرة منها وعدم الاغترار بها من سوء صنيعها باهلها حتى كانها قاصدة لذلك
التنبيه والتشنيع عنها وقوله كم عللت الى قوله مصرعك صغرى ضمير دل به على ما ادعاه لها من كونها منبهة
من الغفلة وليس قصدها الغرور وتقديرها وقد صورت لك الدنيا نفسك بمن كثرت تعليله وتمريضه
من اهلك طالبا له الشفاء ومستوصفا له الاطباء فلم ينفعه ذلك منك ومثلت بمصرعه مصرعك وتقدير
الكبرى وكل من مثل لك ذلك وصوره لك فليس من اهل التلبيس عليك والغرور لك بل من نصحائك ومنبهيك
من غفلتك ثم لما نفى عنها الذم اخذ في مدحها وذكر لها اوصافا فاثبت احدها انها دار صدق لمن صدقها
اي فيما اخبر به بلسان حالها من فنائها وزوالها وتصديقه لها اعترافه بذلك منها والعمل الثاني ودار
عافية لمن فهم عنها ما اخبرت به من عطائها حتى احترز من آفاتها وعوفي من عذاب الله بها الثالث ودار غنى
لمن تزود فيها التقوى زاد المسافر الى الله وظاهر ان المتقي وثمرتها في الآخرة اعظم غنى للمتقين الرابع
ودار موعظة لمن اعتبرها فعلم وضعها وغايتها الخامس كونها مسجد احباء الله من رسله واوليائه السادس
كونها مصلى ملائكة الله الارضية الذين سجدوا لآدم عليه السلام السابع كونها مهبط وحي الله الثامن كونها
متجر اولياء الله الذين اكتسبوا بعبادتهم فيها رحمته وربحوا جنته ثم استفهم بعد هذه المدائح عمن يذمها منكرا

عليه وبينها الاحوال الاخرى لها بيانا في ذمها اي فمن ذا يذمها ولها الصفات المذكورة وهي على هذه الاحوال
وذكر منها احدها كونها آذنت اهلها واعلمتهم بفراقها والوانه قوله وقد الحال الثاني ونادت بفراقها
الثالث ونعت نفسها كل ذلك بلسان حالها من التغير والانتقال المؤذن بالزوال الرابع كونها مثلت
لهم ببلائها البلاء في الآخرة الخامس وشوقتهم بسرورها الى السرور في الجنة وانما كان كذلك لان كل
ما في هذا العالم فهو صورة ومثال لما في عالم الغيب ونسخة منه يعتبر به ويقاس اليه ولولا ذلك لانسد
طريق الترقي الى الحضرة الالهية وتعذر الوقوف على شيء من اسرارها فالكون الى الله لما شاهدوا
بلاء الآخرة من بلاء الدنيا عملوا للخلاص منه وشاهدوا سرورها من سرور الدنيا وعلموا ان بينهما فرقا
عظيما وان الاشرف لا يحصل الا برفض الاخس فاقتضى ذلك عمل الصالحة بيع سرور الفاني بالباقي
السادس رواحها بعافية وابتكارها بفجيعة وهو كناية عن سرعة انتقال احوالها وتبدل اطوارها من خير
الى شر ومن صحة الى سقم ولسب هذه الافعال الاختيارية حمل لها منها غايات وهي ترغيب الناس
الى الله وترهيبهم منها ثم اشار الى سبب ذمها من ذمها وهو ندامة المفرطين في اتخاذ زاد التقوى الى الآخرة
منها فنسبوا ذلك التفريط الى غرورها لهم وهو باطل كما بيناه ثم الى سبب مدحها من مدحها وهو ثلثة
احدها تذكرها لهم بزوالها ان وراءها غاية باقية يجب العمل لها فذكروا اما ذكرتهم وعملوا الثاني
حدثتهم لهم بذلك حتى صدقوا الثالث وعظها لهم بغيرها حتى اتعظوا وقال عليه السلام ان لله ملكا ينادي
في كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب واجمعوا للفناء ذلك النداء على وفق ما علم من القضاء الالهي في
طبيعة الدنيا وغاياتها والامور الثلثة وهو الموت والفناء والخراب غايات طبيعية واللام فيها هي
المسماة بلام العاقبة وقال ع الدنيا دار ممر لا دار مقر والناس فيها رجلان رجل باع نفسه فاوبقها
ورجل ابتاع نفسه فاعتقها اوبقها اهلكها وكون الدنيا دار ممر باعتبار انها طريق الى الآخرة التي
هي دار المقر واستعار لفظ البيع لبايع نفسه باعتبار تسليمها الى الهلاك الاخروي واعتياضه
عنها ما اصابه من اللذة الدنيوية وكذلك لفظ الابتياع لمشتري نفسه باعتبار انقاذها من ذلك
الهلاك ببذل ما قدر عليه من خاص اللذات والاعراض عنه وحصر المكلفين في الرجلين المذكورين
ظاهر وقال ع لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ اخاه في ثلث في نكبته وغيبته ووفاته جعل
الصديق الصدق خاصة يعرف بها وهو ان يحفظ صديقه في الامور الثلثة وحفظه بالقيام مقامه
فيما ينبغي فعله في صلاح حاله بقدر الامكان وقال ع من اعطى اربعا لم يحرم اربعا من اعطى الدعاء
لم يحرم الاجابة ومن اعطى التوبة لم يحرم القبول ومن اعطى الاستغفار لم يحرم المغفرة ومن اعطى الشكر لم يحرم
الزيادة وتصديق ذلك في كتاب الله سبحانه قال تعالى في الدعاء ادعوني استجب لكم وقال في الاستغفار ومن
يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال في الشكر لئن شكرتم لازيدنكم وقال

في التوبة انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم
وكان الله عليما حكيما اقول الامور الاربعة الاولى اذا كانت باخلاص كان كل منها سببا في اعداد النفس
لقبول صورة الرحمة الالهية من واجبها فالدعاء للاجابة والتوبة لقبولها واسقاط ثمرة المعصية والاستغفار
للمغفرة والشكر للزيادة والشواهد الالهية ناطقة بذلك على وفق مقتضى العمل وقال ع الصلوة
قربان كل تقي والحج جهاد كل ضعيف ولكل شيء زكوة وزكوة البدن الصيام وجهاد المرأة حسن التبعل التبعل
معاشرة البعل وصحبته والكلام اشارة الى بعض اسرار هذه العبادات فمن اسرار الصلوة كونها قربانا
الى الله تعالى وقد علمت انها اعظم ما يتقرب اليه المتقون به من العبادات ومن اسرار الحج كونه جهادا في
سبيل الله لما فيه من مشقة السفر ومجاهدة الطبيعة ومقاومة النفس الامارة بالسوء مع قوتها لشبهه
عدم الاطلاع على اسرار الحج وفائدته مع ما في كيفيته من الافعال التي يعجب منها الجاهلون واتخص
الضعيف بذلك حثا له اليه ولان القوي جهاده هو المشهور ومن اسرار الصوم كونه زكوة للبدن لما
فيه من تنقيص قوته وكسر شهوته لغاية طاعة الله والثواب الاخروي كما ان الزكوة تنقيص في المال لغاية
لزيادة الثواب في الآخرة ومن اسرار التبعل حسن معاشرة البعل وطاعته في طاعة الله وفي ذلك كسر
النفس الامارة للمرأة وانقيادها في صراط الله وقال عليه السلام استنزلوا الرزق بالصدقة وفي الكلمة
فايدتان احديهما الترغيب في الصدقة بذكر كونها سببا لاستنزال الرزق وقد مر ان الصدقة باب عظيم
لذلك معد لحصوله ومن وجوه اعدادها كونها نفعا متعديا يستلزم تألف قلوب اهل الله والصالحين
من عباده واجتماع هممهم على دعاء الله لصلاح حال المتصدق الثانية التنبيه على اقوى الاسباب الباعثة
عليها وعلى البذل وهو الثقة بالله واليقين بالخلف منه كما نطق به وعده تعالى ان تقرضوا الله قرضا
حسنا يضاعفه لكم الآية وقال عليه السلام تنزل المعونة على قدر المؤنة المؤنة التعب والشدة وهي مفعلة
من الاين والمراد الشدة والثقل بالعيال ونحوهم معد لاستنزال معونة الله برزقهم وقوته على
القيام باحوالهم ودفع المؤنة من جهتهم وقال عليه السلام ما عال امرؤ اقتصد العيلة الفقر والاقتصاد
الانفاق بقدر الحاجة المتعارفة وذلك معد لعدم الحاجة لان قدر الحاجة من المال امر قد تكفل
الله بادراره مدة البقاء وهو ما لا بد للمقتصد منه وقال عليه السلام قلة العيال احد اليسارين والتودد
نصف العقل والهم نصف الهرم اما الاول فلان الغنى المتعارف يكون بحصول المال وللمال اعتباران
احدهما حصوله والثاني عدم انفاقه فحصوله يسار وعدم انفاقه على العيال لقلتهم يسار ثان و
اطلق اليسار على قلة العيال مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب واما الثاني فلان العقل
العملي ولفظه مجاز في تصرفاته اطلاقا لاسم السبب على المسبب ومن جملة تصرفاته في التدبير التودد
الى الخلق ولما كان الانسان محتاجا في الاصلاح معاشه الى غيره وكانت معاملته لهم في ذلك اما على

وجه التودد وما يلزمه من جميل المعاشرة وحسن الصحبة والمسامحة والترغيب واما على وجه القهر والغلبة
والترهيب لاجرم كان التودد وما يلزمه نصف العقل اي نصف تصرفه في تدبير امر معاشه واما الثالث
فلان الهرم اما طبيعي واما بسبب من خارج وهو الهم والحزن والخوف المستلزم له فهو اذن قسيم للسبب
الطبيعي وقسم من اسباب الهرم كالنصف له فاستعار له لفظ النصف واراد والهم نصف سبب الهرم وقال
عليه السلام ينزل الصبر على قدر المصيبة ومن ضرب يده على فخذه عند مصيبته حبط اجره ان الله سبحانه جعل
للانسان قوة استعداد لان يصبر بقدر مصيبته فمن تم استعداده افيض عليه ذلك المقدار من الصبر ومن
نقص في الاستعداد لحصول هذه الفضيلة وارتكب ضدها وهو الجزع حبط اجره وهو ثوابه على الصبر وكنى
عن الجزع بما يلزمه في العادة من ضرب اليدين على الفخذين وقيل بل يحبط ثواب السابق لان شدة الجزع يستلزم
كراهية قضاء الله وسخطه وعدم الالتفات الى ما وعد به من ثواب الصابرين وهو معد لمحو الحسنات
من لوح النفس وسقوط ما يلزمها من ثواب الآخرة وقال عليه السلام كم من صائم ليس له من صيامه الا
الجوع والعطش وكم من قائم ليس له من قيامه الا السهر والعناء حبذا نوم الاكياس وافطارهم اراد
بذلك من اخل بشرط من شرائط صيامه وقيامه ولم يات على وجه الاجزاء واعظم شرط لهما توجههما الى المعبود
الحق عز سلطانه وكثرة خلل العبادة وفسادها من كثير من الخلق انما يكون للجهل بهذا الشرط وكنى بالقيام
عن الصلوة وانما مدح نوم الاكياس لان الكيس هو الذي يستعمل ذكاءه وفطنته في طرق الخير
وعلى الوجه المرضي للشارع ويضع كل شيء موضعه ومن كان كذلك كان نومه وافطاره وجميع تصرفاته
في عباداته موضعه موضعها من رضاء الله ومحبته وقال عليه السلام سوسوا ايمانكم بالصدقة وحصنوا
اموالكم بالزكوة وادفعوا امواج البلاء بالدعاء سوسوا اي ملكوا وذلك ان الصدقة من الايمان الثابت
ملكة وحفظه لا يكون بدونها واما تحصين المال بالزكوة فلان منعها انما يكون عن البخل وشدة
الحرص وذلك باعث لمستحقها على ذمه وداع للخلق الى التشنيع اذاه فكان مانعها متعرضا بذلك
لتلف ماله وباداتها محصنا له واستعار لفظ الامواج للحوادث المتواترة وقد مر ان الدعاء باخلاص
مما يعد النفس للاجابة بالمطلوب وغرضه الحث على الصدقة والزكوة والدعاء وقال ع لكميل
ابن زياد النخعي رحمه الله قال كميل اخذ بيدي امير المؤمنين عليه السلام فاخرجني الى الجبان فلما اصحر تنفس
الصعداء ثم قال يا كميل ان هذه القلوب اوعية فخيرها اوعاها احفظ عني ما اقول لك الناس ثلثة
عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم
ولم يلجؤا الى ركن وثيق يا كميل العلم خير من المال لان العلم يحرسك وانت تحرس المال والمال تنقصه
النفقة والعلم يزكوا على الانفاق وصنيع المال يزول بزواله يا كميل معرفة العلم دين يدان به يكسب
الانسان الطاعة في حيوته وجميل الاحدوثة بعد وفاته فالعلم حاكم والمال محكوم عليه يا كميل بن زياد

هلك خزان الاموال وهم احياء والعلماء باقون على ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب
موجودة ها ان ههنا لعلما جما واشار عليه السلام الى صدره لو اصبت له حملة بلى اصيب لقنا غير مامون عليه
مستعملا آلة الدين للدنيا مستظهرا بنعم الله على عباده وبحججه على اوليائه او منقادا لحملة الحق لا بصيرة
له في احنائه ينقدح الشك في قلبه لاول عارض من شبهة الا لا ذا ولا ذاك او منهوما باللذة سلس القياد
للشهوة او مغرما بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين في شيء اقرب شيء شبها بهما الانعام السائمة كذلك
يموت العلم بموت حامليه اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهرا مشهورا او خائفا مغمورا
لئلا يبطل حجج الله وبيناته وكم ذا واين اولئك اولئك والله الاقلون عددا والاعظمون قدرا بهم يحفظ الله
حججه وبيناته حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة
وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا
بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه آه آه شوقا الى رؤيتهم انصرف اذا شئت اقول الجبان الفقراء والسفلاء
نوع من الشعر بصيد المتلهف والحزين والهمج ذباب صغير كالبعوض والرعاع الاحداث والعوام
واللقن سريع الفهم والاحناء الجوانب والمنهوم باللذة الشره فيها الحريص عليها والمغرم بالجمع شديد
المحبة له وهجم دخل بغتة وفي الفصل نكت احدها انه اعدها وبنبه للفهم عنه بقوله ان هذه القلوب
الى قوله الثانية قسم الناس الى ثلثة اصناف ووجه القسمة ان الناس اما عالم او ليس والثاني اما
طالب للعلم او ليس ثم قيد كلا من الاقسام الثلثة بسمة او صفات فالاول العالم ووصفه بالرباني
نسبة الى الرب تعالى على غير قياس اي العالم علم ربوبيته وهو العارف بالله تعالى وزيدت الالف والنون
للمبالغة في النسبة قال الله تعالى كونوا ربانيين وقيل سموا بذلك لانهم يربون المتعلمين بصغار العلم
قبل كبارها وقيل لانهم يربون العلم اي يقومون باصلاحه الثاني المتعلم ووصفه بكونه على سبيل
ليصل اليها بالعلم الذي هو غاية المطلوبة الثالث العوام ووصفهم باوصاف احدها استعار لهم
لفظ الهمج باعتبار حقارتهم الثاني وصفهم بالعامية والحداثة لكونهما مظنتي الجهل الثالث كونهم اتباع
كل ناعق ملاحظة لشبههم بالغنم في الغفلة والغباوة الرابع كنى بكونهم يميلون مع كل ريح عن ضعفهم عن
التماسك في مذهب واحد والثبات عليه الخامس كونهم لم يستضيئوا بنور العلم وهو كونهم على ظلمة الجهل
السادس ولم يلجئوا الى ركن وثيق واستعار الركن الوثيق للاعتقادات الحقة البرهانية التي يعتمد
عليها في دفع مكاره الاخرة الثالثة في مدح العلم وتفضيله على المال من وجوه احدها ان العلم يحرس
صاحبه من مكاره الدنيا والاخرة والمال يحرسه صاحبه والفرق بين ما يكون حارسا لصاحبه وبين ما
يحتاج صاحبه الى حراسته في الفضيلة والنفع ظاهر الثاني ان العلم يزكوا ويزيد باخراجه وافادته لطالبه

لتذكر العالم بتعليمه ومذاكرته لما غفل عنه واستنباطه ما لم يكن عنده والمال تنقصه النفقة والاخراج
منه الثالث ان صنيع المال وهو الاحسان بالعلم باق ببقائه وصنيع فعيل بمعنى مفعول الرابع كون معرفة
العلم اي تحصيله دينا يدان به وقد علمت كونه الاصل في الدين الخامس كونه يكسب الانسان طاعة الخلق
له في حيوته وجميل الاحدوثة بعد وفاته وهما من فضائله الخارجية السادس كونه حاكما على المال محكوما
عليه اي ان تصريفه في جمعه وانفاقه انما يكون على وفق العلم بوجوه تحصيله ومصارفه السابع
من فضيلته على المال كون خزان المال هالكين في الاخرة محكوم عليهم بذلك في الدنيا وان صدق
عليهم انهم احياء كما قال تعالى الذين يكنزون الذهب والفضة الاية واما العلماء فباقون ابدا وان
فقدت اعيانهم من الدنيا فصورهم في القلوب مشاهدة موجودة الرابعة اشار بعد تقرير كمال هذه
الفضيلة الى ان في صدره منها شيئا كثيرا وانما يمنعه عن اظهاره عدم وجدان من يحمله عنه وها للتنبيه
وجواب لو محذوف تقديره لاظهرته الخامسة استثنى من حملته ونبه على عدم صلاحيتهم لحمل ما عنده من العلم
واشار الى اربعة اصناف منهم ووجه القسمة ان غير اهل العلم من الناس اما طالبون له او غير طالبين و
الطالبون اما قادرون على القيام بالحجة او غير قادرين وغير الطالبين له هم المشغولون بغيره
عنه فاشتغالهم اما بالانهماك في لذاتهم وسهولة الانقياد لشهواتهم واما بمحبة جمع المال وادخاره
فالاول هو الخبيث الموصوف برذيلة الجربزة واشار اليه بقوله بلى اصيب لقنا الى قوله اوليائه واشار
الى وجوه عدم صلاحيته لحمله احدها كونه غير مامون عليه اي هو مظنة ان يذيعه الى غير اهله ويضعه
في غير مواضعه والضمير في قوله عليه للعلم الثاني كونه مستعملا لالة الدين وهو العلم في الدنيا واستعماله
فيها كالتكسب به ومستظهرا بنعم الله وهي العلم على عباده كالفخر عليهم ومغالبتهم واستعمال حجج الله وما
علمه منها في مغالبة اوليائه وتلبيس الحق بالباطل واما الثاني ممن لا يصلح لحمله فهو المقلد واشار اليه
بقوله ومنقادا الى قوله شبهه ومنقادا عطف على لقنا واراد بالانقياد للحق الايمان به وتسليمه على
سبيل الجملة واشار الى كونه غير صالح لحمله من وجهين احدهما كونه لا بصيرة له في جوانب العلم وتفاصيله
الثاني كونه ينقدح الشك في قلبه لاول عارض من شبهة وذلك لعدم العلم وثباته في نفسه بالبرهان
والحجة الواضحة وقوله الا لا ذا ولا ذاك اي من حملة العلم الثالث هو المشار اليه بقوله او منهوما الى قوله
للشهوة والرابع هو المشار اليه بقوله او مغرما بالادخار واتبعهما في معرض الذم لهما اقرب شبها بهما
الانعام السائمة باعتبار غفلتهما عن الدين وثمرته في الاخرة وقوله كذلك اي بتقارب تلك الاحوال من
عدم من يصلح لحمل العلم ووجدان من لا يصلح له يموت العلم بموت حامليه لان التشبيه يفيد مقاربة
الاحوال وعنى بحامله نفسه ومن عساه يكون من اهله يومئذ ثم استدرك بقوله اللهم بلى عدم خلو الارض
من قائم لله بحجة اما ظاهرا او مستترا مغمورا في الناس واراد بالظاهر من عساه يتمكن من اظهار العلم

والعمل به من اولياء الله وخلفائه اوليائه في موضع من الارض وبالخائف المغمور الى من لم يتمكن من ذلك قال
الشيعة هذا تصريح منه عليه السلام بوجوب الامامة بين الناس كالذين سبقوا الى الاحسان ووصلوا الى
المحل الاعلى من ولده الاحد عشر واما ان يكون خائفا مستورا لكثرة اعدائه وقلة المخلص من اوليائه كالحجة
المنتظر لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقوله وكم ذا استبطاء المدة غيبة صاحب الامر وتبرم من
دولة اعدائه وقوله اين هم استقلال لعدد ائمة الدين ولذلك بينه بقوله اولئك والله الاقلون عددا وذكر
في معرض مدحهم اوصافا احدها الاقلون عددا الاعظمون قدرا عند الله الثاني انهم يحفظ بحججه وبيناته
المشتمل عليها دينه حتى يودعوها امثالهم ويزرعوها في قلوب اشباههم بعدهم الثالث كونهم هجم بهم العلم على
حقيقة البصيرة اي فاجأهم ودخل على عقولهم دفعة لان علومهم لدنية حدسية وقيل ذلك على المقلوب اي
هجمت بهم عقولهم على حقيقة العلم الرابع وباشروا روح اليقين اي وجدوا لذته الخامس استلانوا ما استوعره
المترفون من الامور الشاقة كخشونة المطعم وخشونة المضجع والملبس ومصابرة الصيام والسهر وذلك لحبهم ما
وجدوه من لذة اليقين وحلاوة العرفان هين لين عندهم السادس انسوا بما استوحش منه الجاهلون وهو
الاحوال التي الفوها مما ذكرنا فان الجاهل لجهله بثمرتها يستغربها ويستوحش من اهلها السابع وصحبوا
الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى عاشقة لما شاهدته من جمال الحضرة الربوبية وصحبة الملاء
الاعلى من الملائكة ولما ميزهم بالاوصاف المذكورة اشار في معرض مدحهم ايضا الى ان هؤلاء لما اشتملوا
عليه من هذه الاوصاف هم خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه ثم تاوه شوقا الى رؤيتهم والكلمة
توجع اصلها اوه والفصل من افصح ما نقل عنه عليه السلام وقال عليه السلام المرء مخبوء تحت لسانه اي حاله
مستورة في عدم نطقه بحدق المضاف للعلم به وتحت لسانه كناية عن سكوته وذلك ان مقداره بمقدار عقله
ومقدار عقله يعرف من مقدار كلامه لدلالته عليه فاذا تكلم بكلام الحكماء ظهر كونه حكيما او بكلام السفهاء
عرف كونه منهم وما بين المرتبتين بالنسبة وقال عليه السلام هلك امرء لم يعرف قدره قد علمت ان قدر الانسان هو
مقداره في نفس الامر ومنزلته من الفضيلة وعدمها ومن لم يعرف منزلته وشك ان يتجاوزها فيهلك
من لم يعرف محله من العلم او شك ان يرفع به فوق محله ويفتي بما لا يعرف لاعتقاده كما له فيقع في الهلاك
الاخروي وربما تبعه هلاك دنياه ولزمه من تجاوزه تلقب السنة الناس وايديهم به وهلاكه بذلك وقال
عليه السلام لرجل سأله ان يعظه لا تكن ممن يرجو الاخرة بغير عمل ويرجى التوبة بطول الامل يقول في الدنيا
بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين ان اعطي منها لم يشبع وان منع منها لم يقنع يعجز عن شكر ما اوتي
ويبتغي الزيادة فيما بقي ينهى ولا ينتهي ويامر بما لا ياتي يحب الصالحين ولا يعمل عملهم ويبغض المذنبين وهو
احدهم يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت له ان سقم ظل نادما وان صح امن لاهيا يعجب بنفسه
اذا عوفي ويقنط اذا ابتلي ان اصابه بلاء دعا مضطرا وان ناله رخاء اعرض مغترا تغلبه نفسه على ما ولا

يغلبها على ما يستيقن يخاف على غيره بادنى من ذنبه ويرجو لنفسه باكثر من عمله ان استغنى بطر وفتن وان
افتقر قنط ووهن يقصر اذا عمل ويبالغ اذا سال ان عرضت له شهوة اسلف المعصية وسوف التوبة وان
عرته محنة انفرج عن شرائط الملة يصف العبرة ولا يعتبر ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ فهو بالقول مدل
ومن العمل مقل ينافس فيما يفنى ويسامح فيما يبقى يرى الغنم مغرما والغرم مغنما يخشى الموت ولا يبادر الفوت
يستعظم من معصية غيره ما يستقل اكثر منه من نفسه ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره فهو على
الناس طاعن ولنفسه مداهن اللهو مع الاغنياء احب اليه من الذكر مع الفقراء يحكم على غيره لنفسه ولا
يحكم عليها لغيره يرشد غيره ويغوي نفسه فهو يطاع ويعصي ويستوفي ولا يوفي ويخشى الخلق في غير ربه
ولا يخشى ربه في خلقه قال السيد رحمه الله لو لم يكن في هذا الكتاب الا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة
وحكمة بالغة وبصيرة لمبصر وعبرة لناظر متفكر اقول يرجيها يوخرها ويروى يزجيها بالزاي المعجمة اي يدفعها
والقنوط الياس وعرته عرضت له ومدل اي واثق وحاصل الفصل نهي طالب الموعظة عن اربع وثلثين رذيلة
احدها رجاء الاخرة وثوابها بغير عمل فان ذلك تمن على الله وقد علمت ان التمني بضائع النوكى الثانية ترجية
التوبة وارجاؤها بطول الامل فان ذلك يستلزم البقاء على المعصية والعذاب بها في الاخرة الثالثة
ان يجمع بين قول الزاهدين في الدنيا وعمل الراغبين فيها وهو خداع لله وعمل فيها عمل الراغبين يستلزم ان
يصيبه ما اصابهم من عذاب الاخرة بها الرابعة ان لا يشبع مما يعطي منها وذلك رذيلة الشره والحرص الخامسة
ان لا يقنع ان منع وذلك رذيلة التفريط من فضيلة القناعة السادسة ان يجمع بين العجز عن شكر ما اوتي
من نعمة الله وبين طلب الزيادة من فواضلها وهو جمع بين رذيلة التفريط من فضيلة الشكر وبين رذيلة
الحرص السابعة ان يجمع بين نهيه عن المعاصي وعدم تناهيه عنها وهو نفاق وخداع لله الثامنة ان يامر بما
يقصر عن فعله وهو كالذي قبله التاسعة ان يحب الصالحين ويقصر عن عملهم ويقصره كالنقض على محبته
لهم العاشرة ان يبغض المذنبين وهو احدهم فيكون فعله كالنقض على بغضه لهم الحادية عشرة ان يكره
الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت له من كثرة الذنوب فاقامته على ذنوبه كالنقض على كراهيته
للموت لاجلها مع ما يلزمها من العذاب الاخروي الثانية عشرة ان يجمع بين ندمه حال سقمه على تفريطه
في جنب الله وبين لهوه في لذته حال امنه وهو ايضا كالمناقض الثالثة عشرة ان يعجب بنفسه حين عافيته
فان العجب من المهلكات الرابعة عشرة ان يقنط اذا ما ابتلاه ربه وييأس من رحمته وذلك كما قال تعالى
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون الخامسة عشرة ان يجمع بين دعائه الله باضطرار اليه عند نزول
البلاء به وبين الاعراض عنه والاغترار بالدنيا عند اصابته للرخاء فان الاول رذيلة افراط والثاني
رذيلة تفريط السادسة عشرة ان يجمع بين الانقهار لنفسه والانقياد لها الى ما يظنه فائدة من الامور
الدنيوية وبين عدم قهرها وغلبها الى ما يستيقنه من ثواب الاخرة وعذابها فلا يلزمها العمل له كما

ذلك عند العقل سفه وجنون الثالث عشر ان يجمع بين الخوف على غيره من ذنوب هي اقل من ذنوبه وبين
الرجاء لنفسه ثوابا اكثر مما يستحق على عمله فان الحق من ذلك ان يخاف على غيره لاكثرية ذنوبه ويعمل لذلك
الخوف الثامن عشر ان سيط ويفتتن ان اصابه غنى فان ذلك بحور التاسع عشر ان يقنط ويضعف ان نابه
وهو رذيلة تقصير وتفريط العشرون ان يفضح العمل الحادية والعشرون ان يبالغ اذا سئل وهو رذيلة الا
في السؤال الثانية والعشرون ان يقدم المعصية ان عرضت شهوته ويوخر التوبة منها الثالثة والعشرون
ان يخرج عن شرايط الملة عند نزول المحنة اي يخرج عن فضيلة الصبر على المصيبة الذي هو شرط الملة
ويتركها الرابعة والعشرون ان يجمع بين وصف العبرة وبين عدم الاعتبار الخامسة والعشرون ويبالغ
في الموعظة حال ما لا يتعظ فان ذلك يدخل في مقت الله تعالى لقوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا
تفعلون السادسة والعشرون ان يجمع بين المنافسة فيما يفنى وهو الدنيا والمسامحة فيما يبقى وهو ثواب
الاخرة وهو جهل وسفه ظاهر السابعة والعشرون ان يرى الغنم مغرما كالانفاق في سبيل الله والغرم
مغنما كالانفاق في معصية وهو عكس مقتضى العقل الثامنة والعشرون ان يجمع بين خشية الموت وعدم
مبادرته بالاعمال الصالحة المستلزمة للخلاص من اهواله وما بعده التاسعة والعشرون ان يستعظم
من معصية غيره ما يستقل اكثر منه من نفسه وكذلك يستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره ويلزم
من ذلك ان يكون طاعنا على الناس افعالهم ومداهنا لنفسه في فعلها الثلثون ان يكون اللهو
مع الاغنياء احب اليه من ذكر الله مع الفقراء وذلك لفرط محبة الدنيا الحادية والثلثون ان يحكم لنفسه
على غيره فيما يشتهيه وان كان باطلا ولا يحكم عليها لغيره في حق وهو ظلم الثانية والثلثون ان يجمع بين
ارشاد غيره بالهادي من القول وبين اغواء نفسه بفعله اي يعمل عمل الغاوين ويلزم ذلك ان يطيع غيره
وهو يعصي الله الثالثة والثلثون ان يستوفي ما له على غيره ولا يوفي ما عليه من حق الله او حق خلقه الرابعة
والثلثون ان يجمع بين خشية الخلق في غير الله اي في امر ليس لله وبين عدم خشية الله في خلقه ويلزم الاول
ان يرضيهم بما يسخط الله ويلزم الثاني ان يسخط الله بما يسخط خلقه واكثر هذه مشتملة من علم الفصاحة
على التقابل والتضاد ورد العجز على الصدر وقال عم لكل امرئ عاقبة حلوة او مرة واشار الى
غايته من حركاته الخيرية والشرية فغاية الخيرية الجنة ولذاتها وهي العاقبة الحلوة وغاية الشرية
النار وعذابها وهي العاقبة المرة واستعار لفظي الحلوة والمرة للذيذ والمكروه وقال عم لكل مقبل
ادبار وما ادبر كان لم يكن واراد المقبل من لذات الدنيا في معرض التزهيد والمقبل من شدايدها في
معرض تهوينها وتسهيلها وكان من اخوات ان مخففة واسمها محذوف وقال عم لا يعدم الصبور
الظفر وان طال به الزمان فالصبور كثير الصبر ورغب فيه بما يلزمه من الظفر وان تاخر وذلك عند
كمال استعداد الصبور بالصبر وقوته وقال عم الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم وعلى كل داخل

في باطل اثمان اثم العمل به واثم الرضا به ووجه التشبيه اشتراكهم في الرضا به المستلزم للميل اليه ومتابعته
لطبعه ونفرعن الدخول في الباطل عامليه من الاثمين اما اثم العمل فظاهر واما اثم الرضا فلان الرضا
بالباطل يستلزم محبته وهي رذيلة واثم وقال عليه السلام اعتصموا بالذمم في اوتادها فالذمم العهود
والعقود والايمان واستعار لفظ الاوتاد لشرايط العهود واسباب احكامها كانها اوتادها فحافظه
لها واراد اعتصموا من سخط الله وعذابه بحفظ الذمم في اوتادها فكان العصمة منه يكون في اسباب حفظها
وفي متعلق باعتصموا وروي استعصموا وقال عم عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته يريد الله
تعالى وقيل هو ايجاب لطاعة من يجب طاعته من ائمة الحق الذين يجب العلم بحقية امامتهم ولا يعذر الناس
في الجهل بهم لتعلم قوانين الدين واحكامه منهم وقال عم قد بصرتم ان ابصرتم وهديتم ان اهتديتم
واسمعتم ان سمعتم اي قد بصرتم سبيل الرشاد وهديتم اليها واسمعتم الدلالة عليها ان كان لكم استعداد
ان تبصروها وتسمعوا وتهتدوا اليها وقد مر مثله وقال عم عاتب اخاك بالاحسان اليه واردد شره
بالانعام عليه اي اجعل مكان عتابه بالقول والفعل الاحسان اليه والانعام في حقه فانهما انفع في
عطف جانبه اليك ودفع شره عنك والعتاب مستعار للاحسان لاستلزامها رجوع المعاتب وقال عم
من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من اساء به الظن لانه هو السبب في اساءة الظن بنفسه ولا لوم
على من اساء به الظن لان ظنه ذلك مستند الى امارة من شانها توليد الظن وقال عم ثلث كلما
اعيدهما من ملك استاثر اي استبد واراد ان الملوك من شانهم الاستبداد بالامور المرغوب فيها
والانفراد وذلك لتسلطهم وعدم المنازع لعوام الامارة بالسوء فيهم وهي كالمثل يضرب لمن غلب على
امر فاختص به وسمه غيره التانية ومن استبد برايه هلك لان انفراد الانسان برايه وعدم قبوله
للنصيحة والاستشارة في الحرب ونحوها مظنة الخطاء فيه المستلزم للهلاك فكانه قال من استبد برايه فهو
في مظنة الهلاك فاقام الهلاك مقام مظنته مجازا اطلاقا لما بالفعل على ما بالقوة الثالثة ومن شاور
الرجال شاركها في عقولها وذلك انه يستنتج منها الراي الاصلح ليعمل به فكان عقول الرجال باسرها
حاصلة له لانتفاعه بثمرتها وهو ترغيب في الاستشارة وقال عم من كتم سره كانت الخيرة بيده وهو
ترغيب في كتمان السر اي كان مختارا في اذاعته وكتمانه بخلاف من اذاع سره فانه لا يتمكن بعد ذلك من كتمانه
وقال عم الفقر الموت بوصفه الاكبر اما كونه موتا فلانقطاع الفقير من شهواته ومطلوباته التي هي
مادة الحيوة وتالمه لفقدها واما انه اكبر فلتعاقب الالم على الفقير مدة حيوته واما الم الموت ففي
واحد وهو مبالغة في شدته وقال عم من قضى حق من لا يقضي حقه فهو عبده اراد قضاء الحق
بين الاخوان وانما كان كذلك لان قضاء العبد حق من لا يقضي حقه لا يكون لوصول نفع منه ولا
دفع مضرة منه بل يكون عملا له لانه هوى وخوفا منه او طمعا فيه وذلك صورة عبادة وقال عم لا طاعة

لمخلوق في معصية الخالق وذلك كالوضوء بالماء المغصوب والصلوة في الدار المغصوبة ويحمل النهي هنا
على نفي جواز الطاعة كما هو المنقول عنه وعن اهل بيته عليهم السلام وعند الشافعي قد يصح الطاعة وان
لم تقبلها وقال عم لا يعاب المرء بتأخير حقه انما يعاب باخذ ما ليس له اخذ الحق قد يكون واجبا
لمن هو له وقد يكون مندوبا واقله ان يكون مباحا ولا حرج في امر المباح واما اخذ ما ليس له فظلم
وهو من اقبح الرذايل التي يعاب بها المرء وقال عم الاعجاب يمنع من الازدياد اعجاب المرء بفضيلته
الداخلة كعلمه او الخارجة كغناه وقنيته انما يكون عن تصوره كماله فيها واعتقاده انه قد بلغ منها الغاية
والاعتقاد يمنعه عن طلب الزيادة منها وقال عم الامر قريب والاصطحاب قليل اراد امر الله وهو
الموت والاصطحاب في الدنيا وقال عم قد اضاء الصبح لذي عينين هو تمثيل واستعار لفظ الصبح
لسبيل الله ووصف الضياء لوضوحها وظهورها بوصف الشارع ودلالته عليها ويحتمل ان يكون ذلك
تمام وصف سبق منه للحق كان سائلا سأله عن امر فشرحه له مرة او مرارا وهو يسترزيد فقال له هذا القول
اي فقد وضح لك الحق ان كنت تبصر وقال عم ترك الذنب اهون من طلب التوبة اذا الترك لا
كلفة فيه لكونه عدما وطلب التوبة من الله يحتاج الى استعداد شديد يصلح معه العبد لقبولها منه
وافاضة العفو عليه وقال عم كم من اكلة منعت اكلات وهو يجري مجرى المثل يضرب لمن يفعل
فعلا يكون سببا لحرمانه ما كان ينال من خير سابق واصله ان الرجل يتملى من الطعام فيتخم ويمرض فيحتاج
الى الحمية والامتناع من الاكل وفي معناه من بياشر ملكا ويسعد بالانبساط معه فيفرط في انبساطه عليه
فيكون ذلك سببا لبعده عنه وعن بطشه وزوال سعادته منه وقال عم الناس اعداء ما جهلوا
الجهل بالشيء مستلزم لذلك مجانبته لم ترتيا كون تلك المجانبة والبعد يكون العلم اشرف فضيلة ينفرد بها
اهله على الجهال ويكون لهم الحكم عليهم واستنقاصهم وحطهم عن درجة الاعتبار مع اعتقاد الجهال الكمال
ايضا فيشتد لذلك مجانبتهم للعلم واهله وعداوتهم لهذه الفضيلة وقال عم من استقبل وجوه
الاراء عرف مواقع الخطاء لا شك ان المتصفح لوجوه الاراء عرف مواقع الخطاء لا شك والمفكر فيها
اصوب لا يدان يعرف مواقع الخطاء في الامور ومظانها وهو ترغيب في الاستشارة والفكر في اسباب
الاعمال قبل الوقوع فيها وقال عم من احد سنان الغضب لله قوي على قتل اشداء الباطل لما
كان تعالى هو العزيز المطلق كان استناد قوة الغضب لديه والحمية له الى عزته وصولة الغاضب عن الله
به اشد بكثير من صولته بدون ذلك الاستناد ويجب تاكد القوة بعزة الله يكون ضعفها بالاستناد
الى الباطل المضاد لدينه ولذلك ما قهر اولياء الله على قلتهم في صدر الاسلام اعداءهم على كثرتهم
والطائفة هو عليه السلام قلع باب خيبر على شدته وقتل جبابرة العرب واستعار لفظ السنان لحدة الغضب
باعتبار استلزامهما للنكاية في العدو ورشح بذكر الحد وقال عم اذا هبت امرا فقع فيه فان شدة

توقيه اعظم مما تخاف منه ان للنفوس فيما يتوقع مكروهه انفعالا كثيرا وفكرا عظيما في كيفية دفعه
والخلاص منه وذلك اصعب بكثير من الوقوع فيه لطول زمان الخوف هناك وتاكده بتوقع الامر المخوف
ورهب في الوقوع فيه بصغر صغراه قوله فان الى آخره وتقدير كبراه وكلما كان اعظم مما يخاف من الشيء
فينبغي ان يعدل عنه الى الوقوع فيه ينتج ان شدة توقيه ينبغي ان يعدل عنها الى الوقوع فيه وقال عم
آلة الرياسة سعة الصدر وفضيلة تحت الشجاعة وهي ان لا يبرع الانسان قوة التجلد عند ورود
الاحداث المهمة عليه واعتلاجها ولا يحار او يدهش فيها بل يتحملها ويستعمل الواجب في معناها وقد يسمى
ذلك رحب الرواع وهي من اعظم لوازم الرياسة الحقة التي ينبغي لها اذا الرياسة مظنة ورود الاحداث
المهمة والخطوب العظيمة واحوال الخلق المختلفة فمن لم يكن محتملا لهذه الامور وسيع الصدر بها فلا
ان يحار فيها ويدهش فيما يرد عليه منها فيعجز عن تدبيرها ويلزم ذلك فساد دولته وزوال رياسته وقال عم
ازجر المسيء بثواب المحسن تصديق المسيء جزاء المحسن لجسانه يدعوه الى الاحسان والرجوع عن الاساءة فكانت
المجازات بالاحسان كالزجر للمسيء في استلزامها ارتداعه وانزجاره فاستعير لفظ الزجر لها وقال عم
احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك اغلب ما ينشأ الشر في صدر العدو بسبب ما يجده في عدوه
من اضمار الشر له وظنه ذلك فيه وذلك التخيل والظن لا بد ان يكون عن امارة حركات عدوه وفلتات لسانه
بالقول في حقه ما دامت عداوته واضمار الشر له قائما في صدره فاذا محاها اضمرله من العداوة والشر زالت امارات
ذلك من لسانه ووجهه ويجب ذلك ينقص تخيل العداوة ويضعف سوء ظن العدو به ولا يزال يتاكد
بعدم تلك الامارات وبامارات خالية او مقابلة تظهر منه الى ان يمحى ذلك الظن في حقه واستعار لفظ
الحصد لازالة الشبهة بالزرع في زيادته بسقي تلك الامارات من عدوه وتواترها ونقصانه وعدمه بعدمها
وقال عم اللجاجة تسل الراي اي تاخذه وتذهب وذلك ان الانسان قد يطلب شيئا والراي الحق
هو التاني في طلبه والتثبت فيه فيحمله طبعه على اللجاجة فيه حتى يكون ذلك سببا للفوات واستعار لفظ
السل له ونسبه الى اللجاجة مجازا باعتبار انها هي المعونة له فكانها اخذته وغيبته وقال عم الطمع
رق مؤبد استعار لفظ الرق للطمع باعتبار ما يستلزمه من التعبد للمطموع فيه والخضوع له كالرق وتاييده
باعتبار دوام التعبد بسببه فان الطامع دائم العبودية لمن يطمع فيه ما دام طامعا وهو في ذلك كالدائم
من الرق وقال عم ثمرة الحزم السلامة وثمرة التفريط الندامة التفريط اضاعة الحزم في الامور ولما
عرفت ان الحزم عبارة عن تقديم العمل للحوادث الممكنة المستقبلة بما هو اقرب الى السلامة وابعد من الغرور
لاجرم كان ذلك مظنة السلامة ومنها كانت اضاعته والتفريط في العمل لما يستقبل من الحوادث مظنة الوقوع
بها وعدم السلامة من بلائها وهو مستلزم للندامة على التفريط فيها فكانت الندامة من ثمراته وقال عم
لا خير في الصمت عن الحكم كما انه لا خير في القول بالجهل الصمت عن النطق بالحكمة طرف تفريط من فضيلة القول

الاكبر استعار لفظ الموت

والنطق عن الجهل ورذيلة مضادة لها والحق العدل وهو النطق بالحكمة وهو الفضيلة النطقية وقال ع
ما اختلفت دعوتان الا كانت احديهما ضلالة الاختلاف الحقيقي انما يكون بين النقيضين ولما كانت
الدعوة اما الى الحق وهو سلوك سبيل الله او الى غيره وكان كل ما عدا الحق مما يدعى اليه فهو ضلال عن الحق
وعدول عن سبيل الله لاجرم لم تختلف دعوتان الا كانت احديهما حقا والاخرى ضلالة ومستلزمة للضلال
وهذا يستلزم بطلان كون كل مجتهد مصيبا ومذهبه المنقول عنه عليه السلام ان الحق واحد وفي جهة والمصيب
واحد وقال ع ما شككت في الحق مذ اريته من كان له استعداد درك الحق كعلي عليه السلام وارشاد رسول
الله صلى الله عليه وآله في اعداده وتربيته وطول صحبته لمثل ذلك الارشاد كصحبته فمحال ان يعرض له شك في امر
يرى برهانه ويجزم من الحق وقال ع ما كذبت ولا كذبت وما ضللت ولا ضل بي اما عدم كذبه وضلاله
فلتربيته من حين الطفولية بالصدق ومكارم الاخلاق حتى صار ذلك ملكة له تمنعه في الكذب والضلالة
تعصم منهما واما كونه لم يكذب فيما اخبر به من الحوادث المستقبلة والعلوم الغيبية ولم يضل به فلكون مخبره معصوم
وهو الرسول صلى الله عليه وآله والعصمة منافية للامرين ومستلزمة لهداية المدلول وعدم زيغه وقال ع
للظالم البادي غدا بكفه عضة لحسرة البادي عن الجاري للظلم بمثله وكنى بغد عن يوم القيمة وبعض كفه
عن ندامته على تفريطه في جنب الله كقوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه والغرض التنفير عن الظلم وقال
عليه السلام الرحيل وشيك اي قريب واراد الرحيل الى الآخرة في معرض الوعظ والتخويف بالموت وقال ع
من ابدى صفحته للحق هلك اي من تجرد لنصرة الحق في مقابلة كل احد هلك عند جهلة الناس لضعف الحق عندهم
وغلبة حب الباطل على نفوسهم وكنى بابداء صفحته عن اظهار نفسه ونصبها لذلك وقد مر بيانه وقال ع
من لم ينجه الصبر اهلكه الجزع قد تكون المصيبة عظيمة تستلزم الهلاك بسببها او يجب ان يقابل الجزع فيها
بصبر ينجي من الهلاك والتقدير من لم يصبر على المصيبة لينجو فجزع هلك ويحتمل ان يريد بالهلاك الاخروي اي من
لم ينجه فضيلة الصبر هلك برذيلة الجزع وهو تنفير عن الجزع وحث على الصبر وقال ع واعجباه ان تكون
الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة ويروى عنه ع شعر في هذا المعنى : فان كنت بالشورى ملكت
امورهم : فكيف بهذا والمشيرون غيب : وان كنت بالقربى حججت خصيمهم : فغيرك اولى بالنبي واقرب : وروى
هذا القول عنه بعد بيعة عثمن وهو صورة جواب ما كان يسمعه من تعليل استحقاق عثمان الخلافة تارة
بانه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وتقريره ان استحقاق الخلافة اما ان يكون معللا بالشورى او
بصحبة رسول الله صلى الله عليه وآله فان كان الاول فكيف يملك عثمن امور الناس بالشورى واكثر من يستحق
الاستشارة منهم لم يكونوا حاضرين وذلك معنى اشارته بقوله فان كنت بالشورى تمام البيت وان كان
الثاني فكيف يملك امورهم بالصحبة بوجود من له الصحبة التامة والقرابة معا بل يكون هذا اولى وان كان
الثالث فغيره اولى منه بالنبي واقرب اليه وعنى نفسه في الوجهين وقوله فكيف بهذا اي فكيف تملكها

بهذا وقال ع انما المرء في الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا ونهب تبادره المصائب ومع كل جرعة شرق وفي كل اكلة غصص ولا
ينال العبد نعمة الا بفراق اخرى ولا يستقبل يوما من عمره الا بفراق آخر من اجله فنحن اعوان المنون وانفسنا نصب
الحتوف فمن اين نرجو البقاء وهذا الليل والنهار لم يرفعا من شيء شرفا الا اسرعا الكرة في هدم ما بنيا وتفريق ما جمعا
الاستئصال الرتمي وهذا فصل لطيف من الموعظة وقد اشتمل على ثمان كلمات واعظة احدها استعار لفظ الغرض
للانسان باعتبار رميه بمقدمات المنايا واسبابها من الامراض والاعراض والهلكة ووصف الانتضال لذلك لما
كان المنايا هي الرامية الثانية استعار لفظ النهب بمعنى المنهوب باعتبار سرعة المصائب الى اخذه الثالثة كنى عن
تنغيص لذات الدنيا بما يشوبها ويخالطها من الاعراض والامراض بقوله مع كل جرعة الى قوله غصص الرابعة
كون العبد لا ينال نعمة الا بفراق اخرى اذ النعمة المقتضية للذة وما يكون وسيلة اليها نعمة بواسطتها وظاهر ان
التنوع الدنيا لا يمكن ان يحصل على لذتين دفعة بل ما لم ينتقل عن لذة اولى وتتوجه نحو اللذة الحادثة لا يحصل لها
الالتذاذ بها الخامسة ولا يستقبل يوما من عمره الا بفراق آخر من اجله لان طبيعة الزمان التقضي والسيلان السادسة
كوننا اعوان المنون باعتبار ان كل نفس وحركة من الانسان فهي مقربة له الى اجله فكانه ساع نحو اجله ومعين عليه
السابعة كون نفوسنا نصب الحتوف ونصب بمعنى منصوبة كالغرض الثامنة الاستفهام عن جهة رجاء البقاء استفهام
انكار لوجوده مع وجود الزمان الذي من شانه لم يرفع لشيء شرفا ويجمع لامر شملا الا اسرع العود في هدمه
ودفع وتفريق ما جمع اي اعد للثاني كما اعد للاول وقال ع يابن آدم ما كسبت فوق قوتك فانت فيه خازن لغيرك
اذا اكتساب الزيادة على القوة والمؤنة بقدر الحاجة وادخاره عبثا فيع المدخر اذ من ضرورته مفارقته الدخر ووصوله
الى الوارث وغيره فهو اذن يشبه الخازن فاستعار لفظه له وهو تنفير عن البخل بالفضل من المال عن قدر الحاجة
وقال ع ان للقلوب شهوة واقبالا وادبارا فاتوها من قبل شهوتها واقبالها فان القلب اذا اكره عمي اراد بالاقبال
الميل وبالادبار النفرة عن ملال ونحوه وامر باعمال النفوس فيما ينبغي اعمالها فيه من فكر ونظر وحملها على ذلك
حين ميلها اليه واقبالها عليه لان ذلك نشاط في القوى النفسانية ومعاونة ومواتاة للنفس ونفر عن حملها
عليه مع النفرة عنه والكراهية لم يصر ضغرا وقوله فان القلب اذا اكره عمي اي ان اكراه النفس على الفكر في الشيء حين
نفرتها عنه عن ملال او ضعف قوة ونحوه يزيدها كراهية له ونفرة ويقوم لها بذلك مانع من الوهم والخيال عن
ادراك ما تفكر فيه فلا يدركه وان كان واضحا فيكون كالاعمى ولذلك استعار له وصف الاعمى وتقديره كلما
وكلما كان عماه في اكراهه على الشيء فلا يجوز اكراهه وقال ع متى اشفي غيظي اذا غضبت احين اعجز عن الانتقام
فيقال لي لو صبرت ام حين اقدر عليه فيقال لي لو غفرت استفهم عن وقت جواز شفاء الغيظ استفهام انكار
لوجوده في معرض التنفير عن هذه الرذيلة وتنفير عنها بقوله احين الى آخره وذلك انه اما حين العجز عن الانتقام
او حين القدرة عليه وشفاء الغيظ في الوقت الاول لا يجوز لانه يكون بالسب والشناعة وتقطيع العرض
ونحوه وذلك مستلزم للائمة الخلق وتعنيفهم وقولهم في الحث على فضيلة الصبر لو صبرت لكان اولى وفي الثاني

ايضا لا يجوز لاستلزام الشروع في العقوبة لائمة الخلق والعدو ولغير فضيلة العفو التي هي اولى وقول الناس عليها
لو عفوت وان العفو بك اولى وقال ع وقد مر بقذر على مزبلة هذا ما بخل به الباخلون وفي خبر آخر قال هذا ما
كنتم تتنافسون فيه بالامس اشار اليه بذلك لانه غاية ما بخل به الباخلون وتنافس الناس فيه من المال والطعام فان
الغاية مقام دني الغاية وقال ع لم يذهب من مالك ما وعظك لا يعد ما لا ذاهبا بل كان باقيا في بقاء منفعته
وشرف ثمرته وهي الموعظة وقال ع لما سمع قول الخوارج لا حكم الا لله كلمة حق يراد بها باطل وقد مر تفسيره وقال
في صفة الغوغاء هم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا وقيل بل قال عليه السلام هم الذين اذا
اجتمعوا ضروا واذا تفرقوا نفعوا فقيل قد علمنا مضرة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم فقال يرجع اصحاب المهن الى مهنهم
فينتفع الناس بهم كرجوع البناء الى بنائه والنساج الى منسجه والخباز الى مخبزه المهنة الحرفة والصناعة والفصل ظاهر
وقال ع وقد اوتي بجان ومعه غوغاء فقال لا مرحبا بوجوه لا ترى الا عند كل سوءة اي لا ترى مجتمعة اذ العوام لا تجتمع غالبا
الا في مثل ذلك فكلام الخطيب على اغلب الاحوال والسوءة فعلة من السوء وقال ع ان مع كل انسان ملكين يحفظانه
فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه وان الاجل جنة حصينة اي اذا جاء القدر بموته على وفق القضاء الالهي وهو كقوله
تعالى ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت الآية واستعار لفظ الجنة بوصف الحصينة للاجل وقد بينا ذلك
في قوله وان علي من الله جنة حصينة وقال له طلحة والزبير نبايعك على انا شركاؤك في هذا الامر فقال لا ولكنكما
شريكان في القوة والاستعانة وعونان على العجز والاود الاود الاعوجاج وقوله عونان على العجز والاود اي دفع ما
يعرض منهما او حال وجودهما لان كلمة على تفيد الحال وقال ع اتقوا الله الذي ان قلتم سمع وان اضمرتم علم وبادروا
الموت الذي ان هربتم ادرككم وان اقمتم اخذكم وان نسيتموه ذكركم رغب في تقوى الله والخشية منه باعتبار سمعه لما
يقول العبد وعلمه بضميره وحذف المفعولين للعلم بهما اي سمع مقالكم وعلم ضميركم ورغب في مبادرة الموت بسابقة الاعمال
الصالحة الحافظة للنفوس بها من عذاب الآخرة وهو الموت ونفره منه ليسارع الى المبادرة بكونه لا ينجو منه احد واستعار
لوروده على الانسان لفظ الذكر في مقابلة النسيان ملاحظة لشبهه بالقاصد له عن علم به وقال ع لا يزهدنك
في المعروف من لا يشكره لك فقد يشكرك عليه من لا يستمتع بشيء منه وقد تدرك من شكر الشاكر اكثر مما اضاع
الكافر والله يحب المحسنين نهي عن الزهد في المعروف بسبب عدم شكر المحسن اليه له ورغب فيه بضمائر ثلثة صغرى
الاول قوله فقد يشكرك عليه الى قوله منه وذلك لمحبة الناس للاحسان والمحسن وتقدير كبراه وكلما يشكرك
عليه من لم يستمتع بشيء منه فواجب ان تفعله وصغرى الثاني قوله وقد تدرك الى قوله الكافر اي قد يحصل لك من
شكر من لم تحسن اليه اكثر مما اضاعه كافر نعمتك من شكر احسانك اليه وتقدير كبراه وكلما ادركت من شكر الشاكر
بسببه اكثر مما اضاع الكافر فواجب ان تفعله وصغرى الثالث قوله والله يحب المحسنين اي لاحسانهم وتقدير كبراه
وكل من يحبه الله لفعل فواجب ان يدخل العاقل في زمرته ويتقرب الى الله بمثل فعله وقال ع كل وعاء يضيق بما
جعل فيه الا وعاء العلم فانه يتسع به الاوعية المحسوسة لما كانت متناهية الاتساع من شانها ان يضيق بما جعل فيها

واوعية العلم معقولة وهي النفوس وقوة ادراك العلوم فيها غير متناهية فكل مرتبة من ادراكها تعد لما بعدها الى غير
النهاية فبالواجب ان يتسع بالعلم ويزيد بزيادته وقال ع اول عوض الحليم من حلمه ان الناس انصاره على الجاهل ويحتمل
ان يريد من عدم حلمه او العوض يكون عن شيء فائت كالطيش ونحوه فحذف المضاف وفيه ترغيب في هذه الفضيلة
بما يلزمها من نصرة الناس لصاحبها على الجاهل عند سفهه عليه وقال ع ان لم تكن حليما فتحلم فانه قل من تشبه بقوم
الا اوشك ان يكون منهم امر بتعلم هذه الفضيلة فان مبادي الملكات الخلقية حالات مكتسبة عن التعلم ورغب
في تعلمها بضمير صغراه قوله فانه قل الى آخره والضمير في انه ضمير الشان وتقدير الكبرى وكل من اوشك ان يكون من
اهل الحلم بتعلمه له فواجب ان يتعلمه وقال ع كلمات احديها من حاسب نفسه ربح لان المحاسب لنفسه على اعمالها
يعلم خسرانه من ربحه فيعمل للربح ويحترز من الترك المستلزم للخسران الثانية ومن غفل عنها خسر وذلك انه رقيبها من
اللذات الحاضرة بسكونه الى ميلها اليها ما لم يجذب عنها بالجواذب الالهية من الزواجر والمواعظ المذكرة والغفلة
عن جذبها وتنبيهها من مراقد الطبيعة بتذكير وعد الله ووعيده يستلزم اهمالها الاعمال الصالحة التي يلزمها
ربح السعادة الاخروية والحصول على تركها ذلك هو الخسران الثالثة ومن خاف من عذاب عمل للخلاص منه امن
لموقف الرابعة ومن اعتبر ابصر اي من نظر مواقع العبرة بعين الفكر والاعتبار ابصر الطريق الى الحق ومن ابصرها
فهم العبور منها اليه ومن فهم ذلك حصل له العلم النافع بالحق وقال ع لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها
عطف الضروس على ولدها وتلا عقيب ذلك قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة
ونجعلهم الوارثين الضروس الناقة سيئة الخلق تعض حالبها ليبقى لبنها لولدها وذلك لفرط شفقتها عليه و
استعار لفظ الشماس للدنيا باعتبار اعدادها المنع منها ملاحظة لشبهها بالفرس الذي يمنع ظهره ان يركب
وشبه عطفها بعد ذلك عليهم واعدادها لتمكنهم من الحكم فيها بعطف الضروس على ولدها ووجه الشبه شدة
العطف والاستشهاد بالآية ظاهر وقال ع اتقوا الله تقية من شمر تجريدا وجد تشميرا وكمش في مهل وبادر عن
وجل ونظر في كرة الموئل وعاقبة المصدر ومغبة المرجع الكمش السريع والمهل الامهال والكرة الرجعة والموئل الملجا
والمغبة العاقبة واراد اتقوا الله كتقية من شمر عن ساق الجد في طاعة الله وجرد نفسه لمرضاته تشميرا وسارع
بالاعمال الصالحة ما دام في مهلة الحياة الدنيا وبادر مغفرته في وجل من ثمرات سيئاته وفكر في عوده الى الملجا
الاول الذي منه بدا وهو حضرة الربوبية وكذلك عاقبة المصدر الذي عنه صدر في ابتداء كونه واليه يعود
ومغبة المرجع من حيث الحصول عليه وسبيل الخلاص منه وقال ع ثلث عشر كلمة احديها الجود حارس الاعراض
واستعار له لفظ الحارس باعتبار ان الجود يحمي عرض صاحبه من السب كالحارس الثانية والحلم فدام السفيه و
الفدام ما يسد به الجوهي فمه واستعار لفظه للحلم باعتبار ان الحليم اذا قابل السفيه بحلم عن عقوبته سكت
عنه واقلع عن سفهه في حقه فاشبه الفدام له الثالثة والعفو زكوة الظفر استعار لفظ الزكوة للعفو باعتبار
انه فضيلة تستلزم زيادة الثواب الاخروي ولحظ في ذلك شبه الظفر بالمال الواجبة زكوته وهو ترغيب في العفو

الرابعة والسلو عوضك من غدر وهو امر للانسان بالسلو عن الهم بسبب غدر من يطلب وفاءه ورغب فيه بكونه
عوضا منه ونعم العوض الخامسة والاستشارة عين الهداية الاستشارة طلب اصلح الآراء في الامر وهي مستلزمة للهداية
اليها وجعلها عينها تاكيدا لقوة استلزامها لها السادسة وقد خاطر من استغنى برايه اى اشرف على الهلاك من استبد
برايه لان ذلك مظنة الخطاء المستلزم للهلاك وقد مر مثله السابعة والصبر يناضل الحدثان استعار لفظ المناضلة
للصبر باعتبار دفعه الهلاك عن الجزع في المصائب الثامنة والجزع من اعوان الزمان معين الهرم والفناء والجزع
يعد لذلك فكان معينا له التاسعة واشرف الغنى ترك المنى لان اشرف الغنى غنى النفس بالكمالات النفسانية
من الحكمة ومكارم الاخلاق وهو مستلزم لترك المنى والالحاح لاجتماعه مع المنى المستلزم للحمق اذ هو اشتغال النفس
بما لا ينبغي عما ينبغي وللافراط في محبة الدنيا مع كثير من الرذائل كالحرص والحسد والشره ونحوها فيلزم من ذلك
اجتماع الضدين الفضيلة والرذيلة العاشرة وكم من عقل اسير عند هوى امير العقل اما ان يقوى على قهر النفس
الامارة بالسوء ويصرفها حسب ما يراه ويغلبها كالمصادع لها فمرة له ومرة عليه ويكون مقهورا ومغلوبا لها و
الاول هو العقل المطيع لله القوى بامره ويلحقه الثاني من وجه واما الثالث فهو العاصي بانقياده لهواه فهو
كالاسير له وهو الاكثر في عالم الانسان لحضور اللذات الحسية دون العقلية فلذلك اخبر عنه بكم الحادية عشر
ومن التوفيق حفظ التجربة اى لزومها ومداومتها لغاية الانتفاع بها وظاهر ان ذلك من توفيق الله اى تسهيله
لاسبابها وتقديره لتوافقها في حق العبد الثانية عشر والمودة قرابة مستفادة لان القرابة اسم من القرب وهو
اما ان يكون اصليا كقرب النسب او مستفادا مكتسبا كقرب الصداقة والمودة الثالثة عشر ولا تامنن ملولا
لان الملول يصرفه ملاله عن الثبات على الصداقة والعهد وكتمان السر ونحوها فمن الحزم اذن ان لا يومن على شئ
من ذلك **وقال ع** عجبا للمرء بنفسه احد حساده عقلا استعار له لفظ الحاسد باعتبار انه يوثر في منع العقل من ادراك
الفضيلة والاستكثار منها كما يوثر الحاسد بجهده في حال المحسود وتنقيصه **وقال ع** اغض على القذى والا لم
ترض ابدا الاغضاء على القذى كناية عن كظم الغيظ واحتمال المكروه وفضيلة تحت الشجاعة ولما كانت طبيعة
الدنيا معجونة بالمكاره ولم يخل الانسان في اكثر احواله من ورودها عليه فما لم يقابلها بالاحتمال بل بالتسخط و
الغضب والتبرم بها لم يزل متسخطا تابعا بغضبه لدوام ورود المكاره عليه **وقال ع** من لان عوده كثفت
اغصانه استعار لفظ العود لطبيعته وكنى بلينه عن التواضع وكذلك استعار لفظ الاغصان للاعوان والاتباع
وكنى بكثافتها عن اجتماعهم عليه وكثرتهم وقوتهم والمراد ان من كانت له فضيلة التواضع ولين الجانب كثرت اعوانه
واتباعه وقوى باجتماعهم عليه **وقال ع** الخلاف يهدم الراى واصله ان راى الجماعة يجتمع على امر تكون المصلحة
فيه فيقع من بعضهم خلاف فيه فيهدم ما اجتمعوا عليه وراوه من المصلحة كما راى ع هو وجماعة من اصحابه عند رفع
اهل الشام المصاحف صبيحة ليلة الهرير من تمام القتال وهو المصلحة فهدم ذلك الراى من خالف فيه من
اصحابه حتى وقع بذلك ما وقع **وقال ع** من نال استطال اى من نال ما يوجب الاستطالة من جاه وسلطان

اوما

اومال استطال بسبب ذلك اى كان في مظنة ان يستطيل على غيره بما نال فاقام ما بالقوة مقام ما بالفعل ويصدق
بالفعل ايضا لان كلام الخطيب مطلق يصدق ولو بمرة والكلمة تجرى مجرى المثل **وقال ع** في تقلب الاحوال علم
جواهر الرجال اى تقلب احوال الدنيا على المرء كرفعته بعد انحطاطه وبالعكس وكثرة الشدائد به يفيد العلم
التجربى باحواله الباطنة من خير او شر وجلادة وضعف وفضيلة ورذيلة ونحوه ما قيل الولايات مضامير الرجال
وقال ع حسد الصديق من سقم المودة المودة الخالصة تستلزم ان يريد الانسان لمن يوده ما يريد لنفسه و
يكره له ما يكرهها والحسد ينافي ذلك لاستلزامه ارادة زوال الخير عن المحسود فمودة الحاسد اذن مدخولة غير
صحيحة وهو المراد بسقمها **وقال ع** اكثر مصارع العقول تحت بروق الاطماع العقل من شانه الذي ينبغي له ان
يقاوم النفس الامارة ويكسرها ويصرفها حسب آرائه الصالحة ومن شان النفس مخادعة العقل وغروره بزينة
الحيوة الدنيا وقنياتها والاطماع بها فالعقول الضعيفة غير المؤيدة من الله اكثر ما تنخدع وتنصرع في حربها للنفوس الامارة
اذا لاح لها مطمع وهى من الدنيا فاستعار لفظ المصارع للعقول ملاحظة لقهرها من النفوس وانفعالها وانثنائها
في الذلة والانقياد لها وترك مقاومتها كمن اخذ مصرعه من الحرب وكذلك استعار لفظ البروق لما لاح من تصور
المطموع فيه وكثيرا ما تشبه العلوم والخواطر الذهنية بالبروق للطفه وصفائه وسرعة حركته وانما قال تحت لان
المصارع من شانها ان تكون تحت وقال عليه السلام ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن اى من كان عندك ثقة
معروفا بالامانة فحكمك عليه بالخيانة عن ظن خروج عن العدل وهو رذيلة الجور **وقال ع** بئس الزاد الى المعاد
العدوان على العباد لان الظلم رذيلة عظيمة مستعقبة للاذى مستلزمة للشقاء الاشقى فهي بئس الزاد اذن ولفظ
الزاد مستعار باعتبار حمل هذه الرذيلة في جوهر النفس الى الاخرة كالزاد **وقال ع** من اشرف افعال الكريم غفلته عما
يعلم اى تغافله واغضاؤه عما يعلم من معايب الناس ومن هفواتهم لاستلزام ذلك فضائل كاحتمال المكروه والحلم
والعفو والصفح وكلها فضائل تلزم الكرم لا تنفك عنه وامساك الانسان عن المبادرة الى قضاء وطر الغضب من
غضبه وما استلزم هذه الفضائل فهو من اشرف الافعال **وقال ع** من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه استعار
لفظ الثوب لما يشمل الانسان من الحياء ورشح بذكر الكسوة والمراد ان فضيلة الحياء تستلزم ترك المعايب والرذائل
في الخلوات ان ارتكب ما يعاب به من الرذائل على ظاهر من التستر والاجتهاد في اخفائه وهو مظنة ان لا تراه الناس
وقال ع بكثرة الصمت تكون الهيبة وبالنصفة يكثر المواصلون وبالافضال تعظم الاقدار وبالتواضع
تتم النعمة وباحتمال المؤن يجب السودد وبالسيرة العادلة يقهر المناوى وبالحلم عن السفيه تكثر الانصار عليه اشار الى
سبع فضائل ورغب في كل منها بما تستلزمه من الخير احدها كثرة الصمت ويلزمها كون الصامت مهابا في اعين
الناس لان الصمت من توابع العقل غالبا ومهابة اهل العقل ظاهرة فان عرف ان كثرة صمت الصامت عن عقل
كانت مهابته اوكد وان لم تعرف حاله كانت لتجويز ان تكون من كمال عقله وقد يعرف فساد نقصان في غريزته
وعيه في الكلام ويحترم مع ذلك لعدم اختلاطه في القول الثانية النصفة وهي فضيلة العدل ورغب فيها بانها يلزمها

من كثرة الواصلين لان قلة الانصاف مستلزمة للفرقة وقطع الالفة كما قال ابو الطيب ولم تزل قلة الانصاف
قاطعة بين الرجال وان كانوا ذوى رحم الثالثة الافضال على الخلق بما يحتاجون اليه ويلزمه علو الاقدار وعظمها
لتعين الحاجة الى المتفضل وتجلة الرابعة التواضع ويلزمه تمام النعمة بكثرة الاخوان واهل المودة لان فضيلة
التواضع نعمة وما يلزمها كالتمام لها الخامسة احتمال المؤن وما يلزمه السودد لان احتمال مؤن الخلق يستلزم
فضيلة سعة الصدر واحتمال المكروه ويجب ذلك تحصيل مطالب الخلق من الحمل غير مشوبة بشئ من كدر الامتنان
بر ومنة ونحوها فيكثر تعبدهم له ويقوى امره وسودده فيهم السادسة السيرة العادلة ويلزمها قهر المساوى والمنا
العادات وذلك ان العدو لا يجد لصاحب السيرة العادلة عيبا يتظاهر به عليه ويسعى في فساد امره فيبقى مقهورا
ملوما السابعة الحلم عن السفيه ويلزمه كثرة الانصار عليه وقد مر بيانه **وقال ع** العجب لغفلة الحساد عن سلامة
الاجساد لان الغالب ان الحسد انما يكون بالغنى والجاه وساير قنيات الدنيا فترك الحساد الحسد بصحة الجسد مع
كونها اكبر نعم الدنيا محل التعجب والفرق ان تلك نعم شاهدة يقل الغفلة عنها ليتفرد المحسود بها او اكثر الترفع
على الحاسد يكون بها فاما نعمة الصحة فمعقولة تكثر الغفلة عنها ومشتركة **وقال ع** الطامع في وثاق الذل استعار
لفظ الوثاق للذل المقيد له في طاعة المطموع فيه وقد مر مثله في قوله الطمع رق مؤبد **وقال ع** الايمان معرفة
بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان وهي المساجد السبعة واراد الايمان الكامل **وقال ع** من اصبح
على الدنيا حزينا فقد اصبح لقضاء الله ساخطا ومن اصبح يشكو مصيبة نزلت به فانما اصبح يشكو ربه ومن اتى غنيا
فتواضع لغناه ذهب ثلثا دينه ومن قرا القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزوا ومن لهج قلبه
بحب الدنيا التاط منها بثلث هم لا يغبه وحرص لا يتركه وامل لا يدركه اشار الى خصال نفر عن كل منها بما يلزمه من
الشر احدها الحزن على فائت الدنيا ويلزمه سخط العبد لقضاء الله لان فوت ذلك كان نقصا منه وسخط قضائه
كفر الثانية شكوى المصيبة يلزمها الشكوى من الله لان الله تعالى هو المبتلى بها الثالثة التواضع للغنى باعتبار غناه
يلزمه ذهاب ثلثى دينه لان التواضع لوجوه احدها ارتباط العين على كمال النفس الانسانية بالحكمة وكمال القوة
الشهوية بالعفة وقوة الغضب بالشجاعة ولما كان التواضع للغنى من جهة غناه يستلزم زيادة محبة الدنيا و
الخروج عن فضيلة الشهوة الى طرف الفجور حتى كانه عابد لغير الله ويستلزم الخروج عن الحكمة التي مقتضاها وضع
كل شئ موضعه وهى فضيلة النفس الناطقة كان خارجا عن فضيلتي هاتين القوتين وهما ثلثا الدين الثاني ان
مدار الدين على الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان ومن شان التواضع للغنى لغناه اشتغال اللسان
بمدحه وشكره واشتغال جوارحه بخدمته عن طاعة الله والقيام بشكره فهو مهمل لثلثى دينه الثالث قيل ان التواضع
للغنى لغناه يستلزم حب الدنيا وحبها راس كل خطيئة فاستعمل عليه السلام لفظ الثلثين هنا في الاكثر مجازا اطلاقا
لاسم الملزوم على اللازم الرابعة كون قراءة القرآن مع دخول النار مستلزما لكون القارى ممن كان يتخذ آيات الله
هزوا وذلك ان قراءة القرآن مع الاخلاص والعمل بمقتضاه تستلزم دخول الجنة وعدم دخولها ودخول النار

يستلزم

يستلزم عدم الاخلاص في قراءة القرآن وعدم العمل به فيكون في قراءته كالمستهزئ بآيات الله اذ شان المستهزئ ان
يقول ما لا يعتقده ولا يعمل به فاستعار له لفظ المستهزئ الخامسة ومن لهج بحب الدنيا التاط اى لصق واختلط بها لثلث
وجه لزومها الثالثة الحرص والولوع بها ان حبها يستلزم الجد في طلبها وجمعها ولما كان حصولها مشروطا باسباب
مقدورة للعباد واسباب غير مقدورة والمقدورة منها قد لا تكون مقدورة للطالب وان كانت لكنها متعسرة
مشروط لتوقفها على اسباب كثيرة او غيرها لا جرم يلزمه الحزن غالبا في تحصيلها والهم الذي لا يغبه اى لا يأتيه
وهو يوما لا ويوما نعم ثم في حفظها وخوف فوتها والحرص على استخراجها من وجوهها وطول الامل في وجوه مكاسبها
وارباحها ونحو امانيها وعلاماتها ونبه على طوله بقوله لا يدركه وتفرعه بذلك **وقال ع** كفى بالقناعة ملكا و
بحسن الخلق نعيما استعار لفظ الملك للقناعة لان غاية الملك الغناء عن الخلق والترفع عليهم بذلك والاستغناء
به والقناعة مستلزمة لهذه الغايات وكذلك استعار لفظ النعيم لحسن الخلق باعتبار استلزامها للالتذاذ
بهما وسئل عن قوله تعالى فلنحيينه حيوة طيبة قال هى القناعة فسرها بلازمها وهو الحيوة الطيبة **وقال ع**
شاركوا الذي قد اقبل عليه الرزق فانه اخلق للغنى واجدر باقبال الحظ اخلق واجدر اى اولى لما كان اقبال الرزق
يتوافق اسبابه في حق من اقبل عليه كانت مشاركته مظنة اقبال الحظ الشريك واقبال الرزق عليه بشاركته ورغب
فيها بضمير صغراه قوله فانه الى اخره والضمير في قوله فانه يعود الى ما دل عليه شاركوا من المصدر وتقدير كبراه
وكلما كان كذلك فنفعله مصلحة **وقال ع** في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان العدل الانصاف و
الاحسان التفضل وهو تعريف لفظ بلفظ اوضح منه عند السائل **وقال ع** من يعط باليد القصيرة يعط
باليد الطويلة وذلك اشارة الى قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وقوله تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا
يضاعفه لكم واستعار لفظ اليد في الموضعين للنعمة والعطاء وكنى بالطول والقصر عن الكثرة والقلة
وقال ع لابنه الحسن عليه السلام لا تدعون احدا الى مبارزة وان دعيت اليها فاجب فان الداعي باغ والباغي مصروع
نفر عن الدعوة الى المبارزة بقياس كامل من الشكل الاول وهو قوله فان الداعي باغ الى قوله مصروع وبيان ان
الدعاء الى المبارزة خروج عن فضيلة الشجاعة الى طرف الافراط منها وهو التهور وهو بغى وعدوان لا خروج
عن فضيلة العدل في القوة الغضبية واما ان الباغي مصروع ففى غالب الاحوال لاستعداده ببغيه لذلك
لان المجازاة واجبة في الطبيعة **وقال ع** خيار خصال النساء شرار خصال الرجال الزهو والجبن والبخل
فاذا كانت المراة مزهوة لم تمكن من نفسها واذا كانت المراة بخيلة حفظت مالها ومال بعلها واذا كانت المراة
جبانة فرقت من كل شئ يعرض لها الاخلاق الثلثة المذكورة رذائل للرجال وهى فضائل للنساء وبيان كونها
فضائل هو ما ذكره عليه السلام والزهو الكبر ولا يبنى الفعل من الزهو الا للمفعول به يقال زهى الرجل وزهيت
المراة فهى مزهوة والفرق الخوف وقيل له صف لنا العاقل فقال هو الذي يضع الشئ مواضعه فقيل فصف
لنا الجاهل قال قد فعلت يعنى عليه السلام ان الجاهل هو الذي لا يضع الشئ مواضعه فكان ترك صفته

مقتضاه ذكاء بخلاف وصف العاقل فان عرف العاقل بخاصة من خواصه ولما كان الجاهل عديم ملكة العاقل كان
تعريفه بما ينافيها بل بخاصة العاقل تعريفا بالمناسب وهو خاصة ايضا من خواص الجاهل وقال ع والله لدنياكم
هذه اهون فى عينى من عراق خنزير فى يد مجذوم عراق جمع عرق وهو جمع غريب كتوام وتوءم وهو العظم بعد اخذ اللحم
وذلك مبالغة فى هون الدنيا وحقارتها فى عينه وتنفره منها لان العرق لا خير فيه فاذا كان بيد مجذوم من خنزير كان
في عدم الطبع النفرة منه الغاية وقال ع ان قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار وان قوما عبدوا الله
رهبة فتلك عبادة العبيد وان قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الاحرار قسم عليه السلام عبادة العابدين
بحسب اغراضها الى ثلثة وهى عبادة الرغبة وعبادة الرهبة وعبادة الشكر وجعل الاولى عبادة التجار باعتبار انهم
يستعيضون عنها ثواب الاخرة ويطلبونه بها فهم فى حكم التجار المكتسبين للارباح والثانية عبادة العبيد فى
الدنيا لان خدمتهم لساداتهم اكثر ما تكون رهبة والثالثة عبادة الشاكرين وهم الذين يعبدون الله لا لرغبة
ولا لرهبة بل لانه هو مستحق للعبادة وهى عبادة العارفين واشار اليها عليه السلام فى موضع اخر فقال الهى ما عبدتك
خوفا من عقابك ولا طمعا فى ثوابك بل وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك وقال ع المرأة شر كلها وشر ما فيها
انه لا بد منها واراد شر احوالها كلها على الرجل اما من جهة مؤنتها فظاهر واما من جهة لذتها واستمتاعه بها فلان
ذلك البعد عن الله تعالى والاشتغال عن طاعته واسباب الشر وهو وان كانت عرضية ولما كان كونها لا بد منها
امر محبوبا للحاجة اليها فى طبيعة الوجود الدنيوى هو السبب فى حمل الرجل للمرأة ووقوعه فى شرورها وجب ان يكون
ذلك باعتبار اقوى الشرور المتعلقة بها لان السبب اقوى من المسبب وقال ع من اطاع التوانى ضيع الحقوق
ومن اطاع الواشى ضيع الصديق الانقياد فى سلك التوانى عن الحقوق المطلوبة بخرجها عن وقت الفرصة لحصولها
وذلك يستلزم تضييعها وتفويتها وكذلك الواشى مظنة السعى بالفساد بين المتصادقين فطاعته فيما يقول
مظنة وقوع الوحشة بينهما وتضييع كل منهما الصاحب وقال ع الحجر الغصيب فى الدار رهن على خرابها استعار
لفظ الرهن للحجر المغصوب فى دار الظالم باعتبار كونه سببا لخرابها كما ان الرهن سبب لاداء ما عليه من المال
وهو كناية عن مطلق استلزام الظلم لهلاك الظالم وخراب ما يبنيه بظلمه وان تاخر امده وقد عرفت كون
الظلم معدا لذلك ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله اتقوا الحرام فى البنيان فانه اساس الخراب وقال ع
يوم المظلوم على الظالم اشد من يوم الظالم على المظلوم واراد بيوم المظلوم يوم القيمة وخصصه به
لانه يوم انصافه واخذ حقه وكذلك خصص يوم الظالم بوقت ظلمه لانه فى الدنيا وقال ع اتق الله
بعض التقى وان قل واجعل بينك وبينه سترا وان رق امر بالتقوى لانها الزاد الى الله ولما كان الاستكثار
منها مستلزما للقرب من الله وسرعة الوصول اليه كان الاولى تكثيرها والا فالبعض منها وان قل لانها قابلة
للاقلية والاكثرية والاشدية والاضعفية ولا يجوز ترك الزاد بالكلية فى الطريق الصعبة الطويلة واستعار
لفظ الستر لحدود الله الساترة من عذابه وامر ان يجعلها بينه وبين الله اى يحفظ حدوده ولا يهتكها فيقع

فى مهاوى الهلاك فلفظ الستر شدة المحافظة على حدود الله وعدم استيفاء المباحات لخوف الوقوع فى الحرام
ورقته باستيفاء الامور الجايزة من المباحات والمكروهات وقال ع اذا ازدحم الجواب خفى الصواب اى اذا
سئل عن مسئلة فاجاب جماعة كل بما يخطر له فى المسئلة او تحضر بعدة من الاجوبة خفى الصواب فيها لالتباس الحق
من تلك الاجوبة واكثر ما يكون ذلك فى المسائل الاجتهادية وازدحامه كثرته وقال ع ان لله فى كل نعمة حقا فمن
اداه زاده منها ومن قصر عنه خاطر بزوال نعمته حق الله فى النعمة شكرها الواجب واما استلزام اداء الشكر المزيد فيها
وكون التقصير مظنة زوالها فلقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم الاية ورغب فى الشكر ونفر من الكفران بذكر
كون ذلك حقا لله وقد مر بيانه مرارا وقال ع اذا كثرت المقدرة قلت الشهوة لان قليل القدرة على
ما يشتهيه لا يزال مستشعر الخوف فواته عند حصوله فيكون ذلك الخوف معاقبا للذته فلا يزال فى قلبه
دغدغة نفسانية تحمله على مشتهاه وتبعث شهوته عليه اما اذا انت قد ربه عليه فانه يامن فوته ويجب ذلك
ضعف الباعث للشهوة فيقل الحاجة عليه وشهوته له وقال ع احذروا نفار النعم فما كل شارد بمردود استعار
لفظ النفار والشرود لزوال النعم ملاحظة لشبهها بالنعم وحذر منه حثا على تقييدها بالشكر ونبه على وجوب
ذلك الحذر بقوله فما كل الى اخره وهو صغرى ضمير تقديرها الشارد جاز ان لا يرد وتقدير كبراه وكلما جاز
ان لا يرد لم يجز تنفيره وقال ع الكرم اعطف من الرحم اى اشد عطفا وبينهم سر احد معنيين الاول ان الكريم
يكون اعطف على المنعم عليه من ذوى الرحم على ذى رحمه لان عاطفة الكريم طبع وعاطفة ذى الرحم قد يكون تكلفا
وقد لا يكون اصلا والثانى ان الكرم يستلزم عطفه الخلق على الكريم ومحبتهم له اشد من عاطفة ذى الرحم
على رحمه وقال ع من ظن بك خيرا فصدق ظنه اى افعل ما ظنه فيك من خير وتصديق الظن مطابقة الواقع
الذى ظن ووقوعه له بوقوعه وذلك حث على فعل الخير وقال ع افضل الاعمال ما اكرهت نفسك عليه اراد
من الاعمال الصالحة وافضلها انفعها واكثرها استلزاما للثواب وانما كان كذلك لان فايدة الاعمال الصالحة
تطويع النفس الامارة للنفس المطمئنة ورياضتها بحيث تصير مؤتمرة للعقل واكراه النفس على الامر يكون لشدته فكلما كان اشد
كان اقوى فى رياضتها وانفع فى تطويعها وكسرها ووجب بذلك ان يكون اكثر منفعة فكان افضل ونحوه من الحديث
قوله صلى الله عليه وآله افضل الاعمال احمزها بالزاء المعجمة اى اشقها وقال ع عرفت الله بفسخ العزايم وحل
العقود واراد معرفة وجوده تعالى ووجه الاستدلال ان الانسان قد يعزم على امر ويعقد ضميره على فعل عيب
ما يتصوره من المنفعة الداعية اليه ثم عقيب ذلك يحل ذلك العزم وينفسخ ذلك العقد لزوال ذلك الداعى او
لخاطر معارض له اذا عرفت ذلك فنقول تلك التغيرات والخواطر المتعاقبة المرجحة لفعل الامر المعزوم عليه
امور ممكنة محتاجة فى طرفى وجودها وعدمها الى المرجح والمؤثر فمرجحها ان كان من العبد كان الكلام فيه
كالكلام فى الاول ولزم الدور او التسلسل وهما محالان فلا بد من الانتهاء الى الله تعالى مقلب القلوب
والابصار وذلك هو المطلوب وقال ع مرارة الدنيا حلاوة الاخرة وحلاوة الدنيا مرارة الاخرة

اى مستلزمة لها واستعار لفظى الحلاوة والمرارة للذة والالم وظاهر ان الام الدنيا اللازمة من ترك لذاتها
وعدم الالتذاذ بها طلبا للاخرة وشوقا الى ثوابها مستلزمة لحلاوة الاخرة ولذاتها وكذلك الابتهاج بلذات
الدنيا يستلزم الغفلة عن الاخرة وترك العمل لها وذلك مستلزم لعذابها ومستعقب لشقاوتها وقال ع
فرض الله الايمان تطهيرا من الشرك والصلوة تنزيها عن الكبر والزكوة تسبيبا للرزق والصيام ابتلاء
لاخلاص الخلق والحج تقوية للدين والجهاد عزا للاسلام والامر بالمعروف مصلحة للعوام والنهى عن المنكر
ردعا للسفهاء وصلة الرحم منماة للعدد والقصاص حقنا للدماء واقامة الحدود اعظاما للمحارم وترك شرب
الخمر تحصينا للعقل ومجانبة السرقة ايجابا للعفة وترك الزنا تحصينا للنسب وترك اللواط تكثيرا للنسل و
الشهادات استظهارا على المجاحدات وترك الكذب تشريفا للصدق والسلام امانا من المخاوف والامانة نظاما
للامة والطاعة تعظيما للامامة اقول اشار عليه السلام الى فرايض الله ونبه على عللها الغائية فى الحكمة ليكون
اوقع لذكرها فى النفوس وذكر منها تسع عشرة فريضة الاولى بدأ بالايمان لانه الاصل لجميع الفرايض والسنن
وجعل من اغراضه التطهير من الشرك ولما كان للتطهير من الشرك غاية مطلوبة للشارع هى كمال النفس بمعرفة
الله تعالى كان التطهير غاية غرضه من الايمان الثانية الصلوة ولما كان وضعها لتطويع النفس الامارة
التى هى مبدأ الكبر للنفس المطمئنة ورياضتها وقهرها لا جرم كان من غاياتها تنزيه الانسان من الكبر الثالثة
الزكوة وذكر من غايات فرضها كونها سببا للرزق اذ كان منها رزق الفقراء والمساكين ومن غيرها الشريعة
حقا لهم الرابعة الصيام ولما كان من الشدايد الشاقة على الابدان خصه بان غايته كونه ابتلاء من الله لاخلاص
خلقه وان كانت هذه غاية من كل العبادات الخامسة الحج وانما جعل غايته كونه تقوية للدين لانه عبادة تستلزم
اجتماع اكثر اهل الملة فى مجمع واحد مع غاية من الذلة والخضوع والانقياد لله ومشاهدة كل من الخلق الحاضرين
لذلك الجمع العظيم من الملوك وغيرهم فيتاكد فى قلبه قوة الدين فى عظمته دون ساير العبادات السادسة الجهاد
وكون غايته عز الاسلام وقوته ظاهر السابعة الامر بالمعروف وغايته اصلاح احوال العوام فى معاشهم ومعادهم
وخص العوام لانهم اغلب الخلق ولان من عداهم هم العلماء والولاة الامرون بالمعروف الفاعلون له الثامنة
النهى عن المنكر وكون غايته ردع السفهاء ظاهر لان السفيه ما لم يكن له رادع من سلطان الدين تكثر مفسدته
المضادة لمصلحة العالم التاسعة صلة الارحام ومن غاياتها كونها منماة للعدد اى عدد اولى الرحم اذ زيادة عددهم
باستقامة معاشهم وصلة الرحم سبب لذلك العاشرة القصاص وغايته حقن الدماء والكف عن سفكها
لخوف المكافات كقوله تعالى ولكم فى القصاص حيوة وقولهم القتل انفى للقتل الحادية عشرة اقامة حدود الله وغايتها
اعظام حرمات محارم الله كى لا تنتهك وتعرف الخلق اليها عن قصد السبيل فيضيع غرض الشارع من وضع الدين
الثانية عشرة ترك شرب الخمر وغايته تحصين العقل من مخامرتها له واشتغاله عما خلق له من طلب الاستكمال بكمال
الحكمة الثالثة عشرة مجانبة السرقة وغايتها ايجاب العفة اذ السرقة تنشأ عن كما طاعة الشهوة والعبور فيها الى

حد الافراط والفجور فكان من غايات تحريمها وقوف من فى طباعه ذلك على حد العفة الثالثة عشرة ترك الزنا ومن
غاياته حفظ الانساب وما يتبعها من المواريث فان الزنا يوجب اختلاط الانساب وضياع الاموال التى هى قوام الخلق
فى الدنيا وقد سبق سره الرابعة عشرة ترك اللواط وغايته تكثير النسل وتوفير مادته على محال الغاية كثرة النوع وبقاؤه
الخامسة عشرة الشهادات وغايتها استظهار المستشهد على مجاحدة خصمه كى لا يضيع حقه لو لم يكن بينهما شاهد السادسة
عشرة ترك الكذب ومن غاياته تشريف الصدق وتعظيمه بتحريم ضده لما فيه مصلحة العالم عليه ونظام امور الخلق به
وقد سبق بيان مفاسد الكذب الموجبة لتحريمه السابعة عشرة الاسلام ومن غاياته الامن من مخاوف الدنيا لصولة
الاسلام على ساير الاديان ومن مخاوف الاخرة وهو ظاهر وروى السلام ولما كان سببا للتودد الى الخلق كان
امانا من مخاوفهم الثامنة عشرة الامانة وغاية فرضها كونها نظاما لامر الامة اذ الخلق متى كان لهم رئيس مبسوط
اليد قوى الشوكة يردع الظالم عن ظلمه ويأخذ للمظلوم حقه كان بذلك صلاح احوالهم ونظام امورهم فى معاشهم
ومعادهم ولا كذلك اذا لم يكن مثل ذلك الرئيس التاسعة عشرة طاعة الامام وغاية فرضها تعظيم امامة الامام
لغاية امتثال الخلق لقوله والاقتداء به وقد سبقت الاشارة الى اسرار كثير من هذه الفرايض مفصلة وقال ع
احلفوا الظالم اذا اردتم يمينه بانه برئ من حول الله وقوته فانه اذا حلف بها كاذبا عوجل واذا حلف بالله الذى لا اله
الا هو لم يعاجل لانه قد وحد الله سبحانه قد يرى المجتهد تاكيد اليمين بمثل ما ذكر عليه السلام لغاية نكول الكاذب
عنها واداء الحق وذلك ان نفس الكاذب تنفعل عن مثل هذا اللفظ لعلمه بظلمه وتوهم تصديق الله تعالى ومطابقته
لقوله فيفعل المدعو به بخلاف اليمين المعتادة فيستعد بذلك للمعاجلة بالعقوبة وروى ان واشيا سعى بالصادق ع
الى المنصور فاستحضره وقال ان فلانا ذكر عنك كذا وكذا فقال عليه السلام لم يكن ذلك منى وابى الساعى الا كونه
منه فحلفه الصادق ع بالبراءة من حول الله وقوته ان كان كاذبا فحلف فما انقطع كلامه حتى اصيب بالفالج فصار كقطعة
لحم يجر برجله ونجا الصادق منه وقال ع يا ابن ادم كن وصى نفسك واعمل فى مالك ما تؤثر ان يعمل فيه من بعدك
اى كما توصى من بعدك ان يضع مالك موضع القربات واصطناع اهلك به فكن انت ذلك الوصى وضعه تلك
المواضع فى حياتك وهو حث على بذل المال فى وجهه وقال ع الحدة ضرب من الجنون لما كان الجنون حالة
مخصوصة تعرض للانسان بسبب خروج القوى النفسانية عن قبول تصرف العقل الى طرفى الافراط والتفريط وكانت
الحدة خروج قوة الغضب عن ضبط العقل لها على قانون العدل الى طرف الافراط كانت قسما من الجنون وتنفصل
الحدة بالرجوع فى الغضب الى طاعة العقل وقال ع صحة الجسد من قلة الحسد اى ان الحسد قد يكون ايضا بالصحة كما يكون
بغيرها فينفعل فيها وذلك هو الحسد البالغ فكانت صحة الجسد دليلا على قلة الحسد اذ لم يتعلق بها وقال ع
لكميل بن زياد النخعى يا كميل مر اهلك ان يروحوا فى كسب المكارم ويدلجوا فى حاجة من هو نايم فوالذى وسع سمعه الاصوات
ما من احد اودع قلبا سرورا الا وخلق الله له من ذلك السرور لطفا فاذا نزلت به نازلة جرى اليها كالماء فى انحداره
حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل اقول الادلاج السير بالليل والنايبة المصيبة واراد ان ادخال السرور على قلب

ذى الحاجة بقضائها فجعله الله سببا يلطف به لقاضى الحاجة ويقيه بها من مصيبة تعرض له ويشبه ان يكون
ذلك اللطف هو اخلاص ذى الحاجة وتعلقه فى امداده ومعونته بدعاء الله له وشكره وثنائه واستجلاب
قلوب الخلق بذلك له وكل ذلك بعده الله لوقايته له وطرد المصائب عنه وشبه جريان ذلك اللطف الدافع
المكروه عنه بجرى الماء فى انحداره ووجه الشبه سرعة الانحدار للدفع والحفظ لانه من امر الله وما امرنا الا واحدة
كلمح بالبصر وكذلك هو دفع ذلك اللطف للنائبة بطرد غريبة الابل ووجه الشبه شدة الطرد والابعاد وباقى
الفضل ظاهر **وقال ع** اذا املقتم فتاجروا الله بالصدقة والاملاق الفقر وقد مر ان الصدقة تعد المزيد
من فضل فامر الفقراء ان يتصدقوا بما عساه يقع فى ايديهم ولو بشق تمرة ليستعدوا بذلك لافاضة فضل الله
ورغبهم فى ذلك بذكر التجارة وهى استعارة لاستفاضة ما يحصل عما يبذل والفقراء اولى باستجلاب الرزق بالصدقة
من الاغنياء لانفعال القلوب لهم ورقتها عليهم ولما يسبق الى اذهان الخلق ان ذلك منهم عن اخلاص دون
الاغنياء **وقال ع** الوفاء لاهل الغدر غدر عند الله والغدر باهل الغدر وفاء عند الله تعالى وذلك ان من
عهد الله فى دينه الغدر باهل الغدر وعدم الوفاء لهم اذا غدروا لقوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة
فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين فانها نزلت فى يهود بنى قينقاع وكان بينهم وبين الرسول صلى الله عليه
واله عهد فعزموا على نقضه فاخبره الله تعالى بذلك وامره بحربهم ومجازاتهم بنقض عهدهم فكان الوفاء لهم غدرا
بعهد الله والغدر بهم اذا غدروا وفاء بعهد الله قال السيد رحمه الله **فصل** نذكر فيه شيئا من اختيار غريب
كلامه ع المحتاج الى التفسير فى حديثه عليه السلام فاذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه فيجتمعون اليه كما يجتمع
قزع الخريف قال السيد يعسوب الدين السيد العظيم المالك لامور الناس يومئذ والقزع قطع الغيم التى لا ماء
فيها اقول اومى بقوله ذلك الى علامات ذكرها فى اخر الزمان لظهور صاحب الامر واستعار له لفظ اليعسوب
وهو فى الاصل امير النحل ملاحظة لشبهه به واما ضرب بذنبه فقيل فيه اقوال احدها ان الضرب هو السير فى الارض
وذنبه استعارة فى اعوانه واتباعه والباء للاستصحاب الثانى لما كان ضرب النحل بذنبه لسعه كنى بذلك عن
نصب سيوفه وسهامه فى اعدائه لقتلهم واذاهم الثالث انه كناية عن ثورانه وغضبه لدين الله ملاحظة
لشبهه بالسبع حال صولته وغضبه وهذا الوجه اشبه الثلثة وشبه اجتماع المومنين واهل طاعة الله باجتماع قطع
الغيم المتفرقة ووجه الشبه سرعة الاجتماع لان قزع الخريف سريع التاليف وفى حديثه عليه السلام هذا الخطيب
الشحشح قال السيد يريد الماهر بالخطبة الماضى فيها وكل ماض فى كلام او سير فهو شحشح والشحشح فى غير هذا الموضع
البخيل الممسك يروى انه راى خطيبا يخطب فقال ما هذا الخطيب الشحشح اى الماهر فى خطبته وفى حديثه ع ان للخصومة
قحما قال السيد يريد بالقحم المهالك لانها تقحم باصحابها فى المهالك والمتالف فى الاكثر ومن ذلك قحمة
الاعراب وهو ان تصيبهم السنة فتتعرق اموالهم فذلك تقحمها فيهم وقد قيل فيه وجه اخر وهو انها تقحمهم بلاد
الريف اى تحوجهم الى دخول بلاد الحضر عند محول البدو واقول يروى انه عليه السلام وكل اخاه فى خصومة وقال

ان لها قحما وان الشيطان يحضرها والقحم المهالك وذلك انها مظنة ثوران القوة الغضبية والخروج عن حد العدل
فيها الى رذيلة الافراط التى هى مظنة الهلاك وفى حديثه ع فاذا بلغ النساء نص الحقاق فالعصبة اولى ويروى
نص الحقائق قال السيد والنص منتهى الاشياء ومبلغ اقصاها كالنص فى السير لانه اقصى ما تقدر عليه الدابة و
تقول نصصت الرجل عن الامر اذا استقصيت مسالته عنه لتستخرج ما عنده فيه فنص الحقاق يريد به الادراك لانه
منتهى الصغر والوقت الذى يخرج منه الصغير الى حد الكبير وهو من افصح الكنايات عن هذا الامر واغربها يقول
فاذا بلغ النساء ذلك فالعصبة اولى بالمراة وهو الجدال والخصومة وقول كل واحد للاخر انا احق منك بهذا ويقال
منه حاققته حقاقا مثل جادلته جدالا وقد قيل ان نص الحقاق بلوغ العقل وهو الادراك لانه عليه السلام انما اراد
منتهى الامر الذى يجب به الحقوق والاحكام ومن رواه نص الحقائق فانما اراد جمع حقيقة هذا معنى ما ذكره ابو عبيد
القسم بن سلام والذى عندى ان المراد بنص الحقاق هنا بلوغ المراة الى الحد الذى يجوز فيه تزويجها وتصرفها فى
حقوقها تشبيها بالحقاق من الابل وهى جمع حقة وحق وهو الذى استكمل ثلث سنين ودخل فى الرابعة وعند ذلك
يبلغ الى الحد الذى يتمكن فيه من ركوب ظهره فى سيره والحقائق ايضا جمع حقة والروايتان جميعا ترجعان الى معنى
واحد وهذا اشبه بطريقة العرب من المعنى المذكور اولا واقول الذى ذكره السيد انسب الى كلام العرب كما قال غيره
ان نص الحقاق استعارة لا تشبيه وان كانت الاستعارة تتضمن التشبيه والعصبة بنو الرجل وقرابته لابيه سموا بذلك
لانهم عصبوا به وحلقوا عليه وقيل يحتمل ان يراد بالنص الارتفاع يقال نصت الظبية راسها اذا رفعته ومنه منصة العروس
لارتفاعها عليها ويكون قد استعار لفظ الحقاق للانثى الصغيرة اذا نهدت وارتفعت لشبهها بالحقة صورة اى اذا
بلغن حد ان يرتفع ثدياهن كانت العصبة اولى بهن من الام لانه وقت ادراكهن وعلامة صلاحيتهن للتزويج وفى
حديثه ان الايمان يبدو لمظة فى القلب كلما ازداد الايمان ازدادت اللمظة قال السيد اللمظة مثل النكتة او نحوها
من البياض ومنه قيل فرس المظ اذا كان بجحفلته شىء من البياض واقول اراد ان الايمان وهو التصديق بوجود الصانع
تعالى اول ما يكون فى النفس يكون خالصا ثم لا يزال يتاكد بالبراهين والاعمال الصالحة الى ان يصير ملكة تامة
ولفظ اللمظة استعارة لما يبدو من نور الايمان فى النفس اولا لكونه ملاحظة لشبهه باللمظة من البياض والنكتة
من نور الشمس ونصب لمظة على التمييز والحال وقال وفى حديثه عليه السلام ان الرجل اذا كان له الدين الظنون
يجب عليه ان يزكيه لما مضى اذا قبضه قال السيد والظنون هو الذى لا يعلم صاحبه ايقبضه من الذى عليه ام لا
فكانه الذى يظن به فمرة يرجوه وتارة لا يرجوه وهذا من افصح الكلام وكذلك كل امر تطلبه ولا تدرى على
اى شىء انت منه فهو ظنون وعلى ذلك قول الاعشى ما يجعل الجد الظنون الذى جنب صوب اللجب الماطر مثل الفراتى
اذا ما طما يقذف بالبوصى والماهر والجد البئر والظنون التى لا يعلم افيها ماء ام لا وقيل يقول عليه السلام اذا كان
لك مثلا عشرون دينارا دينا على رجل وقد اخذها منك ووضعها كما هى من غير تصرف فيها وانت تظن ان تستردها
منه ردها اليك فاذا مضى عليها احد عشر شهرا واستهل هلال الثانى عشر وجبت زكاتها عليك والحجة قوله

من امها اذا كانوا محرما مثل الاخوة والاعمام وبتزويجها ان ارادوا ذاك والحقاق محاقة الام للعصبة فى المراة ع

الاعشى هو السحاب المصوت ذو الرعد واراد بالفراتي الفرات والياء للتاكيد كقولهم والدهر بالانسان دواري
ويحتمل ان يريد بالنهر الفراتي والبوصي ضرب من سفن البحر والماهر السابح ومراده انه لا يقاس البئر الذي يشك
هل فيه ماء ام لا بالبحر الفراتي اذا ما طما وهو كالمثل لعدم مساواة البخيل للكريم وفي حديثه عليه السلام انه
شيع جيشا يغزيه فقال اعذبوا عن النساء ما استطعتم قال السيد ره ومعناه اصدفوا عن ذكر النساء وشغل القلوب
بهن وامتنعوا من المقاربة لهن لان ذلك يفت في عضد الحمية ويقدح في معاقد العزيمة ويكسر عن العدو ويلفت
عن الابعاد في الغزو وكل من امتنع عن شيء فقد اعذب عنه والعاذب والعذوب الممتنع من الاكل والشرب قوله يفت
في عضد الحمية كناية عن كسرها وفي حديثه عليه السلام كالياسر الفالج ينتظر اول فوزة من قداحه قال السيد
الياسرون هم الذين يتضاربون بالقداح على الجزور والفالج القاهر الغالب يقال قد فلج عليهم وفلجهم قال الراجز
لما رايت فالجا قد فلجا اقول قد مر شرحه في قوله اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى الارض كقطر المطر وفي حديثه
عليه السلام كنا اذا احمر الباس اتقينا برسول الله ص فلم يكن احد منا اقرب الى العدو منه قال السيد ومعنى ذلك
انه اذا عظم الخوف من العدو واشتد عضاض الحرب فزع المسلمون الى قتال رسول الله ص بنفسه فينزل الله
تعالى النصر عليهم به ويامنون مما كانوا يخافونه بمكانه وقوله ص اذا احمر الباس كناية عن اشتداد الامر وقد قيل
في ذلك اقوال احسنها انه شبه حمي الحرب بالنار التي تجمع الحرارة والحمرة بفعلها ولونها ومما يقوي ذلك قول النبي ص
وقد راى مجتلد الناس يوم حنين وهو حرب هوازن الآن حمي الوطيس والوطيس مستوقد النار فشبه صلى الله عليه
وآله ما استحر من جلاد القوم باحتدام النار وشدة التهابها اقول استعار وصف احمرار الباس لشدته ملاحظة
لشبهه بالنار الموقدة وقد مر مثل ذلك في بعض كتبه **وقال ع** لما بلغه اغارة اصحاب معوية على الانبار فخرج بنفسه
ماشيا حتى اتى النخيلة فادركه الناس وقالوا يا امير المؤمنين نحن نكفيكهم فقال عليه السلام والله ما تكفونني
انفسكم فكيف تكفونني غيركم ان كانت الرعايا قبلي لتشكو حيف رعاتها فانني اليوم لاشكو حيف رعيتي كانني المقود
وهم القادة او الموزوع وهم الوزعة فلما قال هذا القول في كلام طويل قد ذكرنا مختاره في جملة الخطب تقدم اليه
رجلان من اصحابه فقال احدهما اني لا املك الا نفسي واخي فمرنا بامرك يا امير المؤمنين ننفذ له فقال واين تقعان
مما اريد اقول تمام هذا الفصل قد مر شرحه في الخطب قيل ان الحارث بن حوط اتاه عليه السلام فقال اتراني اظن
اصحاب الجمل كانوا على ضلالة فقال عليه السلام يا حار انك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت انك لم تعرف
الحق فتعرف اهله ولم تعرف الباطل فتعرف اهله وفي نسخة فتعرف من اتاه فقال الحرث فاني اعتزل مع سعد
بن مالك وعبد الله بن عمر فقال ع ان سعدا وعبد الله لم ينصرا الحق ولم يخذلا الباطل قوله اترى انه
انكار لرؤيته كذلك وترخيم حارث وقيل في قوله انك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك اي نظرت في اعمال الناكثين
من اصحاب الجمل المتمسكين بظاهر الاسلام الذين هم دونك في المرتبة لبغيهم على امام الحق فاغتررت بشبههم و
اقتديت بهم ولم تنظر الى من هو فوقك وهو امامك الواجب الطاعة ومن معه من المهاجرين والانصار ولامحت

حكم

حكمهم بكون خصومهم على الباطل فكان ذلك سبب حيرتك ويحتمل ان يكون نظره تحته كناية عن نظره الى باطل هؤلاء وشبههم
المكتسبة من محبة الدنيا التي هي الجهة السافلة ونظره فوقه كناية عن نظره الى الحق وتلقيه من الله وقوله انك لم
تعرف تفصيل لسبب حيرته وهو عدم معرفة الحق والباطل المستلزم لجهله باهلهما ولو عرفهما لجزم باتباع الحق
واجتناب الباطل وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك وقع في الحيرة والضلال وسعد بن
مالك هو سعد بن ابي وقاص فانه لما قتل عثمان اشترى اغناما واعتزل الى البادية وكان يتعيش بتلك الاغنام
حتى مات ولم يشهد بيعته على عليه السلام واما عبد الله بن عمر فالتجأ الى اخته حفصة زوجة النبي ص بعدما بايع
لامير المؤمنين ع ولكنه لم يشهد معه حرب الجمل وقال قد عجزت عن العبادة عن الغزو والمحاربة فلست مع علي عليه
السلام ولا مع اعدائه فاما قوله في جوابه ان سعدا الى اخره فهو صغرى ضمير تنبيه على انه لا يجوز لزوم متابعتهما
في الاعتزال وهي من المخيلات المنفرة التي في صورة الذم وان كانت صادقة وتقدير الكبرى وكل من كان
كذلك فلا يجوز متابعته **وقال ع** صاحب السلطان كراكب الاسد يغبط بموقعه وهو اعلم بموضعه اي يتمنى
موقعه وهو يعلم انه في غاية من المخاطرة بالنفس والتعرض لها وذلك هو وجه الشبه براكب الاسد **وقال ع**
احسنوا في عقب غيركم تحفظوا في عقبكم العقب من يخلفه الانسان من الولد وولد الولد وانما كان كذلك لان
المجازات واجبة في الطبيعة ولان الذكر الجميل بذلك يعطف الناس على عقب المحسن من بعده **وقال ع**
ان كلام الحكماء اذا كان صوابا كان دواء واذا كان خطا كان داء وذلك لقوة اعتقاد الخلق فيهم وشدة قبولهم
لما يقولونه فان كان حقا كان دواء من الجهل وان كان باطلا اوجب للخلق داء الجهل لذلك قيل زلة العالم
زلة العالم وساله رجل ان يعرفه الايمان فقال اذا كان غدا فاتني حتى اخبرك على اسماع الناس فان نسيت مقالتي
حفظها عليك غيرك فان الكلام كالشاردة يثقفها هذا ويخطئها هذا وقد ذكرنا ما اجابه به عليه السلام
فيما تقدم من هذا الباب وهو قوله عليه السلام الايمان على اربع شعب ووجه تشبيه الكلام بالشاردة من الابل
قوله يثقفها اي يجدها في ضلالها الى اخره والفصل ظاهر **وقال ع** يا ابن آدم لا تحمل هم يومك الذي لم ياتك
على يومك الذي قد اتاك فانه ان يكن من عمرك ياتي الله فيه برزقك اي ينبغي ان يكون الاهتمام بحاجة كل يوم
مخصوصا بذلك اليوم والكلمة صغرى ضمير تنبيه على ترك الاهتمام بالرزق من الايام وتقدير الكبرى وكلما
كان كذلك فلا ينبغي الاهتمام له **وقال ع** احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك
هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما فايدة هذه الكلمة الامر بالاعتدال في المحبة والبغض وعدم الافراط
فيهما لما في الافراط من المفسدة والهون السكينة والوقار وهو صفة مصدر محذوف اي حبا هينا معتدلا
وما في الموضعين تفيد شيئا ما في الهون واليوم وان الغرض منه مقدار دون الافراط ووقت من الاوقات
وان لم يكن معينا ونبه على سر ذلك بقوله عسى في الموضعين وهما صغريا ضميرين اما مفسدة افراط المحبة فلاستلزامه
اطلاع المحب لمحبوبه على اسراره وتوقيفه على احواله فربما انقلب بعد ذلك عدوا له فيكون اقدر على هلاكه من

غيره من الاعداء وكذلك مفسدة افراط البغض وهو عدم الابقاء على المبغوض وذلك يستلزم دوام المعاداة فالاعتدال
في ذلك اولى لانه ربما عاد العدو الى الصداقة فكان المبغض قد ابقى للصداقة موضعا وتقدير الكبرى للاولى
وكل حبيب جاز ان يكون عدوا في وقت ما فينبغي ان لا يفرط في حبه وتقدير كبرى الثاني وكل عدو جاز ان يكون
صديقا يوما ما فينبغي ان لا يفرط في بغضه **وقال عليه السلام** الناس في الدنيا عاملان عامل في الدنيا للدنيا قد شغلته
دنياه عن آخرته يخشى على من يخلفه الفقر ويامنه على نفسه فيفني عمره في منفعة غيره وعامل عمل في الدنيا لما بعدها
فجاءه الذي له من الدنيا بغير عمل فاحرز الحظين معا وملك الدارين جميعا فاصبح وجيها عند الله لا يسأل الله
شيئا فيمنعه لما كان العمل في هذه الحيوة لا بد منه فعل العاقل اما لها او لغيرها وغيرها هو الآخرة فاذن
الناس عاملان واشار الى الاول في معرض ذمه بقوله قد شغلته دنياه الى قوله غيره ومعنى ذلك انه يشتغل بتحصيل
الدنيا خوف الفقر على ولده من بعده فيفني عمره في منفعتهم يحصلها لغيره ولا يخشى الفقر الاكبر في الآخرة من
الخيرات الباقية على نفسه وذلك ضلال مبين واشار الى الثاني في معرض مدحه بقوله وعامل الى قوله فجاءه
الذي له من الدنيا اي المكتوب له في اللوح المحفوظ من رزق ونحوه وقوله بغير عمل اي للدنيا لان العمل بقدر
الضرورة من الدنيا ليس من العمل لها بل للآخرة وهو مقصود من الدنيا بالعرض وبذلك يحرز حظيه من الدنيا
والآخرة ويكون في الدنيا ملكا بقناعته وفي الآخرة بثمرة اعماله ووجاهته عند الله وعلو منزلته في استعداده بطاعته
مستلزم لقبول دعوته ولاجابته فيما سأل وروي انه ذكر عند عمر بن الخطاب في ايامه حلي الكعبة وكثرته فقال قوم
لو اخذته فجهزت به جيوش المسلمين كان اعظم للاجر وما يصنع الكعبة بالحلي فهم عمر بذلك وسأل عنه امير المؤمنين
عليه السلام فقال ان القرآن انزل على النبي صلى الله عليه وآله والاموال اربعة اموال المسلمين فقسمها بين الورثة
في الفرائض والفيء فقسمه على مستحقيه والخمس فوضعه الله حيث وضعه والصدقات فجعلها حيث جعلها
وكان حلي الكعبة فيها يومئذ فتركه الله على حاله ولم يتركه نسيانا ولم يخف عليه مكانا فاقره حيث اقره الله ورسوله فقال
عمر لولاك لافتضحنا وترك الحلي بحاله القصة مشهورة وخلاصة حجته عليه السلام ضمير اشار الى صغراه وتقدير كبراها
ان حلي الكعبة فيها اقره الله على حاله ورسوله من غير نسيان له ولا جهل بمكانه مع تعرضه لجميع الاموال وتقدير
الكبرى وكلما اقره الله ورسوله ونسيانا نصب على الحال ومكانا على التمييز ودفع اليه عليه السلام رجلان
سرقا من مال الله احدهما عبد من مال الله والآخر من عروض الناس فقال اما هذا فهو مال الله فلا حد عليه مال الله
اكل بعضه بعضا واما الآخر فعليه الحد فقطع يده عرض الناس سائرهم وعامتهم ولحج للعبد بضمير صغراه قوله
فهو مال الله اكل بعضه بعضا وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فلا قطع عليه واما المقطوع فانه قد كان سرق
نصابا من مال الغنيمة من جزء ولم يكن له نصيب منها ولما ان كان له نصيب فان كان المسروق فوق نصيبه
نصابا قطع والا فلا **وقال عليه السلام** لو استوت قدماي من هذه المداحض لغيرت اشياء المداحض المزالق واستواء
قدميه كناية عن ثباته وتمكنه من اجراء الاحكام الشرعية على وجوهها في المسائل الاجتهادية المشكلة الى

على حاله وجب لان ابقاءهما
في ازاره ومال الله مصروفة
التمييز وهي قوله فاقره حيث
اقره اقتضى رسوله ح

ان يخفى حكم الشرع فيها على غيره وذلك انه في خلافته لم يتمكن من تغيير كثير من احكام الخلفاء قبله وكان له في بعضها
راي غير ما راوه واستعار لتلك المسائل لفظ المداحض باعتبار انها مزال اقدام العقول ومزالها واومى بقوله
لغيرت اشياء الى ما كان يرى فساده من احكام غيره في تلك المسائل وان اقدام عقولهم قد زلت فيها عن سواء
الصراط **وقال عليه السلام** اعلموا علما يقينا ان الله لم يجعل للعبد وان عظمت حيلته واشتدت طلبته وقويت
مكيدته اكثر مما سمي له في الذكر الحكيم ولم يحل بين العبد في ضعفه وقلة حيلته وبين ان يبلغ ما سمي له في الذكر
الحكيم والعارف لهذا العامل به اعظم الناس راحة في منفعته والتارك له الشاك فيه اعظم الناس شغلا
في مضرته ورب منعم عليه مستدرج بالنعمى ورب مبتلى مصنوع له بالبلوى فزد ايها المستمع في شكرك وقصر من
عجلتك وقف عند منتهى رزقك وفي هذا الفصل لطائف الاولى قام البرهان على ان ما علم الله تعالى وجوده فهو
واجب الوقوع وما علم عدمه فهو ممتنع الوقوع لا جرم لم يكن لكل من القوي والضعيف من الرزق ونحوه الا
ما علم الله تعالى وصوله اليه بقلم القضاء الالهي في الذكر الحكيم واللوح المحفوظ ولم يبلغ عظم الحيلة قوي المكيدة
حيلته اكثر مما سمي له ولا قصر الضعيف بضعفه عن بلوغ ما سمي له ولاجل ثبوت ذلك بالبرهان امرهم
بتيقنه ورغبهم في علمه والعمل به بضمير صغراه قوله والعارف الى قوله في منفعته اما راحته فلعلمه ان ما كتب له
لا بد ان يصل اليه فيترك لذلك شدة الاهتمام به والكدح له ولما كانت راحة قلبية وبدنية كانت اعظم
الراحات ولما كانت مع منفعته بما يصل اليه اكد شرفها وكذلك نفر عن الشك في ذلك وترك العمل بقوله
والتارك لهذا الشاك فيه الى آخره وهو ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فلا ينبغي له الشك فيه وتركه
واما كان اعظم الناس شغلا لانه شغل قلبه وبدنه فيما لا فائدة فيه فيلزمه مضرة ما الصبر فان قلت فهذا ينافي
الامر بالدعاء وبالسعي في طلب الرزق كقوله تعالى فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ونحوه قلت قد
بينا انه لا ينافي في ذكرنا اسرار الدعاء وقاله انه وحاصله انه قد يكون الدعاء سببا لوجود الرزق فيعلم الله
تعالى وجوده بواسطة سببه ولا تنافي بينهما الثانية نبه اهل النعمة والغنى واهل الابتلاء على وجوب شكر الله
تعالى على حاليهما اما اهل النعمة فنبههم بان نعمتهم قد تكون استدراجا لهم ليشكروا الله عليها كيلا يستدرجهم
بها واما اهل البلوى فنبههم بان بلواهم قد يكون صنعا من الله في حقهم ليعدهم بها للثواب الجزيل فيجب عليهم
شكر ذلك الصنع والقضيتان صغريا ضميرين تقدير الاولى منهما بعض المنعم عليه مستدرج بالنعمى وتقدير الكبرى
وكل مستدرج بالنعمى يجب عليه ان يحترز بشكر نعمة الله عليه من الاستدراج بها فكذلك تقدير الثانية
وبعض المبتلى مصنوع له بالبلوى وتقدير الكبرى وكل مصنوع اليه فيجب عليه شكر صنع الله في حقه ولذلك
امر المستمعين مطلقا بزيادة الشكر مع ان فيهم المنعم عليهم والمبتلى ثم امر بالتقصير من العجلة في طلب الرزق
والوقوف دون حد الافراط فيه على حد العدل وقال لا تجعلوا علمكم جهلا ويقينكم شكا اذا علمتم فاعملوا
واذا تيقنتم فاقدموا نهاهم ان يجعلوا علمهم بما اهم عليه من احوال الآخرة جهلا اي في حكم الجهل ويقينهم شكا

اى فى قوة الشك وبمنزلته لتركهم العمل على وفق ما علموه وتيقنوه ولذلك امرهم بالعمل على وفق علمهم والاقدام
عليه على وفق يقينهم وقال عليه السلام ان الطمع مورد غير مصدر وضامن غير وفى وربما شرق شارب الماء قبل
ريه وكلما عظم قدر الشىء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده والامانى تعمى اعين البصائر والحظ ياتى من
لا ياتيه نفر عن الطمع فى الدنيا والحرص فى طلبها وتمنيها واقتنائها بوجوه الاول صغرى قوله ان الطمع
الى قوله وفى اى يورد الطامع موارد الهلكة ولا يصدر عنها واستعار له لفظ الضامن غير الوفى باعتبار انه
يرغب فى الطلب ويدعو اليه مع انه قد يكون كاذبا لكونه يضمن شيئا ويخلف فيه وتقدير كبراه وكلما كان
كذلك فلا ينبغى ان يتبع ويوثق به الثانى قوله وربما الى قوله ريه وهو تنبيه على انه لا يجوز الاسترسال فى
طلب الدنيا بضمير كنى عن صغراه بذلك وتقديرها ان المسترسل فى طلبها قد يخترم ويقتطع دون بلوغ
امله فيها وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا ينبغى له الاسترسال فى طلبها الثالث نفر عن المنافسة
فيما عظم قدره من متاعها بضمير صغراه قوله وكلما الى قوله لفقده والرزية المصيبة وتقدير الكبرى وكلما
عظمت الرزية لفقده فلا ينبغى اقتناؤه اذ كان من ضرورته فقده وفناؤه الرابع نفر عن الامانى بضمير صغراه
قوله والامانى تعمى اعين البصائر وذلك انها تشغل الفكر بما لا يغنى عن طلب ما يغنى من الكمالات العقلية
واستعار لفظ الاعين للافكار باعتبار ادراكها وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك وجب اجتنابه الخامس
على ترك طلب الحظ من الدنيا بقوله والحظ ياتى من لا ياتيه اى الحظ لمن كان له حظ يصل اليه وان لم يسع فى
طلبه وهو فى قوة صغرى ضمير وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فلا حاجة الى طلبه واتيانه وقال عليه السلام اللهم
انى اعوذ بك ان تحسن فى لامعة العيون علانيتى وتقبح فيما ابطن لك سريرتى محافظا على رئاء الناس من نفسى
بجميع ما انت مطلع عليه منى فابدى للناس حسن ظاهرى وافضى اليك بسوء عملى تقربا الى عبادك وتباعدا
من مرضاتك فصل اوصل واستعاذ بالله ان يجمع لحسن الظاهر فى عيون الناس مع قبح باطنه عند الله بالرياء
والتصنع بالزهادة والعبادة الظاهرة لغاية طلب الدنيا ولامعة العيون اضافة للصفة الى الموصوف
اى العيون اللامعة ومحافظا حال وتقربا وتباعدا مصدران سدا مسد الحال ويحتمل نصبهما على المفعول له
وقال عليه السلام لا والذى امسينا منه فى غبر ليلة دهماء تكشر عن يوم اغر ما كان كذا وكذا فغبر الليل بقاياه
والدهماء السوداء والتكشر التبسم بحيث تبدو الاسنان والاغر الواضح ولفظ التكشر مستعار لليلة
باعتبار اسفارها عن صبح يومها فهى كالضاحكة واليمين فى غاية الفصاحة وعن مثلها ينفعل الخاطر
وقال عليه السلام قليل تدوم عليه ارجى من كثير مملول منه اراد من الافعال فان القليل الدائم اكثر من الكثير الملول
المنقطع واقوى اعدادا للنفس فكان انفع فى الاخرة وقال عليه السلام اذا اضرت النوافل بالفرائض فارفضوها
اى اذا اخلت ببعض شرائط الفرائض وجب تركها وقد مر ذلك مشروحا وقال عليه السلام من تذكر بعد السفر
استعد واداوة التذكر لبعد طريق الاخرة يلزمه الاستعداد لها بالتقوى وقال عليه السلام ليس الروية مع الابصار

وقد تكذب العيون اهلها ولا يغش العقل من استنصحه هذا تنبيه على وجوب اعمال الفكر فيما ينبغى فان العقل مرشد
الحواس وهو الناقد البصير والناصح الشفيق الذى لا يغش مستنصحه واستعار لفظ الاستنصاح لمراجعته واعمال الروية
وتوجيهه الى استخراج الاراء الصالحة ولفظ الغش لكذبه اى لا يكذب من استنصحه وجعله رايه واما الحواس فقد
تكذب اهلها واعلم ان البصر وغيره من الحواس الظاهرة لا حكم له واما الحكم ببعض المحسوسات على بعض فحكم العقل
بواسطة الخيال والوهم وكلما عرض فى تلك الاحكام من الغلط فهو من اغلاط الوهم على ما بين فى موضعه وحينئذ
يكون قوله وقد تكذب العيون اهلها اى قد تكذب الاحكام الوهمية على مدركات العيون كالحكم بكون القطر
النازل خطا مستقيما والشعلة التى تدار بسرعة كالدائرة ونحوه وقال عليه السلام بينكم وبين الموعظة حجاب من الغرة استعار
لفظ الحجاب لما يعرض للنفوس من الهيئات البدنية المغفلة عن النظر فى العبرة وقبول الموعظة والانتفاع بها وقال عليه السلام
جاهلكم مزداد اى من الاثم مسوف اى بالتوبة وقال عليه السلام قطع العلم عذر المتعللين اى العلم بالدين وما بلغه الرسول
صلى الله عليه وآله من البشارة والنذارة فان ذلك قاطع لعذر من عصاه بقوله انا كنا عن هذا غافلين كما قال
تعالى رسلا مبشرين ومنذرين الاية وقال عليه السلام كل معاجل يسال الانظار وكل مؤجل يتعلل بالتسويف وهو توبيخ
على ترك العمل لصالح المعاجل والمؤجل وقال عليه السلام ما قال الناس لشىء طوبى له الا وقد خبا له الدهر يوم سوء اى ما استحسن
الناس من الدنيا شيئا الا وفى قوة الدهر اعداد لفساده واهلاكه يوما ما ولا بد من خروج ما فيه بالقوة الى الفعل
وقال عليه السلام وقد سئل عن القدر طريق مظلم فلا تسلكوه وبحر عميق فلا تلجوه وسر الله فلا تتكلفوه وقال عليه السلام السؤال
عن ماهية القدر وكيفيته ووقوع الافعال بحسبه وهذه المسئلة من مسائل العلم الالهى وفيها خبط عظيم بين الحكماء
والمتكلمين وقد نبهنا على ما هو الحق فيها فيما سبق ولصعوبتها كان الخوض فيها مظنة الضلال والتيه فى حق [illegible]
له فلذلك نفر عليه السلام عن الخوض فيها بضماير ثلثة احدها انها طريق مظلم وتقدير الكبرى وكل طريق مظلم
فلا يجوز سلوكه ونتيجته قوله لا تسلكوه واستعار لفظ المظلم باعتبار كونه كثير الشبهات لا يهتدى فيه للحق الثانى
انه بحر عميق واستعار لفظ البحر بصفة العمق له باعتبار غرق الافكار فيه وتقدير كبراه وكل بحر عميق فلا يجوز ولوجه
ونتيجته قوله فلا تلجوه الثالث انه سر الله اى سر الله قد احتجب كنهه ومنع عن الخوض فيه وتقدير كبراه وكلما كان كذلك
فلا يجوز تكلف الخوض فيه وهتكه وفى معناه كل غامض من غوامض العلم لا يجوز كشفه الا للاولياء وافراد العلماء
فهو من اسرار الله وقال عليه السلام اذا ارذل الله عبدا حظر عليه العلم وحظر العلم باعداده لغيره وتعويقه اسبابه بحيث
ينصرف عنه فلا يكون له استعداده وظاهر ان الجهل من اشد الرذائل واصعبها داء وهو طرف التفريط من فضيلة
العلم والادب كما سبقت الاشارة اليه غير مرة وقال عليه السلام كان لى فيما مضى اخ فى الله وكان يعظمه فى عينى صغر
الدنيا فى عينه وكان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهى ما لا يجد ولا يكثر اذا وجد وكان اكثر دهره صامتا
فان قال بذ القائلين ونقع غليل السائلين وكان ضعيفا مستضعفا فان جاء الجد فهو ليث غاد وصل واد لا يدلى
بحجة حتى ياتى قاضيا وكان لا يلوم احدا على ما يجد العذر فى مثله حتى يسمع اعتذاره وكان لا يشكو وجعا الا عند

يريد وكان يفعل ما يقول ولا يقول ما لا يفعل وكان ان غلب على الكلام لم يغلب على السكوت وكان على ان يسمع
احرص منه على ان يتكلم وكان اذا بدهه امران نظر ايهما اقرب الى الهوى فخالفه فعليكم بهذه الخلائق فالزموها
وتنافسوا فيها فان لم تستطيعوها فاعلموا ان اخذ القليل خير من ترك الكثير اقول ذكر هذا الفصل ابن المقفع في
ونسبه الى الحسن بن علي عليه السلام وبه غلب ونقع الغليل سكون العطش والى بمحجة ارسلها واحتج بها وبدهه الامر
اتاه من غير تاهب له والمشار اليه قيل هو ابو ذر الغفاري وقيل هو عثمان بن مظعون وقد وصفه باثنتي عشرة فضيلة
احديها انه كان يستصغر الدنيا وينظر اليها بعين الاحتقار وظاهر ان ذلك يستلزم عظمه في عيون اهل الله الثانية
انه كان خارجا عن سلطان بطنه وهو كناية عن خروجه من اسر شهوته وخلاصه من رذيلة الفجور الى فضيلة العفة
نكت شهوته على الاعتدال يستلزم عدم رذيلة الحرص والحسد ونحوهما وعدم اكثاره مما يجد يستلزم نزاهته عن رذيلة
الشره والنهم ونحوهما الثالثة فضيلة العدل في الكلام والسكوت فانه ينطق بالحكمة في موضعها واما غلبة
السكوت عليه فلقوة عقله كما قال عليه السلام فيما قبل اذا تم العقل نقص الكلام الرابعة انه كان ضعيفا مستضعفا اي
منظورا اليه بعين الذلة والفقر وذلك من لوازم فضيلة التواضع الخامسة فضيلة الشجاعة عند الجد في الحرب والغضب
لله وكنى عن ذلك بقوله فاذا جاء الجد الى قوله واد واستعار لفظ الليث باعتبار سطوته وعدوانه ولفظ الصل
باعتبار باسه ونكايته في العدو والمثل يضرب بحية الوادي في الشجاعة ونكاية السم السادسة انه لا يدلي بحجته
حتى يجد قاضيا وهو من فضيلة العدل في وضع الاشياء مواضعها السابعة كونه لا يلوم احدا على امر يجد العذر
الا بعد سماع الاعتذار فان كان هناك عذر قبله وذلك من لوازم العدل والانصاف وفضيلة الثبات
واحتمال المكروه الثامنة كونه لا يشكو ما ينزل به من الامراض تسليما لاحكام الله ورضاء بها الا ان يحكيها بعد
برئه على سبيل الاخبار دون الشكاية وانه كان يكتم مرضه كيلا يتكلف الناس زيارته فيشق عليهم ذلك التاسعة
كان يطابق بفعله قوله ويحترز عن الكذب والخلف العاشرة كان يترك المماراة والمجادلة والمغالبة في الاقوال
ويعدل الى السكوت اذا غولب في القول وذلك من فضيلة الحكمة العلم بمواقع السكوت والكلام ومن فضيلة القهر
قوته الغضبية في المغالبة الحادية عشرة كان احرص على الاستماع منه على الكلام ترجيحا لجانب الاستفادة على الافادة
والاولى من الثاني وذلك من فضيلة الحكمة الثانية عشرة كان اذا بدهه امران دفعة من غير سابقة فكر فيهما
اصلح مثلا كالتزويج وعدمه فكر في ايهما اقرب الى الهوى وميل الشهوة كالتزويج فخالفه الى تركه ولما كان غرض
الفصل ان يقتدي السامعون بالفضائل المذكورة امرهم عليه السلام بلزومها والتنافس فيها او في بعضها ان لم يمكن
الكل ورغب في ذلك بقوله فاعلموا الى آخره وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان خيرا فينبغي لزومه والتنافس
فيه **وقال عليه السلام** لو لم يتوعد الله على معصيته لكان يجب ان لا يعصى شكرا لنعمه لما كان شكر النعمة بالاقوال
والافعال المطابقة لها واجبا عقلا واوجب ترك المعصية الذي هو لازم للطاعة الواجبة لان لازم الواجب واجب
ومقتضى الكلمة انه لو لم يتوعد الله على معصيته لكان يجب تركها شكرا له اي لاجل شكره فكيف وقد توعد مع ذلك

عليها فالاولى ان يجب تركها **وقال عليه السلام** وقد عزى الاشعث بن قيس عن ابن له يا اشعث ان تحزن على ابنك فقد استحقت
ذلك منك الرحم وان تصبر ففي الله من كل مصيبة خلف يا اشعث ان صبرت جرى عليك القدر وانت ماجور وان جزعت
جرى عليك القدر وانت مأزور سرك وهو بلاء وفتنة وحزنك وهو ثواب ورحمة استدرجه عليه السلام ولا يحسن
الحزن وانه في موضعه باعتبار ان الرحم يستحق من ذوي رحمه ذلك ثم عقبه بما يدل على قبح الجزع والحزن وان الصبر
اولى وذلك من وجوه احدها قوله وان تصبر الى قوله خلف وهي متصلة صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان في الله
خلف عنه فالصبر عنه اولى والنتيجة ان تصبر على مصيبتك فالصبر عليها اولى الثاني قوله ان صبرت الى قوله وانت ماجور
على صبرك وهي صغرى ضمير ايضا تقدير كبراه وكل من جرى عليه القدر وهو ماجور على صبره فالصبر به اولى الثالث
من الجزع بقوله وان جزعت الى قوله مأزور اي على جزعه واصله موزور وهمز لمناسبة القرينة الاولى وهو صغرى ايضا
تقدير كبراه وكل من جرى عليه القدر وهو مأزور على جزعه دخل النار الرابع قوله سرك وهو بلاء وفتنة وهو تنبيه
من افراط السرور به ووجه كونه بلاء ان الافراط في محبته يستلزم رذائل خلقية كالجبن عما ينبغي من الجهاد خوفا
وكالبخل خوف فقره ونظر له في عاقبته وكالحزن على امراضه ولعوارضه كما قال صلى الله عليه وآله الولد مجبنة مبخلة
محزنة وكذلك بغضه يستلزم رذيلة العقوق وقطع الرحم وصرف المال عنه في غير وجهه فبالحري ان يبتلي الله
الوالد بولده ويطلب منه الوقوف على حد العدل في حقه فالواو في قوله وهو للحال وهو صغرى ضمير تقدير كبراه
وكلما كان كذلك فينبغي ان لا يأسف على ما فات من السرور الخامس قوله وحزنك الى آخره تنفير عن الحزن عليه
بما يلزم تركه من الصبر على المصيبة به من ثواب الله ورحمته وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما احزن وهو ثواب
ورحمة فينبغي ان يصبر عن الحزن عليه **وقال عليه السلام** على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ساعة دفن ان الصبر لجميل
الا عنك وان الجزع لقبيح الا عليك وان المصاب بك لجليل وانه قبلك وبعدك لجلل الجلل الامر الهين والامر
العظيم وهو من الاضداد وانما كان الصبر غير جميل في المصيبة به والجزع عليه غير قبيح لانه صلى الله عليه وآله
اصل الدين والقدوة فيه فالجزع في المصيبة به يستلزم دوام تذكره المستلزم لدوام ذكر اخلاقه وسنته فيه
فكان غير قبيح من هذا الوجه او لان المصيبة به عظيمة وهو اعظم فائت فيستحسن الجزع عليه واما الصبر فانه
يؤول الى سلوته والغفلة عنه فكان غير جميل من هذا الوجه وقد تعرض للفضيلة القبح من بعض الاعتبارات
وللرذيلة الحسن من وجه وظاهر ان المصاب به اعظم مصاب يجده من الناس وان كل مصاب يجده من قبله وبعده
فهو سهل هين بالنسبة اليه وقيل اراد ان المصاب به قبله عظيم على المسلمين لحذرهم منه وبعده كذلك لاختلال
امرهم وامر الدين بفقده والاول اظهر **وقال عليه السلام** لا تصحب المائق فانه يزين لك فعله ويود ان تكون مثله
المائق الاحمق ونفر عنه بضمير صغراه قوله فانه الى آخره وذلك لانه لحمقه يعتقد كمال نفسه وحسن افعاله
ووجوب الاقتداء بها فهو يزينها ويحب لمن يصحبه ان يكون مثله فيها ويدعوه الى ذلك وتقدير كبراه وكل من كان
كذلك فلا تجوز صحبته **وقال عليه السلام** وقد سئل عن مسافة ما بين المشرق والمغرب فقال مسيرة يوم للشمس وهو

جواب واضح مقنع وغرض الخطابة الاقناع فاما تحقيق ما بينهما باعتبار تعيين مساحة الارض والفلك فامر
يرجع الى علم الهيئة ولعله انما عدل عن الجواب بتبيين ذلك لاستبعاد بعض العوام له ولا نقول انه عليه السلام ما
كان يعلم ذلك وقال ع اصدقاؤك ثلثة واعداؤك ثلثة فاصدقاؤك صديقك وصديق صديقك وعدو عدوك
واعداؤك ثلثة عدوك وعدو صديقك وصديق عدوك والحكم بان صديق الصديق وعدو العدو صديق
من القضايا المظنونة لاحتمال كون الصديق غير عالم بان لصديقه صديقا وكون العدو غير عالم بان لعدوه
عدوا فضلا ان يعاديه او يصادقه وكذلك الحكم بان عدو الصديق وصديق العدو عدو مع الاحتمال المذكور
وقال ع لرجل يسعى على عدو له بما فيه اضرار بنفسه انك كالطاعن نفسه ليقتل ردفه ووجه الشبه قصده لاذى غيره
بما يستلزم اذى نفسه وقال ع ما اكثر العبر واقل الاعتبار اذ بالعبر مجال الاعتبار وهو في معرض التوبيخ
للسامعين على ترك الاعتبار وقال ع من بالغ في الخصومة اثم ومن قصر فيها ظلم ولا يستطيع ان يتقي الله من خاصم
نفر من طرفي الافراط والتفريط في الجدال لترك المخاصمة بالمزم رذيلة الافراط فيها وهو الظلم من الاثم وطرف
التفريط فيها من رذيلة الانظلام واشار الى صعوبة الوقوف فيها على حد العدل بقوله ولا يستطيع الى اخره وهو كناية
عن اصل المخاصمة لما انها مظنة الرذائل وقال ع ما اهمني ذنب امهلت بعده حتى اصلي ركعتين اى لم يحزني
ذنب امهلني الله بعده الى ان اصلي ركعتين وذلك لان الصلوة تكفر الذنب فاذا امهل الى ان يصليهما لم يحزن بسببه وسئل
عليه السلام كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم فقال كما يرزقهم على كثرتهم فقيل كيف يحاسبهم ولا يرونه قال كما يرزقهم ولا يرونه
شبه كيفية محاسبته تعالى الخلق على كثرتهم بكيفية رزقه لهم على كثرتهم وجعل هذا اصلا في التشبيه لظهوره وعلم
السائل به وكذلك تشبيه كيفية محاسبته لهم مع عدم رؤيتهم له بكيفية رزقه لهم من غير رؤيتهم ووجه الشبه
في الموضعين امكان ذلك منه تعالى لشمول قدرته وعدم حاجته في شيء الى شيء وقال ع رسولك ترجمان عقلك
وكتابك ابلغ من ينطق عنك استعار للرسول لفظ الترجمان للعقل باعتبار انه يبين عنه ويعرف مقداره منه ونبه
بذلك الى انه يجب ان يختار الرسل الرشيد ذوي العقول الراجحة كيلا يشينه عقله واما ان الكتاب ابلغ من ينطق
عن صاحبه فلضبط مراده منه دون لسان الرسول لانه ربما لا يؤدي الرسالة على وجهها سهوا او لغرض فيقع الخلل
بسبب ذلك حتى ربما كان فيها هلاك الرسل وقال ع ما المبتلى الذي قد اشتد به البلاء باحوج الى الدعاء من
المعافى الذي لا يامن البلاء اى انهما سواء في الحاجة الى دعاء الله فذاك لحاجته الى الخلاص من بلائه وهذا
لبقاء عافيته وامنه من لحوق البلاء وهو حث لاهل العافية على دعاء الله لغرض الالتفات اليه ودوام قصده
وقال ع الناس ابناء الدنيا ولا يلام الرجل على حب امه وهو توبيخ للناس على حب الدنيا ولفظ الابناء استعارة
لهم باعتبار تولدهم منها وميلهم اليها بالطبع وقوله ولا يلام الى اخره لوم لهم وهذا كما تقول لمن توبخه مثلا على اللوم
ان طبيعتك اللوم ولا لوم عليك فيما جبلت عليه وقال ع ان المسكين رسول الله فمن منعه فقد منع الله ومن اعطاه
فقد اعطى الله رغب في اعطاء المسكين بضمير صغراه ما ذكره واستعار له لفظ رسول الله باعتبار انه طالب لله

قال كما يرزقهم على كثرتهم

وتقديره

وتقديره الكبرى وكل من كان كذلك فيجب اعطاؤه وارضاؤه وقال ع ما زنى غيور قط اى ابدا وذلك ان الغيور
لحق اذاه بالزنا تخيل اشارة ذلك في نفسه من الغير فيعار من خياله داعية فيحجم عنه وقال ع كفى بالاجل حارسا
استعار له لفظ الحارس باعتبار ان الانسان لا يهلك ما دام اجله كالحارس وقال ع ينام الرجل على الثكل
ولا ينام على الحرب قال السيد ومعنى ذلك انه يصبر على قتل الاولاد ولا يصبر على سلب الاموال وانما كان كذلك
وان كان المال والولد محبوبين للطبع في استخلاص المال بالنهوض لطلب الحرب عند فوت الثكل وقال ع
مودة الاباء قرابة بين الابناء والقرابة احوج الى المودة من المودة الى القرابة استعار لفظ القرابة للمودة التي كانت
بين الاباء فهي كالقرابة واخبرها عن مودة الاباء الجيبا بالله لازم عن ملزوم اذ كانت صداقة الاباء والمودة
بينهم تستلزم تاكدها بين الابناء وشدة اتصالهم ثم اشار الى تفضيل المودة على القرابة بكون القرابة اكثر
حاجة الى المودة في الانتفاع بها بين الخلق والمودة اكثر استغناء عن القرابة في الانتفاع بها وقال ع اتقوا
ظنون المؤمنين فان الله جعل الحق على السنتهم ظن المؤمن لا يكاد يخطئ لصفاء نفسه وكمال استعدادها للفكر
الصحيح القريب من الحدس والانتقاش بنور الحق كما قال صلى الله عليه وآله اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله
الله سبحانه صورة ذلك الحق على لسانه فينطق به وقوله فانه الى اخره صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فيجب
ان يتقى ظنه وهو تنبيه لمن عصاه يتوقى شرا للرجوع عند خوف ظنون المؤمنين وقال ع لا يصدق ايمان عبد
حتى يكون بما في يد الله تعالى اوثق منه بما في يده صدق الايمان بالشيء حقيقته وكماله ومن كماله حسن الرجاء لله
والتوكل عليه حتى يكون اوثق بما في يد الله منه بما في يده وذلك لتيقنه وصول رزقه من الله وجزمه بذلك
الاقوى من جزمه ووثوقه بما في يده لجواز تلفه وعدم ثباته وهي مرتبة عالية من مراتب التوكل وقال ع لانس بن
مالك وقد كان بعثه الى طلحة والزبير لما جاءا الى البصرة يذكرهما شيئا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في معناهما
فلوى عن ذلك فرجع اليه عليه السلام وقال اني انسيت ذلك الامر فقال له ان كنت كاذبا فضربك الله بها بيضاء لامعة
لا تواريها العمامة يعني البرص فاصاب انسا هذا الداء فيما بعد في وجهه فكان لا يرى الا مبرقعا اقول
ما كان بعثه اليهما ليذكرهما هو ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله اذ قال لطلحة والزبير انكما ستقاتلان
عليا وانتما له ظالمان فلما بعثه لذلك من صرفه وكتمه عن ذلك فرجع فدعا عليه واستجيبت دعوته وبيضاء
في محل الجر بدلا من الضمير في بها وقال ع ان للقلوب اقبالا وادبارا فاذا اقبلت فاحملوها على النوافل
واذا ادبرت فاقتصروا بها على الفرائض قد مر معنى اقبالها وادبارها وحض اقبالها بالنوافل لانها افضل فيه
لها وللفرائض دون الادبار وقال ع في القرآن نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم فنبأ ما
قبلهم اخبار القرون الماضية وخبر ما بعدهم ذكر احوال الموت والقيامة والوعد والوعيد وحكم ما بينهم
بيان الاحكام الخمسة المتعلقة بافعالهم وهو في معرض مدح القرآن والحث على قراءته وفهمه وقال ع
ردوا الحجر من حيث جاء فان الشر لا يدفعه الا الشر والحجر كناية عن الشر ورده من حيث جاء كناية عن مقابلة

الشريك له ورغّب فى ذلك بضمير صغراه قوله فان الشرك آخره وتقديره الكبرى وكل ما لا ينقطع الا بالشرك فواجب ان يقطع به وليس هذا امرا عاما لامره عليه السلام بالحلم فى مواضع كثيرة وقال عليه السلام لكاتبه عبيد الله بن ابى رافع الق دواتك واطل جلفة قلمك وفرج بين السطور وقرمط بين الحروف فان ذلك اجدر بصباحة الخط كان ابو رافع مولى لرسول الله صلى الله عليه وآله والقة الدواة ولقيتها اصلحتها بالمداد وجلفة القلم سنانه والقرمطة بين الحروف تقريب بعضها من بعض والصباحة الحسن وفايدة القيد الاول ظاهرة وفايدة الثانى ان الجلفة الطويلة تحمل مدادا اكثر فيستمر القلم فى كتابة كلمات كثيرة على نهج واحد من غير تقطيع بين المدات بخلاف الجلفة القصيرة فان مدادها وفايدة الثالث ظهور الفصل بين السطور وتميز بعضها عن بعض وفايدة الرابع كون الكلمة حسن الهيئة والحسن لها اقرب ضبطا ولعل بعض هذه القيود او كلها شرط فى حسن ليس بشرط فى حسن بعض اجناس الخط بعده ورغّب فى ذلك بقوله فان ذلك اى فان هذه الشرايط وهو صغرى ضمير تقديره كبراه وكلما كان اولى بصباحة الخط فتعلمه اولى وقال عليه السلام انا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجار قال السيد ومعنى ذلك ان المؤمنين يتبعونى والفجار يتبعون المال كما يتبع النحل يعسوبها وهو رئيسها واقول استعار لنفسه لفظ اليعسوب ووجه المشابهة ما ذكره السيد ره وقال له بعض اليهود ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه فقال له انما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت ارجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون اراد انا لم نختلف فى نبوته ونشك فى ذلك وانما وقع خلافنا عنه اى بسبب اشتباه بعض ما جاء عنه من كتاب وسنة على من لا يعلم ذلك منا واما انتم فقد اختلفتم فى ان لكم صانعا ام لا حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها وذلك يستلزم الشك منكم فى نبوة نبيكم بالاولى وقيل له عليه السلام باى شىء غلبت الاقران فقال ما لقيت احدا الا اعاننى على نفسه قال السيد رحمه الله يومى به الى تمكن هيبته فى القلوب اراد ان سابق هيبته وتخيل الاقران ما جرت به عادته من الظفر بهم وقتلهم يوجب لنفوسهم انفعالات وضعفا عن مقاومته وذلك مما يعينه عليهم وقال عليه السلام لابنه محمد رحمه الله يا بنى انى اخاف عليك من الفقر فاستعذ بالله منه فان الفقر منقصة للدين مدهشة للعقل داعية للمقت امره بالاستعاذة من الفقر لما فيه من المكاره الثلاثة اما كونه منقصة للدين فللاشتغال بهمه وتخيل قوام البدن عن العبادة وكونه مدهشة للعقل اى محل دهشة العقل وحيرته وضيق الصدر به ظاهر وكذلك كونه داعية مقت الخلق لصاحبه ورغّب فى الاستعاذة منه بضمير صغراه قوله فان الفقر الى آخره وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فيجب الاستعاذة بالله منه وقال عليه السلام لسايل سأله عن معضلة سل تفقها ولا تسئل تعنتا فان الجاهل المتعلم شبيه بالعالم وان العالم المتعسف شبيه بالجاهل المعضلة المسئلة المشكلة والتعنت طلب الامر الشاق على من يطلب منه والتعسف الاخذ على غير الطريق وقد كان عليه السلام فهم من السايل ان غرضه الامتحان فاعرض عن جوابه الى تاديبه وارشاده الى ما ينبغى من وضع السؤال وغرضه وهو التفقه دون التعنت لحصول الفايدة بالسؤال الاول ونفعه وتعنتا مفعولان له او مصدران سدا مسد الحال ورغّب فى السؤال على وجه التعلم بضمير صغراه قوله فان الجاهل



المتعلم شبيه بالعالم ووجه الشبه اشتراكهما فى طلب العلم وقصده وتقدير الكبرى وكل من كان شبيها بالعالم فينبغى ان يسلك مسلكه ثم نفّر عن سلوك غير الطريق الحق الى السؤال والعدول به الى غير المقصود الاصلى بضمير ثان صغراه قوله فان العالم المتعسف الى آخره شبيه بالجاهل ووجه الشبه كون ذلك العالم يضع سؤاله فى غير موضعه ويطلب ما لا ينبغى كالجاهل بوضع الاسولة ومواقعها وتقدير الكبرى وكل من كان شبيها بالجاهل فينبغى ان يجتنب طريقه ليخلص من هذا الشبه وقال عليه السلام لعبد الله بن العباس وقد اشار عليه بشىء لم يوافق رايه لك ان تشير على وارى فاذا عصيتك فاطعنى وروى انه اشار عليه عند انصرافه من مكة حاجا وقد بايعه الناس فقال يا امير المؤمنين ان هذا امر عظيم يخاف غوايل الناس فيه فاكتب لطلحة بولاية الكوفة والزبير بولاية البصرة واكتب الى معوية وذكره القرابة والصلة واقره على ولاية الشام حتى يبايعك فان بايعك وجرى على سنتك وطاعة الله فاتركه على حاله وان خالفك فادعه الى المدينة وابدله بغيره ولا تهيج جار الفتنة فقال عليه السلام معاذ الله ان افسد دينى بدنيا غيرى ولك يا ابن عباس ان تشير وحذف مفعوله للعلم به اعنى نظرة وجه المصلحة واوجب طاعته نفسه لانه الامام ولانه افضل رايا فاذا راى المصلحة فى شىء فرايه ادعى وروى انه عليه السلام لما ورد الكوفة قادما من صفين مر بالشباميين فسمع بكاء النساء على قتلى صفين وخرج اليه حرب بن شرحبيل الشبامى وكان من وجوه قومه فقال له اتغلبكم نساؤكم على ما اسمع الا تنهونهن عن هذا الرنين واقبل يمشى معه وهو عليه السلام راكب فقال له ارجع فان مشى مثلك مع مثلى فتنة للوالى ومذلة للمؤمن شبام بكسر الشين حى من العرب وقوله اما حال والاستفهام للانكار دخل على النهى وقد علمت ما فى الجزع من الرذيلة فلذلك نهى عنه ولانه يعين الرجال على تثبيطهم من الحرب وهو فى محل الحاجة ونفره عن المشى معه بضمير صغراه قوله فان مشى مثلك الى آخره وتقدير الكبرى وكلما كان فتنة ومذلة وجب تركه وقال عليه السلام وقد مر بقتلى الخوارج يوم النهروان بؤسا لكم لقد ضركم من غركم فقيل له من غرهم يا امير المؤمنين فقال الشيطان المضل والانفس الامارة بالسوء غرتهم بالامانى وفسحت لهم فى المعاصى ووعدتهم بالاظهار فاقتحمت بهم النار البوس الشدة ويفهم من تفسيره لمن غرهم بالشيطان المضل والانفس الامارة بالسوء ان الشيطان قد يراد به النفس الامارة وان العطف انما يقتضى التغاير فى العبارة والامانى التى غرتهم بها هى اماني الغلبة والظفر وفسحها لهم فى المعاصى ترخيصها لهم وتوسيعها بتزيينها وكذلك ما وعدتهم به من اظهارها لهم على من غالبهم وظاهر ان ذلك مستلزم لدخول النار ولفظ الاقتحام مستعار لسرعة ادخالها لهم النار وقال عليه السلام اتقوا معاصى الله فى الخلوات فان الشاهد هو الحاكم امر بالخشية من معاصى الله ونفر عنها بضمير صغراه قوله فان الشاهد هو الحاكم وتقدير كبراه وكل من كان الشاهد عليه هو حاكمه وجب عليه ان يتقيه وقال عليه السلام لما بلغه قتل محمد بن ابى بكر ان حزننا عليه على قدر سرورهم به الا انهم نقصوا بغيضا ونقصنا حبيبا وقد بينا فيما سلف مكانه منه وقوله فان حزننا عليه على قدر سرورهم به اى بفقده اراد انه يساويه فى الشدة واشار الى الفرق بين اعتبار نقصانه منهم ونقصانه منه وذلك فى معرض التالم لفقده وقال عليه السلام العمر الذى اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة اعذر اليه اتاه بالعذر واعذار الله اليه ابلاغه اياه المدة المذكورة التى هى مظنة تحصيل الزاد ليوم المعاد

فان ما بعد الستين تضعف فيه القوى النفسانية والبدنية ويكل عن العمل فمن قصر الى تلك الغاية فقد توجه اللوم
عليه وانقطعت حجته بالاعتذار اليه وقال ع ما ظفر من ظفر الاثم به والغالب بالشر مغلوب وهو تنفير عن
الظلم والبغي وذلك ان الظافر بالحق هو من نهض على وجه العدل فمن لا يكون كذلك بل ركب الظلم والبغي
عند الله الاثم فيكون مغلوبا بظلمه وهو في صورة غالب واستعار وصف الظفر للاثم في ركوبه الاثم والخاطئة به
وقال ع ان الله سبحانه فرض في اموال الاغنياء اقوات الفقراء فما جاع فقير الا بما منع غني والله تعالى سائلهم عن
ذلك اراد بذلك الفرض الزكوة وظاهر ان جوع الفقير انما يكون بما يمنعه الغني من القوت وما هو وسيلة اليه
ورغب الاغنياء بقوله والله سائلهم عن ذلك وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من سائله الله فينبغي ان يجتهد سؤاله
وقال ع الاستغناء عن العذر اعز من الصدق به اراد ان ترك ما يحتاج فيه الى العذر فيستغنى بتركه عن العذر
اعز عليك وانفع لك من ان تأتيه ويكون لك فيه عذر صادق ويحتمل ان يريد بقوله اعز اى اكثر عزة لك اذا الاتيان
بالعذر يحتاج الى ذلة ومهانة وقال ع ان اقل ما يلزمكم لله ان لا تستعينوا بنعمه على معاصيه ذلك ان العدل ان
تستعينوا بنعمه على طاعته فان لم تفعلوا ذلك فلا اقل من ان تستعملوا الامور المباحة دون الاستعانة بها على معصيته
فان ذلك مما يعد لحطه وقال ع ان الله سبحانه جعل الطاعة غنيمة الاكياس عند تفريط العجزة طاعته تعالى غنيمة
الاكياس باعتبار استلزامها للنعيم المقيم في الآخرة وسبب الغنيمة غنيمة والاكياس هم الذين استعملوا فطنهم وحركاتهم
في تحصيل ما ينبغي من علم وعمل وخصهم الله سبحانه بهذه الغنيمة عند تفريط العجزة وهم المقصرون عما ينبغي لهم وهو في
معرض ذمهم على التقصير البالغ المشبه بالعجز وقال ع السلطان وزعة الله في ارضه الوزعة الوازع وهو الرادع
المانع اى ان الله تعالى وضعه في ارضه ليمنع به ما يريد منعه واراد السلطان العادل وقال ع في صفة المؤمن المؤمن
بشره في وجهه وحزنه في قلبه اوسع شيء صدرا واذل شيء نفسا يكره الرفعة ويشنأ السمعة طويل غمه بعيد همه كثير
صمته مشغول وقته صبور شكور مغمور بفكرته ضنين بخلته سهل الخليقة لين العريكة نفسه اصلب من الصلد وهو اذل
من العبد ذكر له ست عشرة صفة ذكرها في معرض التعريف والمدح ست عشرة صفة احدها ان بشره في وجهه وذلك من تمام فضيلة
التواضع ولين الجانب الثاني وحزنه في قلبه وذلك من خشية الله ونظره الى ما عساه فرط في جنب الله الثالث اوسع شيء
صدرا وقد علمت ان سعة الصدر فضيلة للقوة الغضبية وقد يعبر عنها برحب الذراع واذا تشكل بهذه الفضيلة الرابع
واذل شيء نفسا اى لتواضعه لله ونظر نفسه الى محلها ومقدارها من الحاجة الى الله وصدرا ونفسا تمييزان الخامس
كراهية الرفعة لانها مبدأ الرذائل كالعجب والكبر وكذلك بغضه للسمعة احترازا من تلك الرذائل السادس طول غمه
دائما لما بين يديه من الموت وما بعده السابع وبحسب ذلك كان بعد همته وعلوها عزوبها عن الدنيا وتطلعها
الى المطلوب الاكمل من السعادة الاخروية الباقية الثامن كثير صمته وذلك لكمال عقله فهو لا ينطق الا بما يحتاج
اليه مما فيه حكمة وصلاح التاسع قد شغل وقته اى بعبادة ربه العاشر شكورا اى كثير الشكر لله الحادي عشر
صبورا اى على بلاء الله الثاني عشر مغمور بفكرته في ملكوت السموات والارض واستنباط آيات الله وعبره منها

الثالث

الثالث عشر ضنين بخلته المراد مواقع الخلة واهلها الذين هم اخوان الصدق في الله وهم قليلون فلا يضعها كيف اتفق
ومع كل من طلب مودته وخلته ويحتمل ان يريد بالخلة الخلال احد من خلته ان يضيعها او يهملها وروى بفتح الخاء
والخلة الحاجة اى اذا عرضت له حاجة ضن بها ان يسأل احدا فيها الرابع عشر سهل الخليقة اى لا جفاوة في طباعه
ولا خشونة الخامس عشر لين العريكة وهو كناية عن سهولة تناول ما يراد منه واصله الجلد من الاديم يكون لينا
عند العرك في الدباغ سهلا عطافا به السادس عشر نفسه اصلب من الصلد لشجاعته وثباته في طاعة الله وهو اذل
من العبد لتواضعه ومعرفته بقدره عند قدرة بارئه والواو للحال وقال ع لو رأى العبد الاجل ومسيره
لابغض الامل وغروره استعار لفظ المسير للاجل وهو زمان الحياة باعتبار تقضي اجزائه وانتهائه شبيها بما يقطع
السائر اجزاء المسافة وينتهي الى غاية شبيها بها ويحتمل ان يريد بالاجل غاية الحيوة واستعار لفظ المسير لوصوله
المعقول منه واراد انه لو كان الاجل بصورة سائر محسوس فشاهد العبد سيره الى الموت وعلم غايته لقطع
آماله الدنيوية ولم يغتر بها وقال ع لكل امرئ في ماله شريكان الوارث والحوادث تنفر عن ادخار المال
الشريكين المكروهين وقال ع الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر شبه من يدعو الله ولا يعمل له بالرامي بغير وتر
ووجه الشبه عدم امكان الانتفاع ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله الاحمق الناس من ترك العمل وتمنى على الله
وقال ع العلم علمان مطبوع ومسموع ولا ينفع المسموع اذا لم يكن المطبوع العقل بالملكة وهو الاستعداد بالعلوم
الشرعية للاشتغال بها الا العلوم المكتسبة المسموعة من العلماء فان من لا يكون له ذلك الاستعداد لا ينتفع
بما يسمعه من العلوم ولا يتمكن من اكتسابه وقيل اراد بالمطبوع ما يعلم من الاصول بطبيعة العقل كالتوحيد و
العدل وبالمسموع العلوم الشرعية التي هي فروع العقلية اذ لا ينتفع بفرع من دون اصله وقال ع صواب الرأي
بالدول يقبل باقبالها ويذهب بذهابها اى ان الدولة تستلزم صواب الرأي اذ كان من تمام السعادة المقتضية للدولة
ان يلزمها رأي صواب يكون به تدبيرها وتلك السعادة والدولة تعد لاجتباء اصلح الآراء وفائدته التنفير عن الاتكال
باقبالها لاعدادها له وعند ذهابها يذهب الرأي الصواب وان عن له الظاهر صوابا وقال ع العفاف زينة
الفقر والشكر زينة الغنى العفة فضيلة القوة الشهوية وظاهر كونها زينة للانسان وهي مع الفقر اجل فلانها تقيد
الفقير بها وتحببه في قلوب الخلق وتكسبه المدح والثناء منهم ويظهر اثرها عليه بتركه وان فقدها الفقير
خسر الدنيا والآخرة وكذلك الشكر من فضائل قوة الشهوة ايضا وقبح بالغني مقابلة نعم الله بالكفران فزينة
غناه وتمامه ان شكر له وقال ع يوم العدل على الظالم اشد من يوم الجور على المظلوم فيوم العدل يوم
يوم القيمة ويوم الجور وقت الظلم وقد مر بيانه وقال ع الاقاويل محفوظة والسرائر مبلوة وكل نفس بما
كسبت رهينة والناس منقوصون مدخولون الا من عصم الله سائلهم متعنت ومجيبهم متكلف يكاد افضلهم رأيا
يرده عن فضل رأيه الرضا والسخط ويكاد اصلبهم عودا تنكؤه اللحظة وتستحيله الكلمة الواحدة معاشر الناس اتقوا
الله فكم من مؤمل ما لا يبلغه وبان ما لا يسكنه وجامع ما سوف يتركه ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه اصابه

لبعض اصحابه لا تجعلن اكثر شغلك باهلك وولدك فان يكن اهلك وولدك اولياء الله فان الله لا يضيع اولياءه
وان يكونوا اعداء الله فما همك وشغلك باعداء الله نهى عن كثرة الاشتغال بالاهل والولد لصرف ذلك
عن طاعة الله ونبه على عدم جوازه بما هو في قوة قياس شرطي منفصل تقديره ان اهلك لا يخلو اما ان يكونوا
من اولياء الله او اعدائه وعلى التقديرين لا يجوز الاشتغال بهم اما الاولياء فلان الله تعالى يكفيهم مؤونتهم
فلا حاجة بهم الى اهتمام غيره واما اعداؤه فلا يجوز الاهتمام بحالهم وما في قوله فما همك استفهام على سبيل التقريع
والتوبيخ وقال ع اكبر العيب ان تعيب ما فيك مثله قد مر ان ذلك حمق وهو اكبر العيوب وهنأ بحضرته رجل
رجلا بغلام ولد له فقال له ليهنئك الفارس فقال عليه السلام لا تقل ذلك ولكن قل شكرت الواهب وبورك لك
في الموهوب وبلغ اشده ورزقت بره وهذا ارشاد منه للتهنئة بالولد وفيها اربع فوائد احدها تذكير الوالد بشكر المنعم
والثانية التنبيه على استنزال البركة منه بالدعاء للموهوب بالبقاء وبلوغ الاشد وهو كمال القوة الثالثة الاشارة الى
الرابعة الدعاء ببره والانتفاع به وهي ان يرزقه بره ونفعه وبنى رجل من عماله بناء فخما فقال اطلعت الورق رؤوسها
ان البناء ليصف لك الغنى الفخم العظيم وكنى بطلوع الورق لرؤوسها عن ظهور اثرها في البناء ملاحظة لشبهها
بالحيوان في ظهوره وكذلك استعار لفظ الوصف ونسبه الى البناء باعتبار انه ينبئ عن الغنى كما ينبئ الوصف عن
موصوفه وقيل له عليه السلام لو سد على رجل باب بيت وترك فيه من اين كان يأتيه رزقه فقال من حيث يأتيه اجله
قاس الرزق على الاجل لاشتراكهما في مبدأ واحد وهو قدرة الصانع تعالى واشار الى ذلك بقوله من حيث
وعزى قوما عن ميت مات لهم فقال ان هذا الامر ليس بكم بدأ ولا اليكم انتهى وقد كان صاحبكم هذا يسافر
فعدوه في بعض سفراته فان قدم عليكم والا قدمتم عليه فقوله اى افرضوا انه كذلك والتعزية فصيحة العبارة
جزيلة المعنى مفيدة للاقناع والسلو وقال ع ليركم الله من النعمة وجلين كما يراكم من النقمة فرقين انه من
وسع عليه ذات يده فلم ير ذلك استدراجا فقد امن مخوفا ومن ضيق عليه ذات يده فلم ير ذلك اختبارا فقد ضيع
مأمولا الاستدراج الاخذ على غرة وامر بالوجل من نعمة الله تعالى لاشتمالها على الاستدراج بها كما يخاف من النقمة
وذلك ان النعمة بلاء يجب مقابلته بالشكر كما ان النقمة بلاء يجب مقابلته بالصبر والغرض الحث على فضيلتي الشكر
والصبر وحذر من الركون الى النعمة والغفلة فيها عن الله بقوله انه الى قوله امن مخوفا وهو صغرى ضمير تقدير كبراه
وكل من امن مخوفا فهو مغرور وكذلك حذر الفقير ان يغفل عن كون فقره بلاء واختبارا ويعده كذلك بما
يلزم ذلك من تضييع المأمول وذلك انه يستعد باعتقاده انه اختبار من الله له للصبر عليه ويؤمل منه تعالى الاجر
الجزيل في الآخرة واذا لم يعتقد ذلك بطل استعداده به فيضيع ما مؤمله منه وقال ع يا اسرى الرغبة اقصروا
فان المعرج على الدنيا لا يروعه منها الا صريف انياب الحدثان ايها الناس تولوا من انفسكم تاديبها واعدلوا
بها عن ضراوة عاداتها الضراوة الجراءة على الصيد والولوع به والضراوة بالفتح العذوبة والضارية بالكسر صدع
جرى به والثلث نحو وردت بها الروايات واستعار لفظ الاسرى لمن ملكته رغبته في الدنيا وحبها وامرهم

بالاقتصار

بالاقتصار عن الافراط في طلبها ونفر عن التعريج والانعطاف عليها بقوله فان المعرج الى قوله الحدثان واستعار لفظ
الصريف والانياب ملاحظة لشبه الموت عند قدومه بالبعير الهائج ثم امر بالناس وامرهم ان يتولوا من انفسهم تاديبها
ورياضتها والوقوف بها على حد العدل من الحركات والافعال وان يعدلوا بها عن جراءتها واقدامها على الانهماك
في الشهوات وقد عرفت معنى الرياضة وقال ع لا تظنن بكلمة خرجت من احد سوءا وانت تجد لها في الخير محتملا
ما دمت تجد لكلام الغير محملا ومثلا فلا تظنن به سوءا فان النفوس السليمة قريبة الى الله من غيرها والواو للحال
وقال ع اذا كانت لك الى الله سبحانه حاجة فابدأ بمسألة الصلوة على النبي صلى الله عليه وآله ثم سل حاجتك فان الله
اكرم من ان يسأل حاجتين فيقضي احديهما ويمنع الاخرى امر بتقديم سؤال الصلوة على النبي ص في طلب الحاجة للانتفاع
به ورغب فيه بقوله فان الله سبحانه الى اخره اى ان المسألة الاولى مجابة من الله بالاتفاق فيجب من كرمه اجابة الثانية
وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان اكرم من ذلك فينبغي ان يسأل السائلين لبعض الحاجة وقال ع
من ضن بعرضه فليدع المراء وذلك ان المماراة من ثمرات القوة الغضبية من المتمارين وسبب للشتيمة والشر
وقال ع من الخرق المعاجلة قبل الامكان والاناة بعد الفرصة الخرق الحمق ومعاجلة طلب الحاجة والاسراع
اليها قبل وقت امكانها افراط في طلبها والاناة فيها اذا امكنت تفريط فيه وهما مذمومان وصاحبهما واضع الطلب
في غير موضعه وهو حمق ظاهر ونقصان في عقل وجوه التدبير والحق العدل وهو وضع الطلب وقت الامكان
والفرصة وقال ع لا تسأل عما لا يكون ففي الذي قد كان لك شغل امره بالسلو عما لا يكون من زيادة رزق
ونحوه من المطالب الدنيوية بما قد كان ووقع من المطالب التي اعطيها الانسان ورغب فيما امره من السلو بقوله
ففي الذي الى اخره اى ففي ذلك شغل لك عما تتوقع من غيره واراد الشغل بضبط ما في يدك من النعمة وما ينبغي من
الاشتغال بشكرها واستعمالها في طاعة الله وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فينبغي ان يشتغل
به عما وراءه ولا يطلب الزيادة عليه وقال ع ثلث كلمات احديها الفكر مرآة صافية واستعار له لفظ المرآة
باعتبار انه يرى به المعقولات كما يرى الاشباح في المرآة وقد سبق بيانه الثانية والاعتبار منذر ناصح استعار
لفظ المنذر الناصح للاعتبار وذلك انه يذكر الآخرة ويفيد الازدجار والاتعاظ عن المناهي كالمنذر الناصح الثالثة
وكفى ادبا لنفسك تجنبك ما كرهته لغيرك اشار الى ان تجنب المرء لما يكرهه لغيره من الرذائل المهلكة ادب كاف
له ونفر عنه بكونه مكروها للغير ورغب في تجنبه بكونه ادبا كافيا للنفس وقال ع العلم مقرون بالعمل فمن علم
عمل والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل اراد انه مقرون به في الوضع الذي ينبغي بمقتضى الحكمة الالهية و
ذلك انه تعالى جعل للنفس الناطقة قوتين علمية وعملية وجعل كمالها باستكمال هاتين القوتين بالعلم والعمل
ولا كمال لها بالعلم دون اقترانه بالعمل وقوله فمن علم عمل اى من علم ما ينبغي ان يعلم في الحكمة ان يعمل بمقتضى العلم
وكان ذلك داعيا له الى العمل مستلزما لوجوده منه ويحتمل ان يكون قوله عمل خبرا في معنى الامر اى فمن علم فليعمل
وقوله والعلم يهتف بالعمل الى آخره فالهتف النداء وان لم ير المنادي واستعار لفظه للمعقول من طلب العلم

حراما واحل به اثاما فبآء بوزره وقدم على ربه اسفا لاهفا قد خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين سلوة مختبرة ودخل فلان فهو مدخول ومدخل اى فى عقله دخل وعلة ونكاه اى توثر فيه وتفعيل نعيره وباء بثقله رجع به وحصل عليه اللاهف المتحسر والفصل فى معرض الوعظ فنبه السامعين اولا على ان اقوالهم محفوظة وسرائرهم مختبرة باكلها به من طاعة الله والسرائر ما اضمرته القلوب من العقايد والنيات وغيرها وعن معاذ بن جبل قال سألت النبى صلى الله عليه واله عن قوله تعالى يوم تبلى السرائر ما هذه السرائر التى تبلى يوم القيمة فقال سرائركم هى اعمالكم من الصلوة والصيام والزكوة والوضوء والغسل من الجنابة وكل مفروض لان الاعمال كلها سرائر خفية فان شاء قال صليت ولم يصل وان شاء قال توضأت ولم يتوضأ واستعار لفظ الرهينة للنفس باعتبار توقفها فى الاسر بما كسبت من الشر كما يوقف الرهن بما عليه من مال واللفظ من القرآن المجيد وغرض ذلك التنبيه على العدل فى القول واضمار الخير واكتساب الاعمال الصالحة ثم نبه على ما فيهم من النقصان الطبيعى المحتاج الى التكميل المكتسب ووصف ما يلزم بان سوء المخارج عما ينبغى لان غرضه به الامتحان دون العلم وتحييهم بالتكلف فى جوابه لقلة علمه وافضلهم دايا بان يكاد ان يرده عن فضل رايه ما يعرض له من امر يرضيه او يسخطه ويرجع عنه وان كان شاهد فيه المصلحة واصلبهم عودا اى اشدهم فى الله واقواهم فى طاعته توثر فيه اللحظة اى من ينظر اليه الهيبة وتستحيل الكلمة الواحدة منه فتغيره عن الحق ونحوه ان يريد اللحظة والكلمة ممن يستهويه للدنيا ولذاتها ثم امرهم بتقوى الله ونفرهم عن تضييع الامل جذبا الى التقوى بذكر كثرة من وصل ما لا يبلغه وبنى ما لا يسكنه وجمع ما لابد من تركه مع احتمال ان يكون من باطل جمعه ومن حق منعه اهله فاصابه حراما وحمل ثقل وزره وقدم به على ربه حزينا متحسرا على ما فرط فى جنبه قد خسر الدنيا بموته والاخرة بتفريطه فى اكتساب خيرها ذلك هو الخسران المبين **وقال ع** من العصمة تعذر المعاصى اى من اسباب العصمة وذلك ان الانسان يتعود بتركها حين لا يجدها حتى يصير ذلك ملكة له وهى المراد بالعصمة **وقال ع** ماء وجهك جامد يقطره السؤال فانظر عند من تقطره استعار لفظ ماء الوجه للحياء ونبه على الوجه الذى يذهب من وجه السائل بسؤاله ورشح بذكر الجمود والتقطير ويحتمل ان يكون كناية عما يعرض من العرق عند خجل السائل بسؤاله واستحيائه وغرض الكلمة وضع السؤال موضعه من اهل المروة والبيوتات وروى فجهك ماء جامد فيكون استعارة الماء فى الوجه باعتبار رونقه كما انه ذائب فتركه كالماء الجامد **وقال ع** الثناء باكثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق عى وحسد الملق هو التلطف الشديد بالقول والافراط فى المدح ونفر عن طرفى الافراط والتفريط فى الثناء فالافراط بما يلزمه من رذيلة الملق والتفريط بما يلزمه من العى عن المدح او الحسد بالفضيلة الممدوح عليها **وقال ع** اشد الذنوب ما استهان به صاحبه وذلك ان استهانته به تستلزم انهماكه فيه والاستكثار منه وعدم اقلاعه عنه حتى يصير ملكة بخلاف ما يستصعبه من الذنوب **فقال ع** اربع عشرة كلمة احدها من نظر فى عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره لانه انما يذكر عيبا لغيره غالبا فى معرض الافتخار عليه بالبراءة من ذلك العيب فاذا نظر

الى مثله من نفسه شغله اعتبار ذلك النقصان فيها عن الاشتغال بنقصان غيره والنظر فيه الثانية ومن رضى برزق الله لم يحزن على ما فاته وذلك ان الحزن على ما فات مستلزم لعدم القناعة والرضى بالحاصل من الرزق فعدم ذلك اللازم مستلزم لعدم ملزومه وهو الحزن على الفايت ثم الثالثة ومن سل سيف البغى قتل به وهو كناية عن الظلم وظاهر ان الظلم سبب لهلاك الظالم وقد سبق بيانه مرارا الرابعة ومن كابد الامور عطب اى من قاساها بنفسه استعد بها للهلاك الخامسة ومن اقتحم اللجج غرق استعار لفظ اللجج للامور العظام كالحروب وتدبير الدول ولفظ الهلاك السادسة ومن دخل مداخل السوء اتهم لانها مظنة التهمة ونحوها من الامارات الموجبة للظن كمعاشرة الفساق ونحوه السابعة ومن كثر كلامه كثر خطاؤه لانه قد مر ان كمال العقل مستلزم لقلة الكلام فتكون كثرة الكلام مستلزمة لنقصان العقل المستلزم لكثرة الخطاء والقول من غير روية وتثبت الثامنة ومن كثر خطاؤه قل حياؤه لانك علمت ان الحياء هو انحصار النفس عن الامور التى يقبح تعاطيها والاقدام عليها لملاحظة ما ينتج من ارتكابها من قبح الاحدوثة والاقدام على الخطاء بكثرة الكلام ينافى الارتداع عن تلك الامور وهو من جملتها التاسعة ومن قل حياؤه قل ورعه لان الورع هو لزوم الاعمال الجميلة والوقوف على حدودها دون الرذايل والحياء منها فقلة الحياء مستلزم لقلة الورع وربما فسر الورع بالوقوف عن المحارم وظاهر ان قلة الحياء ايضا مظنة للاقدام على المحارم فكانت مظنة لقلة الورع فاقام الشئ مقام مظنة الشئ وحكم به العاشرة ومن قل ورعه مات قلبه لما كانت الفضيلة هى حياة القلب لعقلها او قلبها فسر لفظ الموت باعتبار عدم انتفاعه كخروج الميت عن الانتفاع بالحياة الحادية عشرة ومن مات قلبه دخل النار لان المرجح لدخولها الجنة هو اكتسال الفضيلة فاذا فقدها فالنار موعده والكلام فى صورة قياس مفصول نتيجته من كثر كلامه دخل النار وهو تنفير عن كثرة الكلام الثانية عشرة ومن نظر فى عيوب الناس فانكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الاحمق بعينه ووجه الحمق ان كونه منكرا لها من غيره يستلزم كون الرأى الحق ان لا يفعلها ورضاه بها لنفسه مخالفة للرأى الحق له وخروج عن المصلحة لنفسه وذلك حمق ونقصان ظاهر فى العقل والالف واللام فى الحمق يفيد حصره فى المشار اليه لذلك اكده بعينه الثالثة عشرة ومن اكثر من ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير لان الغرض من طلب الكثير منها الاستمتاع والالتذاذ به وذكر الموت كاسر لذلك الالتذاذ ومبغض له الرابعة عشرة ومن علم ان كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وذلك ان العالم بذلك يرتب قياسا هكذا الكلام عمل والاعمال مواخذ عليها لا يعنى منها فينتج ان الكلام مواخذ على ما لا يعنى منه وذلك موجب للاقتصار على ما يعنى منه **وقال ع** للظالم من الرجال ثلث علامات يظلم من فوقه بالمعصية ومن دونه بالغلبة ويظاهر القوم الظلمة فظلم من فوقه عصيان الله وتعديه لحدوده العادلة والثانية مستلزمة للاولى والثالثة مستلزمة للاوليين **وقال ع** عند تناهى الشدة تكون الفرجة وعند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء تناهى الشدة مستلزم للخلاص منها وهو المراد بالفرج وكذلك تضايق الحلق هو وقت الفرج الخالص له الى الله والرجاء له وذلك معد للفرج منه واستعار لفظ الحلق للامور الشديدة المحيطة بالانسان لا يجد عنها محيصا ملاحظة لشبهها بالحلقة فى البطان والحزام **وقال ع**

لمقارنة العمل الذى ينبغى له وجذبه الطبيعى له فكانه يصيح به ويدعوه الى مقارنته ليكون منهما كمال الانسان ومعنى قوله فان اجابه والا ارتحل ان العلم الذى ينبغى اذا قارنه العمل تاكد حتى يصير العلم كانه برز الى عالم الحس فى صورة العمل مثلا اذا علم الانسان وجود الصانع وما ينبغى من طاعته ثم قرن ذلك بعبادته استلزمت تلك العبادة منه دوام ملاحظته تعالى واخطار ذكره بالبال حتى لا يصير منسيا له فى وقت فاما اذا ترك العمل به فلابد ان يشتغل بغيره عن ذكره وتنقطع ملاحظته له حتى يكون ذلك سببا للنسيان والغفلة عنه واستعار لفظ الارتحال لزوال العلم باعتبار عدم استعداد تلك النفس وصلاحيتها كالراحل عن وطن ما يصلح لاستيطانه وقيل اراد بالارتحال عدم المنفعة بالرحل **وقال ع** متاع الدنيا حطام موبى فتجنبوا مرعاه قلعتها احظى من طمانينتها وبلغتها ازكى من ثروتها وحكم على مكثريها بالفاقة واعين من غنى عنها بالراحة من راقه برجها اعقبت ناظريه كمها ومن استشعر الشغف بها ملات ضميره اشجانا لهن رقص على سويداء قلبه هم يشغله وهم يحزنه حتى يوخذ بكظمه فيلقى بالفضاء منقطعا ابهراه هينا على الله فناؤه وعلى الاخوان القاؤه انما ينظر المؤمن الى الدنيا بعين الاعتبار ويقتات منها ببطن الاضطرار ويسمع فيها باذن المقت والابغاض ان قيل اثرى وان قيل افتقر حزن له بالشقاء هذا ولم يأتهم يوم فيه يبلسون اقول القلعة الرحلة والحظوة المنفعة ورائقه اعجبه والكمه العمى خلقة والاشجان العوارض المهمة والرقص الغليان والاضطراب والابهران عرقان متعلقان بالقلب الكرى قيل خيرهما الا الياس من الرحمة وفى الفصل فايدتان احديهما تنفير عن الدنيا باموره احدها انه حطام موبى فاستعار لفظ الحطام لمتاعها باعتبار سرعة فنائه وقلة الانتفاع به كما قال تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء الاية وكونه موبيا استلزم قنايته والاعتناء بجمعه للهلاك فى الاخرة ولذلك امر بتجنب مرعاه اى محل رعيه وهو الدنيا الثانى قلعتها وعدم القرار بها انفع من الطمانينة اليها لما يستلزمه من الشقاوة فى الاخرة بمحبتها والسكون اليها فى الاخرة الثالث ان الاقتصار على البلغة من العيش فيها ازكى من الثروة بها لما يستلزمه الثروة بها من الشقاء الاخروى فالاقتصار على القدر الضرورى منها اطهر واسلم من غوائلها الرابع حكم بالفاقة على مكثريها اما فيها فلان كل زيادة منها موجبة للحاجة الى اخرى فلذلك كان اكثر الناس حاجة فيها الملوك ثم من دونهم على اختلاف درجاتهم فيها واما فى الاخرة فلفقر المكثر فيها المشتغل بها من ملكات الخير والفضائل الخامس ان من غنى عنها بزهده فيها اعين من الله بالراحة منها السادس ان من اعجبه زينتها فاعمت بصيرته عما فيها من العبر وعما وراءها من احوال الاخرة واستعار لفظ الكمه للمعقول من عمى البصيرة عن الاعتبار لان ذلك اشد من العمى كما قال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور السابع ان من اغتر بحبها شغفا ملات قلبه هموما وغموما واحزانا على ما لم يحصل منها بطلبه وعلى ما فات منها بالاسف عليه واستعار لفظ الرقص لتعاقب تلك الاحزان والهموم واضطرابها فى قلبه الى غاية الاخذ بكظمه وكنى عن الموت وبالعلقة بالفضاء عن دفنه منقطعا وهينا حالا الان والفايدة الثانية انه ارشد الى صفات المؤمن فى نظره

الدنيا احديها انه انما ينظر اليها بعين الاعتبار ليحصل منها عبرة وذلك هو الذى خلق لاجله الثانية ويقتات منها ببطن الاضطرار وكنى به عن كونه لا يتناول الا البلغة ومقدار الضرورة الثالثة ولا يسمع فيها باذن المقت والا وكنى به عن بغضها فهو لا يسمع ما تمدح به من اسماعها وقوله ان قيل اثرى الى قوله الفناء اراد ان الانسان فيها منغص اللذة مكدر العيشة بينا هو يتراد لحقه الاكدار والفقر وفرح بقاء حبيب اذ لحقه الحزن عليه هذا الكلام لاحق بالفايدة الاولى فى وصف حال الانسان فى الدنيا ومن تمامه ووصف المؤمن هنا اعتراض وقوله هذا ولم يأتهم اى هذا البلاء ولم يأت الناس يوم القيمة الذى لشدة هوله يياسون فيه من الرحمة **وقال ع** ان الله سبحانه وضع الثواب على طاعته والعقاب على معصيته زيادة لعباده عن نقمته وحياشة لهم الى جنته الذود الدفع والمنع واشار الى غاية الحكمة الالهية من وضع الثواب والعقاب وهما رد عباد الله عن نقمته وجمعهم الى جنته **وقال ع** ياتى على الناس زمان لا يبقى فيهم من القرآن الا رسمه ولا من الاسلام الا اسمه مساجدهم يومئذ عامرة من البنى خراب من الهدى سكانها وعمارها شر اهل الارض منهم تخرج الفتنة واليهم تاوى الخطيئة يردون من شذ عنها فيها ويسوقون من تاخر عنها اليها يقول الله عز وجل فبى حلفت لابعثن الى اولئك فتنة اترك الحليم فيها حيران وقد فعل ونحن نستقيل الله عثرة الغفلة رسم القرآن اثره وهو تلاوته ولا يبقى الا اسم الاسلام دون العمل وسكان المساجد وعمارها قراء السوء وائمة الضلال الذين وصفهم عليه السلام فى صدر الكتاب بقوله ان ابغض الخلايق الى الله رجلان ويقول فى فصل اخر انما الاختلاف الناسخ الغبا ترد على احدهم القضية الى اخره وظاهر ان اولئك واشباههم شر اهل الارض لكونهم مبدأ الفتنة فى الدين ما اليهم ترجع خطايا الخلق اذ بهم يقتدون وعنهم ياخذون ومن كان كذلك فقد استعد للفتنة التى يحار فيها الحليم ذو العقل وذوو الحكم واوسال عليه السلام من الله تعالى اقالة عثرة الغفلة فيجب الاقتداء به فى ذلك السؤال اللهم اقلنا من عثرة الغفلة وروى انه عليه السلام قلما اعتدل به المنبر الا قال امام خطبته ايها الناس اتقوا الله فما خلق امرء عبثا فيلهو ولا ترك سدى فيلغو وما دنياه التى تحسنت له بخلف من الاخرة التى قبحها سوء النظر عنده وما المغرور الذى ظفر من الدنيا باعلى همته كالاخر الذى ظفر من الاخرة بادنى سهمته اقول السدى المهمل والسهمة النصيب ولما كان تقوى الله والتزود بها اليه هو المطلوب من خلق الانسان لاجرم صدر بالامر بها عامة خطبه عليه السلام ونبه على ذلك المطلوب وان الغاية منه هو الاخرة وانه ليست الدنيا وان تحسنت له بخلف من الاخرة وان قبحها سوء نظره فيها ومعرفته بها وعلى انه لا مناسبة بين من ظفر من الدنيا باعلى مطالبه منها وبين من ظفر من الاخرة بادنى نصيب لشرف متاع الاخرة فكيف من يظفر منها باعلى قسط ونفر طالب الدنيا والمدعى للظفر بها بكونه مغرورا والفضل ظاهر **وقال ع** عشر كلمات احديها لا شرف اعلى من الاسلام لاستلزامه شرف الدنيا والاخرة الثانية لا عز اعز من التقوى لان التقوى تستلزم جميع مكارم الاخلاق الجامعة لعز الدنيا والاخرة فكان عزها اكبر عز من غيرها الثالثة ولا معقل احصن من الورع واستعار له لفظ المعقل باعتبار تحصن الانسان به من عذاب الله

ولما كان عبارة عن لزوم الاعمال الجميلة ولا معقل احصن منه الرابعة ولا شفيع انجح من التوبة وذلك لاستلزامها
العفو عن جريمة التايب قطعا دون ساير الشفعاء بشفاعتهم ولفظ الشفيع مستعار لها الخامسة ولا كنز اغنى
من القناعة وذلك لكونها فضيلة مستلزمة لسكون نفس الانسان ورضاه بما قسم له وغناه عما وراءه ولا شيء
من ساير الكنوز لابناء الدنيا كذلك ولفظ الكنز مستعار لها السادسة ولا مال اذهب للفاقة من الرضى بالقوت
وهو قريب مما قبله السابعة ومن اقتصر على بلغة الكفاف اى البلغة التى تكف عن الناس فقد انتظم الراحة
اى فى سلك الراحة من الهم بطلب الدنيا ومجاذبة اهلها وتبوأ خفض الدعة اى اتخذ لين السكون مباءة
ومرجعا الثامنة والرغبة مفتاح النصب مطية التعب استعار للرغبة فى الدنيا لفظ المفتاح باعتبار فتحه
لباب التعب على الراغب وكذلك لفظ المطية باعتبار استلزامها له كالمطية المتعب كونها التاسعة والحرص
والكبر والحسد دواع الى التقحم فى الذنوب التقحم الدخول بسرعة فالحرص على الدنيا داع الى الظلم والكذب و
الفجور والجبن والبخل ونحوها من الرذايل والكبر داع الى قلة الانصاف وعدم التواضع والعجب والتهور وعدم
الاحتمال ونحوها والحسد داع الى الظلم والكذب والفساد فى الارض وغيرها من الاثام العاشرة والشر جامع لمساوى
العيوب هو الشر كلى كالجنس لمساوى العيوب ومقابحها اذ كل منها يصدق عليه شر مخصوص وهو المعنى بكونه الشر جامعا
لها وقال ع لجابر بن عبد الله الانصارى يا جابر الدنيا باربعة عالم يستعمل علمه وجاهل لا يستنكف ان يتعلم وجواد
لا يبخل بمعروفه وفقير لا يبيع آخرته بدنياه يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوايج الناس اليه فان قام بما
يجب لله فيها عرض نعمته لدوامها وان ضيع ما يجب لله فيها عرض نعمته لزوالها الدنيا انما تقوم بالمال ثم
بالعلم لوضعه فى مواضعه ومعرفة وجوه اكتسابه التى ينبغى ولا ينبغى من حلال وحرام وهو علم الفقه واصوله وتفسير
كتاب الله وسنة رسوله اللذين منهما تعلم الاحكام ثم ما يلزم ذلك من علم العربية ونحوه ولما كان العلم لا بد له
من حامل والمال لا بد له من قان وجب ان يكون من شرط الاول ان يعمل بعلمه ومن شرط الثانى ان يستعمل ماله فى
مصارفه التى ينبغى والا لم يكن لهما فايدة ولا قامت بهما احوال الخلق التى هى الدنيا ولما كان الموت ضروريا
للعلماء وغيرهم ووجب قيام الدنيا وبقاء نظامها ان يتعلم العلم فى قرن من الناس بعد قرن وجب ان يكون
هناك جهال لا يستنكفون عن تعلمه ولما كانت حاجة البعض الى البعض فى قوام الدنيا ضرورية ولم يجز
ان يستغنى كل عن كل لاسباب معلومة وغير معلومة وجب ان يكون هناك من لا مال له ليحصل الانتفاع فيما
هو بصدده ومن يحتاج له من الاعمال الضرورية بالجود عليه فاذن قوام الدنيا لا يحصل بدون الاربعة واما شرط
فى الفقير ان لا يبيع آخرته بدنياه لان بايع آخرته بدنياه ظالم خارج عن العدل فلا يقوم به الدنيا ولا يصلح العالم بها
ثم لما بين ما به قوام الدنيا اشار الى ما يلزم من ضد ذلك من الفساد مفسرا عنه بقوله فاذا ضيع الى قوله بدنياه فان
تضييع العلم يستلزم عدم الانتفاع به واستنكاف الجاهل عن تعلمه لسوء اعتقاده فى العلم واهله لما يراه من تضييعهم
له وعدم عملهم على وفقه فيبقى على الجهل بنفسه وبخل الغنى بمعروفه مستلزم لعدم المنفعة بالمال وما يلزمه

ذلك من شدة حاجة الفقير وبيع آخرته بدنياه فيلزم الفساد المنافى لمصلحة المعاش والمعاد ثم اشار الى ما يلزم كثرة
نعم الله على العبد من كثرة حوايج الخلق اليه ليوضح له وجوب الشكر عليها والقيام بما يجب لله فيها من الاحسان الى
المحتاجين اليه ورغب فى ذلك بما يلزمه من تعريض العبد بذلك نعمة الله عنده للدوام والمزيد ونفر عن تضييع ذلك
بما يلزمه من تعريضها للزوالها وروى ابن جرير الطبرى فى تاريخه عن عبد الرحمن بن ابى ليلى الفقيه وكان ممن خرج
لقتال الحجاج مع ابن الاشعث قال فيما يحضض به الناس على الجهاد انى سمعت امير المؤمنين على بن ابى طالب ع يقول
يوم لقينا اهل الشام ايها المؤمنون انه من راى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى اليه فانكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومن انكره
بلسانه فقد اجر وهو افضل من صاحبه ومن انكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك
الذى اصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونور فى قلبه اليقين لما كان انكار المنكر واجبا على كل مكلف بحسب
تمكنه وكان لتمكنه من ذلك طرفان ادنى وهو الانكار بالقلب لامكانه من كل احد وطرف اعلى وهو الانكار باليد
وهو الغاية ووسط وهو الانكار باللسان كانت درجاته فى استحقاق الاجر مترتبة على درجات انكاره وانما خص
المنكر بقلبه بالسلامة والبراءة اى من عذاب الله لانه لم يعمل انما المريد كله اجر وان كان كل واجب يثاب عليه
لان غاية انكار المنكر دفعه والانكار بالقلب ليس له فى الظاهر تاثير فى دفع المنكر فكانه لم يفعل ما يستحق به
اجرا وانما قال لتكون كلمة الله هى العليا لانه ان لم يكن ذلك مقصود المنكر بل كان مقصوده مثلا الرياء او الغلبة
الدنيوية لا يكون قد اصاب سبيل الهدى واستعار لفظ النور لوضوح الحق فى قلبه وجلايه من شبه الباطل وفى
كلام له عليه السلام يجرى هذا المجرى فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه فذلك مستكمل لخصال الخير ومنهم المنكر
بلسانه وقلبه والتارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصلة ومنهم المنكر بقلبه والتارك
بيده ولسانه فذلك الذى ضيع اشرف الخصلتين من الثلث وتمسك بواحدة ومنهم تارك لانكار المنكر بلسانه
وقلبه ويده فذلك ميت الاحياء وما اعمال البر كلها والجهاد فى سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الا
كنفثة فى بحر لجى وان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق وافضل ذلك
كلمة حق عند امام جاير اقول اعلم انه جرى فى هذه القسمة على الوجه الطبيعى المعتاد وذلك ان العادة جارية بان ينكر
الانسان المنكر اولا بقلبه ثم بلسانه ثم بيده اذا تمكن وقد يرد القسمة على غير هذا الوجه فيكون الناس على
اقسام ستة وهى المنكر بقلبه فقط او بلسانه فقط او بيده فقط او بقلبه ولسانه او بقلبه ويده او بلسانه ويده واعلم
ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر متلازمان لان المعروف والمنكر قد يكونان نقيضين او فى قوتهما فيكون
النهى عن المنكر مستلزما للامر بالمعروف والامر بالمعروف مستلزما للنهى عن المنكر واستجماعهما لخصال الخير ظاهر
لان كل خصلة منه معروف فالامر بالمعروف مطلقا امر بها وترك كل واحدة من خصال الخير منكر فانكاره يستلزم
الامر بها ولما كانت هذه الانواع الثلثة من انكار المنكر فضايل تحت فضيلة العدل وجب عدادها من خصال
الخير ولما كانت مستلزمة لساير الفضايل كما اشرنا اليه وجب ان يكون المنكر للمنكر مطلقا مستكملا لجميع خصال

الخير وان يكون التارك لبيده فخصلة متمسكا بخصلتين والتارك بيده ولسانه مضيعا لاشرف الخصلتين من
الثلث واما كانتا اشرف لكونهما يستلزمان دفع المنكر او بعضه غالبا بخلاف الثالثة ووجب ان يستحق تارك الثلث
اسم الميت فى حياته لخلوه عن جميع الفضايل ولفظ الميت استعارة وقوله وما اعمال البر الى قوله لجى تعظيم لهاتين الخصلتين
وشبه اعمال البر كلها بالنسبة اليهما بالنفث فى البحر اللجى ووجه الشبه ان كل خصلة من اعمال البر حقيرة بالنسبة اليهما
كالنفثة بالنسبة الى اللجى وعموم الخير فيهما وقوله فان الامر الى قوله رزق صغرى ضمير رغب به فيهما وتقدير الكبرى
وكلما لا يقرب من اجل ولا ينقص من رزق فلا ينبغى ان يحذر منه ثم اشار الى افضل اصنافهما وهو كلمة العدل عند
الامام الجاير لغرض رده عن جوره وعتوه وحيفه قال سمعت امير المؤمنين عليه السلام يقول ان اول ما تغلبون عليه
من الجهاد الجهاد بايديكم ثم بالسنتكم ثم بقلوبكم فمن لم يعرف بقلبه معروفا ولم ينكر منكرا قلب فجعل اعلاه
اسفله الجهاد باليد واللسان والقلب هو انكار المنكر بها وانما كان باليد اول مغلوب عليه لان الغرض الاول
للعدو ازالة سلطانه ومقاومته فاذا تمكن من ذلك كان زوال سلطان اللسان سهلا فان قلت لم قال ثم بقلوبكم
ومعلوم ان القلب لا يطلع عليه العدو ولا يتمكن من ازالة الجهاد به قلت مراده انهم اذا غلبوا على الجهاد باليد واللسان
وطالت المدة عليهم الفوا المنكر وتكرر على سمعهم وابصارهم وقلوبهم فلم يبق لها انكاره وهو معنى غلبهم عليه وقوله
فمن لم يعرف بقلبه الى آخره تنفير عن ترك الخصلتين بما يلزمه من قلب اعلى التارك اسفله واستعار لفظ القلب له
للانتكاس فى مهاوى الرذايل ودركات الجحيم وانما خص انكار القلب بذلك لامكانه فى كل وقت وخلوه عن الخشا
المخوفة التى تخشى فى الانكار باليد واللسان وقال ع ان الحق ثقيل مرى وان الباطل خفيف وبى استعار للحق
وصفى الثقل والمرى باعتبار صعوبته على من يكون عليه فى حقه وللباطل وصف الخفة باعتبار سهولته على
اهله ولفظ الوبى باعتبار استلزامه لاهلاكهم فى الآخرة وقال ع لا تامنن على خير هذه الامة عذاب الله
لقول الله سبحانه فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ولا تياسن لشر هذه الامة من روح الله لقوله تعالى
انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون ادب لسامع يجذبه الى الدين محتجا بعموم الآيتين ولفظ المكر مستعار
لامهال الله ثم اخذه فهو فى صورة المكر والخداع والمراد ظاهر وقال ع البخل جامع لمساوى العيوب وهو زمام
يقاد به الى كل سوء البخل رذيلة التفريط من فضيلة السخاء وهى مستلزمة للجهل لان البخيل غير عالم بوضع المال فى
والفجور لعبوره فى شهوته ومحبته للدنيا الطرف الافراط فيها والجبن لان من بخل بماله فهو بنفسه ابخل ولا
والظلم لقصوره عن فضيلة العدل فى ماله ثم الحرص والحسد والشره ودناءة الهمة والكذب والغدر والخيانة
وقطع الرحم وعدم المواساة وكل طرف من افراط وتفريط لفضيلة من الفضايل فانه من توابع البخل ولواحقه
وهى مساوى العيوب التى لجمعه استجماعها وانه زمام الى كل منها واستعار له لفظ الزمام باعتبار انه يقود الى
هذه المساوى ويقود اليها كالزمام وقال ع الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تاته
اتاك فلا تحمل هم سنتك على هم يومك فيكفيك كل يوم ما فيه فان تكن السنة من عمرك فان الله تعالى جده

سيؤتيك فى كل غد جديد ما قسم لك وان لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهم لما ليس لك ولن يسبقك الى رزقك طالب
ولن يغلبك عليه غالب ولن يبطئ عنك ما قد قدر لك قال السيد وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم من هذا الباب الا
انه ههنا اوضح واشرح فلذلك كررناه على القاعدة المقررة فى اول الكتاب اقول قد مضى تفسير اكثر هذا الكلام ومضمونه
التنفير عن الاهتمام بالدنيا والاشتغال بما يخرج بها عن ذكر الله وطاعته ونهاه ان يحمل هم السنة على هم اليوم لئلا يجتمع
عليه احزان متضاعفة يكفى واحد منها شغلا واحتج لذلك بضميرين صغرى الاول قوله فان تكن السنة وتقديرها ان السنة
التى تهتم لها اما ان تكون من عمرك او ليست وتقدير الكبرى وكلما كان على هذين التقديرين فلا ينبغى الاهتمام به اما
على التقدير الاول فان الله يؤتيك فى كل يوم منها ما قسم لك لا على الزيادة وما لا بد منه لا يجوز الاهتمام به واما على التقدير
الثانى فلانه ليس من العقل ان يهتم المرء بما ليس له وصغرى الثانى قوله ولن يسبقك الى قوله قدر لك وتقديرها
ان رزقك لن يسبقك اليه طالب وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك فلا ينبغى ان يهتم به وقال ع رب مستقبل
يوما ليس بمستدبره ومغبوط فى اول ليله قامت بواكيه فى آخره وغرض الكلمة التنبيه من رقدة الغفلة على الموت لغاية
العمل له ولما بعده والمعنى ظاهر وقال ع الكلام فى وثاقك ما لم تتكلم به فاذا تكلمت به صرت فى وثاقه فاخزن
لسانك كما تخزن ذهبك وورقك فرب كلمة سلبت نعمة والوثاق الحبل وامر بخزن اللسان عما لا ينبغى من القول فى
غير موضعه وشبه خزنه بخزن الذهب ووجه الشبه شدة الخزن ونفر عن قول ما لا ينبغى بضميرين صغرى احدهما قوله
وثاقه وتقدير الكبرى وكل كلام كان كذلك فلا ينبغى ان يتكلم الا بما ينبغى ولفظ الوثاق مستعار وصغرى الثانى
قوله فرب كلمة سلبت نعمة وتقدير الكبرى وكل كلمة كذلك فيجب الاحتراز منها بقلة القول والتثبت فيه وقال ع
ولا تقل ما لا تعلم بل لا تقل كل ما تعلم فان الله سبحانه قد فرض على جوارحك كلها فرايض يحتج بها عليك يوم القيمة نهى
عن قول ما لا يعلم لانه كذب او محتمل للكذب ولانه قول بالجهل فيجب الاحتراز منه واما النهى عن قول كل ما يعلم فلجواز
ان يكون فيه مضرة لنفسه او لغيره كاذاعة سر تستلزم اذاه او اذى من اسر اليه ونفر عن ذلك بقوله فان الله الى
آخره وهو صغرى ضمير والفرايض التى افترضها الله على كل جارحة هو ما اوجبه على اللسان مثلا من قول ما ينبغى فى موضعه
وكذلك ما يتعلق بالعين من النظر الذى ينبغى ونحو ذلك فى ساير الجوارح وتقدير الكبرى وكل من فرض الله
على جوارحه فرايض كذلك يحتج بها عليه يوم القيمة فى تركها والعمل بها يجب عليه المحافظة عليها وقال ع احذر ان
يراك الله عند معصيته ويفقدك عند طاعته فتكون من الخاسرين حذره من الامرين بما يلزمهما من دخوله فى زمرة الخاسرين
لثواب الله يوم القيمة ثم امر بالقوة على طاعة الله ليتم الاستعداد بها لرحمته وبالضعف عن معصيته ليضعف الا
بها عن قبول سخط الله ونقمته وقال ع ثلث كلمات احدها الركون الى الدنيا مع ما يعاين منها جهل اى بما ينبغى
ان يركن اليه مما لا ينبغى الثانية والتقصير فى حسن العمل اذا وثقت بالثواب عليه غبن اى مستلزم للغبن وهو
ترك ما يوثق به من الثواب لكثرته مقابلة العمل اليسير له وفيه ايماء الى ان سبب التقصير فى حسن العمل عدم الوثوق
بالثواب الموعود فى الآخرة الثالثة والطمانينة الى كل احد قبل الاختبار عجز اى عن البحث عمن ينبغى السكون اليه

ومن وضعه موضعه ونفره عن الركون الى الدنيا بما يلزمه من الجهل وعن التقصير في حسن العمل بما يلزمه من الغبن وهو الظلم
الى كل احد بما يلزمها من العجز وقال عليه السلام وهوان الدنيا على الله ان لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها نفر عن الدنيا
بذكر هوانها على الله من الوجهين المذكورين وقال عليه السلام من طلب شيئا ناله او بعضه هو كقولهم من طلب شيئا جد وجد
ومن قرع بابا ولج ولج وظاهر ان الطلب سبب لحصول المطلوب فان تم الاستعداد له نال الكل والا فبقدر نقصانه الا
يكون نقصان المطلوب وقال عليه السلام ما خير بخير بعده النار وما شر بشر بعده الجنة وكل نعيم دون الجنة محقور وكل
بلاء دون النار عافية نفى عما يقود الى النار وان عد في الدنيا خيرا ولذة استحقاق اسم الخير تحقيرا له وتنفيرا عنه بما
يلزمه من غايته التي هي النهاية في الشر وهي النار وكذلك نفى عما يقود الى الجنة من الطاعات الشاقة وان عدت في
الدنيا شرا والما استحقاق اسم الشر ترغيبا فيه بما يلزمه من غايته التي هي دخول الجنة والتقدير ما خير بعده النار
بخير وما شر بعده الجنة بشر وقوله وكل نعيم دون الجنة محقور تفسير للاول وكل بلاء دون النار عافية تفسير للثاني
واراد عافية نسبية وقال عليه السلام الا وان من البلاء الفاقة واشد من الفاقة مرض البدن واشد من مرض البدن مرض القلب الا وان
من النعم سعة المال وافضل من سعة المال صحة البدن وافضل من صحة البدن تقوى القلب اشار الى درجات البلاء
وتفاوتها بالشدة والضعف والى ما يقابلها من درجات النعم وتفاوتها كذلك وانما كان مرض القلب بالرذائل
اشد من مرض البدن لاستلزامه في الاخرة فوات كل السعادات وهو الموت الذي لا حياة معه وبحسب ذلك كان
تقوى القلب واشتماله بالفضائل افضل من صحة البدن لاستلزامه السعادة الباقية والحيوة الابدية وقال عليه السلام
للمؤمن ثلث ساعات فساعة يناجي فيها ربه وساعة يرم فيها معاشه وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويجمل
وليس للعاقل ان يكون شاخصا الا في ثلث مرمة لمعاش او خطوة في معاد او لذة في غير محرم اقول الرم
المعاش اصلاحه والشاخص الذاهب من بلد الى بلد وقسم زمان المؤمن العاقل الى ثلثة اقسام بحسب ما ينبغي له
بمقتضى الحكمة العملية والراي الحق فقسم يتوفر فيه على عبادة الله ومناجاته وهذا القسم هو المطلوب الاول
وقسم يصلح فيه ما لا بد منه في تحصيل القسم الاول وهو معاشه وقسم يخلي فيه بين نفسه ولذاتها المباحة التي تجمل
وتحسن دون المحرمة والمباحة المستهجنة وهذان القسمان مرادان للاول اذ لا يمكن بدونهما وقوله وليس للعاقل
الى اخره اي ليس له بحسب مقتضى العقل العملي ان يشتغل الا في الامور الثلثة وقال عليه السلام ازهد في الدنيا يبصرك
الله عوراتها ولا تغفل فلست بمغفول عنك لما كانت محبة الدنيا مستلزمة لاستتار عيوبها عن ادراك المحب كما
قيل حبك الشيء يعمي ويصم كان بغضها والزهد فيها رافعا لذلك الستر كاشفا لما يستتر من عيوبها وعوراتها فامر
بالزهد فيها لهذه الغاية المشوقة فيها ثم نفر عن الغفلة فيها عما وراءها بضمير صغراه قوله فلست بمغفول عنك وتقدير
الكبرى وكل من ليس بمغفول عنه فلا ينبغي ان يغفل عما يراد به وقال عليه السلام تكلموا تعرفوا فان المرء مخبوء تحت لسانه
وقد مر تفسير هذه الكلمة وجعلها هنا صغرى ضمير رغب به في الكلام عند الحاجة لغاية ان يعرف المتكلم وتقدير
الكبرى وكل من كان مخبوءا تحت لسانه فينبغي ان يظهر نفسه في كلامه ليعرف وقال عليه السلام خذ من الدنيا ما اتاك

وتول

وتول عما تولى عنك فان انت لم تفعل فاجمل في الطلب امر بالقناعة اولا بما تيسر من الدنيا لمن تمكن منها وقوي عليها
وبالاجمال في الطلب لمن لم يتمكن منها والاجمال في طلب الدنيا طلبها برفق من الوجه الذي ينبغي وقال عليه السلام رب قول
انفذ من صول اي قد يبلغ الانسان بالقول ما لا يبلغه بالشدة والصولة فيكون القول انفذ في غرضه ويصلح
مثلا يضرب للرفق واللين الذي يبلغ به ما لا يبلغ بالعنف وروي عوض انفذ اشد والمعنى رب قول يقوله
الانسان فيكون ضرره عليه اشد من صولة عدوه او رب قول يسمعه من غيره كقذف او هجو يكون اشد عليه من
صولة العدو والمعنيان منقولان عن ابن ادم الهروي وقال عليه السلام كل مقتصر عليه كاف اي انه لا يقتصر الانسان
الا على مقدار يمكنه دفع الضرورة او الحاجة به وذلك كاف في معنى القانع عما سواه وفيه ايماء الى الامر بالاقتصار
على اليسير من الدنيا وقال عليه السلام كلمات اربع احديها المنية ولا الدنية فالمنية مبتدأ دل على خبره بقوله ولا الدنية
اي اسهل من الدنية ويحتمل ان يكون التقدير تحتمل المنية ولا تحتمل الدنية وهي الخسيسة من الامر ترتكب في طلب الدنيا
وكثير من الكرام يختار الموت على ذلك والثانية التقلل ولا التوسل اي القناعة بالقليل من العيش والبلغة
خير من التوسل الى اهل الدنيا في طلبها الثالثة ومن لم يعط قاعدا لم يعط قائما كنى بالقعود عن الطلب السهل
وبالقيام عن الطلب المتعب بتعسف اي من لم يرزق بالطلب السهل لم ينفعه التشديد في الطلب وهذا الحكم
اكثري كما هو حكم الخطيب حث به على الاجمال في الطلب الرابعة والدهر يومان يوم لك ويوم عليك فاذا كان لك
فلا تبطر واذا كان عليك فاصبر فاليوم الذي عليه هو زمان الضيق والبلاء يجب فيه الصبر للاستعداد به لقبول
رحمة الله تعالى كما قال وبشر الصابرين الاية وقال عليه السلام مقاربة الناس في اخلاقهم امن من غوائلهم الغائلة الحقد و
ذلك ان مباعدة الناس في اخلاقهم تستلزم منافرتهم وعداوتهم واحقادهم فالبعد ولعلها الى المقاربة والتشاكل
لاخلاقهم يستلزم الامن من ذلك منهم وقال عليه السلام لبعض مخاطبيه وقد تكلم بحضرته بكلام يستصغر عن مثله لقد
طرت شكيرا وهدرت سقبا فالشكير هو الفرخ قبل النهوض واستعار له لفظ الشكير والسقب باعتبار صغره
عما تكلم به في حضرته ووصف الطيران والهدير له باعتبار نهوضه الى ذلك الكلام الذي هو فوق محله وليس اهلا
له كما ان الطيران ليس من شان الشكير ولا الهدير من شان السقب وقال عليه السلام من اومأ الى متفاوت خذلته
الحيل المتفاوت كالامور المتضادة او التي يتعذر الجمع بينها في العرف والعادة واستعار وصف الخذلان للحيل
باعتبار انها لا تواتيه ولا تمكنه في الجمع بين ما يرومه من تلك الامور وقال عليه السلام وقد سئل عن معنى قولهم لا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لا نملك مع الله شيئا ولا نملك الا ما ملكنا فمتى ملكنا ما هو املك به منا
كلفنا ومتى اخذه منا وضع تكليفه عنا برهان قوله انا لا نملك مع الله شيئا قوله تعالى قل فمن يملك لكم من الله
شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا الاية وظاهر ان التكليف تابع لما ملكنا اياه من الجوارح والقوى والعقل
وساير متعلقات التكليف وعند اخذه لشيء منها يضع التكليف المتعلق به عنا وسئل الصادق عليه السلام عن هذه الكلمة
فقال لا حول على ترك المعاصي ولا قوة على فعل الطاعات الا بالله وقال عليه السلام لعمار بن ياسر وقد سمعه يراجع المغيرة

ابن شعبة كلاما دعه يا عمار فانه لم يأخذ من الدين الا ما قاربه الدنيا وعلى عمد لبس على نفسه ليجعل الشبهات عاذرا
لسقطاته اراد انه لا يأخذ من الدين الا ما يستلزم دنيا ويقرب به منها كعدله وصدق يستلزم منفعة دنيوية دون
ما ليس كذلك وهو صغرى ضمير نفره عن مخاطبته وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فينبغي ان يعرض عن مراجعته ومكالمته
وقال عليه السلام ما احسن تواضع الاغنياء للفقراء طلبا لما عند الله واحسن منه تيه الفقراء على الاغنياء اصعب عليهم
واشق من تواضع الاغنياء لهم اذ كان تيههم يستدعي كمال التوكل على الله وهو درجة عالية في الطريق اليه فلذلك
كان افضل واحسن لقوله عليه السلام افضل الاعمال احمزها وقال عليه السلام ما استودع الله امرء عقلا الا ليستنقذه به يوما
ما اما من بلاء الدنيا بالحيلة او من بلاء الاخرة بالطاعة وقال عليه السلام من صارع الحق صرعه استعار لفظ المصارعة
للمقاومة وذلك ان الله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله والصالحين من عباده اعوان الحق ولا مقاوم لهم وقال عليه السلام
القلب مصحف البصر اراد بالقلب النفس او الذهن واستعار له لفظ المصحف باعتبار ان كل ما تصور في الذهن اريد
التعبير عنه فلابد ان يتصور بحروف العبارة عنه في لوح الخيال والحس البصري يشاهدها من هناك ويقرؤها
فالقلب اذن كالمصحف الذي تشاهد فيه الحروف مع الالفاظ ويقرأ منه بالبصر فلذلك اضافه الى البصر وقال عليه السلام
التقى رئيس الاخلاق استعار لفظ الرئيس للتقوى باعتبار افضليته في استلزام رضوان الله وحصول السعادة
الباقية ولا شيء من الاخلاق بهذه الصفة يستلزم ذلك وقال عليه السلام لا تجعلن ذرب لسانك على من انطقك وبلاغة
قولك على من سددك ذرب اللسان حدته وهو ادب يجري مجرى المثل يضرب لمن يحصل من انسان علما او فائدة
فيستعين بها عليه كان يتفاصح على من علمه الفصاحة وقال عليه السلام كفاك ادبا لنفسك اجتنابك ما تكرهه من غيرك
واراد بما يكرهه من غيره الرذائل فانها مكروهة الى كل احد من غيره ومن نفسه ايضا اذا عقل انها رذيلة ولذلك
اذا عير بها انف منها الا ان بعض الرذائل قد يخفى على من هي فيه فلا يتصور قبحها من نفسه او انه قد يتصور ذلك
لكن يحمله عليها حامل اخر من شهوة او غضب ولما كان اجتناب الرذائل يستلزم الوقوف على فضيلة العدل فكان
لا جرم كان اجتنابها ادبا كافيا لمن يجتنبها وقال عليه السلام من صبر صبر الاحرار والا سلا سلو الاغمار وفي خبر اخر
قال عليه السلام للاشعث بن قيس معزيا ان صبرت صبر الاكارم والا سلوت سلو البهائم والاغمار الجهال جمع غمر
وجذب الى فضيلة الصبر في المصائب باضافته الى الاحرار والاكارم وبما يلزم عدمه من الغاية وهي السلو الشبيه
بسلو الغافلين او البهائم واصل الا ان لا اي وان لا تصبر وقال عليه السلام في صفة الدنيا تغر وتضر وتمر ان الله لم يرضها
ثوابا لاوليائه ولا عقابا لاعدائه وان اهل الدنيا كركب بيناهم حلوا اذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا نفرها
بثلثة منها احدها الدنيا تضر بمحبتها وتغر بزينتها وتمر … ذلك واستعار لها وصف
الامرار باعتبار ما يستلزم فراقها من الم الجزع والحزن كالمرارة وروي وتمر بفتح التاء اي تذهب الثاني قوله ان
الله الى قوله لاعدائه اذ لو رضيها لذلك لاعطاها اولياءه وحرمها اعداءه الثالث قوله وان اهل الدنيا الى اخره
فقوله بيناهم الى اخره في تقدير صفة لركب اي كركب من شانه كذا ووجه الشبه بالركب الذي شانه ذلك سرعة

ارتحالهم

ارتحالهم الى الاخرة كسرعة ارتحال الركب وتقدير الكبرى في الضميرين الاولين وكلما كان كذلك فينبغي ان يجتنب
ولا يحرص على طلبه وتقديرها في الثالث وكل ما كان كذلك فينبغي ان يستعد فيه للرحيل والسفر وقال عليه السلام
لابنه الحسن عليه السلام يا بني لا تخلفن وراءك شيئا من الدنيا فانك تخلفه لاحد رجلين اما رجل عمل فيه بطاعة
الله فسعد بما شقيت به واما رجل عمل فيه بمعصية الله فكنت عونا له على معصيته وليس احد حقيقا ان تؤثره
على نفسك ادب بالنهي عن ادخار المال ونفره عن ذلك بضمير صغراه قوله فانك الى اخره وقوله بما شقيت به اي شقاء
الدنيا بجمعه وشقاء الاخرة بادخاره لقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
الاية وتقدير الكبرى وكل من يخلف مالا لاحد هذين وليس احدهما حقيقا بان يؤثره على نفسه فلا يجوز له ان يخلفه
ويروى هذا الكلام على وجه اخر وهو اما بعد فان الذي في يديك من الدنيا قد كان له اهل قبلك وهو صاير
الى اهل بعدك وانما انت جامع لاحد رجلين رجل عمل فيما جمعته بطاعة الله فسعد بما شقيت به او رجل عمل فيه
بمعصية الله فشقي بما جمعت له وليس احد هذين اهلا ان تؤثره على نفسك ولا تحمل له على ظهرك فارج لمن قد مضى
رحمة الله ولمن بقي رزق الله اقول في هذه الرواية تنفير عن الدنيا بضميرين احدهما قوله فان الذي في يديك
الى قوله بعدك وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فليس لك ان تحبه وتعتمد عليه الثاني قوله وانما انت الى قوله
ظهرك كبراه ما مر في الرواية الاولى واستعار لفظ الحمل لاكتساب اثام جمع المال ورشح بذكر الظهر ثم ارشد الى
ما هو خير من المال لمن مضى وهو رجاء رحمة الله ولمن بقي وهو رجاء رزق الله الموعود لكل حي وقال عليه السلام لقائل
قال بحضرته استغفر الله ثكلتك امك اتدري ما الاستغفار ان الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على
ستة معان اولها الندم على ما مضى والثاني العزم على ترك العود اليه ابدا والثالث ان تؤدي الى المخلوقين
حقوقهم حتى تلقى الله عز وجل املس ليس عليك تبعة والرابع ان تعمد الى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها
والخامس ان تعمد الى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالاحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد
والسادس ان تذيق الجسم الم الطاعة كما اذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول استغفر الله اقول ظاهر
كلامه يقتضي ان اسم الاستغفار الحق الذي له درجة العليين ويستحقها صاحبها به واقع على مجموع المعاني
التي اشار اليها وذكرها لتعريف حقيقته منها وتكون ارادة هذا المعنى من لفظ الاستغفار بعرف جديد او شرع
او مفهومه اللغوي طلب المغفرة الا انه لما كان طلبها مشروطا بحصول المعاني المذكورة اطلق لفظ المشروط
على الشرط واستعمله فيه ويحتمل ان لا يكون غرضه تفسير ماهية الاستغفار بل الاشارة الى الشرائط التي لا ينفع
ايقاعه من دونها وهي المعاني الستة ويكون معنى قوله اتدري ما الاستغفار اي الاستغفار التام بشرائطه
واعرض عن ماهيته للعلم بها واشار الى تمامه من الشرائط وقصد بالاشارة الى صدق لفظه على شرائطه
تاكيدا انه لا بد منها حتى كان مجموعها نفس حقيقة الاستغفار واستعار لفظ الاملس لنقاء الصحيفة من الاثام
وقال عليه السلام الحلم عشيرة استعار لفظ العشيرة للحلم باعتبار انه يحمي صاحبه ممن يناوئه ويعاديه كما تحميه عشيرته

وقال عليه السلام مسكين ابن ادم مكتوم الاجل مكنون العلل محفوظ العمل تولمه البقة وتقتله الشرقة وتنتنه العرقة ذكره
مسكينا وبين ذلك بضمير عدة فيه وجوه المسكنة والضعف صغراه قوله مكتوم الاجل الى اخره وهى ظاهرة ويقدر
كبراه وكل من كان كذلك فهو مسكين خبر المبتدأ قدم عليه لان ذكره اهم وحذف تنوينه تخفيفا وغرض الكلام
كسر النفوس من سورة الكبر والعجب والفخر وامثالها من الرذايل وروى انه عليه السلام كان جالسا فى اصحابه اذ مرت
بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بابصارهم فقال عليه السلام ان ابصار هذه الفحول طوامح وان ذلك سبب هبابها فاذا نظر احدكم
الى امرأة تعجبه فليلمس اهله فانما هى امرأة كامرأة فقال له رجل من الخوارج قاتله الله كافرا ما افقهه فوثب اليه القوم
ليقتلوه فقال عليه السلام رويدا انما هو سب بسب او عفو عن ذنب الرمق النظر وطموح البصر ارتفاعه والهبب
الهباب صوت التيس عند هياجه طلبه للشاة واستعار لهم الفحول ولفظ الهباب لطلبهم النكاح وارشدهم
الى الخلاص من فتنة النظر بملامسة الاهل ورغب فى ذلك بضمير صغراه قوله فانما هى امرأة كامرأة اى فانما اهل
الرجل امرأة تشبه المرأة المرئية وتقدير الكبرى وكل من يشبهها ففيه عوض منها وانما اطلق الخارجى لفظ الكافر
عليه لانه عند الخوارج مخطئ وكل خطيئة عندهم كفر وقوله انما هو سب الى اخره مقتضى فضيلة العدل وقال عليه السلام
كفاك من عقلك ما اوضح لك سبيل غيك من رشدك الغرض من العقل العملى هو ما ذكره عليه السلام وكفى به وقال عليه السلام افعلوا
الخير ولا تحقروا منه شيئا فان صغيره كبير وقليله كثير ولا يقولن احدكم ان احدا اولى بفعل الخير منى فيكون والله كذلك
ان للخير والشر اهلا فمهما تركتموه منهما كفاكموه اهله امر بفعل الخير ونهى عن احتقار شىء منه وان قل ورغب فيه بضمير
صغراه قوله فان صغيره كبير وقليله كثير اى فى الاعتبار وبالنسبة الى من يحتاج اليه ثم نهى ان يقول الخير ان غيره اولى
بفعل الخير منه وهو كناية عن ترك المرء الخير اعتمادا على ان غيره يفعله اولى قوله فيكون والله كذلك لان ذلك
القول من القايل التارك للخير يكون باعثا لمن توسم فيه فعل ذلك الخير ونسبه اليه فيصدق قوله وظنه فيه بفعله
له فيكون اولى به منه وقوله ان للخير والشر اهلا الى اخره ترغيب فى الخير وتنفير عن الشر بذكر ان لكل منهما اهلا يكفيه
فيه ان تركه من ليس اهله ليكون السامعون من اهل الخير بفعله ويتركوا الشر لاهله وقال عليه السلام من اصلح سريرته
اصلح الله له علانيته ومن عمل لدينه كفاه الله امر دنياه ومن احسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس
فصلاح باطن الانسان وسره بالاخلاق الفاضلة معد لافاضة الله عليه صلاح افعاله وافعاله الظاهرة
لانها كالثمرات للباطن وكذلك عمل الانسان لدينه واقامته لحدود الله معد لصلاح حاله فى معاشه ومهيئ
لعواطف الخلق عليه لاشتغاله بالله عن مجاذبتهم للدنيا وفى معناه الكلمة الثالثة فان اخلاص العبودية
واصلاح معاملته قاطع عن محبة الدنيا والحرص عليها الذى هو سبب الفساد بين الناس فكان معدا لرفع
الفساد ودفعه وقال عليه السلام الحلم غطاء ساتر والعقل حسام قاطع فاستر خلل خلقك بحلمك وقاتل هواك بعقلك
استعار لفظ الغطاء للحلم باعتبار انه يستر سورة الغضب وقبيح ما يصدر عنه من الافعال السيئة ورغب بذكر
الساتر وكذلك استعار لفظ الحسام للعقل باعتبار قمعه لبوادر النفس الامارة وافراطها ورغب بذكر القاطع

والزكاة

ولذلك امر بمقاتلة هواه به وقال عليه السلام ان لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فيقرها فى ايديهم ما بذلوها فاذا
منعوها نزعها منهم ثم حولها الى غيرهم اى من عباد الله من يكون مقصود العناية الالهية بافاضة النعمة
عليه واقرارها فى يديه وصول النفع الى الغير ويكون ذلك شرطا فيها فاذا لم يوجد ذلك الشرط ارتفعت تلك
النعمة بارتفاع شرطها الى غيرهم وغرض الكلمة الحث على النفع المتعدى ليجوز كل عاقل انعم الله ان نعمته كذلك
وقال عليه السلام لا ينبغى للعبد ان يثق بخصلتين العافية والغنى بينا تراه معافى اذ سقم وبينا تراه غنيا اذا افتقر نهى
من الوثوق بالخصلتين المذكورتين لكونهما مع ما يقابلهما من السقم والفقر امور اعتبارية مقدورة للعبد ولا معلومة
الاسباب وهى فى معرض التعاقب فالوثوق بما كان كذلك جهل ونفر عن ذلك بضمير صغراه قوله بينا تراه الى اخره اى
ان العبد من شأنه كذا وتقدير الكبرى وكل من شأنه كذا فلا ينبغى ان يثق بالخصلتين المذكورتين وقال عليه السلام
من شكى الحاجة الى مؤمن فكانما شكاها الى الله ومن شكاها الى كافر فكانما شكى الله شكاية المؤمن الى المؤمن
شكاية فى موضعها اذ كانت ثمرة الشكاية المعاونة على دفع الامر المشكو منه والمؤمن شأنه ذلك بخلاف الشكاية الى
الكافر ورغب فى الاولى بتشبيهها بالشكاية الى الله ووجه الشبه ان المؤمن كالصديق لله فاذا شكى المؤمن اليه امر من
الله فكانه جعله وسيلة الى الله فى شكواه فاشبه الشكوى اليه ونفر عن الثانية بتشبيهها بشكوى الله ووجه الشبه ان
الكافر عدو الله فمن شكى اليه امرا فكانما شكى من الله الى عدوه وقال عليه السلام فى بعض الاعياد انما هو عيد لمن قبل
الله صيامه وشكر قيامه وكل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد غرض الكلمة الجذب الى عبادة الله وطاعته وكسر النفوس عن
الفرح بالعيد لغير الله فيه بضيب سواء كان زمانا او مكانا او غيرهما ولما كان العيد عبارة عن يوم شرف فيه الناس وفرح
فيه فكل يوم لم يعص الله فيه فهو اولى بالفرح به والسرور فيه وان يسمى عيدا فى عرف اولياء الله والطالبين لما عنده
وقال عليه السلام ان اعظم الحسرات يوم القيمة حسرة رجل كسب مالا فى غير طاعة الله فورثه رجلا فانفقه فى طاعة الله فدخل
به الجنة ودخل الاول به النار غرض الكلمة الجذب عن الكسب الحرام وادخار المال والتنفير عنه بما ذكر وقوله اعظم
الحسرات لا يقتضى ان يكون كلما هو اعظمها وانما كان ذلك حسرة عظيمة لعدم منفعته بالمال فى الدنيا وعذابه
فى الاخرة ومشاهدته لانتفاع الغير به هناك وقال عليه السلام ان اخسر الناس صفقة واخيبهم سعيا رجل اخلق
بدنه فى طلب ماله ولم تساعده المقادير على ارادته فخرج من الدنيا بحسرته وقدم على الاخرة بتبعته استعار وصف
الاخسر صفقة لمن ذكر باعتبار استعاضته للدنيا عن الاخرة ومع عدم موافقة القدر له فى حصول ما لديه الدنيوى
وظاهر انه اخسر من البحر وتبعته ما يلحقه من عقوبات الاثام المكتسبة له من سعيه وقال عليه السلام الرزق رزقان
طالب ومطلوب فمن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرجه عنها ومن طلب الاخرة طلبته الدنيا حتى يستوفى رزقه
منها استعار للرزق وصف الطالب باعتبار انه لا بد من وصوله فهو كالطالب لصاحبه ونفر عن طلب الدنيا
بما يلزمها من الغاية المكروهة وهى الموت فكان طالب للمن لغاية الخارج من الدنيا بسبب طلبه لها ورغب فى طلب
الاخرة بما يلزمه من طلب الدنيا واهلها لمن انقطع عنها حتى يصل اليه رزقه منها وهو محمود وقد بينا فيما سلف

وعدا اقبال الناس على من نقطع عنهم **وقال ع** ان اولياء الله هم الذين نظروا الى باطن الدنيا اذ نظر الناس الى ظاهرها
واشتغلوا باجلها اذا اشتغل الناس بعاجلها فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وتركوا منها ما علموا انه سيتركهم ورأوا
استكثار غيرهم منها استقلالا ودركهم لها فوتا اعداء ما سالم الناس وسلم ما عادى الناس بهم علم الكتاب وبه علموا وبهم قام
الكتاب وبه قاموا لا يرون مرجوا فوق ما يرجون ولا مخوفا فوق ما يخافون اقول ميز اولياء الله بصفات عشر احديها
انهم نظروا الى باطن الدنيا اى حقيقتها وغرض الحكمة الالهية من وجودها فعملوا فيها على حسب علمهم اذ نظر الناس الى
ظاهرها من زينتها وقنياتها الثانية واشتغلوا باجلها وهو ما جعل الله نصب اعينهم غرضا مقصودا منها ثمرة للاستعداد
وهو ثواب الله ورضوانه اذا اشتغل الناس بعاجلها وحاضر لذاتها الثالثة فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وهو نفوسهم
الامارة بالسوء التى يخشى من غلبتها واستيلائها على العقل موته وهلاكه فى الآخرة ويحتمل ان يريد بما اماتوه منها قنياتها
استعارة فكانهم لما رفضوها ولم يلتفتوا اليها فقد اماتوها ولم يبق لها حياة عندهم الرابعة وتركوا منها ما علموا انه
سيتركهم وهو زينتها وقنياتها التاركة لهم بالموت عنها ومنه للمصنفين لبيان الجنس الخامسة ورأوا استكثار غيرهم
منها استقلالا ودركهم لها فوتا اى استقلالا لامن الخير الباقى وفوتا له اذ كان تركها والاستكثار بها سببا لذلك السادسة
اعداء ما سالم الناس وهى الدنيا وسلم ما عادى الناس وهى الآخرة السابعة بهم علم الكتاب لحفظهم اياه وتفهمهم له و
افادتهم به وبه علموا لاشتهارهم به عند الناس التاسعة وبهم قام الكتاب اى صارت احكامه قائمة فى الخلق معمولا
بها وبه قاموا اى باوامره ونواهيه وبما ينبغى له ويحتمل ان يريد قيامهم فى معاشهم ومعادهم به كثيرا العاشرة لا يرجون
مرجوا فوق ما يرجون من ثواب الله ولا يخافون مخوفا فوق ما يخافون من عذاب الله والحجب عنه وذلك لعلمهم
بالمرجو والمخوف هناك **وقال ع** اذكروا انقطاع اللذات اى بالموت وبقاء التبعات للجرايم والغرض التنفير
عن الدنيا **وقال ع** اخبر تقله ومن الناس من يروى هذا الكلام عن النبى ص ومما يقوى انه من كلام امير المؤمنين ع
ما حكاه ثعلب قال حدثنا ابن الاعرابى قال قال المأمون لولا ان عليا عليه السلام قال اخبر تقله لقلت اقله تخبر
تقليه قلا وقلا بالفتح وقلية تقلاه ابغضه والهاء للسكت وهو امر فى معنى الخبر يجرى مجرى المثل والمعنى من
خبرت باطنه قليته والحكم اكثرى لكثرة ما على الناس من خبث السريرة ورذائل الاخلاق وما نقل عن المأمون من العكس
يريد به ان اظهار البغض للشخص يكشف عن باطنه لانه اما ان يقابل بمثل ذلك او يترك فيعرف خيره من شره ونقل
مثله عن ابى بكر الاصفهانى قال لولا ان الاعراض على السلف من الجهالة والسرف لقلت اقله تخبر حتى لا يكون
الانسان مضيعا ودّه واضعا فى غير موضعه مقته **وقال ع** ما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عليه
باب الزيادة ولا ليفتح على عبد باب الدعاء ويغلق عنه باب الاجابة ولا ليفتح على عبد باب التوبة ويغلق عنه
باب المغفرة اشار الى استلزام امور ثلثة لامور ثلثة وهى الشكر للمزيد والدعاء للاجابة والتوبة للمغفرة فمن فتح
الله له بابا لاحد هذه الملزومات فاعده له والهمه اياه وجب فى جوده ان يفتح له باب لازمه ويفيضه عليه اذ لا بخل فى
جوده ولا منع فى عطائه ووصف فتح الباب استعارة لتيسيره تعالى العبد لذلك واعداده له وسئل عليه السلام ايما افضل

العدل

العدل او الجود فقال العدل يضع الامور مواضعها والجود يخرجها عن جهتها والعدل سايس عام والجود عارض
خاص فالعدل اشرفهما وافضلهما اشار الى افضلية العدل بضميرين صغرى الاول قوله العدل الى قوله جهتها يريد ان
طبيعة الجود تقتضى من صاحبها اخراج كل ما يملكه عن مواضعه ومواقع حاجته الذى هى وليه بمقتضى العدل الثانى
قوله والعدل الى قوله خاص واستعار له لفظ السايس باعتبار ادبه نظام العالم والجود عارض خاص من يصل اليه
من بعض الناس وتقدير الكبرى فيهما وكل امرين كانا كذلك فالعدل اشرفهما وافضلهما وقوله فالعدل الى
آخره هو النتيجة **وقال ع** الناس اعداء ما جهلوا وقد مر بيانه **وقال ع** الزهد كله بين كلمتين من القرآن قال
الله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ومن لم يأس على الماضى ولم يفرح بالآتى فقد اخذ الزهد
بطرفيه الامران المذكوران فى الآية غايتان من الزهد والاعراض عن الدنيا فى قوة خاصة مركبة تلزم الزهد فدل
عليها التعريف بها وكنى بقوله فقد اخذ الزهد بطرفيه عن استكمال حقيقة الزهد وكمالها حينئذ وظاهر ان وجود
الخاصة المذكورة مستلزم للاعراض عن الدنيا وطيبتها بالقلب وهو الزهد الحقيقى **وقال ع** الولايات مضامير
الرجال اراد بالمضامير مظان معرفة جودة الفرس وهى الامكنة التى تضمر فيها الخيل للسباق واستعار لفظها للولايات
باعتبار انها مظان ظهور جودة الوالى من خسته ورداءته كما ان المضامير للخيل كذلك **وقال ع** ما انقض النوم
لعزايم اليوم اقول ما هاهنا للتعجب وهذه الكلمة تجرى مجرى المثل يضرب لمن يعزم على امر فيغفل عنه ويتهاون فيه و
يتراخى عن فعله حتى ينتقض عزمه عنه واصله ان الانسان قد ينوى السفر مثلا او الحركة تقطع من الليل اليوم
فى نهاره على سين فيغلبه النوم الى الصباح فيفوت وقت عزمه فينتقض ما كان عزم عليه بنومه **وقال ع** ليس
بلد باحق بك من بلد خير البلاد ما حملك قوله ما حملك اى ما وجدت فيه قيام حالك وصلاح معاشك فامكنك
الاقامة به واستعار وصف الحمل له باعتبار حمل مؤنته ملاحظة لشبهه بالحمل ونحوه والى ذلك اومى واشار ابو
الطيب وفى بلاد من اختها بدل وكذلك على بن مقرب البحرانى فى قوله عن بلاد الاذى والهون متسع ما بين حر
وبين العلا مرتب **وقال عليه السلام** وقد جاءه نعى الاشتر رحمه الله مالك وما مالك لو كان جبلا لكان فندا
لا يرتقيه الحافر ولا يوفى عليه الطائر قال السيد رحمه الله والفند المنفرد من الجبال ومالك مبتدأ او فاعل
مات مالك وما استفهامية فى معرض التعجب من مالك ره وقوته فى الدين **وقال ع** قليل مدوم عليه خير من كثير
مملول منه وذلك من الامور التى ينبغى ان تفعل وما كان كذلك لان الدوام على القليل منها يفيد النفس
ملكة الطاعة والخير ويصير وبينها خلقا بخلاف الكثير المملول منه ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله ان هذا
الدين متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وقد مر هذا الكلام بعينه **وقال ع**
اذا كان فى رجل خلة رايعة فانتظروا اخواتها والرايعة المعجبة اى اذا كان فى الانسان خلق فاضل فان طبعه
مظنة ان يكون فيه جملة من الاخلاق الفاضلة المناسبة لذلك الخلق فيتوقع وينتظر منه كمن يكون من شانه
الصدق فانه ينتظر منه الوفاء وحسن الصحبة وبالعكس وكمن يكون من شانه العفة فانه يتوقع منه الكرم والسماحة

والبذل والصداقة والمحبة ونحوها ولكن يكون شجاعا فانه يتوقع منه عظمة الهمة والحلم والثبات وكذلك من
كان فيه ضد ذلك من الرذائل وقال ع لغالب بن صعصعة ابى الفرزدق فى كلام دار بينهما ما فعلت ابلك الكثيرة
فقال ذعذعتها الحقوق يا امير المؤمنين فقال ع ذلك احمد سبلها الكلام الذى دار بينهما ان غالبا
دخل على على عليه السلام وهو شيخ كبير ومعه ابنه همام الفرزدق وهو غلام يومئذ فقال له عليه السلام من الشيخ فقال
انا غالب بن صعصعة قال ذو الابل الكثيرة قال نعم قال ما فعلت ابلك قال ذعذعتها الحقوق واذهبتها الحمالات
والنوايب فقال ذاك احمد سبلها من هذا الغلام فقال هذا ابنى همام وقد قلت الشعر يا امير المؤمنين وكلام
العرب ويوشك ان يكون شاعرا مجيدا فقال اقرئه القرآن فهو خير وكان الفرزدق يروى هذا الحديث ويقول
ما زالت كلمته فى نفسى حتى قيد نفسه بقيد وآلى ان لا يفكه حتى يحفظ القرآن فما فكه حتى حفظه وذعذعتها بالذال
المعجمة مكررة فرقتها وقال ع من اتجر بغير فقه فقد ارتطم فى الربا ارتطم فى الوحل ونحوه وقع فيه فلم يمكنه
الخلاص وهو وصف مستعار لعجز الفقيه باعتبار انه لا يمكن من الخلاص من الربا وذلك لكثرة اشتباه مسائل
الربا بمسائل البيع حتى لا يفرق بينهما الا اكابر الفقهاء مع وقوع الخلاف الشديد بينهم فيها كبيع لحم البقر بالغنم متفاضلا
تجوزه ابو حنيفة قالا انهما جنسان مختلفان ومنع منه الشافعى لعجزها من المسائل وقال ع من عظم صغار
المصايب ابتلاه الله بكبارها واما الرفد ذلك لاستعداده بتضجره وتسخطه من قضاء الله لزيادة البلاء ولو قد احد
الله على بلائه لاستعد بذلك لدفعه وقال ع من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته وذلك لكونهما عدوان
فاكرام احدهما يستلزم اهانة الاخرى فمن كرمت عليه نفسه لزمه حفظها وحمايتها من عذاب الله وذلك مستلزم
لهوان شهوته عليه وعدم مراعاتها لانها تقتضى ضد ذلك وقال ع ما مزح امرؤ مزحة الا مج من عقله مجة وذلك
لان العقل يقتضى صيانة العرض والبقاء على حد يوقر معه صاحبه لا يستخف به والمزاح الذى لا ينبغى يقتضى ضد
ذلك فهو مستلزم لمخالفة العقل وتركه فاستعار لفظ المج لما يطرحه الانسان من عقله فى مزحه او مزحاته فكانه
قد مجه كما يمج الماء من فيه ويلقيه وقال ع زهدك فى راغب فيك نقصان حظ ورغبتك فى زاهد فيك
ذل نفس اما الاول فلان من تمام الحظ كثرة الاخوان للاعانة على اصلاح امر المعاش والمعاد فالزهد فيهم
يستلزم نقصان الحظ ولان مجازاة الرغبة بمثلها فضيلة من تمام الحظ النفسانى فعدمها يستلزم نقصانه واما
الثانى فاستلزام الرغبة فى الزاهد فيك الذل والخضوع لظاهر والكلمتان صغريا ضمير تقدير الكبرى فى الزهد فى
الراغب فيك والرغبة فيمن يزهدك وقال ع ما لابن آدم والفخر اوله نطفة وآخره جيفة استفهم متعجبا
من وجه الجمع بين الانسان والفخر ونبه على عدم المناسبة بينهما بضمير صغراه قوله اوله الى آخره وتقدير الكبرى
وكل من كان كذلك فلا مناسبة بينه وبين الفخر وروى الفخر منصوبا على المفعول معه وقال ع الغنى والفقر
بعد العرض على الله تعالى اراد الغنى الحقيقى بالثواب والفقر بعدمه فى الآخرة وسئل ع عن اشعر الشعراء فقال
القوم لم يجروا فى حلبة تعرف الغاية عند قصبتها فان كان ولا بد فالملك الضليل يريد امرأ القيس اراد انهم

ذعذعتها

لم يعولوا

لم يعولوا الشعر على منهاج واحد حتى يفاضل بينهم بل كان لكل منهم خاصة يجيد فيها وتنبعث فيها قريحته فواحد يجيد فى الرغبة
ولآخر الرهبة ولآخر فى النشاط والطرب ولذلك قيل اشعر العرب امرؤ القيس اذا ركب والاعشى اذا رغب والنابغة اذا
رهب واستعار لفظ الحلبة وهى القطعة من الخيل تقرن للسباق للطريقة الواحدة ورشح بذكر الاجراء والغاية
وقصبتها وذلك ان عادة العرب ان تضع قصبة فى آخر المدى فمن سبق اليها واخذها فاز بالسبق والغلبة قوله فان
كان ولا بد اى من الحكم والتحاكم له بذلك باعتبار جودة شعره فى اكثرها لانه دون غيره كذا روى عنه برواية
اخرى ان ابا الاسود سأله عن اشعر العرب فقال لو رفعت للقوم غاية علمنا من السابق منهم ولكن ان يكن فالذى
لم يقل عن رغبة ولا رهبة وهو الملك الضليل وسمى ضليلا لكثرة ضلاله وغوايته قيل لانه تنصر آخر عمره وقيل لانه
كان كثير التهتك واعلان الفسق كما فى شعره وروى عن النبى ص انه قال امرؤ القيس اشعر العرب وقائدهم الى النار
وقال الفرزدق كان الشعر جزورا فنحر فاخذ سنامها امرؤ القيس واخذ طرفة ما طاب من لحمها واخذ لبيد امعاءها
واكبادها وبقيت عظامها وارواثها فاقتسمناها نحن وقيل للبيد من اشعر الناس فقال الملك الضليل
فقيل ثم من قال الغنى القتيل يعنى طرفة فقيل ثم من فقال الشيخ ابو عقيل يعنى نفسه وقال ع الا حر يدع هذه
اللماظة لاهلها انه ليس لانفسكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها اللماظة بضم اللام ما يبقى فى الفم من الطعام
ولفظها مستعار للدنيا باعتبار قلتها وحقارتها ودعا الى تركها ثم جذب عنها بضمير صغراه قوله فانه الى قوله
للجنة وهو كقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وتقدير الكبرى وكلما كان
ليس لانفسكم ثمن الا هو فينبغى ان لا تبيعوها الا به وقال ع علامة الايمان ان تؤثر الصدق حيث يضرك
على الكذب حيث ينفعك وان لا يكون فى حديثك فضل عن علمك وان تتقى الله فى حديث غيرك اشار من علامات
الايمان الى ثلث احدها ان تؤثر الصدق الضار على الكذب النافع محبة للفضيلة وكراهة للرذيلة الثانية
ان لا يكون فى حديثه فضل وزيادة عن علمه وهو العدل فى القول والاحتراز من رذيلة الكذب الثالث ان يتقى
الله فى حديث غيره فلا يخوض فى عرضه بغيبة او سماعها وقيل اراد ان يحتاط فى الرواية فيروى عن حديثه كما هو
وقال ع يغلب المقدار على التقدير حتى تكون الآفة فى التدبير المقدار القدر ولما كان الانسان جاهلا
باسرار القدر كان بناء تقديره وتدبيره لنفسه على اوهام لا ثقة بها فجاز فيما دبره هو لنفسه واعتقده سببا
للمصلحة ان يكون من اسباب مفسدته وهلاكه وقد مر بيان ذلك وقال ع الحلم والاناة توأمان ينتجهما
علو الهمة استعار لهاتين الفضيلتين لفظ التوأمين باعتبار استلزام علو الهمة لهما وصدورهما بواسطتها وذلك
ان عالى الهمة يستحقر كل ذنب ومذنب فى حقه فيحلم عنه ويتأنى عن المبادرة الى مقابلته وقال ع الغيبة جهد
العاجز اكثر ما تصدر الغيبة عن الاعداء والحساد الذين يعجزون عن بلوغ اغراضهم وشفاء صدورهم فيعدلون
الى اظهار معايب اعدائهم لما يجدون فيه من اللذة ونزعها بغيبته فاعلها الى العجز ولانها غاية جهده ليأنف من
ذلك النقصان ولا يرضى به وقال ع رب مفتون بحسن القول فيه اصل الفتنة الانصراف الى ريب مصروف

من تحصيل الفضيلة والطاعة واكمالها بالمدح والاطراء كمن يمدح بكثرة العبادة مثلا فيقوده ذلك الى الانقطاع
عن ذلك القدر منها قال السيد الرضي رحمه الله وهذا حين انتهاء الغاية بنا الى قطع المختار من كلام امير المؤمنين علي
بن ابي طالب عليه السلام حامدين لله سبحانه على ما من به من توفيقنا لضم ما انتشر من اطرافه وتقريب ما بعد من اقطاره ومقررين
العزم كما شرطنا اولا على تفضيل اوراق من البياض في آخر كل باب من الابواب ليكون لاقتناص الشارد واستلحاق
الوارد وما عسى ان يظهر لنا بعد الغموض ويقع الينا بعد الشذوذ وما توفيقنا الا بالله عليه توكلنا وهو حسبنا
ونعم الوكيل اقول انه تبجح في اختياره كلامه عليه السلام الى هذه الغاية وقطعه عليها ثم كتب على عهده زيادة من
محاسن الكلمات مما اختاره هو او بعض من كان بخصوص اهل العلم وتلك الزيادة تارة توجد خارجة عن المتن
وتارة موضوعة فيه ملحقة بمقطع اختياره وروي انها اثبتت عليه وامر بالحاقها بالمتن واولها وقال عليه السلام الدنيا
خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها واراد انها خلقت للاستعداد فيها وبها لدرك ثواب الله في الآخرة لا لنفسها
بها الجاهلون وقال عليه السلام ان لبني امية مرودا يجرون فيه ولو قد اختلفوا فيما بينهم ثم كادتهم الضباع لغلبتهم والمرود
هنا مفعل من الارواد وهو الامهال والانظار وهذا من افصح الكلام واغربه فكانه شبه عليه السلام المهلة التي
هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه ولو قد اختلفوا انتقض نظامهم بعدها اقول استعار لفظ المرود لمدة دولتهم
ووجه المشابهة هو ما ذكره السيد والكلام ظاهر الصدق فان دولتهم لم تزل على الاستقامة الى حين اختلافهم وذلك
حين ولي الوليد بن يزيد فخرج عليه ابن عمه يزيد بن الوليد فقتله وقامت حينئذ دعاة بني العباس بخراسان
واقبل مروان بن محمد من الجزيرة يطلب الخلافة فخلع ابرهيم بن الوليد وقتل قوما من بني امية واضطرب امر دولتهم
وكان زوالها على يد ابي مسلم وكان في بدو امره اضعف خلق الله واشدهم فقرا وفي ذلك تصديق قوله عليه السلام
ثم كادتهم الضباع لغلبتهم ولفظ الضباع قد يستعار للاراذل والضعفاء وهذا من كراماته عليه السلام وقال عليه السلام
في مدح الانصار هم والله ربوا الاسلام كما يربى الفلو مع غنائهم بايديهم السباط والسنتهم السلاط والفلو المهر
والسباط السماح ويقال للحاذق في الطعن انه لسبط اليدين يريد انه ثقيف فيه والسلاط الحديد الفصيحة وشبه
تربيتهم للاسلام وحمايتهم له بتربية الفلو ووجه الشبه شدة عنايتهم به وحسن رعايته الى حين كماله وقال عليه السلام
العين وكاء السه قال السيد وهذه من الاستعارات العجيبة كانه شبه السه بالوعاء والعين بالوكاء
فاذا اطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء قال وهذا القول في الاشهر الاظهر من كلام النبي صلى الله عليه وآله وقد رواه
قوم لامير المؤمنين عليه السلام وذكر ذلك المبرد في كتاب المقتضب في باب اللفظ بالحروف وقد تكلمنا على هذه الاستعارة
في كتابنا الموسوم بمجازات الآثار النبوية واقول انه استعار لفظ الوكاء وهو رباط القربة للعين باعتبار حفظ
الانسان في يقظته لنفسه من ان يخرج منه ريح ونحوها كما يحفظ الوكاء ما يوكى به وفي ذلك ملاحظة تشبيه السه
بالوعاء كالقربة ومن تمام الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله فاذا نامت العينان استطلق الوكاء وقال عليه السلام في كلام له ووليهم
وال فاقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه المنقول ان الوالي هو عمر بن الخطاب والكلام من خطبة طويلة له عليه السلام

الى الغاية فاذا بلغوا منتهاها انقطع نظامهم بعدها

قال لم

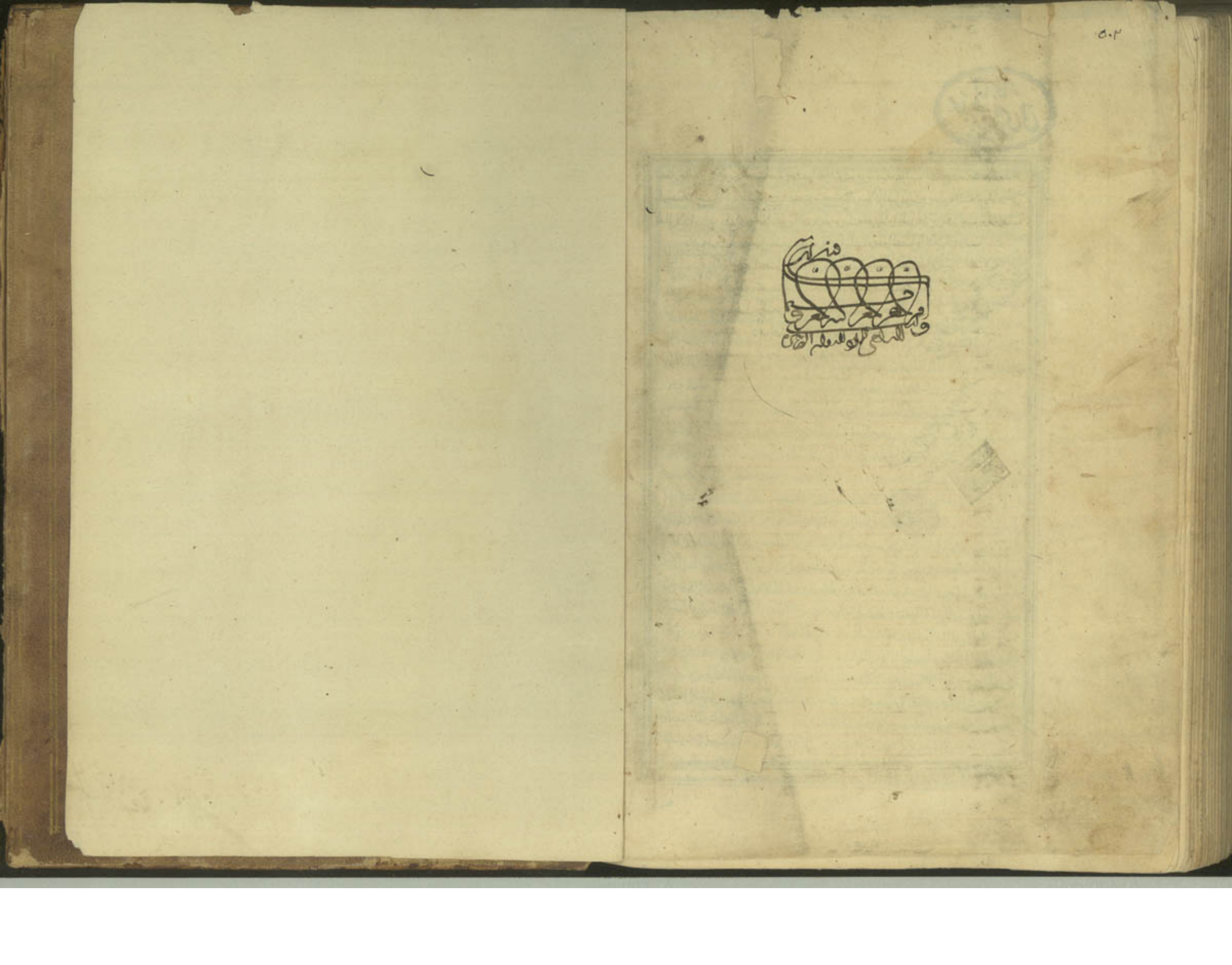
في ايام خلافته يذكر فيها قربه من رسول الله صلى الله عليه وآله واختصاصه له بافضائه باسراره اليه الى ان قال فيها فاقام
المسلمون بعده بارائهم رجلا منهم فقارب وسدد حسب استطاعته على ضعف وحد كانا فيه ثم وليهم بعده وال فاقام
واستقام حتى ضرب الدين بجرانه على عسف وعجرفية كانا فيه ثم استخلفوا ثالثا لم يكن يملك من امر نفسه شيئا غلب عليه اهله
فقادوه الى اهوائهم كما تقود الوليدة البعير المخطوم ولم يزل الامر بينه وبين الناس يبعد تارة ويقرب اخرى حتى
نزوا عليه فقتلوه ثم جاؤا في مدب الدبا يريدون بيعتي في كلام طويل والجران مقدم عنق البعير وضرب بجرانه كناية
بالوصف المستعار عن استقراره وتمكنه كتمكن البعير البارك من الارض وقال عليه السلام ياتي على الناس زمان عضوض
يعض الموسر فيه على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله سبحانه ولا تنسوا الفضل بينكم تنهد فيه الاشرار وتستذل
فيه الاخيار ويبايع المضطرون وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن بيع المضطرين تنهد اي ترتفع وتعلو وذكر
لذلك الزمان مذام احدها استعار لفظ العضوض باعتبار شدته واذاه كالعضوض من الحيوان وقوله يعض الخ
الثانية انه يعض الموسر فيه على ما في يديه وهو كناية عن بخله بما يملك ونبه على صدق قوله ولم يؤمر بذلك بقوله تعالى
ولا تنسوا الفضل بينكم فانه يفيد الندب الى بذل الفضل من المال وذلك ينافي الامر بالبخل الثالثة انه تعلو فيه
درجة الاشرار ويستذل الاخيار الرابعة ويبايع فيه المضطرون اي كرها لا بنية الجور ونبه على قبح ذلك بنهي
الرسول صلى الله عليه وآله وقال عليه السلام يهلك في رجلان محب مطر وباهت مفتر وهذا مثل قوله يهلك في رجلان
محب غال ومبغض قال والمحب المطري بكثرة المدح كالغلاة هم في طرف الافراط والذي يبهته ويفتري عليه بانه
كافر ونحوه كالخوارج هم في طرف التفريط وكلاهما رذيلتان خارجتان عن فضيلة العدل فيه وقد علمت ان الرذائل
مهاوي الهلاك الاخروي وقد سبق مثله وسئل عليه السلام عن التوحيد والعدل فقال التوحيد ان لا تتوهمه والعدل
ان لا تتهمه وهاتان الكلمتان على وجازتهما في غاية الشرف وعليهما مدار العلم الالهي والكلمة الاولى اجل كلمة
دل بها على التوحيد والتنزيه وقد بينا مفهومها في اول الخطبة الاولى من الكتاب وجملة القول فيها هاهنا انه لما كان
الوهم انما يدرك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوس ولا بد ان يستعين في ادراكه وضبطه بالقوة المتخيلة حتى يصوره
ويلحقه بالامور المحسوسة وكان الباري تعالى منزها بمقتضى العقل الصرف عن المحسوسات وما يتعلق بها لاجرم
لم يجز ان يوجد الوهم في تصوره تعالى ويجري على ذاته المقدسة احكامه اذ لا يكون في حقه الا كاذبة لاقتضائها كونه محسوسا
او متعلقا بالمحسوس الذي من شانه الكثرة والتركيب المنافيان للوحدة المطلقة فيكون قد عرف التوحيد بخاصة
من خواصه وهي لازم ذلك سلبي واما الكلمة الثانية فالمراد من العدل اعتقاد جريان العدل في جميع افعاله تعالى
واقواله ومن لوازم ذلك الخاصة بان لا يتهم العبد انه يجبره على القبيح ثم يعاقبه عليه او انه يكلفه ما لا يطيقه ونحو
ذلك من مسائل اصول الدين التي اعتمد فيها المعتزلة على ظواهر كلامه عليه السلام وقال عليه السلام لا خير في الصمت عن الحكم كما
انه لا خير في القول بالجهل الصمت عن الحكمة رذيلة تفريط من فضيلة القول والقول بالجهل رذيلة افراط ولا خير
فيهما بل فيما يتوسطهما من القول بالحكمة وقال عليه السلام في دعاء استسقى به اللهم اسقنا ذلل السحاب دون صعابها قال السيد

وهذا من الكلام العجيب وذلك انه عليه السلام شبه السحاب ذوات الرعود والبوارق والرياح والصواعق بالابل الصعاب التي تقص برحالها وتتوقص بركبانها وشبه السحاب الخالية من تلك الروايع بالابل الذلل التي تحتلب طيعة وتقتعد مسمحة والوان لفظي الذلل والصعاب مستعاران للسحاب لمكان المشابهة التي ذكرها السيد وتتوقص بركبانها اي تنزو بهم ويقاربون الخطو والروايع الامور المخوفة وقيل له عليه السلام يا امير المؤمنين لو غيرت شيبك فقال الخضاب زينة ونحن قوم في مصيبة يعني برسول الله صلى الله عليه وآله وهو ظاهر **وقال عليه السلام** منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا النهم بالفتح افراط الشهوة في الطعام ولفظه مستعار لشدة طلب المتعلم وحرصه على العلم وطلب صاحب الدنيا لها وكذلك وصف عدم الشبع لهما والكلمة مروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله منهومان لا يشبعان منهوم بالمال ومنهوم بالعلم **وقال عليه السلام** القناعة مال لا ينفد وقد روى بعضهم هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وآله واستعار لفظ المال للقناعة بوصف عدم النفاد باعتبار انها الغنى الدائم كالمال الباقي ابدا **وقال عليه السلام** لزياد بن ابيه وقد استخلفه لعبد الله بن عباس على فارس واعمالها في كلام طويل كان بينهما نهاه فيه عن تقديم الخراج استعمل العدل واحذر العسف فان العسف يعود بالجلاء والحيف يدعو الى السيف امره باستعمال العدل وحذره من حيف الناس وعسفهم وهو حملهم على المكاره ونفره عن ذلك بضمير صغراه قوله فان العسف الى آخره اي يعود بجلاء المعسوف بهم عن اوطانهم وظاهر ان الظلم معد لذلك والقيام بالسيف على الظالم من غيره وتقديره الكبرى وكلما كان كذلك فيجب اجتنابه **وقال عليه السلام** اشد الذنوب ما استخف به صاحبه وذلك انه كان بيده عليه لا يستعظمها لما اباه حتى يصير ملكه وخلقا لا ينفك عنه بخلاف ما يستصعبه فانه يوشك ان يقلع عنه قبل استحكامه وقدم بتغيره **وقال عليه السلام** ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لما كان التعليم على الجاهل فريضة ولا يمكن الا بمعلم عالم كان وجوب التعلم على الجاهل مستلزما لوجوب التعليم على العالم وفي الخبر المرفوع من تعلم علما فكتمه الجمه الله يوم القيامة بلجام من نار وروى معاذ بن جبل عن الرسول صلى الله عليه وآله انه قال تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام وبيان سبيل الجنة والمونس في الوحشة والمحدث في الخلوة والجليس في الوحدة والصاحب في الغربة والدليل على السراء والمعين على الضراء والدين عند الاخلاء والسلاح على الاعداء **وقال عليه السلام** شر الاخوان من تكلف له اي من احوج الى الكلفة له وذلك ان الاخوة الصادقة تستلزم الانبساط بين الاخوان وترك التكلف من بعضهم لبعض فكان عدم هذا اللازم ووجود التكلف مستلزما لعدم ملزومه وهو صدق الاخاء ومن لا يكون اخ صدق فهو شر الاخوان والكلمة في قوة صغرى ضمير نبه بها على اجتناب اخ كذلك وتقدير كبراها من احوج الى التكلف فهو شر الاخوان وتقدير الكبرى ومن كان شر الاخوان يجب مجانبته **وقال عليه السلام** اذا احتشم المؤمن اخاه فقد فارقه حشمه واحشمه بمعنى اغضبه وقيل اخجله والكلام صغرى ضمير نفر به عن احتشام الاخ لاخيه وذلك ان احتشامه على كل المعنيين يوجب نفرته عنه وعدم انسه به وهو من دواعي مفارقته وموجباتها وتقدير ما هو في قوة الكبرى

ومفارقة

ومفارقة الاخ لا يجوز فاحتشامه لا يجوز وبالله التوفيق والعصمة **وقال الشارح** رحمة الله عليه هذا آخر ما وجدناه من اختيار السيد الرضي رضي الله عنه من كلام مولانا امير المؤمنين عليه السلام واذ وفقني الله تعالى لاتمام شرحه فله الحمد سبحانه على ما اعدني له من منته الجزيلة وافاضه علي من نعمه الجميلة ومنه اطلب واليه ارغب ان يجعل ما كتبته ذخرا لي لا على انه المنان ذو الفضل والاحسان وكتب عبد الله الملتجي الى رحمته المستعيذ من ذنوبه بعفوه وكرمه ميثم بن علي ابن ميثم البحراني في منتصف ليلة السبت سادس شهر الله المبارك رمضان عمت بركته من سنة سبع وسبعين وستمائة والحمد لله كما هو اهله وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله الطاهرين واصحابه الاكرمين وسلم تسليما

تمت تمت






۲٤
۲۷ /۱۱/ ۱۳۸۷
اسکن شد
بازدید شد
۱۳۸۱
کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
اسم کتاب شرح نهج البلاغة
مؤلف شارح : میثم بن علی بن میثم بحرانی
موضوع تألیف خطب و مواعظ
مؤسسهٔ ۱۳۰۲
شمارهٔ دفتر
۱۲۰۱٤
۵۵